مذكرات محمد عزة دروزة

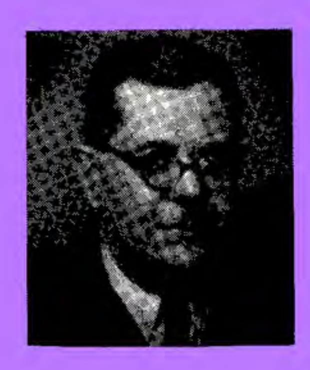

سجل حافل

بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية
خلال قرن من الزمن

1305 هـ - 1404 هـ / 1887 م - 1984 م

مذكّرات محمّد عزّة دروزة

سِجِلٌ حافِلٌ

بمسيرة الحركة العربيّة والقضيّة الفلسطينيّة
خلال قرنٍ من الزّمن

1305 هـ ـ 1404 هـ / 1887 م ـ 1984 م

المجلّد الرّابع

دار الغرب الإسلامي

المجلد الرابع

جمادى الثانية 1359 ـ محرم 1363
كانون الثاني 1944 ـ تموز 1941
هجرة الكاتب الى تركيا
العلاقات الفلسطينية والعربية مع دول المحور (المانيا/ ايطاليا)، مشاورات الوحدة العربية، وعودة الحياة الدستورية الى سورية ولبنان وأزمة لبنان وأحداث مصرية وعربية وتركية واجنبية مختلفة سياسية وعسكرية.

الطبعة الاولى 1993

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : 113/5787
بيروت ـ لبنان

مذكرات محمد عزة دروزة

4

سبعة وتسعون عاماً في الحياة

1305 ـ 1404هـ / 1887 ـ 1984م

مذكرات وتسجيلات

محمد عزة دروزة

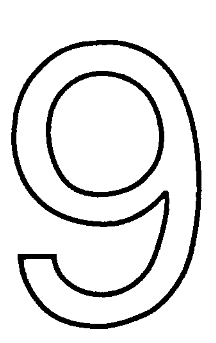

هجرة الكاتب الى تركيا وحياته ومشاهدته
وما سجله من أحداث
عامة وخاصة أخرى أثناء ذلك
والاتصالات العربية المحوية (المانيا/ ايطاليا)
تموز 1941 ـ جمادى الثانية 1359
شباط 1942 ـ محرم الحرام 1361

الجـزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

لا نستطيع أن نغفل الإطار التاريخي الذي جرى فيه كل حدث، وعاصر كل مرحلة، فإذا أردت أن تصدر حكماً على زعيم أو على مرحلة فضعها في إطارها التاريخي الذي عاصرته، وبين المؤشرات التي أثرت فيه ثم أصدر حكماً عليها.

فكل مرحلة لها ضروراتها، ولا بد دائماً قبل إصدار الأحكام من تصور الظروف التاريخية التي جرت فيها الأحداث ووضعها في الاعتبار، ثم إصدار الأحكام على ضوء هذه الظروف، وليس على ضوء ما توفر لنا الآن من فرصة معايشة نتائج القرارات والأحداث، ويفترض على كل من يتصدى للنقد والتقييم التقيد به.

محمد عزة دروزة

شرح تمهيدي لما كتبناه في تركية:

كتبنا في تركية خمسة وعشرين دفتراً صغيراً بقلم رصاص وخط دقيق، فيها نحو (4000) صفحة. والدفتر الأول وشطر من الدفتر الثاني سجلنا فيهما بعض الأحداث التي كانت أثناء سجننا وبعد خروجنا من السجن إلى مغادرتنا أرض سورية في 7 تموز 1941 الموافق للعاشر من جمادى الثانية 1359، وقد أعدنا تدوين ذلك في جذاذات جديدة من الجزء السابق، وفي بقية الدفتر الثاني والدفاتر الأخرى تسجيلات ومذكرات عن ما كان في حقبة إقامتنا في تركية التي امتدت إلى أيلول 1945.

وفي هذه التسجيلات والمذكرات شيء كثير عن سير الحرب العالمية الثانية في جبهاتها المتعددة كنا نلخصها من الصحف والإذاعات ونعلق عليها، وشيء عن حياتنا في تركية، وشيء عن معالم تركية وبخاصة الآستانة التي أقمنا فيها الشطر الأكبر من حقبة هجرتنا أي 28 شهراً، حيث قضينا ستة أشهر في أيدين وستة عشر شهراً في بورسة، وفيها شيء كثير عن الإنقلاب الكمالي وآثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعن أحوال الدولة التركية في ظروف إقامتنا وما قبل ذلك، ومن هذا مشاهداتنا ودراساتنا وتعليقاتنا، ومنه ما اقتبسناه من كتب ورسائل.

وسجلنا في الدفاتر فيما سجلناه شيئاً كثيراً عن أحوال البلاد العربية وقضاياها في أثناء الحرب وحقبة إقامتنا، منها ما هو ملخص من الصحف التركية والعربية والإذاعات التركية والعربية، ومنه ما كان يمدنا به أشخاص قادمون من بلاد العرب أو أوروبا أو رسائل تأتي إلينا منها. وكنا نتذكر في مناسباتها أشياء فنوردها في السياق، وكنا نعلق على أشياء أخرى تعليقات متنوعة خطرت لنا منها ما هو في صدد ما هو حادث، ومنها ما هو في صدد ما حدث سابقاً وله مناسبة مع ما حدث لاحقاً.

والتسجيلات في نسق تاريخي، ومن بعضها كتبنا كتابنا (تركية الحديثة)، بالإضافة إلى كتب ورسائل أخرى كانت مصادر لنا لهذا الكتاب، ولسوف يغنينا هذا الكتاب المطبوع في بيروت سنة 1947 بواسطة مكتبة الكشاف عن إيراد كثير مما سجلناه عن الانقلاب الكمالي وآثاره، وأحوال الدولة التركية السياسية والإجتماعية والإقتصادية السابقة لهجرتنا وإقامتنا، فلا نعيد تدوينه وسرده في هذه المذكرة. وسنكتفي بإعادة تدوين ما سجلناه من أحداث سياسية واجتماعية تركية أثناء إقامتنا مع مشاهداتنا لمعالم الآستانة وغيرها. وسنعيد تدوين ما سجلناه عن أحوال بلادنا وأحداثها والقضايا العربية، وتحليلاتنا وتعليقاتنا حول ذلك. ولم نر بأساً في إعادة تدوين كثير مما كتبناه عن سير الحرب العالمية الثانية في مختلف الجبهات، سواء منها الأحداث الحربية والسياسية الناجمة عنها والتعليقات حولها، ولاسيما أننا سجلنا هذا بمثابة مذكرات، وأسلوبها ليس أسلوب تاريخ عادي، أو بكلمة أخرى بأسلوب العائش في جوها المنفعل بها. ومع ذلك إذا قدر لهذه

المذكرات أن تطبع فإننا نترك للمشرفين على الطبع الخيار في إثباتها جميعها أو بعضها أو في حذفها جميعها أو بعضها.

ونشرع الآن في إعادة تدوين ما سجلناه:

1 ـ دخولنا أرض تركية من ناحية كلس وطريقها:

فارقنا أرض سورية بعد قليل من أعزاز، ودخلنا الأرض التركية من ناحية قضاء كلّس في السابع من تموز 1941 يوم الاثنين الموافق العاشر من جمادى الثانية 1359، ومنذ دخلنا أرض تركية ظهر لنا فرق سلبي في صلاح الطريق، فالطريق إلى كلّس بعد أعزاز ليست حسنة ولا صالحة كما هي في طريق أرض أعزاز. وشاهدنا هذا الفرق في طريق كلس عنتاب، وطريق عنتاب محطة فوزي باشا، فهي سيئة، وكأنما ظلت على ما هي عليه منذ الدولة العثمانية لم تمسسها يد الإصلاح، في حين كان الإصلاح في طرق سورية ولاسيما العامة ظاهر ولو لم يكن كامل التزفيت. وبعد بضعة كيلومترات من أرض أعزاز وصلنا لأول قرية تركية واسمها (بيبيل) وفيها نقطة بوليس وجمرك.

معاملة لطيفة في نقطة بيبيل التركية:

وعوملنا منهما معاملة حسنة لطيفة، وشعرنا من الموظفين أنهم مدركون لظروفنا، وكانوا يواسوننا ببعض الكلمات اللطيفة، وأحضروا لنا سيارة من كلّس لأن سيارة أعزاز لا تسير في الأرض التركية. وكلّس تبعد عن أعزاز بنحو عشرة كيلومترات، وكانت تابعة لحلب في زمن الدولة العثمانية، وفيها كثير من الأرمن. والمتقدمون في السن من سكان المنطقة يعرفون شيئاً من العربية، واتصالهم بحلب وأهلها وثيق، ومنهم من بينه وبينهم أرحام وأنساب وصهارة.

طريقة لتبديل عملتنا بالورق التركي:

ولقد قيل لنا في حلب أن أوراق العملة السورية رخيصة في تركية، وأن من الأفضل أن نتركها في حلب ونأخذ قيمتها من كلّس. ودلّونا على تاجر أعطيناه ما معنا منها وأخذنا منه ورقة فيها رموز لا يعرفها إلا المرسل إليه زيادة في الإحتياط. فلما وصلنا كلس ذهب أخي إلى الرجل وأعطاه الورقة فدفع له المقابل بالورق التركي.

القبعات على رؤوس الفلاحين والسحن مألوفة:

ومنذ دخولنا أرض تركية أخذنا نرى القبعات تعلو الرؤوس ونوع الكاسكيت هو الغالب على رؤوس الفلاحين والعمال والطبقات المتوسطة، وهؤلاء هم أكثرية الناس. أما سحن الناس ووجوههم فلم تتغير علينا، فهي سحن سورية مع شيء من الإربداد، ولها شبه كثير بالسحن الأرمنية أو أنها خيلت لنا كذلك، لاسيما بالقبعات التي كانت تعلو الرؤوس، لأن ذهننا كان ينصرف حالاً وتلقائياً إلى كون القبعات هي مميزة للأجانب من النصارى لعدم اعتياد أنظارنا عليها بالنسبة للمسلمين.

وصف لكلّس وسكانها:

وكلّس مدينة متوسطة يبلغ عدد سكانها 25000، وهي قائمة على سفح جبل أو هضبة على الأصح، ولا بأس في موقعها ومناظرها الطبيعية، وفيها مياه وأشجار، وأسواقها مزدحمة

بالناس، وفيها ثمانية مساجد منها ما هو قديم الهيئة، وقد زرنا أحدها فوجدنا فيه مصلين من طبقات وأعمار مختلفة، وفيها من يتعلم القرآن ويقرأه.

أما النساء فإنهن محافظات على حشمتهن ووقارهن في اللباس، وأكثرهن يخمرن رؤوسهن بالخمار.

مظاهر عناية الدولة بكلس ومنشآتها الحديثة:

والمدقق يرى عناية حكومية في تحسن الأحوال الاجتماعية والصحية، وقد أنشئت في كلس ثلاث حدائق عامة منها واحدة للنساء، ووضعت في هذه مذياعاً يذيع الأخبار، فيأتي الرجال إلى جدار حديقتين ليسمعوها. ولحظنا شيئاً من النظام أو الطاعة في صف الرجال، فلم نر أحداً منهم يقترب كثيراً من الحديقة النسائية، ورأينا كذلك مركزاً خلوياً لمعالجة تراخوما العيون، ومركزاً أطلق عليه بيت الأمة أو الشعب (خلق إوى)، وعلمنا بعد ذلك أن مثل ذلك موجود في معظم المدن الصغيرة والكبيرة، ويتردد عليها الشباب بل والرجال لقراءة الصحف والكتب وقضاء الفراغ. وفي المدينة فندق صغير ولكنه وافٍ بحاجتها ونظيف، وتحته مطعم وافٍ بالحاجة أيضاً ونظيف وحسن الطعام والخدمة، وعلمنا أن الحكومة هي التي أنشأت الفندق والمطعم لسد الحاجة. وفي خارج المدينة عمارات جديدة قيل لنا أنها ثكنات عسكرية. وقيل لنا يجب مراجعة مركز الأمن العام للتأشير على جوازاتنا مع أننا أشرنا عليها من الحدود، وكان قد اعترضنا في الطريق جندي وطلب رؤية جوازاتنا، وهكذا رأى موظفو الأمن جوازاتنا ثلاث مرات، مما يدل على الرغبة في التشديد على عدم التسرب للأراضي التركية هرباً.

سفرنا إلى عنتاب ووصف لها:

وبتنا ليلة في كلّس، واتجهنا في الصباح في سيارات نحو عنتاب فوصلناها بعد ساعتين، وهي تبعد ستين كيلومتراً عن كلس وطريقها غير حسنة، ورأينا على طرفي الطريق كروماً كثيرة للعنب. والمدينة قديمة وكبيرة ومشهورة، وعدد سكانها (60000)، وفيها أسواق كثيرة وحركة، وهي مركز ولاية، وآثار العناية بها ظاهرة، فمدخلها مجمّل بالطرق المعبدة والأشجار المنظمة على الجانبين والأبنية العسكرية، وفيها عدة فنادق، وهي مكتظة بالنزلاء. ولم نجد محلات إلا بعد الطواف عليها جميعاً، غير أن داخل المدينة ظاهر عليه القدم والرثاثة في الشوارع والدكاكين والبيوت، ولكن يد الإصلاح بادية أيضاً، وقد أنشيء من جديد سوق نظيف للحوم وآخر في جانبه للخضروات.

صناعة الصابون فيها:

وفي عنتاب يصنع صابون، وقد زرت مصبنة فإذا هي تشبه مصابن نابلس التي وصفتها في الجزء الأول من المذكرات، ومعظم سكانها وسكان كلّس مسلمون، بل كلهم تقريباً، وليس فيهما أرمن، مع أن الأرمن فيها كانوا كثيرين جداً قبل الحرب.

وفي الصباح تركنا عنتاب قاصدين محطة فوزي باشا لأخذ القطار، وقد تأخرنا عن الموعد المقرر للسفر نحو ساعة بسبب معاملة جوازاتنا، فقد أخذوها منا ليلاً ولم يتموا معاملتها في الليل، وفي الصباح ذهبنا وانتظرنا المأمور المختص بالتوقيع فتأخر، وخفنا أن يفوتنا القطار فتلطف الموظف الثاني فسلمنا الجوازات على مسؤوليته.

سفرنا لمحطة فوزي باشا للحاق بقطار الآستانة:

وقد ركبنا السيارات وحثثنا السائقين على الإسراع فاستطعنا أن نصل في نحو ساعتين وربع وقبل موعد قيام القطار بنصف ساعة. ومحطة فوزي باشا كبيرة لأنها محطة ولاية عنتاب للخطوط الحديدية، وفيها مرافق ميسرة للمسافرين كمطعم وفندق ومقهى مع القول أن الفندق بسيط وحقير، وقرب المحطة بنايات قريبة بائسة.

فرق الأسعار الذي لحظناه:

وأخذنا بطاقات في الدرجة الثانية على أمل أن نجد محلات في عربات النوم. ودهشنا لفرق الأجرة، حيث كنا قد علمنا في حلب أن قيمة بطاقة الدرجة الثانية 82 ورقة سورية، فدفعنا 28 ورقة تركية أي ما يعادل 31 ليرة سورية، وهي أقل من تعرفة السفر في سورية بنحو النصف. وفي أثناء انتظارنا تحرك القطار في صالون المحطة وقع حادث أثار ألمي ومرارتي، فقد كنت تعباً من سرعة السيارة والسفر يومين من حلب إلى المحطة، فجلست على كرسي ومددت رجلي فوق كرسي ثان وكان في الصالون بعض أشخاص وركاب ينتظرون مثلنا القطار بعيدين عنا بضعة أمتار. فباغتني ضابط تركي في رتبة ملازم وصرخ بي قائلاً إن في جلستي هذه سوء أدب، وعبثاً حاولت أنا ونبيه بك الذي كان في جانبي أن نشرح له حالتنا وتعبنا وحسن نيتنا فظل يبرطم ويعربد، ورأينا أن لا نوسع الأمر فقمنا من مكاننا وخرجنا من الصالون وانتظرنا إلى أن جاء القطار. ويظهر أن الإنقلاب الكمالي وما صار لتركية من عزة وقوة ومكانة وما كان يذاع من إذاعات سيئة ضد العرب وحركتهم بعد الدستور وثورتهم ضد الدولة العثمانية في جانب الانكليز قد أثر تأثيره العميق السلبي في ناشئة الترك، برغم أن الانقلاب الكمالي كان ضد سلاطين العثمانيين، وقد مر على الثورة العربية أكثر من عشرين سنة.

ركوب القطار ومخدع النوم فيه:

وأخيراً جاء القطار وكان مزدحماً، وأردنا أن نبدل إلى الدرجة الأولى فلم نجد، ثم تفاوضنا مع وكيل عربة النوم فقال لنا أنه يمكن أن يعطينا فيها محلات إلى أضنه فقط، فإذا لم تكن المحطة مرتبطة لركاب فيها أبقانا في العربة، فقبلنا شرطه وانتقلنا إلى عربة النوم، وفيها مكانان للنوم واحد فوق آخر، ومكان لمغسلة ومرآة للزينة، وقد ارتحنا ودعونا أن لا يكون ركاب حاجزين في عربة النوم في اضنه ولكن دعاءنا لم يستجب، حيث وجدنا الأمكنة محجوزة، فاضطررنا إلى الإنتقال إلى مخادع الدرجتين الأولى والثانية حسب الميسور، وقضاء الليل بالتهويم تارة والحديث تارة إلى أن وصلنا إلى محطة أنقرة، حيث فرغت أمكنة في عربة النوم، فانتقلنا إليها وعوضنا تعبنا في الليلة السابقة. وعربات النوم ضرورية في أسفار القطار الطويلة، فقضاء ليلة بالتهويم والسهر أتعبنا، فكيف الليالي العديدة وهذا ما جعل الناس يحجزون مخادع نوم بواسطة شركة كوك ويدفعون عمولتها. ومن العجيب أن أجرة الدرجة الثانية في حلب من حلب إلى الآستانة مع مخدع في عربة النوم 142 ليرة سورية، مع أن التعرفة التركية ستون ليرة تركية. والمسافة بين محطة فوزي باشا وأضنة ثلاث ساعات بقطار الإكسبرس الذي ركبناه. ويخترق جبال

طوروس بأنفاق عديدة وطويلة، حتى ليكاد المرء يقول أن السكة تمر في أنفاق. وهي تسير كذلك في وديان هذه الجبال مدة طويلة. ويتمتع المسافر بمنظر أخّاذ من هذه الجبال الشاهقة والضخمة المكسوة بالأحراش، وهذا ما يفسر اهتمام العرب بإقامة هذه الجبال حداً لسورية الشمالية، كونها حصون طبيعية منيعة، وكان العرب في العهد الأول للإسلام يسلكون دروب هذه الجبال في غزواتهم ضد بلاد الروم ـ الأناضول ـ اليوم، وذلك قبل دخولها في حوزة المسلمين.

وقد قطعنا المسافة بين أضنة وأنقرة بثماني عشرة ساعة أكثرها في الليل.

منظر أنقرة ووصفها:

ولما أقبلنا على أنقرة بدا لنا منظر طريف ولابأس في فخامته، فالأبنية والمساكن الحديثة والشوارع النظيفة المعبدة، والفيلات المنفردة في جهة والمدينة القديمة في جهة ثانية، وكلها قائمة على هضبات مختلفة الارتفاع، وقيل لنا أن عدد نفوس المدينة العاصمة صار (200000)، وكان قبل اتخاذها عاصمة أقل من خمسين ألفاً، وهذا الفرق ليس عظيماً، ويمكن أن يدل على بطء، فالعادة أن يزدحم الناس في العواصم وأن يبلغ الفرق أكثر من هذا، وأنقرة عاصمة منذ نحو ثمانية عشر عاماً. ويظهر أنه ينقصها بعض مواهب الطبيعة من ماء وجودة مناخ، على أن الأتراك أصابوا ولا ريب في اتخاذها عاصمة، فالعاصمة رأس الدولة ويجب أن يكون الرأس مصوناً محوطاً بأسباب الأمان، وأهمها ان تكون في وسط بلاد الدولة أو في مكان منيع منها. وقد قيل لنا أن المعيشة فيها غالية جداً، وقال لنا الأمير عادل أرسلان الذي التقينا به وعشنا أمداً معاً في الآستانة، أن الأمير أمين أرسلان كان يدفع أجرة غرفة بسريرين له ولابنه في فندق فيها ست عشرة ليرة يومياً وهذا سعر عالٍ جداً لا يكاد يكون إلا في أعظم فنادق أوروبا تقريباً. (وليلحظ القارىء اننا كتبنا هذا قبل (37) سنة)، وطبيعي أن أسباب المعيشة الأخرى تسير على هذه النسبة.

ومحطة أنقرة كبيرة والحركة فيها قوية نشيطة، وقد وصلنا إليها في الساعة الثانية عشر ظهراً، وبعد توقف قليل استأنف القطار السير لاثني عشرة ساعة، فوصل محطة حيدر باشا في الضفة الآسيوية من الآستانة.

الطريق بين أنقرة والآستانة:

وقد سار القطار بعد محطة (اين أونو) في أنقرة في منطقة عظيمة من الجبال والأحراش والمياه ذات المنظر الفتان، وقدّرنا المسافة التي سار فيها القطار في هذه المنطقة بنحو ستين كيلومتراً، وهي مسافة كبيرة تعطينا فكرة عن ثروة الأناضول الطبيعية. وكانت مسافة الطريق من محطة فوزي باشا ـ عنتاب إلى الآستانة مع التوقفات ثلاثين ساعة بالاكسبريس (القطار السريع)، يضاف إليها ست ساعات قطار بين حلب ومحطة فوزي باشا أي ستاً وثلاثين ساعة أو نحو ألفي كيلومتر.

سعة الأناضول واكتفاء الأتراك بها:

وهذا الرقم يعطينا كذلك فكرة عن عظم مساحة الأناضول. والحقيقة أن الأتراك حينما يقولون إنهم لم يعودوا يطمعون في توسع يكون كلامهم معقولاً، لأن لديهم بلاداً واسعة جداً، وفيها ثروة طبيعية عظيمة جداً تغنيهم إلى أجيال طويلة عن بلاد أخرى، وتتسع لعشرات عشرات

الملايين، وتتحمل أعظم الجهود العمرانية والإستغلالية.

2 ـ قدومنا على جو الآستانة:

وبعد الساعة السابعة مساء أخذنا نقبل على جو الآستانة، وبدا لنا بحر مرمرة، وأخذ يبدو العمران على شواطئه وحوله كثيفاً أكثر من ذي قبل، ثم أخذنا بعد قليل نشاهد أضواء ضواحي الآستانة الآسيوية تنعكس على الماء وتتحرك باهتزاز في منظر خلاب، ثم بدت لنا استانبول وضواحيها الأوروبية، وأخذنا ندخل في البوغاز، وأخذ نبيه بك العظمة يشير إلى بعض معالمها. فهذه (بك أوغلي)، وهذه (استانبول القديمة)، وهذه (بويوك اضه) وهذه وهذه، وأخذت الذكريات ترجع بنا إلى الماضي، حيث كنا كثيراً نود أن نزور الآستانة فلم تسمح لنا الظروف، أو حيث كان أكثر إخواننا أو رفاق صبانا يتحدثون عنها حديث العاشق الولهان، وحيث كانت هذه المدينة التاريخية العظيمة مقراً للخلافة العثمانية تجبى اليها ثمرات كل شيء، وترنو إليها الأنظار وتتعلق بها قلوب مئات المسلمين، وتتهافت في ذروة سلطانها عليها الدول الأجنبية على كسب مودة عاهلها والزلفى اليه، ثم تحول في ظروف ضعفها دسائس وترمي شباكها ضدهم.

خاطرة تاريخية في صدد جهود المسلمين في فتح القسطنطينية:

ثم حيث كانت هذه المدينة هدفاً رئيسياً من أهداف الفتوحات العربية الأولى، وكان حديث نبوي لا نجزم بصحته (لنفتحنّ القسطنطينية) من حوافز ذلك، فأرسلت اليها الحملات المتعددة، بل فكر العرب المسلمون من أقدم عهودهم في فتحها عن طريق الأندلس. (وهذا تعبير كان يطلق ايضاً على المغرب الأقصى قبل أن يطلق على القسم الجنوبي من أسبانيا، نسبة إلى قبائل الواندال التي كانت تعيش في جنوب أسبانيا وفي المغرب الأقصى معاً، واليها ينتسب البربر). حتى لقد أُثر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما توجهت طلائع جيوش الفتح نحو غرب شمال أفريقيا، قوله إن القسطنطينية تفتح عن طريق الأندلس، حيث كان خلفاء المسلمين الأولين وقوادهم يرون في الإستيلاء على القسطنطينية كطريق لنشر الراية العربية الإسلامية في سماء أوروبا، والقضاء على ما يمكن أن تقيمه القسطنطينية من عقبات وتهدد به الكيان العربي الإسلامي من أخطار، وكانت فراستهم صادقة، حيث ظلت القسطنطينية من أكبر العقبات وأشد ما في الأخطار للدول الإسلامية، حينما فشل العرب الأولون في تحقيق هدفهم وفتح القسطنطينية، اذ ظلت امبراطورية الروم البيزنطية تزعج الدولة الإسلامية ثمانية قرون طويلة، لم تخمد الحرب فيها بين الروم والمسلمين من أمويين وعباسيين وحمدانيين وأتراك سلجوقيين وأتراك عثمانيين، وإذ كانت جسراً لعبور الحملات الصليبية أو محركاً لها للعبور إلى بلاد الشام، ومؤثرة لنيرانها ضد الإسلام والمسلمين وبلادهم، حتى قيض الله لمحمد الفاتح العثماني فتحها والقضاء على تلك الأمبراطورية فيها، فلم تلبث راية الإسلام وخيول المسلمين أن أخذت تنشر وتتوغل في أوروبا إلى أن وصلت إلى أسوار فيينا.

3 ـ انتقالنا بالقوارب من محطة حيدر باشا إلى الآستانة:

ووصل القطار محطة حيدر باشا، وكانت هي المحطة الأخيرة للإكسبريس في الساحل الآسيوي، حيث يجب على المسافرين إلى أوروبا الآتين من الشرق والقاصدين الآستانة أن يعبروا إلى ضفتها الأوروبية بحراً بواسطة المراكب والبواخر، وقد ركبنا باخرة من بواخر النقل الخاصة بنقليات البوغاز، وما هي إلا هنيهة حتى وصلنا إلى الجسر المشهور باسم (كوبري).

وصف للجسر بعد حيدر باشا:

وكنت أظن وهماً أن الجسر يصل ما بين الضفتين الآسيوية والأوروبية، وأن الأكسبرس متصل السكة بين أوروبا وآسيا. والواقع أن أوروبا منفصلة عن آسيا، والعبور بين الضفتين يتم عن طريق المراكب البحرية أما الجسر فهو على خليج من البحر داخل في الضفة الأوروبية فقط، وقد أقيم لتسهيل الاتصال بين أجزاء هذه الضفة وبسرعة بدلاً من الدوران حول ساحل الخليج لأنه طويل المدار.

نزولنا في فندقي أوزايبك والكونتننتال:

ومن الجسر ركبنا السيارات الى فندق جديد في استانبول أعطانا بعض الاصدقاء في حلب اسمه، وهو (أوزايبك)، فلم نجد فيه محلات لنا جميعاً، ووجدت غرفة بسريرين فيه أخذتها لي ولأخي، وذهب الإخوان اي اكرم وواصف ونبيه الى فندق اسمه (الكونتننتال) في (بك أوغلي)، وتنطق هذه (بي اوغلي).

وفندق أوزايبيك نظيف وجديد وخدمته جيدة ومعداته كافية ولكنه محروم من المنظر. والازدحام عليه بسبب كونه في منطقة الحركة من استانبول، فينزل فيه الذين لهم أشغال ومصالح فيها: وفي جواره بضعة فنادق لم نجد فيها أمكنة للسبب ذاته. وقيل لنا إن الازدحام معتاد في هذا الموسم الذي هو موسم صيف يأتي فيه الناس بكثرة، ويأتي إليها رجال الدولة والعاصمة لذلك. أما فندق الكونتننتال الذي نزل فيه أكرم ونبيه وواصف والذي أتينا إليه أنا وأخي بعد يومين، فهو في (بي أوغلي) وقريب من فندق (بيرا بالاس) الشهير، وله جبهة ذات مناظر جميلة وأفق واسع وغرفة حسنة وأجرته مثل أجرة (اوزايبك) على رجحانه في الموقع والمنظر. وقد دفعنا أجرة الغرفة في أوزايبك أربع ليرات وهي نفس الأجرة لغرفة في الكونتننتال بسريرين أيضاً، والغرفة واسعة ومطلة على المناظر، وهذه الأجرة مماثلة لأجرة فنادق حلب الدرجة الأولى. والطلبات في فندق أوزايبيك وأمثالها غالية، فقد أخذوا سبعين قرشاً مقابل فطور بسيط شاي وقليل من الزبدة والمربى. وخمسة وسبعين قرشاً ثمن صحن فاكهة فيه موزتان وإجاصتان وبضع حبات من العنب، وأخذوا أجرة كوي البدلة ليرة وربعاً وهلم جرا.

وقد انتقلنا منه إلى الكونتننتال وصرنا جميعاً فيه أنا وأخي وأكرم وواصف ونبيه العظمة وارتحنا فيه أكثر.

وكنا نكسر الصفرة في الفندق بالنواشف المعتادة مع الشاي والقهوة والفاكهة ونتغذى ونتعشى في المطاعم، وكان في التقسيم وغلطه وبك أوغلي مطاعم عديدة تقدم مآكل مألوفة لنا جيدة الطبخ، وكان مطعم (عبدالله) في التقسيم مشهوراً. فكنا نتناول غذاءنا وعشاءنا فيه على

الأكثر، وكانت الوجبة تكلف الواحد منا ليرة ونصف أو ليرتين (خضار ولحم ورز ومعكرونة وفاكهة وأحياناً حلو وسمك ودجاج وكفتة وأكلات زيت لذيذة). وكنا نتناول أحياناً غذاءنا في مطعم قرب جامع السلطان أحمد في (قارشي بازار) القديم متخصص في صنع الكفتة على أنواعها، ومنها ما كان يسمى (حلب كفتة سي)، ويصنع المطعم أكلة فتّة كفتة أو لحم لذيذة. وكنا نتناول في مطعم آخر في التقسيم أكلات حليب، وكانت واحدة منها مشهورة لذيذة تسمى (طاووق كوكس)، أي صدر الدجاج، حيث يمزج، الحليب بلحم من صدر الدجاج.

4 ـ انتقالنا إلى بيوت عديدة بعد الفنادق:

ولقد أقمنا في الكونتننتال نحو ثلاثة أسابيع، ثم عشنا في بيوت وتنقلنا في هذه البيوت أكثر من مرة طيلة المدة التي قضيناها في الآستانة وهي (28) شهراً، وقد استأجرنا أولاً بيتاً مفروشاً في آخر حي الشيشلي في طريق جادة الحرية وكان واسعاً لزوجة ضابط متوفى تسكن في طابق علوي منه، فاستأجرناه بمائة وخمسين ليرة في الشهر، واستأجرنا طباخاً، وانتقلنا إليه حيث قضينا فيه نحو شهرين، وكان بيتاً واسعاً في آخر حي الشيشلي مفتوحاً على أرض مكشوفة فيها حقول مزروعة وأشجار باسقة ومقاهٍ ومشارب صيفية، ثم جاء عادل العظمة من أوروبا إلى الآستانة فاستأجر هو وأخوه بيتاً مفروشاً خاصاً بهم، وجاء زهير من بغداد فاستأجر واصف غرفة مفروشة في بيت أرمنية، واستأجرنا نحن بيتاً جديداً في بشكطاش بمائة ليرة أنا وأخي وأكرم وزهير، وقضينا فصل الشتاء فيه، وكان خشبياً، وكان يدفأ بمدفأة كبيرة يوقد فيها فحم حجري، واستأجرنا خادمة وطاه. وكاد يشب حريق في البيت يأكله ويأكل بيوتاً كثيرة حوله لأنها كلها خشبية من جراء المدفأة ولكن الله سلم. وفي هذه الأثناء كان زهير قد جاء من بغداد، فقد كتب لنا أنه قلق وحيران، وأنه راجع جميل المدفعي رئيس الوزراء، بناء على طلبه بتوصية من شكري القوتلي بطلب الاهتمام به، فقال له معك مهلة شهر دبر حالك فيه لأن الإنكليز يتشددون في صدد الفلسطينيين، وقد اعتقل أكثرهم، وفر كثير منهم، وأنه راجع القنصل الإفرنسي فلم يوافق على منحه تأشيرة سفر إلى سورية، وكان الأمير عادل أرسلان في الآستانة، وله صداقات مع بعض رجال الترك، فبذل جهده حتى استطاع أن يجعلهم يرسلون برقية للقنصل التركي في بغداد بمنحه تأشيرة دخول لتركية، وتم ذلك وجاء فقرت عيننا واطمأننّا، وقد ظل معنا بعد ذلك طيلة إقامتنا في تركية، وقد بدا لأكرم بدوره أن يعيش لوحده في غرفة مفروشة، فاستأجرنا بيتاً جديداً مفروشاً في ماشكا وسكنا فيه (أنا وأخي وابني) بضعة أشهر، واستأجرنا من جديد خادمة وطباخة. ثم انتقلنا منه إلى بيت آخر في الشيشلي أيضاً، وكان فيللا أنيفة مفروشة فرشاً جيداً، وفي مركز حسن المنظر مأنوس وهو لوالي تركي متوفٍ، وكانت تسمى (فيللا عارف)، له ولد وجدة ألمانية يسكنان في الطابق الأرضي، وكنا ندفع أجرة شهرية (300) ليرة، واستأجرنا خادمة وطباخة. وقضينا فيه بقية المدة التي قضيناها في الآستانة وهي نحو 24 شهراً.

5 ـ المياه في الآستانة:

وأعود إلى السياق في وصف حالة الآستانة، فأقول إن من الأمور التي لحظناها منذ وصولنا مسألة الماء، فماء الشرب في الفنادق والمطاعم والمشارب يباع بيعاً في زجاجات صغيرة مبردة، والزجاجة التي هي شربة واحدة بعشرة قروش أو خمسة قروش حسب المواقع. وهناك دكاكين تباع فيها المرطبات، ويباع فيها ماء للشرب، وثمن الشربة قرش أو قرشان. والجدير أن الأمر ليس اختيارياً، فإنك حينما تطلب ماء للشرب في الفندق أو في المقهى، وحينما تجلس للأكل في أكثر المطاعم وتطلب ماء يأتوك بزجاجة بثمن، وقلما يؤتى بماء بدون ثمن، وهذا يكون من منابع ثانوية أما الماء الذي بثمن فهو من منابع خاصة نظيفة أو صحية والماء الذي يجري إلى البيوت من المنابع الثانوية، والمترفون والميسورون يأتون بماء من المنابع الأولى بجرار زجاجية ثمنها نصف ليرة وتكفي لشرب أهل بيت عددهم محدود يوماً واحداً. وهناك استعداد لتحضير هذا الماء الأول، وتوزيعه قائم تقوم به إدارات خاصة أو شركات حاصلة على امتيازات مسجلة، ومن أحسن المياه التي تباع مياه (طاش دلان)، وهناك مياه معدنية أخرى أغلى كمياه (أفيون قره حصار) التي تجلب وتباع في زجاجات، ولا يعني هذا أن المياه في استانبول وضواحيها شحيحة، فهناك ينابيع كثيرة ومتنوعة تستقي منها المدينة وتوزع على بيوتها وفنادقها وسائر مرافقها، ولكن اتساع المدينة من جهة وامتياز بعض المياه على بعض من جهة ثانية أوجد هذا المظهر الجديد، ولعل نشاط أصحاب امتيازات المياه ودعاياتهم في ترويج مياههم في الفنادق والمطاعم والمشارب سبب من أسباب ذلك أيضاً.

السبلان القديمة الكثيرة:

ومما يلحظ ويدخل في صدد ما نحن فيه عمارات (السبلان ـ جمع سبيل) المنتشرة انتشاراً واسعاً في أنحاء استانبول ذات الطابع القديم، فكثير من السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة في عهد الدولة العثمانية القديم قليلاً عن العصر الحاضر وما قبله أنشأوا كثيراً من السبلان وعنوا بها عناية كبيرة، ومنها ما هو مزخرف زخرفة جميلة تحت قباب خاصة تلفت النظر في الساحات والميادين، حتى أن السلطان عبد الحميد حينما أراد أن ينشيء بناء تذكارياً لزيارة الامبراطور غليوم (ويلهلم) الألماني في أواخر القرن الفائت، أنشأ سبيلاً في ساحة أمام جامع السلطان أحمد وزخرفه زخرفة جميلة. فهذه السبلان كانت تحل مشكلة الظمأ والشرب في المدينة العظمى، غير أن أكثر هذه السبلان الآن خرب وانقطع عنه الماء، فحلت امتيازات المياه محلها أو كانت ضرورة دعتها إلى البروز والانتشار ولكن بالثمن بعد المجان.. وقد فهمنا أخيراً أن بعض الينابيع التي يباع ماؤها وقْف، وأن إدارة الأوقاف هي التي تنظم بيعها واستغلالها وتجني ريعها لمصلحة الأوقاف، ولعل هذه الينابيع في أصلها وقْف على المساجد والسبلان يجري ماؤها إليها. ومع أن المساجد مجهزة بالمياه الكافية، فكان الواجب أن تجهز السبلان أيضاً بالمياه، وبعد ذلك تباع الزيادة نظراً لإمكان استغلال الزيادة لجهة الوقف بسبب الحاجة واتساع المدينة.

6 ـ موقع استانبول وضواحيها:

وأول ما يلاحظ حينما يقبل الآتي على استانبول أنها مع ضواحيها قائمة على مرتفعات

وهضاب وليست على سهول ومنبسطات، وهذه المرتفعات والهضبات مشرفة على البوغاز والخليج أو بالأحرى محيطة بهما، فكأن البوغاز مجرى نهر عظيم في واد سحيق قامت على شاطئيه الجبال والهضاب، وزينة إستانبول وضواحيها وشواطىء البوغاز الأوروبية والآسيوية وجمالها إنما هما بهذه المرتفعات والهضاب.

ما أغدقته الطبيعة على المدينة من جمال وفتنة:

ولقد أغدقت الطبيعة على موقع هذه المدينة العظيمة كل الروعة والفتنة والزينة، فأينما كنت وأنّى جلست وإلى أين نظرت تجد الروعة والفتنة والزينة وما تعطيه من جمال المنظر وجلاله، ولا سيما أن أكثر الهضاب والمرتفعات بل كلها مكسوّ بالأشجار التي يبدو بعض المواقع منها كأنما هي أحراش كثيفة، وكثير من هذه الأشجار مغروس غرساً، وهناك مناطق أشجارها أو أحراشها طبيعية. والسير في البوغاز ليلاً يزيد هذه المفاتن سحراً وجمالاً، فأنت تسير في البوغاز على ظهر باخرة من بواخره وعن يمينك وشمالك هذه المرتفعات المشجرة التي قامت عليها الأبنية والمنشآت التي يقصر الطرف عن إدراك منتهاها والإحاطة بأفقها، وقد رصعت بعشرات آلاف المصابيح والأضواء الكهربائية التي ينعكس ما على الشواطىء منها على صفحات ماء البوغاز والخليج متراقصة تتداعب مع الماء وتكاد تسبح فيه، مما يجعلك تغرق في نشوة روحية تنسى فيها نفسك التي تكون قد اندمجت هي الأخرى في هذه الفتنة الرائعة والنشوة والجمال، فتدرك حينئذٍ حق الذين يصفون المدينة وقد قضوا فيها أوقاتاً لذيذة بما يصف العاشق الولهان معشوقته الفاتنة وهيامه بها، والذين يتحدثون عنها الأحاديث الطويلة دون ما ملل ولا نفاد، وتراهم كلما كانوا يتحدثون كأنما هم يتلذذون بذكرياتهم ويجدون بحديثهم نشوتهم وهيامهم. هذا مع القيد أن يد التجميل ليست بارزة وواسعة الأثر، ولو كان ذلك لكانت هذه المدينة أجمل مدن العالم أو من أجملها طبيعة وتجملاً معاً، لأن الطبيعة قد أنعمت عليها وهيأتها لهذا الجمال الفتان.

آثار يد التجميل في المدينة:

على أن يد التجميل مع ذلك، قد عملت وما زالت تعمل فيها، وليس هذا مقصوراً على المواقع الطبيعية والمشرفة على البوغاز، بل تراها في الأماكن الداخلية من المدينة وفي الضواحي البعيدة عن شاطىء الماء أيضاً في الجواد[1] والساحات والميادين والشوارع والبيوت أحياناً القديمة منها والحديثة، ففي أكثر أقسام المدينة وضواحيها إن لم يكن في كلها حدائق رسمية صغيرة وكبيرة على الطراز الجديد، فيها الأشجار وفيها تربيعات ودوائر الزهور وفيها أحواض الماء، ولكل المساجد تقريباً على كثرتها ساحات وميادين وأفنية مكشوفة منها ما هو مشجر ومنها ما هو بمثابة حدائق. وكذلك القصور على كثرتها فإنه قل أن يخلو قصر من الحدائق والساحات المشجرة، ومن أكبرها حدائق قصور (طوب قبو)، فهي واسعة ومنظمة جداً، فيها الأشجار العظيمة المصفوفة والتي تمر في طريقها، وكأنما تمر في نفق من الأشجار، والأشجار غير المصفوفة من مربعات ودوائر، وكذلك فيها مربعات ودوائر متعددة للزهور، وقد وضعت فيها عشرات المقاعد للناس، وهذه المقاعد تراها كذلك في

---

(1) الجواد: جمع جادة وهي الشارع العريض.

الحدائق الرسمية التي أشرنا إليها. وإذا نظرت إلى المدينة من عرض البحر أو البوغاز رأيتها هي وضواحيها عل مرتفعات وهضاب متعددة يمكن تمييز انفصال بعضها عن بعض بما بينها من مفاصل ومنحنيات وأودية صغيرة أو مضائق، وقبل قيام (غلطة) و(الباي أوغلي) كان اسم موقعهما القائم على الشاطىء الأوروبي استانبول، واسم الموقع القائم على الشاطىء الآسيوي (اسكدار).

7 ـ وصف لغلطة وباي أوغلي Galata, Beyoglu وامتدادها وحركتها وأقسامها وعمرانها:

ثم صار توسع وامتداد في القسم الأوروبي، فقام أولاً حي جديد سمي (غلطة)، ثم أنشيء في امتداده حي جديد آخر سمي (بي أوغلي)، وأصبح هذا على مر الأيام قسماً عظيماً، بل يكاد يكون مدينة عظيمة. وحي غلطة يتصل باستانبول بواسطة الجسر المنشأ على الخليج، وهو قسم عظيم بدوره ويحتوي على منشآت عظيمة، وفيه المصارف الأجنبية ومراكز الحركة التجارية، وقد اتصل العمران بين القسمين واندمجا ببعضهما تقريباً، غير أن قسم (البي أوغلو) أعلى ارتفاعاً وأحسن، بسبب ذلك، مناخاً وأغنى مناظر وأقل اعوجاجات وضيق في الشوارع والطرق وأكثر انتظاماً وانسجاماً من قسم غلطة. ولقد امتد (البي أوغلي) واتسع كثيراً وأدخل فيه عدة قرى كانت في الضواحي وسرى إليها العمران. ومن القرى الجديدة التي امتد إليها الإمتداد والاتساع قريتا المجيدية والشيشلي من جهة الشرق، ولا يزال في هذه القرى والقرى الأخرى التي امتد اليها الإتساع أراضٍ خالية من العمران تزرع قمحاً وذرة وتكون فيها المحصولات بيادر، وقسم شيشلي قسم واسع ومنظم الشوارع والجادات والعمارات، وفي منتهى إحدى جاداته الرئيسية التي تسمى جادة الحرية تذكار لشهداء الحرية لعام 1326، وفيه مقبرة عليها أسماء عدد غير قليل من الشهداء، وعليها كتابات تدل على أن هذا التذكار هو للشهداء الذين استشهدوا في الثورة الرجعية التي قامت في مارس 1909 بعد إعلان الدستور، ونتج عنها خلع السلطان عبد الحميد، والتي قادها بعض المشايخ بالتآمر مع السلطات ومر ذكرها في الجزء الأول من المذكرات، وقد كتب على واجهة من واجهات العمود التذكاري الذي ارتفع وسط المقبرة تاريخ إعلان الدستور. وفي القرب من هذه المقبرة قبة فيها قبر محمود شوكة وزير الحربية والصدر الأعظم الذي قاد جيش انقاذ الدستور من سلانيك وزحف به على الآستانة على ما مر ذكره أيضاً.

ونعود إلى وصف غلطة، لأن ما تقدم كان وصفاً للبي أوغلي وامتداداته، فنقول إننا مع ما قلناه من تفوق شوارع وعمران البي أوغلي على هذا القسم فإنه حي عظيم وفيه شوارع مستقيمة وعمارات منتظمة وحسنة ومن أهم أقسامه قسم (التقسيم)، وفيه قامت بنايات شقق سكنية ضخمة وشاهقة سميت (ابارتمان)، في كل واحدة شقق عديدة مجهزة التجهيزات الصحية والمائية والكهربائية، ومنها ما يعد خمس طبقات وست طبقات وسبع طبقات. هذا (كتبنا هذا قبل نحو أربعين سنة) وننبه على أن شقق الأبارتمان ليست خاصة بالتقسيم، بل يكاد هذا الطرز يصبح طابعاً عاماً لمساكن غلطة وبي أوغلي

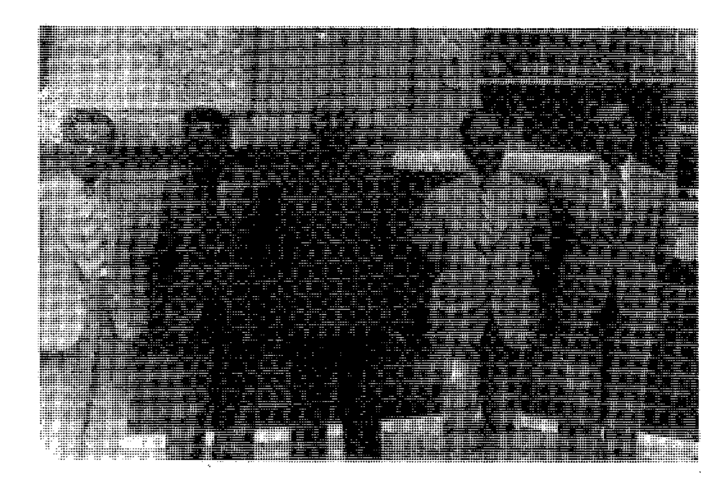

الأستانة 1941
أمام تمثال
الغازي مصطفى كمال باشا
ساحة التقسيم .
واصف كمال ـ
محمد علي دروزة ـ
نبيه العظمة ـ
عزة دروزة ـ
أكرم زعيتر .

في استانبول/
«تقسيم» 1941 .
واصف كمال ـ
أكرم زعيتر ـ
عزة دروزة ـ
زهير دروزة ـ
دكتور محمد حسن سلمان
(وزير الصحة في وزارة
رشيد عالي
الكيلاني 1941) .

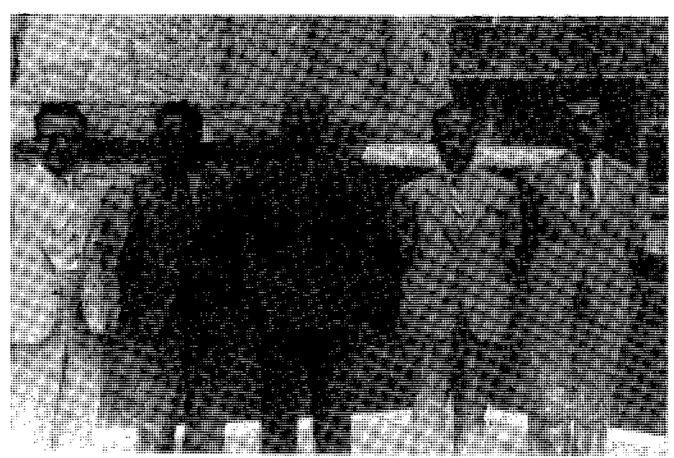

في استانبول 1941
«ساحة التقسيم» .
من اليمين :
واصف كمال ـ
محمد علي دروزة ـ
نبيه العظمة ـ
عزة دروزة ـ
أكرم زعيتر .

والمساكن الجديدة في المدينة الداخلية. إلا أن بنايات أو (أبارتيمانات) التقسيم كلها أو أكثرها جديدة وتجهيزاتها وافية، والإنشاءات المماثلة مستمرة في امتدادات بي أوغلي وغلطة الأخرى. ويشتد تكاثر السكان فيها، حتى ليمكن أن يقال أنهما أصبحا مركز الثقل في المدينة العظمى، فمقاهيهما وملاهيهما وساحاتهما وشوارعهما وأسواقهما ومطاعمهما مزدحمة بالناس الذين يأتون من المدينة القديمة ومن الخارج للتفرج والتنزه، عدا عن أنهما أصبحا مساكن الطبقات النظيفة، وفيهما وخاصة في البي أوغلي مراكز السفارات الكبرى التي نزلت الآن إلى درجة القنصليات بسبب اتخاذ أنقرة عاصمة بدلاً من الآستانة، وبدرجة غدو هذا القسم مركز الثقل تزداد العناية بتجميله وتنظيمه من حيث الشوارع والطرق والمنشآت والساحات والحدائق. وقد أقيم في إحدى ساحات قسم التقسيم تمثال من النحاس لمصطفى كمال ورفاق جهاده يمثل بدء حركة التحرير والإنقاذ في مواقف رائعة، وجعل هذا التمثال في حديقة زهور جميلة ومنظمة، كما انشئت في ناحية أخرى من التقسيم حديقة رسمية عامة واسعة نوعاً ما، فيها أحواض للماء وفيها مقهى وكازينو كبير، وفي طرقها في الوقت نفسه مقاعد لعامة الناس، ويباشر الآن في إعداد حديقة عامة ثانية بين هذه الحديقة ومركز التمثال، وقد ترك أمام الحديقة الجديدة ميدان فسيح جميل آخر فيه مستطيلات للزهور، فأصبح هنا مجموعة من الساحات والميادين والحدائق تزيد المركز جمالاً واستعداداً لتردد الناس وتفرجهم.

وقرب الخليج والبوغاز أقسام من المدينة القديمة الداخلية أو امتداداتها، وكان قسما غلطة وبي أوغلي منفصلين عنها، ثم صار اتصال بينها مثل (ماجقا) و(بشكطاش) و(قاسم باشا) و(خاص كوى) وغيرها.

واذا قلنا أن يد التنظيم والتجميل عملت وتعمل كثيراً في قسم البي أوغلو وامتداداته، فلا يعنى قولنا أن ذلك شامل لجميع القسم وامتداداته، فإن فيه محلات كثيرة وضيقة الشوارع غير منسجمة البنيان رثة المظهر والطرق أيضاً، وأكثر هذه المحلات هي مواضع الاتصالات والامتدادات بين البي اوغلو والمدينة القديمة وننبه الى هذا انه لا يزال في اقسام من امتدادات البي أوغلي والشيشلي بنايات رثة وتنكية، وفيها تلال وهضبات وأخاديد وكروم على سذاجتها الأولى وفي وساخة وتشعث ظاهر.

8 ـ التجميل في الأقسام القديمة الداخلية:

ونسجل أن يد التنظيم والتجميل أخذت تمتد رويداً رويداً إلى أقسام المدينة القديمة وامتداداتها أيضاً، حيث ترى في أقسام كثيرة منها بنايات جديدة وضخمة وأبارتمان، ووسعت الشوارع وأنشئت حدائق حديثة صغيرة وكبيرة. وكان ذلك اغتناماً لفرصة الحرائق التي كانت تدب بالبيوت والعمارات الخشبية. ويرى المرء الآن في أحياء (الفاتح) (وبايزيد) و(ادرنه قبو)، وهذه من أقسام المدينة القديمة الداخلية المشهورة، شوارع واسعة مشجرة وحدائق عامة جميلة وأبارتمانات ضخمة ومساكن ودكاكين مبنية بالحجارة والأسمنت على الطراز الجديد، مثل ما في أقسام التقسيم والبي أوغلو وغلطة، ولكن كل هذا يسير ببطء، حيث يوجد في

المدينة القديمة أحياء ومحلات وطرق في غاية الرثاثة وفي غاية القذارة وفي غاية الهلهلة، ومن هذه المحلات ما هو أسواق عامة مطروقة دائما ومزدحمة دائماً مثل (بالق بازاري) و(أصمة التي)، والأسواق والأحياء في القسم الكبير المسمى (اين اونو)، حتى ليقال إنها بحق لم تصل إليها يد عناية. ومثل هذا يقال عن الأقسام القائمة على طرفي الخليج البعيدة مثل (بلاط) و(قاسم باشا) و(خاص كوى) و(أيوب).

9 ـ قسم أبي أيوب:

وقسم أيوب هذا نسبة إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، وفيه مدفن له ومسجد، وفيه قبور رجالات عديدين معروفين من رجال الدولة العثمانية وعلمائها، وفيه كذلك مقبرة لأم السلطان سليم وأخرى لأم السلطان أحمد.

ونقول بهذه المناسبة أننا زرنا هذا القسم (أيوب) مع بعض رفاقنا، حيث ركبنا باخرة من بواخر الخليج، وهي أقل درجة من بواخر البوغاز حجماً ونظافة ورونقاً، وقطعنا المسافة بنصف ساعة. وهو قسم كبير يزدحم أيام الجمعة بالزوار وتمتلىء أسواقه ومقاهيه ومسجده وساحاته بهم، وهو يكاد يكون خالٍ من السكان المقيمين دائماً، وأين ما سرت فيه تجد مقبرة فيها قبور كثيرة أو قليلة، وأكثرها مبني بالرخام وعليه الشواهد والكتابات والشعر والتاريخ، حتى ليمكن أن يقال إنها مدينة الأموات وقبر أبي أيوب في جانب مسجد ياسر، وهو مسجد جميل له ساحات متسعة نوعاً ما، وفي أطرافها بعض كبار الأموات منهم محمد سعيد باشا الصدر الأعظم المشهور في بدء إعلان الدستور، وفي إحدى ساحاته أربع شجرات من الجوز تضخمت تضخماً عظيماً، حتى صار مدار إحداها عشرة أمتار أو أكثر، وكان لهذا المسجد عزّ في القديم، حيث كان السلاطين يتوجهون ويقلدون سيف الخلافة فيه، وحيث كان يؤخذ كبار الأموات إليه للصلاة عليهم فيه، ولا يزال يقضي بعض عزّه الروحي، حيث ينذر له المسلمون النذور ويذهبون لزيارته والتبرك به. ويؤخذ عليه أحياناً كبار الأموات للصلاة عليهم فيه، وتذهب الأسر الإسلامية مع أطفالهم حينما يريدون ختانهم الى المسجد، أو للتبرك، وقد شهدنا في زيارتنا أطفالاً كثيرين قد لبسوا الملابس المزوّقة وجاءوا مع ذويهم للزيارة والتبرك بمناسبة ختانهم، كما شهدنا جنازة لزوجة أحد كبار الضباط جيء بها للصلاة عليها فيه، وكان المسجد مزدحماً جداً أثناء زيارتنا على رحبه ورحب ساحاته، وقد امتلأت الساحات بالأولاد والنساء.

10 ـ البيوت الخشبية الكبيرة في الآستانة وحرائقها والتحسين بسبب ذلك:

وفي أقسام الخليج والأقسام الأخرى في المدينة وأقسام بي أوغلي وغلطة بنايات كثيرة جداً ذات طوابق عديدة خشبية، ولقد كنا نسمع أن أكثر دور ومساكن استانبول خشبية، ورأينا مصداق ذلك، وقيل لنا إن ذلك كان نتيجة زلزال شديد أصاب المدينة وكاد أن يدمرها، فأخذ الناس يبنون مساكنهم من الخشب بدلاً من الحجارة، ولعل هذا صحيح لأن الحجارة والصخور في المنطقة متوافرة كل التوافر. ولقد كان يصيب المدينة من آن لآخر حرائق عظيمة تسبب لأهلها، الذين بنوها هرباً من نكبة الزلزال

نكبة من النيران. على أن عادة بناء البيوت من الخشب أخذت تخف، أو بالأحرى نسي الناس الزلزال الذي لم يتكرر منذ مدة طويلة، بينما ظلت الحرائق تتتابعهم، فيبتلون بنارها مادياً ومعنوياً، وقد أخذوا لذلك يستعيضون عنها بالأبنية الحجرية، وقد اغتنمت فرص الحرائق العديدة والكبيرة التي وقعت في ربع القرن الأخير في عهد الجمهورية، والتي نسفت كثيراً من الأبنية الخشبية، فأقيم مكانها أبنية حجرية كبيرة وصغيرة، كما أمكن نتيجة لذلك توسيع الشوارع والفسحات والميادين وإنشاء الحدائق أيضاً، ولقد كانت محلات استانبول وأبنيتها أكثر اكتظاظاً وأشد تكتلاً وأقل فسحات وميادين مما هي الآن بدرجة كبيرة، مما لا يزال آثار منها يمثل ذلك مثل محلات (أصمة التي) و(بالق بازاري)، وما يتصل بهما من أسواق وأحياء ومساكن. ولذلك ترى الآن المساكن الخشبية وقد كلح وجهها وماع دهانها ورثّ منظرها على الأكثر دون أن يهتم أهلها لإصلاحها وتجديدها، ويظهر أنهم يضنون بالإنفاق عليها مع رغبتهم في الانتفاع منها إلى آخر رمق فيها. وأكبر منظر من مناظر المساكن الخشبية وأوسعه رأيناه في طريق (بيبيك) آثار من أقسام المدينة القديمة بعد الجسر على الساحل الأوروبي، وكذلك مثله في أقسام سواحل الخليج وما جاورها. ورأينا فيما رأينا منها بناءً كبيراً خشبياً مدهوناً بالأحمر الغامق على شكل دير أو كنيسة، فسألنا عنه فقيل لنا مركز بطرك الروم الأرثوذكس، والمحل مشهور باسم (فنار)، واستغربنا ذلك لأن الكنائس والأديرة والمساجد في الآستانة جلها أو كلها مبنية من الحجارة الصلداء، ويمكن أن يكون سكنى هذا المكان الدائم جعلتهم ينشئونه من الخشب خوفاً من الزلزال.

ومما لاحظناه أن الطوب أي (اللبنات الآجرية) تدخل في البنايات الخشبية وغيرها بمقياس أوسع قديمها وحديثها، ويمكن أن يكون ذلك من الخوف من الزلزال، لأنه أخف من الحجارة. ولقد شب حريق كبير بعد وصولنا بشهرين ونصف في بناء البطريركية الأرثوذكسية الخشبي المذكور، فالتهمته وسرى منه إلى البيوت الخشبية الأخرى، حيث التهم نحو (120) بيتاً يسكن فيها نحو (500) أسرة، وهكذا حلت كارثة النار في المكان الذي خيف عليه من كارثة الزلزال، وستكون هذه فرصة لإصلاحات وتجديدات في مكان الحرائق.

11 ـ وصف للخليج وما يجري فيه:

والخليج يعتبر كحوض طبيعي منيع يصلح لتخزين أسطول بحري وتعميره. وأطرافه الآن تكتظ دائما بالقوارب والمراكب الكبيرة والصغيرة للتخزين والتعمير، ورأينا فيه عدة قطع بحرية تجارية وحربية قديمة خزنت للإصلاح، وقيل لنا أن في جهة قاسم باشا ثلاثة عنابر كبيرة مبنية في وسط الماء كأنما هي غطاء لأحواض تدخل فيها البواخر للتصليح، فيخرج منها الماء أو يدخل بواسطة مضخات حسب حاجة التصليح والتعويم، ورأينا هذه العنابر عن بعد. وقد قدرنا طول الخليج بنحو كيلومترين، أما عرضه فمختلف، وفي بعض المواقع مائتا متر وفي بعضها (500) وفي بعضها (800)، وعليه جسران حديديان، واحد قريب من منطقة البوغاز وهو المشهور الذي هو واسطة الاتصال بين غلطة وبي أوغلي وبيبيك واستانبول القديمة، وواحد على بعد نحو كيلومتر أو أقل لجهة أيوب. والمزدحم بالمرور هو الأول،

وتسير فوقه عربات الترامواي، وهو نقطة بدء السير ومنتهاه للبواخر النقلية التي تسير في البوغاز أو إلى الجزر أو الخليج، وقيل لنا أن الجسر الثاني في جهة أيوب أُحدِث حديثاً لتخفيف نقل المرور عن الأول، وكانت البلدية تتقاضى رسم مرور عن هذا الجسر، ويلتزم جباية الرسم متعهدون، وقد الغي ذلك مؤخراً لأن المرور عليه حيوي عام لجميع الناس والمراكب. والبواخر الصغيرة تمر من محلات في منتصف كل من الجسرين، فدخلت من الحوائل، غير أنها لا تساعد على مرور البواخر الكبيرة، وقد جعل الجسران ينفتحان أمام البواخر الكبيرة في أوقات معينة.

منتزه الكاغدخانة:

وفي مكان من الخليج من جهة منتهاه أو بالأحرى قريب من أيوب يجري ماء اسمه الكاغدخانه وهو نهر صغير، وكان لهذا المكان عزّ في الأيام السابقة، خاصة في أيام النيروز بدء الربيع، حيث يكون الماء نهراً عقب فصل الشتاء. وكثيراً ما تغنى الشعراء بالكاغدخانة ومنتزهاتها وما كان يجتمع فيها من فتيات وفتيان يقضون معاً أوقاتاً ممتعة ومسرات شيقة، وقد خف ذلك العز أو كاد يزول.

مساجد الآستانة ومآذنها:

ومساجد استانبول من المباني البارزة التي تلفت النظر بقبابها ومآذنها، وهي كثيرة جداً تكاد تراها أنّى اتجهت أنظارك في المدينة، وهي فخمة المنظر وبخاصة القديمة والكبيرة منها. ويكون عادة في وسطها قبة كبيرة يحيط بها قباب صغيرة وأنصاف قباب كروافد لها. ولأكثرها أكثر من مئذنة، ولهذه المآذن طابع خاص وجميل بما هي عليه من (قلة التخانة) ومن الطول.

وأهم هذه المساجد شهرة وفخامة مساجد السلطان أحمدَ والسلطان بايزيد والسلطان سليمان والسلطان الفاتح وأيا صوفية، ومسجد أيا صوفية كان كنيسة بيزانطية حولت إلى مسجد منذ الفتح الإسلامي، وقد ذكر شوقي ذلك في بيت له:

كنيسة صارت إلى مسجد
هديّة السيد للسيد

والمساجد الأربعة الأولى هي من آثار السلاطين المسماة بأسمائهم، ولم يتسنَ لنا زيارة مسجد السلطان أحمد، لأن بعض مفارز من الجيش كانت تحلّ فيه، وعلى أبوابه حراس من الجنود، في حين زرنا بقية المساجد. ونسجل في هذه المناسبة أننا قرأنا في الحجر التذكاري لإنشاء مسجد بايزيد اسم هذا السلطان بصيغة (أبو يزيد)، والغالب أن هذا اسمه في الأصل ثم تحرف بالنطق فصار (بايزيد)، ولقد لمحنا فرقاً في طراز قبة أيا صوفية وقباب المساجد الأخرى، وأنه كان هناك بعض التشابه في القبة الوسطى وروافدها، ولعل العثمانيين نسجوا على منوال أيا صوفية في بناء مساجدهم مع بعض التعديلات. ومما يلفت النظر أيضاً أن لكل مسجد ساحة واسعة وافنية فسيحة، وهي غير الساحات والأفنية الداخلية المعدة للصلاة في أيام الصيف وأوقات الإزدحام خارج الحرم، وهو مظهر حسن للناس ومركز المسجد، والظاهر أن المهندسين الذين أنشأوا هذه المساجد أو السلاطين الذين أمروا بانشائها كانوا يلاحظون ما يمكن أن يكون من ازدحام حول المساجد وفي الدخول والخروج إليها ومنها، فجعلوا هذه الأفنية والساحات الخارجية

للتيسير. وأهم الأفنية والساحات الخارجية هي التي حول مسجد السلطان الفاتح، وقد أحيطت أيضاً بأبنية عديدة ملحقة بالجامع ربما كانت مدارس وأماكن لطلاب العلم والعلماء والمدرسين وخدمة الجامع، وقد غرست في الأفنية والساحات الأشجار، ومنها ما تضخم وصار يعطي ظلالاً يتفيأ الناس فيها في موسم الصيف.

أما من حيث الاتساع الداخلي فإن جامع السلطان سليمان يأتي الأول في سعة حرمه، ثم جامع بايزيد، ثم جامع السلطان الفاتح. وحرم مسجد أيا صوفية يقارب حرم بايزيد في السعة، ومساجد بايزيد والفاتح وسليمان (وهذا الأخير يسمى السليمانية) أيضاً متشابهة في الداخل من حيث النقوش واللوحات، وليس فيها نقوش ودهانات أو فسيفساء ذات بال، وكل ذلك فيها عادي. وفي بعضها شبابيك زجاجية ملونة مدببة تسمى (قمرية)، ولكنها عادية باستثناء جامع السلطان سليمان الذي تشبه شبابيكه شبابيك مسجدي الأقصى والصخرة الزجاجية المزخرفة والرائعة الصنع.

تنويه

وفي جامع السليمانية هذا مكتبة فيها آلاف الكتب العربية المخطوطة والمطبوعة القديمة، وآلاف الكتب التركية بالحروف العربية مخطوطة ومطبوعة، ومنها ما هو ترجمات للكتب العربية القديمة.

وصف خاص لمسجد أيا صوفية:

ويختلف داخل مسجد أيا صوفية عن المساجد المذكورة، فمع تشابه تشكيل قبته الوسطى وروافدها فإن له رواقاً عظيماً مسقوفاً، ومنه يدخل إلى الحرم، وفيه عدة أبواب عظيمة. وجدران الرواق وسقفه مزخرفة بالفسيفساء المذهبة والملونة، وقد كشف حديثاً عن بعض الصور والنقوش المسيحية، وكان الرواق مغطى بالكلس، وهذه الصور والنقوش المكتشفة صلبان وصور العذراء والمسيح الطفل، ولبعض الملوك البزانطيين والقديسين والكروبين المجنحة. وفي داخل حرم أياصوفية كشف حديثاً عن بعض الصور والنقوش المسيحية التي كانت مغطاة بالكلس أيضاً، ومنها كذلك صور مجنحة لبعض القديسين والكروبين، وأرض حرمها ورواقها مبلطة بالرخام الأبيض، وكثير من الرخام طول الواحد منها ثلاثة أمتار، والجدران مكسوة بالرخام الأبيض أيضاً، وقد أرانا مطوفنا بعض رخامات في الجدران منحوتة ومصقولة مسهمة بالأسود، ويظهر فيها عن بعض أشكال حيوانية، وفي إحداها يظهر رأس إنسان، وفي إحداها جملان. وكل ذلك يبدو طبيعياً كأنما هو في أصل الرخام، وهذه براعة فائقة ولا ريب، وأذكر أن شيئاً من هذا أو ما يماثله في بعض رخامات جدران مسجد الصخرة في القدس.

وعلى ذكر الصخرة أقول أن قبتها أوسع وأعمق ومرتفعة في الفضاء أكثر من قبة أيا صوفية، وتبدو بسبب ذلك قبة الصخرة أروع وأعظم، وإن كان داخل قبة أيا صوفية يبدو أوسع وأكثر إشراقاً. وهذا الاتساع يأتي من الروافد والقباب الصغرى التي ترتكز عليها القبة الوسطى، كما أن هذا الإشراق يأتي من الشبابيك العلوية المفتوحه والشفافة، وعلى بعض نوافذ أيا صوفية شبابيك زجاجية ملونة ولكنها لا تكاد تذكر بالنسبة لشبابيك ونوافذ الصخرة الرائعة بصنعها وإتقانها.

وقد قال لنا المطوف أن كنيسة أيا صوفية

بنيت لأول مرة في القرن الخامس الميلادي، ثم طرأ عليها حريقان فجددت مرتين، وأن آخر تجديد يرجع إلى ثمانماية سنة أو قبل الفتح العثماني بثلاثمائة سنة وأن الإصلاحات التي أدخلت على أيا صوفية في عهد العثمانيين هي اصلاحات طفيفة، وقد يكون هذا صحيحاً، وبقاء الصور والصلبان المسيحية والجدران والسقف العلوية وبقاء الفسيفساء المذهبية القديمة التي صورت منها هذه الصور والصلبان. دليل على صحة ذلك. وبين فسيفساء الصور والجدران المذهبة والملونة، وبين فسيفساء بعض أقسام قبة الصخرة تشابه، وهي الأقسام التي تحمل تاريخ عهد الفاطميين في مصر العائد إلى أوائل القرن الهجري الخامس، أي قبل نحو ثمانمائة سنة ونيف. وفي زاوية من زوايا حرم أيا صوفية أعمدة قال لنا المطوف أن أحدها جلب من كنيسة هيلانة أو كنيسة القيامة في القدس، وأن أحدها جلب من كنيسة مار بطرس في روما للتبرك، وفي هذه الزاوية عمودان رخاميان في شكل المستطيل المربع وليس أسطوانياً، وفي الحرم زيران كبيران للماء من الرخام وكل منهما قطعة واحدة، وهما تحفتان نادرتان وخاصة لضخامتهما، فهما أضخم زيرين رأيتهما من الفخار. (وعلى ذكر زير الفخار أذكر أن هذا الشكل كان عاماً في معظم بيوت نابلس وربما غيرها). وعلى مدار القبة الوسطى خروق، وقد وضع عليها لوحات مثمنة فيها أسماء العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال لنا المطوف أن في هذه الخروق صور لملوك البيزانط سترت بهذه اللوحات، وقد شككت في قوله، فلو كان هناك صور لرفعت اللوحات الخشبية عنها بعد أن كشفت قصارة الكلس عن الصور والصلبان المسيحية وملوك البيزانط والقديسين، ولعله كان في هذه الخروق صور ثم أزيلت أو زالت بسبب الإصلاح والتعمير، فوضعت عليها اللوحات بعد ذلك.

تعطيل الصلاة في أيا صوفية:

هذا ولقد عطلت الصلاة في مسجد أيا صوفية، وجعل مرتاداً لمشاهدة الزوار. ونسجل أننا لم نر فيه من الروعة والفخامة والزينة ما يمكن أن يبرر من هذه الناحية على الأقل هذا التعطيل. ولقد كان في الإمكان تخصيص مكان للصلاة وآخر للزيارة لغير المصلين كما هو في مسجدي القدس وغيرها. والظاهر أن كونه كنيسة سابقاً وأن كون جدرانه تحتوي الصور المسيحية أوجبا فكرة هذا التعطيل، وتخصص للزيارة والمشاهدة فقط. ويتقاضون رسماً من كل زائر قيمته ربع ليرة. وهذا جائز في زيارة الحرم القدسي للأجانب، ولأيا صوفية ساحة وفناء خارجيان، وفيهما بعض الأشجار كما هو الحال في المساجد الأخرى.

وعلى ذكر المساجد التي أشرنا اليها نقول أننا شاهدنا فيها نظافة تامة وعناية كبيرة، وهي مفروشة بالسجاد الأحمر السميك الجميل صنع معامل هركه الذي فرش سجاد بعض أقسام الصخرة والأقصى.

13 ـ وصف لمتاحف الآستانة القديمة والحديثة:

وفي الآستانة متاحف عديدة قديمة وحديثة، ومن القديم واحد للآثار الإسلامية وآخر للآثار العسكرية وثالث للتحف والرسوم والمخطوطات القديمة، ولم يتسنّ لنا غير زيارة المتحف

العسكري، لأن المتاحف الأخرى يجري فيها تعمير وقد أغلقت أبوابها أمام الزوار بسبب ذلك، ويقال أنها غنية بما فيها من آثار وتحف. أما المتحف العسكري فإنه في بناء قرب أيا صوفية، وكان فيما سبق كنيسة بيزانطية أيضاً، وقد صفت المدافع القديمة المختلفة الأجناس والأشكال والمقاييس خارج البناء، أما داخله فقد احتوى أنواعاً وأشكالاً ومقاييس متنوعة تمثل أزمنة مختلفة للبنادق والسيوف والرماح والمغافر والدروع، وللقنابل والأعلام والأوسمة والآلات الفنية القديمة الأخرى التي لها علاقة بالأمور الحربية من نظارات إلى مقاييس هندسية إلى نماذج وتصميمات أسلحة تحت العمل أو تحت الدرس، وهي على الأعم والأغلب من مخلفات العهد العثماني مما غنم في الحروب العثمانية.

وفي هذا المتحف صور زيتية لبعض رجال الجيش العثماني المشهورين قبل إعلان الدستور وبعده، وفيه كذلك صور زيتية لمشاهد تاريخية عسكرية. وفيه كثير من نماذج اللباس العسكري، كما أن فيه بعض قطع من ملبوسات وأوسمة وأسلحة بعض العسكريين المشهورين الجدد، مثل محمود شوكة وأنور، وفيه سيارة محمود شوكة التي أطلق الرصاص عليها وهو فيها، وكان في ذلك منيته سنة 1912.

ومن ما في هذا المتحف تماثيل من الشمع والجبصين والخشب تمثل أجساماً بشرية مدهونة بدهانات ملائمة، وتمثل نماذج من رجال الجيش العثماني بلباسهم ومظاهرهم الخارجية في أدوار مختلفة، منها ما يمثل عسكر الإنكشارية وهو الجيش العثماني القديم الدائم الذي لم يكن قائماً على نظام القرعة العامة، والإسم الصحيح هو (يني شري) بمعنى النظام الجديد، برتبهم المتنوعة وبعمائمهم وشواربهم وذقونهم وأسلحتهم وجببهم وشراولهم، وضعت طوائف طوائف حسب الرتب والوجاقات. ومن هذه التماثيل ما يمثل مجلساً لأحد شيوخ الإسلام، ومنها ما يمثل مجلساً لأحد آغوات الإنكشارية، ومنها ما يمثل الضباط والجنود في العهد النظامي بعد إلغاء الإنكشارية.

ويرى الزائر أطوار وتطور الثياب العسكرية والقيافة العسكرية وزي الرأس العسكري في الوقت الراهن. وقد رأينا بين صفوف المدافع المصفوفة في مدخل المتحف بعض مدافع ضخمة وعظيمة كتب على بطاقاتها أنها من المدافع التي أمر بنصبها السلطان محمد الفاتح واستعملها في حصار وفتح القسطنطينية، ومنها ما يرجع إلى عهد السلاطين القدماء مثل السلطان سليم والسلطان بايزيد والسلطان أحمد. الخ.. وقد نصبت قنبلة حديثة ضخمة في المدخل كتب على بطاقتها أنها إحدى القنابل التي قذفت من الأسطول الإنكليزي على الدردنيل في الحرب العالمية الأولى فانغرزت في التراب ولم تنفجر.

14 ـ وصف لمكان سراي وحدائق (طوب قبو) باب همايون:

والكنيسة التي جعلت متحفاً عسكرياً هي في المكان الذي يدخل منه الى باب سراي (طوب قبو)، وهو مكان متسع ومن أعظم مظاهر استانبول التاريخية الطبيعية والعمرانية، وله بوابة ضخمة عظيمة المنظر كتب عليها ما يشير إلى أنها بنيت في زمن السلطان أحمد. وقرب هذه البوابة من الخارج سبيل ماء ولكنه ليس على طرز السبلان في الجدران، بل هو بناء كبير بقبة

زخرفت جدرانها وذهّبت وكتب عليها آيات قرآنية وأبيات شعر تركية، وهو أيضاً من إنشاء السلطان. والبوابة ليست باباً وكفى، وإنما هي مدخل ضخم وعريض في سور شاهق، وكانوا يسمون هذا المدخل باسم (باب همايون) أو (باب السلطان)، لأنه يدخل منه إلى قصر السلطان الذي هو سراي (طوب قبو)، ثم تجد نفسك بعد هذا المدخل العظيم في ساحة واسعة فيها بنايات قديمة وحديثة كلها دوائر رسمية، ففيها المتحف العسكري، وفيها دائرة كبيرة جعلت مكاناً لمطبعة الحكومة التي تطبع الأوراق الرسمية والطوابع، وفيها دوائر عديدة لبعض شعب الجيش.

ثم تسير في الساحة مسافة أخرى في وسط رواق من الشجر حتى تصل إلى بوابة ثانية هي باب القصر، ولم يتسنّ لنا الدخول إلى القصر لأنه تحت التعمير. وكان هذا القصر في السابق مسكن السلاطين ومركز السلطنة، وقد ظل كذلك إلى عهد قريب ثم جعل داراً للآثار والتحف. ولهذا القصر حديقة عظيمة واسعة لها بوابات، من جهة أخرى. وقبل أيا صوفية، وقد جعلت في العهد الحاضر حديقة عامة يؤمها الناس للتنزه والراحة، وقد عبد فيها طريق عريض يبدأ من أولها ويستمر إلى آخرها، وقام على جوانبها الأشجار الوارفة الظلال فأصبحت كأنها رواق، وقد صفت عليها المقاعد للناس، وعلى طرفيها مربعات عديدة من الزهور والأشجار، ثم على طرفها الشمالي مرتفعات طبيعية غرست فيها الأشجار المتنوعة وجعل فيها طرق ضيقة للسير فيها، وأصبحت من كثافة الأشجار وظلالها كأنها حرش، وقد وضع في المربعات التي على طرفي الطريق عدة تماثيل من المرمر تمثل أسوداً في حالة طبيعية أو في حالة افتراس لبعض حيوانات أخرى، وهي متقنة الصنع بحيث تعد تحفاً فنية رائعة. وهذه الحدائق مسورة من أطرافها الأخرى بحيث تلتقي الأسوار مع أسوار القصر الذي أشرنا إليه وتصبح معه مجموعة واحدة.

وبعد أن تنتهي من الطريق المعبد العريض في الحديقة تخرج إلى حديقة عامة أخرى مشرفة على البحر، وقد أنشيء فيها مربع من الزهور ومنسق تنسيقاً بديعاً، وأقيم في وسطه تمثال من المعدن لمصطفى كمال (أتاتورك) في لباس مدني وفي وضعية جبارة حازمة ينظر بها إلى الأفق بعبوس وقد هم بأن يخطو، وهو منظر رائع يلقي في النفس دهشة واكباراً. ثم تجتاز هذه الحديقة العامة الثابتة إلى مقهى مكشوف سماوي واسع على شاطيء البحر، منه قسم منخفض محاذٍ للساحل وقسم مرتفع مشرف عليه، وهو مقهى جميل بعد هذه الحدائق المتعددة الجميلة، وقد أحببت هذا المكان كثيراً، وكنت أجد راحة نفسية ولا سيما في الجلوس تحت أشجار الحديقة الكبرى في المربع الذي فيه حوض ماء، والذي أصبح كأنه رواق مظلل ذو قبة من الشجر الوارف.

ومن العجيب أن هذا المكان العظيم بمناظره وتنسيقه وسعته غير مطروق بازدحام مع ما هو عليه من اتساع وجمال وبعد عن ضوضاء المدينة، وكل ما كنت أقترح الذهاب إليه والإستجمام فيه أرى من الأخوان انصرافاً وعدم إقبال وتفضيلاً للأماكن الأخرى والأقل جمالاً وتنسيقاً وسعة وهدوءاً، وكل مزيتها أنها في وسط البي أوغلي أو التقسيم وفي مكان ازدحام الناس، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

وعلى ذكر هذه الحدائق، فإن من الحق أن أسجل أن حديقة التقسيم التي أنشأتها بلدية

العاصمة هي الأخرى حديقة واسعة نوعاً ما. وقد زينت وجملت وعني بتنسيقها عناية كثيرة، ويعني بها أكثر من العناية بحدائق طوب قبو، وفيها أحواض مياه واسعة، وفيها مقاهٍ متعددة مكشوفة، كما أن فيها كازينو شتوي كبير، وهي في أكثر الأوقات وخاصة بعد الأصيل تزدحم بالناس على اختلاف أجناسهم ومشاربهم.

15 ـ أسوار القسطنطينية وأدرنة قبو:

ومن الآثار القديمة التي شاهدناها أسوار القسطنطينية البيزانطية، ويذهب إليها إلى المكان المعروف باسم (ادرنة قبوسي ADERNA KAPUSI ـ باب أدرنة ـ)، وهو آخر العمران القديم تقريباً، ويخرج إلى العراء من بوابة ضخمة، وقد سميت المنطقة باسمها بسبب هذه البوابة. وحينما يخرج الزائر من البوابة يرى السور ممتداً امتداداً واسعاً من الشرق إلى الغرب، وهو مبني بالأجر وواسع العرض وبارتفاع يتراوح بين أربعة وستة أمتار حسب وضع الأرض، وقامت على أطرافه الأبراج ومنها ما يزال سليماً.

يدي قلة أو القلاع السبع:

وفي امتداد الغرب سبعة أبراج سليمة، وهي التي تعرف باسم (يدي قلة Yedi Kala ـ سبع قلاع ـ)، وفي الفضاء خارج السور إنتشرت المقابر الإسلامية على مساحات واسعة، حتى لتكاد تتصل بمنطقة أيوب على الخليج آخذاً بعضها بحدود بعض مع بعض الفراغات بينها.

مقبرة الشهداء الأرستقراطيين:

وقد أنشيء في العهد الجديد في هذا القضاء مقبرة عصرية سميت بإسم (شهيد لك ـ مقبرة الشهداء)، وتكاد تكون حديقة بما فيها من تنظيم وتجميل. وقد جعل فيها طرق مزفتة قامت القبور على طرفيها وفيهامربعات عديدة للزهور والأشجار وفيها سبلان ماء رخامية بطراز جميل، وقد انشأت الهيئات والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية مربعات عديدة للشهداء، فللأوقاف مربعات، ولبلديات الآستانة مربعات، ولبعض المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية مربعات. وقد رقد في كل مربع عشرون شهيداً، وجعل لكل منهم قبر، ووضع على كل مربعات لوحة رخامية كتب عليها أسماء الشهداء وأكثرهم من الجنود على ما يظهر وقد خصص لشهداء كل مربع عدد من شهداء المنطقة التي أنشأته. وبالإضافة إلى قبور الشهداء، ففي المقبرة قبور ومقابر عائلية لكثير من الأسر والأشخاص المعروفة أو الموسرة، وبهذا تظهر المقبرة بالإضافة إلى أنها مقبرة شهداء مقبرة أرستوقراطية والدفن فيها منوط برسم نقدي يدفع لصندوق الأوقاف، وهذا الرسم حفظ لها صفتها المذكورة، وقد اهتم ليكون هذا القسم على شيء من جمال الهندسة والقمة، فأكثرها من الرخام، وقد تفنن الرسامون والمهندسون في رسومها وزخرفتها حتى غدت تحفاً فنية وهذا مرسّخ لصفتها كذلك. وتفيد أن أكثر القبور ليست مرتفعة ارتفاعاً بارزاً، وهي شرعية إن صحّ التعبير، ولو من هذه الناحية ولا سيما قبور الشهداء. وللمقبرة خدّامون وبستانيون، وفيها بعض الأبنية المخصصة للمستخدمين ولراحة الزوار في الظروف الضرورية. وفي جانب من المقبرة ما يلي سورها الغربي قبور عديدة عليها رؤوس حجرية معممة وهي قديمة وكتب عليها أنها قبور (السادة البكرية)، وعليها كتابات بالحروف العربية، ويحتمل أن المكان الذي

أنشئت فيه هذه المقبرة كان في الأصل مقبرة هؤلاء السادة فأبقيت قبورهم، أما الكتابات على شواهد القبور الأخرى فهي بالحروف الأوروبية الجديدة إلا قليلاً، مما يدل على أن العناية بها كانت بعد إنقلاب الحروف الذي كان في سنة 1932.

ومنطقة أدرنة قبو محلة قديمة، وقد بدت عليها الرثاثة سواء في طرقها أو في مساكنها أو حوانيتها ومطاعمها ومقاهيها. وفهمنا أن كثيراً من الروم (اليونانيون) والأرمن اتخذوها مسكناً، ولعل سكنى اليونانيين فيها قديم أيضاً.

وفي المحلة كثير من الكنائس التي يبدو أنها قديمة وبعضها بيزنطية.

ولقد زرنا مسجداً اسمه (القاهرية)، فظهر لنا أنه محول عن كنيسة بيزانطية، وما تزال الرسوم والنقوش المسيحية والبيزانطية موجودة على سقفه وجدرانه وأكثرها بالفسيفساء ومنها ما هو بالدهان الزيتي القديم، وقد قيل أن كثيراً من البيزانطيين الروم دخلوا هذه الكنيسة عند الفتح العثماني وحاولوا أن يتخذوها حصناً لهم، فحاصرها السلطان الفاتح ودخلها عنوة وأمر بذبح المتحصنين فيها، ثم أمر بتحويلها إلى مسجد وتسميتها بإسم القاهرية. ومن الآثار القديمة التي شاهدناها المسلة المصرية في الحديقة العامة المنشأة أمام جامع السلطان أحمد، أو بالأحرى في ميدان هذا الجامع الذي حول إلى حديقة، لأن المسلة مركوزة قبل إنشاء الحديقة بأمد طويل، وقد وضعت المسلّة على قاعدة حجرية ضخمة عظيمة، والطبقة العليا منها حجر ضخم واحد عليه نقوش بيزانطية. أما المسلة فهي من حجر الغرانيت السماقي، وقد ارتفعت في الفضاء لنحو عشرة أمتار، والنقوش الهيروغليفية على صفحاتها الأربعة من أعلى إلى أدنى، ورأسها مخروطي مدبب، وقد ظننتها قبل أن أقترب منها أنها مسلة من الاسمنت، وضعت ذكرى لحادثة، لماهي عليه من الصقل والنظافة، لكن التدقيق عن قرب فيها يظهر للمشاهد أنها قديمة أصلية حجر غرانيت، ولكن عجب المشاهد لا ينقضي من شدة ملاستها وصقلها وجدتها.

جوض أثري ومسلة أخرى مبنية بناء:

وفي حديقة الجامع أثران قديمان آخران، أحدهما حوض ماء عميق مركب فيه شادوران معدني حلزوني طويل، وفي بناء الحوض وفي الشادروان يبدو قدمهما، وقد يكونا أثرين بيزانطيين أيضاً. والثاني مسلة مرتفعة في الفضاء ارتفاع المسلة المصرية أو أكثر وفي هيئتها وتدبيب رأسها ومخروطيتها، ولكنها ليست حجراً واحداً وإنما هي مبنية بناء من أحجار صغيرة، وليس عليها كتابة ما، ولكنها هي الأخرى قائمة على قاعدة ضخمة، ويبدو عليها وعلى قاعدتها قدم، ويمكن أن يكونا أيضاً أثرين بيزانطيين.

وفي الآستانة متاحف جديدة فنية وتاريخية غير ما تقدم ذكره سابقاً، منها المتحف الصحي الذي يحتوي رسوماً وآلات ونماذج عن الجسم البشري وتشكلاته ووظائفه، والأمراض وآثارها وسرايتها والوقاية منها، والآلات والأجهزة الطبية الحديثة، وشرح لكل ذلك. ومنها متحف الإنقلاب الذي يحتوي وثائق تتعلق بالعهد الجديد وما تم فيه من انقلابات في كيان الدولة والحروف. ومنها متحف مصطفى كمال، وهو في البيت الذي كان يسكنه والذي قرر منه مع بعض رفاقه البدء بالحركة الاستقلالية، وقد أبقي البيت بما فيه على حاله كمتحف يزوره الناس للذكرى.

16 ـ جامعة استانبول:

وشاهدنا فيما شاهدناه في الآستانة جامعة استانبول، وهي في محلة بايزيد وفي مكان فسيح غرست في كثير من أنحائه الأشجار وأحيط بسور، وله بوابات عديدة، والبوابةالرئيسية ضخمة. وقد كتب على جدار المدخل كلمات خالدة لمصطفى كمال بالحروف الأوروبية الجديدة، وفي هذا المكان أو القضاء الفسيح قامت عدة بنايات لأقسام الجامعة وكلها قديمة أي عائدة للعهد العثماني، والبناء الرئيسي منها كان في السابق قصراً لأحد السلاطين ثم صار مركزاً لوزارة الحربية ثم ترك لأقسام الجامعة، وكل ذلك في ذلك العهد. وفي الجامعة أقسام لكليات الحقوق والإقتصاد والطب البشري المدني. وفي مكان قريب من الجامعة كليات للطب العسكري وللهندسة، وليس في بنايات الجامعة ومساحاتها تلك الحركة الجامعية التي نعرفها في الجامعة الأمريكية في بيروت، حتى ولا في الجامعة المصرية في القاهرة. وقرب الجامعة بناء كبير لمكتبة الجامعة، وقد أنشيء أمام الجامعة حديقة عامة صغيرة أنشئت فيها مربعات للزهور منسقة تنسيقاً بديعاً، وأقيم في وسطها حوض ماء واسع له نوافير، حينما تدور منها المياه ترى منظراً جميلاً.

17 ـ حمامات يالوه المعدنية ومكانها:

وقد زرنا فيما زرناه (يالوه)، وهي قرية على ساحل بحر مرمره من جهة الأناضول يذهب اليها في بواخر النقل في مدة ساعتين ونصف، وفي هذه المنطقة مياه معدنية حارة، وأكثر الزوار يذهبون من أجل الإستشفاء فيها. ومنطقة المياه تبعد عن الساحل نحو عشرة كيلومترات، وبينها وبين الساحل طريق معبد مشجر للسيارات، وهي في وادٍ قام على أطرافه جبال ولكن غير شاهقة ومكسوة بأشجار حرشية، وقد عني عناية كبيرة بها، فنسقت سفوح جبالها تنسيقاً بديعاً وتزينت بالزهور في أشكال جميلة رائعة، وأنشيء في منطقة المياه عدة فنادق، وأنشيء من جديد فندق كبير مشرق ومريح، وجرّت إليه المياه الحارة، وجعل في غرفه مغاطس بحيث لا يحتاج الزائر الى الذهاب للحمامات. وقد أنشيء في منطقة المياه مخادع عديدة للاستحمام الفردي، وفيها أسرّة للراحة ومناشف ومغاطس، وهذا عدا أحواض ومغاطس الإستحمام الأصلية القديمة التي هي في بناء خاص واسع قامت عليه القباب، وقد عني بنظافته عناية تامة، وجهزت فيه مخادع للراحة، وجعل فيه أقسام متفاوتة الحرارة حسب توصيات الأطباء. ومن أقسام الاستحمام قسم للاستحمام البخاري[1]، وهو مخدع كبير جعلت المياه تحته في درجة حرارة عالية، وجعل في أرضيته خروق تتصاعد منها أبخرة المياه الحارة، فيجلس المستشفى في هذا المخدع عارياً بدون استحمام بالماء، وليس للماء رائحة كبريتية أو زرنيخية كما هي الحالة في حمامات طبريا والحمة، ويوصف لأمراض المفاصل التي لا تحتاج إلا للماء الحار أو البخار الحار، ويوصف ماؤها لأمراض الكلى، مدِرٌّ وخفيف.

18 ـ جمال وفتنة موسم الصيف في الآستانة وشيء عن معالمها الصيفية:

وموسم الصيف في الآستانة هو موسم التنزه

(1) النبذة التي تبدأ من جملة (وفي الاستانة متاحف جديدة) الخ .. واردة في أول الدفتر الثالث التي بدأنا بكتابته في 1941/9/17.

والرحلات الصيفية، وتعد من ناحية طقسها ومناخها مصيفاً جيداً، وبما هي عليه من المناظر الطبيعية مصيفاً جميلاً فاتناً. وكان قدومنا اليها في أوائل الصيف بل في وسطه، واستمتعنا استمتاعاً حسناً بكل ذلك. ومع أن الآستانة هي نفسها تتصف بتلك السمات، ويصح أن تكون مصيفاً ممتعاً، فإن كثيراً من الطبقات الموسرة والرفيعة منها يتركون منازلهم ويذهبون في الصيف إلى الضواحي الساحلية أو القريبة من الساحل حيث يقضون موسم الصيف في طقس أقل حرارة على كل حال وفي أمكنة أقل ازدحاماً وخلوية، يهنأون فيها بالراحة والهدوء، ولهذا فإن هذه الضواحي عامرة، وقد أقيمت فيها المساكن والفنادق والمرافق وعني بطرقها ومواصلاتها وتجميلها حتى غدت مصايف حسنة، ولقد كانت هذه العناية بها منذ زمن العثمانيين، حيث أنشأ كثير من الوزراء والأمراء والأثرياء قصوراً صيفية لهم. وقد أنشأ السلطان عبد العزيز قصره الرخامي البديع في ضاحية بِيْلَرْبي Baylerbey الصيفية أيضاً. ومن أجمل المصايف الجزر التي في مدخل الآستانة من ناحية بحر مرمرة وهي أربع، الجزيرة الكبرى (بويوك اضه)، وجزر -(هيبه لي Haybali) و (بورغاز Burgaz) و (فينة)، وهي متقاربة، وأهمها وأكثرها عمراناً وأحسنها مرافق ومتعة (بويوك اضه) أولاً (وهيبه لي) ثانياً. وفيهما فنادق عديدة ومساكن كثيرة تحيط بها الحدائق، وفي كل منهما منطقة أحراش جبلية جميلة حسنة الطرق فيها المقاهي والمطاعم والمشارب المتعددة. وللجزيرة الكبرى اسم آخر هو (جزيرة الأمراء)، لأن الأمراء والكبراء اعتادوا قضاء الصيف فيها، ولهم فيها مساكن وقصور عديدة. والمسافة بين بويوك ارضه والجسر وهي أبعد الجزر، تقطع على بواخر النقل بساعة وربع.

ومن المصايف مصيف (طرابية) على ساحل البوغاز الأوروبي، وفيه فندق كبير على الساحل، وفنادق ومساكن أخرى، وقد عني بطرقه وتجميله. وفيها مصيف (موده) وهو على ساحل مرمرة، ويشرف على الجزر، وهذه الناحية من امتدادات قاضي كوى الضاحية الكبرى التي صارت مدينة عامرة في الصيف والشتاء. وفي موده فنادق ومساكن ومشارب ومرافق، وتزدحم بالناس في الصيف. وفي موده مسبح واسع ولكنه ليس له ساحل رملي (بلاج)، وقد أقيمت قوائم خشبية في البحر، وجعل منها رصيف خشبي وأنشيء عليها مخادع لخلع الثياب والدوش. ومنها مصيف (السعادية)، وهو من امتدادات قاضي كوى أيضاً، ويذهب إليها من قاضي كوى بالتراموای، وفيها فندق ومطعم ومقهى كبيران ومساكن عديدة، وفيها بلاج جميل للسباحة ولكنه صنعي، أي أنه أقيم على ساحل البحر جدار ثم ملئت الساحة بالرمل، وفيه مخادع عديدة لخلع الثياب وأخذ الدوش. ومنها مصيف فلوريا، ويذهب إليه بقطار أوروبا، وفيه بلاج كبير وقصر صيفي لرئيس الجمهورية وفندق ومطاعم ومقاهٍ، وكثير من الوزراء يقضون أيام عطلتهم ا لصيفية في هذا المصيف، ومنها مصيف (أرينكوى)، وهو كذلك من امتدادات قاضي كوى، غير أنه ليس على الساحل مثل موده، ولكن البحر ليس بعيداً عنه، وفيه مساكن وقصور كثيرة يحيط بها حدائق صغيرة وكبيرة، وهو من مصايف الوزراء والكبراء أيضاً.

وهناك مصائف أخرى أقل شهرة على ساحلي البوغاز الأوربي والآسيوي مثل (صاري يـر)

في أحد متنزهات صاري ير (خونكار صوي) في الأستانة 15/8/1941 . من اليمين : 1 ـ محمد علي دروزة
2 ـ حمدي السخن 3 ـ واصف كمال 4 ـ الدكتور مصطفى الوكيل (من مصر) 5 ـ عزة دروزة
6 ـ زهير دروزة 7 ـ اسحق درويش 8 ـ راسم الخالدي 9 ـ سعيد الزائد

و(قـواق) و(يني محلّه) و(يـني كـوى) عـلى الساحل الأوروبي، وبيلربي وحرم وصالاجق على الساحل الآسيوي. وبالاضافة إلى كون هذه المصائف هي أماكن لإقامة الناس فيها أيام الصيف أو بعضها، فإنها كذلك مرتاد للتنزه الوقتية لقضاء يوم أو ساعات في أيام الصيف فيها، ففي كل يوم تنقل بواخر النقل إليها قوافل المتنزهين رجالاً ونساء واطفالاً لقضاء يوم نزهة في أحدها، وترى الناس بكثرة قد انتشروا في مقاهيها ومطاعمها وطرقها، منهم من حمل طعامه معه ومنهم من تناوله في المطاعم والفنادق، وفي يوم الأحد خاصة، الذي صار في الانقلاب الكمالي يوم العطلة الأسبوعية الإجباري والرسمي لجميع الناس، تزدحم البواخر والمقاهي والمطاعم بالناس الذين يهرعون إلى هذه الأماكن لقضاء يوم عطلتهم، ازدحاماً شديداً إلى حد الإزعاج

محلات للتنزه اليومية الصيفية:

وهناك محلاّت للتنزه الصيفية منها ما هو على ساحل البحر أو بعيد عنه، كمتنزهات (خنكار) و(بويوك دره) و(جامليجه)، وفي كل من هذه المتنزهات الثلاثة ينابيع مياه صالحة للشرب، وكانت في القديم مكشوفة وفي متناول اليد والنظر، ثم ضبطت وأغلقت للمحافظة على نظافتها وتوزع بالثمن، ومنتزها الخنكار وبيوك دره في وسط جبلين مكسوين بالأحراش الواسعة الطبيعية، ولهما مناظر برية جميلة، وقد أنشئت فيهما المقاهي والمطاعم المنظمة المعدة للمتنزهين على كثرة عددهم، وقد اعتاد كثير منهم على جلب طعامهم معهم. وقد ذهبنا إلى منتزه الخنكار جماعة كبيرة، وهيأ لنا سعيد زائد المقدسي طعاماً مطبوخاً، وكانت نزهة جميلة. وكلمة (الخنكار) تعني السلطان، وينبع المنتزه من الجبل ومياهه صافية ولذيذة وشديدة البرودة، أما منتزه جامليجة فليس في جبل ولكنه في منطقة مرتفعة عن سطح البحر، ومقاهيه ومطاعمه محاطة بالأشجار ومشرفة على البحر من بعيد، ويذهب إلى جامليجة من إسكدار بالترامواي، كما يذهب اليها بالترامواي من قاضي كوى أيضاً.

وصف لمدينة اسكدار:

واسكدار التي مر ذكرها سابقاً أيضاً هي مدينة صغيرة في الساحل الآسيوي، وأمام الآستانة على مدخلها في الساحل الأوروبي، وتأتي دائماً مترادفة مع الآستانة، حتى كأنما هي قسم من المدينة الكبرى. وهي عادية في مبانيها وشوارعها لا تشبه الآستانة من حيث العمران والفخامة، وخط الترامواي فيها إنشاء جديد، وكذلك خط الترامواي في قاضي كوى أيضاً. وقد ربطت المدينتان بعضهما بهذا الخط في الوقت نفسه.

وقاضي كوى هذه مدينة كبيرة نوعاً، وقيل أن سكانها مع سكان ضواحيها الصيفية يبلغون نحو ثمانين ألفاً أو أكثر، وفيها بنايات فخمة وشوارع واسعة أحسن من اسكدار.

وبالنسبة لبواخر النقل التي تسير في البوغاز والخليج والتي مر ذكرها، نقول أن هناك عشرات منها تعمل في نقل الركاب في سواحل البوغاز والخليج، وتتسع الواحدة منها لخمسين أو مائة راكب او مائة وخمسين. وعلى سطحها كراسٍ ومقاعد مريحة، وفيها بوفيه أو مقهى يقدم القهوة والشاي والمرطبات لمن يريد من الركاب، وأجرتها معتدلة، حيث كانت أجرة الذهاب والإياب إلى بويوك اضه بقيمة ليرة ونصفاً، ولغيرها من الأماكن الأخرى أقل، وللمشاوير القصيرة نصف ليرة للذهاب والإياب معاً والليرة التركية كانت بقيمة ثلث الليرة السورية على ما بقي في ذهني، وركوبها في حد ذاته متعة حتى ولو لم ينزل الراكب إلى الأرض، لأنها تمخر في خطوط من أول البوغاز إلى آخره في رحلة جميلة تمتد ساعتين أو أكثر، وتمر على سواحل المصايف التي كثيراً ما تكون عامرة بالرواد، وركوبها في ليالي الصيف أكثر بهجة حيث تتراقص الأضواء على صفحة الماء، وحيث لا يكون شمس مزعجة ما، وتبلغ ذروة البهجة في الليالي القمراء. ولقد زرت، وحيداً ومع إخواني، وبخاصة أخي أبي الحكم وزهير معظم الأماكن التي ذكرتها.

حادث لي في بلاج فلوريا:

وقد حدث لي حادث فيها كدت أغرق في شبر من الماء كما يقال، فقد دخت قليلاً وأنا في البحر، وأخذت اعود إلى الشاطىء، وأخذ الرمل ينزاح بين قدمي، وظننت أني امام هوة عميقة، وصرت أصرخ لأخي وزهير اللذين كانا يسبحان معي هاتفاً لا تقربا إلى جهتي ففيها هوة، وأنا انتهيت ثم عاد إلي وعيي، فرأيت أن الماء لا يزيد عمقه عن شبر، وليس هناك هوة ولا دوامة، ومنذئذ حرمت البحر، وكنت قد تعلمت السباحة نوعاً ما في بركة بحر سيدنا علي في جهة يافا على ما مر ذكره في الجزء الثالث، ومارسته على بلاج بيروت بعض المرات.

إشارة عابرة إلى ما في الدفتر من تسجيلات له آثار الانقلابات المتنوعة:

هذا ولقد استرسلت في الدفتر الثاني من الدفاتر التي كتبتها في تركية، والذي نقلت عنه معظم ما مر في شرح آثار الإنقلاب الكمالي في مسائل الدين والتشريع الإسلامي، واستبدال الحروف الأوروبية بالحروف العربية، والتعليم الديني وأزياء المشايخ ولبس القبعة والبنطال، وشعور المرأة وحريتها، وشؤون الأوقاف والإفتاء والتعليم الديني وأحوال الناس في كل ذلك، وما كان من جهود الحكومة في سبيل التعليم والتنمية الإقتصادية والزراعية الخ..

وهنا ينتهي الدفتر الثاني من الدفاتر التي كتبناها في تركية وبدء بعد ذلك الدفتر الثالث.

***

هذه النبذة منقولة من الدفتر الثالث من الدفاتر التي كتبناها في تركية :

وقد كتبت خلال 1941/9/17 ـ 41/10/4، 20 شعبان 13 رمضان 1359 :

1 ـ تعليق على ما كان من تأخر سقوط المدن السورية في أيدي الغزاة الانكليز والديغوليين :

ظهر مما أخبرنا به بعض القادمين من سورية ومما قرأناه في الصحف العربية وغير العربية وسمعناه من الإذاعات العربية وغير العربية، أن الظن الذي كنا ظنناه بسرعة سقوط حلب وجعلنا نعجل بالخروج منها ذلك التعجيل لم يكن في محله فقد ظلت السلطات الفيشية تسيطر على حلب الى أن دخلتها القوات الغازية بموجب الهدنة التي عقدت بين السلطة الفيشية وبين هذه القوات. وليست حلب وحدها التي بقيت كذلك، وقد بقيت كذلك مدن بيروت وحمص وحماة واللاذقية وطرابلس الشام، غير أن الظن بأن الفيشيين لن يستطيعوا الصمود في مقاومة الغزوة، لأن باب المدد أمامهم مسدود، في حين هو مفتوح على مصراعية أمام الغزاة الإنكليز والديغوليين . .

فقد استمرت الحالة بين الجذب والدفع بين القوتين نحو اسبوع بعد خروجنا من حلب، ثم جرت اتصالات بينهما من أجل عقد هدنة، وكان المبادر لذلك الفيشيون الذين رأوا أن الإستمرار في المقاومة لا جدوى منه. وأقنعوا حكومة بيتان في فيشي، ففوضت هذه الجنرال دانز القائد المفوض السامي في التصرف، فطلب شروط الغزاة، واستمرت المفاوضة أياماً، لأن الشروط كانت ثقيلة من جهة ولأن مندوبي الألمان والطليان في سورية ولبنان كانوا يبذلون جهدهم لإدامة المقاومة من جهة أخرى. على أن الجنرال لم يتضامن مع المندوبين في ذلك، فصمم على التهادن مع الغزاة، وعدل هؤلاء شروطهم بعض التعديل، فتكون أكثر ليناً وتوافقاً مع ما يسمونه (الشرف العسكري)، وانتهت المفاوضة إلى نتيجة إيجابية، حيث تم التوقيع على شروط الهدنة والتسليم في المعسكر الإنكليزي في عكا بتاريخ 13 تموز 1941.

ومما ذكرته الصحف أن أعصاب المفاوضين الإفرنسيين كانت متهيجة، وأن التيار الكهربائي انقطع ساعة التوقيع، وأن التوقيع تم على أضواء السيارات والمصفحات. ومما حرص الفيشيون على اجتنابه وكان سبباً من أسباب تأخر التوقيع واحتمال انقطاع المفاوضة، ذكر الإفرنسيين الأحرار في نصوص الهدنة، ووجود ممثلين منهم أثناء المفاوضة واشتراكهم في التوقيع، فقد أصر الفيشيون على رفض ذلك، وتساهل الإنكليز في هذه النقطة، ولم يكن لحركة (فرنسة الحرة) من القوة ما يمنع ذلك، حيث كانت عالة على الإنكليز مائة بالمائة في هذا الظرف.

شروط الهدنة:

وكان من مقتضى شروط الهدنة السماح للإفرنسيين عساكر ومدنيين بمغادرة سورية ولبنان إلى فرنسة على ظهر بواخر إفرنسية لا يتعرض لها، وباحتفاظ العسكر ضباطاً وأفراداً بسلاحهم الشخصي، وبنقل أموالهم وأمتعتهم بدون قيد أو تدقيق، مع ترك الخيار لمن يريد منهم الإنضمام لفريق (فرنسة الحرة) في الحملة والبقاء في سورية ولبنان برتبهم ووظائفهم ومرتباتهم. ومع تعهد الإنكليز باحترام جميع ما لفرنسة والإفرنسيين من معاهد ومؤسسات صحية ومالية وثقافية، وتسريح جميع الأسرى الإفرنسيين واللبنانيين والسوريين الذين أسروا أثناء المقاومة، ومع تعهد الإفرنسيين بتسريح ما أسروه من القوات الغازية أثناء المقاومة كذلك.

2 ـ حفاوة في بيروت بالغزاة الجدد والتعليق عليها:

وبعد أيام من التوقيع دخلت القوات الغازية لبيروت وطرابلس وحلب وحمص وحماة الخ.. ومما ذكرته الصحف أن الغزاة الإنكليز والإفرنسيين الأحرار دخلوا لبيروت بمراسم، واهتموا ليكون لهم استقبال من الأهالي، حيث ذكرت الصحف أن الناس احتشدوا في الشوارع والشرفات وصفقوا وهتفوا للغزاة الجدد ونثروا عليهم الزهور، ولا أريد أن أقول أن هذا المظهر كان إرغامياً، فقد كان ظاهراً، ونحن في بيروت ثم حلب، أن أكثر المسيحيين كان هواهم في سير الحرب مع الإنكليز وحلفائهم، وقوى هذا الهوى بعد انكسار فرنسة واستسلامها للألمان وبروز حركة فرنسة الحرة بزعامة ديغول، وكانوا يغتاظون من أي نصر يحرزه الألمان وكل حركة يكون فيها صالح للألمان، كما كان هوى أكثر المسلمين على العكس تماماً، على اعتبار أن الإنكليز والإفرنسيين قد أذاقوا العرب وكثرتهم الساحقة مسلمة في سورية ولبنان المرّ، وأن لا خلاص منهم إلا إذا انتصر الألمان عليهم. وكان هذا الشعور عند المسلمين طبيعياً عفوياً منذ بدء الحرب، وظل كذلك على اعتبار عدو العدو صديق، وعلى أمل أن العرب قد ينالهم حظ في هذه المرة مع الألمان بعد أن غدر الإنكليز والإفرنسيون بهم، ونكثوا في عهودهم معهم، ومن الحق أن أسجل مع هذا أن كثيراً من المسلمين في لبنان وسورية كانوا يودون الخلاص من الإفرنسيين بأي ثمن ولو بحلول الإنكليز محلهم، لأن الألم منهم كان شديداً ومباشراً، وكانوا يأملون في ذات الوقت أن ينفتح، بحلول الإنكليز، باب نشاط اقتصادي بين سورية ولبنان من جانب والبلاد العربية الأخرى من جانب آخر والتي هي تحت الهيمنة الإنكليزية كالأردن وفلسطين والعراق ومصر، ليكون في ذلك انفراج لهما وخلاص من الحصر والضيق اللذين تعانيهما.

3 ـ خطاب شرشل بعدم طمع بريطانية في سورية ولبنان وتعليق عليه:

وبعد عقد الهدنة ألقى شرشل خطاباً في مجلس العموم (النواب) البريطاني، ذكر فيه أن تأمين سلامة الوضع العسكري للحلفاء في الشرق وضرورة الحد من النشاط النازي فيه هما اللذان حفزا الحلفاء على احتلال سورية ولبنان، وأن بريطانيا لا تبيت أية نية أو خطة استغلالية، وليس لها أي طمع في القطرين، وأنها لا تزال تعترف بمصالح فرنسة وحقوقها

في استانبول 1941
محمد علي دروزة ـ أكرم زعيتر ـ عزة دروزة .

استانبول/باي أوغلو 1941 .
أكرم زعيتر ـ محمد علي دروزة .

استانبول 12/9/1941 .عزة دروزة ـ معين الماضي .
المصور كامل مروة (من لبنان) صاحب جريدة الحياة لاحقاً .
زيارة عدنان الأتاسي الى استانبول موفداً من شكري القوتلي وأخوانه
لاجراء مباحثات حول ما يدور من أبحاث
بين سوريا ـ والديغوليين . (كاترو) لاعلان الاستقلال .

في استانبول تشرين ثاني 1942 .عزة دروزة ـ معين الماضي
.

فيها. وهكذا سارع الطاغوت الإستعماري فبشر الأمة العربية بأن بلادها ستبقى مجزأة ومناطق نفوذ على الطريقة الأولى.

4 ـ بيان بيتان عن حرص فرنسة ببقاء علاقاتها بسورية ولبنان وتعليق عليه:

وقد أذاع بيتان رئيس فرنسة في فيشي خطاباً أبدى فيه ألمه من النتيجة التي انتهى إليها أمر الدفاع في سورية ولبنان، بسبب عدم التكافؤ في القوى وعدم تمكن فرنسة من الإمدادات التي تساعد على استمرار الدفاع، ووجه كلاماً إلى أهل سورية ولبنان فشكرهم على تعلقهم بفرنسة وعطفهم عليها، وطمأنهم بأن هذه النتيجة ليست إلا حالة عارضة، وأن فرنسة التي أحبوها لن تتركهم، وستظل تقوم بواجبها من الإرشاد والحماية نحوهم، وهكذا طمأن بيتان أيضاً أهل سورية ولبنان أن فرنسة باقية على رأسهم تمارس ما مارسته طيلة العشرين عاماً التي مرت من استعمار واحتلال وقد يكون ما قاله بالنسبة لأكثرية المسيحيين في لبنان صحيحاً.

5 ـ تعليق على موقف الفتور والجمود الألماني في سورية ولبنان:

والغريب أن المندوبين الألمان والطليان الذين كانوا مهتمين كل الاهتمام لإطالة الدفاع، مع أنهم كانوا يعرفون أنهم لم يجدّوا في دعم المقاومة بجلب قوى ألمانية وطليانية ولو جوية، ولقد كان يسمع عن لسانهم أنهم لا يريدون أن يظهروا ظهوراً واضحاً على مسرح سورية ولبنان لئلا يجفل الإفرنسيون الفيشيون ويتخاذلوا في حركة المقاومة، وكانوا يصرحون أن فرنسة هي وحدها التي ستدافع، وأن دعوى الإنكليز بوجود قوى المانية وطليانية في البلاد، وإن اتخذوها وسيلة للغزو، هي دعوى كاذبة. غير أن هذا لن يمنع من تسجيل تقصيرهم وبلادتهم ومسؤوليتهم من نتيجة انهيار المقاومة ونجاح الغزوة، وهذا كان موقفهم من حركة العراق أيضاً، فإنهم لابد من أنهم كانوا يعرفون أن الثورة العراقية لن تصمد إلى النهاية في وجه القوى الإنكليزية، وأنها إذا لم تساعد مساعدة جادة سيغلب على أمرها، ومع ذلك كان موقفهم بارداً بليداً وأدى إلى نجاح القمع الإنكليزي للثورة، وهذا جر إلى غزو سورية ولبنان ونجاحه أيضاً.

6 ـ قدوم كاترو إلى سورية ولبنان وكتابه لخالد العظم بتوكيد منح سورية استقلالها:

وجاء بعد الهدنة الجنرال كاترو الإفرنسي، وهو قائد فرقة الفرنساويين الأحرار في الحملة، ثم معاون الجنرال ديغول قائد حركة فرنسة الحرة، إلى سورية ولبنان، وأرسل إلى خالد العظم رئيس الحكومة السورية كتاباً أيد فيه ما كانت احتوته مناشير موقعة بتوقيعه، وألقيت على سورية في أوائل حركة الغزو الإنكليزية الإفرنسية، من عزم (فرنسة الحرة) على منح سورية استقلالها وإقامة حكم وطني يستمد أسسه من مشيئة الشعب وتبديل نظام الانتداب بمعاهدة تتضمن ما يأمله الشعب وما لم يستطع أن يناله إلى الآن. وأن هذا الأمر سيكون في وقت قريب جداً.

تصريحات ديغول بمثل ذلك:

ثم جاء الجنرال ديغول إلى سورية ولبنان فأدلى بتصريحات عديدة في هذا الصدد مشيراً

بما لفرنسة من تقاليد وأنها باقية في (الشرق)، وكلمة الشرق كانت تعني لدى الإفرنسيين سورية ولبنان، لمتابعة عملها العظيم، وأن تبدل الأشخاص لا يعني تبدل فرنسة وما تتوخاه من مساعدة بلاد الشرق وإرشادهم.

ـ اجتماع المندوب الإنكليزي والجنرال ديغول بشأن سورية ولبنان:

ثم جاء الوزير الإنكليزي ليتلتون، وهو المفوض إليه أمر الأعمال المدنية والسياسية في جبهة الشرق العربي، واجتمع مع الجنرال ديغول في بيروت، وتبادل الاثنان كتابان أذيع نصهما. واحد من الوزير للجنرال ديغول، وآخر من الجنرال ديغول جواباً عليه، وجاء في كتاب الوزير أنه يثبت ما تم عليه الاتفاق في المحادثات الشفوية بأن انكلترا لا تبيت أي مطمع أو سياسة خاصة في سورية ولبنان، وأن فرنسة وبريطانيا متفقتان على منح هذه البلاد استقلالها وحكمها الوطني على أن يكون لفرنسة حق الرجحان فيها على الدول الأوروبية الأخرى، وجاء في جواب الجنرال تثبيت وتسجيل اعتراف إنكلترا بأن لا مطمع لها ولا سياسة خاصة في سورية ولبنان، وأن فرنسة متفقة معها على منح هذه البلاد استقلالها وحكمها الوطني على أساس التعاهد، وتثبيت وتسجيل اعتراف انكلترا بمركز فرنسة وحق الرجحان لها في هذه البلاد. وقد لوحظ في جواب ديغول إبرازاً أكثر وتوكيداً في صدد حق فرنسة ومركزها ورجحانها.

7 ـ خوض الصحف في موضوع الرسائل وتوكيدات المندوب الإنكليزي:

وقد أخذت الصحف بعد ذلك تبحث في طريقة بدء المفاوضات المنشودة لعقد المعاهدة وقيام الحكم الوطني في البلاد، ومن هو الذي يمكن أن يمثل الجانب الوطني بعد أن عطلت المجالس السياسية والحكومية التي قامت على الأساس الدستوري والمعاهدات المنكوث فيها. والغريب أن الصحف نشرت في هذه الأثناء تصريحاً لوزير الخارجية البريطانية المستر إيدن في مجلس العموم، نفي فيه علمه بتصريحات الجنرال كاترو ووعوده لأهل سورية ولبنان بالإستقلال والحكم الوطني. وأكد مع ذلك أن هذه البلاد ستنال استقلالها وحكمها الوطني في فرصة مناسبة قريبة، ومع القول أن ما لفرنسة من مصالح ومؤسسات ثقافية واقتصادية واجتماعية سيحافظ عليها. ولهجة التصريح تنطوي على تقرير أو توكيد كون بريطانية التي تتولى السياسة الجديدة وتنفذها، ويمكن أن تدل في الوقت نفسه على أن هناك خفايا ومناورات، أو على الأقل عدم استقرار على ما ينبغي أن يكون عليه الوضع والعلاقة في سورية ولبنان بالنسبة للإنكليز وللإفرنسيين.

8 ـ قدوم عدنان الأتاسي بن هاشم إلى الآستانة واجتماعاتنا وأحاديثنا معه في صدد الموقف في سورية:

وقد جاء عدنان الأتاسي (ابن هاشم) من سورية في أواخر شهر آب 1941 إلى الآستانة واجتمعنا به، وأعلمنا أن أباه هاشم وشكري

القوتلي كلفاه بالاجتماع بنا في استانبول والتحدث معنا واستطلاع رأينا في المشاورات والأحاديث التي تجري في سورية بين أبيه وشكري القوتلي ورفاقهما من رجالات سورية مع القادة الافرنسيين بخصوص مستقبل الوضع في سورية. وقد كنا نجتمع معه أنا ومعين الماضي ونبيه وعادل العظمة والأمير عادل ارسلان في بيتي الذي كان في ضاحية الشيشلي. وحدثنا أحاديث شتى عن الحالة في البلاد، وفهمنا منه أن نفوذ الإفرنسيين في الشام أقوى مظهراً وبروزاً منه في أي مكان آخر، وأن نفوذ الإنكليز ووجودهم محسوساً في كل ناحية ولاسيما في المناطق الشمالية مثل حلب ودير الزور والجزيرة، حتى أنه هو البارز المحسوس فقط فيها، وأن قوات الإفرنسيين الأحرار التي جاءت مع الحملة الغازية، نحو ثلاثة آلاف، أكثرها مستقر في دمشق، وأن للإنكليز قوات كبيرة، وأن الرسميين الإنكليز يصرحون لمن يسألهم عن الوضع بأن علاقة البلاد ستظل مع الإفرنسيين، وأن هؤلاء هم الذين سيتفاوضون ويتعاهدون مع أهلها في حين أنهم يقولون لمن يتصل بهم اتصالات خاصة أو بواسطة أبواقهم وأوليائهم أن الناس أحرار في التفاوض والتعاقد والتعاهد مع الإفرنسيين، وأنهم إذا لم يرغبوا في ذلك فليقدموا مضابط يبينون فيها رغباتهم. ومما أخبرنا به أن محافظ الجزيرة توفيق شامية الغى وظيفة المندوب الإفرنسي في محافظته، فلم ير هذا بداً من الرحيل، وأن المحافظ أمر موظفي الجمرك على الحدود بتوريد جباياتهم إلى صندوق المحافظة فأبوا، لأن جبايات الجمارك تورّد عادة إلى صندوق المصالح المشتركة في بيروت، وأن ضابطاً إنكليزياً عندما علم ذلك ذهب إلى الحدود وأركب موظفي الجمارك الإفرنسيين على سيارة وأرسلهم إلى بيروت وأقام مقامهم موظفين سوريين صاروا يوردون الجبايات إلى صندوق المحافظة كما طلب المحافظ وأن موظفي الجوازات على الحدود هم الآن انكليز. وقد ذكر ذلك كأمثلة على موقف التناظر أو التغاير بين الإنكليز والإفرنسيين تجاه إدارة البلاد، وهذا يؤيد ما خمّناه وسجلناه من مشاورات خفية وراء الوضع السياسي ومستقبله وتجاذبه بين الدولتين.

سلوك الغزاة الجدد الهيّن نحو السوريين والفلسطينيين وذوي الميول المحورية:

ومما ذكره أن القوى المحتلة الجديدة لم تسر على خطة ضغط وإرهاب ضد من كان يظهر للإنكليز والإفرنسيين عداء، وللألمان والطليان ميلاً وعطفاً، حتى بالنسبة لمن كان ذلك ظاهر بارز منه. فإحسان الجابري الذي كان مشهوراً بصلاته بالطليان لم يختف في حلب ولم يقل له أحد شيئاً حينما احتل الغزاة حلب بعد الهدنة. والمتخرجون من ألمانيا في دمشق الذين كانوا يديرون حملة واسعة مكشوفة ضد الإنكليز وحلفائهم لم تأخذ ضدهم أي موقف، وأن كثيراً من الفلسطينيين في حلب ودمشق يجول ويظهر دون ما حرج. ومما ذكره عدنان أن الإفرنسيين الأحرار أنشأوا في بيروت مفوضية إفرنسية تابعة لحركتهم بديلة عن المفوضية السابقة التي كانت خاضعة لحكومة فيشي، وصار كاترو بمثابة المفوض السامي لهذه الحركة في سورية ولبنان. وأن كثيراً من الموظفين الإفرنسيين التابعين للمفوضية السابقة ودوائرها انضموا ولاءاً لحركة فرنسة الحرة واحتفظوا بوظائفهم. وأن مستشار الداخلية في حكومة دمشق (كوفنو) وقائد الدرك في دمشق (كويتو) ومدير الأمن

العام الإفرنسي (يلبسه) في دمشق، ما يزالون يمارسون مهماتهم الرسمية بالإضافة إلى موظفين إفرنسيين عديدين في الدوائر الأخرى، وأن كاترو وديغول مهتمان اهتماماً جدياً لتثبيت وضع فرنسة الحرة في سورية ولبنان، مع محاولتهما إقامة حكومتين وطنيتين تتمتعان بصفة الإستقلال والشرعية للتفاوض ثم التعاهد معها، وأنهما يتصلان بالبارزين من رجال البلاد ويتباحثان معهم حول هذه المسائل وطريقة الوصول إلى حل مرضٍ لها، وأن هذا الإهتمام منهما هو اغتنام لفرصة ما يظهره الإنكليز من احترام لمركز فرنسة في البلاد، وما يعلنونه من أن لا طمع لهم منها، وأن فرنسة هي التي ستظل صاحبة العلاقة فيها، حيث يتحسبان من تبدل المواقف والظروف وضياع الفرصة، وحيث يريان أن خير طريق لاستعادة الفرصة توثيق مركز فرنسة في البلاد بعقود بين فرنسة الحرة الممثلة لفرنسة وبين أهلها بصورة شرعية، فيكون بذلك علاقتهم أو مركزهم شرعياً دولياً قائمين على تعاقد حر بينهم وبين أهل البلاد.

ومما قاله لنا عدنان أنه جرى بحث في صدد تأليف الطرف السوري المفاوض، واقترح فيما اقترح أن يتألف من رؤساء الحكومات التي تعاقبت على البلاد منذ بدء الاحتلال ومن رؤساء المجالس النيابية والتمثيلية التي قامت منذ ذلك البدء، على اعتبار أن كلًا من هؤلاء يمثل فكرة أو موقفاً، وأن جميل مردم قدم بمفرده بعض المذكرات إلى الجهات الإفرنسية والإنكليزية تتضمن بعض المقترحات والحلول لهذه النقطة، وأن شكري القوتلي عاتبه على ذلك وقال له أنه وإن يكن قدم ما قدم باسمه فإنه لن يفهم منه إلّا أنه يعبر عن رأي الكتلة الوطنية، وكانت مشادة بين الرجلين بسبب ذلك..

ما ذكره عن دعاية الأمير عبد الله في صدد سورية الكبرى:

ومما قاله عدنان أن للأمير عبد الله في سورية دعاية يغذيها بالمال من أجل قيام سورية الكبرى من سورية وشرق الأردن تحت تاجه، وأن الإنكليز سئلوا في سياق ذلك عن وضع فلسطين فقالوا أنهم لن يسعهم زيادة شيء على السياسة التي أعلنوها في الكتاب الأبيض، لأن كل حركة أكثر من ذلك تثير غضب اليهودية العالمية أكثر، في حين أن الحاجة شديدة إلى تعضيد هذه اليهودية العالمية وبخاصة في أمريكا، حتى يخطو رئيسها خطوات أشد جرأة في تعضيد الحلفاء، وأن الإنكليز قالوا إلى هذا أنهم مستعدون لتشجيع عقد حلف يضم العراق وسورية ومصر، وتشجيع الإفرنسيين على الإسراع في إقامة كيان جديد في سورية للدخول حالًا في مفاوضات في سبيل قيام هذا الحلف. ومما ذكره عدنان أن هناك كذلك أبحاثاً حول وضع لبنان من الأحداث المقبلة، وعدم جواز وإمكان بقاء سورية ولبنان منفردين عن بعضهما، وأن المقامات المسيحية متمسكة بالإحتفاظ بالكيان اللبناني المستقل مع استعدادها للتساهل في قيام وحدة إقتصادية بين القطرين.

ما ذكره من اجتماع ديغول بهاشم الأتاسي، وما جرى بينهما:

وذكر لنا أن الجنرال ديغول دعا هاشم الأتاسي إلى غداء في شتورا وتحدث معه في هذه الأمور، وأن الجنرال كاترو اقترح إرسال كتاب إليه يخبره به أن استقالته لم تعرض على الطرف الإفرنسي، وأنه يعتبرها كأن لم تقع تمهيداً لرجوعه إلى الرئاسة وتشكيله حكومة

جديدة فلم يقبل هاشم بهذا الاقتراح، واقترح أن يلغى قرار وقف المجلس النيابي الدستوري فيدعى المجلس الى الاجتماع وتعرض عليه الاستقالة، فإما أن يرفضها ويطلب من الرئيس الإستمرار في منصبه، وإما أن يقبلها وينتخب رئيساً جديداً، ويكون ذلك هو الموافق للدستور والشرعية، ولا يكون للطرف الإفرنسي تدخل غير دستوري. وأن ديغول أبدى استعداده لقبول هذا الإقتراح، وأن هاشم بيّن أن سورية ولبنان لا يمكن ولا يصح أن يعيشا منفردين وان ما كان من سياسة الفصل لا يستند إلى مصلحة البلاد الحقيقية، وأن الجنرال وافق أيضاً على هذه النقطة وأظهر استعداداً للموافقة على قيام اتحاد فدرالي بين القطرين يشمل الشؤون السياسية والعسكرية والإقتصادية، وأظهر كذلك استعداده لقبول إلغاء المادة (116) من الدستور، التي وضعت لتحديد صلاحية الحكومة الوطنية في النشاط الخارجي ريثما يتم عقد المعاهدة وتصديقها، وكذلك لاعتبار مدة فترة الإنتقال التي عينت في المعاهدة قد انقضت لتتمتع الحكومة الوطنية السورية بصلاحياتها الخارجية والسياسية كاملة، وملخص ذلك أن الطرف الإفرنسي يبدي استعداداً للموافقة على كل اقتراح من جانب الوطنيين تشجيعاً لهم على قبولهم استلام الحكم وتقدمهم للتعاقد معهم.

موقف شكري القوتلي الذي استقطب الزعامة السورية في هذا الظرف:

وقد فهمنا من عدنان أن الإتصال بين شكري القوتلي (الذي استقطب الآن الزعامة السورية تقريباً)، وبين هاشم قائم وأن من المحتمل أن تخطى خطوة عملية في أيام قليلة، أي في أواخر آب أو أوائل أيلول، وأن هناك فكرة ببقاء شكري خارج الحكم فيتولى رئاسة مجلس النواب وتسند الوزارة الى فارس الخوري كما ان هناك فكرة مقبولة من الأوساط الوطنية وهي قيام وضع شرعي على أساس الدستور يكسب البلاد صبغة استقلالية شرعية على أن يتجنب التعاقد مع السلطات الموجودة والتخطيط في ذلك، ريثما تنجلي أمور الدنيا وظروف الحرب. وتناقشنا نحن الموجودين في الآستانة في الموقف، وتبين لنا أنه قد يكون لقيام وضع شرعي على أساس الدستور فوائد لأنه يجعل للبلد كيان استقلال شرعي يستطاع به مواجهة الأحداث العالمية بصورة ملائمة أكثر للمصلحة العربية، وأن هذا خير من مواجهة هذه الأحداث، وليس في سورية مثل هذا الوضع، حيث لا يرتفع لها صوت رسمي شرعي، وحيث يمكن أن تكون موضوع مساومة لا يكون لصوتها فيه صدى وأثر، غير أننا أخذنا نتساءل عن قيمة هذا الوضع في ظل إحتلال عسكري شامل وقوي، وعما إذا كان يمكن للحكومة الوطنية الدستورية، أن تتفلّت من ضغط السلطات المحتلة في صدد ما تطلبه من تعاون معها في الحركة الحربية والدفاعية في البلاد إذا ما جاء دور معركة الشرق، أو في صدد ما تطلبه من عقد معاهدة جديدة، ومن ما يمكن أن يفكر فيه الإفرنسيون من قيود وشروط لتثبيت مركزهم، وأنه ليس من المستبعد أن يكون في الحكومة الجديدة من يكون لينا مسايراً كثيراً، فتكون مناورات ومؤامرات كما وقع في عهد الحكومة الوطنية في عهد جميل مردم. كما أنه ليس من المستبعد إذا أرادت الحكومة الوطنية الوقوف موقف الصلابة والتحفظ أن تقال أو أن تشجع ضدها حركة تنتهي بحملها على الإستقالة كما كان الأمر في عهد جميل وبعده، ويؤتى حينئذ بحكومة تستفيد

من إسم الوضع الشرعي فتساير السلطات المحتلة في طلباتها وتستجيب إلى مقترحاتها. وأن ما سوف يجري في البلاد من استغلال مرافق وحركة تطوع وتعاون في دور معركة الشرق والاستعداد لها، لا يمكن أن يفسر من جانب دول المحور إلا بكونه واقعاً برضاء الحكومة الوطنية وتفاهم معها، وأن هذا قد يكون له أثر وخطر في حالة انتهاء الحرب في جانب هذه الدول التي لا تزال رياح النصر تهب مع سفنها، لأن هذه الدول لا يمكن أن تعذر أهل البلاد وترضى عن ما يكون قد قام بينهم وبين السلطات الإفرنسية من تعاون مهما كان مداه، لأنها تعتبر ذلك عنواناً لتفاهم بينهم وزوال ما كان من تجهم وجفاء منذ عشرين عاماً.

ولقد خطر ببال بعضنا أن يقاس الوضع على وضع العراق ومصر، غير أن هذا بدا غير صحيح، لأن العراق ومصر مرتبطان بعهود سابقة على الحرب، وبحالة راهنة معروفة يمكن الاعتذار بها، في حين أن ما سيكون في سورية سيكون حديثاً ولا يمكن أن يكون الاعتذار عنه مقبولاً ومعقولاً، ولا سيما أن فرنسة قد أعلنت نكثها للعهد وتراجعها عن المعاهدة. واشتد التوتر من جديد بينها وبين أهل البلاد، وكان رأينا على كل حال أن يظل إخواننا الأقوياء كهاشم وشكري بعيدين عن الإندماج في الرواية الجديدة، وأن يتركوا لغيرهم باب الإندماج مفتوحاً إذا لم يكن مناص منه، فيكون في موقفهم بعض القوة للبلاد وروحها الوطني، ويكونون بمثابة مراقبين على المندمجين حتى لا يتورطوا إلا في ما لا صلاح فيه وما فيه تفريط وضرر واندفاع. وقد طلبنا من عدنان حينما اعتزم العودة إلى سورية بعد قضاءه ثلاثة أسابيع في الآستانة بأن يحمل رأينا هذا ويبلغه لإخواننا، وأكدت عليه أنا بصورة خاصة بالنسبة لوالده وما في بقائه خارج الرواية من فائدة وقوة للحركة الوطنية والروح الوطنية ومستقبل الظروف وتطورها، وإذا كان من فائدة لقيام وضع شرعي حصلت هذه الفائدة على يد فريق آخر ولم تضع الفرصة على البلاد، وإذا انتهت ظروف الحرب ضد السلطات القائمة كان في بقاء الوطنيين الأقوياء الذين مثلوا روح الأمة وكفاحها فوائد قومية واضحة.

9 ـ انتداب كاترو الشيخ تاج لرئاسة الجمهورية والتعليق عليه:

ولقد كان المنتظر حسب ما قال عدنان الأتاسي أن تكون الخطوات العملية قريبة، ولكنه مر على عودته أسبوعان ولم يظهر شيء، ثم جاء قادمون من سورية فقالوا أن المفاوضات لا تزال متواصلة، وأن الإفرنسيين يطلبون من هاشم الأتاسي أن يتعاون مع حقي العظم والشيخ تاج الدين الحسني وجميل مردم، وأنه امتنع عن الإجابة للطلب، فانقطعت الاتصالات معه وعاد هو إلى عمان وبعد إقامة مدة في سورية بسبيل الاتصالات، ثم جاءت جرائد سورية فعلمنا منها أن هاشم عاد إلى دمشق وأن الجنرال كاترو جاء إليه أيضاً، وأن الإتصالات عادت. وفي 18 أيلول 1941 أذاع الراديو أن الجنرال كاترو انتدب الشيخ تاج لرئاسة الجمهورية فقبل وكلفه بمباشرة مهمته وصلاحياته المعينة في الدستور وتشكيل حكومة جديدة.

أعضاء الحكومة التي ألفها الشيخ التاج والتعليق عليهم:

وبعد يومين أذاع الراديو أن الشيخ كلف

حسن الحكيم برئاسة الوزارة، وأن هذا قبل التكليف وألف وزارته من عبد الغفار الأطرش ومنير العباس ومحمد العايش وفائز الخوري وحكمة الحراكي وبهيج الخطيب وزكي الخطيب وفيضي الأتاسي، حيث يظهر أن الجهة الإفرنسية كانت أرادت في النهاية أن يقوم بالدور الجديد شخصيات تركن إليهم من ناحية الميول والتجربة وعدم التطرف الوطني. ولقد كان الشيخ تاج قد ذهب إلى باريس عقب استقالته من رئاسة الوزارة نتيجة لإضراب دمشق الطويل سنة 1935، وجنوح المفوض السامي الكونت دو مارتيل إلى التفاهم مع الكتلة الوطنية، ذلك التفاهم الذي نتجت عنه المعاهدة والحكم الوطني في سنة 1936، وقد ظل في باريس إلى أوائل سنة 1941 ورجع في أثناء إضراب دمشق الطويل الذي انتهى باستقالته حكومة بهيج الخطيب وقيام وزارة خالد العظم وانفراج الحالة بعض الإنفراج.

وقد خطر لبالنا آنئذ ونحن في دمشق أنه عاد بإشارة من الإفرنسيين لعله يستطيع مساعدتهم في تهدئة الحالة وإيجاد حلول ملائمة لها، أو القيام بدور ما في ظروف التوتر القائمة في البلاد. وقد شعرنا ونحن في دمشق أنه أخذ ينشط في المسار الذي أراده منه الإفرنسيون، وأن بعض أوليائه وأوليائهم نشطوا لإقامة ولائم استقبالات له لأجل إبرازه كزعيم قوي، مما حاول إخواننا في الكتلة الوقوف أمامه. وبهيج الخطيب لا يقل عن الشيخ التصاقاً بالإفرنسيين وخدمة لأفكارهم، وتاريخه الموبوء في رئاسة الحكومة في السنتين الأخيرتين معروف، وعداؤه والشيخ تاج للوطنيين مكشوف ومعروف، وعبد الغفار الأطرش صاحب المواقف العلنية والتاريخ الطويل في ممالأة الإفرنسيين وسيره حسب ايحاءاتهم، وكان من أقوى المعطلين لوحدة الجبل بسورية. ومثله منير العباس في منطقة اللاذقية. أما الباقون فليس عليهم على ما نعلم صلة ولاء قوية بالإفرنسيين، ولقد كان زكي الخطيب وحسن الحكيم من معارضي الكتلة الوطنية، سواء حينما فاوضت الإفرنسيين وعقدت معهم المعاهدة أو انسجمت معهم في أوائل عهد الإستقلال في جبهة واحدة مع الشهبندر.

ويظهر أن كون العهد الجديد برئاسة الشيخ تاج كان بالنسبة اليهم معارضاً للكتلة أو ضدها، فجعلهما هذا يدخلان في الوزارة، وهو موقف غير سليم وطنياً على كل حال. وفيضي الأتاسي كان متنافراً مع هاشم وضده، وهو ذو مطمح ودعوى، فكان ذلك مما جعله هو الآخر يدخل في الوزارة على ما بدا لنا. والذي أثار استغرابنا دخول محمد العايش وحكمة الحراكي، فهما وطنيان متعاطفان مع الكتلة، وهما زعيمان في بلديهما. والظاهر أن مصلحتهما الخاصة ساقتهما إلى الدخول، والمطامع والمناصب تذل أعناق الرجال.

10 ـ إستمرار الإفرنسيين في ذهنيتهم الإستعمارية القديمة:

وتشكيلة الحكومة من ناحية أخرى تدل أولاً على أن الإفرنسيين لم يغيروا ذهنيتهم وسوء تصرفاتهم، وأنهم ما زالوا يسيرون على خطتهم في اللعب بسورية وإضعاف مقوماتها لتظل في يدهم لعبة إستعمارية، وثانياً على أنهم يقفون الآن موقفاً عدائياً صريحاً من الكتلة الوطنية ويسلمون مقاليد الحكم لأعدائها الذين هم مستعدون ليكونوا مطية لأغراضهم وخططهم

دون عصمة من ضمير وشرف وطني. وثالثاً على أن الإستقلال الذي طبلوا وزمروا في وعدهم به ولد كاذباً مزيفاً، وانطبع الوضع الذي خلقوه بطابع بعيد عن الوضع الشرعي الدستوري الذي أظهروا إستعدادهم للموافقة على وجوده، وقيامه. وبئساً لإستقلال يقوم على أساس تعيين رئيس جمهورية من قبل الجنرال كاترو، أو يسند فيه الحكم إلى هذه الفئة التي لن تكون إلا العوبة في يدهم وواسطة كبت للوطنيين. وقد كان فاتحة عهد حكومة الشيخ تاج إعلانها، على ما روته برقيات الأخبار، بأن سورية ستحارب إلى جانب الحلفاء، وهو الأمر الذي حسبنا أن السلطات المحتلة الجديدة ستطلبه، وكنا نخشى أن يسند الحكم إلى الكتلة الوطنية فلا يكون أمامها إلا الاستجابة أو الاستقالة أو الإصطدام بالسلطات والإقالة.

ونحسب أن حالة إخواننا الوطنيين ستكون حرجة مع هذه الحكومة التي قد لا تتورع عن تدبير المؤامرات ضدهم، وقد شهدنا كيف كان بهيج الخطيب يحيك المؤامرات ضدهم ويشجع عليها ويسعى لإنزال الأذى في إخواننا وفي مقدمتهم شكري في سياق حادثة إغتيال الشهبندر والتأثير على المتهمين بسبيل ذلك، وقد بلغنا اليوم 27 أيلول 1941 خبر حركة اعتقالات واسعة في سورية ولبنان، ومعنى هذا أن السكوت الذي التزمه المحتلون الجدد في الشهرين السابقين وعدم تعقبهم لمن لهم ميول ضدهم أو لهم ميول لدول المحور، إنما كان مؤقتاً وحتى يتمكنوا في البلاد ويسبروا غورها، وحتى يتيسر الأذى بإحكام من جهة، وعلى أيدي أناس ينتسبون إلى الوطن من جهة ثانية.

11 ـ تعليقنا على صواب بقاء الوطنيين خارج الحكم وصوابه في حالة انتصار المحور:

ومهما يكن من أمر فنحن لم نغضب من هذه الخطة التي سار عليها الإفرنسيون الديغوليون في تشكيل الحكومة من وجهة نظر المصلحة العامة الآجلة والعاجلة، لأننا نعرف أنها رواية هزلية كنا نخاف من أن يضعف إخواننا الوطنيون ويندمجوا فيها، فيكون اندماجهم مضعفاً لهم ومضعفاً للروح الوطنية معاً، وبادرة لاعترافهم بالوضع الحاضر وتعاونهم مع السلطات المحتلة الجديدة، وقد يكون كل هذا حجة لدول المحور ضد سورية في حال انتصارها. ولسنا ندري العوامل الحقيقية التي أدت إلى نفض هاشم الأتاسي ورفاقه من رجال الكتلة أيديهم من الأمر، ونفض الإفرنسيين أيديهم منهم بالمقابل. والأخبار التي وصلت الينا كانت تدل على أن الإتصال بين الفريقين مستمر والإستعداد من جانب الإفرنسيين لقبول الإقتراحات لهاشم ورفاقه على رأس الوضع، وهو ما لم نكن نريده لهم، وجعلنا نطلب من عدنان أن يبلغ والده عدم التورط فيه. والراجح أن لشكري القوتلي يداً في هذا الموقف، فقد كنا تحدثنا معاً حينما كنت في دمشق فيما يمكن أن يدعو إليه المحتلون الجدد، وتفاهمنا على أن يبقى هو في معزل عن ذلك، وأبدى عزمه على ذلك مهما كلفه الأمر. هذا مع القيد أني لا أستبعد أن يكون الإفرنسيون قد ساعدوا على هذا الموقف بما طرحوه من مطالب يمكن أن تدل على سوء نيتهم والرغبة في الاحتفاظ بذهنيتهم القديمة.

12 ـ موقف للشيخ كامل القصاب :

ومما بلغنا أن الشيخ كامل القصاب كان نشيطاً متحركاً في هذه المرحلة، وأنه كان متعاوناً مع زكي الخطيب في الإتصال بالإفرنسيين، وأنه تفاهم مع الشيخ تاج، وأن ذلك كان اندفاعا منه بخطته التي سار عليها في مناوأة الكتلة، فإذا صح هذا فيكون قد كشف عن هوى وضعف يبعثان على الأسف والألم. وقد تذكرت في هذه المناسبة كلمة قالها لي مجاهد فلسطيني كان يتصل به في أثناء وجوده في حيفا، حيث كان رأى منه أولاً حماساً وطنياً وعداء شديداً للإنكليز، ثم رأى تبدلاً منه في ذلك، فقال: «ليته مات قبل خمس سنين حيث كان ذلك أستر له وظل يعد من الصالحين الأبرار».

13 ـ خلاصة نصوص المكاتبات بين كاترو والشيخ تاج وخالد العظم :

ولقد وصلت إلينا بعض الصحف السورية فقرأنا فيها نص كتاب كاترو للشيخ تاج ونص جواب الشيخ، وقد جاء في كتاب كاترو تذكير للسوريين بوعده لهم بالإستقلال والسيادة، ثم قال أن وقت ذلك قد جاء، وأنه اتصل بالناس واستكشف الرأي العام السوري، وأنه نزولاً على هذا الرأي العام وجد أن الشيخ تاج هو الشخصية التي تستطيع أن تضطلع بأعباء الدور الجديد على أساس معاهدة تعقد بين فرنسة وسورية، ولذلك كلفه بالقيام بمهمة رئيس الجمهورية ومنحه صلاحيتها، ويطلب منه أن يؤلف حكومة تستلم زمام الحكم، وجاء في جواب الشيخ أنه رغبة في خدمة وطنه وتشييد عهد استقلال وسيادة، قبل المهمة شاكراً لكاترو عواطفه، ومحيياً الحلفاء الكرام، وداعياً لحياة سورية الحرة المستقلة، وفي الصحف نص بيان أذاعه الشيخ للشعب جاء فيه أن البلاد دخلت في دور استقلالها وسيادتها، وأنه خدمة لوطنه واعتماداً على تعضيد أبنائه قبل المهمة، مبشراً بأن الحكومة سوف تضم شخصيات معروفة بإخلاصها ووطنيتها طالباً من الشعب تناسي الأحقاد والعمل يداً واحدة لإنجاح الدور. ونذكر أن بعض أركان حكومته من العريقين في موالاة الإنتداب الإفرنسي وتنفيذ رغباته وخططه.

وفي الصحف أيضاً نص كتاب من كاترو لخالد العظم جواباً على ما يبدو لكتاب الإستقالة الذي أرسله إليه، وجاء فيه أنه يجيبه إلى طلبه بقبول إستقالته التي كان رجاه سابقاً بتأخيرها، منوهاً بما قدم من خدمات في بقائه في الحكم في أوائل عهد الإحتلال وعدم فتحه باب مشكلة فراغ البلاد من حكومة في ذلك العهد الذي كان غير صالح لإقامة حكومة جديدة صلاحاً كافياً. ومما فهمناه من الصحف أن السلطات المحتلة منعت نشر نص كتاب خالد الذي كان كتاب كاترو جواباً له، حيث يمكن أن يكون فيه بعض غمزات انتقادات أو آراء في إقامة الوضع تستمد من دستور الأمة وشرعيتها. ونذكر في هذه المناسبة أن خالد العظم كان على صلة حميمة مع المفوض السامي السابق دانز. وكان هذا مال إليه وشجعه، فلما تم احتلال سورية وزار كاترو دمشق مع ديغول ألقى خطاباً، ذكر فيه أن السلطات السابقة وعلى رأسهم المفوض السامي كانت ترغب في المقاومة في الشام، مما كان يؤدي إلى تخريب دمشق، وهذا موقف سليم ووطني.

14 ـ حفلة لكاترو في دمشق وبيان للجنرال ديغول عن استقلال سورية :

وقد أذاعت محطة إذاعة القدس في أواخر أيلول خبر حفلة كبرى أقيمت في دمشق تلي فيها بيان من الجنرال كاترو بإعلان استقلال سورية، وشهد الحفلة قناصل الدول وكبار الإفرنسيين والإنكليز المحتلين، واعتبر ذلك اليوم يوم عيد رسمي لاستقلال سورية بدلاً من عيدها الذي كان يعيّد فيه بذكرى إعلان ملكية فيصل. ولم نطلع بعد على نص بيان كاترو، ولكن الصحف التركية ذكرت أنه يقيد الإستقلال الممنوح ببعض قيود اقتضتها ظروف الحرب فقط ولمدة مؤقتة.

15 ـ لم يعلن الإفرنسيون شيئاً عن استقلال لبنان :

والغريب أن الإفرنسيين مع أنهم اعتادوا أن يعملوا للبنان كل ما يعملونه لسورية من خطوات وتطويرات سياسية، فإنهم لم يعملوا له إلى الآن شيئاً مما عملوه لسورية.

16 ـ بيان من حكومة فيشي بعدم اعترافها بما حدث في سورية ولبنان :

ومما يحسن تسجيله أن حكومة فيشي أعلنت أنها لا تعترف بكل حدث يقع في سورية ولبنان، وأنها ما زالت تعتبر نفسها صاحبة الحقوق والمركز فيها، وأنها احتفظت بعنوان الجنرال دانز وهو المفوض السامي الإفرنسي في لبنان وسورية، وهذا الحرص الشديد على سورية ولبنان من قبل الإفرنسيين الفيشيين والديغوليين على السواء يجعلنا نخشى العاقبة حتى في حال انتصار المحور.

17 ـ المفاوضات بين الألمان وحكومة فيشي للتعاون ومدى تأثير ذلك في مستقبل سورية ولبنان :

وهذه الخشية من ناحية الفيشيين آتية مما يجري بينهم وبين الألمان من مفاوضات للصلح والتضامن، ومن احتمال الحصول على موافقتهم على استمرار مركزهم، وما يدعونه من حقوق في سورية ولبنان. والصحف تردد منذ أمد أخبار هذه المفاوضات، وتذكر أن الألمان يعدون حكومة فيشي باحتفاظها بجميع المستعمرات الإفرنسية مقابل موافقتها على الصلح والتعاون مع تسليم الأسطول الإفرنسي المتعاون معها لهم، أو تشغيله في الحرب معهم، والسماح لهم باستعمال موانىء وأراضي أفريقية الإفرنسية وشمال افريقية العربي الذي هو تحت الهيمنة الإفرنسية، وإشراك بعض فرق عسكرية في هذه المناطق في الحركات الحربية، وأن المفاوضات قطعت شوطاً كبيراً، وأن مواد معاهدة الصلح قد وضعت ولم يبق إلا النظرة الأخيرة عليها وتوقيعها.

ومهما يكن من إعلان الألمان عطفهم على القضايا العربية واستعدادهم لمساعدة العرب على الاستقلال والوحدة وخاصة بالنسبة لسورية والعراق وفلسطين، بل ومهما يكن من احتمال صدقهم في إعلانهم فإننا نظن أنهم لن يبخلوا على حكومة فيشي بوعد بإبقاء علاقتهم ومركزهم في سورية ولبنان قائمين مقابل المساعدات التي يطلبونها منها، والتي قد تؤثر تأثيراً كبيراً في مجرى الحرب والنصر.

ونذكر حادثاً قد يكون مثالاً مخيفاً، فإن الحكومة العراقية الإنقلابية (حكومة رشيد عالي) حينما بدأت بالمفاوضة مع السفير الألماني في أثناء الحرب الإنكليزية العراقية، وأرادت أن تأخذ من الألمان عهداً أو وعداً باستقلال سورية وتوحيدها مع العراق قال لها السفير الألماني أن موقف فرنسة في الدفاع عن سورية والمناسبات القائمة بين ألمانيا وفرنسة (الفيشية) والتي هي ملائمة لظروف الحرب والدفاع، تجعل الألمان يرون من المصلحة أن لا يغضبوها بالتعرض لذكر سورية بصراحة، وأنهم يفضلون بقاء ذلك مسكوتاً عنه. فإذا كان الألمان تجنبوا إغضاب فرنسة ولم يكن لها إلا موقف دفاع شكلي ضد الغزو الإنكليزي الديغولي الذي لا أمل في نتيجة مجدية له، وبالتالي الذي ليس له تأثير على الحرب العامة، وأنهم سوف يبحثون من باب أولى ذلك في مجال تطور موقف فرنسة الفيشية وصيرورته ذا تأثير حاسم في هذه الحرب، وبقاء أي علاقة لفرنسة بسورية يعني بقاء القضية العربية معقدة بعيدة عن الحل الحاسم وخاصة سورية والعراق، لأن أكثر ثغرة في هذه القضية هي تقسيم سورية الطبيعية إلى حكومات ومناطق متنوعة الحكم. ولا نريد أن نسهب في خشيتنا في حال انتصار الإنكليز، لأن هذه الخشية ليست ظنية بل هي يقينية. فالإنكليز لن يبدلوا سياستهم في البلاد العربية لأحسن، وسوف يبقون سورية مجزأة، وتصبح هذه الأجزاء مع العراق تحت سيطرتهم بقوة وشدة أكثر، لا سيما أنهم أحسوا بعداء العرب لهم وحقدهم عليهم، وفي انتصارهم انتصار للقضية اليهودية التي هي الشوكة الإنكليزية الكبرى في جسم العرب، والتي سوف تظل تعمل بكل قوتها على بقاء العرب ضعفاء وبلادهم مجزأة لتتمكن من تحقيق مطامعها التوسعية التي سيقويها انتصار الإنكليز، وما يكون اليهود قدموه للحلفاء من خدمات ومساعدات أثناء الحرب سيكون لها أثر في ذلك.

18 ـ دعايات إنكليزية عن نشاط الألمان في إيران ومداها وهدفها:

في أوائل شهر أيلول بل وقبله، أخذت الصحف والإذاعات الإنكليزية تشير إلى نشاط الألمان وكثرة عددهم في إيران، وتقول إن ذلك مما يهدد مصالح وأمن بريطانيا، ثم قدمت كل من الحكومتين الإنكليزية والروسية مذكرات للحكومة الإيرانية طلبت فيها إخراج الألمان، وردت هذه الحكومة على ذلك قائلة أنه ليس في إيران عدد كبير من الألمان، وليس لهم نشاط خطر، وهي مستعدة لمراقبتهم في بلادها، ولم ترض الحكومتان عن هذا الجواب، وأرسلتا مذكرات أخرى، واشتدت حملات الصحف والإذاعات الإنكليزية مطالبة الحكومة بعمل جدي في هذا الصدد. والمراقبون الحياديون يرون أن الدعوى الإنكليزية الروسية غير صحيحة، وأنها ستار لستر أهدافهما الحربية في بلاد إيران. وكان قد مر على الحرب الروسية الألمانية نحو شهرين، تقدم الألمان فيهما تقدماً كبيراً بعد نجاحهم في اختراق خط ستالين، حيث استولوا على نقاط ومدن مهمة، وتقدموا في شمال وجنوب روسيا لمسافات كبيرة، حتى أنهم حاصروا في الجنوب أوديسا وفي الشمال لينغراد، الأمر الذي اقضى مضاجع الإنكليز بعد أن تنفسوا الصعداء حينما انتقض العهد بين الألمان والروس وقامت بينهما حالة الحرب،

حيث وجدوا في انشغال الألمان بالروس فرصة لتقوية أنفسهم بشيء من الطمأنينة وبارقة أمل في النصر على الألمان في النهاية، وقد جعلهم هذا يقررون التضامن والتعاون مع الروس بقوة وجد، ويحملون الولايات المتحدة بزعامة روزفلت على مشاركتهم في ذلك، وقد استجاب هذا وفتح اعتمادات واسعة للروس، وصار يمدهم بالتجهيزات الحربية المتنوعة، وكانت العقبة الكأداء الطريق التي يمكن أن يصل المدد منها بسرعة وطمأنينة إلى الروس، وكانت طريق شمال أوروبا تحت سيطرة الألمان، وطريق شمال شرقي آسية تحت سيطرة اليابان المتعاطفة ثم المتحالفة مع الألمان، عدا كونها طويلة جداً. فرأوا أن أحسن طريق وأقربه وأضمنه هو طريق بحر الهند فخليج البصرة فإيران المتاخمة للروس، فاتفق شرشل وروزفلت على احتلال إيران في الاجتماع الذي عقداه في البحر لتأمين هذه الطريق، وخلق الإنكليز حجة وجود الألمان ونشاطهم وخطرهم لتكون ستار للناس، ولئلا يقال أنهم يفعلون ما يفعله الألمان لتأمين أغراضهم وخططهم الحربية، وقد اتخذوا هذا تكأة لدعايتهم الألمان وتخويف البشرية منهم.

19 ـ خطوة إنكليزية في الزحف على إيران لتأمين المساعدة للروس ونجاحها ورضوخ الشاه:

وقد خطا الإنكليز والروس خطوتهم الحاسمة، فأنذروا إيران بأنهم لن يصبروا، وأنها إذا لم تطرد الألمان فسوف يضطرون إلى اتخاذ التدابير التي تضمن لهم السلامة والطمأنينة، مع إعلانهم استعدادهم لتقديم الضمانات بأنهم ليس لهم أي مطمع في البلاد الإيرانية وضمان استقلالها وحدودها. ولقد ردت إيران على الحكومتين وأفهمتهما بالمبالغة وقصد العدوان، وأعلنت أنها ستدافع عن بلادها وشرفها. ولم يكن لهذا الجواب أي تأثير على العزيمة، حيث زحفت قوات إنكليزية من ثلاث نقاط من جنوب وشرق إيران، وزحفت قوات روسية من نقطتين من الشمال، وكانت مقاومة ولكنها بدت ضعيفة منذ بدئها. وكان الزحف الإنكليزي الروسي غير قاسٍ وغير دامٍ ومترافقاً بنشرات تلقى من الطيارات فيها تطمين للأهالي وتهدئة لروعهم؛ ولم يلبث الشاه الذي بدا متحمساً للدفاع أن انقلب فحمل وزارته على الإستقالة وأتى بوزارة معروفة الميول للإنكليز، فأعلنت أن الشاه حباً بالسلم وضمانة للبلاد من الدمار والدماء وافق على صدور الأمر بالكف عن المقاومة، واستغرب الناس هذا الإنقلاب دون أية محاولة جادة في المقاومة والدفاع. وكان الإنكليز والروس قالوا أن إيران إذا كفت عن المقاومة فإنهم سوف يتفقون حيث وصلوا ويحلون الخلاف بالمفاوضات، ولكنهم لم يفوا بما قالوا وظلوا يتقدمون حتى أمّنوا الإتصال بين القوات الروسية والإنكليزية، ثم عقدوا هدنة مع إيران على أن يكون من حقهم إخراج أو اعتقال الرعايا الألمان والطليان واستعمال طرق المواصلات وحمايتها، وطلب تعاون الإيرانيين في هذا الشأن.

وهكذا أظهرت الأغراض الحربية التي استهدفها الإنكليز والروس، وظهر أن احتجاجهم بوجود ونشاط الألمان هو ذريعة وحسب، وظهر هذا أكثر بعد قليل، إذ أخذت الصحف تشير إلى أهمية طريق إيران في إيصال

المدد الحربي إلى روسية، وإلى أهمية آبار البترول في إيران، ومما أدت إليه العملية من ضمان وطمأنينة. وظهرت قيمة الوعود التي وعدها الإنكليز والروس بالكف عن الزحف إذا كف الإيرانيون عن المقاومة، وأجابوهم إلى طلبهم في صدد رعايا الألمان والطليان، حيث ظلوا بعد أن كف الإيرانيون عن المقاومة وتعهدوا بالاستجابة إلى طلبهم، ينتشرون ويتوسعون في احتلال المواقع الحصينة وطرق المواصلات.

وهذا الحادث يبين بوضوح خطأ ما ذهب إليه بعض رجالات العرب والعراق من تخطئة ثورة رشيد عالي والضباط، وقولهم أنها سببت احتلال الإنكليز وهيمنتهم على العراق بأوسع مما كان، وأنه لو سايرهم لما كان ذلك، فقد سايرهم الإيرانيون فلم يقفوا عند حد ولم يصدقوا ويفوا بوعودهم، وليس بينهم وبين الإيرانيين عهد يمكن أن يتوسعوا في تفسيره كما هي الحالة في العراق. وموقف الإنكليز نحو العراق والسيطرة عليه بأوسع مما كان لأغراض حربية، وما كانت المسايرة مجدية، وكان الأمل غير مفقود بالنجاح في إيقافهم وإنقاذ العراق من احتلالهم القديم أيضاً. وإذا كانت الأمور جرت على غير هذا الأمل، فإن هذا لا يغير من صواب ما قلناه.

20 ـ اعتقال الشاه ونفيه:

ومما كان من الروس والإنكليز في إيران بالإضافة إلى ما كان منهم، ملاحقتهم للشاه والضغط عليه إلى حد اضطراره إلى التخلي عن العرش أولاً، ثم اعتقاله وإرساله إلى الهند للإقامة الجبرية. ولقد قيل أن الشاه كان بطاشاً مستبداً طاغية، وأن الإيرانيين تنفسوا الصعداء باحتلال الإنكليز والروس، ووجدوا أنفسهم في طمأنينة يستطيعون معها أن يجهروا ضد الشاه، ويذكروا بطشه وطغيانه ويتظاهروا بالنقمة عليه. ومهما يكن من حقيقة في ذلك بالنسبة للشاه الذي كان فعلاً مستبداً طاغية، واستولى على أملاك طائلة، وكنز ثروات ضخمة نتيجة لذلك، فإن أغراض الإنكليز والروس في ما فعلوه فيه لم تكن عقوبة له على ذلك. وقد أشارت الصحف الإنكليزية إلى السبب الحقيقي، وهو ميوله لدول المحور وعرقلته اقتراحات وزارته الجديدة في تلبية طلبات القوات المحتلة الجديدة.

21 ـ تأثير الحركة في بلاد العرب ودعايات الانكليز أو مدعياتهم:

ومما يجب تسجيله في هذا الصدد ما كان من تأثير العدوان على إيران ومقدماته وخطواته في بلاد الشرق، حيث اضطرب المصريون والأتراك على ما فهمناه من نتف نشرتها الصحف وأذاعتها البرقيات. ولكن استسلام إيران السريع لم يدع مجالاً لقوة ذلك التأثير وسعته. ومما يذكر مع السخرية أن البرقيات الإنكليزية التي أشارت إلى هيجان مصر من العدوان على إيران لم تتورع عن الإشارة إلى أن مذهب المصريين المسلمين مناقض مع مذهب الإيرانيين، وأن بين أصحاب المذاهب المتناقضة أحقاد وضغائن دائمة. وكان هذا على سبيل الدعاية ضد إيران، وحجب العطف من المسلمين السنيين عليها بسبب عدوان الإنكليز والروس عليها. ومما يسجل كذلك مع السخرية البرقيات الإنكليزية التي ذكرت أن إيران تعاني مجاعة وحرماناً وبخاصة السكر والأرز، وأن كميات

كبيرة من ذلك أخذت تشحن من الهند لسد الحاجة الشديدة إليهما، وهذا وذاك دأب الخطط الإستعمارية الإنكليزية التي منها تصوير كون أهم ما يهم أهل البلاد الإسلامية والشرقية بطونها، وحاجات غذائها. وقد كان شيء من هذه الدعاية بالنسبة لسورية ولبنان، ولم نكن قد خرجنا من سورية، وكنا نضحك من ذلك لأنه كذب، وصار عكس بعد الاحتلال الإنكليزي الإفرنسي، حيث وضعت قيود وتحديدات عديدة على الحركة التجارية، وارتفع سعر القمح والخبز ارتفاعاً فاحشاً لأن الإنكليز كانوا يشحنون كميات كبيرة من قمح سورية إلى فلسطين وغيرها.

22 ـ تخوفنا على المفتي وإخوانه في إيران والدعايات الإنكليزية اليهودية ضدهم:

ومنذ أن بدأت الحملة على إيران أخذنا نقلق على مصير المفتي ومن معه من إخواننا الفلسطينيين والعراقيين الذين التجأوا إلى إيران بعد انهيار مقاومة العراق، وازداد قلقنا حينما زحفت الجيوش الإنكليزية على إيران، ثم حينما أخذت الصحف الإنكليزية تتحدث في موضوع رعايا الألمان والطليان وتطلب اعتقالهم، وقد أخذت بعد قليل تذكر المفتي بصراحة وتقول أنه لا يقل خطراً عن الالمان والطليان، وأنه من جملة من يجب اعتقالهم، وقد تنفسنا الصعداء لخبر ذكرته أيضاً وهو عدم وجود المفتي في طهران، واحتمال مغادرته إيران، ولا نعرف إلى الآن أين هو، وقد مضى على احتلال إيران نحو ثلاثة أسابيع أو أكثر. ولقد ذكرت الصحف أن كثيراً من مسلمي العراق وإيران لجأوا إلى الأفغان، وأن الأفغان رحّبوا باللاجئين وطمأنوهم على سلامتهم، ولكنها لم تذكر شيئاً عن المفتي، وقد يكون ما يزال في إيران مختفياً.

23 ـ محاكمة ضباط الثورة العراقية والاحكام عليهم:

ومنذ أن زحفت الجيوش الإنكليزية على إيران أخذت البرقيات تنشر خبر تشكيل محكمة عسكرية في بغداد لمحاكمة ضباط الجيش العراقي الكبار الذين قاموا على رأس العملية العسكرية الإنقلابية ضد العرش، ثم الحربية ضد القوات الإنكليزية، ثم رشيد عالي وأعضاء وزارته، وكان أكثر هؤلاء وأولئك قد غادروا العراق إلى إيران أيضاً، ويظهر أن الإنكليز والوصي قد اطمأنوا إلى أنه صار في الإمكان اعتقالهم ومحاكمتهم، ثم أذيع أن المحكمة العسكرية قد حكمت بالإعدام على رشيد عالي وكل من صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب ومحمود سليمان وفهمي السعيد بالإعدام، وعلى يونس السبعاوي الوزير في حكومة رشيد بالسجن أربعاً وعشرين سنة، وعلى الوزراء الآخرين بالسجن أربع سنين. وقد أذاعت بعض الإذاعات أنهم اعتقلوا في إيران، وذكرت الصحف أن وزراء رشيد عالي طلبوا محاكمتهم أو إعادة محاكمتهم وجاهاً، وأبدوا استعدادهم للمثول أمام المحاكمة، وأذيع كذلك أن السلطات اعتقلت يونس السبعاوي وصلاح الصباغ أثناء محاولتهم الخروج من إيران واجتياز حدودها إلى تركية، وكل هذا كان إذاعات غير مؤكدة.

24 ـ نجاة رشيد عالي ولجوئه إلى تركية :

أما رشيد عالي فقد استطاع أن يخرج من إيران قبل الزحف الإنكليزي ويدخل تركية، وقد سمحت له تركية بذلك بشرط أن يعتبر لاجئاً مقيماً لا يشتغل بالسياسة ولا يخرج من تركية إلى أوروبا وغيرها إلا بإذنها، وقد علمنا بوصوله فزرناه في بيت نزل فيه في ضاحية اسمها (ارن كوى)، وقد أخبرنا بما كان من جهده في دخول تركية وما كان من شروط تركية عليه للسماح له على النحو الذي ذكرناه[1].

25 ـ نجاة المفتي أيضاً وخروجه إلى تركية ثم إلى ألمانيا :

ومما بلغنا أن المفتي بذل جهداً كبيراً مع تركية للسماح له باللجوء إليها، غير أن جهوده لم تثمر، وكان الأتراك يحتجون بأنهم لا يريدون أن يقفوا موقفاً عدائياً نحو الإنكليز في ذلك. ولما دخلت الجيوش الإنكليزية إيران لجأ إلى السفارة اليابانية وظل فيها مختبئاً إلى أن دبرت له السفارة جوازاً ويسرت له التسلل من إيران إلى تركية، وقد جاء إلى الآستانة، وأرسل خبراً لإسحق درويش والشيخ حسن أبي السعود فذهبا ولقياه، وبعد أن أقام يومين في الآستانة تسلل بجوازه إلى البلقان ثم إلى ألمانيا هو الآخر، وقد علمنا بذلك من إسحق، وأبلغنا اعتذار المفتي عن عدم الإجتماع، لأن الموقف حرج دقيق.

26 ـ سير الحرب الروسية الألمانية وتوغل الألمان :

الحرب الروسية الألمانية تسير بشدة وعنف وسرعة، وقد سجل الألمان نجاحاً، حيث توغلوا خلال الأشهر الثلاثة الأولى من ناحية الشمال، فحاصروا لينغراد منذ أول أيلول وما يزالون، متعاونين في ذلك مع الفنلنديين، حيث يحاصرها الألمان من جنوبها وشرقها والفنلنديون شمالها وغربها، وحيث توغلوا من الجنوب فاكتسحوا أوكرانيا العظيمة في معادنها وغلاتها، واستولوا على عاصمتها كييف بحركة حربية أدهشت العالم وجعلت بعض الخبراء العسكريين يقولون أنها أعظم حركة إلتفافية في تاريخ الحروب. ولقد طوقوا بهذه الحركة جيوشاً عظيمة يبلغ عددها مليوناً ونصفاً، فأسروا نصفها وحطموا نصفها الآخر قتلاً وجرحاً وتشريداً. وقد توجهوا في توغلهم إلى الجنوب، فحاصروا ثغر أوديسا العظيم على البحر الأسود. واستمروا في زحفهم على الجنوب من نواحٍ أخرى، فاستولوا على القريم، وهم الآن يهددون القفقاس أو على أبوابه، مستهدفين سد الطريق التي فتحت للروس من إيران لمدهم بالمهمات والعتاد، ولعلهم يستهدفون بذلك إنهاء معركة آسيا الغربية، حيث يأتون من هناك إلى العراق فسورية أيضاً، وحينئذ يهاجمون مصر من أفريقيا ومن آسيا معاً، فتنتهي أمبراطورية بريطانية في الشرق أو الشرق الأدنى على الأقل إذا ما نجحوا في خطتهم.

أما في المناطق الوسطى فإنهم تباطأوا في توغلهم ليطوقوا على ما يظهر روسيا الأوروبية من الشمال والجنوب، ثم يعودوا فيصفوا الوسط، حيث موسكو العاصمة الكبرى، وحيث

---

(1) في ما يأتي تسجيلات أخرى عن ما سمعناه منه وما دار بيننا وبينه من حوار في لقاءات عديدة كانت بيننا وبينه أثناء إقامته في تركية.

الاستعداد العظيم الروسي في منطقتها. ومع ذلك فالناس والصحف، وقد ألفوا سرعة الزحف والبطش الألماني في غرب أوروبا، استغربوا أن تستمر الحرب الروسية الألمانية هذه الشهور الثلاثة ولم تنته بعد. والذي يجعلهم يستغربون ذلك هو ما كان يقال في الصحف الألمانية وغيرها، من أن الألمان كانوا يقدرون لانتصارهم على الروس ستة أسابيع، وأن الذي ظهر من سير الحرب أن روسيا لم تكن ذلك العملاق الفارغ كما كان يدعي الألمان، والذي يهتز لأول لطمة ويقع على الأرض، بل ظهر عملاقاً قوياً مكيناً، وظهر أن الجيوش الروسية مدربة أحسن تدريب، وأن قواتها الميكانيكية من دبابات وطيارات ومصفحات عظيمة في العدد والنوع، وأن الروس يقاتلون بروح قوية ومعنويات عالية، ولم يقع في صفوفهم ولا في بلادهم ما كان يظن أنه يقع، بسبب البنيان الاجتماعي الحاضر، من تخاذل وانحلال. ولقد قاسى الألمان في حربهم معهم أهوالاً، واذا كانوا تغلبوا إلى الآن فإن ذلك يدل على جبروتهم وعظمتهم، وليس على ضعف الروس وقلة استعداداتهم.

خطة الروس التخريبية ومداها:

ولقد عمد الروس إلى طريقة فظيعة، وهي تخريب كل شيء أوشك أن يقع أو تهدد بالوقوع في يد الألمان، فما من مدينة ولا قرية ولا جسر ولا عمارة كبيرة ولا عين ماء ولا مواد غذائية في الأرض أو في المخازن إلا وأشعلت فيها النيران قبل سقوطها، ولم تقع في أيدي الألمان إلا وهي أنقاض أو خراب بلقع، وهذه طريقة لم يرو التاريخ لها مثيلاً، وتدل على ما لدى الروس من عناد وقوة وجبروت وتصميم على التصدي.

ولقد آذت هذه الطريقة الألمان كثيراً، وحرمتهم من فوائد عظيمة اعتادت الجيوش الغازية الإنتفاع بها في زحوفها وحركاتها، وكان ذلك شأنهم في زحفهم وحركاتهم في بولونيا وبلجيكا وهولندا وفرنسة، حتى لقد قيل إنهم عوضوا بما وضعوا أيديهم عليه من ذخائر ومواد متنوعة أخرى جميع ما أنفقوه في زحفهم وحركاتهم في هذه البلاد.

27 ـ اغتباط الانكليز من نشوب الحرب الروسية الألمانية وجهودهم في مساعدة الروس:

ولقد رأى الإنكليز في نشوب الحرب الألمانية الروسية مساعدة هبطت عليهم من السماء، فابتهجوا أعظم ابتهاج، وقد أظهروا كل اهتمام لها وتبنوها، وسارعوا أولاً إلى عقد اتفاق رسمي مع الروس كان بمثابة حلف عسكري، تعهد فيه الفريقان بأن لا يعقد أحدهما صلحاً منفرداً، وسعوا ثانياً في أميركا حتى جعلوا روزفلت يتبنى الحرب الروسية كما تبنوها، ويتعاطف ويتضامن معها ويغدق المساعدات لها، وأخذوا ثالثاً يفكرون جدياً بمدها من جانبهم بالذخائر والمهمات، وقد أرسلوا عدداً كبيراً من الطائرات التي أخذت تقاتل مع الروس، وهم يستعدون استعداداً عظيماً لإرسال مقادير كبيرة من المهمات والذخائر المتنوعة. وكان من أهم الأهداف التي حدتهم إلى الزحف على إيران إيجاد طريق قصير مضمون ترسل منه المساعدات الإنكليزية والأميركية إلى روسية، وكل ما يهتم له الإنكليز والأميركان الآن جعل المقاومة الروسية تمتد أطول مدة ممكنة، تمكنهم من توسيع إنتاجاتهم الحربية

واستعداداتهم العسكرية من جهة، وتزيد في خسائر الألمان وبالتالي تضعفهم في مهماتهم وعددهم وخاصة جنودهم المدربين، وتدخل السأم عليهم من طول الحرب وكثرة خساراتهم المادية فيها من جهة ثانية.

ولقد أدرك الألمان هذا من دون ريب، وما هذا الزحف السريع والتوغل في الجنوب نحو القفقاس إلا مقصد سد الطريق التي فتحت في إيران. ولقد كان يظن أن الشتاء سيكون فترة استجمام للمحاربين، وفرصة للروس خاصة، وخطراً على الألمان، لما هو معروف عن شتاء روسيا الشديد القارس، ولكن الأخبار التي تذاع الآن تدل على أن الحرب لن تقف من جانب الألمان في الشتاء. وبكلمة أخرى إن الألمان لن يعطوا هذه الفرصة للروس والإنكليز، وأنهم قد استعدوا للشتاء وحربه استعداداً عظيماً لعلهم ينجزون ضربتهم قبل أن تؤتي مساعدات الإنكليز والأميركان أكلها للروس، وسنشهد في الأيام الآتية ما سوف يكون من الألمان، ويقال الآن أنهم لن يلبثوا حتى يزحفوا على القفقاس ثم على إيران فالعراق فسورية الخ..

صراع عنيف في الدعايات والجهود بين الألمان والإنكليز:

ونلمس الآن صراعاً عنيفاً بين الإنكليز والألمان، فالأولون لا يدعون وسيلة من وسائل الكيد والدعاية ضد الألمان إلا اتخذوها، ويطلقون على جبهتهم إسم الحلفاء وليس فيها غيرهم. وكان هذا قبل نشوب الحرب الروسية الألمانية، ويذكرون في جبهتهم اليونانيين والبولونيين والتشيكيين والبلجيكيين والهولنديين والدانماركيين والنرويجيين والإفرنسيين والصربين، وكلهم مهزومون وبلادهم محتلة.

ولقد حرضوا تنظيمات وطنية من هذه الشعوب على تشكيل حكومات منفى لهم تقيم عندهم وتنشط في نطاق نشاطهم، واعترفوا بها وأمدوها بالمال والوسائل الممكنة الأخرى، وقد ذكرنا حركة الجنرال ديغول المسماة بفرنسة الحرة وتطورها ونشاطها وكان ذلك من جملة هذه العملية. وصارت الحركات الأخرى في البلاد المذكورة وحكوماتها في المنفى تبذل جهدها في إثارة الحقد والعداء والمناوأة والمقاومة للاحتلال الألماني، وكان لكل ذلك آثار إيجابية غير يسيرة يعلق عليها الإنكليز أمالاً واسعة، حيث يكون في كل بلد يحتله الألمان من هذه البلاد تذمر وتبرم ومناوأة وثورات وعصابات وعمليات تخريب وتعطيل وتجسس الخ...

وتضخم الدعايات الإنكليزية كل ذلك بسبيل تأليب الرأي العالمي ضد الألمان، وما يفعلونه في هذه البلاد من أعمال وتصرفات قمعية إرهابية، وقد استطاعوا نتيجة لذلك كله أن يجرّوا روزفلت إلى مسافات بعيدة في العداء ضد الألمان، حيث صار هو ورجال حكومته ومجلس شيوخه ونوابه وصحافته يجاهرون بالعداء الصريح ضد الألمان، حتى لقد رصدت الحكومة الأميركية نصف ما تنتجه المعامل والمصانع من مختلف الأنواع لمساعدة إنكلترا وحلفائها، وصادرت البواخر التجارية الألمانية والطليانية التي في موانئها أو مياهها، وأغلقت قنصليات الألمان في كثير من المدن الأميركية، وتدرجت في حماية نقل بواخر المهمات الحربية إلى إنكلترا من مسافات قريبة كانت تعد مياهاً أميركية، حتى بلغ الأمر إلى حمايتها لنحو ثلاثة أرباع الطريق، أي من نيويورك إلى جزيرة ايسلندة في شمال أوروبا، وأعلنت أن كل مركب حربي يوجد في هذه الطريق للطليان

والألمان سيطلق عليه النار. وأخيراً التقى روزفلت بشرشل في إحدى جزر البحر الأطلسي، واستمر اجتماعهما ثلاثة أيام، ومعهما رؤساء بحريتهما وحربيتهما للتشاور في سبل تضامن الأمتين السكسونيّتين، وإحباط أهداف الألمان من السيطرة على العالم.

28 ـ بيان بمبادىء عامة للحرب من أميركا وبريطانية على غرار بيان مبادىء ولسون:

وقد اتفقوا على نشر تصريح مشترك عام باسم المبادىء التي يستهدفها الإنكليز والأميركان من هذه الحرب للخروج منها إلى سلم دائم وعادل وهي:

(1) الاعتراف للأمم بحق تقرير المصير.

(2) عدم الموافقة على تغييرات جغرافية بالرغم عن أهل البلاد.

(3) عدم استهداف مطامع استعمارية وأرضية.

(4) الاستعداد لاقتسام المواد الخام في الأرض حسب حاجات الأمم.

(5) عدم وضع عراقيل إقتصادية أمام الأمم المغلوبة تسبب لها ضعفاً في الحياة والنشاط.

(6) ضمان حرية الأمم ورفع كابوس السيطرة والتغلب عليها.

(7) العمل على نزع السلاح بصورة عامة من جهة، وتقليم أظافر دول المحور خاصة، حتى لا تستطيع العودة إلى تهديد العالم وزجه في كابوس الخوف والحرب مرة أخرى.

وقد نفخوا هذه المبادىء بالدعايات الواسعة لكسب عطف الأمم، وجعلها ترى في الإنكليز والأميركان منقذي الدنيا ومجاهدي الحرية والسعادة.

تعليق على البيان:

وفي هذه المبادىء ما هو مطابق لمبادىء ويلسون التي أذاعها كشرط ومقدمة لاشتراك أميركا في الحرب العالمية الأولى. ولقد رأى الناس بعد أن وضعت الحرب أوزارها أن هذه المبادىء ماتت بمطامع وغدر ونزوات الحكومات التي حالفها ويلسون، وأن الولايات المتحدة نفسها لم تلتزم بها في حياته وبعده، وكيف أن الانكليز والإفرنسيين نفذوا المعاهدات والوعود السرية الإستعمارية التي اتفقوا عليها، ووعدوا بها، ناقضين بذلك تلك المبادىء، وفارضين على الشعوب العربية مطالبهم وإرادتهم وخياناتهم بأسلوب ظالم لئيم: والشيء الجديد في المبادىء هو الوعد بعدم إرهاق الدول المغلوبة وغلها بغلول إقتصادية، لأن هذا كان العامل الأكبر في نقمة ألمانيا وحقدها وثورانها، لأن الغالبين فرضوا عليها قيوداً شديدة نتيجة لانتصارهم في الحرب العالمية الأولى. ويضاف إلى هذه المظاهر في الدعاية الإنكليزية ما تتوسع فيه من وصف المطامع الألمانية، والقول إن الألمان يستهدفون التحكم في العالم تحكم جبروت واستغلال، والقضاء على الحياة الديمقراطية والحربية الشخصية والعامة، وجعل ذلك سبباً رئيسياً للاستمرار في الحرب ضد الألمان والتأليب عليهم، حتى لقد سموا هذه الحرب حرب الديمقراطية ضد النازية.

29 ـ الأخبار التي تردنا عن البلاد العربية من خلال صحفها:

حفلة تأبين لعبد الرؤوف البيطار وتعليق عليها:

وقد قرأنا في أحد أعداد فلسطين خبر حفلة تأبين كبرى أقيمت في يافا لعبد الرؤوف البيطار الذي توفي منذ ثلاثة أشهر، ومن وصف الجريدة يستفاد أن الحفلة كانت مصبوغة بصبغة وطنية، وأنها كانت حافلة، وشهدها كثيرون ممن كانوا يعملون في ميدان الحركة الوطنية أو يتعاطفون معها، ثم ممن كانوا يعدون من خصوم الميت. وان برقيات عديدة وردت على لجنة الحفلة من أناس من هؤلاء وهؤلاء معتذرين عن عدم حضورهم ومشاركين المحتفلين في حلفتهم. وقد ترأس الحفلة أو أدارها الشيخ عبد القادر المظفر، وخطب خطبة طويلة أشاد فيها بما كان من شجاعة الفقيد وجرأته، وما قام به من جهد في سبيل إعادة الأمن والطمأنينة إلى يافا. وشكر المندوب السامي والحكومة على مساعدتهم له في خدماته.

وممن خطب في الحفلة الشيخ رامز مسمار، وهو قاضٍ شرعيٍ كان يتعاطف مع الحركة الوطنية ويبدو صلباً في مواقفه، فذكر نبل أرومة الفقيد وكرم محتده وعلو شمائله. وممن خطب أيضاً في الحفلة عجاج نويهض الذي كان من أكبر خصوم الفقيد في الوطنية والذي كان يحمل عليه حملات عنيفة لسمسرته ومواقفه اللاوطنية. وقد كان مدير الأوقاف العام عبد الله مخلص من شهود الحفلة، فتلى قراراً من المجلس الإسلامي الذي كان تحت هيمنة السلطات المطلقة، جاء فيه أن المجلس رأى من الواجب الوطني المشاركة في الحفلة، وأنه انتدب مدير الأوقاف العام لتمثيله فيها. ومن المبرقين المعتذرين الشيخ عبد الحميد السائح، وسعيد الحسيني وفريد العنبتاوي.

وهكذا اظهرت الحفلة مسخاً فظيعاً لروح فلسطين ووطنيتها، ومقدار ما شمل الناس من موجة النفاق والمسايرة أو الإرهاب.

كلمة في مناسبة خطبتي الشيخ عبد القادر المظفر وعجاج في الحفلة:

وعلى ذكر المظفر وعجاج، نقول بأن عاقبة هذين الرجلين كانت مؤلمة ومؤسفة حقاً، فالمظفر كان من أشد الناس صلابة ونشاطاً وكلاماً ومواقف في الحركة الوطنية، وقد بدأ بذلك منذ عهد فيصل في دمشق، ثم استمر فيه نحو خمس عشرة سنة، حتى أنه كاد يعد في طليعة الوطنيين المجاهدين. ثم نكب بالغنى، فبدأ عهد فتوره وتدهوره، ويظهر أنه كان يكنز بعض المال، وكان له عرصة في يافا، فأنشأ بعض العقارات وتوسع حتى صار إيراده مجزياً، فازداد بذلك انصرافاً عن الحركة وتوسعاً في النشاط الإقتصادي. وكان في أيام الإضراب فاتراً بل غير راضٍ عن الإضراب، ولم يمد يده بمساعدة للحركة والثورة على ما بلغه من اليسر، ولم يتبدل موقفه هذا أثناء الثورة الثانية. وكان من المتفرجين غير الراضين، مما جعل الثوار ينالونه بألسنتهم وينذرونه ويعتدون على بيارته.

وكان عجاج هو الآخر من أشد الناس حماساً للمبادىء الوطنية والقومية، وصلابة واندفاعاً ضد الإنكليز والإفرنسيين واليهود والسماسرة والمنافقين والنفعيين والموالين للإنكليز واليهود والمتعاملين معهم والمسايرين لهم، وكان في خطبه العديدة في المناسبات، وفي مقالاته قوياً

كل القوة في المجاهرة بكل ذلك، حتى يمكن أن يقال أنه كان أعنف إخوانه في حزب الإستقلال وأكثرهم تظاهراً بالحماس والإندفاع، وكان يحمل على المفتي في من يحمل عليهم، لأنه يرى منه ضعفاً في سبيل الإحتفاظ بمركزه ومناوأة خصومه الحزبيين يجعله يقف مواقف مسايرة وملاينة، ويمنعه من الوقوف موقف العداء الصريح للإنكليز، ويكتفي بمثل هذا الموقف بالنسبة للصهيونية فقط. ولقد كان المفتي عيّنه بوظيفة كبيرة في المجلس، فلم يمنعه ذلك من الحملات والهمسات والنقمة ضده بسبب ذلك، حتى لقد أقدم على الإستقالة من هذه الوظيفة حينما رأى أن باستطاعته أن يكسب رزقه بدونها، وأسس مطبعة وأصدر مجلة بسبيل ذلك. ولم يكن موقفه من المفتي هذا بسبب عداء خاص لأسباب أخرى، ولم يلق من المفتي بنحوه إلا كل إحسان ومعاملة طيبة، وتحمل المفتي في سبيله نقداً وعبثاً بسبب تعيينه إياه في وظيفة شرعية إسلامية وهو من الطائفة الدرزية. وكل هذا جعل الناس يكبرون في عجاج إبائه وصلابته ويعدونه في طليعة الأقوياء الصلاب في المواقف والمبادىء، ولقد استمر بعد استقالته في حملاته على المفتي، وجعل ذلك ديدنه، في حديثه وشجونه، رامياً إلى إضعاف مركزه وإسقاط هيبته، حتى أنه ضلع بعض الشيء مع فخري النشاشيبي في حادث نشر مكتوب الأمير شكيب المزّور الذي ذكرناه في مناسبة سابقة في هذه المذكرات (الجزء الثالث)، حيث ساعد على توسيع الدعاية في صدده، وكتب بعض المقالات في شجب السياسة التي يسير عليها المفتي، وحتى أنه تنازع معنا في أوائل الإضراب الكبير عام 1936 حينما حاولنا تأليف اللجنة العربية العليا، وطلبنا من المفتي أن يبرز بروزاً صريحاً ويرأس اللجنة على هذا الأساس، ووعدناه بالتعضيد إذا فعل، بحجة أننا في عملنا هذا قوينا مركز المفتي وحلنا دون سقوطه. ثم ما لبثنا بعد كل هذا أن سمعنا أنه قام تعاون وصلات بينه وبين راغب النشاشيبي وجماعته الدفاعيين، حتى صار عجاج عضواً ومعاوناً لراغب بعد أن انفجر الموقف في فلسطين في خريف سنة 1937، وحلت السلطات اللجنة العليا واللجان القومية، واعتقلت بعض أعضاء الأولى ونفتهم إلى سيشيل، واعتقلت المئات من أعضاء اللجان القومية ووضعت يدها على المجلس والأوقاف. ولم يقف امر تحوله عند هذا، فقد صار بعد إعلان الحرب بقليل مراقباً للإذاعة العربية الفلسطينية الحكومية.

30 ـ أحاديث في الإذاعة للمازني والعقاد وإطلاق الرصاص عليهما:

ومما علمناه (لعلنا قرأناه في الصحف) أن عباس العقاد وإبراهيم المازني دعيا إلى فلسطين ليذيعا بعض الأحاديث من إذاعتها، ولعل عجاجاً كان هو المقترح أو الداعي، وكان هذان الكاتبان يكتبان في الصحف المصرية مقالات فيها تأييد للإنكليز ودعوة إلى مؤازرتهم. ومن المحتمل أن تكون خصوصية فلسطين في العداء للإنكليز سبباً في دعوة هذين الكاتبين المشهورين، حيث ظن أن أحاديثهم تؤثر تأثيراً حسناً إيجابياً في نفوس الشعب العربي الفلسطيني بخاصة والشعب العربي ثم الشعوب الإسلامية بعامة، الحاقدة على الإنكليز أشد الحقد، وخاصة فلسطين التي لم تكن قد جفت دماء أبنائها المسفوكة وجراحها الفاغرة وأحداثها

الأليمة. وقد لبى الكاتبان الدعوة دون أن يفكرا في بشاعة ما يقدمان عليه. وبعد أن أذاع كل منهما حديثاً، حدث حادث عظيم، حيث إنهما لم يكادا يفارقان بناء المحطة حتى فوجئا برصاص من قبل أشخاص كانوا يترصدونهما، وكان فخري النشاشيبي معهما فأصيب برصاصة جرحته ونجا الاثنان باعجوبة، فما كان منهما إلا أن أسرعا إلى الفندق فحزما حقائبهما وغادرا فلسطين فارين بدمهما.

وكان لهذا الحادث في ظروفه الخاصة دوي كبير، واعتبر كجواب من فلسطين الدامية لمن حاول أن ينتهك حرمة دمائها ويسخر من ثورتها ويرقص على قبور شهدائها، ويستحق بما رسمته السياسة الانكليزية من أحقاد متغلغلة في أعماق النفوس. ومما لا ريب فإن استجابتهما للدعوة وحديثهما من إذاعة فلسطين كانا يتنافيان مع الذوق السليم، حتى لو كان دعايتهما لانتصار الإنكليز صادرة عن قناعة وجدانية كما كانا يزعمان ويزعم ذلك من حذا حذوهما. فقد كان حرياً بهما أن يفكرا في شدة عداء الفلسطينيين للإنكليز وفي كثرة شهداءهم وقسوة النكبات التي ألمت بهم، وكان كل ذلك طرياً غضاً في فلسطين، وأن يلحظا أن قضية فلسطين أسوأ الأمثلة على سوء نية وسياسة الإنكليز وبشاعة ظلمهم. ومن عجب المفارقات أن ابراهيم المازني كتب أكثر من مقال في أثناء الثورة الفلسطينية قبل اندلاع الحرب، فيها شجب للسياسة الإنكليزية ودعوة للمصريين بتأييد الفلسطينيين ومساعدتهم.

31 ـ خطبة للنحاس الذي كان معارضاً في هذه الظروف ومناسبتها:

ويفهم من الصحف المصرية أن الوفد المصري مايزال متمسكاً بموقف عدم التعاون مع الملك ومايزال يعتبر نفسه ممثلاً لأكثرية الأمة. وقد خطب النحاس خطبة رنانة حمل فيها على الإنكليز حملة شديدة اتهمهم فيها بانتقاص حقوق مصر والتدخل في أمورها الداخلية وعدم صدقهم في احترام نصوص المعاهدة، وحمل على الحكومة القائمة وعلى السعديين (حزب النقراشي وأحمد ماهر) الذين اشتركوا في الحكم. وكانت الخطبة في مناسبة جمع القطن المصري، فإن الإنكليز لم يوافقوا على بيع وتصدير القطن المصري لليابان ولا للدول الأخرى التي لها ضلع ظاهر أو خفي مع الألمان، وأظهروا استعدادهم لشراء القطن المصري على أساس أن تكون الحكومة المصرية شريكة في الصفقة بنسبة النصف وفق شروط فيها تحكم ونظرة تجارية صرفة، وفيها استغلال للموقف الحاضر الذي يقيد أيدي مصر في تصريف قطنها بحرية. وكان الإنكليز اشتروا قطن مصر في العام الفائت بسعر لابأس فيه، فعرضوا نفس السعر لقطن هذا العام رغم زيادة الأكلاف التي تكلفها المزارع وارتفاع الأسعار العالمية، فتوقفت الحكومة في قبول العرض وأخذت تفاوض الإنكليز في الأمر، وصارت المسألة موضوع مناقشات حادة في البرلمان والصحف والأندية السياسية. وحمل في سياقها على الإنكليز في البرلمان والصحف حملة شديدة، ووجهت إليهم تهمة استغلال ظروف الحرب وغل يد مصر عن التصرف بمحصولها الرئيسي وانقاص قيمة هذا المحصول،

والتدخل في استقلال مصر وشؤونها الداخلية والتحكم فيها الخ. . وكان لهذه الحملات رجة شديدة في الرأي العام المصري، فانبرى النحاس وأسهم في الحملة بصفة كون الوفد يمثل الأمة وينطق بلسانها.

32 ـ شيء عن حادث طيران عزيز علي المصري وما كان في صدد ذلك:

ومما يفهم من الصحف أن عزيز باشا المصري مايزال موقوفاً رهن المحاكمة، غير أن التضييق عليه صار أخف من ذي قبل. ولقد كان الحادث الذي أدى إلى توقيفه مثيراً عجيباً وقع قبل نحو أربعة أشهر وإبان الثورة العراقية، وكنا مانزال في سورية. ولقد عثر في الصحراء المصرية على طيارة معطلة، وافتقد في مصر عزيز علي وضابطان من ضباط الطيران، ووجد في الطيارة بعض أوراق دلت على أنها تخصهم، وبعض إمارات دلت على أنهم كانوا معتزمين الخروج إلى العراق، فجن جنون الإنكليز بطبيعة الحال من هذه البادرة الخطرة العدائية في مصر، وضغطوا على الحكومة حتى جعلوها تعد الحركة خيانة وطنية وتبذل جهدها في تعقب عزيز ورفيقيه واعتقالهم، ثم في التوسع في البحث للقضاء على بواعث وحوافز هذه الحركة في مهدها قبل أن تتفاقم. وقد سمعنا ونحن في سورية أنه اعتقل نتيجة لذلك كثيرين من المعروفين بنزعتهم العربية القومية، وأنهم داهموا بيوت عبد الرحمن عزام وبعض أقاربه، ذهاباً إلى احتمال أن يكون عزيز علي مختفياً فيها، لما هو معروف عن عبد الرحمن من نزعة قومية عربية قوية، حتى وصل الأمر إلى التعرض لعلي ماهر باشا واساءة الظن فيه، لأنه هو الآخر ذا نزعة قومية عربية.

وكان لهذا الحادث وما جرى في صدده ضجة شديدة وتعليق شديد، ولقد استمر تعقب عزيز علي ورفيقيه، وامكن العثور عليهم واعتقالهم بعد أسبوعين من العثور على الطائرة المعطلة. ومع أن الضجة والإهتمام اللذين نتجا عن حادثهم أوحيا أنهم لن يلبثوا ان يحاكموا ويحكم عليهم بالإعدام وينفذ، حتى لقد أذاعت إذاعة برلين ذلك منذ أكثر من شهرين غير أن ذلك لم يحدث، بل إن ما تكتبه الصحف يدل على أن الموقوفين صاروا موضع رعاية وعناية نوعاً ما، وأن من المحتمل أن تنتهي قضيتهم بالسكوت عليها. والمرجح أن هذا التبدل بسبب ما أثاره الحادث من ضجة ودهشة في الرأي العام من جهة، ومن حسبان ما يمكن أن يثيره إعدام الرجل العربي العظيم صاحب الاسم الكبير في مصر والعالم العربي ورفيقيه، أو القسوة عليهم، من نقمة ورد فعل. ولقد لمح الإنكليز على الأرجح ما كان من عطف شديد في مصر نحو الحركة العراقية الذي وصل إلى مظاهرات إحتجاجية تأييدية وابتهالات وصلوات في المساجد، فرأوا أن لا يشتدوا في الموقف حتى لا تستعر العواطف ضدهم في الظروف الحاضرة التي لا تجري الرياح فيها حسب ما تشتهي سفنهم. ولقد نقل لنا أحد موظفي المفوضية العراقية في مصر أن المصريين في ظروف الثورة العراقية كانوا حينما يرون سيارة المفوض العراقي يتهافتون عليها ويهتفون للعراق، على أن من الحق أن نذكر أن عواطف المصريين بصورة عامة إزاء الإنكليز كانت منذ بدء الحرب غير مرضية وغير مطمئنة لهؤلاء، حيث كانت مظاهر الشماتة والتشفي تلمح فيهم مما كان يصيب الإنكليز من هزائم ونكبات بقوة

وشدة، وهذا ما كان يبدو بصورة عامة في أوساط المسلمين في سورية والعراق وبالطبع في فلسطين.

33 ـ حول ضغط الإنكليز على مصر لقطع علاقاتها بألمانيا وإيطاليا:

وكان الانكليز قد ضغطوا في بدء الحرب على الحكومة المصرية وجعلوها تقطع صلاتها السياسية مع ألمانيا، وحاولوا حملها على مثل ذلك بالنسبة لإيطاليا قبل دخول هذه الحرب فلم تستجب، ولما دخلت هذه الحرب عادوا إلى ضغطهم، ولقد ترددت حكومة مصر في الإستجابة إليهم وقتاً ما لأن إذاعات إيطاليا كانت تذيع ما فيه تطمين لمصر وعطف عليها واعتراف باستقلالها وحقوقها وحريتها، وكان سفيرها يبلغ مثل ذلك للحكومة المصرية، حتى لقد توتر الموقف بين هذه الحكومة والإنكليز بسبب ذلك التردد الذي لم يطل كثيراً على كل حال، حيث لم تر الحكومة المصرية مناصاً من الإستجابة لهم. ولقد تحرش الإنكليز بالطليان على الحدود البرقاوية من ناحية الحدود المصرية، وقابل الطليان ذلك فاعتدوا على الأرض المصرية، فكان ذلك مما جعل حكومة مصر تستجيب أيضاً. ولقد حاول الإنكليز حمل مصر على إعلان الحرب على إيطاليا، فانقسم المصريون في ذلك الحين إلى رأيين:

رأي يقول بالتعاون مع الإنكليز تعاوناً تاماً وصميماً إلى درجة الاشتراك في الحرب، ولا سيما إذا دخلت الحرب في طور جدي وهوجمت مصر، لما لذلك من فائدة كبيرة لمصر، لأنها تكون قد أثبتت قدرتها ورغبتها في الدفاع عن نفسها، وتصبح في موقف الشريك لا المحمي وكان زعيم هذا الرأي الدكتور أحمد ماهر رئيس الحزب السعدي.

ورأي يقول أن إيطاليا في موقفها هي في عداء مع دولة أجنبية بالنسبة لمصر، لها جيوش في أرضها، فإذا اشتبكت مع هذه الجيوش فإنها لا تكون معتدية على مصر بالذات، لأنها ليس بينها وبين مصر عداء ولا حرب، ومصر في هذا الموقف هي في موقف المشاهد لحرب تجري في أرضها بين قوتين أجنبيتين، وليس وجود قوة للإنكليز وهي إحدى القوتين التي تهاجم مصر من أجلها، برضاء مصر ورغبتها، وإنما هي في هذا الوجود مرغمة كارهة، وإن احتفاظ مصر بموقف المشاهد قد يقيها كوارث الحرب ونتائجها، كما أن هذا الموقف لا يتناقض مع المعاهدة الإنكليزية التي وإن كانت تنص على أن مصر تدافع عن نفسها إذا هوجمت وتساعدها بريطانية، إلا أنها ليست مقصودة الآن بالذات، وكل ما على مصر أن تمكن الإنكليز من استعمال طريق المواصلات والمرافيء والمطارات والثكنات. والجيش المصري الآن ليس هو في حالة يستطيع معها الاشتراك في حرب طاحنة.

ولقد كان معظم أحزاب مصر في هذا الرأي، ولذلك فإن الحكومات المصرية التي تعاقبت على الحكم إلى الآن اعتبرت هذه السياسة سياسة قومية تقليدية لها. ولقد رسخت هذه السياسة بنوع خاص في عهد وزارة علي ماهر، وقيل فيما قيل إن الملك فاروق كان قانعاً بها ومعاضداً ومشجعاً لها، كما قيل فيما قيل إن موقف مصر المتردد في صدد قطع العلاقة السياسية مع إيطالية ومعالنتها العداء، وكان هذا أيضاً في عهد وزارة علي ماهر، كان أيضاً من

رأي الملك وتأييده وتشجيعه، وإن الإنكليز قد نقموا على الملك أشد نقمة وفكروا في خلعه، وقام بينهم وبينه شيء من التوتر بسبب ذلك.

ولقد سكت الإنكليز على مضض عن هذه السياسة ولم يكونوا ليسكتوا عنها، وهي ضد إرادتهم ومصلحتهم في الموقف الخطير الذي هم فيه، وفي حين يبذلون جهودهم الجبارة في إثارة الحقد والعداء والنقمة ضد الألمان والطليان في كل مكان وبلد، لولا أنهم شعروا أن الرأي العام المصري ضدهم وحاقد عليهم، وتنامت بما أصابهم من هزائم. بل إن الحكومات المصرية لم تكن تجرؤ على الوقوف أمام الانكليز الموقف الذي وقفته لو لم تكن ترى من الرأي العام المصري ما يشجعها ويعضدها. ولقد ظهرت الروح المصرية الناقمة الحاقدة الشامتة جلية أكثر في سياق الثورة العراقية وفي سياق حادث عزيز علي، ولقد شذ الدكتور أحمد ماهر رئيس الحزب السعدي وبعض رفاقه عن هذه الخطة حينما دعا إلى التعاون التام في كل شيء مع الإنكليز، فصارت الأصوات تتعالى بنعته بالخيانة. وظل هذا هو الذي جعل الإنكليز يسكتون على مضض ويتحاشون الشدة التي قد تفتح عليهم باب صراع مع المصريين هم الآن في غنى عنه، ورياح الحرب تجري بغير ما تشتهي سفنهم. ولا أرتاب في أنهم سوف يكشرون عن أنيابهم ويفعلون كل شيء إذا ما هبت الرياح حسب ما تشتهيه سفنهم ولاحت لهم إمارات الإنتصار.

34 ـ حول خطبة لشيخ الأزهر ذات مغزى في صدد الروح المصرية المناوئة للإنكليز:

ومن الأحداث ذات المعنى وتمتّ الى ما نقوله من عواطف مصر بسبب ما، خطبة خطبها شيخ الأزهر بين يدي الملك في صلاة الجمعة في 19 أيلول 1941 على ما قرأناه في الصحف، وقد جاء فيها أن البلاد الإسلامية لم يكن لها في هذه الحرب ناقة ولا جمل، ولكنها تصاب بأذاها وشرها، ثم طلب من المصلين والمسلمين عامة الدعاء بكشف الغمة وتأييد الملك والدعاء لامبراطور إيران في محنته. وصدر بلاغ من ديوان الملك فيه إشارة إلى هذه الخطبة في سياق ذكره خبر شهود الملك صلاة الجمعة. ويظهر أن الإنكليز استاءوا من الخطبة وأبدوا ذلك لرئيس الوزارة، حيث ذكرت الصحف أيضاً أن رئيس الوزارة استدعى شيخ الأزهر وتحدث معه في صدد خطبته ومراميها. وطبيعي أن يستاء الإنكليز من هذه الخطبة من أكبر شخصية دينية في الإسلام أمام أكبر ملك إسلامي، يقول فيها أن المسلمين لا ناقة لهم في هذه الحرب ولا جمل، وأن بلادهم قد أصيبت بشررها وضررها على غير جريرة، ثم الدعاء لأمبراطور إيران الذي خلعه الإنكليز، لأن ذلك يؤثر في موقف المسلمين من الحرب والتعاون مع الإنكليز فيها تأثيراً سيئاً في وقت أخذت تقوم في بلاد الشرق وأكثريتها مسلمة معركة حاسمة بين الإنكليز ودول المحور، وأخذ الإنكليز يحشدون فيه كل قواهم المادية ويبذلون كل مجهود معنوي في الدعاية والوعود والملاينة في سبيل تقوية خطوط دفاعهم ومركزهم في هذه

البلاد. وصدور هذه الخطبة ذات المعاني من أكبر شخصية إسلامية أمام أكبر ملك إسلامي في مصر، يمكن أن يعد دليلاً على ما يختلج في نفوس الرأي العام وبخاصة الإسلامي من عواطف الحقد والنقمة ضد الإنكليز.

35 ـ حول أزمة الغذاء في مصر ومدى ما جرى في صدد ذلك:

ومما قرأناه في صحف مصر، يفهم أن في مصر أزمة غذاء وموجة غلاء شديدتين، فالملك يحث الناس على التوفير، ويعلن أنه يكتفى بلونين على مائدته العادية مع الحلوى، ويلغي مآدب رمضان، ويأمر بصرف ما كان ينفق عليها للفقراء. ورئيس الوزارة يلقي بياناً يذكر فيه ما توجبه ظروف الحرب من الاقتصاد والتقنين، والصحف تبحث في أزمة القمح والخبز وكيفية تدارك القمح من خارج القطر. والشعراء ينظمون وينشرون قصائد فيما يقاسي الناس من حرمان في الأكل والملبس، والموظفون يستغيثون لأن مرتباتهم محدودة والظروف غير ظروف الحرب، حتى أن أحدهم ذكر أن 65٪ من راتبه يذهب إلى ثمن الخبز وحده. وقد قامت حركة هجرة من المدن وبخاصة من القاهرة والإسكندرية والسويس وبورسعيد إلى الأرياف، لأن المعيشة فيها أيسر وأقل كلفة، والرعب والفزع من الحرب يشتدان في جو مصر، ولا سيما بعد غارة أغيرت على بعض الأهداف العسكرية في القاهرة وذهب فيها عدد غير قليل من الناس.

***

وكتبنا في تاريخ 5/10/1941 ويصادف رمضان 1359:

1 ـ حول البحث عن المفتى في ايران:

ويفهم مما قرأناه في الصحف وسمعناه من الإذاعات، أن الإنكليز اشتدوا في البحث عن المفتي، وبلغ الأمر إلى جعل الحكومة الإيرانية ترفع الحصانة السياسية عن السفارة اليابانية في طهران التي أخبرهم الجواسيس أن المفتي مختفٍ فيها، ودخولها وتفتيشها، وقد نفت السفارة اليابانية ذلك، ولم تذكر الصحف نتيجة التفتيش. ولقد كان فعلاً في السفارة، ثم انتقل منها حينما عرفت السفارة أن الجواسيس علموا بوجوده وأخبروا الإنكليز به. وقد ازداد قلقنا على المفتي، وإن كنا من ناحية ثانية اطمئننا بأنه لم يقع في أيديهم، ولا ريب في أنه شاغل لبال الإنكليز، ويعتبرونه الآن من أخطر الشخصيات ضدهم ويحسبون له حساباً شديداً، سواءً في صدد تعاونه مع الألمان أم في صدد وجوده في البلاد الإسلامية وتحريكه المسلمين في إيران وأفغانستان والهند، الذين يشعرون بالنقمة ضدهم، ولا سيما أنهم لا بد من أن يكونوا عرفوا أنه كان ذا يد قوية مؤثرة في ثورة العراق ضدهم، فضلاً عن عدائه الشديد الأصيل لهم بسبب القضية الفلسطينية.

2 ـ تعقب واعتقالات في إيران:

ويستفاد من الصحف أيضاً أن الإنكليز

جادون في تعقب رجالات العراق والفلسطينيين الـذين لجـأوا إلى إيـران، وأنهم اعتقلوا نحـو أربعين، أرسلتهم إلى معتقـلات في الهند في أواخر شهر أيلول 1941، وأنها قبضت بعد ذلك على أشخـاص مهمين آخــرين منهم وزراء، وأرسلتهم كذلك إلى معتقلات الهند.

3 ـ حول الحركات الإنكليزية في صدد التدخل في إيران:

كذلك مما تفيده الصحف أن الإنكليز جادون في التدابير والحركات العسكرية الدفاعيـة عن الهند ومنابـع البترول في إيـران، وقد حملهم خـوفهم من مفـاجـآت ثـوريــة في إيـران إلى المداخلة الفعلية في الحكم والجيش في إيران، وجعلوا الحكومة الإيرانية تبعد من الجيش كل الضباط المعروفين بتطرفهم وجرأتهم وانحيازهم للشاه المخلوع، كما ظلوا متشددين في موضوع الشـاه، حتى اضطروه إلى الخـروج من إيران والذهاب إلى الأرجنتين، وجردوه من كل ثروته المنقولة وغير المنقولة ووضعوا رقابتهم عليها، وغدت الحكومة الجديدة والشاه الجديد ألعوبة في أيديهم، وهم الآن بسبيل حمـل الحكومـة على توقيع معـاهدة تحـالفية معهم على غـرار وشروط معاهداتهم مع العراق ومصر.

4 ـ حول ضغط الإنكليز على الأفغان:

كـذلـك ممـا تفيـده الصحف أن الإنكليـز يشتـدون الآن ضـد الأفغـان، وأنهم قـدمـوا للحكومة الأفغانية مذكرة بالاشتراك مع الروس تذكر نشاط الألمان في بـلادها، وتـطلب فيها وقف ذلك، ولا تستبعد أن يكون ذلك مقدمة إلى الزحف على الأفغان واحتلالها كمـا فعلوا في إيران، فتصبح بذلك ساحة عظمى ممتدة من فلسطين إلى أواسط آسيا مجالاً لهم للدفاع والإستعداد، ولإحباط حركات الألمان الناجمة الآن في الأراضي الروسية، والتي أخذت تتجه الآن، ونحن في أوائـل تشـرين الأول، نحـو القفقاس.

5 ـ تعليقات الصحف على الحركات الحربية:

ولقد علقت الصحف تعليقات واسعـة على الحركات الحربية خاصة بعد خطابين لتشرشل وهتلر حـول قـوة وتحـرك الجيش الألمـاني، وأجمعت هــذه الصحف على أن المعــركــة العظيمة القائمة الآن هي معركة إجمالية يشترك فيهـا جميع القـوى الروسيـة والألمانيـة وأن ما سوف تسفر عنه في الأيام القريبة سيكون ذا أثر حاسم في الحرب الروسية، وبالتالي في الحرب بصورة عامة.

***

وكتبنا في تاريخ 1941/10/9:

1 ـ حول استقالة المدفعي من رئاسة الوزارة:

أمس أذيع أن جميل المدفعي استقال، وأن نوري السعيد الذي هو في القاهرة استدعي إلى بغداد، ولم يعلن أسباب استقالة المدفعي. وكان ابراهيم كمال وزير المالية في وزارة المدفعي استقال منذ عشرة أيام، وبلغنا أن الاستقالة كانت بسبب خلاف على تنفيذ أحكام الإعدام التي صدرت من المحكمة العسكرية ضد الضباط الكبار الذين قادوا الثورة، وأن إبراهيم كان في جانب التنفيذ وجميل في جانب التساهل في ذلك. ومهما يكن من أمر، فقد صار من تقاليد شخصية المدفعي أن يؤتى به إلى رئاسة الوزارة عقب الهزات والرجات الداخلية، حيث يأبى غيره أن يضع كتفه تحت عبء شديد أو بغيض، فلا يجدون إلا جميلاً، فيأتون به، ويقوم بالعبء، إلى أن تهدأ الزوبعة أو الرجّة، فيزاح عن المركز بطريقة من الطرق ويؤتى بغيره. وليس فيه من سعة العلم والحيلة والدهاء ما يجعله رجل دولة يصلح لتصريف الأمور الدقيقة والنهوض بأعباء الحكم الثقيلة. وما نعرفه من خصومة بين جميل ونوري قد يجعلنا نقول أن استقالة جميل الآن من ألاعيب وأساليب نوري حتى يفتح الطريق له لاستلام الزمام. وقد يكون الإنكليز أنفسهم رأوا في استلام نوري للزمام الآن ضمانة أكثر لمركزهم الدقيق من جميل، فنوري واسع الحيلة والكفاءة من جهة، وهو ضالع مع السياسة الإنكليزية ضلوعاً واسعاً من جهة أخرى والإنكليز الآن في حاجة إلى من يتعاون معهم قلباً وقالباً في كل موقف وميدان، ونوري إلى هذا، صاحب الفكرة بحلف عربي واسع متمشي مع السياسة الإنكليزية، ولقد عين سفيراً للعراق في مصر بعد إخماد الثورة العراقية، حيث رؤي أن جميلاً أصلح لهذا الظرف المترجرج، وحيث رؤي أن نوري يستطيع في مصر تهيئة الجو لتنفيذ تلك الفكرة، وقد أخذ فعلاً ببذل جهوده في مصر مع رجالات مصر ومقاماتها.

(ولقد وجدنا بعد هذا الكلام تسجيلاً فيه استطراد إلى ما كان من خصومة بين نوري وجميل، وما كان يجري بينهما نتيجة ذلك. ولقد كنا ذكرنا شيئاً من ذلك في مناسبة سابقة فلم نر ضرورة لإثبات ما دوناه في التسجيل الاستطرادي الجديد).

2 ـ حول وزارة نوري السعيد:

في أوائل تشرين الأول 1941 أذاعت الإذاعات خبر تشكيل نوري السعيد للوزارة وأسماء بعض الوزراء ومنهم صالح جبر وكان يوصف لنا بأنه رجل قومي وطني، ومنهم علي ممتاز وهو زوج بنت ياسين الهاشمي، ومنهم صادق البصام وكان وزيراً للمعارف في وزارة طه الهاشمي، ومنهم عبد المهدي وكان كذلك من وزراء هذه الوزارة. والوزارة بهؤلاء قد تعد وزارة قوية قومية وتشكيلتها من متناقضات العراق، فطه الهاشمي منسحب من العراق ساخط على ما كان من أعمال انتقامية في عهد وزارة جميل المدفعي، وزملاؤه الوطنيون القوميون يدخلون

لوزارة تفرّ من الاستمرار في الأعمال الإنتقامية، ووراء هذه الأعمال الإنكليز والوصي الأمير عبد الإله، ونوري السعيد هو رجلهما ومعتمدهما ومنسجم معهما.

3 ـ مكاتباتنا لمعين الماضي ومجيئه للآستانة وما قصه علينا من أخبار:

بعد استقرارنا في الآستانة كتبنا لمعين الماضي الذي كان يقيم في الإسكندرونة، مقترحين عليه أن يأتي هو الآخر إلى الآستانة لنقضي أيام الهجرة معاً، ونحن نتبادل شعوراً أخوياً قوياً وصميمياً من مدة طويلة، بل من عهد فيصل في دمشق، وقوي ذلك على مر الوقت في الانسجام في المجال الوطني والسياسي والحزبي طيلة الخمس عشرة سنة الفائتة، وقد استجاب لاقتراحنا وجاء في أواخر آب 1941، فأنسنا به كثيراً ونعمنا بلقائه وصحبته في غربتنا، وهو يعرف الآستانة حيث درس فيها دراسته العالية في زمن الدولة العثمانية في المدرسة الملكية.

ومما قصه علينا من أخبار نشاطه، أنه لما نشبت الحرب ورأى احتمال سنوح فرصة للعرب لحل قضاياهم، وأخذ يكاتب المفتي للقيام بمساعٍ سياسية في هذا المجال ويبدي استعداده له للقيام بأي عمل يكلفه به، ولكنه لم يتلق منه جواباً صريحاً، وأنه اجتمع مع ناجي شوكة في الآستانة في سنة 1940، وعلم منه أن قام ببعض المساعي وحصل على نتائج هامة، فظن أن ما حصل عليه كان حاسماً، فاطمأن، ولكن الأيام أثبتت أنه لم يكن قد حصل على شيء حاسم، وأن ما كان من نتيجة مساعيه هو وعود وتطمينات علقت نتائجها على إعادة المناسبات السياسية بين ألمانيا والعراق، وقد شرحنا ذلك في مناسبة سابقة.

ومن غريب ما قصه علينا أنه فهم أن سفير الألمان في أنقرة نصح ناجي شوكة بجنوح حكومة العراق إلى التفاهم والمسالمة مع الإنكليز، وأن لا تسير في الحرب معهم إلى النهاية، وقال له أن الألمان لا يستطيعون المبادرة إلى مساعدة العراق، وأن الأتراك عرضوا وساطتهم لتخفيف التوتر بين العراق والإنكليز، وأن هؤلاء اشترطوا انسحاب رشيد عالي من الحكم، فكان هذا الشرط سبباً لعقم العرض.

وقد أثبتت الأيام أن الإنكليز ما كانوا يتراجعوا عما رسموه من خطط الاحتلال الواسع للعراق حتى لو انسحب رشيد عالي كما اشترطوا، لأنهم كانوا يرون ذلك أمراً متصلاً بسير حرب عامة يتعلق بها مصير أمبراطوريتهم العظمى، والغرابة في نصيحة سفير الألمان في تركية تتمثل في عدم تقدير السفير لقيمة الجبهة العراقية وما يمكن أن يكون فيها من فرصة عظمى للألمان وخسارة كبرى للإنكليز في حالة مبادرة الألمان لمساعدته ونجاحه في مبادرته ضد الإنكليز، فضلاً عن أنها تتمثل في كون المقامات العليا الألمانية كانت رحبت بالمساعي في صدد المساعدة الألمانية ووعدت بها مشترطة إعادة العلاقات السياسية.

ومما ذكره معين أنه قام باتصالات مع المقامات التركية حينما جاء إلى تركية قبل سنتين ونصف بتكليف من اللجنة العربية العليا لأجل تأييد تركية لقضية فلسطين أثناء بحثها في مجلس عصبة الأمم، ولأجل المسعى مع الإنكليز وإقناعهم بعدالة هذه القضية وتأييدها لها، من حيث أن الإنكليز يهتمون برضاء تركية،

وأن الحكومة التركية وعدت بذلك، وكان موقفها في مجلس عصبة الأمم إيجابياً، وقد نوه معين بفريدون بك سكرتير وزارة الخارجية، وقال إنه رأى منه تعاطفاً مع العرب وبخاصة في صدد القضية الفلسطينية.

4 ـ حول اجتماعاتنا بفريدون بك سكرتير وزارة الخارجية التركية بالمناسبة:

ولقد كنت تعرفت في بيروت على هذا الشخص في سنة 1938، وكان قنصلاً لحكومته في بيروت، حيث التقينا به على غداء في بيت تحسين قدري قنصل العراق حينئذ في بيروت وصديقنا من عهد فيصل، وتحدثنا في قضية فلسطين وعلاقات العرب بالأتراك، وكان حديثاً حياً إيجابياً، ثم التقينا به ثانية في بيروت في سنة 1940 وبعد خروجي من السجن، حيث كان عين سكرتيراً لوزارة الخارجية وجاء للتطواف في سورية ولبنان ومصر وفلسطين لتقصي الأحوال، وقضى نحو شهر، حيث رغب في الالتقاء بجماعة من رجال الحركة القومية والوطنية العربية، فأقام له الأمير أمين أرسلان حفلة شاي حضرتها أنا ورياض الصلح والأمير عادل أرسلان وتحسين قدري، وجرت أحاديث متشعبة عن قضية فلسطين والقضايا العربية وموقف الأتراك وسياستهم وما اقترفه الإفرنسيون والإنكليز في سورية ولبنان وفلسطين. وكان سمع من الإنكليز ما رسموه من خطط في كتابهم الأبيض لصالح العرب، فشرحت له ما في الكتاب من ثغرات وغموض يجعلان وعودهما غير محتملة التنفيذ، ثم ما كان منهم من جمود وتراجع في التنفيذ فعلاً، وقد مر على صدور الكتاب الأبيض سنتان. وقلت له أن قانون الأراضي الذي أصدروه بناء على ذلك هو لصالح اليهود، وليس فيه ما يمنع خطراً عن العرب، فقد أباحوا بيع أراضي لليهود في مناطق يخشى على أراضيها من اليهود ويطمعون فيها، مثل أنحاء غزة وبئر السبع، ومنعوا ذلك في أراضٍ لا مطمع لليهود فيها، لأنها كثيفة السكان من العرب، وجبلية وفيها مناعة طبيعية ضد قدوم اليهود اليها، بسبب كثافة سكانها وتمسكهم بها وعدم وجود ملكيات كبيرة فيها. وحدّدوه في المناطق الساحلية والشمالية، لأنه لم يبق في هذه المناطق مساحات واسعة للبيع، وجعلوا التحديد تيسراً لليهود حتى يشتروا ما يصحح لهم حدود أراضيهم ويتممها.

وسأل فريدون عن مدى ما يمكن العرب قبوله من حلول، فقلت له أن هم العرب هو منع بيع الأراضي نهائياً بعد أن صار ما في أيدي العرب أقل بكثير من حاجتهم، ومنع الهجرة أيضاً لأن استمرارها يهدد دائماً المركز العربي، ثم إنشاء حكومة وطنية بدون تسويف تتعاقد مع الحكومة الإنكليزية بمعاهدة تضمن لها مصالحها وحقوق ومركز الأقلية اليهودية في فلسطين وفي الدولة، وقلت له أن الإنكليز سلّموا نظرياً بهذا كله، ولكنهم تهربوا من التطبيق والتنفيذ، وراوغوا فيهما، وكل ما يريده العرب أن يثبت الإنكليز حسن نيتهم، وهو الذي أصبح العرب يعتقدون استحالته منهم، لأنهم واقعون تحت سيطرة اليهود من جهة، ولأن سياستهم العربية كانت وماتزال سياسة غدر ونكث من جهة ثانية، وقد طلب مني أن أضع له مذكرة بما جرى بيننا، وقال أنه سيحاول بطريق الحكومة للاتصال بالإنكليز والسعي لديهم في تحسين موقفهم وإثبات حسن نيتهم، وقد كتبت له مذكرة مسهبة

وأعطيته إياها، وقد عاتبته على موقف الحكومة التركية جامدة من القضية ولاسيما في مجلس عصبة الأمم، وقلت له لو أنهم وقفوا موقفاً حسناً أسوة بمواقف العراق ومصر وإيران وأفغان لكان التأثير أقوى، لأن الإنكليز ينظرون إلى تركية كقائدة للبلاد الإسلامية ومؤثرة في توجهها، ويهتمون لموقعها أكثر من الدول الإسلامية الأخرى. وقلت له أننا أرسلنا إلى حكومته مندوباً ووعدته بالموقف المساعد، ولكن ممثلها في عصبة الأمم جمد ولم يؤيد موقف الدول الإسلامية الأخرى. وقد اعتذر عن موقف حكومته وقال أنه كان هناك ظروف واعتبارات خاصة حالت دون الوقوف موقفاً مماثلاً لموقف تلك الدول. وانجر الحديث إلى موقف الحكومة التركية من القضايا العربية عامة، وقلت له أن العرب يتمنون أن تكون الحكومة التركية والشعب التركي أقوياء وناجحين، وأن تكون مواقفهم نحو العرب أخوياً وإيجابياً، وأن تحسّن أحوال العرب لا يمكن أن يكون فيه أي ضرر لهم بل فيه قوة، لأن الترك والعرب يؤلفون قوة لا يستهان بها في الشرق الإسلامي الواسع، ولكن العرب لم يروا عطفاً منهم وظلت حكومتهم تماشي السياسة الإنكليزية والإفرنسية التي ظلت دائماً ضد حقوق العرب متلاعبة في قضاياهم. وحاول نفي ذلك، وقال أن الأتراك لا يمانعون اتحاد سورية والعراق، على أن لا يكون ذلك ضدهم، وأنه أبلغ ذلك لحكومة العراق، وأنه مستعد للذهاب للعراق والاجتماع برجالاتها والتحدث معهم في هذه الشؤون وغيرها. وقد اقترحنا عليه أن يصدر من الحكومة التركية تصريح علني بعطفهم على قضية فلسطين والقضايا العربية، فيسمعه الإنكليز وغيرهم، ويطمئن العرب من ناحية أخرى فوعد بذلك.

ثم انجر الحديث إلى ما رآه من تطور في أفكار العرب وعواطفهم نحو دول المحور وضد الإنكليز، وكان في كلامه متسائلاً مستغرباً عاتباً معاً، فأفهمناه أن العرب ليسوا تحت تأثير دول المحور إنما هم تحت تأثير مصلحتهم وقضيتهم، وأن من المعقول جداً أن تكون عواطفهم على النحو الذي لمحه بعد أن كان من الإنكليز ما كان، فهم أمام سياسة يقينية من الغدر والنكث والتكتل والتقسيم، وأمام تصريحات بإصلاح الحال والعطف ووعد بالاستقلال عن دول المحور.

وبعد رجوع فريدون إلى أنقرة بيومين نشرت جريدة (أولوس) التركية شبه الرسمية مقالاً أشارت فيه إلى حسن نيات الترك نحو العرب ونحو سورية، وان ما يقال خلاف ذلك هو من دسائس الأجانب وتحريكاتهم، وأن الأتراك يتمنون للعرب كل خير ويودون أن يروهم مستقلين، وأن ما كان منهم في أمر لواء الإسكندرونة لم يكن موقفاً عدائياً، بسبب كون هذا اللواء داخلاً في ميثاقهم القومي، وأنهم بعد تسوية هذه المسألة لم يعد لهم أي مطمع في شبر واحد من أراضي سورية وغيرها. وقد أذاعت إذاعة أنقرة هذا المقال، مما جعلنا نتأكد أن هذا المقال كان أثراً من آثار اجتماعنا وحديثنا مع فريدون. ولقد شعرنا من مجرى أحاديثنا معه أنه موفد خصيصاً لدرس أفكار واتجاهات العرب في سورية ولبنان وفلسطين ومصر بمناسبة ظروف الحرب، وأن ذلك كان بإشارة من الإنكليز الذين اعتبروا أن الأتراك مؤثرين في البلاد الإسلامية، وأن الإتفاق معهم ومسايرة مصالحهم يغنيهم عن العرب الذين يظهرون ميول العداء والبغضاء ضدهم، فلما رأوا هذه الميول تشتد وتقوى أثناء الحرب هالهم الأمر،

فتحدثوا مع الأتراك وطلبوا منهم الاهتمام للأمر ومعالجته. وقد اهتم الأتراك أنفسهم لذلك أيضاً، وحسبوا حسابه في هذه الظروف المملوءة بالأخطار والمفاجآت، فأوفدوا هذا الموظف اللبق الذي عاش في بلاد العرب ردحاً من الزمن وصار يعرف ويتكلم العربية نوعاً ما ليستقصي ويدرس ويطمئن ويهدىء. وبرغم نفيه أنّه مدافع عن السياسة الإنكليزية، فإن روح أحاديثه كانت تنم عن ذلك. ومع ذلك فإننا رأينا في قدومه وأحاديثه بادرة تطور في الموقف التركي، فاقترحنا على تحسين قدري أن يكتب تقريراً مفصلاً يذكر فيه ما سمعناه وشعرنا به ويرسله إلى حكومته، ويطلب منها اغتنام الفرصة لخطوة عملية في سبيل توحيد سورية والعراق بالاتفاق مع الإنكليز الذين لا يمانعون في ذلك، وأن يشرح موقف الإفرنسيين في سورية وضعفهم، وأن في إمكان العراق إذا حصل على موافقة الإنكليز أن يضطلع بمسؤولية الإنقاذ، وأن ينجح فيه. وقد كتب تحسين قدري التقرير وأرسله مع موظف إلى بغداد، غير أن الإنقلاب العسكري الذي تلاحقت الأحداث بعده قد وقع بعد يومين من وصول التقرير، فانشغل العراق بذلك..

***

كتبنا في 11/10/41 رمضان 1359:

1 ـ حنيننا للأولاد في دمشق ومراسلاتنا معهم:

لبثنا نحو شهر ونصف منذ خروجنا من حلب دون أن نتلق رسائل من الأولاد في دمشق رغماً عن ارسالنا رسائل إليهم، ورغماً عن استئناف البريد بين تركية وسورية. وقد تولانا شيء من القلق من هذا السكوت، وزاد حنيننا وشوقنا، ولقد صرنا لا نرى ولداً أو بنتاً في سن اولادنا إلا وشعرنا نحوه بعطف، ونكاد نلتهمه بعيوننا التي كانت أحياناً تترقرق بالدمعة الحارة. ولقد تركنا في دمشق تسعة أطفال وخمسة نساء ليس عندهم غير جدّهم أبي مصطفى الذي دب إليه الهرم ونيف على الثمانين، فلما وصل إلينا أول كتاب من سلمى وكان مؤرخاً في تاريخ 13 آب 941، تلقيناه بكل لهفة وتحنان كأنما هبط علينا من السماء يحمل إلينا البشائر.

ولقد كان كتاب سلمى هو الآخر يتلظى حنيناً وشوقاً ودموعاً، وقد جرت قريحتها بأسلوب شعري جميل، ولكنه في الوقت نفسه يحتوي على عبارات القوة والإيمان بالشعور العالي، وتذكر فيه أن هذه المحنة التي ابتليت بها الأسرة من هجرة إلى سجن إلى تشرد أشبه بالنفي، إنما كانت من الله ليمتحن صبرنا وإيماننا جميعاً. وتطمئننا بأنهم سيكونون صابرين مؤمنين قابلين في هذا الإمتحان الرباني لكل شيء بتحمل ورضاء نفسي وقناعة وطمأنينة.

ثم أخذت كتبنا وكتبهم تتوالى، فكان في ذلك روح وأنس لنا ولهم، وأخذنا نطلب منهم أن يرسل كل منهم من آن لآخر كتاباً بخطه وإنشائه لزيادة الأنس والتسلية، ولقد استجابوا لطلبنا، وكانت لنا تسلية طريفة حقاً حينما كنا نأخذ كتباً بخطوط وإنشاء وطفا ونجاح وشفق وليلى والحكم وردينة، وكل منهم يجتهد أن يكتب عواطفه ويصف شوقه وحنينه ويرفع إلى الله دعواته البريئة، وقد كان أسلوب وطفا هو الآخر أسلوباً صحيحاً شعرياً. وفي كتاب أرسلته إلينا في هذه الأيام في مناسبة رمضان استهلته بقولها: (في هذا الجامع الصغير الذي تتصاعد منه أصوات العجز والشيوخ والأطفال البريئة إلى الله على مائدة الإفطار...)، فكانت في هذا الإستهلال شاعرة حقاً، وهي تصف جو الأسرة الصائمة القانتة لربها. والحقيقة أن الإنسان لا يستطيع أن يحافظ على جموده أو يتخفف من عواطفه تجاه أولاده وذويه، تلك العواطف المزيجة من الحنين والإشفاق، فهذه العواطف غريزية لا تدخل تحت متناول العقل والفلسفة كثيراً، ومهما كان في نفس المتفلسف من جدل إيجابي وسلبي تجاهها فإنه لن يلبث أن يرى نفسه قد غلب في كثير من الظروف ورضخ لحكم هذه العواطف الغريزية، ذلك لأن الأولاد والأسرة جزء من كيانه، والمرء لا يستطيع مهما تفلسف أن ينسى نفسه ويجمد عن الإستجابة والإنسياق لغريزته. ويزيد في عاطفة الحنين والإشتياق أن الذين تركناهم في البيت هم أطفال ونساء، وأنهم في بلد غريب مهما كان، وبعدنا عنهم ليس موقوتا بزمن، وإنما هو رهن للظروف التي لا نملك تعديلها ولا تطويرها ولا تقريبها. هذا إلى ما في حياتنا العائلية من خصوصية الإلتحام والمودة والإلتفاف التي عودناها أولادنا أيضاً.

2 ـ تعيين يوم العيد في بيان لمفتي استانبول نتيجة للحساب وتعليق على ذلك:

أمس نشر في الصحف إعلان من مفتي استانبول بتعيين يوم العيد، حيث يكون هو المصادف تاريخ 22 تشرين الأول، وبتعيين مقدار زكاة الفطر الواجب توزيعها، وقد فعل مثل ذلك بتعيين يوم بدء الصيام قبل حلول رمضان بأيام، وهذا يعني أن إثبات يوم بدء الصيام ويوم انتهائه في أول وآخر رمضان أصبح عملاً حسابياً بدلاً من عملية إثبات رؤية الهلال التي يسير عليها المسلمون على مدى القرون الطويلة، والتي كانت تمتزج بالاهتمام والنشاط، غير أنها كانت تبدو فيها شيء كثير من التكلف والتلفيق والمفارقات، والراجح أن هذه العملية الحسابية هي عملية فلكية، ولسنا نرى فيها تجوزاً كبيراً بعد أن ارتقى العلم وأصبحت الحسابات الرياضية والفلكية مضبوطة ودقيقة، فتعيين أيام الصوم والإفطار وفقاً لذلك لا يخرج عن روح وغاية التيقن من حلول يوم الصوم والإفطار، ويجعل ذلك منسجماً ثابتاً. وما زلنا نذكر أن كثيراً ما تصوم بلد ما في يوم وبلدا آخر قبله أو بعده في قطر واحد، فضلاً عن الأقطار الأخرى، وإذا كان هذا الأمر اتسق مؤخراً بالنسبة للقطر الواحد بفضل الهاتف والبرق، فإنه ما يزال قائماً بالنسبة للأقطار الأخرى. ومن المفارقات في هذا الأمر تعيين يوم عيد الأضحى والوقفة قبله، فيوم الوقفة هو يوم الحج الأكبر الذي لا يكون إلا في مكة، ومن المعقول أن يأخذ الناس ما يثبت في مكة، ومن المفارقات

أن يكون أصحاب اليوم الأصليون واقفين في عرفات في يوم ومعيدين في يوم، وأن يكون يوما الوقفة والعيد في بلاد أخرى غير يومي مكة، ولكم نتمنى أن تصبح قاعدة الحساب الفلكية عامة في جميع البلاد الإسلامية، بحيث يصوم المسلمون ويعيدون في أيام معينة تعيّن قبل دخول رمضان وقبل دخول شوال وقبل دخول ذي الحجة.

3 ـ تنظيم الحكومة التركية للجمعيات الخيرية وتعليق عليه:

ولقد أرسلت جمعية مساعدة الطيران نشرات للناس ليرسلوا لها قيمة زكاة الفطر، وهذه الجمعية حكومية أو شبه حكومية، ومعنى هذا أن الحكومة التركية توجه الناس توجيهاً مفيداً، من حيث تخصص هذه الزكاة لمشاريع عامة تدخل في مضمون سبيل الله، وهو شيء طريف وحق على شرط أن تكون الحكومة قد أخذت على عاتقها مساعدة الفقراء والعاجزين وذوي العاهات والشيوخ الذين لا موارد لهم، فحكمة الزكاة والصدقات تشمل هذه الطبقة بمقياس واسع، وتجعلها حقاً من حقوقهم في أموال الدولة والميسورين.

وعلى ذكر جمعية الطيران أسجل أن أكثر الجمعيات ذات الأهداف العامة في تركية هي أيضاً حكومية أو شبه حكومية، وقد زارنا منذ أيام موظف وموظفة وطلبوا منا إعانة لجمعية العناية بالأطفال، ولما تحدثنا معهما علمنا أن هذه الجمعية هي حكومية رسمية أيضاً. ومعنى هذا أن الحكومة التركية أخذت على عاتقها تنظيم الجمعيات وتوجيهها والإشراف عليها ولم تتركها للأفراد. وفي بلد مثل هذا البلد لا بأس في هذه الطريقة، فهي تدخل في عداد الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تتوجب على الجماعات، فضلاً عن الأفراد، ولا بأس في تولي الحكومة لها باعتبار أنها أقوى الجماعات وأصلحها وأقدرها على التنظيم والتنفيذ.

* * *

وكتبنا في 1941/10/18:

1 ـ ما اتخذته حكومة بيتان من تدابير ضد اليهود والشيوعيين بعد الهدنة:

ولقد كان رد فعل شديد في فرنسة بعد الهدنة، ضد الذين كانوا يتولون الحكم وضد اليهود والشيوعيين، حيث نشر أنه كان لكل هؤلاء تأثير في الكارثة التي حلت في فرنسة. ولقد اتخذت تدابير شديدة واسعة ضدهم، فصدرت قوانين ومراسيم من حكومة الهدنة بحل المنظمات القومية والماسونية ومطاردة المنتسبين لها بكل قسوة وشدة وسعة، ومصادرة أموال أغنياء اليهود وفي رأسهم آل روشيلد في فرنسة وتجريدهم من جنسيتهم الإفرنسية، وبإلغاء القوانين التي استفاد منها اليهود في فرنسة والجزائر، وبتحديد نطاق نشاطهم الإقتصادي والإجتماعي، وبإخراج اليهود من الوظائف المهمة ومن رئاسات الصحف وتحريرها ومن مؤسسات السينما الخ..

ومما لا شك فيه أن لليهود تأثيراً عظيماً في الخطة التي سارت عليها إنكلترا، وفي الدعاية الواسعة ضد الألمان في إنكلترا وفرنسة وأميركا، ولا نشك في أن بريطانية إذا انهزمت وغلبت في هذه الحرب مثل فرنسة سيكون فيها رد فعل شديد، وسيكون مصيرهم قاسياً. وهذا ما يعرفه اليهود حتماً، ويعتبرون الحرب بسببه حرب حياة أو موت لهم، ويبذلون أقصى جهودهم ونشاطهم في الدعاية لهم وجر أمريكا إليها. وقد كان لهم تأثير عظيم في انتخاب روزفلت للرئاسة، وفي الخطة التي سار عليها إلى درجة جعلت بريطانية تحسب لهم حساباً كبيراً وتتجنب كل ما يغضبهم أو يخفف من نشاطهم.

2 ـ ترشيح رئيس الحكومة التركية أشخاصاً للنيابة وتعليق حول ذلك:

أول أمس أي في 16 تشرين أول قرأنا في الصحف التركية بياناً من رئيس الحكومة التركية بصفته رئيس الوزارة ووكيل الرئيس الأعلى لحزب الشعب التركي، يرشح فيه أشخاصاً ذكر أسماءهم لمراكز النيابة الشاغرة في المجلس (بمثابة مجلس النواب)، واليوم قرأنا أنه قد تم انتخاب الأشخاص بالتزكية، وهذا تطبيق لما هو قائم في تركية ان حزب الشعب وحكمه هما كل شيء في الدولة..

***

الأربعاء 23/10/1491
2 شوال 1359:

1 ـ عيد الفطر في تركية وهو العيد التاسع لنا خارج فلسطين:

كان يوم أمس عيد الفطر، وقد عطلت دوائر الحكومة في مناسبة ذلك أربعة أيام، ورفعت الأعلام على جميع المحلات والبيوت والدكاكين ووسائط النقل، وحفلت المساجد بالمصلين في الصباح، وكل هذا قد يدل على رسوخ الشعور الديني في الشعب التركي بطبيعة الحال، وهذا أول عيد نعيده في دار هجرتنا الجديدة، وقد بلغ عدد الأعياد التي مرت علينا منذ خروجنا من فلسطين تسعة، مر علي منها ثلاثة وأنا في السجن، وقد كان الطقس جيداً في العيد، فكانت فرصة للناس قضوها في النزهات والتجوال والسينما الليلية والنهارية والحدائق والأسواق.

2 ـ حول طقس استانبول:

وبمناسبة الطقس نسجل أننا رأينا في طقس الآستانة عجباً، فقد كان شهر تموز شديد الحرارة نوعاً ما، وبينما كنا نتخوف من اشتداد الحرارة في آب إذ بالطقس فيه أخذ يبرد والرياح تهب أكثر من المعتاد في المصايف، وجاء أيلول فكأننا نستقبل به أوائل الشتاء، من سحب تتراكض في السماء ومن رياح تنذر بالمطر ومن برد يضطرنا إلى لبس المعاطف، بل لقد أخذت السماء تمطر أحياناً رذاذاً وأحياناً همراً، وقد أمطرت مرة مطرة شديدة عطلت السير في الشوارع والأسواق. ثم تشرين الأول على هذا الحال، وتكرر نزول المطر واشتد البرد حتى اضطررنا إلى لبس الصوف الداخلي. وما لبث الطقس منذ أواسط الشهر أن أخذ يتحسن، فالشمس ساطعة قوية والسماء صافية والطقس دافىء الى حد الشعور بالحر الشديد والتعرق، وكأننا الآن نقضي في الآستانة خريف بيروت الجميل.

3 ـ السينما في تركية:

وقد شهدنا في هذه الأيام روايتين مصريتين في السينما، عنوان إحداها (فتاة متمردة)، وعنوان الثانية (صلاح الدين). وقد عدل الأتراك لغة المحاورات فيهما فصارت تركية، فأنت تشاهد رواية مصرية التمثيل والأشخاص والمناظر والإخراج باللغة التركية. وقد أبقيت الأغاني في الأولى عربية وعدلت في الثانية فصارت تركية.. وذكر في لوحة السينما أن التتريك تم في الأستديو التركي. ونسجل أننا لم نشاهد أفلاماً تركية الإخراج والتمثيل، ولم نسمع بوجود شيء من ذلك، فالأفلام التي تعرض في دور السينما مصرية الإخراج أو أوروبية أو أميركية، حيث يظهر ان الأتراك لم يبلغوا بعد حد المشاركة في هذا المضمار، ولم يستطيعوا أن يخرجوا روايات تركية صرفة موضوعاً وتمثيلاً وأشخاصاً، كما استطاع ذلك المصريون.

وهنا ينتهي الدفتر الثالث ويبدأ بعده الدفتر الرابع من الدفاتر التي كتبناها في تركية.

***

1941/10/28
7 شوال 1359:

1 ـ إذاعة وصول المفتي إلى روما وتعليق على ذلك:

أمس أذاعت محطتا باري وروما خبر وصول المفتي الحاج أمين الحسيني سالماً إلى إيطاليا على متن طائرة طليانية، ونشرت الصحف التركية هذا الخبر، وكان الخبر مفاجأة عظيمة ومفرحة لنا حقاً. فمنذ أعلن رفع الحصانة السياسية عن السفارة اليابانية في طهران ولم يسفر تفتيشها عن شيء ونحن قلقون عليه، والناس يتساءلون عن مصيره، لأن الإنكليز لن يدخروا جهداً في البحث عنه وملاحقته، وقد أذاعوا ذلك رسمياً وذكروا شدة خطره وما يعلقون على اعتقاله من أهمية، وما يبذلون في سبيل ذلك من جهد، وليس من ريب في أن هذه المفاجأة ستكون عظيمة الوقع على الإنكليز، وكذلك في فلسطين وسورية والعراق ومصر وغيرها من البلاد العربية والإسلامية، لما صار للمفتي من صيت ومركز عظيمين، وقد كاد يصبح في قبضة الإنكليز وحصارهم، بل كان فعلاً كذلك، فنجاه الله من كيدهم ومكرهم وأوصله إلى ساحة واسعة من ساحات العمل للقضية العربية ومستقبلها. وهذه خامس مرة ينجو بها من كيد الإنكليز ويدهم، وفي كل مرة يكون له فيها مجازفة ناجحة، فقد نجا لأول مرة منهم في حصارهم لمركز اللجنة العربية العليا في القدس في سنة 1937، حيث تسلل من هذا المركز إلى الحرم الشريف في لحظة قدوم ضباط الإنكليز ومعهم شرطة إنكليزية إلى المركز. ثم نجا من حصارهم الشديد له حول الحرم حينما اعتصم به، حيث تسلّق سور الحرم بزي فلاح ونزل إلى خارجه واستقل سيارة إلى يافا، ثم مركباً شراعياً منها إلى ساحل لبنان، ثم نجا مرة ثالثة حينما اعلنت الحرب وصار بيته في ذوق جونيه شبه مطوق من الإفرنسيين، حيث تمكن من التسلل إلى سورية وإلى العراق بطريق دير الزور، ثم نجا مرة رابعة من العراق حينما انهارت المقاومة العراقية إلى ايران، وها هو ينجو الآن من حصار إنكليزي وملاحقة إنكليزية شديدة من إيران، وكاد الناس ييأسون هذه المرة من نجاته، وكل ذلك من توفيق الله له. ولقد كنت على مثل اليقين انه سينجو من قبضتهم في إيران، لأنه شديد الحذر وماهر في اتخاذ الحيطة في مثل هذه المخاطر وقد اعتاد على ذلك.

اطمئناننا وانتعاشنا للخبر وآمالنا:

وقد أنعشت نجاته هذه المرة ووصوله إلى أوروبا آمالنا ونفوسنا، لأن شخصيته التي تعاظمت ستجعل له مجالاً للعمل للقضية العربية نرجو أن يكون فيه الخير والنفع، وسيكون لذلك رد فعل في نشاط الأوساط العربية وفي حركاتها والمساعي في سبيلها، وقد ذكرت محطة باري التي أذاعت خبر وصوله ما كان له من استقبال وما سيكون لهذا الحادث من تأثير عظيم في البلاد العربية والإسلامية، وما سوف تجنيه القضية العربية من نفع بوجوده في أوروبا في هذه الظروف، وسمعنا منها قصيدة غنائية عربية بالترحيب به والإشادة بجهاده

وتضحياته، وسمعنا منها كذلك خطب رؤساء الطلبة العرب في أوروبا الذين احتفلوا بوصوله وحيوه وكرموه، ونشرت الصحف برقية تفيد أن موسوليني استقبله، وهذا يدل على ما أخذ يلقاه المفتي من الرعاية والعناية، وما كان لوصوله إلى إيطاليا من أثر عظيم. ونسجل أن إسحق درويش أخبرنا بعد هذه الإذاعات أنه جاء من ايران إلى استانبول تسللاً بزي غير زيه وبجواز غير جوازه قبل ثلاثة أيام، وأرسل إليه وإلى الشيخ حسن خبراً فذهبا والتقيا به، ثم سارع إلى الخروج من تركيا إلى البلقان ليذهب منها إلى ألمانيا، واعتذر عن إخبارنا بوصوله أو الإجتماع به بسبب الظروف والرغبة في الإحتياط، فعذرناهم، وظهر أنه لم يذهب إلى المانيا بل إلى إيطاليا أولاً.

2 ـ كلام في صحف مصر عن مساعٍ في سبيل قضايا العرب واتحاد بلادهم:

في الصحف المصرية كلام عن مساعٍ تبذل في سبيل القضية العربية من الجانب الإنكليزي والجانب العربي معاً، ومما ذكرته في صدد ذلك أنه كان لوزير بريطانية المفوض ليتلتون اتصالات عديدة في هذا الامر، تناولت فيما تناولته قضية فلسطين. وأن هناك اتجاهاً إيجابياً في حلها من جهة، وفي إنشاء اتحاد بأسلوب ما بين بلاد الشام والعراق من جهة أخرى، وأن الوزير ذهب إلى لندن لعرض نتائج اتصالاته واقتراحاته على الحكومة. ولا ندري ان كان في ما كتبته الصحف حقائق. وها نحن نترقب ما تأتي به الأخبار من لندن أو بلاد العرب من ذلك.

3 ـ أخبار عن تساهل وتخفيف حكومة فلسطين إزاء رجال الحركة الوطنية:

ومما ذكرته الصحف المصرية أن حكومة فلسطين أخذت تسير على أسلوب فيه تخفيف وتأنيس، ومن ذلك أن محاكمتها برأت سعيد أشقير أحد قواد فصائل الثورة الموقوف بتهم جرائم خطيرة، والذي كان له شدة وقسوة في السفك والبطش، ومن ذلك أنها سمحت لكثير ممن اشتركوا في الحركات الثورية والذين كانوا متشردين في سورية والعراق بالرجوع إلى فلسطين آمنين مطمئنين، وقد بلغنا أسماء بعض العائدين الذين نعرف نشاطهم الوطني مثل مصطفى الطاهر وعادل التميمي. ومن المحتمل أن يكون عدد آخر من بابهم قد عادوا أيضاً.

4 ـ أخبار عن التساهل الإنكليزي في قضية عزيز علي:

ومما نشرته صحف مصر أيضاً أخبار جلسات محاكمة عزيز علي المصري التي جعلت علنية وما قرأناه مما دار في الجلسات يدل على أن مصير عزيز علي لن يكون شديداً قاسياً، وأنه سيجنح إلى التخفيف والتهوين، وعلنية الجلسات قد تدل على ذلك أيضاً. وفي هذا دليل على رغبة الإنكليز في التسكين والتهدئة وتأنيس القلوب والأفكار في البلاد العربية. ولا شك في أن الظروف الحاضرة تملي عليها ذلك أيضاً.

5 ـ طنطنة صحفية عن ما نالته سورية من الاستقلال وتعليق عليها:

وصحف سورية ولبنان وفلسطين ومصر

والعراق تطنطن باستمرار بما أعلن من استقلال سورية، وتشيد بفضل بريطانية وحركة فرنسة الحرة وحسن نياتهم وما كان من تنفيذهم لوعودهم وتحقيقهم لأماني العرب، وتشير إلى مسارعة مصر والعراق وبريطانية العظمى إلى الإعتراف بالدولة السورية بعد قيام جمهوريتها، وإعلان النية بإرسال ممثلين عنها لديها كدولة مستقلة. ومما قرأناه في الصحف أن الشيخ تاج رئيس الجمهورية أرسل للجنرال ديغول برقية أعرب فيها عن شكر الشعب السوري وامتنانه مما أحرزه من نعمة الإستقلال التي أنعمها عليه، ويقدم له الوسام السوري الذهبي. وأن ملك الإنكليز أبرق للشيخ تاج بالتهنئة بالإستقلال، وأن توفيق الحياني أمين العاصمة أقام حفلة كبرى باسم مدينة دمشق احتفاء بإعلان الإستقلال السوري. ولا شك في أن تلك الطنطنة وهذه البوادر متعمدة بقصد التأثير في نفسية الشعب الذي لقي من غدر فرنسة ولعبتها ودسائسها وقسوتها واستقلالها وإفسادها، الاهوال. ولا نظن الشعب ينخدع بذلك، ولاسيما أنه يرى الذين كان لهم الأدوار اللئيمة في السابق مايزالون يتربعون على مناصبهم مستمرين في أدوارهم، فمدير الأمن العام السابق كوله هو اليوم جنرال ومندوب كاترو في دمشق، وهو الذين كان له الدور الأقوى في تسليم الإسكندورنة إلى الأتراك، وهو الذي قتل برصاصه كثيراً من الوطنيين في الثورة السورية، وجرجر جثة الشهيد أحمد مريود ورفاقه في شوارع دمشق، ومايزال كوتيو وكوفتو ودافيد وماير وغيرهم من رجال وضباط عهد الإنتداب على رأس أعمالهم في سورية، وما اطلعنا عليه في الصحف أنه أقيم في دمشق حفلة للصليب الأحمر دعي إليها رئيس الجمهورية، فاستقبله بعض صغار الموظفين وكوله في لوج الشرف، ولم يقم له إلا حينما وصل الرئيس إلى هذا اللوج. وأن جمعية الصليب الأحمر أذاعت بياناً عن الحفلة شكرت فيه كوله ورئيس الجمهورية على حضورهما، وقدمت اسم كولة، على الرئيس، وفي هذا بوادر على ما في نفسية الإفرنسيين من اعتبار لهذا الاستقلال الذي منحوه لسورية، ولن يكون ذلك كله خادعاً للشعب وبخاصة للمستنيرين.

6 ـ حديث لفائز الخوري وتعليق عليه:

قرأنا حديثاً في إحدى صحف مصر لفائز الخوري يحاول فيه تبرير اشتراكه في الوزارة التي ألفها الشيخ تاج بالرغم من مقاطعة الكتلة الوطنية وعدم اندماجها في العهد الجديد، ويتساءل في حديثه عما إذا كان اشتراكه يبرر للناس نسبة الخيانة والانشقاق عن الكتلة إليه.. ويدل هذا الكلام على أن الوطنيين في سورية اعتبروا الإندماج في هذا العهد خيانة وانشقاقاً عن الكتلة، وقد جاء في حديثه، فيما جاء، أن الشيخ تاج قال له قبل قيام الكيان الجديد أن الوطنيين ـ (يريد الكلتة الوطنية التي كانت تمثل الحركة الوطنية ومعظم الوطنيين المسلمين) أنانيون، لأنهم لا يحبون أن يأتي الخير إلا عن أيديهم، فقال له أن هذا غير صحيح، فسأله عما إذا كان هو مستعداً للتعاون معه، فقال له أنه مستعد للتعاون مع أي كان اذا كان في ذلك خير ومصلحة، ثم مضت الأيام ولم يفاتح بأمر دخوله في الوزارة، ولكنه فوجيء بذكر اسمه كوزير للخارجية دون سابق إستشارة، فرأى أن يقبل الأمر الواقع، وفي هذا غشاثة تثير السخرية والعجب، فهو منتسب إلى الكتلة الوطنية، وقد عدّ دخوله للوزارة انشقاقاً عليها.

|||||||||||||||||||||||||||||||

1941/10/31
10 شوال 1359 :

1ـ عودة عوني عبد الهادي إلى فلسطين

قرأنا في الصحف الفلسطينية التي وصلت ليدنا في هذه الأيام أن عوني عبد الهادي عاد إلى فلسطين بعد غياب امتد أربع سنين، وكان ذهب في أواسط سنة 1937 إلى جنيف حينما كانت قضية فلسطين معروضة على مجلس عصبة الأمم، ثم لم يعد لأن الحالة تأزمت وأعلنت السلطات حل اللجنة العربية العليا واللجان القومية، واعتقلت من استطاعت من أعضاء اللجنة العربية العليا وأرسلتهم إلى سيشيل، وأصدرت قوانين بمنع باق الأعضاء من العودة إلى فلسطين على ما ذكرناه في الجزء السادس. وقد جاء عوني من أوروبا إلى مصر وأقام فيها. ولما دعت إنكلترا إلى عقد مؤتمر لندن بعد إعلانها إلغاء التقسيم، جاء إلى بيروت واشترك مع باقي أعضاء اللجنة العليا الذين جاؤا من سيشيل وغيرها، ثم ذهب إلى مؤتمر لندن وعاد منها إلى مصر وأقام فيها مع أسرته. والراجح أنه سعى في سبيل العودة إلى فلسطين بعد أن رأى أن الحرب ستطول. وأن الإنكليز وفقاً لخطة الملاينة والتأنيس سمحوا له بالعودة.

استطراداً لذكر عودة أحمد حلمي وغيره إلى فلسطين:

وكان أحمد حلمي باشا وعبد اللطيف صلاح والفرد روك وفؤاد سابا وهم أعضاء في اللجنة العليا عادوا بدورهم إلى فلسطين وأنا في السجن. ولم يكن في بيروت إلا الدكتور حسين الخالدي وموسى العلمي، وقد كنت التقيت بالدكتور حسين بعد خروجي من السجن، فقصّ علي قصة عودتهم وفيما قصّه شيء غريب، فقد قال أن أحمد حلمي قال له أنه سمع أنه ـ أي الدكتور حسين ـ يريد العودة إلى فلسطين، وأن ذلك غير مناسب، فنفى الدكتور له ذلك، ثم جاء إلى بيروت محمد يونس الحسيني وحدّث أحمد حلمي في أمر عودته، فطلب منه استمزاج السلطات. ولما عاد راغب النشاشيبي، راجعه محمد يونس في شأن استمزاج السلطات بعودة أحمد حلمي، فوافقت على شرط أن يكتب للحكومة كتاباً يعلمها برغبته في العودة، ويتعهد بعدم القيام بأي نشاط سياسي في فلسطين، وكتبت صورة الكتاب المطلوب وسلمته لإبنه عبدو، وحمله هذا إلى بيروت، فعرضه على الدكتور والفرد روك وفؤاد سابا وطلب رأيهم واقترح توقيع الكتاب منهم جميعاً، وكان عتاب ومشادة بينهم بسبب ذلك، وأعلن هو والفرد وفؤاد عدم الموافقة على التوقيع، فوقعه أحمد حلمي منفرداً بحجة أن أموره الاقتصادية ساءت وأنها بحاجة إلى اشرافه. وبعد قليل جاءه خبر بالسماح فعاد، وبعد قليل نفد صبر الفرد وفؤاد فراجعوا القنصل البريطاني وأخبروه برغبتهم بالعودة وأخبروا الدكتور حسين، فعاتبهم، لأنهم كانوا متشددين في الرد في الموقف الأول، ولكنهم لم يبالوا وجاءهم بعد أيام خبر بالسماح، فعادوا. وكان عبد اللطيف صلاح قد عاد قبل عودتهم، حيث جاء من مؤتمر لندن إلى مصر وسعى فيها للحصول على إذن بالعودة فجاءه الإذن وعاد. والراجح أن الحكومة الإنكليزية فضلت عودة اعضاء اللجنة إلى فلسطين مع تجميد نشاطهم على بقائهم

خارجها، لأنهم على كل حال رمز النضال الوطني وأستمراره ما داموا خارج فلسطين، فتكون بعودتهم قد صارت أكثرية اللجنة تحت هيمنتها، ويكون في ذلك صدمة أو تحطيماً للرأي العام الوطني الناقم الجريح. وأرجح أن يعقوب الغصين أيضاً قد عاد. وكان يسعدنا أن عوني لم يدخل في الزمرة العائدة، غير أنه هو الآخر لم يستطع الصبر إلى النهاية وعاد.

2 ـ استطراد وتعليق في صدد عوني والمفتي إزاء بعضهما:

ومهما يكن من شيء فممّا لا ريب فيه أن عوني قد صبر أكثر مما كان المفتي وجماعته يظنون، فابتعد عن الإنزلاق في التعاون مع الإنكليز كما كانوا يرتابون ويتوهمون. وقد ردّدوا هذا الإرتياب والتوهم لنا في سياق انتخاب أعضاء مؤتمر لندن، وقالوا أن الإنكليز يرون في عوني الحصان الثاني الذي يمكن أن يربط بالعجلة إذا ما ظل المفتي في عناده ومقاومته، وأن هذا المعنى نقل اليهم عن الإنكليز بواسطة أناس موثوقين، وأن سفر عوني إلى لندن عضواً يفتح المجال لبروزه، ولتفكّر الإنكليز في تنفيذ خطة سياسية لفلسطين بالتعاون معه. وقد حاولت أنا ومعين تصحيح هذه الذهنية وأكدنا لهم أن عوني لا يعقل أن ينزلق إلى هذا، فضلاً عن أنه لن يجد في نفسه قوة على تحمل مسؤوليته حتى لو حدّثته نفسه به، وأنه قد يكون بعض الإنكليز قالوا هذا عن عوني لما يرونه ويراه الناس فيه من المرونة والمسايرة، ثم من الضغينة على المفتي والرغبة في منافسته واعتبار نفسه نداً له مما ذكرنا شيئاً منه في مناسبات سابقة، غير أن الذي قوّى في المفتي وجماعته هذا المعنى وجعلهم يصدقون ما يقال عن عوني هو ما بين الطرفين من ضغينة متبادلة تولّدت على الأكثر من اعتبارات شخصية.

3 ـ الاعتبارات الشخصية هي الناظم الأقوى لعلاقات الناس:

وهذه الإعتبارات تظل فينا مع الأسف أقوى من الإعتبارات الوطنية، وتجعل أكثرنا يصدر عنها في علاقاته مع غيره وفي مواقفه مع غيره، فالحب الشخصي والبغض الشخصي والإخلاص الشخصي وعدم الإنسجام الشخصي هو على الأكثر الناظم لهذه العلاقات والمواقف، والذي يفسر به تصرفات الناس ومواقعهم مهما كان فيها من بعد الإنصاف والحقائق، وهذا هو الذي يجعل الحزبيات السياسية عندنا قائمة على الأشخاص والتمازج أكثر منها على المبادىء... فعندنا أحزاب وطنية عديدة كلها متحدة في المباديء والأهداف، ولكن التناظر والضغائن فيما بينها قوية من شأنها أن تستغرق الجهود وتحد من النشاط في سبيل المبادىء والأهداف. وهذا التعدد إنما كان بسبب قوة الإعتبارات الشخصية وتأثيرها. وليس هذا في فلسطين فحسب فهو في البلاد العربية عامة أي في مصر وسورية ولبنان والعراق. وقد مرّت صور كثيرة لذلك في مناسبة عديدة في هذه المذكرات، ولقد جنت البلاد والقضية العامة من ذلك ثمراً مُرّاً. وهذا لا ريب مظهر قوي من مظاهر ضعف بنيتنا القومية والأخلاقية.

4 ـ حول نقمة الدكتور حسين وموسى العلمي وجمال على المفتي بسبب تكتمه :

ولم يبق من اللجنة خارج فلسطين إلا أنا والمفتي والدكتور حسين الخالدي وجمال الحسيني، وجمال الآن منفي في روديسيا مع أمين التميمي وأمين رويحة وناجي السويدي وغيرهم. وكان في بيروت مع الدكتور الخالدي، موسى العلمي، وهذا وإن لم يكن عضواً في اللجنة فقد كان عضواً في مؤتمر لندن. وكان استشارني حينما التقيت به في بيروت بعد خروجي من السجن بأمر عودته، فقلت له أنا لا أستحب هذه العودة له ولا لغيره من الأركان، لأن البقاء خارج فلسطين أفضل وأشرف لهم وللحركة الوطنية. وكان الدكتور الخالدي قال لي أنه مصمم على البقاء، ولا أعرف هل يعود الإثنان هما أيضاً.

وكان الدكتور الخالدي قال لي أن أحمد حلمي ناقم على المفتي لإهماله أعضاء اللجنة في بيروت، وعدم تبادله معهم الرسائل والأخبار وهو في بغداد، ويقول ـ أي أحمد حلمي ـ أن المفتي استأثر بالموقف واعتبر بقية الأعضاء صفراً، وأن هذا من الحجج التي برّر فيها عودته. وفهمت من الدكتور الخالدي أنه هو نفسه كان ناقماً مثل أحمد حلمي على المفتي لعدم اتصاله به أيضاً، وإعلامه بما كان من نشاط ومساع. وكانت الأخبار تترشح بأنه يقوم بنشاط ومساع واتصالات سياسية، وقد حاولت تبرير تصرف المفتي وتنبيه الدكتور إلى الظروف الدقيقة التي فيها المفتي، وأرسلت إلى المفتي في نفس الوقت رسالة لفت فيها نظره إلى شعور الدكتور وأحمد حلمي، وطلبت منه تلافي أثر ذلك الشيء بحكمة وروية.

وعلى ذكر موسى أقول أني فهمت منه أنه هو الآخر ناقم على المفتي نقمة شديدة، ولقد كان في بغداد وأقام فيها مدة غير يسيرة، ولحظ أن المفتي يتكتم عنه في نشاطه ومساعيه، وأنه كان يقترح في صدد النشاط والاتصالات بعض الإقتراحات، ويحاول ان يتعرف لما عند المفتي من أخبار ونتائج في هذا الصدد، وكان يلقى من المفتي مراوغة وبعداً، في حين أنه كان يختص بأسراره إسحق درويش والشيخ حسن أبو السعود، وفي حين أنه كان بينه وبينه رابطة صميمة (أنا اعرفها من القدس، ثم أثناء الثورة سني 1937 ـ 1939، وهو الذي رشحه لمؤتمر لندن وألح على ذلك). ولقد وصل الأمر بينهما نتيجة لذلك الى الجفاء والمقاطعة والغمز. وفهمت منه أن جمال الحسيني أيضاً ناقم على المفتي لأن حالته معه في هذه الصدد على النحو التي كانت مع موسى حتى وصل الأمر بينهما كذلك إلى الجفاء والمقاطعة والغمز. ولقد جرى حديث بيني وبين إسحق في صدد ذلك، فقصّ علي إسحق ما كان يصدر من جمال وموسى من شغب على المفتي وأخصائه وتصرفاتهم في توزيع الإعانات، وحاول أن يجعل هذا الشغب هو العامل فيما كان من ضغينة وجفاء. ولا يبعد أن يكون هذا من العوامل، ولكني أميل إلى التصديق بأن وقوف المفتي منهما موقف المتكتم وعدم إطلاعهما على ما يقوم به من نشاط، فضلاً عن عدم إشراكهما فيه كان العامل الأقوى، وموسى في كلامه كان يصب نقمته على هذه النقطة، ولم يشر إلى التصرفات المالية إلا من معرض الغمز والتلميح. وكان من مخاوفه أن لا يكون المفتي قادراً على وضع منهاج كامل يكون الإتصال

والاتفاق مع الجهات التي يتصل بها على أساسه، ولا سيما أن الذين اتخذهم أمناء سره ومستشاريه لا يستطيعون أن يساعدوا مساعدة جدية في وضع ذلك المنهاج على حد قوله[1]. ولقد صعب عليّ هذا الجفاء حين ما عرفت أمره من موسى بعد خروجي من السجن، فحاولت تهدئته من جهة، وأرسلت رسالة شفوية إلى جمال لفتّ نظره إلى ما في ذلك من ضرر على المصلحة، وأرسلت كذلك إلى المفتي رسالة طلبت منه ضرورة تلافي الأمر وخاصة مع جمال الذي كان في بغداد.

إني أعرف أن المفتي في صلاته ومواقفه مع أكثر الناس حتى مع من يُعرف بصلته الوثقى به، يسير على نفس الخطة من التحفظ والتكتم والمداورة فيما لا يريد أن يعرفوه أو يشاركوا فيه من أمور، حتى صار هذا ديدناً له. وأسلّم أنه قد يكون معذوراً في كثير من الظروف في مثل هذا التصرف وخاصة في الشؤون الدقيقة الخطيرة والتي نحن في صددها. ولكنه لا يمكنه أن يكون في غنى عن آراء العقلاء والمثقفين وذوي الأفق والإطلاع الحسن والذين اتخذهم أمناء له لا يمكن أن يسدوا هذه الحاجة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية إني أعرف أن جمال وموسى لا يعدّان غريبين عن اتصالات المفتي الأولى أثناء الثورة بالمقامات المذكورة، وأعرف أن بينه وبينهما صلة ورابطة قويتان، ولهذا استغربت هذا الموقف منه إزاءهما وحرت في تعليله، فهل كانا حقيقة غير جديرين بثقته وصميميته هما الآخران، أو هل بدا منهما في بغداد من التصرفات ما أوجد في نفسه نفرة وحمله على هذا الموقف؟

5 ـ حول مساعي نيو كمب وخمودها في سبيل تنفيذ الكتاب الأبيض:

هذا ما كان مسجلاً في دفتري، وقد تذكرت أمراً علمته من موسى، وهو أن نيو كمب الإنكليزي جاء بعد قليل من إعلان الحرب الألمانية الإنكليزية الإفرنسية إلى بغداد، واتصل بنوري السعيد وادعى أن من الممكن السير في خطة ما لتنفيذ ما جاء في الكتاب الأبيض، واتصل بتوصية من نوري بجمال وموسى، وأظهرا استعدادهما للتعاون معه، ولم يخبر المفتي الذي علم بذلك بوسائله الخاصة، فكان ذلك مما جعل المفتي يحقد ويحمل على موسى وجمال ويتهمهما بالتآمر على القضية. وقد كان نيو كمب خشي أن يرفض المفتي الخطة، فطلب منهما عدم إخباره، وكان من الخطة أن يذهب جمال وموسى إلى القدس ويتصلا بحكومتهما، وطلبا منه أن يأتيهما رسالة ما أو طلب من هذه الحكومة حتى لا يذهبا من فراغ. وعاد نيو كمب إلى لندن بوعد تدبير ذلك، ولم يصلهما بعد ذلك أي خبر أو رسالة، فوقف الأمر عند هذا الحد. فكان موقفهما هذا من المفتي هو باعث ذلك الموقف منه إزاءهما أو من بواعث ذلك.

***

---

(1) المقصود من اتصالات ومساعي المفتي التي كان يتكتم بها إزاء موسى وجمال هي الإتصالات مع مقامات دول المحور الألماني الطلياني، وقد أشرنا إلى ذلك في مناسبات سابقة من هذا الجزء.

6/11/1941
16 شوال 1359 :

1 ـ حول سفر المفتي من روما إلى برلين والبيان الذي أذاعه :

نشرت الصحف برقية أذاعتها شركة البرقيات الطليانية في روما ، جاء فيها أن المفتي قد غادر روما إلى برلين ، وأنه أذاع بياناً بمناسبة سفره من روما شكر فيه الدوتشي (موسوليني) والحكومة والصحف الطليانية على حسن الإستقبال والرعاية الذي أحيط به ، وعلى ما لمسه من عطف نحو القضية التي يمثلها في مناسبة زيارته بلاد إيطاليا الصديقة ، وقد أذاعت محطة باري هذه البرقية ، ثم ردت على إذاعة إنكليزية ذكرت خبر وصول المفتي بأسلوب فيه غمز واستهجان ،وقالت أن الإنكليز الذين هم أعداء العرب والإسلام الحقيقيون قد دأبوا على محاربة كل عامل لوطنه نكب بهم . ومع أن الصحف التركية نشرت خبر وصول المفتي إلى روما فإنها لم تنشر بيان المفتي الذي أذاعته شركة البرقيات الطليانية ولا رد إذاعة باري على الدعاية الإنكليزية ، وقد خطر لبعضنا أنه إغفال مقصود بأمر من الحكومة التركية التي يمكن أن يكون أغاظها مرور المفتي من بلادها خلسة ، وكأنما هو تحدٍ لها ، ولقد أخبرنا الأمير عادل أنه التقى بفريدون بك وفهم منه أن الحكومة ليس لديها أي شيء في صدد مرور المفتي ووصوله إلى أوروبا. وكان بعضنا يظن أن من المحتمل أن تحد حركات المفتي أو يحال دون سفره من روما إلى برلين ، ولم نشارك نحن في هذا الظن اعتقاداً منا أن إيطالية لا يمكن أن تقف موقفاً معاكساً أو مثيراً لألمانيا ، وقد جاءت برقية شركة البرقيات مؤيدة لظننا ، مبطلة لذلك الظن الآخر . ومن الطبيعي أن يذهب المفتي إلى برلين لأنه يعرف أنها هي مستقطب النشاط للقضية وليست روما ، ونرجح أنه اتصل بأسلوب ما ببرلين وجعلها تدعوه . ووجوده في برلين في هذه الظروف مهم جداً ، وفيه تطمين للعرب الذين بلوا من الإنكليز ما بلوه وصاروا يتمنون إنكسارهم في هذه الحرب ، ولا سيما أن البوادر تدل على هذا الإنكسار . والمفتي اليوم أصبح في اسمه وشخصيته أقوى من كل وقت ، ولا سيما بعدما كان من مطاردة الإنكليز له وإعلانهم خطره العظيم على سياستهم ، وما كان من إذاعاتهم وتصريحات رجالهم ونوابهم ، ثم ما كان من فشلهم في مطاردته التي كان العالم يترقب نتائجها بإنتباه عظيم . وطبيعي أن دول المحور تدرك قوة شخصيته هذه في البلاد العربية والإسلامية ، وتحرص على أن تكون في جانب سياستها . ولا نشك في أن المفتي هو الآخر مدرك لذلك وعامل على الانتفاع به في صدد القضايا العربية.

2 ـ حول بقاء رشيد عالي إلى الآن في تركية وفائدة وضرورة سفره هو الآخر :

ولو تمكن رشيد عالي الكيلاني من اللحاق به الآن لكان أتم وأفضل للقضية ، لأن شخصيته هي الأخرى قد عظمت بعد الحركة العظيمة التي قام بها ، وبعد ما كان من ملاحقة الإنكليز أو دعاياتهم ضده ، ودعايات الحكم الذي قام بعد انهيار حركته ، والتي لم تزل شديدة قوية إلى الآن ، مما يدل على تخوف الطرفين

(الإنكليز والحكم القائم في العراق) من آثار حركته واحتمالات نشاطه في الرأي العام العربي عامة والعراقي خاصة ، ولا سيما الحقد والعداء الشديدين ضد الإنكليز في الشعوب العربية في فلسطين ومصر والعراق وإيران إلخ . . ويمكن أن ينفجر في أي فرصة سانحة . ومما نسجل أن نوري السعيد حينما استلم الحكم جعل من منهاج وزارته تطهير الجيش ودوائر الحكومة من أنصار رشيد عالي والضالعين بحركته ، أو الذين تعاطفوا معها ، وخطاب العرش للوصي في مجلس النواب ضرب على هذا الوتر ، وسمعنا محطة باري تذيع أخبار عزل واعتقال مئات من الموظفين والضباط العراقيين بتهمة ضلوعهم مع حركة رشيد عالي أو تعاطفهم ، وعدم الولاء التام للحكومة والمعاهدة الإنكليزية ، وهذا كله جعل شخصية رشيد عالي تبرز وتتسع وتشتد سمعةً وصيتاً ، وتصبح كأنها تمثل العداء العراقي للإنكليز . وباجتماع المفتي ورشيد في برلين إتمام لتمثيل القضية العربية . ومما يزيد هذا أهمية ما بلغنا من أن الحكومة الألمانية ما زالت تعتبر رشيد عالي وحكومته ممثلين شرعيين للعراق ، وأن أعضاء حكومته قد فوضته رسمياً بعقد معاهدة مع دول المحور في صدد القضايا العربية . . ونعرف أن رشيد يقدّر هذا ويدركه ، وأنه متشوق للسفر إلى برلين ، حيث ترددنا عليه أكثر من مرة في مقامه في استانبول منذ جاء إليها قبل نحو شهرين على ما ذكرناه سابقاً ، ولكن الحكومة التركية لم تسمح له مغادرة تركية ، بحجة أنها حينما سمحت له باللجوء إلى بلادها اشترطت عليه الإقامة الدائمة وعدم النشاط السياسي . وقد بررت بشروطها هذه سماحها له باللجوء إلى بلادها أمام الإنكليز ، وقد قيل لنا أن الألمان حاولوا أن يقنعوا الحكومة التركية بالتساهل والإذن له بالسفر بلهجة ودية فلم يستطيعوا إقناعها ، وأنهم يتحاشون التشديد في هذا الأمر لأنهم لا يريدون أن تتعكّر صلاتهم معها لأي سبب ، ولعل تطورات الحرب تساعد قريباً على حل هذه المسألة ، فتجعل الأتراك يتخلون عن تشددهم ، ونرجح أن المفتي سيبذل جهده في تعجيل التحاق رشيد عالي به .

1941/11/10

1 ـ حول خبر مقتل فخري النشاشيبي في بغداد :

أمس أذاعت محطات لندن ومصر وفلسطين خبر مقتل فخري النشاشيبي في بغداد، ومما ذكره بعضها أن المرجح أن قاتله غير عراقي، وأن جثته نقلت من بغداد إلى عمان فالقدس. ومما قاله المذيعون أنه كان لخبر اغتياله وقع سيء في بلاد العرب، وأن بقتله قد انهدم ركن من أركان فلسطين وعلم من أعلامها.

وهذه ثالث محاولة لاغتيال فخري منذ أطلق عليه الرصاص في يافا قبل خمس سنين، فأصيب وشفي من ذلك بعد قضائه أياماً عديدة في المستشفى حتى التأمت جراحه. ثم أطلق الرصاص عليه قبل سنة أمام دار الإذاعة وهو مع عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد فأصيب أيضاً وشفي من جراحه. وهذه المرات الثلاث هي إطلاق رصاص، أما المحاولات التي كانت بسبيل ذلك ولم يطلق فيها رصاص فعديدة، وقبل ثمانية أشهر شاع خبر مقتله في مصر بقوة، حتى أن جريدة ألفباء الدمشقية ذكرت ذلك نقلاً عن مراسل من فلسطين، ثم ظهر أن الخبر غير صحيح.

نشاط فخري في أثناء الحرب في فلسطين وسورية :

ولقد بلغنا أن فخري منذ احتلال سورية من قبل الإنكليز والديغوليين بعد خروجنا، نشط نشاطاً ظاهراً، حيث أخذ يزور سورية ولبنان ويتصل برجالاتها وصحفيِّيها، ويصطنع لنفسه مظهراً خاصاً يوهم به الناس بشدة صلته بالإنكليز ونفوذه عندهم، وأنه من الذين يستطيعون أن يحلوا ويربطوا ويؤثروا آثاراً سلبية وإيجابية عندهم، حتى قيل على ما بلغنا أنه قد يعيّن أو عيّن مستشاراً عربياً في البعثة الإنكليزية التي تدير أمر احتلال وأحوال سورية ولبنان، وبسبب هذا أخذ يلقي في سورية ولبنان حينما كان يأتي إليهما حفاوة، وتقام له حفلات لم يكن يحلم بها بطبيعة الحال قبل هذا الإحتلال. وقد قرأنا له حديثاً صحافياً منذ شهرين أشاد فيه بالصداقة العربية الإنكليزية، وأعلن فيه طمأنينته بأن هذه الصداقة ستثمر هذه المرة، وأن القضية العربية هي بسبيل الحل بقوة هذه الصداقة، وخاصة إذا تم النصر للحلفاء، وأن السياسة التي سار عليها العرب خلال العشرين سنة الفائتة في فلسطين وسورية، وهي سياسة العنف وعدم التعاون، لم تعد على هذه البلاد إلا بالضرر. وقد قرأنا في صحف سورية التي وصلتنا أخيراً والصادرة قبل أسبوعين خبر زيارة جديدة له لدمشق وما كان له من حفاوة فيها، وخبر إقامة الشيخ تاج رئيس الجمهورية مأدبة له. ويظهر أنه استمراراً لنشاطه هذا سافر إلى العراق أيضاً ليجتمع مع نوري السعيد الذي توثقت الصلة بينه وبينه أخيراً في القدس وعمان أثناء الفترة التي كان فيها نوري السعيد خارج العراق، في أثناء الثورة العراقية، حيث وجدت الميول السياسية بينهما، وخاصة حقدهما على المفتي الذي قوي في نوري بنوع خاص بسبب ضلوع المفتي بتلك الثورة.

أهداف رحلته المحتملة إلى بغداد:

ولعله ذهب إلى العراق ليشترك في ما يحيكه

الإنكليز وأوليائهم من رجال العهد العراقي الجديد من مؤامرات وتخطيطات في صدد تأييد سياستهم في بلاد العرب وضمان تعاون هذه البلاد معهم. والأمير عبد الله الآن في بغداد وهو صديق حميم من أصدقاء فخري، ولعل وجوده مما جعله يذهب إليها أيضاً، حيث جاء هو الآخر إلى بغداد منذ أسبوعين لتهنئة الأمير عبدالأله الوصي برجوعه إلى العراق، ونوري السعيد باستلام الحكم، ولعقد مؤتمر عائلي يتدارس موقف الهاشميين وآمالهم وسياستهم على ما اطلعنا عليه في بعض الصحف. ولا سيما أنه رأى أمله في ملكية سورية قد يخيب بعد أن عادت الجمهورية، وقويت يد فرنسة من جديد في ظل حركة فرنسة الحرة.

وقد ذكرت الإذاعات أن فخري بينما كان يتجول في أحد شوارع بغداد أطلق عليه النار شخص يركب موتوسكيل[1] واستمرّ في سيره، ووقع فخري مضرجاً بدمه وما لبث أن فارق الحياة.

الآثار المحتملة لمقتل فخري النشاشيبي:

ولا ريب في أن مقتله سيكون ذا أثر كبير في بغداد والعراق وفلسطين وفي الإنكليز معاً. وسيقضّ مضاجع هؤلاء وأنصارهم في فلسطين والعراق ويجعلهم يرون فيه نذيراً خطيراً بدوام روح الحقد والعداء ومطاردة الخائنين وملاحقتهم في أي ظرف ومكان، وقد كان أجرأ من نأوا الحركة الوطنية والجهادية وتحدّاها حتى في أشد أوقاتها عنفاً وتأججاً. ولقد ألف عصابات لقتال الثوار وعرقلة جهادهم، وتضامن مع فريد ارشيد وفخري عبد الهادي وشد أزرهم في المواقف المناوئة التي وقفوها من المجاهدين وحركة الجهاد، وتدخل في قضاء الخليل وتعاون مع بعض أولياء الإنكليز في توسيع حركة الخلاف التي لمحت بين صفوف المجاهدين تحت شعار مدنيين وقرويين، وكان يطوف مع ضباط الجيش الإنكليزي في القرى لجمع الناس وأخذ العهود منهم بمناوأة حركة الجهاد وعرقلة نشاط الثوار وسد الآفاق في وجوههم.

هذا في أثناء الثورة، أما قبلها فإنه لم يترك موبقة من الموبقات الوطنية إلا وارتكبها، من سمسرة، إلى دعوة تضامن مع اليهود، إلى تأليف صفوف المعارضة للحركة الوطنية وتقويتها، إلى معاكسة الحركات العامة التي كان يقوم بها المفتي في صدد نشر الدعاية في العالم الإسلامي وتقوية قضية فلسطين، إلى تزوير كتاب نسبه إلى الأمير شكيب أرسلان في صدد تأييد علاقة المفتي ونشاطه بموسوليني.

والغريب في أمره أنه بلغ في استهتاره إلى حد كان يتفاخر فيه بموبقاته الوطنية والأخلاقية أمام الناس، ولا يتورع عن القول أنه لا هم له إلا المال واللذائذ، وأنه مستعد لأن يتقاضى المال من أي جهة يتيسر له منها. وهو ذكي نشيط مسرف باسط اليد لأصدقائه وخلّانه، صاحب دعابة ونكتة خفيف العشرة لطيف المنظر، يعرف الإنكليزية والإفرنسية، ولعل هذه الصفات هي التي ساعدته على إشغال الحيّز الذي شغله حتى بين كثير من الناس الذين يعرفون استهتاره وكسب صداقات منهم.

وقد وصل إلى مركز وصار له من الاسم ما قد يساعده على تنفيذ مشروعات ومؤمرات ضارة خطرة في هذه الظروف.

(1) دراجة نارية.

1941/11/12 :

1 ـ خبر القبض على قاتل فخري :

قيل لي أن إذاعة بغداد أذاعت خبر القبض على قاتل فخري النشاشيبي، وهو فلسطيني اسمه أحمد إسماعيل، وقال لي بعض الإخوان أن هذا قدسي ويمكن أن يكون من بيت نسيبة، وقد كان في سورية حينما غزاها الإنكليز والديغوليون، فغادرها إلى العراق لأنها أكثر أمناً على كل حال، ولا سيما أن حكومة المدفعي لم تسلم أحداً من الفلسطينيين الذين ظلوا في العراق بعد انهيار المقاومة للإنكليز، وكل ما فعلته أنها عينت لهم محلات للإقامة الجبرية في مناطق العراق الشمالية، وخصصت لهم في الوقت نفسه نفقات يومية بمعدل مائة فلس لكل واحد. والراجح أن هذا الموقف شجع بعض الفلسطينيين الذين ظلوا في سورية على التسرب الى العراق، وكان أحمد إسماعيل واحداً ممن تسرّب، وما يزال الإسم والأسرة تحتاجان إلى تأييد آخر، وعلى كل حال فإن قتل فخري لا يقدم عليه إلا فلسطيني، لأنهم أعرف بجرائمه وخطره، ولأن فكرة مطاردة الخائنين فكرة قوية راسخة في المجاهدين والوطنيين الفلسطينيين. ولسنا ندري ماذا سيكون موقف حكومة نوري السعيد من الفلسطينيين إذا تأيدت الظنون بأن القاتل منهم، ونخشى أن تجتاحها ثورة غيظ فتشنّ عليهم حملة مطاردة أو تسليم لحكومة فلسطين.

2 ـ حول خطاب الوصي عبد الإله وحملته على رشيد عالي والمتعاطفين مع حركته :

قرأت في جريدة عراقية نص خطاب الأمير عبد الإله الوصي في مجلس النواب، وفيه حملة شديدة على رشيد عالي وإشارة إلى وجوب عدم التساهل مع كل من تحدثه نفسه بمخالفة الدستور، لأن هذا التساهل قد جر على العراق ما جر من حركة تمردية ومن انفتاح المجال للأصابع الأجنبية.

إعتقالات في بغداد نتيجة لذلك :

وقرأنا في الصحف العراقية أيضاً أن الحكومة استناداً إلى بعض مواد قانونية أمرت باعتقال عدد غير قليل من رجال العراق وشبابهم ومنهم موظفون، بتهمة ارتكابهم ما يمس سلامة الوطن، أو بالأحرى بتهمة تأييدهم لحركة رشيد عالي. ومن الأسماء التي ذكرتها الصحف الشيخ بهجة الأثري الوطني الأديب الشاعر المعروف، ومنهم طالب مشتاق قنصل العراق في بيروت ثم في القدس. وفي الصحف أسماء عديدة أخرى قال إخواننا الذين قرأوا أسماءهم أن أكثرهم من الوطنيين المخلصين القوميين المؤمنين. ونحن نعرف الشيخ بهجة من المؤتمر الإسلامي العام، وهو وطني قومي متحمس، وكنا قرأنا له قصيدة قوية نظمها ونشرها أثناء الثورة العراقية سماها (مأتم الإستعمار الإنكليزي)، حمل فيها حملة شديدة على الإنكليز وأنصارهم، وأشاد فيها برشيد عالي ورفاقه وحركتهم إشادة شديدة. وفي صدد طالب مشتاق قال بعض الإخوان أن من المحتمل أنه

كان من مؤيدي حركة رشيد عالي، وأن يكون نوري حينما كان في القدس في أثناء فراره حاول حمله على التمرد على حكومة رشيد عالي فأخفق فحقد عليه.

ومهما يكن من أمر فإن خبر موجة الإرهاب والتنكيل التي سمعنا إشارة عنها من محطة باري عقب إستلام نوري لزمام الحكم قد تحقق بما قرأناه في جرائد العراق، ولقد كان قيل أن جميل المدفعي قد استقال لأنه لم يرد أن يتحمل مسؤولية عملية إرهابية تنكيلية أرادها منه الوصي والإنكليز من ورائه، فيكون نوري قد استلم الزمام، ومن مهامه القيام بهذه العملية، وقد أخذ فعلاً يقوم بها.

ولقد أذاعت الإذاعات قبل أن نقرأ أخبار الإعتقالات خبر استقالة ثلاثة من وزارة نوري السعيد الجديدة، وهم علي ممتاز، وصادق البصام، وعبد المهدي، وهؤلاء من وزراء وزارة طه الهاشمي التي قامت بعد استقالة رشيد عالي على ما ذكرناه قبل، وهم ذوو سمعة وطنية، فيجوز أن يكون نوري أخذهم لتقوية وزارته بهم في الرأي العام، ويمكن أن يكونوا استقالوا حينما عرفوا نية ومهمة نوري الإرهابية التنكيلية.

3 ـ حول تصريح للأمير عبد الله في بغداد في صدد أهداف الأمة العربية وإخلاصه للحلفاء:

وقد قرأنا في صحف العراق أيضاً تصريحاً للأمير عبد الله في صدد القضية العربية جاء فيه أنه كان وما يزال عاملاً في سبيل إنجاحها، وأن من حق العرب أن ينالوا مبتغاهم في ظروف العالم الحاضرة، وأنه مؤمن بنيلهم هذا المبتغى، وأن القضية العربية يجب أن تكون فوق كل اعتبار، وأن العرب لا يقبلون عن حريتهم ووحدتهم بديلاً، (وهذا هو ما تعنيه القضية العربية أي استقلال بلاد العرب وحريتها ووحدتها)، وأنه كان وما يزال مخلصاً لقضية الحلفاء جرياً على السياسة التقليدية التي سار العرب ولا يزال من الواجب أن يسيروا عليها وخاصة في الصداقة لبريطانية والانتصار لقضيتها. وقد رددّت صحف مصر وفلسطين وسورية هذا التصريح. والتصريح وإن كان يبدو قوياً، فالذي نرجحه أن الإنكليز شجعوا عليه لكسب قلوب العرب، وتحسين ثقتهم في الأمير عبد الله، وجعل كلمته ودعوته مقبولتين مسموعتين في هذا الظرف الذي يسعون فيه لتخفيف عداء العرب، وحقدهم عليهم، ودرء الخطر الذي قد ينجم منهم حين اشتداد أزمة الشرق العربي ومعركته، بل وبث فكرة مساعدتهم والإنتصار لهم. ولعل هذا من أهداف رحلة الأمير إلى بغداد، ومن أهداف التخطيطات التي ترتب فيها والإجتماعات العائلية الهاشمية التي تعقد فيها، ولا يمكن أن يقال أن الأمير عبد الله قد أدلى بهذا التصريح تحدياً للإنكليز أو مقدمة لعروض يعرضها، ومطالب يقدمها، لأن الأمير لا يجهل قيمة نفسه الحقيقية عند الإنكليز، وعند العرب على السواء، ولأنه أضعف من أن يقف من الإنكليز موقف التحدي ، برغم أن من حقه ومن واجبه أن يقف مثل هذا الموقف الآن ، فالإنكليز قد نكثوا مع العرب وغدروا بهم وخانوا قضيتهم وتآمروا على تقسيم بلادهم، ومنحوا جزءاً منها لليهود رغم ما كان من ثورتهم وسفك دمائهم إلى جانبهم استناداً إلى وعودهم وعهودهم، وقد تخلوا عن حليفهم الشريف الحسين الكبير في النهاية، وسمحوا للسعوديين بتقويض مملكته

ونفوه إلى قبرص. وإذا كان من حق العرب أن يحقدوا على الإنكليز ويتجهموا لهم ويتحاشوا أن يلدغوا منهم مرة أخرى، فمن حق أبناء الحسين أن يكونوا في مثل هذا الشعور أو أشد، وآخر ما كان من لعبتهم تأميل الأمير عبد الله بعرش سورية، وجعله يتحمس للمشاركة في قمع ثورة العراق وبذل جهده ودماء جيشه في سبيل ذلك، وإظهاره الإبتهاج الشديد حينما تم قمعها، حتى أنه كان يقبل بعض الضباط الإنكليز الذين قادوا الكتيبة الأردنية، ويضع الأوسمة على صدورهم على ما قرأناه في الصحف العراقية والفلسطينية ورأينا صوره فيها.

وبعد أن انتهى ذلك وانتقل الدور إلى سورية ونجحت الحملة الإنكليزية الديغولية في التغلب على مقاومة الإفرنسيين الذين كانوا يوالون حكومة فيشي تخلوا عن تلك اللعبة رغم مشاركة الأردن في تلك الحملة بأسلوب ما، وفسحوا المجال لفرنسة الديغولية للبروز كصاحبة الأمر في سورية وإعادة الحكم الجمهوري الإستقلالي فيها، ولا ندري بماذا يطمع من الإنكليز بعد إخفاق هذه اللعبة وما أثارته فيه من آمال، وهل في إمارة شرق الأردن الرازحة تحت السيطرة الإنكليزية المطلقة مطمع لبعيد همة أو وافر كرامة، وهل تسوى منه هذا التهاون والتظاهر والتطبيل للإنكليز. ومن بالغ السخرية أنه في تصريحاته وفي تظاهراته يريد أن يبدو كأنه امبراطور في أمبراطورية.

***

14/11/1941:

تعليق على الغناء التركي من خلال سهرة قضيناها في كازينو ماكسيم:

أمس قضينا سهرة في كازينوا ماكسيم في حي التقسيم، حيث تغني فيه مغنية تركية شهيرة اسمها صفية، ولها مساعدات يظهرن أولاً ويغنين لمدة ساعتين أو أكثر، ثم تظهر هي لتغني ساعة أو ما يقرب من ذلك ولم يتيسر لنا أن نسمعها في هذه السهرة، لأن أصحاب المسرح أعلنوا اعتذارها عن الظهور بسبب مرض ألم بها وبالرغم من وجود ثماني مغنيات مساعدات وثمانية موسيقيين في المسرح، فقد كان المسرح جامداً جموداً عجيباً، وكل ما كان أن المغنيات المساعدات كن يقفن واحدة بعد أخرى إلى الميكروفون فيلقين بعض أغانٍ تركية، والموسيقيون يتابعونهن، وقد يكون في بعض هذه الأغاني شيء من العذوبة والحنو. والأسلوب المؤثر في لهجة الغناء التركي وقراراته، فإن شيئاً من المقارنة بين مسرح فيه ثمانية موسيقيين وثماني مغنيات في مصر وبين هذا المسرح يؤيد وصفنا المسرح التركي بالجمود العجيب، فمثل هذا العدد والتنوع في مسرح مصري يجعل المسرح في حركة شديدة ويهز قاعة المستعمين هزاً، ولا سيما في تنوع العروض التي تعرض والموسيقى والتي تلحن، وإذا كان هذا نموذج المسرح التركي الغنائي وهو كذلك بل أحسن نموذج كما يقول العارفون، فيكون الفرق عظيماً بين مصر وتركية

في هذا المضمار، كما هو الحال في السينما على ما أشرنا اليه قبل.. وهذا الفرق يجده المرء بين صالات مصر وصالات استانبول بوجه عام أيضاً. فإذا استثنينا صالة كازينو التقسيم الحديثة الفخمة، فليس في استانبول صالة ما تماثل صالات مصر، سواء في ذلك صالات السينما أم صالات الغناء. وصالة كازينو التقسيم هي استثناء بالنسبة لصالات استانبول، وفي مصر أكثر من صالة واحدة تماثلها أو تفوق عليها.

***

15/11/1941:

1 ـ الإستعدادات الدفاعية في سورية وأهدافها المحتملة:

أخبرنا بعض القادمين من سورية أن هناك حركة عظيمة في صدد الإستعدادات الحربية والدفاعية، وأن الإنكليز يهتمون لإنشاء خشابيات في سهول تدمر تتسع لمليون جندي، ولإنشاء مطارات واسعة عظيمة في حلب وجزيرة الفرات، ولتوسيع وتجديد تعبيد طرق عديدة في سورية ولبنان، ولجعل دير الزور وحمص وتدمر مراكز تحشيد وتموين، وأنهم باشروا بمد سكة الحديد لوصل لبنان بفلسطين عن طريق صيدا وصور، وأن ما يقرب من مائة ألف عامل يشتغلون في هذه المشاريع الكبيرة المتنوعة. وهذا يدل على الأهمية العظمى التي يعلقها الإنكليز على معركة الشرق العربي والإستعدادا لها، ومحاولتهم الإستفادة من مركزهم في سورية والعراق وفلسطين في صدد ذلك، وهذا ما يجعلنا نكرر القول أن حركة العراق لو سوعدت وثبتت لما كان للإنكليز هذا المجال الواسع الكبير الفائدة.

2 ـ موجة غلاء تكتسح سورية وفلسطين:

ومن صحف سورية وفلسطين ومن اقوال القادمين منهما يستفاد أن موجة غلاء تكتسحهما الآن، فقد وصل ثمن كيلو الزيت إلى (120)

قرشاً سورياً، وكيلو السمن إلى (300)، وكيلو الطحين إلى 30، وكيلو السكر إلى 70، وكيلو الأرز إلى 50، مع قلة الموجود إلى درجة المفقود في بعض المواد، وأن البدلة التي كانت تكلف قماشاً وخياطة ستين ليرة سورية تكلف الآن 150 ليرة، وأن أجرة خياطة البدلة التي كانت 15 أو 20 ليرة وصلت إلى 50 و60 ليرة.

3 ـ خبر تعيين شاكر العاص لوظيفة إعاشة:

وقرأنا في الصحف السورية خبر تعيين شاكر العاص لوظيفة من وظائف الإعاشة في دمشق، وتسجيلنا الخبر هو بسبب ما كنا نسمع من هذا الرجل من الحملات المنكرة على طلاب الوظائف والمتعاونين في سبيل ذلك مع السلطات المحتلة أولاً، وبسبب ما كان يظهره من تشدد وعنف ضد الإفرنسيين والإنكليز ثانياً، وبسبب ما كان يظهره من الميل إلى الألمان والإنتصار لقضيتهم ثالثاً، حتى أنه كان في أثناء ثورة العراق من أكبر المتحمسين لها وللألمان، وكان قد ألقى محاضرة جريئة في أحد الأندية أظهر فيها شيئاً كبيراً من حماسة لذلك. فكل هذا يكون قد انكمش وتضاءل حينما سنحت له فرصة ليتعين في وظيفة مؤقتة في عهد من أشد العهود استخذاء للقوى التي كان يتظاهر ضدها. فهذه المفارقات بين القول والعمل، وهذا الزيف في الدعاوى والمظاهر هو الذي كان وما يزال يجعلنا وأمثالنا نتحفظ شديد التحفظ إزاء الدعاوى العريضة الطويلة التي نسمعها من بعض الشبان المتحمسين، والتي لا يكتفون فيها بإبداء حماسهم وعواطفهم، بل يخرجون ذلك بالحملات المنكرة على غيرهم ممن هم على مسرح الحركة، متهمين إياهم بالتعلق بالكراسي والوظائف والمنافع الذاتية والكذب في الوطنية الخ . . .

4ـ استطراد الى مفارقات مماثلة لزكي وجميل الجابي:

ومن أمثال هذه المفارقة مفارقة الدكتور زكي الجابي وأخيه جميل الجابي، فالأول كان لا يقل عن شاكر العاص دعوى وحماساً وتظاهراً، وكان يحمل الحملات المنكرة على رجال الكتلة ويصفها بضيق الأفق القومي والإندفاع وراء الكراسي. وقد عرضت عليه حكومة خالد العظم وظيفة فخرية في البلدية فلم يتردد لحظة في قبولها، وأخوه جميل كان من المبشرين بمدنية الإنكليز والمتظاهرين في الإنتصار لهم، حتى كان مبغضاً لنا ولغيرنا ممن يحقدون على الإنكليز وسياستهم، إلى درجة السخف دون ما جحة ولا منطق. وقد علمنا مع الدهشة أنه سافر إلى برلين، وأنه اليوم مع سعدي الكيلاني ينشط في رحاب ألمانيا، وهكذا تكون المفارقة.

5 ـ كتاب من فوزي القاووقجي إلى الأمير عادل:

منذ أيام وصل إلى الأمير عادل أرسلان كتاب من فوزي القاووقجي الذي هو الآن في المانيا، جواباً على كتاب أرسله إليه الأمير بتعزيته بابنه مجدي الذي توفي في سورية.

قلقنا لوصفه لقضية سورية بأنها معقدة:

ويبدي فوزي في كتابه قلقه على القضية العربية وخاصة على قضية سورية وينعتها

بالمعقدة، ويتساءل عن المفتي ورشيد عالي ويود لو يسرعان بالقدوم إلى برلين ليلاحقا ويرعيا القضايا العربية. ويكون الكتاب والحالة هذه قد أرسل من برلين قبل وصول المفتي إلى برلين.

6 ـ برقيتنا إلى المفتي نعبر فيها عن قلقنا:

وقد رأينا أن يكتب برقية للمفتي باسم إخوانه الموجودين في الآستانة، فيها تعبير عن قلقنا على القضايا العربية عامة وقضية سورية خاصة، ويطلب منه فيها بذل الجهد لعقد معاهدة تضمن للعرب حقوقهم ووحدتهم أو استصدار تصريح بذلك، ولاسيما أن الدعايات الإنكليزية تنشط نشاطاً عظيماً في البلاد العربية، وتحاول استعمال كل الوسائل والأشخاص في التأثير على العرب لصالح الإنكليز والحلفاء وتخفيف حقدهم نحوهم.

7 ـ التناغم بين الألمان وحكومة فيشي من أسباب تعقيد قضية سورية وقلقنا:

ووصف القاووقجي قضية سورية بالمعقدة أثار هواجسنا التي كنا سجلناها سابقاً في صدد استمرار تمسك فرنسة ومطامحها بسورية، ولا سيما أن الصحف ذكرت من جديد خبر تجدد المفاوضات بين الألمان وحكومة فيشي لأجل التعاون، وأن هذه الحكومة عينت من الآن الجنرال دانز كقائد حملة لإنقاذ لبنان وسورية من الإحتلال الإنكليزي الديغولي، وأنها ما زالت تعتبره المفوض السامي في سورية ولبنان، وهذا يعني أن فرنسة فيشي كفرنسة ديغول متمسكة بمطامحها ومركزها في سورية ولبنان، وأن الالمان قد لا يعكرون على فرنسة فيشي مطامحها إذا استمرت ريح النصر معهم لأنها تكون حليفة لهم ومتعاونة معهم.

ويتجدد في هذه المناسبة أسفنا وألمنا من ضياع الفرصةالثمينة التي أتاحتها حركة العراق لعقد معاهدة بين حكومة رشيد عالي والألمان في ظل تلك الحركة، لأن ذلك لو تم لكان ضمن مصير سورية ولبنان الإستقلالي في حالة انتصار الألمان ولا نظل قلقي البال وفي موقف المستجدي الضعيف. وأسفنا وألمنا يزدادان حينما نتذكر ما سمعناه من رشيد عالي في لقاءاتنا معه في الآستانة من أنه بدأ بوضع صيغة المعاهدة التي كان السفير الألماني في بغداد مفوضاً بتوقيعها، وأنه كان في الإمكان إنهاؤها لولا التباطؤ الذي ساق اليه أمل استمرار المقاومة العراقية وأمل بروز الجيش العراقي الثائر بروزاً قوياً أكثر مما كان حين المفاوضة، وأمل تأثير ذلك على حسن الصيغة وشمولها. بل وحينما نتذكر قوله أن المقاومة لو استمرت ست ساعات أخرى لكانت المعاهدة قد وقعت، فيكون هذا الرجل وإخوانه قد أضاعوا فرصة ذهبية بتباطؤهم انسياقاً وراء ذلك الأمل بقوة بروز أكثر.

وقد دهشنا وزاد أسفنا حينما قال لنا فيما قال أن الألمان بعد أن كانوا يشترطون عودة المناسبات السياسية رسمياً بينهم وبين العراق لأجل التفاوض وعقد المعاهدة، عادوا فتساهلوا في هذا الشرط، وكان ذلك قبل الثورة بشهرين، وأنهم على وشك إرسال مفاوضين، ولكنهم أبطأوا قليلاً، وحصلت المشادة الأولى بين رشيد عالي والوصي التي انتهت باستقالته وقيام وزارة طه الهاشمي. ثم كانت حركة الإنقلاب

التي قامت وفرّ نتيجة لها الوصي مع الملك الطفل، واستلم الحكم رشيد عالي ثانية فانشغلوا بها عن التفاوض. وهكذا ضاعت فرصة ذهبية أخرى، وكان بالإمكان على الأقل عقب استلام رشيد عالي الحكم بعد الإنقلاب إرسال مفاوضين وإنهاء الأمر قبل انفجار الثورة الذي كان بعد شهر من استلام رشيد للحكم. ولاشك في ان رشيداً ورفاقه مسؤولون عن ضياع هذه الفرصة، ثم عن ضياع الفرصة الثانية التي سنحت بالتباطؤ في التفاوض على أمل البروز الأقوى للجيش. والمفتي شريك في هذه المسؤولية، لأن التضامن كان شديداً بينه وبين رشيد عالي والضباط الكبار الذين قادوا الانقلاب والصدام.

8 ـ استطراد إلى ما كان من اهتمامنا في دمشق لذلك الامر:

ولقد كنا ونحن في دمشق نخشى من ضياع الفرصة بوجه عام دون أن يكون عندنا علم بالتفاصيل. وقد كتبنا كتاباً للمفتي بالإشتراك مع شكري القوتلي نبهناه إلى ذلك، وجاءنا منه جواباً فيه تطمين بأن الإتصالات قائمة وأن الأمل بنتيجتها الحسنة قوية إلى درجة اليقين. ولقد كتبنا له بعد استقالة رشيد عالي واشتداد مداخلة الإنكليز وضغطهم نتيجة لما لمحوه من اتصالات بين رشيد عالي والألمان وتضامن المفتي معه في ذلك، وقلنا له إنه قد يكون من المتعذر عليهم استمرار الإتصال في هذا الوقت الحرج في العراق، في حين أن الإتصال قد يكون ميسوراً عندنا، وطلبنا منه أن يقترح ما يرى أن نفعله في هذا الصدد، فأرسل إلينا تطميناً جديداً بأن الإتصال مع المنبع (برلين) مستمر، وأن النتائج السعيدة مضمونة، وأن تعدد الإتصالات مضر، فكتبنا له موافقين عى رأيه وواضعين أملنا فيه وفي رفاقه ومطمئنين لمساعيهم، فظهر أن هذه الإتصالات المستمرة المزعومة لم تخرج عن محادثات وتمهيدات ولم تقترن بنتيجة حاسمة، وواجهتنا الحقيقة المؤلمة بأن الإخوان الذين تحملوا المسؤولية في العراق وطمأنونا وطلبوا عدم تعدد الإتصالات لم يفعلوا حتى ما فعله الشريف الملك حسين الكبير.

ولقد ظهر لنا حرص المفتي على استبقاء الإتصالات محصورة به في مناسبة أخرى، وذلك أن إبراهيم الأسطواني وهو شاب دمشقي كان درس في ألمانيا وحصل على إجازة دكتوراه في الحقوق والآداب وكان نبيهاً نشيطاً، اتصل بمندوب ألماني في بيروت بإشارة من السيد شكري القوتلي الذي كان إذ ذاك زعيم الحركة الوطنية البارز، ثم سافر بإشارة منه أيضاً إلى الأستانة واتصل بمندوب ألمانيا الكبير فيها وقدم له مذكرة عن القضية العربية وكان ذلك قبل خروجي من السجن. وبعد خروجي أخذنا نتصل بالمفتي بالإشتراك مع شكري على ما ذكرته آنفاً، وفي هذه الأثناء جاء رسول من المندوب الألماني في بيروت إلى دمشق يبلغه بوجوب إرسال خبر سريع للمفتي ليرسل مندوباً إلى الأستانة لمواجهة مندوب ألماني كبير قادم إليها لبحث القضية العربية وملابساتها، فأخبرني شكري بذلك، واتفقنا على إرسال رسول إلى المفتي بالخبر، واقترحنا أن يوعز إلى معين الماضي الذي كان إذ ذاك في الآستانة بأن يتقدم كوكيل عنه إلى المندوب، ولكن المفتي لم ينفذ هذا الإقتراح ولم يرسل مندوباً في الوقت نفسه، وعاد المندوب الألماني الكبير إلى برلين دون أن

يلتقي بأحد من رجالات العرب وفهمنا فيما بعد أنه أرسل كمال حداد إلى برلين. . ولقد أخبرني معين حينما التقينا معاً في الآستانة أنه هو الآخر كتب للمفتي ونبهه إلى الفرصة السانحة وضرورة عدم إضاعتها، وعرض عليه استعداده لأي عمل أو اتصال بالنيابة عنه، ولكنه لم يرسل إليه جواباً ما. وقد يكون المفتي ورشيد لم يدخرا وسعاً وجهداً في سبيل الوصول إلى نتيجة ايجابية، وان كان يجتهد بأن الانفراد بالإتصال افضل وأكثر توافقاً مع دقة الموقف والموضوع وخطورتهما. ولكن هذا لا يمنعنا من تسجيل نقدنا للاستئثار والانفراد في الإتصالات، فهناك إخوان للمفتي ورجالات لهم جهد في سبيل القضية وحرص عليها وإخلاص لها وتجارب في الوقت نفسه، وكان من واجبه التشاور معهم واستطلاع أفكارهم وإطلاعهم على ما يقوم به من اتصالات ونشاط، وطلب ما عندهم من اقتراحات وما لهم من ملاحظات، فهذا واجب وحق في حد ذاته، وضروري ومفيد للعمل، ويجعل مسؤولية المفتي أقل وربما يجعل الخطأ والتقصير أقل أيضاً.

9 ـ حول لقاءاتنا مع رشيد عالي في الآستانة وأحاديثه:

وبمناسبة ذكر ما سمعناه من رشيد عالي نسجل أنه حينما وصل من إيران إلى استانبول نزل في بيت في ضاحية أرين كوى، أظن أن صاحبه أو مستأجره عراقي، وقد ذهبنا لأول مرة وسلمنا عليه فوجدناه نشيطاً مندفعاً محتفظاً بحيويته وآماله، وزرناه بعد أيام مرة ثانية زيارة خاصة رغبة في الوقوف على ما جرى ويجري، وقد اخبرنا أنه بالاتفاق مع المفتي تم اتصال جديد بالسفير الألماني في طهران قبل الزحف الإنكليزي على إيران، وجرت أحاديث بينه وبينهما عن نتائج الحركة العراقية وعن الفرصة التي أضاعها الألمان، وأن السفير سلم معهما بضياع فرصة حسنة، ولكنه قال لهما أن النتيجة التي انتهت اليها الحركة ليس من شأنها أن تؤثر أثراً سلبياً يقلل ما أبدته دول المحور من عطف على القضية العربية، ومن الرغبة التي اظهرتها في التفاهم والتعاقد معها في صددها، بل إن مقامات هذه الدول ترى في النتيجة ما يضاعف شعور العطف والواجب نحو العرب وقضيتهم. وقد طلبنا من السفير الإتصال ببرلين في هذا الشأن فاتصل، وأبلغهما أن برلين تستحثهما على السفر إليها لإتمام ما بدأ به في بغداد. وبناء على ذلك بذلا جهودهما للخروج من ايران إلى تركية حتى يتسنى لهما السفر إلى أوربا. وقد سمحت تركية له وحده بالدخول إليها بعد جهود عظيمة بذلتها، وأبت ذلك على المفتي. ولما جاء إلى تركية اتصل بمقاماتها من أجل السماح له بالسفر ومن أجل السماح للمفتي بالدخول إلى تركية فوعدوه خيراً، وأنه سوف ينتظر أياماً، فإذا استطاع ان يحصل على اذن للمفتي ذهبا سوية، وإلا فإنه سوف يبذل جهده في سبيل السفر وحده لئلا تضيع فرصة أخرى. وشددنا في الرجاء معه مضاعفة جهده بشأن المفتي وقلنا له أن وجودهما معاً أقوى تأثيراً وأجدى فائدة، وطلبنا منه أن نجتمع معه نحن والإخوان الآخرون من رجال القضية الذين هم في استانبول ليطلعهم على ما جرى ويتم التشاور في الخطة الواجب السير عليها، وتمنينا أن يذهب بعضهم معه إلى أوروبا للتعاون والتشاور وضمان سير المفاوضات والأحاديث في الطريق الصالح، وأظهر استعداده لكل

ذلك. ومضى على اجتماعنا به أيام عديدة دون أن يظهر شيء منه، لا في صدد سفره ولا في صدد الإجتماع المتفق عليه مع الأخوان، فأرسلنا إليه مرة بعد مرة نستطلع الأمر ولكنه لم يرسل الينا خبراً، حتى أثار ذلك في نفس الأمير عادل أرسلان ونبيه العظمة ونفسنا شيئاً من الإمتعاض، ولا سيما أنه كان أرسل إلى نبيه خبراً مع الدكتور محمد حسن سلمان أحد وزرائه الذي كان قد استطاع أن يأتي إلى تركية قبله رغبة في الاجتماع به، وظهر أنه بلغه امتعاضنا وعجبنا، فجاء من منزله في الضاحية إلى استانبول وزارنا وزار الإخوان الذين زاروه واعتذر، وقال أنه يسعى للإنتقال من الضاحية إلى استانبول، وأنه حال ما يتم له ذلك سوف يجتمع معنا جميعاً للتشاور. وقد أخبرنا أن أمر سفره من تركية إلى أوروبا ما يزال متعسراً، وكذلك أمر السماح للمفتي بدخول تركية، وأنه ما يزال يتصل مع رجال الحكومة ويتلقى منهم وعوداً . ولقد كانت بلادة ومماطلة رشيد سبباً للقيل والقال، فضلاً عن الإمتعاض، حتى صار يقال أنه لا يريد أن يتعاون مع أحد، وأنه يريد أن يستأثر بالعمل وحده ولا يتعرف فيه على غيره. وقد ظهر لنا جلياً أنه رغماً عما يبديه من حيوية وما كان منه في العراق من مجازفة وقوة أعصاب، كانت تنقصه قابلية التجميع والتشغيل، وهي قابلية لها أهمية عظمى في العمل العام والزعامة بصورة خاصة، ولا قياس قط بينه وبين المفتي في هذه القابلية، فالمفتي يخلق من لا شيء شيئاً ليكون موضوع حديث واجتماعات وعمل، ويتخذ الأسباب والوسائل لتجميع الناس حوله، وبمجرد أن يحل في مكان لا يلبث هذا المكان أن يصبح قبلة الناس وتجمعهم وشغلهم، سواء ذلك في أوقات الشدة وأوقات الفرج، ويسبغ على قابليته هذه في أوقات الشدة خطورة تتناسب معها.

10 ـ حول قدوم عادل العظمة من برلين ومهمته:

في أواسط شهر آب 1941 جاء عادل العظمة من برلين إلى الآستانة، وكان ذهب بصحبة فوزي القاووقجي حينما أصيب هذا بنيران الطائرة الإنكليزية في منطقة دير الزور على ما ذكرناه قبل، فأخبرنا أن الجماعة (أي المقامات الألمانية) ينتظرون قدوم المفتي ورشيد، وأنهم كلفوه ببعض التمهيدات في سبيل التعاون العربي والإستعداد له حينما يحين الحين. وقد تحدثنا في هذا الأمر أنا ونبيه والأمير عادل ارسلان ومعنا عادل العظمة، وانتهى كلامنا إلى القول أن أي أعمال تمهيدية في بلاد العرب للتعاون قبل أن يتم التفاهم على مصير القضية ويتحقق ذلك في معاهدة وعقد تكون سابقة لأوانها، وتكون مساعدة من جانب العرب على غير أساس ثابت، وهو ما لا يجوز أن يكون، لأن التعاون المطلوب يجب أن يكون مستهدفاً مصلحة العرب وقضيتهم أولاً وقبل كل شيء تنفيذاً لما يكون قد تم التفاهم والتعاقد عليه، ثم اتفقنا على الاجتماع برشيد عالي والبحث معه فيما يجب أن يعمل في هذا السبيل.

11 ـ استئناف لقاءاتنا مع رشيد عالي والصيغة التي اتفقنا عليها كأساس لعلاقات العرب بدول المحور:

وقد انتقل رشيد عالي بعد أيام من وصول

عادل العظمة إلى الآستانة وسكن في حي ماجقة، فاتصلنا به واتفقنا على موعد، وذهبنا أنا ومعين وعادل العظمة وإسحق درويش والشيخ حسن أبو السعود وأكرم زعيتر وواصف كمال للإجتماع به، ولم يذهب معنا نبيه العظمة، مع أنه كان يلح على الإجتماع ويظهر استعداده لذلك. وعرفنا أنه حرن وأبى الذهاب لأنه كان يريد أن يكون الإجتماع قاصراً عليه وعليّ وعلى عادل أخيه والأمير عادل، فلما رأى الحلقة اتسعت وسيشترك فيه أكرم وواصف وإسحق والشيخ حسن، أخذته العزة على عادته في المواقف والاعتبارات التشريفية سلباً وإيجاباً وعملاً وجموداً ونشاطاً ومعاكسة، وهو ما خبرناه منه في حوادث ومواقف كثيرة منذ سنين عديدة، وأكثر ما كان يقع بينه وبين إخوانه من سوء تفاهم كانت هذه العادة سبباً رئيسياً فيه.

ولقد تمت الزيارة لرشيد عالي وتحدثنا في شؤون القضية، وحكى عادل العظمة ما لمحه من المقامات الألمانية من رغبة في التعاون مع العرب والتشوق إلى قدوم المفتي ورشيد، وتم الإتفاق في هذا الاجتماع على ضرورة وضع منهج أو مشروع يوافق عليه الجماعة، ثم ضرورة التعجيل في سفر رشيد للعمل على تحقيق الموافقة، وتكررت اجتماعاتنا، وأسفرت عن الصيغة التالية لتكون أساساً للتفاهم والتعاقد الذي سوف يتم بين مقامات دولتي المحور وممثلي العرب وهي:

1 ـ قيام دولة عربية مستقلة ذات سيادة تامة داخلية وخارجية، تتألف من المملكة العراقية الحاضرة وجميع البلاد السورية الشاملة لسورية الداخلية ولبنان والأردن وفلسطين والإمارات العربية الواقعة تحت السيطرة والنفوذ الإنكليزي.

2 ـ تعترف دولتا المحور بحكومة رشيد عالي الكيلاني كممثلة لهذه الدولة وحكومة لها في المنفى، على أن تتخذ هذه الحكومة مركزاً لها في المكان الذي تختاره.

3 ـ يتعاون الفريقان في تحرير أجزاء هذه الدولة كلها، ويتعهد الفريق الأول ـ ألمانيا ـ بتسليح الفريق الثاني وتمويله لهذه الغاية.

4 ـ تنضم الدولة العربية إلى الميثاق الثلاثي، ويكون لها مندوبون في اللجان، وتشترك في الأبحاث المتعلقة بمصالحها وبلادها.

5 ـ تمثل الدولة العربية في مؤتمر الصلح وتشترك في مذاكراته وقراراته.

6 ـ يعترف الفريق الأول باستقلال الدول العربية القائمة، ويوافق على تكوين اتحاد بينها وبين الدول العربية الحديثة.

7 ـ يوافق الفريق الأول على إلغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين والقضاء على جميع آثاره ونتائجه.

8 ـ يسعى الفريق الأول لحمل حلفائه على الإعتراف بالدول العربية وتأييدها فور توقيع هذه المعاهدة.

9 ـ يساعد الفريق الأول الدولة العربية على الحصول على تعويضات من بريطانية وفرنسة عن الخسائر التي لحقت بالعراق وسورية وفلسطين من جراء أعمال وحركات السلطات البريطانية والإفرنسية.

10 ـ يتعهد الفريق الأول بمساعدة الفريق الثاني عند طلبه بما يحتاج إليه من سلاح وعتاد وغيره بعد تحرير البلاد وقيام الدولةالعربية فعلاً.

11 ـ إذا انتهت الحرب قبل جلاء الإنكليز والإفرنسيين عن جميع بلاد الدولة العربية، يتعهد الفريق الأول بتأمين قيام واستقلال الدولة

المذكورة وجلاء الإنكليز والإفرنسيين عنها.

وبعد أن انتهينا من الإتفاق على هذه الصيغة تحدثنا مع رشيد في صدد سفره، وقد قال لنا أنه يأمل أن يتهيأ له السفر في أيام قريبة.

12 ـ اقتراح سفري إلى أوروبا واعتذاري:

وقد تحدثنا في ضرورة وفائدة سفر بعض الإخوان معه، وألح بعضهم بأن أكون في جملة من يذهب، ولكني اعتذرت لعاهة أذني التي تجعلني كالمشلول في المجتمعات والمجالس الواسعة أو الأحاديث الخافتة، وفي حالة مزعجة للنفس لا يستطيع المرء معها أن يكون نافعاً أو مطمئن النفس أو مطلعاً على كل ما يجري، ويقال هذا إلى أني لم أكن أرى سفري شخصياً أمراً ضرورياً، وأن من الممكن أن يقوم آخرون مكاني. ولقد تكرر هذا الإلحاح خاصة من قبل إسحق والشيخ حسن على أثر وصول المفتي إلى روما ثم سفره الى برلين على ما مر ذكره، وقد جاءت منه برقية يطلب تعجيل سفر رشيد والأخوان الآخرين معه، وقالوا أن سفري مع معين ضروري لأن المفتي لا يستغني عن إخوان يتعاون ويتشاور معهم ويضطلعون معه بالمسؤولية، وقد أصررت على اعتذاري بسبب أذني وقناعتي بعدم ضرورة سفري شخصياً، واقترحت على إسحق والشيخ حسن بالسفر مع معين ويكون فيهم الكفاية، واعتذر معين وقال أن سفره ليس ضرورياً، ويكفي أن يسافر إسحق والشيخ حسن.

13 ـ رسول إلى المفتي بالأخبار والإستطلاع:

وأخيراً اتفقنا على أن نرسل رسولاً أو رسالة إلى المفتي بما عندنا من أخبار وأفكار، وما اتفقنا عليه من أسس، وما فكرنا فيه من أمر السفر أو التريث، ونطلب منه إرسال رسول يشرح لنا الظروف والموقف وخاصة موقفه وصفته الرسمية إزاء المقامات المحورية ورأيه في إلتحاق الإخوان به الخ.. وقد كلفنا السيد راسم الخالدي الذي كان هو الآخر قد جاء إلى الآستانة بالسفر من أجل ذلك، وقد سافر إلى صوفيا، ومع الأسف بقي فيها ولم يستطع أو لم يتيسر له السفر منها إلى روما أو برلين، وقد مر على سفره نحو شهر. وعلى كل فنحن ننتظر من المفتي تفصيلات عن الموقف، هذا إلى أني ما زلت في قرارة نفسي مفضلاً فكرة البقاء في الآستانة وعدم الذهاب إلى أوروبا، وقانعاً أن سفري ليس مبرماً لا مناص منه لصالح القضية، وأن في الآخرين الكفاية والغناء.

حول برقية من المفتي من روما فيها تطمين قوي:

وأسجل أن المفتي قبل سفره إلى برلين أرسل برقية من روما، قال فيها أن الأمور سائرة سيراً حسناً جداً، وأنه مطمئن اطمئناناً كبيراً، وقد سرتنا هذه البرقية وأسلوبها القوي الحازم، وصرنا نتطلع الى ورود تفصيلات عن هذا السير الحسن الباعث لهذه الطمأنينة الكبيرة، وصرنا نتمنى أن لا يكون التطمين قائماً على غير أساس وطيد، أو نتيجة لتفاؤل أو مظاهر دعت إلى التفاؤل، ولاسيما أننا كنا نأخذ منه تطمينات بمثل هذا الأسلوب القوي، ونحن في دمشق

وهو في بغداد، وظهر أنها لم تكن قائمة على أساس وطيد، وإنما كانت نتيجة مظاهر أوحت بالتفاؤل والأمل.

14 ـ الاتصالات بين المفتي ورشيد والمقامات الألمانية والطليانية:

وجدنا في الدفتر الذي نقلنا منه ما تقدم أوراقاً عديدة بخطنا سجلنا فيها أموراً مهمة في صدد الصلات والإتصالات بين المفتي ورشيد والمقامات الألمانية والطليانية، منها ما هو عائد إلى ظرف الثورة العراقية وقبلها، ومنها ما هو عائد إلى الظرف الذي وجد فيه المفتي في برلين وروما، وكل من ذلك سبق كلام عنه في الصفحات السابقة، حيث يبدو أننا سجلنا ما سجلناه وحفظناه مع الدفتر لصلته الوثيقة بما دوناه. وأقدم الورقات تاريخاً وهي بتاريخ آذار 1941، وهي خلاصة رسالة مرسلة إلى سميح من سكرتير الدولة في وزارة خارجية الشمال، (وسميح اسم تعارفنا على إطلاقه على المفتي من بضع سنين، وخارجية الشمال تعني ألمانيا) وهذا المسجل:

«استلم الزعيم الكتاب المؤرخ في 20 كانون الثاني 1941 المرسل مع سكرتيركم الخاص، وأخذنا علماً بتوضيحاتكم عن الكفاح العربي، وقد سر الزعيم من الكلمات الموجهة إليه، وهو يقدم تحياته وشكره (المتبادر أن كلمة الزعيم عنت هتلر)، وقد كلفت تنفيذاً للرغبة المقدمة من قبله بتوضيح السياسة الألمانية نحو العرب، وفوضت أن أخبركم بما يلي:

إن ألمانيا التي لم تمتلك يوماً أراضٍ عربية ليس لها أي هدف أرضي في البلاد العربية، ورأيها أن العرب كشعب مدني قديم أظهر استعداده في الأعمال الإدارية وبرهن على مزاياه العسكرية، هم من كل بد في وضع قادرون فيه على حكم أنفسهم، لذا أن ألمانيا تعترف باستقلال الدول العربية التام، وللأماكن التي لم يحصل فيها على ذلك الحق بالوصول إليه. إن للعرب والألمان عدواً مشتركاً وهم الإنكليز واليهود، وهم متحدون في الكفاح ضدهم. ان المانيا بصداقتها التقليدية نحو العرب وحسب رغبتكم التي أخبرتمونا عنها بواسطة أمين سركم الخاص (الذي يرد لبالنا أن المفتي أرسل كتاباً مع كمال حداد (الطرابلسي) الذي كان يعمل معه كسكرتير ومساعد)، مستعدون عن طيبة خاطر أن نتعاون بصداقة مع العرب، وأن نقدم لهم ضمن حدود الإمكان مساعدات متنوعة فيما إذا اضطروا للكفاح ضد إنكلترا للوصول إلى أهدافهم الوطنية، وفيما يخص المذاكرة بتفرعات التعاون على أساس الصداقة، أسمح لنفسي أن أخبركم بإعادة إرسال أمين سركم أو مفاوض غيره، (هذا يعني طلب إرسال شخص للتفاوض)، أرجو أن تكتموا هذا الكتاب، وقد اطلعت الحكومة الإيطالية على مضمونه وهي توافق عليه».

وهذا ما جاء في ورقة ثانية:

لقاء الزعيم الجنوبي 23 تشرين الأول 1941 (المتبادر أنه اللقاء الذي تم بين المفتي وموسوليني المذكور سابقاً، وأسلوب التسجيل يدل على أنه تلخيص عن رسالة وردت من المفتي أو بعض كتابه).. وصف الحفاوة والرعاية وحسن الإصغاء، وبعد شرح من جانبنا (المفتي) قال الزعيم إن اهتمامي بالقضية العربية والعرب هو منذ القديم، وكذلك اهتمامي بالمسلمين، وأن العرب برهنوا على

أنهم أهل للاستقلال، وإني مستعد للتصريح في كل وقت، وها أنا أصرح لهم من الآن أن العرب جديرون أن ينالوا استقلالهم التام وجميع مطالبهم، وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وأن العرب الذين هم حول البحر الأبيض خاصة جديرون بذلك، وإني سأقدم كل الجهود لمساعدتهم سياسياً وأدبياً ومادياً، وأن العرب ستتاح لهم الفرصة قريباً للقيام بدورهم، وأن قدومكم جاء في الوقت المناسب تماماً. .

إن التصريح باستقلال البلاد العربية أمر مقرر لدي، وأنا مستعد في كل وقت، ولكن يكون أقوى إذا كان باسم حكومات المحور وصادر منها رسمياً، وسأبدي رأيي للزعيم الشمالي بالموضوع ونصدر التصريح معاً. وإني امرؤ إذا اعتقدت بشيء جهرت به ونفذته فوراً. وأما قضية فلسطين والصهيونية فإنه ليس لليهود أي حق في فلسطين، وإني ضد الصهيونية منذ القديم، فأنا موافق تماماً على قولكم ورغبتكم فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي ثم جرى ذكر العراق والشام وكونهما بلاداً واحدة متحدة المصلحة والجغرافية والإقتصاد، فصادق على ذلك وقال أن هذا أمر ضروري.

وقد كتبت بعد هذا. . هذا التعليق (صاحبنا سميح علق على هذا اللقاء فقال أنه كان مرتاحاً له، ورأى من حفاوة الزعيم واهتمامه وحسن إصغائه وتصريحاته عن جدارة العرب وعن الصهيونية وتسامح الشريعة الإسلامية فوق ما كان يأمل، ورأى في توكيده وما جعله يعتقد أنه ينوي ويعني ما يقوله من كل قلبه).

* * *

: 1941/11/20

1 ـ حول المجاعة في اليونان بسبب الحصار البحري:

في صحف أمس أن المجاعة في اليونان آخذة بالإشتداد، وأن الموت بسببها تكاثر، وأن نقابة الأطباء طلبت من المجمع الديني أن يسمح بحرق أجسام الموتى بسبب عدم وجود توابيت لهم. وهذا خبر يحمل صورة كالحة عن آثار الحرب في هذه البلاد التي كانت تعيش على الأكثر مما يجلب إليها جلباً من البحر، والتي أقفل البحر في وجهها، فلم يعد في إمكانها جلب ما اعتادت جلبه من مواد غذائية. وقد قرأنا منذ أيام مقالاً لمحرر جريدة الجمهورية يصف فيه قطعة خبز أتي بها من بلاد اليونان كنموذج لما يأكله اليونانيون، وقال أنه لا هو ولا الأتراك الذين رأوا هذه القطعة كانوا يصدقوا أنها خبز لسوادها ويبوسها وثقلها، ومشابهتها بذلك كله لقطعة من حديد أو صوان، وأخذ المحرر بهذه المناسبة يستثير حمية البشر، ويوجه الكلام إلى الإنكليز الذين هم الآن السبب الأول في حرمان هذه البلاد من مواد الغذاء بسبب الحصار البحري الذي ضربوه على كل بلاد تتصل بألمانيا أو تقع تحت احتلال الألمان أو نفوذهم، ويقول إن هذه البلاد التي كانت تعتبر صديقة لإنكلترا، وان ما وقع عليها إنما كان بسبب موقف صداقتها لها وشراكتها معها في العداء لألمانيا وإيطاليا، وأن ألمانيا بعد

أن أعلنت موافقتها على توزيع ما يأتي لهذه البلاد من المواد الغذائية على السكان وعدم مصادرته ومسه، وبعد أن تحقق ذلك فعلاً في المقادير التي أرسلت من جانب الهلال الأحمر التركي، والتي بلغت نحو (5) آلاف طن، فإنه لم يعد لإنكلترا ومن ورائها لأميركا أي حجة يحتجان بها عن منع مواد الغذاء عن هذه البلاد شراء أو معونة، وقد أخذ الجوع يعضها ويفتك بسكانها.

2 ـ نورد فيما يلي نص إحدى الورقات التي وجدناها بين أوراق الدفتر الذي ننقل عنه هذه التسجيلات والتي ذكرناها قبل :

وهو نص مذكرة مقدمة من المفتي لوزير خارجية ألمانيا بتاريخ 15 تشرين الثاني 1941 ، وقد رأينا أن نوردها هنا للتسلسل التاريخي للأحداث، ولابد من أنها وصلت إلينا في وقت ما بعد تقديمها:

«وصلت هذه البلاد وأنا قوي الاعتقاد بأن المطلبين الأساسيين من أماني الأمة العربية وهما الإستقلال التام والوحدة سيتحققان بدون شك، لما أعلمه من عطف الحكومة الألمانية الصديقة على الأمة العربية، وبما أنه ظهر هنالك بعض الصعوبات في ذكر الوحدة في التصريح المنوي إصداره، ونظراً لتأكدي من عدم تحقيق هذا الشطر المهم سيؤثر تأثيراً سيئاً على البلاد العربية التي ترغب في التعاون معكم بصورة جدية، ونظراً لما أشعر به من ثقل المسؤولية تجاه الشعب العربي الذي اتجه من صميم فؤاده نحو الأمة الألمانية وزعيمها العظيم، فإني أعتمد على شخصكم الكريم في مساعدتي على تذليل هذه الصعوبات فيما يتعلق بتحقيق الوحدة، وإني أرجو أن يتاح لي إيضاح أهمية هذا الموضوع لسعادتكم في فرصة قريبة».

بعد ثلاثة عشر يوماً أي في تاريخ 28 تشرين الثاني، تم أولاً لقاء بين الوزير الألماني والمفتي، وقد سجلنا في ورقة رقمناها برقم 4 خلاصة لمحضر اللقاء هي على الأرجح واردة في كتاب جاء من المفتي إلى الآستانة، وهذا هو المسجل:

1 ـ من جانب الوزير ترحيب وإبداء سرور بالنجاة بعد المصاعب الخارقة وتوكيد للتطابق في العداء المشترك ضد الإنكليز واليهود والشيوعية.

2 ـ من جانب المفتي شكر ثم طلب إصدار تصريح في صدد مستقبل القضية والمطالب العربية.

3 ـ ملاحظة من جانب الوزير بضرورة إنتظار الوقت الملائم.

4 ـ ملاحظة من جانب المفتي بضرر تأخر ذلك وسوء أثره في نفوس العرب والدعاية.

5 ـ ملاحظة من جانب الوزير بخطر الإسراع في إصدار التصريح وفائدة تأخره إلى بعد الإستيلاء على تفليس بعد ثلاثة أشهر، وحينئذ يعطى التصريح ويكون لكم (الكلام للمفتي) أو للعرب مركز خطير تسيرون منه إلى بلادكم وتسودون شعبكم.

6 ـ عطف من جانب الوزير على العراق وحركته، وذكر لما كان من مجهوداتهم ـ أي الألمان ـ في مساعدته، وعدم تمكنهم من ذلك لأسباب كثيرة، وبخاصة بسبب عدم وجود طريق لإيصال البنزين التي وعد بها ثم عدل عنها، ثم

تذكير بأن العراق قام حينما سمع تصريحات سابقة، وأن التصريح المطلوب الآن يكون عليه منه ضرر، لأن الإنكليز سوف يشتدون في التنكيل. والسؤال عما يمكن أن يحدثه التصريح المطلوب من تأثير في الجيران وفي الإفرنسيين، وضرورة محاولة وإزالة المخاوف من نفس الجيران والإفرنسيين.

7 ـ إصرار من جانب المفتي على ضرورة صدور التصريح والرغبة في التكلم بذلك مع الزعيم.

8 ـ قول الجانب الألماني سيأتي الوقت الذي تكونون فيه رجل الساعة وصاحب الكلمة العليا.

في نفس اليوم تم لقاء بين المفتي وهتلر يوم الجمعة 28 تشرين الثاني 1941 (6 ذو القعدة 1360). وهذا ما سجلناه في ورقة رقمناها رقم (5) عن هذا اللقاء الذي هو موجز لمحضر أرسله المفتي إلى الآستانة، وليس في هذا الموجز إلا كلام الزعيم:

1 ـ ذكر رأيه في كفاح اليهود، وشمول هذا ما يسمى (وطن قومي يهودي). لأن اليهود يودون إنشاء دولة للتخريب.

2 ـ أنه سيوجه الدعوة إلى أوروبا وإلى خارج أوروبا في صدد مكافحة اليهود.

3 ـ تطابق في التشارك في العداء ضد بريطانية والشيوعيين أيضاً الذين تقف اليهودية من ورائهم وتسوقهم في أغراضها.

4 ـ إننا في صراع بقاء وفناء مع هذه القوى، وستأتي نتيجة هذا الصراع بالمساعدة الصحيحة للعرب الذين هم واقعون في نفس الصراع، وتأمين هذا يجب أن يكون مستنداً إلى القوة الظافرة لا إلى الخيال. لأن ذلك غير مفيد.

5 ـ إن عطف الألمان على العراق وحركته كان شديداً، ولكن هذا لم يفده لأنهم لم يستطيعوا مساعدته فعلاً لأن الظروف كانت مانعة.

6 ـ إنه يريد أن يتكلم كزعيم عسكري وكجندي وليس كصاحب فكرة، فكل من وجد نفسه متحداً في هذا الكفاح وساهم في مساعدته بنجاح فهو يخدم القضية المشتركة ويخدم قضية العروبة أيضاً، وكل عمل خارج عن هذا النطاق يضعف الوضعية العسكرية ولا يفيد القضية العربية. لذلك يجب تقدير الخطوات ما يفيدنا وما يضرنا، فإذا انتصرنا في هذه الحرب فإن ساعة الخلاص وساعة تحقيق أماني العرب تكون قد حانت أيضاً.

7 ـ إن الموقف كما يلي: إننا نقوم بكفاح جبار في سبيل افتتاح الطرق إلى شمال القفقاس، فإذا استعجلنا في هذا الظرف بإعطاء تصريح يتعلق بسورية، فإن العناصر الديغولية تتقوى، وهذا يكون سبباً لانحلال فرنسة، لأن الإفرنسيين حينئذ سيعتقدون أن موقفهم مع بريطانية أكثر ملائمة، والفصل في قضية سورية سيتخذونه مثالاً يطبق على أمبراطوريتهم.

8 ـ ولكن حينما نصل إلى منحدرات القفقاس أعطي تصريحاً، إذ حينذاك تكون قد دقت ساعة تحرر العرب.

9 ـ ليس لألمانيا هناك أي مطامع إلا القضاء على القوة التي تحمي اليهودية.

10 ـ إني سعيد لنجاتكم ولأنكم الآن عندنا، وستأتي الساعة التي تكونون فيها صاحب الكلمة العليا وليس فقط ناقلا للتصريحات، بل الرجل الذي يسير القوى العربية، وحينذاك فقط تكون قد حلت الساعة التي لا أبالي فيها بعكس التأثير

من التصريح في الشعوب الغربية.

11 ـ إننا نأمل في السنة القادمة أن نقتحم باب القفقاس، ومن الأوفق أن يعطى إذ ذاك تصريح وليس الآن، حيث لا نستطيع أن نساعد بشيء فعندما تصبح فرق الدبابات الألمانية المصفحة وأسراب الجو واقفة في جنوب القفقاس، إذا ذاك يكون قد حان الوقت للتصريح.

12 ـ وجواباً على طلب إعطاء تصريح ومعاهدة سرية قال إن تصريحاً يعرف به عدة أشخاص لا يبقى سرا.

13 ـ إني أعطيت في حياتي قليلاً من التصريحات على العكس من الإنكليز، ولكني إذا أعطيت تصريحاً يوماً فإني أفي به. لقد قلت مرة إلى مارشال فنلندة إني سأساعد وطنه إذا هاجمه العدو مرة أخرى، وهذه الكلمة كانت أكثر تأثيراً من أي تصريح معطى.

14 ـ وملخصاً أصرح بما يلي: عندما نصبح في جنوب القفقاس يكون قد حان وقت تحرير العرب، وبإمكانكم أن تعتمدوا على كلمتي هذه.

15 ـ لقد كنت قلقاً لأجلكم، إني أعرف تاريخ حياتكم، وقد كنت شديد الإهتمام بتتبع رحلتكم الطويلة الخطرة، إني لأسر بأنكم عندنا ولأنكم ستضعون قواكم للقضية المشتركة.

ولا أتذكر متى وصل إلينا هذان المحضران ولا نسخة مذكرة المفتي لوزير الخارجية، ولا بد من أنها وصلت إلينا بعد وقوع الأحداث بمدة ما، ولكنا لا نعرف ذلك أيضاً. رأينا إثباتها في التسلسل التاريخي للأحداث التي نسجلها.

***

1941/11/30
10 ذو القعدة 1359:

1 ـ حول الحركات الإنكليزية نحو المواقع الطليانية في حدود ليبية وتعليق على ذلك:

خلال الأيام العشرة السابقة والإذاعات والصحف تنقل وتتناقل بأخبار الحركة العسكرية الإنكليزية على المواقع الطليانية في ليبيا، وأخبار المقاومة الألمانية الطليانية، وطنطنت الإذاعات الإنكليزية بانتصارات أحرزتها القوات الإنكليزية وتقدمها، وظهر أن هذا التقدم كان في أكثره في صحراء، ولم تقع بينها وبين القوات الألمانية والطليانية إشتباكات جدية إلا في منطقة طبرق، ولم يسع الإذاعات الإنكليزية إلا أن تعترف بخطورة الموقف في هذه المنطقة وبقوة مقاومة الألمان والطليان. والقول أن خسائر الطرفين في الدبابات كانت فادحة، وأن الفريقين اضطرا إلى إعادة تنظيم جيوشهما، وأن الإنكليز حشدوا قوات جديدة من مصر، وقرأنا في الصحف تعليقات لخبراء عسكريين جاء فيها أن الإنكليز الذين كانوا يأملون بإحراز نصر سريع ولامع يساعدهم على ما هدفوا إليه من دعاية وتقوية معنويات ولفت أنظار وخاصة في الشرق الأدنى والأوسط لم يحققوا هدفهم، وقد لا يستطيعون ذلك، مع أنه كان يظن أنهم لا بد من أن يكونوا قد حسبوا حسابهم بصورة دقيقة، وأنهم لم يكونوا يقدمون على خطوتهم إلا وهم مطمئنون إلى احراز نصر سريع لامع، وأنهم لا

بد من أنهم حشدوا قوات عظيمة تفوق قوات خصومهم عدداً وعدة، والمعارك ما تزال حامية والإشتباكات ما تزال مستمرة، غير أن لهجة الإذاعات الإنكليزية في اليومين الأخيرين أخذت تتبدل، وأخذ التبجح يقل عن ذي قبل، ولا تزال أنظار العالم متعلقة بهذه الاشتباكات العنيفة مترقبة لنتائجها التي قد تكون مؤثرة تأثيراً شديداً على الموقف الحربي بوجه عام.

2 ـ حول اعلان استقلال لبنان من قبل الجنرال كاترو وتركيبة البنية اللبنانية:

وفي تاريخ 1941/11/28 اعلن كاترو في خطاب ألقاه في حفلة رسمية في بيروت استقلال لبنان وغدوه دولة ذات سيادة، وأشار فيه إلى صداقة فرنسا للبنان، وقال أنه بهذا الإعلان يفي بوعده الذي وعده رغماً عن ظروف الحرب القائمة، وأن هذا الاستقلال متمشي في قواعده على أساس معاهدة سنة 1936 إلى أن توضع معاهدة جديدة بين فرنسة الحرة وممثلي لبنان. وقال مع ذلك إن هذا الاستقلال مقيد بظروف الحرب ومقتضياتها، وعلى اعتبار أن أراضي لبنان تدخل في شمول ساحة منطقة الحرب والحشد الحربي والدفاعي للحلفاء، وأن قوة الدولة اللبنانية الوطنية تنضم الى جيوش الحلفاء وتشترك في واجبات الدفاع، وأن قوى الدرك والشرطة والأمن العام والسلامة العامة كل ذلك يظل في إمرة القائد العام والممثل الأعلى لفرنسة الحرة.

وقد كان هذا الإعلام منتظراً منذ أعلن استقلال سورية، وقد تأخر نحو شهر ونصف قضاهما كاترو في التجول في مناطق لبنان والإتصال بأصحاب الحل والعقد فيها والوقوف على آرائهم ورغباتهم. وقبل خمسة أيام من تاريخ حفلة الإعلان وجه كاترو إلى ألفرد نقاش كتاباً طلب منه فيه أن يتقلد رئاسة الجمهورية ويباشر صلاحياتها استعداداً لإعلان استقلال لبنان.

حول انتداب ألفرد نقاش لرئاسة الجمهورية:

وقد أشار في كتابه إلى قناعته نتيجة لما وقف عليه من آراء الناس على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم بأن ألفرد نقاش هو أفضل شخصية تتقلد رئاسة الجمهورية لما أثبته في مدة حكمه من تجرد ونشاط وسمو فوق الأحزاب والمحسوبيات، وإلى أن أهل لبنان يطلبون حكومة نزيهة مجردة لا يكون للمحسوبيات والنعرات المحلية والحزبية مجال فيها، ويراعى فيها الإنصاف والعدل والمساواة بين أبناء الطوائف في منافع الدولة ومناصبها وقلة الأكلاف في بنيان الدولة، على أن تظل فرنسة صاحبة الإشراف على هذه الدولة والضامنة لها ولسيرها في هذه الخطة.

والكتاب طويل فيه تصوير لأفكار أهل لبنان من ناحية تذمرهم مما جرت عليه الحكومات السابقة من المحاباة والتوسع في المحسوبيات وتشجيع النعرات وغمض حقوق بعض الطوائف في منافع الدولة ومناصبها. وهو تصوير صحيح قائم على ما كان من سير على السياسة الطائفية الواسعة التي سير عليها خلال العشرين سنة، والتي تعمد ممثلو فرنسة تركيزها وترسيخها لتظل الأهواء والطائفية وما ينشأ عنها من انقسامات ومجادلات ومنافسات محلية هي السائدة، ويظل الجميع يرون في فرنسة وممثليها الحماة الأولين والمراجع الرئيسية التي في يدها ميزان العدل

كما فعلت إنكلترا بالنسبة لليهود والعرب في فلسطين، حتى صار كل ما في لبنان طوائف، ووظائف لهذه الطوائف، وحتى صار كل شيء وكل حركة وكل سياسة وكل مؤامرة تدور وتلف حول هذا القاموس. وقد تعمد ممثلو فرنسة محاباة المسيحيين وبخاصة الموارنة وتشجيعهم والنفخ في أنوفهم، وعملوا على إبقاء الفرقة بين الطوائف الإسلامية (السنة والشيعة والدرزية)، بحيث تظل كل طائفة منها متميزة بنفسها عن غيرها، وأغروا زعماء الشيعة والدروز بالمناصب باسمي طائفتيهما، وبذلك ضمنوا للطائفة المارونية التفوق العددي من حيث أنهم أكثر من طائفة لحدتها، وصارت هذه الطائفة نتيجة لذلك أيضاً أكثر حظوة وأكثر نصيباً في المناصب. هذا إلى أن محاباتهم للموارنة خاصة والنصارى عامة كانت راهنة ممارسة، وأصبح القسم الأكبر من الوظائف وخاصة الوظائف المهمة والرفيعة في المسيحيين بدرجة أكثر بكثير من نسبتهم، وقصرت أكثرية وظائف الطوائف الإسلامية الثلاث على المراكز الثانوية والتافهة من كتّاب ورؤساء دوائر ثانويين ومراسلين ونواطير وجعلوا كثيراً من أبناء الطوائف الاسلامية معلقي الأفكار والأنظار ومشغولي البال بالوظائف وما يلحقهم من ضيم وغبن فيها. ولقد قرأنا مقالاً افتتاحياً في النهار بمناسبة إعلان هذا الإستقلال سرد فيه تواريخ إعلانات استقلال لبنان وعددها، ووضع كلمة في آخر المقال وصف حفلة الإستقلال - لا اذكر الآن - عبارة (وكل استقلال وانتم بخير)، وهي كلمة تنكيتية كأنما أراد الكاتب أن يقول أن هذا الإعلان ليس هو آخر عملية من العمليات التمثيلية الهزلية، من حيث أن الإفرنسيين كانوا يعلنون استقلال لبنان ثم ينسفونه ثم يعلنونه ثم ينسفونه حسب الظروف والمناسبات.

حول انتداب أحمد الداعوق لرئاسة الوزارة:

ومما قرأناه في الصحف أن الفرد نقاش كلف أحمد الداعوق برئاسة مجلس الوزراء، وقبل هذا التكليف، وأخذ يعمل على تأليف وزارته. وقد كاد يصبح من تقاليد لبنان وجرياً على الاعتبارات الطائفية أن يكون رئيس الجمهورية مسيحياً مارونياً ورئيس الوزارة مسلماً سنياً للتوازن الطائفي، وحسب المعلوم بدون إحصاء فالطائفة المارونية أكثر الطوائف عدداً بمفردها، وتليها الطائفة السنية.

وأحمد الداعوق هو أخو عمر الداعوق الزعيم المشهور الذي ذكرناه في مناسبة جلاء القوات العثمانية عن لبنان في الجزء الثاني، وقد قضى معظم حياته في العمل التجاري، ومعلوماته ومواهبه محدودة. وقد دخل العمل الحكومي السياسي لأول مرة منذ أربعة أشهر حينما عين المفوض السامي السابق دانز ألفرد نقاش رئيساً للحكومة النيابية، حيث عينه نائباً للرئيس، وها هو الآن يكلف برئاسة الوزارة حينما عين النقاش رئيساً للجمهورية. ومهما يكن من أمر فإن أحمد ليس من الذين انغمسوا في تحركات حزبية ومناورات ودسائس سياسية ويعد من الطيبين النزيهين النظيفين، وشعوره إسلامي عربي وليس لبنانياً ضيقاً. وقد قرأنا تصريحاً له بمناسبة تكليفه برئاسة الوزارة، ذكر فيه أن حكومته ستبذل جهدها في توثيق الروابط الأخوية بين (لبنان العربي) والأقطار العربية الشقيقة والمجاورة.

ومما لفت نظرنا فراغات بيضاء في الصحف البيروتية في سياق وصف حفلة الاستقلال، وقد

كتبت النهار نبذاً وقصصاً فكاهية ذات مغزى بدلاً من النبذ والمقالات السياسية التي اعتادت نشرها، وقالت في خاتمتها أنها كتبت ما كتبته لتفادي قلم الرقيب، فالظاهر أن الصحف تناولت حفلة الاستقلال وإعلان الاستقلال بشيء من السخرية، فشطب الرقيب ذلك.. ومما ذكرته النهار أن البطريرك الماروني أذاع بياناً في صدد الإعلان والحفلة، وأن الرقيب منع نشره أيضاً. ولابد من أن يكون في البيان أمور هامة، لأن التقاليد نفخت بمقام البطرك الماروني في لبنان حتى جعلته مجسماً للطائفة المارونية سياسياً أيضاً، فضلاً عن الصفة أو الرئاسة الروحية. ولعل الأيام الآتية تزودنا بالأخبار الكاشفة.

3 ـ الثلج في الآستانة وتدفئة البيوت:

في هذا الأسبوع نزل الثلج لأول مرة في هذه السنة في استانبول، وكان غير قليل إذا لاحظنا أن موسم الشتاء لم يكد يبدأ، وكانت كثافته خمسة سنتمترات وأكثر، وغطى الشوارع والطرق والأسطح والجبال والسهول، وحبسنا الثلح والمطر في البيت ثلاثة أيام، ونزلت درجة الحرارة إلى ثلاثة تحت الصفر، فإذا كان المطر والثلج والبرد كذلك في شهر تشرين الثاني فكيف يكون في كانون أول وثاني وشباط؟ ويقول العارفون أن برد الآستانة وثلجها ومطرها هو في شباط وآذار في غاية الشدة وكان الله في عوننا. وقد اعتدنا في بلادنا حينما يسقط الثلج في موجات البرد الشديدة أن ينحبس الناس في بيوتهم وتخلو الشوارع، ويعد سقوط الثلج نادراً خطيراً في موسم الشتاء، غير أن هذا لم يكن في الآستانة، حيث كان تساقط الثلوج لدى الناس امراً عادياً، ولم يمنع أياً عن عمله، وظل الناس في حركتهم والمدارس في عملها العادي.

وعلى ذكر البرد والشتاء أسجل أن أهل الآستانة الذين يعرفون شدة البرد في موسم الشتاء يهتمون كثيراً للتدفئة ووسائلها في البيوت، فالقسم الأعظم من العمارات الكبيرة المسماة (أبارتمانات) ذات الشقق الكثيرة وخاصة الجديدة مجهزة بأجهزة التدفئة البخارية المعروفة باسم (كالوريفير)[1]، وبدءاً من منتصف تشرين الثاني يشغلونها، فتدفأ البيوت ويتوفر الماء الساخن فيها. ومزية هذه الطريقة أن جميع مرافق وغرف ودهاليز البيت تكون مدفأة بدرجة واحدة، وتصل السخونة إلى 16 ـ 22 فوق الصفر، وهي درجة حسنة في فصل الشتاء. والعادة جارية على أن أصحاب العقار هم الذين ينفقون على الوقود والتدفئة ويديرون أجهزتها، وكثيراً ما يبخل هؤلاء فتسوء التدفئة، وهذا عيب هذه التدفئة، وقد أثار ذلك شكاوى عديدة على ما قرأناه في الصحف. واهتمت البلدية وأعلنت قراراً يوجب على أصحاب الأبارتمانات تدفئة عقاراتهم إلى درجة معينة تضمن حسن التدفئة وصحة المستأجرين أما البيوت الصغيرة والقديمة والمتوسطة التي لم يكن لها نصيب من هذه الطريقة فتدفأ بالمدافىء، وقلما تجد بيتاً ليس فيه مدافىء وتأسيسات.

انتقالنا إلى بيت جديد خشبي:

وقد كان البيت الذي سكنا فيه بعد الفندق

(1) تدفئة مركزية.

وصاحبته زوجة ضابط متوف ومفروش في الشيشلي مجهزاً بالكالوريفير، ولكنه كان مكشوفاً معرضاً للهواء، فحذرنا منه، كما أخذت صاحبته تعتذر بارتفاع نفقة تشغيل التدفئة، وهي لا تأخذ منا إلا مائة وخمسين ليرة شهرياً. وكان في أصله ضيقاً علينا نحن الخمسة أنا وأخي محمد علي ونبيه العظمة واكرم زعيتر وواصف كمال، وجاء عادل العظمة فضاق أكثر، فرأينا أن نفترق، فاستأجر نبيه وأخوه بيتاً مفروشاً ثم جاء زهير فاستأجر واصف غرفة في بيت أرمنية، ووجدنا نحن أنا وأخي وأكرم وزهير بيتاً مفروشاً خشبياً على الطريقة التي نسميها (بغدادية)، أي الأضلاع والعوارض خشبية مغطاة من الداخل واحياناً من الخارج بالكلس الممزوج بالكتان، وهو في زقاق اسمه ابيي قز Ebekiz وطابق ثان قريب من محطة ترامواي (بومونتي) في حي الشيشلي واسم مالكه فوزي كزان، واستأجرناه لمدة ستة أشهر بخمسمائة ليرة، وهو حسن الترتيب والفرش، وفيه مدفأتان واحدة كبيرة في الصالون يشعل فيها الفحم الحجري، والثانية في غرفة النوم الكبيرة التي نمت فيها أنا وزهير تشغل بالحطب. وكنا نشتري الفحم والحطب منا واستخدمنا امرأة لشؤون البيت واعداد الطعام.

4 ـ حول سفر رشيد عالي إلى أوروبا:

في هذا الأسبوع تمكن رشيد عالي من مغادرة الآستانة إلى أوروبا، وقد كتم خبر عزمه على السفر، واستطاع أن يكتم سفره بضعة أيام أيضاً. وهذا تصرف محمود لما عليه عادتنا من البوح والإفشاء في تافه الأمور وخطيرها إلى درجة المرض، وسفر رشيد أخذ رداً وصداً وبحثاً كثيراً خلال الأشهر الأربعة التي قضيناها في الآستانة، وكان الأتراك يمانعون في ذلك رغم المساعي المبذولة. وكان قيل أنه مسافر قبل شهر، ولكن شيوع الخبر عطل سفره. والراجح أن الأتراك وافقوا على سفره بشرط أن لا يدور حول ذلك ضجة وحديث، فتم لهم ما أرادوا، ويسر الله الأمر أخيراً، وكان سرورنا كثيراً لأن المصلحة القومية كانت تقضي بأن يكون رشيد في أوروبا بعد أن صار عنصراً رئيسياً في الكلام باسم العرب وقضيتهم نتيجة لحركته الكبيرة في العراق، واشتدت ضرورة سفره بعد أن وصل المفتي إلى أوروبا، فالاثنان قد تضامنا في الحركات والخطط في العراق، وهما عنصران رئيسيان في التكلم باسم العرب وقضيتهم فيتضامنان في أوروبا وينجحان في تثبيت المصلحة القومية والمستقبل العربي في عقد رسمي، وقد بتنا بعد الآن نأمل أن يتم ذلك ولا تضيع الفرصة.

5 ـ رسائل من المفتي يطلب سفر إسحق والشيخ حسن والإخوان الآخرين وتعليق على ذلك:

ولقد جاء في الأيام الأخيرة رسائل وبرقيات من المفتي يطلب فيها من إسحق والشيخ حسن أبي السعود الالتحاق به ومعهم من يكون من المصلحة التحاقهم، وقد تحدثنا من جديد في هذا الأمر، ورأينا أن ذهاب بعض رجال سورية ولبنان خاصة مثل الأمير عادل أرسلان وعادل العظمة مفيد وضروري ليتم التمثيل الإقليمي أيضاً، وكان الدكتور صبحي أبو غنيمة الذي

ذهب من حلب إلى روما قد التقى بالمفتي وذهب معه إلى برلين، فيكون به تمثيل للأردن وتتم الحلقة نوعاً ما ولقد كان ما وصفت به قضية سورية من تعقيد بسبب علاقة ألمانيا بفرنسة على النحو الذي شرحناه سابقاً مما يجعل سفر الأمير عادل ارسلان وعادل العظمة ضرورياً.

عودة الكلام حول سفري إلى أوروبا:

وعاد الكلام من جديد في صدد سفري أنا الآخر، وألح إسحق والشيخ حسن على ذلك لما لوجودي في جانب المفتي من فائدة وضرورة، ولكني أصررت على الإعتذار بسبب عاهة سمعي من جهة وعدم قناعتي بضرورة سفري من جهة ثانية، وقلت لهما أن المفتي لم يعين أحداً عداهما، وترك الأمر مفتوحاً وفيهما الكفاية..

رسالتي إلى المفتي في صدد ذلك:

وأخيراً تم الاتفاق على أن أكتب أنا للمفتي كتاباً أذكر فيه وجهة نظري وأمر سفري، وأطلب منه إذا كان يرى ضرورة وفائدة مخصصة من سفري وحينئذ نستخير الله.

وقد كتبت للمفتي كتاباً شرحت له موقفي وعذري ورأيي، ثم ألححت عليه للإهتمام للوصول إلى تفاهم وتعاقد بالتضامن والتعاون التامين مع رشيد، وعلى أساس الصيغة التي وضعناها وأعطينا نسخة عنها لرشيد عالي، وعدم إضاعة الفرصة السانحة خشية من مفاجآت تنشأ عن الظروف العصيبة التي تكتنف العالم. وأرسلت الكتاب مع عبد الكريم السباعي الذي كان جاء من برلين منذ عشرة أيام ثم عاد إليها أول أمس، وهو بيروتي تيسرت له بعض الفرص في أثناء الحرب العالمية الأولى فتعاطى أعمالاً تجارية مع برلين واستطاع أن يجمع ثروة وأن يمتلك أملاكاً كبيرة، حتى لقد قيل أنه من أكبر ملاكي برلين. وقد صار له بسبب ذلك حظوة واعتبار في محافل برلين الخاصة والتجارية، وقد التقينا به منذ بضعة أيام فحدثنا عن ما أحيط المفتي به من عناية ورعاية في برلين، وأنه خصص له قصر فخم وهيئت له أسباب الراحة ورتبت ترتيبات دقيقة لحراسته وحفظ حياته، وقال لنا فيما قال أن المحافل الرسمية في برلين تعير القضية العربية اهتماماً كبيراً، حتى أن هتلر يشغل نفسه بها ويأمر بالإهتمام لها وحلها على وجه يرضي العرب ويطمئنهم، وأنه ينتظر سفر رشيد عالي حتى تخطى الخطوة الحاسمة، وأن الجو السائد يبعث التفاؤل والطمأنينة.

6 ـ تعليق حول استدعاء المفتي طلب إسحق والشيخ حسن بالتخصيص وأثر الاعتبارات الشخصية:

والمفتي في تخصيصه في طلب إسحق والشيخ حسن ناتج عن ما بينه وبينهما من صلة شخصية وثيقة يجعله في حاجة إليهما ولا يقوم غيرهما مقامهما أكثر من كونه يرجحهما ويفضلهما على غيرهما من حيث المساندة في الرأي والتفكير، والإخوان في الآستانة يعرفون ذلك ويفهمون مداه، ولقد صار للمفتي بوجود الشيخ حسن وإسحق وأمثالهما حلقة خاصة، كل همهم التفكير في الإعتبارات الشخصية وما يدور حولها من مواقف الناس ومواقفهم من الناس، وما يجري في هذا الصدد في مختلف

الحلقات والأوساط، وما يجب أن يتخذ تجاه ذلك من احتياطات وتدابير ومواقف تبعاً لها. وقد يكون طبيعياً أو مفهوماً بالنسبة لكل زعيم تتجه إليه الأنظار ويلتف حوله الناس، غير أن الذي يلاحظ أن حلقة المفتي الخصوصية هذه قد غالت في عملها ومداها وما تراه من واجباتها إلى درجة التجسيم بكل حادث والتأويل لكل قول والاشتباه في كل حركة، وإلى درجة جعل سوء الظن وشدة الحذر أصيلين قبل كل شيء، وإلى جعل الفناء في شخص المفتي وموالاته هما الميزان الأول في وزن الأشخاص ومنازلهم ومعاملتهم. ولقد سبب هذا الغلو في بعض الأحيان كثيراً من سوء التفاهم والتذمر بل والتوتر بين المفتي وأصدقائه وغير أصدقائه. وقد شهدنا ولمحنا كثيراً من مشاهد هذا الغلو وتألمنا وأبدينا اشمئزازنا منها أحياناً كثيرة. ولعل عزوفي عن الالتحاق بالمفتي وإصراري على عدم السفر نابعان من جهة ما، من خوفي من هذه الإعتبارات.

نعم إن تضامني وثيق مع المفتي وخاصة في سني الثورة، غير أن الذي وثق هذا التضامن قيام اللجنة العربية العليا وفعاليتها وما كان لها من وزن وضرورة ومركز رسمي بصورة ما، والحاجة المتبادلة في سير أعمال الجهاد وحمل مسؤولية العمل الكبير في إدارة الحركة، فهذه العوامل أو البوادر غير موجودة الآن. وظهر لي من مجرى الأحوال والوقائع أن الحالة النفسية في المفتي وحلقته قد تغيرت بعض الشيء، مما جعلني أخشى أن أكون في الحالة والموقف اللذين قوبل بهما جمال الحسيني وموسى العلمي وما كان من التكتم الشديد وعدم المشاورة والإطلاع على مجريات الأمور، وهو الأمر الذي أدى إلى ما كان من تقاطع وفتور بين جمال وموسى من ناحية والمفتي وحلقته من ناحية أخرى، على حين أن صلة جمال وموسى بالمفتي ورسميتهما وثيقة جداً، عدا أن ما أذكره من أن المفتي وحلقته كانوا يتكتمون إزائي في بعض الأمور المهمة حتى أثناء تضامننا، وكنت حاملاً أكبر عبء في العمل الجهادي، وكانت الحاجة إليّ كبيرة واعتباري عندهم شديداً. وقد أكون مخطئاً في هذه التحسبات، لأن المفتي كان يظهر لي من الرعاية والإهتمام والوزن ما لم يكن يظهره لغيري من جميع إخوانه وخلانه وأصدقائه، غير أن الميزان الذي تزن حلقة المفتي به الناس قوي الاعتبار، وهم يعرفون أني لا أرى نفسي أقل شأناً في القضية والجهاد من المفتي نفسه، وأن تضامني معه هو تضامن الزميل والند لا تضامن الفناء أو الولاء الشخصي. وقوة هذا الميزان عندهم تجعلني أتوجس وأميل إلى التحوط لئلا أصادف حالة تزعج نفسي في أوروبا وفي عالم غير عالمي. على أني من ناحية ثانية شعرت بشيء من التبدل قوّىٰ في نفسي التوجس والرغبة في التحوط وعدم السفر، وذلك أن المفتي في مكاتيبه التي أرسلها لم يذكر إسمي بصورة خاصة لا في صدد الإلتحاق به ولا في صدد الواجبات الاتصالية والتمهيدية التي يعلق عليها أهمية كبيرة، فهو يلح ويصرح بضرورة التحاق إسحق والشيخ حسن ثم يعقب بكلمة (ومن يمكن الإستفادة من آرائهم من الإخوان)، أو بكلمة (ومن يتقرر سفرهم من الأخوان). وفي صدد الإتصالات فإنه يطلب من إسحق أن يهتم لها، وإذا سافر فيطلب منه أن ينيب عنه فيها من يراه. ولست أقول هذا لأني أرى نفسي فوق الإخوان، فأنا أعرف قدر نفسي بنفسي. أو لأني مستاء من

هذا الإغفال، فأنا لا أعلق أية أهمية عليه، كما أني عازم عزماً أكيداً على أن لا أندمج في أي عمل إيجابي بعد الحرب في صدد الحكومة والمناصب الحكومية والبروز، وأن أبقى مترفعاً متفرجاً لا أندمج إلا في واجب ضروري وغير متصل بمنصب أو مكسب، وأرجو من الله أن يساعدني على تنفيذ هذا العزم. ولكن شدة ما كان بيني وبين المفتي من تضامن في كل موقف وعمل، وما كان من قيمة لآرائي وحضوري في كل بحث وموضوع من وزن واهتمام يتناقض مع هذا ويدل على ذلك التبدل.

7 ـ حول سفر معين الماضي وعادل العظمة والأمير عادل أرسلان:

وهذه الهواجس من جهة ووجود زوجته برفقته من جهة، واعتبار أن في المفتي كفاية من جهة كل ذلك، جعل معين الماضي هو الآخر يرجح عدم التورط في السفر إلا إذا كانت ضرورة مبرمة والحاح وطلب من المفتي ومع ما رأيناه من الفائدة في سفر الأمير عادل أرسلان وعادل العظمة، فإن الأمير يقف موقف المتردد أو بالأحرى المتأرجح فيوماً يعلن موافقته على السفر ويوماً يبدي تخوفاً وتشاؤماً من ناحية سورية، حيث يخشى أن تكون المانيا راغبة في مسايرة فرنسة في مطامعها في إبقاء مركز ونفوذ لها في سورية بسبب ظروف الحرب، وما دار ويدور بين ألمانيا وفرنسا من مذاكرات في صدد التعاون.

وقد قال أنه ما لم يطمئن بأن المانيا لم تعد فرنسة ببقاء نفوذها ومركزها في سورية، فإنه لا يستطيع ولا يمكن أن يسافر، لأن جهده يكون عبثاً ولا يناله الا الألم النفساني من الخيبة وعبث الجهد. وقد كتب للمفتي كتاباً يطلب منه تطمينه من هذه الناحية، فإذا جاءه جواب فيه تطمين سافر وإلا بقي حيث هو، ووفر على نفسه الخيبة والعبث والمسؤولية الأدبية الكبيرة التي قد يحملها بسبب سفره واتصاله، وعدم إسفارهما عن نتيجة إيجابية.

حول ما كان من جفاء بين المفتي وفوزي القاووقجي وعادل العظمة:

وعادل العظمة مثل الأمير عادل في التردد والتمرجح، ولقد كان شديد الرغبة في السفر وفي سفري وسفر إخوان آخرين، ثم بردت رغبته وفترت، ثم عادت ثم فترت، ومما يجعله كذلك عدم وجود صفة رسمية له في العمل وخشيته أن يصادف تكتماً أو إهمالاً أو أزوراراً من المفتي حيث كان رأى ذلك منه في بغداد، بالرغم مما بذله من جهد في كسب رضائه وثقته، وبالرغم مما كان بينه وبينه من مودة وصداقة سابقة، وخاصة في أثناء إضراب وحركات سنة 1936 وما قبلها، وقد شكى لي ذلك، وهو يظن أنه بسبب صلته بفوزي القاووقجي وما كان من عدم استجابة هذا لدعوة المفتي إلى الإشتراك في ثورة سنة 1937 ـ 1939 لأنه كان هو وعادل يرتبان معاً حركة ثورية في سورية نتيجة لما طرأ على سلوك فرنسة من تبدل ومراوغة وعرقلة لتنفيذ المعاهدة السورية الإفرنسية، وتجهم ضد الحركة الوطنية ورجالها، ويظن أنه هو الذي ثبط فوزي عن الاستجابة، وقد لمحت تجهماً من الشيخ حسن وإسحق نحو عادل حينما جاء إلى الآستانة من برلين بأفكار ترمي إلى القيام بتمهيدات تعاونية في البلاد، وأخذا يؤولانها تأويل المستريب المثبط. والراجح أن هذا بسبب موقف المفتي

من عادل في بغداد، فإسحق والشيخ حسن من أخصاء حلقة المفتي وما يدور فيها من هواجس وخواطر نحو الآخرين.

8 ـ نص رسالة أرسلتها إلى المفتي بعد وصوله ثم بعد سفر رشيد بمدة غير طويلة:

وجدت بين الأوراق التي في الدفتر السابع مسودة كتاب مرسل مني إلى الحاج أمين وفي رأسه جملة (تشرين الأول 1942 بدون تاريخ)، مع إشارة استفهامية أو شكلية في (صحة التاريخ.

وفحوى الكتاب يدل قطعاً على عدم صحة هذا التاريخ، ويفيد أنه مرسل بعد وصول المفتي ثم بعد سفر رشيد من الآستانة بمدة غير طويلة، لأن الخلاف كان ناشباً ومشتداً بين المفتي ورشيد في تشرين الأول 1942، وكان يجري بيننا مراسلات ورسل منذ تموز 1942 فيها أخذ ورد وحوار لا يتناسب مع فحوى هذا الكتاب، وأرجح أني أرسلته قبل بضعة أشهر من تموز 1942، فضلاً عن تشرين الأول 1942. وقد صار من المعقول أن يورد في مناسبة تتناسب مع ذلك. ولذلك أوردناه في هذا المكان في مناسبة الحديث وسفرنا بعد سفر رشيد بمدة غير طويلة وهذا نصه:

سيدي الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فإني أبدأ كتابي بحمد الله عز وجل على ما أنعم علينا من حسن العاقبة والطمأنينة بعد تلك الأيام الشديدة والتي أقلقتنا أشد القلق، فأهنئكم ونفسي، وإني على يقين من أن ما قاسيتموه من المتاعب سيضاف إلى صحائف جهادكم المبرور، وإن الله لمجزيكم أحسن الجزاء. كما أني أرجو أن يكون في توفيق الله ونعمته هذه بشرى ربانية بقرة أعيننا جميعاً بالنتيجة السعيدة التي نترقبها.

لقد اطلعني الأخ أبو بكر[1]على ما جاء من كتب وبرقيات، وتحدثنا بشأن انضمام بعض الإخوان إليكم، وسيكتب لكم هو بما وصلت إليه الأبحاث في هذا الصدد. أما أنا فقد بينت للإخوان وله بأني لا أرى ضرورة مبرمة لسفري، وخاصة بسبب ثقل سمعي وجهلي اللغة، وما يسبب لي هذا من انزعاج وانعزال، وفي سماحتكم الغاية والكفاية، وأنا مطمئن كل الإطمئنان بحرصكم على المصلحة وإحاطتكم بآمال الأمة وآلامها وأهداف جهادها، وبتشددكم كل التشدد في تحقيق تلك الآمال وازالة هذه الآلام والوصول الى تلك الأهداف، ومع ذلك فإذا كان هناك فائدة محققة وضرورة مبرمة تحتمان التحاقي بكم فاكتبوا لي والله بيده الخيرة وعليه الإتكال أولاً وآخراً، ولقد كان من تمام توفيق الله أن يسر سبيل الأخ الرشيد[2] حفظه الله.. وصرنا نأمل أن تسارعوا حالاً في إتمام المفاوضات وتركيزها في عهد رسمي، وأن لا تضيع دقيقة واحدة لئلا يفاجئنا من الأحداث ما قد يعطل علينا شيئاً من آمالنا وأهدافنا، فالظروف العصيبة التي تكتنف العالم الآن مملوءة بالمفاجآت التي قد تتعارض مع مصلحتنا، لاسيما إذا ذكرنا أن هذه المفاجآت قد أضاعت علينا فرصة كنا فيه أحسن حالاً

(1) إسحق درويش.

(2) رشيد عالي الكيلاني.

وأسطع نجماً، ولابد من أن يكون الأخ الرشيد قد أخبركم بما كان من اجتماعاتنا وما اتفقنا عليه من أسس التعاقد والتعاهد مع الأصدقاء، وإني لعلى يقين من أنكم سترتاحون إلى هذا العمل[1] الذي فيه توفير كبير للجهود والوقت الذي تجمعت فيه آراؤنا جميعاً، ومن أنكم ستجدون فيها جميع النقاط الجوهرية التي لأمتنا، ومن أنكم ستؤيدونها بحذافيرها. ولقد رأينا الفرصة سانحة للخلاص من التجزئة البغيضة بين البلاد العربية وخاصة فصل بلاد الشام عن العراق ومهازل تقسيمات بلاد الشام وما كان أشد الضربات التي أثرت في مصلحتنا الحيوية، سواء من الوجهة القومية والسياسية أو الإقتصادية. ولذلك اتفقنا ليس فقط على أن لا يكون كيانات متعددة في بلاد الشام، بل على أن لا يكون كيان سياسي خاص لسورية وآخر للعراق، بل يكون العراق وسورية بجميع أجزائهما كياناً واحداً في دولة واحدة، فما دام هدفنا الذي رمينا إليه في جهادنا المديد هو وحدة عربية شاملة، فيجب أن تقصر أو تقلل المراحل إلى هذا الهدف بقدر ما يمكن، فإذا كانت الظروف الآن غير مساعدة لتكوين وحدة كبرى في دولة واحدة تشمل العراق والشام ومصر وجزيرة العرب، بسبب وجود كيانات قائمة وقديمة لا يشمل بعضها الحرب أو تطوراتها، ولا يدخل في ساحتها، فلا أقل من وحدة تضم العراق والشام وتكون نواة للوحدة الكبرى، ويفتح الباب لمن يريد أو لما يمكن من الدول والكيانات القائمة للإنضمام إليها، أو تكوين اتحاد قومي معها، كما جعلنا ذلك من الأسس، وهذا الذي اتفقنا عليه هو أوفق الحلول وأقربها إلى الإمكان وأضمنها للمصلحة، وأعتقد أن ما قام به العرب منذ نصف قرن وخاصة بعد الحرب الكبرى إلى الآن من جهاد وما بذلوه من دماء وما وقفوه من مواقف الكفاح العنيف في سبيل استقلالهم ووحدتهم وتبوئهم المكان اللائق مهم، فأمة ذات مركز ممتاز جغرافي وقومي وسياسي وعقلي وذات مجد تاريخي ساطع أسدى للحضارة البشرية الأيادي البيضاء غير منكور من قبل الأصدقاء، وإنهم يسلمون لهم بحقهم الصريح في الإستقلال والوحدة والسيادة التامة.

والذي نرجوه من سماحتكم ومن فخامة الأخ الرشيد أن تتمسكوا بالأسس التي اتفقنا عليها كحل أدنى وعاجل للقضية العربية، وخاصة أن تتمسكوا بموضوع وحدة سورية الكبرى والعراق في دولة واحدة، وعدم التسامح في قيام كيانين خاصين، والتوحيد بينهما في اتحاد. فالفرق عظيم، كما لا بد من أنه لا يفوتكم أن الإتحاد بين كيانين أو دولتين، وبين وحدة وكيان واحد، وهذا سيوفر علينا وعلى أبنائنا في المستقبل متاعب عظيمة وجهوداً جديدة ودسائس ومؤامرات لا تحصى، عدا ما يضمنه الكيان الواحد من دولة قوية نوعاًما تضم أكثر من عشرة ملايين في بلاد واسعة كل قطعة منها تتمم الأخرى من حيث المناخ والنتاج والثروة الطبيعية والمركز الجغرافي، ثم كثرة عربية ساحقة تذوب فيها العناصر والطوائف المتنوعة التي تظل بارزة ومزعجة في كيان صغير، والذي أعتقده أن أي تعاقد لا يكون متمشياً مع الأسس التي اتفقنا عليها على الأقل لا يكون حلاً مرضياً مطمئناً وضامناً للمصلحة ضماناً صحيحاً، وخاصة في

---

(1) صيغة ومسودة مقررات الاستانة آب 1941 .

وحدة الشام والعراق في دولة واحدة. ومسألة سورية تقلقنا كثيراً لكثرة ما يدور حولها من أطماع ودسائس، ولما يندمج فيها من إشكالات وتعقيدات، ولذلك فإن معالجتها على الوجه الذي اتفقنا عليه قد يقضي على ذلك ويخفف كثيراً من الأعباء والمزعجات، واذا كان يمكن أن يرد على البال من إشكالات محلية في صدد هذا الحل، فإن ما يقضي عليه من الإشكالات والعقد الموجودة فعلاً هو أشد وأعظم، وظروف الحركة العالمية وتطور الأقطار في صدد التجمع القومي والطريقة التي ستيسر تطبيق الإتفاق ستكون أقوى مساعد على التغلب على أي إشكال. والدستور الجديد الذي سيوضع للدولة الجديدة سيعالج بطبيعة الحال النظام الإداري حسب ما فيه المصلحة والطمأنينة العامة.

وتشديدي في أمر سورية وعدم الإستهانة في أمرها وما يدور حولها من مطامع ودسائس ناتج من ملاحظات عديدة قريبة وبعيدة قد تبدو حول الظروف وتطوراتها تحدثت بها مع الأخ الرشيد،

وخاصة مما نراه من تمسك الإفرنسيين بها وما نسمعه من مفاوضات دائرة في صدد الصلح معهم والتعاون بينهم وبين الأصدقاء، فالذي أخشاه أن يعتبر الإفرنسيون مسألة سورية أمراً جوهرياً في مطالبهم ومفاوضاتهم، وأن يضطر الأصدقاء بسبب ظروف الحرب إلى التساهل فيها كما كان في الحرب الكبرى السابقة. كما تذكرون، وسبّب للقضية العربية نكبات وعراقيل شديدة، وهناك الطامة الكبرى. فإن الأدوار والمآسي التي مثلت في سورية في جميع أدوارها بسبب هذا (العشق القهري) لا تزال تدمي قلوبنا وترعبها، ولا تزال تذكر ما كان من نكث وغدر ودسائس وإفساد ضمائر وإثارة نعرات وحزازات طائفية وعنصريات وتشجيع عناصر الشر والفساد في سبيل إبقاء النير في الرقاب قوياً شديداً منهكاً ومهلكاً. وهذا ما يجعلني أرجو كل الرجاء بعدم إضاعة أي دقيقة لأي اعتبار، وبالتعجيل في إنهاء المفاوضات وتركيزها في عقد رسمي، فإننا إذا واجهنا لا سمح الله موقفاً مثل هذا نكون قد خسرنا خسارة كبرى، وتكون جهودنا ودماؤنا وآمالنا قد ذهبت هدراً، وهيهات أن تسنح فرصة أخرى، وتكون مسؤوليتنا عظيمة أمام الله والأمة والتاريخ، أقول هذا وأنا مطمئن إلى تقدير سماحتكم وفخامة الأخ الرشيد لهذه المسؤولية واضطلاعكم بها بإيمان قوي وقلب يقظ.

ومما نعيره أهمية خاصة البند القائل بضرورة قيام حكومة تمثل الدولة العربية الجديدة فوراً، حتى تأخذ هذه الحكومة على عاتقها واجبات العمل القومي والتعاوني من الآن حصرا، وينتهي دور الفوضى والتعدد والإنفراد الذي ليس فيه إلا الضرر والتشويش (هذا البند هو من بنود صيغة أو مقررات الآستانة)، عدا كون هذا هو الطريق الطبيعي والقوي، وأي جهود أو تعاون بطريق آخر لا تتفق مع الروح والأهداف والكرامة القومية. وإذا رأيتم أن ينضم بعض الإخوان السوريين شمالاً وجنوباً وغرباً إلى كيان الحكومة كان رأياً موفقاً، حيث يتعاون الجميع يداً واحدة، ويكون العمل أتم في متنوع ساحاته. ونرى كذلك من الأهمية بمكان الإسراع في إصدار تصريح رسمي وواضح وحاسم من الأصدقاء كمقدمة تطمئن بها القلوب، وضرورة الإسراع في إصداره مشتدة الآن، لأن الدعاية الإنكليزية قد نشطت نشاطاً واسعاً في الأيام الأخيرة وخاصة في سورية

ولبنان وشرق الأردن، وقد أخذ الإنكليز يسندون دعايتهم بتصريحات خلابة وبنشاط أبواقهم ومراكيبهم، ويحاولون إسدال الستار على عيون الناس وأذهانهم عما كان منهم من غدر وكذب ولؤم وظلم، وكونهم السبب الأضر في ما كان في سبيل القضية العربية من عراقيل ومما نزل على الأمة والبلاد من ضربات وبلاء وخاصة صهيونيتهم الباغية التي لا يخجلون حتى في هذه الأوقات من تقويتها وتوسيع آمالها وحدودها. وطبيعي أنهم في هذه الدعاية لا يفتأون يتهمون الأصدقاء (المحور) بسوء النية والجبروت، ويخوفون الناس من المطامع والكابوس الشديد والإستعباد المطلق، فكلما أسرعتم في إتمام التعاقد وفي إصدار التصريح كمقدمة وفي قيام الحكومة القومية كان الإمكان أقوى في إحباط هذه الدعاية وإضعاف أثر الأبواق والمراكيب والعملاء ونشاطهم، وحبذا لو يصل إلينا بيانات وأخبار عما يجري ويتم لنكون على صلة وبينة.

والله نسأل أن يكلأكم بعنايته وأن يمدكم بعونه وأن يأخذ بيدكم إلى ما فيه الخير والصلاح. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(محمد عزة)

***

1941/12/5:

1 ـ حول حركات الإنكليز في حدود ليبية ومداها:

مر على حركة الإنكليز الهجومية في شمال أفريقيا وفي ساحة ليبيا نحو أسبوعين، وكان الإنكليز يأملون أن يحرزوا بعض الإنتصارات بحركتهم التي استعدّوا لها بضعة أشهر وحشدوا لها القوات الكبيرة والدبابات واللوازم الأخرى التي وردت عليهم بمقادير عظيمة من أميركا ومن أنحاء الإمبراطورية الأخرى، وقد طنطنوا في بدئها وحاولوا لفت الأنظار إليهم وإلى قوتهم، غير أن سير الحرب لم يصل بهم إلى هدف أو نصر، بل يمكن أن يقال بأن حملتهم تعد الى الآن خائبة. وقد وقف الألمان والطليان موقفاً قوياً في الكر والفر والدفاع والمقاومة، إلى درجة أن الإنكليز أنفسهم لم يستطيعوا إخفاء قلقهم وخيبتهم. وقد شبهت صحيفة إنكليزية المعركة القائمة بأشواط متصارعين، واعترفت أن الألمان قد كسبوا الشوط الأول، وذكرت أن الخسائر كانت فادحة للطرفين، وأن الإنكليز اضطروا إلى إعادة تنظيم قواتهم من جديد ومدها بقوات احتياطية كبيرة، والمتبادر الآن أن الموقف إذا ظل على حالته الحاضرة فسيعد كارثة على إنكلترا متناسبة مع طنطنتهم ودعايتهم التي ملأوا بها الدنيا، ولا سيما أن أبواب المدد مفتوحة على مصراعيها أمامهم، في حين أنها مسدودة أو كالمسدودة بالنسبة لدول المحور، لما يفصل

بينها وبين الساحة من بحار، وما لإنكلترا فيها من قوى تعرقل أو تكاد تمنع كل مدد واتصال بين ساحة المعركة والمنابع الألمانية والطليانية الأصلية في أوروبا. أما إذا استطاع الألمان أن يحصلوا على نجدات في العدة والعدد، واستطاعوا أن يكسروا الإنكليز ويطاردوهم ويستمروا في مطاردتهم إلى مصر، فتكون الكارثة الكبرى عليهم لأنهم يكونون قد بحثوا في حركتهم عن حتفهم بظلفهم، وهيأوا الفرصة لانهيار سمعتهم في الشرق، بل لانهيار أمبراطوريتهم العظمى فيه. والصحف الإنكليزية تقول أن هذه المعركة ستكون من المعارك الحاسمة في هذه الحرب، والحقيقة أنها تكون كذلك ضدهم إذا تفوق الألمان، أما اذا كتب التفوق للإنكليز فلن تكون كذلك بالنسبة للألمان كما هو الظاهر.

2 ـ أصداء مقتل فخري النشاشيبي في الصحف الفلسطينية:

وصلنا في هذه الأيام بعض الصحف من فلسطين فيها أصداء مقتل فخري النشاشيبي وأخبار جنازته، ويستفاد مما ذكرته أنه كان للحادث أثر عميق في أوساط فلسطين. وأبرزت الصحف بخاصة ما كان من اهتمام أوساط حزب فخري بذلك، وذكرت أنه ذهب أناس كثيرون منهم من أنحاء فلسطين إلى القدس للإشتراك في جنازته ودفنه، حيث جيء بجثمانه من بغداد. وأن حكومة الأردن اهتمت كذلك بالأمر، فأمرت باستقبال الجثمان وتشييعه، مع التسجيل أن أحد الإخوان أخبرني أنه سمع من إذاعة بالراديو بياناً لهذه الحكومة ينفي فيها اشتراكها رسمياً، وتقول أنه لم يكن للميت صفة رسمية توجب ذلك. والظاهر أن الحكومة إذ رأت الصحف تذكر ما ذكرته عنها تحسّبت رد فعل ذلك في نفوس الوطنيين في شرق الأردن وغربه، فرأت أن تذيع بياناً بنفيه، لأنها لا شك تعرف ما في نفوس الوطنيين من غيظ ونقمة على مواقف فخري وتصرفاته وما أثار فيهم مقتله من ارتياح واغتباط.

3 ـ حول اجتماع مشترك في تل أبيب بين رؤساء بلديات حيفا والقدس ويافا وتل أبيب:

ومما قرأناه في هذه الصحف خبر انعقاد مؤتمر لبلديات حيفا والقدس ويافا وتل أبيب في دار بلدية تل أبيب وبرئاسة رئيسها لبحث موضوع تموين فلسطين وغلاء المعيشة فيها ومكافحة الاحتكار، ووصفت الصحف جو الإجتماع بأنه كان جو صداقة ومحبة. وكنا قرأنا في صحف سابقة أخباراً مماثلة، حيث تكررت لقاءات واجتماعات الهيئات والشخصيات الرسمية وشبه الرسمية العربية واليهودية بسبيل التشاور والتفاهم في شؤون محلية متنوعة، ويظهر أن جو الحرب قد أساغ ذلك بدون حرج.

4 ـ بعض عمليات فدائية في فلسطين وتعليق عليها:

ومما قرأناه في هذه الصحف أن جماعة من العرب هاجموا جماعة من اليهود في منطقة طبريا وقتلوا يهودياً وجرحوا اثنين ثم تمكنوا من الفرار والإختفاء. ولقد كنا قرأنا قبل أنه كان صدام في منطقة بيت لحم بين جماعة من

المسلحين العرب ودورية إنكليزية قتل فيه ضابط إنكليزي، وأن عربياً أطلق النار على كونستابل إنكليزي في إحدى مقاهي القدس، وأن عربياً آخر أطلق النار على ضابط بوليس في عكا، حيث يبدو من هذه الحوادث أن روح الثورة ما زالت قوية أيضاً في العرب.

***

1941/12/8:

1 ـ وصول الشيخ حسن سلامة من حلب وإخباره عن أحوال الفلسطينيين في سورية والعراق:

وصل منذ ثلاثة أيام من حلب الشيخ حسن سلامة (أبو علي) الذي كان قائداً للثورة في منطقة يافا، وفهمت منه أن أكثر الفلسطينيين الذين تجمعوا في حلب قد تركوها، منهم من ذهب إلى العراق ومنهم من ذهب إلى دمشق، ولم يبق في حلب إلا سبعة أشخاص، وأنه لم يقع على أحدهم ضغط أو مطاردة أو بحث، وأن بعض الفلسطينيين عادوا من سورية إلى فلسطين ومن جملتهم بعض البارزين مثل زعرور وحسين حمادة وحمد الزواتي، وفهمت منه أن الشيخ توفيق الإبراهيم (أبو ابراهيم الصغير) والشيخ سليمان (ابو علي)، وهما زعيما جماعة المشايخ قد كانا مختفين في حمص ثم جاءا إلى دمشق وطلبا من الشيخ محمد الأشمر سؤال الشيخ تاج عما إذا كان في إمكانهما الإقامة في دمشق بأمان، وأن الشيخ تاج قال ان الأفضل أن يغيبا عن العين لأنه لا يستطيع أن يمتنع عن تلبية طلب للإنكليز، وعلى كل حال فكلام الشيخ حسن يفيد أن حالة الفلسطينيين بصورة عامة لا تستدعي للقلق، فهم نصف مختفين ونصف ظاهرين في سورية وغيرها، وليس هناك إلحاح عليهم من جانب السلطات الإفرنسية والإنكليزية

فاطمأنت نفسنا، مع استغرابنا لمجيء الشيخ حسن ما دامت الحالة كما وصفها.

وهنا ينتهي الدفتر الرابع

***

بداية الدفتر الخامس:

1941/12/9

20 ذو القعدة 1359:

1 ـ حول كتاب مقدم لرشيد عالي من نوري السعيد أيام وزارته ومداه وتعليق عليه:

اطلعت في صحف بغداد على نص كتاب مقدم من نوري السعيد إلى رشيد عالي حينما كان نوري وزيراً للخارجية في حكومة رشيد في أواخر سنة 1940، وفي هذا الكتاب نقاط لافتة للنظر جديرة بالتسجيل والتعليق، منها إشارة إلى ما قامت به إنكلترا في سبيل التأثير على العراق وتخويفه حينما شعرت أن هناك ميولاً نحو المحور وتفكيراً في إعادة العلاقات السياسية المقطوعة بين العراق وألمانيا، حيث دفعت إنكلترا أميركا للفت نظر الحكومة العراقية إلى ما في ذلك من ضرر على مصالح العراق العاجلة والآجلة، وإلى ما بينها وبين بريطانية من تضامن وثيق سوف يضمن النصر لبريطانية في النهاية، وحيث دفعت بريطانية تركية أيضاً إلى سؤال العراق عن هذا التفكير وإبراز ما أحدثته من دهشة وقلق في الأوساط التركية، وفيما كتبته أميركا للعراق إنذار، وفيما كتبته تركية إفهام للعراق بأن تركية ضالعة مع الإنكليز ضد الألمان، ومن ذلك أن نوري السعيد بذل أقصى جهده لحل مشكلة فلسطين وإقناع إنكلترا بإقامة حكومة وطنية فيها لأن ذلك كان وظل العقدة المعقدة، وظلّ الجرح العربي بها دامياً حتى ينطفىء ـ بحل هذه العقدة وقيام

حكومة وطنية ـ العداء القائم بين العرب وبريطانية ليس فقط في فلسطين بل في سائر بلاد العرب.

وقال نوري في كتابه أنه عرض على بريطانية استعداد العراق لإشراك قسم من جيشه في المعارك. إلى جانب الجيوش الإنكليزية وفي خارج العراق، بالرغم من أن ذلك لا يطلب منه بموجب المعاهدة من أجل حل تلك العقدة وإطفاء العداء العربي. ولكن الإنكليز ظلوا على عنادهم ورفضهم لإقامة الحكومة الوطنية خشية من إثارة اليهود وإغضابهم، وبكلمة ثانية رجحوا اليهود على العرب في الموازنة والتفشيل.

ومن الغريب أن نوري السعيد ومن هم على سياسة الإنسجام مع الإنكليز يرون هذا الترجيح ويظلون يبشرون بالإنكليز وصداقتهم للعرب، ويمثلون الأدوار المخزية في هذا السبيل. ومنها بيان لما كان يدور في ذهن بعض ساسة العراق من ان دول المحور هي المنتصرة، وأن من مصلحة العراق خاصة والقضية العربية عامة التفكير في اغتنام الفرصة والإتصال بدول المحور والسعي في سبيل توطيد مصلحتهم وقضيتهم معها، وفي بيانه تخطئة لذلك، حيث يقول ان الراجح الذي تقوم عليه الدلائل أن بريطانية هي التي سوف تنتصر، وأن ما كان يدور في أذهان ساسة العرب من ذلك الظن قد يفسد ما بين العراق وبريطانية من حسن تفاهم وصداقة، ويعرض مصلحة العراق للخطر عاجلاً أم آجلاً، ويقرر وجوب الإخلاص للمعاهدة القائمة بين العراق والإنكليز والسير فيها إلى النهاية.

ومع أنه لا يمكن المجادلة في اجتهادين متعارضين في صدد من يربح الحرب، فإن السياسي العربي المخلص يجب أن يفرض انتصار دول المحور، وأن العرب إذا لم يكونوا قد اغتنموا الفرصة فإنهم يكونون قد عرضوا مستقبلهم وبلادهم للخطر.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن وضعية بريطانية في الوقت الذي كتبت فيه هذا الكتاب أي في سنة 1940 لم تكن باعثة إلى أي طمأنينة يمكن أن يبنى عليها اجتهاد نصرها شيء من الجزم، كما جاء في الكتاب، ولقد كانت فرنسة قد انهارت، وكان عليها المعول الكبير في حرب أوروبا، ولم تكن ألمانيا قد انشغلت بروسية، وكانت الضربات الجوية الألمانية تحدث أعظم الأثر في الجزر البريطانية، وكان خطر غزوها قائماً، بل كان يحسب حسابه بالأيام والساعات، وكانت الحكومة الإنكليزية متوقعة وتتخذ التدابير الضرورية لذلك.

ولقد سجلنا قبل أن نوري السعيد لم يكن بعيد الذهن عن ضرورة اتصال العرب بدول المحور لضمان مصلحة ومستقبل العرب منهم على ما أخبرنا به إخوان موثوقون حينما خرجنا من السجن في أوائل سنة 1940، وكان ذلك قبل أن يشتد الخلاف بين العراق والإنكليز، وأن نوري نفسه اقترح سفر وفد من المشتغلين بالقضية العربية إلى أوروبا وإجراء اتصالات مع المقامات المحورية، على أن تدفع لهم نفقاتهم، وأنه كان يذهب إلى القول بضعف الأمل في انتصار الإنكليز بعد انهيار فرنسة واستعلاء ألمانيا في أوروبا. ومما قيل لنا أن رأي نوري هو أن يكون المتصلون غير رسميين وغير عراقيين معاً، لئلا ترتاب بريطانية وتسوء السياسة بينها وبين العراق. فهل كان ما قيل لنا عنه غير صحيح؟ أم أن الإنكليز عرفوا ذلك عنه

سواء بالنسبة له أو بالنسبة لضرورة الإتصال بدول المحور، وأخذ ضمانات منها لأجل مستقبل القضايا العربية وبلاد العرب وعرف هو أن الإنكليز عرفوا ذلك، فبادر إلى كتابة كتابه موجهاً إلى رئيس الوزارة وطالباً عرضه على مجلس الوزراء مع نسخة منه أرسلها إلى الوصي، على ما جاء في الجريدة التي نشرت نص الكتاب.

ونعتقد ان ما بلغنا كان صحيحاً، وأن نوري أرسل كتابه بعد أن وصل الأمر إلى علم الإنكليز. ومهما يكن من امر فالكتاب يسجل على نوري موقفاً نفاقياً ولعبة من لعباته، بل قد سجل موقف دس وخيانة قومية، سواء أراد ذلك ام لم يرد. ولعل الخلاف الذي اشتد بين نوري ورشيد ثم استقالته من الوزارة نتيجة لضغط الإنكليز والوصي، أو تآمرها معهم ضد رشيد عالي، وما خطاه من خطوات في سبيل الإتصال بدول المحور، هو الذي جعله يرسل هذا الكتاب إلى رشيد عالي ونسخة منه إلى الوصي وبالتالي إلى الإنكليز، مع ان ما فعله رشيد هو مما كان يقترحه نوري جوهرياً، وإن لم يكن شكلياً. وكان الأحرى بنوري أن ينسحب وينفض يده من عمل نفذ على غير الشكل الذي اقترحه، وأن يكتفي بذلك دون ما حاجة إلى تآمر ودس وإثارة، مادام أنه موافق على الجوهر. ولكن هذا متعارض مع طبيعة نوري كما نعرف ذلك من مواقف وظروف عديدة.

***

||||||||||||||||||||||||||||||||||||

1941/12/12:

1 ـ حول خبر مقابلة المفتي لهتلر وتعليق عليه:

قال لنا بعض الإخوان أنه سمع من إذاعة برلين خبر مقابلة المفتي لهتلر وما قوبل به من حفاوة، وان صحف برلين أطنبت في هذه المناسبة بالقضية العربية وجهاد العرب، ونشرت صورة المفتي مع هتلر، والذي نرجوه أن يوفق إلى تثبيت قواعد التفاهم على القضية العربية، وان يكون قد ترك في اجتماعه مع هتلر انطباعاً حسناً وقوياً في الزعيم الألماني، ونرجح أن ذلك قد حصل، فشكل المفتي وقيافته وملامحه مما يجذب مخاطبه ويؤثر فيه، ولابد من أن يكون هتلر قد أحيط بما كان للمفتي من جهاد وجهود وما قاساه من متاعب وما كان منه من مواقف ضد الإنكليز واليهود، وما يحمله هؤلاء عليه من حقد وضغينة، وما يمكن أن يكون لموقف ألمانيا منه ومن القضية العربية من أثر في العالمين العربي والإسلامي، ولم يذكر مخبرنا أنه سمع شيئاً عن رشيد عالي، فهل لم يصل بعد إلى برلين أم هل كان الإثنان معاً؟ والأيام الآتية ستكشف ذلك.

***

27/12/1941:

1 ـ ورود كتاب من المفتي من برلين:

جاء كتاب من المفتي من برلين فيه خبر مقابلته لهتلر دون تفصيلات، وكل ما قاله عنها أنه مرتاح لحسن النية والرعاية التي لقيها في العاصمتين روما وبرلين، ومن الرأسين اللذين اجتمع بهما ـ هتلر وموسوليني، وأنه يبذل جهده بالإشتراك مع رشيد عالي في الوصول إلى تفاهم مسجلاً فيه حل مرضٍ للقضايا العربية، وأنه يشاركنا في ملاحظاتنا في صدد قضية سورية، وأنه لن يدخر وسعاً في سبيل حلها هي الأخرى حلًا مرضياً.

ولقد جاء منه قبل هذا كتاب من روما فيه مثل هذه التطمينات، وقال في كتابه هذا أن طمأنينته بالمستقبل وأمله في تحقيق آمال العرب قد ازداد وقوي بعد المقابلات والمحادثات. وقد يكون المفتي سمع من التطمينات والتأميلات ما جعله يقول هذا. وإن كان من شيء نخشاه فهو المفاجآت والتطورات الحربية. وما يمكن ان تأتي به هذه المفاجآت والتطورات بعد الحرب أيضاً، ولهذا نحن شديدو الحرص على عقد اتفاق، وتسجيل الإعتراف بحقوق العرب ووحدتهم واستقلالهم في اتفاق مكتوب حتى لا يكون للمفاجآت والتطورات في أثناء الحرب وبعدها تأثير، وعلى الأقل من الوجهة النظرية المعنوية، أما الغدر والنكث فعلمهما عند الله، ولا يكون الناس مسؤولين عنهما، ويكون في يدهم ما يبرر خطتهم وجهدهم، وهذا ما توخيته في الإلحاح الذي ألححته في كتابي الذي أرسلته إلى المفتي في صدد الإسراع في عقد اتفاق وعدم إضاعة أي وقت. ولاشك في أن المفتي ورشيد عالى سيبذلان كل جهدهما في هذا السبيل، ولاسيما أنهما أصبحا يحملان مسؤولية معنوية كبرى في هذا المعسكر الذي يرون فيه العناية والرعاية، والذي سارا في اتجاهه بعد ما كان من المعسكر الثاني من الألاعيب والنكث والمراوغات الضارة بالعرب وقضاياهم، وبعد ما ظهر منهم ما ظهر بالنسبة للمستقبل أيضاً. ومن المؤسف أن المفتي لم يكتب شيئاً من التفصيل لما جرى معهم إلى الآن في صدد المفاوضات والتعاون، واكتفى بما يحمل التطمينات المقتضبة، مع أننا طلبنا منه أن يكتب لنا تفصيلاً لما يجري ويتم. أما ما جاء في صدد تطابقه معنا في أمر قضية سورية فهو ما كنا حسبناه او تخوفنا منه ونبهنا المفتي إليه من رغبة الألمان كسب الإفرنسيين وعدم إغضابهم وتنفيرهم، واحتمال تحاشيهم من تناول قضية سورية التي يريدون أن يبقى مركزهم مستمراً فيها على ما سجلناه سابقاً.

2 ـ تقوية الألمان لإذاعاتهم العربية وتعليق على ذلك:

مما اهتم له الألمان والطليان تقوية إذاعاتهم العربية، فقد أنشأوا منذ مدة محطة إذاعة في أثينا باسم محطة إذاعة العرب الأحرار، وتذاع فيها أخبار الحرب والسياسة من جهة، والأحاديث ضد الاستعمار الإنكليزي والإفرنسي في بلاد العرب وتصرفات المستعمرين الباغية في سورية ولبنان وفلسطين والأحاديث التي

تشرح حقوق العرب وآمال العرب والقضايا العربية من جهة أخرى وأنشأوا بعدها محطة جديدة منذ مدة قريبة في برلين باسم محطة الأمة العربية، تذاع منها سوء أعمال وتصرفات الإنكليز في بلاد العرب عامة وفي فلسطين خاصة، مع أحاديث الدعوة إلى القضايا العربية وحقوق العرب واستقلالهم ووحدتهم. وهذا بالإضافة إلى الإذاعات السابقة في برلين وروما وباري، وفيها شيء من ذلك. والفارق على ما يظهر أن محطات برلين وروما وباري تحت الإدارة الفنية الرسمية الألمانية والطليانية مباشرة، والمحطتان الجديدتان تحت إدارة عربية أو مصبوغة بصبغة عربية مباشرة، وهذا ظاهر إسميهما. وقد استمعنا منذ يومين إلى محطة الأمة العربية في برلين، فعرفنا صوت صفوت يونس الحسيني يذيع الأخبار ويشرح مظالم الإنكليز، وعرفنا صوت الدكتور صبحي أبي غنيمة يلقي حديثاً عن آمال العرب وعن دسائس الإنكليز، ويشير إلى موقف الأمير عبد الله ومخازيه، وإلى جهاد المفتي ومساعيه وزعامته. ونسجل بهذه المناسبة أن محطات إذاعات الإنكليز في لندن وفي البلاد العربية مازالتا أقوى وأحسن نظاماً وأعرف بأساليب الدعاية وانتهاز الفرص. ومهما يكن من أمر فإن اهتمام الجبهتين بالعرب وبلاد العرب والدعاية العربية محسوس ومتزايد، وفيه تبدو محاولة كل جبهة التأثير في العرب وكسبهم ولفت أنظارهم إليها. وهذا طبيعي جداً لما للعرب وبلادهم من المركز الممتاز في الشرق جغرافياً وأدبياً وسياسياً واقتصادياً، فمتى يدرك العرب قيمة أنفسهم وبلادهم ويشغلون المركز اللائق بهم المناسب مع هذه القيمة والقوة. وإلى متى يظلون كأنهم سلع تباع وتشترى ويمتلكها الغير ويتصرف فيها.

3 ـ إذاعة مقابلة بين رشيد عالي ووزير خارجية المانيا:

أمس مساء أذاعت محطة برلين العربية بياناً رسمياً ذكر فيه أن رشيد عالي الكيلاني قابل وزير خارجية الريخ (المانيا)، وأن المقابلة كانت ودية جداً، وان الحديث جرى حول قضايا البلاد العربية. ثم أخذ المذيع يشيد بما كان لرشيد عالي من جهاد وجهود في سبيل قضايا العرب، وكيف أنه وقف في وجه الإنكليز مقاوماً محارباً، وأنه لم ينسحب إلا بعد تفوق القوة القاهرة، وأن الأوساط الألمانية رحبت به أجمل ترحيب، وهي تعير القضايا العربية اهتماماً عظيماً يبعث على الاغتباط والأمل العظيم بمستقبل سعيد زاهر. ورشيد عالي في برلين منذ شهر تقريباً، وهذه أول مرة يذاع فيها وجوده ومقابلته وزير الخارجية بصورة رسمية. وكان ورد منه كتاب ذكر فيه أنه منذ أن وصل باشر بالاتصال والعمل للوصول إلى اتفاق مسجل في صدد مستقبل القضايا العربية. ويظهر أن الاتصالات والمباحثات التي جرت إلى الآن كانت تمهيدات، وأن هذه المقابلة كانت تتويجاً لها، فإما أن يكون استعرض فيها ما جرى من أبحاث، أو تم فيها التفاهم على النقاط الرئيسية، أو كانت في صدد إستيضاح وإيضاح بعض النقاط الرئيسية. وعلى كل حال فإن هٰذه المقابلة فيما يبدو لنا ذات أهمية خاصة في صدد قضايانا، وتدل على اهتمام الألمان فعلاً لهذه القضايا. ولعلنا نتلقى تفصيلات لما تم إلى الآن في الأيام القادمة.

ومن الجدير بالتسجيل في هذه المناسبة أن الصحف التركية اليوم نشرت صورة رشيد عالي وعنوان لنبذة عنه بأضخم الحروف، وجاء في النبذة أن رشيد عالي الكيلاني رئيس وزارة العراق سابقاً، فر من الآستانة بالرغم مما قطعه على نفسه من عهد ونشرت برقية من برلين فيها خبر مقابلته لوزير الخارجية الألمانية، وبرقية من أنقرة جاء فيها أن رشيد عالي الكيلاني كان طلب السماح له بدخول تركية ووعد رسمياً وخطياً بأن يبقى في تركية ولا يخرج، ولكنه لم يلتزم بذلك وغادر تركية بدون علم وإذن سلطاتها. ولهجة العنوان وحروفه الضخمة وبرقية أنقرة هامتان وتدلان على استياء المقامات التركية أو على رغبة إظهار استيائها، كما نرجح، ولاسيما أنها نشرت النبذة في مناسبة خبر مقابلته لوزير الخارجية، مع أنه غادر تركية منذ أربعين يوماً، ولا يمكن أن تكون السلطات التركية لم تعلم بأمر مغادرته. بل نرجح أنها وافقت على ذلك بصورة سرية وغير رسمية، لأن رشيد كان حريصاً على الحصول على هذه الموافقة من السلطات كما سمعت ذلك منه مراراً. والظاهر أن الإنكليز احتجوا أو قدموا إستيضاحات نقدية في صدد سفره، على اعتبار أن بين تركية وبريطانيا معاهدة تحالف واتفاق، فأوعزت السلطات التركية بنشر هذه النبذة بهذه اللهجة التي ظهرت اليوم في مناسبة خبر المقابلة.

4 ـ بوادر على طول أمد الحرب أكثر مما كنا نتوقع :

كل ما سمعناه على لسان زعماء الدول المتحاربة وقرأناه في الصحف وسمعناه من الإذاعات من تعليق المعلقين تفيد أن أمد الحرب سيطول أكثر مما كنا نظن، فقد كنا، وكان كثير غيرنا نقدر سنة أو سنتين على الأكثر لانتهاء الحرب، وكان الألمان يقولون انها ستنتهي في آخر عام 1941، ونحن الآن في أواخر هذا العام، والحرب تشتد وتتسع، وكل الدلائل تدل على صدق احتمال طولها أمداً طويلاً آخر، فأميركا لا يمكن أن تتهاون في أخذ ثأرها من اليابان، ولها من عدد نفوسها ومنابعها وثرواتها ومصانعها ما تستطيع أن تديم الحرب طويلاً أملًا بالانتقام والإنتصار، وبريطانية استفادت من انشغال الألمان بالروس وحسنت تحصينات جزرها وصارت مطمئنة على عقر دارها، وهي الآن بزعامة شرشل شعلة نشاط وحماس في تأليب أميركا والعالم ضد الألمان والطليان والمجابهة معهم، يحدوها الأمل بالانتصار والانتقام أيضاً، ولاسيما وأن الألمان والطليان يستهدفون مزاحمتها في الاستعمار وتحطيم امبراطوريتها التي هي قوتها وعزتها ومنبع حياتها ورفاهها، وروسية التي تفوق الألمان أضعافاً عديدة في العدد لابد من أنها سوف تستمر في نشاطها وصمودها لطرد المحتلين من بلادها مهما طال الزمن. والمانيا وإيطالية بزعامة هتلر وموسوليني يترسمان بدورهما توسيع مجالهما الدولي والإقتصادي والسياسي وإزاحة بريطانية عن مركزها ومجالها العظيم وطرد نفوذها عن أوروبا، وهما الآن يكادان يكونان أسياد أوروبا، والقوة الكبرى فيها فرنسة قد استسلمت لهم، ولابد أنهما يبذلان كل ما يستطيعان للصمود ولحشود أميركا وإنكلترا والإحتفاظ بما حققاه، وتحقيق ما ترسّماه، واليابان الآن في موقف المتفوق ويكادا

يصبحا سيدا الشرق الأقصى، ولابد من أنهما سيبذلان جهودهما وقواهما الكبيرة في سبيل الاحتفاظ بهذا التفوق والصمود لحشود وتأليبات أميركا وإنكلترا وحلفائهما طويلاً، وكل هذا من حجج امتداد أمد الحرب أكثر مما قدر لها بكثير.

هواجس ومخاوف من طول الحرب:

وللمرء أن يتصور ما يكون لامتداد الحرب سنتين أو ثلاثاً أو أربعاً أخرى من أثر شديد في شعوب الأرض من محاربة ومحايدة، فجميعهم الآن يقاسون شدائد المعيشة وضيق وسائلها، إلى درجة أن أخذت مظاهر المجاعات والإنحلال تبدو في بعضها. ولم يمض عليها سنتان، هذا بالإضافة إلى ما أحدثته هذه الحرب في هذه المدة من شلل في مرافق الحياة ودولاب أشغال الناس الإعتيادية، وإلى ما تركزت أفكار الناس عليه من الحرب وأهوالها والعمل لها، وما أثارته من روح الحقد والضغينة والوحشية، وما أزالته من عواطف الرفق والرحمة والإنسانية والتسامح، وما كان من ضحايا عظيمة في الأرواح، ودمار شديد واسع في المنشآت العامة والخاصة.

والحق أن الإنسان حينما يفكر في هذا يتملكه الدهشة والجزع والسخط والغضب والعجب من هذا الجنون البشري، أو بالأحرى الوحشية البشرية التي تحرق الآن آلاف ملايين الجنيهات، وما تجمد في الحقبة الطويلة من ثروات وعمار ومنشآت وحضارة، وتجعله دماراً ودماء وهباء. فإنكلترا صرفت إلى الآن نحو ثمانية آلاف مليون جنيه، وألمانيا وإيطاليا صرفت ولا شك مثل هذا المبلغ، ومثل هذا أو أكثر صرفت أميركا واليابان، أي أن ما صرف حتى اليوم يبلغ ثلاثين ألف مليون جنيه. ولو صرفت هذه المبالغ على عمار الأرض لانقلبت كل بقعة منها إلى جنات، ولامتلأت بالمدارس والمعاهد والمستشفيات والمصانع والمعامل والسكك، ولبلغ الإنسان إلى أرقى ما يطمح إليه من رغد العيش ورفاه الحياة. فهذه المبالغ التي هي عرق جميع البشر ذهبت هباء، بل وسببت دماراً أكثر من قيمتها. وقتلت ملايين الناس وشوهت ملايين أخرى.

ومن المؤسف أنه لم يبق خارج الحرب دول ذات شأن تستطيع أن تتدخل في أمر الإصلاح والصلح والتوفيق. والبابا على ما له من نفوذ روحي على النصارى، فإن صوته في هذا الصدد ضعيف خافت لا يسمعه اليوم أحد، وقد خطب بمناسبة عيد الميلاد خطبة أبدى سخطه من الحرب وما جرته من ويلات، وقال أن سببها هو عدم الإنصاف، وأنه ما لم يقبل بمبدأ حق تمتع كل أمة وشعب بحريته واستقلاله في بلده ومبدأ انتفاع جميع الناس من ثروات الأرض وخيراتها على السواء على أساس الإنصاف، فإن الحروب ستظل مستعرة والبشرية تقاسي ويلاتها وجحيمها. ودعا الناس إلى التناصف على هذا الأساس وطبيعي أن كلمته ذهبت كالصرخة في وادٍ، ولم يرددها إلا المحايدون وهم قليلون وضعفاء. ولسنا ندري كيف يمكن للبشرية أن تتخلص من جحيم هذه الحرب والحالة على ما وصفناها، وسحق أحد الطرفين للآخر سحقاً تاماً صعب، وقد لا يتم إلا في أمد طويل، واكتواء البشرية بنار هذا الجحيم طول هذا الأمد الطويل ويل هائل وهول مدهش. وقد يلمح في كلام البابا في صدد حق جميع الأمم في اقتسام مواد وخيرات الأرض على أساس

المساواة إشارة إلى ما يساق كسبب من أسباب التحركات الألمانية قبل الحرب والعدوان الألماني، وهو أن ألمانيا حرمت من مواد وخيرات الأرض، وانحصر ذلك في بريطانية وفرنسا وأميركا وهولندا التي كان لها نشاط وتبسط في مختلف بقاع الأرض، واستغلال للخيرات والمواد دون ألمانيا التي ترى ضيقاً في أرضها وشدة حاجة إلى الانطلاق وأخذ نصيبها من مواد الأرض التي تتحكم فيها تلك الدول من مدة طويلة.

والسؤال هل تظل الشعوب راضية راضخة لهذه المحنة والويلات، أم يثور بعضها كما جرى في الحرب العالمية السابقة حيث انفجرت الثورة الشيوعية في روسيا، وأخرجتها من الحرب وعجلت نهاية الحرب معا.

***

الأحد في 1941/12/28
10 ذو الحجة 1359 :

1 ـ البرد والثلج في الآستانة :

أول أمس برد الجو ثم أخذ الثلج يتساقط طيلة عشرين ساعة دون انقطاع، حتى بلغت كثافته خمسة عشر سنتمتراً وغطى الشوارع والجادات والأزقة وسطوح البيوت، ثم انقطع. وخرج الرياضيون اليوم للزحلقة والناس يلهون بالثلج، وكان الجو صحواً والشمس مشرقة، وقد خرجت أنا إلى ضاحية المجيدية في طريق الشيشلي وتمتعت بمنظر أخاذ، حيث الأرض على مد البصر والتلال والهضاب والحقول مغطاة بطبقة كثيفة من الثلج، وكان كثير مثلي خرجوا واستمتعوا.

2 ـ بيان مفتي الآستانة في تعيين يوم العيد :

اليوم الأحد كان يوم عيد الأضحى في مصر وفلسطين وسورية والحجاز والعراق، أما في تركية فإن مفتي استانبول أذاع بياناً ذكر فيه أن العيد يوم الإثنين، وأن الأحد يوم الوقفة. وقد أرسلنا للبيت في دمشق برقية لتأنيس الأولاد والنساء في هذا اليوم الذي سوف يوحشهم غيابنا عنهم ونحن نشعر بالوحشة لغيابهم عنا، وهذا ثاني عيد يمر علينا في هجرتنا الجديدة، ولا ندري هل يفرج الله ونعود قبل العيد الآتي، ولكن ظواهر الأحوال لا تدل على ذلك. فالحرب ستكون أطول مما قدرنا، بل إنه يمكن أن يقال أنها بدأت من جديد باشتباك أميركا مع

اليابان، وبتوقف الألمان في جبهتي روسية وليبيا ليستعدوا للكرة الجديدة، وإن كان من أمل لنا خاصة في عودة قريبة فهو في انكسار الإنكليز في الجبهة الليبية واضطرارهم إلى الإنسحاب من مصر ثم من فلسطين وسورية، حيث يمكننا حينئذ أن نعود. ولكن هذا الأمل خيالي لما نعرفه من حرص الإنكليز واستعدادهم للمقاومة والصمود في جبهة الشرق الأدنى التي هي بالنسبة إليهم حيوية جداً.

ومهما يكن من أمر فإنه من فضل الله أن تيسّر لنا المجيء إلى تركية والإقامة فيها أنا وأخي وزهير في هذه الظروف التي أكلت الحرب العالم ولم يسلم منها إلا أقطار قليلة ومنها تركية. وإذا استطاعت تركية أن تبقى في معزل عنها فهي أوفق مكان لاقامتنا وراحتنا ويسر معيشتنا، والحياة فيها أرخص كلفة من سورية والعراق وفلسطين، وأسباب المعيشة متوفرة أكثر.

3 ـ رسالة جوابية من المفتي وما ذكره فيها:

أمس وصل إليَّ كتاب المفتي جواباً على كتابي، ويذكر فيه أن الملاحظات التي أبديتها قد حلت محل الإعتبار، وأن الخطة المقترحة في كتابنا هي الخطة التي يسير عليها، وأنه بذل جهده منذ وصل، وأن آماله كبيرة. ووعد بكتابة مفصلة عما جرى حينما يكون لديه متسع من الوقت، وقال أنه ما يزال يتمنى أن ألتحق به مع بعض الإخوان، لأن التعاون هناك أجدى. وليس في الكتاب تشديد على سفري وإطناب في الضرورة له، وهذا يوافق اجتهادي، ولعل المفتي يبر بوعده فيكتب لنا تفصيلات بما تم معه ويطمئننا.

||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||

1942/1/1:

1 ـ تعليق تركي على الحرب في مناسبة أول السنة الجديدة وخطة الحكومة التركية:

اليوم أول السنة الميلادية الجديدة، وقد استمعنا أمس ليلًا إلى المذيع التركي الذي يلخص أخبار العالم ويذيع ما ترى الحكومة إذاعته من أفكار سياسية بصورة شبه رسمية، وهو ينوه في مناسبة انقضاء السنة السابقة ودخول السنة الجديدة بما اختطته الحكومة التركية من سياسة ترتكز على البقاء في معزل من الحرب مع إدامة علاقات الصداقة مع الفريقين المتحاربين وخاصة رأسيهما (الألمان) الذين بينهم وبين تركية معاهدة عدم إعتداء، و(الإنكليز) الذين بينهم وبينها معاهدة اتفاق. ويقول ان تركية ستستمر في سياستها هذه، وستحرص عليها ما في وسعها. وقد نوه كذلك بما تتمتع بلاد تركية وشعبها من أمن وطمأنينة ويسر معيشة بفضل هذه السياسة في وسط اتون متأجج من النار، وفي ظرف لم يكد يبقى فيه دولة وبلاد لم يصبها شيء من الحريق قل أو كثر. وقد افتخر المذيع بما هي عليه تركيا الآن من رخاء وسلامة، وبما لها من مركز ممتاز في نفس كل من الطرفين المتحاربين.

تعليق على البيان:

والحقيقة أن لتركيا حق الإفتخار والإغتباط،

أولاً بسبب ما تستمتع به من أمن وطمأنينة ويسر معيشة، وثانياً بسبب ما تشغله من حيز عند الفريقين المتحاربين وما يغدقانه عليها في كل مناسبة من الثناء الذي فيه شيء غير قليل من المجاملة والرياء أيضاً. فرجال الإنكليز وصحافتهم لا تمر مناسبة إلا ويشيدون بصداقة الأتراك ووفائهم ويلوحون بما سوف يكون لهم في الحرب من بروز وقوة بسبب هذه الصداقة والوفاء، ورجال الألمان وصحافتهم يفعلون مثل هذا ولو كان بتحفظ أكثر. وقد دأب الإنكليز على بث شائعات مخيفة للأتراك عن نيات الألمان ومطامعهم، وتسارع الحكومة الألمانية وصحافتها إلى نفي ذلك وتكذيبه بمجرد ظهورها، وتتخذها مناسبة للإشادة بما يربطهم بالأتراك من صداقة وبما يكنونه لهم من النيات الحسنة. ولقد كان الأتراك اتفقوا كما قلنا سابقاً مع الإنكليز على أن يشتركوا في الحرب لجانبهم إذا استدعت ظروف الحروب ذلك. ولقد استدعت الظروف ذلك بسبب عدوان الألمان والطليان على يوغسلافيا أولاً واليونان ثانياً، وحاول الإنكليز أن يحملوهم على تنفيذ الإتفاق، وجاء إيدن إلى أنقرة من أجل ذلك، ولكن الأتراك ظلوا جامدين ولم يتحركوا. ولم يبالوا بما كان من غضب الإنكليز بعض الشيء وتلميحهم لذلك في مجلس العموم بلسان ايدن، ثم سكتوا عن هذا الموقف. وربما عادوا فرأوه لصالحهم أكثر منه لصالح الألمان، لأن اندماج الأتراك في الحرب كان فتح احتمال اكتساح الألمان لبلادهم، واحتمال زحفهم منها على سورية والعراق ومصر. في حين أن احتفاظهم بموقفهم مع عقدهم معاهدة عدم اعتداء مع الألمان دفع عنهم غائلة اكتساح بلادهم، ودفع عن الإنكليز الغائلة المحتملة من هذا الإكتساح. وعلى كل حال فإن الأتراك يحاولون بكل قوتهم أن يكونوا بعيدين عن الحرب وويلاتها، وأن يبقوا على صلات حسنة مع الكتلتين المتحاربتين، وهذه سياسة قومية رشيدة، ولا سيما أن كثيراً منهم لا يزال يذكر ما جره دخولهم في الحرب السابقة مع الألمان من ويلات وبلاء.

2 ـ الثلج من جديد في الآستانة :

تساقط الثلج بشدة بعد توقف يومين ودام عشرين ساعة أخرى، فزادت كثافة الثلج، وقال الأتراك أن ثلج هذه السنة أشد وأبكر كثيراً من المعتاد. وقد عيد الأتراك عيد الأضحى يوم الإثنين والثلج يتساقط بشدة وقوة، ثم توقف ثاني يوم العيد، وأشرقت الشمس فخرج الناس للإستمتاع بالشمس والمنظر الباهر، وخرجنا نحن كذلك. ولكن ذلك لم يدم إلا يوماً ثم عاد الثلج للهطول، واشتد البرد. وقرأنا في الصحف ان الثلج كان عاماً في معظم أنحاء الأناضول، وأن درجة الحرارة في أنقرة وأنحاء أخرى بلغت في الليل ثلاثين تحت الصفر، وأن زيت السيارات تجمد وتعطلت حركة الناقلات، وأن درجة الحرارة في النهار كانت 15 تحت الصفر، وهذه الدرجة غريبة في تركية وغير اعتيادية، وفي استانبول كانت في الليل 15 تحت الصفر. وحاولنا أن نخرج لزيارة بعض الإخوان الذين زارونا في العيد، فتعرضنا لهبة ريح شديدة كانت تدفعنا بعنف.

***

5/1/1942:

1 ـ ميثاق دولي ضد المحور نتيجة نشاط شرشل:

أعلن اليوم ميثاق دولي وقعه ست وعشرون دولة مع ملحق له وينص الميثاق على:

أ ـ تعهد الدول الموقعة عليه على التضامن التام في النضال ضد دول المحور سياسياً وعسكرياً ووقف جميع نشاطها ومتابعتها على ذلك بثبات، أن لا تعقد أي دولة من الدول الموقعة صلحاً منفرداً أو هدنة منفردة مع دول المحور.

ب ـ أن يكون الباب مفتوحاً لمن يريد الإنضمام إلى هذا الميثاق من الدول الأخرى.

اما الملحق فقد نص على اعتراف الدول الموقعة على الميثاق بالتصريح الذي أعلنه شرشل وروزفلت والذي يتضمن:

(1) عدم الموافقة على تبديلات في أرض أي دولة بدون موافقة أهلها.

(2) الاعتراف بحق كل أمة بتعيين شكل ونظام الحكم فيها، والتسليم بهذا الحق لكل أمة خاضعة أو مندمجة في إحدى الدول الكبرى.

(3) الاعتراف بحق كل دولة أن تستفيد بخيرات الأرض ومواردها الخام.

(4) التصميم على الحرب حتى النهاية ضد دول المحور إلى أن تغلب هذه الدول وتجرد من السلاح.

والدول الموقعة على هذا الميثاق هي إنكلترا وأميركا وروسية والصين واليونان والبلجيك ولوكسمبورغ ويوغسلافيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهولندا والنرويج ودول الدومنيون الإنكليزي وبعض جمهوريات في اميركا الجنوبية والوسطى.

تعظيم الصحف الإنكليزية والأميركية لمدى الميثاق:

وقد حاولت الإذاعات والصحف الإنكليزية والأميركية تعظيم خطورة هذا الميثاق وملحقه، فوصفته كأعظم حادث تاريخي سياسي في ميدان التعاون الدولي. وقال بعض رجال الإنكليز والأميركان أن الإنتصار على دول المحور بعد هذا الميثاق أصبح يقيناً لا ريب فيه، وقال بعضهم أن دول المحور ستسارع حالاً إلى جس النبض في سبيل الصلح خشية عاقبة هذا الميثاق.

2 ـ تعليق كاتب تركي على الميثاق:

وقرأنا اليوم مقالاً في جريدة الجمهورية التركية ليونس نادي أحد كتاب الأتراك البارزين، يحلل فيه الميثاق ويعلق عليه. وانتهى إلى القول أنه لم يأت بشيء جديد، ولم يكن له أي قوة تبديلية للموقف السياسي، وأنه ليس إلا أداة جديدة للدعاية ونشاطها، وأن القضية مازالت بقبضة ألمانيا واليابان من جهة وأميركا وإنكلترا من جهة، وأن دول المحور الآن في موقف المتفوق الفاتر، وأن كسرها

يتوقف على كسر ألمانيا في أوروبا براً، وكسر اليابان في الشرق الأقصى براً وبحراً. وأن المانيا ليس أمامها إلا روسية التي مهما اشتدت في موقفها معها الآن، فلن يؤدي إلى النتيجة، لأن الألمان إنما انسحبوا مؤقتاً بسبب الشتاء.

ويقولون أنهم سيجددون حملتهم النهائية في الربيع، فإذا انتصر الألمان في الحملات الجديدة فيكون موقفهم قد ازداد مناعة. وأن اليابان بعد أن ضربوا ضربتهم الفجائية وجعلت أحواض البحار المجاورة لها في متناول نفوذها، صار إمكان التغلب عليها أشد صعوبة من قبل.

ومصير الحرب معلق على كل حال على تطور الحرب في الشرق الأقصى وفي أوروبا ومع الألمان هنا واليابان هناك.

3 ـ تعليق لنا على الموقف:

وكل هذه الأقوال منطقية ومطابقة للواقع، فالدول الموقعة على الميثاق كلها في حالة حرب فعلاً أو حكماً مع دول المحور أولاً، وثانياً أن بعضها في هذه الحالة مظهري أكثر منه حقيقي، فالدول الأوروبية الصغيرة أرضها تحت الإحتلال الألماني، والحكومات القائمة فيها مسيرة بيد الألمان وتحت هيمنتهم، والذين وقعوا الميثاق باسمها ليسوا إلا رجالاً كانوا أعضاء حكومات سابقة ثم فروا من بلادهم والتجأوا إلى بريطانية، ومنهم من ألف حكومة منفى، وكل ما تستطيعه هو الدعوة والدعاية.

ودول الدومنيون التي هي من الموقعات ليست إلا وجهاً آخر لبريطانية، والميثاق قد وقع في لندن في اجتماع عقد في مناسبة لا أذكرها الآن اشترك فيها رجالات الدول الموقعة ومن جهة ثانية فإن الحرب كما قال يونس نادي هي في الواقع بين بريطانية وأميركا وروسية من ناحية وألمانيا وإيطاليا واليابان من ناحية، وعلى تطورها فيما بينهم يتعلق مصير سائر الدول التي لن تقدم ولن تؤخر شيئاً كبيراً فيهما.

ومع كل ما ذكرناه فلن يفوتنا أن نسجل أن الميثاق وملحقه من جهة ودعايات بريطانية وأميركا ورجالات حكومات المنفى من جهة، سوف يكون له تأثير في بث روح المقاومة والأمل في الشعوب المحتلة أراضيها، وسيكون لذلك أثر ما إذا ما اشتد استعداد بريطانية وروسية وأميركا وقوي مركزها نتيجة لذلك، ولقد استغلت هذه الدعاية تجمد الموقف في الجبهة الروسية وانسحاب الألمان من المراكز الأمامية وتحرك الروس والتفوق الذي أحرزته بريطانية على قوات المحور في جبهة ليبيا استغلالاً كبيراً، حتى وصل الأمر بها إلى وصف موقف دول المحور بأنها سيئة جداً. ولسوف يكون لذلك أثر ما في تخفيف الخوف من الألمان والطليان وتشديد المقاومة ضدهم، وفي تخفيف العداء والمقاومة ضد بريطانية في العالم الإسلامي والعربي تحسباً من انقلاب الموقف.

وكلمة أخيرة نقولها تعليقاً على الملحق، فإنه يذكرنا بمبادىء ويلسون الأربعة عشرة التي دخلت أميركا على أساسها في الحرب العالمية الأولى، وكان من هذه المبادىء الإعتراف لجميع الشعوب بحق تقرير المصير، وتوقف المطامع والمآرب الاستعمارية، وإلغاء المعاهدات والعهود السرية. ومعظم هذه المبادىء تبخر وطار بعد نهاية الحرب. ولابد من أن الناس وبخاصة في العالم العربي يذكرون ذلك.

استانبول 1941 .
من اليمين -
واصف كمال -
أكرم زعيتر -
عزة دروزة -
زهير دروزة -
دكتور محمد
حسن سلمان .

في أحد شوارع
استانبول 1941 .
1 - واصف كمال
2 - أكرم زعيتر
3 - عزة دروزة
4 - دكتور
محمد سلمان .

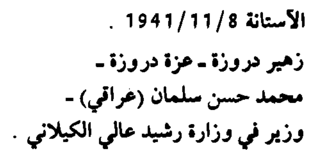

الأستانة 1941/11/8 .
زهير دروزة - عزة دروزة -
محمد حسن سلمان (عراقي) -
وزير في وزارة رشيد عالي الكيلاني .

4 ـ الثلج في الآستانة أيضاً:

استمر هطول الثلج في الآستانة وصارت كثافته (75) سنتمتراً وأكثر، وانقطعت المواصلات تقريباً، وأقفرت الشوارع والجادات يومي الجمعة والسبت، ثم أخذ هطوله يخف ويخف مع ذلك الريح والبرد، وأخذت السماء تصفو، وعاد إلى الشوارع شيء من حركتها ونشاطها. وأمس الأحد كان الطقس مساعداً على الخروج فخرجنا بعد الظهر وتمشينا في ضاحية الشيشلي وكان منظراً جميلاً، وقد عمت طبقات الثلج البيضاء الناصعة كل جهة ونقطة، وخرج كثير من الناس مثلنا واستمتعوا بهذا المنظر، ولعب الفتيان والفتيات وتراشقوا بطابات الثلج، ومنهم من كان معه جهاز الزحلقة وتزحلق، غير أننا لم نر ذلك الحماس والاستعداد للتزحلق التي رأيناها في جبل لبنان عام 1938 حينما ذهبنا إلى بشري وإهدن في شتائه على ما ذكرناه في مناسبة سابقة، واليوم الإثنين سطعت الشمس قوية، وكانت السماء صافية فخرجنا في الصباح وتمشينا في الضاحية واستمتعنا بالمنظر والشمس، وقد ذكرت الصحف أن موجة الثلج والبرد تكاد تكون عامة في الاناضول وخاصة في أقسامها الغربية بصورة لم يسبق لها مثيل أو لم يكن منذ أمد طويل سواء من ناحية التبكير أو الشدة والشمول.

***

الخميس 1942/1/8:

1 ـ برقيات متبادلة بين المفتي ورشيد عالي من جهة والمقامات الالمانية من جهة بمناسبة رأس السنة:

أذاعت محطة آثينا نصوص البرقيات المتبادلة بين المفتي ورشيد عالي من جهة ووزير خارجية الألمان من جهة، وبين المفتي من جهة وهتلر من جهة أخرى في مناسبة عيد رأس السنة الميلادية الجديدة.

وقد ذكر كل من رشيد والمفتي في برقيتيهما أن الشعب العربي يقف بأجمعه في جانب دول المحور ويرجو انتصارها لأن في ذلك حرية بلاده واستقلالها وخلاصها من الطاغوت الإنكليزي. وفي برقيتي وزير الخارجية وهتلر شكر على التهنئة وتمنٍ بانتصار العرب في جهادهم ونيلهم لحريتهم واستقلالهم.

وطبعاً لا نقول أن برقيتي هتلر ووزير الخارجية عهود مقطوعة ولكنها قد تحمل وعوداً وتسليماً بحق العرب وجهادهم الهادف إلى التحرر والاستقلال.

2 ـ كتاب تطمين من المفتي دون تفصيلات وتعليق لنا على الموقف:

وقد ورد منذ أيام كتاب من المفتي لإسحق، وقال فيه فيما قال أن الصحة تتحسن تدريجياً وحسب الطقس، وقد أثارت هذه الجملة

هواجسنا، إذ أن معناها ان رشيد عالي والمفتي لم يصلا بعد إلى نتيجة حاسمة، وأن القضية تحت رحمة الظروف وتطوراتها. ومن المؤسف أننا لم نتلق إلى الآن شيئاً فيه تفصيل لما جرى، ولا ندري حقيقة أسباب هذا البطء أو بالأحرى هذه المماطلة التي هي على الأرجح من جانب الألمان أكثر من جانب الزعيمين العربيين، ويزيد في استغرابنا وقلقنا أن الأخبار التي كانت بلغتنا قبل وصول رشيد والمفتي إلى برلين كانت تذكر أن برلين تنتظر وصولهما بفارغ الصبر لإتمام المفاوضات وتركيزها، وقد مر على وصول المفتي نحو شهرين وعلى وصول رشيد عالي نحو شهر ونصف، والوقت كافٍ كل الكفاية للبحث والتركيز والوصول إلى نتيجة حاسمة فماذا هناك؟ وما هي العوامل التي طرأت حتى جعلت الألمان يتباطؤون ويماطلون؟

***

1942/1/16:

1 ـ نداء من نائب الملك في الهند للشعب الهندي لتضامنه مع الانكليز في الدفاع عن البلاد:

قرأنا في جريدة عراقية خلاصة لنداء أذاعه نائب الملك في الهند (وهذا لقب حاكم الهند البريطاني العام) للشعب الهندي، يطلب منه التضامن مع بريطانية للدفاع عن بلاد الهند التي اقتربت منها الحرب. وقرأنا بعد ذلك في صحف تركية نص مذكرة أرسلها بعض رجالات الإنكليز يطلبون منها (إعلان بلاد الهند دومينيونا، وتسليم حكم البلاد في المركز والولايات إلى الهنود والتعهد لهم بمنح الهند كدومنيون كرسياً في مؤتمر الصلح، وبالاعتراف بحقها في الإستشارة في مسائل الحرب والسياسة الامبراطورية على قدم المساواة مع دول الدومينيون الأخرى، على أن تصبح الهند مستقلة بعد الحرب بعد تسوية الخلافات بين الهندوس والمسلمين إذ كانت ترغب في كسب قلوب أهل الهند وحملهم على التضامن معها في الحرب).

وقرأنا في هذه الصحف برقية فيها خبر نشر قوانين جديدة في الهند تنص على عقوبات زجرية قوية ضد كل من يدعو إلى عصيان أو إضراب أو يعطل دعوة التضامن والتجنيد أو يسبب إخلالاً في الأمن. وأخبرنا بعض الأخوان أنه سمع من بعض المحطات تصريحاً صادراً

عن غاندي، جاء فيه أنه يخشى أن لا يكتفي الهنود بالعصيان المدني السلبي الذي كان يدعو إليه، وأن يتجاوزوا الحد الذي رسمه للعصيان المدني السلبي. وأذيع أيضاً أن إمري وزير الهند صرح في معرض الدفاع عن ضعف جبهة الشرق الأقصى، أنه لو كان لدى الحكومة البريطانية جيش هندي مؤلف من مليون لما كانوا في هذا الضعف.

وكل ما تقدم دلائل على ما قلنا سابقاً من أن بريطانية ضعيفة الاعتماد على الهند وأنها خائفة من تطور واسع فيها ضدها، فهي تحاول أن تتملق الهند بالوعود من جهة، وتخوفها بالعقوبات من جهة أخرى، وهذا ما جعلها أيضاً تغتنم فرصة حماس المارشال الصيني وإخلاصه في التضامن في الحرب مع بريطانيا وأميركا وتقويه وتدعوه إلى الدفاع عن برمانيا[1]، وهي الخط الأول بين اليابان والهند، على اعتبار أن هذا الدفاع يهم المارشال بقدر ما يهم الإنكليز.

والذي نرجحه أن اليابانيين سينشطون في الدعاية ضد الإنكليز في الهند وسيستغلون عواطف الهنود وتاريخهم الدامي مع الإنكليز في توسيع الخلاف وإثارة النشاط المضاد والعراقيل ضد الإنكليز في الهند، وإذا نجحوا في الاستيلاء على بورما وقطع الطريق على الصين ومساعدتها، فإنهم يستطيعون بسهولة أن ينجحوا في ضربة قاضية ينزلونها بهم في هذه البلاد الواسعة العظيمة التي يقوم عليها مجد الأمبراطورية.

(1) بورما أو بورمانيا.

2 ـ الطقس والجليد في الآستانة:

بعْد أن انخفضت درجة الحرارة في الآستانة في الليل الى 10 و15 درجة تحت الصفر، عاد الطقس وتحسن وارتفعت الدرجة الى 5 و10 و15 فوق الصفر، وكدنا نظن أنفسنا أننا في الربيع، حتى أن بعضنا خرج بدون ردائه الشتوي. ثم عاد الطقس فجأة إلى البرودة وأمطرت السماء ثم سقط ثلج من جديد، وعلى ذكر الثلج نسجل أن شوارع استانبول وجاداتها وأزقتها وأسطحة منازلها ظلت مغطاة بطبقة الثلج الكثيفة عدة أيام بعد توقف سقوطه، وأخذت تتجمد وتتجلد، وصار الناس ينزلقون بها وكثرت الحوادث، وقلما نجا أحد من الوقوع والإنزلاق. ورددت الصحف أخبار حوادث كثيرة في المدينة وخارجها، وارتفعت الشكوى من عدم الاهتمام لرفع الثلج وتنظيف الطرق والشوارع والأزقة. ولقد انزلقنا جميعاً وأكثرنا كانت زلقاتهم سليمة عدا اسحق درويش والأمير عادل اللذين أصابهما بعض الأذى، وكانت سقطتهم أو زلقتهم شديدة، وقد دمي أنف اسحق وجبينه، ودمي كذلك رأس الأمير وأنفه.

وقد رأينا بعد يوم من وقوف الثلج حركة في سبيل الرفع والتنظيف، ولكن كانت بطيئة، وكنا نرى جميع الشوارع والطرق كأنما قد فتحت مجاريرها وتكومت الأتربة على طرقها، وقد اتسخت المدينة بالثلج المكوم الممزوج بالأتربة والأقذار، وكان منظراً سيئاً. وقد انصب الاهتمام لتنظيف الشوارع الرئيسية، وما زالت الطرق الفرعية في وساختها الثلجية. وقد استغربنا الأمر لأن الثلج لا يفاجيء المدينة مفاجأة حتى يقال أنها لم تكن مستعدة لما يلزم من تنظيف وتطهير فهو أمر معتاد.

3 ـ تقنين الخبز في تركية:

منذ شهر ذكرت الصحف أن الحكومة التركية تفكر في تقنين الخبز ومنع الإسراف فيه، ثم رفعت سعر الرغيف ثلاثة قروش ونصف حتى صار خمسة عشر قرشاً ونصف، ثم قيل أنها سوف تجعل توزيعه بالبطاقة لضمان عدم الإسراف فيه، وأخذ الناس يزدحمون حول الأفران بفزع وهلع رغماً عما نشرته الصحف من بيانات مطمئنة ومن تحذير من هذا الهلع والتزاحم وتنبهها على عدم الضرورة لذلك. والظاهر أن العامة توهمت أن الخبز سيشح، وأن الذين لا يأتون الى الأفران في ساعات مبكرة لن يجدوا خبزاً، فكان هذا التزاحم وبعضهم تحسبوا إلى أخذ كميات أكثر من حاجته، منهم من أخذه ليبيعه ليربح، ومنهم من أخذه ليدخره. وظهر أن نقابة الأفران تلاعبت في الطحين حيث كانت تبيع أحياناً بأسعار عالية، فشح الخبز الذي تصنعه الأفران عن المعتاد أيضاً. وأخيراً قررت الحكومة جعله بالبطاقات، فوزعت على البيوت قوائم لإملائها بأسماء وأعمار الساكنين، ثم صنفتهم حسب أعمارهم وأشغالهم، ونظمت لكل اسم جدولاً شهرياً يحتوي على واحد وثلاثين مربعاً لكل يوم مربع، وجعلت للعامل (750) غراماً يومياً، ولغير العامل الكبير (375) والصغير (185) غراماً. وأمس وزعت هذه الجداول الشهرية على البيوت، وقد قرأنا في صحف اليوم أن حامل هذه الجداول يستطيع أن يأخذ خبزه من أي فرن ومكان دون قيد، وأن الأفران ستجبر على فتح محلات إضافية لبيع الخبز حتى يسهل على الناس تناول خبزهم بدون زحام، وأن الذي يريد أن يتناول طعامه في المطعم مخيرين. أن يأخذ خبزه معه أو يقدم (مربعه) لصاحب المطعم مقابل ما يحتاج إليه من الخبز، إلى غير ذلك من الأساليب التي يظن أنها تكفل لتأمين الخبز للجميع وتسكين روعهم.

ومع أن تركية غير داخلة في الحرب، وغلاتها عظيمة تزيد عن حاجاتها، فإن هذا الترتيب الذي قررته الحكومة يمكن أن يدل على أنها تحسب حساب المستقبل، وتريد أن لا يكون إسراف في الخبز.

ولعلها تعتزم ادخار الكميات الزائدة للأيام السوداء التي قد تأتي على البلاد كما كان الشأن في الحرب العالمية الأولى، أو الانتفاع بها في ظروف الحرب التي اضطرت معها أكثر البلاد الى الإنصراف إلى الحرب وصناعاته أكثر من الزراعة، والتي سحبت منها في الوقت نفسه الأيدي الزراعية إلى ميادين الحرب ومصارفها، وصارت الغلات الزراعية من الحاجات الشديدة التي تدر أرباحاً عظيمة، فالبلاد الحيادية المستقلة الزراعية مثل تركية يمكنها أن تستفيد فوائد عظيمة من ذلك. أما البلاد الخاضعة للأجنبي مثل سورية، فبالرغم من زيادة غلاتها على حاجاتها فإنها تعاني الضنك والغلاء الفاحش لأن السلطات المحتلة فيها تستولي على محاصيلها للإنتفاع بها ولجيوشها.

4 ـ حالة سورية الزراعية وتصرفات السلطات المحتلة:

ونقول استطراداً أننا كنا نسمع ونعرف حوادث فظيعة في سورية عن تصرفات مصلحة الإعاشة التي كانت في يد الإفرنسيين، وكيف كانت تستولي على محاصيل البلاد بأسعار بخسة

وتبيعها لفلسطين بأسعار عالية، وتصرف الفرق على الجيش الذي لم يعد في إمكان فرنسة أن تطعمه وتنفق عليه. ولا نشك في أن الحالة ظلت على هذا وإن كانت الأساليب قد تبدلت، وقد قرأنا في الصحف السورية أن طن القمح يباع بمايتين وخمسين ليرة وكان قبل سنة بستين ليرة، وكان قبل ستة أشهر بأقل من مائة ليرة[1]، وقد ذكرت هذه الصحف أن السلطات الإنكليزية أحضرت كمية من القمح وطرحتها في السوق فنزلت الأسعار قليلاً، ثم حملت السلطات المحتلة الحكومات المحلية على إباحة تجارة القمح بعد أن أصبح القمح في السوق متوافراً وبسعر أقل من قبل، فرضخت هذه الحكومات للأمر، وقد تحيرنا في تعليل هذا التصرف.

وسمعنا في هذه الأيام محطة إذاعة روما تذكر خبر مظاهرة في حي الميدان في دمشق بسبب سحب القمح منه، وهذا الحي هو مخزن قمح دمشق وفيه بوايك القمح الكبيرة، مما جعل بعضنا يفطن للحيلة التي نفذت على أهل البلاد، حيث طرح المحتلون كمية من القمح أحضروه، وأوهموا بذلك أهل البلاد أن القمح آتٍ اليهم بكثرة، وحملوا الحكومات المحلية على إباحة المتاجرة به وإخراجه، فلما تم ذلك أوعزوا لعملائهم بشراء الموجود في الأسواق اغتناماً لفرصة هذه الحيلة وأثرها، ولا نجزم بصحة هذا التعليل الذي خطر لبعضنا ولا نستبعده على المحتلين، وقد بلونا من سوء نياتهم وتصرفاتهم ولؤمهم بما هو أعظم من هذا وخاصة في صدد الإعاشة وتصرفات مصلحتها وإدارتها وجهازها. ومما كان يقع من ذلك أن عمال هذه المصلحة يطوفون أنحاء بلاد الشام وأسواقها ويصادرون منها كميات من مواد لا علاقة لها بالتموين وضروراته، كالمسامير والورق والفلفل والبهار والمغلفات والقهوة والشاي وغير ذلك، ثم يعرضونه ثاني يوم على البيع بضعف السعر الذي دفعوه لمن صادروه، ولقد تمرد أصحاب الحوانيت في دمشق المرة بعد المرة ضد هذا التصرف اللئيم، وكانوا يقفلون حوانيتهم كل ما جاء رجال المصلحة للتفتيش والمصادرة.

5 ـ مشاكل التموين في مصر أيضاً وما تثيره من كراهية للمحتلين:

وعلى ذكر الغلاء ومشاكل التموين نسجل أننا استمعنا منذ أيام من إذاعة القاهرة لتصريح أو خطاب فيه إشارة إلى هذه المشاكل وتفاقمها، وما تعانيه مصر وأهلها من حرج وضيق من جراء ذلك، وسمعنا الإذاعة تذيع أن وزير المالية المصرية ووزيرين آخرين قد استقالوا، وأن هناك أزمة وزارية، ولعل ذلك يمت الى مشاكل التموين وما يثيره المحتلون من متاعب في صددها من أجل تموين جيوشهم. وقد حدثنا بعض القادمين من مصر أن الكراهية للإنكليز قد اتسع نطاقها في مصر أكثر من ذي قبل، وأن الناس بسبب ذلك وبسبب ما يعانون من ضنق يتمنون انكسار الإنكليز للخلاص منهم.

ولا نشك في أن هذا أيضاً، شعور الناس في سورية وفلسطين، وقد علمنا من قادمين أن المحتلين في سورية اعتقلوا عدداً غير قليل من الشبان وهم يلاحقون آخرين لاعتقالهم أيضاً.

---

(1) وننبه القارىء إلى أن الليرة السورية كانت تعدل نحو عشر الليرة الذهبية العثمانية على ما بقي في ذهننا.

وقد حدثنا قادمون من العراق عن مثل ذلك في العراق أيضاً.

6 ـ محاولة الوصي توسيع صلاحية الملك في الدستور ومدى ذلك:

ومما سمعناه من القادمين من العراق أن الوصي الأمير عبد الإله ونوري السعيد يحاولان إدخال تعديلات جديدة على الدستور العراقي، ومن هذه التعديلات توسيع صلاحيات الملك التي معناها توسيع صلاحيات الوصي، ولا شك في أن ذلك بطلب من الإنكليز أو موافقتهم، حيث يتسنى لهم بذلك فرض ما يريدون، وجعل الوصي ينفذه لهم نتيجة لهذه التعديلات. والوصي وبالتالي والأسرة المالكة يعتقدون من دون ريب أن كيانهم منوط بالانكليز الآن وبعد الآن، وتوسيع صلاحيات العرش في مصلحتهم لأنها تمنحهم قدرة هي الآن في أيدي البرلمان الذي قد لا يستطيعون التحكم فيه كما يشاؤون في أي ظرف. ونظن أن من التعديلات المراد إدخالها منح الملك وبالتبعية الوصي الآن حق إقالة الوزارة، ونحن نعرف أن الوصي كان واجه هذه المشكلة ولم يستطيع أن يقيل وزارة رشيد عالي حينما وقع التوتر بينهما في خريف سنة 1940، ولم يستقل رشيد عالي إلا بعد أن التجأ الوصي إلى قائد فرقة الديوانية، وأوشك الموقف على أن ينقلب إلى فتنة بين الجيش وقواه. وقد شرحنا ذلك في مناسبة سابقة.

7 ـ اعتقال سلطات بغداد عبد القادر الحسيني ورفاقه:

ومما سمعناه من القادمين من العراق أن الحكومة العراقية اعتقلت عبد القادر الحسيني مع رفاق له وكانوا منفيين في زاخو فجاؤوا من منفاهم إلى بغداد بدون إذن، وقبل حدوث حادث اغتيال فخري النشاشيبي بأيام قليلة، ووقع الحادث وهم في بغداد، حيث اشتبهت الحكومة على ما يبدو بأن يكون لعبد القادر ضلع في الحادث وتدبيره، وقال لنا الذي أخبرنا أن سلطات البوليس ضربته وعذبته في سياق التحقيق معه.

8 ـ قصة طريفة عن قاتل النشاشيبي وجندي لاحقه:

وقد قص علينا القادم من العراق قصة طريفة في صدد اغتيال فخري النشاشيبي، فقد أطلق المغتال الرصاص على فخري ومشى، ثم التفت فرأى فخري ما يزال يتحرك فعاد فوراً وأطلق عليه رصاصة ثانية، وكان يركب دراجة فحرك دراجته وسار مسرعاً بعد ذلك، وكان هناك جندي عراقي فلحق به حتى كاد يدركه، فالتفت القاتل إليه وقال له معاتباً أنه ليس من المروءة أن يطارده بسبب شخص خائن لأمته وبلاده، فخجل الجندي وتوقف عن المطاردة وتمكن القاتل من الإفلات.

9 ـ أحكام المحكمة العسكرية على رشيد عالي والضباط والوزراء:

ومما علمناه عن العراق أن محكمتها العسكرية أصدرت أحكاماً بالإعدام على رشيد عالي والضباط الكبار الأربعة والوزير يونس السبعاوي وبمصادرة أموالهم، وحكمت على ناجي شوكة بالسجن خمسة عشر عاماً، وعلى

الدكتور محمد حسن سلمان بالسجن سنة واحدة، وهما من وزراء رشيد عالي، وأجّلت الحكم على ناجي السويدي وموسى الشهبندر وعلى محمود وهم أيضاً من وزراء رشيد لأنهم طلبوا محاكمتهم وجاهياً وأظهروا استعدادهم للمثول أمام المحكمة. وعدا رشيد وناجي والدكتور محمد حسن فإن الباقين هم الآن في قبضة الإنكليز واعتقالهم في الأهواز والهند، ولا ندري هل يسلمهم الإنكليز لحكومة العراق، وهل حكومة العراق تجرأ على تنفيذ حكم الإعدام بالذين حكموا به؟ وسنرى.

10 ـ ناجي شوكة والدكتور محمد حسن في الآستانة وشيء عن الثاني:

وناجي شوكة والدكتور محمد حسن سلمان هما الآن في استانبول، والدكتور سلمان شاب شيعي ذي روح قومية ووطنية قوية، وكان طبيباً في وزارة المعارف فدخل الوزارة لأول مرة بصفته الشيعية ولروحه الوطنية والقومية، ولم يكد يباشر عمله في الوزارة لأنه بعد أيام قليلة من تعيينه مرض وجاء الى بيروت ودخل المستشفى، وظل فيه إلى أن انهارت المقاومة العراقية، فجاء من بيروت إلى الآستانة، وقد تعرفنا عليه وصار بيننا وبينه مودة وانسجام. أما ناجي شوكة فإنه كان جاء موفداً من الوزارة إلى أنقرة للاتصال بالأوساط التركية وغيرها، وظل فيها إلى أن انهارت المقاومة فانتقل من أنقرة الى الآستانة.

11 ـ برقيات متبادلة بين ملك الإنكليز ورئيسي جمهوريتي لبنان وسورية:

اطلعنا في صحف سورية ولبنان على البرقيات المتبادلة بين الملك جورج الإنكليزي ورئيسي جمهوريتي سورية ولبنان اللذين عينهما كاترو بمناسبة تهنئة الملك لهما باستقلال بلديهما، ولم يكتف الإنكليز بهذه البرقيات بل كلفوا القيادة العسكرية الإنكليزية بأن ترسل بعثة رسمية من قبلها وتهنىء الرئيسيين وتبلغهما باعتراف الحكومة البريطانية باستقلال كل من سورية ولبنان، وقد ذكرت الصحف ذلك، وذكرت ما تبودل بين رئيس البعثة العسكرية ورئيسي جمهورية البلدين من كلمات المودة والتضامن المتبادل، وقد كال رئيس البعثة المديح للشعبين السوري واللبناني ونوه بهما وكال رئيس الجمهورية بالمقابل المديح للإنكليز ونوه بمروءتهم ووفائهم للعرب وولاء العرب لهم، ولكل هذا مغزى مهم في صدد رغبة الإنكليز في توطيد مركزهم ووجودهم وفعاليتهم. ونعتقد ان ذلك لا يروق للافرنسيين. ولكنهم الطرف الأضعف الآن.

12 ـ مقال لحسين جاهد في نقد مساعي رشيد عالي والمفتي في برلين:

كتب حسين جاهد يالشين الكاتب التركي المشهور يوم الثلاثاء الفائت مقالاً في جريدة (يني صباح) بمناسبة البرقيات المتبادلة بين رشيد عالي والمفتي من جانب وبين وزير الخارجية الألمانية من جانب آخر بمناسبة عيد رأس السنة، وقد حاول الكاتب أن يهون من

قيمة البرقيات من جهة وينتقد وجود المفتي ورشيد في برلين وسعيهما لاستقلال بلاد العرب ونيل حقوقهم فيها قائلاً إن الإستقلال والحقوق لا تنال بالتطواف في عواصم أوروبا، وأن أمل الزعيمين العربيين في المحور لأجل نيل استقلال وحرية بلادهم غير قائم على أساس ثابت، لأن المحور بعد أن أخذ ينسف حرية واستقلال الدول الأوروبية التي احتلتها قواته مثل ألبانيا ويوغسلافيا وبولونيا وهولندا لا يعقل أن يمنح الشرقيين أو الآسيويين حرية واستقلالاً، وان الأفضل للزعيمين أن يخلدا للسكينة وينتظرا نهاية الحرب التي قد تأتي بنظام عالمي جديد يمكن أن تستفيد منه البلاد العربية.

وحسين جاهد معروف بميوله للسياسة الإنكليزية واندفاعه في الدفاع عن وجهة نظرهم والدعاية لهم والتحامل على دول المحور ومشاريعها وتصرفاتها، وليس من شك في أن هذا المقال قد كتب بسبيل ذلك وربما بطلب من الإنكليز (وهو أصلاً من رجال جمعية (الاتحاد والترقي) في زمن الدولة العثمانية وممن كانوا يعادون العرب آنذاك ويحملون عليهم، وظل كذلك منذئذٍ).

13 ـ مقال لعمر رضا في رد غير مباشر على حسين جاهد:

ثم قرأنا يوم الخميس في جريدة الجمهورية مقالاً للكاتب التركي عمر رضا، ولمحنا فيه رداً غير مباشر على حسين جاهد، حيث جاء فيه فيما جاء ان السياسة التي اتبعها الحلفاء في سورية سياسة تجزئة فظيعة، حيث أقاموا دولة في سورية وأخرى في لبنان وأخرى في شرق الأردن، وهم يحاولون أن يجعلوا في فلسطين دولتين واحدة يهودية وأخرى عربية. وقد أغضبت هذه السياسة أشد العرب اعتدالاً واندفاعاً في إعلان التضامن مع الحلفاء، فضلاً عن القوميين المتطرفين مثل الأمير عبد الله على ما يفهم من تصريحاته التي ذكر فيها أنه كان من الممكن والمعقول أن تتوحد بلاد الشام، وأن لا تبقى مجزأة في كل منطقة منها كيان خاص إذا لم يمكن قيام وحدة عربية كبرى الآن. (وكان الأمير عبد الله قد أدلى بهذه التصريحات في زيارته إلى بغداد، وفيها انتقاد لسياسة الحلفاء وإعلان عتاب وغيظ من هذه السياسة بأسلوب ما). والكاتب التركي عمر رضا أراد بهذا أن يقول على ما يظهر أن العرب إذا حاولوا أن يتضامنوا مع غير الحلفاء، وأن يستعينوا بغيرهم فإنهم على حق لأن الحلفاء لم يصطنعوا سياسة صالحة مرضية للعرب تطمئنهم وتسكن روعهم وتحقق آمالهم.

14 ـ شيء عن ميول جريدتي يني صباح والجمهورية:

وجريدة الجمهورية التي كتب عمر رضا مقاله فيها معروفة بالميل إلى السياسة الألمانية والدعاية لها على عكس جريدة (يني صباح) التي نشر حسين جاهد مقاله فيها، ولا يكتب حسين جاهد في جريدته هذه مقالاً أو يثير موضوعاً في محاباة ودعاية للحلفاء أو حملات على دول المحور في أي مناسبة إلا وتسارع الجمهورية إلى رد غير مباشر عليها.

وجريدة الجمهورية مقروءة ورائجة أكثر من (يني صباح)، وليس بعيداً عن الصواب القول أن ذلك يمكن أن يعبر عن تأييد الرأي العام

لخطة جريدة الجمهورية أكثر من خطة يني صباح، فالأتراك وخاصة في الآستانة لا يزالون يذكرون أن الإنكليز هم الذين احتلوا الآستانة، وأنهم هم الذين شجعوا اليونانيين على غزو الأناضول والطمع في بعض أقسامها الغربية، وأن النكبات التي حلت بالأمبراطورية العثمانية بعد الحرب إنما كانت من الإنكليز.

15 ـ قصة قميص من نار لخالدة أديب ومغزاها في الموقف الذي نكتب عنه:

ولقد كنت أقرأ وأنا أكتب هذا قصة للكاتبة التركية المشهورة خالدة أديب عنوانها (قميص من نار)، أرادت أن ترسم خلالها صورة لما كان من مرارة وألم نفساني شديد في نفوس أهل الآستانة خاصة والأتراك عامة من جراء احتلال الآستانة والغزوة اليونانية، ولما كان من حقدهم الشديد على الحلفاء على اعتبار أنهم هم الذين آذوهم وأذلوهم وغزوا بلادهم، ولما أحدثه ذلك من ثورة نفسية عظيمة انبثقت عنها الحرب التحريرية الكمالية، ولما كان من تهافت الشبان على الإنضام إلى الحركة التحريرية، وكيف أنه لم يبق بيت تركي أو بلد تركي إلا وقدم ضحايا في هذا السبيل، وكيف غرقت البلاد التركية بالدماء حتى تم لها النصر العظيم. فهذه الصورة ما تزال بدون ريب ولن تزال مرتسمة في أذهان الأتراك وذكرياتهم، وما تزال تمدهم بالكره والحقد على من سبب لهم الفواجع وحاول أن يلحق بهم الأذى والذل والهوان.

16 ـ شيء عن عمر رضا وتعارفنا به:

وعلى ذكر عمر رضا أسجل من جديد ـ ولعلي ذاكر ذلك في دفاتر آتية أن هذا الرجل الذي كان في الستين من عمره قوي الإسلام راسخ المعرفة بالمبادىء الإسلامية القويمة الصحيحة، واسع الإطلاع على الكتب الإسلامية المتنوعة والتاريخ الإسلامي والعربي، قوي الإلمام باللغة العربية، هادىء رصين ثاقب الفكر نير العقل، وقد تعرفت عليه بواسطة رفيقنا محمود زائد المقدسي الذي كان في الآستانة، وكان متزوجاً بتركية وربما كان ضابطاً في زمن الدولة العثمانية، ودعوته على غداء وتبادلنا الأبحاث المتنوعة عن العرب والإسلام في الحاضر والغابر، ولمحت منه روحاً عطوفة نحو العرب. وله مؤلفات عديدة قيمة في مواضيع إسلامية تاريخية وغير إسلامية، وكان يصدر مجلة إسلامية نسيت إسمها.

وهنا ينتهي الدفتر الخامس من دفاتر تركية.

***

بعونه تعالى

انتهى الجزء التاسع

ويليه الجزء العاشر

سبعة وتسعون عاماً في الحياة

1305 ـ 1404هـ / 1887 ـ 1984م

مذكرات وتسجيلات
محمد عزة دروزة

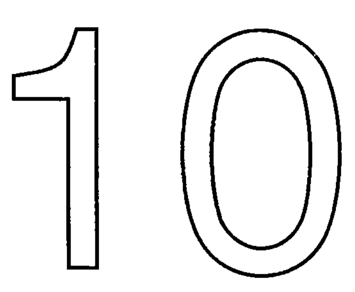

في حقبة هجرة الكاتب الى تركية
فيها أحداث عربية متنوعة وأحداث خاصة

تحركات ونشاطات وطنية في سوريا وفلسطين
ومصر والعراق ومشاورات ومحادثات
ومراسلات تتعلق بالعلاقات العربية :
ألمانية/ إيطالية (محورية)

كانون الثاني 1942 ـ محرم 1361
17 تموز 1942 ـ 22 جمادى الثانية 1361

الجـزء العاشر

الخميس 1942/1/27
10 محرم 1361 :

1 ـ إعلان ضم جبلي الدروز والنصيرية للجمهورية السورية ومداه وتعليق عليه:

قرأنا في صحف سورية التي جاءتنا متأخرة أن كاترو أصدر قراراً بضم جبال الدروز والعلويين إلى الجمهورية السورية مع احتفاظهما بنظام إداري خاص. وأصدر رئيس الجمهورية مرسوماً ينص على موافقته على ممارسة هذين الإقليمين استقلالاً إدارياً خاصاً، فيكون في كل منهما مجلس تمثيلي له صلاحية تقرر ما يحتاج إليه من مشاريع، ويكون لكل منهما ميزانية خاصة، وأن يكون لرئيس الجمهورية تعيين المحافظ، ويكون للمحافظ تعيين جميع موظفي الإقليم. وفي هذا تكريساً لما كانت وظلت فرنسة ترسمه في وضع الإقليمين وعلاقتهما بسورية أو بالجمهورية السورية. وهو ما كانت ترفضه حكومات الكتلة الوطنية. ولا نزال نذكر الدسائس والألاعيب الإفرنسية ضد حكومات الكتلة وموظفيها ومركزها في هذين الإقليمين

ومن المثير للسخرية والألم أن رئيس الجمهورية اعتبر العملية عهداً سعيداً قومياً، فأقام حفلة عظمى ابتهاجاً بما سماه (تحقيق الوحدة السورية) بضم الإقليمين للجمهورية السورية. وقد ألقيت في الحفلة الخطب الرنانة التي فيها إشادة بفرنسة التي حققت وعدها في تحقيق الوحدة، حتى لقد خيل إلينا ونحن نقرأ أخبار وخطب هذه الحفلة أنها في عالم غير عالمنا. . . فالتهريج والسخرية بعقول الناس وبضمائرهم وتزييف الحقائق إلى هذه الدرجة شيء يبدي كل معنى من معاني الوقاحة والنذالة. ولسنا ندري إذا كان الإنكليز والإفرنسيون يظنون أنهم يخدعون أحداً في هذا، فليس في العملية شيء جديد إيجابي، بل فيها كما قلنا تكريس وتثبيت لأمر حاوله الإفرنسيون ورفضه الوطنيون. وقد نصت معاهدة 1937 على شمول الجمهورية السورية لهذين الإقليمين، ومارست حكومات الكتلة الوطنية سلطانها فيهما ردحاً من الزمن بدون قيود وشروط.

2 ـ مؤتمر علماء الشام بحضور الشيخ كامل القصاب:

ومما قرأناه في الصحف أن الشيخ كامل القصاب دعا علماء الشام إلى مؤتمر لتدارس أحوال المسلمين والعلماء. وأن المؤتمر قرر إنشاء كلية دينية وزيادة ساعات الدروس الدينية في المدارس وزيادة رواتب أرباب الوظائف من المشايخ، وأن الشيخ تاج وحكومته اهتمت للمؤتمر وقراراته ووعدت بتنفيذها.

3 ـ استغلال المؤتمر للدعاية ضد المحور:

وقرأنا مع هذا الخبر خبراً آخر يدل على اغتنام الشيخ تاج والحلفاء لفرصة المؤتمر في الدعاية ضد المحور، حيث اقترح الشيخ تاج على الشيخ كامل إيفاد وفد من العلماء للطواف في البلاد الإسلامية لجمع إعانات لإصلاح ما

لحق بالمسجد الأموي من عطب من جراء القنابل التي أصابته.

والمعروف أن طيارات إفرنسية إنكليزية كانت حلقت في أجواء دمشق أثناء مقاومة الفيشيين الأولى للغزوة الإنكليزية الديغولية، وألقت بعض القنابل على دمشق، وأصيب بها بعض الأشخاص والعمارات، وأصاب بعضها المسجد الأموي. وكان لذلك أثر سيء في سورية، فسارعت قوات الغزو الإنكليزية الإفرنسية إلى التنصل من ذلك ونسبته إلى الطائرات الفيشية، مع أن الناس كانوا على شبه اليقين من أن الطائرات هي طائرات الغزاة. ولم يقل أحد أنها طائرات ألمانية حتى ولا الغزاة أنفسهم، ولم يكن للألمان أية مشاركة في المقاومة والمصادمة التي كانت بين الإفرنسيين الفيشيين والغزاة الإنكليز الديغوليين وحسب... وهكذا زيفت الحقائق، وأوعز للشيخ تاج وحكومته بتزييفها واتخاذ الباطل المزيف وسيلة للدعاية ضد الألمان في العالم الإسلامي، والتدليل على وحشيتهم بقذف القنابل على المساجد، ورأت هذه الحكومة أن تتخذ الشيخ كامل ومؤتمر علمائه وسيلة لذلك... وليس في الصحف ما يفيد أن الشيخ كامل استجاب لهذا الاقتراح. ولكننا لا نستبعد أن تجد حكومة الشيخ تاج شيخاً أو شيخين يستجيبون إليها فيذهبوا إلى مصر والعراق وفلسطين، وربما إلى إيران والهند والأفغان للقيام بهذه الدعاية...

4 ـ مهرجان في بيت لحم للتطوع بالجيش الإنكليزي:

أذاعت محطة القدس منذ أيام خبر مهرجان عظيم أقيم في بيت لحم من أجل الدعوة إلى التطوع في الجيش الإنكليزي، وخطب فيه الضابط الكرمي رشيد عبد الفتاح وعيسى البندك وشكري قطينه وغيرهم، وكانت الخطب تدور على تقاليد العرب العسكرية وعلى وجوب إقبالهم على التطوع في سبيل نصرة أنصار الحرية والإنسانية.

والدعوة إلى التطوع في الجيش الإنكليزي ليست جديدة. ولكن يظهر أن الإنكليز أخذوا يهتمون لها أكثر، إما لشدة حاجتهم إلى المتطوعين أو لأن الدعوة لم تنجح أو للسببين معاً وهو ما نرجحه. ونستغرب أن تصل الوقاحة في الإنكليز وأذنابهم إلى هذه الدرجة، حيث يدعون بلاداً كانت وما تزال معهم في حالة حرب منذ سنين إلى التطوع، وقد فعلوا في أهلها الأفاعيل القاسية من تخريب وتدمير وقتال وشنق، فضلاً عن منحها للصهيونيين ومحاباتهم الشديدة لهم حتى جعلتهم في القوة والعدد والمركز المهدد لكيانهم... والوقاحة تبدو أشد بشاعة في دعوة هؤلاء أناساً إلى نصرتهم، يعرفون أن في انتصارهم تكريساً لبقاء بلادهم تحت احتلالهم وتمكيناً للصهيونيين منها أكثر، وتهويدها واسترقاق أهلها أو تهجيرهم، فكأنما هم يقولون تعالوا قاتلوا معنا في سبيل نصر فيه إبادتكم وذلكم إلى الأبد. وفي كل بلد يمكن أن يكون معنى ما للدعوة إلى التطوّع من الإنكليز إلا في فلسطين الشهيدة وأهلها العرب... ومما أثار استغرابنا اشتراك البندك ورشيد الصالح وشكري قطينة في المهرجان وخطبهم فيه.

فالبندك كان يتظاهر ويغلو في الوطنية، وقد عزله الإنكليز من رئاسة البلدية وشردوه طويلاً. والضابط رشيد كان يتلظى نقمة على الإنكليز ويعرض علينا نفسه لقيادة الثورة ضدهم في فلسطين أو شرق الأردن... وشكري قطينة كان

شديد الغلواء في وطنيته وعدائه للإنكليز. . . وأستبعد أن يكون الإنكليز ضغطوا عليهم ليخطبوا في الحفل رغماً عنهم. وهكذا تبدو الصورة كالحة من الزيف والتقلب. . .

5 ـ زيادة سعر السكر في تركية:

أعلنت الحكومة التركية فجأة منع بيع السكر لبضعة أيام. وطلبت من الناس تقديم بيانات عن ما عندهم منه. وبعد ثلاثة أيام أعادت إباحة البيع بسعر مضاعف. فصار سعر كيلو السكر الناعم تسعين قرشاً، وكيلو المقطع مائة وعشرة قروش، مع تحديد مقدار البيع، فلا يباع لأحد أكثر من كيلو واحد في كل مرة. ومعامل السكر في تركية هي حكومية، ويظهر بأن الحكومة أرادت بهذا الترتيب عدم الإسراف في السكر احتياطاً للمستقبل من جهة، وثانيا لمنافع الخزينة من جهة ثانية. ولا شك في أن البلاد الأخرى وخاصة الأوروبية المشغولة بالحرب في حاجة ماسة إلى السكر، وأن سعره مرتفع جدا.

وقد لاحظنا أن الحكومة التركية تهمّ لخطوات أخرى في سبيل تحديد استهلاك المواد الغذائية والبيتية، بحيث يكون ذلك تابعا للتدقيق والضرورة ومنع الإسراف في هذه المواد. ولاحظنا أنها تخطط لوضع يدها على كثير من هذه المواد وتجعل التوزيع والبيع في يدها. وقرأنا في الصحف أنها رصدت مائة مليون ليرة كرأس مال لهذه العملية.

6 ـ زوبعة ثلج جديدة:

ثارت في هذه الأيام من جديد زوبعة ثلج قوية في استانبول، وظلت يومين متواليين، حتى بلغ ارتفاع الثلج نصف متر. واضطررنا إلى البقاء في البيت ثلاثة أيام لا نخرج ولا نتصل بأحد ولا يتصل بنا أحد من إخواننا. وقد وصل إلينا كتاب من دمشق أخبرونا فيه أن زوبعة ثلج قوية هبت على سورية أيضاً، وأن الثلج ارتفع نصف ذراع، وأنه سقط في معظم الأنحاء حتى في بيروت والسواحل الدافئة.

7 ـ السلطات التركية تعتقل واصف كمال وكامل مروّه وغيرهما:

فوجئنا منذ أيام بخبر اعتقال واصف كمال من قبل بوليس التحري. وقد أخذوه إلى دائرة الأمن العام في السر. وذهب ليلاً أخي أبو الحكم وأكرم زعيتر للسؤال عنه فقيل لهما أنه في التحقيق ووعدوهما بتأمين راحته إذا بات في الدائرة. وفي الصباح رجونا الأمير عادل أرسلان أن يذهب إلى والي استانبول الذي يعرفه ويسأل عن المسألة، فذهب وعاد فأخبرنا أن الوالي قال أن أمر الإعتقال ورد من أنقره وأنه غير مقتصر على واصف وأن هناك آخرين، وذكر له اسم شخص بيروتي متجنس بالجنسية الطليانية اسمه محمد المغربي. ثم افتقدنا كامل مروّه ومحي الدين الطويل. وهما شابان بيروتيان يشتغلان في الصحافة الألمانية، ثم عرفنا أنهما معتقلان مع واصف. وقد قلقنا لهذا الخبر، وأخذنا نضرب أسداساً بأخماس وخاصة بالنسبة لواصف، فإنه ليس له أي علاقة ما أو ارتباط ما مع الألمان أو غيرهم من الأجانب. وخطر لبالنا أن يكون جوازه من الأسباب. فقد كان في حلب أخذ جوازاً طليانياً وقدمه لقنصل تركية، فأخذ عليه تأشيرة دخول، ولم يذكر في الجواز اسم أسرته بل اسم أبيه فقط (واصف سعيد). ودخل معنا الى تركية بهذا الجواز. وكان موضوع سؤال

من قبل موظفي الأمن. فظننا أنه اعتقل بتهمة الدخول بجواز غير صحيح أو مفتعل. . . غير أن اعتقال كامل مروّه ومحي الدين الطويل معه جعلنا نستبعد أن يكون اعتقاله بسبب هذا الجواز. واشتبهنا أن تكون المخابرات التركية قد اشتبهت بوجود خلية جاسوسية عربية محورية، أو شبكة نشاط دعائية عربية محورية الأربعة (واصف، ومحي الدين، وكامل، والمغربي). وعرفنا أن كامل كان مراقباً مراقبة شديدة بسبب ما كان يبدو منه من نشاط صحفي ويجريه من اتصالات هاتفية ووجاهية مع الألمان وصحافييهم في استانبول بحجة عمله الصحفي. ثم عرفنا أن واصفاً والطويل والمغربي كانوا يكثرون التردد على بيت كامل ليلا ونهاراً، فكان ذلك مما جمعهم في الاعتقال حينما قررت دائرة الأمن العام ذلك.

ومع ذلك فقد خشينا أن يكون للمخابرات الإنكليزية يداً في المخابرات التركية، وأن يمتد الإزعاج إلينا، وأن تكون العملية مقدمة وإنذاراً. وبحثنا عن محام يتولى أمر واصف خاصة، ويفهم مدى حالته ويثبت عدم أي عمل ونشاط مريب له وهو واقع الأمر. واتصل الأمير أمين أرسلان بمدحة شكري، سكرتير الاتحاد والترقي العام سابقاً، وهو الآن عضو مجلس النواب وبينهما معرفة وصداقة، فقال له أيضاً إن الأمر من أنقرة، ووجدنا محامياً أبدى استعدادَه للسعي وأبدى احتمال سفره إلى أنقرة ففوضناه بذلك. وأرسل المحامي كاتب العدل إلى دائرة الأمن لأخذ وكالة له من واصف فلم تقبل هذه الدائرة، ثم أخبرنا المحامي أنه عدل عن السفر إلى أنقرة، وأن الموقوفين كثيرون يبلغ عددهم نحو عشرين ومن جنسيات متنوعة، وأنه سيحاول فهم كنه القضية في الآستانة. وجاءنا من واصف خبر غير مباشر يطمئننا بأن راحته وطعامه مؤمنان، ثم أخبرنا المحامي بعض أخبار مطمئنة. ثم رنّ جرس الهاتف في البيت فإذا المتكلم واصف، وكلمه زهير فأخبره أنه أطلق سراحه، وكان ابتهاجنا عظيماً. وجاء في اليوم التالي إلى بيتنا، ثم جاء بعد قليل كامل مروة الذي أطلق سراحه أيضاً. وقد فهمنا من واصف أن التحقيق معه لم يكن جدياً وأن السؤالات التي وجهت إليه كانت تافهة ، وأن معاملتهم له كانت مشبعة بالعطف . وأن اهتمامهم الأكثر كان لكامل ، وكانوا يظنون أنه يشتغل في الصحافة بدون إذن ، فلما أثبت لهم أن معه ترخيصاً ضعف الموقف إزاءه أيضاً . وكانوا أخذوا من بيته بعض الأوراق ومنها ورقة فيها ذكر تأسيس مكتب دعاية . ولما دققوا فيها وجدوا أنها اقتراح وحسب، ولم يظهر لهم أي دليل على علاقة الأجانب في ذلك. وقال كامل إنهم سألوه أسئلة كثيرة ولكنهم كانوا لطفاء بشوشين، وأن المحقق قال له أنه يعطف على العرب وآمالهم. ولكن الحكومة التركية لا توافق على جعل بلادها مسرحاً لدعاية ـ عربية ـ أجنبية، ولاسيما أن العرب الموجودين في الآستانة هم لاجئون، ومن واجبهم المحافظة على تقاليد اللجوء والضيافة وعدم الإشتغال بالسياسة . وقال كامل أنه قال للمحقق أنه لا يوجد عربي في الآستانة يشتغل كعميل مع الأجانب، وأنهم قوميون إستقلاليون، وأنهم إنما يقيمون في تركية لأنهم لا يرون أنفسهم غرباء فيها. وقال كامل أنه يعتقد أنهم قنعوا بحسن نية ومبادىء العرب، وهذا ما جعلهم ينهون الموضوع بالتي هي أحسن ويطلقوا سراح الموقوفين.

8 ـ ترصد السلطات للعرب في الآستانة:

ومما فهمناه من كامل أن دائرة الأمن قد نصبت أرصاداً على رجال العرب في الآستانة لرصد حركاتهم ونشاطهم، ووصل الأمر بها إلى فتح الرسائل التي تأتي إليهم أو ترسل منهم وتصويرها، حيث سألوه أسئلة عديدة عن رسائل جاءت إليه أو أرسلها ذاته، وأنه كان يجيب إجابات مريحة وصحيحة، فكسب بذلك ثقتهم وطمأنينتهم. ومما قاله لنا واصف ويدل على شدة رصدهم للناس أنهم قالوا له أنه اجتمع مع ألماني وتغذى معه في يوم معين ومكان معين، وأنهم ظنوا أنه واسطة الاتصال بين الألمان والفلسطينيين، وأنه نفى لهم ذلك واعترف بالغداء فعلاً مع شاب ألماني تعرف به بواسطة صديق، وأن الأمر لم يتعد الغداء والمجاملة، وأن الألماني غدّاة بالمقابل. وسألوه عن مسألة جوازه فاعترف لهم بأنه أخذ الجواز الطلياني مضطراً لأنه خاف أن لا يسمح له بدخول تركية، وأنه قد يسافر إلى أوروبا، وقال لهم أن جوازه الفلسطيني معه. فوقف الأمر عند ذلك. وسأله عن المصدر الذي يعيش منه فقال له أنه أخذ دراهم من موفق الألوسي وحوله على أهله ليأخذ منهم ما أخذه منه. وقال لنا كامل أن المحقق سأله عن رشيد عالي الكيلاني وعن أخيه كامل الكيلاني الذي هو في الآستانة وهل هو وكيله هنا، فأجابه أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك. وقال واصف أنه سئل عما إذا كان في الآستانة تأسست جمعية عربية للاتصال بالبلاد العربية والنشاط فيها، فنفى له وجود مثل هذه الجمعية أو معرفته بها. .

والذي استطعنا أن نستخلصه من هذه الحادثة التي ازعجتنا طيلة أسبوع، أن الإنكليز لابد من أن يكونوا قدموا للسلطات التركية تقارير مستندة إلى أخبار جواسيسهم في تركية وسورية عن العرب الموجودين في الآستانة، وأوهموهم أنهم يستعدون للقيام بحركات في سورية، متخذين من الآستانة مركزاً لهم، وأنهم على صلة بهذا الصدد برشيد عالي والمفتي والألمان والطليان، وأنهم بالإضافة إلى ذلك عتبوا عليها للسماح لرشيد بالسفر إلى برلين والسماح للمفتي بالمرور من تركية، فرأت أن تسايرهم فاعتقلت بعض الشباب الذين عندها تقارير عن نشاطهم وحركاتهم وحققت معهم، ولم يظهر لها أمور مهمة مما توهمه الإنكليز، فأطلقوا سراحهم. وأن الأمر ربما وقف عند هذا الحد.

9 ـ ذكر الإذاعات الإنكليزية لخبر الإعتقالات:

ولقد سمعنا الإذاعات العربية الإنكليزية في القدس والقاهرة ولندن تذيع خبر (اعتقال عدد كبير من الصحفيين العرب في الآستانة الذين يشتغلون في الصحافة الألمانية) وأن الأتراك بذلك يقومون بحركة تطهيرية ضد عملاء المحور. الخ الخ. . حيث يفيد هذا ما رجحناه من أنهم ذوي أصابع في الحركة أو الدافعون لها. وهذا ما كان منهم في سورية، حيث كنا نلمس أن كل موجة تشديد من السلطات الإفرنسية ضد الفلسطينيين كانت نتيجة إلحاح وضغط من القناصل الإنكليز في دمشق ولبنان، واستناداً إلى تقارير جواسيسهم الذين كان منهم موظفون في القنصليات أو في الشرطة أو الدرك. وقد فهمنا من كامل أن مدير المطبوعات الذي كان له صلة به، أخبره أن

الجهات الألمانية في تركية قد تدخلت في الأمر وعاتبت السلطات التركية على حركتها التي فيها ما يمسها، وأنه كان لهذا العتب تأثير في موقف اللين الذي وقفته السلطات مع المعتقلين، ثم في النهاية الحسنة التي انتهت بها القضية.

***

يوم الخميس
4 شباط 1942:

1 ـ إنذار واصف وكامل بمغادرة تركية:

ظهر لنا أن مسألة كامل وواصف ورفاقهم لم تكن انتهت، فبعد أيام من إطلاق سراحهم استدعوا إلى دائرة الأمن العام وأنذروا بوجوب مغادرة تركية خلال أسبوع واحد، ولم يتركوهم إلا بعد أن قدموا الكفلاء على ذلك.

وقد أخذوا تأشيرات إلى بلغارية فألمانيا، وكان هذا اليوم موعد سفرهم، ولكن إقفال الطريق بسبب الثلج أخّر سفرهم وربما لأيام عديدة. وقال لنا واصف أنه شرح في ورقة إخراجه أنه أخرج بسبب التلاعب في جواز السفر، ولم يقتصر الإنذار بالخروج على الذين اعتقلوا، بل شمل رشاد البربير الذي يشتغل هو الآخر في شركة الصحافة الألمانية، وقيل لنا أن اسم موسى عبد الله الحسيني كذلك يتردد في البوليس، ولكنه لم ينذر بالخروج، ولكنه اعتزم هو الآخر السفر. وهو أيضاً يشتغل في شركة الصحافة الألمانية.

2 ـ محاولة موسى عبد الله الحسيني تشغيل زهير بالصحافة الألمانية:

وفي المناسبة أذكر أن موسى كان كلف زهيراً بالإشتغال في هذه الشركة، وقال أن في ذلك خدمة قومية بالإضافة إلى النفع المادي فأبينا

ذلك بالمرة. وقد ورد على بالنا احتمال ازورار السلطات التركية بالعرب الذين يشتغلون في هذه الصحافة وتعرضهم للمضايقة من جهة، ورأينا في تكليف موسى احتمال أن يكون الألمان قد ادخلونا في نطاق نشاطهم وعملهم عن طريق تشغيل زهير، وهذا يثقل علينا من جهة. وقد صدقت الأيام ظننا ونجّا الله زهيراً من المأزق.

3 ـ أزمة وزارية خطيرة في مصر:

من الأحداث العربية المهمة في هذه الأيام أزمة الوزارة في مصر. وقد اهتمت الإذاعة والصحافة التركية لأخبارها وتطورها، ونشرت الصحف بعض البرقيات في صددها عن القاهرة ولندن وروما وبرلين. ويظهر من مجرى الأمور أن الأزمة لم تكن فجائية، وإنما كانت تسير في الكواليس والخفاء، ثم ظهرت باستقالة الوزارة. والمفهوم أن هذه الاستقالة هي بسبب موضوع قطع العلاقات السياسية بين مصر وحكومة فيشي وموقف الملك فاروق من ذلك. فالإنكليز على ما ظهر طلبوا هذا القطع من الوزارة فاستجابت لذلك، وكانت هذه الاستجابة بدون رأي الملك فاروق أو استشارته فيها، فساءه ذلك لأنه اعتبره تجاوزاً على حقه ومركزه، فطلب من وزير الخارجية أن يستقيل، فسارع رئيس الوزارة فقدم استقالة وزارته. وكان أمر قطع العلاقات أثار ضجة في الأوساط السياسية المصرية على ما قرأناه من بعض صحف ومجلات مصر التي صدرت في كانون الثاني 1942، حتى قيل فيما قيل، كيف يسوغ لمصر أن تقطع علاقاتها بفيشي وإنكلتره نفسها لم تقطع علاقتها بها. والملك على حق في الاستياء من الوجهة الدستورية، لأن الممثلين السياسيين للدول إنما يرسلون من قبل رؤساء الدول ليمثلوهم أمام رؤساء الدول. وسفير فرنسة هو ممثل رئيس فرنسة أمام ملك مصر. فالإيعاز إليه بمغادرة مصر بدون علم الملك افتئات على حق الملك ومركزه.

ولقد نشرت الصحف التركية بعض البرقيات عن لندن، جاء فيها أن هذه الأزمة لم يكن لها محلٍ وأنها إنما كانت بسبب تدخل الملك تدخلاً يشك في انطباقه على الدستور، وأن الوزارة تتهم بمجاراتها للسياسة الانكليزية من جهة أن هذه المجاراة من مصلحة مصر وأن المخالفين لهذه السياسة سيندمون إذا انتصر المحور وتكون أيامهم حينئذٍ معدودة الخ.. ثم تتلاين في الكلام فتقول أنه لا ينتظر من الملك فاروق مناوأة تلك السياسة، وأنه مدرك لأهميتها وفائدتها، وأن النحاس باشا لو استلم الحكم لما وسعه أن يناوئها. وهذه الأقوال تعكس استياء الإنكليز من جهة ورغبتهم في عدم التشدد في إظهار الاستياء من جهة أخرى.

ومما ذكرته الصحف أن شباب الجامعة المصرية قاموا بمظاهرات تأييدية للملك. وأذاعت إذاعة باريس برقية من طلاب مصر في سويسرا فيها تأييد له كذلك، حيث يبدو على كل حال أن التوتر قائم بين الملك والإنكليز. ومن الجدير بالتنبيه أن هذا ليس جديداً. فالإنكليز ينقمون على الملك لشدة تحفظه إزاء ما يطلبون من مصر من مطالب وخاصة في صدد معاداة دول المحور والانخراط في الحرب ضدها. وقد لمسنا ذلك سابقاً وسجلناه في إحدى اليوميات. وما نزال نذكر رد فعل احتلال إيران من قبل الإنكليز في مصر التي كانت ناقمة. وما كان من خطبة شيخ الأزهر بين يدي

الملك في ظروف ذلك الاحتلال، والتي منها أثر من ذلك، وما كان لهذه الخطبة من تأثير في الأوساط السياسية. وقد قلنا لو ساعد الانكليز الجوّ لتخلصوا من الملك، ولكنهم يغضّون عن مواقفه خشية فتح باب عداء لهم في مصر وهم بموقف حرج. وهذا المعنى مايزال وارداً في هذه الأيام أيضاً، ويجعلهم يفضلون الكظم والإغضاء أكثر من قبل، لأن الموقف في حينه صار حرجاً عليهم، وأن أي حركة عدائية في مصر تزيد في حرج الموقف. ولعل انقلاب الموقف في ليبية مما شجع الملك فاروق على الموقف الذي وقفه دون مبالاة بما سوف يكون من استيائهم... وإذا صح هذا فيمكن أن يقال أن الموقف في ليبية أشد حرجاً على الإنكليز مما تفيده الإذاعات البريطانية. ولعل الإنكليز سحبوا قوات كبيرة من جبهة مصر لمناطق أخرى ضعضعت قواتهم، ولابد من أن المصريين عرفوا ذلك، وأنه مما شجع الملك على موقفه.. والبرقيات والإذاعات تفيد أن الملك فاروق حاول تأليف وزارة قومية أو ائتلافية. وقد كلف رئيس مجلس الشيوخ بتأليفها على اعتبار أنه مستقل ومحترم من الجميع. مع العلم أنه من أركان الوفد، واستقال من الوفد بعد تعيينه لرئاسة مجلس الشيوخ باجتهاد أن هذا المنصب يقضي عليه أن لا يكون منتسباً لأي حزب.

على أنه لم يستطع أن يؤلف الوزارة لأن الوفد رفض الاشتراك في أي وزارة ائتلافية، وظل متمسكاً برأيه بوجوب حل البرلمان الذي كان يصفه بأنه مزيف. واليوم سمعنا أن الملك كلف النحاس باشا بتأليف الوزارة وقَبِلَ هذا. وأخذ يبذل جهده في تأليفها. وتكليف الملك للنحاس جرأة أخرى منه، لأن الوفد وقف إلى الآن موقفاً متشدداً من الإنكليز وحمل عليهم حملات واسعة. وأنهم بانتهاك المعاهدة والتوسع في تفسير موادها لصالحهم مستندين إلى ظروف الحرب. وطالب بوجوب احترام حقوق مصر ومركزها وعدم التوسع في المطالب والتصرفات المتناقضة مع استقلال مصر ومع نصوص المعاهدة. فإذا ألف الوفد الوزارة فإنه سيكون بطبيعة الحال متحفظاً في مجاراة الإنكليز فيما فيه مساس بمركز مصر واستقلالها وتناقض مع المعاهدة. وهذا معناه نضال وصراع مع الإنكليز الذين يرون أنفسهم الآن في نضال حياة أو موت، ويرون أن مصر قطب الخطر في الشرق الأدنى، وأن ضرورات الموقف تقضي عليهم بالإستفادة من مصر على أوسع قياس، تخدم موقفهم الخطر.

ومهما يكن من أمر فإن للأزمة المصرية هذه آثار ودلالات عظيمة فهي:

أولاً: تنسف كل ما حاول الإنكليز، بدعاياتهم في البلاد العربية والإسلامية، وباستخدام الأبواق والأذناب، أن يكسبوه من قلوب العرب والمسلمين ويصوروه من الصداقة الشديدة والإرتباط الوثيق بينهم وبين العرب والمسلمين، والتسواثق التام بين مصالحهم ومصالح البلاد العربية والإسلامية، ولا سيما أن مصر تعد رأس بلاد العرب والإسلام أو من أهم رؤوسها.

ثانياً: تشجع ما هو موجود ومتسع من عواطف العداء وروح المقاومة ضد الإنكليز في مصر والبلاد العربية والإسلامية الأخرى. وفي هذا إحراج لموقف الإنكليز في هذه البلاد بطبيعة الحال.

ثالثاً: تعطى فرصة لدعاية المحور العربية الإسلامية للدلالة على وحدة العداء للإنكليز بين المحور وبلاد العرب والإسلام. بل ولعلها

تعطي المحور أمل الإنتفاع بهذا الموقف في حركاتهم في شمال أفريقية التي أخذت تتوسع نحو الشرق أي نحو مصر.

وبعد كتابة ما تقدم سمعنا اليوم (السبت) أيضاً أن النحاس ألّف الوزارة، وأن المظاهرات التأييدية له في القاهرة قائمة على ساق وقدم. ومن الغريب أن الصحف الإنكليزية بعد أن كانت متجهمة من الموقف أخذت على ما ذكرته الإذاعة التركية تنوه بالنحاس ومزاياه وتثني عليه وترحب بعودة الحكم إلى الوفد وتبدي اطمئنانها بأنه سوف لا يحيد عن نصوص المعاهدة القائمة بين مصر وبريطانية، وهي المعاهدة التي ربطت بين البلدين ووطدت بينهما الصداقة وتوافق المصلحة. . . ولا نستغرب هذا من الإنكليز الذين اعتادوا عدم الإندفاع وراء العاطفة وكظم الغيظ وجماح الغضب والملاينة في المواقف الحرجة. ولقد قلنا أن الإنكليز لن يقوموا بأي حركة ولن يقفوا أي موقف الآن فيهما إثارة لمصر وهم مشتبكون في الحرب وعدوهم على أبواب مصر في الوقت نفسه.

ولقد استمعنا قبل منتصف الليل لإذاعة القاهرة فسمعناها تذيع خبر تأليف الوزارة برئاسة النحاس وأسماء أعضائها من الوفديين فقط، وتذيع أيضاً الرسائل المتبادلة بين الملك والنحاس في صدد تأليف الوزارة، وتذيع كذلك نص كتابين متبادلين بين النحاس والمندوب البريطاني وفي نصوصهما من الخطورة ما يسترعي النظر ويدل على أن الأزمة خطيرة حقاً. . وقد فهمنا من الفحوى ومن الإذاعات أن الملك كلّف النحاس بتأليف الوزارة بعد أن تعسّر على غيره تأليفها وبعد أن تعسّر تأليف حكومة ائتلافية يكون الوفد منها وحتى برئاسته. وقد اعتذر النحاس عن كل هذا فكلّفه الملك بتأليف الوزارة كما يشاء، وأنه اشترط شروطاً أو اقترح مقترحات فوافق الملك عليها، ومن جملة ذلك حل مجلس النواب والتفاهم والإنسجام مع الإنكليز وأخذ تطمين خطي منهم بالكف عن المداخلة في شؤون مصر الداخلية، وفي تعيين وإقالة الحكومات والوقوف عند نصوص المعاهدة والتعامل مع مصر معاملة الند للند. وقد كتب النحاس للمندوب السامي الذي صار (سفيراً) بعد المعاهدة كتاباً يقول له أن الملك كلفه بتأليف الوزارة، ولكنه رأى قبل أن يباشر العمل أن يبيّن وجهة نظره في السياسة التي يجب أن تقوم بينه وبين الإنكليز ويتفاهم عليها معهم. وهذه السياسة تقوم على:

(1) عدم التدخل بشؤون مصر الداخلية.

(2) عدم التدخل في تعيين الوزارات وسقوطها.

(3) التوكيد على أن مناسبات مصر مع إنكلترة تسير وفقاً للمعاهدة، باعتبار أن مصر دولة مستقلة حليفة يجب معاملتها معاملة الند للند.

وطلب أن يتلقى جواباً فيه بيان موقف الحكومة البريطانية من ذلك. وقد كتب السفير جواباً له فيه توافق معه على الشؤون الثلاثة باسم الحكومة البريطانية. . .

وهكذا يكون النحاس قد استطاع أن يحصل على وثيقة رسمية من الحكومة البريطانية في صدد هذه الأمور التي يظهر أن الإنكليز كانوا لا يراعونها، ويحلّون لأنفسهم التدخل في شؤون مصر الداخلية، وفي التأثير في تأليف الوزارات وسقوطها، وفي جعل أنفسهم المرجع الأول أو المؤثر الأول في كل شيء كما كان الأمر قبل المعاهدة. والمتبادر أن هذه الكتب التي تبادلها النحاس مع السفير قد كان تفاهم معه على

فحواها قبل كتابة كتابه له.

ومهما يكن فإن الإنكليز لن يعبأوا كثيراً بما يعدونه إذا وجدوا مجالاً للإختلاف، وأنهم سوف يستمرون على تدخلهم وتأثيرهم بقدر ما يسمح لهم الظروف، فإن الكتابين يعدان وثيقة رسمية تمنح النحاس قوة على الوقوف في وجههم وتغذي روح **المقاومة في** مصر، وتضمن إلى حد كبير تحفظ **الإنكليز** في موقفهم من حكومة النحاس وفي ما اعتادوه من التدخل في الأمور، بالإضافة إلى أن هذه الوثيقة ترفع النحاس والوفد في نظر الشعب المصري إلى أعلى المستوى، وتخدم الوفد ورئيسه في مواقفهم ودعاياتهم، وما كان من شروط النحاس في كتابه لم يكن الإنكليز ليهضموه إلا مجاراة للظروف الدقيقة الحربية التي يواجهونها، بل أنهم ما كانوا ليتسامحوا في هذه الأزمة وبمجيء النحاس الآن لولا هذه الظروف. وقد حمل عليهم حملات شديدة بسبب ما كان منهم من تدخل واسع في شؤون مصر الداخلية، ومن عدم اعتبار كون مصر مستقلة وحليفة، ومحاولة معاملتها معاملة التابع أو المحمية على الوجه الذي كانت عليه قبل المعاهدة. وهكذا تبدو برودة دم الإنكليز ومجاراتهم للواقع، وعدم اندفاعهم مع العواطف، وتراجعهم عن مواقف وقفوها إزاء ظروف ومواقف قد يعود عليهم منها تعب ووجع رأس وخطر. .

وفي الكتاب الذي أرسله الملك للنحاس بالتكليف ثناء على متانة أخلاق النحاس وإخلاصه ورغبته في بذل جهده في جمع الصفوف وتوحيد الشمل لمواجهة الدور الخطير الذي تمر به مصر. وفي جواب النحاس للملك حملة شعواء على الحكومة السابقة أو الحكومات السابقة وما أشاعته من كرامة مصر وحقوقها، وما كان منها من إهمال لمصالح مصر الحيوية، وما سببته من وقوع مصر في ضائقة المعيشة. وذكر في جوابه أنه سيبذل جهوده لرتق الفتوق واستعادة الحقوق وإبعاد مصر عن ويلات الحرب ونكباتها وضمان تموينها. وإجراء الإنتخابات النيابية بسرعة ونزاهة لإقرار الأمور في نصابها الدستوري، وارتكاز الحكومة على ثقة الشعب ورأيه في السياسة التي تسير عليها.

وحملة النحاس على الحكومة أو الحكومات السابقة شديدة منكرة لا ندري لأي درجة يمكن أن تساعد على جمع الشمل ووحدة الصف. وكانت الوزارة السابقة ائتلافية من الحزبين السعدي والدستوري، فتكون حملته على هذين الحزبين مباشرة بطبيعة الحال. ولكن الحملة مع ذلك تعطينا صورة للمرارة الشديدة التي كان يشعر بها الوفد من تصرفاتها، وشدة السوء في هذه التصرفات، إلى درجة أن برر النحاس لنفسه أن يحمل هذه الحملة في كتاب يرفعه إلى الملك وينشر على الناس. . .

ومن المكاتبات يتبين ما نبهنا عليه من خطورة الموقف في مصر من كل ناحية. ونعتقد أن بريطانية إذا نجت من الكارثة ستحاسب مصر والوفد حساباً عسيراً بعد هذه المظاهرة والمقاومة ضدها.

وإشارة النحاس في كتابه إلى أنه سيبذل الجهد لتجنيب مصر ويلات الحرب، تعني تصميمه على البقاء خارج الحرب وعدم الإندماج فيها فعلاً مهما كانت الظروف والتطورات. وفي هذا كذلك تبدو روح المقاومة وخذلان الإنكليز الذين حاولوا زج مصر في الحرب بأي شكل.

ومما لحظناه أن النحاس ذكر في كتابه للملك أنه سيهتم لتقوية العلاقات وصلات الود بين

مصـر والبلاد العـربي التي تربـطها بهـا روابط عديدة. ولعل هذه الإشارة هي الأولى من نوعها في برنامج وزاري مصري بصورة رسمية. ومن أجل ذلك هي مهمة في صدد العلاقات المقبلة بين مصر والبلاد العربية.

ومن الحق أن نـذكر في هـذه المناسبـة أن التظاهر مع الفكرة العربية وتبنيها في مصر قـد سبق هذه الإشارة بمـدة طويلة، حيث أخـذت الحقيقة العربية المصرية تنكشف تدريجياً منذ أواسط الثلاثينات، مع القول أن بوادرها كانت إفرادية سابقة لذلك ايضاً. ولقد كان من أثر ذلك اندماج مصر بصورة رسمية في قضية فلسطين، حيث عقد فيها مؤتمرات في سبيل هذه القضية أحاطها الملك والحكومات المصرية بالرعاية ثم إشتركت مصر في مؤتمـر لندن الـذي عقد في سنتي 1938 و1939 من أجل قضية فلسطين، وسارت في صدد ذلك خطوات حسنة، وكان لها مـواقف قويـة في جنيف وغيرهـا. وكان ممثلو مصر يصرّحـون أنهم إنما ينـدمجون في هـذه القضية بقوة مـا بين مصر والبـلاد العربيـة من روابط الإخاء ووحدة المصلحة. وكان لمحمد محمـود باشـا وخاصـة لعلي ماهـر باشـا وعبد الـرحمن عزام ومحمـد علي علوية، وآخـرون كثيرون، آثار محسوسة في تقوية هذه المعاني. وما أذكره وأسجله في هـذا الصدد أن حكـومة مصـر اهتمت لأمر المسجـونين السيـاسيين في سورية، وكنت أنا أحدهم، وقامت بمراجعات وتشبثات لدى الأوساط الإنكليزية والإفرنسيـة. وكان ذلك عاملاً من عوامل إصدار العفو عني وعن نبيـه العظمـة ورفاقـه. ولقد كتبت لـوزير خارجية مصر، بعد خروجي من السجن، كتاب شكر، وجاءني جواب فيه تهنئته لي، وقال فيما قاله فيه أن ما قامت به حكومة مصـر إنما هـو استجابة لواجب العروبـة التي تربط بين مصـر والبـلاد العربيـة. وكان لهـذا القول أثـر فينا، وأخـذنـاه دليـلاً على أن مصـر أخــذت تسيـر بخطوات واسعة نحو الوحدة العربيـة وفكرتهـا وفكرة إتحاد المصلحة والعاطفة بينها وبين البلاد العربية.

4 ـ تنبيه عمّا عرفناه عن خلفيات الأزمة واقتحام السفير قصر عابدين وانذاره للملك بتكليف النحاس مما عرف بحادث 4 شباط (فبراير):

وننبه على أن ما تقدم في صدد أزمة مصر هو ما كان مسجلاً في دفترنا وأعدنا تدوينـه، وقد عرفنا حقائق هامة فيما بعد عن الأزمة لم نسمعها ولم نقرأ عنها حينما سجلنا مـا سجلناه. وقـد سجلنـا مـا سجلنـاه ممـا سمعنـاه ومن وحي الظروف، ومن هذه الحقائق أن تكليف الملك للنحـاس بتـأليف الـوزارة كـان نتيجـة إنـذار إنكليزي، حيث ذهب السفير البريطاني محروساً ببعض الجنـود والدبـابات إلى قصـر عـابـدين بتاريخ 4 شباط (4 فبراير) واقتحمه وطلب مقابلة الملك، وقابله فعلاً وتلا عليه انـذاراً بوجـوب تكليف النحـاس بتأليف الـوزارة خـلال أربـع وعشرين ساعة، وبأنه يتحمل شخصياً مسؤولية رفض ذلك، (وهذا يعني إنذاراً بالخلع)، وأن الملك جمع رجالات مصر البارزين من رؤساء وزارات ووزراء وأحزاب بما في ذلك النحاس، في مجلس عام لمدارسة الموقف المترتب على الإنذار. وحاولـوا إقناع النحـاس بتأليف وزارة ائتلافية بـرئاستـه، فرفض إلا أن تكـون وزارة وفـديـة، وعلى أسـاس حـل مجلس النـواب

المزيف في رأيه، وإجراء انتخابات نيابية جديدة ونزيهة. وجرى تلاسن بينه وبين بعضهم ولا سيما الدكتور أحمد ماهر وحمل عليهم حملة شديدة واتهمهم بالتفريط والتقصير والتزييف... ولم يكن للملك خيار إلا أن ينفذ الإنذار، وكلف النحاس بتأليف الوزارة، وعلى أساس حل مجلس النواب أيضاً.

والمتبادر أن الإنكليز اتصلوا بالنحاس أولاً، وتم التفاهم بينه وبينهم على الإنسجام بقدر ما يمكن وعلى الشروط التي اشترطها.

وتمثل ذلك في الكتابين الذين تبودلا بين النحاس والسفير وذكرنا نصهما... والراجح أن الإنكليز رأوا عجز الملك عن حل الأزمة بعد استقالة الوزارة، وخافوا اشتداد البلبلة والفراغ في ظرف حربي دقيق، وقنعوا أن الإستقرار الضروري لمصر الآن لن يتيسر ما دام الوفد خارج الحكم معارضاً لكل وزارة تقوم على أساس العهد الراهن، وهو مؤيد من جمهور الشعب الأعظم، وقد يكونون لحظوا أولاً: أن موقف الملك منهم غير حسن وغير مريح وميوله ضدهم بادية. وثانياً: أن بين الملك والوفد برودة وتضاد، وأن الوفد إذا جاء إلى الحكم لن يكون بينه وبين الملك انسجام، فجنحوا إلى الإتصال بالنحاس والتفاهم معه، وتجاوب هو معهم، فقام السفير بعمليته الإقتحامية الإنذارية. ولقد كان بهذه العملية رجة وضجة شديدة. واستغلها خصوم الوفد فسجلوا عليه سقطة وطنية شنيعة، لأنه جاء على أسنة حراب الإنكليز كما قالوا.. ولكنه دافع عن موقفه دفاعاً قوياً.

5 ـ مصادقة مجلس النواب الايراني على المعاهدة الايرانية ـ الإنكليزية:

منذ بضعة أيام صادق مجلس النواب الإيراني على المعاهدة التي عقدتها الحكومة الإيرانية مع الإنكليز والروس، في حين أن هذه المعاهدة عقدت منذ شهرين وطنطن الإنكليز بها. وتأخر التصديق عليها إلى الآن قد يدل على حالة التحفظ أو الروح المطاطة التي تسود بلاد إيران من جراء اجتياح القوات الإنكليزية والروسية لأراضي إيران واستخدامها كطريق للمواصلات، واضطرار الحكومة الإيرانية بضغطها إلى قطع العلاقات السياسة مع الدول التي هي في حالة حرب من الإنكليز والروس.

وفي نصوص المعاهدة ما يدل على أن الإنكليز والروس يعرفون ذلك الشعور، وحاولوا معالجته، حيث نصت على جلاء القوات المحتلة عن الأراضي الإيرانية بعد انتهاء الحرب بستة أشهر... ونصت على أن إيران لن تكلف بما يؤدي إلى أي خسارة مادية من جراء المعاهدة، وهذا النص قد يعني أن نفقات القوات المحتلة والأعمال الحربية لن تحمل منها إيران شيئاً... ونصت كذلك على تعهد الإنكليز والروس بالدفاع عن البلاد الإيرانية ضد أي عدوان أو اجتياح أجنبي... وقد سمعنا إذاعة لندن تذيع خبر هذا التصديق بأسلوب المغتبط المبتهج، وقرأنا برقيات صادرة عن لندن يكال فيها الثناء كيلاً على حكومة إيران ومجلس نوابها، ويوصَفُون فيها ببعد النظر والحنكة والإخلاص في خدمة الوطن، وبالديموقراطية الإيرانية، ويقول أن المجلس النيابي ناقش المعاهدة بكل حرية ثم صادق

عليها، حيث تجلت الديموقراطية بكل معانيها بعد تنازل الأمبراطور السابق عن العرش. وكل هذا كلام فارغ بطبيعة الحال وللدعاية. فالمعاهدة عقدت وصودق عليها بقوة الحراب والتهديد. ولا شك في أن الايرانيين يشعرون بأنهم أهينوا وجرحوا جرحاً لا يندمل باجتياح بلادهم واحتلالها وفقدها حريتها واستقلالها.

6 ـ معاهدة بين بريطانية وأمبراطور الحبشة:

ومما ذكرته الصحف في هذه الأيام خبر معاهدة عقدت بين الإنكليز وأمبراطور الحبشة الذي أعيد إلى عرشه بعد أن أجليت القوات الطليانية عن الحبشة.. والنفس قد ترتاح لعودة حكم بلاد الحبشة لأهلها وتقويض الإستعمار الطلياني عنها. غير أن نصوص المعاهدة الحبشية الإنكليزية تفيد أن استعماراً استبدل باستعمار بأسلوب ما. حيث نصت على وجود مستشارين عسكريين وقضائيين وماليين من الإنكليز في دوائر الحكومة الحبشية، وعلى مرابطة قوات إنكليزية في البلاد، وعلى تنظيم الجيش الحبشي بمعرفة ضباط الإنكليز، وهو الأسلوب الذي قام عليه الإستعمار الإنكليزي في شرق الأردن ومصر والعراق والإمارات الهندية وإيران.. وهكذا تدخل هذه البلاد تحت الإحتلال والسيطرة الإنكليزية. وهذه أمنية طالما منّى الإنكليز أنفسهم بها فتسنى لهم تحقيقها الآن. وإذا خرجوا من الحرب منصورين فتكون الحبشة من أعظم غنائمهم. ولقد حاولت الدعايات الإنكليزية من برقيات وإذاعات ونشرات صحف وتصريحات تصوير ما وقع وما يمكن أن يقع في المستقبل بصورة براقة خلابة... فذكرت فيما ذكرت أن كل ما تم قد تم إجابة لطلب الأمبراطور ورغبته، وأنه ليس للإنكليز مطمع في أرض جديدة، وإنما هم منطلقون من الرغبة في مساعدة الشعوب الضعيفة وتوطيد الحق والعدل في العالم.

وذكرت أن الحبشة يحكمها أهلها، وأن أمبراطورها الشرعي قد عاد إليها. وكل ما فعلته بريطانية هي بذل مالها وإرسال أبنائها إلى هذه البلاد المحرقة ليساعدوها في توطيد النظام وبث المدنية وترقية البلاد وأهلها... وهذه أساليب إنكليزية معهودة ومتكررة، ولكنها لا يمكن أن تحجب الحقيقة عن أعين الناس والشعوب..

ولعل الإنكليز يحاولون الانتفاع بقوة الأحباش الحربية، حيث ينظمون منهم جيشاً قوياً يجهزونه ليأخذ مركزه في صفوف القوى التي تحارب دول المحور. وما كان من آثار الاستعمار الطلياني مما سوف يساعد في إنخراط الأحباش في هذه الحرب ضد هذه الدول.

7 ـ ارتفاع سعر الذهب في تركية:

في هذين الأسبوعين ارتفع سعر الذهب ارتفاعاً سريعاً، وقفز من 25 و29 ليرة تركية لليرة الذهبية الرشادية إلى 30 و35 و40 وأكثر. وقد هزت هذه القفزات الأوساط التجارية والحكومية. ولقد ألقى رئيس الوزارة ووزير المالية التركية خطابين في مجلس النواب أكدا فيهما أنه ليس من مبرر لهذا الإرتفاع وأنه ليس إلا تلاعباً. وقالا أن نقد الحكومة التركية قوي ومخزونها من الذهب كبير. وفنّدا الإشاعات التي تشاع عكس ذلك، وطلبا من الناس عدم الإندفاع في هذه الحركة. وكان لخطابيهما

شيء من الأثر، حيث هبطت الأسعار إلى 34 و35 ليرة لليرة الذهبية الرشادية. فإذا بقي الإرتفاع عند هذا الحد فيكون النسبة 30٪ زيادة على ما كان عليه قبل شهر. . . وهو ارتفاع كبير، ولابد أن يكون متأثراً بحركة الذهب في الخارج.

ولقد ارتفعت أسعار الحاجيات تبعاً لهذا الإرتفاع وبنفس النسبة وأكثر. فالقميص الذي كان بعشر ليرات صار بخمس عشرة، والكندرة(1) التي كانت بعشرين أصبحت بخمس وعشرين. لطف الله بعباده وبخاصة فقرائهم.

8 ـ شح مواد الوقود في الآستانة:

وفي هذين الأسبوعين شحت مواد الوقود في الآستانة شحاً قارب الخطورة. إذ فقد الحطب وفحم الحطب والفحم المعدني من الأسواق، وعلت الضجة والشكاوى. وقد نشطت السلطات إلى تلافي الأمر، وقالت فيما قالته أن شدة البرد في هذه السنة زادت في مقطوعية مواد الوقود زيادة كبيرة بالنسبة للمعتاد، وأن هذا من أسباب هذه الضائقة.

ولقد أصابنا نصيب من هذه الضائقة، فنفذ حطبنا الذي نسخن به الحمام والمدفأة، وبقينا أسبوعين بدون حمام وبدون غسيل. ومن حسن الحظ كان عندنا مخزون من الفحم المعدني الذي نحمي به المدفئة، فلم نقاس برداً. ونفذ فحم الحطب الذي نطبخ عليه طعامنا، فاضطررنا إلى تناول الطعام من المطعم. وكانت الخادمة تعمل لنا أنواعاً خفيفة على المدفأة.

ومخزوننا من الفحم المعدني يكفي لعشرة أيام، فإذا لم نجد كمية منه تكون الطامة، لأن برد الآستانة لا يطاق، وقد اشتد في هذين اليومين كثيراً. . . ولقد ارتفع سعر الحطب فصار الطن بأربعين ليرة، واستطعنا أن نشتري بعض الشيء منه. ولقد جاءت كمية من الفحم والحطب للأسواق، ولكنها لم تلبث أن طارت. ولا ندري ماذا نفعل إذا لم يتيسر لنا مواد وقود في الأسبوع الثاني.

9 ـ قصة حقيبة ثيابنا الشتوية:

حينما خرجنا من دمشق لم نأخذ معنا إلا ثياب الصيف توهماً أن الأمر لن يطول بنا في هجرتنا. فلما طال وأقبل موسم الشتاء طلبنا من دمشق إرسال ثيابنا الشتوية، فوضعوها في حقيبة كبيرة وأرسلوها إلى حلب منذ خمسة أشهر. وصار لها قصة ولم تصل إلينا إلا أول أمس. فقد أرسلها أصدقاؤنا في حلب إلى الإسكندرونة لتشحن فأرجعها موظفو الحدود. وحاول الأصدقاء شحنها بواسطة شركة أو بالسكة الحديدية من حلب فلم يتمكنوا. وحملها أحدهم إلى محطة كركميش التركية وشحنها منها إلى الآستانة، ولكن محطة الإصلاحية أوقفت شحنها لأن أوراقها ناقصة، وبذل الأصدقاء في حلب جهودهم حتى أتموا المعاملة وتم شحنها، ووصلت إلى حيدر باشا بعد شهرين. وهنا صادفتنا مشكلة جديدة، فالشنطة مشحونة لإسم تاجر حلبي يقيم في تركية، والقانون يفرض رسوماً جمركية على الثياب المستعملة الواردة من الخارج إذا كان صاحبها مقيماً في تركية منذ أكثر من ستة أشهر. ورسم الجمرك يبلغ أربعمائة ليرة، لأن وزن الشنطة

---

(1) الكندرة: الحذاء.

خمسون كيلو والرسم ثماني ليرات عن الكيلو، وربما عادل الرسم ثمن جميع ما في الشنطة بل وأكثر. وبذلنا جهدنا لإثبات أن الشنطة لنا وفيها ثيابنا وليست بضاعة واردة من الخارج ولا لتاجر يقيم في تركية، حتى استطعنا أن نستلم الشنطة بدون جمرك بعد شهرين. وتحملنا شدة البرد ولم نجرؤ على شراء معاطف جديدة وثياباً شتوية كثيرة لما نتكلفه من أثمان باهظة فضلنا توفيرها لنفقات إقامتنا التي تبدو أنها ستطول، ولم نشتر إلا ما هو ضروري من الحاجات. ولم نفصل إلا بدلة واحدة لكل منا، بالإضافة إلى بدلة شتوية نوعاً ما كنا احتطنا وحملناها معنا حينما خرجنا..

***

الأربعاء 11 شباط 1942
24 محرم 1361 :

1 ـ حول أزمة وزارة مصر والنحاس أيضاً:

أذيع منذ يومين أن النحاس باشا استصدر مرسوماً من الملك بحل المجلس النيابي وإجراء انتخابات نيابية جديدة. وهذا ما كان الوفد يطالب به كل ما دعي إلى الحكم أو الإشتراك فيه، وقد كان شرطاً من شروطه على الملك على ما ذكرناه قبل.

وقد لحظنا الآن تغيّراً في موقف الإنكليز تجاه الوفد. فقد زاره السفير الإنكليزي وهنأه، وصارت الإذاعات والصحف الإنكليزية تثني على النحاس وتنوه بوطنيته ووطنية الوفد. ولقد كانت مظاهرة حاشدة تأييدية للوفد أمام مقر رئاسة مجلس الوزراء حينما كان السفير يزور النحاس، فخرج النحاس إلى الشرفة وخرج معه السفير وتعانق السفير والنحاس أمام المظاهرة، وهتفت الجماهير لبريطانية وهتف السفير بحياة مصر.

ومما لفت نظرنا أن النحاس لم يذكر في مراسلاته مع الملك والانكليز موضوع تعديل المعاهدة، مع أنه كان قدم في أوائل الحرب مذكرة باسم الوفد إلى السفير البريطاني بذلك. ولا ندري هل نسي النحاس الأمر هذا بعد أن عاد إلى الحكم، وهل كان ذلك الطلب منه موقف دعاية ونكاية؟ لعل الأيام تكشف ذلك.

ومع الأسف نسجل أن زعماءنا سرعان ما

ينسون ما يكون بينهم وبين السلطات الأجنبية المحتلة أو المتحكمة إذا ما سنحت لهم فرصة الوصول إلى الحكم، في حين أن هذه الفرصة لا يكون الأجنبي قد هضمها ورضي بها إلا مضطراً، وفي حين أن هذا الأجنبي يكون قد فعل الأفاعيل ضد الزعماء أنفسهم وضد بلادهم معاً.

2 ـ قدوم المفتي ورشيد إلى روما:

أذاعت محطة روما منذ يومين خبر قدوم المفتي ورشيد عالي إلى روما. وقالت أن قدومهما هو بمناسبة حرب معركة الشرق العربي، وأنهما قَدِمَا مع حاشيتيهما على قطار خاص، وأنهما استقبلا في روما بحفاوة بالغة، وبعض الإخوان سمعوا في المحطة أنهما قدما إلى روما للعمل في سبيل القضية العربية بعد أن قاما بما يجب في هذا السبيل في برلين. وقد نشرت الصحف التركية خبر قدومهما إلى روما.

وقد سمعنا إذاعة برلين تذيع الخبر وتؤكد أن دول المحور ستحترم حق العرب في تقرير مصيرهم وستساعدهم على تحقيق استقلالهم وحريتهم ووحدة بلادهم.

ويظهر أن الإذاعات الإنكليزية قالت في سياق ذلك الخبر أن دول المحور ترسم بسط سيطرتها على المناطق العربية وتقسيمها إلى مناطق نفوذ بينها، وأن زعماء العرب قد باعوا بلادهم لهذه الدول، حيث فندت إذاعة برلين هذه الأقوال، وقالت ما قالته عن تصميم دول المحور احترام حق العرب في تقرير مصيرهم ومساعدتهم على تحقيق استقلالهم ووحدتهم.

ومن السخرية بالعقول أن يقول الإنكليز ما يقولونه بالنسبة لدول المحور، وقد فعلوا في بلاد العرب الأفاعيل من تقسيم واحتلال واستثمار وغدر ونكث ثم تسليط الصهيونية على فلسطين.. ولقد كان رد إذاعة برلين قوياً محكماً...

ونحن لم نتبين أسباب قدوم المفتي ورشيد إلى روما، وليس عندنا سابق خبر يجعلنا نخمن ولو تخمينا. ومما ورد لبالنا أن يكون الزعيمان قد تفاهما مع الألمان، وأن هؤلاء طلبوا منهما التفاهم مع الطليان فجاءا من أجل ذلك. ونرجو أن لا تتعثر مساعيهم إذا صح التخمين بما يقال من مطامع وترسمات الطليان بالنسبة لبعض البلاد العربية، لأن هذا كان وما يزال يثير مخاوفنا.

3 ـ سفر واصف وكامل مروة والشيخ حسن أبو السعود الى أوروبا:

أول أمس الإثنين سافر من الآستانة إلى ألمانيا عن طريق صوفية ـ بلغاريا واصف كمال والشيخ حسن ابو السعود وموسى عبد الله الحسيني وكامل مروّة ورشاد البربير ومحي الدين الطويل. وموسى لم يوقف ولكنه استدعي مؤخراً ووجه إليه بعض الأسئلة وأنذر بمغادرة البلاد. وهو كثير الغلبة والحركة والثرثرة والتدخل في كل شيء، ويسبغ على نفسه مهمة الوساطة في الأمور العربية لدى جماعة الألمان. وهو كثير الجدل والحجاج وكثير الإعتداد بالنفس، حتى لكأنه يستشعر ويريد أن يشعر بأنه سياسي محنك.. وقد أثار بثرثرته وكثرة غلبته مشاكل، وتحرّج منه الشيخ حسن وإسحق حتى قاطعاه في وقت من الأوقات...

أما الشيخ حسن فإنه لم يوعز إليه بالخروج، ولكنه سافر بناء على طلب متكرر من الحاج

أمين، ورغبته في أن يكون إلى جانبه على ما ذكرناه في مناسبة سابقة، وكان يعتزم السفر قبل الآن، ولم تتيسر له الأسباب فاغتنم فرصة سفر الإخوان وخرج معهم.

4 ـ أحاديثنا مع الشيخ حسن أبو السعود في صدد القضية وغيرها بمناسبة سفره:

ولقد تحدثنا ملياً مع الشيخ حسن وطلبنا منه أن ينقل مخاوفنا إلى المفتي، وعتبنا عليه لأنه لم يرسل إلينا شيئاً مطمئناً. وقد جعلنا هذا نرجح أنه لم يحصل من الألمان على شيء حاسم، رغم أنه مرّ أمد غير قصير على وجوده مع رشيد في برلين. وهذا سبب مخاوفنا، حيث ظللنا نحسب أن هناك أسباباً تجعل الألمان يتجنبون البتّ في الموقف والمصير. ومما قلناه للشيخ حسن لإبلاغه للمفتي، أنه إذا كان لا يأمل الحصول على موقف حاسم مطمئن وعقد صريح فيه الضمانات الوافية لاستقلال بلاد العرب ووحدتها على الأسس التي كنا تفاهمنا عليها مع رشيد وأرسلناها إليه، فإن الأفضل أن لا يتورطوا في الدعوة إلى التعاون أكثر مما كان الى الآن. فسفرهم إلى برلين كان واجباً قومياً في سبيل تأمين حقوق واستقلال وآمال العرب من هذا المعسكر وقد أدّوه، أما إذا استمروا في الدعوة إلى التعاون في حالة عدم تأمين هذه الحقوق والآمال، فإنهم لا يعذرون لا أمام التاريخ ولا أمام الأمة.

وأكدنا عليه بضرورة التعجيل في الوصول إلى بت نهائي قبل حركة الزحف على الشرق وضرورة إعلانه وعدم الإكتفاء بالألفاظ والتطمينات العامة.

5 ـ حول مسألة سفري إلى أوروبا:

ولقد أثار الشيخ حسن وإسحق مرة ثانية مسألة سفري أنا ومعين، فكررنا ما قلناه سابقاً من أننا لا نرى ضرورة وليس هناك موضوع معيّن يجب تمحيصه مع الإخوان في أوروبا، والمفتي لم يكتب شيئاً من ذلك. وما لم يكن هذا هو الباعث، فالسفر يكون من قبيل التشريفات وتكبير الكتلة العربية في برلين. وليس هذا جوهرياً وحتى لا ثانوياً مهماً يَحمِل على تحمّل مشقات هذا السفر البعيد والخطر والمجهول معاً. وقلنا إننا ما نزال نفضل الإنتظار في الآستانة إلى أن يأتينا بيان عما جرى إلى الآن، ويكون فيه مواضيع تحتاج إلى تشاور وتمحيص. فإن جاء مثل هذا البيان فلا نتأخر عن السفر مهما كان فيه تعب ومشقة.

6 ـ كلمة جديدة عن واصف كمال بمناسبة سفره إلى أوروبا:

وقد آلمنا فراق واصف، فهو صديق وزميل جهاد وعمل منذ خمس عشرة سنة، وفيه صمت وصراحة تحمل المرء على الإطمئنان له والشعور بحسن نواياه وبعده عن المواربة والخبث. وهذا النوع من الناس محبّب للنفس قريب للقلب، يعاش معه من دون حذر. ولقد كان يبدو منه بعض التصلّب والأقوال الجافة والمتطرفة. غير أن هذا كان يبدو منه صميمياً وغير مفتعل. وهو سمح النفس غير متزمت وغير متذمر، وفيه مروءة و(أكابرية) في مظهره ومعيشته وتخيّره أحسن الأشياء في لبسه وأكله ومجالات حياته الأخرى، وعقيدته القومية قوية وصادقة. . . (لقد كنا كتبنا كلمة عن واصف فيها

شيء مما كتبناه هنا ولكنا أحببنا أن نبقي ما كتبناه هنا على حاله في مناسبة سفره إلى أوروبا).

7 ـ حول التوتر بين فوزي القاووقجي والمفتي وصلة عادل العظمة بذلك:

ولقد طلبت من الشيخ حسن أيضاً أن يبذل جهده في التقريب بين المفتي وفوزي القاووقجي، وأن يطلب من المفتي بلساني أن (يكشكش)(1) له ويلفّه معه ولا يبقيه مهملاً، لأن ذلك مما قد يدفعه إلى الثرثرة والمعاكسة، وفي ذلك ضرر للقضية والسمعة العربية، هذا إلى أن فوزي قد عمل في حقل القضية بدمه وبراعته في ميادينها الثورية الثلاث سورية وفلسطين والعراق طيلة خمس عشرة سنة، وصار من حقه أن يكون له شيء من الشأن، وأن لا يهمل ولا يجرّح في كرامته وجهاده. وهذا أيضاً إلى أنه لا يوجد في برلين شخصية سورية معروفة غيره، والمظاهر والضرورة تقضي بضمّه وإبرازه ليكون هو الشخصية السورية المعروفة في أثناء الحديث في القضايا العربية عامة . وإذا كان في نفس المفتي مآخذ خاصة أو عامة بالنسبة لفوزي فيجب أن يتسع صدره الآن وأن لا يكون اندفاع قد يكون فيه ضرر أو خطر عاجلاً أو آجلا.

وقد وصّيت الشيخ حسن بـواصف وضرورة الاهتمام به والاطمئنان إليه، كما أني وصّيت واصفاً بأن تظل صلته بالمفتي حسنة ومرضية، وأن يحول دون أي تفرق وتعدد في التكتل العربي في برلين، وأن يسعى هو الآخر في التقريب بقدر ما يمكن بين المفتي والقاووقجي. والإهتمام الذي اهتممته لقضية فوزي انبعث مما علمته من أن المفتي قد أهمل فوزي إهمالاً تاماً، ولم يطلعه على كثير أو قليل مما جرى ويجري من الأبحاث والاتصالات. وأن هذا قد أوجد في نفس فوزي حقداً وغيظاً، وحملَه على تكتيل كتلة حوله من بعض الشبان العرب في برلين، ونشأ عن هذا قيل وقال، وأخذ يتردد صداه في الأوساط الألمانية.

ولقد جرت أحاديث بيني وبين عادل العظمة في موضوع فوزي، وأطلعني عادل على بعض رسائل وردت من فوزي وموقف فوزي من المفتي. ومما دار بيني وبين عادل يمكن تلخيص الموقف كما يلي:

لما ذهب فوزي وعادل إلى برلين لمعالجة الأول من جراحه التي نتجت عن قصف الطيارة الإنكليزية في طريق تدمر ـ دير الزور، أحيط فوزي بشيء من الرعاية والعناية من قبل ضباط الجيش الألماني. ولما تم علاجه اشتد الإتصال بينه وبينهم وقوي. واغتنم هو وعادل هذه الفرصة، فرأيا أن يتقدم فوزي كزعيم عربي سياسي وعسكري معاً من حقه أن يبحث في القضية ويتحدث عن آمال العرب ومطالبهم. وقد قدم مذكرة في ذلك للمقامات الألمانية، وجرت أحاديث حول القضية بينه وبين بعض هذه المقامات. وكان ذلك قبل أن يصل المفتي ثم رشيد إلى برلين، وظن فوزي وعادل أنهما قد لا يستطيعان القدوم، وأن الفرصة قد تضيع. ولكن الأمر لم يتقدم معهما أو مع فوزي الذي كان هو الشخصية التي حاولت البروز، لأن المقامات الألمانية قالت أنها تأمل قدوم المفتي ورشيد من آن لآخر. ثم جاء المفتي ثم رشيد وأخذا يتصلان بالمقامات الألمانية ويتحدثان في

---

(1) أي يسايره.

شؤون القضية، وحصرا الإتصال بنفسيهما، ولم يشركا فوزي ولم يطلعاه على ما يجري معهما. فرأى فوزي في هذا إهمالاً له وانتقاصاً وكبرَ عليه ذلك، ولا سيما أنه كان قدّم نفسَه إلى ضباط الجيش الألماني كشخصية ذات شأن كبير في القضية العربية وكمرشح للقيام بدور هام فيها، وخاصة في الشؤون والحركات الحربية المنتظرة. فحقد من جهة واستمرّ في اتصالاته مع الضباط كفريق مستقل عن رشيد والمفتي، ولا سيما ليس معهما، ولو لأجل المظاهر، شخصية سورية يمكن أن تسد الثغرة في المظهر والوحدة. وقد قال لي عادل أنه يوجد بين دوائر الجيش ودوائر الخارجية الألمانية شيء من التنافس وأن دوائر الجيش تنتقد تصرفات الدوائر الخارجية الألمانية. دوائر الجيش في شؤون السياسة، وأن بين موظفي الخارجية من يعقّد موقف دوائر الجيش أيضاً، وأن الضباط الذين اتصلوا بفوزي ظلوا يشجعونه ويرون فيه الأهلية أو الشخصية العربية التي يمكن أن تلعب دورا. وهذا مما جعل فوزي يقوى في موقفه، حتى أنه ظل يقدم بعض المذكرات والمقترحات مستقلاً عن رشيد والمفتي. ولما كان ارتباط عادل بفوزي قوياً، وكانت الخطوات الأولى التي قام بها فوزي بالإشتراك مع عادل، ولا سيما أن عادل يرى في فوزي شخصية لامعة تستطيع أن تلعب دوراً هاماً في القضية من جهة، وقد كان بينه وبين المفتي بعض الفتور حينما كانوا ببغداد من جهة ثانية. فقد صعب على عادل إهمال فوزي من قبل رشيد والمفتي، وشاركه في غيظه وحقده، وأخذ يفكر في ما يمكن عمله لتصحيح الموقف. وقد قال لي أنه تحدث مع أخيه نبيه ومع الأمير عادل أرسلان في أمر وجوب ذهاب شخصية سورية لتكون مع المفتي ورشيد، فقالا له أن فوزي القاووقجي يمكن أن يكون تلك الشخصية، فكتب لفوزي يقول له أن الأمير عادل وأخاه نبيه يريان أنه يستطيع أن يشترك في الحديث والإتصالات مع المفتي ورشيد بحق، على اعتبار أنه الشخصية السورية التي يمكنها ذلك في برلين. فكتب فوزي لعادل يطلب منه إرسال تفويض له بذلك حتى يبرزه كصاحب حق... (وليس في التسجيل أن مثل هذا التفويض قد أرسل إلى فوزي)، وجاء بعد هذا الكلام أن عادل قال لي أن فوزي كتب له كتاباً مفصلا فيه شكوى مرّة من المفتي وتكتمه الشديد وانفراده في التصرف والاتصالات، ونشره عن فوزي أنه ذو ولع بالخمر والنساء، وأنه لفّ بعض السوريين حوله مثل سعدى الكيلاني وجميل الجابي. وقال عادل أن فوزي ذكر في كتابه أنه راجع رشيداً في الموقف فوجده بدوره يشكو شكوى مرّة من تصرفات المفتي وإنفراده في الإتصالات، حتى أنه قرّر أن لا يعمل إلا للقضية العراقية. كما ذكر في كتابه أن بين المفتي ورشيد فتوراً، وأن العراقيين والسوريين ينقسمون في برلين إلى كتلتين، وأن الواحدة تطعن في الأخرى وتنتقدها، وأن الأوساط الألمانية متأثرة من هذا الموقف، وأنه يخشى أن يجرّ ذلك ضرراً على القضية والعمل لها، وأن يهتم العراقيون لقضيتهم، والمفتي لقضية فلسطين والصهيونية، وتضيع قضية سورية على ما يحدق بها من أخطار، وأن هذا الموقف نشأ عن تصرف المفتي ونزواته الشخصية، وأن ذلك يتطلب حلاً حاسماً ومنحه صلاحية للعمل في سبيل القضية عامة وقضية سورية خاصة.

ولقد طلب مني عادل إبداء رأيي في هذا الموقف والمساعدة على تصحيحه، واقترح أن نسافر أنا وهو إلى برلين، على اعتبار أنه يقدر أن يؤثر على فوزي، وأقدر أنا أن أوثر على المفتي..

وقد أبديت أولاً شكي في صحة كل ما جاء في كتاب فوزي وخاصة بالنسبة للفتور والاختلاف بين المفتي ورشيد، وقلت أن قدومهما معاً إلى روما دليل على تضامنهما في العمل، وكانا منذ البدء قد تضامنا معاً في الإتصال بدول المحور وهما في بغداد، ولا بدّ من أنهما يشعران بمسؤولية مشتركة خطيرة. هذا عدا عن أن المفتي ورشيد نفيا أن يكون بينهما أي خلاف أو فتور في رسائل جاءت منهم، حيث كان الدكتور محمد حسن سلمان ذكر لي أنه سمع شيئا من ذلك، فكتب إلى رشيد يسأله، فجاء كتاب من رشيد إلى أخيه ينفي فيه ذلك كل النفي، ويؤكد أنه والمفتي يعملان متضامنين تضامناً تاماً قوياً، وحيث كان إسحق أطلعني على كتاب وارد من المفتي يشير إلى ما يقال من خلاف وفتور بينه وبين رشيد وينفيهما.. وقلت لعادل لو كان ما ذكره فوزي من تأثر الأوساط الألمانية أو من رغبتهما في اشتراك فوزي مع المفتي ورشيد صحيحاً، واعتبارها ذلك ضرورياً، لكان من المعقول أن توعز بذلك إليهما. وقلت له أن المبالغات الواردة في كتاب فوزي قد يكون أملاها عليه غيظه.

وقد يكون هناك بعض أمور صغيرة بين الأوساط العربية تتعاظم بالقيل والقال، وأنه قد يكون بين الضباط الألمان من يرغب في توجيه فوزي وتقديمه وعدم إهماله، أو أنهم ينتقدون ذلك أمامه في سياق ما يجري بينهم من لقاءات وأحاديث فظنها فوزي تأييداً من الجيش. وبينت له ثانياً عدم الضرورة للسفر من أجل هذا الموضوع لأنه لا يتحمل ذلك. كما أني أفهمته شكّي في إمكان التأثير على المفتي ورشيد ليجعلا فوزي نداً لهما، ولا سيما أني أشعر بأنهما يريان - وخاصة المفتي - في فوزي شخصية خطرة قد يبدو منه إذا قوي وبرز وكان تحت يده سلطة وقوة، تصرفات خطرة على مركزيهما اللذين هما فيهما. وقلت له ثالثا، إن المصلحة القومية التي يجب أن تكون فوق كل اعتبار لا تسمح بتشجيع فوزي في موقفه وجعله يعتبر نفسه فريقاً مستقلاً بأي شكل. فما دام الإتجاه الرسمي الآن هو نحو رشيد والمفتي، والمقامات الألمانية تعتبرهما المتكلمين الرسميين والشرعيين في القضية العربية. وما دام أنهما كما اعتقد مخلصان لهذه القضية ويدركان لمسؤوليتهما نحوها بدرجة لا تقل على الأقل عن فوزي، وما دام أنهما قد سارا إلى الآن في سبيلها مستقلين عنه، فإن كل تشجيع له معناه إضعاف مركزهما لما ينجم من التعدد من خطر وضرر للقضية، وإن الواجب القومي يقضي أن يكون موقفك - الخطاب لعادل - وموقف فوزي (قل خيراً واعمل خيراً أو اسكت)، وأن تتجنبا كل ما من شأنه إضعاف مركز المفاوضين والتشويش عليهما، وأن مسألة فوزي مهما تكن فهي مسألة شخصية وليست مسألة قومية. ومع ذلك فمن المفيد أن يَكْتُب - أي عادل - للمفتي كتاباً يرجوه فيه جلب فوزي، وقلت له أن كل ما يمكن عمله بالنسبة للمفتي ورشيد أن يطلب منهما الكشكشة لفوزي وتطييب نفسه وإطلاعه على بعض الأمور واستطلاع رأيه فيها على اعتبار أنه الشخصية السورية المعتبرة في برلين، ونذكرهم بجهاده

وبراعته وخدمته للقضية. وذكرت له أني حمّلت الشيخ حسن رسالة شفوية للمفتي في هذا الصدد.

وأما بالنسبة لفوزي فيجب أن ينبّه إلى ما يترتب على انفراده واستمراره في اتصالاته الخاصة من ضرر وإضعاف لمركز الجميع في نظر الألمان. فإن اثّر كتابه له وعمل به كان خيراً، وان لم يؤثر فيكون المفتي قد تحمل مسؤولية الموقف هو ورشيد وهذا كاف من وجهة نظر القضية والمصلحة. وطلبت منه أيضاً أن يكتب لفوزي ويبين له الضرر والخطر من الإستمرار في الحقد والمعاكسة والإنفراد في الإتصال. وقد أظهر عادل شيئاً من القناعة بصواب ما قلت ووعد بالكتابة لفوزي بالتوقف عن كل ما من شأنه إضعاف مركز المفتي ورشيد والتشويش عليهما، وأن يكتب للمفتي كتاباً يرجوه تطييب نفس فوزي. وبهذه المناسبة أذكر أن المفتي قد ذكر في بعض رسائل أرسلها إلى إسحق أن فوزي وعادلا قد تصرفا في برلين بعض تصرفات لا ينبغي أن تكون منهما. وذكر في بعض رسائله أنه شاع في برلين وروما أن بين المفتي ورشيد خلاف، وأن المفتي يريد الإكتفاء بوحدة فلسطين وشرق الأردن، وأن هذه الشائعة كانت من عادل. . . ولا أستبعد أن يكون المفتي لمس تواثقاً وتضامناً بين فوزي وعادل في الموقف وطموحاً للعب دور ما، فجعله ذلك يحذرهما، وهو ذو حساسية شديدة إزاء مثل هذه الأمور. ولقد كانا حاولا اغتنام وجودهما في برلين قبل مجيء المفتي ورشيد، فتقدما كممثلين للقضية وقاما ببعض المساعي والإتصالات، فصعب عليهما أن يتجمدا بعد وصول المفتي ورشيد، فكان منهما ما شكى المفتي. واستشف المفتي من ذلك فيهما طموحاً للعب دور ما، فوقف منهما موقف الحذر كما قلنا، وأراد بدوره أن يبعدهما عن مسرح العمل.

وأعرف أن عادلا كتب كتاباً للمفتي من الآستانة كذّب فيه ما أشيع عنه من أنه هو الذي أشاع خبر الخلاف بين رشيد والمفتي وخبر اهتمام المفتي بقضية فلسطين وشرق الأردن ووحدتهما وحسب. . الخ، غير أن هذا لم يغير كثيراً من حساسية ونفسية وموقف المفتي. .

8 ـ الدعاية الإنكليزية حول مشكلة واصف واخوانه:

استغلت الدعاية الإنكليزية حادثة توقيف واصف وكامل ورشاد ورفاقهم، ثم خروجهم أو إخراجهم من تركية، فأخذت تذيع إذاعاتهم في بريطانية وبلاد العرب الأخرى ذلك، وتركز على أنهم كانوا يعملون للمحور، والموقف الشديد الذي وقفته تركية منهم.

وقرأنا اليوم في عدد من جريدة الانشاء الدمشقية ترديداً لذلك، وقرأنا في صحيفة بيروتية مثل ذلك. وفي ما نشر في الصحيفتين مبالغة وتصميم. والذي نرجوه أن لا يزعج ذلك أفراد أسرتنا في دمشق. وقد كتبنا لهم رسالة فيها تهدئة وتطمين وتوكيد بأننا مطمئنين لا يزعجنا شيء. .

9 ـ حول إعلان ضم جبلي الدروز والعلويين للجمهورية السورية:

قرأنا في الصحف السورية التي وصلتنا تفصيلات عن حفلات ضم جبلي الدورز والعلويين للجمهورية السورية ونصوص

القرارات والمراسم التي صدرت في ذلك. ولمحنا في كذلك ما قدرناه ووصفناه بالتهريج السخيف. وكاترو هو الذي أصدر مرسوم الضم. وقد جاء في مواده أن هاتين المحافظتين تحتفظان بصفتهما، (المستقلة استقلالاً إدارياً)، وأن المحافظ في كل منهما ممنوح بصورة مستمرة سلطة رئيس الجمهورية السورية بتعيين الموظفين وعزلهم الخ.

والمضحك المبكي أن كاترو هو الذي يقرر ويعلن ذلك، أي أن كاترو هو الذي يفرض على رئيس الجمهورية هذا المنح المستمر. ومن مواد المرسوم أيضاً أن ميزانية المحافظين تكون أيضاً مستقلة وتوضع من قبل مجلسيهما الإداري. وتنفذ من المحافظ. وكل ما للجمهورية السورية من ذلك هو عرض الميزانية على وزير المالية لملاحظة انطباقها على الأنظمة المالية... وهذا هو ضم المحافظتين للجمهورية الذي ملأت الدعاية الإنكليزية والديغولية الدنيا به، والذي لم يخجل الشيخ تاج وحكومته وفيها حسن الحكيم المتطرف بالوطنية إلى جانب عبد الغفار الأطرش، إلى فايز الخوري المنتسب إلى الكتلة الوطنية والمنشق عنها بسبيل المنصب، من الاندماج في هذه الدعاية والطنطنة بالعملية وإقامة الحفلات لها...

وهذا هو استقلال سورية التام الناجز.. ومن نكات هذا الاستقلال أن رئيس الجمهورية لا يستطيع أن يصدر مرسوماً يصك قطع النقود الصغيرة، حيث قرأنا في صحف سورية أن مرسوماً بذلك قد صدر من كاترو.

10 ـ حول مسائل الإعاشة في سورية وفلسطين غيرهما:

وأهم ما يشغل أفكار أهل سورية على ما لمحناه في هذه الصحف، هو مسألة الإعاشة وارتفاع الأسعار وقد نشرت الصحف تسعيرة رسمية جاء فيها أن كيلو السمن قد حدد سعره بالمفرق بثلاث ليرات وربع، وكيلو الزيت بليرة ونصف، وكيلو اللحم بليرة ونصف، وطن القمح بمائتي ليرة. وقد ذكرت الصحف أن موجود الأرز والسكر في البلاد قد قل كثيراً حتى يكاد يكون مفقوداً. وصحف فلسطين أيضاً مشغولة بهذه المسألة أكثر من كل شيء، ويفهم منها أن الضائقة شديدة وأن الطبقة الفقيرة في شدة وحرج، وأن الدقيق والقمح مفقودان أو كالمفقودين في يافا وغيرها. حتى أن فئات من الرجال والنساء والأطفال مدنيين قرويين يتجمهرون أمام المخافر ودوائر الحكومة هاتفين بطلب الخبز. وأن أطباء الصحة في نابلس وجدوا عدداً كبيراً من أبناء المدارس في حاجة ماسة إلى التغذية، واقترحوا على رئيس بلدية نابلس تأليف لجنة تتولى هذا الأمر، وأن أوقية اللحم في نابلس تباع بستة قروش.

11 ـ حول قدوم مارشال الصين إلى الهند ومداه ومغزاه:

ومن الأحداث المهمة مجيء مارشال الصين شان كاي شاك إلى الهند والتقائه بالجنرال ويفل القائد الإنكليزي العام، وما كان بينهما من أحاديث في صدد التعاون الحربي، وقد أذيع خطاب أو تصريح للمارشال أعلن فيه استعداد الصين لوضع ثمانية ملايين جندي لأهداف

الحرب المشتركة ولضمان النصر على اليابان. وقد ذكر أن من أهداف مجيء المارشال إلى الهند اجتماعه مع الزعيم الهندي نهرو رئيس المؤتمر الوطني الكبير والتفاهم معه، ولعل هذا هو الهدف الرئيسي للزيارة. وقد ذكرت البرقيات أن الزعيم الهندي جاء الى نيودلهي لزيارة المارشال. والإنكليز يعلقون أهمية عظيمة على الهند وتعاونها معهم في الموقف، ولكنهم لم ينجحوا إلى الآن في التأثير عليهم وحملهم على التعامل معهم قلبيا وجديّا، فلجأوا على ما يظن إلى المارشال لعله ينجح في ما أخفقوا فيه. ولا ندري هل يستطيع المارشال ذلك أم هل بقي وقت كافٍ للنجاح، وقد أصبح اليابانيون في أراضي الهند، وجرف تيارهم قوة الإنكليز في الشرق الأقصى، وأصبحوا سادة البحر في هذا الشرق وفي بحر الهند أيضاً. هذا من جهة، ومن جهة ثانية إن الإنكليز قد عقّدوا قضية الهند ورسّخوا الخلاف بين الهندوس والمسلمين تعقيداً وترسيخاً من الصعب حلّه وزحزحته في وقت قصير وبصورة مرضية. وكان لذلك أثر سلبي في نفوس الهندوس الأكثرية العظمى التي يتزعمها نهرو. . . وقد قرأنا في الصحف التركية أن البرلمان الإنكليزي مسّ هذه النقطة في مناقشاته. وأشير إلى أن إهمال حل قضية الهند جعل بريطانية تواجهة موقفاً خطيراً الآن. وحال دون نجاحها في تجهيز قوات كافية تساعد على مواجهة هذا الموقف. وقيل فيما قيل أن إنكلترا كانت وما زالت مستعدّة للتفاهم مع الهنود لو أمكن للهنود أن يتفاهموا فيما بينهم، مع أن الإنكليز هم الذين وضعوا العقبات في سبيل هذا التفاهم جرياً على سياسة التفريق بين الفئات والطبقات والملل. . . ونهرو ذو ميول إشتراكية قوية، والإشتراكيون الآن وفي رأسهم روسية ضد المحور. وهذه نقطة في الموقف لصالح بريطانية وحلفائها، ولعل للزعيم رفاقاً كثيرين اشتراكيين مثله، ولهم تأثيرهم القوي على الشعب. وقد يجعلهم يميلون إلى جانب الديموقراطية ويثنيهم عن التعاون مع المحور الفاشي النازي. . . والمعركة بين الديموقراطية والفاشية هي سمة المعركة الحربية القائمة. ولكنا ما زلنا نعتقد أن الوقت لن يسمح بشيء يمر في هذا الميدان. وسنرى.

***

الخميس في 1942/2/19:

1 ـ سفر معظم القوميين العراقيين من الآستانة مع الدكتور محمد حسن:

أمس مساء سافر من الآستانة إلى أوروبا أو بالأحرى إلى ألمانيا أكثر العراقيين القوميين الموجودين فيها، وهم ناجي شوكة والدكتور محمد حسن سلمان، وهما من وزراء رشيد عالي، وكامل الكيلاني وهو أخو رشيد، وآخرون، وكلهم أو جلّهم أخذوا معهم أسرهم أيضاً. وقد رجوناهم وخاصة الدكتور محمد حسن الذي كانت صلتنا به في الآستانة أشد، وبرأينا فيه طيبة قلب ودماثة خلق حببتاه إلينا، بأن يطمئنونا بسرعة عن ما تم وما جرى، وأن ينقلوا مخاوفنا من التأخير في البت في القضية إلى رشيد والمفتي. ورجوت الدكتور أن يهتم للتقريب بين رشيد والمفتي من ناحية، وفوزي القاووقجي من ناحية أخرى، مثل ما رجوته من الشيخ حسن أبو السعود وشرحت أسبابه سابقا.

***

السبت 1942/2/21:

1 ـ حول مقابلة الدوتشي لرشيد عالي ومقابلة رشيد والمفتي للملك عمانويل:

أمس أذاعت محطة باري (إيطاليا) العربية خبر مقابلة رشيد عالي للدوتشي موسوليني، وخبر مقابلة رشيد عالي والمفتي معاً للملك عمانويل، وقالت أنه صدر بلاغ عن مقابلة رشيد للدوتشي، جاء فيه أنه جرت أبحاث حول مستقبل القضية العربية عامة والعراق خاصة والبلاد المحتلة من الانكليز أيضاً، ثم قالت المحطة (فليهنأ على ما لقيا من رعاية وعناية وعلى ما نالاه من تأييد لحقوق العرب في برلين وروما). وقد أوحى لنا هذا الخبر بهذه الصيغة أن مهمة رشيد والمفتي قد انتهت إلى نجاح. ولقد كان كامل الكيلاني تلقى منذ أيام كتاباً من أخيه رشيد في مناسبة سفره من برلين إلى روما قال له فيه فيما قال انهما ، أي هو والمفتي يسافران إلى روما لأنها المرحلة الأخيرة. ولقد كان جاء في كتاب من المفتي إلى إسحق، أنه يأمل أملاً كبيرا في الحصول على بعض النتائج الحسنة، وكان ذلك قبيل سفره إلى روما. فهذا يمكن أن يفيد أن المفتي ورشيد قد تفاهما على أسس حلول للقضية مع المقامات الألمانية، ثم أوعز لهما بالسفر إلى روما ليتفاهما على مثل هذه الأسس مع المقامات الطليانية، وأن هذا التفاهم قد تم هنا أيضاً ـ في روما ـ، ونرجو أن

يكون فيه الكفاية لضمان حقوق وآمال العرب، وأن لا يكون فيه ثغرات يكون منها خطر الدسائس والأساليب الإستعمارية التي بلوناها وعانينا منها ما عانينا من فرنسا وبريطانيا.

***

يوم الأربعاء 25 شباط 1942
8 صفر 1361 :

1 ـ أماكن نزهة جديدة زرناها لم نكتب عنها سابقاً:

أمس وأول أمس زرنا أماكن لم نكن زرناها في الآستانة، فقد خرجنا في مشوار أول أمس في طريق الشيشلي لأن الشمس كانت مشرقة بعد غياب وبرد ومطر وثلج دام أسبوعين، وظللنا نمشي حتى أشرفنا على قرية على هضاب، فسألنا عنها فقيل لنا أنها الكاغدخانه، وفي ذهننا ما كنا سمعناه صورة براقة عن نهر الكاغدخانه ومنتزهاته الربيعية. وفعلاً فقد لمحنا مياهاً ومجرى نهر الوادي، وصادفنا عربة حنتور[1] فركبناها وأخذتنا إلى قرار الوادي حتى رأينا مجرى النهر ومياهه المتدفقة قرب قصر كان منتزهاً للسلطان عبد العزيز، ووجدنا هناك مساحات مشجرة حديثاً وواسعة. وقيل لنا إن هذه الساحات تعج بالناس المتنزهين في أيام نزهة الكاغدخانه في الربيع.

وأمس ذهبنا إلى المحلة المسماة (جشمه ألتى) ومعناها عين الماء. وسميت كذلك بسبب وجود سيل ماء أنشأته والدة السلطان محمود بقبّة وزخرفة حجرية، ونقش عليها أبيات شعر عن إنشاء وتاريخ السيل. والمكان امتداد غلطه إلى ناحية الخليج من موقف قطار النفق (التونل).

---

(1) حنتور: عربة تقودها أحصنة.

2 ـ شيء عن جامع العرب الأثري في هذا المكان:

وقد شاهدنا من هذا المكان مسجداً أثرياً يعرف باسم (جامع العرب). وزرنا المسجد فإذا هو على غير طراز مساجد الآستانة. فليس هو مقبباً مثلها بل سقفه مستطيل ومستوٍ ومغطّى بالخشب المربّع ومنارته ليست مثل منارات مساجد الآستانة، مدورة ورفيعة، بل مربعة وضخمة نوعا ما. ومادة البناء ليست حجراً وإنما هي من الآجر المشوي، وكل ذلك أدلّة على قدم المسجد، بل المرجّح أنه بناء بيزنطي قبل الفتح العثماني. وأكثر البنايات القديمة هي من الآجر، وشاهدنا ذلك في أسوار الآستانة التي شاهدناها في أدرنة قبو. وآجر المسجد والمنارة من نوع آجر الأسوار. وفي المسجد حجر رخامي مستطيل منقوش عليه قصيدة تركية تشير إلى تاريخ هذا المسجد، وذكر في القصيدة أن مسلمة بن عبد الملك غزا الآستانة وحاصرها بضع سنين وأنشأ هذا المسجد، فلما انصرف عنها خربه الروم، ولما فتح محمد الفاتح الآستانة سنة 587 هـ أعاد بناءه. وقد قيل لنا أن على جدران المنارة رسوماً مسيحية وبيزانطية، فإذا كان خبر إنشاء مسلمة للمسجد صحيحاً، فلا يبعد أن يكون الروم حولوه إلى كنيسة. ولما فتح الفاتح العثماني الآستانة أعيد ثانية إلى مسجد. وخبر غزو مسلمة وحصاره الطويل مذكور في أكثر من مصدر عربي قديم. والشيء المشكوك فيه هو حصاره للآستانة من هذا القرب القريب، ومن على الشاطىء الأوروبي. على أننا لا نرى هذا أبداً، فالعرب غزوا الآستانة مرتين، مرة في زمن معاوية وأخرى في زمن الوليد. وقد جاؤا اليها على عمارة بحرية، فبعد أن يكونوا قد اجتازوا إلى بحر مرمره، يعقل أن يكونوا وصلوا أمام الآستانة وخرجوا إلى البر وحاصروا المدينة من الضفة الأوروبية. هذا، ولا يبعد بل الأرجح أن يكون البناء قد تقلبت عليه أدوار تخريب وإعمار في زمن البيزنطيين والعثمانيين ولكن طرازه الحاضر يدل على أن شكله الأخير قديم ولعله بيزانطي أيضا.

3 ـ شيء عن هذه المنطقة والجسرين اللذين فيها وأحواض السفن:

والطرق والمحلات والمساكن التي تقع في هذه المنطقة قذرة وموحلة وضيقة وبائسة، أكثرها ما زال خشبياً، والتجديد فيها قليل، إذا استثنينا شارعاً يؤدي إلى الجسر. ومما لفت نظرنا أن نساء هذه المنطقة يلبسن الملاءات السوداء القديمة ولكن بدون نقاب على الوجه. وقد سرنا من الشارع حتى وصلنا جسراً، وهذا الجسر هو جسر ثانٍ، مقام مثل الأول، على الخليج، وبينه وبين الأول مسافة لا تقل عن الكيلومتر. وكان خشبياً متداعياً خطراً فجدد وجعل مثل الأول في قوته وسعته وتعبيده وأرصفته. ولا فرق بين الاثنين إلا في خط الترامواي الذي يسير على الأول دون الثاني أولاً، وإلا في كون موانىء البواخر التي تسير في الخليج والبوغاز على الجسر الأول ثانياً. والأول أكثر ازدحاماً وحركة لأنه يصل بين قسمي المدينة العامرين التجاريين السيركة جي والغلطة، أما الحركة على الجسر الثاني فهي قليلة. ويوصل إلى جهات ميناء (ليمون) و(أصمه ألتي) أيضاً. وفي جوار هذا الجسر

قامت معامل الترسانة وتصليح السفن وأحواض هـذا التصليح، وهي في منطقة واسعة على شاطىء الخليج. ولم يتسن لنا الدخول إليها ومشاهدتها. وقد قيل لنا أن فيها ثلاثة أحواض داخلة إلى البر من الخليج لتصليح المراكب والبواخر كبيرها وصغيرها. وإن من الممكن إنشاء بواخر سعتها /1500/ طن في هـذه الأحواض والمعامل. وقد رأينا بعض البواخر الكبيرة في شاطيء المعامل للتصليح غالباً. ولمرور مثل هذه البواخر قد أنشيء الجسران على طريقة يمكن فتحهما، وقد شاهدنا على هذا الجسر الأقسام التي تفتح ودواليب الحديد التي تدور عليها الفتحات أو الأجنحة. ومما شاهدناه على رأس هذا الجسر - أي الجسر الثاني - مسجد (صقوللي محمد باشا)، وهـذا الباشا من وزراء الدولة العثمانية المشهورين في عهدها المتوسط. وقد أنشأ هذا المسجد سنة 985هـ ، ثم طرأ عليه خراب عظيم فأمر مصطفى كمال بتعميره مجدداً. فبدأ بذلك منذ خمس سنين، وقد قارب التعمير نهايته، وحوفظ على بعض أقسامه الداخلية، وما فيه من الكتابات والنقوش، ولكنه في الحقيقة يكاد يكون قد جدد تجديداً. وطرزه من طراز مساجد الآستانة، وكذلك طراز منارته. وقد أقيم على أقبية، فنشأ مرتفعاً عن الأرض مشرفاً على الخليج وعلى مدينة الآستانة. ومنظر المدينة من هذا المكان جميل، ويكاد المرء يحيط بها من الشرق إلى الغرب. ومما لفت نظرنا أن الكتابات التقليدية في المساجد قد كتبت أيضاً على جدران وسقف المسجد المجددة بالحروف العربية. فآية جميلة في وسط القبة، وأسماء الخلفاء والمبَشّرين بالجنة على أطرافها. وجملة (الصلاة عماد الدين) على الأبواب الجديدة الخشبية المكرنشة. وقد صنع لنوافد المسجد شبابيك زجاجية ملونة جميلة، ولكنها دون إتقان شبابيك المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.

4 - شيء عن الأسواق العامة الأسبوعية في الآستانة وأنحاء تركية الأخرى:

ومما كنا شاهدناه من مشاهد الآستانة وغفلنا عن ذكره الأسواق العامة المحلية التي تقام في أحياء المدينة. ففي كل حي من أحياء المدينة على ضفتي الخليج والبوغاز يقام في يوم معين من الأسبوع سوق أو بازار محلي تعرض فيه السلع والحاجات من كل نوع، من مأكول وملبوس وأدوات بيت في خط طويل امتدت على جانبيه الدكات الخشبية وصفت عليها السلع. فيأتي الناس وفي الغالب ذوو الحالات الرقيقة والمتوسطة إلى البازار في الأيام المعينة ويتسوقون حاجاتهم المتنوعة. وأسعار البازار تكون عادة أقل من أسعار المخازن الدائمة، وهـذه البازارات أشبه بأسواق بعض الأماكن عندنا في فلسطين، كسوق طولكرم وسوق اللد. ولا بد من أن تكون الأنحاء التركية تمارس هذه العادة بعد أن تكون أمّ مدنهم، الآستانة، تمارسها[1].

ومن غريب ما شاهدنا ملاعق الخشب تعرض في هذه البازارات، وقد ذهب عهدها عندنا من عشرات السنين.

(1) رأينا مصداق ذلك حينما انتقلنا في أوقات لاحقة، وأقمنا في بعض أنحاء الأناضول على ما سوف نذكره بعد.

5 ـ شيء عن بيوت الشعب في تركية وأهميتها التثقيفية والاجتماعية:

أقام حزب الشعب التركي (حزب الحكومة ويسمى بالتركية «خلق بارتيسي») احتفالات عديدة في أنقرة والآستانة وغيرهما من المدن المهمة بمناسبة مرور عشرة أعوام على تأسيس الأندية العامة التي تسمى «خلق إوى» ومعناها «بيت الشعب». وكتبت الصحف مقالات عديدة عن ما أدته هذه الأندية من خدمات في سبيل تثقيف الأفكار وتعويد الناس على الإجتماع والتآلف. وما ذكر في هذه المناسبة أن عدد هذه الأندية يبلغ الآن نحو (350)، وأنه يوجد في مركز كل قضاء تقريباً ناد من هذه الأندية، وأن عدد الذين ترددوا على هذه الأندية في مدى السنين العشر قد بلغ خمسين مليوناً. وهذه الأندية شبه رسمية وشبه حكومية، إذ لاحظنا أن حزب الشعب الذي يرعاها هو حزب رسمي حكومي، وأنه الحزب الوحيد في تركية، وأن رؤساءه هم رؤساء موظفي الدولة.

وليس من شك في أن فكرة هذه الأندية بديعة ومفيدة جداً، لا سيما في مثل تركية، وبلادنا مثلها، التي لم يعتد أهلها على إنشاء الأندية الخاصة أو العامة بكثرة وجدّ وتوسع. ولقد كان وما يزال من عوامل الارتباك عندنا عدم وجود أماكن عامة تقام فيها اجتماعاتنا العامة والشعبية والوطنية في المناسبات المتنوعة. وقد حلّت تركية هذه المشكلة بهذه الأندية التي أحدثتها وثبتتها في جميع أنحاء بلادها، وفتحتها للناس جميعاً وجهزتها بالكتب والصحف والمجلات وفي بعضها سينمات وفرق موسيقية وفنية متنوعة. وكل ما جاءت مناسبة من ذكرى وطنية أو سياسية أو قومية، وكل ما أريد دعوة الناس الى اجتماع ما لبحث فكرة ما، وكل ما أريد عقد اجتماعات حزبية للتشاور والمذاكرة، كانت هذه الأندية جاهزة لتسهيل الأمر. وتلقى فيها في المناسبات المتنوعة الخطب والمحاضرات المتنوعة لتثقيف الجمهور وتنويره. وهذه الأندية مما يجب علينا اقتباسه في جملة ما نقتبسه من ترقية في عهدنا الآتي إذا يسر الله لنا عهداً سعيداً جداً.

وفي هذه المناسبة نذكر أن بعض الإنكليز والأتراك في لندن فكّروا في إنشاء نادٍ تركي ـ إنكليزي باسم (بيت الشعب)، وهيأوه وأثثوه ودشنوا افتتاحه منذ أيام. وشهد حفلة الإفتتاح عدد غير قليل من كبار ورجال السياسة الإنكليز وفي مقدمتهم إيدن وزير الخارجية. وخطب في جملة من خطبوا، واغتنم الفرصة فنوّه بتركية وانقلابها والصداقة الوثيقة التي تربط بينها وبين بريطانيا. وقد كال الخطباء الآخرون المديح وصداقتها كيلاً.

وهذا النادي بهذا الاسم هو أول نادٍ من نوعه ينشأ في بلد أجنبي. ولا شك في أن الإنكليز جعلوا هذا وسيلة من وسائل الدعاية والتأثير والتدليل على الصداقة القوية التي تربطهم بالأتراك تزلفاً وتملقاً في هذه الظروف. والأتراك من ناحيتهم يرون في هذا عزة وزهواً فينقلونه شاكرين منوّهين. وهكذا تسمح ظروف العالم أن تتمتّع بمركز خطر، وأن تلقى هذا التدليل (من الدلال) والتزلف من الإنكليز، مع ما بين الطرفين من حوادث مؤسية لا تنسى.

6 ـ قنبلة في أنقرة ضد السفير الألماني:

في صباح يوم الثلاثاء الفائت، وقع في أنقرة حادث خطير. فقد كان سفير ألمانيا وزوجته يسيران معاً مشياً على الأقدام، فانفجر على بعد عشرة أمتار منهما قنبلة، وقد وقعا من تأثير الإنفجار على الأرض ولكن لم يصابا بأذى، وأصيبت فتاتان بجراح خفيفة كانتا قرب الإنفجار من الشظايا. ولكن شخصاً كان أشد قرباً تمزق إرباً إرباً، حتى لم يبق منه إلا قدماه. ورجح إلى أن هذا الممزّق هو حامل القنبلة أو ملقيها، وأن المقصود بها السفير، ويظهر أن يديه اضطربتا فانفلتت القنبلة عليه ومزقته. وكان لهذا الحادث وقع عظيم في تركية وألمانيا والبلاد الأجنبية الأخرى. وقد بادر وزير الخارجية التركية إلى السفارة الألمانية لسؤال خاطر السفير، وأرسل رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة مندوبين عنهما للسفارة لهذا الغرض. وقد أرسل هتلر ووزير خارجيته برقيات للسفير بتهنئته بالسلامة. وعلقت المحطات الألمانية فقالت أن هذا من ترتيب اليهود والإنكليز، وحاولت أن تربط بينه وبين حادث قنبلة (بيرا بالاس)[1] التي انفجرت في حقائب سفير بريطانية في بلغاريا الذي كان يزور الآستانة، وبينه وبين حادث قنبلة انفجرت في حقائب قنصل إنكلترة في طنجة قبل مدة ما. وليس من ريب في أن هذا الحادث قد أزعج الأتراك وأثار أسفهم. ومن المرجح أنه ترتيب إنكليزي يهودي شيوعي معاً. ولعل الانكليز الذين اعتقدوا أن قنبلتي بيرا بالاس وطنجة هما ترتيب ألماني، أرادوا أن يثأروا بهذا الحادث.

والغريب أنه منذ أيام قليلة نشرت بعض الصحف الإنكليزية كلاماً أرادت به أن تجعل علاقة بين حادثتي طنجة وبيرا بالاس، وقالت بأن علاقة الألمان بحادث بيرا بالاس قد ثبتت لدى السلطات التركية، فنشرت الصحف التركية برقية صادرة من أنقرة فيها نفي لهذا القول بصورة شبه رسمية. ولقد كان حادث القنبلة موضوع تعليقات دامت بضعة أيام في محطات إذاعة برلين وروما ولندن. وقد ذكرت الإذاعة التركية أن الحكومة في أنقره تقوم بالتحقيقات بكل جد في هذا الصدد. وسنرى ماذا تسفر عنه هذه التحقيقات.

7 ـ أخبار عن اعتقالات في فلسطين وسورية:

أذاعت محطة روما أن وزير الخارجية الإنكليزية صرح في مجلس العموم أن حكومة فلسطين اعتقلت بعض رجال من العرب بينهم ثلاثة من أقارب المفتي.. ولم نسمع شيئاً عن هذا من مصدر آخر. ولقد حدثنا قادم من حلب أن السلطات الإنكليزية اعتقلت الفلسطينيين الموجودين في حلب. ولا نستبعد أنها فعلت مثل ذلك في دمشق أيضاً. كما أننا لا نستبعد أن تكون قامت ببعض اعتقالات في فلسطين، فالإنكليز يحسبون ولا شك حساب الحركات الآتية، ويرون في كل فلسطيني خارج فلسطين نواة لحركة عدائية مسلحة ضدهم في فلسطين، كما أنهم يخشون من المجاهدين الذين تساهلوا معهم في السابق وتركوهم شبه أحرار في فلسطين. وقد اقترب موسم الحركات حول فلسطين وحول مصر، فيكونون قد قاموا بهذه الاعتقالات لقطع الطريق على التحركات الفلسطينية.

---

(1) بيرا بالاس: فندق فخم في أنقره.

8 ـ بروز الشخصية الإنكليزية الاحتلالية في سورية ولبنان:

ولقد أخبرنا هذا القادم فيما أخبرنا به أن الجنود الإفرنسيين يكادون ينفقدون في سورية ولبنان، وأن الشخصية الإنكليزية هي البارزة. وأن جميع موظفي المصالح المشتركة المراقبة والجوازات الخ. الذين كانوا إفرنسيين أصبحوا من الإنكليز، وأن غلاء المعيشة قد اشتد حتى بلغ كيلو الخبز العجين في حلب بخمسة وأربعين قرشاً. وقد قامت مظاهرات عديدة في أيام قليلة في حلب لطلب الخبز والشكوى من غلائه وفقدانه.

9 ـ عودة المارشال الصيني من الهند ونداؤه للهنود ولبريطانية:

عاد المارشال الصيني من الهند بعد إقامته مدة فيها على ما ذكرناه قبل، وأذاع نداء للهنود وآخر للإنكليز. وحث الهنود على التعاون مع بريطانية في سبيل الدفاع عن بلادهم ضد الغازي الجديد. وحث في الثاني الإنكليز على الإسراع إلى تطمين أفكار الهنود وتحقيق رغباتهم بدون تسويف ولا إطالة حتى يضمنوا مساعدتهم وإخلاصهم في الموقف الخطر. ولقد قرأنا تصريحاً لمحمد علي جناح رئيس الإتحاد الهندي الإسلامي، يفهم منه أن المسلمين ليسوا راضين عن الأسلوب الذي اصطنعه المارشال الصيني في اتصالاته ومساعيه. وأن المارشال كان إلى جانب حل قضية الهند وفقاً لرغبات المؤتمر الهندي، في بناء الهند وحدة واحدة. وبعبارة أخرى إن المارشال الصيني لم يستطع أو لم يسر في طريق أو مشروع فيه إرضاء للمسلمين والهنود في وقت واحد. وأن العقدة ظلت على حالتها.

ولقد جرت مناقشات في مجلس العموم الإنكليزي حول موقف الهند وقضيتها، وقال كريبس أن الحكومة البريطانية أخذت تعني عناية شديدة بهذه القضية وتعمل على حلها بصورة مرضية. وقد يكون هناك رغبة في بريطانية الآن في إيجاد شكل مرضٍ مطمئن، ولكنا نشك في أن يكون الوقت لم يفت، أو أن يكون الإمكان ميسوراً لإيجاد هذا الشكل في لحظة ضيقة حرجة بعد أن تعقدت قضية الهند هذا التعقيد والمسؤول عنه الإنكليز قبل كل أحد.

ومما يحسن الإشارة اليه أن الصحف الإنكليزية والأميركية أخذت تبدي اهتماماً وقلقاً أشد من ذي قبل إزاء الموقف في الهند، وتشدد على وجوب إيجاد شكل للحل يكسب به قلوب الهنود. وقد سأل الصحفيون الأميركان روزفلت عن ذلك فلم يستطع أن يقول إلا أنه يفضل عدم التدخل في أمر يعني دولة أخرى.. ونتساءل نحن عن هذه المبادىء التي ملأوا بها الدنيا من حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومن حرية العالم التي يدافعون عنها. وهذا رأس الهاتفين بذلك لا يستطيع أن يفعل أو يقول شيئاً في صدد شعب عظيم راضخ لنير الظلم والإستعمار منذ مئات السنين ويطالب بحريته وحقه في وقت شديد الخطورة. فما يكون موقفه وموقف زملائه بعد أن تضع الحرب أوزارها ويكتب النصر لهم.

ولقد قيل فيما قيل أن من أغراض زيارة المارشال الصيني للهند إيجاد طرق جديدة لنقل المدد الحربي، بعد أن أوشكت طريق بورما أن تنغلق نهائياً. وقيل أنه وجد طريقين صالحين لم

ينشر مداهما. . وقد قرأنا للقائد التركي علي إحسان مقالاً أوضح فيه تعذر إيجاد طرق ما، لأن بين الهند والصين جبال شاهقة منيعة لا يستطيع البغل أن يمر فيها، وأن فتح طريق للسيارات فيها يكاد يكون مستحيلاً.

***

الثلاثاء

3 مارس 1942 :

1 ـ بيان قوي من محطة سرية لزعيم هندي ضد الانكليز :

أول أمس أذاعت محطة روما ملخص بيان قوي أذاعه أحد زعماء الهند من محطة إذاعة سرية في الهند على الشعب الهندي يحرضه ضد بريطانية ويقوي من أعصابهم ويشرح بقرب انهيارها ونيل الهنود حريتهم واستقلالهم، ويدعوهم إلى اعتبار كل صديق لبريطانية عدواً لهم وكل عدو لها صديقاً لهم. وقال فيما قال إذا كان من الممكن أن ينقلب عدو بريطانية صديقاً لها أو أن تنقلب بريطانية من عدائها لأحد إلى الصداقة لها فإنه ليس أمام الهنود إلا موقف واحد وهو العداء الأبدي الشديد لبريطانية دون ما تحول ولا تبدل، لما كان منها من الظلم والعسف والتلاعب. وليس أمام الهنود الا مطلب واحد هو إنهاء بريطانية نهائياً وزوال ظلها عن الهند.

وقد جاء هذا النداء في وقت كان المارشال الصيني يبذل مساعيه في سبيل تأليف قلوب الهنود حول بريطانية. وطبيعي أن يكون هذا النداء موجهاً في ذات الوقت ضد المارشال ومؤيداً للاتجاه نحو اليابان. ونحن لا نشك في أن العداء ضد الإنكليز قوي وعام في الهنود عامة. وإذا كان شعبنا لم يبتل بالإنكليز إلا من مدة قريبة، وصار يشعر بالعداء الشديد في مختلف المناسبات والميول، فإن من الطبيعي

أن يكون أعم وأقوى في نفوس الهنود الذين ابتلوا بظلم وعسف واستثمار واستغلال الإنكليز منذ عشرات السنين (بل صارت مئات)، والذين كان بينهم وبينهم من الحوادث القاسية ما لا ينسى.

ولقد قلنا أن النداء أذيع من محطة سرية. ولا نستبعد أن تكون من ترتيب اليابانيين واتفاقهم مع بعض العناصر الشديدة العداء والتطرف للإنكليز.

2 ـ تحركات ذات مغزى للجيوش الروسية والإنكليزية في العراق وإيران:

أخبرنا قادمون من العراق أن الجيش الإنكليزي يتحشد في اتجاه البصرة، وأن الجيش الروسي يتحشد في اتجاه رواندز العراقية من الشمال المتاخمة لإيران، وأنه يقال أن الإنكليز يريدون سحب قواهم من العراق وإرسالها إلى الهند، وإقامة الجيش الروسي مقامها لأجل الدفاع عن العراق. وأن هذا مما يريد الإنكليز أن يفعلوا بالنسبة لإيران، حيث يسحبون أيضاً جيوشهم منها ويجعلون الروس منفردين في احتلال إيران. ولا ندري مبلغ ما في هذا الخبر من الصحة، غير أن استقالة وزارة إيران وهي وزارة موالية وخاضعة للإنكليز لم تعلل إلى الآن بأي تعليل، وقد تكون هذه الاستقالة بسبب ما لمحته من عزيمة بريطانية. وقد أرسل الشاه زوجته (أخت الملك فاروق) إلى مصر قبل هذه الاستقالة بيوم أو يومين. وقد ترتبط هذه الأخبار ببعضها وتجعل احتمال هذه الخطة وارداً. والخطة خطيرة بالنسبة لبريطانية وبلاد العرب وللروس معاً وذات مدى عظيم متنوع أو مختلف المدى لكل من الأطراف الأربعة (الإنكليز والروس وإيران، والعراق ـ العرب). ولقد تردد في الصحف منذ أيام أن روسية تطمع فيما تطمع فيه أن تستولي على خليج البصرة، وهذا يعني أنها تطمع في جعل بلاد إيران وبلاد العراق ضمن منطقة نفوذها أو استيلائها.. وتترقب تطور الأحداث وانكشاف مدى هذه الخطة وما فيها من احتمالات خطيرة.

ومهما يكن من أمر فإن مما لا شبهة فيه أن الإنكليز الآن في أشد المواقف حرجاً، وهم في أشد الحاجة إلى جند يدافع عن الهند أمام الزحف المرتقب. وقد أثبتت الحوادث أنه ليس للإنكليز قوات كافية في الشرق الأقصى، وليس لهم القدرة على إيجاد وإيصال قوات جديدة. ولعلهم يكونون مضطرين فعلاً إلى سحب قواتهم من إيران والعراق وإرسالها إلى الهند لسد شيء من الثغرة، ولا سيما أنهم يئسوا فيما يظهر من الهنود ومساعدتهم العسكرية. ومما يدل على هذا تعويلهم على الصين في الحروب القائمة الآن في بورما، وقد أرسل الصينيون فعلاً بضع فرق لتحارب إلى جانب القوات الإنكليزية. غير أن الظاهر أن هذا لن يستطيع الوقوف أمام الزحف الياباني الذي قال الإنكليز أنفسهم أنه في نحو ثلاثين فرقة.

3 ـ غرق باخرة محملة يهودا وبعض حوادث أخرى تتصل باليهود في تركية:

ومن الحوادث المهمة غرق باخرة في البحر الأسود تحمل سبعمائة يهودي، وقيل أنها

أغرقت من قبل غواصة أيضاً. ولهذه الباخرة قصة طريفة، وهي أن يهوداً من بلغاريا ورومانيا استأجروها سراً وركبوها فارين من بلغاريا ورومانيا بسبب ما يجري في البلدين من تشديد على اليهود. وجاءت الباخرة بهم إلى الآستانة وألقت مراسيها على ساحلها. وأخذوا يحاولون التسلل عن طريق تركية إلى فلسطين. وبادرت السلطات التركية لمنع ذلك وشددت عليهم وأمرتهم بمغادرة مياهها. فعمدوا أولاً إلى إحداث تعطيل في الباخرة لإطالة إقامتهم بحجة التعمير والإصلاح، وظلوا على هذا الحال شهرين. وحرّضت السلطات التركية أثناء ذلك بعض الدول بواسطة السفراء الموافقة على ذهابهم إلى بلادها وإقامتهم فيها، فلم يرض أي سفير أن يحمل المهمة ويبلغها لحكومته، وحينئذٍ أصرت السلطات التركية عليهم بالإقلاع من مياهها والذهاب حيث شاؤوا. ولم يكن لهم بد من الإنصياع فأقلعوا بباخرتهم، فلم تلبث أن لاقت قدرها في البحر حيث أطلقت عليها النار وأغرقت بمن فيها. ولم تذكر الأخبار ما إذا كان أمكن إنقاذ أحد منهم.

وعلى ذكر اليهود نسجل أننا شهدنا في هذا الأسبوع حادثين في صددهم. الأول محاكمة بعض يهود كانوا دخلوا بجوازات مزورة وفي حوزتهم أوراق نقدية إنكليزية مزورة أيضاً. وقد حكم على بعضهم بالسجن ثلاث سنين مع غرامة، وعلى بعضهم بأقل من ذلك. والحادث الثاني نبذه في جريدة تركية اسمها (أوللوس) كتبها كاتبها في مناسبة حكم على يهودي بالنفي في قضية احتكار غذائي. وفي النبذة حملة شديدة عنيفة ضد اليهود، وجعل الكاتب الحكم وسيلة لها. فأشار إلى ما يمثله اليهود من أدوار شنيعة في مص دماء الشعب التركي والكيد له والتلاعب به، وأشار إلى ما حل باليهود بسبب ذلك في ألمانيا وبلغاريا ورومانيا وروسيا، وكيف طوردوا وطردوا منها أشد مطاردة وطرد. وكيف يحاولون إنشاء دولة يهودية في أرض فلسطين، وكيف أنهم يخونون البلاد التركية التي وجدوا فيها الأمن والطمأنينة والسلام الخ..

وليس من شك في أن هذا إنما يعبر عن ذهنية الشعب التركي نحو اليهود، وما يكنه العالم نحوهم من كره شديد بسبب هذا الامتصاص والتحايل والتلاعب الذي يقع منهم ضد الشعوب التي يعيشون بينها.

***

||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||

الثلاثاء 10/3/1942
21 صفر 1361:

1 ـ تعليق على اشتراك كريبس الشيوعي الإنكليزي في الوزارة البريطانية ونشاطه:

ما يزال كريبس الإنكليزي الشيوعي ودخوله في الوزارة البريطانية موضوع تعليق الإذاعات والصحف المحورية، وترمي إلى إثارة مخاوف أوروبا من توطد الشيوعية في بريطانية وأميركا وتعاونهما مع روسية على تسويدها على أوروبا والعالم. وكريبس من ناحية ما يزال يجلب إليه الأنصار في منطقه وفي قوة شخصيته. وقد أخذت صحف انكلترة وأميركا تنعته برجل الساعة وتنظر إليه كخلف لتشرشل في رئاسة الوزارة. فإذا تحقق هذا في ظرف آت فتكون التوجسات المحورية قد قويت، ويكون ذلك فعلاً بدء تحول خطير في السياسة والذهنية الإنكليزية له أثر ودلالة اليوم أكثر بكثير مما كان، لاستلام حزب العمال الحكم برئاسة مكدونالد قبل أكثر من عشر سنين، لأن كريبس شيوعي من جهة، وتضامنه مع روسية الشيوعية وثيق وظاهر من جهة ثانية. فالتحول ليرأس الوزارة أقوى وأظهر، لأنه يأتي بقوة ظروف السياسة الخارجية والحرب. على أني استبعد جداً ذلك، لما هو معروف من المزاج الإنكليزي.

2 ـ في صدد حل القضية الهندية بين الهنود والانكليز:

أخذ موضوع القضية الهندية وحلّها يدخل ضمن البحث العملي في انكلترة، وكريبس يجلب الأنصار إلى شخصيته في هذا الموضوع. وقد صرح أن هذا الموضوع من أهم مشاغل الحكومة البريطانية الآن، وانها عما قريب ستصدر تصريحاً خطيراً عنه. وقرأنا أمس في الصحف التركية أن المجلس التشريعي الهندي قرر المطالبة بإنشاء حكومة وطنية مستقلة واستلامها فوراً مقاليد الحكم في البلاد. وهذا المجلس رسمي، وهو من أجهزة الحكم الراهن في الهند. فالسماح له أو السكوت عن قراره ذو مغزى كبير في صدد قرب حل القضية الهندية.

ومن الجدير بالتسجيل أن الجمعية الإسلامية في الهند أبرقت للحكومة البريطانية تناشدها أن لا تحدث أية تغييرات دستورية فيها إجحاف بحقوق مسلمي الهند.

والمعروف أن المسلمين لا يرغبون أو لا يوافقون على قيام حكومة هندية مركزية، لأنهم يكونون فيها في موقف الأقلية التابعة للأكثرية، والرازحة تحت تأثيرها. والظاهر أن الوضع الدستوري الراهن يضمن لهم بعض الإمتيازات في هذا الصدد. وهذه البرقيات كذلك مما قد يدل على أن موضوع حل القضية الهندية هو قيد الدرس والتنفيذ...

3 ـ بيان عن تحقيقات السلطات التركية بصدد قنبلة أنقرة:

أصدرت الحكومة التركية بياناً رسمياً بما وصلت إليه تحقيقاتها في حادث قنبلة أنقرة،

ويفهم منه أن الذي كان يحملها شيوعي تركي أو ألباني أو بشناقي جاء من أسكوب من بلاد يوغوسلافية تركية، وتجنس بالجنسية التركية كمهاجر منذ ستة أشهر وأن له رفاقاً شيوعيين من وطنه تجنسوا هم الآخرون بالجنسية التركية، وأنهم تآمروا مع بعض الأجانب المقيمين في الآستانة على اغتيال شخصيتين سياسيتين أجنبيتين، وأن الحكومة اعتقلت شركاءه المتجنسين في أنقرة، وتجري التحقيقات في حق الأجانب المندمجين في المؤامرة، ولا يبعد أن تكون الشخصية السياسية الثانية السفير الطلياني ما دامت الأولىٰ هي السفير الألماني.

وكانت إذاعة روما أذاعت أن السلطات التركية أبعدت الصحفيين، وأنها في سياق تحرياتها عثرت مع بعضهم على مناشير ضد هتلر...

4 ـ حديث للمفتي من محطة روما:

أذاعت محطة روما نص حديث أدلى به المفتي لأحد الصحفيين، وهو حديث قوي في عبارته ومضمونه، ذكر فيه آمال العرب وتضحياتهم وجهادهم في سبيل الاستقلال والحرية والوحدة. وذكر ما كان من اتفاق العرب مع الإنكليز في الحرب العالمية الأولىٰ لتحقيق ذلك، فلما نكث الإنكليز وحلفاؤهم في عهودهم لهم ثاروا ضدهم، وأنهم منذ عشرين سنة وهم في ثورات متتابعة ونضال قوي. وقال فيما قاله أن العرب بقدر ما هم أوفياء لعهودهم هم من أشد الأمم شكيمة وإباء للإستخذاء وقبول الاستعمار. وأنهم لن يهدأ لهم قرار حتى يحققوا حريتهم واستقلالهم ووحدتهم. ونوه في حديثه بتأثير الأمة العربية في العالم الإسلامي.

وقال أنهم مستعدون للتعاون مع دول المحور على أساس الاعتراف بحريتهم ووحدتهم واستقلالهم وتبادل المنافع، وأنهم مستعدون لبذل كل تضحيةً في هذا السبيل.

5 ـ حول أخبار الإخوان وسفرهم إلى أوروبا:

وفي هذه المناسبة نسجل أنه لم يصل إلينا شيء عن ما وصل إليه أمر المفاوضات والتعاقد، وقد علمنا أن رشيد عالي أرسل إلى أخيه في صوفية خبراً ليوافيه مع الأسرة إلى روما. وأن يحضر إلى روما كذلك كل من ناجي شوكة والدكتور محمد حسن سلمان، وهؤلاء ما يزالون في صوفية. وعلمنا كذلك أن المفتي أرسل خبراً للشيخ حسن أبي السعود وواصف كمال وموسى عبد الله الحسيني ليوافوه إلى روما أيضاً، وهم ما يزالون في صوفية. وهذا يعني أن رشيد والمفتي سيطيلان إقامتهما في روما مدة غير يسيرة. ولسنا ندري هل هذا بسبب الطقس، لأن برلين شديدة البرد وطقس روما أخف، أم أنهم لم ينتهوا من العمل الذي جاؤوا من أجله. وقد أرسلنا كتاباً إلى المفتي نطلب منه التطمين، ولم يرد منه جواب إلى الآن. وجاء من الشيخ حسن كتاب من صوفية قال فيه أنه فهم أن الجماعة قد وفقوا إلى مهمتهم في برلين، ثم ذهبوا إلى روما لاتمامها هناك.

6 ـ زيارتنا لمكتبة بايزيد:

يوم الخميس ذهبنا إلى منطقة بايزيد التي فيها مسجد عظيم بهذا الاسم، وفي جواره مكتبة مسماة بمكتبة بايزيد. وقد زرنا المكتبة وفيها خزائن كتب، ربما بلغ عدد ما فيها من

مجلدات خمسة عشر ألفاً، منها المخطوط ومنها المطبوع. وقد تصفحنا فهرستها بالحروف العربية، فعلمنا أن بين الكتب كثيراً من كتب الفقه والتاريخ والجغرافية والفلسفة والتراجم والتفسير والحديث وغير ذلك، وجميعها بالحروف العربية، وكثير منها باللغة العربية. وقد سألنا القيم عن ما إذا كان يمكننا الاطلاع على بعض المخطوطات، فقال أن أكثر المخطوطات نقل إلى متحف طوب قبو، بل قال أن كثيراً من الكتب المطبوعة بالحروف العربية من تركية وعربية نقل أيضاً إلى ذلك المتحف. وللمكتبة قاعة مطالعة واسعة وجدناها غاصة بالقارئين من طلاب كليات الجامعة القريبة من المكتبة.

7 ـ حوانيت الكتب جوار جامع بايزيد:

ولقد دخلنا في سوق ضيق ملاصق لجدار جامع بايزيد يكاد يكون منحصرا لباعة الكتب وخاصة الكتب العربية والتركية بالحروف العربية. غير أن حوانيت الباعة مشوشة تشويشاً عجيباً يتعذر معه على الزائر أن يقع على ما يريد بمجرد الطلب، ويضطر إلى التحري وتقليب الكتب من رفوفها. ومنظر هذه الكتب وحوانيتها وباعتها مما يثير المرارة والحزن في نفس العربي، لأنها تعلن عاقبة مريرة للآثار العربية لغة وحروفاً، وتظهر أنها كادت تصبح من الآثار العتيقة البالية المحتوم عليها الإندثار والزوال، بعد أن لمعت وسطعت قروناً في هذه المدينة العظيمة. وبعد أن بذل علماء الترك في سبيلها جهوداً عظيمة، من دلائلها ترجمة كثير من المؤلفات العربية الكبيرة من العربية إلى التركية، ومن ذلك القاموس للفيروز آبادي وتاريخ ابن خلدون وتاريخ الطبري وتفسيره وغيره وغيره.

8 ـ دار الآثار التركية الإسلامية:

وفي جولتنا هذه زرنا مكاناً إسمه (دار الآثار التركية الإسلامية)، في أحد الأبنية أو المدارس التابعة لجامع السلطان سليمان المعروف بالسليمانية. وكنت سابقاً حاولت زيارة هذا المكان، فقيل لي أن الزيارة متعذرة بسبب التعميرات الجارية فيه. وهذا الجواب صار تقليدياً على ألسنة قيّمي مثل هذه الأماكن المهمة على ما ذكرناه سابقاً. ولقد كنا استطعنا أن نحصل على كتاب توصية من أحد أصدقاء مدير هذه الدار فنفعتنا في فتح الباب والدخول دون أن يجدينا ذلك نفعاً موضوعياً، لأن قسماً كبيراً من موجودات الدار قد أُرسل فعلاً للأناضول لحفظها، وقسماً آخر وضع في صناديق معدة للشحن عند الضرورة والخطر أيضاً، ولم يبق معروضاً في الدار إلا لوحات الخطوط العربية المتنوعة النماذج وبعض الحجارة المحفور عليها بعض التواريخ والآيات والأسماء والعناوين. وقد تمتعنا مع ذلك بمنظر رائع من هذه الخطوط الجميلة المكتوبة بأيدي كبار الخطاطين الترك ومشهوريهم. وفيها نماذج متنوعة للطغراء[1] السلطانية من لدن السلطان سليمان إلى آخر السلاطين. والحق أن فن الخط قد ترقّى عند الأتراك رقياً كبيراً، ونبغ فيه أشخاص بارعون تركوا آثاراً فنية رائعة..

ولقد قلت لمدير الدار الذي تجول معنا أنه كان من الضروري أن لا يندثر هذا الفن الجميل، فأجابني أنه أدخل في منهج دراسة

(1) الطغراء: سعار السلطان اسماً ولبساً وألقاباً.

كلية الآداب مادّة (الخط الفني)، وأن هذا الفن سيبقى محفوظاً موجوداً. وسألته عما إذا كان سيبقى محصوراً في فئة قليلة من الناس، فأجابني أن المرء حريص على ما صنع. ومعنى هذا أن الحرف العربي ولا سيما قواعد الخط الفنية الجميلة ما زالت معنياً بها من الكثيرين. وفي هذا شيء من العزاء إن كان ثمة عزاء.

وهذا المدير شيخ طاعن في السن ولكنه حاضر البديهة مطلع على اللغة العربية وآدابها وتاريخها، كما أنه متعمق في اللغة التركية وآدابها وتاريخها أيضاً. وقد لمست فيه تعصباً عجيباً للغة التركية يكاد يخرج عن نطاق الإنصاف والمنطق، ويدخله في نطاق العبث والمفارقة. فقد حاول في سياق أحاديثنا إلى إرجاع بعض كلمات عربية وردت في القرآن الكريم إلى أصل تركي... مثل كلمة (الصواع)، فقد أخذ من كون معناها قدح الماء أو إناء الماء، وسبيله للقول أن هذا المعنى قد جاء من مقطع (صو) التركي الذي في أول الكلمة والذي معناه (الماء). أو حاول أن يرجع كلمة (آرّ) العربية الى التركية لأنها تتحد في المادة مع كلمة (ار) التركية، واتخذ من معاني (آر) العربية الجماع حجّة على محاولته، على اعتبار أن هذا المعنى يتصل بسبب ما مع معنى كلمة (أر) التركية الذي هو (الرجل). وهذا نموذج من تعصب رجال الأتراك اليوم للغتهم وتاريخهم. وإذا فرضنا أن سنّ هذا الرجل كان خمسة وثلاثين حين إعلان الدستور سنة (1908) استطعنا أن نرى نموذجاً من الأتراك الذين حملوا علم الطورانية بعد إعلان الدستور. وتنطع هذا الشيخ ومحاولته مشابهتان لتنطع بعض متخذلقة العرب أو متعصبيهم الذين حاولوا جَدّاً أو مزاحاً رد كلمة (ارناؤط) إلى جملة (عار أن نعود..).

9 ـ عمارة كلية الفنون وما كان من عزها كقصر لحفيدة محمد علي باشا:

شب حريق منذ أيام في بناية كلية الفنون في منطقة بايزيد. وقد كتب الكتّاب في سياق ذلك مقالات، ومما ذكروا فيها أن لهذه البناية تاريخاً معروفاً في أواسط استانبول الأرستقراطية، وأنها تعرف بقصر زينب خانم وهي حفيدة محمد علي باشا والي مصر. وقد ذهبتُ إلى هذا المكان في جولتي، وظهر لي أن البناية قصر عظيم من ثلاث طبقات، جدرانها من حجر وآجر، وتقسيماتها خشب، والحريق دبّ في هذه التقسيمات وكان سبب تدمير البناية، ولكن جدرانها ظلت قائمة. ومن الطرائف أن يوجد على أعلى واجهتها في الوسط رخامة محفور عليها بالحروف العربية المذهبة (فاللّه خير حافظا)، وأن هذه الكتابة لم تصب بأي أثر من الحريق حتى ولا دخانه الذي تصاعد الى عنان السماء، وظلت الكتابة لامعة براقة. ومما جاء في الكتابات التي كتبت عن هذا القصر أنه كان ذا أبهة، وكان ينفق عليه نفقات طائلة، وكان يعيش فيه وزير اسمه كامل باشا من الأسرة الخديوية. وأن هذا القصر كان مزاراً للمتفرجين ومزدحم أقدام الوافدين من مختلف البلاد والطبقات. وأنه كان في اسطبلاته خمس وعشرون عربة لنقل الضيوف منه واليه، وأنه كان في مطبخه ثلاثون طباخاً أصلياً عدا المساعدين والمتخصصين في الحلويات، وأنه كان ينفق على المطبخ والضيوف في الشهر ثمانية آلاف ليرة ذهبية، وأنه كان في خزائن قاعات الطعام

أدوات سفرة ذهبية تامة العدد في جملة ما فيها من الأدوات.

ومن القصص الطريفة التي ذكرت في سياقه أن السلطان عبد العزيز كان اعتاد في رمضان أن يختار بعض بيوت كبار رجاله، فيذهب مفاجأة إليه لتناول الإفطار ويأمر بإرسال الطعام من المطابخ السلطانية خشية أن لا يكون أصحاب البيت مستعدين للمفاجأة المحرجة، وأن فاجأ هذا القصر يوماً في رمضان قبيل الإفطار، وكان كامل باشا في المسجد، فأرسلوا إليه خبراً فجاء على عجل، وأمر بإعداد إفطار ضخم وإعداد الأواني الذهبية. ولما جاء السلطان اندهش مما رأى، وأوعز لحجابه بأن لا يحضروا الطعام الذي كان أمر بإعداده من المطابخ السلطانية. وأن كامل باشا قدم للسلطان في مناسبة مفاجأته السعيدة مسبحة من لؤلؤ كبيرة الحبات ومصحفاً مرصعاً بالأحجار الكريمة...

10 ـ بيان إفرنسي عن اعتقالات في سورية:

وصلتنا اليوم صحف من سورية، وقد قرأنا في جريدة الإنشاء عدد الأحد الأول من آذار بلاغاً رسمياً بعنوان: (بلاغ رسمي بمناسبة الإعتقالات)، وذكرت الصحيفة أن البلاغ تلي على الصحافيين الذين دعوا من قبل الجنرال كوله مندوب فرنسة في سورية. وأنه كان يجلس إلى جانب هذا المندوب المندوب الإنكليزي أيضاً. وجاء في البيان أن كوله أحضر المندوب الإنكليزي قصداً للتدليل بالبرهان العملي على أن السلطات الإنكليزية والإفرنسية متفقتان تمام الإتفاق. ثم جاء في البيان: أنه منذ مدة والشائعات تدور في البلد عن خلاف بين السلطتين، وعن ضعف قوات الحلفاء في البلاد، وعن احتمال انهيارها، وأن بعض الأشخاص قاموا برحلات صاخبة لأجل لفت الأنظار، وأشاعوا إشاعات عديدة عن اتصالاتهم ببعض السلطات الحليفة ـ ويقصد بها الإنكليز ـ، وعن تفاهمهم معها واعتمادهم عليها، وأنه قد عقد عدة اجتماعات في هذه الأيام بوسيلة مسائل الإعاشة، وبث في هذه المناسبة شائعات كاذبة وبسوء نية. وأن سلطات الدرك الإفرنسي بالإشتراك مع قوات الأمن العام الإنكليزية قد قامت ليلة الأحد باعتقال بعض الذين ثبتت أصابعهم في هذه الإشاعات والتحركات، ودلت الدلائل على أنهم يعملون بما يتلقونه من تعليمات في روما وبرلين. وأنه يوجد أناس آخرون أيضاً لم يعتقلوا، وأنهم سوف يعتقلون أيضاً إذا لم يرعووا... وأن المعتقلين سيرسلون إلى معسكر الإعتقال ليظلوا فيه طيلة الحرب، وأن قوى فرنسة الحرة وبريطانية جاءت إلى هذه البلاد لتحول دون استقرار قوى المحور فيها، وأنها ستدافع عن سلامتها الخارجية وأمنها الداخلي بكل قوة. وأن الذين يظنون أنهم في استطاعتهم مضادة إحدى القوتين المتحالفتين سيجدون الثانية في طريقهم. وأن قوى الحلفاء لا تريد إلا الخير والرفاه لبلاد العرب وخاصة لسورية، وأنها باذلة كل جهد لتأمين وسائل إعاشتها بالتعاون مع الحكومة، وأن هذه البلاد لم تصب بما أصيبت به البلاد المتحاربة من ضيق وجوع...

11 ـ تعليق وتخمينات:

ومعنى هذا كله أن السلطات الإفرنسة

والإنكليـزيـة اعتقلت عـدداً غيـر قليـل من الـوطنيين، حتى رأت ضرورة إلى تـلاوة هـذا البيان على الصحفيين ونشره في الصحف مـع الوعيد، ومع توكيد الإتفاق التام بين السلطتين الإفـرنسية والإنكليـزية. . . ومعنـاه بالتـالي أن الحالة في سورية مضطربة مقلقلة، وأن الناس هناك مستهترون بالسلطات الإفرنسية ومعتقدون أن الإفرنسيين قد تقوض كيانهم، وأن الدعايات الإنكليزية تبث بين الناس ضد الإفرنسيين، وأن رجـال السلطات الإنكليـزيـة يفتحـون آذانهم وأبوابهم سراً وعلناً للمراجعات والمحادثات. . وليس في عدد الصحيفة أسماء. والذي نرجحه أن المعتقلين هم من الكتلة الوطنية، فـالشيخ تاج وبهيج الخـطيب هما أشـد أعداء الكتلة، فمن الطبيعي أن يستغلا كل موقف للقضاء عليها وتشريد رجالها. ونرجح أن المعنيّ بالذين قاموا بـرحلات صـاخبة جميـل مردم، لأن الصحف كانت ذكرت أنه سافر إلى فلسطين ومصر. . . ولعله اتصل فيهما برجال الإنكليز، وحاول أن يلعب دوراً معهم لإسقاط الشيخ تـاج وبهيج، ولإفهامهم أن البلاد معهم وأنه آن لها أن تنهي علاقتها مـع الإفرنسيين الـخ. ثم رجع وانبثت الشائعات عن نشـاطه واتصـالاته، وعن قـرب تبدل في الموقف يكون هو رجله. . .

وشدة وقوة وغضب البيان يدل على ما كان لكل ذلك في نفسية الإفرنسيين. ولا أستبعد أن يكون جميل من جملة المعتقلين. .

وما قلناه من اعتقاد الناس بتقوض الإفرنسيين في سـوريـة شيء ملمـوس أخبـرنـا بـه بعض القادمين منذ أيام. وقد ذكروا لنا أن أكثر القوات الإفرنسية سيقت إلى جبهة ليبية، وأن عدداً كبيراً منهـا أصيب فيهـا قتـلاً وأسـراً وجـرحـاً. وأن الإنكليز هم البارزون في انحاء سورية ولبنان. وأن أكثر المراكز التي كانت مشغولة بالموظفين انتقلت الى أيدي الإنكليز. ولا نشك في أنهم يهيئـون الأفكار ليكـونوا في سـوريـة بـدلاً من الإفرنسيين الذيْن إنما يتخذونهم ستـاراً وممثلاً للموقف الحزبي والسياسي العام العالمي.

وقد سجلنا كثيراً من المظاهر التي تدل على هذا، والتي نقلها لنـا قادمـون من سوريـة في يوميات سابقة. أما القول أن المعتقلين يتلقون وحيهم من روما وبرلين، فمن تحصيل الحاصل أنـه غير راهن. فجميـل مردم ليس من طـابق المحور وإنما هو من طابق الإنكليز الذي هـو الطابق القريب. وقد ذهب إلى العراق ومصـر فكانت اتصالاته بهم بطبيعة الحال. وقد علمت أنه ينتقد حركة رشيد عالي. . وذلك القول هو قـول تقليـدي من الإفـرنسيين في سـوريــة، والإنكليز في فلسطين ومصـر والعراق، وكلمـا رأوا حركة وطنية نضالية سارعوا إلى وصمها بأنها من وحي الأجـانب تـوهينـاً للدوافـع الـوطنيـة وتشويهاً لصحة النضال القومي. وقد فعلوا هذا في الثورة الفلسطينيـة. ولما حكمـوا على نبيه العظمة ورفاقه وأخذت حكومات العراق ومصر تراجع في صددهم أصدرت السلطات الإفرنسية بياناً قالت فيه أن المحكـومين ثبتت علاقـاتهم بألمانيا، وهي فرية كاذبة كل الكذب كما هـو معـروف. هـذا بقـطع النـظر عن مشـروعيـة اتصالات الثورة والثوار بجهات أجنبية في سبيل الإنتصـار والاستمداد لتـأمين الغايـات القوميـة وضد سلطات محتلة ظالمـة باغيـة. وليس في ذلك عيب أو وصمة خيانة، وهي ظاهرة طبيعية متكررة. والإفرنسيون والإنكليز يعرضون ذلـك ويعرفون وهن دعاياتهم. وقد أثبت العرب أنهم إذا اتصلوا بأجانب فإن ذلك في سبيل غاياتهم القومية. وقد فعلوا هذا مع الإنكليز والإفرنسيين

أنفسهم في الحرب العالمية الأولى، وكان هؤلاء فرحين مشجعين. فلما رأى العرب غدر هؤلاء ونكثهم وتحولوا ضدهم وصار من حقهم التضامن مع أعدائهم بسبيل تلك الغايات.

ولقد أخبرنا أحد اخواننا أن البالستاين بوست الجريدة الإنكليزية اليهودية الفلسطينية ذكرت أن شكري القوتلي عاد من الحج. وكان قال لنا قادم من سورية أن سورية تستعد لاستقباله استقبالاً عظيماً بقصد إنعاش الحركة الوطنية. وقد جعلَنا هذا نظن أيضاً أن الإشارة إلى رحلات صاخبة قام بها بعض الأشخاص التي وردت في بيان كوله قد قصد فيها شكري أيضاً. وهو الآن أقوى ممثل للكتلة الوطنية وأبرز زعيم على المسرح. وخوف الشيخ تاج وبهيج الخطيب منه لا يقل عن خوفهما من جميل بل أكثر، لأنه الآن الأقوى والأبرز والأنظف. ومن المحتمل أن يكون فعلاً قد جرى له استقبال حافل أثار الخوف في الإفرنسيين وعميلهم تاج وبهيج.

وإذا صح احتمال أن يكون جميل معدّ من المعتقلين، فليس من المستبعد أن يكون شكري معه. وإذا صح اعتقال جميل وشكري فيكون الأمر خطيراً جداً في سورية. ولا نكاد نصدق أن السلطات الإفرنسية تجرأ على ذلك وستأتينا الأيام بالحقيقة.

12 ـ حول قطع السعودية علاقتها مع إيطالية:

أذاعت المصادر الإذاعية الإنكليزية خبر قطع السعودية علاقتها مع إيطالية، وقالت أن ذلك تم استجابة لطلب الحكومة الإنكليزية وإعلاناً للتضامن معها. وأدلى إيدن وزير الخارجية الإنكليزية في مجلس العموم بتصريح صريح بذلك، حيث قال: إن الحكومة طلبت من الملك السعودي إعادة الجوازات لهيئة السفارة الطليانية وإنهاء العلاقات مع إيطالية، وأن ما بين الحكومتين من صداقة ومودة جعلت الملك يستجيب لهذا الطلب ويأمر بإقفال السفارة في جدّة وإخراج موظفيها. والصحف الإنكليزية والعربية الموالية للسياسة الإنكليزية طنطنت بهذا الخبر، وقالت أن بقطع ابن السعود علاقاته السياسية مع إيطالية أصبحت جميع الدول العربية في جانب السياسة البريطانية ومتضامنة معها، ولم يبق لإيطالية أي مركز سياسي في البلاد العربية كافة، وأن هذا مظهر من مظاهر التضامن العربي الإنكليزي ودليل على نفض العرب أيديهم من المحور... ولا شك أن الإنكليز قد علقوا أهمية على هذا المعنى في صدد الدعاية في بلاد العرب خاصة والبلاد الإسلامية عامة ضد المحور ودعايته. وأنهم قد أرادوا بهذا أن يصوروا أن مركز العالم الإسلامي (الحجاز) هو متضامن معهم، كما فعلوا في الحرب الأولى حينما اتفقوا مع الشريف حسين. ولقد ذكرت محطة روما الخبر ولكن بأسلوب ليس فيه جفاء ولا غضب ولا تهديد. وقالت أن القطع لم يكن ناجماً عن توتر وخلاف بين الحكومة السعودية وإيطالية، وإنما هو بسبب الظروف الحربية العامة وانقطاع هيئة السفارة الطليانية في جدّة عن الإتصال بحكومتها وبلادها.. وهذا الكلام ليس جديًا. والمؤكد أن ابن السعود فعل ذلك استجابة لطلب الحكومة الإنكليزية كما ذكر إيدن، ولعلها أوهمته أن مجاراته لطلبها ضرورة لا مناص له منها بسبب تحكم بريطانية في البحار، وكون تشجيع الحج

وتعطيله في البلاد الإسلامية ومنع القوت عن الحجاز مما هو في قدرة الحكومة الإنكليزية في الوقت الحاضر. وهذه الأسباب نفسها مما كان عاملاً من عوامل تفاهم الشريف حسين مع الإنكليز في الحرب العالمية الأولى. ولا شك في أنها غير خاليه من وجاهة ما بالنسبة لقطر فقير تتوقف حياته ومعيشته على الخارج..

غير أن ابن السعود لم يستجب نتيجة لهذا الإيهام، وإنما نتيجة لنفسيته إزاء الإنكليز.. فهو منسجم معهم ومقتنع بذلك منذ القديم. ولعل إبقاءه العلاقة إلى أن طلبوا إنهاءها كان مقصودا لديه حتى يكون له جميل عليهم.

13 ـ إطلاق سراح عزيز علي وغيره:

أذاعت محطة مصر أن النحاس أمر بإطلاق سراح عزيز علي المصري وضابطي الطيران الموقوفين معه في حادثة الطيارة المعروفة التي ذكرناها في يومية سابقة. وأنه أمر أيضاً بتسريح كثير من المعتقلين السياسيين، ومن جملتهم محمد علي الطاهر. وقد كنا خمنّا في السابق أن قضية عزيز علي لن تصل إلى نهاية خطيرة. إنها تضاءلت كثيراً في المظاهر الماضية بعد أن كانت قد شغلت الأذهان في حينها كثيراً. وقلنا أن هذا نتيجة ما عليه الرأي العام المصري ورغبة الإنكليز في تحاشي إثارته ضدهم. وإسراع النحاس في إطلاق سراحه وسراح غيره دليل على أن الرأي العام المصري كان مهتماً لذلك، وناقماً على ما كان من تصرفات في هذا الصدد. كما أنه دليل على أنه كان هناك عدد كبير من الناس في المعتقلات، فأراد النحاس إظهار شعبية الوفد وشعوره مع الرأي العام في مثل هذه الأمور المعروف تأثيرها فيه..

14 ـ التشاد بين حزب الوفد والأحزاب الأخرى في مصر:

ونذكر في هذه المناسبة أن التشاد الحزبي بين الوفد الحاكم الآن وبين الحزبين المعارضين (الدستوري والسعدي) قد بلغ أشدّه في مناسبة حركة الإنتخابات الجارية الآن. ومنذ أن أرسل النحاس كتابه التاريخي إلى الملك يحمل فيه على الحكومات السابقة، قلنا وسجلنا هذا في يومية سابقة أن النحاس أعلن حرباً شديدة على الأحزاب الأخرى، وأن الهوة بينهم قد اتسعت، وأن ما كان يطلبه الملك من جمع الشمل وتوحيد الكلمة خاب. ولقد كان الحزبان طلبا من حكومة الوفد وقف الأحكام العرفية مدة الإنتخابات أو على الأقل بالنسبة للإجتماعات والحفلات والرحلات الإنتخابية. ولقد جرت محاولات في صدد توزيع الدوائر بحيث يضمن للحزبين عدد منها، ولكن النحاس رفض هذا وذاك، وحينئذ قرر الحزبان مقاطعة الإنتخابات. وقد قرأنا في الصحف نص رسالة أرسلها كل من أحمد ماهر رئيس الحزب السعدي وحسين هيكل رئيس الحزب الدستوري إلى النحاس، ونص جواب النحاس والرسالة وجوابها في قالب قاس وجاف. ومع أن الأحزاب غير الوفدية التي كانت تحكم طيلة السنوات الأربع الأخيرة حاولت هدم نفوذ النحاس وتشديد الخناق على الوفد، ولا سيما في انتخابات المجلس النيابي السابق، إلى درجة أن اضطر الوفد إلى إعلان المقاطعة للانتخابات، فإن حوصلة الوفد كان يجب أن تتسع لشيء من التساهل لجمع الشمل في هذه الظروف الخطيرة التي تجتازها البلاد وتحمل على تناسي الحزبيات.

بداية الدفتر الثامن:

يوم الأحد 12 نيسان 1942
24 ربيع الأول 1361:

تمهيد:نلحظ أن آخر يومية في الدفتر السابع هي بتاريخ 10 مارس 1942، وأن أول يومية في الدفتر الثامن بتاريخ 12 نيسان، أي أننا كنا متوقفين عن التسجيل نحو شهر ويومين. ولا نتذكر السبب.

وفي يومية الأحد ذكر لكتاب ورد إليّ من المفتي مؤرخ في 17 مارس 1942، وجواب كتبته له مؤرخ في 11 نيسان 1942، وتعليقات حول ذلك، حيث يثبت هذا أني لم أكتب فعلاً تسجيلات بعد الدفتر السابع إلا هذا الدفتر الذي يبدأ بيومية 12 نيسان. وبين الأوراق التي وجدتها في الدفتر السابع أصل كتاب المفتي ومسودة جوابي له. وقد ذكرت فحواهما في الفقرة، فرأيت الأفضل أن أورد النص، وأن أبدأ اليومية بفقرة كتاب المفتي وجواب عليه ولو كانت متأخرة فيها.

1 ـ نص كتاب ورد لي من المفتي بشؤون القضية:

هذا نص كتاب ورد إلي من المفتي في هذ الفترة مؤرخ في 28 صفر 1361 ـ 1942/3/17.

حضرة الأخ الكريم المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد وصلني كتابكم الأخير فشكراً جزيلا. إننا منذ وصلنا أوروبا باشرنا بعمل من أجل القضية، وقد كانت مقدماته تبعث على الإرتياح في الجنوب والشمال. وأدت جميع المباحثات والمقابلات إلى الآمال المرجوة. واطمأننا لإمكان الوصول إلى الغاية. هذه هي خطوة العمل الأولى.

وفي الخطوة الثانية اتفق على الصيغة وعلى الأسس، ولكن بعض الأسباب التي لا تمس هذه الأسس اقتضت التأخير، ولعله لا يطول. وسنعلمكم بالنتيجة متى وصلت حدها. نحن واثقون من أنكم والبلاد في انتظار وقلق، وأن التأخر يزيد في القلق ويوسع مجال الدعايات المضللة للإنكليز واليهود وأذنابهما مما هو ليس من المصلحة في شيء وفيه ضرر. ولذلك فنحن نجدُّ في السعي للإسراع غير متوانين، ونسعى في تهيئة من يتيسّر له القدوم عليكم ليطالعكم على ما لا تتسع به الكتابة. أنا وفخامة الأخ الرشيد نعمل معاً ونبذل كل الجهود المستطاعة للوصول إلى النتيجة المطلوبة بالسرعة الممكنة. لقد ذكر لنا الأخ أبو موسى[1] رأيكم ورأي الإخوان في القدوم علينا. غير أننا نعتقد أن في قدومكم وقدوم الأخ معين بك وبعض الإخوان مصلحة كبيرة لما لذلك من قيمة للتعاون والإشتراك في الرأي والمساعي، خصوصاً وقد رأيتم صعوبة الإتصال المجدي بالمراسلة. أما ما يتعلق بساطع بك[2] والدكتور رويحة[3] فقد أبرقت لأبي بكر[4] فور وصول

(1) المقصود «ابو موسى» الشيخ حسن أبو السعود.

(2) ساطع بك يعني ساطع الحصري.

(3) الدكتور رويحة يعني الدكتور أمين رويحة.

(4) أبي بكر يعني اسحق درويش.

كتابكم للعناية اللازمة بهما. سلامي واحترامي لجميع الإخوان وأسأل الله العون والتوفيق،

محمد أمين الحسيني

سلامي للأخ السيد محمد علي والأستاذ أكرم ونجلكم السيد زهير.

توضيحات في صدد الكتاب

وأبو موسى المذكور في الرسالة هو الشيخ حسن أبو السعود الذي تحدثنا معه مطولاً حينما سافر من الآستانة للإلتحاق بالحاج أمين، وحملناه رسالة له على ما ذكرناه في يومية سابقة. وكان الشيخ حسن ورفاقه تأخروا مدة في صوفية، ثم تيسرت لهم أسباب السفر فسافروا وانضموا إلى إخوانهم في روما وبرلين. وكتاب الحاج أمين هو جواب على كتابنا وعلى ما تحدثنا به مع الشيخ حسن وحملناه له من أفكار.

وكنا تحدثنا في صدد سفرنا إلى أوروبا، وقلنا أن ذلك رهن بالضرورة وما يأتينا من الحاج أمين. وما جاء في هذه الرسالة هو تحبيذ وحث وليس بأسلوب فيه حتم. ولم نر تغيير رأينا أنا ومعين في التريث في السفر. وأبو بكر المذكور هو لقب كان يطلق على إسحق درويش، أقرب وألصق الاخوان للحاج أمين. وهو في الأستانة بمثابة نائبه ومعتمده.. ومع الأسف لم أحتفظ بنسخة الكتاب الذي أرسلته للحاج أمين مع الشيخ حسن، ولا أذكر الآن ماذا كتبت في صدد ساطع بك وأمين رويحه.

ولقد كانت حكومة العراق برئاسة الوصي بعد أن تغلب الإنكليز على الثورة العراقية أسقطت الجنسية العراقية عن ساطع وطردته من بغداد وجاء إلى سورية، ومن المحتمل أن نكون كتبنا في صدد وجوب مساعدته ماديا. أما الدكتور رويحه فالذي أذكره أن الإنكليز اعتقلوه مع جمال الحسيني وأمين التميمي وآخرين ونفوهم الى روديسية. ويجوز أني كتبت في صدد مساعدة أسرته، وإن لم أعد أذكر ذلك يقينا..

وما ذكره الحاج أمين في رسالته من الخطوات الأولى المطمئنة التي فيها تقرير وموافقة على الأسس هو مما كان بنبذة ما أثبتناه في يوميات سابقة من رسالة وزير خارجية ألمانيا، ومحضري لقاء الحاج أمين بهذا الوزير وبهتلر. والراجح أن ما عناه من التأخير هو ما جاء في المحضرين من أن الجماعة يفضلون تأخير إصدار تصريح صريح إلى يوم الزحف الجديد على ما جاء في المحضرين.

وهذا نص جوابي للمفتي المؤرخ في 11 نيسان 1942:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد شرفني كتابكم وتلوته مبتهجاً بالأخبار السارة والتطمين. شاكراً عواطفكم الأخوية الكريمة. ودعوت الله أن يكلل جهودكم بتوفيقه وأن يقر أعيننا جميعاً بتحقيق الآمال وحسن المآل إنه سميع قريب. وها نحن نترقب البشرى الأخيرة السعيدة من جهة، وقدوم أحد الأخوان للإطلاع على ما نرجو أن يثلج الصدر من جهة أخرى.

أما الإلتحاق بكم فالله يعلم مقدار شوقنا إلى الإجتماع بعد الفراق الطويل الذي منينا به. غير أننا لم نستطع أن نقطع ما إذا كان من المصلحة أن نترك جميعنا المكان الذي نحن فيه، وأن نتكوّم في جهة واحدة، والليالي مملوءة بالمفاجآت. والظروف قد تفرض بعض الواجبات. هذا إلى كون الإخوان الذين في

جانبكم كثيرين وفيهم البركة والخير، وإلى كون الإتفاق قد تم على الأسس والصيغة، ولم يبق مجال لتبادل الرأي فيها. ومع ذلك فقد رأينا أن نتريث حتى يصل القادم الجديد والخيرة في يد الله. ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن تضامننا في جهادنا القومي وثيق كل الثقة، وقد جعلنا فكراً واحداً وجهداً واحداً وأملاً واحداً إجتمعنا أم تفرقنا. وما هذه الفرقة إلّا إلى حين، نرجو أن يكون قصيراً فنسعد بعدها باللقاء الطويل وقرة العين إن شاء الله.

لفت نظر في صدد الإنفراد في المساعي:

قيل لي أنه ورد من الأخ ناجي بك شوكة كتاب جاء فيه تطمين بحل القضية العرقية نهائياً، وتأميل قوي بحل قضايا البلاد العربية الأخرى وقد جاء هذا الخبر علينا غريبا، وجعلنا نضرب اسداساً بأخماس في تأويله وتخريجه. بل وأثار فينا شيئاً من الخوف من أن يكون هناك اتجاه أو توصية في حل قضايانا حلاً إقليمياً متفرقاً إلى وحدات وأجزاء. وهذا أشد ما أصاب قضيتنا القومية من النكبات، والعامل الأكبر في ما طرأ علينا من ضعف وتشتت، وما شغلنا من مشاكلنا الإقليمية المتنوعة، وما أوجد فينا من النفسية الإقليمية التي جنينا منها العلقم.

ولقد شرحت في كتابي السابق ما نعلقه من أهمية عظيمة على معنى وحدة القضية ووحدة الحل فيها وقيام دولة واحدة تشمل بلاد الشام والعراق على الأقل لا وحدتين، ولو كانتا متحدتين من وجهة النظر القومية العليا، ومن وجهة نظر القوة المادية والمعنوية، ومن وجهة نظر إذابة النزعات الطائفية والعنصرية في الجسم الكبير، ومن وجهة نظر سد باب الأطماع والدسائس الداخلية والخارجية. ولقد تحدثنا في هذا كله طويلاً وصريحاً مع فخامة الأخ الرشيد، واتفقت وجهات النظر على ضرورته وخطورته، واقتنع هو به وشجع عليه، حتى بتنا نعتبر هذه المسألة من الناحية العربية مفروغاً منها. وكان ما قاله فخامته باعثاً على الإعتقاد أنها مسألة متيسرة ومفروغاً منها من الناحية الثانية كذلك، وأن مما يساعد على هذا ما طرأ على الأفكار العالمية من الاتجاه نحو التكتل والتجمع، واعتباره ضرورة من ضرورات الحياة الآتية.

ومّما هو واضح ومعروف الآن وقبل الآن أن هذا قد أصبح غاية الجهد العربي، وخاصة في بلاد الشام والعراق، على اعتباره الوسيلة لحياة الأمة العربية الآتية، وقوتها وبروزها بعد ما كان من تجارب الماضي وآلامه ونكباته، وبعد ما كان من شرر التجزئة وآثارها في حياة البلاد القومية والثقافية والاقتصادية والسياسية. ولا نزال نذكر آخر قرار كان لمجلس النواب السوري حينما قررت السلطات الإفرنسية تعليق اجتماعاته تمنية الاتحاد مع العراق. فالأمة تنتظر عهداً جديداً في شموله وأسلوبه ينقذها مما هو فيه من مشاكل ومصاعب، ويشعرها أنها قد فتح أمامها باب واسع عريض لحياة جديدة قومية واقتصادية وثقافية وسياسية. وهذا ما جعل بريطانية مع ما نعرفه من عدائها لوحدة العرب ودسائسها لا تفتأ تلوح للعرب به وتتظاهر في التوجيه له وحمل أذنابها على الحركة في صدده لكسب قلوب العرب، لأنها متحققة من أن ذلك غايتهم العزيزة وأمنيتهم التي يرتقبونها بفارغ الصبر والشوق.

ومع أني أعتقد أنكم في أول من يرى هذا ويقدر خطورته ويتخذه هدفاً لجهاده، وأن

إسهابي فيه لكم هو من قبيل تحصيل الحاصل، لاسيما وقد كتبتم لي في جوابكم على كتابي الأول أنكم مطابقون معنا في الرأي، وأن هذه هي الخطة التي تستهدفونها في اتصالاتكم، فإن كلمة الأخ العراقي في كتابه قد أثرت فيّ وفي الأخوان وأثارت هواجسنا، لاسيما وهو من الأركان الذين يشار إليهم بالبنان. وإذا كنا قلقين من التأخير في البت والتعاقد فهذه الإحتمالات والهواجس المزعجة تضاف إلى قلقنا.

لذلك نرجو جميعاً أن ترسلوا لنا إشارة برقية تبعث في نفوسنا الطمأنينة عن هذه النقطة خاصة، كما نرجو أن لا تضنوا علينا ببشرى ببرقية حالما يتم التعاقد نهائياً.

الأخوان معين بك وأكرم ومحمد علي وابنكم زهير يسألون خاطركم ويقدمون احترامهم. أرجو أنا وإياهم معاً أن تتكرموا بإبلاغ تحياتنا وأشواقنا لجميع من عندكم من الأخوان والله تعالى يحفظكم ويؤيدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***

ما سجلناه في صدد جهود المفتي في أوروبا:

ولقد كتبنا في الفقرة التي ذكرنا فيها خبر الكتابين وفحواهما ما يلي بالإضافة الى فحوى الكتابين:

لقد كان ورد على لسان المفتي في برقية صادرة من روما في تاريخ 1942/3/20 أي بعد كتابه بثلاثة أيام، أن المسائل جميعها قد تم حلها مع الجانب الطلياني، وأن المفاوضات مع الجانب الألماني مستمرة، وأن من المنتظر إعلان النتيجة في فرصة قريبة، وأن هذه الفرصة يمكن أن تكون حين يتحرك الزحف في جبهة القفقاس، ولعل هذه هي أسباب التأخير. وأن المحور أراد أن يعلق إعلان ما اتفق عليه إلى هذا الوقت، ولعل المفتي أراد ببرقيته هذه أن يزيد في تطميننا عما جاء في كتابه.

ومما كتبناه في الفقرة أيضاً: لقد ورد في كتاب للشيخ حسن أبي السعود من المفتي تعبير (التصريح)، ولم يرد في كتاب آخر أو كلام آخر تعبير (المعاهدة).

ومما ورد على البال في هذا الصدد أن دول المحور تتجنب عقد معاهدة لأنها ترى الطرف العربي ليس شخصية رسمية دولية يصح التعاقد معها، لما يترتب عن التعاقد من واجبات متقابلة بالنسبة لطرفين، فجعلها ذلك تميل إلى إصدار تصريح من طرف واحد يحتوي الموافقة أو الإعتراف بما سيكون من موقف ونظام جديد في بلاد الشام والعراق. وطبيعي أن هذا التصريح إذا احتوى الأسس اللازمة والوافية يكون بمثابة

عهد، مع الإشارة إلى أنه لن يكون بقوة معاهدة بين طرفين رسميين دوليين.

2 ـ حول المفاوضات الهندية الإنكليزية وإحقاقها:

يظهر أنه كان في أثناء الفترة التي توقفنا فيها عن التسجيل نشاط في قضية المفاوضات بين الإنكليز والهنود، حيث يفهم مما تذكره الصحف أن الحكومة الإنكليزية أوفدت الوزير الإشتراكي كريبس إلى الهند لإجراء مفاوضات مع هيأتها في صدد ذلك، وأن كريبس قدم مقترحات للهيئات الهندية (الهندوس والمسلمين والسيخ والأحرار)، وأن روزفلت أرسل مندوباً عنه للإشتراك أو للتشجيع والوساطة في هذه المفاوضات.

وقد سجلنا في بداية الدفتر السابع ما يلي في صدد ذلك:

مر هذا الأسبوع وأهمّ ما شغل الأفكار فيه كان قضية الهند والمفاوضات الجارية في صددها بين الوزير الانكليزي الاشتراكي (كريبس) والهيأة الهندية، وقد اشتد التجاذب والتدافع، وتبدل الموقف من تباعد لتقارب، ثم انتهى امس نهائياً إلى التباعد والفشل. وقد مرت لحظة كان إمكان التفاهم والإتفاق فيها قوياً. فالهيئات الهندية كانت قدمت في الأسبوع الفائت ردوداً فيها رفض للمقترحات الإنكليزية، فأعلن كريبس أنه لم يفقد الأمل، ثم اتصل بزعماء الهنود، ونشرت الصحف والمحطات أن الإنكليز أظهروا استعداداً لإدخال بعض التعديلات على مقترحاتهم الأولى من شأنها تطمين الهنود في أهم نقطة وهي تشكيل حكومة هندية مستقلة تستلم مقاليد الأمور حالاً بدلاً من تعليق ذلك إلى ما بعد انتهاء الحرب، على أن يبقى أمر الدفاع والقيادة في أيدي الإنكليز. ثم خطوا خطوة أخرى فوافقوا على أن يكون وزير الدفاع في الحكومة هندياً، على أن تبقى قيادة الجيوش في يد الإنكليز. وتدخل مندوب روزفلت في المفاوضات وبذل جهده مع كريبس من جهة ومع زعماء الهنود من جهة أخرى، حتى قيل أنه يلعب أهم الأدوار في تقريب وجهات النظر، وأنه يقدم كفالة روزفلت وأميركا من ورائه على جديّة الحكومة الإنكليزية في موقفها ورغبتها في إرضاء الهند وعلى عدم تراجعها عن ذلك بعد الحرب. غير أن الموقف أخذ يتبدل منذ أول أمس ويتجه إلى الفشل، ثم انجلى تماماً عن ذلك، حيث قدمت لجنة المؤتمر الهندي قرارها بالإجماع برفض المقترحات، وفعلت مثلها هيأة الإتحاد الإسلامي. وكانت هيأة السيخ ولجنة أحرار الهند أيضاً قد رفضتا المقترحات. وأمس أذاع كريبس خطاباً من إذاعة الهند ذكر فيه هذه النتيجة آسفاً متأثراً، وقال فيما قاله أن الحكومة الإنكليزية قد قدمت مقترحاتها وحرصت كل الحرص على التفاهم والتعاون مع الهنود والتضامن في الدفاع عن بلادهم، ولكن التفاهم لم يمكن لأن الهنود طلبوا أن يكون أمر الدفاع كاملاً في أيديهم، وأن الإنكليز لم يكن في وسعهم قبول ذلك لأنه ضار بمصلحة الجميع على التحقيق، بسبب الظروف العصيبة الحرجة المستعجلة التي تحدق بالهند. وأن الحكومة الإنكليزية قد سحبت مقترحاتها وبقي الأمر في الهند على ما هو عليه. والحكومة الإنكليزية مستعدة مع ذلك لمساعدة الهنود على الدفاع

عن بلادهم بقدر ما تستطيع، وتدعوهم إلى الإنتفاع من هذه المساعدة، والمبادرة إلى الدفاع عن بلادهم أيضاً. ثم أعلن عزمه على مغادرة الهند نهار الإثنين.

وقد توقعنا هذه النتيجة منذ الخطوة الأولى، فالهنود غير واثقين بالإنكليز ووعودهم ويرغبون في استلام مقدراتهم فوراً، وهم على ما يظهر غير راغبين في الوقوف موقف المحارب إزاء اليابانيين. والإنكليز قد استهدفوا فيما عرضوه من المقترحات وأبدوه من التسامح أن يجعلوا الهنود يقفون ذلك الموقف، وأن ينتفعوا بكل ما لديهم من قوة وعدة في جميع الميادين التي يحاربون فيها عن طيبة قلب وجدّ. هذاالتضاد أهم سبب ـ في ما نعتقد ـ أدى إلى فشل هذه الخطوة. فالإنكليز أدركوا ولا ريب أن تسليم الهنود مقدرات البلاد استقلالاً، وخاصة أمر الدفاع والقيادة معناه خيبة فيما أملوه من الإنتفاع الواسع من قوة الهنود. والهنود أدركوا أن هذا التساهل الذي أبداه الإنكليز إنما هو بسبب الظروف الشديدة التي هم فيها، ومن أجل مصلحتهم وتمكنهم من الإنتفاع بقوة الهند في الدرجة الأولى.

ولهجة كريبس في خطابه لهجة اليائس المتشائم من الموقف. وليس من شك في أن هذه النتيجة ستؤثر تأثيرات متنوعة. فبالنسبة للهنود سيكون أثرها سلبياً، أي أن العداء بين الانكليز والهنود سيعتبر مستمراً قائماً وسيظل الهنود منقبضين كما كانوا من التعاون مع الانكليز في صدد الحرب وخاصة في صدد اليابان.

وبالنسبة للإنكليز فإنهم سيظلون على عدم اعتمادهم وعلى عدم طمأنينتهم من الهنود، وتوقعهم الانتفاض عليهم، والوقوف في نفس الموقف الذي يقفه البورمانيون إذا ما وصلت الحرب إلى أرضهم. هذا بالإضافة إلى ما يشعرون به من فَقدهم منافع الهند الفياضة من الجند والعمل الحربي. وقد كانت الهند من أقوى ما يعولون عليه في هذا الصدد. وهذا أيضاً بالإضافة إلى ما سوف يشعرون من تزلزل أقدامهم في الهند، وبالتالي تزلزل قاعدة أمبراطوريتهم العظمى فيها. وبهذه النتيجة يكون قد انهدم أساس قوي من أسس تبجحهم فيما يعدّون ما في جانبهم من الناس، ويسلكون الأربعمائة مليون هندي في هذا المسلك. وبالنسبة لليابان، فإن هذه النتيجة ستكون مشجعة لهم كل التشجيع في الموقف الذي يقفونه تجاه السكسونيين في آسيا، وبالنسبة للصين كذلك سيكون تأثير هذه النتيجة سلبياً، لأن المارشال شان كاي شيك كان يعلق أهمية كبيرة على احتمالات التفاهم والتعاون بين الهنود والإنكليز من وجهة نظر المقاومة ضد اليابان، وسيكون تأثيرها عظيماً على الشعبين الأميركي والإنكليزي من حيث إضعاف معنوياتهم، إذ كانت حكوماتهم تتخذ الهند وغيرها كوسائل في تقوية هذه المعنويات لما تحتويه من عظيم العدد والمنافع . .

ولا نريد بطبيعة الحال أن نقول أن الإنكليز سينفضون أيديهم من الهند بعد هذه النتيجة، ولسوف يثبتون بقدر ما يستطيعون، وسوف يستمرون في خططهم وخطواتهم قبل تقديم الإقتراحات وفشلها، مع القول أن ذلك سيكون محفوفاً بالخطر الذي اشتد بسبب نتيجة المفاوضات، وهم لم يقدموا عليها إلا حينما رأوا هذا الخطر، ورغبة في تلافيه أو تحقيقه.

ونعتقد أن مضادّة غاندي للحرب كان لها تأثير كبير في هذه النتيجة. هذا مع التسجيل أن الزعيم الهندي الكبير نهرو يدعو في كل فرصة الهنود إلى الدفاع عن بلادهم ويخوفهم من الغزاة وطغيانهم، غير أن هذه الدعوة لم تجد شيئاً. ويظهر أن اشتراكية نهرو لم تفد كريبس شيئاً، مع أن هذا على ما يبدو كان يعول عليها الشيء الكثير.

ومن الجدير بالتسجيل أنه بينما كان كريبس والهيئات الهندية يتفاوضون، كان رئيس الوزارة اليابانية يرسل تصريحاته منذراً من جهة ومبشراً من جهة أخرى في صدد تفهم الهنود موقف اليابان، وما يمكن أن يصيروا إليه نتيجة المفاوضات، وهو يعلمهم أن اليابان مستعدة لاحترام استقلالهم وبلادهم إذا لم يتعاونوا في الحرب مع الإنكليز. ويذكرهم بما سوف تتعرض له بلادهم من اجتياح وتخريب إذا قبلوا التعاون والتفاهم.

ومهما كان من دعائية هذه التصريحات، فإنها من دون ريب تترك أثراً في أذهان الهنود، وتثير في نفوسهم الأمل من جهة والرغبة في تجنيب ويلات الحرب من جهة أخرى.

ومن المضحكات أن الوزير كريبس كان يشدّد على نقطة أن الانكليز إنما يرغبون في مساعدة الهنود على الدفاع عن بلادهم تجاه اليابانيين وغزوتهم. ولست أدري أهُم فعلاً من البلاهة إلى الدرجة التي يظنون بها أن وجودهم في الهند نعمة على أهلها!! وأن من واجب الهنود أن يدافعوا حتى يمكنوهم من البقاء، وأن لا يخطر على بالهم أن الهنود يمقتونهم كل المقت، وأنهم في الهند مستعمرون مستثمرون مستغلون قساة طغاة. وأن الهنود يعرفون هذا كل المعرفة، ولا يرون على الأقل خطراً أشد من خطرهم يستحق أن يريقوا في سبيل دفعه دماءهم. وإذا كانوا ليسوا من البلاهة إلى هذه الدرجة فهل يظنون أن الهنود بلهاء إلى الدرجة التي يستطيعوا معها أن يقنعوهم بمثل هذه الأقوال، وأن يحملوهم على نسيان ما ارتكبوه ضدهم من آثام ودسائس وقسوة واستغلال؟؟!!

ولقد قرأنا تصريحات لرئيس المؤتمر مولانا أبي الكلام أزاد، ولرئيس الاتحاد الإسلامي وللزعيم نهرو. وقد قال الأول أن الانكليز لا يريدون أن يتركوا زمام الهند من أيديهم لمدة طويلة، وأن حرصهم على هذا أشد من حرصهم على موضوع التعاون على الدفاع عن الهند، وأنهم من أجل هذا ما زالوا يدسون أصابعهم بين الهنود ويعملون على بناء الفرقة والتباعد بينهم. وقال الثاني أن المسلمين يريدون صراحة حاسمة في تشكيل دولة إسلامية مستقلّة في البلاد التي تغطيها أكثرية إسلامية، في حين أن المقترحات لا تضمن ذلك بصراحة وحسم وتدعه متقلقلاً. وقال الثالث أن الذي يريده الهنود هو هند مستقلة تدافع عن نفسها، لا أن تبقى في يد الغير وإدارة الغير. وهذه الأقوال تبين وجهات النظر في ما كان من رفض الهنود وروح المقترحات الإنكليزية.

ومن الجدير بالتدوين أن الهنود المسلمين يسمون الدولة الإسلامية التي يريدون إقامتها باسم «باكستان» أي «بلاد الأطهار». وهي تسمية طريفة جداً تعبر عما ينظر إليه المسلمون إلى الهنود الهندوس والمنبوذين ونحلهم غير الموحدة من تطرفية بشيء من الحقارة والزراية. على أن من الواجب أن نسجل أيضاً أن من المسلمين من هو متضامن مع الهنود الهندوس

في صدد دولة هندية واحدة مستقلة. وأبو الكلام أزاد هو رئيس المؤتمر الهندي العام وليس من جماعة الاتحاد الإسلامي التي تطالب بدولة إسلامية مستقلة.

3 ـ أخبار عن سورية وعن المعتقلين وعن شكري القوتلي وجميل مردم :

أخبرنا قادمون من سورية أن شكري القوتلي لم يرجع إلى دمشق وظل في العراق، ولعلّه علم بأمر الاعتقالات والتظاهر الذي تظاهر به الإفرنسيون بالقوة ووعيدهم، وقد جعله يتأخر ويذهب إلى العراق من الحجاز. ومما أخبرنا القادمون، أن السلطات الإفرنسية أمرت جميل مردم بالإقامة في بيروت وحظّرت عليه العودة إلى دمشق. وأن من بين المعتقلين صبري العسلي ومنير المالكي وعبد القادر الميداني. وأن اعتقالهم كان على أثر منشور أذاعوه فيه تنديد بتسليم الحكم والعهد الجديد لأناس كانوا أعداء للحركة الوطنية والأماني القومية، وكون هذا مناقضاً لما أعلنه الحلفاء من رغبتهم في تمتع سورية باستقلالها الصحيح. وأخبرونا أن السلطات اعتقلت بالإضافة إلى هؤلاء الثلاثة نحو عشرين شاباً وطنياً آخرين، وأنها تبحث عن آخرين مختفين من الشباب.

الغلاء وسوء حالة التموين في سورية ولبنان:

ومما فهمناه من القادمين أن أهم ما يشغل الأفكار والأوساط فيها الغلاء وشح المواد الغذائية، وقد بلغ سعر كيلو الطحين ليرة وربع، وكيلو الخبز ليرة، وهما شبه مفقودين في الأسواق. وأن الصحف تتساءل عن آلاف أطنان القمح والطحين التي قيل أن الشركة الانكليزية قد أحضرتها. ومما ذكرته جريدة النهار البيروتية أن مجموع ما قيل أنه وصل إلى لبنان بلغ ستين ألف طن، وأن هذا المقدار يكفي لإعاشة لبنان سنة واحدة، ولكنه لم يمض شهر واحد حتى فقد الطحين والقمح من الأسواق وارتفع سعرهما هذا الارتفاع الفاحش. ومما قالته النهار أن ظن الناس في احتيال الشركة كان صحيحاً، حيث أذاعت كذباً أنها جلبت كميات عظيمة، وجعلت حكومتي لبنان وسورية تتيح الاتجار الحر في القمح والطحين، ثم اطلقت عملاءها فاشتروا ما صار يعرض في الأسواق. وأن المقادير التي قالت أنها جلبتها كانت أقل بكثير مما أوهمت أنها جلبته لتخويف التجار وحملهم على عرض مخزونهم وبيعه. .

4 ـ حول محاكمات كبار ضباط ثورة العراق ووزرائها:

كانت إذاعة بغداد أذاعت أن رجال العراق الذين اعتقلوا في إيران وأرسلوا إلى الهند وروديسيا سيجلبون إلى بغداد لمحاكمة الذين لم يحاكموا، ولإعادة محاكمة الذين حكموا غيابياً. ثم قرأنا في صحف بغداد خبر جلب كل من يونس السبعاوي وفهمي السعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب وأمين زكي وعلي محمود الشيخ وتقديمهم للمحاكمة، وقرأنا ما جرى في الجلسة الأولى من المحاكمة، كما قرأنا تصريحات منسوبة لهم لبعض الصحفيين أثارت دهشتنا ولم نكد نصدقها. ففهمي ومحمود وكامل وأمين زكي من كبار الضباط الذين قادوا حركة التمرد العراقية، والسبعاوي ومحمود كانا وزيرين من وزراء رشيد عالي ومندمجين في هذه الحركة أشد اندماج على ما شرحناه قبل مما

جاء في تصريحات الضباط، وأدهشنا اعترافهم بخطئهم وسوء ما ارتكبوه، وعزوهم المسؤولية إلى رشيد عالي ويونس السبعاوي. وسجل الصحفيون تصريحات للسبعاوي يتنصل فيها من بعض ما كان من تصرفات الضباط الكبار ويحملهم المسؤولية. ومما سجله الصحفيون ثناؤهم جميعاً على نبل وأخلاق الوصي عبد الأله وأسفهم لأن حركتهم أزعجته بدون قصد منهم، وقولهم أن حركتهم فسّرت تفسيراً مغلوطاً، وإعلانهم محبتهم واحترامهم وشكرهم للأمير الوصي لما أحاطهم به من عناية في السجن توفرت بها راحتهم وطمأنينتهم.

وإذا صحت الأقوال التي أدهشتنا ولم نكد نصدقها، فهي تنم عن هلع وتحطم أعصاب. وهؤلاء هم أركان حركة العراق التمردية، وكانوا يمثلون روح الأمة العربية في تمردها وآمالها. وكان لحركتهم صدى قوي في بلاد العرب والأمة العربية. وتعبر الأقوال بصورة من الصور عن ضعف بنية الأمة العربية ورجالاتها.. ولقد سجلنا في المناسبة السابقة أن ضعف أعصاب الضباط الكبار كان عاملاً من عوامل انهيار الحركة وفشلها، وكان ضعف عزائمهم وإرادتهم مخيباً لما كان الناس يأملونه من الاستمرار في الحركة التمردية بشتى الأساليب. فإذا صحت تصريحاتهم ففيها توكيد جديد لذلك. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

5 ـ اعتقال علي ماهر باشا:

سمعنا إذاعة مصر وغيرها، ثم قرأنا في الصحف التركية أن النحاس باشا بصفته الحاكم العسكري أصدر أمراً باعتقال علي ماهر حفظاً لسلامة الدولة وأمن البلاد. وأثار هذا دهشتنا واستغرابنا. ولقد كان اعتقال علي ماهر من أماني الإنكليز الكبرى، وطلبوا ذلك مراراً من وزارة حسين سري التي كانت تحكم قبل وزارة النحاس، ولقد حاولت هذه الوزارة اعتقاله تحقيقاً لطلب الإنكليز، ولكنها لم تستطع لسبب موقف الملك وحمايته لعلي ماهر. ولكن النحاس حقق غاية الإنكليز دون مبالاة بالملك إركاناً على ما له من قوة شعبية.. وهو جاء للوزارة رغم الملك وبطلب الإنكليز بناء على هذه القوة الشعبية في هذا الظرف الذي رأى الإنكليز أنه يقتضي ذلك ولمصلحتهم ومصلحة مصر معاً. ولا ندري هل النحاس أقدم على ما أقدم عليه لتحقيق غاية الإنكليز فقط، أم اغتنم الفرصة ليفش قلبه وغيظه فيه.. وحقد الإنكليز على علي ماهر متأتٍ من كونه هو الذي رسم لمصر خطة البقاء خارج الحرب وتجنب ويلاتها وعدم الإندفاع مع الإنكليز في مطالبهم وسياستهم حينما تولى رئاسة الوزارة قبل ثلاث سنين. وقد أوحى بها للملك وجعله يرى فيها مصلحته ومصلحة مصر معاً. ولم يكن من مناص للوزارات التي حكمت بعده من السير عليها وغدوها سياسة راسخة، وقد أغاظت الإنكليز أشد غيظ، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليها. ولقد اندفع الحزب السعدي بزعامة الدكتور أحمد ماهر ضد هذا الاتجاه، وأيد التضامن مع الانكليز في الموقف، فاعتبر الرأي العام المصري موقفه مريباً وانحرافاً. أما حقد النحاس على علي ماهر فهو آتٍ من اعتقاده فيما يتبادر لنا أنه الدافع للملك للوقوف من حزب الوفد موقف الحذر بل والمناوأة في أثناء ما كان يتولى رئاسة الديوان ثم رئاسة الوزارة لفترة من الفترات.

ومن الإنصاف أن نذكر أن علي ماهر من أقدر وأنضج رجال مصر بل رجال العرب. وقد أثبت ذلك في البرهة القصيرة التي تولى فيها رئاسة الوزارة مرتين، وأثبت خصب إنتاجه وواسع أهدافه في ميدان الإصلاح الاجتماعي والثقافي والاقتصادي أيضاً. يضاف إلى هذه المزايا اندماجه في الفكرة العربية وتشجيعه عليها وفهمه لها فهماً عميقاً لا يقل عن فهم عبد الرحمن عزام ومحمد علي علوبة لها، وقد أدخلهما وزيرين معه في وزارتين مهمتين في وزارته الثانية. وكان من أقوى معاضدي القضية الفلسطينية وخاصة في الميدان السياسي وفي سياق مؤتمر لندن سنة 1939، حيث كان من ممثلي مصر مع عبد الرحمن عزام برئاسة الأمير عبد المنعم، وفي سياق المؤتمرات الأخرى التي عقدت في مصر أثناء توليه رئاسة الديوان الملكي، ويؤخذ عليه عدم الشعبية والإنقباض عن الاتصالات بسبيلها.

وسمعت بعض إخواننا في الآستانة يخمّن أن يكون لعلي ماهر صلات سرية مع دول المحور، وأن الملك مطّلع على ذلك وراض عنه. وأن موقف الملك وما يسير عليه من سياسة سلبية بالنسبة للحرب وما يعتمل في نفس الإنكليز من حقد وغيظ ضد علي ماهر وضد الملك إنما هو ناتج عن ذلك.

ولقد قرأت في هذه الأثناء برقية في الصحف التركية عن لندن، جاء فيها أن أسباب اعتقال علي ماهر ترجع إلى ما يقوم به بالتعاون مع زمرة صغيرة من عرقلة للمساعي والنشاط الحربي ضد مصلحة الديموقراطيات، وأن النحاس أمره بلزوم بيته فلم يلتزم بالأمر فأمر باعتقاله.. وفي هذا شيء قد يؤيد تخمين المخمنين. ولقد كتب كاتب تركي مقالاً في صدد علي ماهر، ذكر فيه موقف علي ماهر القوي في وجه الإنكليز حينما تولى الوزارة، وحينما حاولوا حمل مصر على التعاون التام الحربي وغير الحربي معهم. وما كان من دفاعه عن حق مصر في بقائها خارج الحرب ونجاحه في ذلك فترة ما، وذكر أن الإنكليز نشطوا في ترويج كون هذا الموقف ناتجاً عن صلات سرية قائمة بينه وبين دول المحور. ولقد اشتد ضغط الإنكليز على الملك فلم يكن في وسعه الإصرار على التمسك بعلي ماهر. ونتيجة لذلك استقال علي ماهر، وعهد الملك بالوزارة لحسين سري. وظل الحقد الإنكليزي ضده مستمراً حتى تلاقى مع حقد الوفد حينما تولى النحاس الوزارة بطلب من الإنكليز... ولقد قرأنا في الأهرام نص بيان أذاعه النحاس، جاء فيه أن أسباب اعتقال علي ماهر ستبقى مكتومة لسلامة الدولة والمصلحة العامة، وأنه بناء على بعض أمور خطيرة تدور حول علي ماهر اتصل به أولاً واتفق معه على ضرورة التزامه بيته في عزبته، ولكنه لم يلتزم بذلك، حيث خرج من بيته خلسة، فخيف أن يحدث ما يضرّ بالمصلحة العامة، فأمرنا باعتقاله حرصاً على هذه المصلحة وعلى مصلحته الشخصية معاً. وأنه أوقف أولاً في سجن الأجانب، ثم خصص لإقامته قصر مع حديقة في جهة ما في الإسكندرية، ووفرت له جميع وسائل الراحة والمعيشة اللائقة بمقامه الرفيع على أتم وجه، وأن زيارته ممكنة بإذن خاص منه (أي من النحاس)، وأن جميع نفقاته ستكون على حساب الحكومة.. وفي الكلام ما قد يؤيد ذلك التخمين. وقد خطر لنا أن يكون النحاس اعتقد أن الإنكليز قد يعتقلون علي ماهر فيكون

في ذلك ضربة على كرامة وزارته وكرامة مصر فأمر هو باعتقاله ليكون العمل مصرياً لا إنكليزياً. وفي البلاغ ما قد يؤيد ذلك في جملة (أن اعتقاله كان للمصلحة العامة ولمصلحته الشخصية معاً). وما احتواه البيان من شرح ما أولى علي ماهر من عناية ورعاية في إقامته وفي حياته عجيب ومحبب. فليس في ذلك ما ينم عن غيظ وحقد، ويدل على أن علي ماهر ليس في موقف المتهم في وطنيته في نظر النحاس وفي مصر. . ونسجل أن النحاس لم يسر سيراً شديداً في سياسة التعاون بالمقياس الذي أراده الإنكليز، وظل حريصاً على تجنيب مصر ويلات الحرب حسب ما رسمه علي ماهر في البدء. وإن كان بدأ منه تملق لهم ومماشاة لكثير من رغباتهم الأخرى. وقد يكون النحاس رأى في ذلك خيراً وحائلاً دون وقوف الإنكليز موقف الضغط والشدة عسكرياً إلى درجة الإنفجار، وعودة السيطرة التي كانت لهم قبل المعاهدة كما فعلوا في إيران والعراق. .

6 ـ صراخ سفير روسية في واشنطن في صدد الجبهة الثانية وإنذاره:

عاد ليتفينوف سفير روسية في أميركا إلى الصراخ والدعوة إلى التخفيف عن الجبهة الروسية والإنذار بسوء العواقب للجميع إذا لم يسارع السكسونيون إلى الوقوف موقف الجدّ في هذا الصدد وتشغيل جيوشهم المعطلة. وقال فيما قال على ما قرأناه في الصحف، أن ألمانيا لن تغلب بقصف الطائرات على بلادها أو بمحاولة حصارها، وأن الفوز لن يكون إلا في ميدان الحرب. وهذا الميدان هو ميدان روسية الآن. وكلام السفير هادف إلى حمل الحلفاء على فتح جبهة جديدة في أوروبا، وهو ما تكررت الإشارة اليه. ولقد ذكرت الصحف أنه جاء إلى لندن رئيس حرب الأركان العام ومعه أحد كبار القواد للتحدث مع أركان حرب الإنكليز. وأن الغاية من ذلك درس إمكانيات الجبهة الجديدة أو الحركات التي من شأنها التخفيف عن الجبهة الروسية. والخبراء على ما تنشره لهم الصحف لا يعتقدون أن السكسونيين يستطيعون أن يقوموا بعمل جديد مؤثر في هذا الصدد. والألمان يسخرون مما ينشر ويقولون أن شأن السكسونيين التفكير في الدفاع لا في الهجوم، وأنهم لن يستطيعوا فتح جبهة، وليس عندهم إمكانيات لها. . والأيام ستكشف عما يمكن أن يكون.

***

يوم الأحد
19 نيسان 1942 :

1 ـ أثر ومدى انقطاع المفاوضات بين بريطانية والهند:

كان لانقطاع المفاوضات بين كريبس والهنود أثر سيء في جميع الدول الديموقراطية وأثر مبهج في دول المحور. ولم يتكلم تشرشل عن هذا الأمر، وفضل ترك الكلام لكريبس نفسه حينما يعود من الهند. وحفظاً للمظاهر مع ذلك أرسل برقية إلى كريبس وهو في الهند يثني ثناء عظيماً على جهوده وصبره.

ويظهر أن كريبس أدلى ببعض أقوال في صدد توسيط الهنود لممثل روزفلت، ثم عدم قبولهم مقترحاته على ما يستفاد من تصريحات أدلى بها الزعيم نهرو وكذب فيّها ذلك، وقال أن ممثل روزفلت أبدى رغبته في السعي في تقريب وجهات النظر، وأظهر اهتمامه لقضية الهند، فقابله الهنود على ذلك بالشكر، وأن الهنود لا يمكن أن يحكّموا على قضيتهم أحداً لأنها ليست قضية تافهة يصح فيها تحكيم أجنبي. وقد كان يظن أن نهرو يتضامن مع كريبس بسبب تلاقيهما في الأيديولوجية الإشتراكية، وأن انقطاع المفاوضات والخيبة لم يكن من رأيه، ولكنه ظهر على عكس ذلك، وأنه لا يقل عن الزعماء الآخرين صلابة. وقد أضاف إلى تصريحاته قوله أن الهند لا تنتظر من الإنكليز إلاّ كل ممانعة لحريتها واستقلالها. ومما يلفت النظر أن صحافياً سأل كريبس عما تريد بريطانية أن تعمله في حالة معارضة الهنود للجهود الحربية، فأجاب أنه لابد من طرف يأخذ على عاتقه الدفاع عن الهند، وأن إنكلترة عازمة على ذلك. وأن معارضة الهنود للجهود الحربية ستقابل بالقمع، حيث يبدو أن الإنكليز يتوقعون أن يكون لفشل المفاوضات أثر إيجابي في الهند، وأن لا يظل الهنود مكتوفي الأيدي، وأن يبدو منهم مواقف مناوأة لبريطانية ولجهودها، فكان هذا مما جعل كريبس يهدد بالقمع له سلفاً.

ونذكر أن غاندي كان يطالب إنكلترا أن لا تسير في الهند على سياسة التخريب، أي لا تجعل الهند ساحة حرب. وهذا موقف من مواقف المعارضة للجهود الحربية ودعوة لها ولا شك. وقد أذيع من مصدر ياباني أن الهنود الذين استسلموا في شبه جزيرة مالاقا اندمجوا مع اليابانيين ويبدون نشاطاً وبطولة في التعاون مع اليابانيين. فإذا صح هذا فهو أول خطوة هندية في صدد التعاون الياباني الهندي. وسنرى ماذا يتبعها من خطوات في ما يأتي من الأيام.

2 ـ هواجسنا في صدد قضية سورية من جراء الغزل والتناغم بين فيشي والألمان:

لقد ثارت فينا المخاوف بسبب تطورات السياسة الإفرنسية واتجاهها الجديد إلى المحور. فإن من المحتمل أن تجري مفاوضات لعقد الصلح وتصل إلى نتيجة إيجابية. ومن المحتمل أن تتمسك فرنسة بموضوع مركزها في سورية ولبنان، وأن يكون ما تنتظره دول المحور

من مساعدات فرنسة وتعاونها معها ما يضطر هذه الدول إلى التساهل في ذلك الأمر. وهذا ما كان يثير مخاوفنا في الأصل، وما جعلنا نلح على إخواننا في أوروبا بضرورة التعجيل للوصول إلى نتيجة حاسمة في أسرع ما يمكن، ونذكرهم صراحة مخاوفنا من تقارب إفرنسي محوري وتمسك فرنسة بمركزها، واضطرار المحور إلى مسايرتها في ذلك. والذي نخشاه أن يكون هذا التأخير في البت النهائي ناشىء عن مثل هذه الإحتمالات. وهكذا تقف فرنسة في طريقنا في هذه الحرب كما وقفت في الحرب السابقة. فالمفاوضات بين الشريف حسين وبريطانية ورد فيها أن بريطانية تريد أن لا تثير حليفتها فرنسة، وأن تراعي عواطفها ودعاويها في سورية ولبنان، وتركت ثغرة من الثغرات فيها. وكان ذلك توطّد أولاً في المفاوضات والمعاهدات السرية أثناء الحرب بين فرنسة وبريطانية وروسية، ثم بين فرنسة وبريطانية في ما سمي معاهدة سايكس بيكو.

ولما انتهت الحرب عادت بريطانية تدس وتحرك لا في سبيل الخلاص من فرنسة ومصلحة العرب، ولكن في سبيل منافعها، فاستطاعت أن تقتطع لنفسها شرق الأردن والموصل وفلسطين. وكل هذا كان على غير ما صار إليه، ثم تركت فرنسا حرة في تصرفاتها، فكان ما كان من زحف غورو وهدم الحكم العربي الفيصلي في سورية.

اقتراحي على عادل العظمة وعادل أرسلان السفر الى ألمانيا:

وقد تحدثت مع عادل العظمة في هذا الصدد، واقترحت عليه السفر هو والأمير عادل أرسلان إلى أوروبا وضرورة ذلك، لأن وجودهما إلى جانب المفتي ورشيد يفيد جداً في صدد السعي، ودفع ما قد يكون من خطر من تطور ضارّ في القضية العربية عامة وقضية سورية خاصة.

دعوتي شكري القوتلي للقدوم الى الآستانة:

وقد كتبت كتاباً لشكري القوتلي الذي هو الآن في بغداد وأرسلته اليه، حثثته على القدوم إلى تركية على الأقل، إذا لم يستطع السفر إلى أوروبا من أجل هذا الأمر، وشرحت له هواجسي وما يتبادر لي من التطور. وتحدثت مع اسحق درويش أيضاً في صدد ذلك، وقد قال لي هذا أنه تحدث مع الأمير عادل أرسلان في الأمر وكلّفه بدوره السفر إلى أوروبا، وأنه لمح فيه التشاؤم كعادته. وعلّق أمر السفر إلى أوروبا على ورود شيء من المفتي يطمئن بأن الإتفاق الصريح مع جماعة المحور على أمر سورية ممكن، وهذا شرط غريب، لأن السفر المقترح عليه هو لأجل تأمين هذا الأمر الذي يثير المخاوف. وقد أبدى عادل العظمة قناعته بخطورة الحال، ولكنه لم يبد ولم يظهر رغبة أو اندفاعاً للسفر. وأنا أعرف أنه مجروح من موقف المفتي تجاهه وتجاه القاووقجي، وأنه يظن أنه لن يستطيع أن يتعاون بطمأنينة وثقة معه. وأنه قد لا يعيره أهمية ولا يعتبره نداً أو ممثلاً لسورية، وهو لا يقبل لنفسه أقل من ذلك. ولقد قلت له وللأمير عادل في سياق بحث الموقف أن السواجب يقضي الآن بعدم التمسك كثيراً بالتشريفات والمماحكات. وذكرتهما بأننا في سياق الظروف كنا نهتم لإرسال وفود إلى جنيف وباريس ولندن للدعاية والاتصال ببعض رجال السياسة مهما كانت قناعتنا ضعيفة بحسن النتيجة أو النيات، لأننا كنا نرى هذا واجباً

ومفيداً. وما دامت صلات إخواننا الآن مع مقامات المحور حسنة ووثيقة، فهذا يعني أن صلة العرب معهم حسنة ووثيقة، وأن في هذا مجالاً واسعاً للعمل والسعي والجهد. والمفتي لن يقف إلا موقف الحريص اليقظ في هذا الموقف، فالتساهل في الاعتبارات الشخصية الآن واجب لا مناص منه، ولكن كلامي ذهب سدى على ما لمحت. وذهاب سوريين من حيث المظاهر والظواهر هو الضروري الآن، ولن يسد مسده ذهابي مثلاً على ما اعتقد.

ولقد نشرت برقيات صادرة من مصادر أميركية فيها تهديد لفرنسة في صدد سورية دلت على حساسية هذه المسألة في العالم السكسوني. ومما جاء فيها أن (لافال) إذا حاول أن يزحف على سورية فإن أميركا ستستولي بالمقابلة على المستعمرات والجزر الإفرنسية في المياه والقارة الأميركية، وأن على فرنسة أن تختار... فإزاء احتمالات خسارة فرنسة الجزر والمستعمرات في المياه والقارة الأميركية قد لا تقدم فرنسة على خطوة ما في الشرق الأدنى على ما يرجح، ما لم تكن مطمئنة إلى عهود قوية من المحور في صدد مركزها في أوروبا وأفريقية والشرق الأدنى. والمحور إذا رأى أن يرتبط بمثل هذه العهود فإنه يكون قد أمل بحركة فرنسة في هذا الميدان خيراً عظيماً في صدد معركة البحر الأبيض المتوسط ودحر بريطانية نهائياً من الميدان. وكل هذا يثير الهواجس والمخاوف. ولا ندري هل يستطيع العرب أن يؤثروا تأثيراً كبيراً في هذه المعركة السياسية والحربية، ويجعلوا المحور يحسب حسابهم ولا يتساهل مع فرنسة على حسابهم؟ وهذا هو السؤال المحرج. والجواب عليه هو المزعج المخيف..

3 ـ استقالة وزارة حسن الحكيم وتأليف حسني البرازي الوزارة:

أذاعت الإذاعات أن حكومة حسن الحكيم استقالت، وأن الوزارة الجديدة تألفت برئاسة حسني البرازي. وخرج من الوزارة كل من بهيج الخطيب وفيضي الأتاسي وزكي الخطيب، ودخل الوزارة جديداً حسن الأطرش حاكم جبل الدروز كوزير للدفاع، ومنير العجلاني كوزير للدعاية وحركة الشباب.. ولم تذكر الإذاعات سبباً لهذا التغيير. ونرجح أن الأسباب شخصية. فحسن الحكيم معروف بعناده، ومن المحتمل كثيراً أنه اختلف مع الشيخ تاج في موضوع فأصرّ على رأيه وانسحب، ومن المحتمل أن يكون فيضي وزكي تضامنا معه، فإنهما كان يظهران ويتظاهران بالوطنية والصلابة. ولكن الذي يلفت النظر هو خروج بهيج وكل ما له من سند في البروز في الحكم السوري، وفي رجوعه إلى الحكم بعد انفصاله عنه هو اندماجه التام مع الإنكليز والإفرنسيين مهما كان لونهم، واعتماد هؤلاء عليه، فهل أريد بذلك وبمجيء حسني البرازي الذي يمت إلى الوطنية والكتلة بصورة من الصور، تحسين الجو الذي تكهرب بمجيء الشيخ تاج وبهيج الخطيب معاً، والذي انتقده الشباب وكان السبب في اعتقالهم الذي ذكرناه قبل. ولَسْنا حَسِني الظنّ إلى درجة أن نذهب إلى وجود حُسْن نية في هذا الموقف. ولكنه قد يدل على تحرّج الجو والرغبة في تلافي التوتر أو اشتداده. وحسن الأطرش خلف عبد الغفار الأطرش، ولا ندري كيف ضحى بإمارته للجبل، وهي من حيث تقاليد الدروز مهمة جداً.

أما الطريف في هذه التشكيلة فهي منير العجلاني وحركة الشباب. فهذا الشاب ظل يتحرّك وظل يشاغب ويتقلب ويتلوى ويتلون ويدأب في كل ظرف للوصول إلى منصب الوزارة، وقد سمحت الظروف فحقق أمله. وحركة الشباب والدعاية ابتداع شعري يتناسب مع أسلوب منير العجلاني.

4 ـ أزمة الغلاء والتموين في سورية ولبنان:

ويلمح في الصحف وأقوال القادمين أن أزمة الغلاء والتموين ما تزال مشتدة في سورية ولبنان، وكل الحركات والأزمات تنتج عن هذه الأزمة، ولعل تبدل الوزارة في سورية ناتجاً عنها كسبب مباشر. وقد ذكرت الصحف البيروتية أن وزير التموين اللبناني انسحب من الوزارة بسبب ظروف وأزمات التموين. وقرأنا فيها أن الحكومة سمحت أن يباع كيلو الخبز بستين قرشاً لمدة قصيرة، ثم سعّرته للأيام الآتية بسبعة وثلاثين قرشاً. ويدل هذا وذاك على ما تعانيه البلاد من ضائقة المعيشة.

5 ـ غواصات المانية في سواحل سورية ولبنان:

ومما هو جديد في بابه بالنسبة للبلاد العربية نشاط الغواصات الألمانية في سواحل سورية ولبنان وفلسطين. فإن المصادر الألمانية ذكرت أن هذه الغواصات قصفت التأسيسات الكهربائية في يافا وتل أبيب، وأنها أغرقت بعض المراكب التي ترفع العلم البريطاني في سواحل لبنان وسورية.

6 ـ بيتنا الجديد في ماجقه MAÇKA:

انتقلنا اليوم من البيت الذي قضينا فيه الشتاء في محطة بومونتي إلى بيت مفروش في ماجقه بالاس في حي ماجقه، وماجقه بالاس ربما كان أضخم أبارتمان في الآستانة أو من أضخمها، وفيه ستون شقة، وكلّ شقة تتألف من قاعة كبيرة فيها قاعة طعام، ومن سبع غرف أخرى صغيرة وكبيرة. والشقة التي استأجرناها هي بيت نجم الدين بك أحد موظفي البحرية التركية، وكان قبل الحرب العالمية الأولى في سورية ولبنان لمدة غير قصيرة موظفاً. والشقة في الطابق الأخير العالي، ويصعد إليها بأسانسور، وعدد درجاتها من الشارع (135)، وقاعة الجلوس مطلة على البوغاز، كما أن شبابيك غرفتي النوم مطلّة على حقول نضرة، وفرشه أنيق ومرتّب. وزوجة الرجل دكتورة في الفلسفة من ألمانيا، ولها مكتبة لا بأس بها في داخل البيت تركتها لنا. ونتوقع أن نرتاح في هذا البيت بعد تعبنا في الأول بسبب البرد ومشكلة الوقود، حتى اضطررنا في الشهر الأخير من شهورنا فيه إلى أن نكتفي بإشعال مدفأة غرفة نومي ونتخذها قاعة جلوس وعمل، وضاق خلقي كثيراً من هذا، لأن الغرفة أصبحت كحبس ضيق، وحيث اضطررت إلى قضاء أكثر ساعات اليوم نوماً ويقظة وعملاً وأكلاً فيها.

والشقة التي أخذناها لا تتسع إلا لي ولأخي وزهير، ولذلك فإن أكرم استأجر وحده دائرة في شقة في أبارتمان في جهة التقسيم. ولعل هذا أوفق لنا وله في نفس الوقت. فالحياة الطويلة يجب أن تكون قاصرة على أفراد عائلة غير

مضطرين إلى مجاملات وتكلّفات فيما بينهم. كما أن وسائل وظروف العيش تكون أكثر سهولة وأيسر، والمرء إلى هذا لا يستطيع أن يظلّ يقظاً لكل حركاته وسكناته ورغباته وميوله ولا سيما في بيته، والحرية في هذه الحركات والسكنات والرغبات والميول تظل مقيدة حينما يكون المرء مع غيره من غير أفراد أسرته مهما كان بينه وبينهم من روابط ألفة وصداقة. كما أن المرء مهما حاول، لا بد أن يصدر منه بعض حركات وسكنات ورغبات وتصرفات لا تروق للآخر، وتستوجب نقده، وبالتالي توجد في النفس بعض الأثر الذي قد يؤثر في الألفة والصداقة، فالإفتراق في المعيشة إذا كانت طويلة يظل أدعى لبقاء الألفة والصداقة وصفاء القلوب.

***

الأحد

3 مارس 1942 :

1 ـ رسائل ورسول من المفتي :

منذ أسبوعين ورد كتاب من الشيخ حسن أبي السعود لإسحق، يعيد فيه القول بلزوم التحاقي أنا ومعين والإخوان الآخرين بهم في أوروبا، لأن المصلحة تقتضي ذلك. ويذكر أيضاً أن المفتي وافق على وجهة نظر نبيه العظمة، ثم يشير إلى أن رشيد عالي استغل قرارات الآستانة في تقديم نفسه كوكيل وحيد عن الجميع، وأخذ في الوقت نفسه يشتغل لمصلحة بلده خاصة. وأنهم سيرسلون رسولاً يطلعنا على تفاصيل الموقف. وقد قلقنا لهذه الأخبار، وشعرنا أن المفتي في موقف حرج، وأن القضية لا تسير سيراً ناجحاً، وأن اشتغال رشيد لمصلحة بلده لا بد ناجمة عن صعوبات، ولا سيما أن الأخبار التي كانت ترد إلينا كانت تؤكد أن التضامن تام بين رشيد والمفتي. وقد حرنا بين ما كنا نسمع وبين ما جاء في كتاب الشيخ حسن من تفصيل لذلك، ولا سيما أن تلك الأخبار كانت تذكر أن الاتفاق بين جماعتنا والمقامات المحورية قد تم على الأسس والصيغة، وأن التأخير لا يمس الأسس. وأن الأمور مع الجانب الطلياني قد حلّت على ما يرام، وأن المفاوضات جارية بنجاح مع الجانب الألماني. وقد ذكرنا كل هذا في يوميات سابقة. وقد رأينا أن نرسل برقية نطلب فيها التطمين والتفسير، ونلفت فيها النظر إلى ما أخذ يبدو من تطور في موقف فرنسة

ومجيء (لافال) والتقارب الألماني الإفرنسي. وما يمكن أن ينطوي هذا عليه من خطر على القضية السورية.. وقد فكرنا فعلاً في السفر أنا ومعين، وحثّ الأمير عادل وعادل العظمة على السفر معنا، بل وقبلنا من أجل قضية سورية وتطور موقف فرنسة وتحدثت أنا مع الإثنين. وقد أظهر الأمير عادل ميلاً ولكنه غير جازم. وقال عادل العظمة أن السفر مفيد، ولكنه متخوف من موقف المفتي المتكتم المتحفظ إزاءه، كما فعل ذلك معه ومع فوزي القاووقجي قبل، وأن ذلك يجعله يظن أن لا فائدة من سفره..

وبينما نحن في حيرة ننتظر التفسير والتعليل والتطمين، وصل سعد الدين عبد اللطيف فجأة بتاريخ 26 نيسان 1942 يحمل بعض الرسائل والأخبار. وفرحنا واستبشرنا لحظة بوصوله، ولكن ما لبث أملنا أن خاب مما كنا نترقبه بكل لهفة، سواء من حيث المواضيع أو من حيث النتائج. وقد كان معه مذكرتان واحدة تتعلق بما كان من مساع سابقة في بغداد، وهذه أصبحت للتاريخ. والثانية تتعلق بما كان من ذلك في أوروبا، وفي هذه إشارة إلى أن ما كان من صميمية وترحيب وتطمينات مؤكدة وصريحة لمحها وسمعها المفتي من موسوليني ومن وزير خارجيته أولاً، ثم من هتلر ورجاله ثانياً، فيها تسليم بحق العرب في الإستقلال والحرية والوحدة، ووعد بالإعتراف بهذا الحق وثناء على ما كان من جهاد عربي وتضحيات عربية، ثم جاء في المذكرة أن المحادثات انتهت بالإتفاق على تصريح يصدره المحور مشتركاً يحتوي:

1 ـ الاعتراف باستقلال البلاد العربية غير المستقلة.

2 ـ تأييد الاعتراف باستقلال البلاد العربية المستقلة.

3 ـ الاعتراف باتحاد البلاد العربية أو وحدتها فيما بينها بطلب أهلها.

4 ـ إلغاء الوطن القومي وآثاره في فلسطين.

5 ـ التعهد بالمساعدة السياسية والعملية للعرب لتحقيق ذلك.

وجاء في المذكرة أن كل هذا طلب ووفق عليه، وإنما أخر إعلانه رسمياً لأسباب عسكرية...

الخلاف بين المفتي ورشيد عالي الكيلاني:

وفي رسالة المفتي لإسحق التي اطلعنا عليها، ذكر أن رشيد عالي استغل مقررات الآستانة التي فيها الموافقة على أن تكون حكومته ممثلة للدولة العربية الجديدة. وعرض هذه المقررات على الألمان والطليان، وقدم نفسه كوكيل عن العرب ومتكلم باسمهم قانونيا (المقررات المذكورة سبق شرحها في الجزء السابق). وجاء في الرسالة أن رشيد مع ذلك ما لبث أن ناقض المقررات، فطلب الإعتراف بالعراق لحدته وبه كرئيس للحكومة، وأن الطرف الثاني (أي المحور) وجد هذا الطلب يسيراً عليه فوافق عليه. وأن رشيدا رفض النصيحة التي أسديت إليه بالتريث حتى يتم الإعتراف بالنسبة لجميع بلاد العرب. وجاء في الرسالة أن المفتي عرض على رشيد منذ عيد الميلاد أن يصدر المحور تصريحاً باستقلال فلسطين مع شرق الأردن فلم يقبل، لأنه رأى في ذلك إهمالاً لسورية التي هي العقبة الكأداء. ومما جاء في المذكرة أنه كان لكامل الكيلاني تأثيراً أكبر على أخيه رشيد في الحركة الإنفرادية والنزعة الإقليمية التي بدت منه، وأن المفتي تجاه هذا غضب ورأى أن ينسحب من الميدان،

وأبدى رغبته في زيارة اسبانيا والذهاب إلى هنغاريا لمدة ما إلى أن يحين وقت العمل والبحث. فكان لذلك الأثر القوي في رشيد ورجال المحور. وجاء رشيد معتذراً يقسم الأيمان بأنه لن ينفصل بعد الآن، وجاء جماعة من المحور يؤكدون للمفتي بأنه لن يمض إلا قليل حتى يحصل هو (أي المفتي) على كتاب فيه التطمين الكافي عن القضية وتعهدات دول المحور بشأنها. وذكر في الرسالة أن من المحتمل أن يكون هذا الكتاب الموعود محتوياً للتصريح المتفق على أسسه وصيغته. أو ما يشابه ذلك. وليس في الرسالة أي تفصيلات أو إشارة إلى مفاوضات في صدد المعاهدة وفي صدد الأمور المتفرعة عنها، أو في صدد أشياء محددة تتعلق بقضايا البلاد العربية جملة أو تفصيلاً.

واستفسرنا من رسول المفتي عن كل هذا وعما جرى في روما في الإقامة الطويلة، وعن الأمور التي تدور حولها الأبحاث، فلم نظفر منه بشيء، مما يدل على أنه لا يعلم شيئاً من ذلك ولم يكن متصلاً به. ولكنه قال لنا أن رشيد حصل على كتاب رسمي بأنه سيكون رئيس الحكومة العراقية في العهد الجديد. وفهمنا من كلامه أن مظاهر التنافس والفتور بين رشيد والمفتي صارت ملموسة يشعر بها الناس. وقد حمل لي ولنبيه وللأمير عادل ولمعين كتباً خاصة. ففي رسالته لي ولمعين يطلب رأينا في الموقف بعد أن نكون قد وقفنا على التفاصيل من الرسول. وفي رسالته للأمير عادل إشارة إلى أسئلة وردت عليهم من جانب الجماعات في شأن لبنان ونظامه المقبل. وقد زادتنا هذه الرسائل وهذا الرسول حيرة على حيرتنا وقلقنا، حتى لقد لاح لنا أن الرسول وما يحمله من رسائل وكلام بالدرجة الأولى من أجل الخلاف الواقع بين رشيد والمفتي، وموقف الأول الانفرادي حسبما تلقاه المفتي. ومن الغريب أننا منذ شهور ونحن نتكلم في شأن المعاهدة وأهميتها والحصول على معلومات في صددها. والشيخ حسن قد سافر وهو يحمل مخاوفنا وأفكارنا، وقولنا أنها الوسيلة الوحيدة للطمأنينة، وأننا لا نرى فائدة للالتحاق إلا إذا كان في الإمكان البحث والتشاور في صددها وموادها. ثم تسفر رسالة الرسول عن خيبة وخواء. . .

وقد تحدثنا (أنا ومعين وأخي وأكرم ونبيه وعادل والأمير عادل واسحاق)، وأخذنا نضرب أسداساً في أخماس في التفسير والتعليل. ولم نرد أن نصدق أنه لم يجر أي جهد أو بحث في عقد معاهدة حتى بالرغم من خلو الرسالة من ذلك، لأن هذا الموضوع هو من البداهة إلى الدرجة التي لا يمكن أن يذهب عن المفتي، وخاصة بعد أن بدأ فعلاً في هذا الدور في بغداد، وبعد أن كانت كل جهودنا وأحاديثنا في سورية وفلسطين تتركز على وجوب عقد معاهدة صريحة فيها ما نطلب من اعتراف صريح بالاستقلال والوحدة. . . ولكننا لم نستطع أن نعلل إهمال الكلام عن ذلك بشيء راهن. ومع ذلك فقد افترضنا ـ وهذا تساعد عليه الرسائل ـ أن المفتي حين وصوله إلى روما ثم إلى برلين طالب بإصدار تصريح مستعجل ريثما يبدأ في مفاوضات في صدد معاهدة ووعد بذلك، وأن رشيد عالي حينما وصل إلى برلين واطلع منه المفتي على المقررات التي حملها معه من الآستانة، قال له أنه اتفق مع الجماعة على إصدار تصريح، واستمهله حتى يصدر هذا التصريح. وأن رشيدا لما رأى من الحفاوة والأولية فيها للمفتي عزّ عليه أن يبقى الثاني،

فتقدم بالمطالبة بنصوص الآستانة وعرضها عليهم، وطالب أن يعترف به كطرف قانوني رسمي وحده، فلم يرق هذا للمفتي ولم يتضامن معه فيه، فانفرد كل منهما بالسعي. ولعل للمقامات المحورية بعض النيات المريبة، فارتاحت لهذا المظهر من جهة، ولم تقبل إقبالاً تاماً على موضوع المعاهدة، واكتفت بإجابة رشيد إلى ما طلب من تأييد الإعتراف باستقلال العراق وكونه رئيساً له. ولعل قصة سورية كانت كذلك من أسباب هذه النتيجة. وظلت علاقة المفتي برشيد في برلين وثيقة، لأنهما كانا يسكنان في بيت واحد، فلم يظهر للناس أنهما على غير وفاق. فلما ذهبا إلى روما وانفرد رشيد مع عائلته، تراخت تلك العلاقة وظهرت آثار عدم الوفاق. وهنا كان لكامل الكيلاني دور في تغذية هذا المظهر.

ومما جعلنا نرى في ما تقدم صواباً ما كان ورد من فوزي من كتب أسرّ فيها إلى عدم الوفاق بين رشيد والمفتي، وانفراد كل منهما في السعي والإتصال، وتذمر رشيد من المفتي وعزمه هو الآخر على أن يعمل لقضية بلاده خاصة.

وفيما جاء في رسالة المفتي الثانية شيء من التناقض في صدد شرح موقف رشيد، حيث قال أنه استغل نصوص الآستانة وعرضها على المقامات، وادعى أنه وكيل الجميع، ثم سعى لمصلحة بلده، في حين أن النصوص هي شاملة لجميع أنحاء الشام والعراق. ومطالبة رشيد بمصلحة بلده خاصة لا يعقل أن تكون مستندة إلى هذه النصوص. وظاهر أن القصد هو ما جاء من كون الممثل للدولة الجديدة يجب أن تكون حكومة رشيد. ولكن التناقض لا يزول، لأن هذا التمثيل ليس للعراق وحده. على أن القول بالإستناد إلى النصوص واستغلالها واهٍ أيضاً، لأنه ليس هناك مقررات. وكل ما هناك ورقة بدون توقيع فيها صيغة لأسس معاهدة. أي أنها ليست وثيقة يصح تقديمها والتقوّي بها بالإضافة إلى ما قلناه آنفاً.

ومن غرائب ما في الرسالة الثانية القول أن التصريح الذي طالب به المفتي ووفق عليه واجّل، هو متفق مع أسس وصيغة الآستانة. كأنما يراد بهذا أن يقال «أن المفتي طالب بهذه الأسس، في حين أن رشيد ناقضها». بل كأنما تقول هذه العبارة «أن المفتي قد اكتفى بهذا التصريح، ولما اطلع على نصوص الآستانة استغنى بما طلبه عن هذه النصوص». وهنا ثغرة تساعد على التعليل بأنه لم يشأ أن يتضامن مع رشيد في تعقيب المطالبة بالنصوص. وهذا هائل خطير إذا كان صحيحاً، كما نفترض، بل لقد ظن بعضنا أن التصميم الشخصي في المفتي قد أوجد هذا الموقف وحرّك في رشيد مطامحه وأنانيته..

وقد قررنا أن نكتب رسالة لكل من المفتي ورشيد. وقد ذكرنا في رسالتنا إلى المفتي استغرابنا إهمال الإشارة إلى المعاهدة وما جرى في صددها، والضرورة التي قضت بالإكتفاء بالتصريح. وذكّرناه بقيمة التصاريح وما تركت في قضايانا من آثار وثغرات، وكون دورها قد انقضى بعد الدخول في دور التعاقد منذ بغداد، ولاسيما أن في يده كما جاء في رسالته الأولى كتاب من خارجيتي الألمان والطليان بتاريخ تشرين الأول 1940 يعترفان به باستقلال بلاد العرب، ويظهر ان استعدادهما لعقد اتفاق. وفي يد الحكومة العراقية كما جاء في رسالة من

خارجية الطليان في تاريخ تشرين الثاني 1940 مثل هذا الإعتراف والإستعداد. ثم أشرنا إلى ما في نص التصريح المطلوب من مآخذ، سواء في صيغته التعميمية أم في عدم التعيين، أو في ترك الوحدة لطلب أهل البلاد. وهو يعرف أساليب الأجانب في تحريك الطائفية والعنصرية والمأجورين في التشويش في مثل هذه المواقف، واستعداد بلادنا للإستجابة لمثل هذا التحريك.

ثم أشرنا إلى ما بين التصريح ونصوص الآستانة من فرق عظيم من الناحية الحقوقية ومن ناحية التحديد والعمل والنتيجة الفورية، وطلبنا إيضاحاً عن هذه النقاط، وعما جرى معهم في روما، والأمور التي كان أبرق لنا بأنها حلّت بتمامها على ما يرام، وعما جرى في صدد سورية وقضيتها، وما ستقرره من علاقات المحور وفيشي حولها. وأظهرنا استنكارنا لموقف رشيد الإنفرادي، وفندنا إمكان استغلاله نصوص الآستانة، لأن موقفه يتناقض مع هذه النصوص. وقلنا أننا مازلنا نجهل البواعث الجوهرية لهذا الموقف، وذكرنا ما كان يصل إلينا من أخبار عدم الوفاق بينه وبين رشيد منذ برلين، وما كان كتبه لنا فوزي في هذا الصدد. وشرحنا له السبب الذي جعلنا نضع نص الموافقة على حكومة الكيلاني كممثلة للدولة الجديدة، وهو تسهيل إيجاد طرف قانوني يصح معه التعاقد، وتسهيل إيجاد آلة مهيأة للعمل فوراً، لتنفيذ ما يتعاقد عليه في صدد التعاون على تحرير البلاد العربية. وأن هذا كان أيضاً مشروطاً بأن يكون متضامناً كل التضامن مع المفتي في المساعي، ومستنداً إلى ما كان يؤكده من ارتباطه بالمفتي واستعداده للإستمرار في التعاون معه بكل قوة، ثم ذكرناه بالموقف الخطير الذي فيه قضية العرب، والمسؤولية التاريخية التي يتحملها. وأهبنا به إلى استعمال حكمته، وما عرف فيه من تفان وإخلاص في تلافي ما كان، والعمل بالتعاون مع رشيد في صدد تحقيق نصوص الآستانة، والوصول إلى عقد معاهدة على أسسها، وإخبارنا بما ظل غامضاً علينا من صفحات العمل ونواحي القضية وتطميننا بما يصلون إليه.

وفي رسالتنا لرشيد ذكرنا قلقنا من سكوته عن إخبارنا وتطميننا بما وصلت إليه المساعي بشأن عقد المعاهدة، وذكّرناه بأقواله وعهوده من أجل السعي لها، واعتبارها أمانة في عنقه. وأشرنا إلى ما وصل إلينا من أخبار موثوقة عن موقفه الإنفرادي، واكتفائه بأخذ اعتراف بشأن العراق وشأنه الشخصي. وبيّنا له ما في ذلك من خطر وخطورة ونقض للعهد والإتفاق، وأهبنا به للعمل على تلافي ذلك بالتعاون التام مع المفتي حسب ما عاهَدَنا على ذلك وأكّده لنا المرة بعد المرة.

(الكتابان لرشيد والمفتي المذكور فحواهما أعلاه وقّعا من الأخوان في الآستانة، أي انا ونبيه العظمة وعادل العظمة والأمير عادل أرسلان ومعين الماضي على ما تفيده التسجيلات التالية):

رسائلي ورسائل الإخوان للمفتي ورشيد في صدد ما تقدم:

وقد كتبت أنا للمفتي كتاباً خاصاً، وكتب كذلك له كل من الأمير عادل أرسلان ومعين الماضي ونبيه العظمة كتباً خاصة. وكتب كل من الأمير عادل ونبيه العظمة كل منهما على انفراد

كتابين خاصين لرشيد حول هذه النقاط بأساليب متنوعة.

وقد قلت للمفتي في رسالتي له أن الموقف يبعث فينا الريب من نيات الأصدقاء، وانه يستدعي التفكير للخروج من الورطة بشرف وكرامة إذا كانوا لم يستعدوا لعقد معاهدة على نصوص الآستانة، ولم يباشروا فيها فعلاً. وكذلك ذكرت له النقاش عن موقفه ومطامحه، والظن بأن ذلك هو الذي حمله على عدم التضامن مع رشيد في النصوص والمطالبة بها وحمل رشيد بالمقابلة على الإنفراد في السعي وتقديم النصوص، وجعل الأصدقاء يستغلون هذا الإنفراد من كليهما، فلا يقبلون على التقيد بمعاهدة محددة، ويرون ويكتفون بتصريح عام يمكن تفسيره حسب ما تمليه الظروف. وقلت له أن رسالته تساعد على هذه التفسيرات، وأكدت على ضرورة تلافي الأمر والتضامن مع رشيد على المطالبة بعقد معاهدة.

ولا أدري هل غلونا في التفسيرات أم أصبنا، والمستقبل هو الذي سيعين ذلك. غير أن الأمر خطير جداً وعجيب جداً كما يبدو. وإذا كان المفتي ورشيد وقفا من بعضهما هذا الموقف، وأخذ كل منهما يتكتم عن صاحبه، فماذا يكون الموقف لو ذهبنا نحن. وهلا نكون واجهنا هذا الموقف المؤذي للنفس والمضر بالمصلحة. وهل كنا نستطيع أن نؤثر في الموقف وفي الشخصين ونحملهما على السير القويم.

وقد قال لي الرسول سعد الدين عبد اللطيف: أنهم مايزالون يرون ذهابي وذهاب معين مفيداً، فأشرت إلى هذا في رسالتي للمفتي، وقلت أننا كنا تحدثنا مع الشيخ حسن وأفهمناه بصراحة أن التحاقنا يفيد إذا كانت إمكانيات عقد المعاهدة وتبادل الرأي في نصوصها موجودة، وإلا فيكون تكثيراً للناس والعبث ومغامرة لا فائدة كبيرة فيها. وأننا كنا نترقب الرسول من أجل الوقوف على حقيقة الموقف. وأن ما حمله الرسول من رسائل وكلام لم ينوّرنا بشيء، ولم يأتنا بما يجعلنا نرى فائدة في الإلتحاق أو ضرورة له. ولذلك ما زلنا منتظرين بياناً صريحاً عن الموقف والإمكانيات.

واقترحت على المفتي في حال إمكانيات البحث في معاهدة وفي قضية سورية استدعاء الأمير عادل وعادل العظمة والأمير شكيب ارسلان[1] وأبديت استغرابي لعدم استقدام الأخير منذ البدء. وكذلك اقترحت عليه استدعاء الأمير عادل إذا كان هناك ضرورة لوصل ما انقطع بينه وبين رشيد، لأن له بعض التأثير والعلاقة الحسنة. وأكدت عليه في رسالتي الشفوية مع الشيخ حسن والدكتور محمد حسن سلمان بشأن فوزي القاووقجي وضرورة تطييبه وجلبه والإنتفاع منه، وليس في جانبه سوري له اسم وقيمة غيره، وأنّ الرجل بعد أن ضحى وجاهد صار له حق وشأن في هذه القضية. وله حق أن يشعر بجرح كرامته مما لاقاه من إهمال وانصراف وممانعة. وقد أخبر فوزي عادل العظمة فيما أخبره، بأن رشيد دعاه إلى مرافقته في رحلة روما، فحال المفتي دون ذلك. فذكرت ذلك للمفتي في رسالتي، وبينت له ما يمكن أن يؤدي هذا التصرف مع فوزي من تشويش وضرر عاجل وآجل.

ولم أطلع على ما كتبه معين والأمير عادل ونبيه العظمة للمفتي. ولكني أعتقد أنهم كتبوا أشياء كثيرة في صدد الموقف وضرورة التمسك بالمعاهدة والتضامن مع رشيد من أجلها. ولعل

(1) الأمير شكيب ارسلان كان يقيم في سويسرا.

نبيهاً كتب له بضرورة تشكيل لجنة مؤقتة تكون المسيّرة للأمور والمفاوضات. وهذا رأي له سابقاً، وحمّله للشيخ حسن أبي السعود للمفتي.

وكما ذكرت كتب الأمير عادل ونبيه العظمة كتباً خصوصية لرشيد في الموضوع نفسه. وقد قرأ الأمير عادل رسالته لرشيد علينا، وهي قوية في إنكار إنفراد الاثنين عن بعضهما، وفي إبداء الحيرة من السكوت والتطمين، ومن التذكر بأنه مايزال ينتظر الإشارة الموعودة للإلتحاق. وكتب فيما كتب أنه لن يهنأ أحد بما يصيبه على حساب هذه الأمة وظهرها.

وفي الرسالة الخاصة من الشيخ حسن لإسحق التي حملها سعد الدين أيضاً، أن الأمر قد يقتضي توكيلاً للمفتي ليقوم بالعمل. وقد جاء هذا علينا غريباً جداً، وحرنا في تعليله، مع أن مقابلات المفتي للزعماء دلّت على أنه ينظر إليه كأنه زعيم العرب وفي هذا كل الغناء. وخطر لبالنا أن يكون القصد توكيل من السوريين لبحث قضية سورية، غير أن هذا الخاطر لم يكن تعليلاً وافياً. وخطر على بالنا أن يكون أراد بذلك حشداً على الطريقة المحليّة القديمة، بحيث يقول للأصدقاء انه هو الذي يمكن أن يتكلم بإسم سورية بالإضافة إلى فلسطين، وأن رشيداً لا يستطيع ذلك، بقصد نقض دعوى رشيد بأنه وكيل الجميع الوحيد. فإذا كان الأمر قد وصل إلى هذا الدرك، فيكون الموقف سيئاً ومخجلاً معاً. وعلى كل حال فإننا رأينا في هذا الطلب غضاضة وعدم حكمة وضعفاً من المفتي، فلم نشأ بحثه مع سائر الأخوة، ولاسيما أنه سيكون له رد فعل غير حسن في نفوسهم بعد ما ذهبوا في تفسير الموقف هذه المذاهب. وقد قال لي معين أنه ذكر للمفتي ذلك وما فيه من ضعف وما يمكن أن يحدثه من رد فعل غير حسن في كتابه. وتأسيساً على كل هذا لم نفعل شيئاً في صدد الإستجابة لطلب المفتي الذي جاء بقلم الشيخ حسن بأسلوب (قد يقتضي الموقف توكيلاً..) وما تقدم هو المسجل في الدفتر.

ولقد وجدت بين الأوراق التي وجدتها في الدفتر السابع أوراقاً في صدد رسائل رسول المفتي. منها رسالة لي من المفتي حملها الرسول هذا نصها:

(26 ربيع الأول 1361) 15 نيسان 1942.

حضرة الأخ الكريم المحترم. سلاماً واحتراماً وشوقاً كثيراً وبعد.

فإن الأخ حامل كتابي الذي استطعنا إيفاده بعد جهود يشرح لكم الحالة ويبلغكم الرسالة لتطلعوا منها على خلاصة الوضع. ولنا الأمل الكبير بأن نكتب إليكم في وقت قريب عن نتيجة حسنة إن شاء الله. وأرجوا أن تكتبوا لي معه بكل ما ترون وترغبون إعلامنا إياه من الآراء والملاحظات. سلامي واحترامي لجميع الأخوان والله تعالى يحفظكم. أرجو إبلاغ تحياتي للسادة أبي الحكم والأستاذ أكرم والسيد زهير.

ومنها مذكرة فيها بيانات واستنتاجات وتعليقات. ومن المحتمل أن يكون شيء من ذلك جاء في ما تقدم. ولكني لم أر بأساً في إثبات ما كتبته في هذه المذكرة، لأن فيها خلاصة مفيدة، وعنوان المذكرة: (النقاط البارزة في الرسالتين الواردتين مع أبي عصام (سعد الدين عبد اللطيف) الذي وصل من روما بتاريخ 26 نيسان 1942).

في الرسالة الأولى:

1 ـ إرسال كتاب من سميح (المفتي)، وأخذ جواب عليه باسم وزارتي الخارجية في العاصمتين، بأنهما يعترفان باستقلال البلاد العربية، وأنهما مستعدتان لعقد الإتفاق على ذلك. (وكانت المراسلة هذه في تشرين الأول 1940).

2 ـ رسالة من رسوله في هذا المعنى.

3 ـ رسالة وزارة الخارجية الإيطالية بالمعنى نفسه.

4 ـ الشروع في المفاوضة على عقد المعاهدة وتوقفها بسبب خلو مشروع «غروبه» من ذكرها. وتمسك الطرف العربي بذلك، واستشارة برلين ومداهمة الإنهيار.

توضيحات في صدد ما تقدم:

والمتبادر من ذلك أن الرسالة الأولى في صدد ما كان من اتصالات ومراسلات في أثناء الوجود في بغداد وقبيل انفجار الموقف بين العراق والإنكليز وفي أثنائه. و«غروبه» هذا هو سفير ألمانيا الجديد في العراق بعد الإنقلاب الذي جاء رشيد للوزارة به، حيث أعيد الإتصال السياسي بين العراق وألمانيا، وأرسلت هذه سفيرها «غروبة» الذي باشر الكلام والمفاوضات، و(رسوله) المذكور في الفقرة (2) تعني رسول المفتي إلى برلين وهو كمال حداد الذي أرسل رسالة للمفتي بما سمعه من المقامات من اعتراف واستعداد.

وفي يوميات سابقة توضيحات أخرى في صدد ذلك.

وفي الرسالة الثانية:

1 ـ تأكيدات موسوليني القوية بالإستعداد للاعتراف باستقلال البلاد العربية، وتأييده لحقهم الصريح في الإستقلال والوحدة بناء على ما كان منهم من جهاد عظيم، واستعداده لإصدار تصريح بذلك وتفضيله أن يكون التصريح مشتركاً.

2 ـ تأكيدات الفوهرر وطلبه الإعتماد عليه في تأمين حقوق العرب واستقلالهم وأمانيهم.

3 ـ الإتفاق على تصريح يتضمن ما يلي:

الإعتراف باستقلال البلاد العربية غير المستقلة، وتأييد الإعتراف باستقلال البلاد العربية المستقلة، والإعتراف بالوحدة فيما بينها بطلب أهلها ـ والاستعداد بمعاونة العرب سياسياً وعملياً للوصول إلى أهدافهم.

4 ـ تأجيل إصدار هذا التصريح لأسباب عسكرية.

5 ـ ليس في هذه الرسالة أية إشارة إلى معاهدة وجهد في سبيلها، وفيها ما قد يفيد أن النص السابق هو الذي طلب فووفق عليه.

6 ـ إن رشيد بك عرض مقررات الآستانة على برلين وروما. واستند إليها في تقديم نفسه كوكيل الجميع الوحيد، وطلب الإعتراف بالعراق وبرئاسته لحكومتها، وأنه قد أجيب إلى هذا الطلب. وقد أسديت له النصيحة من المفتي بضرورة التريث حتى يحصل مثل هذا للجميع. (وقد يفيد هذا القول أن فكرة الحلول الإقليمية كانت واردة منذ البدء، وأن العتب كان على إسراع رشيد في سبيل أخذ الإعتراف بالعراق وبه قبل تأمين مثل هذه الإعترافات للأقاليم الأخرى).

7 ـ عرض الإعتراف بفلسطين وشرق الأردن كدولة مستقلة، منذ عيد الميلاد، على المفتي، والمفتي أبى ذلك لأنه لم يرد إهمال سورية.

8 ـ تأثر المفتي من موقف رشيد وإظهاره

الرغبة في السفر إلى أسبانيا أو غيرها للإستراحة، وتأثر رشيد والأصدقاء من هذه الرغبة، ومبادرة الأول إلى الاعتذار، والقسم على عدم الانفصال، ومبادرة الأصدقاء إلى التوكيد للمفتي بسرعة إصدار التصريح الذي طلبه.

9 ـ تأميل بصدور شيء مطمئن قريباً.

وكل هذا يعني أنه لم يحصل على أي شيء إيجابي وتحريري يطمئن اليه.

وفي الرسالة ما يفيد أن كامل الكيلاني أثر على أخيه في تقوية أو إثارة نزعته الإقليمية ومساعيه الإنفرادية.

تفسيرات خاصة:

1 ـ إن المفتي كان احتل المركز العظيم في برلين. وقابل هتلر وصار موضع الرعاية والعناية، وجاء رشيد وهو في هذا المركز، ويمكن أن يكون المفتي قد ظلّ، بناء على ما لقيه، على اتصالات بمساع خاصة ومنفردة، وظن أن ما طلبه من التصريح مفيد وضروري وضامن للآمال أو مقدمة طيبة.

2 ـ إن المفتي لم يرقه ما جاء في المطالب (صيغة أو مقررات الآستانة) من جعل حكومة الكيلاني تمثل الدولة الجديدة فصار يدعو رشيد إلى التريث إلى أن يصدر التصريح.

3 ـ تأثر رشيد من هذا وذاك، فاتصل بدوره بوزارة الخارجية وعرض المطالب وقدم نفسه كممثل قانوني لهذه المطالب والمفاوضة على أساسها، ولعله طلب الإعتراف به رسمياً، فكان هذا بدء الخلاف أو الإنفراج بين الرجلين، وقد بقيت المظاهر والصلات حسنة في برلين بينهما. فلما جاء إلى روما تغيرت وظهر الإنفصال أو الخلاف أو الإنفراج، ولعل كامل الكيلاني لعب دوره في روما.

4 ـ مما خطر للبال أن رشيد حينما قدم المطالب رأى من برلين شيئاً من التردد، أو قام في وجهه صعوبات فضعف وطالب بالإعتراف بالعراق. وكان وهو في الآستانة بدا منه شيء من ذلك، فإنه سأل الأمير عادل عما يجب عمله إذا لم يمكن دمج سورية والعراق في دولة واحدة، فقال له الأمير حينئذ يجب ضم فلسطين وشرق الأردن وسورية في دولة واحدة.

وبين الأوراق مسودة لكتابي للمفتي ومسودة لاحقة له. وربما كان كثير مما جاء فيهما قد ذكرت فحواه في التسجيل السابق. غير أني لم أر باساً في إثبات النصين.

وهذا نص الكتاب 1 مايس 1942.

سيدي الأخ الكريم أبقاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد تشرفت بكتابكم مع الأخ، وحمدت الله على ما طمنتنا به من تمام الصحة والعافية. ومن المؤسف أننا لم نقدر أن نستفيد من الأخ شيئاً جوهرياً يتجاوز ما جاء في الرسائل التي حملها. وقد كتبنا ملاحظات مجتمعين من الأخوان على هذه الرسائل، كما كتبنا كتاباً جماعياً أيضاً لفخامة الأخ رشيد بك في صدد الإتجاه الإنفرادي الذي اتجه إليه، وعدم السير في طريق تنفيذ نصوص المقررات التي اتفقنا عليها في الآستانة.

وقد كنت كتبت لسماحتكم كتاباً قبل قدوم الأخ، وأشرت فيه إلى كتاب ورد من ناجي شوكة بك، وقد آلمنا أن يكون ما خفنا منه حقيقة، وأن يكون الإتجاه قد سار في طريق الحلول الانفرادية والإقليمية. والحقيقة أننا ما زلنا نجهل البواعث الحقيقية على هذا الإتجاه

والموقف الصحيح للأصدقاء، ومدى الجهود المبذولة في عقد المعاهدة التي فيها وحدها ضمان المستقبل وتحديده، وما وقف في سبيل ذلك من موانع وعراقيل. والرسائل التي جاءت مع الأخ وما كان تقدَّمَها لا ينيرنا بشيء في هذا الصدد. وعدم الوصول إلى أية نتيجة حاسمة إلى الآن يجعلنا نذهب إلى أن موقف الأصدقاء ليس منسجماً مع التطمينات المتكررة التي وصلتنا. فإذا كانت حقيقة الأمر كذلك، واذا لم يكونوا قد أبدوا إلى الآن استعداداً صادقاً لعقد معاهدة صريحة، كان هذا يبعث على الريبة ويستدعي التفكير في الخروج من الورطة بشرف وكرامة وإباء. ولذلك أكرر هنا رجائي بسرعة تنويرنا ببيان صريح يجلو النقاط الغامضة، ويوضح لنا الموقف على حقيقته، سواء من ناحية الإضطرار إلى الاكتفاء بطلب التصريح أو من ناحية المعاهدة أو من ناحية قضية سورية أو من ناحية الأعمال والأمور التي خلت في روما. الخ. كذلك فإني أكرر الرجاء في ملافاة الحال بين سماحتكم وبين رشيد، ومن موقفه بحكمتكم المعروفة وبتفانيكم في سبيل الوصول إلى نتيجة يبيض لها الوجه وتكسبكم مفخرة الدهر وعظيم الأجر، والاستفادة مما تم من الإعتراف به للدخول في مفاوضة بعقد المعاهدة التي وضعنا أسسها في الآستانة. ولما كان للأمير عادل بعض التأثير والعلاقة الطيبة مع رشيد بك، فإذا كنتم ترون فائدة وضرورة فاستدعوه برقياً ليلحق بكم لعله يستطيع أن يساعد في تلافي الأمر وحمل رشيد بك على الرجوع إلى الصواب والعمل بالتعاون للقضية كلها.

وقد رأيت الفرصة مواتية لمفاتحتكم تحريرياً في موضوع تحدثت فيه مع الشيخ حسن ومع الدكتور محمد حسن سلمان، وأرسلت إلى سماحتكم بشأنه معهما رسائل شفوية، وهو موضوع المولوي[1] وأن هذا الموقف منكم قد اضطرّه إلى الانقطاع والحركة الإنفرادية. ومما جاءنا من أخبار أنه حاول ثانية تقديم نفسه للعمل والتعاون فكنتم أنتم مانعين، بل إنه بعد أن اتفق مع رشيد بك على مرافقتكم في رحلة روما حلتم أنتم دون ذلك. وبقطع النظر عن انطباق هذه الأخبار على الواقع وعلى وجهة نظركم وعدم انطباقها، فإني في رسائلي الشفوية مع الآخرين عرضت لسماحتكم أن لهذا الرجل خدمة غير منكورة في القضية العربية، وإسماً في ميدانها تجعله يرى لنفسه حقاً في العمل لها في الميدان السياسي أيضاً، ولا سيما بعد أن وُجد في هذا الميدان فعلاً. وأن في إهماله وإقصائه جرحاً لكرامته وإنكاراً لجهاده ودفعاً له على الحركة الانفرادية التي لا يكون منها إلا التشويش والضرر العاجل. وإن من الضروري كسب قلبه وتطييب خاطره والإنتفاع به وتبادل الرأي معه، ولا سيما ليس عندكم سوري له اسم وقيمة غيره. والمظاهر قد تقضي بذلك أيضاً، والمولوي على ما نعرفه سريع المأخذ والإنجذاب. وأنا أعرف حكمة سماحتكم في مثل هذه المواقف وفي ظرف دقيق أنتم أولى من كل أحد بتقدير ما يضر فيه التشويش والإنفراد وتعدد الحركات والمساعي، بل أكاد أرى أن ما بدا من رشيد بك من الموقف الإنفرادي والنزعة الإقليمية تؤكد هذا الآن أكثر من ذي قبل.

(1) ان كلمة المولوي كانت ترمز الى فوزي القاووقجي بين الأخوان، أي الاسم الحركي لفوزي.

ولذلك فإني أرجو وألح في الرجاء أن تتلافوا الأمر بالتي هي أحسن، وجلب قلبه وتطييبه، واستفزاز عاطفته واشراكه في الرأي والعمل. وإذا كانت إقامتكم في روما ستطول، فمن حسن السياسة أن تستدعوه إلى الالتحاق بكم ليكون هذا مقدمة طيبة. وإني على يقين تام بأنكم وقضية الأمة العربية في مفترق الطرق، وهي في مأزق ان لم تنج منه الآن لن تنجو منه أمداً طويلاً، وعيون العرب تنظر إليكم وتلهج بإسمكم وتطمئن بوجودكم في ميدان العمل، وتعرف تقديركم لكل أمر ودفع كل ضرر وكظم كل غيظ والاستفادة من كل قوة، وعدم ترك أي ثغرة يمكن أن يتسرب منها خطر أو لوم الآن وبعد الآن.

هذا، وقد قال لنا لأخ أنكم ما زلتم ترون في قدومي وقدوم الأخ معين بك فائدة، ولقد كنا قلنا للشيخ حسن أن التحاقنا يتوقف على معرفة حقيقة الموقف ومدى استعداد الأصدقاء لعقد المعاهدة، وإمكانيات التشاور في نصوصها وبنودها. وإن سفرنا في غير هذا لا يكون إلا تكثيراً للناس والعبث ومغامرة لا فائدة كبيرة فيها. وليس في ما حمل الأخ من رسائل وأخبار ما يغير رأينا، ولذا فنحن مضطرون إلى انتظار بيان صريح نرى فيه التشجيع والضرورة.. هذا مع الإشارة إلى ما أنا فيه من علّة تؤذيني في نفسي[1] كما أننا نعتقد أنه في حال استعداد الأصدقاء لعقد المعاهدة وإمكانيات التشاور وتبادل الرأي، وفي حالة إمكانيات البحث في موضوع سورية يكون من المفيد استدعاء الأمير عادل وعادل العظمة من هنا، أو استدعاء الأمير شكيب أيضاً، الذي نظن أنه كان من المفيد استدعاؤه ووجوده إلى جانبكم من البدءً.

أخي أبو الحكم والأخ أكرم وابني زهير يقدمون احتراماتهم وتحياتهم، ويشاركونني في الدعاء بأن يتم الله عليكم نعمته، وأن يأخذ بيدكم في جهادكم المبرور وأن يكلله بالتوفيق والنجاح. وأرجو أن تتفضلوا بإبلاغ تحياتي وأشواقي لجميع الأخوان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهذا نص لاحق للكتاب في نفس التاريخ:

اطلعت على كتاب ورد من المولوي، جاء فيه أنه قرأ في جريدة فرانكفورت الألمانية في شهر نيسان مقالاً جاء فيه أن بلاد العرب ستتمتع باستقلالها تحت إرشاد وتنظيم إيطاليا، وأن العرب سيكونون ممنونين من دور إيطالية، لأن ما قامت به في ليبيا من الجهود التي جعلت هذه البلاد جنة عدن شاهد بارز على ما سوف تتمتع به بلاد العرب وتجنيه من الجهود التي ستقوم بها إيطالية عندهم، أو ما في معنى ذلك. لا ندري الدافع وراء هذا المقال، ولا ما فيه من مطابقة لما يبيّت. غير أن مما لا شك فيه أن هذا المقال وما من بابه ينم عن نيات مريبة، ويؤثر في أفكارنا وأفكار أمتنا أعظم التأثير السلبي المتشائم. فالمستعمرون الحالّون الآن في المناطق العربية المتعددة لم يدّعوا أنهم جاؤوا للإستعمار والإستثمار، وكل دعواهم أنهم جاؤوا للإرشاد والمساعدة والتدريب. وقد حيرنا معنى هذه الدعوى التي ادعوها، وأثر الأساليب الإرشادية التي طبقوها وحينما قام العرب يجاهدون جهادهم المرير المديد إنما جاؤوا

(1) عنيت بذلك اشتداد ضعف سمعي. والى ألم أخذ ينتابني في رأسي.

ضد هذه الدعوى الزائفة والأساليب البغيضة، ومن أجل النجاة منها. وطبيعي أنهم لم يجاهدوا ويضحوا ويتحملوا ما يتحملوه للخلاص من يد والوقوع في يد مثلها تطبق عليهم نفس الأساليب وتدعي نفس الدعوى. وتفسير الألفاظ الغامضة دوما بيد القوي كما هو معلوم. وهذا هو الذي كان يحدو دائما بالمشتغلين في القضايا العربية للخلاص من نطاق التعميم وتعيين الموقف تعييناً صريحاً ضمن معاهدة. وأنا على يقين بأن هذا كله لا يفوتكم، وهو ماثل في ذهنكم. ونحن حينما وضعنا نصوص الآستانة إنما لاحظنا هذا وجعلناها صيغة معاهدة صريحة. هذا بالإضافة إلى ما كنا نعتقده من أننا قطعنا مرحلة التصاريح العامة، ودخلنا في دور التعاقد، وأن الذين سيتصلون بالأصدقاء إنما سيستوثقون خطواتهم ضمن هذا الدور، وهو ما كان واضحاً بالبداهة.

ومع الأسف إن الرسالة التي حملها الرسول قد فتحت المجال لتفسيرات متنوعة، فمن قائل أنكم لم تخطو خطوة ما في سبيل عقد معاهدة، واكتفيتم بما طلبتم حينما قدمتم إلى روما وبرلين، وأجيب طلبكم بالموافقة على إصدار التصريح، وخلو الرسالة من إشارة ما إلى المعاهدة، وانصبابها كلها على التصريح، والإشارة فيها إلى أن التصريح متطابق مع نصوص الآستانة ساعد على هذا التفسير. ومن قائل أنكم حينما جاء رشيد يحمل نصوص الآستانة لم يرق لكم أن يكون هو الطرف الحقوقي لعقد المعاهدة وتوقيعها وتنفيذها فلم تتضامنوا معه في عرضها والمطالبة بعقد معاهدة وفق نصوصها، وظللتم تقومون بمساع منفردة لتأمين بعض المطامح، وتدافعون الموقف بانتظار صدور التصريح وبكونه متفقاً مع النصوص التي يحملها. وأن رشيداً لما رأى أنكم مستمرون في مساعيكم المنفردة، ولم تتضامنوا معه في تقديم النصوص، والمطالبة بعقد معاهدة على أسسها، انفرد عنكم وتقدم بالمطالب أو بالنصوص، وقدّم نفسه الممثل الحقوقي الوحيد. وأن الأصدقاء قد استغلوا هذا الموقف الانفرادي منكم ومنه، فلم يقبلوا على البحث في معاهدة ذات نصوص صريحة محددة والتقيد بها، واكتفوا بما كان تقدم منكم ووفق عليه من طلب التصريح العام الذي يمكن تفسيره فيما بعد حسب ما تمليه الظروف، فاضطرّ رشيد حينئذ، لئلا يبقى صفر اليدين امام المستقبل ومفاجأته، إلى المطالبة بالإعتراف بالعراق به كرئيس لحكومة العراق. وقول الرسالة أن رشيد قدم نصوص الآستانة وقدم نفسه وكيلاً وحيداً عن الجميع، ساعد على هذا التفسير، ولا سيما أنه كان ورد من برلين خبر تذمره من انفرادكم بالسعي، وعزمه هو الآخر على الإنفراد بالسعي.

ومهما يكن من ملاحظة على هذه التفاسير، فإني رأيت من الإخلاص أن أنقلها اليكم مؤكداً الرجاء بأن تعملوا كل ما يجب لتلافي الأمر، وتطالبوا بالتضامن مع رشيد بعقد المعاهدة، لأن هذا هو المخرج الوحيد من المأزق والمبرر الوحيد للمستقبل والضامن الوحيد للمصلحة.

وقد شرحنا في الكتاب المفصل أن مسألة الشخصية الحقوقية وضرورة تهيئتها لإمكان عقد المعاهدة وتنفيذها فوراً هي التي جعلتنا نذكر حكومة رشيد كممثلة للدولة الجديدة. ولا بد من أن يكون الشيخ حسن قد شرح لكم هذه النقطة، ولا سيما وقد كنا نسمع من الشيخ حسن ومن إسحق تأكيدات قوية من ارتباط رشيد بكم، وعما يكنه لكم من

عواطف التكريم والتوقير والثقة والتقديم، وقد كنا فكرنا أن موضوع حكومة الدولة الجديدة قابل للبحث والتمحيص على شكل انضمام بعض الأشخاص إلى الموجودين من أعضاء وزارة رشيد، وأن ما بينكم وبينه من شدة الإرتباط وقوة الإعتماد المتبادل سيسهل ذلك ويجعله يتمشى مع ما تقترحون وترون.

2 ـ حول استقالة حسن الحكيم:

اطلعنا في صحف لبنان على بعض التفاصيل حول استقالة وزارة حسن الحكيم، ولمحنا أنها إقالة لحسن أكثر منها إستقالة منه، ونتيجة لتضامن وزرائه ضده، حيث قدم جميع وزرائه استقالتهم، فأصدر رئيس الجمهورية مرسوماً يعتبر به الوزارة منحلة بسبب ذلك. والمتبادر أنه بدا من حسن الحكيم موقف عناد وتمرد أو تحكّم في مسألة من المسائل، ولا يعقل أن هذا الموقف فيما بين الرئيس وجميع الوزراء، وترجّح أنه بين الرئيس والشيخ تاج، وأن الشيخ هو الذي لعب اللعبة مع حسن. .

نشاط حسني البرازي ودلالته:

ومما قرأناه في الصحف أن من أول أعمال حسني البرازي السعي في إطلاق سراح المعتقلين الوطنيين، وأنه نجح في إطلاق سراح نجيب الريس وشابين آخرين، ووعد بمتابعة السعي لتسريح الباقين. ويمكن أن يدل هذا على أن مسألة الإعتقالات كانت من المسائل التي أوجدت التوتر، وأن استبدال حسني بحسن قصد به إحداث تطمين بسبب نزعته الكتلوية الوطنية.

3 ـ مشاعر كراهية تركية لليهود:

مما حدث منذ أيام أنه في أثناء مذاكرة تخصيصات شركة برقيات الأناضول في مجلس الشعب التركي في أنقره، حمل نائب «جناق قلعه» «ضيا» حملة على هذه الشركة بسبب ما كانت أذاعته عن القدس من احتجاج اليهود وعويلهم بسبب غرق باخرة اليهود في البحر الأسود التي كنا ذكرنا خبر إغراقها، حيث رأى النائب في ذكر الشركة التركية الرسمية ذلك مساساً بالعاطفة التركية وتهجماً على الأتراك، وقد أثار في سياق كلامه إلى اندساس عناصر مريبة في هذه الشركة تحاول استغلالها للدعاية الصهيونية. وقال فيما قال إذا كان اليهود يبكون وراء حائط المبكى، فإن وراء هذا الحائط أثراً إسلامياً خالداً يعده الترك لهم، وقد نزع منهم نزعا، وأن اليهود جاحدون للجميل لأن الحكومة التركية أطعمت وآوت ركاب الباخرة، وكل ما فعلته أنها لم ترد أن تجعل بلادها ملجأ لفئة أجنبية لم يقبلها أحد من الدول ذات العلاقة بها. .

وهكذا نمّ كلام وموقف هذا النائب عما في نفس الأتراك من لهفة على ما صار في فلسطين ومن كره لليهود والصهيونية.

4 ـ تصريحات للنحاس عن عدم إشتراك مصر عمالاً أو جنوداً في أي مجهود حربي:

منذ أيام أدلى النحاس باشا في مجلس النواب ببيان جاء فيه أن سياسته تقوم في صدد العمليات الحربية على عدم اشتراك الجندي المصري والعامل المصري فيها، وكل ما سوف يكون من مصر والجيش المصري هو تأمين سلامة جيوش الحلفاء وحركاتها. ولهذا الكلام مغزى مهم، لأن الإنكليز حاولوا تفسير تصريحاته الأولى بالتعاون والتضامن مع الحلفاء

تفسيراً واسعاً، وبنوا دعاية قوية حولها. وما قاله النحاس منطلق من السياسة التي رسمها علي ماهر من تجنيب مصر لويلات الحرب وعدم المشاركة فيها. وفي كلامه ما يفيد أن العمال المصريين أيضاً سوف لا يعملون في خدمة جيوش الحلفاء. ويجوز أن تكون تصريحات النحاس بسبيل إفهام الإنكليز بأسلوب ما أن السياسة التي رسمها علي ماهر هي المنطلق له بالرغم من اعتقاله إياه وإجباره على الإقامة الجبرية.

5 ـ الحالة في إيران نتيجة احتلال الإنكليز والروس:

الصحف التركية نقلت برقيات وأخباراً في أيام متتالية عن الحالة في إيران. ومن هذه الأخبار ما يفيد أن ثورة كبيرة قائمة في جبالها وما زالت مستعرة، وأن الوزارة مرتبكة والرأي العام الإيراني مضطرب ومجلس النواب الإيراني مضطرب بدوره. وأن عدم الثقة هو السائد بين المجلس والحكومة بسبب ما هو كائن، وأن الحكومة سيرت حملات على العصاة ولكنها لم تستطع أن تقمع الفتنة وتوقف الثورة. وقد كانت الصحف منذ شهرين أشارت إلى فرار (فره غى خان)، الذي جاء إلى الحكم على أثر إحتلال إيران وإسقاط الشاه البهلوي، إلى العراق، لأنه لما استقال من الوزارة وعهد إليه بتأليف وزارة جديدة لم يجد أحداً يتعاون معه، فبقي بين نارين، نار هذا الموقف السلبي من رجالات إيران، ونار ضغط القوات المحتلة، فلم يجد مناصاً من الإختفاء ثم الخروج من إيران. وهذا مما قاله هو على ما جاء في الصحف. ووزارة «سهيلي» التي جاءت عقب فرار «فره غي خان» إنما جاءت بعد استمرار الأزمة قائمة أياماً عديدة، ومداخلة مجلس النواب والحاحه على «سهيلي» باستلام الحكم حتى لا تعم الفوضى البلاد. وكل ما تقدم يدل على أن احتلال الإنكليز والروس لإيران وإخراجهم الشاه ثم اعتقالهم إياه بأسلوب سياسي في إحدى الجزر كان له رد فعل متنوع. فمن جهة قام بتجاذب وتدافع بين الإنكليز والروس الذين عادوا إلى التنافس على مناطق النفوذ رجوعاً إلى السياسة التقليدية، وهذا جعل كلا منهما يعمد إلى الدس والتحريك وإيجاد الأنصار والعملاء وبث الفساد في البلاد. ويقال أن الأكراد، وهم الذين يقومون الآن بالثورة، قد وُعِدُوا من الروس بأن يكون لهم كيان قومي يضم أكراد إيران وتركية والعراق معاً، وأن حركتهم الثورية هي عملية تحريض روسية. ومن جهة فإن الإيرانيين أنفسهم قد آلمهم، ولا ريب، ذهاب استقلالهم وتسخير بلادهم للحركات الإنكليزية الروسية، وإجبار حكومتهم على السير في نطاق سياسة إنكلترة. وروسية تعادي من تعادي هاتين الدولتين، وتصادق من تصادقهما. فكان هذا الألم النفساني المرير الذي أحدث هذا الإضطراب والتشويش والقلق وفقدان الثقة. ولعل سياسة رضا شاه الجديدة كانت من أسباب استقرار الحالة في إيران، فلما خرج من الحكم كان رد فعل في الأفكار والحكومة والشعب معا. ولقد صدق قوله تعالى **﴿إن الملوك ـ (المستعمرين) إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾**.

6 ـ حفلة تذكارية عربية في روما احتفالاً بثورة العراق وخطب المفتي ورشيد:

وأول أمس سمعنا من إذاعة روما خبر حفلة تذكارية أقيمت فيها احتفالاً بثورة العراق، خطب فيها رشيد عالي والمفتي، فنوَّها بجهاد العرب وكفاحهم وما أراقوه من دماء في سبيل استقلالهم ووحدتهم في العراق وسورية وفلسطين ومصر الخ.. وما كان من تمردهم المتواصل وكرههم الشديد لإنكلترا، لأنها غدرت بهم ونكثت بعهودها لهم ومزقت بلادهم ونكبتهم بالصهيونية، وأشارا إلى ما يعلقان عليه من آمال كبيرة بزوال الكابوس عن بلاد العرب وتحقيق حريتها واستقلالها ووحدتها، وإلى أن لها الآن أصدقاء شرفاء صادقون مصممون على البر بوعودهم وتحقيق آمالهم... الخ.

ومهما يكن من أمر هذه الحفلة فإنها ولا ريب من جهة تذكير بمواقف العرب في النضال ضد الإستعمار وفي سبيل الإستقلال والوحدة. وصدى من جهة ثانية للتأثيرات التي كانت لرحلتهم إلى أوروبا واتصالاتهم برجال إيطالية وألمانيا.

7 ـ موقف الهند السلبي اللاخفي ودلالته وأثره:

نشرت الصحف قراراً جديداً لمؤتمر الهند الوطني عن الموقف الذي يجب أن يقفه الهنود. وفي الصيغة إشارة بألم إلى أن بريطانية حالت دون أن تهيىء الهند للدفاع عن نفسها، وأن الهنود لا يمكنهم أن ينتظروا مساعدة أجنبية ما توصلهم إلى استقلالهم، وأن موقفهم من أية قوة أجنبية هو موقف المقاومة السلبية اللاعنفية.

***

||||||||||||||||||||||||||||||||||||

الإثنين 12/5/1942:

1 ـ الربيع ونزهاته ومنازهه في الآستانة:

منذ العشرين من نيسان أخذت نفحات الربيع تنفحنا بالرغم مما تخلل الأيام من برد حيناً وسحاب ورذاذ مطر حيناً آخر. وقد أخذ الناس يخرجون إلى البراري يستنشقون هذه النفحات ويتمتعون بدفء شمس الربيع، ومناظره الخلابة. ولضواحي الآستانة مناظر ربيع خلابة، لأنها وخاصة في الأقسام الغربية والشمالية منها، براري وحقول مشجرة وغير مشجرة. وأيام الأحد يزحف الناس بالآلاف إليها، فيفترشون الأبسطة ويتناولون الطعام الذي أحضروه معهم مع أولادهم ونسائهم في مناظر تشبه مناظر الحقول المشجرة خارج المدن عندنا.

وقد قامت في ضاحيتي الشيشلي والمجيدية كوى مقاهٍ كثيرة انتشرت على جانبي طريق كل منهما، فتمتلىء بالناس ويكون من ذلك منظر ربيعي جميل من الأشجار والزهور والنبات، ومنهم من يسير في الطرق ويجلس فوق الكراسي أو يقعد على الربيع من جماعات الناس الأطفال والآنسات والشباب والرجال والعجائز والشيوخ.. الخ.

وفي الأحد الفائت ذهبنا فقضينا بضع ساعات في إحدى مقاهي المجيدية استمتعنا بالشمس الدافئة والمناظر المتنوعة. وأمس ذهبنا إلى

الكاغدخانه، وهي ضاحية إلى الشمال الغربي من المدينة تبعد عن شيشلي نحو أربعة أو خمسة كيلومترات، ويجري فيها نهر يسمى بهذا الإسم يصب في الخليج. ولها مكان في الأذهان مما كنا نسمعه من زوار الآستانة والشباب الطلاب منذ ثلاثين سنة. ولقد ذهبنا إليها مرة منذ شهرين أنا وإسحق درويش، فكانت خواء، ثم قيل لنا أن لها موسماً في مايس، وفهمنا أن هذا الموسم هو هذا الأسبوع وخاصة يومي الأربعاء والأحد هذين. فذهبنا أمس لنرى هذه الضاحية في موسمها. والضاحية جميلة من حيث كونها مشجرة ذات مناظر جميلة يجري فيها نهر. وقد كنا نظن أنه يقوم في موسمها مقاهٍ ومطاعم ويتزاحم الناس فيها. أما الزحام فقد كان موجوداً نوعاً حيث كان بضعة آلاف. ولكن جلّهم إن لم يكن كلّهم من الطبقات الفقيرة ودون الوسط، وقد جاؤوا مع أسرهم ومعهم أبسطتهم وسجاجيدهم وطعامهم وأدواتهم، فانتشروا تحت الأشجار وجلسوا جلسات عائلية صاخبة. ولم نجد مقهى أو مطعماً مستعداً لراحة من يريد أن يرتاح أو يأكل إذا جاء فارغ اليدين، كما ذهبنا. وكنا قد احتطنا وتناولنا غذاءنا قبل الذهاب. ولقد طفنا بين الناس قليلاً، ثم قفلنا راجعين إلى مقهى المجيدية. ويظهر أن بعد المكان وفقدان الوسائل وغلاء السيارات وأسباب المعيشة كل ذلك عمل في ما كان من تفاهة موسم هذه الضاحية. ولقد سألنا بعض إخواننا الذين قضوا حياة شبابهم الأولى في الآستانة عن حكمة ومدى ما كنا نسمعه من بعضهم عن هذا المكان بأسلوب التضخيم والتعظيم والتشويق، فقالوا لنا أن الشباب كانوا يذهبون (ليتصبّبوا) على النساء اللاتي كن تحت الملاءات والأنقبة (جمع نقاب) على وجوههن وكن يغازلن الشباب، وهؤلاء يغازلونهن، بحركات من كشف الأنقبة وإسدالها. . على أن هذا قد ذهب بسفور المرأة التام، وذهب ما كان لكشف النقاب وإسداله من متعة ومن دعابة ومن غزل. . .

وقد زرنا في هذا الأسبوع منطقة أخرى من مناطق الآستانة، وهي منطقة آق سراي Aksaray وهو سمت عظيم يكاد يكون مدينة بذاتها مثل بشيكطاش والفاتح . . . وفيه ثلاثة خطوط للترامواي، واحد للمركز وهو آق سراي، وواحد للغرب وهو خط طوب قبو Topkapu وواحد للجنوب وهو خط (يدي قله) Yedikula ومعناها سبع أبراج. وهذه الخطوط تمر في أحياء أهلة. وقد أخذت الحرائق تهيىء لها تجديداً وتنظيماً كما تفعل في الأحياء الأخرى التي قامت بيوتاً ومنشآت خشبية. وما تزال بيوت الخشب تشاهد بكثرة في المنطقة، ولكنها شائخة إن صح التعبير، ولا تجدّد ولا تصلح كأنما تنتظر الموت بالنار أو غيرها. كما هي الحال في الأقسام الأخرى. «وطوب قبو» هو اسم باب من أبواب سور الآستانة القديم مثل «ادرنة قبو». ومنتهى خط الترامواي إلى ناحية الغرب في المدينة القديمة، كما أن (يدي قله) هي كذلك منتهى خط الترامواي إلى ناحية الغرب الجنوبي في المدينة القديمة. وهي قلعة متصلة بسور، وقد دخلناها وطفنا أبراجها، وهي معدة للزيارة من قبل دائرة الآثار كمعالم للزيارة. وأساس القلعة وأبراجها بيزانسي الطراز دخل عليه ترميمات تركية. ومنظر الآستانة من الأبراج جميل جداً، سواء إلى البحر القريب أو إلى المدينة أو إلى حقولها الخلوية.

2 ـ الحكم على بعض أركان ثورة العراق وتنفيذ الإعدام في ثلاثة منهم :

من أحداث هذا الأسبوع الحكم على جماعة العراق الذين يحاكمون في الديوان العرفي. وقد حكم على يونس السبعاوي وفهمي السعيد ومحمود سليمان بالإعدام، وعلى أمين زكي وعلي محمود بالسجن وبرىء صديق شنشل. وقد باغتنا حكم الإعدام على من حكم عليهم مباغتة، لأن المقدمات وخاصة زيارة الأمير عبد الإله لهم وما أحاطهم به من عناية ووسائل راحة وما صدر منهم من تصريحات مما ذكرناه سابقاً، كل ذلك جعلنا، وجعل الآخرين، يميلون إلى أن الحكم القاسي لن يكون، وأن القسوة كانت وسيلة للإرهاب، وأن الإعدام لن ينفذ، ويبدل بالسجن. وحينما أعلن حكم الإعدام سارع كل من رشيد عالي والمفتي إلى إذاعة بيانات تهديدية على أمل التأثير في الموقف ومنع التنفيذ فلم يكن لذلك أي أثر؛ ولا ندري إذا كان صار من أسباب التصميم على التنفيذ. ولا شك في أن الإنكليز قد قاموا بدور في الأمر كان من أسباب التنفيذ كإرهاب للناس في العراق خاصة، ولا سيما أن الزحف على القفقاس قد قرب والخوف من الإنتفاض حالما تبدو علائم نجاحه ماليء للأذهان. ومهما كان تأثير الإنكليز، فإن الوصي ونوري كانا يستطيعان أن يؤثرا في الموقف لو لم يكونا هما الآخران مؤيدان للتنفيذ.

والغريب أن الإنكليز يعرفون أن شنق جمال باشا لشباب ورجالات العرب كان من أسباب اتقاد نار الثورة العربية واتساعها في الحرب العامة، وكان المنتظر من تبصرهم المعروف أن يذكروا هذا وأن لا يقترفوا هذه الجريمة وأن يحسبوا حساب نتائجها، ويظهر أنهم قد سعروا وأنساهم الموقف الذي هم فيه كل حساب وأفقدهم كل بصيرة وروية. وهذا كله يصح أن يقال بالنسبة لعبد الإله ونوري، فعبد الإله تشبع بفكرة الانتقام من هؤلاء وجرّ نوري إليها، وغرّهم هدوء العراق وما ظهر في صحفه ومجالسه من ردود ضد الحركة الثورية والقائمين بها.

ففي ذمة الله شهداؤنا الجدد، وفي سجل جهادنا الوطني دماؤهم كدفعة من ثمن الحرية والاستقلال. ولسنا نشك، مهما بدا العراق هادئاً مرتداً بأن هذه الجريمة من الإنكليز وعبد الإله ونوري لن تذهب بدون ثأر. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

3 ـ مناقشات برلمانية في مصر حول اعتقال علي ماهر :

قرأت في بعض أعداد الأهرام الصادرة في العشر الأخير من نيسان تفاصيل مناقشات حادة دارت في مجلس النواب والشيوخ حول اعتقال علي ماهر، أثارها المعارضون، وفيها دلالة على أن هذا الحادث قد هزّ الرأي العام المصري هزة شديدة كما قدرنا. ولقد كان من جملة الأسئلة الموجهة للنحاس بيان المؤثرات التي أثرت في توسيد رئاسة الوزارة إليه، وقد اعترض النحاس على هذا السؤال وامتنع عن الإجابة عليه بحجة أنه موضوع حق خاص للملك. غير أن المغزى من السؤال كان ظاهراً، وهو الإشارة إلى ما كان من ضغط الإنكليز على الملك في ذلك. وأثيرت في المناقشة مسألة كون اعتقال علي ماهر كان أريد في زمن وزارتي حسن صبري

وحسين سري فلم يتم، وتم في وزارة الوفد التي تستند إلى أغلبية في البرلمان وقوة في الشعب، فمرق النحاس من هذه المسألة ووجه البحث إلى ما جرى بينه وبين علي ماهر من لقاء وحديث حول اعتزاله في قصره وعدم اتصاله بالناس بسبب ما كان يجري حوله من أحاديث ويقدم ضد نشاطه السياسي من تقارير. ومما فهمناه مما نشر أن اعتقال علي ماهر كان على أثر خروجه من مجلس الشيوخ الذي كان عضواً فيه. فقد خرج من قصره، الذي أمر بالإعتكاف فيه ووضع رصد بوليسي عليه، في غفلة من الرصد، وجاء إلى مجلس الشيوخ، فأعطيت الأوامر لقوة من البوليس بترصده في أبواب مجلس الشيوخ، فلما خرج اعتقلته.

والحقيقة لولا قوة النحاس البرلمانية لكانت هذه المسألة سبباً في سقوط وزارته. ومما يسجل أن بعض الوفديين الأقوياء لم يمنعوا أنفسهم من الانحياز إلى جانب المعارضة في المناقشة، وأن النحاس اضطر إلى جعل المسألة مسألة ثقة من جهة، وقام بمناورة برلمانية للتأثير من جهة ثانية، حيث اغتنم فرصة الإشارة إلى السياسة التي رسمها علي ماهر في صدد تجنيب مصر ويلات الحرب، فقال أنه يصرّح بأنه لن يوافق على أية خطوة من شأنها جر مصر إلى الحرب أو إشراكها فيها بأية وسيلة وسبب، وكان تصريحاً قوياً اكتسح الموقف. وكل هذا يدل أولاً على ما كان لعلي ماهر من أثر وموقف ونشاط سلبي ضد الإنكليز، وعلى أن روح مصر متمسكة بالموقف السلبي تجاه التعاون الحربي مع الإنكليز.

4 ـ أخبار متنوعة من العراق وسورية ولبنان وفلسطين :

من أخبار العراق وسورية وفلسطين :

1 ـ إن الإنكليز ينشطون في البروز والتحكم بقوة وشدة في العراق، وإن الناس يتوقون إلى الخلاص من الحالة القائمة، ولكنهم متخوفون من إيطالية وطول مكث المفتي ورشيد في روما.

2 ـ إن الغلاء وضيق المعيشة مشتدّان في سورية وفلسطين، وأهلهما متخوفون كذلك مما يتخوف منه العراقيون مع توقهم للخلاص من حالتهم.

3 ـ إن الدعوة إلى التطوع في فلسطين ما زالت مستمرة، وإن عدد المتطوعين العرب قد بلغ سبعة آلاف. وإنه عقد في نابلس اجتماع كبير للدعوة إلى التطوع خطب فيه سليمان طوقان وأكثر وجهاء المدينة وشبابها، حتى بعض الذين كانوا مطبوعين بطابع الوطنية مثل راشد أبي غزالة. وإن مثل هذا الاجتماع عقد في غزة وخطب فيه رشدي الشوا ونشرت الصحف صورة له وهو يخطب والعلم البريطاني يتموج فوق رأسه.

4 ـ إن بعضهم وضع قنبلة أمام بيت مدير البوليس العام في القدس. واكتشفت قبل انفجارها، وإن بعضهم وضع قنبلة قرب مركز بوليس فانفجرت وأصيب بعض أفراد من البوليس بشظاياها، وإن بعضهم وضع قنبلة في وسط مخيم كشافة يهودي في الغور فانفجرت وقتل منها أربعة وجرح ستة عشر.

ويظهر أن الدعوة إلى التطوع أخذت تصطبغ بصبغة عدم ترك المجال لليهود ليتطوعوا وحدهم

ويربحوا جميل الإنكليز وعطفهم، وأن العرب إذا اشتركوا في التطوع ثم في الحرب استحقوا الربح بعدها. ويهم الإنكليز، على ما قلنا قبل، أن يتخذوا تطوع العرب في فلسطين حجة ودعاية. وهي التي حاربتهم حرباً شديدة، ولعل للعصبية المحلية أثراً في الحشد لهذه الإجتماعات والدعوة إلى التطوع ليثبت الناشطون في سبيل ذلك للإنكليز أنهم ذوو الشأن والأثر في البلاد. أما استجابة الناس وانغمارهم في هذه الحشود فهما على ما نعتقد بتأثير الخوف وما هو سائد في جو فلسطين من رهبة الحرب وظروفها.

ونذكر في هذه المناسبة أن الحكومة الأميركية أعلنت أنها عازمة على تقوية صلاتها ببلاد العرب، وعلى تشديد دعوتها العرب إلى الإستمرار في الوقوف إلى جانب الإنكليز. الصحف العربية في أميركا تعلن أن العرب في جانب أميركا وحلفائها وهم مشتركون معهم في الحرب، وأن كل عربي في غير هذا المعسكر هو عدو للعرب وخائن لقضيتهم، ويلمحون بهذا إلى المفتي ورشيد ومن هم متصلون بالمعسكر المحوري بطبيعة الحال.

وهكذا تلعب الدعاية السكسونية، ويبدو النشاط السكسوني في بلاد العرب ومهاجرهم، والتعاون معهم في مناسبة ما يقال من قرب وقت معركة الشرق العربي. وقد أرسلت هذه الحكومة بعثة سياسية إلى نجد لتبدأ نشاطها الذي عزمت عليه من هناك، ثم تأتي البعثة إلى العراق فسورية فلبنان ففلسطين، وقد تحمّس بعض المهاجرين السوريين واللبنانيين في أميركا فأخذوا يتطوعون في الجيش الأميركي ويتناسون ما فعله فيهم الإنكليز والإفرنسيون من احتلال واستعمار وإرهاب واستثمار وتجزئة ونكبوهم من مصيبة الصهيونية. ويجعلون العرب في بلادهم ومهاجرهم ينسون ذلك، ويخوفونهم من خطر موهوم مع أن خطرهم هو القائم الجاثم. وأميركا معهم لأنها مؤيدة لهم سابقاً وحالياً.

***

السبت 30 مارس 1943
23 جمادي 1361 :

1 ـ نص قرار المحكمة العسكرية في حق رجال ثورة العراق وبيان مدير الدعاية :

قرأنا في صحف العراق نص قرار المحكمة العسكرية التي حاكمت وحكمت على يونس السبعاوي ورفاقه، وهو قرار طويل جداً حاول الحكام فيه تصوير القواد الأربعة فهمي السعيد وصلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وزكي والسبعاوي بأنهم مجرمون قد اقترفوا أعظم الجنايات ضد العراق ومصلحته وضد الوصي، وباعوا أنفسهم للأجنبي، وسببوا إراقة الدماء البريئة بدون موجب ومن أجل حب الظهور. وكانت دعواهم بالقومية والمصلحة العامة دعوى زائفة. وشبه الحكام حركتهم بحركة الجمعية المحمدية التي قامت بحركة 31 مارس 1909 الرجعيــة في الآستانة بأصابع السلطان عبد الحميد ضد الدستور وجمعية الاتحاد. وكل هذا لتبرير الأحكام التي أصدروها ضدهم. وقد تلي في المحكمة كتاب من الملكة السابقة زوجة الملك غازي وأم فيصل الملك الطفل، الذي أكدت فيه شدة وقع الحركة في نفسها. كما تلي كتاب للوصي عبد الإله بمثل ذلك، وتلي كتاب من نوري السعيد كان رفعه إلى رشيد عالي وأشرنا اليه في أسبوعية سابقة، وتليت إفادات طه باشا الهاشمي عن ظروف إستقالته الجبرية الخ. وتظهر من فحوى القرار أن السبعاوي ورفاقه لم يتنصلوا من مسؤولية عملهم وحركتهم، وأنهم دافعوا عنها أثناء المحاكمة، وأكدوا قناعتهم بفائدتها للمصلحة القومية ومصلحة العراق. ودافع السبعاوي خاصة عن مداخلة الجيش في السياسة، وقال أنه لا يمكن أن تسير مصلحة العراق قوية بعيدة عن المؤثرات الشخصية إلا بهذه المداخلة. وهذا يعني أن ما كان نسب إليهم وذكرناه سابقاً إستناداً إلى بعض الصحف من تصريحات ضعيفة وتفصيلات عجيبة واعترافات بالخطأ، وآخذناهم عليها، غير صحيحة أو مبالغ فيها كثيراً. ولم ينس الحكام أن يشيروا إلى ما كان من (الدخلاء والمطرودين من بلادهم) و(المشعوذين باسم القومية) من دور في هذه الفتنة. وقد عنوا بذلك المفتي والسوريين والفلسطينيين الذين كانوا مندمجين بالحركة الثورية اندماجاً شديداً واسعاً.

وقد نشرت الصحف بياناً قصيراً بتاريخ 5 مارس يعلن تنفيذ حكم الإعدام شنقاً بالثلاثة المحكومين به وجاهاً، وهم يونس السبعاوي وفهمي السعيد ومحمود سلمان، ونشرت الصحف أيضاً بياناً طويلاً نوعاً ما بإمضاء مدير الدعاية، جاء فيه أن الحكومة رأت ان كل تردّد في تنفيذ الحكم وعدمه خطر وضار، لأن ما بدا من التسامحات الأولى قد أدى إلى الكوارث. . الخ. ففي ذمة الله ثانية هذه الدفعة من الشهداء في سبيل حرية واستقلال ووحدة العرب.

أما أكذوبة بيع الشهداء أنفسهم للأجنبي فهي أشنع ما في الكلام. وإذا كان يمكن أن تصدر من أجنبي فما أقساها أن تصدر من عربي. ومعظم رجال القومية العربية في العراق وغيره بل معظم رجال العراق بما فيهم خصومهم

نوري السعيد وجوقته متأكدون في قرارة أنفسهم أن الحركة الثورية العراقية إنما كانت للدفاع عن كرامة العراق واستقلاله وعن صالح الأمة العربية ومستقبلها ووحدتها وتحررها من دسائس وكابوس الإنكليز، وخاصة أنها قامت قبل أي اتصال أو اتفاق مع الألمان أو الطليان، واندفاعاً ضد طلبات الإنكليز المؤدية إلى التسلط على العراق وجيشه ومرافقه تسلطاً واسعَ الحدود والنتائج. ولقد أخبرنا قادمون من بغداد أن بغداد وسائر العراق تميزوا غيظاً من الحكم وتنفيذه، وأن قنابل عديدة قذفت على دور أعضاء المحكمة، ومنها ما انفجر وجرح بعض أبناء الأعضاء، وأن الحالة قد تشتد، وأن دم الشهداء لن يذهب هدراً. وقد كتب الكاتب التركي الرصين البليغ عمر رضا في جريدة الجمهورية مقالاً في مناسبة تنفيذ الإعدام أبدى فيه أسفاً وعاطفة نبيلة. وقد قال فيما قال: إن التهمة الجديدة في العراق هي أن المحكومين وقفوا ضد الديموقراطية، في حين أن المعروف أن العراق لم يتمتع بعد بالديموقراطية ومايزال يجاهد في سبيلها، وإن هذا الكلام لا معنى له.

2 ـ أحكام إعدام على بعض الشبان في حلب:

وفي هذه الفترة أعدم كذلك في حلب أربعة من العرب، وحكم بالسجن على بضعة أشخاص آخرين بحكم محكمة عسكرية على ما قرأناه في الصحف التركية. وتهمتهم التجسس لحساب الأعداء الأجانب. وقد أذاعت إذاعة سورية بياناً سمعه بعض الأخوان وأخبروني به عن هذه الأحكام، ورد فيه أن السلطات اكتشفت شبكة محكمة من سوريين ولبنانيين وفلسطينيين تعمل في سورية بالإتصال مع مركز رئيسي في إحدى بلاد الشرق المهمة لجمع المعلومات اللازمة لحساب الأجانب، وأنها وضعت يدها على وثائق مثبتة لذلك، وأن الذين حكموا بالإعدام هم الرئيسيون في الشبكة. ولقد كنا سمعنا أنه قبض على بعض شباب من الجامعة الأميركية بتهمة التجسس لدول المحور وحبسوا في حلب رهن التحقيق وعذبوا. والغالب أن المحكومين هم هؤلاء، وأن محاكمتهم قد تمت في هذه الأثناء، ولم نعرف أسماء المحكومين وهوياتهم حتى نستطيع أن نحكم بماهية التهمة. غير أننا قرأنا في عدد من جريدة فلسطين أن وفداً وطنياً قابل حاكم يافا وطلب مساعدته بشأن قضية (فائق عبد الجواد) الطالب في الجامعة الأميركية، ومن المحتمل أن يكون هذا الشاب أحد هؤلاء المحكومين. وسجلنا بعد هذه الجملة، جملة يمكن ان نكون كتبناها بعد ايام وهي: (وقد فهمنا خبراً أن الأربعة المحكومين بالإعدام والمنفذ فيهم الحكم هم جلال لطيفي من طرابلس الشام، وعادل زنتوت من صيدا، وعدنان الخطيب من دمشق، وفائق عبد الجواد من يافا، وهم طلاب في الجامعة الأميركية).

ومهما يكن من أمر، فالتهمة من الأجنبي المتسلط زائفة لا قيمة لها حتى لو ثبت أن هؤلاء كانوا متّصلين بالمحور. فالخيانة ليست ضد وطنهم، وإنما هي للأجنبي المتسلط، وإن حركتهم مستمدة من الشعور العام الذي أظهر في مناسبات عديدة بغضبه وسخطه للسلطات القائمة وأمله في التحرر منها، ولاسيما وهو يأمل أن يكون له في هذه الحال استقلال ووحدة ونهوض قوي حيال المتسلط الحاضر دونها

بالحديد والنار. ففي ذمة الله أيضاً هذه الدماء مهما تكن ماهية أشخاصها، لأنها أريقت في سبيل حركة من حركات السعي للتخلص من التسلط القائم الذي اقترف ما اقترف من الجرائم والقسوة والدسائس في سبيل ترسيخ سيطرته وقمع كل حركة نهضوية وقومية عربية في سورية ولبنان وفلسطين.

3 ـ رسالة تطمين من المفتي ورشيد:

وردت رسالة برقية بتوقيع (الكيلاني الحسيني) من برلين بطريق السفارة الألمانية في الآستانة سلمت لإسحق درويش جاء فيها: (إن جهودنا تكللت بالنجاح وكونوا مطمئنين)، وقد كانا عادا من روما إلى برلين منذ أسبوعين. والراجح أنهما استلما كتبنا الجماعية والخصوصية التي ذكرناها في أسبوعية سابقة، والتي حملها سعد الدين عبد اللطيف. وقد أحدثت الرسالة في نفوسنا شيئاً من الارتياح والطمأنينة، وجعلتنا نرى أنها تحمل بشرى بالوصول إلى نتيجة إيجابية فعلاً وليس بقصد التسكين النفساني المجرد. ونقول هذا لأننا اعتدنا أن نتلقى تطمينات ثم يظهر أن هذه التطمينات غير مستندة إلى واقع راهن، وغير محتوية على أسس وافية. والرسالة وإن يكن قصد بها تطميننا بنتائج حاسمة إيجابية عن المعاهدة وسيرها، أو على الأقل تبشرنا أن هذا السبيل قد سير فيه بأمل ونجاح. ولا ندري ما إذا كنا نتلقى بياناً تفصيلياً يزيد في طمأنينتنا وينير لنا الموقف أكثر ونحن منتظرون. والرسالة تبشر أو تريد أن تطمّن أن المفتي ورشيد متفقان يعملان معاً. ونرجو أن يكون هذا وطيداً مستمراً.

ولقد اطلعت أخيراً على كتاب ورد من رشيد للأمير عادل أرسلان يقول له فيه إننا على أثر وصولنا إلى برلين أبرقنا لكم برقية مشتركة مع المفتي نطمئنكم بما هو عليه موقفنا من الحالة المرضية، وليس في الكتاب أي تفصيل.

وإبراق البرقية على أثر الوصول من روما قد يدل على أن قصد التطمين إنما كان بالنسبة للمساعي في روما. ومن العجيب أن رشيد قال في كتابه أنه لم يتلق من الأمير كتباً منذ مدة طويلة، مع أن الأمير أرسل اليه كتباً وكتاباً مع سعد الدين وكتاباً جماعياً منا كلنا، فهل لم تُسلّم له هذه الكتب واحتفظ بها المفتي لئلا يثير ظنونه بأنه أرسل الينا يشكو من موقفه؟؟

4 ـ تصريح ذو مغزى لغاندي ومداه:

نقلت الصحف خطاباً أو تصريحاً لغاندي غريباً في بابه ولكنه ذو مغزى عظيم، وهو قوله أن السكسونيين إذا كانوا يريدون كسر قوة المحور، فما عليهم إلا أن يتركوا ما في أيديهم من المستعمرات في آسيا وأفريقيا، وأن يرحلوا وبخاصة عن الهند. ومما قاله أنه يأسف لأن يقول إنه غير قانع قط بأن يسدي لبريطانية اي معونة، أو يتعاون الهنود معها في أي شيء؛ وليس من ريب في أن هذا الكلام دعوة قوية إلى مقاطعة الإنكليز وعدم التعاون معهم.

5 ـ لمحات جديدة ظهرت لنا عن أزمة مصر الوزارية النحاسية:

قرأنا في بعض مجلات مصر الأسبوعية التي صدرت في شباط ووصلت إلى أيدينا متأخرة، وهو شهر الأزمة الوزارية المصرية. ويلمح من بين سطورها خطورة الأزمة وظروفها. فالملك

حينما استدعى الزعماء للتشاور قابلهم ثم قال لهم أن أحمد حسنين (رئيس ديوانه) سيشرح لهم الموقف. وأحمد حسنين قال لهم أن الضرورة تقضي بتأليف وزارة برئاسة النحاس، ثم أخذ يشرح لهم الظروف. ووضعت المجلة بعد هذه الجملة نقطاً عديدة. وخرج أحمد ماهر من الإجتماع حانقاً، وطلب تسجيل أسباب غضبه. ومما بلغنا أنه قال أنه يريد أن يسجل أن النحاس باشا إنما يأتي إلى رئاسة الوزارة بطلب من الإنكليز وإنذارهم، وكلام أحمد حسنين قد يتضمن هذه الحقيقة. وفي مجلة روز اليوسف صورة كاريكاتورية لسوق عكاظ وأحمد ماهر يخاطب النحاس قائلاً:

(لنا صاحب لا ينبغي أن نعارضه وأنت تاجر صاحب وصديق). والكلام يشير الى موقف الملك الحرج وموقف الانكليز منه ومن النحاس. وفيها كلمة لكاريكاتور (المصري) وهي: (ولقد سئمت مما حل بي من ذل وهوان). وهي كلمة قوية تحمل معنى ما كان من إذلال الإنكليز وإنذارهم. ولعل عملية النحاس بأخذه كتاباً من السفير الإنكليزي بعدم مداخلةالإنكليز في تشكيل الوزارات إنما كانت تغطيه للموقف وبهلوانية في ذات الوقت. وكان الكاتب التركي «عمر رضا» كتب مقالاً في جريدة الجمهورية التركية ذكر فيه أن الملك كان ينوي أن يعهد برئاسة الوزارة إلى علي ماهر، فوقف الإنكليز موقفاً شديداً إنذارياً، وأصروا عليه في إسناد الوزارة للنحاس. ولعل في هذا شيئاً من الحقيقة يفسر ما كان من ظروف ومن حقد ومن إعتقال علي ماهر أيضاً.

(تنبيه: هذا ما وجدناه مسجلاً في هذه اليومية، وفيه شيء من حقيقة ما كان في ظروف إسناد الوزارة للنحاس التي ذكرناها في يومية سابقة، وقلنا أنه ظهر لنا فيما بعد أن السفير الإنكليزي اقتحم بدبابة قصر عابدين وطلب مقابلة الملك وقابله، وقال له إذا لم توسد الوزارة للنحاس في ظرف (24) ساعة فإنك تتحمل مسؤولية ذلك، وهذا يعني إنذار له بالخلع . . . . وكان ما كان مما أوردناه سابقاً).

6 ـ ارتفاع أسعار الخبز والمعيشة في الآستانة وتركية:

منذ شهر والخبز في تركية خليط من قمح وشعير وذرة، والنسبة 50٪ من القمح. ومنذ شهر جعل التقنين اليومي للشخص الواحد/150/ غراماً يومياً و/300/غرام يومياً. وقد أعلنت السلطات أن هذا الترتيب موقت إلى الموسم الجديد. وقد أشارت الصحف إلى تلاعب الأفران وكثير من الناس حتى بعض الموظفين في مسألة الخبز وبطاقاته وأوزانه، حتى قالت أنه لم يبق فرن واحد من أفران الآستانة وعددها نحو (270) إلا وقع عليه قصاص مرة أو مرتين وأكثر. أما حاجات المعيشة فأكثرها في ارتفاع. فالسمن الجيد أصبح سعر الكيلو منه أربع ليرات، واللحم ليرتين، والمعكرونة ثلاثة أرباع ليرة، واللبن بثمانين قرشاً والجبنة بليرة ونصف والزيت بليرة ونصف. وفي أكثر أيام الشتاء وهو موسم البرتقال كان ثمن البرتقالة الواحدة بين عشرين وعشرة قروش.

ومن جديد أخذت ثمرة الشليك (الفريز) اللذيذة تنزل. وبيع الكيلو أولاً بليرتين ثم نزل إلى ستين قرشاً. ومن الطرائف أن الخيار حينما نزل منذ أسبوعين بيعت الخيارة الواحدة بسبعين

قرشاً، وحينما نزلت البندورة منذ أسبوعين بيع الكيلو بخمس ليرات. والراجح أن الفاكهة والخضرة ستكثر في الأيام الآتية وترخص. أما حاجات الملبوسات فهي في ارتفاع. فقد اشترينا قماش بدلة إنكليزي عادي بمائة وخمسين ليرة. واشترى زهير كندرة جلد بيضاء بست وثلاثين ليرة. وعملنا بيجامة بازين حرايري (وليس حريراً) بخمس وعشرين ليرة. وقس على ذلك الباقي.

7 ـ تسجيل خواطر في سياق تفسيري للقرآن:

ما زلت أتابع عملي في تفسير القرآن الذي بدأته في أيلول 1941، وقد صرت منجزاً تفسير 43 سورة بين صغيرة وكبيرة حسب ترتيب النزول، وبينما بلغ حجم هذه السور خمسة أجزاء واستوعبتها نحو 400 صفحة. وأنا اليوم أفسر سورة مريم وأكاد أنجزها أيضاً. وقد أنجزت ما أنجزت بدون مرجع ما إلا ما علق في ذهني مما قرأت من مختلف الكتب والتفاسير. ومنذ شهرين اشتريت نسخة من تفسير البيضاوي، وصرت أقرأه في سياق ما أفسر من الآيات، وهو تفسير مقتضب عتيق الأسلوب كما هو معروف. وأحمد الله على إلهامه، فإنه على ما يتراءى لي يتيسّر لي أن يكون أسلوب تفسيري طريفاً غير مسبوق. وقد انتفعت ولا ريب في التفسير بما كان لي من جهد في تأليف الكتب الثلاثة عن القرآن في السجن. فهذا الجهد كان رأسمال كبير لي في عملي هذا. بل هذا العمل هو بالإجمال تفريق لتلك الكتب وتوسيع لها. ففي التفسير صور عن بيئة النبي وصور عن سيرته وإبراز للمبادىء والقواعد والأحكام القرآنية، وكل ذلك هو مواضيع الكتب الثلاثة.

وكثيراً ما أقف أمام بعض السور أو الآيات متهيّباً ذاهلاً أو حائراً أو مغلقاً عليّ، فأحتضن ذلك في ذهني يوماً أو يومين أو ساعات، فلا يلبث أن يفتح الله عليّ ويلهمني ما ترتاح إليه النفس وما ينسجم مع المعنى والسياق. وإني أرجو الله أن أستمر في هذا العمل الذي يسمح لي أن أقضي وقتاً ممتعاً ومفيداً معاً.

8 ـ رحلة استجمامية إلى بورسة ووصف لمشاهداتها وما فيها من آثار وأحوال:

قبل تسعة عشر يوماً أي يوم الجمعة الموافق لتاريخ 14 مايس 1942 سافرنا إلى بورسة لقضاء بضعة أيام للنزهة والاستجمام بالحمامات المعدنية. فقد خرجت من سجن القلعة في دمشق وفي ركبتي اليمين ألم يعاودني. ويرجح أنه روماتيزم، وقيل لي أن حمامات بورسة المعدنية قد تفيد، وكذلك قيل لنا أن مدينة بورسة جميلة جداً. فرأينا أن نزورها للاستجمام والنزهة معاً. وكان معين الماضي وزوجته قد سبقنا للغرض نفسه. وسافرنا أنا وإسحق درويش وطه الهاشمي. والطريق المعتاد هو البحر الى ميناء مودانيه. ومنها إلى بورسة بالسيارة أو القطار، والمسافة بحراً ثلاث ساعات، وبراً نصف ساعة بالسيارة وساعة ونصف بالقطار. والبواخر تذهب في الأسبوع إلى مودانيه خمس مرات. وهي أكبر وأحسن من بواخر النقل في سواحل البوغاز. وكانت السفرة مريحة، وأجرة الباخرة ليرتان وستون قرشاً. وإذا أحب المسافر أن يأخذ

بطاقة ذهاب وإياب معاً يحسم له (40) قرشاً. ومن الطرائف أن هذه البطاقات لا تعطى إلا لمن يقدم صورته الفوتوغرافية لتلصق عليها، وهي عادة لم نصادفها في وسيلة من وسائل النقل حتى الغالية. فالبطاقة لأمر حاملها ذاهبة أو راجعة كما هو المعتاد. وقد سبقنا الركاب في النزول إلى بر مودانيه، فلما نزلنا وجدنا السيارات قد امتلأت، وقيل لنا أن القطار يسافر بعد قليل، فاضطررنا إلى ركوبه، وهو يشبه الترامواي وليس مريحاً وخطه ضيق. غير أن الطريق كانت جميلة ومسلّية، حيث تخترق أراضي مشغولة بالزروع والأشجار المتنوعة على الجانبين، وفي بعض أقسامها مناطق جبلية محرّشة أيضاً. وكنا اتصلنا بمعين فحجز لنا غرفاً في فندق جليك بالاس، (وكلمة جليك تعني الحديد أو البولاد)، لأن الماء الحار يسمى جليك صو، أي ماء الحديد أو البولاد. وركبنا سيارة من المحطة اجتازت شارعاً جميلاً واسعاً ومشجراً على طرفيه وفي وسطه أيضاً. ومنذ أقبلنا بالقطار على بورسه بدت لنا غوطة واسعة تشبه غوطة دمشق. وبدت لنا بورسة في سفح جبل (أولو طاغ)= الجبل الكبير أو العظيم، مشرفة على هذه الغوطة كأنما هي قصر في هضبة بستان واسع، فكان المنظر جميلاً خلاباً ذكّرنا بدمشق ومن في دمشق من أبنائنا وذوينا وأصدقائنا. أما فندق جليك فهو يبعد عن المدينة نحو كيلومترين. وقام على هضبة مشرفة على غوطة بورسة، ومن ورائها الجبل المشجر والمحرّش. وبورسة تمتاز عن دمشق باخضرار جبلها في حين جبل قاسيون أجرد جاف. وتمتاز عنها أن منظر الغوطة لا يجتلى إلا من الأحياء المرتفعة وخاصة من أعالي الصالحية وسفوح قاسيون، بينما غوطة بورسة تتجلى من أي مكان في بورسة، لأن المدينة قائمة على هضبات وسفوح الجبل. والفندق حديث البناء مستوفٍ وسائل الراحة والترف. وفي أكثر غرفه مغاطس تجري إليها المياه المعدنية الحارة. وأجرة الزائر ثماني ليرات تركية، وكانت قبل سنة ستاً. ولعلها كانت قبل الحرب أربعاً، وهي أجرة معتدلة لا تزيد عن أجرة فنادق سورية ولبنان المماثلة. للفندق فناء واسع مشجر ومجمّل، وفيه مقهى ومرقص (مكشوف)، والفندق مشرف على الغوطة ومحاط بالخضرة والأشجار من كل جهاته القريبة أيضاً. وغوطه بورسة ذات منظرين، منظر يشبه غوطه دمشق ومنظر يشبه سهل البقاع. وخاصة منطقة شتورة ومجدل عنجر وإن كان سهل البقاع يبدو أوسع. ويخترق غوطه بورسه نهر اسمه النيلوفر، كما أنه يجري إلى بورسه وغوطتها عدة أنهار صغيرة يرى بعضها في منحدرات المدينة نفسها جارية من الجبل الى الغوطة.

وقد بني في جوار الفندق عمارة كبيرة فيها حمامات وأرضها مفروشة بالرخام. وهي دائرتان، وفي كل دائرة حوض واسع قطره نحو عشرة أمتار وعمقه نحو متر ونصف، وأحيط بلواوين فيها أجران صغيرة. فالمستحم في الحوض يستطيع إذا شاء أن يجلس إلى أحد هذه الأجران فيغسل نفسه بالليفة والصابون. وفي كل دائرة عدة غرف أو مخادع مستقلة فيها مغاطس وفيها طرف للراحة بعد الاستحمام مجهزة بوسائلها، كما أن في كل دائرة مخادع يحتوي كل منها مقعدين طويلين للمستحمين في الحوض، وقريب من هذه المخادع مخادع للدوش أيضاً. وبالجملة فإن العمارة لطيفة

ومرتبة ترتيباً حسناً. وليس في حماماتها ما في حمامات يالوه من رتب الحرارة وأجهزتها الصناعية.

وعلى مسافة مائتي متر من الفندق يوجد حمامات أخرى تعرف بحمامات «قره جه مصطفى» أقل نظافة وترتيباً وفخامة من حمام الفندق. وفي هذه الحمامات مشالح كحمامات دمشق والآستانة العادية، وليست فقط حمامات استشفاء. ولها أدوار للرجال والنساء. وفوقها غرف فندق مجهزة بالأسرة أيضاً. وحمامات بورسة المعدنية ليست هذه فقط، بل توجد حمامات مياه حارة معدنية في الضاحية المسماة (جكركه)، وتبعد ثلاثة كيلومترات عن المدينة وكيلومتر عن فندق جليك بالاس. وفي هذه الضاحية أولاً حمامان كبيران، واحد للرجال وآخر للنساء، فيها مشالح كمشالح حمامات دمشق ومنظمة أحسن. وفيها أحواض كبيرة كأحواض الفندق الكبير، وحولها أجران صغيرة وفيه مخادع ذات أجران أيضاً. وهذه الحمامات تعرف بالحمامات القديمة. وقد قرأنا على باب حمام الرجال تاريخاً يفيد أن بناءها الأول كان سنة 917 هجرية، ثم تجدد وأصبح عصرياً. وبالإضافة إلى هذين الحمامين الكبيرين الأصليين يوجد في هذه الضاحية فنادق عديدة صغيرة وفيرة، وفي جميعها مغاطس تجري إليها المياه المعدنية الحارة أيضاً. والغالب أن هذه الضاحية هي التي كانت في الأصل منطقة الحمامات المعدنية، ثم تفرع أو تفجرت مياه حارة في منطقة فندق «جليك بالاس وقره جه مصطفى». والضاحية مرتفعة ومشرفة على الغوطة السهل على الأكثر، ويمكن أن تعد بمثابة مصيف. وكذلك فإنها تعمر في الصيف وتكتظ فنادقها بالزوار والمستحمين. وفنادقها عادية وسط، بل دون الوسط، وأسعارها خمس ليرات للشخص مع الطعام. ويسير بين بورسة والضاحية سيارات أوتوبوس كبيرة ونظيفة، ويبدو عليها الجدة.

والمياه المعدنية في جميع هذه الحمامات بدون طعم أو رائحة. ويسمونها حمامات حديد أو بولاد. ويقولون أن فيها عنصر الراديوم، ودرجة الحرارة في بعضها تصل الى 48 وفي بعضها 44 و40 وأقل.

وقد نزلنا الى بورسة مراراً وتجولنا فيها. ففيها شارع رئيسي طويل جداً ولا بأس به. وقسمه الخارجي معبد ومغروس الطرفين، وبدأت تقام على طرفيه مبانٍ جديدة، أما بقية شوارعها وجاداتها[1] فهي منحدرة من الجبل إلى السهل في منظر جميل وانحدار شديد. وفيها سوق رئيسي يعرف بالسوق الطويل فيه مخازن الفاتورة والخرضوات (النوفوتيه)، وفيها أسواق فرعية جديدة، غير أنها بالإجمال غير غنية بالعمارات والمخازن. وعدد سكانها نحو خمسة وسبعين ألفاً، ولذلك يحسّ فيها شيء من الإكتظاظ. وأكثر بناياتها خشبية أو بغدادية، أي خشبية مطلية بالجبس والطين وسقوفها قرميد، وأكثر مساكنها لها ساحات داخلية مكشوفة فيها أشجار وأحواض على الطريقة الشامية. ومن مظاهر التماثل بينها وبين الشام ـ دمشق كون بورسة بلدة صناعية مثل دمشق، وهي مشهورة بنسيجها الحريري خاصة، وفيها عدة مصانع وكثير من الأنوال اليدوية والميكانيكية والكهربائية المنفردة أيضاً، وفيها نسيج قطني وخاصة نسيج

(1) جادات: جمع جادّة ـ شارع فرعي.

المناشف، وفيها صناعات ثانوية عديدة كالسكاكر والحلويات والمربيات والسكاكين والخناجر وما إليها.

ومعلوم أن بورسه كانت لمدة نحو مائتي سنة عاصمة للسلطنة العثمانية، وفيها نتيجة لذلك منشآت سلطانية عديدة، أهمها المساجد والترب (مقابر السلاطين). ومن أهم مساجدها مساجد «بايزيد» و«اليلدريم» و«اولوجامع» و«المرادية» وجميعها قديم ما يزال بناؤه الأول إذا استثنينا الترميمات المستمرة التي لا بد منها كالقصارة والدهان والتبليط الخ. وفيها مساجد ثانوية عديدة لم نستطع أن نزورها. وفي ضاحية (جكركه) تربه للسلطان «خداوندكار» أمامها مسجد له جدده السلطان عبد الحميد، ومسجد المرادية محاط بعدة مقابر سلطانية في أحدها قبر السلطان مراد الأول، وفيها قبور أبنائه وقبور أبناء سلاطين آخرين وأمام جامع بايزيد المعروف باسم آخر هو (يشيل جامع= الجامع الأخضر) مقبرة عظيمة فيها قبر السلطان محمد بن السلطان بايزيد، وبعض قبور أبناء سلاطين أخرى. وفي بورسه مقبرتان أخريان سلطانيتان، واحدة فيها قبر السلطان عثمان مؤسس الدولة، وفي الثانية قبر ابنه السلطان اورخان. وقد زرنا أكثر هذه المقابر والمساجد.

ومن حيث التزيين الفسيفسائي فإن جامع (يشيل) يفوقها على صغره، بل فيه من التزيين ما لم نر مثله إلى الآن فناً ودقة وجمالا. ففيه ثلاث مقاصير اثنتان تحتانيتان وواحدة علوية كلها مكسوة الجدران ببلاط صيني أزرق مذهب، ثم بعروق فسيفسائية صينية خضراء وزرقاء مذهبة ومشجرة رائعة جدا. كما أن جدران المسجد التحتانية مكسوة بذلك البلاط الجميل. ومحراب هذا المسجد تحفة فنية حقاً رائعة ونادرة، وارتفاع واجهته المزخرفة نحو سبعة أمتار وكلها مزينة بالفسيفساء الخضراء الزرقاء ومكرنشه بكرنشات دقيقة مذهبة. وفي حرم المسجد حوض ماء رخامي فيه نافورة رخامية قديمة جميلة الصنع. وجدران المسجد الخارجية رخامية، والباب الكبير مزخرف بالكتابات الكوفية المشجرة العربية، والكتابة تفيد أن المسجد أنشىء بإشراف وعناية الحاج عوض أخي السلطان بايزيد سنة 826 هجرية. وللمسجد فناء سماوي واسع على عادة مساجد الآستانة التي وصفناها فيما سبق. وللمسجد منارتان من الآجر غليظتان أي ليستا رفيعتين دقيقتين كما هي الحالة في مساجد الآستانة، مع التنبيه على أن في أكثر مساجد بورسه منارات دقيقة رفيعه ومقبرة السلطان محمد أمام المسجد ويفصل بينهما الشارع، وهي بناء عظيم ذو قبة ومزخرف بزخارف فسيفسائية وشبابيكها زجاجية مزخرفة أيضا. ومما لفت نظري التاريخ العربي الفصيح على قبر السلطان محمد ومن معه: (إنه السلطان محمد بن السلطان أبي يزيد)، والمتعارف أن اسم أبيه (بايزيد)، حيث يبدو من كلمة أبي يزيد تصحيح لا ندري هل هو مقصود أو عفوي، مع التنويه على أن كتابة أخرى على باب المقبرة وعلى باب مسجدها ذكرت الكلمة المعتادة (بايزيد)، ونرجح أن التسمية الأصلية «ابو يزيد»، وأن اللهجة التركية حرّفتها فصارت بايزيد.

والمسجد المسمى بإسم (اولو جامع= الجامع الكبير) هو في وسط المدينة وواسع نوعا ما ويستحق هذا الاسم. وترتيباته قاصرة على ما كتب على جدرانه من خطوط وما علق عليها من

لوحات ورقاع مخطوطة بكل نوع من أنواع الخطوط وفي مختلف الأدوار والأطوار دقيقها وجليلها، رقعتها ونسخها ومشجرها ومعلقها وكوفيها وفارسيها، وقد كتبت كلها بحذاقة وبراعة كبيرتين، حتى لكأنك أمام متحف خطوط رائع. وفي وسط المسجد حوض ماء واسع نوعا ما. يتوضأ المتوضئون إذا شاؤوا من حنفياته أو من مائه مباشرة. وفي المسجد محراب خشبي أسود الدهان مكرنش يرجع تاريخه إلى أوائل القرن الهجري التاسع.

والمسجد الجامع من إنشاء بايزيد ومؤلف من عشرين قبة. ومن طرائف ما صدفناه في زيارتنا للجامع حلقة مجتمعة على إحدى الصفف يتلو أفرادها سورة يس، وقد أمسك كبيرهم في يده غصن دالية عنب طويل. فكل من أتم قراءته يأتي إلى الغصن فيدعو ويقبل محل عقدة فيه. وقد سألنا المؤذن عن ذلك، فقال إنهم يقرأون سورة يس ويدعون دعاء الاستسقاء لأن الحقول في حاجة إلى مطر.

وقد سألنا المؤذن عن مدى اهتمام الناس لتعلم القرآن، ففهمنا من جوابه أن ذلك ضعيف، وأنه لا يتجاوز الأفراد القليلة من صبيان وبنات، لأن المدارس لا تعلم القرآن. ونسجل أننا قرأنا ونحن في بورسه في جريدة الجمهورية أن رئاسة الأمور الدينية قررت فتح دروس في أضنه لتعلم القرآن، وأنه سيرسل من كل ولاية بعثة للإنخراط في صفوفها.

وليس في المساجد الأخرى التي رأيناها ميزات فنية خاصة عدا قدمها الظاهر وضخامة حجارة جامع بيلديرم خاصة. ومن عجائب الصدف أننا وجدنا في جامع المرادية مصحفاً مخطوطاً في سنة 1241، وخطه عادي رقعي كبير الحرف نوعا ما، قد كتبت أسماء سور القرآن فيه في مربعات وأشير إلى مكيه ومدنيه، كل منها، ورأينا فيها أن سور الرعد والرحمن والدهر والإنسان مكيّات، في حين أن المصاحف المطبوعة جميعها تقريبا تذكر أنها مدنيّة، وقد كنا توقفنا في الأخذ بذلك لأن أسلوب السور الثلاث ومضمونها يسوّغ ترجيح مكيتها، وذكرنا ذلك في كتابنا سيرة الرسول. وقد أيد هذا المصحف رأيَنا أو ترجيحَنا والحمد لله.

وقد زرنا فيما زرناه مقبرة السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية، وهي ذات قبة مجدّدة في زمن السلطان عبد العزيز. وفي جوارها مقبرة السلطان أورخان، ويظهر أن رفات السلطان عثمان قد نقلت إلى بورسه بعد اتخاذها عاصمة، لأن الذي نعرف أن عثمان لم يتخذ بورسه عاصمة ولم يتوفّ فيها. وقد شاهدنا قبور شهداء من شهداء حرب الإستقلال أو الحركة الكمالية في ساحة المقبرة، وكتب عليها بالحروف العربية باللغة التركية: (إنهم استشهدوا في حرب استرداد بورسه، وإن نهاية حكم الدولة العثمانية وقيام الحكم الجمهوري في تركية كان نتيجة للحرب التي استشهدوا فيها). وهكذا وضع الحكم القائم الآن هذا النص لتسجيل إنتهاء حَكم العثمانيين أمام قبر مؤسس الدولة العثمانية.

وفي بورسه متحف أنشىء في عهد الحكم الجمهوري منذ خمس عشرة سنة، وفيه آثار حجرية كثيرة رومانية ويونانية بيزانطية، وفيه كذلك لوحات مخطوطة عديدة وقطع عملة متنوعة الأشكال والأدوار.

وسكان بورسه أكثريتهم الساحقة مسلمون،

وقد كان فيها قديماً جماعات من الأرمن واليونان رحلوا عنها في العهد الجديد، ولم يبق فيها غير ألفي يهودي، ولهم أثر بارز في حياتها المالية والصناعية ومعامل النسيج ومتاجرها. وسفور المرأة في بورسه بارز غير أنها ما زالت، وخاصة المتقدمات في السن ونساء الطبقات المتوسطة والعامة، متحفظات في اللباس والإحتشام وأكثرهنّ يلبسن الكاب ويغطين الرأس. وقد لفت نظرنا لباس القرويات في طريق مودانة بورسه، فقد كن يتقبّعن العباءات السوداء على طريقة القرويات في فلسطين. ومما قيل لنا أن بورسه هي أكثر مدن الترك رخصاً في المعيشة، ولعلها كذلك في الظروف العادية، فان غوطتها وسهلها ومنطقتها المشجرة بأنواع الأشجار من الميسّرات لها كثرة الفاكهة والخضرة والحبوب والجبن والسمن واللحوم بأسعار رخيصة، وهذه هي أهم مواد المعيشة. وقد أخذ موسم الشيلك (الفريز) يحل في هذه الأيام وهو يكثر في بورسة. وبيع الكيلو في بدء الموسم بمائه وثمانين قرشاً، ثم تدنى حتى صار بثلاثين أو أربعين وكثر في السوق، وهو جيد حباته كالمشمش ويزيد أحياناً.

***

يوم الأربعاء
10 حزيران 1942 :

1 ـ خواطرنا في مناسبة تمام سنة كاملة على غزو الإنكليز والديغوليين لسورية الذي حملنا على الهجرة :

أول أمس مساء الإثنين كان نهاية سنة كاملة على بدء الغزو الإنكليزي الديغولي لسورية. ولا أزال أذكر مجيء الأمير فائز الشهابي لبيتنا في الصباح وإخبارنا بذلك، وكانت علائم الإضطراب تبدو عليه مع شدة إخلاصه وصميميته ووفائه لنا. ولا أزال أذكر كيف ذهبنا ذلك اليوم إلى بيت أبي حسني القاضي (زوج خالة بديع دروزه) الحارس، وكيف قضينا النهار والليل هناك في تساؤل وقلق، وكيف انتقلنا في الليل إلى بيت بشير عابدين خال بديع ومحمد، وقضاءنا فيه أربعة أيام مختبئين، حيث كنا فكرنا أول الأمر أن نكتفي بالاختفاء، وحسبنا الأمر مدة قصيرة لا يلبث أن ينتهي ورجحنا قضاءها في دمشق على الضرب في آفاق الأرض مشرّدين أو مختفين. ولا أزال أذكر ما كان يبدو من بشير وزوجته من إخلاص في تأمين راحتي وخدمتي، ثم ما أخذ يغمرني من سأم وضيق صدر من هذا الحبس الإختياري المنفرد في بيت صغير كالعلبة، فغيرت رأيي وعزمت على الخروج من الشام إلى حلب ثم إلى ما لا نعلم، وفضلت ذلك على هذا الحبس.

واليوم أذكر هذا وأرى أني فعلت خيراً. وأني لو بقيت حابساً نفسي لتضايقت وانزعجت

خاصة وقد طال الأمر أكثر بكثير مما كنا نحسب، ولعله يطول أكثر مما طال بكثير أيضا. ولم نكن مخطئين في تقديرنا إذ ذاك لقصر المدة، لأن الحرب الألمانية الروسية لم تكن نشبت، وكانت ألمانيا تصول وتجول عظمة جبارة، وكانت بريطانية تتقلب على فراش القلق والرعب على جزرها فضلاً عن امبراطوريتها. وقد بقيت وحدها بعد انكسار فرنسة واجتياح الألمان لمعظم أوروبا الغربية، وكانت كل الأمارات تدل على قرب انتهاء الألمان من أمرها وفرض ما تريده من شروط عليها.

وفي خلال سنة طرأ كثير من الأحداث، وفي مقدمتها أو أهمها الحرب الروسية الألمانية التي يمكن أن تعد سبباً رئيسياً في ما تيسّر لبريطانية من هدوء الروع وخفة ثقل الكابوس عن صدرها. وإذا كان من الممكن أن يتغير وجه الحرب من الإبتسام للعبوس بالنسبة لألمانية فهذه الحرب ستكون هي السبب الرئيسي أيضاً. وقد مر عليها نحو سنة، وكان الألمان يحسبون لها شهرين أو ثلاثة، وقد تطول سنة أخرى والعياذ بالله. ومما طرأ وعقد الأمور ووسع الإحتمالات والأمد نشوب الحرب بين أميركا وبريطانية من ناحية، واليابان من ناحية أخرى، وشمول الحرب بين أميركا وبريطانية من طرف، وألمانيا وإيطالية من طرف آخر، وغدوها حرباً عالمية أعظم وأوسع شمولا ونتائج من الحرب الكبرى السابقة. والآن أصبحت نضالاً بين السكسونيين من ناحية ودول المحور من ناحية، على أي من الفريقين سيسود العالم، وأي من الفريقين يندحر ويعد راضخاً تابعا. وموضوع النضال خطير وخاصة بالنسبة للسكسونيين الذين تمتعوا بالملك العظيم والثروات العالمية الهائلة السنين الطوال، وهذا ما يجعلهم يستميتون في الثبات والإستعداد.

2 ـ الخلاف بين النحاس ومكرم:

ومما هو جدير بالتدوين من حوادث العرب وبلادهم:

1 ـ الاختلاف الشديد الذي نشب بين النحاس ومكرم عبيد سكرتير الوفد ومن أهم أركانه، وأدى إلى إخراجه من الوزارة، وكان لذلك دوي عظيم، للروابط الوثيقة التي تربط الشخصين ببعضهما، والتي جعلتهما عمودي الوفد وقوته. والذي نشرته الصحف من أسباب الخلاف هو أن النحاس أراد أن يرقى بصورة استثنائية لبعض أعضائه من الموظفين ذوي المراكز فعارض مكرم ذلك بصفته وزير المالية، ولم يتحول أحدهما عن موقفه رغم المداخلات والمساعي المبذولة. ومما هو جدير بالذكر أن مكرّم لم يرد أن يخرج من الوزارة مستقيلاً فقدم النحاس استقالة الوزارة، ثم عهد إليه بتأليفها ثانية، وأخرج مكرم بهذه الطريقة. ويخمن المخمنون أن يكون هناك أسباب أخرى بالإضافة إلى الترقيات الاستثنائية. ويلمح من لهجة الصحف المصرية أن الخلاف عميق وداوٍ، حتى أن مجلس الوزراء نشر محضر الجلسة التي جرت فيها المناقشة حول وجهتي نظر الرجلين، وقد أدلى كل منهما برأيه بشدة وتصميم وعزم، ووقف معظم الوزراء في جانب النحاس.

وفي كتاب الاستقالة اشير إلى الخلاف ووصف بأنه جوهري وأنه لم يبق إمكان لاستمرار التعاون مع مكرم. وهذه التفصيلات بعيدة المدى في تصوير الموقف. وقد اجتمعت

الهيأة الوفدية وطلبت من الإثنين عدم البحث في ما كان والإبقاء على صفة الوفدية بينهما والاستمرار في التعاون في نطاق هذه الصفة فوافقا. والراجح أن ذلك جرى لتغطية الموقف. وليس من ريب في أن الحركة هزّة شديدة تصيب الوفد بعد الهزات العديدة التي أصابته وبخاصة في انفصال أحمد ماهر والنقراشي.

3 ـ زيارة جميل مردم وبشارة الخوري لمصر وتصريح للنحاس:

أذاعت إذاعة مصر أن جميل مردم والشيخ بشارة الخوري ـ السياسي لا الشاعر ـ زارا مصر، وأذاعت ترحيب النحاس بكل تعاون بين مصر والبلاد العربية وعزمه على توسيع ذلك. والتصريح يحمل معنى ما، وإن لم نستطع تخمين مداه في ظرف زيارة رجلي سورية ولبنان. والمعروف أن الشيخ بشارة ناقم على تشكيلة الحكم في لبنان، وجميل مردم ناقم على تشكيلته في سورية. فهل هما في مصر للإتصال بالوزير الإنكليزي المفوض إليه السياسة العربية؟ وهل وسطا النحاس في شيء ما؟ ولعل الأيام تكشف ما خفي علينا الآن.

4 ـ ملاحقة الحكم العراقي لصلاح الدين الصباغ القائد الرابع والبحث عنه في تركية:

منذ مدة جاء إلى تركية مدعي عمومي الديوان العرفي العراقي الذي أصدر حكمه على الشهداء الثلاثة السبعاوي ورفيقيه. وقد قيل لنا أنه آت للبحث عن صلاح الدين الصباغ رابع أو خامس قواد الثورة، لأن حكومة العراق والإنكليز عرفوا انه في تركية. وقد باغتنا هذا الخبر لأن الذي نعرفه أن صلاح انفقد في إيران حتى شاع أنه قتل أو أنه سافر إلى الافغان أو أنه التجأ إلى روسية، ولم يقلْ أحد أنه جاء إلى تركية، ولم يكن هناك علامة على وجوده فيها. فهل جاء متخفياً واختبأ في إحدى مدن الأناضول، وأحسّ الإنكليز بواسطة جواسيسهم بذلك، فاوعزوا لنوري لبذل الجهد في البحث عنه وطلب تسليمه وتنفيذ حكم الإعدام الذي شمله؟ ونحن مترقبون ولا يسعنا إلا تسجيل دهشتنا من روح الحقد التي استولت على نوري والوصي، وجعلتهم لا يكتفون بقتل الشهداء الثلاثة ويبحثون على رفيقهم الرابع. والله غير غافل عنهم ونرجوا أن يكون حسابهم في الدينا والآخرة عسيراً شديداً.

5 ـ حول ما تنشره الصحف التركية من كثرة الطلاق والمعاشرات السفاحية والأولاد غير الشرعيين:

منذ أسابيع والصحف التركية تبحث في موضوع كثرة الطلاق وكثرة المعاشرات الجنسية غير القانونية وكثرة الأطفال غير الشرعيين وكثرة عمليات الإجهاض. وقد ذكرت أن هذا الموضوع الإجتماعي أخذ يقلق الباحثين، وأن وزارة العدل التركية اهتمت لدرسه ودرس أسبابه ودرس الوسائل الكفيلة لتلافي نتائجه، وأخذت توجه استفتاءات للمحامين والباحثين الإجتماعيين عن أسباب الداء وعلاجه، ثم أخذت الصحف تنشر الأجوبة والأفكار الرسمية وغير الرسمية والفنية وغير الفنية. ومن الغريب أن إحدى الصحف نشرت فيما نشرته أنه تبين

في سياق البحث أنه لم يوجد طبيب واحد يرفض عملية إجهاضية. وعمليات الإجهاض محظورة في العرف الطبي والإجتماعي والقانوني إلا في حالة خطر الموت للحامل إذا لم تجر العملية. والباحثون يعزون أسباب هذه الظاهرة الإجتماعية إلى كثرة الطلاق، وكثرة المعاشرات السفاحية وكثرة الإجهاض إلى أسباب اجتماعية وأخلاقية واقتصادية.

فالإختلاط أدّى إلى الإسراع في الزواجات. وهذا الإسراع أدى إلى كثرة الطلاق لأن الزواج لم يتم على أسس متينة من أخلاق وتجانس ورغبة استمرار، وقدرة اقتصادية. والإختلاط نبّه غريزة الجنس بشدة وأدّى إلى فلتان عيون المتزوجين إلى خارج نطاق الزوجية في كل من الزوجة والزوج على السواء. وأدى هذا إلى تنبه الغيرة، فكثرت حوادث الطلاق وكثرت حوادث جنايات العرض أيضاً. وصعوبة الزواج من الوجهة الاقتصادية ومن الوجهة القانونية مع الاختلاط أدى إلى اكتفاء كثير من الشباب بالمعاشرات الجنسية، وأدّى هذا إلى كثرة الأولاد غير الشرعيين، وإلى كثرة عمليات الإجهاض أيضاً. وهذه الظاهرة ليست خاصة بتركية، فهي قائمة في أميركا وأوروبا، غير أنها فيهما أصبحت عادية وترى في تركية غير عادية، وكرد فعل للخطوات السريعة التي خطت في ميدان تحرير المرأة وتحررها وانطلاقها فيما بعد طفرة خطيرة. وسنرى ماذا تفعل الحكومة في معالجة هذه الظاهرة.

ومع ما نراه من ضرورة سفور المرأة وتحرّرها، ومن كون حجبها مخالف للطبيعة ومضرّ في حياة الإنسانية، بقطع النظر عن أي نتيجة واعتبار، فإننا نعتقد أنه يجب أن يكون لنا تقاليد إجتماعية يتبناها الناس وخاصة المثقفين والبارزين وينشرونها في الأوساط الإسلامية لتسير جنباً إلى جنب مع سير تحرر المرأة وسفورها الشرعيين والطبيعيين. مثل: (1) استهجان المراقصة (2) استهجان شهود المرأة مجالس الشراب (3) استهجان اختلاط المرأة بالغرباء بدون قيد وشرط وتطوافها معه سائحة أو متنزهة بدون محرم من محارمها. (4) استهجان السباحة المختلطة. (5) استهجان تردد المرأة على أماكن اللهو والحرام العابث وخاصة مع غير محرم. (6) استهجان المبالغة في التزيين وإبراز المفاتن والتعري والتهتك في اللباس. وليس في هذه التقاليد حجر على حرية المرأة، وإنما فيها حد الإسراف في حرية خرقاء لا يمكن أن ينتج عنها إلا الفساد والكوارث والمآسي.

* * *

يوم الخميس 1942/6/18:

1 ـ تصريح لغاندي ونهرو عن موقف الهند:

في هذا الأسبوع نشرت تصريحات لغاندي ونهرو زعيمي الهند، وقالت أن التصريحين كانا نتيجة تفاهم بينهما. وفي التصريحين صراحة بطلب انسحاب إنكلترا وترك الهند والدفاع عنها، وأنه لا يمكن أن تقوم حالة سلم وتفاهم بين الهند وبين بريطانية ما لم تفعل بريطانية ذلك. وإذا فعلت تتحالف الهند مع الديموقراطيين وتتعاون معهم ضد المحور. وهذا جاء على أثر برقيات ذكرت بأن رؤساء لجنة المؤتمر الهندي يتذاكرون في الوضع الحاضر وما يتطلبه. وهذا التصريح ليس جديداً، وكان صدر مثله قبل. غير أن صدوره اليوم دليل على عزم الهنود على عدم التعاون مع انكلتره في ظروفهم وظروفها الحاضرة. وقد أخذ كتاب الإنكليز يردّون على هذا الطلب بالقول أن المؤتمر الهندي لا يمثل الهند، وأن كلمة زعمائه ليست كلمة الهند. وأن كثيراً من أحزاب الهند وهيئاته وطوائفه يتمسكون بانكلترا كل التمسك، إلى آخر هذا الموّال. كما أن البرقيات أشارت إلى أن تشكيلة إسلامية جديدة قد نشأت وبرزت، وأن هيئات المنبوذين أعلنت استعدادها للتطوع في الجيوش الإنكليزية، مما يمكن أن يدل على نشاط الأساليب الإنكليزية في التفرقة والدس إثر الموقف الذي أعلنه زعماء المؤتمر.

2 ـ تطور سريع في جبهة ليبية ونصر متلاحق للقوات المحورية:

أما سير الحرب فيلخص بما يلي:

1 ـ في جبهة ليبية تطور الموقف تطوراً سريعاً وجارفاً واستلفت أنظار العالم. فبعد أن استولت القوات المحورية على بئر حكيم توسعت في حركاتها واشتد ضغطها على القوات الإنكليزية، ثم لم يلبثوا أن تقدموا فاستولوا على مواقع (العدم) و(الأكروبة)، واستفادوا من فرصة ذهول القوات الإنكليزية في هذا التوسع والتقدم والتفوق فتقدموا نحو طبرق، ولم يلبثوا أن استولوا عليها ثم استولوا على البرديا. وهكذا كنسحوا القوات الانكليزية في اسبوع نحو مائتي كيلومتر إلى داخل حدود مصر، وأنزلوا فيهم ضربة شديدة وحاسمة. وهم الآن يتقدمون نحو حدود مصر ويستعدون للحرب في داخل هذه الحدود. وقد أسروا في طبرق نحو /28/ ألف، كما أنهم أسروا قوة فرنسة الحرة في بئر هاشم أو حكيم، وأسروا أسرى آخرين حتى بلغ عدد الأسرى نحو أربعين ألفاً، وذهل العالم ودب الرعب والقلق في الأوساط السكسونية من هذا التطور السريع. وبدا هلع الإنكليز فيما كتبته صحفهم عن حيرتها من هذا التطور، وما قد يعقبه من انهيار كارث. وطلبوا بذل كل جهد في سبيل تلافي الموقف. وكانت أشد ضربة عليهم سقوط طبرق التي مثلت دوراً هاماً في المعركة التي سبقت، وظلت شوكة في جانب قوات المحور ودعامة في بروز تفوق القوات الإنكليزية عليها ودحرها.

والمراقبون في دهشة من هذا التطور وخاصة من المباغتة العظيمة في جبهة ليبية، ولم يكن أحد ولا الإنكليز طبعاً يظنون أن المحور يقوم

بحركات حربية واسعة في أواسط الصيف وفي منطقة تصل درجة الحرارة فيها إلى الخمسين فوق الصفر وهي صحراوية رملية قليلة الماء شديدة الغبار. وليس من ريب بأن هذه المباغتة تثير الدهشةوالتعظيم معاً. فالألمان يقاتلون في مثل هذه الحرارة العالية بعدما كانوا يقاتلون في جبهة درجة حرارتها ثلاثون وأكثر تحت الصفر. ولعل الفوز الذي أحرزه رومل يرجع من بعض نواحيه إلى هذه المباغتة غير المنتظرة في الصيف المحرق، وإلى هذا الجهد الجبار في القوة الألمانية معاً.

وقد كتب «حسين جاهد» وهو قوي الضلوع مع الإنكليز معبراً عن هذه الحيرة، حيث ذكر أن شرشل تعزى عن سقوط سنغافورة بما كان من فوز في معركة ليبية، وأنه كان قال أن الإنكليز اضطروا إلى إهمال سنغافورة العظيمة في سبيل الإحتفاظ بتفوقهم في الشرق الأوسط. وأن هذا كان يدل على أن موقف الإنكليز قوي محكم في هذه الجبهة التي فدوا سنغافورة العظيمة في سبيلها، وأن الإنكليز كانوا يتبجحون بتفوقهم الجوي وبتفوقهم في الدبابات وبحشودهم العظيمة وبتفوقهم البحري في التدليل على قوة موقفهم فيها، وأن قوات المحور إنما كانت تستمد استمداداً تهريبياً في المعدات ووسائل المعيشة. ولكن هذا التطور أظهر فراغ تلك الأقوال، وأنها كانت كلاماً أكثر منه عملاً. وأخذت تندب وتتساءل عن الأسباب وعن قوة الإنكليز ما دامت لم تظهر في سنغافوره، ولم تظهر في ليبية. والحقيقة أن هذا السؤال الأخير في محله تماماً. أما الجواب عليه. فهو أن الإنكليز ما يزالون يضنّون بقواتهم الأصلية، ويحتفظون بها في جزرهم، ويحاربون في الجبهات الأخرى بقوات مأجورة ولا يريقون فيها إلا دماء الغير. وها هم الآن يقوون الجيش الثامن الأمبراطوري. أي جيش ليبية ـ بجنود من بولونيا واليونان وشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا والهند والإفرنسيين والديغوليين الخ. ومنطقهم في هذا منطق التاجر النذل، فهم قد اغروا هذه البلاد حتى جعلوها وليس لها معول في الحياة إلا عليهم، فأرادوها للحرب فلم تجد لها مناصاً منه. وما دامت هي التي ترزقهم وتستطيع أن تجد أمثالهم فليحاربوا مقابل الخبز، ولا ضرورة إلى إراقة الدم الإنكليزي في معارك يمكن أن يراق فيها دم غير إنكليزي. والغريب أن هذه المعارك قد كشفت عن هذه الحقيقة، وكون عظمة بريطانية إنما تقوم على الخداع وعلى دماء غير الإنكليز، وأن الناس قد انخدعوا بذلك طويلاً. ويشبه حالهم بحال لعبة القش التي يهابها الثعالب والطيور وتحمي بها الحقول والكروم.

والكتاب الخبراء يقدرون أن الألمان أنفسهم لم يكونوا يتوقعون أن تتطور المعركة لصالحهم إلى هذا الحد. وأنهم بعد هذا التطور يحتمل أن لا يضيعوا الفرصة، وأن يتقدموا إلى السويس قبل أن يتمكن الإنكليز من جمع أنفاسهم ولم شملهم والصمود طويلاً في خطوط مصر الدفاعية. ثم يقولون أن الألمان إذا فعلوا ذلك انهارت جبهة الشرق الأوسط وبالتالي الأمبراطورية البريطانية، وأصبح البحر الأبيض بحراً محرماً على الإنكليز، وفي هذا انهيار قاتل لهم أيضاً. وربما كان هذا الإنهيار عاملاً في انتهاء الحرب ضد السكسونيين. وينتظر، الكتّاب والخبراء، حوادث الأيام الآتية بهياج وتطلّع وقلق.

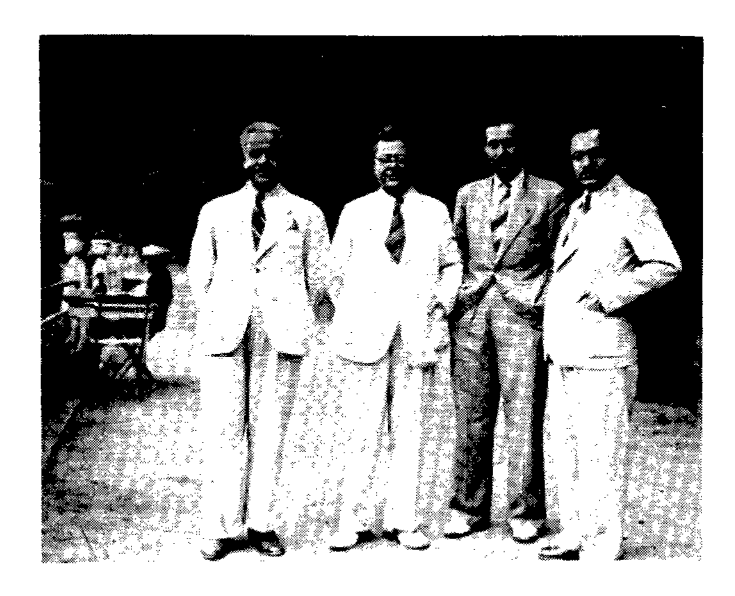

1 ـ محمد علي دروزة .
2 ـ عزة دروزة .
3 ـ زهير دروزة .
4 ـ أكرم زعيتر .

وقد أشار الخبراء العسكريون والبحريون إلى أهمية سقوط طبرق، وقالوا أن هذا كان يسد طريق البحر الأبيض الشرقية والوسطى أمام أساطيل الإنكليز. فبين طبرق وكريت /300/ كيلومتر، وطريقها قد سد أمامهم لأنهما في يد الألمان وتحت سيطرة قواتهم الجوية. وبين صقلية وطرابلس مثل هذه المسافة وتحت سيطرة قوات المحور الجوية. وبين ساردينيا وتونس أيضاً مثل هذه المسافة وتحت السيطرة المحورية، ويكون الخطر قد احدق بإسكندرية وحيفا وقبرص. والإنكليز لا ينكرون هذه الحقائق ونتائجها الأليمة في موطنهم. وقد فهم من النشريات الأخيرة أن قافلة كانت قادمة من جبل طارق إلى طبرق فلم تستطع أن تصل إليها بعد أن سقطت ووقعت أو وقع معظمها غنيمة في يد المحور.

ومن الفكاهة أن نسجل أن الإنكليز أخذوا في أول الأمر وقبل سقوط طبرق يثنون على قواتهم أحسن الثناء، لأنها تمكنت من الإنسحاب بنظام دون أن ينال عدوها منها مأربه. وعلى ما كان لإحباط خطة رومل في ضبط طبرق بمقاومة بئر هاشم أو الحكيم الباسلة.. الخ.

3 ـ صيف الآستانة وجماله:

عاد جمال الآستانة، إذ جاء صيفها، وإذ أخذ الناس يستمتعون بما امتازت به من فتن الطبيعة في كل ناحية من أنحائها براً وبحراً. ونحن من الجملة أخذنا نقوم بنزه برية وبحرية جميلة. والحق أن المرء لو أراد أن يذهب كل يوم إلى مكان فاتن جديد طيلة أيام الصيف لوجد في أماكن ومناظر ومفاتن الآستانة وضواحيها السعة لذلك. وقد زرنا بلاج فلوريا، ولم نزره الصيف الفائت، وهو بلاج جميل وحسن جداً. فالبحر فيه إلى مسافة 200 متر لا يواري أكثر من نصف القامة ورمله أبيض ناعم نظيف، فهو واسع جداً، وقد أقيم فيه كازينو واسع أنيق مشرق، وفيه كثير من المخادع والغرف الإستحمامية،

يشلح السابحون فيها ويعودون إليها فيأخذون فيها دوشاً من الماء الحلو. وعلى كل حال فإن ما يجب قيده أن النزه في الأستانة من أعظم المتع التي لا أظن أن بلداً آخر تماثلها فيها في الصيف. فالبواخر النقلية الصغيرة والكبيرة معاً، المريحة النظيفة دائمة الحركة والإكتظاظ بين موانىء البوغاز الأوروبية والآسيوية، وبين موانىء بحر مرمره وجزره. وكل هذه الموانىء والجزر مهيأة تهيئة جميلة لاستقبال الناس وإمتاعهم بالنسيم العليل والمنظر الجذاب الجميل والراحة، وقضاء المطالب المتنوعة من أكل وشرب. وقد اشتد الحر في هذا الأسبوع حتى بلغت درجة الحرارة في الظل (36) وفي الشمس (46) وأكثر، ثم هبطت منذ يومين دفعة واحدة إلى (24) في الظل، ونزل مطر أمس واليوم،

ولقد قرأنا تصريحاً للوالي عن الخطط المعدة لتجميل الأستانة في برهة السنين العشر الآتية مما يمكن أن يزيد من جمال الأستانة، ويجمع إلى فتن الطبيعة أناقة اليد والتجميل. ولقد أشرنا في سياق وصفنا الأستانة إلى ما تم من تجميلات كثيرة للشوارع والأحياء والميادين، وإلى ما ظل بارزاً في مختلف أنحاء المدينة من الرثاثة والقذارة وعدم الانتظام وسوء المناظر في الأحياء والشوارع والأزقة والضواحي بالرغم مما يظهر أنه قد تم من تجديد وتجميل. ولقد سألنا بعض العارفين عما كان عليه ميدان «يني جامع» مثلاً، فقال لنا أنه كان مثل ما هي الآن منطقة «أصمة ألتي» بأزقتها القذرة ودكاكينها الحقيرة ومنظرها الردىء. والميدان الآن جميل المنظر حسن التنظيم.

***

يوم الثلاثاء 1942/6/30
5 جمادي الثاني 1361 :

1 ـ ورود كتاب من الشيخ حسن أبي السعود وفحواه وتعليق في صدده :

في هذا الأسبوع جاء كتاب من الشيخ حسن أبي السعود. وفي الكتاب جواب نوعاً ما على الكتب التي أرسلناها للمفتي الجماعية والمنفردة. وقال الشيخ في كتابه أننا بالغنا كثيراً في ما كتبناه وما تشاءمنا منه، وأننا اهتممنا بالكلام أكثر من الجوهر. وأن المفتي لم يهمل موضوع المعاهدة وموضوع حمل الأصدقاء على الإعتراف بحكومة الكيلاني لأجل إتمامها، وأن ما كان إنما كان لأسباب لو وقفنا عليها لبرّرناها. وأن ما أريد بما طلب من التصاريح والكتب كسب شيء يقيّد الأصدقاء ويضمن الموقف بقدر الإمكان إلى أن يمكن الحصول على ما هو أوثق وأقوى، وأن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب. وأبدى الشيخ حيرته من عدم تمكن سعد الدين عبد اللطيف من إيضاح ما طلبناه مما رأيناه غامضاً، في حين أن الموقف والأمور قد شرحت واستعرضت أمامه مراراً، وكان في إمكانه الإجابة على كل سؤال، وأن يشرح لنا أمر ما نراه غامضاً. والغريب بالشيخ حسن هذه المكابرة وهذه المداورة.

فنحن إذا كنا تناقشنا في العبارات الواردة في كتابه المفصل الذي حمله سعد الدين فإن ذلك لمساسها بالجوهر. فقد قال في كتابه أن التصريح الذي طلب هو وصيغة الأستانة شيء

واحد. وفي هذا مفارقة أو عدم إدراك ما هناك من فرق جوهري يمس جوهر القضية، ولذلك شرحناه. وبينما يقول الآن أن موضوع المعاهدة لم يهمل فإنه لم يذكر عنه شيئاً في كتابه السابق، بل ما جاء فيه هو اعتراف بأن الذي سعى في صدد صيغة الآستانة هو الكيلاني منفرداً. ولو ذكر ذلك في كتابه المفصل السابق لكان الموقف أحسن بكثير، ولكان وجد مسوّغ للعذر والتفكير في اقتراحات أخرى مثلاً.

وعلى كل فقد فهمنا من كتابه الجديد أن المفتي قد حصل على الكتاب الموعود، ولكن مضمونه غير مذكور في الكتاب فبقي مجهولاً لدينا. غير أن الذي كنا فهمناه مما جاء سابقاً أن في هذا الكتاب تأييداً بالاعتراف باستقلال البلاد العربية وسيادتها ووحدتها. . ونحن لا نستبعد أن الأصدقاء (المقامات المحورية) ما زالوا هم المتوقفون في موضوع المعاهدة وفي موضوع الإعتراف بحكومة الكيلاني واعتبارها شخصية دولية صالحة لعقد المعاهدة. وأن ذلك هو الذي حال دون هذه الخطوة، وأن إخواننا اضطروا إزاء ذلك للاهتمام بأخذ اعترافات بهم ولو بالمكاتيب على حد المثل: (شيء خير من لاشيء). ولكن للظروف التي مرت وعرفناها واستنتجناها وكتبنا في صددها تأثيراً قليلاً أو كثيراً في هذا الموقف على ما نعتقد أيضاً (نعني ظروف التنافس بين المفتي ورشيد، وما أدى إليه من خلاف على ما شرحناه سابقاً). وقد استغربنا ما قاله الشيخ عن إمكان سعد الدين لشرح الموقف وتوكيده لذلك، في حين كان سعد الدين كالأبله لم يستطع أن يقول شيئاً. والذي نرجحه أنه لم يكن في قدرته أن يقول شيئاً جوهرياً. أما ما حمّل من إيضاح فلعله يتعلق بمسائل خاصة أو شرح المواقف الشخصية. وهذه أبلَغها لإسحق ولم يـر إسحق أن يقولها لنا.

تعليق على أسلوب إسحق والشيخ حسن في المداورات والتفاصيل مع إخوانهم في مناقشة ما جاء في الكتاب وغيره:

ولقد مازحنا إسحق في صدد ذلك، وأعدنا وأبدينا في ما كتبه الشيخ حسن من الحيرة. فلم يزد على أن ابتسم أو ضحك!! وهكذا يمثل إسحق معنا الآن هذا الدور بالإضافة الى ما فعله سابقاً هو واضح. فالمفتي جاء إلى الآستانة ولبث أياماً ونحن لا نعرف شيئاً، بل وقد كنا مضطربين على المفتي كل الإضطراب. وكانا يتظاهران بالاضطراب مثلنا ويتداولان معنا في الوسائل الممكنة للوصول إلى ما يطمئن على المفتي، بينما كان هو في الآستانة. وقد أرسل إليهما واجتمعا به ولم يقولوا شيئاً من ذلك، ولم نعرف بمجيء المفتي للآستانة وسفره إلا صدفة من كلمة ألقاها كامل الكيلاني. ولما سألت إسحق عن ذلك ابتسم واعترف أنه جاء إلى الآستانة وأرسل إليه وللشيخ حسن فاجتمعا به، وأنهما كتما ذلك بناء على توصيته وحفظاً لسره. وكنت أظن بتضامني الوثيق معهم منذ سنة 1936 فخاب ظني . .

واتفق الشيخ حسن وإسحق مع رشيد على إرفاق راسم الخالدي ومصطفى الوكيل[1] به،

---

(1) من شباب مصر القوميين الواعين المخلصين، ومن قادة حزب «مصر الفتاة» وكان قد ذهب الى العراق للعمل فيها في التدريس والتحق بالمفتي وأصبح من المقربين إليه، وعمل في ثورة الكيلاني وسافر إلى تركيا ثم التحق بالمفتي في ألمانيا، وقتل في غارة جوية على برلين.

واتفقوا على تسفيرهما قبله لينتظراه في صوفية ولم يعلمونا بذلك.

ولما أذيع خبر وصول المفتي إلى إيطالية اقترحنا إرسال رسول إليه يحمل ما عندنا من ملاحظات وأخبار، فقبلا هذا الاقتراح بارتياح، ورشحا للسفر راسم الخالدي فقبلنا ذلك، واجتمعنا مع راسم ساعات طويلة وسافر على اعتقاد أننا نحن الذين سفرناه وأننا عملنا عملاً مهماً. وإذا الأيام تكشف لنا عن حقيقة سفر راسم، لأنه ظل ينتظر في صوفية. وقد جاء منه كتاب يستفسر فيه عن سفر رشيد، ويقول أنه تلقى من المفتي أمراً بانتظاره. وهكذا كانت مقابلة اقتراحنا بإرسال رسول للمفتي من إسحق والشيخ للتمويه علينا في سفرة راسم وعلاقتها بالإتفاق مع رشيد (جمع المتكلم في الكلام اسلوبي والمقصود فيه شخصي أنا). وإذا كان هذا التصرف غير غريب منهما فهو غريب بالنسبة إلينا وثقيل على نفوسنا، لأننا نعد نفسنا متضامنين معهم أنا ومعين إلى أبعد حد، وهم يطلبون منا ذلك. وهذا التصرف هو ولا ريب الذي أبعد عن المفتي كل صديق صميمي، لأن أي صديق لم يعامل بالصميمية التي يجب أن تكون. وهذا التصرف طبعاً يحمل المرء على التحفظ في الإندماج والصميمية. ونرجح أن هذا التصرف هو الذي فتح ما بين رشيد والمفتي، على ما كان بينهما من تضامن شديد، وقد أريد أن يقال أن الخلاف بين رشيد والمفتي كان بسبب سعي رشيد لمسألة العراق ولأسباب أخرى، غير أن الخلاف كان بعد وصول رشيد بأيام قليلة، ولم يكن بعد صار مجال للعمل والسعي الخاص، فإسحق والشيخ حسن حاولوا تمثيل دور تسيير الناس في الاتجاه الذي يريدون، ولكنهما لم يكونا من البراعة وسعة العقل في الدرجة التي يستطيعان بها ذلك. والتفسير هو ابتعاد الناس وضعف ثقتهم وحماسهم وصميميتهم. والغريب أنهما حاولا شمول هذا التمثيل لنا أيضاً، وقد سجلنا في يومية سابقة ملاحظتنا على ذلك. وقلنا أن ذلك هو الذي جعلنا لا نتورط في السفر إلى أوروبا لأننا سنكون أيضاً تحت رحمة هذا الأسلوب. فما يراد أن يقال لنا يقال لنا، وما يراد أن يكتم عنا يكتم عنا. وما نبديه من رأي واقتراح يكون لهم الخيار في الأخذ به أو إهماله، وليس لنا صفة رسمية تجعل لرأينا وزناً ونتيجة جلسات وقرارات.

حملة الشيخ حسن على نبيه وعادل العظمة:

وقد فهمنا من كتاب الشيخ حسن أنهم ظنوا أن ما كتبناه وما توسعنا في فهمه وحفزنا على النقد والتجريح إنما كان «بتأثير الذين يصطادون في الماء العكر»، ثم حمل حملة قوية على نبيه وعادل العظمة وعلى فوزي القاووقجي، وقال أنهم سبب ما كان من شقاق ونزاع وثرثرة وقيل وقال الخ. وفي هذا توسع غير سليم وغير صحيح.

فما كتبناه ليس بتأثيرهم طبعاً وإن كانوا هم أرادوا أن يستغلوه للتجريح والنقد واللوم، بتأثير شيء من الحقد بسبب ما كان من تصرف المفتي مع فوزي وعادل وإهمالهما والإشتباه بهما، بل ومع نبيه أيضاً حسب ظنه، لأنه أهمل ولم يراع حقه في قضية سورية والقضية العربية. وقد قلت لإسحق بصراحه أنهم يتحملون مسؤولية الموقف، وأنه كان في الإمكان أن لا يكون هذا الموقف لو عومل

الثلاثة بشيء من المجاملة والصميمية، ولم يهملوا أو يساء الظن بهم إلى هذه الدرجة الجارحة، وأن الناس ليسوا أنبياء حتى يطلب وينتظر منهم التحمل إلى هذا الحد.

ويظهر من جهة أن نبيهاً كتب مرة بعد مرة للمفتي ورشيد، وأنه كان في كتبه جافاً عنيفاً كعادته، وأنه أرغد وأزبد وهدد وتوعد، وذكر بالشيخ تاج وراغب النشاشيبي والأميرين عبد الله وعبد الإله، وزعم لنفسه صراحة أو ضمنا الأبوة العامة للقضية العربية والسورية خاصة، وكونه ينطق بلسان الأمة العربية، وقد أحدثت هذه الكتب في نفس المفتي استياء كبيراً ردده الشيخ حسن في كتابه، مشيراً إلى كتابات نبيه.

وبقطع النظر عن تصرفات المفتي ورفيقيه الخصيصين التي ذكرناها، فإن لنبيه أسلوباً خاصاً حقاً في كتاباته وفي مزاعمه. وهو أسلوب يقوم على الخشونة والتثريب والوعظ والتحكم ورغبة التوجيه والتعليم والتبجح. وهو أسلوب لا يطاق ولم يطقه منه أحد. وقد كان سبباً في الكره والحذر اللذين يشعر بهما كثير من الزعماء له، وفي هذا الإنعزال الذي هو فيه. فليس له شخص يستطيع أن يدعي إمكان العمل معه بصميمية وطمأنينة، عدا كونه أسلوباً ضاراً بالمصلحة العامة. فالناس لا يتحملون التحكم وهذا الأسلوب لا تدار به مصلحة ولا يوصل به إلى إيجابية في صدد القضية والعمل في ساحتها. والقرآن الكريم يقول للنبي: **﴿ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضّوا مِن حولِك﴾**. ويقول لموسى وأخيه هارون في صدد خطابهما لفرعون: **﴿فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يَخْشى﴾**. وفي رأي بعض الإخوان أن نبيها يصطنع هذا الأسلوب اصطناعا ليظل معروفاً عنه الصلابة أو عدم التهيّب من أحد، وليظلّ يحافظ على شخصيته وهو يعطي دائما للشكليات والتشريفات القيمة الأولى، ولعل في هذا القول شيئاً من الصواب.

تكرار الشيخ حسن على ضرورة سفرنا إليهم:

وقد عاد الشيخ حسن في كتابه إلى نغمة سفرنا والتحاقنا بهم، وما في هذا من ضرورة ومصلحة. واستعرضنا الموقف ثانية أنا ومعين، فوجدنا أننا ما نستطيع أن نفعله هو إبداء الرأي والاقتراحات والملاحظات وحسب، وهذا ما فعلناه نحن من هنا وما زلنا نفعله. وإننا إذا سافرنا سنرى نفس الأسلوب في إطلاعنا على ما يراد وحجب ما لا يراد عنا، والأخذ برأينا بما يوافق المزاج والمراد، وطرح ما لا يوافقهما، لأننا ليس لنا صفة ملزمة، وإننا لن نحول دون المساعي الخاصة المنفردة التي كانت إلى الآن. وبالتالي سنندمج في مسؤولية الموقف ونتائجه دون أن يكون لنا أثر إيجابي فيه. ولهذا لم نر مبرراً وضرورة لتغيير ما كنا قررناه من البناء في الآستانة، ولا سيما أن طريق المعاهدة مسدود تقريباً، وهو المهم في نظرنا الذي يستوجب المشاورة والمذاكرة الوجاهيتين، وهذا عدا شللي الشخصي من طرشي.

ومما جاء في كتاب الشيخ حسن أن المفتي نزولا على اقتراحنا حاول أن يقرّب فوزي وأن يطيب نفسه وأن يطلعه على الأمور. ولكن فوزي ما يزال على خطته، فيعطي عهداً للمفتي ثم يراوغ منه، ويعود إلى دسائسه ومساعيه. ولعل فوزي لم ير صميمية في ما أظهره المفتي له، ورأى أنه يراد الضحك به عليه، والمراوغة معه فقابل الموقف بمثله. وقد طلب إسحق منا

أن نكتب للشيخ حسن جواباً، فقلنا لـه أننا لا نرى ضرورة للاشتراك في الجواب، لأن الرسالة إليه خاصة، ولأننا لا نريد أن نفتح باب جدل ثان في بيان مفارقته ومكابرته في صدد ما كتبناه سـابقاً، ولا سيمـا أنه ليس في الكتـاب شيء واضح عن القضية يحتاج إلى بحث ورأي كتابي منا.

2 ـ كتاب من واصف كمال في برلين لأكرم زعيتر:

وجـاء في هذا الأسبـوع كتـاب من واصف كمال لأكرم زعيتر، وفيه اعتراف بصوابنا في ما كتبناه وتشاءمنا منه. ولكنـه يقول أنـه ليس من الحق تحميل مسؤولية ما كان على جهة واحدة، وأن المولوي (فـوزي القاووقجي) يبـالغ فيمـا يكتبه عن الحالة، وأن الجهود الجبارة تبذل في سبيل إصلاح الموقف ويحبذ مجيئنا أيضا.

كتاب من فوزي القاووقجي لعادل العظمة:

وقال لي أكرم أنه جاء في هذا الأسبوع من فوزي كتاب إلى عادل العظمة، وفيه ما يدعـو إلى التشاؤم، حيث يصف الموقف بالخطورة، ويقول إن الأصدقاء قد ضعفت ثقتهم بالمفتي ورشيـد لما رأوه فيهمـا من ضعف وبينهما من نزاع وخلاف. وأن كـلاً منهما قـد أخذ وثيقـة لمجـده الشخصي في المستقبل، ويـطلب أن يكتب الإخوان كتاباً مشتركاً بالخـطة الواجبـة، وأن يكون الكتاب ثلاث نسخ، نسخة له وأخرى لرشيد وثالثة للمفتي. وأنا مقتنع أن فوزي يكتب مندفعاً بحقده مما ناله من إهمال وجروح، وأن لحقده ولسانه أثر كبير في ما هو دائر الآن في برلين من قيل وقال وتجريح وتلويم متقابل في الأوساط العربية العراقية والسورية والفلسطينية. ومن كتاب فوزي يفهم أن عادل العظمـة كتب لفوزي عن مكاتيبنا المشتركة المفصلة للمفتي ورشيد، فظن أنه يستطيع أن يثير عصبيتنا وأن يحملنا على الإلحاح في الكتابة والجفاء، وأن يرسل إليه نسخة مما نكتب ليتسلح بها في تقوية مركزه.

وهذا مظهـر من مظاهـر دور عادل العـظمة أيضا. على أنه لم يفاتحنا بشيء مما فاتـح به أكـرم زعيتر ولم يخبـرنا بكتـاب فوزي. ولعله عـرف أننـا سـوف نتلقى ذلـك بتحفظ، لأننـا صارحناه أكثر من مرة بما يتراءى لنا من غرض فوزي ومبالغته، وبما يوجبه الموقف القومي من الكف عن كثرة القيل والقـال والتشويش. وأن أمر فوزي هو أمر شخصي لا يجوز أن يؤثر على السيـر العام للقضيـة، ويشوش أو يضعف من مركز المفتي ورشيد أمام الأصـدقاء. أمـا قول فوزي أن رشيداً والمفتي قد نالا حصتيهما فلم يعبئا بالقضية التي صارت في خطر فلا محصّل له، وهو استمرار في الحقد والتهييج. فلو فرضنا أنهمـا حصلا على وثـائق لشخصيهمـا، فهـذه الوثائق لا تكون مفيدة إلا إذا كان شيء راهن يتعلق بمصير القضية، ومعنى هذا أنهما حصلا أيضـاً على اعترافـات أو عهـود رسميـة بشـأن القضية أيضاً. وهذا ما تؤيده الأخبار المتـواترة وإن كنا نجهل الكيفية والماهية بالتفصيل.

3 ـ رسالة من المفتي يحملها الينا شخص ألماني:

وأمس اجتمعنا بشخص من الأصدقـاء (أي ألماني) قادم من برلين وذو صلة وثيقة رسميـة

بالمفتي ورشيد، ومعه رسالة لإسحق من المفتي مختصرة. قال فيها أنه ليس من محل للقلق والتشاؤم، وأن الموقف يبعث على الاطمئنان. وقد أبلغنا القادم سلام المفتي ورشيد وطمننا عنهم. وقال إنهما مسروران من الوضع وأنهما كتبا لهم عن تكلل جهودهم بالنجاح، واستزدناه إيضاحاً عما خبرنا أنه أعطي لرشيد كتاب فيه اعتراف باستقلال العراق وكونه رئيس الوزارة العراقية، وأعطي للمفتي كتاب فيه اعتراف بحق العرب في الشرق الأدنى بالاستقلال التام والوحدة. وقد أثرنا معه موضوع المعاهدة، وقلنا له أن العرب قد مرت بهم تجارب الإنكليز ومكاتيبهم للملك حسين والتفاسير التي كانت عنها، وما كان في سياق ذلك من متاعب وتوترات وثورات أصبحوا لا يطمئنون إلى مكاتيب عامة ومبهمة. وأن وقت ذلك قد انتهى ببدء المفاوضات في العراق على عقد المعاهدة.

المقامات لم تر أمامها شخصية عربية دولية تعقد معها معاهدة:

ومما فهمناه من كلام الرجل في صدد ذلك أن المقامات لم تر أمامها شخصية دولية عربية رسمية يصح التعاقد معها، وأنها لم ترد أن تقع في ما أوقع فيه الإنكليز وحلفاؤهم فيعترفوا بشرعية حكومة الكيلاني وهي حكومة خارج بلادها وفي بلادها حكومة قائمة، وأن المقامات من أجل ذلك رأت أن الاعتراف بحق العرب بالاستقلال والوحدة هو الأسلوب الوحيد الممكن. وأن في ذلك ضماناً للعرب يستطيعون أن يطمئنوا به. ومع ذلك فقد أفهمناه أن هذا ليس حجة لأن تمثيل المفتي ورشيد للعرب أمر لا شك فيه، وأنهما بصفتيهما هذه يمكنهما أن يتعاقدا وأن الكتب العامة غير المحددة لا تطمئن العرب تماماً. وطلبنا منه إبلاغ رأينا هذا لمراجعه الرئيسية فوعد بذلك. ولقد قال فيما قال، بعدما سمع منا ما سمع، إن المفتي ورشيد، وخاصة رشيد، قالا ما قلناه أيضاً. وهكذا ظهر أن موقف الأصدقاء هو الأصل في عدم إمكان السير في المعاهدة. وقد اعترف الرجل أن المفتي ورشيد خاصة سوف يبذل جهده في هذا الموضوع. ومما أخبرنا هذا الرجل أن الأسطول الإنكليزي قد انسحب إلى البحر الأحمر، وأنه أصبح من الاحتمالات القريبة القيام بحركة نحو سورية من البحر والبر. فقلنا له أن تطور الظروف هذا يقضي الإسراع في إذاعة تصريح من جانب المقامات باستقلال بلاد العرب ووحدتها والتوكيد بذلك بأسلوب واضح وصريح ومعين، وفيه ذكر للبنان وسورية وفلسطين وشرق الأردن والعراق والإمارات العربية والممالك العربية المستقلة الأخرى، لأن ذلك من شأنه أن يثير حماس البلاد العربية فوعد بالاهتمام لذلك أيضا.

ومما لحظناه أن الرجل اندهش لأنه وجد كل كلامنا وإلحاحنا كان مصبوباً على المعاهدة. وقد قال لأكرم أن هذا الجو لم يكن في موقف المفتي ورشيد، وأنهما كانا راضيين مسرورين من النتيجة التي وصلا إليها. وقال أكرم أنه قال له أن في مكاتيب المفتي ورشيد تصريح بأسماء العراق وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، وأنها ما زالت سراً غير مذاع لظروف أسباب متنوعة.

والذي نرجحه أنه لم يكن إلحاح قوي في صدد المعاهدة، وأن رشيداً والمفتي قد أثاراها،

فلما أبدى الألمان وجهة نظرهم في عدم وجود الطرف الحقوقي الدولي لم يريا فائدة من الإصرار واجتهدا في الحصول على هذه المكاتيب. على أنه من الوجهة النظرية والمبدئية أن الاعتراف الصريح بحق العرب بالإستقلال والوحدة ضامن لمستقبل العرب الآتي. وأن هذا هو الخطوة الطبيعية الأولى. والعرب هم الذين يقررون شكل أنظمتهم ووحدتهم، فتتألف الحكومة وفق ذلك أيضا وهذه الحكومة حينئذ تتعاقد رسميا مع دول المحور. وإذا كنا تمسكنا وما نزال نتمسك بوجوب التعاقد من الآن لأن ذلك هو بسبب ما قاسينا من التعاسير والمتاعب وسوء النية في السابق. نعم إنه اذا لم يكن نية حسنة تماماً فإن ما يكون بالتعاقد أيضاً لا يكون له قيمة عند الطرف الأقوى، وهو غير العرب. ولكنه يكون حجة شرعية وتاريخية، ويكون المتعاقدون العرب قد عملوا كل ما يجب عمله ولم يتركوا ثغرة في عملهم..

هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن التعاقد من الآن وتعيين الخطوط والأشكال والحدود العامة يوفر علينا متاعب ومراحل شاقة ولا ريب. وقد ذكرنا هذا وفصلناه للمفتي في مكاتيبنا الخاصة والمشتركة. وقد قال الرجل لأكرم أن رشيداً والمفتي وقفا موقف المشدد المدقق في المناقشات والمباحثات. ونحن لا نشك في ذلك، فهما في هذا صادقان في جهادهما في سبيل القضية، ولا بد من أنهما يشعران بموقفهما ومسؤوليتهما، ولهما من جهادهما ووطنيتهما ما يدفعهما إلى بذل كل جهد في سبيلها.

إشارة المفتي إلى كتب جاءته من نبيه فيها تهجم وقسوة:

هذا وفي كتاب المفتي إشارة إلى كتب وصلته من نبيه العظمة فيها تهجم وقسوة وتطاول، وقد أبدى المفتي ألمه وعتبه على ذلك. وهذا ما كنا عرفناه، وقد ذكرناه قبل. وأذكر في هذه المناسبة أن حواراً جرى بيني وبين نبيه حول أسلوبه وتعامله مع الناس، وقد قلت له فيما قلت إنك كالشوك تدمي كل من احتك به.

4 ـ أثر الموقف المتدهور في ليبية في الأوساط الإنكليزية:

ولقد استمرت الصحف والأوساط في إبداء هلعها وقلقها من الموقف في جبهة ليبية، حتى قدمت مذكرات من نواب محافظين يعلنون فيها عدم ثقتهم بإدارة الحرب. وقد كثر اللوم والتثريب وسحبت قيادة الجبهة من الجنرال ريتشي. وحملت الصحف خاصة على إدارة الطيران وإدارة الحرب عامة، وحاولت أن ترى فيهما ثغرة وسبباً لهذه النكبة، ودعت إلى تعلم الدرس من الألمان الذين تتساوق قواهم الجوية قوى الجيش مساوقة تامة على عكسهم. وقد أعلن وكيل رئيس الوزارة أن المناقشة ستتاح حين رجوع شرشل. ولما عاد هذا أعلن أن المناقشة ستكون نهار الأربعاء. وأذيع أن شرشل سوف يحمل حملة شديدة على المعارضة وعلى هذا الهلع الذي تظهره. وكان أذيع له تصريح جاء فيه أن ما كان من فشل في الحركات الإنكليزية هو موقف عارض، وأنه مطمئن إلى النتيجة، وأن الموقف لن يلبث أن يتبدل. ولعل

تأخيره المناقشة إلى يوم الأربعاء بأمل تلقي أخبار حسنة من الجبهة يستعين بها على تقوية دفاعه. . غير أن هذا الأمل قد خاب خيبة عظيمة في ظرف أيام قليلة، ولا ندري كيف يواجه شرشل الموقف. فإن روميل بعد أن استولى على طبرق وهزم الجيش الإنكليزي هزيمة منكرة لم يضيع الوقت فتقدم نحو الشرق، وفي يومين اثنين استطاع أن يطرد الإنكليز من خط الدفاع المصري الأول في كابوزو وحلفايا والسلوم، وأن يلفت الأنظار إليه مرة أخرى بحيرة وذهول وقلق. وقد أخذ الكتاب يرون في الموقف خطراً أكثر مما كانوا يتوقعونه، ويخمنون أن الانكليز سوف يستميتون في الدفاع في الخط الثاني، والآخر وهو مرسي مطروح، ويقولون أنها محصنة تحصيناً قوياً، وأن حصونها تنتهي من الجنوب بمنطقة بص ووحول وصحراء تتمم الخط وتجعله حصيناً. وقد يتمكن الإنكليز من الصمود في هذا الخط وجمع شملهم. كما أنهم ـ أي الكتّاب ـ أخذوا يقولون بصريح العبارةأن سقوط هذا الخط يعني انهيار المقاومة الإنكليزية في مصر وتهديد السويس وسورية والعراق، وانهيار الأمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط، بل صاروا يقولون أن هذه المعركة قد تكون حاسمة في نتائج الحرب جميعها ومؤثرة في سيرها وإنهائها، ولهذا فإن الإنكليز سيفعلون المستحيل في هذا الموقف. وقد أذيع في هذه الفترة أن الجيشين التاسع والعاشر الأمبراطوريين قد سيقا من العراق وإيران وسورية إلى جبهة مصر، وأن الإمدادات بدأت تصل كالسيل، وأن الموقف لن يلبث أن يتحسن، وأن الألمان إذا كتب لهم النصر في هذا الخط فلن يكون ذلك سريعاً.

وصول قوات المحور إلى مرسي مطروح:

وبينما الكتّاب يكتبون ما يكتبون والإذاعة الإنكليزية تعلن ما تعلن وتبث في نفوس رعاياها وحلفائها التفاؤل، ويبذل الإنكليز جهودهم الجبارة في تحسين الموقف وحشد القوات، إذ الأخبار المثيرة للدهشة والعجب ترد تباعاً بوصول قوات المحور إلى ضواحي مرسي مطروح وتطويقها لها من الشرق والجنوب، ثم بانسحاب القوات الإنكليزية منها وسقوطها في يد المحور. وهكذا تنزل الكارثة العظمى على رأس الإنكليز، وتظهر ثانية هيمنتهم وكرتونية قواتهم ودعايتهم، ويصبح القضاء المحتوم قيد التحقيق في جبهة مصر، وبالتالي في جبهة الشرق الأوسط والبحر الأبيض. وقد ذكرت صحف اليوم أن المدد لم يصل من إيران والعراق وسورية، وأن الجيش الثامن قد تحطم إلى الدرجة التي لم يستطع معها الصمود، ففضل القائد الإنكليزي الإنسحاب من مرسي مطروح على وقوع بقية جيشه في الأسر. والحوادث تدل على هذا، فقد بلغ عدد الأسرى فيه (66000)، وطبيعي أن القتلى والجرحى لا بد من أن يكونوا عشرة آلاف وأكثر، ولم يبق من هذا الجيش إلا آلاف قليلة.

وقد قيل اليوم أيضاً أن القائد يمكن أن يتمكن من التماسك في بعض مناطق مصر أو الإسكندرية بعض التماسك. ولكن ظواهر الأحوال ومجرى الحوادث تجعل هذا القول غير ممكن التحقيق. فالإنكليز قد خسروا المعركة نهائياً على ما يظهر في مصر والجبهة الشرقية العربية وسدت أمامهم أبواب البحر. ومما أذاعه الألمان أن الجيش الإنكليزي الثامن أقدر على الحرب من الجيشين التاسع والعاشر، وأن

سحبهما من سورية والعراق قد جعل البلاد العربية خالية من القوى. ونشر فيما نشر اليوم أن المحور يحشد قوات كبيرة جديدة في كريت وجزر اليونان، وأنه يستطيع أن يمد جبهته في مصر بسرعة وسهولة، وأن في هذه الجزر خمسين ألف مظلي قد يكونون معدين لما وراء الإسكندرية لوضع القوات الإنكليزية بين نارين، وأن من المحتمل في ذات الوقت أن يقوم الألمان بحركة مظلية نحو سورية اغتناماً لفرصة خلو سورية والعراق من القوات. ولا نشك في أننا على أبواب أحداث عظيمة في منطقة الشرق العربي قد يغير مجرى تاريخها وقد يغير مجرى الحرب أيضاً. والناس حابسون أنفاسهم في انتظار الأحداث. وكل الأنظار والكتابات الآن تدور في مداها وعلى احتمالاتها..

وقد أخذ الناس يلهجون باسم رومل ويشبهونه بنابوليون، ويعدّونه أعظم قائد برز في هذه الحرب. وقد رقّاه هتلر إلى رتبة المارشالية.

أثر الموقف المتدهور في جبهة ليبية ومصر على مصر:

وتدل الإذاعات والعلائم على أن مصر في قلق وهياج، وأن سوق الشائعات قائمة فيها. ومن جملة ذلك آن لدى النحاس نية بإصدار تصريح يعلن فيه بأن مصر ستشترك في الدفاع وستقدم نصف مليون جندي الخ.

وقد نشرت الصحف أنه خطب في مجلس النواب محذراً من الشائعات وترويجها، ويتوعد الذين ينشرونها ويبثون الرعب في البلاد. ويؤكد أنه لن ينحرف عن الخطة المقررة وهي عدم إشتراك مصر بالحرب في أية حالة.

ومما جاء في خطابه أن رجال الإنكليز يطمئنونه عن الموقف تطميناً تاماً. ثم دعا الله أن يقي مصر من ويلات الحرب، وأن ينصر الإنكليز وحلفائهم. وكان هذا التطمين قبل انتكاث عزل الإنكليز وسقوط طبرق والسلوم وكابرزو وحلفايا وسيدي براني ومرسي مطروح. وطبيعي أن الحوادث كذبت التطمين وأحدثت الشك والقلق حتماً في أوساط مصر. وقد قيل لنا أن العوام يهتفون باسم رومل، والأفكار العامة مقلقة بهياج وترحاب بما أحرزه من نصر على الإنكليز.

وموقف مصر لا غبار عليه طبعاً من ناحية عدم الإشتراك في الحرب. وليس هو موقف النحاس. ودعاء النحاس بتجنيبها ويلات الحرب أيضاً لا غبار عليه. ولكن الدعاء بنصر الإنكليز كثير وليس له محل، وليس لمصر مصلحة فيه. ومن النحاس كثير أكثر لأنه كان يمثل العداء والنضال ضدهم، وفيه إثارة لغيظ الألمان وهم على أبواب مصر. وهكذا تبدو رعونة النحاس مضرة ومتناقضة هنا أيضاً.

5 ـ خبر عن جفاء بين الإنكليز والإفرنسيين في سورية:

مما نقله إلينا قادمون من سورية أن شيئاً من الجفاء بدأ يظهر بين الإفرنسيين الديغوليين والإنكليز ناشئاً مما حل بالجنود الإفرنسيين التابعين لحركة فرنسة الحرة في جبهة ليبية من كارثة الإفناء والأسر. والظاهر أن الإفرنسيين يتهمون الإنكليز بأنهم قدموا الإفرنسيين ضحية في المعركة كما يفعلون دائماً على ما أشرنا اليه في تعليق سابق. وقد أثارت هذه الكارثة

ذكرياتهم في موقف الإنكليز في دونكرك، وما كان من عدوانهم على الأراضي الإفرنسية. وإذا كان ليس هناك ما يؤكد الخبر فإننا لا نستبعده. فقد كان من الإفرنسيين موقف غيظ ونقمة حينما فر الإنكليز من دونكرك، ولم يكونوا قد قاموا بشيء من الواجب المنتظر منهم. وكان هذا من عوامل عقد فرنسة للهدنة المنفردة. أما الديوغوليون فهم الآن لا يبدون أكثر من جماعة مرتزقة تحركت بأموال الإنكليز واتخذت أداة لدعايتهم. وقد فني وذهب معظمهم في جبهة ليبية، وأصبحوا أشخاصاً قياديين مجرّدين من القوة العسكرية التي كانت تساعدهم على التبجح والزهو.

***

يوم الأحد
1942/7/5:

1 ـ حالة القلق والاضطراب في مصر بسبب تطور الحالة في الجبهة:

نشرت الصحف التركية بعض البرقيات اللافتة للنظر، فقد ذكر فيها أن اجتماعات دينية وسياسية تعقد في مصر، وأن إيدن وزير خارجية بريطانية أبلغ النحاس بأن بريطانية عازمة على الدفاع عن مصر وقادرة على ذلك.

وقد خطر على بالنا أن يكون قد بدأ في مصر هياج وقلق. وقد بدأ من الإنكليز شيء من التهجم والتهديد، أو ربما كان المصريون متخوفين من أن ينقل الإنكليز الملك معهم إذا ما اضطروا إلى الإنسحاب ليكون رهينة من جهة ووسيلة للدعاية من جهة أخرى كما فعلوا مع الملوك والحكومات الأوروبية الأخرى التي احتل الألمان بلادها. أو أنه بدا من الإنكليز رغبة في فتح السدود وجعل أرض مصر بَضًّا ليحولوا دون تقدم قوات المحور، أو أن المصريين متخوفون مما يمكن أن تجره الحرب على أرضهم من تخريب وكوارث. وهذه كلها أو بعضها سبب الهياج والقلق فيهم، وجعلهم يعقدون الاجتماعات السياسية والدينية، وسبب ذلك التجهم من نحوهم والتهديد لهم من قبل الإنكليز..

وقد قرأنا اليوم أن الإنكليز نقلوا علي ماهر من مصر إلى القدس، مع أنه معتقل بأمر الحكومة المصرية وليس معتقلاً منهم. وهذه

بادرة قد تؤيد ما أشرنا إليه مما يمكن أن يفعله الإنكليز إذا ما اشتد الخطر على مصر واضطروا إلى الإنسحاب منها. ولقد سمعنا إذاعات المحور تذيع أن في نية الإنكليز تعطيل البرلمان في مصر واستلام زمام الحكم مباشرة أو ضمن رقابة إنكليزية شديدة على الحكومة المصرية. ولم نسمع شيئاً يفيد وقوع ذلك، ولكنه يمكن أن يكون من المحتملات.

ولقد كتب بعض كتّاب الترك مقالات في هذه الأيام حول موقف مصر من هذه الحرب، وما فيه من غرابة، من حيث إن الحرب الآن مستعرة في أرض مصر في حين أن المصريين في موقف المتفرج الحيادي.

ولكن التدقيق في الأمر يزيل هذه الغرابة. فالحرب قد جاءت إلى مصر استمراراً في النضال مع القوات الإنكليزية التي تحتل مصر، وليس لمصر ناقة في هذه الحرب ولا جمل. والإنكليز لم يمكنوا مصر من إنشاء جيش مجهز يستطيع الدفاع والاشتراك فيه. والإنكليز بعد في موقف المسيطر المتسلط في مصر. فمصر معذورة في هذا الموقف وليس لها غيره.

2 ـ إذاعات محورية رسمية باحترام استقلال مصر وكونها صديقة:

وأول أمس أذاعت إذاعتان رسميتان باسم دولتي ألمانيا وإيطالية، أعلنتا فيهما أنهما تحترمان استقلال مصر وحريتها وحقها بالسيادة، وأنهما إنما دخلا أرض مصر دخول صديق لمصر لا عدو، ولمحاربة القوات الإنكليزية وطردها وتخليص مصر والشرق الأدنى من تحكم الإنكليز ومن القيود التي قيدوها بها، وأنهما تستلهمان السياسة المقبلة بالنسبة لمصر من الدستور المعروف (مصر للمصريين) وقد جاء هذا التصريح الثنائي في أحسن أوقاته. وليس من ريب في أنه سيكون له وقع عظيم في المصريين والعرب بل وفي العالم أجمع. وقد أحدث فينا أثراً نفسياً عميقاً. وتناولته الصحف التركية بالتعليق والتفسير وقد كتب «عمر رضا» في جريدة الجمهورية مقالات بما سيكون له من مدى في بلاد العرب والإسلام، وقال إنه خبير بنفسية هذه البلاد ومطامحها.. وقد أذيعت برقيات عن لندن والقاهرة فيها جواب على التصريح، ولكنه جواب بائخ. فقد قالت برقية لندن أن العالم يعرف قيمة وعود المحور للشعوب التي يحتل بلادها، وكيف نكث بهذه الوعود، ووقعت بلاد هذه الشعوب تحت حكم قاس رهيب. وقالت برقية مصر أن المصريين متعلقون ببريطانية، وأن سوادهم الأعظم يود أن يشترك مع الجيش البريطاني في الدفاع عن مصر ضد قوات المحور. وأن بعض قطعات من الجيش المصري ترغب في الالتحاق بالجيش البريطاني، وأنه لا يوجد في مصر أي نشاط ومجال لطابع خاص. الخ.

المكابرة الانكليزية العجيبة في نسبتهم النكث والغدر للمحور:

ومن المكابرة العجيبة أن يقول الإنكليز ما قالوه عن النكث بالعهود والوعود، وهم الذين مارسوا هذا وصاروا أبطاله المغاوير منذ مئة سنة في مصر والهند وبلاد العرب، وقاست هذه البلاد منه ما قاست، ولاتزال تقاسي إلى الآن، في حين أن العالم لم يجرب بعد ما إذا كان الألمان ينكثون أو لا ينكثون. وما كان منهم في البلاد التي يحتلونها الآن ليس حجة، لأن

ظروف الحرب تملي وتسوغ ذلك من جهة، ولأن الإنكليز يبذلون كل جهد في التحريك والدس وإيقاظ الفتنة في هذه البلاد، مما يضطر المحتلين إلى التشديد والترهيب من جهة ثانية. أما ما جاء في برقية مصر فهو هراء مضحك وليس هو بالتأكيد قول مصر ورأيها. فالحكومات المصرية والحكومة النحاسية التي تمثل أكثرية الشعب المصري قالت وأكدت مراراً أنها لن تشترك في هذه الحرب في أية حالة. وموقف المصريين العدواني من الإنكليز لا يمكن المكابرة فيه..

ولقد ذكر في برقية من مصر أنه بدىء بتوقيف بعض المشبوهين، في حين تقول البرقية السابقة أنه ليس هناك نشاط ومجال لطابور خامس، ولا شك في أن الأحداث القريبة ستتكشف عما يوثق كذب البرقية المصرية الإنكليزية، وخذلان الإنكليز ليس في مصر وحدها بل في بلاد العرب، حتى ولو لم يكونوا على ثقة يقينية بصدق وعود المحور، لأن ما أوجده الإنكليز في نفوس العرب مصريين وغيرهم وفي نفوس المسلمين وفي نفوس الشرقيين عامة من جروح، وما اقترفوه من آثام وما سوغوه من غدر وخيانة ونكث، كل ذلك يجعل أهل الشرق العربي والإسلامي يتربصون ساعة الخلاص والشماتة.

ولقد أخذنا نترقب صدور تصريح آخر خاص ببلاد العرب في الوقت الذي تزحف فيه قوى المحور نحو الشرق بعد السويس، وقد اقترحنا هذا على الرجل (الصديق الالماني) الذي اجتمعنا به، كما أننا كتبنا للمفتي نذكره به ونقول أن تطور الحرب يقضي الإسراع بإذاعة تصريح رسمي والإعتراف باستقلال بلاد العرب التام ووحدتها، على أن يذكر بصراحة أسماء الأقاليم التي تشملها وخاصة أسماء العراق وسورية وشرق الأردن وفلسطين، وبتأييد الإعتراف باستقلال الدول العربية المستقلة واتحادها.

ولقد قرأنا في الصحف التركية أن طيارات محورية أخذت تلقي مناشير باللغة العربية على بلاد الشام فيها تحريض ووعود. وهذه خطوة أولى في صدد ما نحن فيه بطبيعة الحال.

3 ـ جبهة ليبية ومصر والانسحاب إلى العلمين واتخادها خطاً دفاعياً:

في جبهة مصر: انسحبت القوات الإنكليزية إلى الشرق وعسكرت في مكان يعرف باسم العلمين على خط سكة مرسى مطروح ـ إسكندرية، ويظهر أن الإنكليز كانوا أعدوا هذا المكان ليكون خطاً ثانياً لدفاعهم. وقد أخذت قوات روميل تهاجم القوات الإنكليزية فيه. ومنذ ثلاثة أيام والحرب دائرة هنا بين الفريقين بقوة وشدة.

وقد تمكن الألمان في هجمتهم الأولى من اختراق الخط، ولكن الإنكليز استطاعوا أن يسدوا الثغرة ويصمدوا. وقد أخذ الحديث يدور حول مصير الأسطول الإنكليزي الراسي في مياه الإسكندرية. والمصادر الإنكليزية تقول إنه لبس من ضرورة إلى انسحاب الأسطول كله إلى البحر الأحمر، وأن له في بور سعيد وحيفا ملاجىء للعمل والإقامة، وإن كانت غير مجهزة تجهيزاً كافياً، وكل ما هنالك هو احتمال انسحاب بعض القطع الكبيرة حينما تصبح الإسكندرية في خطر.

***

يوم الجمعة

17 تموز 1942 :

1 ـ تأييد اليابان للتصريح المحوري في صدد استقلال مصر :

كتبت جريدة الجمهورية مقالاً رئيسياً بعنوان (صوت طوكيو)، بنته على ما سمعته من إذاعة طوكيو من إعلان للحكومة اليابانية تأييدها للتصريح الذي أذاعته ألمانيا وإيطالية في صدد استقلال مصر والشرق الأدنى، واحترامهما له، وكونهما إنما يدخلان مصر كبلاد دولة صديقة. وقولها أن دول المحور صادقة في ما تذيع، وأنها ستحقق فعلاً عهودها. وحاول «يونس نادي» كاتب المقال أن يجد في هذا التأييد عنصراً للدعاية أكثر منه موقفاً سياسياً عهدياً، وأن يجد في صوت طوكيو علامة على استعداد اليابان للإتصال بقوات زملائها حال ما تصل إلى قناة السويس، وقال إنهم حينئذ يكونون جبهة واحدة في إنهاء معركة الشرق الأدنى والأوسط، وفي إتمام تهديم الأمبراطورية البريطانية منهما.

2 ـ موقف الترك من التصريح المحوري وما كتبه كتّابهم :

والملحوظ أن كتّاب الترك حتى الذين تميل صحفهم إلى المانيا ميلاً ملموساً، لم يرق لهم التصريح الذي صدر من ألمانيا وإيطاليا وأيدته اليابان، وحاولوا التهوين من شأن بلاد العرب واحتمالات وقوفها موقفاً مؤيداً لدول المحور التي توخته بهذا التصريح وهذا يدل على أنهم لا يروق لهم أن يجد الألمان في بلاد العرب صداقة، وأن يكون العرب متظاهرين معهم إذا ما انتصروا، مع أننا نظن أنهم مخطئون في هذا. لأن العرب ينظرون إلى الترك نظرة أحسن من نظرتهم إليهم، ويتمنون أن يتعاونوا ويتضامنوا معاً في حال نيلهم استقلالهم وحريتهم، ويرون في هذا فائدة كبيرة لهم، وللإسلام وللشرق عامة عاجلاً وآجلاً.

ومهما يكن من أمر فإن ما أذيع من تأييد اليابان للتصريح أهمية خطيرة في نظرنا، وتكاد تعده ضمانة تدعو إلى الإطمئنان بعدم النكث الذي واجهناه من الإنكليز وحلفائهم في الحرب السابقة.

3 ـ وصف لعواطف اليابانيين نحو الشرق وأحاديثنا مع بعض سياسييهم :

وفي هذه المناسبة نقول أن أحدنا حينما يجتمع مع ياباني سياسي لا يجد في نفسه هذا الانقباض والتوجس الذي يجده في اجتماعه مع سياسي أوروبي، ويجد شيئاً من معنى القرابة والصميمية. وقد اجتمعنا مرتين مع بعضهم، وتحدثنا حول القضية العربية وجهاد العرب وآمال العرب، فسمعنا عطفاً وتأييداً، ووعدوا ببذل الجهود لتحقيق آمال العرب. وقد علمنا أن سفراءهم في برلين وروما وقفوا موقف المساعد المشجع للمفتي ورشيد. وكان لموقفهما أثر في الحصول على الوعود والتصاريح المطمئنة من برلين وروما. وقد طلبوا منا أن نرسم لهم خريطة الدولة العربية التي نريدها، فرسمنا لهم خريطة تضم مصر والسودان والحجاز واليمن والإمارات

والعراق وبلاد الشام جميعها، وعدد سكانها أربعون مليوناً، ومساحتها أكثر من ستة ملايين كيلومتراً مربعاً، وذكرنا لهم أن الحركة العربية تشمل في أهدافها ضم بقية شمال أفريقية وهي ليبية وتونس والجزائر والمغرب إلى هذه الدولة. وتكوين اتحاد عربي واسع من هذه البلاد جميعها المتصلة ببعضها اتصالاً تاماً من الخليج إلى ساحل المحيط الأطلسي، المتكلمة بلغة واحدة، والتي تدين بدين واحد، والتي مصالحها وتاريخها مشتركة مشتبكة منذ قرون طويلة. وقد أظهر كبير من كبرائهم الذي كنا نتحدث معه عطفاً وتشجيعاً، ووعد بأن يكون لهذا البرنامج محل إيجابي في السياسة اليابانية.

4 ـ خبر عن قرب صدور تصريح محوري جديد في صدد بلاد العرب:

أبلغنا صديقنا الألماني الذي ذكرنا خبر اجتماعنا به والذي اقترحنا عليه بذل الجهد لإصدار تصريح في صدد بلاد العرب مماثل للتصريح الذي صدر في صدد مصر، أنه تلقى جواباً بأن يبلغنا أن دولتي المحور ستصدر التصريح المطلوب في وقته المناسب.

5 ـ خبر عن مقابلة هتلر لرشيد عالي:

أمس أذاعت إذاعة برلين أن هتلر قابل رشيد الكيلاني رئيس الحكومة العراقية في مقره في المعسكر مصحوباً بوزير خارجية الريخ، وأن البحث دار حول القضية العربية ومستقبلها، وكان مشبعاً بالود والعطف. وهذا الحادث له اليوم أهمية عظيمة، لأنه يقع بين يدي قرب زمن زحف الألمان على القفقاس، وبالتالي قربهم من العراق وبلاد العرب. وبعد مدة قليلة من تبادل الكتب العهدية بين وزارتي خارجيتي ألمانيا وإيطالية وبين المفتي ورشيد. وقد بتنا نتوقع أن يصدر قريباً تصريح رسمي عن مستقبل القضية العربية وعهود دول المحور في صددها وفقاً لما تم بين الزعيمين العربيين وزعماء دولتي المحور، ولا سيما أن الوعد بإذاعة التصريح كان مشروطاً بوقت الزحف على القفقاس. وهذا يكاد يكون قد آن. ولعل رشيداً والمفتي قد خطوا خطوة جديدة بشأن المعاهدة التي الححنا عليهما بها بشدة، ووجدا الفرصة سانحة للسير فيها. ولعل هذه المقابلة ذات صلة بهذه الخطوة أيضاً.

6 ـ كتاب من رشيد عالي للأمير عادل ارسلان وفحواه وتعليق عليه:

وقد ورد كتاب من رشيد إلى الأمير عادل أرسلان يذكر فيه استلامه كتابنا المشترك، وينفي وجود خلاف بينه وبين المفتي، ويقول إن الأخبار التي وصلت إلينا مضلّلة، ويطمئن على سير القضية. وكلامه في صدد الخلاف هو تخلصي بطبيعة الحال، لأن الخلاف واقع يقينيّ واعترف به الشيخ حسن في كتابه وسعد الدين في حديثه على ما شرحناه آنفاً، وكان حافزاً لنا على كتابة الكتب الجماعية والخصوصية. ونرجو مع ذلك أن يكون من كتبنا حافز لرشيد على اهتمامه بموضوع المعاهدة والوحدة وعدم اكتفائه بالعراق ومستقبله، وبذله الجهد بعدم توسيع شقة الخلاف بينه وبين المفتي والتعاون معاً.

7 ـ مناشير على مصر وبلاد العرب بتوقيع المفتي ورشيد:

أذيع أمس أن مناشير جديدة ألقيت أمس من طيارات محورية على القاهرة وغيرها بتوقيع المفتي ورشيد، وجه فيها الخطاب للمصريين، وذُكّروا بما كان من الإنكليز من غدر ونكث ودسائس وشدة وطأة وسيطرة وفساد وعداء للعرب والمسلمين جميعاً. وحرضوا فيها على الوقوف من الإنكليز الموقف اللازم المقابل لتصرفاتهم ومواقفهم هذه. وقيل لهم فيها أن الفرصة سانحة للتعجيل في طردهم من البلاد المصرية والعربية.

ويظهر أن هذه المناشير قد أهمّت الإنكليز كثيراً، فسارعوا إلى الإذاعة بأنه ليس في مصر طابور خامس، وأنها هادئة النفس وطيدة الثقة بالإنكليز. وأردفوا ذلك بسلسلة تصاريح أملوها واستصدروها وأذاعوها عن لسان النقاش رئيس جمهورية لبنان وأحمد الحسيني أحد وزراء لبنان، وداود الحيدري وعبد المهدي وصالح جبر من وزراء العراق، وسليمان الشيخ داود من رجال العراق، كرروا فيها الثناء على مصر ووطنيتها وهدوئها وثبات جنانها وثقة العرب بنصر الحلفاء واشتراك مصالحهم مع مصالحهم الخ. الخ. وكل هذا قد توخى الإنكليز منه إضعاف أثر المناشير، وجعل المصريين يرون أن العرب في الأقطار الأخرى مع الإنكليز يدعون بدعوتهم ويؤيدونهم..

وفاتهم أن هؤلاء الذين أملوا عليهم بما قالوه معروفون عند أممهم بأنهم أبواق رسمية، وفاتهم أن الرأي العام العربي والإسلامي متشبّع بكرههم والحقد عليهم، وأن الحوادث الماضية أثبتت ذلك، وأنهم لن ينسوا ما كان منهم من نكث وغدر وقسوة ودسائس بين العرب والمسلمين، وخاصة ما نكبوهم به من نكبة عظمى بالصهيونية التي فيها أعظم الخطر العاجل والآجل على جميع بلادهم ومقدساتهم. وإذا كان العرب والمصريون يتظاهرون الآن بالهدوء، فإن ذلك لأنهم تحت احتلالهم، وفيها لهم قوات كبيرة، وينفقون أموالاً طائلة للدعاية وتشغيل العملاء. كما أنهم قد ملأوا المعتقلات في العراق وسورية وفلسطين ومصر بكل من يتوقعون منه بذل الجهد في الدعوة الصريحة ضدهم... وكل هذا لن يدوم. وسيرى الإنكليز من أول فرصة تسنح أن كل مجهوداتهم قد باءت بالفشل، وأن العرب يحملون لهم من الكره والحقد ما يجعلهم يقفون منه الموقف اللازم.

8 ـ اشتداد الخلاف بين مكرم عبيد والنحاس وإخراجه من الوفد:

في هذين الأسبوعين تطور الخلاف واشتد بين مكرم عبيد والنحاس، ووصل الأمر بهما إلى المهاترة في مجلس النواب والصحف، وإلى اتخاذ قرار بإخراج مكرم وبعض رفاقه متضامنين، منهم من الوفد ومنهم راغب حنا. والحادث خطير ولا شك، لأن مكرم كان اليد اليمنى للنحاس وظل رفيق جهاده في السراء والضراء وبرز في مصر بل وفي بلاد العرب بروزاً عظيماً، وبرزت له مواهب عظيمة في العمل السياسي والاقتصادي والحربي والتنظيمي. ويقال أنه سيؤلف حزباً وفدياً جديداً. وهكذا يكون هذا الانشقاق هو رابع الانشقاقات في الوفد وثالث انشقاق في زمن

النحاس. لأن الإنشقاق الأول كان على سعد. وكان المنشقون محمد محمود ومحمد علي علوية واسماعيل صدقي ولطفي السيد، وهم من أعضاء الوفد المصري الأصلي. أما الانشقاقات في عهد النحاس فأولها خروج حمد الباسل وعلي الشمس وبهي الدين بركات وعبد الرحمن عزام وآخرين. وثانيهما خروج احمد ماهر والنقراشي، وحركة مكرم هي الثالثة. والعارفون يعزون للنحاس رعونة وطيشاً وتحكماً. وتصرفاته تؤيد ذلك، وإن كان من مميزاته أيضاً الصراحة والصدق والنزاهة وطيبة القلب والإقدام. وهي الصفات التي تحفظ له اعتباره في نظر الشعب وتجعل الوفد منوطاً به شخصياً. نقول هذا لأنه لم يكد يبقى من أعضاء الوفد من عهد سعد في الوفد غيره. وكان كلما خرج فوج قرر ضم أناس آخرين للوفد.

ومما يسجل مع الحزن أن الحرب دائرة على أرض مصر ومصر مشغولة بمهاتراتها وخلافاتها الحزبية والشخصية. وهذا مظهر كريه حقاً وخاصة بالنسبة للخارج.

9 ـ موقف حرج في مصر ومداه وأثره من تقدم رومل:

أما الموقف في مصر فقد استمر في حرجه واضطرابه. وقد نقل لنا بعض القادمين أن الإنكليز هلعوا من تقدم رومل إلى درجة أنهم أخذوا يصفّون اشغالهم ويستعدون للخروج في أول بادرة، وأنهم ارسلوا نساءهم وأطفالهم إلى جنوب أفريقية. وقد زاد هذا القلق والاضطراب النفساني في مصر. وأن الحكومة عهدت إلى الجيش أمر حفظ المؤسسات والمعاهد الرسمية والأجنبية، وأخذت تدبر ما يلزم لتهجير أهالي الإسكندرية والقاهرة إلى الداخل. وشاع أن الإنكليز طلبوا من النحاس إشراك الجيش المصري في الدفاع، فسارع النحاس إلى نفي ذلك وتكرار تصريحه وميثاقه بعدم الموافقة على انجرار مصر للحرب واشتراكها في أي مظهر وعمل من مظاهرها وأعمالها. وأمس أذاعت بعض محطات المحور أن قائد الحرس الملكي بدّل بإنكليزي، فإن صح هذا فيكون تدبيراً احتياطياً لأخذ الملك فاروق معهم إذا ما اضطروا إلى مغادرة مصر. ولا ندري ماذا يفعل فاروق إذا ما واجه مثل هذا الموقف، وإن كنا نعتقد أنه لن يغادر مصر إلا مكرهاً، وبالقوة إذا سمحت الظروف للإنكليز باستعمالها. وقد أذاعت هذه المحطات أن السلطات الإنكليزية اعتقلت نحو ثلاثمائة مصري للاشتباه بهم. ونحن نميل إلى تصديق هذا. فالإنكليز يعرفون حق المعرفة ما يمكن أن يفعله الناس ضدهم في مصر وغيرها. ولهذا فإنهم يحتاطون للأمر ولا يتركون القادرين على التحريض والمناوأة والعمل ضدهم أحراراً بطبيعة الحال، ولعلهم يستغلون التوتر بين النحاس ومكرم ويتوسعون في الاعتقالات أيضاً.

10 ـ حول مسألة الأسطول الإفرنسي في الإسكندرية واحتمالاتها:

من الأحداث الجديرة بالتسجيل مسألة الأسطول الإفرنسي في الإسكندرية، فإن قسماً من هذا الأسطول كان في هذا الميناء وقت انعقاد الهدنة بين ألمانيا وحكومة فيشي في سنة 1940، فاحتفظ به الإنكليز تحت الرقابة ولم يسمحوا له بالعودة إلى موانىء فرنسة. فلما بدأ الخطر يحدق بمصر وجرى الحديث عن احتمال

مغادرة الأسطول الإنكليزي للبحر الأبيض، برزت مسألة ذلك القسم من الاسطول الإفرنسي، وأعلن الإنكليز عزمهم على أخذه معهم وعدم تركه حراً، بحجة أنه سيقع في يد العدو. وفي هذا ما فيه من خطر وضرر. وتحركت حكومة فيشي إزاء ذلك، فوقفت موقفاً قوياً وأبلغت قائد الأسطول وجوب عدم الانصياع لأمر الإنكليز وعدم الذهاب معهم، ولو أدى الأمر إلى المقاومة النارية. وأذاع الإنكليز إزاء ذلك أن الأسطول الإفرنسي إذا امتنع عن متابعة أسطولهم، فإنهم سوف يغرقونه ولا يدعونه غنيمة للعدو. وتدخلت أميركا فعرضت على فيشي أن يلتجىء أسطولها إلى إحدى موانئها، على أن تضمنه لها سليماً إلى نهاية الحرب. وقالت أن فيشي إذا رفضت هذا الحل فيكون لبريطانية الحق في تنفيذ عزيمتها. وقد أذيع اليوم أن لافال رفض العرض الاميركي وأصر على موقفه الأول، وصرح بأنه حصل على تأكيدات رسمية من ألمانيا وإيطاليا باحترامهما بنود الهدنة فيما يتعلق بهذا الأسطول، وعدم وضع اليد عليه، والموافقة على تجريده من السلاح. وقال إنه بعد هذه التأكيدات لم يعد للإنكليز حجة يستندون إليها، وأنهم إذا حاولوا تنفيذ عزيمتهم بالقوة فإن الأسطول سيدافع بالنار، وأنه قد ينشأ من ذلك تطورات خطيرة جداً. ولا ندري ماذا يكون إذا اضطر الإنكليز إلى الإنسحاب، ولكنا نرجح أنهم إذا أجبروا الأسطول الإفرنسي على الإنسحاب معهم أو أغرقوه، فإن لافال يعلن انضمامه في العداء ضد الإنكليز رسمياً إلى جانب المحور. والانسحاب سيكون إذا أخفقوا في الدفاع عن مصر ويئسوا منها، ويكونون بالتالي قد غسلوا يدهم من البحر الأبيض ومن الشرق الأدنى ورجحت كفة المحور رجحاناً تاماً عليهم. وهذا ما ينتظره لافال على ما نظن حتى يخطو خطوته إلى جانب المحور متخذاً حادث الأسطول مبرراً وحافزاً يستفز به شعور الإفرنسيين. وسنرى.

11 ـ إنذار هندي للإنكليز بتسليم مقاليد البلاد للهند والاستعداد للتحالف معهم في ذلك والموقف في حالة الرفض:

عاد الهنود إلى نشاطهم السياسي في هذا الأسبوع. ومنذ بضعة أيام والإذاعات مشغولة بأخبار هذا النشاط. فإن لجنة المؤتمر الهندي العامة موشكة على الإنعقاد في الأسبوع الأول من شهر أغسطوس. وقد أذيع أن تقرير اللجنة التنفيذية أعد، وأنه يحتوي على تقرير تصميم الهنود على إنذار الإنكليز بالانسحاب من الهند وتسليم مقاليد أمرها لأهلها، والقول لهم أنهم إذا استجابوا إلى ذلك فإن الهنود يتحالفون معهم ويعلنون النفير العام والخدمة العسكرية الإجبارية، ويقفون في وجه الغزوة اليابانية صفاً واحداً معهم كحلفاء. وأنهم إذا ظلوا على موقفهم الأول سوف يدعون إلى العصيان المدني ومقاطعة الضرائب والإمتناع عن التطوع وشل دوائر الحكومة.

وهكذا يظهر أن الهند مقبلة على تطور خطير. وأن الإنكليز مقبلون على مشكلة خطيرة فيها. وهذا ما جعل الأفكار تتجه إلى الهند وتتوقع أحداثها، وترى أن هذه الأحداث ستكون ذات أثر في سير الحرب وحياة الأمبراطورية البريطانية الضخمة.

بعونه تعالى
انتهى الجزء العاشر
ويليه الجزء الحادي عشر

سبعة وتسعون عاماً في الحياة

1305 ـ 1404هـ / 1887 ـ 1984م

مذكرات وتسجيلات

محمد عزة دروزة

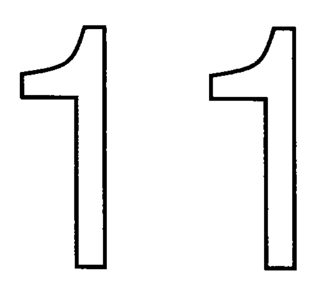

أحداث خاصة عامة عربية وتركية،

سياسية وحربية

أثناء فترة هجرتنا إلى تركية وإقامتنا في الآستانة

والعلاقات والاتصالات العربية مع دول المحور

(المانيا ـ ايطاليا)

22 تموز 1942 ـ 27 جمادى الثانية 1361

16 مارس 1943 ـ 5 ربيع الأول 1361

الجـزء الحادي عشر

يوم الأربعاء 22 تموز 1942
27 جمادى الثانية 1361:

1 ـ كتاب من المفتي وفحواه وما جرى في صدده من اجتماعات وأحاديث، وما لمح من خلاله من خلاف بين المفتي ورشيد والرسائل التي حصلا عليها من دولتي المحور وتعليقات على ذلك:

أمس جاءنا كتاب طويل من المفتي جواباً على كتبنا المشتركة والخصوصية، وكتاب من واصف كمال لأكرم زعيتر، وكتاب من فوزي القاووقجي لعادل العظمة.

وقد أشار المفتي في كتابه إلى ما كان من سعي سابق في بغداد على أثر انهيار فرنسه، والخشية من ضياع الفرصة، وضرورة الإتصال بالألمان في سبيل القضية، وإرساله كتاباً إلى برلين، وحصوله على جواب رسمي مفوض من قبل الزعيم بالاعتراف بحق العرب بالاستقلال والسيادة والوحدة، ثم إرسال ناجي شوكة للإتصال بالمفوض الألماني في تركية، وإرسال رسول آخر إلى برلين[1]، وإطّلاع نوري السعيد على ما يدور، بسبب كتاب أرسله كامل الكيلاني، وإطّلاع الإنكليز عليه بالتالي، والتوتر الذي كان بسبب ذلك بين رشيد والوصي والإنكليز، والذي أدى إلى استقالة رشيد، والمساعي التي بذلت لإعادته، والمفاوضات في صدد عقد المعاهدة حين رجوع (غروبا) المفوض الألماني في العراق بعد نشوب الحرب بين العراقيين والجيش الإنكليزي، وما أظهره غروبا من استعداد لعقد معاهدة في صدد فلسطين وشرق الأردن والعراق، وطلبه استبعاد سورية من البحث، وما أدى هذا الطلب إليه من التوقف الذي استمر نهائياً بسبب انهيار المقاومة العراقية.

وبعد هذا السرد التاريخي الذي أوجزناه هنا ونقلنا بعض صفحاته في يوميات سابقة، ذكر المفتي في كتابه أنه لما وصل إلى روما اهتم أولاً لحمل حكومتها على الإعتراف بحكومة الكيلاني، وثانيا على إصدار تصريح يكون مقدمة لعقد المعاهدة حينما يصل الكيلاني. وأعد بالاتفاق مع رجال الخارجية تصريحاً يتضمن الاعتراف باستقلال البلاد العربية غير المستقلة وسيادتها، وتأييد الإعتراف باستقلال الدول العربية المستقلة وسيادتها، وإلغاء وعد بلفور، واستعداد دول المحور للتعاون مع العرب لتحرير البلاد العربية ووحدتها.

وكتب التصريح وسلم له على أن يكون تمهيداً أو مقدمة للمعاهدة المطلوب عقدها حين قدوم الكيلاني. وحمل التصريح وسافر إلى برلين ومعه أحد رجال الخارجية الطليانية. وفي برلين، تم التفاهم التمهيدي على الأسس المذكورة، إلا الإعتراف بحكومة الكيلاني كحكومة عراقية رسمية، لأن الزعيم ظل يسخر من الإنكليز الذين أقاموا حكومات في الخارج بدون أرض وشعب. وقال إنه قابل وزير الخارجية الألمانية مرتين، وقابل الزعيم مرة، ورأى منه كل لطف وتصميم على تحقيق أماني العرب واستقلال بلادهم. ولكنه ارتأى تأجيل صدور التصريح بسبب ما يمكن أن يحدثه من

(1) عثمان كمال حداد ـ سكرتير المفتي الخاص ـ وهو من طرابلس/لبنان.

مشاكل سياسية لدى بعض الدول، وقال إن الوضعية العسكرية الآن تهمه قبل كل شيء، وأنه دار بينه وبينه حديث في شؤون القضية العربية في غاية الأهمية. ثم قال المفتي بعد هذا الذي كنا نعرفه وكتبنا بعض وثائقه في يوميات سابقة، انه لما وصل رشيد بك قدّم بالاشتراك معه وبعد محادثات عديدة مع رجال وزارتي الخارجية مشروع معاهدة وضعت فيها كل المواد التي تم الإتفاق عليها في الآستانة. وبعد أسابيع أجيبوا أنه ليس في الإمكان عقد معاهدة إلا مع حكومة معترفة بها، ولا سبيل للإعتراف برشيد ورفاقه كحكومة عراقية، وفشلت المساعي الكثيرة التي بذلت في سبيل تبديل هذا الموقف. ثم قال المفتي ، إن مشروع المعاهدة محفوظ عنده ، وأن العقبة الكؤود في سبيلها أيضاً كانت سورية، وأنه حاول أن يستعين بالسفير الياباني، وفعلاً فإن هذا بذل جهده، وتم الاتفاق على صدور تصريح مشترك من دول المحور الثلاثة للعرب وللهند معاً على أساس المواد السابقة. غير أن هذا مؤجل إلى أن يصل اليابانيون إلى أبواب الهند. وأشار المفتي إلى ما كان من مساعي بعض رجال فرنسة في صدد سورية وتأثيرها في هذه القضية، وأنه ثابر على السعي وبذل الجهود. وسافر هو ورشيد إلى روما ورأوا فيها عقبات كثيرة كما في برلين في موضوع المعاهدة وفي موضوع سورية كادت تجعلهم يائسين. وأنه (أي المفتي) أعلن حينئذ عزمه على ترك بلاد المحور والسفر إلى هنغاريا أو أسبانيا، وطلب الإذن إظهاراً لمرارته وخيبة أمله، وأن هذه الحركة منه حسّنت الموقف وحملت رجال المحور على الدخول في مفاوضات في صدد إعطاء رسائل لهم تتضمن أسس المطالب. وبعد مساع استغرقت ثلاثة أشهر ورافقتها منغصات ومزعجات، وصلوا إلى النتيجة وتلقوا الكتب الموعودة التي لم يكن لديهم وسيلة أخرى للحصول على غيرها، ولا سيما أن المفاوضات بين المحور وفرنسة جارية والصلاة حسنة، وخشي الجانب المحوري تخريبها، وقال المفتي أنه اعتقد أن المصلحة تحتم قبول ما تم، وأن الرفض في مثل الوضعية والظروف التي كانوا فيها غير جائز مطلقاً، ولا سيما أنهم أبلغوا رسمياً وصراحة بأن هذا أقصى ما يوافقون عليه بصورة نهائية. وقال أن الرسائل تضمنت الاعتراف بالسيادة والوحدة وإلغاء الوطن القومي والتعهد بمساعدة العرب على تحرير بلادهم واستقلالها، وأنها موقعة من وزيري خارجيتي ألمانيا وايطاليا. ثم قال أنهم مع ذلك مثابرون على محاولات أخرى. ويرجو أن تأتي بثمرة إن شاء الله. ثم أخذ يذكر العراقيل المزعجة في السير والعمل، فأشار إلى (غروبا) السفير الألماني الذي جاء إلى بغداد بعد انفجار الحركة العسكرية وقرار إعادة العلاقات السياسية بين العراق وألمانيا، وما كان منه من مقاومة شديدة لفكرة الوحدة وتفريق العراق عن سورية، لأن المجال الإقتصادي على رأيه في البحر الأبيض ستكون الأولوية فيه لإيطالية، وهو يريد ضمان حصر التبادل الإقتصادي في العراق لدولته، وكان يحاول إقناعهم بأن الوحدة غير ممكنة، وأن فرنسة وتركية لا توافقان عليها، وأن مشكلة سورية معقدة. ولما لم يمكنه إقناع المفتي أخذ يؤثر على رشيد ويتفاوض معه سراً، وقال له أن العراق سيخسر الفرصة، وأنه هو شخصياً سيخسر كل شيء.

وكان (المفتي) يشعر بمساعي (غروبا) ويحبطها، وشكاه لرؤسائه. ومع ما صدر إليه من تنبيهات من الرؤساء فإنه لم يرعو عن مساعيه والاستمرار فيها. وقال المفتي أنه شعر أن (غروبا) دائب في هذا متأثراً إلى حد غير يسير بآراء الخارجية والمصالح الخاصة. ويريد أن يتخذ رشيد بك وسيلة للوصول إليها (يعني في الغالب موضوع البترول وامتيازاته). (وكان سعد الدين عبد اللطيف ذكر ذلك)، وقد اصطدم (بغروبا) كثيراً وشكاه مراراً، واستطاع أن يقنع رؤساءه بإبعاده عن القضية العربية، ولكن رشيدا حاول إبقاءه. والمسألة لم تنته بعد.

ثم ذكر رشيد بك وما كان من تضامنه معه، وأنه لما جاء إلى برلين أظهر له المودة السابقة. غير أن انفراد غروبا به أوجدت في نفسه أثراً، وأخذ يكرر له (للمفتي) قوله إن الوحدة غير ممكنة، وأن أكثرية العراقيين من شيعة وأكراد لا يريدونها، وأنه يخشى أن يهاجموا بسببها إذا عاد إليهم بها، وأن قضية سورية لا تحل لموقف فرنسة وتركية منها، وأن تشدده وتصلبه في هذا الشأن هو السبب في تأخر النجاح، وبدأ يقترح مشروعات لاتفاقيات خاصة للعراق وحده بالإشتراك مع (غروبا)، وكان (أي المفتي) يقف منه موقف الناصح تارة والمخطىء تارة. وكان رشيد يتراجع ويظهر استعداده للتضامن معه، ثم لا يلبث أن يعود إلى آرائه وخلواته ومشروعاته مع (غروبا). وقد جاء هو (وغروبا) إليه يوماً بمشروع خاص لفلسطين وشرق الأردن يتضمن استقلالهما ووحدتهما ووعوداً خاصة له شخصيا، وحاولا إقناعه بالموافقة على مشروع خاص بالعراق يعطى لرشيد بك، وأن نترك سورية وشأنها إلى أن تسنح فرصة أخرى في المستقبل، وقد رفض (المفتي) هذا التشبث الفظيع، وقال لهما إنهما كالذين يغالبون الأمواج في البحر ويتمسكون بحبل واحد مشترك، فأي منهم قطع الحبل ولو كان قريباً من الساحل فإن الفرق سيكون نصيب الجميع. وأصر على عدم قبول أي مشروع لا ينتظم جميع سورية والعراق.

وقال (المفتي) في كتابه إنهما لما يئسا منه توالت اجتماعاتهم ووضعوا مشروعاً لأجل العراق وحده وقدموه لوزارة الخارجية. وأنه (المفتي) سعى وأصر على مشروع واحد غير منفصل لجميع البلاد العربية بما فيها سورية، وأن المشروع العراقي توقف نتيجة لذلك، وأن رشيد تأثر وتوترت أعصابه. ولما ذهبوا إلى روما اقتنع رشيد بأن يكون التشبث واحداً والجهود واحدة للبلاد العربية جميعها، فوعده بذلك مقسماً بأغلظ الأيمان، ولكنه نقض وعده وقابل المراجع الرسمية وحده، وحصر جهده في العراق، وأصر على أخذ مشروع للعراق خاصة. وبالرغم من مساعيه (المفتي) الإقناعية وإظهاره الألم الشديد وعتبه الحازم، فإن رشيد أصر على رأيه وأخذ الكتاب المطلوب. وقال المفتي في كتابه أن هذا العمل الانفرادي قد أضرّ بالمشروع العام، ولذلك فإنه قاطع رشيد بك، ودام التقاطع اسبوعاً، وتدخل ناجي بك (شوكة) والدكتور محمد حسن سلمان فعاد الإتصال بشرط التفاوض المتحد وقطع على ذلك العهد. ويشرع في مفاوضات جديدة حازمة أمكن بنتيجتها الحصول على تبادل الرسائل العهدية.

وأشار المفتي في كتابه إلى ما ظهر من أنانية رشيد في مناسبات كثيرة، وادعائه بأنه المفوض

الأول والسياسي الوحيد، وقوله إن المفتي رجل دين روحي لا يجوز تدخله في السياسة الخ الخ. وأشار إلى ما كان يبدو منه من إثارة الروح الإقليمية في العراقيين، وحملاته على كل من يخالفه، وتهديده بالإعدام والطرد والتشريد، وأنه شمل بأقواله ناجي والدكتور سلمان وطه وصلاح وغيرهم وغيرهم. وأدى هذا إلى افتراق ناجي والدكتور وكثير من العراقيين عنه، وقال (المفتي) في كتابه أنه كان لأخيه كامل (أخي رشيد) أعظم تأثير عليه، كما كان لمرض (الشقيقة العصبي) أثر أيضاً في مواقفه وهياجه. وقال (المفتي) في كتابه أنه صارحه مراراً ولا سيما في الأيام الأخيرة بأنه يريد التعاون معه على أساس أن يكون رئيس الدولة العراقية، وأنه (المفتي) نصحه بأن لا يطلب ويقدم على هذا لأن فيه معنى تفريق العراق عن سورية وإساءة للشريف الوصي وسابق لأوانه، وليس من المصلحة في شيء. وأنه بالرغم من ذلك ما زال متشبثاً بفكرته ومتوتر الأعصاب في صددها. وقد سعى لمنع الشريف محمد من الرجوع بتأثيرها (الشريف محمد هو ابن الوصي)، وأنه كان يذكر دائماً كثرة الطوائف ومشكلاتها، وسورية وخطر جيرانها والطامعين بها، وخصوصيات العراق. وكان لكلامه رد فعل ضار في نفوس رجال المحور أيضاً.

ثم انتقل (المفتي) في كلامه في كتابه إلى فوزي، فقدم له مقدمة عن أخلاق فوزي واتصالاته الوثيقة برجال الاستخبارات الإنكيزية واليهود، وكثرة نفقاته وما كانت تثيره من ريب وشكوك. وأشار إلى مشروعات اتفق عليها هو ودونفيل مدير الاستخبارات الإنكليزية في العراق أحبطها المفتي. ثم قال أنه حينما جاء إلى برلين شعر بتألم فوزي لمجيئه لأنه كان في موقف المنفرد بتمثيل الأمة العربية، وكان يسبح في الأحلام ويشبه نفسه بمصطفى كمال، ويتخيل أنه سيمثل دوره. (المتبادر أن المفتي قصد بكلمته أن فوزي تألم حينما جاء هو إلى برلين لأنه سوف تكون له الحظوة والأولوية).

وقال المفتي في كتابه أنه بذل جهده للتعاون معه وتطييب نفسه تجنباً للخصام، ودام الأمر بضعة أسابيع. وكان (فوزي) يريد الاطلاع على كل شيء والاشتراك في المفاوضات التي صار المفتي طرفها، وحضور الجلسات الرسمية، وكان الكتمان أساساً في الأبحاث. ولما كان فوزي مشهوراً بعدم الكتمان، فإنه كان يداريه ويطلعه على ما لا يضر إذا ذاع ويكتم عنه الباقي، فكان هذا مما آلم فوزي نفسياً، ولا سيما وقد رأى الألمان يوجهون اهتمامهم وحفاوتهم له (أي للمفتي) دونه، ورأى فوزي أن منزلته قد ضعفت عندهم. وقد أكد المفتي في كتابه أنه لم يدخر وسعاً في ملاطفته والعناية به، وأنه دعاه مراراً ولبى دعوته، ولكنه كان له خطة مرسومة. ولما قدم رشيد بك لعب دوراً في التفريق والإفساد.

وأشار (المفتي) في كتابه إلى ما كان لمكاتيب عادل وأخيه نبيه من أثر في موقفه (موقف فوزي)، وقد ذكر (المفتي) في كتابه أنه حاول بواسطة واصف كمال والدكتور محمد حسن سلمان والشيخ حسن أبو السعود التفاهم معه. وقد زاره وأخذ منه عهداً، ولكنه لم يلبث أن نقضه. وهو متصل برشيد بك، مع أن أحدهما لا يثق بالآخر. وفي نهاية الكتاب نبه على أن الخلاف لا يتعدى الحالة النفسية، وأنه ليس هناك مهاترات ولا شتائم، وأن الأكثرية

الساحقة من الموجودين في برلين بما فيهم العراقيون مؤيدون موقفه (المفتي) ومفترقون مع رشيد وفوزي، ومدركون ما قاما به من أدوار ضارة. وأن الموقف بعد موقفه الحازم من (غروبا) بدأ بالتحسن بشكل يبعث على الأمل بتنظيم الصلات بينه وبين حكومتي المحور بما يرضي المصلحة العامة.

وتعليقاً على ما جاء في الكتاب نقول:

أولاً ـ إن الكلام في ما يتعلق بالجهود المبذولة في صدد القضية مستوفٍ ومحكم. فقد بذلت الجهود لأجل المعاهدة، وإخفاقها كان بسبب الإصرار على عدم الاعتراف بطرف دولي عربي، فكان الإضطرار موحياً بالاكتفاء بالكتب العهدية، حيث قيل لهم بصورة نهائية أن هذا أقصى ما يمكن الموافقة عليه. وكان رفض هذا العرض ليس من المصلحة بطبيعة الحال. والنقطة التي ظلت غامضة علينا هي ما إذا كانت أسماء الأقاليم ذكرت في الكتب أم كان الكلام عاماً. على أن هذه النقطة لا أهمية لها إذا حسنت النيات مادام الاعتراف صريحاً باستقلال البلاد العربية وسيادتها ووحدتها صراحة حازمة، وهذا يمكن الاحتجاج به كعهد حتماً، وأنا أعتقد أن المفتي صادق مخلص في ما ذكر عن الجهود التي بذلها للقضية العامة وعقد المعاهدة. ويظهر من الكلام فظاعة الدور الذي لعبه رشيد في مساعيه الإنفرادية ومصالحه الشخصية ونعرته الإقليمية. وأنا ميال إلى تصديق الكلام إجمالاً. فقد ذهب من هنا وفي نفسه شيء في صدد وحدة سورية والعراق، حيث قال للأمير عادل أرسلان أن هذه الوحدة إذا لم تمكن فلتكن دولتين. غير أنه لا يبعد أن تكون مساعيه هذه ناشئة عن خشيته لمنازعة المفتي له في النهاية في المركز الرئيسي. على أن قبوله تصريحاً للعراق وحده فيه تثبيتاً لنفسه لرئاسة الوزارة أو الدولة، ورفض المفتي أن يقبل تصريحاً مثل هذا لشرق الأردن وفلسطين وإصراره على جعل الحل عاماً لجميع البلاد العربية كوحدة، يجعل موقف المفتي أشد متانة وإخلاصاً في صدد القضية العامة. أما المنازعة على المركز الرئيسي فهي سابقة لأوانها، حتى لو كان في نفس المفتي شيء من ذلك. كذلك فإن دور (غروبا) فظيع ويدل على أن عند أصدقائنا نماذج مما عند الإنكليز والإفرنسيين. وهذا يدعو إلى التشاؤم من المستقبل، لأن أمثال هؤلاء يؤثرون دائماً في سير الأمور سيراً مستقيماً. وأنا سمعت شيئاً عن غلظ عقل (غروبا) وفساده حينما كان في العراق.

أما الكلام عن فوزي فهو صحيح بالنسبة لعدم كتمانه وبالنسبة لمطامحه واعتداده بنفسه وترشيحها لتمثيل دور مصطفى كمال. وقد سمعت شيئاً من ذلك من عادل العظمة زميل فوزي والمتضامن معه في موقفه، وللمفتي رأيه في عدم الثقة فيه أو في التخوف منه من الناحية العامة أو الخاصة. ولكني استكبرت المقدمة التي قدمها للكلام عنه، ومحاولة وصفه بالجاسوسية والعمالة للإنكليز واليهود أو تلويثه بالإندماج فيها. فمزاج فوزي معروف، ونحن نعرف أنه ليلة سفره إلى ثورة فلسطين كان حضر أو أعدّ اجتماع ويسكي مع بعض الضباط الإنكليز في بغداد، وهو يتظاهر بالدعابة، ويكون جاداً في أعماله الثورية. ولم يبق للكلام الذي جاء في مقدمة المفتي معنى، بعد أن سارع فوزي إلى الاندماج في الثورة والحرب ضد الإنكليز في بغداد، وبعد أن ثبت في

ميدانهما بعد أن استولى الضعف والانهيار على الجميع وفروا من الميدان، وبعد إصابته بعشرين إصابة من المترليوزات التي أطلقت قذائفها عليه من الطيارات في طريق العراق ـ دير الزور، وهو على عزيمته في الإستمرار في الحرب ضد الإنكليز، وصار بين الموت والحياة. ولا أدري ماذا يجب أن يفعل المرء أكثر من هذا ليثبت إخلاصه وجرأته على التضحية والحرب ضد الإنكليز في سبيل الغاية القومية؟ وكان منه مثل ذلك في ثورة فلسطين قبل، وفي ثورة سورية قبلها ضد الإفرنسيين، وكان ضابطاً في كتائبهم. ومن المؤلم حقاً أن يتجاهل المفتي كل هذا، وأن يكرر الإشارة إلى أمور هي جزء من مزاج فوزي من ناحية الحياة الخاصة وليست من ناحية الإندماج والخيانة قط، وأن يحاول تلويثه وهدر مواقفه الجهادية المتكررة ضد الإفرنسيين والإنكليز وخاصة موقفه الأخير الرائع الذي كان آخر أعماله ومشاهده وأصيب بما أصيب من شظايا المتراليوز وانتقل منه إلى برلين، وهو كما قلنا بين الحياة والموت. ومن المؤلم حقاً أن يصل حب التجريح والحقد إلى هذه الدرجة فلا يتورع عن كيل التهم العظمى حتى ضد من ضحى بدمه ووقف مواقف رائعة في ميادين الجهاد في سبيل القضية العربية. أما ما جاء في كلام المفتي عن محاولاته تطييب نفس فوزي وجلبه فأنا أميل إلى تصديقه، غير أن الأمر لم يكن يتعدى في اعتقادي المسايرة والمداورة والطبطبة على الظهر. وفوزي ليس من الغباء إلى الدرجة التي يبلع معها هذا أو يمشي عليه أو يقنع به، ومن هنا كان على ما أعتقد عدم الوفاق والإنتكاث من آن لآخر. ومهما يكن من أمر فأنا أعتقد أن موقف فوزي ينطبق عليه المثل الصبياني (أنا فيها وإلا أخربطها)، وهي مسألة شخصية وليست مسألة قضية وطنية. أعني أن القضية لا تحتم أن يكون هو شخصية رسمية. وما دام في الميدان من يمثل ذلك وارتضى به الطرف الثاني والأمر جرى وفق ذلك، فالواجب القومي كان يقتضي على فوزي أن يكف عن مساعيه وتحركاته. وكذلك الأمر بالنسبة لنبيه وعادل العظمة في كل هذا، وقد قلت كل هذا لعادل بصراحة. أما تطبيق المثل فهو أنانية وتمثيل طمع ونزوة شخصية، هذا يجب أن لا يكون في نطاق القضية القومية ولا مبرر بأي مبرر.

أما ما أشار إليه المفتي من مشروعات فوزي مع دونفيل التي أحبطها في بغداد فهي على الأرجح محاولة فوزي الإستعانة بالإنكليز والاستمداد منهم للقيام بثورة في سورية حينما نكث الافرنسيون عهدهم وتراجعوا عن المعاهدة في سنتي 1938 و1939، وكان ذلك بالاتفاق مع عادل العظمة. ولا نعتقد أن هذا يتناقض مع المواقف التي جرى عليها العرب إلى الأن، فلو تيسر للمفتي أن يستمد من الإفرنسيين في سورية سلاحاً وعتاداً ومالاً لتقوية الثورة لما تأخر أو قصر طبعاً. وقد كانت الثورة تتمتع بشيء من الأغماض الإفرنسي الى ما قبل توتر حالة أوروبا، وكان المفتي يعمل جاهداً في الإنتفاع من ذلك، وليس فيه أي مجال للنقد، فلماذا تكون تهمة ولوثة لفوزي؟ وهذا يضاف إلى ما قلناه من حب التجريح ومن تجاهل مواقف التضحية، وهذا ما يزيد في الألم.

وكتاب المفتي جاء من روما، وقد فهمنا من حامله أنهم قد جاؤوا إليها (المفتي ورشيد

وبعض إخوانهم) بناء على طلب وإلحاح المقامات المحورية. والراجح أن ذلك كان بسبب ما ظهر من تطور سريع في جبهة مصر واقتضاء الظروف بذل جهود عظيمة في الأوساط العربية والحديث في صدد ذلك. ولعل المناشير التي ألقيت على مصر والبلاد العربية في هذا الظرف وأشرنا إليها من ذلك. وفي كتاب المفتي إشارة إلى احتمال تطور الظروف واقتضاءها الالتحاق به وطلب بالاستعداد للإجابة حالاً. وفي كتاب واصف لأكرم بعض التفسير، وهو احتمال ذهاب المفتي ورجالات العرب إلى مصر إذا تم جلاء الإنكليز عنها، وبذل الجهود من هناك والإستعداد والدخول في الميدان عملياً. وجاء في هذا الكتاب أن المحور يأمل أن يتم انهيار جبهة مصر في أوائل اغسطوس. غير أن الموقف الحربي في مصر الآن يدلّ على أن الإنكليز صامدون أقوياء في العلمين، وهذا تبدل لصالح الإنكليز لم يكن عندما استدعى المفتي والإخوان من برلين. ولا ندري هل تتبدل الآن وتنقلب لصالح المحور وينتقل المفتي ورشيد والإخوان إلى مصر؟ والحوادث الآتية هي التي سوف تجيب على هذا السؤال.

وفي كتاب واصف إشارة تصديقية لما بدا من رشيد وأخيه من نعرة إقليمية ومساع إنفرادية، ولما بدا من المفتي من جهودْ في سبيل وحدة القضية وهدفها القومي العام وما يراه من وحدة القيادة، وكون المفتي هو الأهل لها، ووجوب العمل لتركيزها فيه. وفي الكتاب تطمين بأن الأمور آخذة بالتحسن وباعثة على الأمل، وهو يطلب ويتمنى حضور الجميع للتعاون في صدد العمل القومي. والذي يفهم من كل ما كان أن مسألة المعاهدة والتعاقد أصبحت غير قائمة، وأن المحور اكتفى بالكتب العهدية، وأن الزعماء اضطروا للاكتفاء بها، وأن قدوم المفتي إلى روما هو من أجل احتمالات سفره وسفر رجال العرب إلى مصر وإقامة المعسكر العربي القومي فيها لأجل الدعاية والتعاون في تطورات معركة الشرق العربي. وهذا الآن متوقف بسبب الموقف الإنكليزي الصامد، وموكول لانكشاف الأمور. ولقد ذكرت الصحف أخيراً عزواً الى روما أن موسوليني كان في جبهة مصر منذ آخر حزيران إلى العشرين من تموز ثم رجع. وكان أشير إلى هذا في برقيات إنكليزية، وكنّا بين مصدقين ومكذبين لذلك. والظاهر أن رومل حينما خطا خطوته الناجحة واستطاع أن يعبر أرض مصر وأن يبعث أملاً بفتحها سارع موسوليني ليكون شاهداً لهذا الحدث العظيم بنفسه. ولعله هو الذي أوعز وهو في الجبهة باستدعاء المفتي ورشيد ليتهيأوا مع رجال العرب في برلين وروما للالتحاق به والقدوم إلى مصر ليقوموا بدورهم نحو بلاد الشام والعراق. وقد رجع الآن إما لأنه رأى هذا الأمل متأخر التحقق أو متعذر التحقق الآن، أو لأسباب أخرى تكشفها الأيام الآتية.

وقد قلت أن فوزي أرسل إلى عادل العظمة كتاباً، وقد زارني عادل وأطلعني على هذا الكتاب. ومنه كلام عن استمرار الخلاف بين المفتي ورشيد ثم بينه وبين المفتي، ويقول لعادل أنكم لم تأتوا ولم تفوضوني. ويرد على كلمة وجهها إليه نبيه في أحد كتبه إليه وهي: (أنه أشجع ما يكون في الحرب وأجبن ما يكون في السياسة)، ويقول أنه تكلم (مع رشيد والمفتي) بكل شدة وصراحة وما زال يبدي ويعيد. ولكنه لم يؤثر، فإن المفتي يدعي لنفسه

تمثيل كل العرب وزعامتهم ولا يقر لأحد موقفاً في تمثيل أو زعامة، وأنه يزعم أنه باعث كل حركة عربية، وأنه لا يوجد من ينكر عليه زعامة، وأن قصارى ما يقبله أن يكون الناس عنده (عبيداً مكرمين). وهذا تعبير فوزي وليس حكاية عن المفتي.

ومما ذكره أنه اقترح على المفتي تأليف لجنة برئاسته كزعيم شعبي، وأن يكون رشيد هو المفوض الرسمي فرفض ذلك، وأن الانفصال كاد يصبح تاماً، وأن المقامات الألمانية عينت لرشيد شخصاً يكون ممثلاً لها لديه، وعينت للمفتي شخصاً آخر مثل ذلك، وأن القضية السياسية في دور الخطر والضرر. ويوجه في كتابه اللوم على الذين هم في الآستانة لأنهم اكتفوا بالكتابة ولم يقفوا تجاه ذلك موقفاً حاسماً وجازماً. . .

وقد أخذ عادل بعد أن قرأت كتاب فوزي يحاول إقناعي بأن نسافر جميعنا لدرس الأمر وإيجاد حل واحد لهذا الخلاف الضار. وقد حدثت عادل بصراحة كما كنت حدثته سابقاً، فقلت له أن ضلع فوزي مع رشيد ظاهر، وأن تأليبه على المفتي أيضاً واقع، وأنه من المتعذر إقناع المفتي بتغيير رأيه في فوزي، وأن موقف المفتي هو أقوى وأصح من موقف رشيد لأن هذا بطلبه الإعتراف بالعراق فصل قضية العراق عن القضية العربية، بينما المفتي ظل يطالب بالقضية كلها ويرفض ما عرض عليه في صدد وحدة واستقلال شرق الأردن وفلسطين. وأن عدم إمكان المعاهدة عائد لموقف الألمان. وإني ميال للتصديق بأن المفتي حاول حملهم على الإعتراف بشرعية حكومة الكيلاني وعقد المعاهدة المطلوبة معها فلم ينجح، وانتهى الأمر إلى الإكتفاء بالكتب العهدية. ومع ذلك فإن لهذه الكتب قيمتها القومية إذا حسنت النيات، وأن فوزي يبالغ كثيراً في وصف حالة المفتي لأنه حاقد عليه لانجراح كرامته، ولكون المفتي لم يثق به ويجعل له دوراً في الموقف والتمثيل السياسي. وأن الواجب القومي يقضي عليه كما كنت قلت له بأن يكف عن تأليباته وحركاته الإنفرادية، ويجب عليه (على عادل) أن يكتب له بذلك. وهذا الواجب مفروض عليه وعلى أخيه نبيه، لأن في التأليبات والحركات والتهجمات إضعافاً ضاراً للقضية واعتبارها على غير طائل منها. وأن مسألة فوزي مسألة شخصية غير محتمة، في صلب القضية القومية حتى يقام لها ويقعد في صدد العمل للقضية القومية. وقلت له أن سفره وسفر أخيه مضر لأن المفتي يعتقد كما يمكن أن يكون الواقع أنهما متضامنان مع فوزي ورشيد ضده، وأن فوزي يتقوى بهما، وكتاب فوزي دليل على ذلك. ونبيه في كلمته التي وجهها إليه يحرضه تحريضاً شديداً على الوقوف موقف المعارضة من المفتي، وإشارة فوزي إلى التفويض دليل على أن مثل هذا قد جرى الكلام فيه. وقد ذكرت له ما شكا منه المفتي في كتابه على ما سبق تدوينه من كتب نبيه إليه وأسلوبها الخشن المؤذي، وقلت له إن هذا الأسلوب ضار لا يمت إلى رغبة الإصلاح وتحسين الموقف بأي سبب وفي غير محله. وقلت له أن الأمير عادل لا يرغب في السفر، ولو رغب وسافر لما أفاد لأنه متقلب مع الجلسة والجليس في الغالب. وأن سفري أيضاً لا يفيد لأني لا أستطيع أن أؤثر على رشيد ولا على المفتي ولا على فوزي في صدد الموقف الذي يقفه كل منهم، لأنه موقف نفساني بعيد الغور لن يتنازل أحدهم عنه لرجاء أو التماس، ولا أشك في أن بعض الذين في برلين حاولوا ذلك

ولعلهم أكثر تأثيراً.

وموضوع اللجنة التي يقترحها فوزي يمكن أن يكون المفتي رآها لعبة ودسيسة ضده من فوزي الذي لا يثق به بقطع النظر عن صواب الفكرة مبدئياً. ومما اقترحه عادل أن نبذل جهدنا لنحملهم على الإصرار على المعاهدة أو الانسحاب، فقلت له أنه لن يمكن إقناعهما بالإنسحاب الآن، عدا عن أنه قد يكون مضراً وليس له ضرورة. وقد ذكرته أنه هو وفوزي قبلا بالتعاون مع الألمان على غير أساس قبل وصول المفتي ورشيد، وأعتقد أن فوزي مازال مستعداً لذلك. ثم ذكرت له أن واصف الذي نعرف ذهنيته المتحفظة إزاء المفتي وذهنية المفتي وحاشيته إزاءه، برر في كتابه الذي أرسله إلى أكرم موقف المفتي وجهوده وضرورة التجمع حوله وتأييد زعامته من أجل المصلحة، وكونه يمثل الآن فكرة الهدف القومي العام ويسعى إليه جهده، وأن مساعيه تكللت بشيء من النجاح. وأنه (أي واصف) ذكر نعرة رشيد وجماعته الإقليمية ومساعيهم الإقليمية بشيء من النقد والتثريب. وهو شاهد حيادي وقد لا يرى شاهد حيادي آخر أكثر من هذا أيضاً.

2 ـ نص رسالة لي من رشيد عالي الكيلاني:

وجدت بين الأوراق التي وجدتها في الدفتر السابع وذكرت أمرها سابقاً كتاباً لي من رشيد الكيلاني بتاريخ 20 تموز 1942 هذا نصه:

عزيزي الأخ عزة بك دروزة المحترم.

تحية واحتراماً، لم أكتب لك منذ مدة فأرجو أن تعذرني لأني كنت أكتفي بمخابراتكم مع سماحة المفتي. والآن نظراً لسفره إلى روما أحببت أن أرسل هذه الرسالة إليكم سائلاً عن صحتكم متمنياً لكم التوفيق.

إني حيث ما تعهدون فيّ مثابر على السعي في سبيل تحقيق غاية بلادنا العربية. وملاحق ذلك بكل ما يمكن. وإني على ما كنت عليه من حسن نية بصداقة أصدقائنا الألمان نحو استقلال البلاد العربية ولمست الشيء الكثير من ذلك منهم عند وجودي هنا. ولا بد أن سماحته أوضح لكم ذلك في كتبه السابقة وبين لكم حسن نية إيطاليا أيضاً.

إني تأكدت هنا لاسيما وفي مدة بقائي الأخيرة بعد سفر سماحته إلى روما بأن نية أصدقائنا الألمان وحلفائهم أكيدة بإصدار تصريح باستقلال الأمة العربية عند تقرب جبهتهم حدود بلادنا، وأن هذا سيكون قريباً جداً، وسأسافر إلى روما عن قريب، وآمل أن هذا البلاغ سيكون مرضياً. وإني باذل جهدي في ذلك وأرجو الله تعالى أن يرشدنا جميعاً إلى أن نضع دائماً الخدمة العامة نصب أعيننا ويجعلنا ننظر إلى أرواح شهدائنا وهي في العليين والغاية العامة التي ضحوا بحياتهم من أجلها. احتراماتي لجميع إخواننا وعلى الله الإتكال.

المخلص رشيد الكيلاني

ولا أذكر من الذي أتى بهذا الكتاب ومتى. وهو الكتاب الوحيد الذي جاءني من رشيد. وليس الكتاب جواباً على كتابنا المشترك له. وإنما إخبار بما فعل وما حصل عليه هو والمفتي، والكتاب يفيد أن المفتي سافر قبله إلى روما وأنه سيتبعه.

***

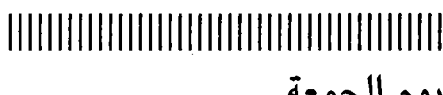

يوم الجمعة
31 تموز 1942:

1 ـ قدوم مصطفى الوكيل كرسول من المفتي وما جرى في صدده من اجتماعات وأحاديث وتعليقات عليها:

أول أمس وصل للآستانة مصطفى الوكيل قادماً من روما خصيصاً من طرف المفتي لإقناعنا بضرورة الالتحاق به لأن الموقف قد اشتد خطورة بمناسبة احتمالات تطور الحرب في مصر وامكانيات الانتقال إلى مصر وما تمس الحاجة إليه من إعداد الخطط للأحداث المقبلة، وإلى هذا يوجب تضافر جميع القوى، وأن الموجودين في روما الآن لا يمكنهم أن يقوموا بالعبء وحدهم. ومصطفى الوكيل(1) هذا شاب مصري من أسرة الوكيل البارزة. وهو دكتور جامعي علمي متدين ذو أخلاق مستقيمة ومتحمس للعروبة والإسلام، وكان استاذاً في العراق فالتقى بالمفتي وتعلق به وأخلص له الولاء بكل شدة. ولما وصل المفتي إلى برلين بذل جهده حتى جاء إلى الآستانة ثم سافر إلى برلين، وصار من أخلص من حول المفتي للمفتي ومساعديه. وقد تحدثنا ملياً معه في مختلف الأمور، ومما قاله أن الخلاف بين رشيد والمفتي مايزال على ما هو عليه، وأن (غروبا) الذي هو عامل كبير في هذا الخلاف صار أو كاد يصير مقصياً عن مركزه. وأن الرؤساء قد فهموا الموقف فهماً جعلهم يرون الافضل تركيز العمل مع المفتي، وأنهم قد عينوا ممثلاً يكون واسطة اتصال بينهم وبين المفتي، وأن مسألة وحدة القيادة مسألة جوهرية يبذل أكثرية من في برلين سعيهم في سبيل توطيدها للمفتي، وانهم يكادون ينجحون في ذلك، وان رشيد وفوزي كادا يصبحان معزولين مجردين، وأن ناجي شوكة والدكتور محمد سلمان ناقمان على رشيد ومتعاونان مع المفتي. وهذه النقطة الأخيرة ذكر شيئاً منها المفتي في كتابه الطويل على ما مر تدوينه. وقد سألناه عن الكتب العهدية ونصها، ففهمنا أنه لم يطلع عليها. وعجبنا من أن المفتي يرسله رسولاً خاصاً لنا ثم لا يفكر بضرورة إطلاعه على نص الكتب لتطميننا وهو يعرف شدة لهفتنا لذلك. وقد قال مصطفى أن المفتي مطمئن كل الإطمئنان بما تم وهو متفائل كل التفاؤل..

ولقد فكرنا في الموقف وفيما جاء الوكيل من أجله، فوجدنا أن الموقف حقاً خطر إذا صارت إمكانيات الانتقال إلى مصر متيسرة وصار الأمل في تقدم قوات المحور نحو السويس وفلسطين راهناً، وأن هذا حقاً يحتاج من الآن إلى إعداد وتنظيم لمواجهة الأحداث المقبلة وتركيزها. غير أن هذا الإعداد لا يكون مثمراً بجهود فردية فوضى، وأن الوسيلة المجدية هي أن تتكون لجنة قومية تأخذ على نفسها المسؤولية وتقرر ما يقتضي من خطط وتدابير وسبل تنفيذها وتطبيقها

---

(1) أحد شباب مصر القوميين المناضلين المخلصين. ومن مؤسس حزب مصر الفتاة. وكان نائباً لرئيسه عمل عام 1939 مدرساً للرياضيات في معارف العراق. والتحق بالحاج أمين الحسيني في بغداد. كما التحق بحركة رشيد الكيلاني ضد الإنكليز 1941. ولما فشلت غادر إلى سوريا. ومن حلب غادرها إلى ألمانيا. ولما وصل إليها الحاج أمين التحق به ولاذ به. وكان مثال العربي المسلم المناضل المتفاني المتقشف الزاهد. وقد استشهد في إحدى الغارات الجوية الإنكليزية على برلين.

من الآن، وتكون قرارات اللجنة نتيجة أبحاث وتصويت وللأكثرية فيها الفصل. هذا اولاً، وثانياً إن الضرورة تقضي أن تتضافر القوى وأن لا يبقى رشيد وفوزي ومن وراءهما في برلين وروما والآستانة من البارزين في ميدان العمل القومي والسياسي خارج العمل، لأن لهم أثرهم في الحركة وليسوا في وضع متهمين منه بوطنيتهم وجهودهم أيضاً. وقد رأينا أن نكتب للمفتي باستعدادنا للسفر واللحاق به حينما تتحرك جبهة مصر أو جبهة القفقاس نحو البلاد العربية، على شرط أن يقبل قيام لجنة قومية عليا تحت رئاسته يشترك فيها البارزون من رجالات العرب في الآستانة وأوروبا بما فيهم رشيد وفوزي وعادل. فهذه اللجنة تهتم من جهة لتركيز مستقبل القضية مع الأصدقاء، ولوضع الخطط اللازمة لأسلوب العمل التطبيقي حينما يجلو العدو عن البلاد. ومن جهة تنقسم إلى لجان صغيرة كل لجنة تأخذ على عاتقها ناحية من نواحي العمل يساعدها الأخوان الآخرون من خارج اللجنة، وتقرر اللجنة العليا خطوط عملها. ويكون لها نظام داخلي وجلسات وقرارات قانونية حسب الأصول المعتادة. وأن تشكيل هذه اللجنة على هذا الوجه يزيل مظهر الخلاف المؤلم المؤثر تأثيراً غير قليل على قوة العرب وقضيتهم في نظر الأصدقاء، ويزيل نوازع الفكرة الإقليمية والانفراد، ويدعو إلى حسن الثقة والإعتماد والإطمئنان في داخل البلاد أيضاً، مما يسهل لها الإستجابة وحسن التأثير. وتكون القيادة بها قد توحدت تحت رئاسته كما نرى وذكرنا.

وقلنا للوكيل أن خطورة الموقف الآن أشد منها حينما أعلن الإضراب في فلسطين، وأملت الظروف علينا أن نؤلف لجنة عربية عليا، وأن يشترك فيها جميع الأحزاب. وسوّغنا اشتراك أناس مخاتلين متهمين في أخلاقهم وإخلاصهم. ولا يقاس عليهم بأي حال رشيد وفوزي وعادل الذين لهم جهادهم وجهودهم وإخلاصهم في سبيل القضية، فالروح التي سوغت ذلك يجب أن تسوغ هذا الآن من باب أولى. وقلنا له أن أكثرية البارزين فيه الموجودين في أوروبا وفي الآستانة المرشحين ليكونوا أعضاء في اللجنة مخلصون للمفتي فليس في الإقتراح ما يثير هواجسه وشكوكه. وطلبنا منه إرسال برقية بصيغة خاصة إذا كان المفتي وافق على هذا الإقتراح مبدئياً.

وقلنا للوكيل أننا لا نشترط موافقة رشيد وفوزي، فإذا وافق المفتي عرضنا عليهما الإقتراح بشروطه وخطوطه مع إيجابهم القبول برئاسة المفتي، فإذا لم يوافقوا تضامناً مع المفتي وسرنا بدونهم، إذ يكون العذر واضحاً وحجتهم ساقطة. وأفهمناه أن سفرنا والتحاقنا على غير هذا الأساس غير مفيد، لأننا لن نكون في هذه الحالة إلا كتّاباً مقترحين، ولا يكون لنا صفة ورأي مؤثر أو ملزم في ما ينبغي أو لا ينبغي، ويظل العمل مشوشاً فردياً، ونحن لا نقبل أن نتحمل مسؤولية الإندماج في عمل أو حركة لا يكون لنا فيها رأي مؤثر نوعاً ما، لأن هذا متناقض مع بداهة الأمور. وهذا الأسلوب الذي نقترحه هو الجاري في كل الدنيا. فسعد زغلول بعقله الجبار وشخصيته الطاغية لم يخرج عنه. وغاندي ونهرو العظيمان أيضاً لم يخرجا عنه. وقد رأينا فوائده العظيمة في تجاربنا السابقة. ومع أن هواجسي النفسية مازالت تدعوني إلى الإنقباض عن السفر إلى أوروبا، فإن المفتي إذا وافق على الإقتراح عزمت وتوكلت على الله.

ويعتقد معين الماضي أن المفتي سيوافق، وأن في الاقتراح فوائد عظيمة له وللمصلحة معاً. ومن الغريب أن واصفاً قال في كتابه لأكرم أنه أي (واصف) اقترح تشكيل لجنة قومية فرفضها رشيد. وفوزي يقول في كتابه لعادل أنه اقترح تشكيل لجنة قومية فرفضها المفتي. والمرجع أن كلًا من الاقتراحين فيه ما يجعل الفريق الرافض يراه لعبة أو مناورة أو دسيسة، وسنرى الآن صدى اقتراحنا في المفتي. وقد قلت لمعين أن يفاتح عادل العظمة بأسلوب مناسب ويجس نبضه، فمصطفى الوكيل لم يجتمع بنبيه وعادل حسب ما وصى به.

وقد اجتمع مع الأمير عادل بالإضافة إلينا (أنا ومعين وأكرم وأخي)، فسمع منه تذمراً وتشاؤماً، ثم أبدى استعداده للسفر إذا ضمن له الرجوع أو الخروج من روما، وقد كتب للمفتي كتاباً بذلك.

2 ـ نبذة مسجلة حول الأمور الجارية في القضية :

وجدت في الدفتر بعد التسجيلات السابقة هذه النبذة. والراجح أني سجلتها للمناسبة والتذكر:

في مناسبة سفر الشيخ حسن أرسلنا إقتراحاً إلى المفتي لأجل الحصول على تصريحات إضافية وتفسيرية تلحق بالرسائل العهدية المتبادلة في الأمور الآتية ما دام لم يمكن عقد معاهدة محددة كما يلي:

1 ـ ذكر المناطق التي يشملها تعبير البلاد العربية المعترف باستقلالها وسيادتها إذا لم تكن مصرحة في الرسائل، منعاً لكل تأويل وتفسير في المستقبل مثل ما حدث بين العرب والإنكليز في الحرب العالمية الأولى.

2 ـ الموافقة على قيام حكومة عربية في أول منطقة يجلو عنها العدو من هذه المناطق، واعتبار هذه الحكومة حكومة جيمع المناطق.

3 ـ الموافقة على كون الوحدة بين المناطق تقرر في مؤتمر عربي عام يشترك فيه ممثلو المناطق بقدر ما يمكن، ويكون قرار الأكثرية هو الفصل النافذ.

4 ـ تصريح حازم بجلاء الجيوش التي سوف تحتل المناطق من جيوش الأصدقاء عن هذه المناطق حال ما تنتهي الحرب.

5 ـ وعد وموافقة على عقد معاهدة تحالف معينة تعين علاقة الحكومة العربية بالأصدقاء.

ومما قلناه للشيخ حسن إن أحسن طريقة لاشتراك العرب في حركة تحرير البلاد العربية هي في تشكيل طلائع عسكرية عربية تكون مع حملة القفقاس ومصر، وتتألف من النواة الموجودة الآن تحت التدريب، ومن الأسرى العرب الذين أسروا في جبهة مصر، حيث علمنا أنه يوجد بضع مئات منهم. وقد أطلق الحلفاء الأصدقاء هؤلاء الأسرى وأشركوهم في حركاتهم الحربية، فهؤلاء يكوّنوا طلائع الوحدات العسكرية العربية، وتقوم بما يقتضي من الترتيبات للإتصال بالبلاد والقيام بالأعمال التمهيدية المزعجة للأعداء.

ونعتقد أن الأصدقاء إذا وافقوا على هذه المقترحات يكونون قد أثبتوا حسن نياتهم، ويكون النقص من عدم عقد المعاهدة قد تلافى بصورة حسنة مضمونة.

3 ـ ورود إشارة من المفتي بموافقته على تأليف اللجنة القومية العليا وما جرى في صدد ذلك من اجتماعات وأحاديث:

وقد وجدت تسجيلاً بعد التسجيل السابق مباشرة جاء فيه:

في أواسط شهر آب جاءت إشارة من المفتي بقبوله اقتراح تشكيل اللجنة على الوجه الذي اقترحناه. فاجتمعنا مع عادل العظمة وأخبرناه بما كان من دعوة المفتي لنا إلى الإلتحاق به، وما كان اقتراحنا عليه من تأليف لجنة قومية عليا كشرط لالتحاقنا، وما جاء منه من إشارة بالقبول. وقلت له إن الاقتراح قد اقترحته أنا متأثراً من مراجعاته بشأن السفر، لتلافي الحالة القائمة، ومما جاء من فوزي من كونه هو ورشيد عرضا على المفتي تأليف لجنة برئاسته فرفض. وإني رأيت دعوته للإلتحاق به فرصة لاقتراح تأليف اللجنة وشرطاً لإجابتها. وكنت أتوقع ارتياحاً وترحيباً من عادل، ولكنه على عكس ذلك قابل الخبر بدون مبالاة، وقال بعد أن عرف أن الإنفصال بين المفتي ورشيد أصبح تاماً، وبعد أن سمع مني سابقاً قولي إن الالتحاق غير مجدٍ قد بردت همته عن السفر، حتى أنه بعد أن كان اعتزم السفر لوحده وأرسل أوراقه للإذن أهملها وصرف النظر عن عزيمته. وقد نبهته إلى أنه يناقض نفسه في هذا الموقف، وأنه جاء إليّ ليلح عليّ بالسفر بعد أن عرف أمر ذلك الإنفصال. وسألته عما إذا كان قد تلقى بعد ذلك من فوزي شيئاً فأجاب بالسلب. ثم انجر الكلام إلى الكيفيات، فتساءل عما إذا كان المفتي قد فاتح فوزي ورشيد، فقلت له أن هذا غير وارد الآن، لأن رفض اللجنة كان كما زعم فوزي من قبل المفتي، وأنه هو ورشيد يريدانها، وأن المهم كان قبول المفتي لها وهذا تيسر الآن. فأخذ يناقش في رئاسة اللجنة ومركز رشيد فيها وكونه يجب أن يكون المفاوض الرسمي بإسمها، لأنه رئيس حكومة رسمية معترف به. فقلت له أن المفتي أثبت إلى الآن أنه لم يرد أن يفرق في القضية ويفرد بعضها عن بعض، في حين أن رشيد قد فعل ذلك. كما أن المفتي هو شخصية إسلامية عربية عامة، في حين أن رشيد لم يخرج عن كونه شخصية عراقية، فالمصلحة والحالة هذه تقضي بأن تكون الزعامة والرئاسة للمفتي.

أما مسألة تفويض رشيد بالمفاوضة السياسية فهي مسألة يمكن أن تقرر في اللجنة، وقد ترى اللجنة من الفائدة أن تكون هناك هيئة مفاوضة وليس مفاوضاً منفرداً، وأن مسألة الإعتراف به ثبت أنها غير واقعة، بدليل موقف الأصدقاء في صدد المعاهدة، وكونهم لا يجدون طرفاً دولياً يتعاقدون معه، وأنهم لا يريدون أن يقلدوا السكسونيين بالإعتراف بحكومات خارج بلادهم بدون شعب وأرض، فهو والحالة هذه ليس ذا صفة رسمية معترف بها حالياً حتى يكون أمر جعله مفاوضاً رسمياً محتماً. ثم قلت له إذا كان رشيد معترفاً به رسمياً كما تقول، فأنا من الآن مستعد لقبوله مفوضاً رسمياً باسم اللجنة وباسم العرب. فقال إن المفتي عاكس هذا الإعتراف، فطلبت منه تأييد ذلك، وقلت له إذا ثبت لي أن المفتي عاكس فعلاً فأنا وغيري مستعدون للتمرد عليه، لأنه يكون قد أضاع فرصة عظيمة، وأنه ما لم يقم البرهان على هذا فأنا أميل إلى تصديق المفتي في قوله أنه سعى في هذا السبيل ولم يوفق على ما جاء في كتابه الجوابي الطويل -

وقد أوردناه سابقا ـ، وهـذا أيده رجـل ألماني سيـاسي اجتمعنـا بـه، حيث قـال لنـا أن دول المحور لم ترد أن تفعل ما فعله السكسونيون من الإعتراف بحكومات غير فعلية فرت من بلادها وانقطعت صفتها عملياً. ومما قاله عادل أنه يرى أن المصلحة تقضي بأن يتزعم اللجنة والحركة عـراقي، لأن العراقيين غيـر متحمسين لفكـرة الوحدة، ومن الضروري إغرائهم وتشجيعهم، فقلت له إنه من غير الجائـز أن يتزعم اللجنـة والحـركـة العـربيـة شخص غيـر مؤمن بفكـرة الوحدة، وقد أقدم على فصل قضية العراق عن القضية العربية العامة.

ومع ذلك فإن كتاب فوزي له يدل على أن رشيد وفوزي راضيان برئـاسة المفتي للجنـة. ومسألة تفويض رشيد بالمفاوضة السياسية تحل حسب ما تراه اللجنة صالحاً بعد تأليفها. ولكنه ظـل (عادل) على بـرودة من الاقتراح، وأخـذ يسرد بعض حوادث للمفتي لا يصح أن تصدر من زعيم عام الزعامة، فقلنا له أن لكل رجالاتنا وزعمـائنا قصـورات وأخـطاء، وقـد لا يكـون المفتي سـالمـاً من ذلــك، ولكن المقـايسـة والمصلحـة تقضيان تنفيـذ الاقتراح، فقـال أنه مستعـد للسفر معنـا على غير ارتبـاط، وهنـاك يدرس الحالة ويكوّن موقفه على ضوئها، فقلت له إن هذا يزيد في الطين بلة والتشاد شدة، فمن المقتضى والـواجب أن نـذهب ونحن متفقـون على أسس، بقطع النظر عما هناك، ونسير معاً وفق ما تقتضيه المصلحة. ومع الأسف لم يمكن الوصول معه إلى نتيجة. وانتهى اللقـاء ونحن على أشد حالات الاستغراب من هذا التناقض وهذه البرودة التي بدت من عادل. وقد أحسست أنه لم يفاجأ بالاقتراح، وأن أكرم زعيتر قد أخبره بما كان خطوة خطوة ولمسنا قرائن على ذلك، فبعض ما قاله أكرم لمعين متوقعاً صـدوره من عادل قد سمعناه من عادل. ولمحنـا أن عادلاً أرسل إلى فوزي برقية في صدد سفره فلم يرده جواب عليها. وقد يكون لإرسال البرقية علاقة بما وصل إليه من أخبار اقتراحنا. ومما ظنناه أن مـوقف عادل هـذا متفق عليه بينـه وبين أكـرم كوسيلة لإملاء بعض شروط واقتراحات في كيفية تأليف اللجنة، وأن اكرم لا يؤيد قيام اللجنة لأنه كاليائس من أن يكـون فيها. ومـع ذلك يقـول بوجوب السفر على كل حال، لأن السفر بدون اتفـاق على تأليف اللجنـة سلفاً قـد يضمن له فرصة للنشاط والظهور والحركة، لا تكون له إذا ما تألفت اللجنة وهو ليس فيهـا. وهذه ظنـون وتخمينات خطرت لنا من بوادر وقرائن ما رأيناه، ولا نستطيع أن نجزم بأنها صحيحة. ولكن ما رأيناه من أكرم من حب التحرك والبروز، ومن حب أن يكون له حساب في كل موقف، ومن وضع يد هنا ويد هنا في سبيل ذلك، أوجد فينا هذه الظنون والخواطر. وهو يحب كما لمحت أن يقوي رشيد وفوزي وهو متضامن مع عادل، ولكنه لا يريـد أن يندفـع لأنه يحسب حسـابنا ويحسب حسـاب مستقبل معـاكس لحسابـاته. ومع الأسف إن أكثر الذين يشتغلون في السياسة عندنا هم من هذا القبيل.

4 ـ تسجيل تشكيك من أكرم زعيتر:

وقد وجدت بعد التسجيل السابق أننا سجلنا هذه النبذة: (وبعد نحو أسبوعين أو ثلاثـة من هذا اللقاء قال لي أكرم أنه أحس أننا اشتبهنا في أنه قد أخبر عادلاً بـالإقتراح، وأكـد لنا بـأشد العبـارات أنـه لم يخبـره ولم يتكلم معـه في الموضوع).

5 ـ نص مذكرة أرسلت إلى المفتي مع مصطفى الوكيل:

وقد وجدت بين الأوراق التي وجدتها في الدفتر السابع مسودة مذكرة مؤرخة في 31 تموز 942 مرسلة مني إلى الحاج أمين، وقد أرسلتها مع مصطفى الوكيل، هذا نصها:

إن الإخوان يقدرون خطورة الموقف الآن. وإن الحاجة أشد من أي وقت آخر إلى تضافر الجهود والقوى لمواجهة التطورات والأحداث المقبلة والعمل على الإستفادة منها وتوجيهها في أفضل الوجهات. والخطورة والحاجة هما الآن أشد وأظهر بكثير مما كانت عليه الحالة في فلسطين حينما أعلن الإضراب. وقد أملت تلك الحالة واجب تشكيل لجنة قومية عليا اشتركت فيها الأحزاب جميعها وسوغت اشتراك أناس وقفوا موقف المخاتل في القضية دائماً وكانوا متهمين في وطنيتهم وأخلاقهم.

ومما لا شك فيه أنه كان لاشتراك الأحزاب جميعها أثر كبير في دوام الإضراب ونجاحه وخروج البلاد من دور جهادها العملي الأول فائزة منصورة. لذلك فهم (الأخوان) يعتقدون أن الظروف الآن تملي بقوة أكثر وجوب تشكيل لجنة قومية عليا يشترك فيها البارزون من أبناء الأقطار العربية الذين هم الآن في أوروبا والآستانة، أو ممثلون منهم حسب مختلف الأقاليم، فتكون هذه اللجنة عنوان الهدف الموحد والوحدة العربية المطلوبة. ويكون للجنة نظامها الداخلي وجلساتها وقراراتها القانونية وفقاً للأصول المعتادة. وبطبيعة الحال تكون برئاستكم وتكون القيادة بذلك قد توحدت.

وهذه اللجنة من جهة تهتم لتركيز مستقبل القضية مع الحلفاء (المحور)، ومستقبل سير العمل حالما يجلو الأعداء عن البلاد أو عن قسم منها، ومن جهة ثانية تنقسم إلى لجان صغيرة تأخذ كل واحدة منها على عاتقها ناحية من نواحي العمل حسب ما تقرر اللجنة خطوطه الرئيسية.

ويعتقدون (الأخوان) أن هذا هو الوسيلة المجدية الوحيدة للعمل والانتفاع من جهود العاملين وتوحيدهم في جبهة واحدة. وبخلاف ذلك يظل العمل مشوشاً وتابعاً للصدف. ولا يكون منتجاً وقوياً أولاً، ولا تكون القضية قد مثلت بقوة وتأثير أمام الحلفاء وأمام البلاد ثانياً. وبهذا أيضاً يضمن إضعاف أو زوال النوازع الإقليمية والعمل لكيان عربي واحد. وهم (الأخوان) يعرفون أن هناك بعض وجهات نظر في أمر نبيه وعادل وفوزي وربما رشيد أيضاً. غير أنهم يرون أن عدم اشتراكهم أو اشتراك بعضهم يجعل العمل أبتر وناقصاً ويبقى المظهر ضعيفاً. ثم هم لا يعرفون جزماً ما إذا كان عدم اشتراك رشيد في اللجنة يؤدي إلى اشتراك أو عدم اشتراك ناجي شوكة والدكتور محمد حسن سلمان. هذا عدا كون عدم اشتراكهم غير مبرر إذا لوحظت المصلحة العامة. ويعتقدون أن الروح التي سوغت إشراك راغب النشاشيبي يجب أن تسوغ إشتراكهم، في حين أن كل ما يؤخذ عليهم شيء من الشذوذ والمطامح، وقد جاهدوا في سبيل القضية وعملوا لها أمداً طويلاً. فلأجل أن يتشجع الأخوان على اللحاق حينما تتحرك جبهة مصر والقفقاس ويحين دور العمل يرجون أن يكونوا على علم بصراحة ما إذا كان مبدأ تشكيل اللجنة العليا واشتراك رشيد وفوزي وعادل العظمة مقبولاً وممكناً، وما إذا كان ناجي شوكة والدكتور سلمان مستعدَين للاشتراك فيها إذا امتنع رشيد عن الاشتراك

19 آب 1942 .
رسالة من المفتي/
الحاج أمين الحسيني
الى عزة دروزة

فيها. وكم كانوا يودون أن يكون الرسول قد حمل معه نصوص الرسائل العهدية التي تبودلت، فإن هذا يكون أدعى لاطمئنانهم. وفي ذهني أن الذين كانوا يشتركون في الإجتماعات والمداولات هم بالإضافة إليّ معين الماضي وإسحق درويش وأخي أبو الحكم وأكرم زعيتر، وربما الأمير عادل أرسلان. وإن المذكرة كانت تعبر عن آرائهم.

6 ـ نص رسالة من المفتي جواباً على المذكرة المرسلة إليه:

وفي أوائل أيلول جاءني كتاب من المفتي مؤرخ بتاريخ 16 آب 1942، وهو جواب على المذكرة التي أرسلتها مع مصطفى الوكيل، وقد وجدته بين الأوراق التي وجدتها في الدفتر السابع وهذا نصه:

حضرة الأخ الكريم المفضال أبي زهير المحترم،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد وصلتني مذكرتكم المرسلة مع الأخ الرسول، واطلعت على ما فيها من رأيكم ورأي الأخوان ووجهة نظركم جميعاً. إني موافق كل الموافقة على اللجنة بالشكل الذي ذكرتموه. وقد أبرقت بذلك في حينه حسب الإتفاق فلعلكم تكونون الآن أنتم وإخوانكم الذين ذكرتم وقد أتممتم معداتكم وتهيئتم للسفر إلينا، فإن تتابع الحوادث بالسرعة التي نراها تحتم علينا السرعة في إصدار برنامج العمل في جبهات البلاد العربية وما يتلوها، وكذلك التعاون على العمل من أجل القضية العامة هنا وفي البلاد. هذا وأرجو أن تكونوا وجميع الأخوان بخير وعافية.

سلامي إلى السيد أبي الحكم والسيد زهير والأخوان جميعاً، وأسأل الله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. 19آب 1942
محمد أمين الحسيني

وقد أرسل المفتي إلى معين أيضاً كتاباً في نفس المآل. وقد عدنا فتحدثنا مع عادل العظمة في الأمر فأصر على وجهة نظره السابقة، وقال أن رشيد لا يعقل أن يدخل في اللجنة بدون قيد وشرط معترفاً برئاسة المفتي. واقترحت اقتراحات جديدة منها أن تكون اللجنة بدون رئاسة، أو تؤلف وبعد ذلك تختار من تشاء رئيساً أو مفاوضاً. وقال أن من الضرورة مراعاة كرامة ونفسية رشيد ما دامت المصلحة تقضي بضمه في كيان موحد وجمع الشمل. وقال أيضاً أنه سيكتب لرشيد وفوزي ويخبرهما باقتراحاته ويطلب رأيهما. واتفقت مع معين على كتابة كتاب جديد للمفتي جواباً على كتابه، قلنا فيه أننا مضطرون إلى التريث في السفر لأن اللجنة لا تؤمن المقصود إذا لم تضم الجميع، في حين

أن رشيد وفوزي غادرا روما إلى برلين ولم نعرف موقفهما من الموضوع ولم نعرف موقف ناجي شوكة والدكتور حسن سلمان منه، كما أن الأمير عادل لا يميل إلى السفر، هذا من جهة، ولأن الحركة في جبهة مصر قد جمدت فلم تعد ضرورة لسرعة السفر من جهة أخرى. وشرحنا له اقتراحات عادل العظمة وطلبنا رأيه الصريح فيها.

7 ـ قدوم محمد العفيفي من طرف المفتي وما حمله من الأوراق والأفكار

وفي أوائل الأسبوع الثاني من تشرين الأول جاء محمد العفيفي يحمل رسالة مطولة لنا جميعاً من المفتي. وقد لمسنا فيها قلقاً واضطراباً نفسياً قد ساور المفتي من الموقف العام والخاص. وقد عاد إلى شرح موقف رشيد وفوزي وانفرادهما وتأييد عادل ونبيه لهما، وما أدى إليه هذا من ضعف في الموقف العام. وذكر أنه ذكر للأصدقاء (مقامات المحور) أهداف التشكيلات العربية، وأنهم أعاروا البحث اهتماماً عظيماً، وظهر له أنهم مستعدون للسير في خطوات جديدة مع تشكيلة عربية. وقال أن هذا يوجب إسراعنا في القدوم لتشكيل اللجنة المقترحة وجعل رشيد وفوزي أمام أمر واقع، وقال أنه مستعد لقبول كل ما تقرره اللجنة حتى لو قررت اعتزاله العمل، وأنه شاعر بثقل المسؤولية وخطورة الموقف التاريخي، وأن من الواجب أن نلتحق به لمشاركته في عمله. وقال أنه لو يجد مكاناً إسلامياً واستطاع أن يطير إليه لطار لما يراه من تعقد الموقف وخطورته. ومما ذكره في كتابه أن رشيد اقترح تشكيل لجنة برئاسة المفتي، على أن تكون لجنة شورى له، وعلى أن لا يدخل هو فيها، وعلى أن يستقل هو بالمفاوضات ويرجع إلى اللجنة لاستشارتها والاستنارة برأيها دون أن يتقيد به. وقال أنه لا يستطيع أن يوافق على هذا الإقتراح، ويترك أمر المفاوضة والإتصال بالأصدقاء له لأنه إقليمي لا يهمه إلا العراق. وأثبت ذلك في انفراده، وأخذ تصريحاً خاصاً بالعراق، واستخذائه (لغروبا) وتلقيناته.

وأرسل المفتي مع كتابه صورة فوتوغرافية لمسودة بخط رشيد لكتاب يؤخذ من الأصدقاء يتضمن الإعتراف باستقلال فلسطين وشرق الأردن بزعامة المفتي، وقال أن هذا الكتاب اقترحه رشيد مقابل موافقة المفتي على مشروع مماثل يناله رشيد من الأصدقاء في صدد العراق وزعامته له. وقال المفتي أنه رفض ذلك مصرّاً على العمل لجميع القضية، وأن ناجي شوكة والدكتور محمد حسن سليمان متضامنان معه (مع المفتي) في الموقف. ومن جملة ما جاء به أبو أحمد (محمد العفيفي) صورة فوتوغرافية لكتاب من ناجي والدكتور للمفتي جواباً على كتاب أرسله المفتي إليهما يستشهدهما فيه في حادث كان في بغداد، حيث أن المفتي أنشأ تشكيلة سرية دخل فيها رشيد. وفي الصورة الفوتوغرافية لجواب ناجي والدكتور تأكيد بأن اجتماعاً عقد في بغداد في شباط 1941 في بيت المفتي حضره جميعهم وأقسموا على المصحف بالإخلاص والكتمان وخدمة أهداف القضية العربية، وأن رشيداً دفع مائة دينار كدخولية، وأن كل واحد من الحاضرين تسمى باسم منتحل عن أحد أجداده وفقاً لتقاليد التشكيلات السرية. وفي الكتاب تقرير منهما بأنه كان للمفتي اليد الطولى في إثارة عواطف الضباط وربطهم مع كتلة الجيش بالتشكيلة. وقال المفتي أن رشيد أنكر هذه التشكيلة ولم يعترف بها، ولم يرق له بحث التشكيلات

العربية ودورها في أدوار القضية.

ولقد قال لنا الأمير عادل أرسلان أنه التقى بأحد رجالات الألمان السياسيين وحدثه في موضوع التشكيلات العربية، واستوضح منه عن مركز كل من رشيد والمفتي فيها، وأنه سأله عما إذا كان حقاً أن المفتي هو رئيس هذه التشكيلات، وأنه ورث الزعامة عن أخيه وعن أبيه، وعما إذا كان رشيد ملزم بإطاعة المفتي حسب نظام هذه التشكيلات. حيث يدل هذا على أن مسألة التشكيلات قد رفعت إلى المقامات الألمانية، وكانت وسيلة من وسائل التنافس على المركز الأول بين المفتي ورشيد. ومما حمله أبو أحمد (محمد العفيفي) تقرير مكتوب على الآلة الكاتبة فيه شيء من التفصيل في صدد نشوء حركة العراق التمردية ونشوء الإتصال بالمقامات الألمانية، وفيه إشارة الى كون المفتي قد اتصل بالتشكيلات العربية والضباط العراقيين أثناء الحرب العالمية الأولى في الآستانة حينما كان في الخدمة المقصورة، حيث يدل هذا على ذلك أيضاً.

وقد قال لنا محمد العفيفي أن أهم الأبحاث الجارية الآن هو تعيين مرجع واحد للقضية، وأن المهم تقوية موقف المفتي في تشبثاته التي يقوم بها في صدد أوليته وأولويته. وفهمنا من محمد العفيفي أن رشيداً مهتم لأخذ تأييدات وتفويضات وتشكيل لجنة تعضده ويستنير برأيها من السوريين والعراقيين والفلسطينيين، ومهتم بالتالي لإثبات أوليته وأولويته هو الآخر. وقد لاحظنا لمحمد أن هذا معناه أن رشيد لم ينفض يده من العمل للقضية كلها، فاعترف بذلك ولكنه كرر ما قاله المفتي بأن مساعيه الخاصة واستخذائه (لغروبا) يجعلان حمله عبء العمل غير جائز. وسألنا محمداً عن سر هذا القلق الذي لاحظناه في كتاب المفتي، بينما كان يرسل إلينا التطمينات القوية ويقول أنه اتفق مع الأصدقاء على الصيغة والأسس، وأن لديه ما يدعوه إلى الإطمئنان التام، وقلنا له إن الصيغة جاءت في كتاب الشيخ حسن، وهي نفس صيغة الكتب العهدية المتبادلة فيما بعد، فقال أن المفتي ومن حوله لمحوا من شدة تعضيد (غروبا) لرشيد وتمسك الألمان برشيد أن هناك سوء نية مبيتة بالنسبة لوحدة القضية. وقال محمد أن الطليان مهتمون لتعضيد المفتي في موضوع إدخال العراق في الوحدة لأنهم يخشون أن يكون الألمان بيتوا أن يختصوها لهم ويحرموهم من خيراتها. وكل هذا هو ما أثار القلق والإضطراب النفساني. وقد لاحظنا لمحمد أننا نرى أن الخلاف القائم الأن ليس في صدد جوهر القضية وحلولها، بدليل أن المفتي قد كان مطمئناً وراضياً بكل ما حصل، وحاول أن يبث في نفوسنا الإطمئنان به. وأن الخلاف القائم هو في صدد الأولية والأولوية بين رشيد، فأقر هذه الملاحظة. واعترف بها.

وقد سألناه عما إذا كان قرأ نص الكتب العهدية، فأجاب بالإيجاب، وقال أنها تحتوي على اعتراف دولتي المحور باستقلال البلاد العربية في الشرق الأدنى الواقعة تحت النفوذ البريطاني وإلغاء وعد بلفور. ولما لاحظنا له أن سورية ليست تحت النفوذ البريطاني، قال أنه يظن أن في الكتب نصاً يذكر أيضاً البلاد العربية التي تحت نفوذ حلفاء بريطانية. ومما فهمناه منه أن مسألة الوحدة بين البلاد العربية في الكتب علقت على رغبة أهلها. فلاحظنا له أن هذا بمثابة قنبلة مدمرة، وأن المفتي ما كان يجوز له أن يقبل ذلك، فقال أن الكتب لما أعطيت قيل أنها هي النهاية، وأنه ليس من إمكان لإجراء تعديل فيها أو إبداء ملاحظة عليها. فقُبلت اضطراراً. ولما لاحظنا له أن هذه المرحلة كانت

هي الأخيرة، ولكن المفاوضات في شأن التصريح كانت منذ البدء، وأن الكتاب الذي جاء من الشيخ حسن صريح في أن هذه الأسس قد طلبت ووفق عليها وفيها هذا الشرط، قال أن هذا الشرط ذكر من قبل الأصدقاء منذ البدء. ولما لاحظنا له أن قبول هذا الشرط منذ البدء خطيئة عظيمة، لأن المفتي يعرف بدون ريب ما يمكن أن يكون في صدد هذا الشرط من دسائس وألاعيب، وربما آت لأجل عرقلة الوحدة، وأن تهديد المفتي بالانسحاب، والانسحاب فعلاً كان يجب أن يكون إزاء الإصرار على هذا الشرط، وليس حينما رأى رشيد انفرد عنه، أو حينما تأخرت هذه الكتب التي تحتوي هذه القنبلة، فأقر بصواب هذه الملاحظة. . .

ولقد قلنا لمحمد أن المفتي قد مر بالآستانة ولم يـر ضرورة لمقابلتنا والتحدث معنا في الخطط اللازمة. وقصصنا عليه لعبة إرسال راسم الخالدي الذي ظننا أنه ذاهب كرسول من قبلنا يحمل أخبارنا وآراءنا، في حين أنه كان تقرر إرساله قبل ذلك ولقصد آخر. وقلت له إن هذا قد أوجد في نفوسنا قناعة بأن ما كنا نظنه من تضامن وصلة وثيقة بيننا وبين المفتي هو في غير محله، فضلاً عن أنه أضر بالمصلحة لأنه كان يحسن أن يسمع آرائنا وملاحظاتنا. وإلى هذا فإنه عرف القرارات التي قررناها في الآستانة، فكان يقتضي أن لا يعمد إلى طلب التصاريح وأن يدخل رأساً في المفاوضة في المعاهدة فلم يفعل، وقيل فيها قنبلة تهدم أمراً جوهرياً في قضيتنا وأهدافنا. وقد صار من المستحيل الآن إصلاح الأمر فيما نعتقد، لا سيما والآن يلمح المفتي وإخوانه نوايا مريبة لم تكن بانت سابقاً من الشماليين والجنوبيين معاً[1].

وذكرنا له أننا حمّلنا الشيخ حسن اقتراحاً بأن الأصدقاء إذا رفضوا عقد معاهدة فالأولى الإنسحاب. وكان هذا الموقف في ذلك الوقت يمكن أن يكون قوياً ومؤثراً، فأقر بصواب ملاحظاتنا وطلبنا منه أن ينقلها للمفتي عن لساننا أيضاً. . .

ومهما يكن من أمر فقد ظهر لنا وللإخوان الذين تحدثنا معهم بما فيهم محمد العفيفي أن كل التطمينات التي وردت، وكل ما قيل من حل جميع الأمور إنما كان كلاماً صرفاً، وأنهم لم يحصلوا كوثائق إلا على هذه الكتب. وأن الطمأنينة التي كانت تسودهم ويحاولون أن يبثوها فينا كانت تلهمها الحفاوة والرعاية التي كان يلقاها المفتي في الشمال والجنوب. وأن هذا القلق والإضطراب في كتاب المفتي هو بسبب ما وقع من تراجع ونقص في هذه الحفاوة والرعاية، ومن عدم اعتبار المفتي هو الأول، ومن موقف الشماليين خاصة من رشيد وتشجيعهم إياه على موقفه. وظهر لنا أن هذا الإلحاح الشديد من المفتي علينا بالسفر منذ شهور إنما هو بسبب هذا التبدل، لعل في انضمامنا إليه يقوى مركزه ويعضده في مطلب الأولية والأولوية.

ومن الحق أن نذكر أن المفتي أكد في كتبه تأكيدات قوية بأنه لا يطلب لنفسه أي شرط ولا قيد، وتحدى كل إنسان عربي وغير عربي إذا كان بدا منه طلب أو رغبة، تصريحاً أو تلميحاً من أجل شخصه، وأن كل مساعيه إنما هي لأجل صيانة القضية من موقف رشيد وإفساد فوزي. ونحن لا ننكر على المفتي وطنيته، ونعتقد أنه صادق فيما قال من أنه لم يفاتح أحداً في أي رغبة شخصية خاصة به. ولكنا نقول أن

(1) إلى الألمان والايطاليين.

أسلوب المفتي الذي خبرناه طويلاً في الأوقاف والمجلس واللجنة العربية العليا كان ولا يزال يوجد مشاكل ومواقف عجيبة. فهو حريص على أن يكون مرجع كل شيء والمؤثر في كل شيء والمتدخل في كل شيء. وهو حذر كثير الظن إلى درجة عجيبة، ويسارع دائماً في وصم الناس بالضعف أو الغفلة أو حب المنفعة الخاصة والتساهل لتبرير تشدده في حذره وتمسكه، وهو يريد أن يكون بيده كل شيء وإليه يرجع كل شيء، ولقد عانينا من ذلك كثيراً.

أما أن يقال أنه ليس له مطامح ومطامع شخصية فإنه ليس من المعقول. فالطمع في رؤوس الرجال كما يقال، ومطامح أو مطامع المفتي ليس شيئاً غير ملموس ولا مجرب طيلة ظهوره على المسرح في المجلس الإسلامي وفي الحركة الوطنية، ولكنه يسير إليها بقدر ما يستطيع دون ما تظاهر. فهو يعرف أن اللجنة إذ تتشكل سيكون رئيساً لها، وهو يعرف أنه إذا صار هو المرجع الأول فسيكون لهذا ما بعده، وقد جاء في كتابه أنهم يفكرون بالنسبة للسياسة المستقلة في البلاد أن يؤلف مجلس أعلى للأمة يدخل فيه من تثبت مزاياهم القومية والجهادية والأخلاقية والعامية معاً، فيكون هذا المجلس هو الذي يضع دساتير البلاد ونظمها ويهيمن على مقدراتها، وهو مطمئن إلى أنه إذا صار الآن المرجع الأول فسيكون هو الرئيس لهذا المجلس الأعلى. ونحن لا ننتقد ذلك، فمن حق الإنسان أن يكون له مطامع ومطامح، فهذا مظهر عام للبشر والسياسيين في كل وقت ومكان، وإنما أشرنا إلى هذا في سياق التعليق على ما جاء في كتاب المفتي من التنصل والتحدي.

وفي أحاديثنا مع أبي أحمد (محمد العفيفي) أخذنا نقلب وجوه النظر في الموقف وعلاجه، فتبين أنه يعتقد أن الشماليين والجنوبيين قد اختطوا خطتهم في تجزئة البلاد، وأنه لا يمكن الحصول على عهود غير التي حصلوا عليها، وأن السفر إلى أوروبا مجازفة غير مجدية. أما أنا فقد كان رأيي أنه إذا تسنى تشكيل لجنة تضم الجميع ويزول فيها وجود جبهتين جبهة رشيد وجبهة المفتي، فإن في ذلك احتمالات قوية لتحسين مركز القضية لدى الأصدقاء. وأخذ تفسيرات مطمئنة لشتى النقاط، وعلى الأقل فإن في ذلك تطهير للجو العربي الذي فسد في أوروبا من جراء ما كان من أخذ ورد وتشاد ووشايات وإشاعات سببت فرقة المفتي ورشيد. ومنهم من علق قائلاً إن هذه اللجنة قد تفيد إذا كان الشماليون والجنوبيون يعترفون بها ويعتبرونها تشكيلة عربية رسمية يصح التفاوض والتعاقد معها. ولقد كنا جميعاً متفقين بما فينا محمد العفيفي وإسحق ودرويش على أن إهمال رشيد لا يمكن أن يؤمن احتمالات الفائدة من اللجنة ابداً، وأن الضرورة تقضي إرضاء نفسيته وحمله على الاندماج فيها، وأن القول بتأليف اللجنة وإيجاد أمر واقع سواء رضي رشيد أو لم يرض غير مجد بعد أن قيل لنا ما قيل من تعضيد الشماليين له، لأن تشكيلها بدونه لا يزيل تعدد الجبهات. ثم انجرّ البحث إلى فكرة أولوية العراق برئاسة الحركة والقضية، وأنه ليس من السهل أن يقنع العراقيون بأن يكونوا تابعين مرؤوسين في هذه الحركة، وأن هذا أمر جوهري يجب أن لا يذهب عن ذهن كل من يحب القضية ويرغب في جمع الشمل ويزن الأمور بميزان المنطق والواقع. وقد قال الجميع أنها فكرة براقة معقولة، فطلبنا من أبي أحمد تبليغ ذلك للمفتي وبذل الجهد في سبيل تأمين

وإرضاء نفسية رشيد على كل حال وجمع الشمل معه.

وقد تجلى الآن لنا عملياً بعد أن كنا نظنه ظناً أن الإلحاح بالسفر عليّ هو للحشد وتعضيداً للمفتي، وبسبب ما وقع من الفرقة والفساد أولاً، وبسبب لمس استخفاف الأصدقاء بزعمائنا وإخواننا عندهم نتيجة ذلك ثانياً. وحينما نواجه هذا الواقع بما كان يرد إلينا من تطمينات قوية بقوة مركز القضية وبوجوب اطمئناننا بذلك، ومن عدم المجال لمساورة القلق للنفوس، مع أن ما حصلوا عليه إيهاماً وثغرات، يأخذنا العجب والدهشة. وتزداد دهشتنا من قول المفتي الآن أنه يكاد ينوء بالحمل، وأن الموقف تاريخي، ومن دعوته إيانا لمشاركته في المسؤولية، مع أنه خطا خطواته منفرداً ومركزاً العمل في شخصيته، ولم ير ضرورة لتبادل الرأي بيننا وبينه حينما مر بالآستانة أولاً، وخالف في خطواته الأولى القرارات التي قررناها وأرسلناها من الآستانة، وطالب بالتصريح وقبل بصيغة لا تخرج عن صيغة الكتب المعطاة له مؤخراً ونهائياً. وكم هو غريب أن يدعو المرء أناساً لمشاركته في مسؤولية عمل قد عمل على خلاف رأيهم.

وقد سأل أحد الحاضرين محمد العفيفي عما يمكن أن يفعلوه إذا لم ينجح المفتي في حمل الشماليين على الإعتراف به كمرجع أول فقال الإنسحاب. وقد أثار الجواب عجبنا ودهشتنا، فالمفتي لم ينسحب حينما رفض الأصدقاء أن يعقدوا معاهدة معهم، ولم ينسحب حينما أصروا على تعليق الوحدة على رغبة أهل البلاد، ثم يجوز أو يتوقع أن ينسحب حينما يراهم لا يعترفون به المرجع الأول ولا ينفضون يدهم من رشيد.

وقد اتفقنا أنا ومعين والأمير عادل أرسلان وأكرم زعيتر على كتابة كتاب للمفتي نذكر فيه ما أثاره فينا كتابه وأحاديث محمد العفيفي من قلق وتشاؤم، ونقول أن الحالة لا تشجع على السفر الآن، وأن من الضروري بذل الجهد والتضحية في سبيل التفاهم مع رشيد بك والعودة إلى التضامن معاً، وأنه عنصر لا يمكن إهماله ولا يفيد جعله أمام أمر واقع، وأن بقاء جبهتين مما أدى إلى إضعاف الجميع وإضعاف القضية. وأن تأليف لجنة بدونه يعني بقاء الجبهتين، ولا سيما أنه يلقى تعضيداً من بعض الأصدقاء ومن بعض رجال العرب الذين عندهم. وأنه بعد ما بدا من إصرار وموقف أصبح تأليف اللجنة غير مجد ما لم يكن الأصدقاء مستعدين للاعتراف بها وتعديل موقفهم من القضية والتعاقد الصريح وفق ميثاق الآستانة، وطلبنا سبر غورهم في هذا الشأن، واتفقنا أيضاً على إرسال كتاب لرشيد بك عتبنا فيه عليه لعدم إخبارنا وتطميننا بما جرى من المساعي في صدد تحقيق الميثاق الذي اتفقنا عليه في الآستانة، وسلمناه إياه، وموقف الأصدقاء من ذلك والرضاء بإقراره والتقيد به. وعتبنا عليه على ما وقع من فرقة وتشاد بينه وبين المفتي مما زاد قلقنا وأثار فينا التشاؤم، وطلبنا منه بذل كل جهد وتضحية في سبيل التفاهم والتعاون مع المفتي، وقلنا له أن هذا هو الوسيلة الوحيدة لتقوية الفريق العربي ومركز القضية داخلاً وخارجاً. وذكرناه بالموقف التاريخي والمسؤولية الخطيرة إذا فشلت المساعي وبقيت البلاد على ما هي عليه من تجزئة وشوائب. وذكرنا موضوع اللجنة وفائدتها في صدد جمع الكلمة وتقوية المركز إذا كان هو والمفتي والبارزون من رجالات العرب الموجودين في أوروبا والآستانة يندمجون فيها،

ولا سيما إذا استعد الأصدقاء للإعتراف بها والتعاقد معها على معاهدة وتطمين تحقيق الميثاق. وبالإضافة إلى هذين الكتابين الجماعيين، كتب طه الهاشمي لناجي شوكة كتاباً في هذه المعاني، وحثه على ضرورة السعي للتأليف بين المفتي ورشيد بأية وسيلة، وبيّن له مسؤولية وضرر الحالة التي وقفت عندها القضية إلى الآن[1].

وكتب الأمير عادل كتاباً خاصاً للمفتي جواباً على كتاب ورد منه إليه، وضمنه المعاني التي جاءت في الكتابين الجماعيين. وقد اقترح معين وإسحق أن نكتب كلمة للمفتي بشأن مساعيه لتوحيد المرجع، فكتبنا ملحقاً وقعته أنا ومعين أبدينا فيه ارتياحنا لفكرة توحيد المرجع وطمأنينتنا إذا صار هذا المرجع الوحيد إن كانت هذه المساعي ستؤدي إلى حمل الأصدقاء على تعديل موقفهم من القضية، والدخول في مقاومته لعقد معاهدة على أسس الميثاق. أما إذا كانت الغاية من المساعي للاتصالات الثانوية لا تفتح باباً لمفاوضة وعقد معاهدة ولا تؤدي إلى تعديل موقف الأصدقاء، فإنها لا قيمة حقيقية لها وتكون سبباً في ازدياد التوتر والفرقة والتشاد. وأبدينا شكّنا في موافقة الشماليين على التخلي عن رشيد، وقلنا أن وحدة المرجعية من أجل بلاد الشام فقط تثبت فكرة إفراد الشام عن العراق ، وفي هذا فشل محقق.

وعدنا فذكرناه بما كان من الخطأ في الأصل بالإكتفاء بالمكاتيب، وبما كان من رأينا من الانسحاب في حالة إصرار الأصدقاء على رفض التعاقد، وبما احتوته المكاتيب من الشرط الهدام للوحدة ليس فقط بين الشام والعراق وبين مناطق بلاد الشام نفسها، وأن إصرار الأصدقاء على هذا الشرط كان يتحمل من الجانب العربي إصراراً مقابلاً، ولو أدى الأمر إلى الانسحاب، لأنه لا يكون تم شيء للقضية، فلا معاهدة ولا وحدة. فما هو معنى هذه المساعي وهذه التطمينات وهذه الفرقة والمشادة بين الإخوان. وشددنا على ضرورة التفاهم مع رشيد والتعاون معه[1].

وقد لا ترضي هذه الكتب الخاصة والعامة نفسية المفتي، بل إن هذا أمر محقق فيما اعتقد. ولكنها في الحقيقة مستلهمة من الوقائع والحوادث، ولم يكن إمكان للكتابة بأسلوب آخر. وقد قلنا لأبي أحمد (محمد العفيفي) أن المفتي قد يقول كيف أتفاهم مع رشيد وقد انفرد في المساعي وهو لا يؤتمن على القضية؟ وجوابنا على هذا أن هذا الانفراد كان من الطرفين أولاً، وأن القضية قد وقفت في موقف سيء لا يحتمل أن يكون أسوأ منه، حتى إذا سلّم المفتي لرشيد بأن يكون هو المفاوض بعد أن سلّم المفتي بعدم إمكان التعاقد ورضي واكتفى بالمكاتيب وسلم بشرط رغبة الأهالي في الوحدة ورضي به. فالقول أن رشيد لا يؤتمن على القضية بعد هذا لا معنى ولا محل له. وقلنا له (لمحمد) بصراحة أن التفاهم إذا لم

---

(1) لم يرد اسم طه الهاشمي في التسجيل السابق، وما سجلناه الآن يدل على أنه اشترك معنا في اجتماعاتنا وفي توقيع الكتابين لرشيد والمفتي.

(1) لم يرد في التسجيلات السابقة اسم اسحق. والذي في ذهني أنه كان يحضر اجتماعاتنا ويشترك في المداولات هو ومحمد العفيفي، ولكن أرجح أنه لم يوقع الكتابين معنا وانحصر التوقيع في الأسماء المذكورة آنفاً.
كذلك لم يرد في التسجيل أن نبيه وعادل العظمة كانا يشتركان في اجتماعاتنا ومداولاتنا وكتبنا. والمتبادر أن ما جاء في كتاب المفتي عنهما وعن صلاتهما بفوزي جعلنا نرى من الحكمة عدم اشراكهما.

يمكن إلا بالتسليم لرشيد بأن يكون المفاوض المفوض، فالواجب يقضي على المفتي بالموافقة، لعل ذلك يكون انقاذاً للموقف وتحسيناً له. وقلنا له بصراحة أيضاً أن حق رشيد بالتمسك بأن يكون هو المفاوض المفوض بل وأن يكون هو المتقدم ليس أقل وأضعف من حق المفتي بأن يكون المرجع الوحيد كما يسعى في سبيل ذلك، بل ربما كان حق رشيد أقوى وأوجه. فهو رئيس حكومة رسمي يتقدم في التشريفات على المفتي، وهو صاحب الموقف الرسمي القوي في حركة العراق التي كانت عنوان قوة وحركة العرب، والعراق وكان ومايزال مرشحاً لتزعم الحركة العربية. وقد قيل هذا كثيراً، وطلبنا من محمد أن ينقل هذا عنا للمفتي أيضاً.

8 ـ كلمة جديدة عن محمد العفيفي:

ومحمد العفيفي خريج كلية الزراعة في الآستانة في زمن الدولة العثمانية، وذو عقل ثاقب ومحاكمة رصينة ونشاط وذكاء. وكان منتسباً لجمعية العربية الفتاة. وكان مأموراً للأوقاف في يافا ثم في القدس أثناء ما كنت مديراً عاماً للأوقاف. وهو من جماعة المفتي ولكنه ذو رأي استقلالي أكثر من إسحق والشيخ حسن. ولذلك ليس هو في جماعة المفتي في مقامهما... وقد كتبت عنه كلمة في مناسبة سابقة من هذه المذكرات.

9 ـ نصوص ثلاثة كتب مرسلة من جماعة الآستانة إلى رشيد والمفتي حول الخلاف واللجنة وما حصلا عليه من أمور:

هذا ولقد وجدت بين الأوراق التي وجدتها في الدفتر السابع مسودات وأصول لثلاثة كتب. واحد موجه لرشيد، وواحد موجه للمفتي، وهما على الأرجح الكتابان الموقعان مني ومن معين والأمير عادل وطه الهاشمي وأكرم زعيتر والثالث هو الملحق الذي وقعته أنا ومعين.

(1) وهذا نص أولى الرسالتين الجماعيتين:

صاحب الفخامة رشيد عالي بك الكيلاني المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد كنا كتبنا لفخامتكم نرجو التطمين بما تم من أمر المعاهدة التي وضعنا أسسها معاً ونتجت عن التضامن والتعاون الوثيقين مع صاحب السماحة المفتي الأكبر على تحقيق ميثاق الأمة القومي الذي جاهد العرب في سبيله وقدموا ضحاياهم الغالية على مذبحه، وقد مرت الشهور دون أن يصل إلينا منكم شيء شاف. والأخبار التي نتلقفها من آن لآخر تدعو إلى القلق والإضطراب من حيث حبوط المساعي لعقد المعاهدة، ومن حيث ما كان من المساعي الإنفرادية وتجزئة المطالب، ومن حيث أن ما حصلتم عليه لم يكن من شأنه تحقيق ميثاقنا القومي ويقصر جداً عن تحقيق ما كنا نبنيه من آمال ولا يتقابل مع عواطف الأمة وميولها وجهادها وضحاياها، وخاصة في صدد الوحدة القومية التي هي من أهم غاياتها، وألزم وسيلة من وسائل حياتها المقبلة. وزاد على هذا ما ظل يترامى إلينا من أخبار الفرقة بين فخامتكم وسماحة المفتي وانفراد كل بالعمل وانقسام الجهود. وما لازم ذلك من تشاد وقطيعة كان العامل الأكبر في ضعف مركز القضية وضعف موقف الفريق العربي، مما كان له أشد الوقع في نفوسنا وآلمنا كل الألم. وجعلنا نرى المستقبل

قاتماً، في حين أننا كنا متأكدين كل التأكد أنكم تقدرون خطورة الموقف التاريخي الذي تواجهه القضية والأمة العربية، وخطورة مسؤولية ما قد تنتهي إليه المساعي في سبيلها من فشل ونقص. وكل ما تراءى لنا شبح الماضي والحاضر واحتمال تضييع الفرصة وبقاء الحالة على سوئها والعهد الجديد المحتمل أيضاً ارتجفنا من شدة القلق والتشاؤم، وتجسمت تبعة الموقف وخطورته. لهذا رأينا من واجبنا القومي أن نعود فنكتب لفخامتكم مذكرين بخطورة الموقف وخطورة التبعة، ومطالبين بما يمليه الشعور بهذه الخطورة من بذل كل تضحية في سبيل عودة التفاهم والتضامن في سبيل العمل للقضية، والوقوف في صدد تحقيق الميثاق القومي والوحدة القومية موقفاً موحداً أنتم وسماحة المفتي معاً، لجعل ذلك الهدف المقدس فوق كل اعتبار نفساني وشخصي.

وقد كتبنا مثل هذا لصاحب السماحة. ولنا كبير الأمل أن يكون لكلمتنا هذه في هذه الساعة الرهيبة التي نلمس فيها القلق في كل وطني مخلص، وأن لا يكون الوقت قد فات، والآمال الذهبية التي تعلقنا بها قد ذهبت هباءً. وقد رأينا أنه قد يكون من المفيد تشكيل لجنة قومية تضم فخامتكم وسماحة المفتي والإخوان البارزين، يكون برنامجها المطالبة بعقد معاهدة على أساس ميثاقنا القومي المعروف الذي سبكناه معاً في الآستانة في صدد تقوية مركز القضية وجمع الشمل وزوال ما هو قائم من تعدد وفرقة بغيضة، ولا سيما إذا كان الألمان الأصدقاء مستعدين للإعتراف بها والتضامن والتعاقد معها على أساس الميثاق القومي المذكور، وتعديل موقفهم الذي وقفوه، والذي يقصر جداً عن تحقيق آمالنا، بل ويدعو إلى الخوف والشك والتشاؤم من المستقبل. فنرجو أن يسار في هذا السبيل وأن توافونا بآرائكم ومساعيكم، وخاصة فيما يتراءى لكم من موقف الأصدقاء إزاء اللجنة على النحو الذي أشرنا إليه آنفاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

8 شوال 1361(1).

(2) وهذا نص ثانيهما والموجه الى المفتي:

صاحب السماحة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد وصل الأخ أبو أحمد وأطلعنا على ما حمله من رسائل وأوراق واستمعنا الى بياناته. وقد جرت أحاديث وأبديت ملاحظات بشأن ما كان وما يمكن أن يكون وعد بنقلها لسماحتكم. ولقد تألمنا من الموقف أشد الألم، ولمسنا في الوقت ذاته شدة المرارة والألم التي ألمت بكم بعد أن كنا نلمس في كتبكم إطمئناناً كثيراً يدعونا إلى الاطمئنان أيضاً. ولقد ظهر لنا أن الحالة لا تدعو إلى تفاؤل كبير، ولا تشجع على السفر من جهة موقف الأصدقاء أولاً ومن جهة ما وصل إليه الأمر من الفرقة والتشاد ثانياً. وأن من الضروري تأمين بعض المقدمات قبل ذلك، وأهمها التفاهم مع رشيد بك والعودة إلى ما كنتم عليه من تضامن ونقاوة في سبيل القضية. فهو عنصر لا يمكن إهماله ولا يفيد جعله أمام أمر واقع على ما يظهر، فله جبهة قائمة، وهو ما يزال يسعى في سبيل القضية العربية ولم ينفض يده من ذلك كما فهمنا من الأخ أبي أحمد. ومن الموجودين هنا من يعضده ويقول بضرورة تعضيده للاستمرار في مساعيه، ويبني قوله على نظرية قوية وهي ما كان له من صفة رسمية وما

---

(1) شوال 1361 يصادف أوائل تشرين الأول 1942.

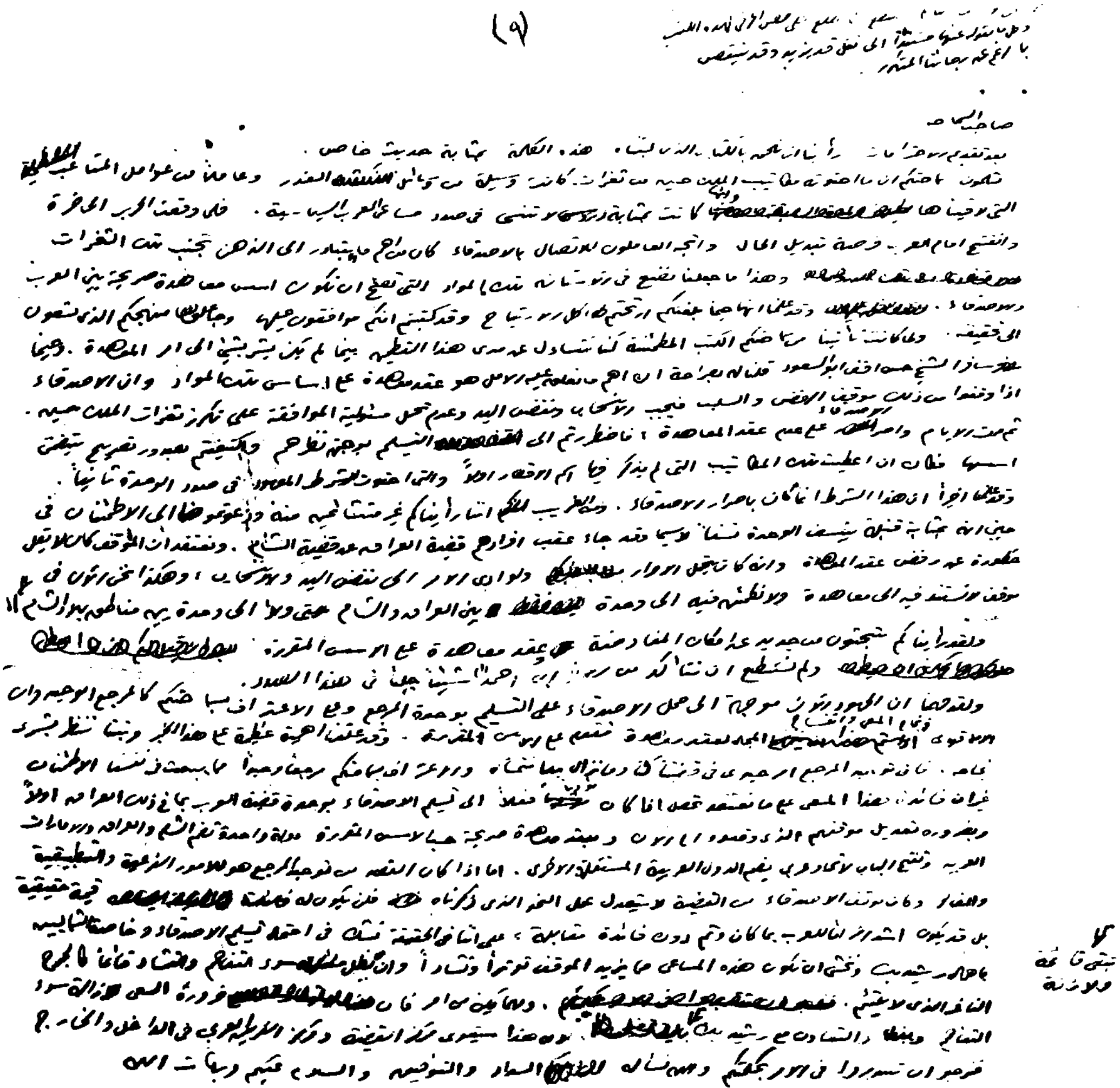

[illegible] الى الملك [illegible]
وهل ما يتواتر عنها مستنداً الى نقل قد يزيد وقد ينقص
[illegible] بجانبنا المشهور

(٩)

صاحب السماحة

بعد تقديم [illegible] رأينا ان نلحق بالكتاب الذي ارسلناه هذه الكلمة بمثابة حديث خاص.

تعلمون ما حتم ان ما صدر من تعقيب الملك [illegible] عليه من ثغرات كانت وسيلة من وسائل [illegible] العذر وعاملاً من عوامل المتاعب [illegible] التي رافقتها [illegible] كانت بمثابة [illegible] في صدور معالي العرب السياسية. فلما وقعت الحرب الأخيرة وانفتح امام العرب فرصة تبديل الحال واتجه العاملون للاتصال بالاصدقاء كان من اهم ما يتبادر الى الذهن تجنب تلك الثغرات [illegible] وهذا ما جعلنا نقترح في رسالتنا تلك المواد التي تصلح ان تكون اسس معاهدة صريحة بين العرب والاصدقاء. [illegible] وقد علمنا انها حازت رضاكم وارتياحكم كل الارتياح وقد كتبتم انكم موافقون عليها و[illegible] مساعيكم الذي تسعون الى تحقيقه. ولما كانت انباء من صاحب الكتاب [illegible] لنا تساؤل عن مدى هذا التطور بينما لم يكن يتسرب الى امر المعاهدة. وحينما حضر سيادة الشيخ [illegible] وصاحب السعود [illegible] قلنا له بصراحة ان اهم ما نعلق عليه الامل هو عقد معاهدة على اساس تلك المواد وان الاصدقاء اذا وقفوا من ذلك موقف الرفض والسلب فيجب الاكتفاء بما ينفض اليد وعدم تحمل مسئولية الموافقة على تكرار ثغرات الملك حسين.

ثم مرت الايام واصر [illegible] على عدم عقد المعاهدة فاضطررتم الى [illegible] التسليم بوجهة نظرهم واكتفيتم بصدور تصريح [illegible] فقال ان اعلنت تلك المطالب التي لم يذكر فيها اسم الاستقلال اولاً والتي احتوت الشرط المعروف في صدور الوحدة ثانياً. وقد علمنا اخيراً ان هذا الشرط انما كان باصرار الاصدقاء. ومن الغريب [illegible] اشار اليكم غير مرة بما يفهم منه دعوتكم الى الاطمئنان في حين انه بمثابة قنبلة ينسف الوحدة نسفاً ولا سيما وقد جاء عقب ادراج قضية العراق عن قضية الشام. ونعتقد ان الموقف كان لا يقبل [illegible] عن رفض عقد المعاهدة وانه لا يحتمل الاصرار [illegible] ولو انه ادى الى نفض اليد والانسحاب، وهكذا نحن الآن في موقف لا نستند فيه الى معاهدة ولا نطمئن فيه الى وحدة [illegible] بين العراق والشام حتى ولا الى وحدة بين مناطق بلاد الشام [illegible]

ولقد رأينا انكم تتحدثون من جديد عن امكان المفاوضة في عقد معاهدة على الاسس المقررة [illegible] ولم نستطع ان نتأكد من رد ابي احمد[1] شيئاً جلياً في هذا الصدد.

ولقد فهمنا ان الجمهور [illegible] الى حمل الاصدقاء على التسليم بوحدة المرجع ومع الاعتراف بسماحتكم كالمرجع الوحيد وان [illegible] وتمام الملك والنفوذ [illegible] الجهد لعقد معاهدة تتفق مع الاسس المقررة. وقد علقنا اهمية عظيمة على هذا الخبر وبتنا ننتظر بشرى نجاحه. فان توحيد المرجع [illegible] في رأينا كان وما يزال [illegible] واعترافه بسماحتكم رئيساً وحيداً ما يبعث في نفسنا الاطمئنان غير ان فائدة هذا المسعى مع ما نعتقد تحصل اذا كان [illegible] فعلاً الى تسليم الاصدقاء بوحدة قضية العرب بما في ذلك العراق اولاً وبضرورة تعديل موقفهم الذي وقفوه الى الآن وبعقد معاهدة صريحة على الاسس المقررة دولة واحدة تضم الشام والعراق والمقاطعات العربية وتفتح الباب لاتحاد بقية الدول العربية المستقلة الاخرى. اما اذا كان القصد من توحيد المرجع هو الامور [illegible] والتطبيقية و[illegible] وكان موقف الاصدقاء من القضية لا يتعدل على النحو الذي ذكرناه [illegible] فلن يكون له [illegible] قيمة حقيقية بل قد يكون اشد ازعاجاً للعرب مما كان وتم دون فائدة مقابلة، على اننا في الحقيقة نشك في احتمال تسليم الاصدقاء وخاصة [illegible] [illegible] ونخشى ان تكون هذه المساعي مما يزيد الموقف توتراً وتشاداً وان [illegible] التنافر والتشاد [illegible] [illegible] الذي لا يختفي. [illegible] ولا يخفى ان امر [illegible] فورة السعي لازالة سوء التفاهم وبعثاً للتشاور مع رشيد بك [illegible] ومن هنا سيجري تركز القضية وتركز الاتصالات في الداخل والخارج.

فنرجو ان تسعدونا في الامر بحكمكم ومساعيكم [illegible] السداد والتوضيح والسلام عليكم ورحمة الله

٩ شعبان ٦١

تبقى قائمة
[illegible]

---

(1) أبي أحمد يعني محمد العفيفي. من عزة دروزة الى الحاج أمين الحسيني/المفتي.

صار له من شخصية بارزة، وما يجب من إرضاء نفسية إخواننا العراقيين وجعلهم يشعرون أنهم غير مزاحمين على الزعامة والرئاسة. هذا عدا كون رشيد بك معضداً من بعض الأصدقاء أيضاً، ولم نر من المجدي أن يلتحق بكم بعض الإخوان من هنا إذا بقيت له جبهة مستقلة معضدة، وهي ستبقى إذا لم يتم التفاهم وتعود الأمور بينكم وبينه إلى مجاريها. وقد فكرنا في فائدة السفر لأجل القيام بدور التجميع والتقريب. غير أنه ظهر لنا أن هذا لا يكون مفيداً إلا إذا سافر الجميع وتضامنوا في المسعى. وهذا على ما يبدو غير ممكن الآن. عدا احتمال عدم النجاح في المسعى واحتمال انشطار الذاهبين إلى الجبهتين وازدياد الموقف توتراً وتشاداً. ولذلك رأينا الأفضل أن يقوم الإخوان ناجي شوكة والدكتور سلمان بهذا الدور. فهما مخلصان لكم، ولم يقطعا صلاتهما مع رشيد بك. وقد رجونا الأخ طه باشا بالكتابة لناجي بك في الموضوع. وكتبنا نحن لرشيد بك أيضاً كتاباً نرجو أن تكون له فائدة وتأثير، ونرجو إلى هذا أن تبذلوا سماحتكم كل جهد وتضحية في هذا السبيل الذي يهون فيه كل شيء. نقول هذا ونحن مصدقون ما جاء في كتابكم من نفي أي مطمع خاص، ومعتقدون أنكم تضعون القضية في هذا الموقف التاريخي فوق كل اعتبار نفساني أو شخصي، وأنكم مدركون أن بقاء الفرقة والتشاد وتعدد المساعي مهما كان الداعي والسبب لن يكون له من نتيجة إلا الضرر على القضية وجعل الجميع في موقف الضعف، وهو ما هو واقع فعلاً وهذا على ما نعتقد كان عاملاً قوياً في وقوف القضية عند حد يقصر جداً عن تحقيق ما كنا نبنيه من آمال ولا يتقابل مع عواطف الأمة وميولها وجهادها وضحاياها. وكل ما تراءى لنا شبح الماضي والحاضر واحتمال تضييع الفرصة وتكرره من جديد ارتجفنا من شدة القلق والتشاؤم، وتجسمت نتيجة الموقف وخطورته. أما اللجنة فنحن ما زلنا نعتقد بفائدتها وضرورتها إذا ضمت الجميع وزال منها هذا التعقيد القائم والفرقة المبغوضة لصالح القضية وقوة مركز الفريق العربي داخلاً وخارجاً. غير أن قيامها يجب أن يكون نتيجة لمساعي التفاهم، فنرجو أن توافونا بما يتم في أمرها. هذا غير أن هناك ملاحظة بدت بسبب ما سمعناه واطلعنا عليه بأن الأصدقاء إذا لم يكونوا مستعدين للاعتراف باللجنة وتبديل موقفهم من القضية والدخول معها في مفاوضات لعقد معاهدة على أساس ميثاقنا القومي المعروف الذي كنا سبكناه في مشروع الآستانة، فإن مجرد تأليف اللجنة لا يحسّن الموقف، بعد أن بدا من الأصدقاء ما بدا وأصروا على عدم عقد معاهدة تحقق ميثاقنا القومي بوضوح وجلاء، وبعد أن قالوا أنهم يكتفون بالكتب المتبادلة التي فيها من الثغرات والنقص خاصة في صدد الوحدة، وعدم ذكر سورية ولبنان ما يبعث الخوف والشك. فالمرجو سبر غورهم في هذه النقطة أيضاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

8 شوال 1361.

(3) وهذا نص الثالثة:

صاحب السماحة:

بعد تقديم الاحترامات. رأينا أن نلحق بالكتاب الذي كتبناه هذه الكلمة بمثابة حديث خاص. تسلمون سماحتكم أن ما احتوته مكاتيب الملك حسين من ثغرات كانت وسيلة من وسائل الغدر وعاملاً من عوامل المتاعب

التي لاقيناها. وأنها كانت بمثابة دروس لا تنسى في صدد مساعي العرب السياسية. فلما وقعت الحرب الحاضرة وانفتح أمام العرب فرصة تبديل الحال، واتجه العاملون للاتصال بالأصدقاء، كان من أهم ما يتبادر إلى الذهن تجنب تلك الثغرات. وهذا ما جعلنا نضع في الأستانة تلك المواد (سبق إيرادها في النبذة السابقة)، التي تصلح أن تكون أسس معاهدة صريحة بين العرب والأصدقاء. وقد علمنا أنها حينما وصلت إليكم ارتحتم لها كل الإرتياح. وقد كتبتم أنكم توافقون عليها وستجعلوها منهجكم الذي تسعون إلى تحقيقه. ولما كانت تأتينا من سماحتكم الكتب المطمئنة كنا نتساءل عن مدى هذا التطمين، بينما لم يكن يشار بشيء إلى أمر المعاهدة. وحينما سافر الشيخ حسن افندي أبو السعود قلنا له بصراحة أن أهم ما نعلق عليه الأمل هو عقد معاهدة على أساس تلك المواد. وأن الأصدقاء إذا وقفوا من ذلك موقف الرفض والسلب فيجب الانسحاب ونفض اليد وعدم تحمل مسؤولية الموافقة على تكرار ثغرات الملك حسين. ثم مرت الأيام وأصر الأصدقاء على عدم عقد المعاهدة، فاضطررتم إلى التسليم بوجهة نظرهم واكتفيتم بصدور تصريح يتضمن أسسها، فكان أن أعطيت تلك المكاتيب التي لم يذكر فيها اسم الأقطار أولاً، والتي احتوت الشرط المعهود في صدد الوحدة ثانياً. وقد علمنا أخيراً أن هذا الشرط إنما كان بإصرار الأصدقاء. ومن الغريب أننا رأيناكم غير متشائمين منه ودعوتمونا إلى الاطمئنان، في حين أنه بمثابة قنبلة تنسف الوحدة نسفاً، ولاسيما وقد جاء عقب إفرادهم قضية العراق عن قضية الشام. ونعتقد أن الموقف كان لا يقل خطورة عن رفض عقد المعاهدة، ولا نطمئن فيه

إلى وحدة بين العراق والشام، حتى ولا إلى وحدة بين مناطق بلاد الشام. ومن المؤسف أننا لم نستطع أن نطلع على النص الحرفي لهذه الكتب، وكل ما نذكره عنها مستند إلى نقل قد يزيد وقد ينقص بالرغم عن رجائنا المتكرر. ولقد رأيناكم تبحثون من جديد عن إمكان المفاوضة وعقد معاهدة على الأسس المقررة، ولم نستطع أن نتأكد من الأخ أبي أحمد شيئاً جلياً في هذا الصدد. ولقد فهمنا أن الجهود موجهة إلى حمل الأصدقاء على التسليم بوحدة المرجع، وعلى الإعتراف بسماحتكم كمرجع وحيد، وأن الأمل قوي لإنجاح المسعى وانفساح المجال لعقد معاهدة تقوم على الأسس المقررة. وقد علقنا أهمية عظيمة على هذا الخبر، وبتنا ننتظر بشرى نجاحه. فإن توحيد المرجع أمر حيوي في قضيتنا كنا ومانزال مما نتمناه، والإعتراف بسماحتكم مرجعاً وحيداً مما يبعث في نفسنا الاطمئنان. غير أن فائدة هذا السعي على ما نعتقد تحصل إذا كان مؤدياً فعلاً إلى تسليم الأصدقاء بوحدة قضية العرب بما في ذلك العراق أولاً، وبضرورة تعديل موقفهم الذي وقفوه إلى الآن، وبعقد معاهدة صريحة حسب الأسس المقررة: (دولة واحدة تضم بلاد الشام والعراق والإمارات العربية وتفتح الباب لاتحاد عربي يضم الدول العربية المستقلة الأخرى). أما إذا كان القصد من توحيد المرجع هو للأمور الفرعية التطبيقية والمظاهر، وكان موقف الأصدقاء لا يتعدل على النحو الذي ذكرناه، فلن يكون له قيمة حقيقية، بل قد يكون أشد إلزاماً للعرب مما كان وتم دون فائدة مقابلة. على أننا في الحقيقة نشك في احتمال تسليم الأصدقاء وخاصة الشماليين بإهمال رشيد بك، ونخشى أن تكون هذه المساعي مما يزيد

الموقف توتراً وتشاداً، وأن يظل سوء التفاهم والتشاد قائماً كالجرح الناخر الذي لا يلتئم. ومهما يكن من أمر فإن ضرورة السعي لإزالة سوء التفاهم والتعاون مع رشيد بك تبقى قائمة ولازمة، لأن هذا سيقوي مركز القضية ومركز الفريق العربي في الداخل والخارج. فنرجو أن تتدبروا في الأمر بحكمتكم. والله نسأل السداد والتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
9 شوال 1361.

***

بداية الدفتر التاسع من دفاتر تركية :

30 تموز 1942
5 رجب 1361 :

كانت آخر اسبوعية في الدفتر الثامن بتاريخ 23 تموز 1942، وقد رأينا أننا واصلنا تسجيلاتنا لما كان بعد المسجل فيها من اتصالات ورسائل واجتماعات ورسل في صدد القضية في شهور آب وأيلول وتشرين الأول. فواصلنا إعادة التسجيلات حسب توالي تسجيلاتها إلى أن انتهى الدفتر الثامن. وقد كنا نواصل ذلك فترة بعد فترة حسب النسق التاريخي، وكنا في ذات الوقت بدأنا الدفتر التاسع، وكنا نسجل الأحداث العامة والخاصة والحربية والسياسية والعربية وغير العربية بدءاً باسبوعية أرّخناها في 30 تموز. وهذا ما جاء في هذه الاسبوعية.

1 ـ دعايات الإنكليز لتهدئة البلاد العربية :

داوم الإنكليز في دعايتهم لتهدئة وتخدير البلاد العربية، وأثنت إذاعاتهم على هدوء مصر ونوهت بأثر ذلك في البلاد والأفكار العربية، وكل هذا على ما يبدو استهدف إضعاف حملة دعاية المحور ومنشورات المفتي ورشيد وإبعاد فكرة الإضطراب والهياج من مجريات الحرب ضدهم. وقد قرأنا في صحف وصلت إلينا متأخرة فيها تصريح لعوني عبد الهادي وآخر لسليمان طوقان نسجا فيهما على منوال من

سبقهما من المصرحين المهدئين. وقد حاول عوني أن يدخل في خلال تصريحه العروبة المصرية والتاريخ العربي في مصر الخ. الخ. أما سليمان فقد سار شوطاً أبعد، فاستعمل عبارات الاعداء ورد كيدهم بالنسبة لدول المحور ودعاياتها. وقد أسفت لاندماج عوني في هذا الميدان، مع أن أغراض الحملة الدعائية الإنكليزية غير خفية. فأما أن يكون ذلك من مزاج عوني الذي لا يرد رجاء وطلباً، وأما أنه كان أمام طلب شبه رسمي فلم ير مناصاً. وعلى كل حال فإن اهتمام الإنكليز باستمداد هذه التصريحات من رجال العرب يدل ولا ريب على تخوف وحسبان للمستقبل.

وقد كتب عمر رضا الكاتب التركي مقالاً في جريدة الجمهورية التركية أشار فيه إلى حملة الدعاية الإنكليزية وأهدافها على النحو الذي قلناه، ثم قال أنه لا يعتقد أنها أدت أو ستؤدي إلى المقصود، فإن إصرار مصر على البقاء خارج الحرب وإعلانها ذلك آناً بعد آن، وكونها تعمل جاهدة لوقاية مصر من ويلات الحرب وتخريباتها، دليل على ما في نفوس المصريين من الرغبة في البقاء في موقف المتفرج السلبي إزاء الصراع الإنكليزي، وهذا يعني معنى من معاني العداء ولا ريب. ومما قاله أن إيران التي ديست كرامتها واحتلت بلادها وقوض استقلالها لا يعقل أن تبقى مكتوفة اليد أو أن تساير الإنكليز إذا ما طرق الألمان بابها. وقال أن مثل هذا يمكن أن يقال عن العراق التي نشبت الحرب بينها وبين الإنكليز، مما فيه دلالة على شدة ما تبطنه من عداء وحقد للإنكليز. ثم قال: وفلسطين التي جاهدت وضحت بعشرة آلاف شهيد هي أيضاً تنتظر اليوم الموعود للخلاص..

2 ـ مقالات عمر رضا في صدد دعاوى ودعايات الإنكليز والمحور وتعليق عليها:

وبهذه المناسبة نذكر أن هذا الكاتب نشر مقالاً أشار فيه إلى أن الإنكليز يدعون ويعملون في دعايتهم من أجل تأييد دعواهم بكون العرب أصدقاءهم، لأن لهم معهم تاريخ تعاون مديد، ولأن العرب بفطرتهم ديموقراطيون، والإسلام يدعو إلى الديموقراطية، وأن في كل هذا انسجاماً وتعاوناً بين الفريقين. وأشار الكاتب في مقاله إلى أن المحور يقوم بدعاية واسعة بين العرب ضد الإنكليز، مستنداً إلى ما بين هؤلاء العرب من عداء ودماء وأحقاد، وما للعرب من مطالب لا يرون تحقيقها ممكناً إلا إذا تقوض الحكم الإنكليزي عن بلادهم، وأن في هذا مظاهر انسجام وتساوق بين العرب والمحور. ثم قال الكاتب أن العرب في الحقيقة ليسوا أصدقاء لهؤلاء ولا لأولئك، وإنما هم طلاب استقلال وحرية لبلادهم، وأنهم يأملون أن ينالوا مطلبهم بنتيجة هذه الحرب وهم يتسابقون للإنتفاع منها. منهم من يتظاهر أنه مع هؤلاء ومنهم من يتظاهر أنه مع اولئك..

وهكذا ينم الرجل عن فهم عميق وإدراك تام في كل ما يكتب عن العرب والشرق.

ومقالاته عن الهند وأسباب موقفها وما قاسته من غدر الإنكليز ونكثهم الوعود قوية مستمرة. وهذه المقالات وإن لم تكن في الحقيقة معبرة عن السياسة التركية الرسمية فإنها ذات مغزى وأثر لا ريب فيهما في صدد ما في الاوساط التركية من أفكار.

ونذكر في هذه المناسبة أن لهذا الرجل نحو

عشـرة آلاف صفحة من المؤلفـات الإسلاميـة ترجمة وتأليفاً، وله وقوف تام على الإنكليزيـة واللغة العربية. وقد تـرجم أكثر مـا ترجم عن الإنكليزية، وترجم القرآن إلى اللغة التركيـة. وقد اجتمعت به منـذ اسبوعين على غـداء في بيتنا، وأنسنا بـه ولمسنا فيـه الروح الإسـلامية الطيبة. وعمره وشكله قريبان لنا، ورأيه صريح بأن الإنكليز إذا خرجوا ظافرين من هذه الحرب سيقلبون ظهر المجن للعرب والإسلام والشرق، لأنهم رأوا منهم عداءً وحقداً شـديدين. وبـأن مصلحــة الإسـلام والشــرق في انكسـارهم، ولاسيمـا أن لليهود أثـراً عظيمـاً في حركتهم، وسيكـون لهم دور كبير في حـالة انتصـارهم، وهذا بلاء ليس بعده بلاء. (ولقد كتبنا سابقاً نبذة عن الرجل من ذاكرتنا ولـم نكن نذكر أننا سجلنا ما سبق. ومع ذلك فقد اثبتنا ما كتبناه عنه من جديد.

3 ـ بيان افرنسي في سورية فيه إنذار لبعض حركات يقوم بها بعضهم والمقصود هو جميل مردم بسبب زياراته واتصالاته بالانكليز:

قرأنا في جريدة دمشقية بيانـاً من السلطات الإفرنسية جاء فيه أن بعض السياسيين السوريين قد قاموا برحلات أثارت بعض الأوهام في صدد العلاقة الإفرنسية الإنكليزية، وأحاطوها ببعض الدعايات، وأن هذا قد يؤثر في الأمن العام في هـذا الوقت الحـرج، ولذلـك فإنهـا أنـذرتهم واتخذت بحقهم بعض إجراءات زجرية خفيفة. والغـالـب أن البيان قصـد جميـل مـردم الـذي مـافتىء يتنقـل بين مصـر وسـوريــة ويتصـل بالمقامات الإنكليزية في سبيل قلب الشيخ تاج وعهده على الأرجح. وقد كان آخر رحلاته إلى مصـر مع الشيـخ بشارة الخـوري النـاقم على الوضع اللبناني، والراغب في قلبه ايضاً، وقد ذكـرنا خبـر الرحلة في أسبـوعية سـابقة. ومن المحتمـل أن تكـون السلطات الإفـرنسيـة قـد فرضت عليه، ولعلها فرضت على الشيخ إقامة إجبارية، وهو الذي يمكن فهمه من العبارة.

4 ـ استقالة وزارة سامي الصلح اللبنانية واعادة تكليفه وتعليق على ذلك:

ومما قرأناه في الصحف السورية أن الوزارة اللبناية برئاسة سامي الصلح قد استقالت، وأنه عهد إليه بتشكيل الوزارة من جديد. وقد أدهشنا ذلك، لأن سامي الصلح كان لا يتستر في صلاته مع مندوبي المحور. وكان قد جعل بيته مكان لقـاء بينهم وبين الوطنيين العـرب الذين كـانوا يريدون الإتصال بهم. ونعتقد أن هذا لم يكن خافياً لا على الإنكليز ولا على الإفرنسيين الذين ظـل كثيـر منهم في الإدارة الحــاضـرة بعض تقـويض سلطة فيشي عن سوريـة ولبنـان. ولا نـدري هـل الـرغبـة في المســايـرة بلغت في الإفرنسيين الديغوليين إلى هذا الحد، أو أن هذا الرجل انقلب الى هذا الحد؟ لكن الذي نعرفه أن الرجل غير لفّاف ودوّار مثل رياض، وأنه كان من نـوع القبضـايـات ومحبـوبـاً في الأوسـاط الإسلامية بوجه عام. ولهذا نرجح أن الإفرنسيين أتـوا به إلى الحكم ثم تمسكـوا بـه رغبـة في المسـايرة. ولعله بـرر لهم موقفـه من مندوبي المحور في عهد فيشي بما كان لهذا العهد من أثر سيء في نفوس العرب والمسلمين، ويكون هذا العهد قد تبدل وعفا الله عما سلف. وهذا من عجائب الأحداث...

5 ـ انشغال بال الإنكليز بالهند واجتماع المؤتمر الهندي واحتمالات ذلك. :

ما تزال الصحف والمقامات الإنكليزية مشغولة بأمر الهند وما يتوقع منها بعد السابع من أغسطوس، وهو التاريخ المحدد لاجتماع هيئة المؤتمر الوطني وتصديقها على قرار إنذار الإنكليز بتسليم مقاليد البلاد لأهلها أو إعلان العصيان المدني. وهو القرار الذي أعلنه غاندي كتصريح وتابعه فيه نهرو الزعيم الهندي المدني وغيره على ما ذكرناه في أسبوعية سابقة. فمن جهة نسمع ونقرأ أن زعماء الهنود يشتدون في الدعاية لذلك، وبيان كونه متفقاً مع مصلحة الهند، وكون ما يمكن أن ينتج عنه من أخطار هي أقل بكثير من الأخطار الناتجة عن بقاء مقاليد الهند في يد الإنكليز، لأن ذلك يعرض الهند للغزوة اليابانية والتخريب حتماً، في حين أن انسحاب الإنكليز قد يقيها من ذلك. وهم يبدون استعدادهم للتعاون مع الإنكليز عسكرياً، وإعلان النفير العام والتحالف معهم، والوقوف أمام اليابان جبهة واحدة معهم.

والصحف الإنكليزية تحمل حملات شديدة على غاندي وزعماء الهند الآخرين، وتصف غاندي بالمجذوب، وتقول إن المؤتمر لا يمثل الهند ناسية (كما قال عمر رضا في مقاله له) أن الحكومة الإنكليزية اعترفت في مناسبات عديدة بأن المؤتمر يمثل الهند، واتصلت به وفاوضته على هذا الأساس. وناسية أن غاندي الذي تصفه اليوم بالمجذوب قد هز أركان الأمبراطورية هزاً جديداً في دور سابق، وأنه كان موضع كل رعاية في لندن حينما جاء إليها على رأس وفد هندي، حتى أن تقاليد الإمبراطورية تعطلت بسبيل احتفاظ بحالته، وأُدخل على الملك الامبراطور في مِئزره الذي يستر نصفه الأسفل وعاري اليدين والرأس والقدمين. . .

والصحف الأميركية تساعد الصحف الإنكليزية في حملتها. وتنشط دسائس الإنكليز في الهند، حتى يحملون بعض زعماء المسلمين على الوقوف موقف المعارض للقرار الذي سيعرض على المؤتمر الذين هم أعضاء فيه، ويعيد الإنكليز تشكيلات الحزب الشيوعي في الهند، ويفرجون عن رجاله لينشطوا أيضاً نشاطهم المعاكس.

ومع كل ذلك لا نزال نبدي أشد الخوف من العواقب، وتعلن عن حلول تطمينية للهنود، ولكن هؤلاء يصرون على مطالبهم حالاً وعدم تعليقها على الوعود مهما كانت قوية، ويترقب الناس تطورات هذه الحركة ويتوقعون أحداثاً جساماً في الهند.

وقد قالت المصادر الإنكليزية أن الحاكم العام مستعد لكل الطوارىء. وهذا معناه موقع الإصطدام واشتداد الإضطراب. وسنرى ما هو الدور الذي يلعبه اليابانيون أيضاً في هذا المضمار وأثره.

6 ـ أخبار عن مطامع اليهود في فلسطين وسياسة الإنكليز المهدئة :

في صحف فلسطين ومصر ما يدل على ما يساور اليهود من هلع عظيم. ومن أخبارها كثرة بيوع الأراضي والأملاك من اليهود للعرب، فسبحان المغيّر. ومما ذكرته أن المندوب السامي أطلق سراح ثلاثين سجيناً من محكومي الثورة. وهذه عملية تقرّب للعرب ومسايرة لهم

من دون ريب في هذا الظرف العصيب الذي يواجهه الإنكليز. وقد نعت الصحف عاصم السعيد رئيس بلدية يافا، ووصفت ما كان من احتفال وتعاز به. ونشرت فيما نشرته برقية أرسلها الشيخ على النجدي واعظ بئر السبع، ذكر فيها ما في موت هذا الرجل من نكبة كبرى على العرب والإسلام...

7 ـ جمود جبهة مصر مع حركات محلية متبادلة واستعدادية:

أما جبهة مصر فقد ظلت جامدة تقريباً في هذين الأسبوعين، ولم يقع فيها أي حركات محلية كراً وفراً. فتارة يهجم الإنكليز فيأخذون بعض التلال ويتقدمون بعض التقدم، وتارة يكون مثل ذلك للألمان، ولكن المنطقة هي هي منطقة العلمين والقطارة. وأمس ذكرت أن رومل قام بهجمة استطاع بها أن يدحر الإنكليز عن بعض المواقع. ولا ندري هل هذا مقدمة لزحف أوسع أم هو مثل ما تقدم من عمليات محلية أيضاً، وسنرى؟

***

يوم الاربعاء
12 اغسطوس 1942:

1 ـ موافقة المؤتمر الهندي على قرار الإنذار الذي تضمنه تصريح غاندي:

وقع ما خمّناه، ووافق المؤتمر الهندي على قرار (اللجنة التنفيذية) المستند إلى إقتراح غاندي بطلب الإنسحاب الإنكليزي من الهند. وببدء العصيان المدني بزعامة غاندي إذا رفض الإنكليز استجابة الطلب. وقد خطب غاندي في المؤتمر بعد الموافقة على القرار لمدة ساعتين، وأعلن عزمه القاطع على السير في النضال إلى النهاية دون ان تلويه عن ذلك أية قوة أو تهديد، ولو أعلن حلفاء إنكلترا جميعاً عداءهم ضد الهند وتضامنهم مع الإنكليز. وقد جاء في القرار أن الهند مستعدة للتحالف مع الإنكليز وحلفائهم والوقوف معهم في جبهة الحرب والدفاع عن الهند أمام احتمالات الغزو الياباني. وقبل الإقتراح من قبل الأكثرية الساحقة، ولم يخالفه إلا ثلاثة عشر عضواً. وقد بدأ غاندي جاداً بالدعوة إلى إضراب الصحف والمدارس، وكان قد احتاط فأرسل إلى مختلف الأقاليم زعماء المؤتمر لبث الفكرة وتهيئة حركات النضال السلبي. وعاد الرسل يطمئنون بأن البلاد مستعدة للإستجابة والسير تحت راية غاندي في هذا النضال.

2 ـ بيان ياباني بحسن نيات اليابان نحو الهند:

وفي يوم انعقاد المؤتمر أذاع المذيع الرسمي الياباني في إذاعة طوكيو تأكيداً بحسن نيات اليابان، وأنها لا تريد إلا إستقلال الهند وتحريرها، وليس لها أي مطمع فيها، ومكذباً دعايات الإنكليز في هذا الصدد. غير أنه أشار إلى أن اليابان لا تقبل في حال أن تكون الهند قاعدة حربية للإنكليز وأنها إذا صارت كذلك فإنها تظل تعتبرها بلاداً عدوة وتتصرف بما يتناسب مع ذلك.

3 ـ بيان حكومة الهند ضد قرار المؤتمر واعتقال غاندي ونهرو وأبي الكلام آزاد وغيرهم وحل تنظيم المؤتمر واندلاع المقاومة الهندية بمختلف الصور:

وقد أذاعت حكومة الهند بياناً أعلنت فيه أن المؤتمر لا يمثل الهند، وليس هو إلا حزباً من أحزابها، وأن فئات عظيمة الشأن في الهند لا توافق على قراره وتبدي استعدادها للتعاون مع بريطانية، وأن الحكومة ترى في القرار طيشاً وخرقاً يؤديان إلى تعريض الهند للغزو الياباني وللفوضى الداخلية، وينم عن تآمر زعمائه مع دول المحور وتسهيل حركاتهم الحربية. وناشد الهنود عدم إطاعة القرار والتضامن مع بريطانيا في الدفاع عن الهند وكيانها. وأعلنت الحكومة البريطانية بياناً قالت فيه أن حكومة الهند التي أذاعت البيان الأول تتألف من أكثرية هندية، وليس فيها من الإنكليز إلا نائب الملك وعضو آخر فقط. ثم سارعت الحكومة الهندية إلى العمل المضاد، فاعتقلت غاندي ونهرو وأبا الكلام أزاد وباتل وغيرهم من زعماء المؤتمر ورجاله في بومباي وغيرها من الأقاليم، حتى بلغ عدد المعتقلين نحو ثلاثمائة. وأعلنت عدم شرعية المؤتمر، واحتلت بناياته المركزية وبنايات فروعه، وحظرت الإجتماعات والتجمعات والمظاهرات. وقابل الهنود هذه الإجراءات بحركات تظاهرية، وأخذوا يصطدمون مع البوليس ويقومون بأعمال رجعية وتخريبية وإحراقية، وأخذ الإضراب في الأسواق ووسائل النقل والمعامل والمدارس يتسع، وأخذ البوليس يستعمل الشدة والرصاص، وصار يقع من الطرفين قتلى وجرحى حتى بلغ ما أذاعته الإذاعات الإنكيزية عدد التقلى 40 والجرحى 200، وعمت كل هذه الأعمال المدن والأقاليم. وبكلمة واحدة اندلعت الثورة وقامت القيامة في الهند على شكل ينذر بالإتساع والخطورة، مما جعل أنظار العالم تتجه إلى الهند وأحداثها، وجعل أفكاره تنشغل بنتائجها. وقد أخذ الإنكليز من ناحيتهم في نفس الوقث بتشجيع العناصر والطوائف الأخرى غير المندمجة في المؤتمر على الوقوف موقف المنقبض المتفرج إزاء ذلك.

4 ـ موقف تنظيم الاتحاد الإسلامي المتربص:

وقد أذاع رئيس الإتحاد الإسلامي محمد علي جناح بياناً حث فيه المسلمين على الإنقباض وعدم التدخل بانتظار قرار مؤتمرهم المزمع عقده بعد أسبوع. وكذلك فعل بعض الأحزاب والتشكيلات الأخرى، وصار يخشى

أن يقع اصطدامات بين الهنود والمسلمين والمنتسبين إلى التشكيلات الأخرى من الهنود، لأن ذهنية الثورة لا تتحمل وقوف عناصر البلاد منها موقف المنقبض أو المتفرج كما هو مجرب.

5 ـ موقف أميركا من حركة الهند القائمة:

واليوم أذيع أنه يجري في واشنطن بحث حول موقف الهند، وأن من المحتمل أن يتدخل روزفلت ويعلن تعهده وتعهد الحلفاء بتنفيذ وعود الإنكليز بمنح الهند استقلالها فور انتهاء الحرب. وأن الهند في حال رفضها هذه الوساطة تواجه بعداء جماعي من الحلفاء. ولا ندري مقدار تأثير هذا التدخل، ولكننا نظن أنه يستهدف فيما يستهدفه تثبيط عزائم الهنود وإدخال الأمل من جهة والخلاف من جهة أخرى فيهم، ونرجح أن زعماء المؤتمر لن يقبلوا بها لأنهم يعتقدون أن الإنكليز بعد الحرب سيخلقون مشاكل من شأنها تأخير تنفيذ الوعود المقطوعة وفتح باب المساومات والدسائس كما هي عادتهم. ولعلهم يفكرون أيضاً (أي الهنود) أن قبولهم بهذه الوساطة سيعرض بلادهم للغزو الياباني، ثم إذا انتصر المحور يكونون قد أضاعوا فرصتهم وجلعوا اليابان ينظرون إليهم بنظرة العداء..

6 ـ بيان موقف اليابان من حركة الهند:

وقد أخذ المراقبون يفكرون فيما سيكون موقف اليابان من هذا التدخل، فإن ثورة الهند الآن فرصة سانحة لمداخلتهم الفعلية ومساعدة على نجاح زحفهم نحو الهند. فالأمة الثائرة التي يكون حقدها شديداً ضد عدوّها المسيطرة عليها ترحب بأيّة مساعدة وبأية حركة من شأنها ازعاجه وهزيمته مهما كانت نتائجها. ويقال فيما يقال على ما نقرأه في الصحف ونسمعه في الإذاعات أن اليابانيين يستطيعون حشد مليون جندي على حدود الهند بالتضامن مع البورمانيين وغيرهم، ويستطيعون أن يمدوا الهنود الثائرين بالأسلحة والعتاد، وبذلك يجعلوا الإنكليز بين نارين داخلية وخارجية وينتصروا عليهم.

***

يوم الأحد
23 أغسطوس 1942:

1 ـ لقاءات تشرشل مع رجال الشرق الأوسط وتبديلات في قيادة هذا الشرق الإنكليزية ومداها:

وفي سياق أخبار رحلة شرشل أذيع أنه مر بمصر والعراق وإيران، واجتمع إلى بعض رجالها، وقابل الملك فاروق، والتقى بالمارشال سمطس رئيس حكومة إفريقية الجنوبية، وعقد مؤتمراً من القواد ورجال السياسة الإنكليز الموجودين في الشرق الأوسط. وبكلمة ثانية درس الموقف الحربي والسياسي في هذا الشرق. ثم أذيع بعد عودته إلى لندن خبر سحب قيادة القوات الامبراطورية العامة في هذا الشرق، وقيادة جبهة العلمين معاً من الجنرال أوكفلك، وتعيين جنرال آخر مكانه اسمه الكسندر. وأذيع خبر تبديلات في قيادة قوات الشرق الأوسط. وطبيعي أن ذلك كان نتيجة الدراسة التي كانت له في الرحلة...

2 ـ غزوة إنكليزية لميناء ديب الإفرنسي وتخمينات وتعليقات في صدد الجبهة الثانية:

ومن الغريب أنه لم يكد يمر بضعة أيام على رجوع شرشل من رحلته حتى أذيع خبر غزوة على ثغر وميناء دِيَب الأفرنسي في فرنسة المحتلة. ويستدل مما اذيع على أن هذه ليست كبسة[1] عابرة مفاجئة مثل ما وقع قبل، وإنما كانت حملة قوية حقاً اشترك فيها قوات إنكليزية وأميركية وكندية وديغولية إفرنسية، وبلغ عدد الذين أنزلوا إلى الأرض عدة آلاف معهم دبابات ومدافع، وكانت الحملة محروسة بقوات جوية وبحرية كبيرة، وكان الإنزال في عدة نقاط من منطقة خليج ديب، واشتبك النازلون مع الألمان، ومنهم من قتل ومنهم من أسر ومنهم من استطاع أن يصمد بضع ساعات، ومنهم من لم يستطع أن يصمد وقتاً ما. وبلغ عدد الأسرى ألفين، وعدد الدبابات المعطلة 28 والمدافع 100 والطيارات الساقطة 90، ومن الألمان نحو 80. وكل هذا يدل على قوة الحملة، وعلى أنه كان لها غرض أبعد من كبسة عابرة مفاجئة.

وقالت المصادر الألمانية أنها قد أريد بها مقدمة أو تجربة لجبهة ثانية. وقال الإنكليز إنها ليست إلا غارة موقتة، وكان عددها أكثر من المعتاد لتكون العملية ناجحة أكثر، وأخذت المصادر المحورية والسكسونية تتبادل الدعوى حول هذه الحركة على هذا المنوال. وقد قال الألمان فيما قالوه أنه كان نحو (35) باخرة محملة جنداً وعتاداً وأجهزة على بعد، ومحروسة بقوات بحرية وجوية تنتظر نجاح الحملة لتتقدم، وأن هذا دليل على أنها ليست كبسة مؤقتة، وأن ادعاء كونها كذلك هو من قبيل تغطية الفشل المريع الذي منيت به. ومهما كان من أمر فإنها كانت مفاجأة لافتة للنظر، لأنها وقعت على أثر عودة شرشل من موسكو، ففسحت المجال لافتراض رغبة شرشل إعلام الروس بأن السكسونيين جادون في الدرس والتجارب في سبيل الجبهة الثانية وأزعاج الألمان.

(1) كبسة: مداهمة مفاجئة.

3 ـ كتابة نادر نادي التركي عن ما سمعه من غوبلز في بعثة صحفية الى المانيا وتعليق على ذلك:

قرأنا بعض ما يكتبه نادر نادي وهو كاتب تركي عن زيارته لألمانيا. فقد دعا الألمان بعثة صحفية تركية لزيارة بلادهم وجبهاتهم وكان هو في هذه البعثة، واستمرت تطوف وتتجول في بلاد الألمان وجبهاتها نحو أسبوعين. ورجعت تحمل في جعبتها كثيراً من المشاهد والأخبار والانطباعات عن عظمة ألمانيا وجبروتها وبطولاتها العسكرية. وقد كتب مقاله عن مقابلة البعثة لغوبلز وزير الدعاية، جاء فيه أنهم سمعوا من هذه الداهية أقواله في نقاط جوهرية ثلاث، وكانت الأقوال صادرة عن إيمان بها أكثر من كونها جزافاً للدعاية. فقال:

1 ـ إن القصد من الحرب الروسية هو تحطيم الصولة الروسية العسكرية وليس احتلال جميع بلاد روسية الذي هو مستحيل، وأنه في موقف يستطيع به أن يقول أن هذا القصد سيتحقق قبل حلول شتاء هذا العام، حيث يصبح الخطر الروسي في حكم الزائل.

2 ـ إنه متأكد من أن الكلام عن الجبهة الثانية دعائي أكثر منه جدي. وأن الإنكليز لا يمكنهم أن يقدموا على ذلك، وإذا أقدموا عليه لا يمكن أن ينجحوا فيه. وضرب مثلاً بما كان من الألمان إزاء جزر بريطانية بعد انهيار فرنسة واستسلامها، فإنهم كانوا في الذروة من القوة والشعور بالانتصار والإستعداد، وليس أمامهم عدو يشغلهم. وكان الإنكليز منفردين منعزلين ليسوا على أي استعداد للدفاع والمقاومة، ومع ذلك فقد كان إنزال الجيوش على الجزر متعسراً على الألمان ومحفوفاً بالخطر والفشل في نظر هيئة الحرب الألمانية. فإذا كان الأمر كذلك في مثل هذا الموقف، فكيف يمكن أن يكون والألمان على أتم استعداد للدفاع والمقاومة على طول سواحل أوروبا الغربية، ولديهم من الأجهزة ما من شأنه أن يحطم كل محاولة.

3 ـ إن السكسونيين يعلقون أهمية على احتمال انهيار ألمانيا من الداخل، ويستندون في هذا الأمل إلى ما كان في الحرب العالمية السابقة، حيث أن ألمانيا لم تغلب عسكرياً. بل كانت ظافرة في ميادين الحرب، وإنما انهارت من الداخل، ـ ولكن هذا الآنهيار كان نتيجة عوامل قد قضي عليها القضاء التام ـ ويقصد نشاط وتحريك الشيوعيين واليهود ـ وإن النظام الألماني الجديد قد وجه كل اهتمامه لهذا الأمر، حتى أصبح الآن مطمئناً كل الاطمئنان من هذه الناحية. والألمان الآن شاعرون أن النضال هو في سبيل الحياة وضروراتها وحاملون عليهم بإيمان وجلد تامين. ولهذا فإن أمل أعدائهم بهذه الناحية أمل مقضي عليه بالفشل التام.

4 ـ في صدد المعركة الروسية الألمانية ومداها وآثارها:

وعلى كل حال فالموقف الآن هو موقف الحرب الروسية الألمانية ومصيرها. فإذا استطاع الألمان كما يقولون إن يقضوا على المقاومة الروسية ويحطموا الصولة والقوات الروسية حتى يصبح خطرها زائلاً، فإنهم يضمنون النصر النهائي لهم لأنهم لا يكون أمامهم إلا السكسونيون. وهؤلاء أمام ضغطين شديدين، الضغط الياباني في الشرق والضغط الألماني في

الغرب، ومن شأنهما أن يضمنا للمحور الفوز وخاصة إذا استطاع الألمان أن يحققوا هدفهم في روسية هذه السنة. وسنرى.

5 ـ استمرار الجمود في جبهة العلمين وتخمينات وتعليقات:

ما زالت جبهة العلمين جامدة، وما زال كل من الطرفين يتمم استعداده، وبالرغم مما قيل من أن الألمان يمكن أن يبدأوا بالتحرك والهجوم منذ أسبوع فلم تبدأ أي حركة. ويقول بعض الخبراء إن هذه الحركة ستكون حينما يتقدم الألمان في القفقاس إلى الجنوب تقدماً محسوساً، وأن الألمان لا بد من أن يحاولوا إنهاء معركة الشرق العربي. هذا مع الإشارة إلى ما يتكرر من القول أن الطرفين يتلقيان إمدادات عظيمة، وأنهما يلغمان منطقتي المعركة، وأن الإحتمالات تقوى آناً بعد آن بقرب الحركات الجدية، ولا سيما أن الطقس صار أكثر مساعدة لها من ذي قبل.

6 ـ ضرب قافلة بحرية إنكليزية في البحر الأبيض ومدى ذلك:

ولقد أذيع في هذا الظرف خبر قافلة إنكليزية كبيرة تتألف من 21 باخرة لنقل الذخائر والعتاد والطيارات والمؤن والوقود مخفورة بأسطول حربي قوي، كانت متجهة من غرب البحر الأبيض إلى شرقه، فلما وصلت إلى مضيق صيقلية في طريقها إلى مالطة شعرت بها قوات المحور الجوية فهاجمتها واشتبك الطرفان في معركة حامية دامت يومين كاملين، وأسفرت حسب ما قالته مصادر المحور عن إغراق أكثر من نصف البواخر بما عليها، وإغراق حاملة طائرات ومدرعتين وطرادين إنكليز، وإعطاب عدد آخر وتشتيت شمل القافلة تقريباً. وقد اعترفت المصادر الإنكليزية بخسائر فادحة منيت بها القافلة وحرسها، وبغرق مدرعتين وحاملة طائرات وبعض بواخر، وقالت أن بقية البواخر وحرسها وصلت إلى مالطة. ويرجح المراقبون أن القافلة كانت قاصدة مالطة وحسب، لأنها كانت في ضيق شديد، فجازف الإنكليز مجازفة خطيرة في إرسال القافلة. والحادث يثبت أن قوات المحور في البحر الأبيض تكاد تكون مسيطرة، وأن القسم الغربي منه يكاد يكون مسدوداً أمام الإنكليز، وأن الحاجة الشديدة التي كانت في مالطة هي التي جعلتهم يجازفون. وهذه السيطرة مكنت المحور من إرسال إمدادات متوالية إلى جبهة مصر، حتى سدت حاجات رومل وجعلته مستعداً للحركة الجديدة القريبة.

7 ـ تصريحات لنوري السعيد عن استعداد العراق لإعلان الحرب على الألمان إذا ما طرقوا أبواب العراق:

وفي هذا الظرف أذاعت رويتر تصريحات غريبة لنوري لسعيد، وجاء فيها أنه لا يعتقد أن الألمان سينجحون في القفقاس ويستمرون في زحفهم منها إلى إيران والعراق، وقال مع ذلك أن العراق سيبادر إلى إعلان الحرب عليهم حالما يتجاوزون حدود القفقاس إلى الجبهة، ويأخذ مكانه في الجبهة إلى جانب حلفائه الإنكليز. وهذه التصريحات تدل قبل كل شيء على أن الإنكليز سيقفون موقف المقاوم أمام الزحف الألماني من القفقاس إلى جانب القوات

الروسية التي تتقهقر أمام الزحف الألماني نحو الجنوب. وهذا مقدر من قبل الخبراء الذين يعتقدون أن أبحاث شرشل في موسكو تناولته. ومن المحتمل أن يكون من آثار ذلك ما جرى في قيادة جبهة الشرق الإنكليزية من تبديلات. ولقد كان ويفل في موسكو مع شرشل، وقد يكون ذلك تفسيراً لذاك . . .

واستغرابنا لتصريحات نوري آتٍ من أنه أدلى على مسؤوليته دون أخذ رأي وقرار من مجلس النواب من جهة، وأظهر بها عداء العراق الرسمي الحربي للألمان. وأنه كان الأحرى به أن يحذو حذو مصر التي كانت وظلت تعلن أن سياستها قائمة على أساس تجنب مصر الحرب. والموقف العهدي متطابق في مصر والعراق نحو الإنكليز. وقد ارتضى الإنكليز من مصر بهذا الموقف بل وأثنوا عليها من أجله.

ولقد كان موقف مصر حاملاً لدول المحور على إعلان احترامها لإستقلال مصر، وكونها تأتي إليها إذا أتت كصديقة لمحاربة القوات الإنكليزية وطردها من مصر . . . ولقد كفلت مصر بموقفها صداقة المحور واحترامه في حال انتصاره. وفي حالة انتصار الإنكليز فإنهم معترفون سلفاً بموقفها وراضون عنه. وهو موقف حكيم جداً اكتسبت مصر من أجله الارتياح والثناء، وروعيت فيه مصلحة مصر بقطع النظر عن كل اعتبار. فشذوذ نوري عن هذا الموقف المسبوق فيه من مصر والمرضيّ عنه من الإنكليز والمحور معاً، شذوذ منبعث عن اجتهاد شخصي على ما نعتقد، ولا يمكن أن يبرر من وجهة المصلحة العربية لأنه يكون قد برر للمحور ادعاء عداء العراق له ووقوفه في جبهة ودخول قواته للعراق كبلاد عدوة، وفي هذا ما فيه من الضرر العظيم. وقد يكون الفرق بين موقف الفريقين ناتجاً من كون نوري والوصي مندمجين سابقاً مع الإنكليز وضالعين معهم أولاً خلافاً للفريق المصري. وثانياً من كون وجود خصوم لها يتعاونون مع المحور وحاربوا الإنكليز فعلاً وجعلوهما يفرون من العراق. ومع كل هذا فإن هذه اعتبارات شخصية من الخيانة الواضحة أن يكون لها حكم في هذا الموقف، ويزيد في شناعة موقف نوري والوصي. هذا إذا كان بدون ثمن، أي إذا لم يكونا أخذا من الإنكليز عهداً بحل القضية العربية ووحدة البلاد العربية وإنهاء البلاء الصهيوني، في حين أن خصومهم ـ رشيد الكيلاني وجماعته ـ أخذوا بعض العهود من المحور في صدد ذلك، وهو ما سوف تكشف عنه الأيام، وعلى أننا نميل إلى القول إن كلام نوري سيذهب جزافاً، وإن العراقيين لن يوجهوا نارهم إلى الألمان إذا اقتربوا إلى العراق وهم منتصرون. وأن نوري والوصي سيفران كما فعلا حينما نشبت الثورة في سنة 1941، ولعل هذا الإعلان يتضمن إعلاناً لهذا العزم أو تمهيداً له . . .

8 ـ تبديلات في قيادة الشرق الأوسط الإنكليزية ومداها:

وقد أُذيع اليوم أيضاً أن الإنكليز فكوا ارتباط قيادة وايفل بالعراق وإيران، وانشأوا لهذه المنطقة قيادة مستقلة، وعينوا الجنرال ويلسون قائد القوات البريطانية في سورية وفلسطين قائداً لها، وهو الذي أدار حركات الغزو على سورية. وهكذا يواجه الإنكليز الموقف في الشرق بثلاث جبهات مستقلة. واحدة في المشرق الأقصى وثانية في العراق وثالثة في مصر والشام. ولا شك في أنهم الآن في موقف خطير ومصير أمبراطوريتهم مرتبط به . .

9 ـ تحركات يابانية وإنكليزية في حدود بورما:

ذكرت الأخبار بعض التحركات على حدود بورما، وقالت أن القوات الإنكليزية تقوم بأعمال استكشافية فيها. وفتح هذا مجالاً للسؤال عما إذا كان قد جاء دور الهند واليابان أيضاً، ونحن نتوقع هذا إذا ما استمر زحف الألمان نحو القفقاس وأوشك أن ينجح، لأن المعقول أن لا تدع دول المحور الإنكليز يقفون مطمئنين أمام الزحف الألماني هذا، بل من المعقول أن يفتحوا عليهم باباً جديداً يشغلونهم به، وهذا الباب هو باب الهند وجبهتها في الغالب. وقد يكون هذا مفسراً لفك ارتباط قيادة العراق وإيران من قيادة الشرق الأقصى. وأن يكون الإنكليز يضعون في حسابهم تحرك جبهة الهند، واضطرار وايفل إلى الانشغال بها عن غيرها. ونقدر أن جبهة الهند إذا تحركت فإنها سوف تعرقل إلى حد كبير عزيمة الإنكليز في جبهة القفقاس مع وقوفهم في ثلاث جبهات. وهذا ما جعلنا نقول أنهم في موقف خطير.

10 ـ حفلة ألعاب وفنون تركية وطنية في الآستانة:

منذ أكثر من شهر أذيع خبر إقامة ألعاب تركية قومية في استانبول، واستعداد فئات من مختلف أنحاء تركية للقدوم إلى الآستانة للاشتراك فيها. وفي يوم 14 آب 1942 أقيمت أولى الحفلات في كازينو التقسيم وشهدناها. وكان اللاعبون يلبسون اللباس التركي القديم على تنوع طرازاته وحسب تقاليد الأنحاء التركية من شراويل مقصبة وأحزمة عريضة وصداري وجاكيتات صغيرة مزركشة ومفضضة وعمائم ولفائف رأس متنوعة الألوان. وكانت كل فئة تأتي إلى المسرح ومعها موسيقاها المحلية مؤلفة من قطع موسيقية قديمة ووطنية، وتحمل السلاح الأبيض المتنوع من سيوف وقامات وخناجر وسياخ الخ.. وكانت الألعاب شبيهة بألعاب الدبكات القروية والرقص الرجالي عندنا بمتنوع الصور والأشكال. وقد اشتركت بعض الفتيات التركيات مع الرجال في هذه الألعاب وهن لابسات ألبسة محلية وقروية مزركشة، وكان بعضهن يلبسن الشراويل أيضاً. ورقصن وحدهن حيناً ومع الرجال حيناً، وكان ذلك مشابهاً لما هو عندنا. وغنى بعضهم أغاني محلية شبيهة للعتابا والميجنا، كما غنوا أهازيج وأغاني شعبية أثناء الرقص واللعب، وباستثناء اللباس والموسيقى فإن ما رأيناه يشبه ما عندنا إلى درجة كبيرة. ومما لحظناه أنه ليس عند الأتراك ذلك الناي من القصب الذي عندنا كثيراً ومتنوعاً، والذي له دور مهم في الألعاب والرقصات والأهازيج والدبكات وخاصة في القرى. وبدلاً من الناي عندهم بوروزانات (مفردها بورزان) وزمامير نحاسية وخشبية، وعندهم أدوات موسيقية تشبه الكمنجة والعود أو هي هي. وكان بعضهم يضرب على ربابة مثل ما يفعل بعض القرويين، ومنهم من كان ينفخ في قرن قربة. وهذا ما يوجد مثله عندنا.

***

يوم السبت 12 أيلول 1942
1 رمضان 1361:

1 - أول أيام رمضان في تركية وهو ثاني رمضان لنا فيها:

اليوم أول رمضان في تركية، وقد أضيئت المنابر ليلة أمس، ورأينا الناس يذهبون إلى المساجد بكثرة محسوسة لاستقبال هذا الموسم الديني. وهذا ثاني رمضان يمر بنا ونحن في الآستانة، ولا ندري إذا كان مقدراً لنا أن نشهد غيره هنا. أو أن الله يرحم العالم فتنتهي هذه الحرب على خير عدل.

2 - زيارة وصي العراق ونوري السعيد لشرق الأردن وفلسطين وتصريحات لنوري وبرقيات متبادلة بينه وبين شرشل وتعليق على ذلك:

مما بلغنا أن الوصي العراقي الأمير عبد الإله ونوري السعيد قاما بزيارة لشرق الأردن رداً لزيارة الأمير عبدالله. وقد ذكرت أكثر الصحف وتوقعت أن تجري أبحاث فيها خير للعرب في هذا اللقاء، وزار نوري والوصي القدس. وأذاع نوري من إذاعة القدس تصريحاً قال فيه أن اتفاق الأتلانتيك بين روزفلت وتشرشل الذي انضمت إليه دول الحلفاء هو براءة بمستقبل العرب ووحدتهم. ولا ندري هل هذا هو كل ما يمكن أن يناله أصدقاء الحلفاء من العرب. وإن كان هذا كل ما لدى نوري، فيا لخسارته وخيبة أمله وسوء عقبى موقفه.

وقد سمعنا من إذاعة لندن برقيتين متبادلتين بين شرشل ونوري السعيد (ونوري هو الآن رئيس الوزارة)، فالأول يبدي أسفه لعدم تمكنه من زيارة بغداد في رحلته التي ذكرناها، ويخبر نوري بما تم من إنشاء قيادة إنكليزية مستقلة للعراق وإيران، ويتمنى أن يكون قد نال هذا استحسان العراق، وينوه بحكومة العراق وولائها للمعاهدة وحسن سيرها وإدارتها. والثاني يجيب شاكراً متأسفاً، ثم يقول أن العرب سوف يبذلون كل جهدهم في مساعدة الحلفاء كما فعلوا في الحرب السابقة، وأنهم يعرفون أن مساعدتهم هي مساعدة لقضيتهم، وأن انتصار الحلفاء هو الضمانة الوحيدة لتحقيق آمالهم في الوحدة العربية.

والغريب أن رجال العرب الموالين للإنكليز ورجال الإنكليز لا يفتأون يذكرون وقوف العرب والإنكليز صفاً واحداً في الحرب السابقة، ويتخذون من ذلك سنداً لوقوفهم الآن نفس الموقف، ويبنون الآمال على ذلك. مع أن العرب ما يزالون في شرّ بلاء وتجزئة واستعمار من نكث الإنكليز وغدرهم طيلة ربع القرن الذي هو بين الحرب الأولى وهذه الحرب. وهكذا يتبادل الفريقان الكلام الخادع، وهم يعرفون ما كان في هذه المدة من فجائع وأحداث أليمة بسبب ذلك النكث والغدر. ولا نزال نتساءل عما إذا كان نوري السعيد وهو أبرز فرسان هذه الحلقة قد استطاع أن يحصل على عهد أو تصريح أو وعد في صدد استقلال بلاد العرب وحريتهم ووحدتهم من حلفائه، يبرر به نفسه أمام التاريخ وأمام الأمة هذا الإندماج وهذا الموقف.

3 ـ جلسة حامية في مجلس نواب الإنكليز في صدد الجبهة الثانية ومداها وآثارها:

سمعنا إذاعة لندن تذيع شيئاً من بيانات مجلس النواب الإنكليزي، وتشير إلى جلسة حامية عقدها هذا المجلس لاستماعها. ومما أذيع من البيانات التشرشلية أن الروس مغيّرون لعدم فتح الجبهة الثانية، وأنهم غير راضين عن ما يبدو من تأخر في تحقيق رغبتهم، وأنه لقي صعوبة كبيرة في إقناعهم بمبررات الموقف. وهذا الكلام يدل على أن رحلة تشرشل لموسكو كانت رحلة اضطرارية، وبسبب ما كان من اغبرار واضطراب في روسية، من جراء جمود موقف السكسونيين الحربي إزاء ضغط الألمان الجبار على روسية. وقد قرأنا في جريدة الجمهورية التركية حملات شديدة شنها بعض النواب من حزب العمال على شرشل. وقد قال أحدهم إن اضطرار إنكلترا ليكون شرشل رئيس وزارتها هو كارثة وطنية. وقال آخر أن كل ما ملأ به تشرشل الدنيا من كلام وتهويل وما كان من استعداد عظيم خلال ثلاث سنوات لم يكن له من نتيجة إلا إشغال بضعة آلاف من الألمان والطليان في جبهة مصر. وألحّ نواب العمال على وجوب فتح جبهة جديدة في أوروبا في أسرع وقت. وهذا الإلحاح يبديه كل من سفيري الروس في لندن وواشنطن، الأمر الذي يدل على أن رحلة شرشل لم تحل المشكلة، وأن الروس لا يرون لها حلاً إلا في جبهة أوروبية ثانية. وهذا ما أخذ يتضاءل البحث في شأنه في صحف إنكلتره وأميركا التي تقول أن هذا من اختصاصات وتقديرات القيادات العسكرية.

4 ـ نداء سن هتلر للشعب لتقديم معونة الشتاء للجيش ومداه وآثاره:

أذاع هتلر نداء للشعب الألماني يحثه على تقديم مساعدة الشتاء للجيش. ولقد أذاع مثل هذا النداء على أبواب الشتاء السابق، وكان نتيجة له أن قدم الشعب (65) مليون قطعة شتوية متنوعة من الفرو إلى الجرابات. وكان هذا النداء موضوع تعليقات صحف تركية، حيث رأى المعلقون فيه إعترافاً من هتلر بأن الحرب الروسية بائتة هذا الشتاء أيضاً، وأن احتمال كسر الروس نهائياً قبل حلول الشتاء ضعيف إن لم يكن مستحيلاً. غير أن الخبير العسكري في جريدة الجمهورية التركية قال أن من الممكن أن يستولي الألمان خلال الشهرين الباقيين إلى الشتاء على موسكو ولينينغراد، وأن الألمان إذا بقوا في روسية هذا الشتاء فإنهم يكونون بقوا لأن روسية لم تستسلم وتعقد صلحاً، ويكونون قد جعلوا الجيش الروسي غير ذي خطر، وهذا هو هدف رئيسي من أهداف حربهم مع روسية. ولا ندري إلى أي درجة يصح الإركان إلى هذا الرأي. فإن لينينغراد المحاصرة منذ سنة ولم يمكن إسقاطها، فكيف يمكن هذا خلال الشهرين. كما أن الجيش الروسي في الوسط والشمال في موقف المهاجم الآن، وبالتالي إنه قوي سليم بقدر الإمكان. والناس يعلقون أهمية كبيرة على سقوط ستالينغراد خاصة، ويقولون أن سقوطها قد يفتح الإمكان لتطور كبير في الحرب الروسية على ما ذكرناه سابقاً. ولقد مر أكثر من شهر على زحف الألمان على هذه المدينة وما زالت صامدة، وكل من الروس والألمان يكثفون حملاتهم الهجومية والدفاعية حولها. وكل منهما يقدر

خطورة المدينة وخطورة سقوطها في موقف الحرب الروسية. والوصف الذي تصفه مصادر المحور لاستحكامات هذه المدينة عظيم هائل يلقي في النفس الدهشة والروعة. ومع ذلك فالظواهر تدل على أن قوات الألمان في موقف الناجح وتتقدم يوماً بعد يوم وتضغط على القوات الروسية وتضطرها إلى التقهقر، وصار احتمال قرب سقوطها أقوى من ذي قبل. وسقوطها يحل عقداً كبيرة في الحرب الروسية على ما يظهر. إذ تصبح روسية الجنوبية منفصلة عن روسية الشمالية، وتصبح أهم منابع البترول الروسي وأهم حقول القمح والمعادن الروسية، وأهم مراكز الصناعة الحربية الروسية في حوزة الألمان. وإذ يصبح الذراع الألماني الممتد في القفقاس أميناً من المباغتات الحربية وحراً في سيره وتقدمه. وإذ يتحرر نحو مليون جندي ألماني فيتمكنون من الاتجاه في اتجاه الفولغا الشمالي، وتهديد موسكو والجيوش الروسية المركزية من الشرق، وجعلها بين نارين. وإذ يقطع خط مواصلة الروس مع إيران والبصرة عن طريق بحر الخزر، وهذا طريق مدد السكسون لروسية. وكل هذا له تأثير في سير الحرب الروسية بل وفي مصيرها. والمخاوف مستولية على الأوساط السكسونية والروسية من سقوط ستالينغراد لهذه الأسباب، وإن كانت الآن تحاول التخفيف منها تخفيفاً لوقع سقوط ستالينغراد المنتظر.

ومما لفت النظر النداءات التي توجهها الصحف والإذاعات الروسية، والتي وجه مثلها أو بدأ بتوجيهها ستالين إلى الجيش الروسي والشعب الروسي بعدم التقهقر خطوة واحدة، لأنه لم يبق للروس أرض يتقهقرون إليها. وقد كتبت جريدة صون تلغراف التركية مقالاً بهذه المناسبة، أوضحت فيه مدى هذه النداءات، وقالت أن ما بعد الفولغا وفي الجنوب ليس فيه أكثرية سلافية، وإنما يقطنه عناصر غير سلافية. وأن عواطف هذه العناصر وجهدها الحربي لا يمكن أن يكون مثل عواطف وجهد العناصر السلافية، وأن في هذا مكمن خطر لا يخفى على رجال السوفييت. ولكن هذه النداءات لم تمنع إلى الآن الروس من التقهقر أمام ضغط الألمان الجبار في الجبهة الجنوبية، وقد زاد الموقف حراجة بالنسبة للروس استيلاء الألمان على مرفأ نوفوروسيك، وهو المرفأ العظيم الذي بقي لهم على البحر الأسود، والذي كان يأوي إليه الأسطول الروسي بعد سقوط سيباستيبول. فلم يبق على هذا البحر مرفأ أمين صالح صلاحاً تاماً، وأصبح الأسطول محفوفاً بالخطر. واستيلاء الألمان على هذا المرفأ العظيم فتح أمامهم طريق ساحل هذا البحر وأصبحوا أحراراً أكثر من ذي قبل في حركاتهم في الجبهة الجنوبية، وجعلوا جيشهم في القريم يقفز إلى الضفة القفقاسية، ويرفد الجيش العامل في الجبهة الروسية.

وعلى كل حال إن الأفكار متجهة إلى ستالينغراد وما سوف يأتي به سقوطها من تطورات إذا سقطت، وخاصة بعد سقوط هذا المرفأ العظيم.

5 ـ تحرك جبهة مصر ومدى ذلك ونتائجه المحتملة:

في هذا الأسبوع تحركت جبهة مصر بعض الشيء ولفتت إليها أنظار العالم وأنظارنا معاً. وكانت حركة فيها شيء من القوة والجد، وأذيع أن رومل استكمل عدته وزحف وسجل تقدماً

نحو (12) كيلومتراً في شرقي جبهة العلمين، وبدا الهلع على الأوساط السكسونية. وقد استطاع الجيش البريطاني أن يصمد أمام الهجمة بل وأن يجبر قوات رومل على التراجع إلى قرب مراكزها الأولى. ثم عادت الجبهة إلى سكونها، وادعى الانكليز بأن حركة رومل كانت حركة قوية شاملة، وادعى الألمان بأنها حركة كشفية وللتجربة. ومما يدل على مخاوف الإنكليز شدة فرحهم واستبشارهم حينما استطاعوا أن يصمدوا، وحينما رأوا قوات رومل تتراجع إلى مراكزها. وقد قرأنا لخبير عسكري تركي أنه كان وما يزال يعتقد أن حركة رومل كشفية، وأنه لن يكون حركة قوية شاملة إلا بعد سقوط ستالينغراد واستعادة قوات المحور حريتها وسلامتها في الزحف إلى الجنوب وانقطاع الصلات بين شمال الروس وجنوبهم، فحينئذ يمكن القول أن قوات المحور تسير كذراعي كماشة. أما قبل ذلك فإن رومل لا يجرأ على السير وحده، ويقوم بواجبه من إشغال قوى السكسونيين عن مد الروس في القفقاس.

وأضاف إلى هذا أنه يكاد يظن أيضاً أن سقوط ستالينغراد لا يكفي وحده لسير رومل، وإنما توقف الحرب الروسية هذا الشتاء هو الذي يعين خطة رومل، وأن رومل لا يستطيع أن يقوم بحركة قوية ما لم يحصل على مدد كبير. والألمان الآن في شغل في الجبهات الروسية، فإذا دخل الشتاء وأوقف الألمان حركاتهم بشكل من الأشكال، وكانت ستالينغراد سقطت في أيديهم على الأقل، أمكنهم إرسال مدد كبير لرومل، وأمكن بذلك تسيير ذراعي الكماشة في القفقاس ومصر معاً. ولهذا فإن من المحتمل أن يكون الشتاء مسرح الحرب في الشرق الأدنى والأوسط، وهذه آراء لا تخلو من منطق وصواب.

6 ـ رحلة ويلكي ممثل روزفلت لبلاد الشرق وبريطانيا وروسية والصين ومداها:

من الحوادث التي شغلت الصحافة والإذاعة في هذه الأيام، الزيارة التي يقوم بها ويلكي الأميركي إلى بلاد الشرق. وهذا كان منافساً لروزفلت في انتخابات الرئاسة ومزاحمه من الحزب الديموقراطي. وهو يقوم بهذه الزيارة كممثل شخصي لروزفلت، وكان أول قطر زاره مصر، ثم جاء إلى أنقرة، ومنها ذهب إلى العراق وطهران، وسيذهب إلى موسكو والصين أيضاً. ويتصل برجال هذه البلاد باسم روزفلت، ويحمل كتباً خصوصية منه لرؤساء هذه البلاد. وقد أذيعت بيانات له في أنقرة أدلى بها للصحفيين وجاء فيها أنه يتوخى في زيارته:

1) نفي ما يقال من أن هناك خلافاً في أغراض الحرب والصلح بين أميركا وبريطانية.

2) نفي ما يقال من أن هناك اختلاف بين الأميركيين أنفسهم في ذلك.

3) إعلان تصميم الأميركيين على اختلاف أحزابهم على مواصلة الحرب وبذل كل جهد في كسبها.

4) بيان مدى الجهد الحربي في أميركا الذي يحمل الشهادة على قوة الأمل من كسبها. وقال فيما قال أن اميركا تنتج اليوم خمسة آلاف طائرة في الشهر، ولا يمضي إلا وقت قليل حتى يقفز هذا العدد إلى عشرة آلاف. وأنها تنتج في الشهر أكثر مما يغرق من البواخر، ولن يمضي إلا وقت قليل حتى يتضاعف العدد، بينما يقل

عدد المغرق. وأنه مطمئن إلى أن طابع الحرب قد أخذ يعبس في وجه المحور في جبهة مصر، وأصبح الخوف من عودة رومل إلى الهجوم في حكم الزائل. وعلى كل حال فإن أغراض هذه الجولة الدعائية ظاهرة، فهي من جهة لبعث الثقة والطمأنينة بقوة وعظمة أميركا وجهدها وأملها في كسب الحرب، ودعوة العالم إلى الإيمان بذلك. ومع ذلك فهي من دون ريب تحمل طابع القلق في نفوس الأميركيين من موقف الشرق من إنكلترة، وتحاول أن تتلافى أسبابه فيما نعتقد. وقد اهتم العراق خاصة للحفاوة بالرجل، فاستقبله استقبالاً رسمياً وعسكرياً، وأقام له الوصي وليمة ملوكية رسمية، ورفعت في موكبه الأعلام الأميركية والعراقية معاً، وحشدت جموع للهتاف له، مع أنه شخصية غير رسمية. وهذا الذي علمناه من الإذاعات، ولم نسمع من إذاعات أنقرة ومصر وإيران أخبار حفاوة كبيرة. وهذه رعونة وغلو في الرياء يبدوان من نوري والوصي.

7 ـ دخول الحرب سنتها الرابعة والإحتمالات المتوقعة وتعليق على ذلك:

في أول هذا الشهر تدخل الحرب في سنتها الرابعة، وكان هذا وسيلة تعليقات وإذاعات محورية وسكسونية وحيادية وعسكرية وسياسية متنوعة. وكلها تقدر بأن الحرب ما تزال بعيدة عن النهاية وأنها ستطول أكثر مما ينتظر.

والسكسونيون لا ينوؤون في الحشد والإستعداد والتصميم والعتاد والمحوريون لا يقلون عنهم في ذلك، بالإضافة إلى كونهم في موقف الظافر في الشرق الأقصى وفي أوروبا، ولن يمكن إخراجهم من البلاد الواسعة الغنية التي دخلت تحت سيطرتهم بسهولة. ولا سيما أن طاقتهم وقدرتهم على المقاومة زادت بها كثيراً. وكان هذا نقطة ضعف في بنيانهم. وطبيعي ما لم تقع مفاجآت خطرة في داخلية روسية أو ألمانيا أو أميركا أو بريطانية، فإن أحد الطرفين لن يجنح إلى السلم قبل أن يُكسر. وكسر أحد الطرفين بسرعة ليس منتظراً. وهذا ما يبني عليه القائلون بطول أمد الحرب قولهم. على أن السكسونيين يأملون أن يكونوا في السنة الجديدة الرابعة في موقف يساعدهم على الزحف والهجوم، وفي السنة التي تليها في موقف المنتصر النهائي، ويعولون تعويلاً كبيراً على ما سوف يكون عندهم من مئات آلاف الطيارات والدبابات وملايين الجنود المرتاحين، الذين لم يصابوا بعد بمصائب فادحة كما هو حال الألمان والطليان خاصة. وفي الحقيقة أن الزمن في جانبهم، فعندهم الآن ما يزيد حتماً على عدة ملايين جندي في بريطانية وأميركا على قدم الاستعداد، أو حينما تتم معداتهم، في حين أن الألمان قد أصيبوا بضربات عظيمة وتعبوا تعباً شديداً في هذه السنين الثلاث. وحتى لو انتصروا على روسيا نهائياً فإن هذا لا ينتقص من القول السابق.

والمحوريون يأملون من ناحيتهم أن يحطموا قوة روسية وأن يهدموا الأمبراطورية البريطانية في الهند والشرقين الأوسط والأدنى في هذه السنة والسنة القادمة، ويرون إذا تم لهم هذا صار موقف السكسونيين في أشد الحرج ولم يعد ينفعهم مئات المليارات التي أنفقوها وينفقونها على الإنتاج الحربي. ومع أن موقف المحوريين مما يجعل هذا الأمل غير وهمي، فإن لمفاجئات الحروب حساباً مخيفاً. فستالينغراد وحدها

أخّرت أو عرقلت الآلة الحربية الألمانية شهراً كاملاً من أهم شهور الإمكان الحربي، وقد أخذ الشتاء يقبل بسرعة قبل سقوطها، وأخذ الثلج يتساقط في بعض أنحاء الجبهة الروسية من الآن. وهكذا ضاق الوقت المساعد للمحور في صدد تحقيق أملهم المذكور.

وطول أمد الحرب مما يدخل الهم والفزع في قلوب البشر على اختلاف معسكراتهم، لما يقع فيها من نكبات وفواجع، ويصيب الناس فيها من قلق نفسي وتوتر أعصاب ودواعي الحزن، وما يرونه من مظاهر الوحشية والتهديم والتحطيم مهما قيل في طبيعتها وطبيعة البشرية معا. لطف الله بعباده.

8 ـ شيء مما جرى في مصر حينما دخلت قوات المحور أرض مصر وفرار الكاتب العقاد وأقواله وتعليق على ذلك:

حينما دخل رومل أرض مصر وأحدق الخطر بالقطر المصري فرّ كثير من الإنكليز واليهود والمغالين في موالاة الإنكليز من المصريين من مصر. ومن جملة من فرّ عباس محمود العقاد الكاتب المصري المعروف، فهذا الكاتب لم يعتدل في ما يكتب ويذيع عن المحور، بل أفرط إفراطاً عجيباً بل مستهجناً يدل عليه كتاب أصدره عن جنون هتلر. وقد ذهب إلى السودان فأقام فيها أياماً، فلما جمدت الحركة ولم يتحقق الخطر المخيف عاد. وقد أثر عن لسانه أنه قال لمعاتبيه أن له في هجرته أو فراره أسوة بمحمد.. وهكذا يضيف إلى ما هو معروف من غروره وغلظته غرورا وغلظة، دون أن يفكر في الفارق العظيم بين هجرة محمد ﷺ وهجرته. فمحمد صاحب دعوة وقف أهل وطنه في وجهها وآذوه واضطهدوا متبعيه وحاولوا قتله، ثم وجد بيئة جديدة تستعد لمناصرته فيها. أما هو فقد سلك سبيلاً فيه غلّو ورقاعة، وأخذ على ذلك أجراً من الأجنبي المتحكم في بلاده، والتي جنت هذه البلاد منه المر والحنظل. ثم لم يرضه موقف بلاده وموقف حكومته وموقف مجلس نوابه وشيوخه من الحياد والوقوف موقف المحتاط المتحفظ بالنسبة للمحور، ثم لا يخجل من قياس فراره هذا بهجرة محمد ﷺ.

ومن اخبار مصر أن السلطات اعتقلت ثلاثة من كبار ذوي الصلات الحميمية بالملك، وهم شريف صبري خال الملك، ومحمد طاهر باشا أحد أصهار الأسرة المالكة وابن خالته أو ابن عمة الملك، والامير عباس أحد أمراء الأسرة. فإذا صح هذا فيكون الإنكليز متحسبين جداً من مخامرة الملك ومصممين على تجريده من أنصاره وتطويقه. ويدل على أنهم يجدون في النحاس تعضيداً، لأن الاعتقال لا بد من أن يكون تم من طرف السلطات المصرية. وقد سبق أن شرحنا موقف الملك وأسباب وقوف الإنكليز منه موقف الحاقد المتربص.

9 ـ تشريع إنكليزي في فلسطين لإباحة جلب معتقلين من الخارج إليها:

ومن أخبار فلسطين أن المندوب السامي أصدر قانوناً يبيح له أن يجعل فلسطين مكان اعتقال لأناس يؤتى بهم من المستعمرات الأمبراطورية، ولم نستطع أن نتبين مدى هذا العمل، فهل يريد الإنكليز أن يأتوا بخصومهم

ومعتقلين في الهند أو غيرها أو مصر أو العراق إلى فلسطين ويجعلوا فيها معتقلاً لهم؟ وقد خطر لنا احتمال نقل معتقلي مصر إلى فلسطين كمرحلة من مراحل انتقالهم إذا ما أحدق الخطر بمصر، إذ أن الخطر على فلسطين يكون في الدرجة الثانية. وكان أذيع أن علي ماهر نقل إلى فلسطين ثم ظهر أن الخبر غير صحيح. فهل اصطدمت فكرة نقله بعقبة قانونية أريد تذليلها بهذا القانون؟ وخطر لبالنا احتمال رغبة الإنكليز في نقل معتقلي العراق من روديسيا في جنوب أفريقية، فإن ناجي باشا السويدي، أحدهم قد توفي فيها، ولا يبعد أن تكون وفاته قد أثرت في أفكار العراقيين، فأراد الإنكليز أن يتلافوا ازدياد الحقد بنقل باقي المعتقلين العراقيين إلى مكان أصلح طقساً لئلا يموت آخرون في المعتقل البعيد الشديد الحرارة، فيزداد الحقد ويسود الإعتقاد بأن الإنكليز يقتلونهم. وخطر لبالنا أن ينقلوا إلى فلسطين المعتقلين من زعماء الهند التي هي الآن في ثورة لاهبة. وعلى كل فستكشف الأيام لنا مدى هذا القانون والمقصد منه.

10 ـ تعليق على وفاة ناجي السويدي وتنويه بشخصيته ووفاة امين التميمي وعارف الجاعوني ايضا في روديسيا:

وبمناسبة ذكر وفاة ناجي السويدي نقول أنه كان لوفاته رنة حزن في العراق وفي نفوسنا أيضا. فقد كان له في تاريخ العراق السياسي مواقف قوية من السياسة الإنكليزية، وترأس وزارة العراق، وشغل وزارات عديدة في عدة مناسبات، وكانت استقالته من رئاسة الوزارة بسبب موقف السفير البريطاني من تعديل المعاهدة وتعديل اتفاقية استخدام موظفي الإنكليز ومرتباتهم، وكان موقفه شريفاً قوياً. وقد عرفته عن كثب في مؤتمر بلودان الذي عقدناه في أيلول 1937 لقضية فلسطين، وقد رشحناه لرئاسة المؤتمر، فأداره بحنكة وقوة، وخطب خطبة قوية في صدد علاقات العرب بالإنكليز وموقف الإنكليز في فلسطين. ودخل في وزارة رشيد عالي الثورية، فلما انهارت المقاومة ذهب إلى طهران مع من ذهب، وهناك اعتقل مع من اعتقل وأرسل إلى روديسيا فيمن أرسل اليها.

وليس ناجي الوحيد الذي توفي في روديسيا، فقد توفي فيها أمين التميمي صديقنا وعضو المجلس الإسلامي وعضو مؤتمر لندن لسنة 1938 ـ 1939، وعضو وفد فلسطين لبريطانية سنة 1922، وكان هو أيضاً مندمجاً مع المفتي في ثورة العراق، وذهب مع الذاهبين إلى طهران واعتقل فيها. وتوفي أيضاً عارف الجاعوني من رجال الحاج أمين المقربين، الذي مر ذكره في مناسبات سابقة، حيث اعتقل أيضاً في طهران حينما رافق المفتي في سفره إليها. رحمهم الله جميعا.

11 ـ زيارة ديغول لسورية ولبنان وخطبته وتنويهه بعظمة فرنسة:

ومن أخبار سورية أن ديغول زار سورية ولبنان وخطب خطبة مسهبة في بيروت في اجتماع حضره عدد كبير من رجالات سورية ولبنان رسميين وغير رسميين. وقد قرأنا الخطبة في جريدة النهار... وقد نوه فيها بعظمة ومدنية فرنسة وخلود روحها، وحمل على حكومة بيتان ـ فيشي وجيشها واستخذائها للأجنبي. ثم نوه بعلاقة فرنسة بسورية ولبنان، وما أظهره القطران

نحـوهـا من عـطف. وذكـر مـا تم من إعـلان استقلالهما، وأكد عزم فـرنسة على الإحتفـاظ بمركزهـا فيهما والقيـام بواجب الـدفاع عنهمـا وحمايتهما بعد الحرب أيضا.

* * *

يوم الثلاثاء 29 أيلول 1942:

1 ـ خطاب لوزير خارجية المانيا في مناسبة ذكرى توقيع الحلف المحوري ومداه:

في هذا الأسبوع ألقى وزير خارجية ألـ نيـا خطاباً بمناسبة ذكرى توقيـع الحلف المحوري الثلاثي، ذكر فيه الأحداث والـوقائـع الحربيـة والسياسية. وقال فيما قال أن دول المحور في موقف الظافر في كل ميدان، وأن ما دخل في حوزتها من المنابع والمساحات قد ساعد على ازدياد قدرتها ومقاومتها مساعدة ستحطم كل أمل عند السكسونيين في صدد ضعف مقاومة دول المحور وقلة المادة لديها. وذكر روسية كمثال، فقال إنها قد فقدت أربعة عشر مليونا بين قتيل وجـريح وأسيـر، وأن مـا في يـد الألمـان من أراضيها هو نصف أراضيها في أوروبا ومساحته مليون ونصف كيلو متر مربع، ويقطن فيه نحو تسعين مليون نسمة. وفيه أعظم منابع الـروس في المعادن والغلات والمصـانع. وأن معـركة ستالينغراد ستقرر تقريباً مصير الحرب الروسيـة وربمـا مصير الحـرب كلهـا. ولـذلـك فـإنهم يستميتـون في سبيلها ولكن عـاقبتها محتـومة. وسخر بتهديد الإنكليز بالجبهة الثانية، وتحداهم أن يجربوا حظهم، ووجه مسؤولية الحرب إلى الانكليز وروزفلت، وقال أن روزفلت يستهدف سيادة العالم وتكاد بريطانيا تصبح من اليوم تابعة لأميركا. وقد أخذت أميركا تتوسع في الشـرق

والغرب على حسابها. وسخر كذلك بتهديد السكسونيين بالحرب الجوية، وقال إن هذه الحرب لم تحقق الأغراض العسكرية التي استهدفتها. وأن الألمان يعدون كل قنبلة ويحصون كل منزل هدم أو شخص قتل ليكيلوا لهم بالكيل الأوفى في يوم قريب..

2 ـ بيانات ويلكي عن روسية ومداها:

نشرت الصحف بيانات أدلى بها ويلكي الأميركي في موسكو قبل مغادرته إلى الصين، وقد أشاد فيها بعظمة الروح الروسية وجهدها وعزمها على المقاومة وبعظم تضحياتها. وإلى هذا كان في بياناته حقائق هائلة في صدد تصوير الكارثة في روسية. فقد ذكر أن الأكثرية الساحقة من الشعب الروسي سيبقى هذه السنة بدون وقود، وأن مواد الغذاء تنقصه إلى درجة تجعل حالة روسية أكثر من رديئة. وأنه ما عدا الجيش والعمال في المصانع الحربية لن يجد أحد ما يلبسه، وأن روسية قد فقدت مساحات عظيمة من أراضيها يقطنها ستون مليوناً، وفقدت خمسة ملايين من أبنائها. وأنه اقتنع أن أعظم عمل تساعد به روسية هو المسارعة إلى فتح جبهة ثانية جدية ضد ألمانيا، وأن ذلك إذا تأخر إلى صيف السنة الآتية قد تضيع الفائدة منه ويأتي بعد أوانه.. وقال إلى هذا إنه مع كل ما يعانيه الروس من الشدة ويتوقعونه من الكوارث لم يسمع من أحد كلمة في صدد عدم المقاومة أو الضعف فيها. ومعنى كل هذا أن الرجل لمس في موسكو حقائق مفزعة وخاصة في الموقف الحربي والموقف الغذائي، وأنه يغادر روسية وهو يتوقع انهيارها وخسران الحرب إذا لم يسارع السكسونيون إلى فتح جبهة ثانية، وإذا كان ويلكي قال ما قال وهو في موسكو، فلا ريب أنه لطف عباراته وزخرفها، وأنه يحمل في نفسه عقيدة أشد مما صرح به وأدعى إلى الفزع.

3 ـ خطاب لوزير خارجية بريطانية وتنويهه بالقصف الانكليزي على المانيا وآثارها وآماله بالنصر:

خطب هذا الأسبوع ايدن وزير خارجية بريطانية فنوه بخطابه بما تعلقه بريطانية على الهجمات الجوية التي يقوم بها الطيران الإنكليزي على ألمانيا، وقال أن هذه الهجمات قد اشتدت كثيراً عما كانت سابقاً، وأنها أخذت تحقق أهدافها في شل الحركة الصناعية الحربية الألمانية وفي كسر معنويات الألمان. وأنها سوف تشتد أكثر في الآتي، وأنها من أكبر وسائل المساعدة لروسية. ثم نوه بما يرسل إلى روسية من المواد المتنوعة الحربية وغير الحربية رغم شدة احتياج بريطانية لها. وكان هذا رداً على اتهام بريطانيا بالتقصير في ذلك. وأكد العزم على مواصلة الحرب إلى أن يقضي قضاء مبرماً على النازية والفاشيستية وفكرة الحرب والإعتداء...

4 ـ تصريحات أميركية عن اليابانيين ومزاياهم:

ونشرت الصحف تصريحات لسياسيين أميركيين عن اليابان، منها تصريح لسفير أميركا السابق في اليابان، جاء فيه أنه بناء على ما يعرفه من حالة اليابانيين الروحية والقومية يرى أنه من الصعب جداً كسرهم، لأن الياباني قنوع جداً

وكتوم جدا ودؤوب جداً. وكل هذا يجعله في حالة روحية عالية دائماً، وقادر على مقاومة كل كارثة أو هزة، على عكس الألمان الذين تؤثر الأنكسارات والهزات في معنوياتهم، وأن على السكسونيين أن يحسبوا حساب اليابان حتى ولو كسروا ألمانيا في أوروبا. فهي عالم قائم بذاته وقوة هائلة لا يمكن كسرها.

ومن هذه التصريحات تصريح لكاتب أميركي قام برحلة إلى ألاسكا لتفقد التحقيقات والحركات الحربية، وجاء في تصريحه أنه يعتقد أن إخراج اليابانيين من المناطق التي استولوا عليها صعب جداً. وأن على أميركا وبريطانيا بذل جهود شاقة ومديدة في سبيل ذلك.

5 ـ تصريحات عجيبة ومستهجنة لصموئيل هور وتعليق عليها:

ونشرت الصحف تصريحات لصموئيل هور وزير خارجية بريطانية سابقاً وسفيرها الآن في مدريد، بدت مستهجنة الأسلوب عجيبة المرمى، حيث ذكر قلق الأسبان من سير الحرب ومخاوفهم من انتصار روسية الشيوعية وما يوجده انكسار ألمانيا من فراغ وفوضى في أوروبا. وقال أن على بريطانيا وأميركا تطمين هذه المخاوف، وأن تزود الشعوب بالمؤن والدفاع لتفادي ما سوف يكون من فوضى ومجاعة بعد الحرب. ثم حمل حملة شديدة على النازية، وقال أن تخريبها أشد ضرراً من تخريب الكفار تحت راية صلاح الدين، وأن أوروبا كما قامت بحرب صليبية ضد هؤلاء الكفار يجب أن تقوم بحرب صليبية لتحطيم النازية ووقاية البشر من تخريبها. ودعا إلى إحياء الروح والتضامن بين المسيحيين لتكوين وحدة معنوية وروحية لمقاومة الشر وروح التخريب. ووصف المسلمين الذين تصدوا لمحاربة الغزاة الصليبيين بالكفار، والتخريب هو المستهجن في تصريحاته.

وقد تصدى الكاتب التركي عمر رضا للرد عليه، وهاجم بريطانية في مقال نشرته له جريدة الجمهورية، وقرّع السفير على ما بدا منه من تعصب ذميم وجهل بحقائق الأمور ورجعية منكرة في وصف المسلمين بالكفار والمخربين، والتنويه بالصليبيين الذين تكشفوا عن أخلاق بربرية وأطماع مادية وأعمال وحشية. وقال إننا ما كنا لنعبأ بقول هذا الرجل لو كان عادياً. فمثله في أوروبا كثيرون في الجهل والرجعية والتعصب، وإنما لصدوره عن شخصية رسمية الآن وكانت تشغل وزارة خارجية الامبراطورية البريطانية فيما سبق، واستهجن واستغرب هذه التصريحات المثيرة للمسلمين في وقت تخطب بريطانية فيه ودهم. وقال إنها من شأنها الكشف عن ذهنية الإنكليز نحو المسلمين، وأن المسلمين لن ينسوها قط.

والحقيقة أن صموئيل هور في تصريحاته يعطي صورة عن روح السياسيين الإنكليز نحو الشرق والمسلمين، وينم عن جهل عجيب وتعصب قبيح. وكان عمر رضا موفقاً في مقاله واستحق منا الشكر والثناء.

6 ـ حرب ستالينغراد البطلة العظيمة وتعليق عليها:

ما زالت ستالينغراد تقاوم وما زالت مركز أنظار العالم وترقبهم وإعجابهم ودهشتهم. والوصف الذي تصفه الصحف والإذاعات عن

المجازر التي تقع فيها مفزع رهيب حقاً. فمنذ أسبوعين والقتال مستعر في شوارعها، وقد حول الروس كل بناء الى حصن، وكل شارع إلى خط دفاع. وصار على الألمان أن يحتلوا كل بناء بل كل غرفة في كل بناء وكل شارع بل كل عطفة أو رصيف في شارع، والكر والفر بين الفريقين في هذه المجالات الضيقة رهيب فظيع والأشلاء والدماء قد ملأت المدينة، والمدافع والطيارات قد دمرتها وجعلتها انقاضاً. والروس متحمسون في الدفاع عنها إلى أقصى حدود الحماس. والألمان مستميتون في إتمام الاستيلاء عليها إلى أقصى حدود الاستماتة. والكتّاب والخبراء يبنون تخميناتهم على ذلك الحماس وهذه الاستماتة، ويقولون أن كلا الفريقين بعد هذه المدينة عقدة العقد أو أهم العقد في الحرب الروسية ومصيرها. والألمان لا يكتمون دهشتهم وإعجابهم بقوة مقاومة دفاع وروح الروس.

وهكذا، سوف تكون ستالينغراد مثلاً خالداً في هذه الحرب وصورة مفزعة من صورها، وكل ما قيل إنها تعيش آخر ساعاتها تمر الساعات والأيام والأسابيع وهي صامدة، حتى اضطر الألمان إلى القول أنهم لا يزالون في حاجة إلى وقت آخر لضبطها. والفريقان لا يزالان يأتيان بقوات جديدة لتقوية موقفهما. غير أنه على ما يظهر من أخبار أمس وأول أمس أن النهاية قد قربت. فالروس قالوا اليوم إن الحالة وصلت إلى أوخم موقف، واعترفوا باستيلاء الألمان على معظم أقسام المدينة، ولم يبق صامداً إلا جزء من شمالها. والناس يضربون في التخمينات في ما سوف تتجه إليه الحرب بعدها، ولا سيما أنها استطاعت تعطيل جهد الألمان في الجبهات الروسية الأخرى إلى أن كاد يداهمهم الشتاء.

7 ـ اجتماعات عامة سنوية في تركية لاستماع آراء الناس في مختلف الشؤون:

من جملة العمل التنظيمي لحزب الشعب في تركية، وهو الحزب الوحيد الذي يتجلى فيه نشاط تركية السياسي والاجتماعي، وهو الحزب الرسمي الوحيد، أن تعقد اجتماعات عامة في مركز كل قضاء في تركية في الخريف، يشترك فيه أولو الرأي والوجاهة والمثقفون من عامة الناس، ليدلوا بما يعن لهم من اقتراحات وآراء ومطالب في صدد التشريع والإدارة والشؤون الاقتصادية والعمرانية والتعليمية المتنوعة. وقد أخذنا نقرأ منذ شهر في الصحف أخبار هذه الاجتماعات وتنظيم الحزب لها. وهذه طريقة حسنة صائبة ولا ريب في صدد التعرف على أفكار الناس والوقوف على ما تحدثه أعمال الحكومة وقوانينها من رد فعل فيهم، وما يتطلبونه في صدد التحسين الاجتماعي والاقتصادي والعمراني، وفيها في الوقت نفسه تنفيس وإطلاق بريحان الناس ولا ريب. ويدرس ما يبديه المجتمعون وما يقررونه في هذه الاجتماعات في هيئات الحزب في الولايات. وقرارات هذه الهيئات تدرس من قبل هيئة الحزب العليا، ثم تقدم حصيلة الدرس للحكومة التي تدرسها بدورها وتتخذ ما يتراءى لها من قرارات في صدد التنفيذ. وإنه لمن المفيد للبلاد العربية اقتباس هذه الطريقة في جملة ما يحسن اقتباسه من أنظمة وتنظيمات تركية.

8 ـ ارتفاع الأسعار في تركية وتعليق عليه:

غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار مشكلة من مشاكل البلاد العربية اليوم، وهو كذلك مشكلة مشاكل تركية الداخلية. والصحف التركية مملوءة دائماً بالأعمدة التي تبحث هذه المشكلة وتذكرها بشتى الأساليب. وحالتها في تركية أغرب منها في البلاد العربية التي تسيطر عليها دول محاربة مضطرة إلى تموين جيوشها وبلادها في ذات الوقت. والمدقق يندهش حينما يرى مع ذلك أن أسعار المعيشة في تركية مرتفعة عنها في مصر والعراق وبلاد الشام، ويندهش حينما يرى خطوات التبدل والتحول نحو الارتفاع في الأسعار أكثر مما يتحمله منطق الحوادث. فمنذ سنة مثلاً كان كيلو السمن بمائة وثمانين قرشاً، وهو الآن بخمسمائة وكيلو الزيت بسبعين وهو الآن بثمانين، وكيلو اللحم بستين وهو الآن بمائة وستين، وكيلو العدس بعشرين وهو الآن بثمانين، وكيلو البرغل بثلاثين وهو الآن بمائة، ويقاس عليه غيره من مواد الغذاء.

والكتاب الأتراك حائرون كل الحيرة ومندهشون كل الاندهاش من ذلك. وقد شبهته جريدة الجمهورية في مقال كتبته اليوم بالبالون الذي تقطعت حباله فانفلت يسير في الفضاء بدون اتجاه وترابط ولا أمل بالضبط والحجز. وأكثر الكتاب لا يرون هذا طبيعياً، ولا سيما في المواد الغذائية التي تنتج في تركية وفيها الكفاية لحاجات أهلها، بل ومنها ما يزيد عن حاجتهم ويصدر كاللحوم والزيت. ويلاحظ أن كثيراً من المواد الغذائية ارتفع بنسبة 300٪ و400٪ و600٪ و1000٪ بالنسبة لما كان عليه قبل الحرب.

9 ـ التدين في الآستانة في رمضان:

بمناسبة شهر رمضان الذي نحن فيه لفت نظرنا حركة الصيام والتدين في الأوساط الإسلامية في الآستانة. وهذه الحركة تبدو خاصة في الأحياء الإسلامية الشعبية في الفاتح وبايزيد وبشكطاش وأقسراي الخ. فالمساجد تكتظ في النهار والليل بالمصلين من الرجال والنساء، مما يدل على أن أكثرية المسلمين ولا سيما الطبقات الشعبية يصومون ويصلون. وقد صلينا إحدى الجمع في جامع الفاتح، وإحداها في جامع يني جامع[1]، وإحداها في جامع السليمانية، ورأينا الاكتظاظ بأعيننا، وطبقات المصلين متنوعة من حيث السن والمظهر. غير أننا لاحظنا أن طبقة الشباب والصبيان قليلة. أما الخطباء فإنهم يتلون الأحاديث والآيات وديباجة الخطبة التقليدية بالعربية، ثم يخاطبون الجمهور بالتركية بالوعظ وتفسير الآيات والأحاديث. والأذان وإن كان باللغة التركية فقد سمعنا المؤذنين يلحنونه ويترنمون به حتى يصبح بترنيماته ومقاطعه كالعربي.

***

(1) يني جامع (الجامع الجديد).

يوم الاثنين
26 تشرين الأول 1942
14 شوال 1361:

1 ـ خواطر لنا في مناسبة عيد الفطر وكتابات الأولاد لنا:

صادف يوم الاثنين 12 تشرين أول أول أيام عيد الفطر. وهذا ثالث عيد نقضيه في الآستانة بعيدين عن الأهل والوطن، وقد تلقينا من الأولاد كتباً في العيد، وكلهم يلهجون بما فيهم من لوعة الفراق وغصة العيد الفارغ. وكانت كتابات سلمى ووطفا ونجاح خاصة بمثابة قصائد نثرية في رقة العاطفة ونقاء اللفظ وحسن الإنشاء. وسلمى خاصة قد بدت ناضجة في كتابتها وإنشائها، وأخذت ترصع كتابتها بأقوال الأدباء وشعر الشعراء وتستعير تشبيهاتهم. وقد كتبت لها أشجعها على الإكثار من المطالعة ما دام لم يتيسر لها هذه السنة مدرسة تداوم عليها.

2 ـ العيد في تركية:

وقد أعلن في تركية عطلة رسمية ثلاثة أيام في مناسبة العيد، غير أنه لا يجري مراسم عيدية حكومية كما كان الأمر في الدولة العثمانية، لأن الدولة الآن تتصف بصفة (العلمانية). وقد صلينا صلاة العيد في مسجد قريب من منزلنا، وقد اكتظ حرمه وفرشت الحصر في ساحته الترابية تحت السماء، فاكتظت هي الأخرى بالمصلين. ومحلتنا مع هذا ليست محلة إسلامية شعبية، ولا شك في أن هذا الاكتظاظ كان شديداً في المساجد الأخرى وخاصة في المناطق والأحياء الإسلامية الشعبية. ويسمي الأتراك هذا العيد باسم (شكر بايرامي ـ عيد الشكّر) ولا ندري من أين جاءت التسمية.

3 ـ خطاب هتلر وغورينغ وغوبلز ومدى الخطب ودلالاتها:

في هذه الفترة خطب هتلر خطاباً مسهباً، وكان أهم ما جاء فيه عن خطط الحرب الألمانية، أن الألمان سيأخذون ستالينغراد وأنهم سيحتفظون بكل شبر استولوا عليه ويستغلونه، وأنهم سيزحفون على كل ما يرون له لزوماً ويقفون موقف الدفاع حيث يرون ذلك لازماً. ثم كرر إعلان عقيدته بالنصر النهائي، وتحدى السكسونيين بالجبهات الثانية التي يهددون بها، ووصفهم بأنهم يتكلمون كثيراً بينما هو يدع الكلام للأفعال، وأن جواب الألمان على غارات الإنكليز الجوية سوف يسمع قريباً رهيباً. وأشار إلى الشتاء، فقال إن الجيش الألماني قد استعد له استعداداً تاماً، وأنه يقبل عليه باطمئنان عظيم، ولن يضايقه ما ضايقه في الشتاء الماضي من أهوال. وفي هذا ما يدل على شدة الهول الذي لاقاه الألمان في روسية في شتاء السنة الماضية. وخطب المارشال غورينغ ثاني رجل في ألمانيا ومارشال الطيران أيضاً، فقال أن ألمانيا لن تجوع كما يظن الأعداء، وأن انتظار المجاعة في أوروبا أيضاً في غير محله. وأن الألمان قد استطاعوا أن يستغلوا ما استولوا عليه إلى درجة كبيرة تقيهم شر العوز وتساعدهم على انتظار طويل.

وخطب غوبلز وزير الدعاية أيضاً، فقال أن

الزمن الآن في جانب الألمان، وأنه مقبرة السكسونيين بعكس ما يظنه هؤلاء تماماً، وأن الألمان إذا كانوا لا يردون على حملة السكسونيين الجوية فلأنهم يستخدمون أساطيلهم الجوية في الساعات الأشد لزوماً، وأن هذا لن يطول كثيراً.

وفي هذه الخطب تتجلى حقيقة احتمال طول أمد الحرب أولاً، واضطرار الألمان لتدبير أمورهم حسب هذا الاحتمال وعدم إنهاك قواهم إنهاكاً تاماً ثانياً. وكون قوى الألمان ليست كما كانت، وكونهم مضطرين إلى الوقوف موقف الدفاع في الجبهات الثانية حينما يكونون في حالة هجوم في جبهة من الجبهات، ولقد تجلى هذا في موقفهم في الخطوط الروسية. فهم في أثناء تكثيف قواهم ضد ستالينغراد وقفوا موقف الدفاع على طول الخطوط الأخرى، بل إن الروس كانوا يهاجمون بشدة لعلهم يتمكنون من التخفيف عن ستالينغراد. وكذلك عدم ردهم على الغارات الجوية السكسونية يدل على أن قواهم الجوية قد تضعضعت نوعاً ما، فهم لا يستطيعون أن يقاتلوا في الشرق والغرب معاً. وهذا طبيعي بعد حروب طاحنة مدة ثلاثة أعوام طوال في أوروبا جميعها، وأمام روسية الجبارة خاصة وفي شمال افريقية.

وهذا هو أهم ما يدعو القائلين بفتح الجبهة الثانية إلى الإلحاح على دعوتهم، على اعتقاد أن الألمان لن يستطيعوا أن يحاربوا بنجاح في جبهتين، وأن هذا هو العلاج الوحيد لتحطيم صولتهم. والسكسونيون الرسميون يعرفون هذا ولا ريب، ولكنهم على ما يظهر لم يستعدوا إلى الآن استعداداً يضمن لهم النجاح في مشروع جبهة ثانية، وأن الألمان مستعدون في شواطىء أوروبا الغربية استعداداً قوياً للدفاع. ولذلك فإنهم يرجئون تشبثاتهم الهجومية القوية إلى السنة الآتية، حيث يكونون قد أتموا استعداداتهم البرية والبحرية والجوية. وهذا ما يحسب الألمان حسابه فيحتاطوا في حركاتهم كما قلنا.

4 ـ تعليق تركي طريف في صدد إنهاك الروس للألمان وإنهاك الألمان للروس وكون ذلك مما يريده السكسونيون:

ومن طريف ما كتبه كاتب تركي أن السكسونيين سوف يقومون بفتح الجبهة الثانية حينما ينهك الروس قوى الألمان، ويكون الروسيين قد أنهكوا بدورهم إن لم يكونوا قد تحطموا، وحينئذٍ يهاجم السكسونيون الألمان المنهوكين بقوى جديدة نشيطة، ولا يبقى عندهم مخاوف من ناحية الروس بعد الحرب. لأنهم يكونون منهوكين أكثر من الألمان، وهم (السكسونيون) يجرون عملية أخذ من الألمان للروس ومن الروس للألمان وينهكون الطرفين في آن واحد.

وقد يوفقون في خطتهم هذه، وهم الآن يكثفون الإنتاج والإعداد والتجهيز، ويتوسعون في غاراتهم الجوية على مراكز ألمانيا الصناعية في ألمانيا وأوروبا المحتلة، اغتناماً لفرصة انشغال الألمان في الجبهة الروسية وبقصد تخريب ما يمكن تخريبه من مصادر القوة الألمانية وتمهيداً لتحقيق خطتهم الآتية.

5 ـ موقف الروس وستالين من جمود السكسونيين ومداه ودلالاته:

والروس وستالين خاصة يدركون ولا ريب قصد السكسونيين في التريث، فهم وسفراؤهم يلحون بوجوب فتح الجبهة الأوروبية الثانية حالاً. وقبل أن يضيع الوقت، أي قبل أن يتحطموا. وقد أذيع لستالين تصريحات قوية في هذا الصدد منذ أسبوعين أحدثت رجة عظيمة، حيث سأله أحد مراسلي الأميركان عن مدى مساعدة السكسونيين لروسية وعن مدى ما ينتظره منهم، فأجاب أن مساعدتهم إذا قيست بما تحمله الروس من عبء عظيم لوحدها، فإنها تكون قليلة جداً. وأن أهم ما ينتظره من المساعدة هو فتح الجبهة الثانية فوراً. وستالين لم يصرح هذا التصريح العلني بهذه اللهجة إلا من شدة ما يشعر به من المرارة من جراء تريث السكسونيين، وما يدركه من مقاصدهم الخفية في تحطيم قوى الروس، وفي كون الجبهة الثانية ستكون لصالح نصرهم وحدهم.

ولقد كان لتصريحاته صدى عظيم في إنكلترة وأميركا معاً.

وقال روزفلت إن الجبهة الثانية هي في يد الإختصاصيين العسكريين، وأنها ستفتح حينما يقولون بوجوب فتحها ويعلنون استعدادهم التام لها. ومثل هذا أذيع لبعض وزراء بريطانية. والصحافة الإنكليزية خاصة تماشي حكومتها، حتى أن بعضها نشر سؤالاً عن سبب عدم فتح ستالين جبهة ثانية حينما هاجم الألمان فرنسة وإنكلترة، ويريد السائل بذلك التذكير بأن روسية كانت متفقة مع الألمان حينما وجه هؤلاء ضربتهم. والقول بأنه لا حق لستالين بالعتب الآن، بينما كان يقف موقفاً فيه لوم وحق عتب عليه، حيث كان يتفاوض مع الألمان سراً بينما كانت المذاكرة جارية في صدد الإتفاق الروسي الإنكليزي.. وبعض الكتاب يخمنون وجود فتور وعدم ثقة متبادلة بين الروس والسكسونيين بسبب إخلال هؤلاء بوعدهم بالجبهة الثانية، وبسبب ما يشعر به الأولون من مقاصد الآخرين الخفية البعيدة. والحقيقة أنه لو لم يكن العداء عميقاً بين الروس والألمان، ولو لم يكن كل منهما يعتقد بشدة خطر الآخر عليه في كل وقت وحين، ولو لم يكن الألمان يرون في أراضي روسية التي احتلوها مستغلاً لا يمكن التخلي عنه، وهو ما لا ترضى به روسية طبعاً، لكان المجال تيسر لعقد صلح منفرد بعد هذا الموقف الذي يقفه السكسونيون، والذي يدرك الروس مداه الخفي البعيد.

6 ـ جمعية يهودية إنكليزية دينية عليا وغاياتها وتعليق عليها:

أذيع من لندن خبر تشكيل جمعية يهودية إنكليزية عليا، ضمت فيمن ضمته من الرجال البارزين رئيس الحاخامية وأسقف كنتربري وأسقف وستمنستر، غايتها العمل على إزالة ما بين اليهود والنصارى من سوء تفاهم وعداء، وتأمين التضامن التام بينهما في كل مجالات الحياة. ولا شك في أن اليهود هم الساعون لهذا، فهم شاعرون أنهم أمام عداء عالمي شديد في أوروبا. وقد اكتسحت موجة العداء ضدهم في أوروبا من جديد. وكانت من عوامل قوة النازية في ألمانيا، وسرت منها إلى أوروبا بل إلى انكلترة أيضاً، حيث أنشىء حزب وطني لمناوأتهم برئاسة موزلي يسمونه (الفاشيست)، وصل أمره إلى مهاجمة احياء اليهود في لندن

والتظاهر ضدهم على ما مر ذكره في مناسبات سابقة في هذه المذكرات والتسجيلات. ولا نشك في أن هذه الموجة موجودة في أميركا أيضاً، وإن لم تصبح حامية كما هي في أوروبا. وقد يتوقع اليهود اشتداد هذه الموجة إلى درجة الهلاك إذا انتصر الألمان، ولا سيما وهم يسمعون هتلر لا يفتأ يندد بهم ويشير إليهم كسبب رئيسي للمذبحة البشرية القائمة، ويتهم روزفلت وشرشل وغيرهما من رجالات أميركا وأوروبا بأنهم يسيرون باليد اليهودية. وفي هذه التهمة كثير من الحقيقة بشكل ما على ما نعتقد وعلى ما تدل عليه الوقائع...

وقد رأينا فرنسة بمجرد انكسارها تراءت لها هذه الحقيقة بكون اليهود عاملاً كبيراً في ما حل فيها من نكبات، فاتجهت إلى مناوأتهم ومصادرتهم وإرهاقهم. ومثل هذا سيكون حتماً في بريطانية وأميركا إذا انكسرتا... على أننا نظن أن اليهود ليسوا آمنين من موقفهما حتى لو انتصرتا بعد ما ملأت الدعاية ضدهم جميع الأوساط. فهم من أجل ذلك يحتاطون من الآن لمواجهة الزوبعة الآتية بما يستطيعون، وقد تفتقت جبلتهم عن تأسيس هذه الجمعية في سبيل ذلك. ومن تكرار القول أن عداء العالم الشديد لليهود مما لا مثيل له بالنسبة لأي شعب وملة أخرى، إنما هو راجع في سببه إلى طبيعة اليهود أنفسهم التي تشعر بها كل أمة وملة. وهي اعتبار أنفسهم شيئاً خاصاً واتخاذ جميع الناس مستغلاً لهم، واعتبار أنفسهم يهوداً أولاً وقبل كل شيء، ويجب أن تبقى يهودياً أولاً وقبل كل شيء. وعلاقاتهم بالبلد الذي يعيشون فيه علاقة استغلال ونفع لا علاقة وطن وروح. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن محاولاتهم لن تجديهم نفعاً، كما أنها لم تجديهم محاولاتهم الأولى عبر الماسونية والشيوعية وغيرهما من التنظيمات. مع القول حقاً أنها خففت عنهم الثورة وأخرت الزوبعة.

7 ـ كتاب من رشيد عالي لرئيس دائرة العنصرية الألمانية وجواب عليه:

أمس أذاعت إذاعة برلين أن رشيد عالي الكيلاني وجه إلى رئيس دائرة العنصرية في الحزب الاشتراكي الوطني ـ حزب هتلر ـ كتاباً يطلب فيه بيان وجهة نظر الألمان في العنصر العربي، لأن السكسونيين يستغلون نظريّة العنصرية عند الألمان فيشملونها بجميع العناصر ومنها العنصر العربي، وأن رئيس الدائرة أجابه بكتاب رسمي بأن الألمان يعترفون بما يمتاز به العرب من خصائص تجعلهم أرقى العناصر المتكلمة باللغات السامية، ويعدون تلك الخصائص وخاصة بما قدموه للحضارة البشرية من العناصر الرفيعة، وبأن الألمان خاصة قد أعاروا هذه الحضارة اهتماماً عظيماً زاد في قيمة رفعة العنصر العربي ومعرفة حقيقته. وبأن هناك خطأً شائعاً في التعبير عن العداء لليهود بتعبير اللاسامية، وأن هذا التعبير يقصد به اليهود فقط دون سائر السامية، وهم الذين يقفون من العالم موقف العداء والتهديم والإفساد، فيضطر العالم للوقوف أمامهم موقفاً مقابلاً. ومما ذكره في كتابه أن الألمان قد تابعوا الكفاح العدائي الذي كان بين العرب واليهود في فلسطين بكل اهتمام، وأن الموقف العربي الذي أثار إعجابهم أثبت ميزة العنصر العربي ورفعته أيضاً...

ولقد أحسن رشيد عالي بسؤاله الذي تلقى عليه هذا الجواب الجيد. فالسكسونيون وعملاؤهم ما فتئوا في هذه الحرب يبثون في

أوساط العرب ما ينظر الألمان به من نظر سيء إلى الساميين الذين سار التقليد رغم ما فيه من خطأ على عد العرب بقصد إثارة خوفهم من الألمان. ولقد كان عُزي الى هتلر أنه جعل العرب من العناصر الوضيعة، وكل ما امتازوا به لديه أنهم أرقى درجة من اليهود. ففي سؤال رشيد والجواب عليه رد لدعاية السكسونيين وقصد لتصحيح فكرة الألمان في تمثيل نظرتهم السيئة إلى الساميين والعناصر الأخرى للعرب، وتنبيه إلى ما قد يمكن أن يؤدي إليه ذلك من آثار سيئة في العرب يشغلها السكسونيون.. ومما استرعى انتباهنا أن الخطاب موجّه إلى (رشيد عالي الكيلاني رئيس وزارة المملكة العراقية) دون ذكر كلمة (سابقاً)، ولا ندري هل هذا مقصود أو غير مقصود. وعلى ضوء ما ذكرناه من الكتاب الذي أرسل لرشيد بالاعتراف باستقلال العراق ورئاسته لحكومته ككتاب عهدي من وزارتي خارجية ألمانيا وإيطاليا، نرجح أنه مقصود أو جرى حسب الإتفاق...

8 ـ استمرار مقاومة ستالينغراد وتعليق على حربها البطولي وآثاره ونتائجه:

إلى الآن لم تنته حرب ستالينغراد، وما زال الروس يقاومون فيها، وإن كانت المقاومة تكاد تكون صورية، وإن كان الألمان قد استولوا على معظم أقسام المدينة بعد أن كادت تصبح أنقاضاً. ولا نبيح لنفسنا أن نقول أنها سقطت في يد الألمان. وستكون مقاومة الروس فيها مثلاً خالداً رائعاً في البطولة والاستماتة والثبات. وقد كلفت الفريقين من الخسائر من الأرواح والمعدات ما لا يكاد يتناسب مع قيمتها، وكانت سبباً في عرقلة خطة الألمان الحربية في الخطوط الروسية على ما يقرره الخبراء، وفي ذلك ربح عظيم للروس، ولقد تعطل أكثر من مليون جندي ألماني وآلاف الدبابات والطيارات، وكانت تستطيع أن تنجز أعمالاً باهرة في الجبهات الأخرى. وهكذا صار الخبراء يؤكدون ما كانوا اعتقدوه بأن البرنامج الحربي الألماني في هذه السنة قد توقف، وأن الألمان لن يستطيعوا عمل شيء كبير في جبهة موسكو ولينينغراد، وأن الشتاء الذي حل في روسية قد أخّر هذا للسنة الآتية التي يمكن أن تأتي بمفاجآت خطيرة. وأن كل ما يمكن أن ينجزه الألمان في الأسابيع القليلة القادمة وقبل التوقف التام، والاستيلاء على أقسام القفقاس الأخرى بما فيها آبار بترول غروزني وموانيء البحر الأسود التي تجرى الحركات الحربية عليها بشدة وعناد. ولقد أذيع أن الروس سحبوا قواتهم من إيران لتقوية جبهة القفقاس، وأن هذه القوات تقدر بنحو ربع مليون، وأن الإنكليز انفردوا الآن في احتلال وقيادة إيران.. وستدعم هذه القوات الروسية جبهة القفقاس، وقد تؤثر في سير الحركات الألمانية أو تعرقله بقية الأسابيع القليلة التي يمكن أن تستمر فيها هذه الحركات وفي كسب عظيم للروس. ويقول الخبراء أن قوات الروس في المركز والشمال ما تزال قوية ونشيطة، ومعنى هذا أن الألمان يستقبلون سنة 1943 وروسية واقفة، وفي هذا ما فيه من خطر عليهم، لأن استعداد السكسونيين الجبار سيكون قد تم في هذه السنة. ومن الغريب حقاً أن يقال هذا وأن يكون حقيقة، بينما قال ويلكي ما قاله عن حالة الروس وما يتهددهم من مجاعة وبلاء في الشتاء، وما يكون من ضياع الفرص إذا تأخرت الجبهة الثانية، وما في هذا من تشاؤم بانهيار مقاومة

الروس. وقد يدل ما يظهره الروس من جزع وما يبدو منهم من إلحاح على الجبهة الثانية هو بقصد التعجيل على تحطيم الألمان وهم محتفظون بقوتهم بقدر الإمكان. وقد يكون السكسونيون مدركين هذا أيضاً. . .

9 ـ تحرك جبهة مصر بزحف إنكليزي ومداه واحتمالاته:

أول أمس أذيع أن الجيش الإنكليزي الثاني بدأ زحفه على مواقع المحور في العلمين بنطاق واسع. وأن هذا الزحف هو الهجوم المنتظر الكبير الذي استعد له الإنكليز استعداداً عظيماً. ولم ترد إلى الآن تفاصيل أو إشارات إلى وقائع حاسمة، وكل ما أذاعته المصادر السكسونية أن الجيش الإنكليزي استطاع أن يفتح بعض الثغرات في خطوط المحور وأن رحى المعركة دائرة بشدة.

ومنذ شهر والمراقبون يكتبون عن استعداد الطرفين لحرب الشتاء والحرب الفاصلة في هذه الجبهة، وكان منتظراً من حين لآخر أن تنشب المعركة. وها هي قد نشبت وأصبحت الأنظار الآن متجهة إلى هذه الجبهة بعد أن خفت حركات جبهة روسية وستالينغراد وأخذت الثلوج تتساقط وتتكاثف وتحد من النشاط، وبعد أن حل أمس موسم الحركات الحربية في جبهة مصر. فإذا صح ما يقال أن الحركة الآن ليست موضعية وإنما هي واسعة لتكون الحاسمة للموقف، فإننا نتوقع تطورات عظيمة. فإما أن ينجح السكسونيون فيدحروا قوات المحور ويخرجوها من أرض مصر ثم يلاحقوها إلى النهاية فيحققوا غايتهم في طردها من شمال أفريقية وحصرها في أوروبا والإنطلاق في البحر الأبيض والاطمئنان إلى موقفهم في الشرق العربي، وإما أن تنتصر قوات المحور فتنهار امبراطورية بريطانية نهائياً في هذا الشرق وفي هذا البحر.

ومما يلفت النظر أن هناك حركات أخذت تساير هذه الحركة، فالسكسونيون أخذوا يقصفون سواحل إيطاليا الجنوبية التي تمّون قوات المحور في شمال أفريقية. والأميركيون احتلوا جمهورية ليبريا المتاخمة لمستعمرة لفرنسة في غرب أفريقية عاصمتها داكار. والأقوال أخذت تتردد عن قرب هجوم سكسوني على داكار، وقد اهتم الإفرنسيون للأمر فسافر دارلان القائد العام إلى شمال أفريقية ثم إلى داكار لتثبيت وسائل الدفاع والمقاومة. وقد أذيع فيما أذيع أن قوات إنكليزية وأميركية تحتشد في جنوب بلاد الحبشة وشرقها، وأنها ربما تهدف إلى تطويق قوات المحور من الجنوب أيضاً. فكل هذه الحركات علائم على أن السكسونيين قد استعدوا أو أنهم يستعدون للحركة الفاصلة التي تقرر مصير الحرب في أفريقية والشرق العربي والبحر الأبيض. ومصادرهم لا تنكر أن قوات المحور قد تلقت إمدادات عظيمة، ولكنهم على ما يظهر يرون لقواتهم الرجحان والتفوق. وقد يكون هذا ما يثبت أنهم هم الذين بدأوا في التحرك في هذه الجبهة.

***

يوم السبت
7 تشرين الثاني 1942
26 شوال 1361:

1 ـ تطور عظيم في جبهة العلمين لصالح الإنكليز ومداه وآثاره:

تطورت حركة الهجوم الإنكليزي في جبهة العلمين واتسعت، واستطاع الإنكليز أن يزحزحوا بها قوات المحور عن أماكنها الحصينة في خط العلمين والقطارة أولاً، وأن يضطروهم إلى الانسحاب إلى خط طبرق ـ حلفايا. وطنطن السكسونيون بهذا الفوز وملأوا الدنيا بدعايتهم وتفاخرهم، وقالوا أن فوزهم كان حاسماً وأنهم كبدوا قوات المحور خسائر فادحة وأسروا منها عدداً كبيراً وخربوا وعطبوا عدداً كبيراً من دباباتهم ومركباتهم وطياراتهم وغنموا عدداً كبيراً من مدافعهم ومعداتهم أيضاً، وأن انسحابها كان هزيمة شنيعة. وأعلنوا أنهم سوف يستمرون في حركتهم إلى أن يقضوا القضاء الأخير على قوات المحور في شمال أفريقية. أما الألمان فمع عدم اعترافهم بأن ما وقع هو هزيمة، ومع قولهم أن في إذاعات السكسونيين مبالغات كبيرة بقصد الدعاية والطنطنة، فإنهم اعترفوا بتفوق السكسونيين بالعدد والطيارات والدبابات وباختراقهم خطوطهم وباضطرار قواتهم إلى الإنسحاب إلى مراكز جديدة بانتظام وفق الخطط المرسومة. وظاهر الحال أن الموقف لصالح السكسونيين، وأنهم الآن في موقف المنتصر وقوات المحور في موقف المنهزم. والخبراء الحياديون يتربصون في إبداء قول حاسم في النتائج التي حصلت، ويشبهون حرب الصحراء بحرب البحر فيها قابلية للكر والفر وعدم الإستقرار. وهذا أمر وقع كثيراً في حرب ليبيا ومصر منذ ثلاث سنوات، ولا يتعجلون في تصديق دعاوى السكسونيين وإمكان تحقيقهم لما يقولون في صدد الإستمرار في الحركة والإنتصار التام. غير أنهم يقررون أن موقف المحور الآن غير قوي، وأن قوات خصومه متفوقة عليه في كل شيء، هذا من جهة الموقف الحربي.

أما الآثار السياسية لما حصل في التخمينات شريط ذلك نتائج المعركة. يقول الكتّاب في هذا الصدد أن السكسونيين إذا انتصروا كما يقولون فيكونون قد ربحوا معركة البحر الأبيض والشرق الأدنى والأوسط نهائياً. وأن هذا الربح قد ساعدهم على ربح الحرب، لأنه سيكفل لهم السيطرة من جديد على البحر الأبيض، وحينئذ يوجهون ضربات قوية حاسمة بضرب سواحل إيطالية، وقد يقوي هذا الربح موقف التمرد في فرنسا وغيرها. وأنظار العالم وأفكاره الآن مصوبة نحو هذه الجبهة أكثر من كل شيء، وأخبارها شاغلة للأفكار وباعثة على الهياج والقلق. وعلى كل حال فللأسبوعين القادمين أهمية عظيمة، وليس من المستبعد بل إنه المتوقع أن يثبت رومل في خط طبرق ـ حلفايا، وأن يكسر حدة الزحف السكسوني على ما يذكره الخبراء.

ومما لا شك فيه أن السكسونيين سيستغلون هذا النصر استغلالاً واسعاً في بلادهم وفي بلادنا، ويقوون أعصاب شعوبهم التي لم تشهد إلى الآن إلا الخذلان والهزائم والانكسارات،

والتي هي في حالة قلق لا ريب فيه. أما في بلادنا فالموالون للإنكليز سيقوي نفوذهم وترتفع أصواتهم، وتخفت أو تضعف نفوس وأصوات غير الموالين، ولا ندري إذا كان الإنكليز سيشتدون في مضايقة أهل البلاد وخاصة غير الموالين لهم وهم الأكثرية الكبرى وهو ما نرجحه أيضاً.

2 ـ تعديل وزاري عراقي وتأليف نوري وزارة جديدة:

منذ نحو شهر استقال نوري السعيد. وكانت استقالته لخلاف في وجهات النظر بينه وبين بعض وزرائه في المسائل التموينية والاقتصادية على ما ذكرته الصحف والقادمون. وقد كُلف بتأليف الوزارة من جديد، وأبعد من التأليف كلا من علي ممتاز وعبد المهدي، وعين نسيبه تحسين العسكري وزيراً للداخلية، وشخصاً من آل بابان كان حاكم صلح وزيراً للعدلية، وعبد الإله حافظ وزيراً للخارجية، واستبقى في يده وزارة الحربية. والخبراء في الأشخاص يقولون إن عبد المهدي من الشخصيات القوية التي لا تخضع لنوري تماماً، وعلي ممتاز زوج بنت ياسين الهاشمي ونحن نعرفه ونعرف أنه قوي مستقيم، وقد كان في الآستانة في هذا الصيف، وكان تصريح نوري (بدخول العراق الحرب إذا ما تقدم زحف الألمان نحو القفقاس إلى العراق) الذي ذكرناه سابقاً قد صدر وهو في الآستانة، فأثاره وقال إنه سيعاقب نوري عليه، وأنه لن يؤيده في موقفه، فلعله بدا منه بعض بوادر نحو نوري، أو لعل نوري خشي أن يكون رجع من الآستانة بتعليمات وأفكار تلقاها من طه الهاشمي عم زوجته الذي هو في الآستانة، والذي يبدي تعاطفاً نحو الموقف العربي الراهن الذي يقفه رجالات العرب في الآستانة وفي برلين وروما بل ويندمج فيه. فكان ذلك مما جعله يبعده عن التأليف الجديد. والمتبادر أن الوزراء الجدد سينسجمون مع نوري، وعلى هذا فالوزارة الجديدة قد هيئت لمسايرة سياسة بدون قيد وشرط، وهي المسايرة للإنكليز مسايرة تامة، والرابطة مقدرات العراق بهم. . .

3 ـ خطاب للوصي في مجلس النواب فيه إشارة إلى تعهد بريطاني بالاعتراف باستقلال البلاد العربية غير المستقلة ومدى ذلك وتعليق عليه:

ومنذ أسبوعين انعقد مجلس النواب العراقي. وكان مما لفت الأنظار والأفكار عبارة وردت في خطاب العرش عن تعهد بريطانية بالاعتراف باستقلال البلاد العربية غير المستقلة. ولا ندري إذا كان أريد بذلك الإشارة إلى الاعتراف باستقلال سورية ولبنان، أو الإشارة إلى استقلال فلسطين التي بقيت هي والإمارات العربية في جنوب الجزيرة وشرقها خاضعة للإنكليز بدون استقلال، ولا ندري مدى هذا، هل حصل نوري السعيد على تعهدات خطية وثيقة من الإنكليز حول شيء يتعلق بمستقبل بلاد العرب ووحدتها أم لا؟ وهذا الموضوع رأسمال سياسة نوري السابقة والحاضرة بدون ريب. وكل تعهد أو تصريح أو وثيقة لا تكفل الوحدة تكون بدون معنى طبعاً لأن معظم البلاد العربية الشرقية تتمتع الآن باستقلالات صورية تعترف بها بريطانية. والمفروض أن العبارة في خطاب العرش يجب

أن تكون إشارة لموقف جديد أو عهد جديد، ولعل الأيام تكشف لنا هذا، ونرجو أن لا تكون تخميناتنا هباء. ولقد قلنا ومانزال نقول إن انشطار سياسة العرب وسياسييهم إلى شطرين حسب انشطار العالم إلى معسكرين هو مفيد بالنتيجة بما يحصل عليه كل شطر من وثائق تكفل للعرب مركزاً خيراً من مركزهم الحالي. وأهم كسب هو في صدد وحدتهم أو اتحادهم. وبهذا فقط يبرر كل شطر موقفه أمام أمته وأمام التاريخ أيضاً، بقطع النظر عن الجانب الفائز في النهاية.

4 ـ خطاب للأمير عبد الله في مجلسه التشريعي:

ومنذ أسبوع انعقد المجلس التشريعي في عمان، وألقى الأمير عبد الله خطاب الافتتاح وسمعناه من الإذاعة. وقد ذكر جيشه وبسالته وملاكه وتجهيزاته، وذكر صلات الود والصداقة التي تربط بلاده بالبلاد الحليفة والشقيقة، ونوه بما يتمتع شعبه به من الأمن والراحة. وذكر المشاريع العمرانية والاقتصادية والثقافية التي قامت بها حكومته.

5 ـ أخبار من سورية:

من أخبار سورية التي نقلها لنا بعض القادمين أن الشيخ تاج سعى لدى أعضاء المجلس النيابي السوري حتى تمكن من أخذ مضبطة عليها توقيع خمسين نائباً منهم وهم أكثرية، احتوت تسجيل شكرهم له على ما قام به من مجهودات وتأييدهم لرئاسته. ومع أن هذا الشكر والتأييد لا قيمة حقوقية له، فإنه يعطي صورة عن الحالة الروحية والسياسية في البلاد. ومما فهمناه أن في سورية عدة معتقلات فيها آلاف المعتقلين ضمنهم شخصيات بارزة، منهم سليمان المعصراني وهو نائب حمص، وقد ذكرنا قبل صبري العسلي ورفاقاً له اعتقلوا ومايزالون معتقلين.

6 ـ عيد الجمهورية التركية وخطاب لعصمة اينونو في صدد سياسة الدولة:

يوم 29 تشرين الأول صادف يوم عيد الجمهورية التركية السنوي. وكان الطقس حسناً، فكان ملائماً للاحتفال بالعيد احتفالاً رائعاً في كل أنحاء البلاد. وقد أقيم عرض في ساحة التقسيم شهدناه مع جمهور ربما بلغ عدده خمسين ألفاً، وسارت فيه كتائب من مختلف أقسام الجيش. ولعل هذا الاحتفال أو المشهد أعظم احتفال تركي شهدناه في إقامتنا. وأذيع لعصمة إينوفو رئيس الجمهورية خطاب بمناسبة هذه الذكرى. وظلت إذاعة أنقرة بضعة أيام تذيع ما كتبته صحف العالم عن تركية وحيادها واستقلالها وجهادها الخ. .

وقبل ستة أيام افتتحت دورة المجلس النيابي التركي وسمعنا عصمة يلقي خطاب الافتتاح وكان قوياً محكماً حكيماً، نوه فيه بسياسة تركية الحيادية الصميمية، وحمل فيه حملة شديدة على المحتكرين والمتلاعبين ودعاة السوء. ومما لفت الأذهان قوله إن نار الحرب قد اقتربت من تركية اليوم اكثر من كل يوم مضى، وأن تركية ستحافظ مع ذلك على حيادها وصداقتها وصميميتها لكل طرف من المتحاربين، وستظل مجتنبة للحرب بكل قوتها. وستكون مع ذلك حذرة يقظة معتمدة على جيشها ومستعدة للدخول في غمار الدفاع عن بلادها واستقلالها وكيانها إذا صارت مضطرة إلى ذلك. وظلت

كذلك إذاعة أنقرة وصحف تركية تذيع لبعضة أيام ما كان لهذا الخطاب من أثر في الأوساط السياسية العالمية، وما كان من إشادة بتركية وحيادها وصميميتها. . الخ.

والحقيقة أن تركية في صميميتها وفي موقفها السياسي كسبت عطف الجميع، كما أن مركزها الجغرافي يجعل لها قيمة عظيمة تزداد يوماً بعد يوم وخاصة كل ما اشتد الصراع بين الفريقين في الأنحاء الشرقية. ولم نفهم قول عصمة عن اقتراب الحرب لتركية، فهل هناك نار تحت الرماد، أو هو تعبير عن واقع الأمر من حيث الحرب الدائرة في القفقاس وهي متاخمة لتركية؟. وعلى كل حال فمن حق تركية أن تحسب الحسابات وأن تثير المخاوف الآن أكثر من أي وقت حقاً. فالحرب الألمانية الروسية تجري على حدودها، ومعركة مصر اشتدت في هذه الآونة اشتداداً عظيماً. ولاشك في أن نتائج هاتين المعركتين سيكون لها مدى وأثر واسعان في كل بلاد الشرق، وتركية في رأسها.

ونحن نستبعد أن يقتحم أحد الفريقين تركية أو أن يضغط عليها في أمر حيادها وحملها على مساعدة فريق على آخر. ولكننا على كل حال نلمح صميمية تركية في التمسك بحيادها وفي تجنب الحرب وويلاتها، مع قولنا أن الميول فيها نحو السكسونيين أشد منها نحو المحور.

7 ـ خطاب لستالين عن الموقف الحربي ومداه ودلالاته:

اليوم قرأنا في الصحف خطاباً لستالين ألقاه في المجتمع السوفييتي، حلل فيه الموقف الحربي، وذكر أن تفوق الألمان بالعدد والعُدد هو الذي ضمن لهم الفوز الذي أحرزوه. وتناول الجبهة الثانية بكلام طويل نوه فيه بما كان من الممكن أن يعود منها من فائدة عظيمة في تحطيم ألمانيا وتمكين الروس من تمثيل دور عظيم في هذا التحطيم. وقال إن هذه الجبهة لو فتحت لشغلت نصف القوات التي تكاثفت على روسية، ولما استطاع الألمان أن يضعوا أيديهم على ما وضعوه من المنابع والمصادر والساحات والمصانع العظيمة. وقال إنه من اعتقاده أن هذه الجبهة ستفتح في أوروبا، إلا أنها لن تفتح لصالح الروس، وإنما ستفتح لصالح السكسونيين لأنها لازمة لهم. وفي كلامه مرارة وشكوى وفيه دلالة على ما بين السكسونيين وروسية من الفتور والشكوك. وهذا الكلام يتطابق مع ما قلناه في الأسبوعية السابقة، فالسكسونيون لن يفتحوا هذه الجبهة إلا حين يرون أن قوى الألمان والروس معاً قد أنهكت، ويفتحونها للقضاء على الألمان، بينما يكون هؤلاء قد قضوا على الروس. هذا في حين أن الروس يريدون التعجيل في فتحها قبل أن يتحطموا حتى ينتفعوا من تحطم الألمان.

***

يوم الأحد
15 تشرين الثاني 1942:

1 ـ استمرار التطور العظيم في جبهة العلمين لصالح الإنكليز وآثاره وتوقعاته:

تطورت الحرب في الجبهة المصرية في يوم الأربعاء 11 تشرين الثاني وبعده تطوراً سريعاً وعجيباً انتهى باندحار قوات المحور اندحاراً هو في الحقيقة انهزام، حيث تركت مرغمة منطقة العلمين وانسحبت إلى مرسي مطروح وحلفايا. وبكلمة أخرى تركت أو كادت تترك الأراضي المصرية. وأعلن السكسونيون أنهم استولوا على غنائم عظيمة وكسبوا وخربوا نحو (500) دبابة و(1000) مدفع، وأسروا نحو (50000) أسير، وأن ست فرق طليانية استسلمت بكامل أجهزتها ومعداتها، وأنه لم يكد يبقى مع رومل إلا نحو عشرين ألفاً من الألمان والطليان وعدد قليل جداً من المدافع والدبابات.

والألمان والطليان لا يعترفون بهذا الانهزام، ولكنهم يغمغمون في الأخبار غمغمة فيها اعتراف. وقد أخذت صحفهم تقول أن حرب الصحراء هي حرب مطاطة تسير سجالاً، وأن في أخبار وإذاعات السكسونيين مبالغة وغلواً. غير أن ظواهر الحال ترجح أخبار السكسونيين أيضاً، فجيش المحور منسحب بل منهزم فعلاً ومؤخرته تقاتل قتال دفاع وحماية وهو في حالة إنسحاب. وإذا صح استسلام الفرق الطليانية الست، واحتمال صحة ذلك قويّ، لأن السكسونيين ذكروها بأسمائها وصفاتها ولم تكذب ذلك مصادر المحور، فيكون ما حل بجيش رومل كارثة كبرى عليه. ويكون هذا الجيش قد أصبح مشلولاً ومنحلاً وليس أمامه إلا الإستسلام أو الموت.

ولقد استغل الإنكليز هذا الانهزام استغلالاً واسعاً في صحفهم وخطبهم وبياناتهم وإذاعاتهم. وليس من ريب في أنه سيكون لها آثار بعيدة المدى في سير الحرب وفي الدعاية. أما في سير الحرب فالقضاء على قوات المحور في شمال أفريقية يعيد السيطرة في البحر الأبيض إليهم، ويجعلهم في طمأنينة تامة على هذا الجانب في أمبراطوريتهم وطرق مواصلاتهم. وهذا كان مما يقض مضاجعهم ويهددهم في صميم مصالحهم. هذا إلى ما سوف تحدثه من الأثر في العرب في مصر وبلاد الشام والعراق وجعلهم يستسلمون إلى السكينة والتخفيف في عاطفتهم وفي الأمل بالخلاص معاً. بل لقد أخذت آثار ذلك تبدو. فالصحف العراقية والمصرية أخذت تشيد بهذا الإنتصار، وتشير إلى ما أحدثه في العرب من ابتهاج، وقد أذاعت إذاعة لندن تصريحات للشيخ تاج رئيس وزراء سورية والفرد نقاش[1] ومصطفى[2] النحاس، فيها إعلان ارتياح وطمأنينة، وقالوا فيما قالوه أن هذا النصر دفع خطر الشر والعدوان عن بلادهم، وارتفعت أعلام الحرية والديموقراطية الخ. وأذاعت برقية من نوري السعيد للقائد العام الجنرال الكسندر يهنئه فيها بالنصر ويبدي اطمئنانه بالفوز النهائي وانتصار قضية الحق وقضية العرب بالتالي.

---

(1) الفرد نقاش رئيس جمهورية لبنان.

(2) مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر.

ومن جهة الدعاية فإن هذا الانتصار الذي لا يماثل بانتصارهم الأول في هذه الجبهة لتبدل الظروف سيقوي من أعصاب الشعوب السكسونية وأملها ومقاومتها، وسيؤثر في موقف فرنسة واسبانيا، وقد يعيد الأمل إلى اليونان وغيرها من البلاد المحتلة في ساحل البحر الأبيض. ولقد قال ويلكي الأميركي قبل مدة قصيرة أن معركة البحر قد تؤثر في مصير الحرب عامة. ومع ما في هذا القول من غلو فإننا نعتقد أن لها أثراً بعيد المدى في سير الحرب والدعاية كما قلنا. على أننا نريد أن نتحفظ في قبول جميع أخبار الإنكليز لأننا نلمس فيها عنصر الدعاية قوياً، ثم نرى في ثناياها ما يمكن أن يتناقض معها. فمع أنهم قالوا أن ست فرق إيطالية استسلمت بكامل أجهزتها، وبعد أن ذكروا أن عدد الأسرى بلغ خمسين ألفاً، إذا هم يعودون فيقولون إن مجموع خسائر العدو من قتيل وجريح وأسير هو (58) ألفاً. وهذا العدد نفسه هو أقل من عدد الفرق الست وحدها. وقد ظلوا يعيدون القول أن الألمان قد تركوا حلفاءهم الطليان وأنقذوا أنفسهم فقط، وأن الوحدات الطليانية تبعثرت في الصحراء جائعة منهوكة، وأنها هي التي تعرض نفسها للتسليم لتصل إلى (نعيم الأسر الإنكليزي) حسب تعبيرهم الحرفي، وكل هذا غير معقول، وظروف الأحوال والأخبار تدل على أنه في أثناء تراجع قوات المحور حصل انقطاعات بين وحداتها، وانقطع خط الرجعة على بعضها فوقعت في الأسر. وقد سمعنا يوم 1942/11/13 أن الاتصال عاد بين كثير من الوحدات الطليانية الألمانية، وأن رومل يحاول أن يقف في خط دفاعي يمتد من طبرق إلى الصحراء، وأن القوات السكسونية أخذت تدخل في أراضي ليبية للإشتباك معه قبل أن يجد الفرصة الكافية لترسيخ مواقعه وتقويتها.

2 ـ خطاب لهتلر في مناسبة تأسيس الحزب وما أبداه من آمال ووعود:

في هذه الآونة خطب هتلر في مناسبة الذكرى السنوية لتأسيس حزبه في حانة ميونيخ، وأشار إلى ما وقع في جبهة مصر، وقال إن حرب الصحراء حرب سيالة، وأكد إيمانه العميق بالنصر وبأن المانيا المسيطرة على أوسع المنابع والمصادر والمصانع في شرق أوروبا خاصة وفي أنحاء مختلفة أخرى في غربها مطمئنة كل الإطمئنان إلى مركزها ووصولها إلى أهدافها واستعدادها لكل طارىء. وأنذر بأنها سترد على غارات بريطانية الجوية رداً قوياً في الوقت المناسب بصورة لا تخطر لبال الإنكليز هولاً وسعةً وقوة.

3 ـ خطاب لشرشل أيضاً وما فيه من دلالات:

وخطب في هذه الآونة شرشل أيضاً في مناسبة من المناسبات، فنوّه بالنصر العظيم الذي أحرزه الجيش الثامن البريطاني، وقال إن مصر قد أنقذت بهذا النصر ودخلت معركتها في التاريخ. وأن معركة ليبية بدأت، وقال أنه لم يبق من قوات المحور إلا الفلول، وأنه مطمئن إلى القضاء نهائياً عليه وتطهير أفريقية من قوات المحور.

4 ـ هجوم سكسوني مفاجىء على السواحل الإفرنسية الإفريقية ومداه وخلفياته وآثاره:

وبينما الأنظار متجهة إلى جبهة مصر مندهشة مما ألم بمركز قوات المحور واندحارها ومترقبة لنتائجها وآثارها، اذ تذاع أخبار عن مهاجمة السكسونيين بقيادة قائد أميركي للمناطق الإفرنسية في شمال أفريقية على سواحل الأطلسي وسواحل البحر الأبيض، وأنزلوا قوات على بعض سواحل المغرب الأقصى والجزائر، فكانت حركة مثيرة للأفكار ومحولة للأنظار. وتذيع المصادر السكسونية أخباراً عن عظيم الاستعداد السكسوني لهذه العملية، وتقول فيما تقول أن نحو (500) باخرة نقل و(300) قطعة بحرية حربية استخدمت فيها، وأن عدد القوات التي حشدت لها بلغ (150) ألفاً أميركياً، وأن فرقاً إنكليزية ستنضم إليها. وحال ما تم الإنزال أذيع بيانات من روزفلت ومن قائد الحملة موجهة إلى الإفرنسيين. وذكر روزفلت في بياناته ارتباطه بفرنسة ومحاربته الى جانبها في الحرب العالمية الأولى، كما ذكر ارتباط أميركا بفرنسة بروابط قديمة متينة، وقال إن الدافع الأصلي للعملية هو إنقاذ فرنسة من العدوان والظلم وحماية أمبراطوريتها أولاً، والحيلولة دون استيلاء قوات المحور على مستعمراتها وخاصة في شمال أفريقية. وأنه ليس لبريطانيا ولا لأميركا أي مطمع في المستعمرات والمنافع الإفرنسية، وناشد الإفرنسيين بتعضيد هذه العملية واستقبالها استقبال الصديق المنقذ. وذكر قائد الحملة في بياناته شيئاً مما ذكره روزفلت، وقال فيما قال أنهم آتون كأصدقاء، وطلب من قواد القوات الإفرنسية الجوية والبحرية المدفعية عدم القيام بأية حركة عدائية وعدم تسبيب إراقة دماء بين شقيقين صديقين الخ.

وقد استدعى بيتان القائم بالأعمال الأميركية في فيشي، وأبلغه رسالة ينقلها إلى روزفلت محتجاً على العدوان الذي وقع، ومفنداً للمزاعم القائلة أن قوات المحور تبيت أو تعتزم الاستيلاء على شمال أفريقية، وأنه ظل أميناً لمعاهدة الهدنة ولم ير من المحور نقضاً لها. وقال في رسالته أن روزفلت يعرف أنه رجل لا يقول إلا الصدق ويفي بما يعد. وأنه كان وعد بالدفاع ضد كل عدوان، وهو الآن يفي بوعده، حيث أصدر أمراً للقوات الإفرنسية في شمال أفريقية بالدفاع والمقاومة. وقد طار دارلان إلى شمال أفريقية ليشرف بنفسه على عملية الدفاع.

ولقد وقعت اشتباكات في نقاط عديدة بين القوات المهاجمة والقوات الإفرنسية البرية والبحرية والجوية، ولكن القوات المهاجمة استطاعت أن تتغلب في أكثر نقاط الاشتباك بسهولة ويسر. ففي خلال يومين اضطرت حامية مدينة الجزائر إلى طلب الهدنة والكف عن القتال. وفي هذه الأثناء كان دارلان في الجزائر فوقع في يد القوات الأميركية التي أنزله قائدها ضيفاً أثيراً عليه.

واستمرت المناوشات في الرباط والدار البيضاء ووهران بضعة أيام، ولم يكن من شأن ذلك أن يوقف توغل القوات الأميركية في نقاط كثيرة أيضاً. ثم أذيع أن الجنرال فيغان طار إلى شمال أفريقية ليقوم مقام دارلان الضيف الأسير. ثم أذيع أن الجنرال جيرو الإفرنسي الذي كان أسيراً عند الألمان واستطاع أن يفر إلى فيشي، والذي كان قائد جبهة سدان الأخير بعد الثغرة

التي انفتحت في هذه الجبهة، طار أيضاً إلى شمال أفريقية وأخذ ينشط خلال الجيش الإفرنسي بسبيل التضامن مع الحلفاء السكسونيين. ولقد لمسنا من خلال الأخبار أن المقاومة الإفرنسية غير جادة أو هي دفاع صوري سريع الإنهيار، مع أنه كان يقال أن فرنسة مستعدة لكل طارىء وأن شروط الهدنة أن يترك لها أمر الدفاع عن أمبراطوريتها ويسمح لها بوسائل هذا الدفاع أولاً، ومع أن حكومة فيشي قد شعرت بحركة في الأفق، وذهب دارلان قبل الحركة بنحو عشرين يوماً إلى داكار وشمال أفريقية، وكان المفروض أنه اتخذ التدابير اللازمة للدفاع والمقاومة.

وقد خطب شرشل بعد هذه الحركة فأشاد بفرنسة ومحنتها وما تضمر لها بريطانية من خير وود، وأبدى يقينه بأنها سوف تنهض وتأخذ مكانها بين دول العالم العظمى. وقال فيما قال أنه حينما اجتمع بروزفلت وتحدثا في موضوع الحركات الحربية المقبلة وصلا إلى نتيجة هي أن الإنزال على أوروبا (يعني فتح الجبهة الثانية) يجب أن لا يكون إلا بعد الاستعداد التام له، وهذا لن يتسنى قبل سنة 1943، وأن من الممكن أن يتم الإنزال في شمال أفريقية سنة 1942 تمهيداً لذلك. وأن الإستعداد منذ شهور قائم لتنفيذ هذه الخطة التي أخذها روزفلت على عاتقه ولم يكن له إلا مساعداً مخلصاً.

ومن الطرائف أنه قال فيما قال أنني قد أسأل والحالة هذه لماذا أنعشت آمال روسية ووعدت ستالين بفتح الجبهة الثانية في أوروبا سنة 1942، وجوابي على ذلك أن ستالين رجل ذو نظر ثاقب، وإنني أرى لنفسي الحق في سلوك أي طريق وخدعة في سبيل إنعاش الآمال عند شعبي والشعوب الأخرى. وأن هذه الحركة الصغيرة هي مقدمة لحركة الإنزال الكبيرة الى سواحل أوروبا.

وبعد هذا بساعات سمعنا الإذاعات تذيع أن هتلر أمر جيوشه بالتقدم لاحتلال بقية المقاطعات الإفرنسية غير المحتلة بالاشتراك مع القوات الطليانية. وأنه أرسل إلى بيتان كتاباً لطيفاً أشار فيه إلى اضطراره إلى اتخاذ هذه الخطوة للدفاع عن أراضي فرنسة ضد أي عدوان سكسوني منتظر، لعدم إمكان فرنسة القيام بهذا الواجب. وقال أن جيشه قد تلقى أمراً بعدم إجراء أي عنف وقسوة في سبيل التنفيذ. وأنه يعطيه (لبيتان) الحرية في البقاء رئيساً للدولة وإدارة شؤونها، وأنه لن يتدخل في هذه الإدارة. ثم أذيع له (لهتلر) بياناً موجهاً إلى الجيش الإفرنسي والإفرنسيين أشار فيه إلى الضرورة التي قضت بهذ الخطوة، وأنها لصالح الدفاع عن فرنسة تجاه اللصوصية السكسونية المتوقعة، وأنه لا يريد من فرنسة شيئاً، وأنه يريد أن يتعاون الجيشان الإفرنسي والألماني في هذا الدفاع إذا أمكن. وإذا كانوا (الافرنسيون) يرغبون أن تتخلص بلادهم من الإحتلال فإن رغبة الجيش الألماني لا تقل عن رغبتهم في العودة إلى بلاده أيضاً، وأن هذا سوف يتم حال ما يزول الخطر...

ثم تقدمت الكتائب الألمانية والطليانية وأخذت تحتل المناطق غير المحتلة وتم ذلك بسهولة. وقد احتلت قوات إيطالية جزيرة كورسيكا أيضاً.. أما بيتان فإنه أبلغ المعتمد الألماني احتجاجه على هذه الحركة التي يراها مناقضة لشروط الهدنة من جهة، وأصدر من جهة أخرى أوامره للإفرنسيين بأن يحافظوا على هدوئهم وبأن لا يقاوموا الكتائب الألمانية والطليانية. ثم غادر (بيتان) فيشي إلى جهة لم

تعرف إلى الآن. وقد كان لهذه الحركة رد فعل سريع في شمال أفريقية، فأذاع دارلان على القوات الإفرنسية في هذا الشمال بالتوقف عن مقاومة الغزاة السكسونيين وإراقة الدماء عبثاً، وبالإنسحاب إلى الثكنات والتزام جانب الحياد التام..

ومن الجدير بالذكر أن الأسطول الإفرنسي الرابض في ميناء طولون ظل حيث هو، وأعلن عزمه على مقاومة أي عدوان يقع عليه. وراعى الألمان الموقف فأمروا بعدم احتلال طولون مع إحداقهم بها.. ولا شك في أنهم يراقبون حركات الأسطول عن كثب. وقد أذاع قائد الحملة السكسونية في شمال أفريقية نداء طلب فيه من وحدات البحر الإفرنسية الحربية في كل مكان الإلتحاق بشمال إفريقية أو إغراقها إذا لم تتمكن من ذلك وعدم الاستسلام للمحور. وتقدر القطع الحربية الإفرنسية في طولون بنحو ستين بينها قطع عظيمة. ولذلك يعلق أهمية على مصير هذه القطع.

ومن العجيب أن الإذاعات أذاعت في 13/11/ 1942 أن دارلان وجه نداء للأسطول الإفرنسي بأن يجيء إلى شمال أفريقية وعدم الاستسلام أو الوقوع في يد المحور. ومع أن من الممكن أن يفسر هذا بقصد النجاة من الإستيلاء فقط وإنقاذ الأسطول مع بقائه بعيداً عن الحرب كما هي الحالة الراهنة في قطع حربية إفرنسية أخرى في شمال أفريقية، فإن استجابة الأسطول سيفتح المجال لانضمامه في النهاية إلى الجانب السكسوني.

والحقيقة أن رجال فيشي يمثلون دوراً عجيباً في الموقف. فهم يتظاهرون بالتزام شروط الهدنة وتنفيذها، فيدافعون في سورية وفي مداغشقار وفي شمال افريقية. ولكن هذا الدفاع لا يلبث أن ينهار وينتهي بوصول السكسونيين والديغوليين إلى غاياتهم. فإذا لم يكن التمثيل مريباً متعمداً فإن المظاهر تدل على أن قلوب الإفرنسيين قاطبة مع هؤلاء، وأن موقف رجال فيشي هو بسبيل حماية ما أمكن حمايته وإنقاذ ما أمكن انقاذه. وطبيعي أن كنه هذا الموقف لن يفوت الألمان. والعمل على عدم الوصول إلى اتفاق وتعاون تامّيْن إنما هو بسبب ذلك كما شرحناه في أسبوعية سابقة. ومع أن حركة الألمان قد تعد نقضاً للهدنة كما ذكر ذلك بيان رسمي إفرنسي، إلا أنها ضرورة لا مناص منها ولا سيما وأن فيشي لم تعد قابلة لتنفيذ شروط الهدنة في صدد الدفاع عن المستعمرات الإفرنسية. وقد لا تبدي قابلية في صدد الدفاع عن أراضيها في أوروبا. والألمان لا يعقل أن يتركوا الأمور للصدف... على أن من المحتمل أن تنطبق الأحوال في موقف فرنسة الرسمية بالإضافة إلى موقف الديغولية، فينشأ في شمال أفريقية حكومة إفرنسية وتعلن هذه الحكومة الحرب مرة أخرى باسم فرنسة ضد المحور إلى جانب السكسونيين، ولا يبقى هناك فرنسة محاربة وفرنسة مهادنة. وهذا ما كانت ترمي إليه إنكلترة منذ الأصل، وما كانت حكومة ديلاديه في سبيل تحقيقه حينما انكسرت فرنسة عسكرياً لو لم يقم بيتان ويتبنى العهد ويعقد الهدنة. وإذا استطاع الأسطول الإفرنسي أن يلتحق بشمال أفريقية وينضم إلى القوات السكسونية، فيكون له أثر فعال في قوة فرنسة وتطهيرها وموقفها الجديد.

ولا شك في أن المانيا قد حسبت حساب ذلك كله في حركتها واحتلالها بقية فرنسة. ومما يفيد أن روزفلت أرسل كتاباً لباي تونس يطلب منه السماح للقوات الأميركية بالدخول إلى

أراضيه بقصد تسهيل محو قوات المحور في شمال أفريقية. ويظهر من هذا أنه يراد وضع جيش رومل بين قبضتي الكماشة من الشرق والغرب والإنتهاء من قوات المحور في شمال أفريقيا، وهذا الطلب عجيب في منطق هذه الحركة. فإذا كان ليس في الجزائر كيان مستقل وفي فاس هذا الكيان كما في تونس، فكيف لم يطلب من سلطان فاس السماح وطلب من باي تونس (قصدنا بسلطان فاس المملكة المغربية التي كانت على ما يبدو اتخذت فاس عاصمة لها في ذلك الوقت).

وقد جاءت الأخبار بخطوة محورية ثانية، وهي إرسال قوات برية وجوية إلى أراضي تونس بقصد الاستيلاء على لسان وخليج بنزرت الذي ليس بينه وبين جزيرة صقلية إلا نحو مائة وعشرين ميلاً، ويكاد هذا المضيق يكون أضيق مضيق بين شرق البحر الأبيض وغربه. فإذا نجح المحور في ترسيخ القدم فيه، وإرسال قوات كافية إليه، فيكون قد حقق أهدافاً عديدة وعظيمة:

أولها: إغلاق شرق البحر الأبيض أمام قوات السكسونيين البحرية تقريباً من الشمال والجنوب.

ثانيهما: رفد جيوش رومل وحماية مؤخرتها وتخليصها من المأزق الذي هي فيه والكماشة التي توشك أن تقع فيها.

ثالثها: عرقلة مساعي السكسونيين في شمال أفريقية والنضال المباشر معهم.

ولقد أدرك السكسونيون خطورة هذه الخطوة، وهم الآن يسرعون إلى حدود تونس حتى ليكاد يكون سباق بين الطرفين على البلاد التونسية. والأيام الآتية سوف تكشف لنا عن الفائز في هذا السباق فإذا كان المحور فيكون فيه ضربة قوية على الآمال التي علقها السكسونيون في القضاء على قوات المحور في شمال أفريقية نهائياً، وفي ما يمكن أن ينتفعوا من حركتهم العظيمة الجديدة الآن وفي المستقبل.

5 ـ تسجيلات لمواقف إفرنسية:

وقد سجلنا بعدها أن أخباراً جاءت تكشف موقف فرنسة والإفرنسيين من هذه الحركة أكثر من ذي قبل:

فأولاً: إن بيتان لم يترك فيشي، وحكومته لم تنهار.

وثانياً: إن كان لافال سافر إلى ميونيخ واجتمع بهتلر وشيانو (وزير خارجية إيطاليا) ورونتروب (وزير خارجية المانيا) قبل احتلال القوات الألمانية بقية البلاد الإفرنسية، وبحث في ما يجب عمله إزاء الغزوة السكسونية، وجرى حديث في صدد صلح نهائي بين المحور وفرنسة وتعاون فرنسي عسكري مع المحور في صد الهجوم وإنقاذ فرنسة وأمبراطوريتها. وأذاعت المصادر الأميركية اقتراحات أو شروط الصلح، وتتضمن ضمان احتفاظ فرنسة بجميع أراضيها ومستعمراتها وأمبراطوريتها، وعدول إيطالية عن كل مطلب جغرافي في فرنسة وأمبراطوريتها، وجعل اللورين والألزاس تحت إدارة خاصة مستقلة نوعاً ما.

ومما ذكرته المصادر أنه بينما كان حديث الصلح يجري رأى الألمان ضرورة احتلال باقي فرنسة ونفذوا ذلك، ورجع لافال يحمل الاقتراحات المتفق عليها لعرضها على مجلس

الوزراء وبيتان. ولم يصدر من المصادر الألمانية والإفرنسية ما يؤيد ذلك أو ينفيه. ونحن لا نستبعد أن يكون جرى حديث صلح وتعاون عسكري على أساسه. وما جاء في بيان هتلر الذي أذاعه على فرنسة والجيش الإفرنسي قد يدل على ذلك. ولكننا نشك في تحقيقه، لأن الإفرنسيين كما قلنا ضالعون قلبياً مع السكسونيين.

وثالثاً: إن أمراء الأسطول الإفرنسي قد اجتمعوا وأقسموا يمين الإخلاص للماريشال بيتان. ومعنى هذا أنهم لن يغادروا طولون مع اسطولهم استجابة لدعوة دارلان إلا إذا وافق بيتان على ذلك. والظواهر تدل على أن هذا لن يوافق. وقد نشرت الصحف أن الموقف الذي وقفه دارلان والنداء الذي أذاعه بالكف عن المقاومة قد لقيا إنكاراً من بيتان، وأن هذا قد أصدر أمراً بعزله وعدم إطاعته من قبل القوات الإفرنسية المتنوعة في داخل فرنسة وخارجها. كما أن بيتان ومجلس الوزراء اعتبروا القائد جيرو في شمال إفريقية خائناً وحانثاً للعهد.

وقد يتطور الموقف فينحاز دارلان نهائياً إلى جانب السكسونيين وينشىء هذا حكومة إفرنسية في شمال إفريقية. بل إن بوادر هذا قد بدرت، حيث أخذت الصحف تنشر أخباراً أو إشاعات أن هذا تم أو في سبيل الإتمام. فإذا تحقق هذا فإن الانقسام الإفرنسي أو بالأحرى الانحياز الإفرنسي إلى جانب السكسونيين قد تزايد وصار أقوى من ذي قبل، لأن ديغول ليس هو الشخصية الإفرنسية النافذة القوية بالنسبة إلى دارلان ولا بالنسبة إلى جيرو، وإنما هو شخصية ثانوية نفخ فيها الإنكليز وقووها للتشويش والدعاية.

6 ـ خلاف بين الإفرنسيين المنحازين للسكسونيين ومداه:

ومما نشرته الصحف أخبار خلاف قام حديثاً بين أنصار السكسونيين من الإفرنسيين، فالجنرال جيرو تقدم لتنظيم الجيش الإفرنسي من جديد، وبالتالي تقدم ليحتل مركز القائد الأعلى للقوات الإفرنسية المحاربة، وهذا لن يروق لديغول وأنصاره. وقد أذيع أن أحد الضباط أطلق الرصاص على جيرو ولم يصبه، وأن الضابط اعتقل وأعدم. وقد أذيع ما يفيد أن هذا الخلاف والتنافس بين ديغول وجيرو. وفي الأصل هناك خلاف بين ديغول ودارلان، وسوف يشتد إذا ما تم إنحياز هذا نهائياً، وأقام برئاسته حكومة إفرنسية. ولسوف يظل يتجاهل ديغول، وقد يوحد مساعيه مع جيرو. وهذه الصور لحالة فرنسة والإفرنسيين هي نتيجة لما حل فيها من كوارث بطبيعة الحال.

هذا ومهما قيل في تصرفات وحركات المحور، فإن كتاب هتلر لبيتان ينم عن إخلاصه فيما يقرره من الرغبة في التفاهم مع فرنسة بأي ثمن. ومن الحق أن نقرر بأن هذه الرغبة ظهرت قبيل الحرب أولاً وفي عهد الهدنة ثانياً، ولم يبد الألمان ولا هتلر نحوها أعمالاً انتقامية قاسية، وقالوا ذلك علناً حينما جاء الوفد الإفرنسي، وكان في استطاعتهم أن يحتلوا سواحل فرنسة الجنوبية، وأن يضعوا أيديهم على الأسطول الإفرنسي بطريقة مفاجئة، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك. ثم ظل هتلر محافظاً على شروط الهدنة ومظاهرها وعلى إبداء مظاهر الاحترام للمارشال بيتان الممثل الأعلى لفرنسة. وكان هو وبيتان يكذّبان كل دعاية سكسونية بثت للتشويش عن رغبة المحور في احتلال شمال

أفريقية وتثبت الصدق في ذلك والحقيقة يكاد المرء يقول أن هتلر ذهب في التساهل والاحترام للهدنة وشروطها إلى حد كاد يكون منه خطر على موقف المحور الحربي، وظهر خطرها وخطورتها خاصة بعد هذه الحملة السكسونية على أفريقية. ولو لم يكن هذا التساهل والإحترام وقام المحور من قبيل الاحتياط باحتلال بعض الأسس المهمة في أفريقية الإفرنسية، ولو وضع المحور يديه على الأسطول، لكان قد تغير سير الحرب في إفريقية وفي الشرق لصالحه حتماً. وإذا قيل أن فرنسة كانت مكسورة وأن المحور كان في حال نصر نهائي تقريباً، ولم يكن مشتبكاً مع الروس. وهذا ما أملى عليه التساهل وأملى على فرنسة التهاون، فيقال أن المحور قد واجه بعد ذلك صعوبات شديدة في جبهة مصر. وكان احتلال تونس أو بنزرت مما يخيفها جداً، وكان وضع اليد على الأسطول لا يساعد على كسب معركتها، وهذا ما كان يتوقعه السكسونيون لأنه كان محتمل الوقوع. ولكن المحور لم يفعل، وكل ذلك استهدافاً لعدم أذية الشعور الإفرنسي وعدم ترك المجال لتأثير الدعاية السكسونية فيه ولكسب فرنسة، ولكن ظهر أن كل هذا كان عبثاً وذهب هباء.

7 ـ اتجاه الأنظار إلى مواقف إسبانيا وموقف كل من الطرفين المتحاربين من ذلك ومداه:

والأنظار والأفكار متجهة بصورة خطيرة إلى موقف إسبانيا الآن. وقد اهتم السكسونيون لهذا الموقف من الأصل، فأبلغوا حكومتي إسبانيا والبرتغال بأنهم يحترمون حيادهما ومصالحهما كل الاحترام، وأنهم لن يتعرضوا لمناطق نفوذها في شمال أفريقية. ولا ندري إلى أي حد يكون لهذا التوكيد أثر في اسبانيا، وخاصة بعد أن أصبح الجيش الألماني على حدودها، وبين المحور وفرانكو صلات ود شديدة بل واتحاد مصالح وتعاون في صدد نظامه، ويمكن أن يكون لانتصار السكسونيين والشيوعيين آثار بعيدة عليه. والمحور لا شك في أنه يعلق أهمية على موقفي إسبانيا والبرتغال وخاصة من أجل جبل طارق وأهميته المتزايدة الآن. وسيكون والحالة هذه تنافس بين الفريقين على الدولتين وخاصة على إسبانيا وكسبهما.

8 ـ تسجيل لهواجسنا وخواطرنا بسبب الحركات في التطورات الجديدة وتعليق عليها:

ومهما يكن من أمر فالحوادث الجديدة أثارت الأفكار وأهاجت النفوس وفتحت المجالات الواسعة للتخمين والحساب، وهي في الحقيقة ذات خطورة تستحق كل ذلك. وقد سببت شيئاً من القلق لنا بسبب علاقتها بقضية معركة الشرق العربي، فبعد أن كان يظن أن هذه المعركة قد تنتهي قريباً لما هو الأصلح من الموقف الحالي، صار الأرجح ارتباط هذا الموضوع بمصير الحرب عامة وعدم انتهائه قبل ذلك. وقد يمتد الأمد شهوراً وسنين، ولقد ظن البعض أن هذه الحركة مع انكسار جيوش روملِ قد جعلت إبرة النصر تتحول إلى جانب السكسونيين، في حين أننا لم نر هذا صحيحاً فالمحور في موقف المنتصر المتسلط على أوروبا ولن يكسر إلا في أوروبا. وما طرأ على جيش روملِ لن يؤثر كثيراً على موقفه العام، لأن ميدان شمال أفريقية هو ثانوي. وكل ما يمكن أن يقال أن هذا الإنكسار

من جهة وتلك الحركة من جهة ثانية أزالا خطر الانهيار عن الامبراطورية البريطانية بسرعة، وقويا موقف السكسونيين الحربي الجغرافي. ولا بد من أن يكون المحور قد حسب هذا أو حسب ما هو أشد خطورة منه وهو الإنزال إلى أوروبا وفتح جبهة ثانية. وهنا حينئذٍ يعرف الموقف، ويمكن أن تتحول إبرة النصر. وهذا ما سوف ترينا إياه الأيام الآتية.

ومما يقال إن ما أحرزه السكسونيون من نصر في الموقف الجديد سيمكنهم من ضرب إيطالية. ونظن أن إيطالية لن تكون أسهل عليهم من أي مكان آخر من أوروبا في الإنزال، بل ستكون عليهم أشد. وعلى الأقل فإن هذا ما يؤدي إليه المنطق بالرغم مما يقال عن ضعف أعصاب الجيش الطلياني استنباطاً مما كان منه، وهو ما كان للدعاية أثر كبير في تعظيمه. فجيش إيطالية ما يزال على حالته تقريباً، وهو لا يقل عن أربعة ملايين مجهزة مدربة، وكل ما مني به من خسارة لا يتجاوز نصف مليون، وكل ما انتشر منه في البلقان وجبهة روسية وجبهة فرنسة لا يزيد عن مليون. وبقية هذه الملايين مستعدة لمواجهة أي خطر يجيء من البحر، وهي قوة عظيمة جداً كما هو ظاهر.

9 ـ سعة البروز والنشاط الأميركي في هذه الحرب وتوقعاته بعدها:

وفي غمرة هذه الأحداث أخذ النشاط الأميركي يبدو قوياً في الشرق. فالقوات الأميركية الآن منتشرة في كل مكان، في العراق والهند والبحرين ومصر والسودان وبريطانية ومداغشقار وليبريا. وها هي الآن تقوم بحركة قوية في شمال أفريقية تحت قيادة أميركية، وإنه لمن الممكن أن يقال أن النشاط الأميركي الآن أقوى مظهراً وانتشاراً مما كان له في الحرب العالمية السابقة. وأن هذه البوادر تدل على عظم الدور الذي تلعبه أميركا في هذه الحرب في الأيام المقبلة، والذي تستعد له استعدادها الهائل في كل ناحية. ولعل هذا الدور يتبعه دور عظيم تقوم به أميركا بعد الحرب خلافاً لما جرى بعد الحرب العالمية السابقة، ولن تنسحب من الميدان ولن تدع الإنكليز يضحكون عليها. ولسوف يكون لصوتها وتوجيهها القوة والأثر الفعّال، ولعلها سيكون لها أثر عملي في سياسة الحكم وأنظمة الحكم في أوروبا أيضاً بقوة هذا الدور الذي تلعبه والذي تستعد له هذا الاستعداد.

ولا ندري هل ينسحب روزفلت في السنة الآتية أو يتجدد انتخابه للمرة الرابعة، فإذا تجدد فيكون ما يخشى منه على فلسطين خاصة بسبب اليهود الذين يحيطون به والذين يساعدونه أعظم مساعدة الآن في الدعاية والتنظم والانتخابات، ونحن نعرف أن اليهود حينما تأزم موقف بريطانية في فلسطين وأخذت تجنح إلى مسالمة العرب أخذوا يقومون بدعاية في صدد نقل الإنتداب إلى أميركا.

واليوم أخذ هذا الصوت يقوى، فلا شك في أن اليهود يبذلون جهودهم في هذا ليضمنوا حماية روزفلت لمشروعهم. وقد لا يتجنب روزفلت الإستجابة لهم، فهم أقوياء نافذون في كل شيء في أميركا. أما إذا لم يتجدد انتخاب روزفلت فإن الخطر على فلسطين يصبح أقل مما نظن حتى في حالة انتصار السكسونيين في الحرب لأن المفهوم أن خصوم روزفلت هم خصوم لليهود أيضاً، مع ملاحظة خبث اليهود والقول أنهم لابد من أن يكونوا محتاطين وواضعين قدماً ويداً عند هؤلاء الخصوم أيضاً.

(ونسجل من جديد أن كثيراً مما خمناه وسجلناه في سنة 1942 قد تحقق بعد انتهاء الحرب العالمية).

وعلى كل حال وباستثناء القضية اليهودية، فإن اتساع البروز والأثر الأميركي كما خمنا قد يساعد على تسوية كثير من مشاكل الشرق الاستعمارية لصالح البلاد الشرقية، فلا يبقى بهذا الأسلوب الإستعماري الفظيع الذي قاسينا شروره في بلادنا وقاسى الهنود وغيرهم شروره أيضاً. وقد أذيع منذ أيام خطاب لويلكي وهو منافس لروزفلت طالب فيه بصراحة أن لا تكون عهود خاصة بأوروبا أو الاتلانتيك، وباحترام حقوق الشعوب وبوجوب إعطاء الشرقيين حقوقهم من الآن. وقد أذيع جواب لروزفلت على الخطاب أكد فيه أن تلك العهود شاملة لبلاد آسيا وأممها أيضاً، وأنها قد قررت حق الأمم بحكم نفسها بنفسها، والقضاء على الأسلوب الاستعماري القائم فيها.

10 ـ خطاب لويلكي في صدد الاستعمار أيضاً:

وبمناسبة ذكر ويلكي والفكرة الاستعمارية نقول إن الصحف أشارت إلى أن ويلكي انتقد شرشل في خطاب له على عبارة لها علاقة بذلك، فقد قال شرشل أن بريطانية تريد أن تحتفظ بما في يدها، وأنه لم يستلم الحكم ليوافق على حل الأمبراطورية وتقسيمها. وحمل ويلكي على شرشل بسبب ذلك، وقال أن السيطرة على العالم لا يجوز أن تكون هدفاً من أهداف الحرب. وأن أميركا تحارب لغير هذا الهدف، وأن من الواجب أن يكون لكل أمة ودولة حق تقرير مصيرها والتمتع بحرية اقتصادياتها وسياستها.

وهكذا يلمح من الآن تجاذباً وتدافعاً في صدد أهداف الحرب وموقف الإنكليز بعدها، وقد لمحناهما في الحرب السابقة، وكانا من أسباب سخط أميركا وانسحابها من الميدان السياسي العالمي وخذل الرئيس ويلسون وخيبة آماله.

فهل تتكرر الصورة بشكل من الأشكال يا ترى؟

أما نحن فنرى أن تشرشل قال الواقع، وأن بريطانية لن تتخلى عن بنيانها الضخم وعما في أيديها من مستعمرات وعما تزعمه من مصالح ومواصلات. وقد أشارت الصحف بهذه المناسبة إلى خطاب ألقاه إيدن وزير الخارجية البريطانية فيه صراحة بذلك، حيث قال فيما قال أن للإنكليز خبرة واسعة عظيمة في تنظيم وإدارة العالم، ويجب أن تبقى بريطانية (دولة الدنيا) كما هي الآن. غير أن النقطة المشكوك فيها هي ما إذا كانت أميركا ستكتفي بالسخط والزعل، أو أنها ستتدخل تدخلاً عملياً في تنظيم العالم ولا تتراجع أمام مطامع الإنكليز وأهدافهم.

وهذا ما سوف تكشفه الأيام المقبلة، وإن كنا نقدر من الآن واستناداً إلى ما ظهر من أميركا من حيوية ونشاط ونفوذ إلى الجوهر أنها لن تتراجع ولن تنسحب كما فعلت بعد الحرب الأولى، وأنها ستمثل دوراً عظيماً حينئذ. وكل هذا يقال على افتراض انتصار السكسونيين في الحرب، وكل هذا يكون هباء إذا انتصر المحور. . .

(ونسجل من جديد أن ما توقعناه في 1942 هو الذي تم، وأن الرأي العام البريطاني تحول عن شرشل وحزبه وخذلهما في الإنتخابات التي جرت بعد نهاية الحرب، وأتى بحزب العمال، وأن الامبراطورية تقلّصت وتقلّصت حتى صارت تابعة وفقدت صفة (دولة الدنيا).

يوم الجمعة
20 تشرين الثاني 1942
10 ذو القعدة 1361:

1 ـ الحفاوة في تركية بذكرى وفاة مصطفى كمال ومداها:

في اليوم العاشر من هذا الشهر كانت الذكرى السنوية الرابعة لوفاة مصطفى كمال (أتاتورك)، وقد عطلت المسارح والحانات والسينما... ونكست الأعلام في هذا اليوم حداداً. وصدرت الصحف مملوءة بالمقالات عن مصطفى كمال وعبقريته ونضاله، والخدمات العظيمة التي أداها لتركية، سواء في ساحات الحرب أم في ساحات الإصلاحات، حتى نفذت قواه وتوفي قبل أن يتم الثالثة والخمسين من عمره.

ونلمس في الكتابات روح الإخلاص العميق للرجل وذكراه، وتقدير ما كان له من رجولة وعبقرية ودهاء وخدمات، حتى يمكن أن يقال إنه يكاد يصبح معبود تركية الحديثة في أوساطها القومية المتنورة وخاصة في طبقات الكهول والشباب من رجال ونساء. وفي الحق إن المرء حينما يستعرض ما نجح في ما قام به من حركة عظيمة في سبيل تحرير تركية ونهضتها الحديثة، يشعر أن الأتراك على حق في هذا التقديس الذي يشعرون به نحو الرجل وذكراه. ويزيد في هذا أنه لم يخط من بعده أية خطوة إصلاحية، وأن كل ما تسير عليه تركية من نظم وأسس وخطط إصلاح هو تراث الرجل وعهده، حتى لكأنه عمل كل ما يجب ولم يترك لمن بعده أن يعمل شيئاً جديداً. والأتراك لا ينسون في الحق زعيمهم الحالي عصمة أينونو، ويرونه ويذكرونه بإخلاص عميق، وليس من قبيل التزلف، ويرونه أحسن خليفة لمصطفى كمال، ويرون أن تركية سعيدة بكونه خلف الرجل الكبير، كما أنهم لا ينسون التنويه بأنه كان من أقوى أعضاد مصطفى كمال في كل ما عمل وخطط وسار.

ولقد شاركت صحف أوروبا وخاصة الألمانية والإنكليزية صحف تركية في التنويه بمصطفى كمال وحركته وخدماته الجلى. وهذا الإطناب الذي يكاد يكون تزلفاً يلمح من هذه الصحف في كل مناسبة، مما يمكن أن يدل على أن تركية أصبحت الآن أكثر من كل وقت شيء يحسب حسابه، ويمكن أن يقدم ويؤخر في ظروف الحرب والسلم في نظر الفريقين المتحاربين. وفي الحق إنها وخاصة الآن لكذلك، فلأيّ طرف تنحاز الآن ترجح بها كفته. ومن مصلحة كل طرف أن تبقى حيادية إذا لم تنحز إليه. وهي تكرر الآن إعلان تصميمها على البقاء حيادية، وتكرر طلب احترام هذا الحياد واستعدادها للدفاع عنه بكل قوة.

2 ـ موسم صيد السمك في تركية وبعض مشاهداتنا:

من الظواهر الطبيعية أن الخريف موسم عظيم لصيد السمك في بحر مرمرة وسواحل الآستانة خاصة. ويبدو أن هذا الموسم خصيب خاصة في نوعين من السمك يسمى أحدهما (طوريك) وثانيهما (سقومرو)، وهذان النوعان يكونان في غير موسم الخريف ضغيفين صغيرين، ولا يعدان من الأجناس المقبولة. غير

أنهما يأخذان بالنمو في الصيف، حتى إذا أقبل الخريف أو انتظم ضخما حتى تصبح السمكة في وزن الكيلو أو الكيلوات العديدة، ويكون مدهناً ولذيذاً، فيقبل الصيادون على صيده، ويقبل الناس على أكله، ويتدنى سعر السمك بهذه المناسبة إلى حد كبير، وقد بلغ وزن السمك المصطاد منه في اليوم الواحد نصف مليون كيلو أو أكثر. ويدوم الموسم أياماً بل وأسابيع. ومن الطريف أن الطوريك هو الذي يتقدم بالنمو والكثرة والضخامة، حتى إذا أخذ يقل ويتباعد عن الساحل في أواخر الخريف أعقبه السقومرو في الكثرة والضخامة. وقد ذهبنا يوماً إلى جهة الجسر وتفرجنا على صيادي السمك، فإذا عشرات القوارب ملأى بالصيد، وإذا بآلاف الأطنان تتراكم في المخازن وعلى الأرصفة متنوعة الضخامة. وقد رأينا فيما رأينا سمكة يزيد وزنها على خمسين كيلو، ورأينا سمكتين وجهاهما منبسط كوجه الإنسان وعيونهما في الجبين كعيون الإنسان. وقسم كبير من هذا الصيد يشحن إلى البلاد المجاورة التركية والأوروبية مملحاً فقط، فيعود منه ربح غير قليل على المشتغلين في صناعة السمك صيداً فبيعاً وتصديراً. ولعل هذه الظاهرة الطبيعية من جراء تغيير الطقس، فإن البرد يشتد كثيراً ومبكراً في البحر الأسود، فيهاجر هذا النوع منه بكثرة إلى الجنوب والغرب عن طريق البوسفور. وهذا يعلل كون هذه الأكوام العظيمة من السمك تصل أول ما تصل إلى سواحل البوغاز والآستانة.

3 ـ ارتفاع أسعار المعيشة في تركية وأسبابها وتعليقات الصحف وتدابير حكومية :

مازالت أسعار المعيشة ترتفع في الآستانة، ومازالت الصحف تبدي وتعيد في هذا الغلاء الفاحش وما يقاسيه ضعفاء الحال منه وما يلعبه التجار والمحتكرون من أدوار خبيثة جشعاً وطمعاً وأنانية، وهذا ذو أثر على الارتفاع المستمر، وهذه الحال على ما يبدو أمر عام في بلاد الشرق تركية ومصر وبلاد الشام والعراق الخ.. ولعله كذلك في أوروبا، وإن كانت بعض بلادها قد نظمت التوزيع تنظيماً دقيقاً كفلت به للجمهور مستوى معيشة رخيص نوعاً ما، وإن لم يكن فيه رفاه كالسابق. وقد اتخذت الحكومة التركية في الأيام الأخيرة بعض القرارات استهدافاً لتخفيف الأزمة وتقليل التلاعب والاحتكار والتضخم النقدي الذي له أثر في ارتفاع الأسعار ولتخزين البضائع أيضاً. فحظرت **أولاً** على غير التجار الرسميين أن يشتغلوا بالتجارة وأن يخزنوا البضائع، وحظرت **ثانياً** على التجار الرسميين أن لا يتجاوزوا نطاق ما اختصوا به من مواد وسلع بحيث لا يشتغل تاجر فاتورة بمواد الغذاء ولا تاجر مواد الغذاء بالفاتورة ولا تاجر الزيوت بالحبوب ولا تاجر الحبوب بالزيوت الخ.. وطلبت **ثالثاً** من جميع التجار أن يعينوا ما عندهم من مخزونات مغايرة لذلك في مدى شهر. ومنحت **رابعاً** وزارة التجارة صلاحية وضع يدها بعد انتهاء الشهر بطريق الشراء وبالسعر المناسب على كل السلع التي في أيدي التجار المغايرة لاختصاصاتهم. وهكذا أخرجت من السوق عدداً كبيراً من الذين

استغلوا فرصة الحرب وحركة الأسعار وشح المواد. ورأت **خامساً** أن تسحب من التداول أربعمائة مليون ليرة لأن كثرة المال في الأيدي سبب في تخزين البضائع وسحبها من التعامل. وسلكت إلى هذا طريقين: **الأول** أخذ ضريبة أرباح حربية من التجار بلغت حصيلتها نحو (300) مليون ليرة. **والثاني** رفع سعر السكر الذي احتكرت صناعته في تركية وكسبت بذلك مائة مليون.

ويقال إن هناك عشرات من التجار وخاصة من اليهود واليونانيين ربحوا أرباحاً طائلة تقدر بمئات الملايين، وأن ما صار في أيدي التجار من النقد كان عاملاً في حركة رفع الأسعار وتخزين البضائع ومواد الغذاء والتلاعب فيها، وأن أكثر هؤلاء هم في الآستانة التي هي الآن المركز الرئيسي لحركة التجارة والغلاء في تركية، ولهذا فإن ثلثي هذه الضريبة ستؤخذ من تجار الآستانة. ويقال إن ضريبة بعضهم قد تصل إلى مليون.

أما السكر فقد رفع سعره من ليرة وربع للكيلو الواحد إلى خمس ليرات، وسحبت الحكومة من أيدي تجاره فرق ثلاثين مليون كيلو الموجودة في السوق والمصانع. وكان من الحوافز على زيادة سعر السكر قلة الموجود بالنسبة للإستهلاك العادي، فإن الإنتاج هذا العام كان خمسين ألف طن، في حين أن المطلوب ضعف هذه الكمية، وقد خمنت الحكومة أن السعر إذا بقي على حاله سينفد الموجود قبل المحصول الجديد، فتكون أزمة خانقة، وأن السعر إذا ارتفع ارتفاعاً كبيراً قلل الناس استهلاكهم، فبقي الصنف طول السنة وتلافت الأزمة. وقد راعت الحكومة أمر الموظفين والضباط ومستخدمي المؤسسات والمتقاعدين، وأكثرهم من ذوي المرتبات القليلة، وهم الذين عليهم عبء ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة في الدرجة الأولى، ويبلغ عددهم مع أسرهم نحو مليون ونصف أو 10٪ من سكان الدولة، فقررت أن يكون سعر سكرهم حسب القديم. وكذلك سكر المستشفيات والمدارس وبعض الطبقات الفقيرة في المدن.

ونذكر أن الحكومة اهتمت بأمر الموظفين في مجالات أخرى، فجعلت سعر الخبز على نوعين، للناس وللموظفين، وجعلت سعر الرغيف الذي يزن (600) غرام لهؤلاء سبعة عشر قرشاً ولغيرهم سبعة وعشرين، وظل الخبز على هذا الأساس الجديد يوزع بالبطاقات. وقررت أيضاً توزيع قماش بدلات وكنادر للموظفين بدون مقابل.. وقد كان لهذه التدابير أثر سريع في الأسواق، فأخذت مواد الغذاء وغيرها تهبط وتكثر أكثر من ذي قبل. وكانت من دون ريب تدابير موفقة متطابقة مع العلم الإقتصادي، عدا أن الحكومة صادت بها عصفورين، تجنبت الغلاء والتضخم وأخذ مبلغ كبير للدفاع الوطني الذي يهمها الآن كل الهم.

4 ـ حالة فرنسة والإفرنسيين في الداخل والخارج وحكومة دارلان وحكومة لافال:

أخذ الموقف الإفرنسي ينجلي أكثر، فدارلان اتفق نهائياً مع قائد الحملة الأميركية الأعلى، فأعلن نفسه المفوض الأعلى الإفرنسي في شمال افريقية، وعين الجنرال جيرو قائداً أعلى للجيوش الإفرنسية فيه. وهكذا تم انحياز دارلان، الذي بدت بوادره منذ أيام إلى جانب السكسونيين. وكان من تأثير هذا أن استطاع

جيرو تنظيم جيش يبلغ عدده الآن ثلاثين ألفاً، وأن تنضم إلى الحملة السكسونية في استيلائها على تونس والنضال ضد قوات المحور فيها وطردها نهائياً من شمال أفريقية. وقد أذيعت تصريحات لدارلان يوهم فيها أن ما كان منه كان برضاء المرشال بيتان الذي لا يستطيع أن يعبر عن إرادته علناً. وأغضبت هذه التصريحات المرشال، فأذاع تكذيباً لها وقال أنه ليس الذي يخشى أحداً إذا ما أراد أن يقول شيئاً وندد بسلوك دارلان وعده مروقاً وأعلن عزله. ومنح من جهة أخرى لافال كل صلاحياته، بحيث صار في إمكان هذا أن يصدر ما يراه من القوانين والمراسيم. وعينه خلفاً له فيما إذا طرأ عليه ما يحول دون ممارسته رئاسة الدولة. فصار لافال الآن شبه ديكتاتور في فرنسة، واتجهت الأنظار إلى ما يمكن أن يفعله بعد الآن. ويخمن المخمنون أنه سيخطو خطوة جدية في سبيل التفاهم والتعاون التامين مع المحور. ولكن المشكوك فيه هو النتائج والمدى. فهل لافال وبيتان في موقف يمكنهما من التأثير على فرنسة وتسيير الإفرنسيين معهم في هذا السبيل؟ وهل المحور يستطيع أن يركن إلى هذا فيحل فرنسة من قيودها التي قيدتها في صدد حرية العمل العسكري والتسلح؟ وهل لا يخشى المحور من أن الإفرنسيين إذا ما نالوا هذه الحرية أن لا ينقلبوا حالاً فيسقطوا بيتان ولافال ويتمردوا على المحور، ولاسيما وهم يرون أن لهم حكومة في شمال افريقية، وأن هناك حملة عظيمة مستعدة للزحف والمساعدة؟. فكل هذا هو الآن موضع البحث والتخمين والحذر بطبيعة الحال. ومن جهة أخرى فإن بعض وزراء حكومة بيتان استقالوا، وأن كثيراً من رجالات فرنسة في الخارج الذين كانوا في جانب فيشي أخذوا لآن يعلنون انضمامهم إلى جانب فرنسة المحاربة ودارلان، وأن قوات إفرنسية في شمال افريقية في داكار وغيرها التحقت أيضاً بهذا الجانب فازداد قوة وأثراً. ولاشك فإن هذا سيعمل عمله في أفكار الإفرنسيين في فرنسة وفي موقفهم وخطواتهم المقبلة.

وقد قرأنا اليوم في الصحف التركية أن عدداً من أساتذة الكليات التركية من الإفرنسيين ومديري وموظفي البنك العثماني وعدداً من الرهبان وبعض كبار موظفي السفارة الإفرنسية قد أعلنوا التحاقهم بهذا الجانب. ونقول هذا ونحن نقدر أنه لابد من أن يكون لبيتان ولافال حزب أو أنصار أقوياء في فرنسة يرون رأيهما في التعاون والتفاهم مع المحور ويستجيبون لدعوتهم ويدعمون خطتهم. ونحن نعرف كذلك أن في فرنسة حزباً نازياً أشد تظاهراً وانحيازاً إلى الألمان وخططهم حتى من لافال. وقد قرأنا أن هذا الحزب قد أخذ يؤلف فرقة متطوعة لتنضم إلى قوات المحور في فرنسة وفي شمال أفريقية أيضاً.

وعلى كل حال فإن موقف الإفرنسيين أخذ يتضح، وأنه قد انجلى عن طرفين صريحين في الإنحياز إلى جانبي المحور والسكسونيين غير أن طرف المحور لم يدخل في الحركة إيجابياً وفعلاً بعد، في حين أن طرف السكسونيين قد دخل فيها.

ونسجل أن الجنرال ديغول وأنصاره لم يرقهم بروز دارلان وجيرو وتفاهمهما مع السكسونيين، حيث أخذ اعتراضهم يشتد على ذلك، وهم الذين تولوا قيادة فرنسة المحاربة منذ سنتين. وقد أعلن ديغول عدم اعترافه بحكومة دارلان وقيادة جيرو، وقال أن قيادة وحكومة فرنسة الحرة المحاربة هما متمثلان فيه وفي اللجنة القومية

التي يرأسها. وكان لهذا الإعلان الديغولي صدى في الأوساط السكسونية. وقد ارتفعت أصوات منها تؤيد اعتراض وإعلان ديغول. وسارع روزفلت إلى تصريح قال فيه أن ما كان في شمال فرنسة هو من ضرورات الموقف الحربي، وأن مواقف الإفرنسيين محفوظة، وأن حكومة فرنسة ستكون وفقاً للنظام الذي يرتضونه بحرية واستقلال. وتدخلت الصحف الإنكليزية في الموقف بين محبذ ومثرّب[1]، حيث ناصر بعضها دارلان، وقال أن حركته ساعدت الحملة السكسونية مساعدة عظيمة ووفرت عليها جهود ثلاثة أشهر، وأن من الواجب مسايرة المصلحة لا العواطف، وأن هذه المصلحة إذا اقتضت تشجيع دارلان وتأييده فيجب تأييده وتشجيعه، وحيث أيد بعضها ديغول وعزا إليه الفضل الأول وطلب عدم تجاهل هذا الفضل... وهكذا يكون في الميدان والحالة هذه فريقان إفرنسيان متعارضان في جانب السكسونيين. ولا ندري كيف يسوى بينهما، مع أنهما في رأي واحد من حيث السياسة الخارجية والإنحياز. ولعل الإنكليز يلعبون لعبتهم فيظلون محتفظين بديغول ودارلان مختلفين من أجل المستقبل على ما هو معروف من شنشنتهم.

5 ـ الحركات الحربية في شمال أفريقية في هذه الفترة:

أما الحركات الحربية في شمال أفريقية، فإن قوات المحور في الجبهة الشرقية ماتزال تتراجع وقوات الجيش الإنكليزي الثامن ماتزال تطاردها، حتى أن المصادر السكسونية تقول أن هذا الجيش واصل طريقه إلى ما يقرب من مائة وخمسين كيلومتراً من حدود تونس. وتقول مع ذلك أن من المحتمل أن تستطيع قوات المحور الصمود في خط العجيلة والتمكن من وقف زحف الجيش الثامن مدة من الزمن. والمصادر المحورية لا تتكلم. لكون موقف جيش رومل خطير، وأنه مايزال يتراجع. وقد قال بعض المراقبين أن هذا الجيش سيظل في تراجعه إلى حدود تونس حيث يتحد مع قوات المحور التي في الأراضي التونسية. وقد ذكرت بعض الصحف أن رومل ذهب إلى أوروبا ثم عاد، وأنه الآن في تونس. وأما الجبهة الغربية فإن القوات السكسونية الزاحفة على تونس استطاعت أن تدخل من ثلاث نقاط على ما ذكرته المصادر السكسونية، وأن القائد الإفرنسي جيرو معها على رأس ثلاثين ألفاً، وأن القوات الإفرنسية في تونس قد انضمت اليه، وأن السكسونيين ينظرون إلى الموقف باطمئنان تام بأنهم قاضون نهائياً على قوات المحور في تونس وفي طرابلس.

هذا في حين أن المصادر المحورية أذاعت رسمياً أن قوات المحور قد نزلت إلى البر التونسي بموافقة السلطات العسكرية والمدنية الإفرنسية، وبتفاهم معها، وقد أذاعت محطة فيشي نداء لبيتان للإفرنسيين في شمال إفريقية بعدم مقاومة قوات المحور. وأذاع قائد هذه القوات وهو معاون رومل نداء قال فيه أنه أتى بالتفاهم والتطابق مع بيتان، وأنه يستهدف الدفاع عن الأمبراطورية الإفرنسية، ودعا القوات الإفرنسية إلى الإنضمام إليه، وصار يذاع أخبار اشتباكات بين طلائع القوات المتحاربة. وأذاعت المصادر السكسونية أن طلائع المحور اضطرت الى التراجع، وأن قوات المحور في

---

(1) لائم أو مستنكر.

تونس لا تتجاوز عشرة آلاف، في حين أن مجموع قوات السكسونيين في الجبهة الغربية ثلاثمائة ألف، يضاف إليها القوات الإفرنسية بقيادة جيرو. وأذيع أن قوة إفرنسية مؤلفة من عشرة آلاف قد جهزها الأميركان في أواسط أفريقية، زاحفة الآن الى الشمال لتطويق الجانب الجنوبي من قوات المحور، وأن الجيش الإنكليزي زاحف بقوة الصاعقة لتطويقها من الشرق، وأن قوات سكسونية متضامنة مع قوات إفرنسية زاحفة لتطويقها من الغرب. فهذه الأخبار والتفوق العظيم مما يبدو صحيحاً تجعل موقف القوات المحورية خطيراً وصعباً، والأنظار متجهة الآن إلى هذه الناحية لمعرفة النتائج التي يمكن أن تظهر هذا الأسبوع. ولا يعرف خطط المحور على حقيقتها. فمن الصعب أن يقال أنه جازف في خطوته التونسية مجازفة اليائس. والمعقول أن يكون مطمئناً إلى موقفه وواثقاً بنفسه.

والأخبار تتردد بأن قوات محورية كبيرة سحبت من الجبهة الروسية بسبب توقف القتال لاشتداد البرد، وهي تحتشد الآن في البلقان وإيطالية وصيقليا، وبأن الأسطول الإيطالي أيضاً يحتشد في السواحل الشرقية للبحر الأبيض. وهذا كله يمكن أن يدل على أن المحور سائر في سبيل تطبيق خطط مرسومة لإنقاذ الموقف ومفاجأة السكسونيين في ناحية ما وسنرى.

ولقد أذاعت مصادر المحور أن مجموع ما أغرقوه من بواخر الحملة السكسونية بلغ (80) باخرة حربية وتجارية، وأن نشاطه مشتد في البحر الأبيض والبحار الأخرى في صدد عرقلة نقليات ومدد السكسونيين البحرية. ومما لا شك فيه أن هذا سوف يظل معكراً لهؤلاء وسيفاً مصلتاً فوق رؤوسهم، وإذا استطاع المحور الإحتفاظ بثغر بنزرت وأن يقوي مركزه في تونس كان له مجال واسع في تضييق الخناق على الأساطيل السكسونية ومراكزها في شرق البحر الأبيض أيضاً.

6 ـ الحركات في الشرق الأقصى:

وبينما تجري هذه الحركات الحربية هنا بنشاطها العظيم، تجري في بحار الشرق الأقصى حركات حربية بحرية مما تورد الصحف والإذاعات أخباره، فالصراع مستمر بين القوات اليابانية والأميركية حول جزر سليمان. وقد استطاع الأميركيون تثبيت قدمهم في بعضها، ويحاول اليابانيون استرداده، ويجري مصاولة هائلة بين القوتين. وقد نقلت الأخبار خبر معركة بحرية عظيمة وقعت بينهما، زعم الأميركيون أنهم ضربوا فيها القوات اليابانية ضربة قاضية وأغرقوا لهم عدة بوارج وحاملات طائرات ومدمرات ومراكب نقل، وزعم اليابانيون عكس هذا تماماً، وقالوا أنهم هم الذين ضربوا خصومهم ضربة شديدة.

على كل حال، فالذي لا شك فيه أن الطرفين يتكبدان الخسائر، وأنهما يبالغان في أخبارهما لأجل الدعاية وخاصة إزاء شعوبهما، وقد قلنا ونقول أنه لو صدق أحد الطرفين لكان يجب أن يكون الطرف الثاني قد خر صريعاً. والحالة ليست كذلك.

وحركات اليابانيين في الصين متوقفة أو مسكوت عنها، فلا هم يذكرون شيئاً ولا الصين ولا المصادر السكسونية، ولم نستطع تعليل هذا، فهل اليابانيون أوقفوا حركاتهم التي شغلتهم زهاء خمسة أعوام ورأوها بالنسبة للموقف الجدي بينهم وبين الأميركان ثانوية

فكثفوا قواهم لهؤلاء ولبريطانية معاً، وأنهم يستعدون لمفاجأة جديدة في الشرق الأقصى على حدود الهند أو الروس مثلاً، وليس هذا بعيداً فلننتظر.

7 ـ الحركات في الجبهة الروسية:

والحركات الحربية في الجبهة الروسية تكاد تصبح محلية في موسم البرد والثلج الذي أخذ يشتد في هذه الجبهة، وأخذ الألمان يستعدون لفصل الشتاء. والأخبار الواردة عن هذه الجبهة لا تتعدى الإشارة إلى حركات محلية يكون النصر فيها سجالاً في منطقة ستالينغراد ومناطق القفقاس الأخرى، ولم يسجل أي الطرفين فوزاً أو تقدماً. ولقد أذيع خبر ارتياح ستالين لحركة السكسونيين الجديدة في شمال أفريقية وعدّه إياها مقدمة للنشاط الموعود. ولقد أخذ الألمان يسحبون بعض قواتهم من الجبهة الروسية ويرسلونها إلى البلقان وإيطالية. ورأى بعض المراقبين في هذا أثر لتلك الحركة ورغبة محورية في رفد مقاومتها.

8 ـ مساع مصرية لتثبيت الشخصية المصرية بعد الصلح ووعد الإنكليز ومدى ذلك:

ذكرت الصحف التركية أن خطاب العرش المصري في افتتاح دورة البرلمان احتوى إشارة إلى ما بذله النحاس لدى الحكومة البريطانية من مساعٍ في صدد موقف مصر حين انعقاد مؤتمر الصلح، وإلى جواب هذه الحكومة الذي فيه وعد وتأكيد ببذل جهدها لدعوة مصر إلى هذا المؤتمر على قدم المساواة مع الدول الأخرى ليشترك مندوبوها في أي نقاش أو مذاكرة في ما يهم مصر ويتصل بمصلحتها. ويظهر أن النحاس قد علق على هذا الموضوع أهمية عظيمة، حتى قالت الصحف التركية أنه أعظم ما ورد في خطاب العرش من المواضيع السياسية. ولا ندري مدى قوة ونفع هذا الجواب الإنكليزي، إلا أن يكون عنصراً دعائياً للسياسة الإنكليزية في الأوساط العربية. وليس هذا الجواب بأكثر من ذلك التصريح الذي أشار إليه الأمير عبد الإله في خطاب العرش أمام البرلمان العراقي، والذي جاء فيه أن بريطانية ستهتم بعد الحرب لأمر استقلال البلاد العربية التي لم يعترف بعد باستقلالها. فكل هذا كلام أجوف دعائي ليس إلا. والذي نعتقده أن إنكلترة إذا كسبت الحرب فلن تبدل شيئاً من سياستها وتصرفاتها إن لم تزدها سوءاً ولؤماً عقاباً على ما تراه من عواطف العرب الحقيقية ضدها.

وليس هناك أي ضمان ولا صحة لهذه التصريحات. ولقد كان للشريف حسين مندوبون رسميون في مؤتمر السلم بصفته حليفاً محارباً، فلم يكن لهذا من قيمة عملية في مواضيع البلاد العربية التي تناولتها مكاتباته مع الإنكليز. وفي هذا المثل الراهن الذي لا يمكن دحضه.

***

يوم السبت
1942/11/28:

1 ـ حركة ألمانية ضد الإفرنسيين:

أمس أقدم الألمان على حركة خطرة في فرنسة كان لها آثار ونتائج خطرة، وكانت الحركة رداً على ما كان من الإفرنسيين في شمال أفريقية من إعلان انضمامهم وتعاونهم مع الحملة الأميركية. وتمثلت الحركة بإصدار القائد العسكري العام الألماني في فرنسة الأمر بتجريد الجيش الإفرنسي في فرنسة وحله، وباحتلال ميناء طولون، وتجريد الأسطول الإفرنسي المرابط في هذا الميناء من السلاح وجعله تحت المراقبة والأسر الألماني. وكان من نتائج هذه الخطوة السريعة أن سارعت قطع الأسطول إلى الإنتحار، حيث أشعلت كل واحدة النار في نفسها حتى غرقت مع قائدها وبحارتها، ولم ينج من الغرق إلا بضع قطع استطاعت القوات الألمانية أن تصل إليها قبل انفجار المواد الناسفة وأن تبطل مفعولها. وقد أرسل هتلر إلى بيتان كتاباً نشرته الصحف التركية اليوم وحفظنا نسخة إحداها (تصوير أفكار)، وفيها نص كتاب هتلر وتفصيلاً للحركة وانتحار الأسطول. ولقد ذكّر هتلر، في كتابه بتاريخ بدء الحرب، وقال أن ألمانيا حمِلَت عليها حملاً من إنكلترة واليهود، وأنها مع إيطاليا خاضتا غمارها مرغمتين للذب(1) عن حياتهما وكيانهما، وعن مصالح أوروبا التي تحاول إنكلترة التلاعب فيها، وبأنه كان أعلن قبل الحرب لفرنسة بأنه ليس له أي مطلب منها، وبأنه ليس بينها وبين ألمانيا أي عداء، وبأنه طلب من القائمين على رأس فرنسة آن ذاك الإمتناع عن تسبيب إراقة الدماء وإعادة العداء ثانية على غير ضرورة وبما كان من فشله في ذلك. ثم ذكر أنه بالرغم من انتصار ألمانيا العظيم الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ، حاول أن لا يؤذي شعور فرنسة في شروط الهدنة، وأن يهيء دائماً جواً للصداقة والتعاون بين ألمانيا وفرنسة لصالحهما ولصالح أوروبا معاً. وأنه أثبت ذلك بجميع تصرفاته وخاصة بتسريح سبعمائة ألف أسير إفرنسي، والمساعدة على تسليح جيش إفرنسي، وباحترام العاطفة والشرف الإفرنسي في شخصية وأشخاص رجال حكومته. وقال إن كل هذه الميول والجهود والمعاملة الحسنة لم تجد نفعاً، حيث أن قسماً كبيراً من قواد فرنسة ورجال سياستها تآمروا مع السكسونيين. وبفضل هذا التآمر أنزل السكسونيون قواتهم إلى شمال أفريقية. ومنهم من فعل هذا ناقضاً كلمة الشرف التي أعطاها باسم فرنسة والجندية الإفرنسية (الظاهر أنه يعني دارلان وجيرو)، وحينما اضطرت قوات المحور لاحتلال سواحل فرنسة الجنوبية احترمت رغبة قواد البحر الإفرنسيين في عدم احتلال طولون إركاناً على كلمة الشرف التي أعطوها، وهي مقاومة كل عدوان من أية جهة جاء، وكان هذا بتاريخ 11 تشرين الثاني 1942، غير أنهم لم يلبثوا أن نقضوا كلمة الشرف بإصدار الأمر في 12 تشرين الثاني بعدم مقاومة القوات السكسونية في حالة محاولتها النزول إلى البر الإفرنسي. وقال أنه وقع في يد ألمانيا وثائق مادية تثبت كل ذلك، عدا ما لمسه الألمان لمساً

(1) الذب: الدفاع.

غير قابل للمكابرة من بوادر التآمر بين ضباط الجيش البري والأسطول ضد قوات المحور. وقال أن كل هذا هو الذي اضطره إلى اتخاذ التدابير التي رآها ضرورية لدفع الخطر عن الكيان الألماني وعن أرض فرنسة نفسها، وذلك باحتلال طولون وتجريد الجيش الإفرنسي والأسطول الإفرنسي من السلاح، وقمع كل مقاومة قد تبدو. وكتاب هتلر مملوء بعبارات الإحترام للمرشال، والإشارة إلى أن هتلر قانع بحسن نيته وبعدم رضائه عن هذا الموقف، ولكن حكومة فرنسة فقدت على ما يظهر تأثيرها. وفي هذه الحال يكون من الخير حل القوات المسلحة التي قد تصبح عنصراً خطراً لا يمكن التغلب عليه بالحسنى، وتجريد الأسطول ووضعه تحت المراقبة حتى لا يفر وينضم بدوره إلى السكسونيين. وقد أبدى هتلر استعداده للقيام بكل ما يمكن في سبيل توطيد الصداقة الألمانية الإفرنسية وتهيئة الجو للتعاون، وأعلن أن لا ألمانيا ولا إيطالية تصبوان إلى امبراطورية فرنسة أو تطمعان فيها، وأن كل ما ترغبان فيه هو الدفاع عن حياة وكيان ومصالح أوروبا ضد السيطرة السكسونية اليهودية الجانية. . . .

وكتاب هتلر وثيقة عظيمة لا يمكن إذا قرأه منصف إلا أن يشعر بصميميته وصدقه فيما قال، وبحسن نيته في كل ما سار فيه من خطوات في فرنسة إلى الآن، بالرغم عن أن هذا الحادث قد قضى على كل أمل واحتمال للتعاون الإفرنسي المحوري. ومع أن ظروفه السابقة قد أثبتت بما كان الناس يقدرونه من ميل فرنسة القلبي نحو السكسونيين ضد المحور.

ومن الحق أن نسجل أن تطورات موقف الإفرنسيين كانت تترشح لهذه النتيجة، وكان الناس ينتظرونها. فكلّ من أمكنه الإفلات من أرض فرنسة التحق وتعاون مع السكسونيين بقوة وصراحة. ودارلان مثّل هذا الدور بقوة وجلاء، مع أنه كان متظاهراً في الجنوح إلى مسايرة المحور والتفاهم معه. ودلّ بذلك على احتمال كون كل ما كان من هذا القبيل إنما كان مداراة ومداورة وكسب وقت. وهذا ما جعل هتلر يقول أنه أدرك أنه كان مخدوعاً، وأن صميميته وحسن نيته ودقة مداراته للعواطف الإفرنسية لم تكن تجدي شيئاً. . .

وقد كان من مظاهر تطورات الموقف الإفرنسي أن أعلنت السلطات الإفرنسية في داكار والمستعمرات الإفرنسية غربي أفريقية وأواسطها انضمامها إلى دارلان واتحادها معه. فكسب دارلان بذلك قوة جعلته يعتبر نفسه ممثل فرنسة الامبراطورية.

ومن الغريب أنه أذاع بياناً بالراديو بمناسبة هذا الانضمام، فقال فيما قاله أن الذين أعلنوه عبّروا عن أفكار المارشال بيتان. وأنه مازال يعتبر نفسه صادقاً مخلصاً له. وأن حركته وما انضم إليها هي صورة من صور الصدق والإخلاص للمرشال. ومع أن عنصر الدعاية هو الظاهرة القوية في خطاب دارلان، فإن هذا لا يمنع من الشك في المارشال نفسه. ونحن لم نشك يوماً في أن الإفرنسيين باستثناء لافال وحزبه وهم أقلية على كل حال، يتمنون انتصار السكسونيين ويرون فيه ضمانة لمجدهم وكيانهم أكثر من انتصار الألمان. وقد لا يكون في هذا خطأ مهما قيل أنه ابن العاطفة أكثر منه إبن المنطق.

لقد خطب لافال قبل هذه الحوادث فأيد وجهة نظره بفائدة فرنسة في التعاون مع المحور، وبيقينه في انتصار المحور في النهاية، وبتصميمه على تأليف جيش إفرنسي متطوع

يشترك مع قوات المحور في الدفاع عن شمال إفريقية. ويظهر أن الحزب النازي الإفرنسي وحزب لافال قد خطوا خطوة جدية في تأليف هذا الجيش وإعداده، ولكنا نعتقد أن هذا المشروع قد فشل نهائياً. فإن الألمان لن يثقوا بالإفرنسيين ويركنوا إليهم. والإفرنسيون لن يحاربوا إلى جانب المحور، والعداء الإفرنسي الألماني قد انتعش صريحاً واضحاً بعد الحوادث الأخيرة. وقد وجه ديغول نداء بالراديو على أثر غرق الأسطول نوه فيه ببطولة الأسطول وقواده وبحارته، وأعلن أن هذا الحادث سيكون من نتيجته ولادة فرنسة الجديدة وانتهاء عهد القلق والتردد الذي كان يسود فرنسة في أوروبا... وديغول حاول بها إثبات وجوده، ولكن الوجود والبروز يكادان الآن ينحصران في دارلان..

ومما يمكن أن يضاف إلى هذه التطورات تطور موقف المستعمرات الإفرنسية في بحار أميركا أي جزر المارتينيك والأنتيل وغيرها. فقد تم الإتفاق بين سلطاتها والحكومة الإفرنسية على فك ارتباطها من فيشي وممارسة السلطة كسلطة فرنسية مستقلة، إلى أن ينجلي الموقف. والمرجح أن هذا ليس إلا خطوة تعقبها خطوة إعلان التحاقها بحكومة دارلان. وقد تعجل حادث الأسطول هذه الخطوة، ولا ندري ماذا يكون موقف بيتان وحكومة لافال بعد الآن. فهل يجدون إمكاناً للإستمرار في ممارسة سلطاتهم كحكومة رسمية متهادنة مع المحور، وهل يجد لافال إمكاناً للاستمرار في خطته التعاونية مع المحور، وهل يجد المحور فائدة في هذا الاستمرار؟. والذي نرجحه أن المحور لا يتناسب مع وضع بيتان ولافال، لأنه أصلح له وأقل كلفة على كل حال، وسنرى.

2 ـ الموقف الحربي في شمال أفريقية:

أما الموقف الحربي في شمال أفريقية، فإنه بالنسبة لجبهة ليبية يمكن أن يقال إن جيش رومل قد وقف في العجيلة للدفاع، وأن من الممكن أن يصمد ويقاوم فيها، والسكسونيون يعترفون بذلك. ويقال أن قوة التحكيمات في هذا الخط لا تقل عن قوة تحكيمات العلمين. والإنكليز الآن قد بعدوا عن خطوط تموينهم بعداً عظيماً، فليس في إمكانهم تشديد الضغط هنا كما كان أمرهم في خط العلمين. والأخبار تذكر أن جيشهم الثامن قد اقترب من خط العجيلة، وأنه يستعد للزحف لاختراقه، وأن جيش رومل تلقى مدداً قوياً يساعده على الصمود طويلاً. وبالنسبة لجبهة تونس فإن الأخبار متواترة على أن المحور قد حشد فيها قوات كبيرة آلية وجوية وبرية، وأنه صار في إمكانه الدخول في معارك كبيرة والصمود فيها وتخييب أمل السكسونيين الذي أملوه في حركتهم الكبيرة.

والمصادر السكسونية تؤيدهذا على ما يظهر، فقد أخذت تصف سهولة اتصال المحور بمراكز تموينه التي بينها وبين قواته في هذه الجهة مائة كيلو متر (بين صقيليا وبينزرت)، وتقول فيما تقوله أن أثر المفاجأة قد انتهى، وانه بدأ عزم قوي من جانب المحور، وأن ذلك يجعل السكسونيين مضطرين إلى الإحتياط والتأني حتى يصير لهم التفوق الجوي وحتى يتمكنوا من تأمين جميع احتياجاتهم... ومن الغريب أنها أخذت تقول فيما تقول أيضاً أن من أهم أغراض الحركة السكسونية تحريك فرنسة وجلبها نحو جانب الحلفاء **أولاً**، والتخفيف عن جبهة روسية

بإرغام المحور على سحب قوات كبيرة جوية وآلية وبرية منها **ثانياً**، وأن هذين الهدفين قد تحققا. وأن من مظاهر هذا ما بدا من نشاط الروس وتمكنهم من تسديد ضربات شديدة للألمان في منطقة ستالينغراد، وما كان من حركة الإفرنسيين الواسعة الإنحيازية في أفريقية وبحار أميركا. .

وبهذه المناسبة نقول إن الدعاية السكسونية منذ حركة العلمين إلى نزول قوات السكسونيين في شمال أفريقية قد ملأت الدنيا تهويلاً وتعظيماً وفخراً وزهواً في صدد اندحار قوات المحور وقرب عاقبتها الوخيمة وانحلال معنوياتها ووقوع دول المحور في حيص بيص من جراء هذه الحركات التي ليست إلا مقدمة لما يأتي بعدها، ومن عزمات سكسونية تدك الجبال. وقالت فيما قالته أن الانحلال قد بدت بوادره في إيطاليا، وأن هذه لن تلبث أن تنال ضربة شديدة متوقعة حتى تنهار نهائياً الخ الخ. . وركزت الدعاية السكسونية خاصة على تصوير ما أصاب جيش روميل من سحق ومحق وهزيمة وانحلال، ولقد أثرت هذه الدعاية على الناس تأثيراً عظيماً حتى على الذين يلمحون فيها قصد الدعاية والتبجج. وقد كان من أثر ذلك أن أخذت الصحف التركية والعربية تردد كل ذلك. غير أن هذا الأثر أخذ يخف ويضؤل بعد أن عرف أن جيش روميل لم يمحق ولم يسحق، وبعد أن أخذ السكسونيون يعترفون أنه يستطيع الصمود والمقاومة، وأن المحور قد حشد قوات كبيرة في شمال أفريقية، وأن من المنتظر أن تقع معارك عظيمة ونضال قاس. وقد أخذوا يمهدون لما يمكن أن يلقوه من خيبة أمل، في قولهم أنهم استهدفوا أهدافاً أخرى من حركتهم قد تحققت. ويلحظ الآن خفوف صوت التهويل والزهو كثيراً بالنسبة للسابق، مما يدل على أنهم لم يستطيعوا أن يظلوا على مكابرتهم إلى النهاية أمام الحقائق التي ظهرت بالرغم عما غطاها من تهويل ودعاية طيلة أيام عديدة.

وعلى كل حال، فإنه يمكن أن يقال أن الطرفين في الجبهتين يستعدان، وأن دور المعارك الشديدة لم يبدأ بعد بجد وقوة، وأن أخبار المحور تدل على أنه متمكن مطمئن إلى النتائج.

3 ـ الموقف في الجبهات الروسية:

وأما بالنسبة إلى الجبهة الروسية فإن الروس يبدون نشاطاً في منطقة ستالينغراد خاصة وفي مناطق أخرى. وقد اعترف الألمان باختراق الروس لبعض خطوطهم عبر أخبار هذين اليومين، تدل على أن الألمان استطاعوا أن يصمدوا وأن يحبطوا نشاط الروس وحركاتهم. ويقولون الآن أن اختراق الروس لبعض خطوطهم سينتهي بكارثة عليهم كما كان الأمر في اختراق خطوط فركسوف في صيف هذا العام. ويبدو لنا أن الدور الذي مثل في شتاء السنة السابقة يمثل الآن. فالألمان يبدلون الآن خطوطهم ومراكزهم لفصل الشتاء. وقد يكونون سحبوا بعض قواتهم إلى الوراء فاغتنم الروس الفرصة فتقدموا وكروا. ولكن هذا لم يلبث أن ظهر أنه موضعي، ولاسيما أن الألمان قد استعدوا للشتاء استعداداً عظيماً. ولاشك في أنهم تعلموا درس السنة السابقة وأعدوا للأمور عدتها. ومهما يكن من أمر، فجميع المظاهر تدل على أن الجيش الروسي لم يُضرب هذه السنة ضربة شديدة، وأنه لايزال يتمتع بشيء كثير من قواه ومعداته ونشاطه وأمله، وأنه بهذا

الوصف يستقبل السنة الآتية، وأن كل هذا سيكون من المصاعب التي سيواجهها المحور في هذه السنة، لأن السكسونيين يكونون قد أتموا استعدادهم أو ساروا فيه أشواطاً واسعة وسنرى.

***

يوم الاثنين 7 كانون الأول 1942 :

1 ـ طقس تركية واستانبول العجيب هذه السنة :

من عجيب أمر الطقس في هذه السنة أنه لم ينزل ثلج إلى الآن في الآستانة ولم يشتد البرد كثيراً، ومازلنا من آن لآخر نستمتع بشمس دافئة وجو صاح. وكل ما كان من مظاهر الشتاء وقوع أمطار غزيرة بضع مرات دون اتصال طويل. ونسجل هذا لأننا نتذكر أن الثلج نزل بضع مرات في السنة السابقة في مثل هذا التاريخ، وأن البرد اشتد كثيراً، وقد حرمنا أشعة الشمس الدافئة والجو الصاحي منذ أوائل تشرين الثاني، بل وكنا أخذنا نرجف من البرد منذ أواسط تشرين الأول. وهذا مصداق ما قيل أن برد وشتاء وثلج السنة السابقة كان غير إعتيادي، وكان يقع فقط في فترات من السنين مرة، وأن الطقس الذي نحن فيه الآن هو المعتاد. ومما يصل إلينا من أخبار الجبهة الروسية ايضاً يستدل على ان موسم البرد والثلج والشتاء هذا العام اخف بكثير من العام الفائت مما يدل على كون موجة السنة الفائتة كان غير اعتيادي في كل مكان ايضاً.

2 ـ خطاب شرشل عن المواقف السياسية والحربية وتخميناته وتهديداته :

في هذه الفترة خطب شرشل، وقد أشاد بما

تم من نصر باهر للحلفاء في شمال أفريقية الشرقي والغربي، ومما جاء في خطابه يفهم أن حملة شمال أفريقية الجديدة قد تقررت فكرتها منذ نحو سنة مع روزفلت، وأن هذا هو الذي تبنى تنفيذها واحتفظ بقيادتها لقائد أميركي، وأن شرشل أخبر ستالين بالفكرة حينما زار موسكو. ومن طريف ما قصه شرشل أنه قال لستالين: إننا في أوائل الشتاء سنفتح جبهة ناجحة في شمال أفريقية وسننتصر في معركة ليبية وحينئذ سأبرق لك بذلك. وأن ستالين أجابه بقوله: وحينئذ نحن ننتقل من الدفاع إلى الهجوم ونكسح عدونا كسحاً تاماً، وأبرق لك أنا أيضاً بذلك. وقد انتصر السكسونيون فعلاً في معركة مصر وكسحوا المحور إلى الغرب، كما أنزلوا حملتهم إلى شمال أفريقية وأصابت نجاحاً. وفي نفس الظرف كانت حركة روسية نشيطة ضد خطوط الألمان في ستالينغراد وموسكو والقفقاس أصاب الروس فيها بعض النجاح، وأصيب الألمان فيها ببعض الإضطراب والمصاعب. . . .

وقد قال تشرشل فيما قاله أن مقاصد حملة شمال أفريقية سحب فرنسة نهائياً إلى صفوف الحلفاء، وإحباط حياة الهدنة التي تحياها، وتهية الجو للإفرنسيين للاشتراك الواسع في النضال. وأن هذه الأغراض قد تحققت أو تحقق أكثرها. فإن المحور باحتلاله جميع فرنسة قد أعلن إفلاس الهدنة، وأن قوات فرنسة بالتحاقها بقوات الحلفاء في شمال أفريقية وتضامنها معها قد أعلنت سقوط عهد الهدنة.

وجاء انتحار الأسطول الإفرنسي وحل الجيش الإفرنسي إعلاناً قوياً على فشل كل فكرة تعاون إفرنسي محوري أو صداقة إفرنسية محورية، وعلى العداء القوي الذي يكمن في فرنسة نحو المحور وقواته. . وقد تزلف تشرشل في خطابه لروزفلت، فقال إن بريطانية في هذه الحملة ليست إلا مساعدة لأميركا، وأن قوات بريطانية هي تحت إمرة القائد الأميركي الأعلى. . على أن تشرشل لم يتهور في التفاؤل كعادته، بل أشار إلى أن هذا النجاح الذي أحرزه الحلفاء ليس إلا بداية، وأنه لا يجوز أن يستخف الفرح والأمل الناس، وأن ألمانيا ما تزال قوية في جيوشها ومنابعها ومصانعها وقدرتها. وأن أمام الحلفاء مصاعب وتجارب كبيرة وخطرة. ولكنه مقابل تحفظه هذا بالنسبة للألمان حمل على إيطاليا حملة تهويش وتهديد واستخفاف، وقال أن شمال أفريقية ليس إلا جسراً للعبور، وأن الخطوة الخطيرة الثانية هي إيطالية. وقال فيما قاله أن إيطالية دخلت الحرب بدون أية ضرورة، فقد كانت تتمتع بأمنها وسلامتها وأمبراطوريتها، وقد تزلفنا لها نحن وروزفلت وحاولنا استرضاءها بكل وسيلة، ولكن موسوليني أبى إلاَّ جرها إلى النار، وأنها سوف تنال جزاءها القاسي إلى أن تعلن عصيانها على هذا الرجل الذي جرها إلى خرابها، ولا سيما أن العالم يعرف أن إيطالية ليست دولة حرب ولا قتال. وما قمنا به من حملة جوية تخريبية على مدن ايطالية ليس إلا القطرة الأولى، وسوف تلقى من هول هذه الحملة ما يجعلها تندم ألف مرة على انسياقها وراء موسوليني، وسنترك لها القرار في ما تريد أن يكون مصيرها الخراب أم الخلاص.

وعنصر التهويش والتخويف هو الغالب في كلام تشرشل، لأن المستقر في الأذهان أن أعصاب الطليان أضعف من أن تتحمل امتداداً ومصاعباً وأهوالاً وخسائر وتخريبات وهزائم. وأنهم في طول هذه الحرب لم يكسبوا نصراً،

وهم في كل موقف يخسرون وينكسرون لولا أن يتداركهم الألمان. فإيطالية هي النقطة الضعيفة في المحور، ولذلك توجه الحملات الشديدة إليها بطبيعة الحال. ولقد أشاد تشرشل بما كان من نجاح الحملة الإفريقية، وكيف أنها دبرت ونفذت بكل دقة وبراعة، وأنه استخدم فيها (500) باخرة نقل و(400) قطعة بحرية حربية. وقال فيما قال أن المحور قد جمع غواصاته لضرب القوافل، وأن قوات الحلفاء قد أنزلت ضربات شديدة عليها، حتى يمكن أن يقال أنها أحرزت نصراً باهراً عليها.

ومن غريب ما قاله إنهم قطعوا (1600) كيلومتراً بسهولة من سواحل البحر الأطلسي إلى أواسط البحر الأبيض، ولم يبق عليهم إلا (30) كيلومتراً هي التي أسرع المحور إلى وضع يديه عليها، وإن من المنتظر أن تقع معارك رهيبة وأن يكون نضال قاسٍ حول هذه المساحة الصغيرة. وقلنا أن من الغريب أن نقول ذلك لأن هذا السير الذي ساروه إنما كان سيراً اعتيادياً لا يحتاج إلى حرب ولا كفاح تقريباً، وليس مدار افتخار وزهو بطبيعة الحال.

ومن الطريف أن غواصات المحور قامت بحملة شديدة في اليوم الذي كان تشرشل يخطب فيه، وأذاعت محطة برلين خبر ما أنزلته من الكوارث في الأساطيل السكسونية، حيث بلغ حمولة المغرق على ما قالته نصف مليون طن نصفها حربي ونصفها نقلي. ومن الحربي بارجتان وثلاث حاملات طائرات و12 طوربيداً و12 مدمرة.. وكان هذا إذا صح كله أو نصفه جواباً شديداً لتشرشل وخطابه. ولقد مر على هذا الخبر أسبوع ولم تكذبه المصادر السكسونية.

وبالإضافة إلى هذا فإن مصادر المحور أعلنت أن مجموع ما أغرقته غواصاته في تشرين الثاني قد زاد على المليون طن، وقالت أن هذا الرقم فاق كل رقم لأي شهر سابق، ودللوا بذلك على اشتداد حملتهم بدلاً من خفتها كما يزعم السكسونيون.

3 ـ خطاب لموسوليني فيه رد على تشرشل:

ولقد خطب موسوليني بعد خطاب تشرشل خطبة طويلة بعد سكوت طويل على غير عادته، وقد رد في خطابه على تهديدات تشرشل وتحقيراته، وقال فيما قال أن إيطالية لن تؤخذ بالتهديد ولا بالتخويف ولا بالدعاية، وأنها لن تتحول عن موقفها في الإستمرار في الحرب إلى النهاية. ولقد ذكر في خطابه ما أصاب الجيش الطلياني من خسائر أسرى وقتلى وجرحى، وما أصابه من مكاسب أيضاً. ولقد كان تشرشل قال إن في أيدي السكسونيين (300) ألف أسير طلياني و(100) جنرال طلياني. فذكر موسوليني أن في أيدي المِحور (3500) ضابط بريطاني وثلاثين جنرالاً وسبعين ألف أسير... الخ.

وحمل موسوليني على بريطانية في مطامعها وأهدافها، وقال إنها تريد أن تجعل الدنيا كالهند وتحكمها كما تحكم الهند، وأنها إذا جردت من ثوب السموكنغ لن تعدو في قسوتها إلا وحشاً من وحوش القرون الأولى في شراستها وأنانيتها وأحقادها. ولقد كان تشرشل قال على ما يظهر أن موسوليني ابن حداد فكيف يتحكم في الأمة الطليانية. فرد عليه موسوليني قائلاً إنه رغم كونه إبن حداد، فإنه يرى نفسه أعلى نفساً وهمة وخلقاً من تشرشل، ولا يتنازل إلى مقايسة نفسه معه.

4 ـ خطاب إيدن ومداه الخطير وتعليق عليه:

وخطب إيدن في هذه الفترة خطاباً في مجلس النواب أثار الصحف التركية وأشعلها وما يزال. ففي سياق بحثه في ما يجب عمله بعد الحرب، قال في ما قال أن من الواجب اتخاذ التدابير الدفاعية الكافية لمنع ألمانيا من العودة إلى العدوان، وأن هذا لا يتسنى إذا ترك أمر دفاع كل دولة لنفسها، وإذا ترك لكل دولة حق التصرف والإختيار والتسلح كما تريد، وأنه من الواجب أن يقوم بهذا الأمر دول بريطانية وأميركا وروسية، حيث تؤلف هذه الدول الثلاث الكبرى قوى الدفاع عن أوروبا، وتأخذ على عاتقها السهر عليها وتنظيمها. وقد انبرت الصحف التركية جميعها للرد عليه، فأبدت استهجانها لقوله الذي يعني فيما يعنيه استهداف إقامة تحكم عسكري وسياسي على دول أوروبا والعالم من قبل الدول الثلاث الكبرى. وفندت ذلك وقالت أنه ليس إلا صورة لما يعزوه السكسونيون للمحور، وأنه مناقض كل المناقضة لما يعلنوه من كونهم إنما يحاربون في سبيل تحرير العالم من السيطرة والتحكم المحوري، ولتأمين حرية الأمم وحقوقها ومصالحها وكيانها.

وقال كاتب تركي ساخر، إن إيدن إذا كان يقول الآن بحق حصر التسلح بالدول الثلاث ولم يكسب الحلفاء نصراً أكيداً، وكل ما كسبوه هو نجاح موضعي لا تعرف نتائجه، فسيقولون ولا ريب إذا أحرزوا نصراً أكيداً أن حق البوليس والجندرمة في العالم أيضاً يجب أن يكون محصوراً في الدول الثلاث. وقال الكتّاب فيما قالوه هذه التصريحات ستكون وثيقة ضد الحلفاء في يد المحور ودعايته، ومثيرة لخوف الدول الصغيرة وخاصة المحايدة وتشاؤمها من المستقبل وجعلها تحسب حسابات من الآن ليست من صالح بريطانية ولا في صالح الحلفاء الحربي والسياسي.

وأقوال إيدن جاءت بعد تصريح تشرشل الذي قال فيه أنه لا يرغب في تمزيق الأمبراطورية، ويريد الاحتفاظ بما في يده سليما. وكان تصريح تشرشل هذا مثيراً لويلكي المنافس للرئاسة الأميركية، وباعثاً على حملة قام بها ضد أهداف الحرب البريطانية، وفي سبيل الدعوة إلى ضرورة تركيز الأهداف والتفاهم عليها من الآن. ولا ندري بماذا يقابل ويلكي وأمثاله تصريحات إيدن وهي أشد وأبعث على الدهشة والخوف من تصريحات تشرشل. ومهما يكن من أمر فإن تشرشل وإيدن يقولان الحقيقة. فبريطانية تحارب في سبيل إدامة تحكمها في العالم، ولقد كان إيدن قال في موقف من المواقف أن بريطانية لا بد من أن تبقى دولة العالم أو الدنيا لأنها صاحبة التجربة الكبرى في الإدارة والتنظيم. ومن الحق أن نقول أن هذه المزاعم ليست منحصرة في بريطانية أو الجانب السكسوني. وأن دول المحور في نفس الموقف والتفكير، وأن هذه الحرب ليست إلا صراعاً في سبيل تقرير حق التحكم والحاكمية في العالم بين الجرمان والسكسونيين. وفريق من العالم يرى السكسونيين أخف ملمساً، وفريق آخر يرى أن العالم قد جربهم وخبرهم فرأى فيهم ما رأى من الغطرسة والقسوة والألاعيب والمطامع والدسائس والأنانية، ولكنه لم يجرب الآخرين.

5 ـ أحوال فرنسة في الداخل والخارج وردود فعل الأحداث السابقة:

وحول أحوال فرنسة وردود فعل ما حدث فيها ننقل الأفكار التالية:

أولاً: الأحاديث مستمرة حول انتحار الأسطول الإفرنسي ومداه. ويظهر أن هذا الإنتحار أساء وسرّ المحور والسكسونيين معاً. أساء كلا منهما لأن كلا منهما كان يطمع أن يلتحق به فيقوى، وكان هذا الأمل أقوى عند السكسونيين منه عند المحور. وسرّ كلا منهما لأن كلاً منهما كان يخشى أن يلتحق بعدوه فيقويه قوة عظيمة. وكان على كل حال عاملاً من عوامل التشاد والنضال فزال من الميدان...

وبانتحاره فقدت فرنسة قوة عظيمة كان يمكن أن تفيدها في المساومة أثناء الحرب وبعده، وهي رأسمال كبير لقوتها في أي وقت أيضاً، وكان يحسب حسابها بين الأساطيل العالمية كذلك. وقد أصبحت فرنسة محرومة من هذه القوة العظيمة إلى أمد طويل. وليس من ريب في أن هذا حكم عليها أن تكون إلى أمد طويل دولة ثانوية مهما كانت نتيجة الحرب. وقطع الأسطول التي سلمت لا تبلغ ربع مجموعها. وهذا لن يكفي لدولة تريد أن تحتفظ بمركزها كدولة عظمى من جهة، وكدولة ذات مستعمرات واسعة في كل البحار والأنحاء تقريباً من جهة ثانية.

وثانياً: ودارلان خطى خطوة جديدة، فأعلن أن المارشال بيتان هو بمثابة أسير، وأنه بالنيابة عنه يعلن إقامة حكومة إمبراطورية في شمال أفريقية، ويمنح نفسه صلاحية رئاستها. ثم ألف مجلس وزراء برئاسته، وأخذ يعمل في سبيل تنظيم حركته وزيادة نشاطه متجاهلاً الجنرال ديغول، وكيان لجنته القومية وكيان حكومة بيتان في أوروبا معاً. والتشاد ملحوظ الآن بينه وبين ديغول.. فهذا ما يزال يعلن أن دارلان كان عدواً لحركة التحرير الإفرنسية والحلفاء معاً بكل معنى الكلمة، ولا يمكن الاعتراف به الآن كرئيس لحركة فرنسة المحاربة ولا يمكن الإطمئنان له. ويبذل جهده في إثارة الريبة من دارلان وحركته وأهدافه في الأوساط الإنكليزية.

ويلحظ من جهة أخرى وجود شيء من التشاد والتضاد بين بريطانية وأميركا حول هذا الموضوع، حيث صرح إيدن رسمياً أن بريطانية لم تستشر في ما اتفق عليه في شمال افريقية بالنسبة لدارلان، ولهذا التصريح دلالة عظيمة على هذا التشاد. ونشاط ديغول ومنشوراته تلقى تشجيع من بريطانية، ولا ندري هل غضب بريطانية من حركة دارلان بسبب شخص دارلان نفسه أم بسبب إقدام أميركا على الاتفاق مع دارلان وتشجيعه بدون مشاورتها وأخذ موافقتها؟. وكلا السببين معقول واجتماعهما معاً معقول أيضاً. ولقد كان دارلان عدواً لبريطانية وعاملاً في سبيل التعاون مع الألمان إلى أن خرج من فرنسة، فمن المعقول أن لا يكون موضع ثقة واطمئنان بريطانية. وشمال إفريقية وحركتها متصلة ببريطانية جغرافياً وسياسياً أكثر منها بأميركا الآن وفي المستقبل، ومتصلة بمصالحها في المشرق وفي البحر الأبيض. واستقلال أميركا في الحل والربط يثير الخوف والريب فيها. وقد يدلها على ما في ذهن أميركا من خطط ونيات تعتزم السير فيها في المستقبل، وهذا مما يثير خوفها وريبتها أيضاً. ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا سجلنا هنا أن هذا التشاد الخفي يحمل بذرة التشاد على السيطرة على

العالم بعد الحرب بين بريطانية وأميركا. وفيه دلالة على صدق نظرتنا التي سجلناها سابقاً من أن أميركا هذه المرة لن تكون على الهامش ومستعدة للإنسحاب والإنزواء كما فعلت سابقاً، إثر الحرب العالمية الأولى. وسنرى.

ثالثاً: وقد جمع لافال في فرنسة تقريباً كل الصلاحيات في يده بموافقة بيتان. وهو الآن منهمك في تشكيل وتنظيم فرنسة في سبيل خلق فرنسة جديدة على حد تعبير بعض الكتّاب. وقد ذكرت الأخبار في ما ذكرت أنه يجري الآن تحقيقات عن هويات ضباط الجيش وأخلاقهم وميولهم، وكل من يثبت حسن ميله نحو المحور أرسل إلى ألمانيا لتلقي بعض التوجيهات والتلقينات، ثم أعيد للاشتراك في الجيش الجديد الذي سوف يقوم على أنقاض الجيش المسرّح مكفولاً فيه التعاون التام مع الألمان في السلم والحرب. وقد ذكرت الأخبار أن عدداً غير قليل من رجال فرنسة السياسيين اعتقلوا ومنهم رينو وزير الخارجية السابق وهريو رئيس مجلس النواب، ومن قبلهما كان اعتقل الجنرال فيغان. وقد أحال لافال مسألة انتحار الأسطول إلى محكمة خاصة لمعرفة المذنبين فيها من الأحياء ومعاقبتهم، وهكذا ما تزال الإضطرابات النفسية قائمة في فرنسة والمحاولات في سبيل التنظيم جارية..

ومن الغريب أن دائرة البحرية في فيشي أذاعت بياناً قالت فيه أن تعليمات بانتحار الاسطول قد صدرت لقواد الأسطول منذ الهدنة في حال خطر الوقوع في أيدي أية قوة أجنبية. وأن وزارة البحرية لم تكن على علم في الوقت المناسب بخطوة المحور باحتلال طولون، فلم تتمكن من إرسال التعليمات اللازمة لقواد الأسطول، فلم يكن بد لهؤلاء من تنفيذ التعليمات التي كانوا تلقوها منذ سنتين حينما اعتقدوا أن الألمان سيضعون يدهم على الأسطول. وطبيعي أنه لم يكن من المعقول أن يخبر الألمان بعزيمتهم قبل تنفيذها، لأن ذلك قد يؤدي إلى فرار الأسطول وهو ما كانوا يحذرونه.

6 ـ الحركات الحربية في هذه الفترة:

أما الحركات الحزبية في هذه الفترة فهي كما يلي:

1 ـ جبهة ليبية: يظهر أن قوات المحور قد رسخت قدمها وأحكمت موقعها في العجيلة وأصبحت مطمئنة إليه، والسكسونيون يعترفون بهذا، والجيش الثامن ما يزال يواصل زحفه ويستعد، ولم يقع إلى الآن إلا اشتباكات طلائعية ويتوقع السكسونيون عناداً ومقاومة كبيرة في المحور في جبهة تونس.

2 ـ جبهة تونس: في هذه الجبهة أيضاً وباعتراف السكسونيين يظهر أن المحور قد رسخ قدمه وأحكم موقفه واستطاع أن يأتي بقوات برية وجوية وآلية كبيرة، حتى أنه متفوق على ما يقوله السكسونيون في الجو تفوقاً كبيراً. وفي الأيام الأخيرة نشط المحور فأخذ يهاجم مراكز السكسونيين الغربية، واستطاع أن يجلوهم عن مركزين هامين هما الجديدة والتروية. وقد استعمل السكسونيون تعبير إعادة تنظيم القوة، مما يدل على أنهم تلقوا ضربة غير يسيرة. والأخبار تصف الحركات في هذه الجبهة بأنها حروب شديدة، ومع ذلك فالأولى أن يقال أن الحركات ما زالت في بداياتها، وليس من الحكمة التسرع في القول أكثر.

3 ـ في الجبهة الروسية:

هذه الجبهة الآن مقسومة لثلاث جبهات: ستالينغراد والقفقاس والمركز. وجميع الأخبار تدل على أن الروس نشطوا منذ عشرين يوماً نشاطاً كبيراً، واستطاعوا أن يزحفوا بقوات كبيرة في كل من الأقسام الثلاثة، وأن يضيقوا الخناق على الألمان ويدحروهم في بعض المناطق. غير أن حدة هذا النشاط أخذت تخف منذ بضعة أيام. ويقول الخبراء إن الروس مع كل ما بذلوه من جهد وأبدوه من نشاط لم يستطيعوا أن يكسبوا كسباً مهماً جغرافياً وعسكرياً. وكل ما استطاعوه هو حركات موضعية استفاده من موقف الألمان الدفاعي بسبب الشتاء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الالمان عادوا فكّروا بقوات كبيرة على الأقسام الثلاثة. وادعوا أنهم كبدوا خصومهم خسائر فادحة وردوهم عن الأماكن التي تقدموا إليها.

4 ـ جبهة الشرق الأقصى:

ما زالت هذه الجبهة على ما كانت عليه، فالإشتباكات تخف وتشتد بين اليابان وأميركا حول جزر سلامون وكينية الجديدة. وكل من الفريقين يعزو لنفسه نصراً وتقدماً وتحطيماً لقوات عدوه البحرية. ولكن ظواهر الحال تدل على أن هذه الحركات لا تعدو صفة الحركات الثانوية والموضعية.

وبمناسبة ذكر هذه الجبهة نقول أن وزارة البحرية الاميركية أذاعت تقريراً عن خسائر ضربة اليابان الأولى المفاجئة في هاربور، وقد جاء فيه أنه غرق وتعطل لأميركا تسع بوارج كبرى، وأن أميركا استطاعت أن تصلح جميع المعطوب، وأن تخرج ما أغرق في البحر وتصلحه أيضاً.

7 ـ حرب الشائعات الأميركية ومداها وتكذيبها:

ونذكر بالمناسبة أيضاً أن الأخبار الغريبة عن الحرب والسياسة وشوائعها تأتي الآن من أميركا. ويكاد الإنسان يلمس الكذب والتصنيع بارزاً فيها. والراجح أن في أميركا مؤسسة عالمية وفنية خاصة لخلق الإشاعات والأكاذيب الحربية والسياسية وإذاعتها في العالم استهدافاً لتسكين أعصاب الشعوب السكسونية وتقوية صمودها، ولإثارة الخوف والقلق في أعصاب شعوب المحور وكسب قلوب وعواطف الأمم المحايدة والشريفة ترغيباً وترهيباً. ويلمس ذلك في كل يوم، فمنذ شهور وصحف أميركا تعزو إلى فنلندا الرغبة في عقد صلح منفرد والإنسحاب من صف المحور، وفنلندا تكذب ذلك في كل مرة. ولكن الرواية تظل تساق بالرغم من التكذيب المتواصل، وبالرغم مما يصدر من تصريحات قوية لزعمائها وقوادها.

والغريب أن الصحف التي تردد ذلك ومن وراءها تكاد تعين وقتاً للمفاوضة على الصلح. . ومنذ شهر خاصة أدخلت النشريات الأميركية إيطالية في هذا النطاق، وأخذت تقول أن المعنويات الطليانية منكسرة، وأن جنرالاتها البريين والبحريين قدموا إستقالاتهم احتجاجاً على تصرفات موسوليني وتدخله في الشؤون العسكرية، وأن الرغبة في الرأي العام الطلياني ورجال إيطالية في صلح منفرد شديد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ووقاية المدن الإيطالية من التخريب الجوي، وأن الثورة المضادة لن تلبث أن تندلع في إيطالية، وأن المظاهرات لا تهدأ في كل مكان والأصوات ترتفع بطلب الصلح الخ. . والأحوال والمواقف والمظاهر تكذب ذلك بكل

قوة وتجعله بعيداً عن المنطق والواقع. وقد علقت المصادر السكسونية على خبر إعلان فرانكو الزعيم الإسباني النفير العام تعليقات تدخل في ذلك النطاق. وأخذت في كل يوم ترسل شائعة أعجب من الأخرى، حتى وصل الأمر إلى عزو إنذار من فرانكو إلى الألمان بصورة رسمية بأنه سيقاومهم ويحاربهم إذا هم فكروا في مهاجمة أراضي إسبانيا أو اجتيازها.. ولم يلبث كل هذا أن طار هباءً بخطاب قوي لفرانكو كال فيه المدح لألمانيا وإيطالية والتنويه بهما وبنظامهما، وبالتنويه بموسوليني خاصة، وعزو خلاص إسبانيا مما كانت فيه من بلاء إلى عبقريته ودهائه، وقال فيما قال أن إسبانيا ستظل متمسكة بنظامها المستمد من نظامي الدولتين، وستظل تقاوم الشيوعية والديموقراطية وترى فيهما خطراً وشراً، وأنه مستعد للحرب في سبيل تدعيم هذا النظام، وأنها ترغب في الاندماج في التنظيم الأوروبي الجديد الذي تخططه الدولتان وترى فيه علاج وصلاح أوروبا عامة.

وفي سياق حملة شمال إفريقية ملأت المصادر السكسونية والأميركية خاصة الدنيا ضجيجاً عن عظمة الحملة وسعة أهدافها وتجهيزاتها، حتى كاد الناس يظنون أنهم فعلاً أمام حملة هائلة ستكون مقدمة قوية لغزو أوروبا وكسر قوى المحور، بل قالت المصادر ذلك. ثم لم تلبث أن خفت حرارة هذا الضجيج والتهويل أمام إنزال المحور عشرة آلاف جندي وقليل من المعدات إلى منطقة تونس. وتبدلت اللهجة، وصارت تلك المصادر تصف المصاعب المتوقعة وعنف الموقف وشدته. ثم لم تلبث أن أخذت الحقائق تظهر، ويظهر معها أن عدد جنود الحملة أقل بكثير مما ذكر. وأن الألمان متفوقون عليها في القوات الجوية، ولم يسع المصادر إلا القول إزاء ذلك أن الإشتباك مع قوات المحور في معركة حاسمة يتوقف على إعداد وتكثيف قوات أخرى. فكل هذا يدل على أن السكسونيين والأميركيين بخاصة قد جعلوا عنصر الدعاية واختلاق الشائعات والتهويل فيها عنصراً أساسياً في حركاتهم للهدفين اللذين ذكرناهما، وهما تقوية أعصاب شعوبهم وأنصارهم وإضعاف أعصاب خصومهم وإثارة الخوف والتحفظ في الحياديين المتربصين. ونحن نسلم بتأثير هذا العنصر في النفوس، وقد لمسنا أثره في طبقة مستنيرة مفروض فيها أن لا تتأثر بذلك وأن لا يخفى عليها أهدافها الدعائية، وطبيعي أن أثره في السواد أقوى غربياً كان أو شرقياً. ومع ما يظهر من حين لآخر من فضيحة وكذب وهباء في الروايات والتهويلات فإن آثارها تظل قائمة في الأذهان، ولذلك فإن السكسونيين والأميركان بخاصة يظلون على رأيهم هذا غير مبالين بما يظهر من حقائق وفضائح تكذب رواياتهم وتنسف شائعاتهم. ولا شك في أنهم أبرع في هذا الميدان من خصومهم.

8 ـ احتجاجات فلسطينية على ويلكي بسبب رسالة أرسلها للمؤتمر اليهودي:

في صحف فلسطين التي وصلت إلينا حركة احتجاج من رؤساء وأعضاء المجالس البلدية العربية على تصريحات صدرت من ويلكي الأميركي. فقد عقد اليهود اجتماعاً في مناسبة 2 تشرين الثاني في نيويورك، فأرسل ويلكي للمؤتمر رسالة تمنى فيها نجاح الحركة اليهودية

وتأمين فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية الواسعة بعد الحرب. فأحدثت هذه الرسالة التي أذاعها اليهود استياء في العرب جعل رؤساء وأعضاء بلدياتهم يحتجون عليها.

9 ـ شهادات هجرة يهودية وتعليل إنكليزي للهدنة:

ومما قرأناه في هذه الصحف بيان للحكومة بمناسبة إصدارها شهادات هجرة جديدة فيه تعليل لذلك، ربما قصدت به الحكومة تهدئة الأفكار وعدم ثوراتها بسبب صدور الشهادات التي كان عددها (3000)، وقد جاء في البيان أن الحكومة البريطانية ماتزال عند سياستها المرسومة في الكتاب الأبيض بعدم السماح لأكثر من (75000) مهاجر يهودي في مدى خمس سنين. وأن المهاجرين الذين دخلوا فلسطين مهربين وشرعيين قد بلغوا في السنوات الأربع التي مضت على صدور الكتاب الأبيض (44000)، وأنه لم يبق لليهود إلا (31000)، وهو العدد الذي سوف تسمح به....

10 ـ تحويل اليهود لنشاطهم وتكثيفه في أميركا ومداه:

وبهذه المناسبة نقول إن اليهود على ما يظهر قد حولوا دفة نشاطهم إلى أميركا، فوايزمان هو الآن فيها، وكذلك أكثر زعمائهم. فهم يعلقون أملهم عليها إذا ما تم النصر للسكسونيين، خشية أن تظل بريطانية متمسكة بسياسة الكتاب الأبيض وتغلق باب الهجرة بعد هجرة العدد المعين فيه. واليهود شديدو التأثير على ما يبدو على روزفلت وعلى الصحافة وعلى المجالات الإقتصادية الأميركية. وفي هذا خطر على المصلحة العربية بالنسبة لفلسطين، فضلاً عن الخطر على مصالح العرب عامة إذا ما تم النصر للسكسونيين.

11 ـ عودة الدكتور الخالدي إلى فلسطين:

ومما ذكرته صحف فلسطين أن الدكتور حسين الخالدي عاد إليها من بيروت. وهكذا يكون جميع أعضاء اللجنة العربية العليا عداي وعدا الحاج أمين وجمال قد عادوا إلى فلسطين، وقد ظل الدكتور أكثر جلداً من رفاقه ثم التحق بهم.

12 ـ تطبيق نظام النقط في مواد الغذاء ومداه:

ومن أخبار فلسطين كذلك تطبيق نظام النقط في جميع المواد الغذائية ومقاديرها، فلكل شخص (800) نقطة في الشهر، وعين لكل كمية من مواد الغذاء المتنوعة عدد من النقط يختلف حسب المواد، وعلى حساب أن مجموع (800) نقطة تكفي لحاجات الفرد في الشهر كفاية متوسطة. وهذا النظام يطبق لأول مرة خارج أوروبا وفي فلسطين أولاً، وقد نجح في أوروبا، وسنرى ما إذا كان ينجح خارجها.

13 ـ رحلة الزعيم الشركسي سعيد شامل إلى ألمانيا وعودته وما حدثنا به من أخبار:

كان الزعيم الشركسي القفقاسي سعيد شامل زميلنا في المؤتمر الإسلامي العام وأحد

الشخصيات الإسلامية النشيطة، والذي التقينا به في الآستانة وجددنا معه عهد صداقة قد سافر إلى المانيا في مناسبة اشتداد النشاط في جبهة القفقاس، لعله يجد وسيلة لخدمة بلاده ضد الحكم الشيوعي الذي ناوأه ومايزال على مناوأته له. وبعد أن مكث في المانية خمسة أشهر عاد منذ أسبوعين، واجتمعنا به وحدثنا أحاديث شتى عن الألمان وعن القضية القفقاسية وعن العرب وقضيتهم. ومما حدثنا به:

1) إن الجيل الألماني الجديد قوي الإيمان بهتلر وبالنصر ومندفع في حركته وتطلعاته بكل قوة وعزم.

2) أن بعض المتقدمين في السن من الألمان يتحسبون من تكرار المأساة التي مرت بهم سنة 1918، ويشكّون في أن يكون النصر النهائي للألمان.

3) إن المحافل العسكرية الألمانية تعتقد أن الألمان قد حققوا أهدافهم في الحملة الروسية تقريباً، حيث استولوا على مساحات واسعة جداً فيها ضمانات لحاجاتهم في الحرب والسلم، من حقول زراعية واسعة إلى مناطق معدنية كثيرة إلى مصانع عظيمة إلى منابع بترول الخ.. وهم الآن يعملون بنشاط عظيم في تنظيم واستغلال كل ذلك. وهذه المحافل تعتقد أن الجيش الروسي أصبح غير خطر على الألمان، وهذا من أهداف الزحف الألماني الرئيسية. ولكن إحساس سعيد من هذه الناحية غير إحساس هذه المحافل، وهو يقول أن الجيش الروسي مايزال قوياً قوة كبيرة وخطراً على الألمان.

4) إن سكان الأراضي الروسية المحتلة من قبل الألمان يحملون حقداً كبيراً على الألمان مستمد من التقاليد العنصرية القديمة التي يغذيها عداء تقليدي بين الجرمان والسلاف. ولذلك فإن الألمان لا يمكنهم أن يطمئنوا إلى هؤلاء السكان، ولابد لهم من أن يظلوا في موقف جدي وحديدي نحوهم. والإحساس بالحقد والعداء نحو الألمان لا يقتصر على الجنس الروسي بل شامل لأهل البلاد غير الروسية مثل بولونيا ودول البلطيق الأخرى.

5) إن نشاط الألمان الحربي الصناعي والزراعي عظيم جبار، ويوجد الآن في معاملهم وحقولهم نحو أربعة عشر مليون عامل اكثرهم من الأجانب، وأن الألمان ما يزالون مصدر قوة عظيمة مرهوبة وسيظلون كذلك أمداً طويلاً.

6) إنه لا خوف من مجاعة ولا انهدام داخلي كما وقع في سنة 1918، فمواد الغذاء متوفرة كافية، وتشكيلاتهم قوية جداً، بحيث يستحيل على الدساسين واللاعبين أن يدسّو ويلعبوا ويؤثروا. والشعب قانع بأنه إذا كسر هذه المرة فسيقع تحت عبء حرمان وعدوان وهوان وقيود أشد كثيراً مما سبق، وهو لذلك مندفع بكليته في النضال الذي يعتبره نضالاً في سبيل البقاء والحياة..

7) إن المسلمين في القفقاس وشبه جزيرة القريم قابلوا قدوم الألمان بارتياح وابتهاج، واعتبروهم منقذين لهم من حكم الشيوعيين، واعتقدوا أنهم سيحققون لهم آمالهم القومية. حتى أن أتراك القريم قدموا ثلاثين ألف مقاتل ليقاتلوا معهم، كما أن مسلمي القفقاس قدموا كثيراً من المساعدات والهدايا النافعة في الأعمال الحربية.

8) إن الألمان على ما يظهر لا ينوون أن يسيروا في البلاد التي فتحوها أو احتلوها سلافية كانت أم غير سلافية على أسلوب إقامة دول أو حكومات قومية مستقلة. وإنهم ينوون أن يعتبروها مستغلات لهم، وقد ينشئون إدارات

محلية تتمتع إدارياً بعض الشيء تحت هيمنتهم وإشرافهم وتنظيمهم العسكري والإقتصادي والسياسي.

9) ومن غريب ما قصه علينا أن الألمان يسوقون كل قادر على العمل إلى ألمانيا ليشتغلوا في المعامل والحقول، ولم يستثنوا من ذلك النساء والأولاد القادرين. كما أنهم لم يستثنوا المسلمين في القريم والقفقاس الذين أظهرو لهم ما أظهروا من ترحيب ومساعدة وتضامنوا معهم في القتال حتى النساء والأولاد.. وهذا مما يثير الانزعاج والإستياء في أهل البلاد والتشاؤم من المستقبل أيضاً بدون ريب، وقد شعرنا أن سعيداً رجع خائباً ضعيف الأمل من مستقبل قومي كان يرجوه في حالة انتصار الألمان. وقد قال لنا أنه سعى وراجع كثيراً، وقصارى ما قيل له أنهم يرحبون به كمستشار في وزارة الولايات المفتوحة وموظف خبير هو وأمثاله النبهاء.

10) ومن عجيب ما نقله إلينا ضعف التساند والترابط والتساوق بين الدوائر الحكومية الألمانية، حتى لتكاد تكون كل وزارة مستقلة تعمل ما يتراءى لها دون مبالاة بما يكون في أعمالها من تناقض أو تضاد أو تعطيل للوزارات الأخرى، وهذا غير ما في أذهاننا من صورة التنظيم والتدقيق الألمانية. كما سمعنا شيئاً من ذلك من غير سعيد شامل، وبخاصة بين وزارتي الحربية والخارجية، حيث يوجد بينهما تناقضات وتشويشات متبادلة، وحيث يسير بعضهما في طريق معاكس للآخر.

11) وفي صدد العرب وقضيتهم فهمنا منه:

(1) إن الألمان جادون مخلصون في مواقفهم من قضية العرب.

(2) إن الخلاف بين المفتي ورشيد قد أثر تأثيراً سلبياً في موقف القضية العربية.

(3) إن هذا الخلاف قد وصل إلى موقف حاسم الآن تقريباً، إذ هو بارز ملموس من الجميع، وإذ أن كلًّا من الزعيمين يبذل جهده في تكثير الأنصار لنفسه وبث الدعاية ضد الآخر، وأن الإنقسام بين العرب في برلين بارز ملموس تبعاً لذلك.

(4) إنه اجتمع مع الزعيمين واستمع منهما، وأن كلا منهما يعزو سبب الخلاف إلى الآخر، وأن المفتي يقول أن رشيداً يسعى وراء مصلحة شخصية خاصة فلم يتضامن معه المفتي، فأدى ذلك إلى هذا الخلاف، لأن المسألة مسألة مبادىء وأهداف. وأن رشيداً يعزو إلى المفتي رغبته في التحكم والإستئثار وكتمان ما يجري بينه وبين زعماء ورجالات برلين وروما. وأن رشيداً طلب منه أن يقول لنا أنه مازال على عهده الذي عاهدنا عليه، وأنه سعى في أول الأمر لتثبيت كيان ومركز العراق وتثبيت مركزه حتى يتسنى له العمل في سبيل الأهداف القومية العامة.

(5) إن غروباً لعب فعلاً دوراً في ثوران الخلاف وتوسعه، وأنه نشيط وقوي، وأن معاندة المفتي له من أسباب اندفاعه ضده، وكان من المستحسن أن يداريه لأن الألمان لا يمكنهم أن يقصوا رشيداً أو ينفضوا أيديهم منه كما يريد المفتي، ولذلك فإن جبهتيهما المتصادمتين المتشادتين تستمران إذا لم يتم الإتفاق وبَعُد التضامن بين الزعيمين، وأن هذا مما يجب السعي في سبيله.

(6) إنه اجتمع بكل من الدكتور محمد حسن سلمان وناجي شوكة وسمع منهما. وهما متألمان من الحالة وعاجزان عن الإصلاح والتأثير، وأن الأول قال له: إنه لا يستطيع أن

يترك رشيد ولا يستطيع أن يناوىء المفتي، ولذلك فهو في موقف حرج، ويظن أن الإخوان في الآستانة إذا قدموا يمكن التضامن معهم في الإصلاح أو الجرأة على تخطئة المعاند والمخطىء منهما. وأن الثاني أي ناجي يكاد يكون معتزلاً للاثنين.

(7) إن إطالة المفتي بقاءه في روما تعطي وسيلة لخصومه للقيل والقال والنخر، حتى أن هذا قد أثر بعض التأثير على بعض الأوساط الألمانية.

(8) إن للمفتي على كل حال مقاماً محترماً عند الجميع ويعتبرونه زعيماً إسلامياً وعربياً عاماً. .

***

يوم الأحد
13 كانون الأول 1942:

1 ـ تصريحات متبادلة محورية سكسونية في مناسبة ذكرى اشتباك اليابان مع اميركا:

كان يوم 7 كانون الأول وهو اشتباك اليابان مع الأميركان في العام الفائت وسيلة لأقوال وتصريحات من بعض رجال المعسكرين المتحاربين. فتشرشل وجه نداء إلى البلاد التي خرجت من أيدي الأميركيين والإنكليز والهولانديين، أي بورما وجاوا ومالاويا وهونغ كونغ ومالاقا والفلبين والجزر العديدة الأخرى، يقوي به عزائم أهلها ويبشرهم بقرب التحرر والخلاص. وقد قال فيما قال أنهم كانوا معهم أي مع الإنكليز والأميركان والهولانديين سائرين متضامنين في طريق السعادة والمدنية، فاعترضت اليابان حياتهم وعطلت سيرهم، وأن هذا لن يستمر إلا وقتاً قصيراً سيرجع بعده أصدقاؤهم الأولون إليهم ويستأنفون سيرهم معاً. .

وأدلى روزفلت وآخرون من رجالات أميركا بتصريحات أعلنوا فيها عزمهم القاطع على الإنتقام من اليابان وتأديبهم وطردهم، ويذكرون عظيم الإستعدادات التي يستعدون لها من أجل تحقيق ذلك، وأن ذلك قد أخذ يؤتي أكله، وأن نجم اليابان قد أخذ بالافول، وأن الدائرة الآن تدور عليهم في جزر السلامون وكينية الجديدة.

أما رجالات اليابان فمع أن الصحف التركية

قلما تردد أقوالهم وتصريحاتهم ـ وهذه ظاهرة عجيبة ـ، فقدنشرت لهم هذه المرة تصريحات قوية، فمنهم من قال أن اليابان ليست نائمة ولا غافلة، وأنها لا تقل اهتماماً واندفاعاً واستعداداً عن الأميركان، وأنها زادت أسطولها زيادة كبيرة، وأن مصانعها وإنتاجها ومنشآتها الحربية في ازدياد كبير أيضاً.

ولقد تبودلت البرقيات بين حكومة اليابان وحكومتي إيطاليا وألمانية على ما ذكرته هذه الصحف، فيها تبادل التوكيد على الإستمرار في النضال وعلى الطمأنينة التامة بالنصر النهائي الذي سوف ينهي تحكم السكسونيين في العالم.

وقد نشر من جديد التقرير الذي كنا ذكرنا محتوياته عن خسائر أميركا في ضربة بيرل هاربور الفجائية الأولى التي كانت سبب الفلج والشلل الذين ألمّا بأميركا وسمح لليابان بأن يصولوا ويجولوا ويحرزوا الانتصارات الباهرة التي أحرزوها، ويطردوا الأميركان والإنكليز والهولانديين من المناطق الواسعة الغنية والمراكز القوية التي كانوا يسيطرون عليها، ويحولوها إلى مناطق ومراكز يابانية. مع تكرار قولهم أن المعطوب قد أصلح وأن المغرق قد أخرج من قاع البحر وأصلح، وأن كل ذلك قد عاد إلى الحرب ثانية، ولا ندري مدى صحة هذا الزعم الأخير الذي تكرر، ورغم ما في منشورات السكسونيين من أخبار انتصارات لهم ونكسات لليابانيين، فإن الأخبار تؤيد أن اليابانيين أقوياء في البحر والبر والجو، متمكنون مطمئنون إلى موقفهم في الساحات التي احتلوها، دائبون على تنظيمها واستغلالها، حيث يبدو في تلك المنشورات تهويل وتضخيم.

2 ـ أثر خطاب فرانكو ومداه وتعليقات عليه:

كان خطاب فرانكو الذي ذكرناه في الأسبوعية السابقة، والتي كان فيها رد على دعايات السكسونيين من أهم الأحداث السياسية التي كانت موضوع تعليق الكتّاب، لأنه أحدث دوياً قوياً في المحافل السياسية المختلفة. ومن عجيب ما يستحق التسجيل أن الصحف الأمريكية بعد أن كانت تهول في موقف إسبانيا وكون النفير العام الذي أعلنته هو ضد ألمانيا على ما ذكرناه قبل، عادت فاعترفت بما يربط بين فرانكو وهتلر وموسوليني من المبادىء الإجتماعية والتضامن القوي في الحرب الأهلية، وما يكنه فرانكو من عواطف وميول للزعيمين ودولتيهما. وقصارى ما فرجت به كربها منه قولها أن الخطاب لا يحتوي تهديداً ولا عداء لأميركا. وحذت صحف بريطانية هذا الحذو أيضاً. ولقد أشار بعض الكتّاب السياسيين في سياق التعليق على موقف إسبانيا إلى أن هذا الموقف قد يكون من شأنه حمل السكسونيين على الاحتياط الشديد والحذر وعدم التهور في حركاتهم الحربية واستيفاء قواهم، وعلى حشد قوات كبيرة على سبيل الإحتياط للطوارىء. وإن هذا من شأنه أن يفيد المحور ويفسح له الوقت لحشد قواته في تونس وتمكين قدمه فيها. ويلاحظ أن السكسونيين لم يرسلوا قوات كبيرة إلى تونس وبنزرت، وهذا ما جعل موقف الألمان هو الموقف الراجح. ويعزى هذا إلى أن قواتهم في شمال إفريقية أقل مما أعلنوه وهولوا به، أو إلى كونهم اضطروا إلى الإحتفاظ بأكثر هذه القوات في منطقة فاس حذراً من تطور الموقف الإسباني ضدهم.

3 ـ إستمرار الكلام حول حركة دارلان في شمال إفريقية وموقف الإنكليز والاميركان وديغول منها:

ما زالت حركة دارلان في شمال إفريقية من المسائل السياسية الرئيسية التي تشغل بال الإنكليز خاصة، حتى أن بعض المراقبين يقدرون أنها سببت شيئاً من الخلاف وسوء التفاهم بين أميركا وبريطانية. وقد أضطرت الحكومة البريطانية إلى عقد جلسة سرية لمجلس النواب لإعطاء بيانات عنها، مما يدل على تفاقمها وانشغال بال الإنكليز بها. وهذا متأتٍ كما قلنا في الأسبوعية السابقة عن نشاط ديغول وأنصاره وحركته، وعن الشكوك من دارلان وما كان من مسلكه العدائي نحو الإنكليز في العامين السابقين، وعن تحسب الإنكليز من عواقب التصرفات الأميركية غير المستحبة والمستقلة التي أقدموا عليها بدون استشارتهم. وهذه مسألة خطيرة وحيوية ولا ريب بالنسبة للإنكليز عاجلاً وآجلاً.

ويظهر أن الدعاية الإنكليزية والديغولية قد نشطت في أميركا ضد قائد الحملة الأميركية الذي اتفق مع دارلان بدون تشاور مع الحكومة الإنكليزية، وهذا ما قاله إيدن في مجلس النواب في معرض الشكوى والتذمر، حتى اضطر وزير الحربية الأميركية إلى إذاعة بيان يبرر فيه تصرف القائد الأميركي وينوه بالخدمات التي خدمت بها أغراض الحملة بفضل هذا التصرف والإتفاق مع دارلان. ومما قاله أنه لم يكن في إمكان الحملة أن تنجح في النزول والإنتشار والتوسع لو لم يأمر دارلان بعدم المقاومة، ولو لم يعلن تضامنه مع الحملة وأغراضها. وما زالت الدعاية الإنكليزية والديغولية تردد التهم ضد دارلان وتثير حوله الريب. ومما أذيع ولم يعرف مدى صحته أن دارلان تجاه هذه الدعايات يصر الآن كشرط لتضامنه تضامناً كاملاً مع الحملة، على أن تعترف بريطانيا به كممثل الأمبراطورية الإفرنسية وصاحب السلطة الرئيسية الرسمية فيها، وأنه سوف يحول دون التحاق الأسطول الإفرنسي الموجود في داكار بأسطول الحلفاء إلى أن يصدر هذا الإعتراف.. ومع أننا نرجح أنه لا بد من أن يتم تفاهم وتسوية بين الاميركان والإنكليز حول هذه المسألة، لا ينتقض بينهما الإتفاق الذي تم بين قائد الحملة ودارلان، فإن هذه المسألة هي الآن من المسائل الجدلية المهمة في أوساط وصحافة السكسونيين. والمرجح أن ديغول ينشط نشاطاً كبيراً في هذا الشأن بسبيل إثبات وجوده وتفضيل حركته. وسنرى لمن تكون الغلبة منهما...

4 ـ تصريحات جديدة لويلكي في صدد تنظيم ما بعد الحرب:

في هذا الأسبوع أدلى ويلكي بتصريحات جديدة وخطيرة مؤكداً فيها نظريته بوجوب اتفاق الحلفاء على غايات الحرب من الآن، وقال فيما قال أن الحرب إذا انتهت قبل ذلك فسينشأ بين الحلفاء خلافات واسعة لا يمكن اجتنابها وحلها. وهذا الذي يردده ويلكي من حين لآخر مستلهم ولا ريب مما جرى في الحرب السابقة، فإنها لم تكد تنتهي حتى ذر قرن الخلاف بين الحلفاء، وحتى رأت أميركا أنها استغلت واستحمقت، ويحاول الإنكليز اجتناب هذا الموضوع.

وكان تشرشل قال في خطابه الأخير أن

الموقف أشد خطورة من أن يسمح لنا بالمجادلات حول ما بعد الحرب، وأن المهم الآن هو كسب هذه الحرب والقضاء على الخصم. ولعل ويلكي أدلى بتصريحاته الجديدة رداً على قول تشرشل هذا. وقد أذاعت الصحف خطاباً لهاليفاكس أحد الوزراء البريطانيين، قال فيه أن الحكومة البريطانية لا تجني من أمبراطوريتها ميلاً واحداً، وأن مهمتها فيها هي مهمة مدنية سامية ولا بد لها من أن تظل قائمة بها. وهذا المعنى قاله شرشل في النداء الذي وجهه إلى أهل الشرق الأقصى. وطبعاً إنهم (أي رجال الإنكليز) لا يجهلون أن أقوالهم هذه لا تمشي على النبهاء، ولكنهم يقولونها لأنهم يعرفون أن النبهاء قلة، وأن الأكثرية العظمى من شعوبهم وشعوب العالم تتبع الناعق ولا تدرك حقائق الأمور وتتأثر بالدعايات المعسولة. فالامبراطورية البريطانية هي حياة الشعب البريطاني وثروته ومجده وأسواقه ومصانعه ومستغلاته. وإذا كانت الحكومة البريطانية لا تجني إيراداً من مستعمراتها فإن ميزانيتها الضخمة التي تستوفيها من شعبها إنما هي في الحقيقة مدفوعة مما سمحت به هذه الامبراطورية لهذا الشعب من الثروة الضخمة والأسواق الواسعة والإستغلالات العظيمة المتنوعة... والشعوب التي تسكن في أنحاء الامبراطورية وخاصة غير السكسونية هي التي تعرف الحقائق وتعرف حقيقة هذه المهمة السامية التمدنية والإسعادية التي تقوم بها بريطانية في بلادها. ولكنها ضعيفة، فيستغل هؤلاء المشعوذون السياسيون هذا الضعف ليكذبوا على الناس ويستحمقوهم.

5 ـ مظاهرات في إيران بسبب الجوع ومداها وأثرها والدعايات حولها:

في هذه الفترة قامت في طهران مظاهرات عظيمة هتف الناس فيها بالجوع وضيق العيش، وهاجموا المخازن ونهبوها، وأطلق البوليس عليهم النار فكانت مذبحة وثورة.. وسارعت الدعاية الإنكليزية لتلعب دوراً في الموقف، فزعمت أن المظاهرات إنما كانت بتحريك أنصار المحور، وأن بريطانية وأميركا أمّنت وسائل المعيشة في إيران حتى أنها في حالة طبيعية. وأن ما وقع لا يمكن أن يحمل أي مظهر من مظاهر العداء ضد الإنكليز والأميركان الذين يرحب الشعب بهم كل الترحيب... وأذيع اليوم أن سيارات شاحنة كثيرة دخلت طهران محملة بالقمح وكتب عليها (بريطانية تأتي بالقمح إلى إيران)، وأذيع أن الشعب استقبل هذه السيارات بمظاهر الابتهاج والشكر، وأن الأمور قد استتبت، وأن عدداً من المشبوهين قد اعتقلوا..

وليس من ريب أن المظاهرات تعبر عن ضيق المعيشة من جهة، وعن انجراح العواطف في الشعب من جراء ما كان من احتلال بلاده ونسف استقلاله.

وقد أذاعت محطات المحور أن السلطات الإنكليزية العسكرية وضعت يدها على محصول القمح العام لضمان غذاء جيوشها قبل كل شيء، وأن هذا من أسباب ضيق المعيشة ومن أسباب هذه الثورة.

6 ـ أخبار الحرب في هذه الفترة:

(1) الجبهة الروسية: ما يزال الكر والفر فيها

مستمراً وسجالاً بين الروس والألمان ولم يبد من الروس كلَل. غير أن المصادر الألمانية أذاعت قبل أيام أن جيوشها طوقت عدة فرق زاحفة في منطقة الدون وأبادتها، وأذاعت أمس أن جيوشها طوقت عدة فرق زاحفة في المنطقة المركزية وهي في سبيل إبادتها أيضاً. وكانت هذه المصادر تنذر الروس وتقول في ما تقول أن زحف جيوشهم لن يعود عليهم إلا بالكوارث، ولن يكون لها من نتيجة إلا تكرر مأساة زحف خركوف وتطويقهم فيها، فإذا صحت هذه الأخبار يكون إنذار الألمان قد تحقق، ويكون النشاط العظيم والجهد الكبير الذين بذلهما الروس عاد عليهم بالوبال. وهذا ما سوف تظهر حقيقته في الأيام القريبة.

(2) شمال إفريقية: الأخبار تذكر أن الجيش الإنكليزي الثامن بدأ نشاطه، ويمكن أن يكون بدأ زحفه ضد موقع العجيلة. غير أن مدى ذلك لا يعرف إلا بعد أيام. وفي جبهة تونس قوات المحور هي الآن في موقف الهجوم. والأخبار تذكر أنها استطاعت أن تتقدم وتخترق بعض خطوط السكسونيين الغربية. ويدل هذا إن صح على أن المحور استطاع أن يحشد قوات غير قليلة ويقوي مركزه وتحكيماته في هذه المنطقة، وعلى أن السكسونيين لم يستطيعوا حشد قوات كثيرة أمام قوات المحور. وقد أذيع عن مصادر السكسونيين أن قائد الحملة يسير في خططه وتحركه حذراً متحفظاً، ولا يريد أن يشتبك في معركة قبل أن يكون لديه من القوات ما تكفل له النجاح التام. وهذا القول قد يدل على عدم الثقة بالموقف والقوة كما هو معروف.

* * *

الخميس
24 كانون الأول 1942:

1 ـ كتاب مفصل من المفتي جواباً على كتبنا في صدد خلافه مع رشيد وتأليف اللجنة وسفرنا الى أوروبا وتعليقات عليه:

ورد من المفتي كتاب مفصل جواباً على الكتب المرسلة إليه مع محمد العفيفي، وفي الكتاب شروح وبيانات وتوكيدات على أنه لم يبدر منه أي موقف أو حركة أو انفراد أو كتمان أو مطمع يمكن أن يستند إليه رشيد أو غيره في ما هو حاصل من خلاف وقطيعة. وأنه يقدر كل التقدير الضرر الخاص والعام والآجل والعاجل من أي خلاف وتهاتر. وأنه بذل كل جهده في سبيل تجنب ذلك، ولكن مزاج رشيد وتخيلاته أو مصالحه ومطامعه وتأثره بالدسائس والوشايات ورغبته في الإنفراد والأثرة في كل شيء هو العامل الرئيسي والدائم لما وقع، وهو الذي جعل ما وقع شيئاً غير قابل الاجتناب، وأنه منذ وصل إلى أوروبا سعى في حمل الأصدقاء على الإعتراف بحكومة رشيد. وذكر ما كان من تأثير كامل أخي رشيد والمولوي (أي فوزي القاووقجي) (وغروبا) على رشيد، حتى جعلوه يقف مواقف لا تتفق مع المصلحة ويصرح تصريحات لا تتفق مع هدف ورغبة الوحدة. وأن هذا كان من أسباب ما وضعه الأصدقاء من شروط في صدد وحدة البلاد العربية، حيث أناطوها بموافقة أهل البلاد. وقال إن مواقفه

وتصرفاته أغضبت زميليه ناجي شوكة والدكتور محمد حسن سلمان وجعلتهما يفارقانه، وكان من ذلك أنه لم يكن يقيم لهما وزناً ويغضب من كل حركة تبدو من أحدهما. وبذل جهده في حمل الأصدقاء على تسفير رشيد من الآستانة حتى يمكن الدخول في العمل معه، وأنه أخّر كل شيء إلى قدومه، مع أنه كان في إمكانه لو أراد الإنفراد والأثرة أن يبقيه في الآستانة وأن يستأثر بالمفاوضة وحل الأمور، وأنه كان يرى من الأصدقاء استعداداً تاماً لذلك. وتحدى كتابه أي دليل يسند ما نسب إليه (أي إلى المفتي) خلاف ذلك. وقال أن لديه من الوثائق والشهود ما يؤيد وتدل على رغبة البروز والمشاركة، وأنه كان يغضب من كل حركة يراد بها إبراز غيره من العراقيين والتنويه بغيره. وأكد أن رشيد لم يقبل بفكرة تشكيل لجنة ما والاندماج فيها، وأنه حاول دائماً أن يمنع قدوم أحد من الآستانة. وأنه كان يقول له (للمفتي) في صدد ذلك إن ذلك مما يسبب التشويش. وأن اللجنة التي اقترحها رشيد قد اشترط أن لا يكون هو نفسه عضواً فيها، وأن لا تكون بالنسبة إليه إلا للإستشارة، وأنه (أي رشيد) سعى في إقصائه (إقصاء المفتي) عن كل بحث ومشاركة، وجعل دأبه الحط منه ونشر فكرة كونه رجل ديني لا يجوز أن يتدخل في الأمور السياسية. وأنه (أي المفتي) حاول بأساليب متنوعة إفهامه بأنه غير مزاحم له وغير مناوىء له ولا يمكن أن يكون منه أي سبب للتحسب والخوف، ولم يكن لذلك جدوى. وقد وعد في كتابه مع كل ذلك ببذل كل جهد وتضحية في سبيل التقارب والتفاهم والمشاركة إذا كان لذلك إمكان. وقال أن ناجي شوكة أيضاً وعد ببذل جهده في سبيل هذا. واعتذر (المفتي) من عدم مقابلتنا حينما مر بالآستانة بالظروف الصعبة التي كانت تحيط به، ثم أشار إلى ما اقترحناه من ضرورة موافقة الطرفين على تشكيل لجنة قومية واعتراف الأصدقاء بها وإبدائهم الاستعداد للتعاقد معها وتعديل موقفهم السابق، فقال إنه سيبذل السعي فيه، وتساءل عما إذا كنا نجعل ذلك كله ضرورياً قبل سفرنا أم لا. وقال إننا إذا كنا لا نجعل ذلك ضرورياً فيجب أن تأتوا إلينا للسعي معاً في سبيل تحقيق ذلك والتعاون فيه. وإن كنا نجعل ذلك شرطاً ضرورياً قبل سفرنا فهو يستمد من الله العون ويظل على سيره وخطواته.

وهذه خلاصة وافية لفحوى كتاب المفتي المرسل إلى إسحق، والذي بقي عنده بعد إطلاعنا عليه، وقد سجلنا بعد الخلاصة تعليقاتنا كما يلي:

(1) في صدد الخلاف بين رشيد والمفتي، نقول إن كلام المفتي في كتابه وتوكيداته قوية حقاً، وقد جاء في كتبه السابقة شيء كثير من ذلك أيضاً، فإذا صح ما قال فيكون رشيد هو الذي خلق أسباب الخلاف بما بدا منه من رغبة في الأثرة ومن مطامع ومن ضعف أمام ما رآه صعب التحقيق في قضية الدولة الواحدة واندماج سورية فيها وجنوحه إلى تثبيت استقلال العراق. ومع أن من الجائز أن تكون الروح القومية في رشيد ليست عميقة، وأن الإقليمية والأنانية والمطامع فيه قوية، فإننا إذا ذكرنا أن الخلاف بينه وبين المفتي أخذ يبدو منذ الشهور الأولى للقائهما، وإذا ذكرنا ما جاء في أحد كتب القاووقجي من شكوى من المفتي لاستئثاره وكتمانه منذ الشهور الأولى أيضاً، وقعنا في الحيرة ووجدنا نفسنا أمام تناقضات، وقد يكون فوزي لعب دوراً في الإغراء والوقيعة انتقاماً لنفسه من إقصاء المفتي له وتكتمه عنه وعدم

اعتباره ذا شأن في القضية غير أننا نظن أنه وقعت في أوائل أيام اللقاء بين الزعيمين بعض وقائع ومشاهد حملت رشيداً على الاثارة والرغبة في البروز والإنفراد، ثم تتابعت حوادث ومشاهد متبادلة كانت تساعد على توسيع الشقة وتقوية الخلاف إلى أن بلغ مبلغه الحاضر الأليم . . .

(2) في صدد سفرنا فإني أنا ومعين الماضي والأمير عادل (ونحن الثلاثة المقصودون أو المرغوب فيهم للسفر)، فقد تحدثنا فيما بيننا فلم نر في ما قاله المفتي تشجيعاً. ورأينا أن شرط موافقة الزعيمين على تشكيل اللجنة ضروري قبل سفرنا حتى يكون لنا صفة ومشاركة في القرارات والمساعي، لأن ذهابنا قبل ذلك مع احتمالات عدم تشكيل لجنة يندمج فيها الزعيمان وهذا وارد على ما يلمح من كلام المفتي، يجعل وجودنا تكثيراً للعدد وداعياً لاندماجنا في الخلاف والأخذ والرد أكثر من السعي الناجح في سبيل القضية، بل ويكون مجال هذا السعي الناجح في هذه الحالة ضيقاً أو مفقوداً. وبالإضافة إلى هذا فإن الموقف الحربي اليوم على الأقل أسوأ وأقل تشجيعاً منه في أي وقت مضى. وهذا عامل كبير في جعلنا ننكمش عن السفر، كما أن ظروف الحوادث والمكاتبات السابقة التي جعلتنا مترددين ما تزال قائمة.

فبعد أن يكتب لنا المفتي على ما ذكرناه سابقاً أن الأصدقاء قالوا إن ما أعطوه ـ أي الرسالة لرشيد والرسالة للمفتي التي ذكرناهما سابقاً ـ هو النهائي، وبعد أن لمسنا من كتب المفتي مرارة من موقفهم ومن تردد أو من نيات مريبة نحو القضية العربية ووحدة البلاد العربية وقضية سورية، وبعد أن كان ما كان من عدم الجدية في دعوتنا من رشيد والمفتي معاً واكتفائهما بتطميننا تطميناً لم يكن قائماً على أساس وثيق، يصبح السفر الآن كما كان أولاً مجازفة بغير ثمن.

فالذين ذهبوا إلى أوروبا ذهبوا مضطرين، ورشيد والمفتي هما (المخاطبان الرسميان)، وعندهما أمثالنا. فالميدان ليس خالياً، عدا عن أن ما لمسناه من بعض من زارونا من امتعاض لوجودهم في أوروبا وتمن بالعودة إلى الآستانة على الأقل، فليس من موجب ضروري لترك مكاننا الذي فيه طمأنينة، والاندماج في مسؤوليات بدون ثمن، والإنزعاج في ظروف لا يعرف مستقبلها وعواقبها. . ولقد كان طه الهاشمي كتب بناء على طلبنا إلى ناجي شوكة يكلفه ببذل جهده في التقريب وإزالة الخلاف. وقد جاءه كتاب منه يقول إنه منذ وصوله لأوروبا وشعر بالخلاف بين الزعيمين بذل كل جهوده لإزالته. وأنه كان تقرر تشكيل لجنة من رشيد والمفتي والدكتور سلمان ومنه، على أن تكون الأمور العسكرية من خصائصه بصفته كان وزيراً للحربية في وزارة العراق الأخيرة، وتكون أمور الدعاية من خصائص الدكتور سلمان، وأن تبحث الأمور السياسية في اللجنة وتقرر فيها، ولكن رشيداً لم يستمر على الارتباط باللجنة وفق ما تقرر، ثم اشتد الخلاف وكان لبعض الأشخاص أثر فيه (وربما قصد كامل الكيلاني وفوزي القاووقجي وغروبا)، ووعد طه مع ذلك في كتابه ببذل جهوده في التقريب والتفاهم وإزالة الخلاف والتقاطع. والراجح أن ناجي قد بذل فعلاً جهوده وهو شخص أقوى منا في هذا الصدد، لأنه عراقي ورئيس وزارة سابق ووزير حالي مع رشيد، وصلاته بالمفتي جيدة، فإذا كان هناك إمكان للتقريب فإنه يمكن أن يحصل منه أكثر منا. والملموح من كلام المفتي أن هذا

الإمكان ضعيف جداً. وهذا يجعل ذهابنا أيضاً مجازفة لا ضرورة ولا جدوى لها.

2 ـ كتاب آخر مع الكتاب السابق في صدد عادل ونبيه العظمة بقصد تطييب نفوسهم وأسبابه وتعليق عليه:

ولقد جاء مع كتاب المفتي الطويل الذي فيه جواب لنا على كتبنا، كتاب آخر منه لإسحق، فيه كلام ليّن ملائم بالنسبة لنبيه وعادل العظمة، بقصد إطلاعهما عليه في الغالب. فقد كان عادل اشتكى لإسحق أنه بلغه أن بعض أنصار المفتي يطعن فيه وفي أخيه، ويذيعون عنهما ما يمس بكرامتهما. وطلب من إسحق أن يكتب بذلك للمفتي. وكذلك نبيه فإنه تحدث مع إسحق في شأن ما يظنه المفتي موقفاً عدائياً منه نحوه. ويظهر أن إسحق رأى الفرصة ملائمة لتصفية الجو بينهما وبين المفتي، فطلب من المفتي أن يرسل كتاباً ليّناً ملائماً ليطلعهما عليه ويصفو الجو. وقد قال المفتي في كتابه إنه يكن للأخوين كل اعتبار وذكر طيب للأخوة والتعاون بينه وبينهما. ونفى علمه بما قيل عن عادل ونبيه، وقال أنه لا يمكن أن يوافق عليه. ولمح إلى احتمال أن يكون لفوزي دور في الدس والوشاية بينه وبين الأخوين، ولم ينس مع ذلك أن يذكر مستغرباً ما كان في كتب نبيه إليه من كلام وتهم قاسية لا مبرر لها.

وقد سررت من احتمال تصفية الحال بين نبيه وعادل والمفتي، حتى ولو كان في الظاهر. وكان يمضني أن تكون حالة التوتر والتشاد مستمرة للمصلحة العامة أولاً، وللظواهر بين رجال اشتركوا في السعي في سبيل الأهداف القومية مدة طويلة ثانياً.

وقد بذلت جهدي في الوقوف موقف الوسيط المخفف من أثر التشاد والتهاتر بين الطرفين، وكنت أوجه النقد لإسحق ولنبيه وعادل معاً، عليّ بذلك لأخفف منه. وأدعو الفريقين إلى الاستشعار بالإنصاف والتروي في الأمور وعدم الإندفاع بالهوى والعواطف الشخصية. ولمت نبيهاً على كتاباته القاسية للمفتي بقوة، لأنه لن يكون من ذلك إلا الضرر. وقد قلت (ولو بالظاهر) لأني أعرف منهما أن قلوب الفريقين لا يمكن أن تستشعر إزاء بعضهما بثقة وصميمية، فنبيه وعادل يعتقدان أن الأنانية والهوى الشخصي في المفتي قويان، حتى أنهما ليصلان في ذلك إلى القول أنه يجعل القضية العامة في المرتبة الثانية، والمفتي يعتقد فيهما نفس الشيء. وهذه العقيدة المتبادلة ليست حديثة، فبالنسبة لعادل متصلة بموقف فوزي القاووقجي وعلاقته القوية معه. وبين المفتي وفوزي الآن من تبادل عدم الثقة واعتقاد كل منهما في الآخر شدة الأنانية والمصلحة الخاصة أكثر من أي وقت مضى.

3 ـ عيد الأضحى في تركية ومرارتنا والطقس في أثنائه:

يوم الجمعة الفائت كان في تركية عيد الأضحى، وكان كذلك في بلاد العرب. وهذا العيد الرابع الذي يمر علينا في تركية بعيدين عن وطننا وعن أهلنا وأولادنا، ولا ندري كم عيداً سيمر علينا هنا.

وكان الطقس جيداً في أيام العيد، فالشمس دافئة والسماء صافية، في حين كانت أيام هذا العيد في السنة الفائتة أيام ثلج وبرد شديدين،

وكان الثلج قد بلغ ستين سنتمتراً أو يزيد. وكان للعيد بهجته في الآستانة بسبب الطقس، فانتشر الناس في الشوارع والبراري.

4 ـ زلازل في معظم البلاد التركية وآثارها:

ورابع أيام العيد حدث زلزال في أكثر مناطق الأناضول الشمالية والشرقية والوسطى، وكان منها في بعض الأنحاء دمار فظيع.. وكان من ذلك أن بليدة (الاربع) في ولاية توفاد انهدمت جميعها، وكان عدد بناياتها ثلاثة آلاف، وبلغ عدد القتلى والجرحى تحت الأنقاض الف نسمة أو أكثر. وأمر الزلازل في تركية عجيب، فلا يكاد يمر أسبوع إلا ونسمع خبر زلزلة شديدة أو خفيفة. ومنطقة الأناضول عامة شرقها وغربها وشمالها تكاد تكون منطقة زلازل. ويقول الخبراء أن زلازلها تقع من جراء خسوفات وانزلاقات في باطن الأرض.

5 ـ مدى ضريبة الثروة التي فرضتها الحكومة التركية على التجار:

كانت الضريبة التي فرضتها الحكومة التركية على الثروة والتي ذكرنا خبرها في أسبوعية سابقة أهم أحداث هذه الفترة في تركية، وأهم أحاديث العيد. ولقد علقت القوائم التي فيها أسماء المكلفين بها في الآستانة والولايات في هذا الأسبوع. وبلغ ما أصاب مكلف بالآستانة نحو (350) مليون من مجموع الضريبة البالغ (500) مليون. وأحدث ذلك هزة شديدة، وفتح المجال للأحاديث والأقوال. والأرقام ضخمة، وكثير من الناس وبخاصة الأروام والأرمن واليهود يشكون من ضخامتها، ويؤكدون أن كثيراً من المكلفين لا يملكون الضريبة، ومنهم يتجاوز مقدارها جميع ثروته وأملاكه وأثاثه. والراجح أن ذلك منهم تضخيم ومبالغة. وقد لاحظت الصحف ذلك وأشارت إلى أن بعض ذوي النيات السيئة يتعمدون نشر الإشاعات والأراجيف والأكاذيب. وقد بدأت آثار الضريبة تظهر في الأسواق، فالليرة الرشادية الذهب نزلت إلى (24) ليرة، وكانت قبل ثلاثة أسابيع بواحدة وثلاثين، وقبل شهرين بسبع وثلاثين. وأن النزول الأول كان بسبب تطور الموقف الحربي في إفريقية، والثاني هو بسبب الضريبة، لأن المكلفين مضطرون إلى تدبير أمرهم ودفع ما عليهم ويبيعون ما خزنوه من ليرات ذهبية، فكثر العرض وهبط السعر. وكذلك أخذ التدني يظهر في أسعار مواد الغذاء والملبوسات للسبب نفسه. والمتوقع أن سعر الذهب وسعر هذه المواد سينزل أكثر مما نزل. وعلى كل حال فهذه عملية كبيرة من الحكومة، وليس من شك في أن ظروف الحرب ساعدت عليها وبررتها. ومن الحق أن يقال إنها مشروعة من حيث الإجمال، فالتجار كسبوا أرباحاً طائلة في هذه الحرب من فروق الأسعار والتخزين والتصدير والاستيراد، وكل ذلك بفضل الدولة. فواجب عليهم أن يدفعوا حتى تضمن لهم استمرار ذلك. والتذمر منها طبيعي، فالناس لا يتقبلون بسهولة مثل ذلك. وقد يكون بعض الناس فرض عليهم أكثر مما تتحمله أحوالهم وهذا ليس غريباً. ويقال أن الضريبة تعدل خمس أو ربع ثروات المكلفين أو أكثر أيضاً.

6 ـ تقارب سياسي بن البرتغال وأسبانيا ومداه وتعليقات عليه :

من الأحداث السياسية المهمة التي وقعت في هذه الفترة تقارب سياسي بين أسبانيا والبرتغال أدى إلى عقد معاهدة صداقة وعدم اعتداء. وقد ذهب وزير خارجية أسبانيا إلى لشبونة ووقع فيها المعاهدة. والمعروف أن البرتغال أميل إلى السكسونيين منها إلى المحور، فاهتمام أسبانيا لتأمين ظهرها من هذه الناحية وهي ذات ميول معروفة نحو المحور، وعقدها هذه المعاهدة له مغزى قوي في صدد احتمالات تطور الموقف الإسباني. . .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة خطاب ألقاه وزير خارجية أسبانيا احتوى إشارة للحد من أخطار الشيوعية ووجوب محاربتها ووقاية أوروبا منها. ثم مظاهرة ولائية في مدريد نحو الألمان في مناسبة وداع بعض كتائب أسبانيا المعروفة بالكتائب الزرقاء، التي تجهزت وانضمت إلى الجبهة الروسية إلى جانب الألمان لمحاربة الشيوعية معهم. وقد هتف المتظاهرون للألمان وتمنوا لهم النصر. وأرسل فرانكو رئيس أسبانيا برقية لهتلر تمنى فيها النصر لجيوش المحور في هذه المناسبة. وكل هذا قرائن على اتجاهات الحكم الأسباني القائم، واحتمالات تطور الموقف في أسبانيا. ولقد أخذ هذا يقض مضاجع السكسونيين. وتردد في مجلس النواب الإنكليزي حيث وجه بعض أعضاءه سؤالاً لوزير الخارجية أشار فيها إلى برقية فرانكو خاصة، وقال بأنها لا يجوز أن تصدر من دولة حيادية. وأجاب الوزير بقوله أنه اطلع على البرقية، وأنه لا يرى اتخاذ أي تدبير أو موقف في صددها. . .

7 ـ استمرار الكلام حول أمور فرنسة خارجاً وداخلاً وما كان من ذلك :

لاتزال أحوال فرنسة والإفرنسيين ومواقفهم المتناقضة داخلياً وخارجياً موضوع اهتمام وتعليقات. ومما ذكرته الصحف أن المارشال بيتان أرسل جواباً إلى هتلر على كتابه الذي ذكرناه سابقاً. وقال بأسلوب يدل على ما في نفسه من مرارة وألم، وأنه لم يكن في إمكانه إلا الإنحناء أمام قرارات الألمان، وذكر بأنه كان ومايزال يأمل أن يصل الأمر إلى نهاية حسنة في صدد إقرار العلاقات والمناسبات مع الشرف والكرامة. وقال أنه منح لاڤال كل الصلاحيات لتأمين تحقيق هذا الأمل. وذكرت الصحف أن لاڤال سافر إلى ألمانيا واجتمع بهتلر، وأن وزيرى خارجية ألمانيا وإيطالية ورئيسي أركان حرب الدولتين والمارشال غورينغ ثاني شخص في ألمانيا شهدوا هذا الاجتماع، وأن الحديث فيه جرى حول موقف فرنسة وتعاونها الواسع مع المحور. وعاد لاڤال فاجتمع مع بيتان والوزراء ونقل لهم ما جرى. ولم يعلن شيء عن ما تقرر في هذه الإجتماعات، غير أن الظواهر تدل على أن فرنسة الفيشية البيتانية اللاڤالية هي الآن في سبيل خطوة نهائية للتعاون مع المحور تعاوناً تاماً حربياً وسياسياً واقتصادياً. ولا ندري هل يستطيع بيتان ولاڤال أن يسيروا في هذا حقاً إلى النهاية؟

وهذا السؤال يردده المراقبون ويجيب عليه كثير منهم بالنفي، لما يعرفونه من روح الإفرنسيين وعواطفهم وخاصة بعد أن اشتد الأمل فيهم مما كان من تطور ونشاط في شمال أفريقية. ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد قرار لوبران رئيس الجمهورية الإفرنسية الذي أمر بالاعتزال بعد الهدنة من فرنسة، في هذه

الأيام. وقد اعتبر السكسونيون ذلك دليلاً على روح المقاومة الإفرنسية للألمان واستثقالها لوجودهم.

والعلاقات بين ديغول ودارلان وموقفهما من بعضهما في توتر وغموض. ولقد أذاع دارلان بياناً أعلن فيه أنه ليس له أي مطمع شخصي، وأن كل همه تحرير فرنسة وامبراطوريتها، وبعد ذلك سوف ينسحب من ميدان السياسة ويترك لفرنسة حريتها في اختيار نظامها وحكومتها. وكان لهذه التصريحات دوي ومغزى في أميركا. واعتبرتها المقامات الأميركية مبررة لاتفاق القائد الأميركي مع دارلان، وجواباً على الدعاية الإنكليزية والديغولية ضد هذا الإتفاق.

8 ـ قتل دارلان ومداه وتعليق عليه:

وقد سجلنا بعد الكلام السابق أننا سمعنا إذاعة أنقرة تذيع خبر إطلاق الرصاص على دارلان وقتله من قبل شاب إفرنسي، وهذا من عجيب الصدف، وقد أحدث ذلك دوياً وأثراً شديدين في الأوساط الإنكليزية والأميركية والإفرنسية معاً، وسارع الجنرال جيرو فأعلن أنه أخذ على عاتقه إدارة الأمور التي كان يضطلع بها دارلان. ولقد كان وقع اعتداء ناري على جيرو قبل دارلان ونجا منه.. ولا ندري ما ينتج عن هذا الحادث. وهل يكون حلاً لما كان من توتر بين دارلان وديغول؟ وجيرو كان وراء بروز حركة دارلان، والآن صار العداء بينه وبين ديغول.

9 ـ مقال ألماني في صدد تنظيم العالم بعد الحرب، ورد تركي عليه:

من الأمور التي أحدثت دوياً سياسياً وتعليقات متنوعة في الأوساط الصحافية التركية، مقال نشرته جريدة ألمانية شبه رسمية جواباً على مقال كان نشره نجم الدين صادق رئيس تحرير جريدة (اقشام = المساء) التركية، فقد قال هذا في مقاله أن أعداء المحور يبدون ويعيدون في النظام الجديد الذي يريد المحور فرضه على أوروبا والعالم، ويقولون إنه لن يكون في هذا النظام للدول الصغيرة كيانات قومية مستقلة، ثم تساءل عما إذا كان هذا صحيحاً. أما الجريدة الالمانية فقد نشرت بحثاً طويلاً عن النظام الحاضر جاء فيه أن الكلمة الفاصلة كانت فيه دائماً للدول الكبرى في شؤون الإدارة والسياسة والتنظيم، وأن هذا هو الذي سيكون بعد الحرب أيضاً. وأن دول أوروبا الصغيرة والثانوية سوف تدار وتنظم وفقاً لما تقرره إيطالية وألمانيا. وسوف يُقضى على النظام البرلماني المفلس، وعل النظام الاستغلالي أيضاً. وسيكون لهذه الدول ـ أي الصغيرة والثانوية ـ مجال حياة شريفة في ظل هذا النظام أوسع وأقوى مما لها الآن. وستوجه كل الجهود لمنع أعداء أوروبا من السيطرة والتحكم فيها ـ (والمتبادر أنها تعنى بكلمة أعداء أوروبا بريطانية)، وأن كل من يجعل نفسه مطية لهؤلاء الأعداء ويساعدهم على تهديد أوروبا وأمنها ستكون عاقبته نفس عاقبة بولونيا التي قضت على حقها في الحياة السياسية بما كان منها من تصرفات، وبجعلها نفسها مطية لأعداء أوروبا ووسيلة شغب فيها. وأشارت الجريدة الألمانية إلى التشيك، وقالت أنهم كانوا ومايزالون محاطين بالألمان من كل جانب، فيجب أن يعدوا جزءاً من ألمانيا وتعدهم ألمانيا جزءاً منها.

وقد تناول الكتاب الاتراك هذا المقال بالتعليق والتنديد، وقالوا فيما قالوه أن معنى هذا

أن الإستقلال القومي للأمم الصغيرة وحياتها ضمن حدودها بحرية واستقلال لن يبقى لها، وكل ما سيكون لها في نظام أوروبا المقبل وجود تابع لنفوذ وإدارة إيطاليا وألمانيا. .

وحقاً إن كلام الجريدة الألمانية يدعو إلى التوجس، ويعطي الكتّاب الأتراك حقاً بالتنديد والتوجس. وقد يكون صحيحاً أن وقائع السياسة أثبتت دائماً أن الكلمة الفاصلة في مؤتمرات الصلح والعلاقات والمواقف السياسية الدولية هي للدول الكبرى. غير أن مما لا شك فيه أن الدول الصغيرة والثانوية كانت تتمتع بمظاهر استقلال وحياة قومية صحيحة في الحالات والظروف العامة والإعتيادية. . . .

ومن الجدير بالذكر أن كلام إيدن أو خطابه الذي ذكرناه في أسبوعية سابقة يدور في نفس المعنى الذي دار فيه كلام الجريدة الألمانية. وكانت الصحف التركية انبرت للتعليق عليه والتنديد به على ما ذكرناه أيضاً في مناسبته، وكنا سجلنا تعليقاً نددنا فيه بذلك وذكرنا مداه وما يثيره من مخاوف. .

وهكذا تتفق دول المعسكرين المتحاربين الكبرى في رسم ما يجب أن يكون للدول الكبرى بعد الحرب من سيطرة وإدارة وتنظيم واختصاص بالتوجيه وتوطيد الأمن والنظام. وكان يقال في صدد الحروب (ويل للمغلوب)، والآن يصح أن يضاف إلى هذا الشعار (ويل للضعيف والقليل. .).

10 ـ التحاق قطع فرنسة الحربية في موانىء الإسكندرية وداكار والدار البيضاء بالاسطول السكسوني ومداه:

أذاعت المصادر السكسونية منذ أيام أن القطع البحرية الحربية الإفرنسية الموجودة في موانىء الإسكندرية وداكار والدار البيضاء قد انضمت نهائياً إلى أساطيل الحلفاء، وأن ما هو مستعد للعمل منها دخل حالاً في ميدان العمل، وأن الباقي تحت الأعداد والتجهيز ليدخل هو الآخر في هذا الميدان. وقد ذكر أن هذه القطع تقدر بنحو ربع أو ثلث مجموع الأسطول الإفرنسي، وتبلغ حمولتها (250) ألف طن، وفيها ثلاث مدرعات كبيرة وست مدرعات متوسطة، وعدد من الطرادات والغواصات.

والراجح أن هذا الانضمام سيجعل التفوق للجانب السكسوني أكثر من ذي قبل في البحر الأبيض. وكانت أساطيل السكسونيين منه لا تزيد كثيراً عن الأسطول الطلياني، وكان السكسونيون مع ذلك يحسبون حسابه ويتجنبونه. والمتبادر ان التفوق الذي تيسر للسكسونيين سيظهر أثره أكثر حينما يتم إعداد وتجهيز ما ليس معداً وتام التجهيز من القطع الإفرنسية ويدخل في ميدان العمل.

11 ـ الحركات الحربية في هذه الفترة:

إن الحركات الحربية في هذه الفترة تتلخص بما يلي:

(1) جبهة ليبية: لم يقع إلى الآن اشتباكات كبيرة بين الجيش الثامن الإنكليزي وقوات المحور. لأن قوات المحور بقيادة رومل ما تزال تنسحب، ولقد انسحبت من العجيلة ولم يكن هذا منتظراً بعد ما قيل أن تحكيماتها تضارع تحكيمات العلمين. ثم ظلت تنسحب حتى ليقال أنها لن تقف إلا في طرابلس، بل قد لا تقف فيها وتفضل التجمع في تونس مع قواتها الموجودة فيها.

(2) في جبهة تونس:

وهنا أيضاً لم تجر حركات مهمة، مع القول أن موقف المحور قوي ومتفوق.

(3) في الجبهة الروسية:

أخبار هذه الجبهة في هذه الفترة عجيبة مثيرة، فالألمان هم الآن حقاً في موقف المدافع المشتت. وقد اغتنم الروس الفرصة كما اغتنموها في الشتاء السابق فشددوا في الهجوم في مختلف المناطق. ويظهر أنهم أعدوا للهجوم عدة قوية عَدَداً وعدة، واستطاعوا أن يلحقوا بالألمان أضراراً وأن يدحروهم عن مراكز تشتيتهم، أو على الأقل أن يزعجوهم فيها أكثر مما كان مقدراً. ولا يحاول الألمان إنكار شدة هجوم الروس وقوتهم وعظم استعدادهم، ويعترفون بإحرازهم بعض النصر في بعض المناطق، مع قولهم إنهم ردوهم وكبدوهم خسائر فادحة، وأن مراكزهم قوية سليمة ضمن الخطط المرسومة لها. والمصادر السكسونية والروسية تطنب وتهول في هجوم الروس وما احرزوه من انتصارات وما أخذوا يحدثونه من ثغرات ويهددون به من تطويقات، حتى أنها صارت تتحدث عن احتمال استرداد روستوف وتطويق جميع قوات الألمان في القفقاس وحوض الرون وجعل مركز الألمان صعباً أو أمام نكبة محققة. ومع أن مثل هذا التهويل قد كان في سياق هجوم الروس في الشتاء الفائت، فإن الأخبار تتضمن شيئاً من الحقيقة في شدة هجوم الروس ونجاحهم بعض النجاح في بعض أنحاء الجبهة، وفي احتمال ازدياد هذا النجاح ازدياداً قد يضايق الألمان وقد يؤثر على مواقفهم وخطوطهم التي يحرصون على الإحتفاظ بها إلى الربيع...

***

الاثنين 4 كانون الثاني 1943
25 ذو الحجة 1361:

1 ـ حفلات رأس السنة الميلادية في تركيا:

كان يوم الجمعة الفائت أول السنة الجديدة الميلادية. ولقد أخذ الأتراك وخاصة مدنهم الكبرى وبنوع خاص الآستانة وأنقرة بعادة الغربيين بالاحتفال برأس السنة. حيث يسهرون في الأندية والمسارح والمراقص ويجربون حظوظهم في لعب الورق البكاراه وغيرها. وقد ظلت المسارح والأندية والمراقص والحانات مكتظة بالناس في الآستانة إلى الفجر. ورتبت لجنة اليانصيب الرسمي ترتيباً خاصاً في المناسبة سحبت أوراقه في ليلة يوم رأس السنة، وأعلنت الأرقام الرابحة في الصباح. وكانت مغرية أكثر من السنة الفائتة التي احتفلت الآستانة وغيرها برأس السنة ورتبت اليانصيب ترتيباً خاصاً لها. وكانت الجائزة الأولى مائة ألف ليرة والثانية ستين والثالثة أربعين. وتعددت أرقام الربح في ذوات الأرقام الرابحة، وقد تهافت الناس على الشراء. واشترى زهير وأبو الحكم في جملة من اشتروا، ولم يكن لهما حظ من الربح.. وعلى ذكر اليانصيب الرسمي الذي يسمى (المللي) أيضاً، نقول إن هذا اصبح موطداً رسمياً يتكرر كل شهر مرة، ويكون له ترتيب إضافي في المناسبات فوق العادة. وتربح لجنة اليانصيب 30٪ ويعود عليها من ذلك في كل سحب ما لا يقل عن مائتي ألف ليرة.

والأرباح الصافية توزع على جميعة الهلال الأحمر والدفاع القومي والقوة الجوية، والناس يتهافتون على ذلك دائماً.

2 ـ تعليقات وتصريحات حيادية وسكسونية ومحورية حول سير الحرب في مناسبة رأس السنة:

وفي أول السنة صدرت تصريحات عديدة من كبار رجال الدول المتحاربة. وكتبت الصحف التركية والمحورية والسكسونية والحيادية مقالات في صدد الحرب والمواقف والنتائج والمصائر الأخيرة... الخ.

ولقد وجه هتلر خطاباً للأمة والجيش نوه فيه ببطولة الجيش ومتانة مركز ألمانيا الحربي والإقتصادي والمعنوي. وأعلن اطمئنانه التام بالفوز النهائي. وقال فيما قال أنه لا بد من أن تهزم بعض الدول في النهاية، ويكون سلم، وأن الأمر الذي لا يشك فيه هو أن المانيا لن تكون هي المنهزمة.

وأصدرت وزارة الخارجية الأميركية كتاباً أبيض شرحت فيه الأدوار التي سبقت الحرب ودخولها فيها، لتبرير أنها قامت بجهود عظيمة في سبيل منعها أو منع توسعها، ولكن المانيا وإيطالية واليابان كانوا كل بدوره مصممين على الحرب وتأمين غاياتهم بطريقها.

وصدرت تصريحات من وزراء أميركيين فيها تنويه بمقدار الجهد العظيم الذي تبذله أميركا في الإستعداد للحرب ومعداتها وما تمنحه هذه الجهود من ثقة بالموقف وبالنصر النهائي للحلفاء في الحرب.

وكانت مقالات الصحف استعراضية لما كان إلى الآن من أحداث وما عليه الموقف الحاضر، وتخمينات وتساؤلات عن احتمالات الخطوات الآتية وانتهاء الحرب هذه السنة. وأساليبها مختلفة باختلاف المصادر والكتّاب؛ فمقالات الصحف المحورية تنوه بعظمة الجهد الحربي الذي قامت به قوات المحور، وكونها الآن في مركز الحاكم المطلق في أوربا والشرق الأقصى، وبمتانة مركزها واطمئنانها إليه مهما امتدت الحرب. ومقالات الصحف السكسونية تنوه بدورها بعظمة الجهد الحربي الاستعدادي التي تقوم به دولها، وكونها الآن في موقف المهاجم وخصمها في موقف المدافع، وتنوه بما في هذا من دلالة على التطور في سبيل التوسع لجانب الحلفاء في هذه السنة.

أما الصحف التركية فأكثرها يشك في متانة موقف دول المحور استدلالاً من التحول البادي الآن في ميادين الحرب الذي ليس هو في مصلحة دول المحور. وقد قرأنا في بعضها تعليقات على تصريح هتلر فيها هذا المعنى، حيث جاء فيها أن الألمان قد يكونون أتوا بالعظائم في الحرب سابقاً، ولكنهم الآن ليسوا في نفس قوتهم السابقة، في حين أن السكسونيين قد قووا كثيراً عما كانوا وما يزالون يزدادون قوة، وهم في موقف المهاجم وخصمهم في موقف المدافع...

ومهما يكن من أمر، فإن التخمينات وظاهر الأحوال وما نشر وقيل، كل ذلك يدل على أن هذه الحرب غير منتهية هذه السنة، وأن من المقدر على البشر أن يقضوها في عذابها وويلاتها. وأنه ليس هناك أمارة تدل على احتمال انكشاف الغمة هذه السنة. فاحتمال تحطيم الألمان للروس هذه السنة أضعف منه مما سبق، كما أنه لا يخطر لأحد أن يتمكن الروس من تحطيم الألمان فيها. ونجاح

السكسونيين في فتح جبهة أوروبية ضد المحور مشكوك فيه. والألمان إذا لم يحطموا براً يظلون أقوياء في أوروبا، وتظل الحرب في التالي مستعرة. وما لم يتمكن الألمان من تحطيم الروس ويتفرغوا للسكسونيين، أو ما لم يتمكن السكسونيون والروس من تحطيم الألمان في أوروبا، فلن تهدأ الحرب وكل هذا يبدو بعيداً الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد قرأنا تعليقاً ألمانياً نشرته صحف تركية على الكتاب الأبيض الأميركي، جاء فيه أن أميركا إذا كانت تريد إقناع العالم فيه بحسن نيتها وعدم مسؤولية روزفلت عن الحرب فإنها قد فشلت، لأن موقف روزفلت في صدد تقوية الحرب وأمدها وما فعله في صدد دفع أميركا إلى الحرب لم يعد خافياً على أحد. ولذلك لا بد من أن يكون هناك سبب داخلي استدعى إصدار هذا الكتاب للتأثير على الرأي العام وتهدئته في أميركا.

ولقد كتبت جريدة الجمهورية التركية اليوم مقالاً رئيسياً علقت فيه على هذا الكتاب أيضاً، حيث أبدى الكاتب استغرابه في صدوره في هذه الأيام. وأشار إلى ما كان من جهود اليهود في دفع أميركا إلى الحرب، وما كان من مواقف روزفلت في التشديد على اليابان ومن مساعداته لبريطانية وتضامنه معها حينما أحدق خطر الألمان بها، وكل ذلك قبل دخولها الحرب. ثم أشار إلى هذا الكتاب وما من بابه يمكن أن يكون وسيلة دعائية في بداية الحرب وقبل أن تعم الحرب العالم، للتأثير على الرأي العام العالمي وتبرير كل موقف للدولة التي تصدره. أما الآن وبعد أن انغمر العالم في الحرب وخاصة بعد دخول أميركا الحرب منذ سنة، فلا تفهم حكمة صدور الكتاب إلا إذا كان لصدوره علاقة بمواقف روزفلت الداخلية والإنتخابات القريبة. وفي هذا توافق عجيب للتعليق الألماني ولا يخلو من صواب في ما نرى..

3 ـ تعليقات على مقتل دارلان وما كان من نتائجه وخلفياته:

كان حادث مقتل دارلان موضوع تعليقات وسبب أحداث ونتائج متنوعة. وقد أبقى اسم القاتل وهويته مكتومين أشد الكتمان، وحوكم وحكم عليه بالإعدام وأعدم ثاني يوم. ومن عجب ما ذكره بعض الصحف أن البوليس كان على علم بحركات القاتل فلم يحرك ساكناً، حيث يثير هذا إذا صح الشبهات والتكهنات في ما وراء هذه العملية. بل وقالت الصحيفة التي ذكرت ذلك أن الإسراع في إعدام القاتل مع إبقاء إسمه وهويته مكتومين إنما كان تفادياً من القيل والقال في صدد ذلك. ولقد إجتمع مجلس كان أنشأه دارلان باسم مجلس الأمبراطورية وثبت جيرو خلفاً لدارلان. وبعد قليل اكتشفت مؤامرة لقتل جيرو وممثل روزفلت السياسي في شمال أفريقية، وأمر جيرو باعتقال بعض الشخصيات الإفرنسية الكبيرة وبينهم بعض أصدقائه الخصوصيين. ومن عجيب ما كان أن ديغول أعلن ثقته بجيرو وبحسن نيته. فقابل جيرو ذلك بإعلان رغبته في توحيد قوى فرنسة المحاربة. واليوم ذكرت الصحف أن ديغول دعا جيرو إلى الإجتماع على أرض فرنسية لحل ما هناك من خلافات في وجهة النظر. ولكن جيرو أخبره بما يكتنف تنفيذ هذه الرغبة من صعوبات بسبب الموقف السياسي والحربي.

ويظهر أن الخلاف في وجهة النظر الذي أراد ديغول حله يمت من جهة إلى كيفية إنشاء الإدارة الإفرنسية، ومن جهة إلى خلاف وجهات النظر بين إنكلترة وأميركا. فالأميركيون أظهروا امتعاضاً شديداً من قتل دارلان، وما يزالون يظهرون برودة نحو ديغول. والإنكليز لم يبالوا بقتل دارلان بل عدوه حلاً لعقدة من العقد. وما يزالون يتمسكون بديغول ويؤيدونه كرئيس أعلى لحركة فرنسة الحرة المحاربة.

ويظهر أن في نفس الأميركيين مخاوف من مطامح أو مطامع ديغول ومطامع الإنكليز، وأنهم يحاولون أن يحولوا دون قيام حكومة إفرنسية رسمية تأخذ على نفسها مسؤولية الحركة الإفرنسية، وتأخذ موقعها الرسمي والدولي في الحرب الى جانب الحلفاء، ولعل الأيام الآتية تنكشف عن أحداث أخرى في صدد إتحاد الإفرنسيين الأحرار، وفي صدد نظرة كل من الأميركيين والإنكليز إزاء ذلك.

4 ـ حول الحرب في شمال أفريقية وسيرها:

والحرب في أفريقية باردة في هذه الفترة، فالمحور في جبهة تونس ما يزال محتفظاً بشيء من التفوق، وتقدم بعض التقدم. والسكسونيون ملتزمون التحفظ والاحتياط في حركاتهم. وفي جبهة ليبية احتل السكسونيون (سرته)، وظلوا وراء رومل وجيشه الذي ظل متجهاً نحو الغرب ثم توقفت الأخبار عنها. ولا ندري هل رومل يقف في مصراطة أم في طرابلس الغرب أو يظل مغرباً حتى يلتحق بقوات المحور الأصلية في تونس ليكون منها جبهة واحدة، وهو ما سوف تكشف الأيام الآتية عنه.

5 ـ مذكرة شيوخ ونواب أميركيين في تأييد قضية اليهود وهجرتهم وحركة احتجاج قوية في فلسطين على ذلك:

في عدد من جريدة فلسطين وصل إلينا في هذه الفترة خبر ضجة عربية حول مذكرة وقعها عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب الأميركيين في اجتماع يهودي كبير عقد في نيويورك في مناسبة ذكرى وعد بلفور ورفعوها إلى روزفلت، وقد نشرت فلسطين نص المذكرة الذي احتوى الحاحاً على روزفلت بتبني القضية الصهيونية وجعل هذا الوعد حقيقة ماثلة، وباستصدار تصريح حاسم بفتح أبواب فلسطين لليهود ومساعدتهم على إنشاء وطنهم بكل شموله.. وقد أحدثت هذه المذكرة قلقاً وغضباً في العرب فسارعوا إلى الإحتجاج على هذه المذكرة. وكانت المجالس البلدية العربية في مقدمة المحتجين. ومنذ ثلاثة أيام سمعنا لندن تذيع أن المندوب السامي في فلسطين جمع فريقاً كبيراً من زعماء العرب واليهود وطلب منهم مساعدته على تهدئة الأفكار وحفظ النظام، حيث يدل على أن استياء العرب وفرح اليهود في فلسطين لم يقفا عند حد الاحتجاج الهادىء والفرح الهادىء، وأن السلطات قلقت لأمارات رأتها تبدو في صفوف العرب على الأغلب. ولقد جاء في بعض الإحتجاجات ومنها احتجاجات البلديات أن العرب مستعدون لإراقة دمائهم في سبيل الدفاع عن وطنهم... و.

6 ـ حول تكثيف اليهود نشاطهم في أميركا ومداه وآثاره المتوقعة:

ولقد سجلنا قبل أن اليهود أخذوا يحولون

نشاطهم إلى أميركا. وقد قرأنا في الصحف أن زعماءهم الكبار ويزمن وابن غوريون وشرتوك أخذوا يكثرون من السفر إلى أميركا ويبذلون جهودهم مع يهودها بسبيل التأليب والتأييد، وما ذكرناه أثر من ذلك. ولا نزال نذكر أن اليهود حينما رأوا بريطانية تميل إلى التوقف في القضية الصهيونية وتقبل تدخل الحكومات العربية، وتذكر في كتابها الأبيض أنها سوف تقف من تنفيذ وعد بلفور عندما وصل إليه، وتعتبر نفسها قد قامت بواجبها، وأن عليها أن تقوم بواجبها نحو العرب وتعلن سد باب الهجرة بعد دخول (75000)، أخذوا يحملون حملات شديدة عليها ويطالبون بتحويل الإنتداب عنها إلى أميركا. ونعتقد أن اليهود يبذلون جهودهم الجبارة الآن لتحقيق هذه الرغبة، وليس فقط لتحويل الإنتداب على فلسطين إلى أميركا، بل ولسوق أميركا إلى الشرق كله وتعليقها به وإغرائها بمغرياته المادية والأدبية، حتى تجعلها تستسيغ الدخول في تعهدات سياسية وتطمع في مركز سياسي عملي فيه، وهكذا تدخل فلسطين في صميم سياسة أميركا. واليهود فيها أقوياء جداً بكثرة عددهم العظيم وتغلغلهم في كل مجال من مجالات الحياة فيها وتأثيرهم عليها. ومازلنا نذكر أن من جملة ما كانت تحتج به بريطانية للعرب قوة تأثير اليهود على أميركا وعلى روزفلت. وحاجاتها الشديدة إلى مساعدة أميركا في الحرب، والضرر الشديد الذي يلحق بها من أغضابها، وبالتالي من إغضاب اليهود في أميركا. حتى أصبح كون يهود أميركا أهمّ عقبة في سبيل حل قضية فلسطين شيئاً راهناً مسلماً به. في جميع الأوساط السياسية. وهكذا يهيأ لفلسطين ولبلاد العرب (خازوق) جديد لا سمح الله لو انتصر السكسونسيون، ويكون على عرب فلسطين أن يبدأوا من جديد في الإحتجاج والشكايات والثورات والجهود لإسماع أميركا وحملها على الارعواء. وقد يمر على هذا سنون عديدة يستفيد بها اليهود فيملأون فلسطين عدداً وعُدداً، ثم تبدأ حلقات اللجان والتحقيقات، ويكون حينئذ من الواقع ما ليس هو الآن. بل إن هذه (الخازوق) ليس مهيئاً لفلسطين فقط، بل هو مهيىء لسورية جميعها. ولقد خطب شرتوك مؤخراً خطاب ذو مغزى مهم أشارت إليه الصحف، جاء فيه فيما جاء أن في سورية وشرق الأردن متسعاً للملايين اليهود المضطهدين في أنحاء أوروبا، وهذا مطمع يهودي معروف. غير أن اليهود لم يكونوا يجرأون على التصريح به قبل الآن، وقد جرّأهم عليه الآن الآمال التي يعلقونها على أميركا وتأثير اليهود فيها.

وكل هذا يجعلنا نتمنى انكسار السكسونيين، لأن انتصار المحور يضمن على الأقل للعرب خلاصهم من البلاء اليهودي القابل والمتهيىء للإتساع والشمول. وحتى لو لم يكن من فائدة للعرب في انتصار المحور إلا دفع هذا البلاء عن بلادهم، فإنهم لا يكونون مسرفين في تمنيهم. عدا ما ثبت لهم في تجارب الماضي من سوء نية الإنكليز وألاعيبهم ودسائسهم (وخوازيقهم) في كيانهم السياسي الخاص والعام.

ونقول بعد هذا إن السكسونيين لو انتصروا فإن العالم العربي والعالم الإسلامي من ورائه لن يقفا مكتوفي اليد، ولسوف يثيرون كفاحاً بل حرباً شعواء في سبيل الدفاع عن فلسطين وبلاد العرب ضد اليهودية العالمية، ولسوف يكون النصر في جانب العرب مهما طال أمد هذا

الكفاح. والحروب الصليبية شاهد قريب على ذلك[1].

7 ـ مفوض أميركي لدى حكومتي لبنان وسورية وتصريحاته وكتب روزفلت لرئيس الجمهورية وتعليق على ذلك:

ومما قرأناه في الصحف أن أميركا أرسلت إلى سورية ولبنان مفوضاً سياسياً، وأنه قدم أوراق اعتماده الى كل من رئيسي جمهورية لبنان وسورية، وسلم كلاً منهما رسالة من روزفلت يعترف فيها باستقلال كل من القطرين. وهذه بادرة جديدة مهمة في صدد المركز أو الكيان السياسي السوري واللبناني. ولقد كانت أميركا تتلكأ في هذا الاعتراف. وكان تلكؤها مثيراً للقلق وباعثاً للتخمينات. ومع ذلك فإن هذا المفوض أدلى بحديث صحفي جاء فيه على ما ذكرته الصحف أيضاً أن اعتراف أميركا الآن باستقلال سورية ولبنان لا يعني شهادة أميركا الحقيقية بجدارتها للإستقلال، وأن على أهلهما وحكومتيهما أن يثبتا هذه الجدارة حتى يتسنى لأميركا وغيرها من الحلفاء تثبيت ذلك في مؤتمر الصلح.

ولقد علق الكاتب التركي عمر رضا في جريدة الجمهورية على هذا التصريح تعليقاً طريفاً، قال فيه أن السوريين واللبنانيين منذ خمس وعشرين سنة وهم يتمرنون على الاستقلال تحت إرشاد فرنسة، ومن المعقول والمفهوم أنهم اقتبسوا من ذلك الجدارة المطلوبة. فما هي الجدارة الجديدة المطلوبة منهم لإثباتها في نظر أميركا؟ وهل هي موافقتهم على التخلي عن فلسطين وجعلها لقمة سائغة لليهود؟

***

(1) (نسجل من جديد أن ما توقعناه في 1942/1943 من تأثير نشاط أميركا بتأثير وجهود اليهود ونشاطهم قد أخذ يتحقق مع الأسف الشديد بعد نهاية الحرب، وظل يتحقق إلى الآن بكل قوة وسعة وعظم بلاء، وخطر اليهود على فلسطين وبلاد العرب نتيجة لذلك مما هو ماثل للعيان ومالىء للأذهان، وصارت أميركا بذلك الأشرس والأنكى لأهل فلسطين والعرب).

يوم الأحد
16 كانون الثاني 1943:

1 ـ إعلان العراق حالة الحرب بينه وبين دول المحور:

أمس سمعنا محطة القاهرة تذيع خبر إعلان العراق حالة الحرب بينه وبين دول المحور، وتذيع الأسباب التي استند إليها في ذلك، وهي كون دول المحور سببت وقوع ثورة العراق وحاولت دفع العراقيين إلى نقض عهودهم، وكون إذاعاتها لا تفتأ توجه الإهانات للأسرة المالكة وتدعو العراقيين إلى الثورة. وأذيع الخبر بعد ذلك من محطة لندن وما كان من ابتهاج الأوساط السياسية الإنكليزية به، وخبر إرسال شرشل لنوري السعيد برقية شكر وتهنئة على الموقف الذي وقفه العراق وتنويه بالصداقة القائمة بين العراق وبريطانية، وبما كان من مساعدة بريطانية على استقلال العراق، وبما يمكن أن يؤدي موقف العراق الجديد من الفوائد لهذا الاستقلال وتمتينه.

واليوم قرأنا في الصحف التركية أن نوري السعيد أبرق لروزفلت يخبره بأن العراق يقف في صف الدول المتحدة في عداء المحور، وأنه ينضم إلى ميثاق الأتلانتيك.

وقد كان نوري والأمير عبد الإله قاما برحلة إلى مصر منذ ثلاثة أسابيع رددت أخبارها محطات القاهرة ولندن بحفاوة واهتمام، وذكرت، ما كان في سياقها من مقابلات وزيارات وحفلات وولائم، وما كان من ترديد للعروبة والأخوة العربية وتوثيق أواصرها في مناسبتها. وكان من أهم مشاهد هذه الرحلة زيارة الأمير ونوري مناطق الحرب المصرية الليبية، أعني العلمين وطبرق والسلوم وحلفايا. وصرحا بأنهما شهدا مكان المعارك التاريخية التي كان النصر فيها حاسماً لبريطانية، وأنهما أصبحا يعتقدان أن قوات المحور طردت نهائياً عن هذه المنطقة. وقد جاءا من مصر إلى فلسطين فشرق الأردن. ومكثا في عمان يومين. ومنذ عودتهما إلى بغداد أخذت صحف العراق تخوض في موضوع وجوب وقوف العراق من الحالة السياسية العالمية موقفاً حاسماً. وأن العراق بعد أن أعلن تضامنه مع بريطانية وعداءه لدول المحور يجب عليه أن يتمم خطواته بأخذ موقف ظاهر وحاسم في جانب الحلفاء. فإعلان حالة الحرب الآن تفسر جميع ما تقدمه من حركات. والراجح أن بريطانية وأميركا ظلتا تلحان على العراق ليدخل رسمياً في صف أعداء المحور كدولة محاربة تكثيراً لعدد دول الحلفاء من جهة، وتمهيداً للانتفاع من العراق بكل ما يمكن الانتفاع به كدولة محاربة من جهة أخرى. وقد اهتما اهتماماً عظيماً لجعل الحبشة وجمهورية ليبيريا تعلنان حالة الحرب رسمياً، فمن باب أولى أن يكون اهتمامهما للعراق.

وتراجع رومل هذا التراجع العظيم الذي كاد يزيل شبح الخطر القريب عن بلاد العرب والشرق، وظهور السكسونيين بهذا المظهر الهجومي في شمال أفريقية، والحيوية الروسية التي ظهرت في جبهة الحرب الروسية وما كان من المتاعب التي واجهت جيوش الألمان من ذلك، واضطرارها إلى التراجع عن مناطق كثيرة في الجبهة المركزة وفي القفقاس معاً، كل ذلك جعل الأمير عبد الإله ونوري يريان نفسيهما

مضطرين إلى الاستجابة للإلحاح. ولعلهما اعتقدا أن كل هذا علائم قوية لانتصار السكسونيين، وأن من مصلحة العراق أن لا يتأخر كثيراً عن اتخاذ هذه الخطوة التي تكسبه مزايا كبيرة في حالة النصر النهائي، وتجعل له حقاً في مقعد رسمي في مؤتمر الصلح ولعلهما أرادا في رحلتهما إلى مصر وشرق الأردن استطلاع الآراء وتبادل الرأي في الأمر مع الملك فاروق ورجال مصر والإنكليز والأمير عبد الله، والوقوف على الحال الروحية عامة في صدد الخطوة التي هم بسبيل الإقدام عليها...

ولقد قرأنا في الصحف التركية أن قرار إعلان حالة الحرب صدر أولاً من المجلس النيابي العراقي، مع أننا لا نذكر أن هذا المجلس عقد دورة جديدة، فإذا لم يكن في الرواية غلط فيكون المجلس قد دعي قبل الوقت المعين له إلى جلسة خارقة للبحث في الموضوع وإقراره. وقد تعود الناس من المجلس العراقي في كل وقت وزمن أن تسير أكثريته مع الحكومة القائمة إيجاباً وسلباً. ولقد رأينا المجلس نفسه يقر ثقته بحكومة رشيد عالي ويقرر خلع الوصي عن الوصاية وإعلان الحرب على الإنكليز، ثم يقرر عودة الأمير إلى الوصاية وبطلان قرارته السابقة ويعلن خيانة رشيد وزملائه ووجوب محاكمتهم وإعدامهم، وها هو الآن يقرر إعلان الحرب على المحور، وكل ذلك تبعاً لسياسة الحكومة القائمة وتفادياً من الحل. والمعروف دائماً أن الحكومة القائمة هي التي تربح الانتخابات النيابية على طول الخط، ولا يظفر من المعارضين لها إلا القليل. وهكذا كان الحكم النيابي في العراق شر نماذج وصور هذا الحكم في تناقض مجالسه النيابية هذا التناقض المؤلم الكريه.. ويعرف الأمير ونوري ذلك، فلم يريا ضرورة لحل المجلس السابق وإجراء انتخابات جديدة ولو صورية ورمزية. وجعلا المجلس نفسه يتراجع عن قرارته ذليلاً مهاناً....

ولقد قرأنا لعمر رضا تعليقاً في جريدة الجمهورية على إعلان العراق لحالة الحرب، جاء فيه أنه من المحتمل أن يكسب العراق مركزاً في مؤتمر الصلح ويكون وسيلة لتمكين استقلال العراق في حالة انتصار الحلفاء من الوجهة النظرية وحسب، لأنه على ما يرى لن يغير شيئاً في مركز العراق عملياً، لأن بريطانية ستتوسل بحاجة العراق للدفاع والحماية لتبقى محتفظة بمركزها العسكري والإقتصادي والسياسي الحاضر.

ولقد يرد على البال أن هذا الإعلان إن لم ينفع العرب فلن يضرهم، وقد يكون نفعه أقوى إذا ما انتصر السكسونيون، لأن من الخير للعرب والعراق أن يكونوا إلى جانب الدول المنتصرة، وأن يكون لهم مقعد رسمي في مؤتمر الصلح. ومع ذلك فإننا نتذكر بمرارة أنه كان للحجاز مقعد في مؤتمر الصلح بصفته حليفاً لبريطانية ومحارباً، فلم يستطع أن يغير ذلك شيئاً مما يبيته الإنكليز والإفرنسيون للعرب وبلادهم من خطط سوداء ونيات سوء. وكان في يد الحجاز عهود بالنسبة للبلاد العربية الأخرى (العراق والشام) وليس في يد العراق أي عهد من بريطانية بالنسبة للبلاد العربية الاخرى، ومن جهة ثانية فإن السكسونيين سوف يستغلون هذا الموقف للدعاية الواسعة في العالم وبلاد العرب والمسلمين، وسيتوسلون به لإخفات صوته وشعور العداء نحوهم وتكذيب ما يقال في صدد ذلك وقد يضعف هذا موقف زعماء العرب المتضامنين مع المحور ومركز القضية العربية عند دوله، عدا ما يكون له فيه من وسيلة قوية

لاستغلال العراق أوسع استغلال في مجال الحرب وجهدها. كما أنه قد يكون مبرراً لدول المحور إذا ما انتصرت ثم أرادت هي الأخرى أن تسير في خطط نقض وسوء نحو العرب وقضاياهم. وفي كل هذا من الناحيتين ضرر للعرب وقضاياهم آجلاً أو عاجلاً. وفائدة الإنكليز في العاجلة والمحققة. وفائدة العرب إن كانت، فهي مؤجلة وغير محققة بل ومحفوفة بكل شك.

ولقد سمعنا هذا اليوم محطة فلسطين تذيع المذكرة التي قدمها نوري السعيد بصفته رئيس الوزراء، وبنى عليها مجلس الوزراء ثم مجلس النواب قرار إعلان الحرب. وقد ذكر فيها موقف دول المحور العدائي نحو العرب ممثلاً في أصابعها التي أدت إلى الثورة العراقية ومطامعها في العراق وحركاتها العدائية نحو بلاد العالم. وقال أن انضمام العراق إلى الدول الحليفة واجب إنساني وواجب قومي. لأن ميثاق الأتلانتيك الذي سوف تنضم إليه العراق يضمن للعرب مصيرهم وحقوقهم. . .

ومهما يكن من أمر، فإننا نعرف وذكرنا ذلك في مناسبة سابقة، أن نوري السعيد كان حث بعض زعماء العرب على الاتصال بدول المحور لئلا يكون ميدانها فارغاً من العرب في حال انتصارها، وعددنا هذا له حكمة وبعد نظر. وودنا أن تظل الحكمة وبعد النظر رائدين له فلا يندفع ويدفع العراق والأمة العربية من ورائه في ورطة قد تعود بالأضرار عليها، وأن يظل محتاطاً متحفظاً في تقاربه ونهجه وتصرفاته. ولا سيما أن المحور ما يزال قوياً ولم يفقد الأمل في انتصاره في النهاية أولاً، ولا سيماً أن ظواهر الأحوال لا تدل على أن نوري قد حصل على جهود جديدة للعرب ووحدتهم، وكل ما تعلق به ميثاق الأتلانتيك، في حين أن هذا الميثاق ليس إلا صورة ممسوخة من مبادىء ولسون الأربعة عشر في الحرب السابقة، وكان من نتائجها وتجاربها بعد الحرب ما هو معروف من نقض وغدر ومطامع ولؤم وألاعيب.

2 ـ حول احتمالات حذو مصر حذو العراق:

ولا ندري ما إذا كانت مصر تحذو حذو العراق أو ما إذا كان السكسونيون سيتخذون من خطوة العراق وسيلة للإلحاح على مصر وجعلها هي الأخرى تخطو نفس الخطوة، أو إذا كانت مصر تقاوم هذا الإلحاح وتظل محتفظة بموقفها الحاضر. وهذا ما سوف تكشفه الأيام الآتية.

هذا مع تسجيلنا أن النحاس على ما يستفاد من الإذاعات والصحف والأخبار يسير حثيثاً في سبيل الإندماج في سياسة بريطانية وإعلان العداء نحو المحور بأساليب متنوعة وان كان ذلك منه بغير صدور قرارات حكومية أو برلمانية. فمنذ شهور ونحن نسمع تصريحات له فيها عداء للمحور وتمنيات قوية للحلفاء وتقريرات بعدالة قضيتهم، كما نسمع عن تبادل الثناء الواسع بينه وبين لامبسون السفير البريطاني. وكل هذا كان وما يزال يثير فينا التعجب، ولا سيما ونحن نذكر ما كان من مواقف الإنكليز من النحاس ومواقفه منهم، حتى إلى ما قبل استلامه الحكم. ولا نزال نذكر مذكرته التي يطالب فيها الإنكليز بتصريح صريح بالجلاء، ويحتج فيها على ما يبدو منهم من تصرفات مناقضة للمعاهدة. ومن الطريف أن حسين هيكل أشار في إحدى جلسات مجلس الشيوخ بعد استلام النحاس الحكم إلى مذكرة

النحاس وشكره لأنه لا بد من أن يكون قد توصل إلى التفاهم مع الإنكليز على ما فيها من مطالب، فسارع النحاس إلى القول إنه لم يقل ذلك، وإنما قال أنه سوف يتخذ ذلك هدفاً لمساعيه، فما كان من هيكل إلا أن علق قائلا أنه يؤسفه أن لا يكون النحاس قد طالب الإنكليز وهو رئيس حكومة بما كان يطلبه منهم وهو رئيس وفد. . . وهذا الإندماج وهذه المشاهد قد تسوغ القول أنه لا يبعد أن يحذو النحاس حذو نوري السعيد عاجلاً أم آجلاً.

3 ـ خطاب لنيوكامب في صدد قضايا العرب وموقف بريطانية وتعليق عليه:

ومما اطلعنا عليه في هذه الفترة خلاصة خطاب ألقاه نيوكامب الإنكليزي منشور في جريدة الأخبار العراقية، وقد ألقاه في اجتماع في لندن. ونيوكامب من الضباط الإنكليز الذين كان لهم مشاركة وصلات بالثورة العربية والبلاد العربية، وممن يتظاهر بالعطف على قضايا العرب ومطالبهم. وقد مر ذكر موقف واتصالات له في صدد قضية فلسطين في ظرف قدم فيه إلى بغداد سنة 1940 واتصل بنوري السعيد وبطريقه بجمال الحسيني وموسى العلمي في صدد تحريك أو تنفيذ الكتاب الأبيض، وقد أشار نيوكامب في خطابه على ما جاء في الخلاصة إلى سياسة بريطانية وأهدافها في الشرق وآسيا، وقال أنها لا بد لها من الإحتفاظ بمصالحها الحيوية وبطرق مواصلاتها وأمبراطوريتها. وقال في نفس الوقت أن الشعوب التي تقطن بلاد العرب تود الحصول على استقلالاتها المحلية (الإقليمية)، وأنه ليس من مانع يمنع بريطانية من تحقيق رغبتها مع مساعدتها على تحقيق وحدة إقتصادية وثقافية فيما بينها، على أن يكون لها حق إرشادها وحمايتها. . وهكذا يكشف الإنكليز عن وجوههم النقاب. وكل ما يهضمونه حتى الذين يتظاهرون بالعطف على مطالب العرب ورغباتهم أن يكون (للشعوب التي تقطن بلاد العرب) وهو تعبير في غاية اللؤم وسوء النية، استقلالات أو كيانات إقليمية وطائفية وعنصرية تحت إشراف وإرشاد وحماية بريطانية، وتتكرم هذه بمساعدتها على إقامة اتحاد اقتصادي وثقافي فيما بينها. والخطاب تنشره جريدة عراقية دون أي تعليق عليه.

4 ـ خطاب لوايزمن فيه إلحاح على فتح باب للهجرة وحملة على المعتدلين من اليهود وخاصة ماغنس:

اطلعنا في هذه الفترة على خلاصة خطاب لوايزمان، طلب فيه فتح أبواب فلسطين لهجرة يهود أوروبا المضطهدين، وحمل حملة شديدة فيه على الدكتور ماغنس عميد الجامعة العبرية لما يبديه من آراء معتدلة في صدد حل قضية الصهيونية وفلسطين، ومن خوف من حرب أهلية في فلسطين، فيما إذا عادت الهجرة إلى سبيلها الأول، وقد وصفه ووصف أمثاله بالجبن والنذالة والنفاق. وقال فيما قال أن الثورة في فلسطين ليس من شأنها أن تخيف اليهودي البولوني الذي مهما قاسى منها لن يقاسي ما يقاسيه من الإضطهاد الحاضر. . .

وقد قرأنا في صحف فلسطين مقترحات منسوبه إلى ماغنس، يظهر أنها هي التي حمل وايزمان عليه من أجلها. وتقوم هذه المقترحات

على أساس أن تكون فلسطين وطناً مشتركاً للعرب واليهود على السواء، ولكل منهم كياناتهم الخاصة في أماكن كثافتهم، وأن يقوم اتحاد بينهما، وأن يقوم في الوقت نفسه اتحاد عربي على أساس (الولايات المتحدة الأميركية) تكون فلسطين العربية اليهودية عضواً فيه. وقال أن وجود فلسطين ضمن اتحاد عربي مثل هذا يزيل خوف عربها من ابتلاع يهودي أو تغلب يهودي.

5 ـ دعوة قواد المحور في تونس لشباب المغاربة إلى الانضمام إليها:

أذيع في هذه الفترة أن قادة قوات المحور في تونس أذاعوا منشورات على عرب شمال أفريقية، يدعونهم فيها إلى الإنضمام إليهم والتضامن معهم ضد اليهود الذين أخذوا يقفون موقف الغدر والوقاحة بعد قدوم الحملة السكسونية، ويخوفونهم من العواقب الوخيمة التي سوف يقعون فيها منهم. وأذيع أن كثيراً من شباب العرب المغاربة استجابوا للنداء وأخذوا ينضمون إلى جيوش المحور. ويتبادر لنا أن اليهود فعلاً قد تنمروا وأظهروا اللؤم والفرح، وأن ذلك قد استفز المغاربة، وأن قواد المحور وجدوا في ذلك فرصة فوجهوا نداءهم. ولقد كان بيتان ألغى الامتيازات التي كان يهود الجزائر يتمتعون بها، فالظاهر أن هذه الإمتيازات قد أعيدت لهم، فبادروا إلى التظاهر ضد المسلمين والتضامن مع الغزاة الجدد الذين انضم اليهم غزاة فرنسة الأولون. ولقد ذكرت مصادر المحور أن حوادث عدوان متبادلة وقعت بين المغاربة واليهود، وهكذا تظهر آثار أصابع ونفوذ السكسونيين نافخة في أنوف اليهود، ومثيرة فيهم اللؤم والشدة، مما ينذر بما سوف يكون من أمرهم في شمال أفريقية ثم في بلاد الشرق العربي إذا ما انتصر السكسونيون. وهذا يذكرنا بكلمة قرأناها في برقية أرسلها وايزمان يهنىء فيها السكسونيين على نجاح حملتهم، حيث جاء فيها قوله أن شمال أفريقية جسر عظيم بين مركزي اليهود الرئيسيين (نيويورك ـ فلسطين).

ومن الأخبار التي قرأناها خبر إتمام تمديد الخط الحديدي بين بيروت وحيفا وتدشينه باحتفال كبير. وهكذا اتصلت فلسطين وبالتالي مصر بالآستانة رأساً بطريق هذا الخط. وكسبت فلسطين من الوجهة الاقتصادية كسباً جديداً، كما كسبت خط مصر الحديدي في الحرب السابقة، وإن كان هذا الكسب (خوازيق) استعمارية منها تزيد في أغلالها. ومما قرأنا أن القائد الإنكليزي هو الذي تولى رئاسة الحفلة، وأن العلم الإنكليزي هو الذي كان يخفق فوق القطار، ولم نقرأ اسم إفرنسي عسكري أو سياسي بين الحاضرين، فهل يكون الإنكليز قد قضوا على الكيان الإفرنسي في لبنان وسورية يا ترى؟ مع القول أن الإنكليز على ما دلت عليه الظواهر بصورة غير صريحة رسمية وغير رسمية قد قضوا فعلاً على هذا الكيان، وأنهم صاروا الكل في الكل، ولكن ذلك لم يكن صريحاً ورسمياً.

6 ـ استقالة حسني البرازي وخلافة جميل الأيلشي له ودخول الأمير مصطفى للوزارة:

من أخبار سورية أن حسني البرازي استقال من رئاسة الوزارة، وأن جميل الأيلشي خلفه

فيها، وأن الأمير مصطفى الشهابي دخل في الوزارة الجديدة وزيراً للمالية. وهذا هو كل ما كان من تبديل بالإضافة إلى الرئيس. وكان دخول الأمير في الوزارة باعثاً لعجبنا. فالدور الأول دور استعماري صريح، ورئيس الجمهورية الشيخ تاج ورئيس الوزارة الأيلشي فيه، ولكليهما ذكر سيء معروف في صلاتهما الإفرنسية وفي المجالات الوطنية. والأمير يعد من أركان القوميين العرب، وكان من جملة مفاوضي معاهدة الاستقلال سنة 1936، ولقد كنت أتمنى أن لا يقع في هذا الخطأ لأن الشهابيين أصدقائي وكلهم طيبون مستقيمون نظيفون وتعز عليّ سمعتهم. والظاهر أن هناك تفسيرات واجتهادات برر الأمير بها لنفسه هذا الإشتراك، ولا سيما هو خاصة والشهابيون عامة ليسوا ذوي أثر بارز في سياسة سورية، ويعدون على الهامش أو كالغرباء فيها. وهذا المعنى قائم حتى عند إخواننا الكتلويين، وهي ذهنية خاطئة ولا ريب، مستلهمين الفكرة المحلية الضيقة.

7 ـ سير الحرب في هذه الفترة:

أما أخبار الحرب في هذه الفترة فهي كما يلي:

(1) الجبهة الروسية: ما زالت حركات الروس الهجومية مستمرة، وما تزال بلاغاتهم تذكر ما يحرزونه من انتصارات ويستردونه من مراكز ومدن، ويتقدمونه من مسافات ويهددونه من مراكز خطيرة في يد الألمان، ويبيدونه من جيوشهم، في حين أن المصادر الألمانية تصر على القول أن الجيوش الألمانية ترد زحف الروس وتكبده الخسائر وتحافظ على مراكزها المهمة، مع اعترافها بشدة الهجمات الروسية وقوتها. والمصادر السكسونية تشتط في التهويل والتعظيم في أخبار الحرب الروسية الألمانية، وتصور ما يقع الألمان فيه من نكبات هائلة وهزائم شديدة، حتى تصل إلى القول أن ألمانيا تسعى بواسطة وسطاء لمعرفة شروط الصلح حتى تطلبه قبل أن تتم عليها الكارثة. وأن الأعصاب في إيطالية قد تحطمت، حتى صارت في نفس الموقف الذي صارت إليه فرنسة حينما انهزم جيشها واخترقت جبهاتها. وأن ألمانيا عرضت على إيطالية الاتحاد على نفس الأسلوب الذي عرضه تشرشل على فرنسة حينما أوشكت على الانهيار، وأن القلاقل والثورات الداخلية آخذة في الانتشار والاتساع في بلغاريا ورومانيا. وتردد المصادر السكسونية مع كل ذلك أخباراً عن الانكسار والهزيمة التي لحقت بالجيوش المحورية في شمال أفريقية.

وكل هذا دعاية غايتها تقوية أعصاب السكسونيين ومن معهم، وبث روح الأمل والمقاومة فيهم وفي الأمم المحايدة أو التي تحت احتلال المحور وكسر أعصاب شعوب المحور في الوقت ذاته. ومن الغريب أن هذه التهويلات السكسونية في أخبار الجبهة الروسية لا تحتويها بلاغات الروس الرسمية التي تصدر موجزة. وعلى كل حال فإن هذا لا يعني أن الألمان في الجبهة الروسية في موقف متين مريح. وليس من شك أن الروس أبدوا حيوية ونشاطاً أزعجا الألمان، واستطاعوا أن يحملوهم على التراجع عن أماكن مهمة، وأن يكبدوهم خسائر فادحة أكثر مما تتسع له فكرة التشتيت. مع القول أيضاً أن الروس لم يكسبوا نصراً حاسماً يغير من مجرى الحرب، وهم الآن يتقدمون نحو روستوف، فإذا استطاعوا احتلالها

أمكن أن يقال أنهم نالوا نصراً شبه حاسم، وأوقعوا الألمان في مأزق حرج. . وهذا يستبعده الخبراء العسكريون. وسنرى.

(2) أما في شمال أفريقية فلم يجر حركات مهمة، فرومل ما يزال يتراجع ببطء وبراعة إلى منطقة طرابلس الغرب، وما يزال المحور متفوقاً في تونس. ولكن الأخبار تشير إلى قرب اشتداد الحركات في الجبهتين. وقد قرأنا أن الألمان استطاعوا أن يحشدوا في جبهة تونس مائة ألف جندي كاملي العدة، وألف طيارة وفرقتي دبابات. وهذه قوة عظيمة تجعل مهمة الحملة السكسونية صعبة، وتجعل مركز المحور في البحر الأبيض متيناً.

***

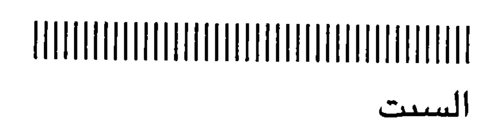

السبت
23 كانون الثاني 1943:

1 ـ ردود فعل إعلان العراق حالة الحرب ومصادر السكسونيين والمحوريين وبيان رشيد عالي وتعليقات على ذلك:

طيلة هذا الأسبوع ونحن نسمع ونقرأ تعليقات في صدد إعلان العراق حالة الحرب بينه وبين دول المحور. ومن أقوى ما سمعناه من محطة روما أن إيطالية لا تعتبر نفسها في حالة حرب مع العراق، وأنها تعرف أن العراق قد قال كلمته حينما كان حراً في ثورته وحربه ضد الإنكليز في سنة 1941، وما تزال الحالة كذلك في نظرها. وقد يمثل هذا واقع الأمر تمثيلاً صادقاً. .

أذاعت محطات المحور بياناً لرشيد عالي بصفته رئيس الحكومة العراقية الشرعي، استنكر فيه موقف القائمين على حكم العراق، وقال أن العراق هو في حالة حرب مع الإنكليز لا مع دول المحور. وهدد وانذر كل من يطيع نوري السعيد في زج العراق في الأخطار الحربية المقبلة، ونعت الإعلان بالجنون والخيانة. ولقد أذاعت المحطات السكسونية برقية نوري السعيد إلى شرشل جواباً على برقية هذا التي أرسلها في مناسبة إعلان العراق حالة الحرب. وقد جاء في برقية نوري قوله أنه مطمئن إلى نصر الحلفاء، وأن العراق إنما يقف موقفه قياماً بواجبه نحو الحلفاء من جهة ونحو القضية الوطنية من جهة

أخرى، وأنه يأمل أن تتحقق الوعود المقطوعة للعرب منذ عشرين سنة بوحدتهم وآمالهم. وكلام نوري هذا يؤكد أنه لم يحصل على أي عهد أو وعد جديد، ويستوجب تعليقاً قاسياً: فالوعود المقطوعة للعرب منذ عشرين سنة إنما صدرت من بريطانية، وبريطانية هي التي نكثت بها وخانتها، ويكون العراق والحالة هذه واقفاً إلى جانب من وعد ونكث وغدر وخان في وعده.

وقد أذاعت المحطات السكسونية تعليقات عزتها إلى صحف سورية ومصر والعراق، فيها تحبيذ لإعلان حالة الحرب، كما أذاعت أن مجلس النواب العراقي حينما انعقد أيد قرار الحكومة. وأذاعت تصريحات لرجال عرب رسميين بالتحبيذ والابتهاج، ومن أول من سمعنا تصريحه (شكري باشا شعشاعة وزير مالية عمّان)، وهذه التصريحات المصنوعة متوقعة طبعاً لأن الإنكليز سوف يستغلون الحادث أوسع استغلال في التأثير على الرأي العام العربي وإخفات الأصوات ضدهم. وهم يعرفون أن ما في قلوب العرب من عداء وحقد أشد وأعظم من أن تؤثر عليه تصريحات رجال حكومات خاضعة لهم.. ولقد نشرت الصحف التركية برقية عن نيويورك احتوت خلاصة تعليق لجريدة نيويورك تايمس الشهيرة على إعلان العراق لحالة الحرب جاء فيها: أن العراق بإعلانه الحرب على المحور، ضمن لنفسه مقعداً رسمياً في مؤتمر الصلح إلى جانب دول الحلفاء وفرصة للتكلم فيه باسم العرب جميعهم، وضمن كذلك الإنتفاع الواسع من قانون الإعارة والتأجير الأميركي، (هذا القانون يخول حكومة الولايات المتحدة بإرسال معدات حربية متنوعة باسم الإعارة أو الأجرة...).

ولقد كتبت الصحف التركية بدورها مقالات وتعليقات في صدد الإعلان. فعمر رضا كتب في جريدة الجمهورية مقالين حاول فيهما بيان ما يمكن أن يكون الدافع إلى هذا الإعلان، وأشار إلى القضية اليهودية ونشاط اليهود الواسع في أميركا خاصة، وما يهدد العرب من أخطار بسببه، وقال إن لما كتبته (نيويورك تايمس) معنى في هذا الصدد. فالعراق مستقل سياسياً وكل ما يطلبه هو الوحدة العربية والدفاع باسم العرب عن فلسطين ضد المطامع اليهودية...

والملموح أن الأوساط التركية الرسمية لم ترتح لهذا الإعلان، والموقف العراقي لما له من تأثيرات متنوعة قريبة وبعيدة في موقف تركية الحيادي ونظرتها إلى القضايا العربية واحتمالاتها البعيدة. وليس من شك في أن اليهود لم يرتاحوا للإعلان، فهم لا يريدون بطبيعة الحال أن يكون للعرب مركز في حال انتصار الحلفاء الذي يعولون عليه تعويلاً كبيراً بدورهم من أجل مطامعهم...

ولقد فطن عمر رضا لذلك، فقال في تعليق له إن الموقف في الحقيقة موقف نضال بين اليهودية والعربية، وأن السكسونيين مدعوون إلى اختيار بينهما. وأن لمقدار استفادتهم من موقف العراق أثر في هذا الإختيار...

وفي تعليق آخر له قال أن اتساع مطامع اليهود وازدياد نشاطهم يثير ولا ريب المخاوف ليس في العرب فقط، بل في كل بلاد الشرق. ولهذه الكلمة مغزى عظيم وتدل على صميمية هذا الرجل المسلم وإخلاصه وبعد إدراكه...

ومن غريب ما سمعناه أن نوري السعيد أو جرائد العراق ذكرت في صدد الإشارة إلى سوء نيات المحور نحو بلاد العرب وصواب إعلان العراق حالة الحرب ضده، وتبريره أن الألمان

بعد أن أغروا رشيد عالي بالثورة على الإنكليز أرسلوا سفيرهم «غروبا» وأن هذا استطاع أن يأخذ من رشيد عالي عهداً بمنح الألمان الامتياز الذي كانوا حصلوا عليه في زمن الدولة العثمانية، ليصبح لهم خط طويل عريض من الأراضي العراقية ملكاً ينشئون عليه مستعمرات ومصانع وقلاعاً، وعهداً بمنحهم امتياز البترول. وهذه دعاية سخيفة لأن المفاوضات بين «غروبا» ورشيد لم تقترن بنتيجة ما، ولو كان القول صحيحاً لوجب أن يكون رشيد نال مقابل ذلك اعترافات وعهوداً في صدد استقلال العراق والبلاد العربية ووحدتها. . .

وأذكر في هذه المناسبة أن طه الهاشمي قال لي أنه حينما أوشكت الحرب العالمية أن تنشب في سنة 1939، وكان نوري السعيد رئيساً للوزارة وطه وزيراً للدفاع وعلي جودة وزيراً للخارجية، أبرق علي جودة باتفاق مع نوري إلى الحكومة البريطانية بأن العراق مستعد للوقوف إلى جانبها. وجاءت برقية شكر على ذلك أرسلت نسخة منها إلى البلاد، وكان رشيد رئيس ديوان الملك فاطلع الضباط الأربعة الكبار فهمي السعيد وصلاح الصباغ ومحمود سليمان وشبيب ويونس السبعاوي على الجواب. وأن علي جودة أرسل البرقية بدون قرار مجلس الوزراء وبالاتفاق مع نوري فقط. وقد كان تأخر إلى الآن عن إعلان هذا الموقف، فإنه يرجع إلى أنه حينما عاد إلى الحكم بعد الثورة لم يكن موقف بريطانية الحربي مشجعاً، وقد صار الآن موقفها أحسن، فبادر إلى تنفيذ رأيه. وفي رأي طه أن هذا الموقف لن يؤثر على ما يمكن أن يكون من صلات العراق والعرب مع المحور في حالة انتصار المحور، لأن فيما كان من موقف سابق للعراق في الثورة وفي التردد في إعلان الحرب برهاناً على ميول العراق والعرب وعاطفتهم العدائية نحو الإنكليز. ويمكن أن يكون في إعلان العراق الآن فائدة ومصلحة للعرب إذا ما تم النصر للحلفاء وليس فيه أي ضرر. وإذا ما استطاع العراق أن يحصل بهذه العملية على كمية من السلاح فيكون ذلك أحسن فوائدها. وقد عاتب مجلس الوزراء نوري السعيد وعلي جودة الأيوبي على البرقية ووقف الأمر عند ذلك. فلما نشبت الحرب اكتفى المجلس بقطع العلاقة السياسية مع ألمانيا. وعاتبت بريطانية العراق وقالت إنها كانت تنتظر موقفاً أقوى وأصرح فيه تنفيذ للوعد الذي وعده قبل نشوب الحرب، وصارت بريطانية تشك في موقف العراق وإخلاصه لها. وكان من رأي نوري منذ البدء أن يقف العراق موقفاً صريحاً رسمياً لأنه حليف لبريطانية، وأن تردده ووقوفه موقفاً غير حاسم مضران بمصلحة العراق، وقد يكون في هذا التعليق وجاهة ومنطق.

2 ـ وفاة الشيخ تاج:

في هذه الفترة توفي الشيخ تاج رئيس جمهورية سورية بمرض حمى الرئة (نيمونيا)، وجرى له احتفال جنازة رسمي شهده رئيس جمهورية لبنان ورئيس وزرائه. ووضع نعشه في بناية البرلمان وشيع منها على ما سمعناه من الإذاعات. وقرر مجلس الوزراء ممارسة صلاحية رئيس الجمهورية، وأعلن رئيس مجلس الوزراء أن الوزارة ستسير على منهاج سياسة الشيخ، ولا ندري من يخلفه، وقد يطمع في المركز جميل الأيلشي رئيس الوزراء أو حقي العظم رئيس الدولة السورية وحاكمها في وقت سابق.

3 ـ سير الحرب في هذه الفترة:

أما سير الحرب في هذه الفترة فهو كما يلي:

(1) في جبهة أفريقية: ظل رومل في انسحابه، وترك طرابلس الغرب وراءه فاحتلها الإنكليز. ويظهر من مجرى الأحوال أنه سائر في سبيل توحيد قوات المحور في جبهة تونس. واعترف السكسونيون بازدياد نشاط المحور في هذه الجبهة وتمكنها من توسيع بعض ساحاتها في الجنوب والغرب.

(2) في الجبهة الروسية: وفي جبهة روسية تمكن الروس من فك الحصار الألماني عن لينغراد بعد أن استمر نحو أربعة عشر شهراً، وهذا نجاح حاسم بدون ريب. والروس في أكثر مناطق الجبهة ما يزالون نشيطين ودائبين على التقدم واسترداد القرى والمدن العديدة، وهم الآن يهددون روستوف. والألمان لا ينكرون هذا النشاط ويصفونه بالقوة والعناد. ومع أنهم يكتفون بالقول أن قواتهم باستطاعتها رد هجمات الروس، فإنهم لا ينكرون صعوبة موقف قواتهم، ويعترفون بخاصة بصعوبة موقف قواتهم المحاطة في منطقة ستالينغراد وهي محاطة أو مطوقة منذ أكثر من شهر وتبلغ (200000) أي 22 فرقة. ويقول الروس إن هذا العدد نزل إلى أقل من النصف، وأن كثيراً منه مات جوعاً ومرضاً، بالإضافة إلى العدد الكبير الذي مات بالقتال.

والكتّاب سواء منهم الحياديون أو المحوريون أو السكسونيون يعلقون على الموقف تعليقات متنوعة. وقد قال معلق ألماني أن خط الدفاع الألماني هو خط متحرك، وأن الروس لم يفعلوا هذا العام إلا ما فعلوه في الشتاء الفائت، وأنهم سوف يرون أنهم لم ينتفعوا بهجومهم الشتوي إلا خسائر عظمى بالأرواح والمعدات، وأن الألمان مطمئنون كل الاطمئنان إلى الفوز في النهاية، وأن ربيع سنة 1943 سيثبت للعالم حقيقة هذا وعظمة قوة الألمان... الخ.

والمحايدون لا يكتمون دهشتهم في حيوية الروس، ويقولون أن صعوبة موقف الألمان أشد منه مما كان في الشتاء الفائت. ويتوقعون آثاراً خطيرة لا سيما إذا استرد الروس روستوف وخركوف.

والسكسونيون دائبون في تعظيم الموقف وتصوير شدة تفاقمه وخاصة للألمان مع تحفظهم بقولهم إن الألمان لا يعدون منهزمين ولا تعد الكارثة قد نزلت بهم.

***

يوم السبت
30 كانون الثاني 1943
20 محرم سنة 1362 :

1 ـ تعليقات صحفية تركية على خروج قوات المحور والطليان من طرابلس الغرب :

كان للصحف التركية تعليقات جماعية على خروج قوات المحور وقوات الطليان خاصة من طرابلس الغرب، مستذكرة هجوم هؤلاء عليها سنة 1911، وممتزجة بالتشفي والشماتة، لأن طرابلس الغرب كانت في تلك السنة ولاية عثمانية. وقد كتبوا مقالات عديدة في هذه المناسبة عن ما كان من بغي الطليان في هجومهم، استغلالاً لما كان من ارتباك الدولة العثمانية، وعما كان للضباط الترك الفدائيين وأهل طرابلس وقبائلها من مواقف جهادية استمرت طويلاً وكلفت الطليان كثيراً. وقالوا فيما قالوه أن خروجهم من طرابلس هو بمثابة انهدام آخر قلعة من قلاع أمبراطوريتهم الأفريقية. ونحن نشعر بالشماتة والتشفي من عاقبة الطليان بالرغم من كون فصول الاستعمار متشابهة، سواء منه الطلياني أم الإنكليزي أم الإفرنسي. لأننا عشنا هجوم الطليان على طرابلس الغرب، وعشنا ما كان يحل بإخواننا فيها في سياق توطيد الطليان أقدامهم فيها، وما كان من هجوم طلياني واستيلاء طلياني على الأراضي الخصبة وتهجير أصحابها عنها بالحديد والنار إلى الصحاري حيث الموت الأحمر. ثم ما كان من مأساة عمر المختار الشهيد البطل، وما كان من جهاد عربي إسلامي مستمر، فكل ذلك عشناه وذقنا آلامه واحتججنا عليه وسجلنا منه صحف تبقى آثمة عدوانية سوداء.

2 ـ بيانات إنكليزية في صدد إدارة ليبية وطرابلس الغرب :

وقد سمعنا محطة فلسطين تذيع بيانات لوزير بريطانية في الشرق الأوسط المستر كيسي عما كان من استعداد الإنكليز سلفاً لإدارة طرابلس حين احتلالها الذي توقعوه، وقال إنهم أعدوا كل شيء ودربوا ضباطاً له وجهزوهم بكل ما يلزم من معلومات قانونية ومحلية وعشائرية الخ. وكذلك عما تنتويه بريطانية من خطط لإزالة آثار الثقافة والدعاية والفاشيستية، وإحلال اللغة العربية محل اللغة الطليانية، وتمكين أصحاب الأراضي الخصبة من الرجوع إليها وتمتعهم بحقوقهم المشروعة. . . ولم يرد في بيانات الوزير شيء عن أسلوب الحكم الذي يراد توطيده وحقوق أهل البلاد في ذلك، مع أن هذا كان يجب أن يساق ليتناسب مع دعايات السكسونية الواسعة عن الديموقراطية وحقوق الشعوب في حكم نفسها، وعن حسن نياتهم تجاه البلاد التي تتحرر من ربقة المحور وعدم طمعهم فيها. وكل ما جاء من ذلك هو القول إن مصير طرابلس الغرب أو ليبية سيتقرر عند انتهاء الحرب، تاركين ذلك للزمن والظروف وما تمليه مصالحهم وسياساتهم. .

3 ـ حول قرار فرنسة الحرة الديغولية بإعادة الحياة النيابية بسورية ولبنان:

أذيع في هذه الفترة أن اللجنة الإفرنسية القومية الديغولية التي هي الآن تمثل المركز والإشراف الإفرنسيين في سورية ولبنان، قررت إعادة الحياة الدستورية والنيابية إلى سورية ولبنان، وتفويض الجنرال كاترو باتخاذ التدابير المقتضية لتنفيذ القرار. وأذيع أن كاترو سيزور سورية ولبنان قريباً للإتصال بالأوساط الرسمية والسياسية والشعبية في سبيل ذلك.

وقد قرأنا لعمر رضا في الجمهورية تعليقاً على هذا جاء فيه، أن من المحتمل أن يكون الإفرنسيون الديغوليون أرادوا بذلك حمل سورية ولبنان على أن تحذو حذو العراق في إعلان حالة الحرب بينهما وبين دول المحور، لأن الأسلوب القائم ليس بقوة شرعية ودستورية تجعل قراره في ذلك مجدياً، بعكس ما إذا صدر مثل هذا القرار من مجلس نيابي وحكومة منبثقة عنه.. ومما قاله أن الإفرنسيين الديغوليين اهتموا للأمر على اعتبار أن سورية ولبنان مصدر من مصادر قوتهم يمكن أن يمدهم بقوة لكيانهم في صفوف الحلفاء. والقولان وجيهان. وقد كنا قدرنا أن الحلفاء سيهتمون لحمل سورية ولبنان ثم مصر على الوقوف موقف العراق وإعلان حالة الحرب أسوة بها لضمان قوة مركزهم مادياً ودعائياً وعسكرياً بالنسبة للشرق العربي.

هذا وقرأنا أول أمس عددين من جريدة الف باء الدمشقية، وفيهما أخبار موت الشيخ تاج ودفنه. ومرسوم مجلس الوزراء الذي يخول المجلس القيام بمهام الرئاسة. وفي المرسوم قول هو (ريثما تستأنف الحياة النيابية)، فالظاهر أن مسألة إعادة الحياة النيابية أثيرت في سورية في مناسبة وفاة الشيخ تاج، وأن اللجنة الإفرنسية القومية الديغولية رأت الفرصة سانحة لتأخذ سورية قرارها الذي ذكرناه قبل. والراجح أن هذا القيد قد وضع بعد التفاهم مع القيادتين الإنكليزية والإفرنسية. وبناء على ذلك فإن المتبادر أن الإفرنسيين لن يعينوا رئيساً جديداً للجمهورية، وسيؤخرون ذلك إلى أن تقوم الحياة النيابية والدستورية فيتم من طريقها... وقد يبدو قرار إعادة الحياة النيابية والدستورية فضيلة للحلفاء، وقد يكون كذلك لو لم يكن له صلة بمصلحتهم السياسية والأمنية الحاضرة. وقد رأينا الإفرنسيين ينسفون هذه الحياة بجرة قلم حينما أرادوا النكث بالمعاهدة. ومن أسهل ما يكون وأقربه إلى الاحتمال أن يتكرر ذلك إذا أملته مصلحتهم وسياستهم، فالحياة النيابية في مثل الظروف القائمة (احتلال عسكري وسيطرة عسكرية إفرنسية إنكليزية) مهزلة لا فضيلة. والتجارب تجعل انتظار حسن النية والصميمية في غير محله.. وقد تساءلنا عما إذا كان إخواننا الكتلويون يشتركون في الخطوة حينما يسار فيها، أو يعتبرون بما كان فيظلون بعيدين، وخاصة أن ما كان من نكث قد كان معهم. ونحن لا نعرف تماماً الجو السائد الآن في البلاد حتى نجزم في الإجابة على هذا السؤال.

ولقد أطنبت جريدة الف باء بما كان من لوعة الأمة على فقدها الشيخ تاج وعويلها، وما كان من حفاوة عظيمة بجنازته واشتراك وفود كثيرة فيها، وخطب الرثاء التي خطبت، وأكاليل الزهور التي زاد عددها على الألف.

ولا ندري هل ما كتبته مبالغة أو حقيقة. ولكنا لا نستبعده، فإن الشيخ كان يهتم لتأمين أسباب

المعيشة، وكان يتقن البث والدعاية، وله أنصار كثيرون . .

وفي سياق وصف الشيخ ولوعة الأمة على فقده، ذكرت الجريدة معاوية وصلاح الدين والشيخ تاج والدكتور شهبندر مثالاً لعظام رجال وحكام دمشق، حيث بلغت الغثاثه أوجها في اسم الشيخ والشهبندر مع معاوية وصلاح الدين. . .

ويستفاد مما كتبته الف باء أنه مرض في ليلة تأليف وزارة الألشي، فقد ظل ساهراً إلى قبيل الفجر منهمكاً قلقاً في سبيل تأليفها، فأصابه برد ألزمه الفراش، فلم يمر بضعة أيام حتى توفي. ولقد سمعت من بعض الأخوان أنه قرأ في جريدة سورية أن الشيخ تاج كان في حفلة، فلما عاد استدعى الوزراء عدا الرئيس وطلب منهم الاستقالة، ثم أرسلهم إلى حسني البرازى ليحملوه على الاستقالة، فذهبوا وطلبوا منه ذلك فرفض. فقالوا له إنهم سيستقيلون، وأن الأحسن له أن يستقيل معهم ولا يخرج من الوزارة مطرودا، فلم ير بدّاً من الموافقة. فلم تلبث الوزارة أن تألفت وعاد جميع الوزراء المستقيلين دونه، وأضيف إليهم الأمير مصطفى الذي تولى وزارة المالية التي كان حسني متولياً لها. . . وفي هذا التفصيل فصل من فصول المهازل الوزارية الجارية في البلاد. والظاهر أن حسني وقف موقفاً ما أثار الشيخ أو بعض أرباب السيطرة الإفرنسيين فكان جزاؤه الطرد. وقد علق أحد الإخوان فقال إن الشيخ مرض في تلك الليلة ومات بعد قليل بخطيئة حسني البرازى، وكان تعليقا طريفا.

4 ـ اجتماع روزفلت وشرشل في الدار البيضاء وما أعلن من قرارات ودعايات في ذلك وتعليق على ذلك:

في هذه الفترة أذيع نبأ اجتماع روزفلت وشرشل في الدار البيضاء في شمال أفريقية. وقد مهد السكسونيون الأفكار لهذا النبأ كأنما يباغتون العالم بأعظم حادث، فطلبت محطات إذاعاتهم في أميركا وبريطانية أن يستمعوا إلى نبأ عظيم في الساعة الخامسة من صباح الأربعاء، وفتح هذا المجال للتخمينات المتنوعة. وفي الساعة المذكورة أذيع النبأ، ثم أذيعت تفصيلات عنه. ومن ذلك أن اللقاء كان في 14 كانون الثاني 1943 واستمر عشرة أيام، ولم يذع خبره إلا بعد مبارحة الزعيمين شمال أفريقية وعودتهما إلى بلديهما. وكان مع كل منهما القواد الأعلون لقوات البر والبحر والجو وبعض كبار رجال السياسة والعسكرية، وكانت اجتماعات ومداولات طويلة بحثت فيها مواضيع شتى وخاصة الموقف الحربي العام والخطط العسكرية المقبلة، واتخذت قرارات خطيرة في صدد هجوم قوات الحلفاء على قوات المحور وساحاتها. وأذيع عن لسان الرئيسين التصميم على الإستمرار في الحرب بكل قوة وقسوة إلى أن تستسلم دول المحور الثلاث بدون قيد وشرط.

ومما أذيع أنهما دعوا ستالين، وكانا مستعدين لعقد اجتماع معه في مكان قريب إليه، ولكنه اعتذر بما هو مضطلع به من القيادة العليا وبما يقوم به من دور خطير في زحف الشتاء الهائل. وأنهما أبلغاه ما دار بينهما من أبحاث وما اتخذاه من قرارات، وتصميمهما على تشديد الخناق

على المحور والسير في الحرب في هذه السنة إلى غاية الفوز وتحطيم قوات العدو، وطمأناه أنهما على ثقة تامة بحسن الموقف الحاضر للحلفاء وتفوقهم في كل شيء وإتمامهم استعداداتهم الهائلة. ومما أذيع أنهما اتصلا بالمارشال الصيني شاي كان شاك وأبلغاه كل ذلك.

وقد رأت المصادر المحورية على ما يستفاد من إذاعاتها أن البيان وأسلوب إذاعته وما أذيع من قرارت هو نوع من الدعاية والتهويل. ولفتت النظر إلى أن لقاء الرئيسين كان دائما يقع في أوقات اشتداد الأزمات على الحلفاء، وأن هذا اللقاء يدل ولا ريب على ما هم فيه من أزمة شديدة وبخاصة من جراء حرب الغواصات التي تشتد في القتال والتحطيم، ثم من جراء ضعف مساعداتهم للروس واستياء هؤلاء، ومن جراء عدم إمكان مساعدة الصين وما سوف يكون لكل ذلك من آثار في الموقف. وأن الرئيسين أرادا بهذا اللقاء أو بهذه المظاهرة شد أعصاب الروس والصين اللذين هما فقط المريقين للدم في سبيلهم وشد أعصاب شعوبهم.

وقد كتبت الصحف التركية مقالات وتعليقات متنوعة على هذا اللقاء وما أذيع عنه، وكانت تعليقات جريدة الجمهورية قريبة من أقوال المصادر المحورية. ومما جاء في تعليقاتها بالإضافة إلى ذلك أن الخلاف بين الإفرنسيين وحلّه من أهم أغراض اللقاء، وأن هذا الخلاف لم يحلّ لأن ديغول وجيرو لم يتفقا على توحيد المنهج السياسي. وكل ما كان منهما إعلانهما عزمهما على الاستمرار في النضال واعتباره نضالاً مشتركاً في سبيل فرنسة، وهذا إخفاق لا ريب فيه. ولفتت النظر إلى عدم وجود وكلاء على الأقل لستالين وشاي كان شاك، مع إمكان ذلك لو كانت الحالة صميمية واعتيادية بين الطرفين، وأن الاجتماع والحالة هذه هو اجتماع سكسوني، ولا يصح أن يعد اجتماع حلفاء. ومهما يكن من أمر فمما لا شك فيه أن موقف الحلفاء في شمال أفريقية وفي الجبهة الروسية يجعل لهم مجالاً للتبجح، كما أنهم قد ساروا في الاستعداد خطوات واسعة، وصاروا الآن أقوى مما كانوا، وصار أملهم في النصر قوياً. وكل هذا يجعل لهم مجال القول والإدعاء والتقرب في صدد خطوات الحرب الآتية.

ومما لا ريب فيه أيضا أن لهذه الاجتماعات والإذاعات عنها، قصد وأثر في شد أعصاب شعوب أوروبا المحتلة بلادها وتقوية آمالها بالتحرر، هذا مع القول بحق أن عنصر الدعاية في كل ما أذيع قوي بارز أيضا.

ومن جهة أخرى، فإن فيما قالته الجمهورية في صدد الخلاف بين جيرو وديغول، وكون هذه المسألة من أهم أسباب الرحلة، صواباً كثيرا. ولقد أثارت هذه المسألة خلافاً وتشاداً بين بريطانية وأميركا. فبريطانيا متمسكة بديغول، وجيرو وجماعته لا يريدون الاعتراف به، وهم أصحاب الكيان الحربي المؤثر، وأميركا لا تريد إغضابهم وتفضل التمسك بهم. ويظهر أن محاولات الرئيسين في التوفيق بين الطرفين أخفقت، وأن العقدة أصعب من أن تحل...

ومن أهم ما يلفت النظر في الإذاعات هو أن الزعيمين السكسونيين أقنعا ستالين بوضع مطارات سيبريا تحت أمر الحلفاء لتهيئة الحملات ضد اليابان من جهة، وتأمين إيصال المساعدات للصين من جهة أخرى. وإذا صح هذا ونفذ، فيكون العالم أمام فصل جديد من فصول الحرب بالنسبة لليابان والروس. ولا يبعد أن يكون هذا من أهم مقاصد اللقاء...

وفي هذه المناسبة نتساءل عن موقف اليابان، وسبب سكوتهم وفتورهم الآن. ففي العام الفائت حينما قرر الألمان التوقف في الجبهة الروسية سارعت اليابان إلى الإشتباك مع أميركا وبريطانية، فشغلت أفكار العالم وأزعجت الدولتين وأنزلت فيهما أشد الضربات، وكان ذلك كله مساعدات كبيرة للألمان. والألمان الآن في موقف أشد صعوبة من موقفهم في شتاء السنة الفائتة في الجبهة الروسية، واليابان تعرف أن الروس هم عقدة كبيرة في هذه الحرب، بل أن مصيرها يتوقف على انكسارهم أو فوزهم، ففوزهم يعني انكسار الألمان والطليان، وهذا يعني تدفق البلاء على اليابان نفسها. فمن المعقول أن يكون منها نشاط يخفف عن الألمان ويزعج الحلفاء كما فعلت في الشتاء السابق. ولعل ما أذيع عن موافقة ستالين على جعل مطارات سيبريا تحت أمر الحلفاء مما يثير اليابان ويجعلها تتحرك بسرعة وقوة، والأيام الآتية ستكشف الأمور.

5 ـ أخبار الحرب في هذه الفترة:

أما أخبار الحرب في هذه الفترة فهذه خلاصتها:

1) الجبهة الروسية: ما زال الروس على شدتهم في الزحف، وما يزالون يحققون فوزاً في زحفهم ويتقدمون في جميع الجهات. وقد استولوا على مراكز مهمة، واضطروا الألمان إلى التراجع على ما تذيعه مصادرهم والمصادر السكسونية، والألمان لا ينكرون الشدة والعنف، وما زالوا يرددون قولهم أنم مستطيعون ردهم وتوقيفهم. ومما أذاعته المصادر المحورية أنهم هيأوا خط دفاع جديد، وهم آخذون بالانسحاب إليه والاستقرار. وأن الروس يحاولون إحباط عمليتهم هذه، ولكنهم استطاعوا تثبيت أقدامهم في خطهم الجديد. ومما أذاعته المصادر الروسية والسكسونية أنه يقع في أيدي الروس أعداد كبيرة من الأسرى ومقادير عظيمة من الغنائم، حتى أنهم من جبهة (ورونز) وحدها أسروا نحو تسعين ألفاً، وأن عدد الأسرى من الجبهات كلها أكثر من ربع مليون، وأن عدد الفرق المحورية التي أبيدت أو عطلت أسراً وجرحاً وقتلاً بلغ المائة، وأن موقف الألمان في القفقاس وروستوف حرج، حتى أنهم أخذوا يهيئون أسباب الانسحاب بحراً، لأن طريق الإنسحاب براً تكاد تكون مسدودة في وجههم. ولم نسمع تكذيباً صريحاً من الإذاعات المحورية.

ومهما يكن فإن في الأخبار مبالغة، فمما لا ريب فيه أن الروس قد كبدوا الألمان خسائر عظيمة. وقد استرعت جبهة ستالينغراد خاصة الأنظار في حرب الشتاء هذه. ففيها نحو ربع مليون جندي محوري أحدق بهم ولم يكن في استطاعتهم الانسحاب، وانقطع عنهم المدد، ووقعوا في بلاء عظيم، وأصابتهم الأمراض وفتك فيهم الجوع، وظلوا مع ذلك في نضال دموي شديد مع الروس يقاومون ويعاركون أبطالاً حتى هلك أكثرهم وأسر قسم منهم، ولم يبق منهم الآن إلا القليل الذي يكاد يكون مصيره محتوماً بالقتل والأسر. وهكذا تظل هذه المدينة العظيمة عقدة من عقد الحرب ومعجزة من معجزاتها وصخرة تتحطم عليها القوى. وقد ثبتت في الصيف ثباتاً عظيماً، وضحى الألمان في سبيلها كل شيء، وضحى الروس في الدفاع عنها كل شيء. واستولى الأولون على أكثرها، وظل الروس يدافعون في أطرافها. وفي ما لم

يستول الألمان عليه، حتى إذا جاء الشتاء كانت من أهم عقد الحرب فيه، واستطاع الروس أن يعيدوا يدهم إليها. ولا نزال نذكر كلمة لستالين، وهي أن ستالينغراد ستقرر مصير الحرب، حيث يبدو أنها صحيحة، والطرفان يعتبرانها كذلك ويحاربون من أجلها على هذا الأساس، والطرف الفائز الآن هو الروس. ولا ندري ما إذا كان الألمان يعودون في الصيف فيستولون عليه وينتهي دورها، أو تظل الرواية دون أن تتم إلى شتاء آخر.

2) الجبهة الليبية: وفي جبهة ليبية انسحب الألمان إلى خط دفاعي في حدود تونس اسمه خط ماروت. ويقال أن رومل سيقف فيه، ولكن السكسونيون يحاولون قطع خط الرجعة عليه ومنعه من الاتصال بالقوات المحورية في تونس.

3) الجبهة التونسية: وفي جبهة تونس يستعد الطرفان لمعركة حاسمة، والمحور لا يزال قوي المركز. وقد أذيع أن السكسونيين قرروا في اجتماع الدار البيضاء أن ينتهوا من جميع أفريقية في أواخر شهر مارس، حيث يستقبلون الربيع أحراراً، ليقدموا على حركتهم الجديدة نحو أوروبا. وسنرى.

***

الخميس
4 شباط 1943:

1 ـ لقاء بين تشرشل وبعض كبار مساعديه من سياسيين وعسكريين وبين رئيس جمهورية تركية وبعض كبار رجاله السياسيين والعسكريين في أضنه وما جرى فيه وتعليق عليه:

يوم الاثنين قرأنا في الصحف التركية خبراً مفاجئاً، وهو قدوم تشرشل إلى أضنه يصحبه فريق من كبار رجال السياسة والحرب، واجتماعه برئيس الجمهورية التركية. وفريق من كبار رجال السياسة والحرب الأتراك، وكان ذلك يومي 30 و31 كانون الثاني 1943. وقد صدر بلاغ رسمي احتوى أسماء الشخصيات التي شهدت اللقاء، وإشارات عامة إلى ما كان من أبحاث متبادلة منه دون ذكر جزئيات وتفصيلات. وذكر البلاغ أن الفريقين بحثا في جميع الشؤون المتعلقة بموقف تركية ومصالحها وظروف الحرب وما بعد الحرب، وشؤون تسليح تركية واستطاعتها مواجهة الطوارىء، وكفالة قدرتها على الإستمرار في موقفها الدفاعي بروح من الود والصميمية، وأنهما وصلا إلى تطابق وتوافق في كل ذلك. وأن خبراء الطرفين العسكريين بحثوا الشؤون الداخلة في اختصاصهم، ووصلوا إلى تطابق وتوافق فيها أيضاً. ومما نشر أن تشرشل حمل رسالة من الملك جورج لرئيس الجمهورية وسلاماً من الرئيس روزفلت.

ويظهر مما كتبته الصحف وأذاعته المحطات أن تشرشل جاء عقب اجتماع الدار البيضاء، وأن هذا اللقاء كان متفقاً عليه قبل ذلك الاجتماع، وأن مواضيع البحث في اللقاء تبودل الرأي فيها بين روزفلت وتشرشل. وهكذا جاء تشرشل إلى أضنه يحمل آراء وموافقة روزفلت في ما سوف يجري من بحث بينه وبين تركية. وقد حرص في ما نشر من بلاغات وتصريحات رسمية وشبه رسمية على ذكر كون هذا اللقاء قد تم بناء على رغبة تشرشل التي قوبلت بكل ارتياح وقبول. وذكرت بعض الإذاعات أن تشرشل كان يرغب أن يكون اللقاء في غير تركية، ولكن الأتراك أبدوا بلباقة ترحيبهم أن يكون في أنقرة أو في أضنه. ويظهر أن هذا ناشىء عن اعتبارهم أنفسهم حياديين، وقد أشارت الصحف التركية إلى ذلك. ويظهر أن الحرص على القول أن اللقاء تم بناء على رغبة تشرشل هو بسبب هذا الإعتبار أيضاً. ومن الطبيعي أن يكون هذا اللقاء موضوع تعليقات واسعة. ولقد وصفته بعض صحف الإنكليز أنه ذو خطورة ومهيج أكثر من مؤتمر الدار البيضاء، ولا ريب في أنه ذو خطورة عظمى، ولا سيما أنه انعقد بعد هذا المؤتمر الذي يفرض أنه بحث فيه جميع الأمور المتعلقة بخطط الحلفاء الحربية والسياسية العاجلة والآجلة.

وهذا يدل على أن تركية تشغل اليوم مركزاً ممتازاً، ويجيء تشرشل بنفسه يحمل رسالة من الملك وسلاماً من روزفلت ومعه رجال كبار ساسة وعسكريون. ويحضر المؤتمر مع رئيس الجمهورية التركية رجال كبار سياسيون وعسكريون، دليل على خطورة الأبحاث التي تبادلها. ويمكن أن يدل هذا على ما يمكن أن تلعبه تركية من دور حربي وسياسي عاجلاً أو آجلاً أيضاً. ونعتقد أن البحث تناول أمر حياد تركية واستمراره، وموقف تركيةمن روسية والبلقان والشرق العربي، ووجهات نظرها في كل ذلك. ونرجح أن تركية جادة في رغبتها في البقاء حيادية، وأنها أصرت على ذلك في اللقاء. ولا ندري إذا كان السكسونيون طلبوا من تركية مساعدات بشكل ما في صدد فتح جبهة في البلقان أو في صدد السماح بمرور معدات حربية إلى روسية من الدردنيل. ولكنا نقدر أن الأتراك لا يخلّون بموقفهم، وأنهم أقنعوا تشرشل بذلك. وهذا ما سوف تكشف عنه الأيام ولا يتحمل تكهناً كبيراً الآن.

وفي الصحف التركية والتصريحات التركية إشارات مستمرة إلى كون تركية حليفة لبريطانية وصديقة للألمان، وأن سياستها قائمة على هذين الأساسين. وهذه الإشارات المتكررة تَمُتّ إلى موقف تركية الحيادي وجدّها فيه وإصرارها عليه.

ولقد التزمت المصادر المحورية التحفظ في التعليق على المؤتمر، وأشارت بما يربط تركيا معها من عهد، واطمئنانها إلى أنها سوف تحرص ولا ريب على ذلك. ثم تركت للمستقبل كشف ما جرى من بحوث وتطابق وتوافق بين الطرفين.

2 ـ كتاب من المفتي فيه بشارة عن عودة الصفاء بينه وبين رشيد:

ورد كتاب جديد من المفتي وكتاب من الشيخ حسن إلى إسحق، وقد أطلعنا إسحق عليهما. ومما ورد فيهما خبر تبادل الولائم بين المفتي ورشيد، ولقد جمعهما سفير الأفغان السابق في وليمة، ثم أقام المفتي وليمة وأقام

رشيد وليمة مقابلة. وكان يحضر هذه الولائم فوزي القاووقجي وكامل الكيلاني والدكتور محمد حسن سلمان والشيخ حسن وصفوة يونس وواصف كمال. واحتوى الكتابان تطميناً لنا بأن الصفاء قد عاد وأنه صار يرجى أن يتبعه تفاهم وتعاون، وقد ابتهجنا لهذا الخبر ورجونا الله أن يجعل منه خيراً لاسم العرب وقضيتهم وقوة مركزهم. ومما لا ريب فيه أنه كان لكتاباتنا المتابعة أثر، كما كان لإبعاد (غروبا) عن رشيد أثر كبير في هذا التصافي. فقد كان (غروبا) ينفخ في رشيد وجماعته، ولقد أرسل بمهمة إلى فرنسة، وعين مكانه مفوض آخر للشؤون العربية. .

ومما ذكر في الكتابين أنه لم يتم شيء إلى الآن في صدد تأليف لجنة قومية، وأن ذلك بسبب عدم التطابق بين الطرفين في اقتراحاتهما. وقد ظل رشيد مصراً على أن لا يكون في اللجنة، وأن تكون صفة اللجنة استشارية، وأن يكون للحكومة العراقية التي يمثلها هو حق التفاوض على أن يستنير برأي اللجنة. وقد طلب المفتي من جهة وناجي شوكت من جهة أخرى أن تكون الحكومة العراقية ممثلة في رشيد وناجي والدكتور محمد حسن سلمان أولاً، وأن يكون هؤلاء الثلاثة أعضاء في اللجنة ومقيدين بقرارها ثانياً. وقد قبل رشيد بالطلب الأول ورفض الطلب الثاني. وفي الكتابين إشارة إلى ما يلعبه فوزي القاووقجي من دور في صدد التعقيد، وأنه سعى للحصول على موافقة الطلاب العرب في برلين وباريس على موقف ورأي رشيد فأخفق، وأن الطلاب أصروا على أن تكون اللجنة عامة يدخلها رشيد ويتقيد بها. . . ولا نعرف ما إذا كان ما تم من التصافي عبر اجتماعات الولائم ينبثق عنه خطوة جديدة إلى التعاون والتفاهم في موضوع اللجنة والخطوات التي تتبعها. ولعل الموقف العسكري الحاضر سيؤثر على رشيد والمفتي معاً، ويسوقهما إلى ذلك، لأن ما يحتمل أن يكون من أمل قريب خاص لأي منهما قد تأخر وصار موضوع شيء من الشك والخطر. . وفي كتاب المفتي إشارة إلى المفوض الجديد الذي حل محل (غروبا) ليكون رابطة اتصال في الشؤون العربية، وقال أنه اجتمع به وباحثه في أمر الوحدة العربية، ورأى لديه تحمساً لها، وأنه قال له أن الألمان لا يمكن أن يعاكسوا فيها، وأنه مستعد لبحث الشؤون والأمور العربية بحثاً شاملاً بروح من الود والعطف والتفهم الخ . .

3 ـ انتهاء حرب ستالينغراد بنصر روسي حاسم وآثار ذلك وتعليق عليه :

في هذه الفترة أعلن الألمان أن حرب ستالينغراد قد انتهت. واليوم قرأنا بلاغاً ألمانياً يشيد ببطولة الجيش الألماني وقواده ورفاقهم من الرومان والكرواتيين الذين قاموا بواجبهم بكل بسالة إلى آخر الوقت، وأنهم غُلبوا أمام قوات تفوقهم عدداً وفي ظروف من الجوع والحرمان، وأن بطولتهم ستبقى مسجلة بحروف من ذهب في تاريخ المجد العسكري الألماني، وأن خدمتهم هذه قد أفادت الجيش الألماني أعظم فائدة، لأنها عطلت عدداً كبيراً من الجيوش الروسية، حتى تمكن من تثبيت خطوطه والاستقرار فيها. وأذاع الروس أن عدد الأسرى الذين وقعوا في أيديهم بلغ (90) ألفاً، وأن نحو

(200) ألف ماتوا في الحصار، وأنهم غنموا فيما غنموه (700) طيارة و1500 دبابة، وأن القائد العام المارشال بولوس وأربعة عشر جنرالاً ألمانياً معه كانوا في جملة الأسرى. وهكذا ختم فصل رائع في فصول ستالينغراد الرائعة الخالدة التي ضرب الألمان والروس معاً أعظم الأمثال في حربها كراً وفراً وتحملاً وجلداً وبطولة. ويظهر من الأخبار أن الألمان قد استقروا فعلاً في خطوطهم الجديدة، واطمأنوا إليها خاصة في الوسط والشمال.

أما في جبهة القفقاس فالمصادر الروسية والسكسونية ما تزال تشير إلى ما يحدق بروستوف من الخطر، وأنها طوقت أو كادت تطوق. وتذكر أن سقوط روستوف في العام الفائت قد كلف الألمان عظيماً، ولا ريب في أنها ستكلفهم عظيماً إذا سقطت حتى أن سقوطها سيخسرهم أكثر مما كسبوه في صيف سنة 1942، إن لم يكن كله. ولهذا نرجح أنهم سيبذلون جهدهم للإحتفاظ بها وسنرى.

***

السبت
13 شباط 1943:

1 ـ بلاغ فرنسة الحرة عن إعادة الحياة النيابية في سورية ولبنان وآراء ومواقف السوريين في صدد ذلك وتعليق عليه:

قرأنا في عدد من جريدة (الف باء) الدمشقية نص بلاغ أذاعه هيللو المفوض الإفرنسي، تضمن قرار اللجنة القومية الإفرنسية (فرنسة الحرة برئاسة ديغول) بإعادة الحياة النيابية إلى سورية ولبنان. وقد جاء في البلاغ أن الظروف العسكرية صارت تسمح بذلك، وأن بريطانية قد وافقت على هذه الخطوة، وأن الجنرال كاترو سيأتي قريباً للتشاور مع الحكومتين السورية واللبنانية ومع الشخصيات السياسية المحلية في سبيل الخطوة العملية لتنفيذ القرار.

وفي عدد جريدة ألف باء عمودان فيهما تفصيل لما كان من اغتباط الناس واستبشارهم بهذا القرار، وأخبار متنوعة في مناسبة ذلك، ومما فيهما أن هنالك فكرة لدى بعض السياسيين بإعادة الحياة الدستورية الأولى دون أن يكون خطوة جديدة مستأنفة. وقالت الجريدة أن هذا غير ممكن، وأنه لابد من إجراء انتخابات جديدة في ظل الحكومة القائمة. ونشرت حديثاً لجميل الألشي رئيس الوزارة بتأييد ذلك، وبأن حكومته هي التي ستشرف على الانتخابات التي سوف تكون حرة تماماً، وبأنه يحرص على أن يحظى بهذا الشرف. وقد أشار الألشي في

حديثه إلى إعلان العراق لموقفه السياسي من الحرب، وقال إن سورية من الوجهة العملية هي في موقف المحارب ضد المحور. وقد صارت كذلك حينما صارت فرنسة في حرب مع المحور تبعاً لها، ثم شملتها الهدنة حينما تهادنت فرنسة مع المحور. وحينما صارت سورية في نطاق هيمنة فرنسة الحرة المحاربة إلى جانب بريطانية عادت سورية إلى نفس الموقف تبعاً لها. غير أنها من الوجهة الدستورية لم تقل كلمتها لأنها ليس لها برلمان يحق له قول هذه الكلمة كما هو الأمر في العراق، وهي الآن بسبيل عودة الحياة النيابية إليها، ولابد من أن وكلاء الأمة سيقولون الكلمة المطلوبة.

ومما ذكرته ألف باء، أن هاشم الأتاسي جاء إلى دمشق وحل في بيت شكري القوتلي، وأن رجالات من حماه وحمص وحلب واللاذقية جاؤوا إلى الشام، وأن شكري أقام وليمتين حضرهما الوافدون من رجالات سورية وبعض زعماء ووجهاء دمشق.

والمتبادر من كل ذلك:

(1) أن من الأهداف الرئيسية لإعادة الحياة النيابية انضمام سورية ولبنان دستورياً إلى السكسونيين في الحرب كما فعل العراق.

(2) أن الإفرنسيين وأنصارهم يودون أن تجري الإنتخابات تحت إشراف الحكومة القائمة.

(3) أن الوطنيين الكتلويين وفي مقدمتهم شكري وهاشم يفضلون إلغاء التعطيل الذي كان للحياة النيابية الدستورية دون أي عملية انتخابية جديدة، استمراراً لما كان من عهد منبثق من المعاهدة. ووجهة نظرهم أصح ولا ريب من الوجهة الدستورية الوطنية.

فالحياة النيابية يجب أن تنبثق من عهد متبادل ولا تمنح من طرف واحد هو أجنبي وهذه كانت نظريتهم نفسها بعد سقوط سلطات فيشي عن سورية، حيث كان قال لنا عدنان الأتاسي حينما قدم إلى الأستانة في صيف سنة 1941 إن شكري وهاشم اقترحا للاشتراك في العهد الجديد رفع التعطيل عن المجلس النيابي فيجتمع وتتلى فيه استقالة هاشم الأتاسي، وهو يستطيع أن يرفضها ويطلب من هاشم سحبها، وحينئذٍ يعود هاشم إلى منصبه ويختار حكومته على ما شرحناه في مناسبة سابقة. وقد أوشك ديغول وكاترو على الموافقة على ذلك، ثم عدلا وعينا الشيخ تاج لرئاسة الجمهورية. والظاهر أنهما رأيا في عودة العهد السابق قوة للفكرة الوطنية، فرأيا أن لا تكون، وأن يكون لفرنسة الحرة الهيمنة التامة... ولا ندري إذا كان هاشم وشكري يتمسكان بنظريتهما ثم لا يشتركان في الدور الجديد هم وأنصارهم. ونرجح هذا، لا سيما أننا نرجح أنهما يريدان أن يتفاديا إعلان الحرب على المحور باشتراكهما وهو موقف رشيد سديد. وسنرى.

2 - برقية من الأمير عبد الله لملك الإنكليز وجواب عليها في مناسبة إعلان العراق حالة الحرب:

قرأنا في الأهرام نص برقيتين تبودلتا بين الأمير عبد الله وملك بريطانية. فقد أبرق الأمير برقية للملك في مناسبة إعلان العراق حالة الحرب ضد المحور، وجاءه جواب على برقيته. وفي برقية الأمير كلام مداور، (فإنه ذكر فيها بريطانية بأنها أخذت على عاتقها مختارة تحرير العرب وتحقيق استقلالهم ووحدتهم في الحرب الماضية وفي عهد أبيه الحسين ووالد

ملك بريطانية، وأن ما تتمتع به العراق من استقلال تام هو نتيجة لذلك، وأن العرب وهم يقفون اليوم إلى جانب بريطانية موقنون بأن الله سيهب النصر لبريطانية حامية العدل والحرية).

وبريطانية هذه نكثت بعهدها للحسين وخانته ونزل فيه بسبب ذلك أشد الضربات، والعراق إذا نال شيئاً من حريته واستقلاله فقد ناله بدمه.

ومع ذلك فإن بريطانية مكرت به وبدمه، وهي تحاول أن تجعل استقلال العراق وحريته اسماً بلا مسمى. وقوله إن بريطانية أخذت على عاتقها مختارة تحرير العرب وتحقيق استقلالهم ووحدتهم قول غير صحيح. فقد طلبت من العرب أن يثوروا على الدولة العثمانية ويحاربوا إلى جانبها مقابل ذلك، ففعلوا ما تعهدوا به وخانت ما تعهدت به، وضربت بآمال العرب ودمائهم عرض الحائط، وشعور العداء نحوهم شامل عام، وكل أمنيتهم أن ينكسروا.

ولقد علمنا من قادمين من العراق أن مناشير شديدة اللهجة وزعت في العراق في مناسبة إعلان الحرب وصف فيها الأمير ونوري بالخيانة والنفاق، وأشير فيها إلى ما كان من مكائد الإنكليز وغدرهم ومواقفهم اللئيمة ضد العرب وحريتهم واستقلالهم، ووحدتهم، وبخاصة ما سلطوه من بلاء على فلسطين بسبيل تهويدها..

وقال لنا المخبر أن نوري لبث أياماً لا يخرج من بيته، وإذا خرج لا يسير إلا بحراسة قوية، وأن النواب قد ارتبكوا واضطربوا حينما كلفوا باتخاذ القرار، وأن نوري والأمير هدداهم من جهة وقالا لهم أنهما مضطران إلى ذلك لأن الإنكليز هددوهما وأنذروهما، فرأيا اختيار أهون الشرين.. ومما يؤيد هذه الأخبار شيئان: برقية قرأناها في جريدة المصري القاهرية عن العراق فيها نفي لقيام مظاهرات أو شغب أو بوادر غضب وقلق من جراء إعلان حالة الحرب، فلابد من أن يكون لذلك أصل ما. ومما جاء في برقية النفي أن بريطانية أكدت للحكومة العراقية أن هذا الإعلان لن يحملها تبعات جديدة قط. وهذا الكلام وإعلانه ذو مغزى في صدد ما نقل لنا.

ومما يجدر تسجيله وهو غريب وطريف معاً، أننا لم نسمع صوتاً ولم نقرأ شيئاً فيه تحبيذ مصري لما فعلته العراق.

3 ـ خبر عن إطلاق سراح الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف واستقراره في المنطقة القريبة لمنطقة المغرب الأسبانية:

قرأنا في هذه الفترة في إحدى الصحف أن الإفرنسيين الديغوليين أطلقوا سراح بطل الريف المغربي الأمير عبد الكريم الخطابي المنفي منذ سبع عشرة سنة في جزيرة رينبون وأعادوه إلى بلاده، وأنه استقر في المنطقة القريبة من منطقة الاحتلال الأسباني من المغرب، وأن لبريطانية يداً في ذلك. وقد قرأنا في الصحيفة تعليقاً جاء فيه أن بريطانية سعت لذلك ليكون أسفيناً لأسبانية ضدها حين الحاجة.

ونرجح أن الأمير عبد الكريم لن يلعب دوراً ما، فقد شاخ من جهة، وفرانكو من جهة ثانية حسّن موقفه وصلاته مع المغرب كثيراً. وثورة الأمير عبد الكريم كانت ضد الحكم السابق لحكم فرانكو.

4 ـ أخبار الحرب في الجبهة الروسية وأفريقية:

أما سير الحرب في هذه الفترة فيلخص بما يلي:

(1) الجبهة الروسية: استمر الروس في شدتهم، واستمر الألمان في تراجعهم وتقصير خط دفاعهم، واضطروا إلى التخلي عن مراكز مهمة على طول الجبهة. والخطر الآن محدق بروستوف وخركوف. وقد أعلن الروس أنهم احتلوا كورسيك فكذب الألمان ذلك، كما قالوا أن حدة هجوم الروس قد أخذت تخف عن ذي قبل، والألمان لا يخفون حقيقة خطورة موقفهم، ولكنهم يقولون أنهم قابضون على زمام أمرهم، وأن تراجعهم بانتظام ووفق خطة مرسومة. والخبراء لا يزالون يقولون فيما يكتبوه أن الألمان متماسكون ولم يطرأ عليهم اندحار وهزيمة، وأن في إمكانهم إصلاح الحال في الربيع. والمحصل على ما هو ظاهر أن الألمان تخلوا عن أكثر ما أخذوه في صيف السنة السابقة بل عن جله، وتراجعوا إلى خط الدفاع الأول الذي وقفوا عنده في شتاء سنة 1941، وبمعنى آخر إن جهدهم سنة 1942 قد ذهب هباء. هذا مع القول أن ما في يدهم من بلاد الروس ما يزال عظيماً، بدأ في المساحة والمنابع والسكان. ومما لفت النظر قول الألمان في إحدى نشراتهم أن سكان بلاد القفقاس تركوا بلادهم وتراجعوا معهم حينما تراجعوا عنها. والراجح أن هؤلاء هم المسلمون الذين تظاهروا ضد الروس حينما جاء الألمان واعتبروهم منقذين لهم، وقدموا لهم ما أمكنهم من مساعدات على ما أخبرنا به سعيد شامل. وهذه فاجعة من فواجع الحرب.

2) أما جبهة أفريقيا فإن أخبار اليومين الأخيرين يفيدان أن نشاطاً بدأ على جبهتي تونس من الشرق ومن الغرب، وأن اشتباكات حصلت، وأن جيش رومل هو الذي بدأ الهجوم في الجبهة الشرقية. ولكن لم تذع تفصيلات.

***

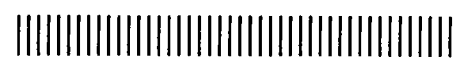

يوم الأحد
21 شباط 1943:

1 ـ خطاب لغوبلز في موضوع الحشد الألماني والجهد الألماني العظيم ودلالته ومداه:

منذ أربعة أيام ألقى غوبلز خطاباً خطيراً في اجتماع كبير في برلين استهدف فيه إثارة حماس الشعب للحشد العام المفروض عليه، وتصوير شدة الخطر الذي يتهدد الألمان من الشيوعية، ومطالبة الشعب بالمسارعة إلى العمل في كل مجالات العمل الحربي، على اعتبار أن الموقف بالنسبة له موقف حياة وموت. وقد سمعنا صوته مسجلاً في محطة برلين، وسمعنا هتافات صاخبة داوية. وحينما سمعنا ترجمة الخطاب ثار عجبنا من صراحة الرجل في صدد تصوير الموقف الخطر الذي تواجهه ألمانيا في الجبهة الروسية، وفي صدد ما بدا من الروس من حيوية ونشاط عظيمين. ولمسنا فعلاً من كلامه أن ألمانيا في أزمة شديدة ومضطرة إلى حشد كل قواها لمواجهة الخطر والخروج من الأزمة. وفي الخطاب توكيد بمهمة الألمان (العظيمة) في الوقوف أمام خطر الشيوعية الذي يهدد أوروبا، ودعوة لأوروبا خاصة وللعالم عامة إلى إدراك مدى الخطر والتنبيه له. وذكر الشعب البريطاني في جملة من وجه إليهم الخطاب، وقال فيما قال إذا انكسرت أعظم قوة عسكرية في الأرض أمام الشيوعية، فلن يقف أمامها أية قوة، ولن تفيدها أية معاهدة عقدها زعماء الشيوعية مع الدول الأخرى. بل ودعا الناس إلى المفاضلة بين التحكم الشيوعي والتحكم الألماني، مبرزاً أفضلية الثاني على الأول في كل حال. . ورأينا في هذا التعبير سقطة، فالناس المخاطبون لا يريدون تحكماً ألمانياً كما لا يريدون تحكما شيوعياً، والدعوة إلى المفاضلة في غير محلها. ولا سيما أن المعترض يستطيع أن يقول إن سورية لم تهاجم الألمان، وإنما هي في موقف الدفاع ضد مهاجم يريد التحكم وفرض نظامه بالقوة. وأن الدنيا التي تحارب الألمان لقطع تحكمهم لا يمكن إلا أن تقف في وجه الشيوعية أيضاً إذا أرادت التحكم. . ولقد قال هذا الكاتب التركي حسين جاهد في تعليق له في جريدة «بني صباح» على مفاضلة (غوبلز) وسقطته في التعبير.

ولقد وجه (غوبلز) أسئلة لحاضري الاجتماع الكبير من الألمان عن استعدادهم للتضحية والإستمرار في الحرب إلى النهاية بقيادة الفوهرر، فعلت أصواتهم بالهتاف والعهد بذلك. وقد قال فيما قال إن بريطانية قد تظن خطابه مقدمة لطلب الصلح وهذا بعيد، فالألمان أصبحوا لا يعتقدون بفائدة صلح مرقع، وهم ما يزالون مؤمنين بإحرازهم النصر في النهاية. وقال كذلك أن الألمان كانوا يحاربون الروس بيدهم الشمال دون أن يخلعوا كفوفهم، فلما رأوا أن هذا لا يكفي اعتزموا أن يستمروا ويحاربوا بكلتي يديهم خالعين كفوفهم. وسيحشدون قواهم الجبارة التي لم تزل غير محشودة وسينتصرون في النهاية. ومهما يكن من أمر العواطف والدعاية في الخطاب فهو يدل ـ كما قلنا ـ على أن زعماء الألمان مدركون أنهم واقفون على رأس الهوة، وأن أزمتهم في الجبهة

الروسية قد بلغت درجة شديدة من الخطورة.

ونقول هذا لأن الزحف الروسي على ما أخذ يتضح ليس زحف شتاء عادي، وإنما هو زحف قوي خارق زلزل ما تحت أقدام الألمان الذين هم في تراجع مستمر منذ ثلاثة أشهر، وأن تراجعهم لم يقتصر في المنطقة المركزية من الجبهة، بل شمل القفقاس وحوض الدونز ومراكز عسكرية خطيرة مثل أورول وخركوف وروستوف وغرازاندوز وغرازاندوف وبوتلايا ورجيف ولينغراد.. الخ. وهم الآن يجلون عن حقول أوكرانيا. أي كما قلنا قبل يتركون أكثر ما أخذوه في صيف السنة السابقة، ويتركون معه كثيراً مما أخذوه في صيف سنة 1941، وتنقلب انتصاراتهم الباهرة إلى نكبات جسيمة. وكل هذا مما حير الخبراء العسكريين. وكل ما قدروا شيئاً أو خمنوا شيئاً ينتقض بسرعة مدهشة. ومع أنهم لا يزالون يقولون إن الألمان لم يصابوا بكارثة عسكرية الا ما كان من أمرهم في جيشهم في ستالينغراد، وأن تراجعهم ما يزال يتم بانتظام وتخطيط، فإنهم يقررون أن ما خسروه من أماكن ومنابع عظيمة لا يعوض، وسيكون له تأثير في موقفهم العام، وقد لا يكون في إمكانهم تلافيه أيضا.

والألمان على ما يبدو أيضاً يرون في ما يقع من الروس مباغتات خطرة، وهم يحاولون تقصير خطوط دفاعهم، ولكنهم لم يتمكنوا إلى الآن من الثبات في أي خط حاولوا أن يقفوا فيه، حتى أن بعض الخبراء يتوقعون أن لا يتوقف الزحف الروسي إلا بعد أن يصل إلى حدود بولونيا وليتوانيا ويجلوا الألمان عن كل أو أكثر الأراضي الروسية، وأن ظواهر الأحوال تساعد على القول بإمكان تحقق ذلك أو احتماله، لأن الروس يهجمون بحيوية عظيمة وتدفق شديد، وعددهم فائق جداً ومعداتهم هائلة، وهذا ما يعترف به الألمان بصراحة ودهشة.

والكتاب السكسونيون وأنصار السكسونيين من الكتاب يحاولون أن يروا في تراجع الألمان انحلالاً أو بدء إنحلال في قوة الجيش المعنوية قد ينتهي بالانهيار.. ومع أن هذا سابق كثيراً لأوانه، إلا أن احتمال طروء ضعف على قوة الجيش المعنوية وارد، وقد لا يمكن تعليل ما وقع إلا به...

ويتساءل الناس عن هذه الحيوية الهائلة والاستعداد الجبار الذي يبدو من الروس، بعد أن كان زعماؤهم في السنة الفائتة يهتفون بالخطر ويبدون أشد التشاؤم، ويطلبون بإلحاح فتح الجبهة الأوروبية، ويرونها العلاج الوحيد لدرء الإنهيار عنهم، حتى يظهر أنهم كانوا وهم يعلنون كل ذلك ماكرون لإيهام الألمان بالضعف وحملهم على الإستخفاف من جهة، ولإثارة السكسونيين في صدد الجبهة الثانية وفي صدد الإمدادات من جهة، وأنهم استطاعوا في الصيف إعداد جيوش جرارة وتهيئة معدات جبارة في آسية الروسية لهذه الضربة الهائلة في الشتاء على غير انتظار من الألمان، فنجحوا نجاحهم الباهر الذي أدهش الألمان وأدهش العالم، وجعل الألمان في مأزق حرج شديد لم يكونوا يتوقعونه بل ولم يكن العالم يتوقعه.

والناس يتساءلون كذلك عن ماذا يكون في بقية الشتاء وفي الصيف. فالألمان يحتاطون في تراجعهم لئلا يعرضوا قواتهم للتطويق والإبادة، ويدارون الموقف بكل براعة إلى أن ينتهي الشتاء، وهم في الوقت نفسه يحشدون كل قواهم من البشر والمصانع، ويحاولون أن ينتفعوا بكل قوى حلفائهم لمواجهة الموقف في أوائل الصيف. ويقال أنهم سيبكرون هذه السنة

في التحرك في أواخر شهر مارس وقبل شهرين أو أكثر من الموعد المفروض الذي كان في صيف السنة الفائتة. ولا يبعد أن ينجحوا في إصلاح شيء من الموقف، وأن يثبتوا في خطوط قوية إلى أن يشعروا بقدرتهم التامة على الهجوم. ويقول الخبراء أن أمام الألمان فرصة وحيدة هي صيف هذا العام، فإذا استطاعوا أن يكسروا الروس فيه استطاعوا أن يقفوا في وجه السكسونيين مدة طويلة. غير أن كسر الروس نهائياً صار في نظر الكثير من الخبراء بعيد الإحتمال، وأن كل ما يمكن أن يفعله الألمان حسب نظرهم هو الوقوف موقف الدفاع القوي في جبهة الروس وفي جبهات أوروبا المختلفة إلى أبعد مدة ممكنة انتظاراً لتطورات الأحوال. ولا ينس الخبراء أن يذكّروا بقوى السكسونيين الهائلة في العَدد والعُدد، والتي لم تشترك في حرب بعد، وأن يقولوا باحتمال أن تنزل هذه القوى في الألمان الضربة النهائية، حتى ولو تمكنوا من الثبات أمام الروس... وكل هذا سيكشفه صيف هذا العام...

2 ـ المارشال الروسي في أميركا وغاية رحلته ومداها:

شاع خلال هذه الفترة أن تموشكو مارشال الروس الشهير سافر إلى أميركا مع بضعة جنرالات بقصد حل مسألة الجبهة الثانية، ومسألة الإمدادات الأميركية بالسلاح والعتاد، على اعتبار أن الفرصة سانحة للقضاء على الألمان نهائياً في هذا الصيف، بعد أن نزل فيهم ما نزل في الجبهة الروسية. ولم تتأيد هذه الإشاعة كما لم تكذب. ومن الجدير بالذكر أن ستالين وأقطاب الروس لم ينبسوا ببنت شفة تعليقاً على مؤتمري الدار البيضاء وأضنه، ولسكوتهم مغزى عظيم. فهم على ما يظهر أن كل ما يريدونه هو الانتفاع من المجهود الحربي السكسوني، وأنهم يبتعدون عن كل ارتباطات سياسية لما بعد الحرب أو في مجالها. وهذا ما يبعث الخوف في تركية على ما نعتقد، بل وفي السكسونيين أنفسهم. وقد لا نعدو الصواب إذا قلنا أن هؤلاء يفكرون فيما يفكرون في الخطر المنطوي في هذا السكوت والرغبة في الامتناع والإبتعاد عن الارتباطات، سواء ما هو عاجل وما هو آجل منه ويستعدون له.

3 ـ خطبة حماسية لروزفلت فيها تنويه للاستعداد العظيم والتصميم على متابعة الحرب حتى النصر:

في هذه الفترة خطب روزفلت خطبة تكلم فيها عن رحلته وعن مؤتمر الدار البيضاء، وكانت خطبته حماسية يبرز فيها عنصر الدعاية قوياً. ومن ذلك قوله أن الإتفاق تام على الاستمرار في الحرب إلى النهاية حتى تستسلم دول المحور بدون قيد وشرط. وأن الحملات على هذه الدول ستشتد في كل الميادين، وأن طرق برلين وروما وطوكيو ستفتح أمام الزحف السكسوني الهائل، وأن الاستعداد لذلك يزداد هولاً وعظمة يوماً بعد يوم. وأن النصر للحلفاء لا شك فيه بالرغم عما يمكن أن يلقوه من صعوبات ويمتد أمامهم من وقت طويل، وأن مساعدة الروس والصين هي في رأس القائمة.

ومما هو جدير بالذكر في هذه المناسبة أن زوجة المارشال الصيني في واشنطن تبث الدعاية وتلقي الخطب وتبذل الجهد في سبيل توجيه الأنظار إلى الصين وإمدادها. وقد يسر لها

الرئيس روزفلت أن تخطب في الكونغرس حول كل ذلك. وقد شددت على ضرورة القضاء على اليابان قبل القضاء على الألمان، كما أنها نجحت في كسب عطف كبير ووعود قوية في صدد المساعدات التي يجب أن ترسل إلى الصين.

ولقد كان ما جاء في خطبتي تشرشل وروزفلت مدار تعليق، فتشرشل قال أن ألمانيا إذا كسرت أولاً فإن بريطانية ستوجه قواها متضامنة مع أميركا ضد اليابان، وأنه عرض على روزفلت أن يوقع له عهداً بذلك. وروزفلت قال أن اليابان إذا كسرت أولاً فإن أميركا ستوجه كل قواها متضامنة مع بريطانية ضد الألمان. وقد استخرج المعلقون من هذا أن الجهد الأميركي الأكبر سيوجه نحو اليابان دون تعليق على إنكسار الألمان، وأن الجهد الإنكليزي الأكبر سيوجه نحو الألمان دون تعليق على انكسار اليابان. وهذا الإعلان من الزعيمين غريب، ولعل الأيام التالية تكشف مداه. وعلى كل حال فهو متساوق مع الرأي العام في كل من أميركا وبريطانية. ولعل الزعيمين اللذين يعرفان ذلك قصد كل منهما تطمين الرأي العام في بلده.

4 ـ نشاط ألماني في جبهة تونس ومداه وأثره:

لفتت حركات تونس الأنظار في هذه الفترة، فالألمان قاموا بزحف على المواقع الأميركية في الجبهة الجنوبية فدحروا الأميركيين واستولوا على مساحات واسعة ومراكز عسكرية مهمة وغنموا غنائم كبيرة. وكان عدد قتلاهم وجرحاهم وأسراهم نحو أربعين ألفاً على ما أذاعته المصادر المحورية ودون تكذيب من المصادر السكسونية، وكل ذلك في مدة قصيرة. ثم أخذ الألمان يوجهون زحفهم نحو الجبهة الشمالية، فأحرزوا نجاحاً هنا أيضاً. وقال المعلقون أن الألمان استهدفوا في حركتهم توسيع شقة الأماكن التي في يدهم حتى يحموا حركة انسحاب جيش روميل ويضمنوا اتحاده بجيش تونس، وأن الحركة إذا نجحت فسيصبح للمحور قوة عظيمة ضخمة تستطيع أن تثبت طويلاً وأن تزعج السكسونيين كثيراً.

ولقد أكثرت المصادر السكسونية من الأخبار عن روميل، فهو أحياناً مجروح وهو أحياناً مريض، وهو في مستشفى تونس، وهو في ألمانيا. وهذا يدل على أن السكسونيين يعتمدون إذاعة عدم وجود روميل في ميدان الحرب. ويبرز مقدار ما صار لهذا القائد من إسم وصيت، وما يثيره في جيوشهم من هم وخوف. ومن طريف ما قاله بعض المعلقين أن الأميركيين اصيبوا بما أصيبوا به هنا بهذه السرعة والسعة لأنهم غير مجربين في الحروب، وأنهم قد اغتروا بمعداتهم فوقفوا أمام قوى مجربة بارعة. وأنهم سوف يستفيدون من هذا الدرس فيما بعد. ومما ذكرته الأخبار أن الجنرال الإنكليزي الكسندر، المعين معاوناً للقائد العام الأميركي تفاهم مع القائد العام وأخذ على عاتقه قيادة القوات البرية جميعها وتوجه إلى الجبهة. وقال المعلقون على ذلك أن الأميركان ظنوا أن الحرب لعبة، فلما صدمتهم هذه الكارثة تنبهوا إلى ما فيها من خطورة.

هذا والجيش السكسوني الزاحف من طرابلس يسير بتحفظ. وجيش روميل المنسحب هو الآن في حدود تونس، وبينه وبين جيش تونس المحوري نحو (200) كيلومتر ويبذل السكسونيون جهدهم في عرقلة إمكانيات

الإتصال بين الجيشين المحوريين، ويعدون ذلك خطراً كبيراً. والأيام المقبلة ستكشف عن هذه الحركة أكثر.

ومما هو جدير بالذكر في هذه المناسبة أن الألمان أطلقوا سراح جميع الأسرى المغاربة الذين كانوا يحاربون في صفوف الإفرنسيين وأقاموا لهم حفلة عظيمة. ولا شك في أن هذا منهم حكمة وسداد.

5 ـ انتخابات نيابية أولية في تركية:

في هذه الفترة جرت انتخابات نيابية في تركية، وعلقت نشرات دعائية، واتخذت ترتيبات لإلقاء خطب في الساحات العامة للحث على الإقبال على الانتخابات. وأعلن حزب الشعب بإمضاء رئيس الوزراء أسماء مرشحيه لانتخاب المنتخبين الثانويين الذين سوف ينتخبون النواب، فالانتخابات في تركية ما زالت تجري على درجتين. ولقد توقعنا أن نرى بعد هذا حركة حيوية في شوارع الآستانة وميادينها، ولكنا لم نشعر بشيء مهم.

وقد قرأنا اليوم أن عدد المنتخبين في ولاية الآستانة نحو نصف مليون، نصفهم ذكور ونصفهم إناث تقريباً، وأن الذين أدلوا بأصواتهم نحو 90٪، وأن التصويت كان إجماعياً لمرشحي حزب الشعب.

6 ـ خطب نواب العراق في صدد إعلان حالة الحرب:

ومما قرأناه في الصحف العربية التي وصلت إلينا في هذه الفترة نصوص الخطب التي ألقيت في مجلس نواب وشيوخ العراق أثناء بحث موضوع إعلان حالة الحرب وانضمام العراق إلى ميثاق الأتلانتيك. وكان من الخطباء جميل المدفعي وصبحي الدفتري وإبراهيم كمال وصادق البصام وجلال بابان ونوري السعيد، وأجمعوا على تأييد الإقتراح بشقيه (الإعلان والإنضمام)، واعتبارهما مفيدين لمصلحة العراق ومصلحة العرب. وقد غمز بعضهم حركة رشيد عالي والضباط ودول المحور ورغبة التحكم والبغي فيها.

ومما اهتم الخطباء له التنبيه على الإهتمام للقضايا العربية وحلها حلاً عادلاً، وخصوا بالذكر قضيتي سورية وفلسطين. وقالوا فيما قالوه في صدد ذلك أن العراق قد نال أمانيه. ولكن ما كان وظل يقلقه هو القضايا العربية، لأن العراق لا يمكن أن ينفصل عنها وهو جزء منها. وكل ما يكون من آلام في بلاد العرب ينعكس فيه. وقال المدفعي أن العراق لا يمكن أن يتخلى عن فلسطين وهو سوف ينتصر لها بكل صورة. وانتقد ما صدر في إنكلترة وأميركا من تصريحات مؤيدة لليهود وهجرتهم إلى فلسطين، وقال أن العرب لا يمكن أن يسكتوا على تهويد فلسطين، وأنه كان يظن أن السكسونيين الذين يدعون نصرة الديموقراطية ويحاربون بسبيل حقوق الشعوب ويخطبون ود العرب سوف لا يظلون على ذهنيتهم في صدد القضية اليهودية التي تهدف إلى السيطرة على فلسطين وتهويدها وطرد أهلها منها، وأن تصدر مثل هذه التصريحات من كبارهم وبعض مسؤوليهم. وقال في صدد سورية إن الوضع فيها يتناقض كل التناقض مع مبادىء الديموقراطية، وطلب من الحكومة أن تسعى لدى الحلفاء لتغييره بوضع شرعي ديموقراطي، خاصة وقد توفي الشيخ تاج وصار هذا أسهل منه في حال حياته. وكان في كلام الخطباء الآخرين

شيء من ذلك أيضاً.

ومهما يكن من أمر، فإن في ذلك صوتاً عربياً من المفيد أن يرتفع في هذه المناسبة ليسمعه السكسونيون وليسجل حقيقة أماني العرب ومكان قضيتهم العام في أهدافهم..

ومما لفت النظر إثارة بعض الصحف العراقية إلى (إذاعات وإشاعات الدساسين لتشويش الرأي العام في صدد إعلان حالة الحرب، وقولهم إن ذلك سيتبعه تجنيد عام وإرسال فرق عراقية إلى جبهات القتال). ثم إشارة إلى تصريح نوري السعيد الذي جاء فيه أن الإعلان لن يحمّل العراق أكثر مما تحمله إياه المعاهدة. ثم أبرز كلمة جاءت في خطاب المدفعي، جاء فيها أن العراق حمل نفسه في سبيل مساعدة جيوش الحلفاء وحركاتها أكثر مما تحمله إياه المعاهدة، وأن من حق العراق أن يطلب تقديراً.

ومما قرأناه في صحف العراق أيضاً نص رسالة أرسلها جميل مردم إلى نوري السعيد يشيد ويهنىء بإعلان حالة الحرب. ونص برقية أرسلها سيف الدين المأمون باسم شباب العرب إلى نوري السعيد فيها تهنئة وتمجيد بذلك أيضاً. ونص رسالة جميل مردم متحفظ عملياً، سواء بالنسبة إلى حالته الإقتصادية والتسليحية أو بالنسبة إلى حل القضايا العربية المعلقة. فهذه الإشارات في الصحف تدل على ما في الرأي العام العراقي من صورة الإنكار والقلق من جراء الموقف الحاضر بصورة عامة. ولا يغطي هذا كلمة (إشاعات ودعايات الدساسين).

ولكن نص برقية المأمون سخيف في شدة حملته على المحور وتعظيمه خطوة نوري القومية. وقد كان المأمون متحمساً أشد تحمس للثورة العراقية ضد الإنكليز وغدرهم. وهذا الموقف من المواقف المتناقضة العجيبة التي تدل على فراغ قالب وعقل كثير من الشباب ولو كانوا من حملة الدكتوراه. وسخفهم وتحوّلهم باندفاع من حالة إلى عكسها تبعاً للظروف والمظاهر والمطامع...

7 ـ مظاهرة خاصة في دمشق بسبيل سعر الخبز وبلاغ الحكومة وإجراءاتها وتعليق على ذلك:

سمعنا في هذه الفترة محطة لندن وهي تذيع خبر قيام مظاهرة صاخبة في دمشق، ونص بلاغ أذاعه رئيس الوزارة فيه حملة على (المهرجين) الذين اتخذوا أسعار الخبز وسيلة للتحريض على المظاهرة التي أدت إلى قتل الأبرياء واعتقال وإبعاد بعض الأشخاص. وفي البلاغ إنذار شديد من جهة، وتخويف على استقلال سورية من جهة أخرى. وبلغنا أنه تم اعتقال وإبعاد بعض الناس في حلب أيضاً. وممن بلغنا أسماؤهم من هؤلاء جميل إبراهيم باشا وأخوه الدكتور حسن فؤاد، وهذان من الزعماء الوطنيين البارزين. وقد وصل إلينا عدد من جريدة الف باء فيه خبر استشهاد ودفن عدة أشخاص، وهم الذين قتلوا في المظاهرة على ما يبدو. وخبر ما كان لجنازاتهم من حفاوة وما ألقي من كلمات في تأبينهم... وفيه خبر اجتماع عقد في دار الحكومة حضره جمع من التجار، وبحث فيه مسألة سعر الخبز وإعادة دولاب العمل، لأن الموقف الراهن مما يؤثر على السلامة العامة لجيوش الحلفاء. وجملة إعادة دولاب العمل تدل على أنه أعقب المظاهرة أو رافقها إضراب عام أيضاً. وليس في

العدد تفصيلات غير هذه الإشارات.

وعلى كل حال فالظاهر أن سعر الخبز ارتفع كثيراً، فكان ذلك مما أثار الناس أو أوجد مجالاً لتحريضهم على التظاهر والتشويش على الحكم والعهد القائمين، وكان صدام وإضراب وقتلى وجرحى واعتقال ونفي، وكان الأمر مثل ذلك في حلب. والاسمان اللذان عرف اعتقالهما يدل على أن وراء الحركة الوطنيون السياسيون الذين وصفهم بلاغ الأيلشي بالمهرجين.

8 ـ هروب ضباط طيران مصريين بطياراتهم، ومناقشات في مجلس النواب المصري وتعليق على ذلك:

وقرأنا في بعض الصحف المصرية التي وصلتنا أخبار مناقشات واستجوابات في مجلس النواب المصري دون تفصيلات كثيرة.

ومما فيها أيضاً خبر هروب ضابطين طيارين بطيارتيهما إلى معسكر رومل حينما كان في العلمين. وقد سارعت السلطات فنزعت من الطيارات المحركات حتى لا يحذو غيرهما حذوهما. وذكرت الصحف فيما ذكرت أن السلطات عادت فاعتقلت عزيز علي لأنه لم يحافظ على وعده بالتزام السكوت والعزلة. وأنه صدر من النحاس بصفته حاكماً عسكرياً أوامر باعتقال عدد من الناس فيهم بعض النواب، وأن السلطات الاحتلالية تتدخل تدخلات غير شرعية، وأن الحكومة الوفدية تساير مسايرات ضارة.. وكل هذا يدل على ما في النفوس وجو مصر عامة من قلق وامتعاض.

9 ـ اجتماع في حيفا بسبيل إنشاء هيئة سياسية للدفاع عن حقوق فلسطين ومقابلة نشاط اليهود وتعليق على ذلك:

مما قرأناه في عدد من جريدة فلسطين وصل أيضاً أن اجتماعاً عقد في حيفا، حضره عدد من المحامين والأطباء والتجار والوطنيين، وبحثوا فيه وجوب قيام هيئة سياسية تتكلم باسم فلسطين، والدعوة إلى مؤتمر عام سياسي من أجل ذلك. وترأس الاجتماع رشيد الحاج إبراهيم. وقد سرتنا هذه الحركة وقيادة رشيد لها، وتمنينا نجاحها وتحقيق فكرة مؤتمر عربي سياسي وقيام هيئة سياسية لتواجه مساعي ونشاط اليهود المتزايد، ونرجو أن لا ينتج عن ذلك هيئة مائعة تسجل على البلاد بعض المآخذ.

10 ـ مقال لكاتب طلياني أثار العجب، والتعليق في صدد موقف ايطالية ومدى ذلك:

مما أثار تعجبنا تعليق مقال نشره جايدا الكاتب الطلياني المعروف في إحدى صحف روما، أشار فيه إلى موقف إيطاليا ودول المحور، وقال إن على دول المحور أن تستمر في الحرب ولا تمكن الأعداء من دخول حدودها، إلى أن يصل بالمفاوضات إلى صلح معقول. وقد طنطنت المصادر السكسونية بالمقال واعتبرته بادرة من بوادر اليأس في الجبهة المحورية وفي الأوساط السياسية الطليانية، نظراً لمكانة الكاتب في هذه الأوساط. وقد فطنت الدوائر المحورية الرسمية

وشبه الرسمية لما في المقال من ضعف. فبادرت إلى القول عبر الصحف والإذاعات أن هذا المقال وما من بابه لا يجوز أن يعد معبراً عن رأي الحكومات المحورية ولا الرأي العام في بلاد المحور. وأن عزم إيطالية على مواصلة النضال ثابت مما يقع الآن في جبهات القتال التي تشترك فيها قواتها وتبدي الشجاعة وتقدم التضحيات.. والمقال حقاً ينم عن شيء من القلق والضعف على كل حال، وربما كان للدعايات السكسونية، ولقوة الزحف الروسي وانتصاراته، أثر في أعصاب الطليان عكسه المقال. ولقد نشرت المصادر السكسونية خبراً أو إنذاراً بأن السكسونيين سيقومون بحملة مؤثرة في سبيل فصل إيطالية عن ألمانيا بشكل من الأشكال. وقد جعلنا هذا نتساءل عن مدى علاقته بمقال جايدا، وبما يذاع عن تضعضع الروح والموقف في إيطالية.

***

يوم الأحد 28 شباط 1943
19 صفر 1362:

1 ـ خطب وإذاعات وصحافة متنوعة المصادر بمناسبة ذكرى الجيش الروسي ومداها وتعليق على ذلك:

الأسبوع الفائت كانت ذكرى تأسيس الجيش الشيوعي، وقد كانت وسيلة لحفاوةالروس العظمى بها، ووجد زعماؤهم فيما ناله الجيش من انتصارات الشتاء وسيلة للتفاخر والزهو. وقدساير السكسونيون في أميركا وبريطانية هذه العاطفة فاحتفوا بدورهم بهذه الذكرى. وكتبت صحفهم المقالات وألقى بعض سياسييهم خطباً وتصريحات فيها تنويه وإشادة.

وأرسل الملك جورج رسالة إلى رئيس السوفيات يهنئه ويخبره أنه قرر تقديم سيف شرف في هذه الذكرى هدية إلى مدينة ستالينغراد كرمز لبطولة الجيش الأحمر وعظمته. وأذاع ستالين رسالة في المناسبة ذكر فيها ما كان من عظمة الجيش وباهر انتصاراته وشديد الضربات التي أنزلها في الألمان وأكد أن كل ذلك إنما كان بفضل الجيش والأمة والمنابع والمصادر والمصانع والحيوية الروسية. وكرر الكلام حول الجبهة الثانية بأسلوب فيه عتب، وقال فيما قال إن الروس قد تحمّلوا عبء الحرب وحدهم، وقال بالنسبة لقوات المحور أن تسعة ملايين منها قد خرجت من نطاق الحرب خلال السنتين، منهم أربعة ملايين قتيل. وأن خسائرها في شهور هذا الشتاء وحده

بلغت المليون. ومع ذلك، فقد قال أن الجيش الألماني لم ينهزم ولم يغلب، وأنه ما زال قوياً قادراً على جمع نفسه، وأن هذا بسبب كونه يقاتل في جبهتين.

ولقد خطب إيدن وزير خارجية بريطانية منوهاً بالجيش الروسي وانتصاراته، ولكنه ذكر أكثر من مرة نظام المساعدات السكسونية وأثرها في هذه الانتصارات. وضربت الصحف السكسونية على هذا الوتر. وعلى كل حال فإن الخلاصات التي نشرتها الصحف التركية وقرأناها يلمح فيها عتباً بين السطور من جانب الروس، ومحاولة لبيان أثر المساعدات في هذه الإنتصارات من جانب السكسونيين.

ولقد كتب عمر رضا مقالاً نشرته الجمهورية فيه تعليق على هذا وذاك فقال: إن السكسونيين مدينون بما هم فيه الآن من طمأنينة وما صار لهم من أمل واسع في كسب الحرب، وما كان من خلاصهم من خطر الهلاك والانهيار والمآزق الشديدة قبل الحرب الروسية الألمانية للجيش الروسي. فإذا كانوا يحتفون بذكراه ويشيدون به فإنما هم في الحقيقة يحتفون ويشيدون بمنقذ حقيقي. وهذا ما جعلهم يشيدون ويحتفون بجيش نظام يكرهونه، وقد ناوأوه وما يزالون يناوئونه، وهو الشيوعية. والتعليق صحيح، فإن الحرب الروسية الألمانية أنقذت بريطانية من هلاك كاد يكون محققاً، وجعلتها تجد الوقت الواسع للإستعداد مع التأليب وتكسب أميركا وغيرها من الدول إلى جانبها. وتسمح لها بأن تتبجح الآن بما تتبجح به، وأن تنظر إلى المصير بعين الأمل والوثوق في النصر ضد أعدائها. ومن حق الروس الا يعبأوا بما يرسله السكسونيون من إمدادات، وأن لا يروا فيه أثراً فعالاً. فالمقادير إلى الآن هي خمسة آلاف دبابة وستة آلاف طائرة و85 ألف سيارة شاحنة. وهي مقادير تافهة بالنسبة إلى عظم الحركة والجهد والجبروت الروسي. والروس كانوا وما يزالون لا يرون للتضامن أثراً إلا في فتح جبهة ثانية في أوروبا. وهو ما يزال السكسونيون غير بادئين فيه، أو ما يزالون بعيدين عملياً عنه.

2 ـ رسالة هتلر في مناسبة ذكرى تأسيس الحزب النازي وتعليق على ذلك:

وأذيع في هذه الفترة رسالة من هتلر بمناسبة ذكرى تأسيس الحزب النازي، ولم يحضر هو الحفلة المعتادة في ميونيخ كعادته واكتفى بالرسالة. وفيها حملة شديدة على اليهودية العالمية ونسبة كوارث العالم إليها، وإنذار شديد لها. وقال إن من حقه أن يعتقد أن الله قد اختاره لإنقاذ العالم منها ومن الشيوعية الهدامة. وقال كذلك أن مصير الحرب والعالم منوط بالجبهة الروسية والطرف المنتصر فيها، وأكد إيمانه بالنصر النهائي مهما اعترض الطريق من عقبات ومشاق. والرسالة قوية كالعادة، وقوله إن مصير الحرب والعالم منوط بالجبهة الروسية صحيح، فالألمان إذا استطاعوا أن يكسروا الروس انتهت ثلاثة أرباع المشكلة، ويصبح أمر إنزال السكسونيين قوات إلى أوروبا غير ذي جدوى، لأن الألمان يكونون قد فرغوا من الروس وحشدوا كل قواهم الجبارة لملاقاة أي حركة سكسونية في أوروبا وإحباطها. وقد يجدون حينئذٍ فرصة للهجوم على الأمبراطورية البريطانية وتهديمها. ولن يقدر على كسر الألمان على ما هو ظاهر إلا الروس. فإذا عجز هؤلاء عن ذلك كان عجز السكسونيين عنه أظهر

بطبيعة الحال. وهذا فضلاً عن تنفيذ فكرة الجبهة الثانية السكسونية في أوروبا محفوف بالمخاطر والصعوبات العظيمة التي قد تجعله في حكم المتعذر. ويقول المعلقون الآن أن كسر الألمان للروس نهائياً أصبح مشكوكاً فيه، كما أن كسر الروس للألمان لا يرد على بال أحد. وأن من الجائز أن يتخذ الألمان بعد الآن موقف دفاع قوي أمام الروس، ويلتفتون إلى الميادين الأخرى، فينزلون ضربات شديدة في السكسونيين وفي الامبراطورية البريطانية إلى أن يرغموهم على التسليم والجنوح إلى الصلح.

ومهما يكن من أمر، فالموقف الحربي والسياسي يزداد تعقداً بسبب الموقف في الجبهة الروسية ونتائجه وحساباته. وهذا ما ينذر بامتداد أمد الحرب والعياذ بالله.

3 ـ الحرب في الجبهة الروسية واستمرار الزحف الروسي وتراجع الألمان وتعليق على ذلك:

أما حركة الحرب الروسية الألمانية، فالأخبار تفيد أن الروس استمروا في زحفهم في بعض الجهات، وأن الألمان مع استمرارهم في التقهقر في بعض الجهات أخذوا يبدون نشاطاً وصاروا يقومون بهجمات مضادة ويضطرون الروس إلى التراجع، واستطاعوا أن يخففوا من زخم النشاط الروسي، حتى أنهم قاموا ببعض التطويقات والإبادات، وصارت بلاغاتهم تعود إلى بعض أساليبها القوية..

والظاهر من الأحوال أن الألمان قصروا خطهم كثيراً، وكثفوا قواتهم في هذا الخط، وصمموا على عدم تمكين الروس من اختراقه أو التقدم وراءه أي تقدم، ثم أتوا بقوات احتياطية فقامت بهجمات مضادة لتصحيح هذا الخط وتمكينه. وهكذا يمكن أن يقال إن زحف الشتاء الروسي بسبيل الانتهاء والتوقف، وأن من المنتظر بعد شهر أن يبدأ النشاط الألماني، وحينئذٍ يحكم على قوة هذا النشاط ومداه وما إذا كان باستطاعته أن يكون هجوماً كاسحاً أو دفاعاً قوياً.. ومهما يكن من أمر، فإن زحف الروس الشتائي يمكن أن يعد أنه ينجح نجاحاً باهراً. فقد استطاع الروس بقوة أن يستردوا أكثر من نصف ما كان في يد الألمان من أراضٍ ومنابع روسية، وأن يلحقوا بالألمان خسائر عظيمة تجعلهم منهوكي القوى.

4 ـ الحرب في الجبهة التونسية ونشاط وتصريحات الطرفين المحاربين:

وأما في الجبهة التونسية، فالأخبار تفيد أن تقدم المحور في الشطر الأول من هذا الأسبوع استمر، وأن القوات السكسونية تراجعت عن بعض مواقعها. وقد أعلن الألمان أنهم حققوا ما أرادوه من أهداف، ثم أوقفوا حركتهم التقدمية. غير أن السكسونيين أعلنوا أنهم قاموا بهجوم مضاد قوي تمكنوا به من طرد الألمان من أكثر المواقع التي حصلوا عليها، مع اعترافهم بأنهم تلقوا ضربة موجعة. ومما قاله الألمان أنهم غنموا غنائم عظيمة ستساعدهم في تقوية مركزهم.

وعلى كل حال، فالتفوق الآن في جبهة تونس للمحور، وينتظر المراقبون أن يقوم السكسونيون بهجوم مثلث الأضلاع، أي من الشرق (الجيش الثامن) ومن الغرب الجنوبي والغرب الشمالي (الإنكليز والأميركان

والإفرنسيون معاً)، وأن تقع معارك حامية. ولكن ظواهر الأحوال تدل على أن الألمان استطاعوا أن يرسّخوا قدمهم في المنطقة التي هم فيها، وأن مجال النضال سيكون واسعاً ومديداً، وقد يظل سجالاً.

والخبراء يقولون أن الهدف الذي استهدفه الألمان في حركتهم هو تأمين رجعة جيش رومل المنسحب والإتصال بينه وبين جيش تونس، وأن هذا قد تحقق وأصبح للمحور في جبهة تونس نحو ربع مليون جندي، وهو عدد عظيم يمكنهم من الإستمرار في النضال. ويقول الخبراء كذلك أن هذا النضال سيكون دائماً العقبة في سبيل الجبهة الأوروبية، وعلى الأقل من سواحل البحر الأبيض، وفي سبيل سيادة السكسونيين البحرية في هذا البحر. وكل هذا هدف مهم بالنسبة للألمان يمكن أن يقال أنهم حققوه، وأنهم لن يفلتوه من أيديهم.

5 ـ صوم غاندي ورد فعله وموقف الهند وبريطانية وتعليق على ذلك:

ومما كان ولفت الأنظار وأثار الأفكار في هذا الأسبوع إعلان غاندي صوماً، أي (إضراب عن الطعام) في معتقله. وقد أثر الصوم على صحة غاندي السيئة في أصلها، وأزعج في ذلك رجالات الهند على اختلاف أحزابهم. وقدم بعض الوزراء الهنود في حكومة الهند استقالاتهم احتجاجاً على إصرار الحاكم العام على رفض إطلاق سراحه. وقد قبل الحاكم الإستقالات وأعلن تصميمه على موقفه. واجتمع عدد كبير من مختلف الميول والأحزاب وأبرقوا إلى شرشل وروزفلت يطالبون بإطلاق سراحه. ورفض شرشل الإستجابة بجفاء، وقال أنه يحبذ خطة الحاكم العام، وأن غاندي ورفاقه يتحمّلون تبعة عملهم، لأنهم عرقلوا وقوف الهند موقف المدافع عن بلادهم، (أي لم يتضامنوا مع الإنكليز في الحرب لضمان سيطرة الإنكليز على بلادهم..) ولم يبد من روزفلت أي حركة تدخلية في هذا الشأن، وليس من ريب في أن موقف الإنكليز المتشدد ناتج عن شعورهم بطمأنية بالموقف العسكري الحاضر في الشرق الأقصى وفي روسية وفي أفريقية معاً. ومن المحتمل أن يموت غاندي في هذه الأيام لأن حالته الصحية ساءت جداً. ولا ندري ما يحدثه موته من آثار إيجابية أو سلبية في الهند...

6 ـ انتخابات المجلس النيابي التركي ومداها وتعليق عليها:

اليوم موعد انتخابات أعضاء مجلس النواب التركي فقد تمت الانتخابات الأولى التي انتخب فيها المندوبون الثانويون في أوائل الأسبوع، وأعلنت أسماء المرشحين للنيابة. والإعلان أرفق بنداء موقع من عصمة اينونو بصفته الرئيس الأعلى لحزب الشعب التركي وهو رئيس الجمهورية. ولم يعلن ترشيح آخر منفصل عن القائمة المعلنة، وقد ذكر حذاء أسماء بعض أفراد من المرشحين كلمة (مستقل) أي من غير حزب الشعب. والراجح أن ذلك للمظاهرة وحسب... وعدد المرشحين أكثر من عدد الأعضاء المطلوب انتخابهم بسبعة وعشرين. ونصف الزائدين من أنقره ونصفهم من الآستانة. ويكون للمندوبين الثانويين انتخاب من يشاؤون من المرشحين وحسب. ومن بين المرشحين

عصمة اينونو نفسه، ومنهم كثير من الوزراء وكبار الموظفين. ولوحظ أن عدداً غير قليل من الأسماء جدد، أي لم يكونوا نواباً في المجلس المنحل. كما لوحظ أن أكثر المرشحين بل كثرتهم العظمى ذوي صفات علمية ووظائفية ومهنية عليا (أطباء ـ أساتذة جامعات ـ مهندسون ـ قادة جيش ـ وزراء ـ صحافيون ـ أصحاب مناصب حكومية عليا. . .)، وفي نداء عصمة إشارة بنهضة الأمة، وتنبيه إلى ما يطلبه الواجب الوطني من الخدمة الخالصة للمصلحة العامة، وأن كل هذا روعي في المرشحين. وحركة الترشيح والمساعي حولها اقتصرت بين الطالبين وحزب الشعب، وقد علمنا أن طلبات الترشيح بلغت عدة آلاف، والهيئة العليا للحزب هي التي اختارت المرشحين من بين الطالبين. . وهذا الأسلوب وإن لم يتفق مع الديموقراطية السكسونية فإننا لا نرى فيه بأساً بالنسبة لأخلاق وثقافة الشرق. فالاختيار الأول يقع على الصالحين الأكفاء من قبل الهيئة المشرفة على سياسة الدولة، ويقدم هؤلاء للمنتخبين على سبيل الإرشاد والتعليم، ومن الملاحظ أن بعض الدول الأوروبية أخذت تسير في جانب هذا الأسلوب بشكل ما، وإن كان هناك اختلاف في النمط.

7 ـ قانون عراقي بتخويل أميركا بالتمتع بنفس ما تتمتع به بريطانية عسكريا في العراق وتعليق على ذلك:

أذيع من لندن ثم قرأنا في الصحف التركية خلاصة قرارات مهمة اتخذها العراق، منها قانون صدر من البرلمان يخول الحكومة الأميركية بأن تتمتع بنفس الإمتيازات العسكرية التي تتمتع بها بريطانية بموجب معاهدة الصلح بمناسبة دخول العراق في حالة الحرب إلى جانب الحلفاء. وهذا يدل أولاً على أن العراق يحاول أن يجعل صلاته بأميركا قوية وشديدة. وأن أميركا تحاول أن تجعل صلاتها وموقعها في الشرق العربي قوية وشديدة أيضاً، وإن كان الأمر في مضمون القانون يبدو عادياً وطبيعياً، وأنه لا بد من أن تكون بريطانية قد وافقت على ذلك سلفاً. ورغبة أميركا هذه بادية في كثير من المظاهر والمجالات الحربية والسياسية في بلاد الشرق الأقصى والأوسط والأدنى. . .

8 ـ طلب حكومة العراق من رعاياها في بلاد المحور العودة في مدة شهرين، وإنذار لهم بالمحاكمة والمصادرة وتعليق على ذلك:

ومما اتخذ من قرارات في العراق وقرأناه في الصحف، طلب حكومة العراق من رعاياها الموجودين في بلاد المحور ترك هذه البلاد والعودة إلى وطنهم خلال شهرين من تاريخ إعلان الطلب، وإنذار من يتخلف ويخالف بالمحاكمة غيابياً وفقاً للقوانين العسكرية، وحجز أموالهم على اعتبارهم خائنين للوطن ومتآمرين مع الأعداء. وفي الإعلان أيضاً إنذار إلى الذين هم في بلاد محايدة من العراقيين بأن يقطعوا كل علاقة مالية واقتصادية بينهم وبين الأعداء. ومن يخالف ذلك طبق عليه القرار السابق بالمحاكمة والمصادرة. والخطاب للذين هم في بلاد حيادية منطقي من حيث الفكرة القانونية للدولة أكثر من الخطاب لمن هم في بلاد المحور. فالذين في بلاد حيادية يستطيعون الإستجابة للقرار وتنفيذه. أما الذين هم في بلاد

المحور فالمفروض أنهم في اعتقال وأسر الأعداء. فكل البلاد حينما يقع بين بعضها حرب تعتقل رعايا الدولة التي تحاربها، فكيف يطلب من هؤلاء أن يتركوا بلاد الأعداء وليس ذلك في مقدورهم. وطبعاً إنه لم يفتنا أن حكومة العراق قصدت في إعلانها رشيد عالي والعراقيين الآخرين الموجودين في بلاد المحور متعاونين معها ضد الحكم العراقي القائم وضد الإنكليز المحتلين، وأنها قصدت العراقيين الموجودين في غير بلاد المحور ممن ينشطون بالدعاية مع المحور وضد الحكم العراقي وضد الإنكليز، وطبيعي أن هؤلاء وأولئك لن يستجيبوا إلى الإعلان. وحكومة العراق تعرف ذلك، فأرادت محاكمتهم والحكم عليهم غيابياً كبادرة قضائية تظل قائمة ضدهم مع حجز أموالهم. وطبيعي أن هذا قد تم بالتفاهم مع الإنكليز، وليكون وسيلة دعائية يطبع المتضامنين مع المحور بالخيانة. ولا ندري هل تبذل الحكومة العراقية جهدها ضد العراقيين في تركية ممن يظنونهم أعداء لها وللإنكليز، وهل تستجيب تركية لذلك بضغط من الإنكليز؟ ولا ندري هل يحمل الإنكليز حكومات فلسطين وسورية ولبنان وشرق الأردن ومصر على اتخاذ قراراً مماثلاً لهذا القرار ضد رعاياها الموجودين في بلاد المحور والبلاد الحيادية، ولا أستبعد ذلك. . . والمتبادر أن هذه القرارات والأحكام الغيابية والمصادرات ستكون معتبرة نافذة إذا ما انتصر السكسونيون في الحرب.

9 ـ محاولة طه الهاشمي العودة وإخفاقه وتعليق على ذلك:

وبهذه المناسبة نذكر أن طه الهاشمي الموجود الآن في الآستانة كان طلب من السفارة البريطانية في تركية التأشير على طلبه ليتمكن من الرجوع بطريق سورية، لأنها الطريق الوحيد لعودته فرفض طلبه، فصار يطلب إجازة من مجلس النواب العراقي الذي هو عضو فيه كلما انتهت إجازته. ومنذ شهرين تلقى خبراً رسمياً من السفارة البريطانية بأنها مستعدة للتأشير على جوازه إذا كان يرغب في العودة إلى العراق، فأرسل الجواز ولكنه أعيد إليه بعد شهر بدون تأشير، فأرسل كتاباً للقنصل الإنكليزي في الآستانة يسأله عن السبب، لأن خبراً جاءه بواسطة هذا القنصل، فأجابه أن الموافقة الأولى ألغيت من قبل سلطة عليا. ومن المحتمل أن نوري بعد أن أعلنت العراق حالة الحرب رأى الأفضل أن يبقى طه خارج العراق، لأنه معارض له، فسعى فألغى الموافقة.

ومن باب التسجيل للمناسبة نذكر أن زهيراً كان راجع القنصلية الإنكليزية في صدد السماح له بالعودة إلى سورية حيث أهله وأسرته، فأجيب بعد أسبوعين بالرفض.

10 ـ قانون فلسطيني بإنذار كل من يستعمل التهديد لإرغام الناس على التطوع:

قرأنا في بعض أعداد وردتنا من صحف فلسطين؛ أن الحكومة أصدرت قانوناً بمعاقبة كل من يستعمل التهديد لإرغام الناس على التطوع. وفي الصحف ما يفيد أن هذا القانون صدر من أجل بعض منظمات يهودية متعصبة تصطنع الضغط والإرهاب ضد الشباب اليهود الذين يتهربون من التطوع. فاليهود الوطنيون المتطرفون يرون هذه الحرب فرصة للتطوع

حتى يتسلحوا ويتدربوا على استعمال السلاح والجندية، وحتى يكون لهم طوابير منظمة حينما تنتهي الحرب يواجهون بها ما ينتظرهم من أزمات أو يستخدمونها في نضالهم في سبيل تثبيت قضيتهم، وحتى يرى الحلفاء جهدهم وتضامنهم، فيكون هذا ثمناً لتأييد قضيتهم وتوسيعها بعد الحرب. وهذه ظاهرة خطيرة ولا ريب، ونحن نعرف أن العرب الذين يدعون إلى التطوع يتوسلون بهذه الوسيلة لإقناع الناس بوجوب التطوع حتى لا ينفرد اليهود دون العرب في الإستفادة من هذه الظاهرة، بقطع النظر عن ما بين موقف وقضية كل من العرب واليهود من تضاد وفروق.

11 ـ فرض الحكومة الفلسطينية ضرائب جديدة تسد عجزها:

ومما قرأناه أيضاً أن الحكومة الفلسطينية اعتزمت فرض ضرائب جديدة لسد العجز في الميزانية التي ارتفعت أرقامها كثيراً بسبب ظروف الحرب. وكان لهذا العزم رد فعل شديد في أوساط العرب. وقد أخذت غرف تجارتهم بالاجتماع وتقديم الإحتجاجات. وجاء في برقية أرسلها رشيد الحاج إبراهيم بصفته رئيس غرفة تجارة حيفا، أن الضرائب قد بلغت حداً من الفداحة بحيث تكون كل زيادة إرهاقاً لا يطيقه الشعب العربي. وفي عدد الصحيفة أن الميزانية بلغت سبعة عشر مليون جنيه. وهو رقم عظيم في بلاد نفوسها مليون ونصف، وهو مصداق لما قاله رشيد من الفداحة.

12 ـ إعلان ألماني بما أغرقه الألمان من بواخر السكسونيين في هذه السنة:

في هذا الأسبوع نشر الألمان نتيجة نشاط غواصاتهم في الأربعين يوماً من السنة الجديدة، وقد بلغت حمولة ما أعلنوا أنهم أغرقوه من قطع الحلفاء البحرية المتنوعة (800) ألف طن. وأمس أذاعوا بياناً ذكروا فيه إغراق ما حمولته (125) ألف طن من قافلة مخفورة في مياه إيرلانده ظلت غواصاتهم تتعقبها ستة أيام بلياليها، وهذا نشاط هائل حتى لو صح نصفه، وهو الذي يقض مضجع السكسونيين. ويرى الخبراء فيه الخطر الدائم عليها.

* * *

يوم الأحد
7 مارس 1943:

1 ـ تجديد إنتخاب رئيس الجمهورية التركية واستقالة رئيس الوزارة بمناسبة انتخاب المجلس النيابي الجديد:

كنت أظن أن رئيس الجمهورية التركية يظل طول الحياة، ثم عرفت أن مدة رئاسته أربع سنين فقط، وقد عرفت أن المجلس النيابي الجديد سينتخب رئيساً بمناسبة انتهاء مدة الرئيس الحالي، وأعتقد أن المجلس سيعيد انتخاب هذا الرئيس، وأن العملية مراسمية لأنه لن يكون مرشح غيره، وسيظل هذا طيلة حياته. مع التنبيه على أن له اعتباراً واحتراماً عظيمين في الأوساط التركية عامة، نظراً لإخلاصه وحنكته وتفانيه في المصلحة العامة، ولما كان من مواقفه وبلائه في جميع أدوار الحركة الإنقلابية والإستقلالية والتحريرية الحربية. وحينما يذكر لا يذكر كرئيس جمهورية فقط بل كزعيم الأمة أيضا...

وعلمت أيضاً أن من التقاليد أن تقدم الحكومة استقالتها للمجلس الجديد. والراجح أن الحكومة الحاضرة أو على الأقل رئيسها وعدد من أعضائها سيحتفظون بمناصبهم.

ومما علمناه مما نشرته الصحف التركية أيضاً أن عدد أعضاء المجلس النيابي الجديد (135)، وأن ترشيح عدد أكبر من المطلوب هو خطوة جديدة في سبيل ترك حرية الإختيار للناخبين الثانويين. وهذا معناه أن هناك تدرجاً في مضمار حرية الإنتخاب.

ومسألة تجديد انتخاب رئيس الجمهورية واستقالة رئيس الحكومة بسبيل توطيد حكم الأمة المطلقَ الذي يمارسه عنها مجلس النواب.. فكل أمر دقيقاً كان أم جليلاً صغيراً أم كبيراً لا بد من أن يصدر عن المجلس، والمجلس هو ممثل لحزب الشعب، وليس في البلاد حزب آخر.

2 ـ إعلان روسي بعدم مطامع روسية في الاستيلاء على أراضٍ ليست لها وعدم تدخلها في الشؤون الداخلية للدول الأخرى:

في هذا الأسبوع صدر بيان رسمي من موسكو تعلن فيه الحكومة السوفييتية أنها لا تهدف إلى الإستيلاء على أي أرضٍ أجنبية، ولا تنوي القيام بأي تدخل في شؤون أية دولة أجنبية ولا فرض نظامها على أية أمة أجنبية. وأنها في حربها الحاضرة في موقف المدافع وفي سبيل طرد العدو الغازي.

والمتبادر أن هذا البيان قد صدر رداً وإحباطاً للدعاية والمدعيات الألمانية التي تدأب في إثارة الخوف في أوروبا خاصة وفي العالم عامة، من مخاطر الشيوعية ومطامعها التوسعية القهرية، في حالة إنهيار الألمان أمام الروس. وقد اهتم الألمان في الحقبة الأخيرة لتكرار ذلك أكثر من ذي قبل في سبيل حث أوروبا على التضامن معهم في صد الشيوعيين، والنضال ضدهم بأساليب متنوعة ومتواصلة، وهم فعلاً يجندون الناس في البلاد التي يحتلونها من أوروبا، وهي معظمها لمصانعهم ومجهودهم الحربي ولجبهاتهم الحربية باسم ذلك...

ومع أن بيان موسكو صدر لمقابلة الدعاية بالدعاية، ولإحباط دعوى الألمان، فإن خطورة مداه لا تخفى. ولسوف يستغله السكسونيون كوسيلة لتطمين وتسكين روع الأمم الأوروبية وغيرها بالنسبة للمستقبل، ولسوف يكون أيضاً حجة في ايديهم على حكام الروس ايضاً.

وإلى هذا فإن خطورته تبدو نظرياً على الأقل في نقطة أخرى، وهو الكف عن الدعوة إلى الشيوعية التي هي دعوة عقيدة إجتماعية. وقلنا نظرياً لأن موسكو سوف تترك هي الدعوة لمؤسسات وتنظيمات أخرى غير حكومية الطابع، ولأنها مطمئنة بأن هذه الدعوة أصبحت دعوة عالمية وعقيدة إجتماعية عامة تسير سيرها الطبيعي في العالم...

ومع ذلك فهناك مناقضات، فبينما موسكو تعلن ما تعلن، فإن هناك مشادة بينها وبين الحكومة البولونية اللاجئة في لندن حول حدود بولونيا في المستقبل. فالروس يرون أن ما كانوا احتلوه مع الألمان حينما عقدت معاهدة صداقة ووفاق بينهما واقتسموا البلاد البولونية في صيف عام 1940 ستكون روسية بعد الحرب. وقد استنكرت الحكومة البولونية ذلك لأنه مناقض للعهود والمبادىء والتصريحات التي تقوم الحرب لأجل توطيدها. ولكن الروس يقولون إننا في تمسكنا بذلك لا نخالف ولا نناقض. فالأقسام التي احتللناها ليست مسكونة ببولونيين، وإنما هي مسكونة بروسيين وأوكرانيين. وهي في الأصل جزء من روسية أخذت منها لترقيع وتوسيع بولونيا وإتمام تكوينها، ويجب أن تعود إلى أصلها. والسكسونيون مرتبكون في أمر هذا التشاد، فهم من جهة ضامنون لوحدة بولونيا، وقد نشبت الحرب بينهم وبين ألمانيا في سبيل ذلك. وهم من جهة لا يريدون اغضاب حكام الروس وتأييد مدعيات البولونيين، وكل ما يقولونه هو أن هذا النزاع الآن سابق لأوانه، لأن بولونيا جميعها الآن تحت الإحتلال الألماني... ومع ذلك فإن أقوال الروس تدل على أنهم يبيتون ضم كل بلاد كانت ضمن روسية قبل الحرب العالمية الأولى ثم خرجت عنها بأي شكل. ويتناول هذا فنلندا ودول البالطيق الأخرى وربما ولاية قارصلي التي عادت إلى تركية. وقد بدأوا بتحقيق ذلك في الحقيقة حينما عقدوا معاهدة صداقة مع الألمان. بل هم يتوسعون وينادون بالجامعة السلافية الكبرى التي تدخل فيها بلغاريا ويوغوسلافية، ويرون من حقهم أن تكون في نطاق هيمنتهم ونفوذهم. ولقد كان هذا مما أثار ألمانيا وجعلها ترى فيه بوادر المطامع والنيات الروسية المريبة، وكان من دوافع الحرب الألمانية الروسية. وقد أخذت الدعاية الألمانية تستغل التشاد والخلاف الروسي البولوني القائم الآن لتؤيد دعوتها وتثير خوف أوروبا والعالم من الشيوعيين ومطامعهم. ولا شك في أن هذا الاستقلال سيكون محكماً وخاصة بالنسبة لفنلندا ودول البالطيق ورومانيا وبلغاريا التي هي الآن في صف الألمان. فإن من الحق الطبيعي أن تعتقد أن في انتصار روسية قضاء عليها حينما تسمع ما يقوله زعماء روسية عن نياتها التوسعية.

3 ـ تصريح لإيدن سمعناه من الإذاعة في صدد الوحدة العربية وتعليق عليه:

في هذه الفترة أدلى وزير خارجية بريطانية بتصريح هام في صدد الوحدة العربية في مجلس النواب، رداً أو جواباً على سؤال من

أحد الأعضاء عن موقف ورأي الحكومة البريطانية في الوحدة العربية وتشجيعها. وقد جاء في هذا التصريح: (إن بريطانية تعطف على فكرة قيام وحدة اقتصادية ثقافية وسياسية بين البلاد العربية. وإن الخطوة إلى ذلك هي من شأن العرب أنفسهم)، وهذا التصريح ليس جديداً، فقد كان إيدن قبل سنتين أدلى بمثله بأسلوب آخر. غير أننا نعتقد أن للتكرار الآن معنى جديداً، فدول الحلفاء في موقف المنتصر، والوحدة العربية الآن حديث السياسة العربية الرسمية أيضاً. فالعراق تكلم في صددها رسمياً حكومة وبرلماناً، والأمير عبد الله يتكلم فيها، والأوساط المصرية الرسمية، والقومية العربية تتكلم بشتى الأساليب. ولا شك في أنها من صميم آمال ومطامح سورية، وفي أن الكلام فيها سيجري أيضاً في سياق الكلام عن إعادة الحياة النيابية والدستورية. وقد سمعنا من محطة إذاعة فلسطين ما يفيد أن تصريح إيدن أحدث رد فعل في الأوساط والصحف المصرية، وأن الأهرام نشرت آراء عدد من الكتاب، وأن منهم من يرى أن تكون الوحدة العربية على نمط الكومونويلث الأمبراطوري البريطاني، وأن عبد الرحمن عزام اقترح عقد مؤتمر عربي لبحث هذا الأمر.

وقد تساءلنا عن مدى وأثر هذا التصريح وجدّ الإنكليز فيه. وعما إذا كانوا يشجعون مصر لتكون البادية في الخطوة، لأنها أقوى وأكبر البلاد العربية. وعما إذا كانت مستعدة للخطوة كما هو بادٍ من ضعف فكرة الشعور بالعروبة فيها، وهضم الاتحاد مع البلاد العربية الأخرى، بسبب كونها منذ ثمانية قرون متوالية محكومة بحكام غير عرب، واستئمانها لهؤلاء الحكام واستساغتها حكمهم لأنهم مسلمون، وغلبة الشعور الإسلامي على الشعور العربي نتيجة لذلك برغم حقيقة عروبة مصر الشاملة العامة. وبرغم أنها المرشحة الطبيعية لرئاسة الإتحاد العربي... وبدون مصر فإن أي حركة وحدة أو اتحاد عربي يظل ضعيفاً. والإفرنسيون ما يزالون في الميدان السوري اللبناني، ومع رغبة الإنكليز الملموحة في طردهم والحلول محلهم فإنهم لا يخطون خطوة جادة الآن في تحقيق هذه الرغبة. وما دام الإفرنسيون هم في الميدان فإنهم سيعرقلون أي حركة وخطوة في هذا السبيل، لأنهم سوف يعتبرون ذلك مقدمة لخروجهم من ذلك الميدان. واليهود في الميدان، وسيبذلون كل جهد في عرقلة أية خطوة في هذا السبيل بشتى أساليبهم ووسائلهم الظاهرة والخفية في إنكلترة وأميركا، لأن فيها القضاء المبرم على مطامعهم وحركتهم. ويبقى العراق والأردن، وكلاهما هاشمي الحكم، وقد يكون هذا مما يجعلهما يسيران في سبيل الوحدة والإتحاد، ولكن ذلك سيظل ضعيف الجدوى بالنسبة للهيمنة.

ويبقى أيضاً المملكة السعودية والمملكة اليمنية، وهما المستقلتان الوحيدتان في العالم العربي. ولكنا نشك في أنهما في وارد وحدة أو اتحاد عربي لأسباب عديدة ثقافية وعقلية واجتماعية وسياسية.. وكل هذا يجعلنا نخشى أن لا يكون للتصريح الجديد مدى وأثر جديان عاجلان مع أننا نتمنى بكل قلبنا وعاطفتنا ذلك. وهذا فضلاً عن شكنا في جد وإخلاص الإنكليز في الرغبة في قيام وحدة أو اتحاد عربي بشكل ما، إلا إذا ضمنوا أن يكونوا أصحاب الهيمنة فيها، أو إلا إذا كانوا يرون فيه سهولة غدوهم أصحاب الهيمنة على العالم العربي أكثر مما هو متيسر لهم الآن.

وفي هذه الحالة قد يفرغ الاتحاد أو الوحدة، مهما كان شكلهما، من مضمونهما. .

ومع كل ذلك فالتصريح سيكون مادة دعاية للإنكليز ومادة نقاش وانتعاش في العالم العربي معاً. . .

4 ـ منح مصر امتيازات للقوات الأميركية وتعليق على ذلك :

ذكرنا في نبذة سابقة أن العراق قرر منح أميركا كل تسهيلات عسكرية تتمتع بها بريطانية حسب المعاهدة. وقد سمعنا من محطة مصر أن حكومتها منحت القوات الأميركية الموجودة في أرضها بعض الحقوق القضائية والعسكرية على نمط ما هو ممنوح للجيش الإنكليزي. ولا نعرف هل هذا كل شيء أم أن حكومة مصر منحت القوات الأمريكية كل ما هو ممنوح للقوات الإنكليزية بموجب المعاهدة كما فعلت العراق. وأميركا تتدرج في البروز والرسوخ في ميدان الشرق، وفي نفسنا إحساس بخوف قوي من جراء ذلك، بسبب تكثيف اليهود جهودهم ونشاطهم ودسائسهم في أميركا على ما شرحناه في مناسبة سابقة.

5 ـ القصف السكسوني المشتد على ألمانيا ومواقعها في البلاد المحتلة وآثاره وتعليق على ذلك ووصف الألمان لذلك:

منذ أسابيع والقصف متوالٍ ومشتد يوماً بعد يوم على ألمانيا والبلاد التي تحتلها ألمانيا في أوروبا. ومنذ أيام توالت موجات القصف الجوي وبلغ عدد الطائرات فيها ألفاً على منطقة كولونيا، وهي منطقة مصانع الغواصات، وقصفتها ثمان وأربعين ساعة متوالية، وبلغ وزن ما قذفته من القنابل سبعة آلاف طن. وقصفت برلين ساعتين متواليتين. وليلة أمس قصفت منطقة أسنّ قصفاً شديداً ومديداً بموجات طائرات عديدة. والقصف يتوالى أيضاً على مدن ومرافق إيطالية. والمصادر المحورية تعترف بخسائر فادحة تنتج عن هذا القصف في الأرواح والمنشآت، وإن كانت تنكر وقوع خسائر ذات بال في الأهداف والمصانع الحربية، وتصف هذا القصف بالهمجية والعبث . لأنه غير موجه إلى أهداف حربية على حد قولها. ومما خربه القصف كنيسة أثرية ذات قيمة تاريخية.

ويقال إن مدناً عديدة إيطالية أخليت بسبب توالي القصف الذي يشتد ويتسع بالتدريج، ولا يقابل مقابلة جدية. وكل ما هناك أسراب ألمانية قليلة تأتي للجزر البريطانية وتقصفها. والفرق العظيم محسوس بين قوة وتأثير القصفين والتفوق للجانب السكسوني. ومع أنه يقال أن الألمان مثلوا مثل هذا الدور بكل قوته قبل سنتين، فإن عدم تمكنهم من متابعة العمل أو على الأقل من المقابلة بالمثل يدل على اشتداد قوة السكسونيين وضعف المحور مهما كان الأمر. والغلبة هي لمن يتفوق أخيراً كما هو معروف. والمبلغ الذي بلغه القصف السكسوني الآن لم يبلغه القصف الألماني السابق لا في العدد ولا في وزن القنابل المقذوفة. والسكسونيين يبدون ويعيدون بقوة تصميمهم على التوسع في القصف، وعلى التوسع في الإنتاج، حتى يوقعون في ذهن السامعين إمكان نجاحهم في إخضاع المحور بهذا القصف. في حين أن المحور لم يتمكن من إخضاعهم به.

وعلى كل حال فإن الصورة الماثلة الآن هي أن قوة السكسونيين متزايدة، وأن قوة المحور جامدة. ولا شك في أن للموقف الحربي المتطور في الجبهة الروسية أثراً في ذلك.

6 ـ أخبار الحرب في الجبهات:

(1) الجبهة الروسية: أما أخبار الحرب في الجبهة الروسية فتسير فيها الحركة متعاكسة. فالألمان في الجنوب يقوى نشاطهم شيئاً فشيئاً، وقد استطاعوا أن يطوقوا قوات روسية ويبيدوها. ونجحوا في هجماتهم المضادة، وردوا هجمات الروس واضطروهم إلى التراجع، بينما لا تزال هجمات الروس في المنطقة الشمالية مستمرة وقوية، وما يزال الروس يستعيدون المراكز والقرى والمدن الكثيرة. والخبراء يؤكدون بأن الهجوم الروسي هنا على وشك التوقف، وأن الهجوم الألماني الجديد على وشك البدء، وينتظرون ما تأتي به الأسابيع القادمة. وسينتظرون حرب الربيع والصيف العظمى، ويرون فيها النهاية الحتمية للحرب الروسية. ويبدو استعداد الألمان عظيماً لمعارك هذه الحرب الفاصلة.

(2) الجبهة التونسية: وليس في جبهة تونس تبدل مهم، والمحور هو المتفوق. ويتقدم شيئاً ما في الطرف الشمالي من الجبهة. ويتوقف في المنطقتين الوسطى والجنوبية، ويقول أنه حقق الأهداف التي أرادها. ولم يبد منه نشاط يذكر في الجبهة الشرقية.

(3) جبهة اليابان: وقد أذاعت المصادر السكسونية خبر انتصار أحرزوه على القوات اليابانية البحرية، ووصفته بأنه انتصار عظيم. ومما أذاعته من تفصيلات عنه أن اليابانيين أرسلوا حملة جديدة إلى كينية الجديدة مؤلفة من 12 باخرة تقل عليها (15000) جندي وعشر قطع حربية تحرسها، فهاجمتها القوات السكسونية جواً وقضت عليها. وأخذت تلك المصادر تملأ الدنيا بالزهو وتحاول إيهام الناس بهذا الانتصار بأن نجم اليابانيين أخذ يأفل وحيويتهم أخذت تضؤل، في حين أخذ نجم السكسونيين يسطع وحيويتهم تشتد، ولم يصدر من اليابانيين شيء عن ذلك، ومهما بدا أن الحملة كبيرة، ولئن صحت أخبار القضاء عليها، فليست من الضخامة إلى الحد الذي يبرر للمصادر السكسونية هذا الاستنتاج.

ولقد سمعنا اليوم إذاعة أنقرة تذيع أن المجلس النيابي الياباني قرر بالإجماع حشد الأمة اليابانية حشداً حربياً، وأن رئيس الوزراء قال في بيانه أن الواجب الملقى على اليابان قومياً أن يحطموا القوات السكسونية تحطيماً نهائياً. واليابان في هذا يحذون حذو الألمان على ما شرحناه قبل.

وسنرى والحالة هذه في الربيع والصيف العجائب من مجهود الحرب ومعاركها والعياذ بالله.

***

يوم الثلاثاء
16 مارس 1943:

1 ـ تأليف الحكومة التركية الجديدة ودخول معارضين فيها:

ذكرنا سابقاً استقالة الوزارة التركية، وقلنا إن ذلك من التقاليد البرلمانية هنا. وقد أعلن أنه أدخل في الوزارة الجديدة ثلاثة أعضاء من الجبهة المستقلة في حزب الشعب. ومن المعروف أنه ليس في تركية غير حزب الشعب، وهو حزب الحكومة والقائمين بالعهد. غير أن هؤلاء أوجدوا في داخل هذا الحزب، أو سمحوا بأن يكون في داخله جناح، أو جبهة معارضة سمي بالجناح المستقل. والحزب يعرض على مجلس النواب مرشحيه للوزارة. ويدخل في عداد المرشحين مرشحين عن هذا الجناح أيضاً. والراجح أن اختيار ثلاثة منهم كان بسبيل تدعيم الموقف العام والشكل القومي السياسي في هذه الظروف. ومع ذلك فمن الطريف أن نسجل أن هؤلاء الثلاثة انتقلوا أو نقلوا قبل اختيارهم للوزارة من عداد الجناح المسمى بالمستقل إلى عداد القسم الأعظم للحزب، بحيث يصبحون غير ممثلين للجناح المستقل أو المعارض بل للحزب بصورة عامة.

2 ـ الإنكليز كانوا يتوقعون ثورة عربية ضدهم:

قرأت ترجمة كتاب للكاتب الإفرنسي أندره موروا بعنوان (فاجعة فرنسية)، ومما لفت نظري حكاية محاضرة ألقاها رئيس أركان حرب الحملة الإنكليزية في فرنسة التي كانت فيها قبل الهجوم الألماني وانسحاق القوات الإفرنسية وانهزام الحملة بطريق دونكرك. فقد قال المحاضر مزهواً متبجحاً أنه أمام فوز إنكليزي باهر بعد ثمانية أشهر من إعلان الحرب، لأنه كان من المظنون أن إسبانيا وإيطالية واليابان ستدخل الحرب حالما تشتبك ألمانيا بالحرب، وأن العرب سيثورون. ولكن الأشهر الثمانية مضت دون أن تعلن الدول الثلاث دخولها الحرب إلى جانب الألمان، ودون أن يثور العرب.

فالإنكليز كانوا يتوقعون ثورة العرب ضدهم في أول فرصة عالمية، وهذا التوقع منطقي لأنهم كانوا يشعرون بشدة حقد العرب عليهم، وكانوا عند نشوب الحرب يعانون آثار الثورة الفلسطينية، وأن أمة فيها روح وكرامة لابد من أن تثور بعدما كان من بريطانية ما كان من غدر ولؤم وتلاعب وقسوة. ومن الحق أن نذكر أن العرب كانوا عند هذا التوقع، وأثبتوا أن فيهم روحاً وكرامة حينما ثاروا في العراق ضدهم. وإذا كانوا تأخروا في الثورة نحو سنتين (من إعلان الحرب أواخر سنة 1939 ووقت الثورة العراقية أوائل سنة 1941)، فإنما كان ذلك انتظاراً للفرصة المواتية. فلما انهارت فرنسة وشالت كفة بريطانية وظهر النجاح كالمؤكد للمحور، بادروا إلى اغتنام الفرصة فأعلنوا ثورتهم في العراق وبدأت بوادر عديدة تدل على أنهم يتحفزون في غير العراق للثورة، وكان من هذه البوادر حركة عزيز علي في مصر. ولو استمرت ثورة العراق مدة أطول لكانت آتت ثمرتها، ولكانت البوادر في بلاد العرب التي قابلت هذه الثورة بحماس وتأييد تلاحقت، ولكانت آمال العرب تحققت بقوتهم أنفسهم..

ولكن الرياح جرت بغير ما تشتهي السفن. وإن كان العرب سجّلوا روحهم الثورية وحقدهم ومسارعتهم إلى اغتنام الفرصة في سبيل أهدافهم. ويمكن أن يقال شيئاً مثل هذا فيما أعلنه العراق موقف الحرب والعداء ضد العروبة مهما يكن من تبدل في الظروف والمدى. فالعراق حينما رأى كفة المحور عادت فرجحت أعلن موقفاً عدائياً نحوهم وودياً تحالفياً مع أعدائه بنفس الدافع، وهو اغتنام الفرصة في سبيل الهدف القومي. ومن الجدير بالتسجيل أن الذين قادوا الموقف الأول ظلوا في جانب المحور متضامنين معه، وظل المحور مطمئناً إلى حقيقة عواطف العرب وميولهم. وأن الذين يقودون الموقف الثاني هم ضالعون من القديم في السياسة الإنكليزية ومعروفون بذلك، وقد يكون في هذا التناظر ضمان للنتيجة في حال انتصار أحد الطرفين المتحاربين.

ولقد كان نوري السعيد الذي يقود الموقف الثاني يرى وجوب الإتصال بالمحور وعدم إضاعة الفرصة حينما انهارت فرنسة.. والمؤلم المؤسف في الأمر أن قواد طرفي العرب يضمرون لبعضهم عداءً وحقداً قاتلين مع كون هدفهما واحداً. ومع أن نوري كان من رأيه التحرك والاتصال مع المحور، وكان من مظاهر هذا العداء والحقد إعدام الضباط الكبار ورفيقهم السبعاوي من طرف عبد الإله ونوري. والحكم غيابياً على أركان الحركة الذين لم يظفرا بهم، ومصادرة أموالهم ومطاردتهم، مع أنهما يعرفان أن هدف هذه الحركة كان قومياً مشروعاً. ويظل ذلك لطخة سوداء في تاريخهما...

3 ـ نص تصريح إيدن عن الوحدة في جريدة الأهرام وتعليق عليه:

قرأنا في عدد وصل إلينا من جريدة الأهرام نص تصريح إيدن وزير خارجية بريطانية الذي أشرنا اليه في أسبوعية سابقة في صدد الوحدة العربية. فقد وجه أحد النواب سؤالاً عما تفكر فيه الحكومة البريطانية بشأن اتحاد العرب فأجاب: (إن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل مسعى في سبيل تعزيز الوحدة الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية بين العرب، ولكن أية خطوة في هذا السبيل يجب أن تصدر من العرب أنفسهم. وأنه لا يعرف أن هناك مشروعاً راهناً في هذا الصدد، مع القول أن مثل هذا المشروع يلقى عند حكومته استحساناً تاماً). وقد عقب السائل على ذلك بسؤال عما إذا كان يحسن إرسال أقدر رجل بريطاني للسعي في جمع شمل العرب، لأن المسألة دقيقة، وقد تتدخل في قضية فلسطين. فأجاب الوزير: «إن سفراء بريطانيا يتحلون بكل الصفات اللازمة»، ثم قال: (إن المسألة كلها معقدة وتتدخل فيها الآراء الفردية والقومية). والتصريح بدون شك قوي وخطير وفقاً للأسلوب الإنكليزي، مع ما فيه من حث على بذل المساعي في سبيل الوحدة والاتحاد. وقول الوزير إن أية خطوة يجب أن تصدر من العرب حق مهما أريد منه. والإشارة إلى تعقد المسألة من الناحية الفردية والقومية يراد بها على ما هو المتبادر الإشارة إلى ما هناك من أفكار وعقبات ومطامح شخصية.. الخ.

ومع ذلك فنحن نرجح أن الأمر مايزال بعيداً عن النضوج. ووجود فرنسة الآن من أشد العوامل في تعسير ما هو الأكثر إمكاناً وهو اتحاد

بلاد الشام والعراق. كما أن اليهود سيكون لهم نشاط معاكس حتماً إذا ما أريد أن يكون الإتحاد شاملاً لفلسطين، وهو طبيعي وضروري ومن أولويات ما يرد على البال العربي. والذي نرجحه أن الحوار بين السائل والوزير كان مرتباً، وأن للإنكليز هدفاً ما في التصريح، وقد أوردنا ما توارد لنا من ذلك حينما أشرنا إلى التصريح في المناسبة السابقة.

4 ـ تصريحات أميركية مثيرة حول ما بعد الحرب ومداها:

في هذه الفترة صدرت تصريحات من بعض رجال السياسة الأميركية أثارت اهتمام العالم، وكان لها دوي ومدى كبيران. من ذلك أن سفير أميركا في موسكو أدلى بتصريح صحفي جاء فيه أن الحكومة السوفييتية تغمط السكسونيين فيما يقدمونه لها من مساعدات قيمة، وتحاول أن تنسب كل الفضل في ما أحرزته من انتصارها في زحف الشتاء لجيشها ومصانعها ومعداتها، ولا تنوه شيئاً ما بالمساعدات السكسونية. قد لاحظنا هذا حينما قرأنا خطاب ستالين بمناسبة ذكرى الجيش الأحمر وأثار عجبنا، وتساءلنا ولاحظنا في الوقت نفسه أجهزة الإعلام السكسونية ورجال الإنكليز والأميركان عمدوا إلى التنويه القوي بالمساعدات، وحاولوا أن يجعلوا لها أثراً كبيراً في ما تم للروس من انتصارات. ويظهر أن الأوساط السياسية السكسونية لم ترق لهم تصريحات السفير، وخشوا أن يكون لها أثر سلبي في الروس، وأن يفهم العالم أن بين الروس والسكسونيين تشاد وسوء تفاهم، حتى لو كان شيء من هذا صحيحاً، فلا يجوز أن يعرفه الناس من تصريحات مسؤولين، حتى لا يستغله المحور. وحاولت تلافي أثرها، فقال بعض رجال أميركا الرسميين أن هذه التصريحات قد تكون منحولة أو مغلوطة. وإذا كانت صحيحة فهي رأي شخصي على مسؤولية السفير، ولا تستند إلى إذن وعلم رسمي عال. وانتقدت بعض الصحف السكسونية التصريح، وقالت أنه لا يحق للسفير أن يدلي بمثل ذلك. ومنها من اقترح سحب السفير.

ومن ذلك خطاب ألقاه ترومان نائب رئيس الجمهورية الأميركية. وقد جاء فيه أن المصلحة تقضي أن يتكاشف الروس والسكسونيون تكاشفاً صريحاً في الأهداف والغايات، وأن يكون تفاهماً بينهما على ضمان حرية العالم ودوله داخلياً وخارجياً وفردياً. وإن هذا إذا لم يتم الآن فلن يلبث العالم أن ينغمر في حرب عالمية ثالثة عقب انتهاء هذه الحرب. ومن ذلك تصريح لأحد كبار أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي، جاء فيه أن الأميركيين إذا كانوا يعتقدون اليوم أنهم فائزون في هذه الحرب فإنهم مرتابون في حصول العالم على سلم وطيد الأساس ضامن للحقوق والحريات الخاصة والعامة. وإن كسب الحرب فقط ليس هو المهم، ولكن المهم هو كسب السلم.

ولقد كان لكل من هذه التصريحات مدى وأثر في أفكار العالم وصحافته وإذاعاته، ودلت على أنه يوجد بين روسية وأميركا تشاد وخلافات ونقاط غامضة تبعث على القلق بالنسبة لأهداف الحرب وبعدها.. والراجح أن دعايات الألمان وحملاتهم الشديدة على الشيوعية وأهدافها ومحاولتها إثارة الخوف في العالم من ذلك، كانت ذات أثر في صدور هذه التصريحات...

ومن الغريب أن الروس لم ينبسوا ببنت شفة إلى

الآن تجاه كل ما قيل ونشر وأذيع. وظلوا يحافظون على سكوتهم الذي التزموه منذ مؤتمري الدار البيضاء وأضنه. وهذا السكوت يزيد الموقف خطورة وغموضاً. ولقد نشطت الدعاية المحورية، فأخذت تنشر وتذيع أن هناك خلافات ومشادات عظيمة بين السكسونيين والبلاشفة، وأن عدم اشتراك البلاشفة في ما يعقد من مؤتمرات ويدور من أبحاث من أقوى البراهين على ما يبيتون من نيات. ولقد قال بعض المعلقين الترك أن قلق أميركا قد زاد خاصة في صدد ما جرى من تشاد وجدل حول حدود بولونيا المقبلة، حيث رأى الأميركيون في دعوى البلاشفة في أراضي بولونيا علائم المطامع الإستعمارية والمقاصد التحكمية.

5 ـ رحلة إيدن إلى واشنطن ومداها وتعليقات عليها:

من أهم الأحداث السياسية التي أثارت الأفكار والأنظار في هذه الفترة رحلة إيدن إلى واشنطن، وما كان حولها من تعليقات أسبغت عليها خطورة، حتى قالت جريدة نيويورك تايمس أن لهذه الرحلة علاقة عظيمة في سلام العالم كله بعد الحرب خاصة. ومما نشر فيما نشر أن هناك عدم تطابق واتفاق صريحين على أهداف الحرب وبعدها بين أمريكا وبريطانية أولاً، وبين السكسونيين والبلاشفة ثانياً. وأن التشاد مايزال قائماً بين ديغول وجيرو، وأن مؤتمر الدار البيضاء لم يحل إلا المسائل العسكرية المهمة. وأن المسائل السياسية المتنوعة قد تركت لمباحثات تجري في واشنطن، وان رحلة أيدن في سبيل كل ذلك.

ومما نشر أن وزير الخارجية الروسية مولوتوف أبدى رغبة في زيارة لندن لبحث بعض الأمور، فأجيب بأن تشرشل مريض وأن إيدن مضطر إلى السفر إلى واشنطن. وعلق المعلقون على هذا أن من المحتمل أن يكون إيدن ذهب إلى واشنطن للتفاهم مع أميركا قبل الدخول في مفاوضات مع روسية ليضمن التطابق بين بريطانية وأميركا. وعلى كل حال فإن لهذه الرحلة علاقة بأمور ونواحٍ عديدة، وتدل على أن هناك أموراً خطيرة ماتزال معقدة بين الحلفاء الكبار. وقد يقال إن في الرحلة عنصر دعاية بقصد إدخال قناعة في أذهان العالم بتحقيق النصر للحلفاء، وكونهم صاروا يبحثون نتيجة لذلك في أمور ما بعد الحرب لشد الأعصاب. وقد يكون هذا وارداً أيضاً، مع القول إن أمل الحلفاء في النصر اليوم هو أقوى منه فيما مضى حقاً، وهذا مستند إلى الوقائع وإلى سعة الإنتاج الحربي. ولذلك فإن اهتمامهم لبحث أمور ما بعد الحرب قائم على حقيقة أيضاً.

6 ـ تصريحات مثيرة لغوبلز حول النازية وحول ما بعد الحرب:

منذ ثلاثة أيام أدلى غوبلز بتصريحات للصحفيين الأجانب ذات خطورة، ولها علاقة بما يدور ويبدو من نشاط الدعايات. وقد جاء فيها أن النظام النازي ليس بضاعة للتصدير، وأن كل ما تتوخاه ألمانيا هو تنظيم أوروبا تنظيماً اقتصادياً يحررها من الحاجة إلى الغير، ويمنع ألاعيب التوازن السياسي التي تلعبها بريطانية منذ زمن بعيد. وما عدا ذلك فإن كل دولة وكل أمة حرّة في النظام الذي تريده لنفسها، ولكل أمة ودولة حياتها وحقوقها، وحقوق الأفراد مصونة. صيانة تامة، وما هو قائم اليوم من أنظمة وتدابير عسكرية شديدة في البلاد المحتلة ليس إلا ضرورة من ضرورات الحرب. والعدو

الأول للألمان هو الشيوعية وليس بريطانية . .

ويلحظ أن هذه التصريحات أصرح ما صدر من المقامات الرسمية الألمانية في صدد نيات المانيا بعد الحرب. ولقد صدر عنهم سابقاً تصريحات ولكنها كانت غامضة مبهمة فيها مجال واسع للتأويل والقلق، واتخذها السكسونيون وأنصارهم وسيلة للدعاية والتحريض والتخويف. وتصريحات غوبلز هذه شبيهة بتصريح موسكو عن الشيوعية إزاء الأمم والبلاد الأخرى الذي ذكرناه في أسبوعية سابقة. ولا شك في أن عنصر الدعاية قوي في كلا التصريحين، وفي أنهما صدرا بتأثير الظروف وما طرأ على أقطار العالم من قلق، وما بثه النازيون من دعاية وتخويف من الشيوعية. وما بثه السكسونيون من دعاية وتخويف من النازيين ومطامعهم. ولن يكون لهذه التصريحات فيما نعتقد جدوى في ما سوف يسير عليه المنتصرون بعد الحرب، سواء أكانوا الألمان أم الروس، وهذا هو نفس اعتقادنا في ما صدر ويصدر من السكسونيين من دعايات وتطمينات، وكل ما يمكن أن يكون تغير الأساليب حسب تغير الأفكار والظروف. ولعل غوبلز قد استهدف بتصريحاته الموقف السياسي في العالم، وما ثار حول مطامع وأهداف الشيوعية في أميركا، وما هو دائر من مفاوضات فيها. ولقد علق الكاتب التركي حسين جاهد يالشين على تصريحات (غوبلز) مفنداً مكذبا. وذكّر بما احتواه كتاب كفاحي لهتلر من الأسس العنصرية، وكون الألمان هم الذين يجب أن يتحكموا في العالم. وذكّر بما صدر عن غوبلز من تصريحات سابقة مؤيدة لأفكار ومطامح هتلر، وحاول إبراز الدعاية في هذه التصريحات رغم ما بينها وبين سابقاتها من تناقض.

وبمناسبة ذكر حسين جاهد، نقول أن كتاباته ضد المحور قوية صريحة تثير التعجب والإستغراب. وربما لا يمكن أن يكتب أشد منها تجريحاً وتحاملاً في صحف السكسونيين وحلفائهم. فهو يفند ويزيف كل ما يصدر عن المحور، وكل ما هو لصالحه. ويعضد ويقوي كل ما يكتب ويقال ضده، وكتاباته في صدد السكسونيين عكس ذلك تماما. ويلمح بقوة الهوى والغرض في كتاباته ضد المحور ولجانب السكسونيين، وليس في الصحف التركية من يقف مثل هذا الموقف مع المحور قط. وجريدتا الجمهورية وتصوير أفكار، اللتان تميلان مع المحور مثلاً، تكتبان ما تكتبانه بكل تحفظ واحتياط. وهما تحاولان في ما تكتبانه توضيح الحقائق وإبراز المغالطات والدعوة إلى المقايسة وإظهار التساوي في التناقض أو الخداع في الدعاية. وبهذه المناسبة أيضاً نقول إنه جرى بين حسين جاهد وبين الجنرال التركي المتقاعد إيركلن ، الذي ينشر في الجمهورية مقالات وتعليقات عسكرية حول أحداث الحرب، جدال ونقاش بسبب كلمة وردت في خطاب لغوبلز ألقاه وأشرنا إليه في أسبوعية سابقة. فغوبلز قال إن على أوروبا أن تختار بين الدفاع العسكري الألماني وبين الخضوع للشيوعية وانتشارها في أوروبا. فمطط حسين جاهد العبارة حتى أبرزها. وكأن الألمان يصرحون بأنهم عازمون على حكم أوروبا بعد الحرب حكماً عسكرياً، فكتب الجنرال مقالا فيه نقد للاستنتاج، فكانت المناظرة بين الكاتبين. وحسين جاهد يعرف حتماً أن ما أراده غوبلز هو تحريض شعوب أوروبا على البقاء مع الألمان، والمجهود الحربي القائم، لكون الألمان إذا انقضت قوتهم الدفاعية عن ألمانيا بسبب عدم تعضيد أوروبا

لهم في الموقف، فيكون مصيرها حكم البلاشفة والإرتكاس في الشيوعية. بل لقد قال هذا في إحدى مقالاته، إن الألمان لا يطلبونه بصراحة من أوروبا. ثم رجع إلى المغالطة والقول أن الألمان يخيرون أوروبا بين الشيوعية والحماية العسكرية الألمانية. واليوم قرأنا تصريحاً لأحد كبار رجال الألمان، ينفي فيها كون الألمان يعتبرون أنفسهم أنهم أصحاب الحق في حكم العالم، وينكرون على غيرهم الحريات الإجتماعية والسياسية والشخصية. ويقول فيها أن هذا هو ما يسير وراءه السكسونيون بأسلوبهم في نهب العالم والتمتع بخيراته وحدهم. ومهما يكن من أمر فظروف العالم الآن تفتح المجال لدعايات واسعة لتقوية أعصاب الشعوب أو إضعافها حسب مصدر الدعاية.

7 ـ أخبار الجبهات ونشاط الألمان:

1) الجبهة الروسية: أما أخبار الحرب فإن الألمان قد كروا بقوة في المنطقة الجنوبية من الجبهة الروسية فاستردوا خركوف، وهم الآن يهددون روستوف، فإذا نجحوا في استردادها فيكونون قد أصلحوا خطتهم وقووا مركزهم في هذا القسم.

أما في المركز والشمال، فلا يزال الروس هم الزاحفون، وما يزالون يستولون على مراكز مهمة جدا. ومع ذلك فإن الظواهر تدل على أن الألمان أخذوا في جمع شملهم وفي إبداء نشاط وعناد ويحسب الخبراء أن الروس لن يلبثوا أن يتوقفوا في زحفهم، وأن ينتقل الألمان إلى الهجوم، لأن الشتاء أوشك أن ينتهي.

2) الجبهة التونسية: وليس في جبهة تونس إلا حركات محلية، والطرفان يستعدان لمعركة حامية قريبة.

وقد أعلن الألمان أنهم أغرقوا في نصف شهر مارس الأول ما حمولته نصف مليون طن من البواخر. وهذا يدل على أن خطر الغواصات على السكسونيين ما يزال على أشده.

وقد أذاعت المصادر السكسونية أن قواتهم أغرقت في هذا الشهر عدداً كبيراً من غواصات الألمان، وأنهم بسبيل تخفيف هذا الخطر.

3) الجبهة اليابانية: واليابان يبدون نشاطاً في البحر وفي الصين في هذه الفترة. ولم تكد قافلتهم إلى كينية الجديدة تغرق، حتى هيأوا قافلة أخرى قيل أنها تستهدف أوستراليا. ومعنى هذا أن العزم الياباني ما يزال قوياً بالرغم عن ما ملأ السكسونيون الدنيا بدعايتهم حين ضربوا قافلة اليابانيين وصوروا ضربتهم ضربة قاصمة.. وقد استطاع اليابانيون أن يحرزوا انتصارات جديدة في الصين بالتعاون مع حكومة الصين الضالعة معهم، والتي يقود المارشال الصيني ما تحت قيادته من قوات ضدها. ويبذل السكسونيون جهداً عظيماً في تهيئة الوسائل وفتح الطرق ولإيصال المدد إليه، ويعلنون أنهم سيحققون قريباً هذا الهدف الذي سيكون بعده الضربات القاصمة على بلاد اليابانيين نفسها.

8 ـ تصريح لرئيس الحكومة التركية في صدد سياسة تركية نحو بلاد العرب:

قرأنا أمس في الصحف التركية تصريحات لرئيس الوزارة التركية لمندوب الوكالة العربية في شأن البلاد العربية، جاء فيها أن الحكومة التركية تنظر وهي مشبعة بحسن النية إلى التقدم

الاقتصادي والثقافي في البلاد العربية بعين الاغتباط، وهي مستعدة لكل تشجيع وتشويق في هذه المجالات، وأن سياستها نحو هذه البلاد متطابقة مع السياسة الإنكليزية. والمتبادر أن هذه التصريحات كانت جواباً على سؤال وجه لرئيس الوزارة في مناسبة تصريحات إيدن في صدد الوحدة الثقافية والاقتصادية والسياسية بين العرب، على أن تكون الخطوة الأولى منهم... ونرجو أن تكون هذه التصريحات صادقة قلباً وقالباً.

***

بعونه تعالى

انتهى الجزء الحادي عشر

ويليه الجزء الثاني عشر

سبعة وتسعون عاماً في الحياة

1305 ـ 1404هـ / 1887 ـ 1984م

مذكرات وتسجيلات

محمد عزة دروزة

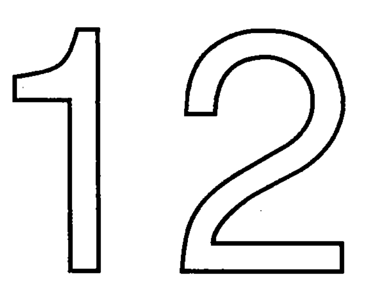

الاحداث العامة والخاصة، الحربية والسياسية
والعالمية والعربية والعلاقات
والاتصالات العربية مع دول المحور
(المانيا ـ ايطاليا) أثناء هجرتنا في تركية

20 مارس 1943 ـ 9 ربيع الأول 1362
18 أيلول 1943 ـ رمضان 1362

الجـزء الثاني عشر

يوم السبت 20 مارس 1943
9 ربيع الأول 1362:

1 ـ اعتقال زعماء هنود والحالة في الهند وموقف الهنود والإنكليز:

قرأنا في الصحف أن الحكومة الإنكليزية اعتقلت من جديد عدداً من زعماء الهند منهم السردار رئيس الجناح المتطرف في المؤتمر الهندي. وأن الزعيم الهندي بوز أذاع بياناً شديداً حمل فيه على تصرف وتعنت إنكلترة، وأحدث تأثيراً عظيماً في الأفكار. والمتبادر أن السلطات لم تقدم على ما أقدمت عليه من اعتقالات في هذا الظرف الحرج إلا لتلافي ما هو أحرج، وبعبارة أخرى لولا أنها شعرت بحركات ثورية توشك أن تظهر. وهذا يصور شدة الحرج الذي وصلت إليه حالة الهند. ولقد قرأنا اليوم أن صداماً دموياً وقع بين القوات الإنكليزية وقبائل بشاور. وأن نزاعاً دموياً نشب في بعض المصانع الهندية. وليس بعيداً أن يكون هذا وذاك طلائع لحركات شديدة قد تقع في الهند في هذه الأيام نتيجة لتبوتر الحالة وتأزمها.

ولقد كانت الحالة في الهند من أجل ذلك الشغل الشاغل للحكومة البريطانية والشعب البريطاني في هذا الأسبوع. فمن جهة أذاع نائب الملك الحاكم العام نداء يطمئن فيه الهنود بحل قضيتهم حلاً مرضياً في القريب العاجل، ويدعوهم إلى الإستعداد للتعاون الوثيق مع بريطانية والدفاع عن بلادهم ومقاومة الغزوة الأجنبية المحتملة، وهذا مضحك، لأنه يخوفهم من تحكم اليابانيين ومطامعهم الآتية وهم يعانون أشد العناء من تحكم البريطانيين ومظالمهم الراهنة، ومن جهة أذاعت الحكومة البريطانية بياناً ذكرت فيه أن الوزير كريبس ـ الشيوعي ـ سافر إلى الهند مزوداً بالصلاحيات الكافية للتفاهم مع مختلف هيئات وطبقات الهنود على حل نهائي للقضية على أساس المساواة مع حكومات الدومينيون وبريطانية حالاً، وأنها وضعت الخطة لذلك، ولكن ستبقيها سرية لئلا يفسدها الأعداء بدعاياتهم ودسائسهم، وأنها كانت وما تزال تريد حل القضية. ولكن الاختلافات بين الهنود وأقلياتهم وأكثرياتهم، والعهد الذي أخذته على عاتقها بضمانة حقوق الأقليات ورفاههم، كانت تجعل الوصول إلى حل حاسم نهائي بسرعة متعذراً، وأنها ما زالت ترى موافقة الأقليات الإسلامية والمنبوذين شرطاً رئيسياً في الحل. وأنها تخشى فيما تخشاه أن يكون في الخطوة السريعة التي تريدها الأكثرية الهندية ضرراً أكثر من النفع.

ومهما يكن من أمر، فإن قضية الهند أصبحت من أهم ما يشغل بريطانية الآن. ويظهر أن كريبس تطوع لحمل مهمة الحل إعتماداً على ما يجمع بينه وبين نهرو والزعيم الهندي من وحدة المبدأ الاشتراكي والصداقة الشخصية، ولكن الشكوك قوية في صدد إمكان الوصول إلى حل مرضٍ للأقليات والأكثريات معاً، وفي صدد التأخر في هذه الخطوة إلى درجة تفقدها فائدتها وجديتها، حتى في حال هذا الإمكان.

وقد نشرت الصحف التركية تصريحاً لغاندي يقول فيه بصراحة أنه بالرغم عن ميله لبريطانية، فإن بريطانية الإستعمارية قد ارتكبت في حق الهند جنايات لا تغتفر، وأنه لا يرى في الأفق ما

يسمح له بالقول أنها جادة ومخلصة فيما تزعمه من الرغبة في حل مشكلة الهند حلاً يرضاه الهنود.

ومن الطريف أن المصادر المحورية علقت على مهمة كريبس قائلة أن شرشل أقنعه بالاضطلاع بمهمة حل هذه المسألة المعقدة تميهداً للخلاص منه، بعد أن وصل بروزه إلى درجة عالية. وأنه قانع بفشله، وحينئذ يضيع البريق والبروز اللذين كسبهما إسمه. وفي بيان الحكومة البريطانية عبارة لافتة للنظر في هذا الصدد، وهي الإشارة إلى أن كريبس أخذ المهمة على عاتقه بمحض رغبته وطلبه، وقد يفيد ذلك أن هناك من قال أو يمكن أن يقول أن شرشل حمَّل كريبس مهمة صعبة معقدة، فأريد بالعبارة المذكورة سد الباب أمام هذا القول. وقد يلهم هذا أن بين شرشل وكريبس تنافس، وأن شرشل يريد تعقيد طريق الثاني، وأنه هذا معروف في أوساط لندن.

2 ـ اشتداد الفكرة الشيوعية في بريطانية ومدى ذلك:

وبمناسبة ذكر كريبس وبروزه نقول إن الصحف تشير إلى أن الدعاية الشيوعية أو الاشتراكية أخذت تشتد في بريطانية في الحقبة الأخيرة، وأن الأصوات المطالبة بالمساواة في المعيشة بين الأغنياء والعمال ووجوب زوال الفوارق العظيمة وتحديد وسائل الترف والبذخ في المنتزهات والمسارح والمراقص والسيارات أخذت ترتفع بقوة. . ومما يقال إن هذه الحركة تنظم وتعاضد من كريبس. ولسنا نشك في أنها سوف تشتد، لأن العمال والفقراء الذين هم الأكثرية الكبرى يكتوون بالدرجة الأولى بنار ما أخذ يضيق من أسباب المعيشة، ويكونون والحالة هذه مستعدين للاستجابة إلى الدعاية الإشتراكية.

3 ـ أخبار عن الحالة في بلاد الشرق العربي والحركات الحربية المتوقعة فيه:

نشرت الصحف أخباراً مهمة في هذه الفترة عن الموقف في الشرق الأدنى (بلاد العرب، الشام والعراق ومصر) والحركات الحربية فيه. ومما نشرته أن هتلر استدعى الجنرال رومل إلى برلين للبحث في الموقف وحركات الشرق الأدنى، والملحقون العسكريون المحوريون في دول البلقان وتركية قد اجتمعوا في البلقان، وقيل أن ملحق اليابان أيضاً كان معهم. وقد حشدت قوات محورية غير قليلة في جزر اليونان وكريت. وقيل فيما قيل أن من المحتمل أن يكون ذلك للإستعداد لغزو سواحل سورية والإنزال فيها براً وجواً. نسجل هذا اقتباساً مما قرأناه، ونسجل إلى جانبه أن الحركات في جبهة ليبية شبه متوقفة، وأن الخبراء العسكريين يرجحون أن الموقف الحاضر سيظل على حاله إلى الخريف، حتى يكون انكشف نهائياً مدى الهجوم العظيم في الجبهة الروسية. ومع ذلك فإن إذاعة أنقرة وصحف يوم الأحد التركية ذكرت احتمال نشوب معارك طاحنة في جبهة ليبية في الأيام القريبة، نظراً لما يبدو من استعداد الطرفين العظيم، ونحن مترقبون.

4 ـ أزمة وزارية في إيران ومداها وتعليق عليها:

كان في إيران أزمة وزارية لمدة طويلة، ثم

تـألفت وزارة جديـدة في هذين اليـومين، وقد أذاعت بعض الإذاعـات والصحف التـركيـة والأوروبية أخباراً عظيمة الشأن عن ما يجري في إيران، ومن ذلك أن الجيش الروسي زحف على أذربيجان الإيرانيـة واحتلها وأعلن ضمهـا إلى أذربيجان الروسية، وأن الشاه الشاب قد غـادر بلاده، وأن الشيوعيون يرتكبـون مظالم فـظيعة قاسية، وأن الأزمة الوزارية كانت بسبب ذلك. . وقد أذيع من لندن برقية فيها على ما يبدو قصد التغـطية والتبـريـر، فقـالت عن احتـلال وضم أذربيجان الإيرانية، أن الأمر لا يعدو أن يكون عمليات اقتضاها الموقف الحربي، ووقع وفقاً للمعاهدة الموقعة بين إيران والروس والإنكليز، وقالت عن مغادرة الشاه البلاد إن هذا الخبر لم يتأيد إلى الآن. ولقد ذكر مع خبر مغادرة الشاه أن الملكة سافرت إلى مصر، فقالت برقية لندن عن هـذا الخبـر أن الملكـة هي أخت الملك فاروق، وأنها ذهبت للزيـارة وحسب، وبرقيـة لندن غريبة. فليس من المعقول أن تفهم لندن أن الشاه في إيران أو غادرها، وأن الحالة بالنسبة إليه طبيعية أو غير طبيعية. وقد كتب يونس نادي في جريدة الجمهورية تعليقاً على هذه الأخبار، وقال فيما قال أنه لا بد من أن يكون في إيران وفي أمر الشاه خاصة أمور فوق العـادة تحاول لندن التكتم عليها. . . ومما لا شك فيه أن الشاه الشاب مجروح مما كان من معاملة تجاه والده، ومجروح مما أصاب بلاده من احتلال وما يقع فيها من تصرفات قاسية. ومن المحتمل كثيراً أن يكـون أبدى تـذمره، وحـاول أن يقف مواقف منـاوئة لـرغبات الـروس والإنكليـز معـاً. ومن المحتمـل أن يكـون هؤلاء وقفـوا منـه مـوقف الشدة، وأنهم بسبيل تـدبير ضـده وضد نـظام الحكم، أو من المحتمل أن يكون مختفيـاً أو معتقـلاً أو معتـزلاً بسبب، وأن تكـون الأزمـة الوزارية استمرت مدة طويلة. والأخبار تذكر أن حل الأزمة كان بتدخـل من المجلس النيابي، وأنـه هو الـذي كلف السهيلي بتأليف الـوزارة ومنحه الثقة بأكثرية كبيرة. ولهـذا مغزى وفيـه تأييد ما لما قلنا.

ومما ذكرتـه المصادر الإنكليـزية في صـدد الأزمـة أن الرئيس السـابق (فـروغي خـان) لم يستـطع أن يقضي على عصاة متمـردين، ولم يستطع أن يحل أزمة الإعاشة والتموين، وأن أمر العصاة قد استفحـل حتى وقع كـأنه من قـواد الجيش الكبـار فعلاً في إحـدى المصادمـات. وكل هذا على كل حال يدل على أن في إيران هياج وحركات وتذمرات وثورة مسلحـة، ولعل كـل هذا هـو الذي جعـل الـروس يتصـرفـون تصرفات قمعية شديدة أيضاً. . . وقد كنا أشرنا في أسبوعية سابقة إلى ما أذيع من رغبة الإنكليز في سحب كتائبهم العسكرية من إيران بل ومن العراق، لاضطرارهم إلى حشد قوات كبيرة في الهند، وحلول الجيش الروسي في إيران محل كتائبهم. فلعل هذه الحركات قد كانت بسبيل تنفيذ هذه الخـطة. ومهما يكن من أمـر، فإن للإيرانيين الحق بأن يسخطوا وأن يثوروا، لأن الـروس والإنكليز معـاً أخلوا بعهدهم بـاحترام استقلال إيران ووحدتها، بل وكان من الروس وربمـا من الإنكليز أيضـاً تصرفـات ودسـائس أثارت مخاوفهم وتذمرهم وثورتهم. . . وفي هٰذا الـذي وقع من الـروس والإنكليـز من إخـلال بالعهد لإيران، أسوأ مثل على ما يبيتـونه ضـد الشعوب الضعيفة التي يجندونها لجانبهم بمثل هذه الوعود ويخوفونها من طغيان الألمان الآتي. وهو ما فعله الإنكليز والإفرنسيون بعد الحـرب

العالمية الثانية. ومن الغريب أن يكون ذلك منهم ولم تنته الحرب بعد.

5 ـ ما بين الروس والإنكليز من خلاف في نتائج الحرب وبعدها:

ومما له صلة بهذا المعنى، ما يقال عن خلاف مستتر بين الروس والإنكليز. فالفريقان ما يزالان غير متفاهمين على نتائج الحرب، والإنكليز يظهرون تمسكهم بميثاق الأتلانتيك الذي اتفق عليه روزفلت وشرشل، وتابعتهما دول أخرى، فأعلنت انضمامها إليه على ما ذكرناه قبل، وفيه عهد بعدم حق دولة بالتوسع والتدخل في أرض وشؤون دولة أخرى، والروس يريدون أن يحققوا مطامع توسعية لهم في دول البلطيق والبواغيز وإيران وخليج البصرة وأوروبا الشرقية. ولقد أشار كريبس إلى هذا الخلاف، وطالب فيما طالب التفاهم الصريح بين إنكلترة وروسيا على نتائج الحرب، حتى لا يظل أي تردد في نفوس الروس في التعاون والتضامن بينهم وبين السكسونيين، وحتى لا يظل أي سبب للخلاف والنزاع في أثناء الحرب وبعدها. وكانت الصحف السكسونية تردد ذلك وتشير إلى ما في أذهان البلاشفة من مطامع وتطلعات توسعية، وما يدور في أذهان الإنكليز من مخاوف. ولقد استغلت الدعاية المحورية وما تزال هذه المطامع، وأخذت تثير المخاوف من الشيوعية وتؤلب العالم عليها. وفي نفس الوقت تذكر من نكث وغدر بريطانية أيضاً... وتركية من أهم مواضع هذا الخوف أو التخويف والتأليب، لأن بواغيزها وأراضيها الشرقية داخلة في نطاق المطامع الشيوعية التوسعية.. ولعل الأخبار المذاعة عن حركات الجيش الروسي في إيران مما يزيد في توجس الترك وخوفهم أيضاً. ويبدو من هذا أن ستالين وزمرته لا يقلون ملاحقة في تحقيق المطامع الروسية التقليدية في العهد القيصري.

6 ـ مداهمة السلطات التركية دار القنصلية الروسية في الآستانة لتفتيشها ومداه:

مما بلغنا أن السلطات التركية في الآستانة داهمت في هذا الأسبوع دار القنصلية الروسية بحجة التحري عن عملية القنبلة المقذوفة على السفير الألماني (فون باين) في أنقره، وأنها اعتقلت شخصين روسيين لهما علاقة بالعملية وصادرت بعض الوثائق. وأن السفير الروسي احتج على هذا العمل، وغادر تركيا احتجاجاً. ولم تشر الصحف إلى شيء من ذلك، ولا ندري مدى صحة ما بلغنا. ويعلق البعض أهمية على هذا الحادث، والذي نظنه أنه لن يتطور تطوراً خطيراً إلا إذا كان في الخفاء شيء كان هذا العمل طليعة أو سبباً له. ولا بد من أن لدى السلطات التركية أساس ووثائق قوية سمحت لها بالعمل، ولا بد من أن ذلك سيفحم روسيا ويجعلها لا تتوسع في إسباغ خطورة على العمل إذا لم يكن كما قلنا شيء في الخفاء.

ونذكر بهذه المناسبة أن الصحف التركية كانت نشرت برقيات من برلين على مدى أيام متوالية، جاء فيها أن الحكومة الألمانية استدعت سفيرها للاستيضاح، وأن السفير يستعد للسفر، وأنه سيسافر في هذا الأسبوع. فهذا الإهتمام التركي بسفير ألمانيا وسفره الآن بعد حادث القنبلة وبعد حادث احتجاج السفير الروسي

ومغـادرته، فـإن صحت لا يخلو من شيء قـد تكشفه الأيام الآتية . .

7 ـ اكتشاف خزائن حديدية مدفونة في جدران سوق مهجور في تركية :

من غرائب حوادث هذه الفترة في الأستـانة اكتشاف خزائن حديديـة في جدران دكـان في السوق التجاري المسمى (مصر شارجه سى = سوق مصر) الواقع قرب الجسر. فهذا السوق أو الخان قديم خرب، وقد استملكته بلدية الاستانة وشـرعت منذ أسـابيع في هـدمه تنفيـذاً لخطة عمرانية. ولما بلغ الهدم جدران الدكاكين أخذ يظهر في بعضها خزائن حديدية كانت موضوعة في الجدران ومغطاة بطبقة من الكلس، وقالت الصحف إن عـدد الخزائن المكتشفـة قـد بلغ خمسين، وأنه ربما يبلغ المائة. وراجع ملاكو السـوق والدكـاكين القديمـة البلديـة، وطلبـوا إعطاءهم الخزائن على اعتبـار أنها كـانت في ملكهم. وأن البيع إنما وقـع على البناء فقط. ودرست البلدية القضية من الوجهة القـانونيـة، وكانت الفتوى أن الخزانات أصبحت في ملك البلدية تبعاً للبناء، لأن البائعين لا يعرفون شيئاً عنها حتى تصبح دعواهم بملكيتها صحيحـة. ولم تفتـح الخـزائن بعـد، وخمنت الصحف احتمال وجود أموال ومجوهرات ذات قيمة فيها. والراجح أنها كانت لمستأجري الدكاكين في دور من الأدوار في زمن الدولة العثمانية، وأنهم كانوا غير أتراك وغير مسلمين، وأنهم كانوا في ظرف خـوف وحرج فـوضعوا مـا يملكـون من نقـود ومجوهرات في الخزائن وكلّسوا عليها الجدران حتى لا تتعـرض للمصادرة. ثم اضـطروا الى مغادرة الأستانة وماتوا ومات سر خزائنهم معهم. ولعلهم من الأرمن أو اليونان أو اليهـود. ولعل ذلـك كان في أثنـاء الحـرب العـالميـة الأولى وعقبها، حيث تعرض الأرمن واليونانيون للخطر في أثناء ذلك، وفر كثير منهم قبل أن يقع فيما وقع فيه أبناء جنسهم في أماكن أخرى.

وهذه العملية مـألوفـة وواقعة في كـل وقت ومكان في الظروف الخطرة الحرجة التي يخشى فيها الغصب والمصادرة. وما يكشف في الأبنية القديمة أو أرضياتها من آن لآخر من أوان مدفونة فيها عملة ذهبية وفضية ومجوهرات إنما هو من هذا القبيل.

ونحن نعرف حادثة مثل هذه في نابلس في أثنـاء الحرب العـالمية الأولى، فـإن السلطات التركية كانت تهتم لتداول الورق النقدي الذي كانت قيمته ساقطة، وكانت تطلب من التجـار أخذه وإعطاء قيمته ذهباً وفضة لتشتري بها من البـدو والفلاحين الحبـوب والدواب، لأنهم لا يـأخـذون ورقـاً، فتفننـوا في إخفـاء ذهبهم وفضتهم. ووضع حافظ طوقان وأخوه عبد الفتاح ما عندهم من ذهب في خزانة حديدية وفتحوا ثغرة في جدار إحدى غرف بيتهم وكلسوا عليها. ولقـد اعتقلت السلطات الأخ عبد الفتـاح لأنه اعتـذر عن إبدال الـذهب بـالـورق ونفتـه إلى الأنـاضول لأنـه ظل على اعتـذاره. واستـطاع الأخان على كل حال من إنقاذ ثروتهما . .

8 ـ زيادة أسعار الدخان في تركية واستمرار ارتفاع أسعار الحاجيات الغذائية وغيرها :

زادت الحكومة التركية في أسعـار الدخـان وفي المواد الانحصارية الأخرى 50٪، وفعلت كمـا فعلت حينمـا زادت سعـر السكـر، حيث

أحصت ما عند تجار هذه المواد من دخان ومشروبات وغير ذلك واستوفت منهم فرق السعر.

ونسجل في هذه المناسبة أن أسعار الحاجيات من مأكول وملبوس في تصاعد مستمر. وقد صار كيلو اللحم بمائة وخمسين قرشا، وكيلو السمن بمأتين وعشرين، والزيت بمائة وعشرين واللبن بمائة. وهذا يقال في مواد المعيشة الأخرى أو أكثرها، حيث ارتفعت الأسعار في ظرف الأشهر الثمانية عشر التي قضيناها في الآستانة بنسبة 25٪ و 200٪ و 100٪. وبدلة الصوف الإنكليزي اليوم بمائة وخمسين ليرة، وكانت قبل ستة أشهر بمائة أو أقل، وقبل بمائة وعشرين، وهذا ينطبق على القمصان وغيرها وغيرها. . كان الله في عون الفقراء ومتوسطي الحال.

9 ـ جولة لنا في حي بايزيد وشراء كتب عربية الحروف من حوانيتها

ذهبنا هذا الأسبوع إلى حوانيت الكتب العربية الحروف في محلة (بايزيد) واشترينا بعض الكتب. ومما اشتريناه كتاب مترجم عن اللغة الإنكليزية مؤلف منذ أكثر من ستين سنة لعالم مستشرق انكليزي اسمه (ونبورت) عن القرآن الكريم والنبي. وقد أثار الكتاب دهشتنا لأنه كتب بأسلوب دفاعي عن حياة النبي ومبادىء القرآن وسير التاريسخ الإسلامي السياسي والعلمي المدني ، بقوة لا تقل عن قوة عالم ضليع مستنير من المسلمين تجاه الغرب، وتفنيد للمتعصبين على الإسلام والقرآن وتاريخ الإسلام، وتحليل الأبحاث الدفاعية القوية ومقارنات بين الإسلام والنصرانية وبين سيرة المسلمين وسيرة النصارى أفراداً ودولاً ومبادىء، وينتهي بتفضيل الإسلام والمسلمين في كل ذلك، وخاصة في المقارنة بين حكم حكام المسلمين وحكام الإنكليز وخاصة في الهند. وفيه مختارات من القرآن تتضمن المبادىء الأخلاقية والاجتماعية والسياسية. وترجمه للتركية صديقنا عمر رضا الذي ذكرناه أكثر من مرة. وقد ذكر المترجم أن نسخ الكتاب الإنكليزية مفقودة، وأن الهيئات التبشيرية قد جمعتها وأبادتها. وهذا هو المعقول لأننا لم نسمع بهذا الكتاب الذي لم يكتب من نوعه أو لم نسمع بكتاب أجنبي من نوعه من كتب محبي الإسلام من المستشرقين. والكتاب مترجم إلى التركية منذ خمس عشرة سنة، ومن المؤسف أنه لم يترجم إلى العربية. وقد فكرنا في ترجمته ولو عن التركية، ونرجو أن نجد الوقت والقدرة على ذلك.

ومن الكتب التي اشتريناها كتاب (تاريخ عصر السعادة) وهو في ثمانية مجلدات كبيرة في تاريخ النبي والخلفاء الراشدين فقط. وهو مترجم عن الإنكليزية ومترجمه عمر رضا أيضا. والكتاب من تأليف الشيخ شبلي النعماني العالم الهندي المشهور وهو مترجم منذ عدة سنين، وهو مفصل جداً ومستقيم البحث وعميق النظر. وأشير فيه إلى ما اطلع عليه مؤلفه من الكتب الشرقية والغربية في صدد تأليفه. ومن المؤسف أنه لم يترجم للعربية، بل إنه لا يوجد في اللغة العربية كتاب بهذه السعة والتدقيق عن تاريخ النبي والخلفاء. ومن الكتب التي اشتريناها (نطق) مصطفى كمال الطويل المشهور، وقد طبع بالحروف العربية، وقد ألقاه على مدى أسبوع في مجلس النواب، شرح به تاريخ الحركة العثمانية والحرب التحريرية والخطوات

الإنقلابية الجريئة التي قام بها هذا الزعيم التركي العظيم، والمبادىء السياسية والإنقلابية التي رسمها وسار في تطبيقها اشواطه العظيمة، وقد احتوى الكتاب وثائق عديدة تعود إلى سير الحرب وسير الانقلاب وسير الحركة التحريرية والكمالية، وما كان بين الزعيم ومعارضيه من حوار ومشادات الخ الخ . . .

10 ـ الكتابة المنقوشة على باب جامع بايزيد ووصف جديد لهذا الجامع:

وقرأنا في زيارتنا هذه الكتابة المنقوشة على أحد أبواب جامع بايزيد عن إنشاء الجامع وهي باللغة العربية، وجاء فيها أنه بدىء بإنشائه سنة 906 وتم سنة 911 هجرية، ويعد الجامع من أقدم مساجد الآستانة، فضلاً عن أنه من أعظمها وأشهرها. ولم يقع نظرنا عن تاريخ إنشاء مسجد أو مؤسسة باللغة العربية غيره. ولا ندري هل كان بين رجال بايزيد رجال من العرب، أو هل كانت اللغة العربية رسمية أو شبه رسمية في عهده؟ وإسم السلطان في هذه الكتابة العربية (ابو يزيد)، والراجح أن الكاتب الدولي كتب ذلك تعبيراً عن اعتقاده أن هذا هو الأصل، والمراد بالتسمية التي صارت واشتهرت بكلمة (بايزيد) محرفة عن أبي يزيد.

11 ـ جامع نور عثمانية في هذا الحي وتعليق في صدده:

ومن المشاهد التي شاهدناها من جديد في جولتنا هذه جامع (نور عثمانية) في طريقنا إلى الباب العالي من ناحية بايزيد، وقد استرعى الجامع نظرنا كثيراً من حيث طرز بنائه. فهو على غير طراز المساجد، بل هو أقرب إلى طراز الكنائس، وجدرانه وأعمدته وسلالمه الرخامية تعطيك صورة كنائسية وبيزانسية معا. وقد قال لنا أحد رفاقنا من الأتراك أن المعروف أن مهندس هذا الجامع مسيحي يوناني، فهل تركت الحكومة التركية الحرية لهذا المهندس فرسم الجامع على هذا الطراز ونفذ ما رسمه. وهذا يبدو أنه الواقع على غرابته. . والجامع من أقدم مساجد الآستانة، ولم تقع عيننا على كتابة من الكتابات التقليدية التي تنقش على أبواب المساجد في الآستانة، ولم نعرف تاريخ إنشائه بالتالي. . . وقد تذكرنا بمناسبة زيارتنا لهذا الجامع أننا سمعنا باسمه من رفاقنا طلاب الآستانة، حيث كان نادي جمعية الإتحاد والترقي التي كانت تدير شؤون الدولة في العهد الدستوري قرب هذا الجامع، وصارت المنطقة تدعى باسمه إيضاً. . . وفي هذه الناحية مطابع ومكاتب وجرائد تصوير أفكار والجمهورية وغيرها من الصحف التركية. وقد رأينا البناء الذي كانت جمعية الاتحاد والترقي تتخذه نادياً لها فيها أيضاً.

12 ـ قبر خير الدين بارباروس:

والمناسبة تجر إلى تسجيل زيارتنا لضريح بارباروس خير الدين باشا في هذا الأسبوع، وهو القائد البحري المشهور في عهد الدولة العثمانية الزاهر، وفاتح الجزائر وغيرها في شمال أفريقية. والضريح في ناحية بشكطاش قريب من الشاطىء، وعليه قبة يظهر عليها القدم، وعلى باب القبة نقش اسم صاحب الضريح وتاريخ وفاته وهو (948) والقبة في

مقبرة قديمة لا تزال قبورها او بعض قبورها قائمة ومنها قبور رجال من البحرية العثمانية القدماء زملاء أو جنود أو ضباط خير الدين، وفيها قبر بنت خير الدين. وفيها قبر تاريخه (911) أي بعد فتح الآستانة بسنتين، فتكون المقبرة والحالة هذه من أقدم المقابر الإسلامية. والسلطات البلدية مهتمة الآن لتنظيم ساحة قبة ومقبرة القائد البحري العظيم وتجميلها. وقيل لنا إن الملك إدوارد الثامن الإنكليزي حينما زار الآستانة في عهد مصطفى كمال، طلب أن يرى قبر القائد، وكان حول القبة أبنية رثة وطرق قذرة، فأمر الغازي بالهدم والتنظيم باقصى سرعة حتى صلحت للزيارة. ومنذ ذلك العهد صارت السلطات تقيم حفلة سنوية تذكارية لوفاته، وتهتم لقبته وساحتها تنظيماً وتجميلا.

13 ـ وصف لقصر ضولمه باغجة وقصر ييلديز:

وقبل الوصول إلى قبة خير الدين بقليل يقوم قصر ضولمه باغجة العظيم على شاطىء البحر، وهذا القصر أعظم قصور الأستانة الملوكية من دون ريب، ويمتد امتداداً عجيباً، وعليه أسوار مرتفعة، وفي الساحة بنايات فخمة عديدة يتألف منها القصر، وفي السور مداخل وأبواب عديدة منها ما هو عظيم وفخم معا. وحينما يأتي رئيس الجمهورية إلى الآستانة ينزل في إحدى بنايات هذا القصر. وقد جعلت بعض بناياته متاحف للرسوم والتماثيل، وبعضها جعلت مدارس. ومن هذه المدارس كلية الآداب والفنون الجميلة. وقد زرعت فيه أشجار صارت ضخمة، وجعل على شاطىء البحر منه شرفات للجلوس يؤمها الناس، وقد اعجبت بهذا القصر ومناظره، فكان من اكثر ما ترددت عليه من منشآت ومنازه الآستانة.

وعلى ذكر هذا القصر أذكر أن قصر ييلديز المشهور الذي كان مقام السلطان عبد الحميد الثاني المشهور في هذا السمت أيضا. وهو قائم على هضبة عظيمة من ناحية البحر، وقد زرناه لأنه كان يشغل في ذهننا حيزاً عظيماً لما كان له من أهمية في أجواء الدولة العثمانية وأجواء العالم الإسلامي في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، الذي كان شديد الحرص على الدعاية لخلافته وتركيز أهميتها... وكانت ساحاته وحدائقه حينما زرته مهملة قذرة. والبناء نفسه ليس بالضخامة والفخامة التي كنا نتصورها، وقصر ضولمه باغجه أعظم منه وأروع وأفخم. وهو مؤلف مثله من بنايات عديدة، وقد اتخذ عدد منها كمدارس. ولقد قيل لنا أن حدائقه واسعة عظيمة، ولكنا لم نشهد هذه السعة والعظمة، ولعل الإهمال أثر في المشهد. وننبه على أن سلطات البلدية وضعت يدها على الحدائق وأخذت تهتم لجعلها حدائق نباتات وحيوانات عامة على طراز ما في القاهرة.

***

الخميس 25/3/1943 :

1 ـ خطاب لهتلر في يوم ذكرى الشهداء الألمان ومداه :

في هـذا الأسبوع خـطب هتلر في مناسبة ذكرى شهداء ألمانيا السنوية، وقال أن الجيش الروسي سيباد في هذه السنة، وكرر يقينه بكسب الحـرب، وأشاد بـانتصارات اليـابان وأعمـالها الجبارة وما أنزلته من ضـربات بـالسكسونيين. ووجه اللوم والنقد إلى رجال السياسة الإنكليز والأميركان، وحملهم مسؤوليـة هـذه الحـرب ومسؤولية الحرب السابقة. وقد اعترف بما كان من هول وشدة شتاء سنة 1942، وبما قاساه الألمان من محنة شاقة. ولكنه قال أن العدو كان يظن أن تكون عاقبة الألمان من شتاء روسية كما كان من عاقبة نابوليون، ولكن الألمان صمدوا وثبتوا في هذه المحنة القاسية. وهذا يدل على ما كان من هول هذا الشتاء وآثاره في نفس هتلر والجيش الألماني.

2 ـ خطاب لسفيري روسية وبريطانية في واشنطون في صدد الموقف الحربي ومداهما :

وخطب في هذا الأسبوع كل من سفير روسية لينتوف وسفير بريطانيا هاليفـاكس في أميركـا. وقد ضرب الأول على نغمة خطابه السابق الذي ذكرناه في أسبوعية سابقة، وكان قوياً وجريئاً في كلامه وتذكيره، ومما قاله أنه يخشى أن يكون الحلفاء بعيدين عن طريق النصر النهائي بقدر ما يبدو منهم من أمل في كسب الحرب. وأنهم إذا ظلوا جـامدين كمـا هو حـالهم إزاء الحركـات الحربية القائمة يكونون قد مهدوا للعـدو سبيل الفـوز عليهم واحد بعـد آخر، (وهـو يقصـد جمـودهم أمـام الحـركـات الحـربيـة القـائمـة والمنتظرة في الجبهة الـروسية). وإن التحـرك مهما كان خـطراً ففيه شيء من الأمـل بعكس الجمود والتردد. وإن القـول بوجـوب تكديس المعـدات والأسلحة إلى أن تصـل إلى درجة الكفاية قول خطر، لأن العدو لن يقف منتظراً، كما أن تعليق أمل الانتصار إلى سنة 1944 خطر أيضاً، لأن الزمن ليس هو في جانب الحلفاء وحدهم، بل يمكن أن يكون في جانب عدوهم أيضـاً. والحّ على ضـرورة مسـاعـدة روسيـة مساعدة فعّالة، والقيام بحركات عملية من شأنها أن توزع قوات العـدو وتضعفها وهي الـوسيلة المجدية. ويقصد بهذا فتح الجبهة الأوروبية.

ونوه في خطابه بما كان من الروس من ثبات وقوة وبطولات، وما كان لذلك من تأثير عظيم في تضعضـع معنـويـات الألمـان وجيـوشهم واستنزاف قواتهم ومعداتهم التي كانت تتجه إلى الانكليز مباشرة. ثم قال: ولكننا لا نستطيع أن نقول أننا ضمنا الفوز عليهم، وكل ما استطعناه هـو ردهم عن مـراكـزهم الأولى وتـصعيب حركاتهم الآتية. وأن أوسع مدى أرجعناهم إليه لا يعدو امتداد ثلاثمائة كيلومتر. فإذا لم تساعد روسية مساعدة مجدية فإن ما قامت به من جهد جبار قد يـذهب هباء. وإذا سـوعدت فيكـون الأمل قوياً ليس فقط في طرد الألمان من أرض الروس، بل وفي اكتساح بلاد الألمان والدخول إلى بـرلين. ونوه بمـا كان من مقـاومة وجهـد

الروس من فرصة ثمينة للحلفاء، وقال: ولكن هذه الفرصة لا تكون مفيدة لهم فائدة تامة إذا لم يسارعوا الآن إلى العمل. وليس من ريب في أن كلام السفير الروسي يحتوي حقائق عديدة من حيث شدة الأثر الذي أحدثته مقاومة الروس في الشعب الألماني والجيش الألماني، ومن حيث بسالة الروس وتضحياتهم العظيمة، ومن حيث ما هيأوه من فرص ثمينة للحلفاء، وما درأوه عنهم من قوى الألمان الجبارة. وكذلك من حيث قوله إن مساعدة مجدية من أهم مظاهرها فتح جبهة جديدة، من شأنها أن تؤثر في مجرى حروب الربيع والصيف المقبلة. ومن حيث قوله أن عدم هذه المساعدة من شأنه أن يضيع مجهودات الروس الجبارة هباء، ويضمن للألمان النصر النهائي، ومن كون الزمن لا يجوز أن يعد حليفاً للحلفاء فقط، لأنه قد يكون حليفاً لخصومهم أيضاً.

أما هاليفاكس فقد كرر كلام شرشل عن الأمل العظيم في النصر النهائي، وعن الإعتراف بما أصيبوا به من نكبات، وما يمكن أن يصابوا به من نكبات أشد وأفجع.

3 ـ اشتداد نشاط الروس الحربي ومداه وموقف الالمان منه:

والأخبار متضافرة على أن الروس اشتدوا في هجماتهم في الأيام الأخيرة، وأجبروا الألمان على مجاراتهم ومقابلتهم وإضاعة فرصة الراحة والاستجمام عليهم. ويستفاد مما ينشر ويذاع أن يتوقع وقوع حروب ميدانية في أربعة أنحاء في الشمال والوسط والجنوب الوسط (خركوف) وفي القريم. وأن أهمها سيكون في الجنوب الوسط. ويستهدف الروس زعزعة الألمان عن مناطق ليننغراد وأوكرانيا وأبواب قفقاسيا وموسكو، وسمعنا المذيع التركي يفترض انتصارهم أو انتصار خصومهم في الميادين الأربعة، وما سوف يكون في حالة انتصار الروس من تأثير شديد على موقف الألمان الحاضر والآتي إلى درجة الخطر. وما سوف يكون في حالة انتصار الألمان من تسهيل عظيم لحركاتهم المقبلة إلى درجة ضمان الفوز النهائي لهم.. والروس والإنكليز يثيرون ضجة عظيمة حول حركات الروس، ويبشرون بقرب إصابة الجيوش الألمانية بالكوارث. ولا ينكر الألمان شدة الحملات الروسية وتواليها، ولكنهم يقولون أنهم قد تمكنوا من إحباطها.

4 ـ سفر كريبس الى الهند بسبيل إيجاد حل لقضيتها:

أذاعت المصادر الإنكليزية أن كريبس سافر إلى الهند. وقد أذيع بيان جديد للزعيم الهندي الوطني بوز صاحب الفكر الأول، يحذر فيه الهنود من الاغترار بوعود الإنكليز والوقوع في حبائلهم. ويذكرهم بما عانوا منهم من أكاذيب وخداع وقسوة وسوء نية. ويطلب منهم أن لا يصدقوا وأن يجمعوا أمرهم على الانتفاض عليهم للخلاص من نيرهم.

وقد أذاعت المصادر الإنكليزية في سياق الهند خبرين: الأول أن مجلس الأمراء الهنود الأعلى قرر استمرار التعاون مع الحلفاء وتأييد قضيتهم التي فيها ضمان حريات العالم وسعادته. والثاني خبر برقية أرسلها ويلكي منافس روزفلت لنائب الملك يهنئه فيها على ما أقدمت عليه الحكومة البريطانية من خطوة في سبيل حرية الهند واستقلالها، وينوه بما سيكون

لها من أثر في تعاون الهند مع الحلفاء في سبيل الدفاع عن الهند، وقد أجاب النائب على البرقية بالشكر، وقال إنه سعيد إذا رأى الهند متفقة مع أميركا العظيمة في القضية العالمية الكبرى.

ونشر الخبرين من أساليب الدعاية الإنكليزية التي تهدف إلى شد أعصاب الإنكليز والأميركان، مع ما في الخبرين من زيف وتفاهة لا تخفيان على الإنكليز. فأمراء الهند ليسو إلا آلات يتحركون بتحريك الإنكليز، ونائب الملك لا يستطيع أن يعبر عن الهند ويتكلم باسمها، وهو بالنسبة إليها جسم غريب منفصل عنها كل الإنفصال.

5 ـ تحويم طيارات فوق أراضي تركية وإلقائها قنابل ومدى ذلك:

من حوادث تركية المهمة تحويم طيارات مجهولة في سماء الأناضول أول أمس وإلقائها قنابل على بلدة ميلاس في ولاية أزمير. وقد قتل شخص وجرح بعض أشخاص وتهدمت وعطبت بعض المنازل. وميلاس تبعد عن الشاطىء خمسين كيلومتراً. وكان لهذا الحادث أثر شديد لدى الأتراك حكومةً وشعباً، وقد كتبت الصحف مقالات عديدة منذرة مهددة، ونشرت نبذاً تفيد أن الشعب في هياج وقلق. وأذاع رئيس الجمهورية بياناً قال فيه إن تركية تريد صادقة أن تحتفظ بحيادها، ولكنها إذا لم تستطع اجتناب ويلات الحرب وزجت فيها بالرغم عنها فإنها سوف تكون مستعدة مؤمنة بحقها وستدافع عن حريتها واستقلالها بكل قوة. وطلب من الأمة أن تكون يقظة محتاطة مستعدة للتلبية.

والمرجح أن هذه القنابل ألقيت من طيارة ضالة. ولقد قصفت الطيارات الإنكليزية في نفس الليلة التي ألقيت فيها القنابل على ميلاس جزيرتي رودوس وكريت المحتلتين بقوات محورية، كما أنها منذ أيام تقصف حيناً بعد حين جزراً يونانية وسواحل يونانية بسبب التحشيدات العظيمة التي يحشدها الألمان لإمداد جبهة ليبية، والإستعداد للحركات المقبلة في سواحل البحر الأبيض الجنوبية والشرقية. فإحدى طائراتهم انحرفت وألقت قنابلها، فكانت من نصيب ميلاس القريبة من السواحل والجزر اليونانية. ولا نظن أن يكون لهذا الحادث رد فعل عملي إلا إذا تكرر، حيث يحمل العمل حينئذ طابع القصد ويترتب عليه عمل ما حسب ما يظهر من هوية الطيارات.

وقد سجلنا في اليوم التالي لهذه الحادثة، أي يوم الخميس، هذه النبذة:

نشرت الصحف التركية بلاغاً رسمياً جاء فيه أن سفير بريطانية زار وزير الخارجية التركية وأبلغه أسف حكومته لحادث قصف ميلاس. ومع الرغبة في التحفظ إلى أن يظهر التحقيق ماهية القنابل ومصدرها، فإنها رأت أن تبادر إلى القول أنه إذا ظهر أن ذلك غلطة طيارين إنكليز فإنها مستعدة لتكرار الأسف والتعويض الكافي عن كل ما أحدثته القنابل من أضرار. وهذا ما توقعناه وذكرناه. ثم بعد يومين آخرين أذاعت الصحف أن بريطانية وصلت في تحقيقاتها إلى التأكد من أن الحادث كان غلطة من طياريها، وأنها كررت الأسف وأبدت استعداداً للترضية والتعويض. واتخذت التدابير لمنع تكرر الخطأ...

***

السبت
1943/3/27:

1 ـ زيارة كريبس للهند وعرضه المساعدة:

مسألة الهند ورحلة كريبس من أهم المسائل التي شغلت الأفكار في العالم والصحافة في هذا الأسبوع، مما يدل على أنها من القضايا الأساسية التي سيكون لها تأثير عظيم سلبي أم إيجابي في سير الحرب والسياسة في الشرق الأقصى، وفي مصير الأمبراطورية البريطانية، ولقد وصل كريبس إلى الهند منذ خمسة أيام، وأذيع تصريح له جاء فيه أنه جاء حاملاً أملاً كبيراً في حل هذه القضية، وجعل الهند تسير متعاونة مع بريطانية والصين من كل قلبها ضد الغزاة، وأنه سيعمل كل ما في وسعه لإرضاء الهنود وكسبه ثقتهم وطمأنينتهم. وقد أمضى الأيام الخمسة في استفسارات من رجال الحكم وقادة الجيش الإنكليز، واعتباراً من الغد يبدأ نشاطه مع زعماء الهنود.

وقد نشرت بعض برقيات أميركية أن الاقتراحات التي يحملها كريبس هي في نطاق منح الهند وضع الدومينيون الكامل، وحقاً في وضع دستورها، على أن يكون تنفيذ ذلك بعد قليل من نهايته. وأذيع تصريح لنهرو الزعيم الهندي المشهور، جاء فيه أن الذي تريده الهند هو استقلال إتحادى ديموقراطي، وهي مستعدة للاتفاق مع آسيا وأميركا. والفرق واضح بين تلك الإقتراحات وهذا التصريح، حيث يمكن القول أن مطالب الهنود قد تطورت، فأصبحوا لا يرضون بالدومينيون وإنما يطلبون استقلالاً، ويبدون استعدادهم لعقد محالفات واتفاقات كدولة مستقلة، هذا مع الإشارة إلى أن تأخير تنفيذ الإقتراحات في صدد الدومينيون يزيد الفرق قوة والهوة اتساعاً. وأذيع على لسان محمد علي جناح رئيس الكتلة الإسلامية أن المسلمين لن يقبلوا بأن يكونوا ضحية لوفاق هندوسي إنكليزي، وأنهم سيدافعون عن كيانهم إلى آخر نقطة من دمائهم. ومعنى هذا أن المسلمين أو أكثريتهم يرفضون الإندماج في وحدة هندية، ويريدون أن يكون لهم في المقاطعات التي تكون فيها أكثرية إسلامية استقلال خاص وتام. وهذا من أهم العقبات التي تعترض سبيل حل قضية الهند ونجاح مساعي كريبس أيضاً.

وبمناسبة ذكر جناح نقول أن الزعيم الهندي المسلم المشهور أبا الكلام أزاد هو الآن رئيس المؤتمر الهندي. وهذا يعني أن من زعماء المسلمين من هو مندمج في الوحدة الهندية، ويرى رأيها، ويعتبر الخلافات أو وجهات النظر بين المسلمين والهندوس من المسائل الداخلية التي لا يجوز أن تؤثر في حل قضية الهند وتمسكها بالوحدة المستقلة.

وكتب غاندي مقالاً ناشد فيه الإنكليز أن لا يسيروا على سياسة التخريب في الهند، أي لا يعمدوا إلى تخريب أو تدمير المنشآت والمؤسسات الهندية التي يضطرون إلى الإنسحاب عنها حينما يحدق بها خطر الغزو. وللمقال مغزى مهم في صدد توقع الإنكليز وقوع غزو على الهند وانسحابهم من المناطق التي تتعرض للخطر. ولقد دعا كريبس غاندي في جملة من دعاهم إلى مقابلته، فأجابه بقوله إذا

كانت المقابلة في صدد التعاون الحربي فإنه لا يراها مفيدة، لأن عقيدته هي ضد العنف أصلاً داخلاً وخارجاً، معلناً بذلك تمسكه بها، ومخالفته لفكرة اندماج الهند في الحرب وحركاتها. وهذا أيضاً مما هو عثرة في طريق التعاون الحربي بين الهنود وبريطانية، لأن لغاندي مركزاً عظيماً وتأثيراً عظيماً دينياً وسياسياً، ولابد من أن الهندوس وهم الأكثرية سيرون في عقيدته عقيدة واجبة الإتباع، وأنهم لا يجوز لهم أن ينخرطوا في جيش أو يشتركوا في حرب.

يضاف إلى ما عاناه الهنود من مظالم وألاعيب بريطانية ونكثها بوعودها، وما يتطلعون إليه من الخلاص منها، يجعل النفوس غير واثقة بالإتفاق على حل موفق مرضٍ لقضية الهند تبقى به الهند في نطاق الأمبراطورية بشكل ما، وتتعاون مع الإنكليز في الوقوف من اليابان موقف العداء.

2 ـ اشتداد الاهتمام لجبهة البحر الأبيض ومدى ذلك:

ومما شغل حيزاً عظيماً في الصحف والإذاعات في هذه الفترة جبهة البحر الأبيض، فالمصادر الإنكليزية لا تفتأ تشير إلى التحشيدات العظيمة التي يحشدها المحور في كريت وجزر اليونان وسواحلها. وتتكهن باتجاهاتها وتظن فيما تظن أنها ستوجه إلى قبرص وسورية، وتثير مخاوف الترك بأنها قد تكون موجهة إليهم أيضاً. وتقول أن الألمان قد يطلبون في القريب العاجل من تركية طريقاً في أراضيها إلى العراق وإيران وسورية.

وكتّاب الاتراك يكتبون مقالات فيها شيء من التحسب والتخوف، مع التظاهر بالقوة والصمود. ويقولون إذا صحت الأخبار عن التحشيدات المحورية فإنها تكون في صدد جبهة البحر الأبيض كله، ولها صلة بجبهة ليبية في الوقت نفسه، وأن الموقف سينكشف عن بدء الحركات في الجبهة الشرقية، فتقوم حركة كبرى تشمل ليبية وجبهة مصر وجبهة سورية والعراق وقبرص ومالطا معاً، لتكون هذه الحركة موازية لحركة الألمان نحو القفقاس، بل وموازية لحركات اليابانيين في البحر الهندي التي تستهدف بسط سلطانهم فيه والوصول إلى خليج البصرة من جهة والبحر الأحمر من جهة أخرى لتأسيس الإتصال بين قوى المحور في آسيا وأوروبا وأفريقية معاً. وقد زاد من أهمية هذه الجبهة إعلان تعيين رومل قائداً عاماً لجميع قوى المحور في الشرق الأدنى والأوسط. وكان القائد العام بصورة رسمية طليانياً. واستدل المراقبون من ذلك على أن هذه الجبهة ستدخل قريباً في حالة نشاط قوي. والأخبار في هذين اليومين تدل على بدء نشاط في هذه الجبهة واتساعه، وتدل في الوقت نفسه على أن الهجوم سيكون من جانب المحور. وكل هذا يحمل في طياته احتمالات حركة عظيمة قريبة في الشرق الأوسط والأدنى العربيين. والسكسونيون يستعدون ويبدو من أخبارهم أنهم قلقون، فقد اشتد ضغط قوى المحور على شرق البحر الأبيض وعلى مالطة والقوافل الإنكليزية، ومن يوم ليوم نسمع أخبار خسائر ونكبات تصيب قواتهم البحرية والنقلية، حتى لقد اعترفوا أن مركزهم محفوف بالخطر في طريق البحر الأبيض الشرقي.

3 ـ انتخابات نيابية جديدة في مصر وتصريحات للنحاس وتعليق على ذلك :

جرت في هذه الأونة انتخابات نيابية جديدة في مصر، وقد أحرز الوفد على ما نشرته الصحف وأذاعته الإذاعات أكثر من 90٪ من مجموع المقاعد. وكان الدستوريون والسعديون أعلنوا مقاطعتهم للانتخابات. غير أن بعض أفراد منهم رشحوا أنفسهم على مسؤولياتهم وكسب بعضهم ممن ينتسب إلى الحزبين. ولقد خطب النحاس خطباً عديدة في مناسبة الإنتخابات حول خطط حكومته الإصلاحية والسياسية. وسمعنا إذاعة أنقره تذيع أنه حمل في إحداها على دول المحور ونظم حكمها حملة شديدة، وقال إنها لا دين لها وأنها تترسم استعمار العالم وظلمه والبغي في الأرض. وأيد النظم الديموقراطية، وقال إن مصلحة الإنسانية هي في انتصار بريطانية وحلفائها الذين يقوم حكمهم على هذه النظم، وقال إن من جملة أسس سياسة استمرار التعاون مع بريطانية تنفيذ أحكام المعاهدة بينها وبين مصر. . .

وفي رأينا أن في هذه الحملة على الوجه الذي سمعناه من إذاعة أنقرة إذا صحت طيشاً لا معنى له من جهة، وتناقض بين موقفه قبل استلامه الحكم من جهة أخرى. فقد كان يطالب بتعديل المعاهدة ويشكو من تدخلات وتصرفات الإنكليز. وقد عانى هو وحزبه من ذلك كثيراً قبل أن يرضوا عنه ويرشحوه ويرغموا فاروقاً على تكليفه. . وكان عليه أن يحسب حساباً لاحتمال انتصار دول المحور واستيلائها على مصر، فلا يعلن العداء لها إلى هذا الحد الذي قد يكون فيه خطر وضرر في حالة انتصارها. وكان يكفي منه أن يعلن تمسكه بالمعاهدة واستعداده للتعاون مع بريطانية على أسسها. وهذا يجعل بريطانية راضية مطمئنة، ويقي مصر من عسفها في حالة انتصارها. والنحاس على اعتباره يمثل أكثرية مصر وقوتها يكون لكلامه أثر غير مستحب في دول المحور، ويحملها على الوقوف من مصر موقفاً ضاراً وخاصة إذا تم لها النصر. . .

4 ـ تحرك في بلاد العرب وإصبع الإنكليز فيه ومداه :

من الأخبار التي بلغتنا من قادمين ومن الصحف والإذاعات، أن في بلاد العرب شيئاً من التحرك في هذا الظرف جدير بالتسجيل، فالأمير عبد الإله يزور قريباً عمه الأمير عبد الله في عمان للتشاور، وأحد أنجال الملك السعودي قدم إلى مصر، وأذيع عن لسانه تصريح جاء فيه أن والده يرغب في قيام اتحاد عربي إسلامي ويتمناه. وأشارت الصحف إلى نشاط جميل مردم وسفره إلى مصر للسعي في عقد مؤتمر جامعة عربية على نمط مؤتمر عقدته دول أميركا الشمالية والوسطى والجنوبية بسبيل تأسيس جامعة أميركية، وأنه أي جميل يقول بوجوب تعاون العرب مع الجبهة الديموقراطية وتوضيح موقف العرب إزاء هذه الجبهة. وجميل معروف بتوجهه نحو بريطانية ضد فرنسة على ما ذكرناه في مناسبات سابقة، والملك السعودي ليس بعيداً عن ذلك، والأميران عبد الله وعبد الإله ضالعان في ذلك أيضاً، ولا شك في أن إصبع الإنكليز وراء هذا التحرك، وأنهم وراء ما صدر عن النحاس من تصريحات أيضاً.

والراجح أن ذلك متصل بما يتوقع في الشرق العربي من حركات حربية في وقت قريب، ولابد من أن الإنكليز يعرفون ما تحمله الشعوب العربية من ضغينة وحقد ضد الإنكليز والإفرنسيين، وما تتمناه من تبدل يكون لها منه خير. والظاهر أن الإنكليز يحركون هذا التحريك الذي في ظاهره مصلحة العرب للتأثير في الناس وتبديل ما في نفوسهم، وهذا ما نراه بعيداً. . .

***

يوم السبت 1942/4/3
23 ربيع الأول 1362:

1 ـ حول ما كان من مساع في سبيل قضية الهند والمواقف الهندية المتنوعة وتعليق على ذلك:

كان من أهم ما شغل أفكار العالم في هذا الأسبوع قضية الهند أيضاً، وقد أذاع كرپس المقترحات التي أتى بها، وتقوم على أساس تعهد بريطانية بأن يكون الحكم في الهند على أساس دومينيون مماثل لكندا وأوستراليا، يبدأ تطبيقه عقب انتهاء الحرب حالاً، وعلى أن يكون لأية ولاية أو إمارة حق الإنضمام للوحدة الهندية أو البقاء خارجها، على أن يكون حكمها في هذه الحالة أيضاً نظام دومينيون مستقل، وعلى أن يكون تعهد موثق بضمان حقوق الأقليات ضماناً وافياً، وعلى أن يوكل أمر وضع الدستور لجمعية هندية تأسيسية. وكل هذا معلق على موافقة الهنود على التعاون مع بريطانية في الحرب الحاضرة تعاوناً جدياً وقلبياً، وعلى أن تكون إدارة الدفاع والحرب في يد القيادة البريطانية.

وحينما قرأنا هذه المقترحات أدركنا أن هذا المسعى غير محقق، لأن الهنود أعلنوا ومازالوا يعلنون أنهم لن يثقوا بوعود بعد الآن، وأنهم يريدون أن ينالوا حقوقهم حالاً. ولقد كانت أول كلمة دوّت في أرجاء الأرض لغاندي جواباً على سؤال وجهه إليه صحفي، حيث قال إن الإقتراحات كحوالة مؤجلة الدفع أو مؤجلة

التاريخ. وكان في الكلمة توكيد سريع لموقف الهنود من وعود بريطانية. وقد شغلت الاقتراحات هيئات الهند المختلفة، كما شغلت أفكار العالم وصحفه وإذاعاته، وكان لدول المحور نشاط قوي في صددها. ولقد أظهرت صحف الهند خيبة أملها، وقالت إن الاقتراحات لا تتلاءم مع ما ينتظره الهنود. وأخذت الأخبار تكشف عن موقف هيئات الهند. ويظهر من أهم ما وجدوه مخالفاً لآمالهم في الاقتراحات ما تركته من ثغرات للخروج على الوحدة الهندية، وهذا أسلوب مألوف من أساليبها (أي بريطانية الخبيثة)، فهي تعرف أن الوحدة الهندية تعني تقويض بنيانها في الهند، وتعرف أن طوائف الهند تتخوف من بعضها، ومنها من لا يريد أن يندمج في وحدة هندية يكون للهندوس فيها أكثرية نافذة. كما أنها تعرف أن كثيراً من أمراء وراجات الهند يفضلون البقاء متمتعين باستقلال ضمني مهما كان صورياً، على الاندماج في الوحدة.

والاقتراحات جعلت الأبواب مفتوحة والمجال واسع لبريطانية للتلاعب والدسائس والتفريق والفساد والتخويف.. وهذا لن يخفى بطبيعة الحال على زعماء المؤتمر الهندي الذي يمثل الأكثرية الهندية، والذي لكلمته الأثر الأقوى في الموقف، والذي فيه في نفس الوقت كتل وشخصيات قوية إسلامية وغير إسلامية غير هندوسية. ويظهر كذلك أن مسألة الدفاع وبقائه في يد بريطانية من أهم المسائل التي تجهمت لها وجوه الهنود أو زعماء المؤتمر. فالهنود غير راغبين في الوقوف موقف المحارب من اليابان، وهم يأملون في تجنب ويلات الحرب ووقاية بلادهم منها. وهذه المسألة على ما هو المتبادر والحقيقة هي روح الخطوة التي تريد أن تخطوها بريطانية، أي جعل الهنود يتعاونون معها في الموقف الحربي تعاوناً قلبياً الآن، مقابل ما تتخيله تضحية عظيمة وخطوة جريئة بمنح الهند نظام الدومينيون الكامل المستقل بعد الحرب.

ودعاية اليابان تنشط خاصة في صدد هذه النقطة وتؤثر تأثيراً قوياً، حيث تعلن أن اليابان لا تضمر للهند عداءً ولا تريد غزوها والاستيلاء عليها بذاتها، وأنها مستعدة لعقد معاهدة معها تعترف فيها باستقلالها إذا هي أعلنت عدم تعاونها الحربي مع بريطانية ومنعت التحشيد الحربي في أراضيها ولم تسمح بأن تكون قواعدها ومراكزها قواعد حربية ضدها. وتهدد في الوقت نفسه أن الهنود إذا وافقوا على التعاون الحربي مع بريطانية فإنها تعتبرهم أعداء محاربين وتحاربهم على هذا الإعتبار.

وموقف غاندي وعقيدته ضد العنف والحرب ذات أثر عظيم في موقف الهنود، فالذي رفض استعمال العنف في سبيل تحقيق حقوق الهند يكون أقوى رفضاً لحمل الهند على الحرب لأجل مركز بريطانية وأمبراطوريتها.

وكريبس يعرف أثر غاندي العظيم، وقد ذهب فزاره في صومعته. ولكن المرجح أن غاندي لن ينحرف عن خطته أنملة. (ونستدرك أمراً، وهو أننا كنا سجلنا اعتقال غاندي ثم اعتقال زعماء آخرين ورفضت بريطانية إطلاق سراحهم. ويبدو أنها أطلقت سراحهم حينما قررت إرسال كريبس، وفاتنا تسجيل ذلك).

يضاف إلى هذا نداءات الزعيم بوز المتتابعة التي تكشف عن أساليب الإنكليز ويذكّر بها وما تهدف إليه من تحكّم وسيطرة واستغلال وهي تذكير خبير متمكن.

ولقد ظلت الهيئات الهندية توالي اجتماعاتها ودراسة المقترحات.

وأول امس أعلنت بعض الهيئات رفضها، وكذلك اعلنت لجنة المؤتمر الوطني رفضها، وكان للرفض دوي في العالم. وكان التشاؤم بادياً على صحف وإذاعات أميركا وإنكلترة. وحاول كريبس أن يبدو حازماً فأعلن عزمه على العودة حالاً، ثم استرخى وقال أنه لم يقطع الأمل، وأنه سيتصل بحكومته ويحاول إيجاد وسيلة للتوفيق.

والغريب أن الصحف الأميركية تنحي باللائمة على الهنود الذين لا يقدرون الموقف، ويرضون أن تبقى بلادهم معرضة للاحتلال الأجنبي، وتنسى هذه الصحف أن هذه البلاد محتلة بأجنبي، وأنه إذا كان من المحتمل أن يحل أجنبي آخر محل الأجنبي القائم، فإنه يكون من السخف أن يريق الهنود دماءهم في سبيل استبقاء احتلال موجود ودفع احتلال بآخر لدى الهنود أمل بعدم وقوعه. وتنسى كذلك ما قاسى الهنود من ظلم المحتل القائم ونكثه ودسائسه واستغلالاته . . .

ولقد كتبت الصحف التركية مقالات عديدة فيها دلالة على اهتمام تركية بقضية الهند ومتابعة سيرها. وقد انتقدت هي الأخرى المقترحات وما فيها من أبواب تنفذ منها الدسائس والألاعيب، وتأجيل تحقيقها مع ذلك إلى ما بعد الحرب، واحتمال نكث بريطانية فيها آن ذاك.

ومما لحظناه ومما قرأناه وسمعناه أن نهرو كان يرغب في إنجاح مهمة كريبس وما يزال، وأنه كان يبذل جهده في الإقناع والتوفيق، ولكنه لم يستطع أن يؤثر تأثيراً حاسماً. ونرجح أنه كان لموقف غاندي وعقيدته التأثير الحاسم.

ومما وقع وكان له مغزى عظيم في هذين اليومين أن المصادر الإنكليزية نشرت خبر مقتل الزعيم بوز في حادثة طيارة بينما هو في طريقه إلى سيام، وكان لذلك تأثير عظيم. وأرسل غاندي وأبو الكلام رسائل تعزية لوالدته نوها فيها بعظم جهاده في سبيل الهند، فكانت الرسائل مظاهرة عظيمة وتأييد لنداءات بوز. ولم يلبث أن ظهر أن الخبر غير صحيح، فكسب الرجل هذه المظاهرة وهذا التأييد العظيم.

2 ـ خطاب لوزير بريطاني في واشنطن ذي مغزى في صدد توقيعات وسير الحرب في الربيع :

خطب في واشنطون هذا الأسبوع سير بروك أحد وزراء بريطانية، وقال فيما قال إن الألمان إذا تمكنوا من طرد الروس إلى جبال الأورال، فإن في ذلك محونا، وأن من الواجب إرسال أكبر مقدار ممكن من المساعدات إلى روسية لمساعدتها على الصمود والمقاومة، وذكر في خطابه سقوط سنغافورة، وقال في ما قال في صدد ذلك أن قصة الحرب هي قصة عمل ومعنويات أكثر منها قصة لوازم ومصانع. فلوازم بريطانية فيها كانت تفوق لوازم اليابان كثيراً، ولكن كثرة اليابانيين ومعنوياتهم كانت متفوقة فانتصروا. وكان خطابه موضع تعليق واسع.

ومما استدل به المعلقون تخوف بريطانية الشديد من حرب الربيع والصيف في الجبهة الروسية وما يتوقعونه من شدتها وتأثيرها في سير الحرب ونتائجها. وإشارته الى المعنويات ذات مغزى، حيث يهيب بقومه ليحتفظوا بقوة معنوياتهم، ولكنها تدل على يشعر به رجال الإنكليز من ضعف هذه المعنويات في شعبهم.

3 ـ تحريك الكتائب البولونية المحاربة مع الروس الى جبهة ايران ومداه :

من الأخبار المهمة التي تتعلق بحركات الحرب خبر تحول الجيش البولوني الموجود في أرض روسية إلى بلاد إيران وعدده ستون ألفاً، وهؤلاء يحاربون مع الروس. ويظهر أن الإنكليز طلبوا ذلك ليقف هذا الجيش إلى جانب قواتهم في إيران في الدفاع عن الجبهة العربية فيها إذا انهارت جبهة قافقاسيا وتدفق الألمان نحو إيران والعراق. وقد يدل هذا على قلة الحشد الإنكليزي في هذه الجبهة، فسعت كعادتها لحشد ما تستطيع من قوات غير إنكليزية لتقاتل وتموت في سبيل امبراطوريتها. وهذا يؤيد ما قيل من سحب القوات الهندية والأسترالية من هذه الجبهة وسوقها إلى جبهة الهند...

4 ـ اهتمام الألمان لتكثيف القوى البلغارية والرومانية المحاربة معهم :

ومن الباب نفسه ما أذيع من نجاح الألمان في إقناع البلغاريين والرومانيين والمجريين بزيادة قواتهم في المعارك المقبلة، وقد أخذت مئات القطارات تشتغل ليل نهار في نقل القوات الجديدة من هذه البلاد إلى الجبهة الروسية، مما يدل على قرب وقت الزحف الجبار.

5 ـ تعليق تركي على مدى الجهود الروسية في حرب الشتاء وتعليق على ذلك :

سمعت مذيع أنقرة أول أمس يشير إلى ما كان من جهود الروس في الشتاء، ويقول إن هذه الجهود برغم عظمتها وشدتها لم تغير الموقف الألماني في أية ناحية من أنحاء الجبهة الطويلة تغييراً أساسياً، وأنها لن تتمكن من تغيير أساسي في المدة القصيرة الباقية من الشتاء بعدما أخفقت في التغيير في المدة الطويلة الماضية.

ويظهر أن الأفكار والأنظار مركزة الآن في الحركات المقبلة ومتوقعة منها نتائج خطيرة جداً قد تكون حاسمة أو منهية للحرب، وإذاعات وبلاغات الألمان تتضمن يقينهم التام بانتصارهم وسحق الروس سحقاً تاماً. ومما يقال إن أهم ما يهتم له الألمان في الدرجة الأولى الجبهة الجنوبية. وأنهم قد حشدوا قوات كبيرة في سواحل رومانيا وبلغاريا لنقلها إلى جنوب القفقاس بحراً حينما تبدو علائم فوزهم في الزحف الكبير. وبهذا يتمكنون أيضاً من تعجيل حركتهم نحو إيران والعراق..

***

الدفتر الثاني عشر(*)

يوم الأحد

21 مارس 1943:

1 ـ كتابات ومساعي حول فكرة الاتحاد أو الوحدة العربية ومداها وتعليق عليها:

قرأنا في الأهرام مقالاً لعبد الرحمن عزام ونتفاً من تصريحات رجال آخرين من المشتغلين في الحركة العربية، تعليقاً على تصريح إيدن عن الوحدة العربية الذي أوردناه في أسبوعية سابقة، وأقوى الكلام كلام عزام. ومما قاله إن العرب لا يتحملون مسؤولية الأحداث السابقة التي كانت نتيجة وإثر دسائس وأساليب ومطامع، وإن إيدن قد وضع العرب في موقف حرج لأنه قال أن عليهم أن يخطوا الخطوة الأولى. وطلب السماح بعقد مؤتمر عربي يحضره ممثلون عن الحكومات العربية ورجال الرأي والشأن في البلاد التي ليس فيها حكومات تمثيلية وطنية، مع ضمان حرية هؤلاء الرجال وضمان قدومهم الى مكان المؤتمر.

وقد أشار فريد الرفاعي في نبذة كتبها، إلى مجهودات النحاس باشا ومساعيه في صدد الحركة العربية والوحدة العربية والآمال الواسعة التي يبنيها عليها واحتمال ظهور آثارها الحسنة قريباً، وهذا يدل على أن هناك مساعي خيرية رسمية في هذا الشأن. وقد قيل لنا إن النحاس ذكر في خطبة ألقاها منذ أيام لبنان وسورية وقضيتيهما، كما أنه أبدى اهتمامه لمذكرة قدمها شيوخ ونواب أميركا في صدد الهجرة اليهودية، وإرساله مذكرة احتجاجية عليها.

وقد قرأنا في صحف عراقية صدى لتصريحات إيدن، ودعوة إلى القيام بالجهود الواجبة. وسمعنا منذ أيام تصريحاً للأمير عبد اللّه يرحب فيه بأي دعوة إلى عقد مؤتمر للوحدة العربية، ويبدي استعداده لتعضيدها، ويقول إن أقصى أمانيه أن لا يموت حتى تتحقق هذه الوحدة.

وعلى كل حال، فلا شك في أن تصريح إيدن أثار اهتمام رجالات العرب وحفزهم على بذل الجهود، وأن هناك جهداً في هذا الصدد. ونقول هذا ولا ننسى ما يقف من عقبات وصعوبات، وما في كثير من رجالات العرب من ضعف إدراك لأبعاد حقيقة الوحدة، ومزج ذلك بمطامعهم ومطامحهم الشخصية والإقليمية. ثم ما يمكن أن يكون للإنكليز من مآرب سياسية في هذا التصريح، وما عهدناه فيهم من نيات وأساليب خبيثة... على أن من الحق أن نذكر أن من رجالات العرب من يدرك تلك الأبعاد ويخلص للوحدة، وعلى هؤلاء الآن مسؤولية خطيرة فيما لاح من فرص، نرجو أن يكونوا في مستواها.

2 ـ إعلان كاترو وعودة الحياة الدستورية في سورية أيضاً، وما جرى من خطوات وتعليق على ذلك:

ومما كان في صدد الموقف السياسي في

(*) (تنبيه: رأينا أننا بدأنا الدفتر الثاني عشر بتاريخ 21 مارس 1943، مع أن أسبوعية الدفتر السابق الأخيرة كانت بتاريخ 4 نيسان 1943، ولا نذكر الآن سبب ذلك ولم نر بدأً من متابعة التسجيل كما هو).

لبنان وسورية وصول الجنرال كاترو مندوب ديغول المفوض إلى البلاد، واتصاله بالشخصيات والهيئات الرسمية والوطنية في سورية ولبنان. وقد زار حلب وحمص وحماه أيضاً بالإضافة إلى دمشق بسبيل ذلك، وأثار نشاطه رد فعل في مختلف أنحاء سورية وأوساطها. وقد قرأنا في بعض الصحف أن الحاج أديب خير وهو صديق لنا ووطني وذو نشاط واتصال برجال الحركة الوطنية أقام لكاترو وليمة حضرها جميع الزعماء من مختلف الميول. وسمعنا من الإذاعة أن جميل المدفعي زار دمشق وبيروت، وكان قد أثار في مجلس الأعيان العراقي الذي هو عضو بارز فيه قضيتي لبنان وسورية وطالب بحلهما حلاً صحيحاً قومياً. ويمكن أن يكون قد جاء للمشاركة في النشاط بسبيل ذلك.

ومما سجلناه بعد هذا أننا سمعنا منذ ثلاثة أيام إذاعة بيروت تذيع قرارات ومراسيم أصدرها كاترو في صدد لبنان، تتضمن:

أولاً: إنهاء العهد القائم من رئيس جمهورية ومجلس وزراء.

ثانياً: تعيين الدكتور أيوب ثابت رئيساً موقتاً للدولة، يساعده في إدارة الشؤون الأمير خالد الشهابي وجواد تامر، ريثما يتم انتخاب مجلس نيابي جديد ويختار هذا وزارة جديدة.

ومما جاء في بيان كاترو أنه لم ير من المصلحة إعادة الحياة النيابية التي كانت في سنة 1939 لاعتبارات كثيرة، ولا سيما أن المجلس النيابي كان يتألف من فئة منتخبة وأخرى معينة، في حين أن الواجب الآن أن يكون ممثلاً للأمة أي منتخباً. وقال في تعليل ما أقامه من جهاز حكومي رئيسي، (أي رئيس الدولة ومساعداه)، أنه رغب في أن تكون الهيئة المشرفة على الانتخابات بريئة من أية صفة حزبية، وأنه بعد الدرس العميق رأى الدكتور أيوب ثابت ومساعديه يتحلون بهذه الصفة. ثم دعا اللبنانيين إلى استغلال هذه الخطوة باهتمام وإخلاص والسير فيه كذلك حتى يضمنوا لأنفسهم تحقيق ما يصبون إليه من استقلال وحياة دستورية صحيحة. ولم نسمع شيئاً عن سورية، ولا ندري هل تم فيها ما تم في لبنان ونحن نعرف أن جماعة الكتلة الوطنية يتمسكون بفكرة إعادة الحالة الدستورية التي كانت سنة 1939، أي عودة هاشم الأتاسي لرئاسة الجمهورية، وعودة المجلس النيابي وتأليف وزارة جديدة على أساس الدستور المعلق. ولعلنا نستطيع أن نعرف ما جرى في الأيام الآتية.

3 ـ بيان رئيس وزراء تركية في مجلس النواب التركي الجديد:

سمعنا منذ أيام خطاب سراج أوغلو رئيس الوزارة التركية الجديدة يلقي بيانه أمام المجلس النيابي الجديد، ومما قاله إن شعار تركية هو (بلاد عامرة واحة سعيدة ودولة قوية)، وقد أسهب في سرد ما قامت به وزارته السابقة من تدابير في صدد الإعاشة ومساعدة الموظفين ومحدودي الدخل والفقراء في المدن وتأمين الخبز، وفي صدد المشاريع العمرانية وضريبة التجار وأثرها، وازدياد إيراد الدولة ونمو ميزانيتها، وأسهب كذلك في موضوع الجيش وقوته وتسليحه، وأمل تركية فيه واستنادها عليه، وأشار إلى اجتماع أضنه (أي الذي تم بزيارة شرشل والذي ذكرناه قبل)، وما دار فيه من أبحاث بشيء من الزهو والعزة، وأشار إلى

عواطف الود التي تعلن من منابر البرلمانيين الإنكليزي والتركي، وأرسل بدوره من منبر البرلمان التركي تحيات وعواطف تركية. وكان ذلك كمظاهرة ود عظيمة لها مغزاها في صدد توافق الصلات بين تركية والسكسونيين أو بالأحرى ازديادها توثقاً ورسوخاً. ومما قاله أن هذا التواثق ليس فقط قائماً على المنافع المتبادلة، بل هو من ضرورات الظروف.

ومما جاء في بيانه أن ميزانية الجيش العادية مائة مليون ليرة، والخارقة أربعمائة مليون، وأن ميزانية مختلف دوائر الدولة الأخرى اربعمائة مليون، وأن هذه الميزانية تتزايد سنة بعد سنة منذ إعلان الحرب. وأن ميزانية المعارف كانت قبل عشر سنين عشرة ملايين فصارت في هذه السنة (43) مليون، وعدد طلاب المدارس الابتدائية كان قبل عشر سنين نصف مليون فأصبح مليوناً.

وأشار إلى قوة النقد التركي، وقال إنه يوجد في خزائن الدولة (15) مليون ليرة ذهبية و(42) مليون ليرة ورقاً إنكليزياً. وأن موقف النقد التركي من أقوى مواقف العملة الورقية في العالم. وفي الحقيقة، إن موقف الحكومة التركية وجهودها وورقها مما يجعلها محقة بالزهو والثقة، ولا سيما حينما يقاس بين ذلك كله وبين ما كانت الثقة في الحرب العالمية الأولى. ولقد كان أول المتكلمين في جلسة المجلس، الذي ألقى رئيس الوزارة فيها بيانه، رئيس ما يسمى (الفرقة المستقلة)، فأثنى على جهد الحكومة وأبدى بعض الملاحظات على بعض نقاط من خطاب رئيس الوزارة، وأشار إلى رفاقه الذين سحبوا من فرقته للوزارة، وأبدى أمله في أن يحققوا الأمل في العمل بعدما كانوا يقدمون الإقتراحات والإنتقادات وهم خارج الحكم، فقوبل كلامه بالهتاف والتحبيذ. . . ومن الحق أن نسجل أن موقف هذه الفرقة شاذ من حيث النظام البرلماني. فهو لا يشابه فرق المعارضة للحكومة في المجالس النيابية، ويشبه جناحاً معارضاً في حزب واحد. وهو الواقع فعلاً، رغم المظاهر والتسمية.

4 ـ حول مواقف ديغول وجيرو الموالين للحلفاء:

حصل شيء من التطور في علاقات جيرو وديغول، وموقف ديغول في النظام الديموقراطي، فقد أعلن جيرو أن قوانين الجمهورية الإفرنسية هي التي يجب أن تسير في الأمبراطورية، والتي يسير هو وفقها. ثم أعلن إلغاء تطبيق القوانين التي أصدرتها حكومة فيشي بعد الهدنة وبطلان استعمال الأوراق المدموغة بدمغتها وصدور الأحكام باسمها.

وأرسل إلى ديغول بواسطة كاترو دعوة للحضور إلى شمال أفريقية للتفاهم معه على العمل الإفرنسي الحر الموحد في سبيل إنقاذ فرنسة ومجدها. وقوبل كل هذا بالارتياح في لندن صحافة وحكومة، ورحب ديغول بالدعوة ووعد بتلبيتها، وأذيع أنه يعد عدته للرحلة. والظاهر أن بيانات جيرو أزالت أسباب القلق في بريطانية نحو نياته في صدد نظام الحكم، وأضعف قوة ديغول في تمسكه بآرائه وبكيان لجنته فقد كان الموجب لتجهم بريطانية لدارلان ثم لجيرو، أو من أسباب ذلك، كونهما ميالين للسير في نظام فيشي من حيث نظام الحكم، وكونهما يحملان فكرة أن نظام الجمهورية الديموقراطي في فرنسة قد أفلس. وهذه الذهنية تجعلهما أقرب للنازية والفاشية اللتين يحاربهما

الحلفاء. وديغول من رأي بريطانية في ذلك، وقد تكررت إشاراته إلى ذلك وقوله إنه من أسباب عدم توطد وحدة العمل بين رجال فرنسة المتعاونين مع الحلفاء. والملحوظ أن جيرو يعتبر نفسه أنه هو الذي يجب أن يندمج ديغول في حركته، وأن حركة فرنسة المحاربة الصحيحة هي التي يقوم عليها في أرض الأمبراطورية الإفرنسية فعلاً. وهو يرى بسبب ذلك نفسه أقوى على العمل وأبرز من ديغول الذي إنما قام على بريطانية وتشجيعها ومالها فقط، بينما هو يقوم على رأس القوة الإفرنسية المحاربة في الأمبراطورية.

ولقد عوضد ديغول من بريطانية ضد دارلان ثم ضد جيرو بسبب ذهنيتهما المذكورة. والآن وقد زال ذلك، فلا يبعد أن تسعى بريطانية وأميركا معاً للتوحيد بين ديغول وجيرو بأسلوب لا غضاضة فيه على كليهما. ولقد قيل أن هذا من المسائل الرئيسية التي ذهب إيدن من أجلها إلى واشنطن.

5 ـ خطاب لهتلر في صدد حرب الشتاء وخطر الشيوعية واهداف ألمانيا وآمالها:

أمس خطب هتلر فأشار إلى ما مر بالجيوش الألمانية من امتحان رهيب دل على ما كان يهدد ألمانيا وأوروبا من خطر ساحق يفوق خطر الوحشية المغولية والهونتية الأولى. وأكد أنه رجع من الجبهة وهو مطمئن بأن الخطر قد أوقف، وأن الجيش الألماني استطاع أن يحتفظ بكيانه وقابليته التامة. وأخذ ينحي باللائمة على السكسونيين الذين يدّعون أنهم متحدثون ديموقراطيون، ثم يقفون من الشيوعية ومن عوامل تهديم المدنية والديموقراطية ويتطابقون معها على التخريب والسيطرة. وقال إن نجاح الشيوعية لن يسبب انهداماً للألمان الذي هم اشتراكيون وطنيون، وأن الأمبراطورية المتفسخة هي التي سوف تنهدم. (وبالمناسبة نذكر أن كلمة نازي هي اختصار لكلمة الاشتراكية الوطنية).

وذكر اليهود وقال أن اليهودية كامنة وراء الشيوعية في روسية ووراء الرأسمالية في البلاد السكسونية، وأن أمم هذه البلاد إنما تسير بتأثيرها في سبيل خراب العالم، وأنها إنما تفعل ذلك حقداً على هذا العالم وكيداً له. ثم أكد إيمانه بالنصر النهائي مهما طال الأمر.

والمدقق في كلام هتلر يلمس مقدار ما قاسى الألمان في الشتاء وما كانت عليه حيوية وصولات الروس من قوة، وما أخذت الحرب تحدثه في نفس هتلر والألمانيين من قلق. ثم مقدار ما يشعرون به من وجوب مضاعفة الجهود حتي يمكن دفع الخطر والوصول إلى ساحل النجاة والنصر. وفي خطاب هتلر تزييف لدعاوى السكسونيين العريضة بحسن نياتهم بعد الحرب، وتزييف لميثاق الأتلانتيك. وقال في ما قال عن هذا أن نتيجته بعد الحرب لن تكون غير نتيجة مباديء ويلسون التي تحرفت وخابت في ما جرى في فرسايل (القصر الذي اجتمع فيه زعماء الحلفاء للسلام)، وأراد بهذا تذكير الألمان وأنصارهم بما ينتظرهم في حال الإنكسار من تهديم وذل.

6 ـ خطاب لشرشل عن سير الحرب وتوقعاته وتصوراته لما بعد الحرب:

وخطب شرشل أيضاً أمس، ونبه في خطابه

إلى الخطأ الذي صار يقع الناس فيه في توقعهم قرب انتهاء الحرب بناء على ما كان من انتصارات روسية وشمال أفريقية، وقال إننا ما زلنا بعيدين عن النهاية، وأن من المحتمل أن تستمر الحرب سنة أو سنتين أو أكثر. ونبه على ضرر التفاؤل، وقال إن الاستغراق في الجهد الحربي هو الذي يضمن النصر. وقال فيما قاله إن قوة بريطانية مع تزايدها المستمر ما تزال غير كافية، وأن حرب الغواصات ما تزال على أشدها. مع قوله بدوره أن إيمانه النهائي بالنصر لم يتزعزع.. ثم أخذ يتحدث عن ما بعد الحرب، وضرورة استمرار التعاون بين الحلفاء العظام بعد الحرب، لتوطيد سلم قوي وأمين مثل ضرورته في إبان الحرب لضمان النصر. ورجا أن تكون الدول الثلاثة العظمى روسيا وأميركا وبريطانية أهلاً للمهمات العظيمة، وأن يكون بينها من التضامن ما يساعدها على القيام بها. وأشار فيما أشار إلى وجوب إقامة مجلس دولي في أوروبا ومثله في آسية لأجل صيانة السلم الدائم وتعمير آثار وكوارث الحرب، وتجريد الدول المجرمة من السلاح، وتقليم أظفارها لئلا تعود الحرب مرة أخرى. وذكر أن سلامة أوروبا ونظامها الآتي سيكون في عهدة أوروبا غرباً وفي عهدة روسية شرقاً، وأن الدول الأوروبية الأخرى يجب أن يتألف منها اتحادات حتى تستطيع أن تساهم في حمل المهمة وتحمي نفسها من عدوان جديد.

وكلام شرشل مشبع بروح الثقة في الطور النهائي أكثر من كلام هتلر. ولا شك في أنه استمد هذا من تبدل الموقف في روسية وإفريقية لصالح الحلفاء، وتوخى بقوله بث روح الثقة والقوة في الشعوب المتحالفة. ومن الغريب أن لا يرد لفرنسة أي ذكر في كلامه. ويظهر أنها أصبحت ثانوية حتماً في نظر شرشل الآن وبعد الحرب. وكان من المعقول أن يذكرها بشيء من الحديث حفظاً لكرامة الإفرنسيين المحاربين، ولكنه لم ير على ما يبدو أن موقف هؤلاء موقف المؤثر الذي يفرض نفسه ويحسب حسابه، وهو الواقع. ومن الغريب أيضاً أن يجعل أمر تنظيم شرق أوروبا لروسية، فإن هذا خاصة سيثير هواجس أوروبا الشرقية، ويؤكد لها دعاية الألمان بأنها ستخضع للسيطرة الشيوعية حتماً، برغم احتمال كونه أراد بذلك مسح الجوخ لروسية. ومهما يكن من أمر، فإن في كلامه نذير شؤم لها إذا ما قدر النصر للحلفاء وروسية، وقد يزيد في هواجس أوروبا الشرقية والغربية اقتصاراً أمر تنظيمها على روسيه وبريطانية، وعدم ذكره لأميركا التي ربما يعتبرها الأوروبيون كابحة وضامنة لمصالحهم بعد الحرب في حالة انتصار الحلفاء. ونظن إلى هذا أنه سيثير هواجس أميركا نفسها التي تقدم من المساعدات الجبارة وتبذل من الجهود العظيمة ما فيه أقوى الضمان للنصر إذا تحقق للحلفاء، والتي تهيىء نفسها ليكون لها دور عظيم في تنظيم العالم وعدم وقوعه ضحية المطامع والمطامح، كما كان أمره في الحرب العالمية الأولى.

ومما يسجل أن التايمس كتبت مقالاً قبل خطاب شرشل فيه أشياء مما ذكره شرشل، فأثار فعلاً هواجس الأوساط الأميركية، فسارع إيدن إلى إعلان كون المقال لا يعبر عن وجهة نظر الحكومة البريطانية، فجاء خطاب شرشل ليكذبهما ويؤكد ما جاء فيهما. ولقد جعل هذا جريدة النيويورك تايمس تتسائل عما إذا كانت روسية لا تريد أن تتعاون مع بريطانية. والظاهر أن الأميركان يذهبون إلى أن روسية لا تعترف

لأميركا بأي حق في التدخل في أوروبا بعد الحرب، وأن شرشل لا يريد الآن أن يعكر مزاجها، بل يريد أن يتزلف إليها، وأن ما بعد الحرب يشغل بال الأوساط الأميركية شغلاً هاماً. . . والراجح أن إيدن وزميله سوف يتناولان في رحلتهما إلى أميركا هذا الموضوع. .

***

يوم الجمعة
2 نيسان 1943:

1 ـ تعليق جديد على مسألة الحياة الدستورية التي أعيدت إلى سورية ومواقف رجال سورية من ذلك:

في الأسبوع الماضي أذاع كاترو مراسيمه بشأن إعادة الحياة الدستورية في سورية كما فعل في لبنان وذكرناه قبل. ومما لفت نظرنا أنه أشار في بيانه إلى شرعية الرجوع إلى الحياة الدستورية التي عطلت، وقال إنه استشار هاشم الأتاسي فأبدى له قناعته بتفضيله إجراء انتخابات جديدة ينبثق عنها مجلس نيابي جديد وحكم جديد. وأنه استدل من موقف هاشم على ما في هذا الرجل من وجدان نبيل ورأي ثاقب، وأنه بناء على ذلك رجح إعلان عودة الحياة الدستورية مع الدعوة إلى انتخابات جديدة تشرف عليها حكومة مؤقتة حيادية كما فعل في لبنان، وأنه اختار عطا الأيوبي رئيساً للدولة والحكومة مؤقتاً. ولم نسمع من الإذاعة التي سمعنا منها هذا البيان أسماء وزراء، ولكنا قرأنا في صحيفة تركية أن إسم أحدهم نعيم بك ولعله نعيم الأنطاكي. وقال بعض الإخوان إنه سمع إذاعة تذكر اسم الأمير مصطفى الشهابي. ولم نستبعد ذلك لأن الأمير كان مع عطا الأيوبي في وزارة الانتقال التي تألفت على أثر اضطرار الشيخ تاج للاستقالة نتيجة لاضطرابات سنة 1935، والتي تمت مفاوضات المعاهدة في عهدها وباشتراكها. . .

ومن ثناء كاترو على هاشم لمسنا أنه أحب أن يرتكز عليه في ما قرر وأعلن، ولمسنا أن الرأي القائل بوجوب عودة الحياة النيابية السابقة كان قوياً فلم يمكن إضعافه إلا بهذا الثناء والارتكاز. ولقد كنا نظن أن فكرة الإصرار على عودة الحياة السابقة هي فكرة هاشم وشكري والكتلة. ولا ندري إذا كان هاشم متفقاً مع شكري والآخرين في الرأي الذي فضله لكاترو وارتكز هذا عليه. والذي نعرفه أن هاشماً كان ساخطاً أشد السخط على جميل مردم وسعد اللّه الجابري وهما أركان حكومته السابقة. فهل يا ترى خوف هاشم من رجوع الصورة إلى ما كانت عليه هو الذي جعله يبدي ما أبداه من رأي لكاترو؟

ولقد كنا نظن أن عودة الحياة السابقة هو المنسجم مع الحاكمية القومية لأنها كانت منبثقة عن معاهدة اعترفت فيها الدولة الإفرنسية باستقلال سورية، في حين أن الإعلان الجديد صادر من كاترو الذي يمثل فرنسة المحاربة ولا يمثل الدولة الإفرنسية، وليس لإعلانه قيمة حقوقية دولية. وكان هذا هو الذي جعل هاشم وشكري وإخوانهم على ما نعرف يتمسكون بذلك الرأي. ولا ندري ما الذي جعلهم أو جعل هاشم يعدلوا عنه. وهل اعتبروا أن اعلان عودة الحياة الدستورية يسد هذه الثغرة، وأن الحياة الدستورية مستمدة من ذلك العهد التعاقدي، ولأن الذي سوف يجري من انتخابات ومجلس، وانتخاب رئيس جمهورية وقيام حكومة، إنما سوف يجري وفقاً للدستور القديم الذي قام عليه العهد السابق؟. ونعتقد أن هاشم ليس منفرداً في الرأي الذي أبداه، ولا بد من أن يكون معه إخوان من الكتلة إن لم يكن معظمهم. ونعتقد بناء على ذلك أن الكتلة سوف تشترك في الحياة الجديدة، وإن كنا نظن أنها أو أن أركانها ليسوا متضامنين كما كان سابقاً، وقد يكون شكري وهاشم في جانب وجميل وسعد اللّه في جانب. وقد يكون هذا الانقسام مما لا مفر منه نظراً لما كان من تصادم الأمزجة والمواقف وخاصة بين شكري وجميل. . وثناء كاترو على هاشم قد يكون بمثابة ترشيح له لرئاسة الجمهورية. وقد يكون للترشيح الإفرنسي رد فعل سلبي فيصبح شكري هو المرشح الوطني. وسنرى. . .

2 ـ احتمال الطلب من لبنان وسورية إعلان حالة الحرب ضد المحور ومدى ذلك:

ومما يمكن أن يكون بعد قيام العهدين الدستوريين في لبنان وسورية أن يطلب الحلفاء منهما إعلان حالة الحرب ضد دول المحور أسوة بالعراق. والسؤال هو هل يقدم هاشم أو شكري على هذه الخطوة اطمئناناً للظروف الحربية والسياسية الحاضرة التي هي في صالح السكسونيين أكثر من المحوريين على ما تبدو البوادر؟ وانسياقاً في الوقت نفسه لمداخلة ومساعي العراق ونوري السعيد خاصة التي نعتقد أنها ستكون؟ وانسياقاً كذلك وراء فكرة مسايرة الموقف واغتنام الفرصة لصالح القضايا العربية السانحة عن طريق التعاون والتفاهم مع الحلفاء؟.

3 ـ دعوة من مصر لنوري السعيد في صدد فكرة الوحدة العربية:

وأول أمس نشرت صحيفة تركية برقية من

زوريخ تذكر أن صبري أبا علم، الوزير والقطب الوفدي، أبرق بالنيابة عن النحاس إلى نوري السعيد يدعوه إلى مصر للبحث في موضوع عقد مؤتمر يدرس فيه موضوع الوحدة العربية. وقال لنا أحد الإخوان أنه سمع هذا من إذاعة لندن العربية. واليوم قرأنا في جريدة الجمهورية خبراً يذكر أن عمر رضا اطلع في الصحف السورية على خبر تصريح أدلى به صبري بالنيابة عن الحكومة المصرية في مجلس الشيوخ المصري، جاء فيه أن هناك مساعي جديدة في سبيل الوحدة العربية تمت بسبب تصريحات الحكومة البريطانية، وأن من المأمول أن تصل إلى نتائج إيجابية عظيمة الخطورة في حياة الأمة العربية، وهذا الخبر مفصل بما كتبناه في أسبوعية سابقة ومنسجم معه ولاريب، ويدل على أن مصر تبنت الفكرة وأنها تبذل جهدها لاغتنام الفرصة السانحة، وهذا عظيم بقطع النظر عن كل اعتبار. ومع أننا لانزال نظن أن الحركة بعيدة عن النضوج، وأن زعماء مصر مايزالون بعيدين عن هضم وفهم الموضوع والإعتقاد به بصورة جدية ووطيدة، فإن الظروف توحي بأشياء لعلها تساعد على سرعة الهضم والفهم، بل لعلها قد أوجدت جواً يدعو إلى التفاؤل أكثر مما نظن. وتبني مصر للحركة في حد ذاته كما قلنا عظيم، لأن الاتحاد أو الوحدة التي تكون فيها مصر أو تتزعمها سيكون بعيد المدى إذا كان هناك هضم وفهم جيدان، أو إذا حصل هذا في ما بعد، وقد وضعت أسسه وقام بناؤه شيئاً ما.

ولاشك في أن سورية ولبنان توشكان أن تتأهلا للاشتراك في هذه الحركة. ولم نسمع شيئاً عن الملك السعودي والإمام اليمني والأمير عبد اللّه. ونظن أن نوري السعيد الذي هو الأبرز والأنشط في مجال القضايا العربية الآن قد دعي إلى مصر للبحث في المقدمات والنتائج والتطابق فيها، وأن ذلك سيتبعه خطوات ثانية. والذي نرجوه أن تكون المساعي جادة ومخلصة، وأن تسفر عن تحقيق أهداف الأمة العربية في الاستقلال والحرية والوحدة والكرامة. وقد يكون لموقف بريطانية من الحركة أثر مهم فيها، فإذا كان لها مصلحة في تحقيق شيء من ذلك أثمرت المساعي. والخوف يأتي من أن مصلحة بريطانية قد تكون متضادة مع تلك الأهداف القومية، وإذا وقفت موقفاً إيجابياً منها فلابد من أن يكون ذلك لهدف يتفق مع مصلحتها. وبريطانية ذات أثر ووجود قويين الآن في الشرق العربي. فالعراق ومصر والأردن وسورية ولبنان وفلسطين محتلة بقواتها، ولها فيها التوجيه بل والهيمنة. فهل يا ترى أخذت تخشى من منافسة أميركا بعد الحرب، فجنحت إلى كسب الأعضاء وتأليف الجبهات معها من الآن؟ وهل يا ترى شعرت بنشاط اليهود في أميركا، ذلك النشاط القوي المخيف، فأرادت أن تقوم جبهة عربية تجاه ذلك النشاط؟ وحبذا لو كان هذا صحيحاً، فهو عامل كبير في تحقيق مشروع توحيدي جدي ومثمر. أم أن المسألة لا تعدو عملاً دعائياً لتكثيف أنظار وعواطف وجهود العرب في هذه الساحة الواسعة والقصد منها إحباط دعاية المحور، وأن كل هذا سيذهب عقب الحرب إذا انتصرت فيها كما كان في الحرب السابقة؟.

4 ـ مقال عجيب لحسين جاهد يالشين عن موقف تركية الإيجابي في فكرة ومساعي الوحدة العربية وتعليق على ذلك:

ولقد قرأنا اليوم لحسين جاهد في جريدة يني صباح مقالاً بعنوان الاتحاد العربي ودهشنا جداً منه. فهو يعلن أن الترك يقابلون حركة الاتحاد العربي بكل ارتياح وتعضيد، ويذكر ما لروابط الأخوة المادية والمعنوية التي تربطهم بالعرب منذ مئات السنين، ثم يقول إن مصلحة الشرق تتحقق بإتحاد عربي يتحد مع الترك، فيكون من ذلك منافع عظيمة مادية ومعنوية وعسكرية ومدنية معاً. ويتمنى أن يتحقق الإتحاد العربي ثم الاتحاد العربي التركي، ويود أن يرى الاتحاد العربي شاملاً اليمن والحجاز وسورية ومصر والعراق وليبية. ويحذر من أن تلعب مطامع الأشخاص والأسر العربية والأحقاد والخلافات الدينية والمذهبية دوراً في إحباط هذه الحركة، ويوجب معالجتها والتغلب عليها بالصدر الرحب والنظر البعيد، ويتفاءل بأن العرب سيتغلبون عليها بما فطروا عليه من مزايا. وقد قلت أن المقال أدهشني، لأنه لم يكن يخطر لبالي إن يكتب حسين جاهد هذا المقال الذي يلمح فيه أنه كتب بروح ود وعطف واهتمام نحو العرب، وهو المعروف بمواقفه السلبية من العرب وقضاياهم. . فهل كتب المقال من وجدانه الشخصي أو بإيعاز ما من الحكومة أو الإنكليز الذي يعرفون ميوله الشديدة نحوهم. وهل عنده علم بنيات السياسة التركية التي من بوادرها ما قاله سراج أوغلي رئيس الوزارة، من أن تركية متطابقة في صدد القضايا العربية مع السياسة الإنكليزية، وأن التطابق يجعلها تشجع مشروع الإتحاد العربي. ولو كان الجواب إيجابياً لحكمنا بأن هذا المشروع جدي ومثمر وفي سبيل التحقيق الأكيد من حيث أن الأتراك الذين كانت لهم مواقف سلبية لا يعارضونه بل يشجعون عليه، ومن حيث أن الإنكليز يشجعون عليه، ومن حيث أنه لم يبق ما يحول دون تحقيقه بشكل ما، لأن معظم رجالات العرب وبخاصة في سورية والعراق يشجعونه بقوة. وها هي مصر أيضاً تنضم إلى ذلك.

ومهما يكن من أمر فالمقال عظيم، وكاتبه ذو مكانة عظيمة في الوسط التركي والصحفي، وقد رأيت من واجبي أن أكتب له (بتوقيع ضيف عربي في الآستانة) كتاباً أشكره وأؤيده فيما ذهب إليه، وأطلب الاستمرار في التشجيع والتعضيد، وبخاصة من تركية التي لها اعتبار عظيم في الموقف السياسي.

5 ـ غمز هتلر في خطابه للمحايدين ومقال لحسين جاهد يالشين في صدد ذلك:

في الخطاب الذي ألقاه هتلر يوم تكريم أبطال الحرب غمز المحايدين الذين لا يقفون موقفاً صريحاً ويتخذون موقف المعلم وبائعي الأفكار والمتفرجين، وقد كتب حسين جاهد في (يني صباح) مقالاً رد فيه على هذا الغمز، مستنبطاً بأن هذا الغمز موجه إلى تركية، ثم يقول إن موقف تركية صريح، فهي حليفة لبريطانية وهي ليست محايدة، وكل ما هناك أنها غير محاربة كما كانت إيطالية بالنسبة لألمانيا قبل أن تدخل الحرب. وفي أي وقت توجب عليها عهودها أن تدخل الحرب فسوف تسارع إلى

ذلك في جانب حليفتها. ومع أن هذه هي حقيقة موقف تركية، فإن تركية الرسمية ظلت تداور في تقريرها، وظلت تقرر أنها حيادية ولن تدخل الحرب برضائها، ولن تدخلها إلا للدفاع عن استقلالها وحيادها... والفرق عظيم بين الصورتين، ومع عدم جهل ألمانيا تلك الحقيقة فإنها ظلت تشيد بالصورة الرسمية وتعلن أنها تفهم أن هذا هو موقف تركية الصحيح. فهل هذا المقال موحي به، وهل هو بادرة جديدة في صدد التظاهر والتواثق مع الإنكليز؟ وليس لدينا ما نستند إليه في جواب ما، ولكنا نقرر أن المقال خطير.

وبهذه المناسبة نذكر أن حسين جاهد كتب مقالاً حمل فيه على جريدة ألمانية تصدر في الآستانة لنشرها خطاباً ألقاه (فون باين) السفير الألماني في تركية في اجتماع ألماني عقد في الآستانة لتكريم ضحايا وأبطال الحرب. ولقد جاء في خطاب السفير فيما جاء أن روسية إذا انتصرت وإذا صح ما يقال من أنها في تلك الحالة ستكون صاحبة النفوذ والتنظيم في أوروبا وبخاصة في أوروبا الشرقية، فإن معنى ذلك حكم بالإعدام على تركية. فاعتبر حسين جاهد هذا القول تحريضاً ألمانياً للأتراك على روسية الصديقة في بلد تركي، ورأى فيه خروجاً عن اللياقة والتعامل السياسي، فكتب مقالاً ينتقد ذلك. ومع أنه أغدق على السفير عبارات توقيرية، فإنه لم يقصر في غمزه وفي التحريض ضد الجريدة الألمانية التي نشرته. وحسين جاهد بالمرصاد لكل ما يصدر من دعايات ألمانية تزييفاً وغمزاً، ولكل ما يصدر من دعايات سكسونية تأييداً وتحبيذاً، وهو يغلو كثيراً في هذا وذاك كما رصدناه منذ أشهر عديدة.

6 ـ خطاب لرئيس وزراء اليابان ودعوته الآسيويين للتعاون مع اليابان على أساس الحرية والاستقلال:

في هذه الفترة ألقى رئيس الوزارة اليابانية خطاباً في البرلمان يمكن أن يعد خطيراً، فبالإضافة إلى تكرار ما قاله سابقاً من تصميم اليابان على مواصلة الحرب حتى تسحق أميركا وبريطانية، قال أنه أبلغ رئيس وزراء بورما أن بورما تستطيع أن تسير وفق التنظيم والخطط التي تراها ملائمة لمصلحتها حرة مستقلة بكل معنى الكلمة. وأن هذه هي الخطة نفسها نحو الأقسام الصينية التي هي في نطاق حكومة (نانكين)، وأنها ألغت كل امتيازاتها وامتيازات الأجانب في هذه البلاد، وقد كان لهذا الكلام تأثير عظيم في المناطق التي تقف موقف المناوأة لليابان بقيادة مرشال الصين شان كاي شاك، حيث أخذ كثير من رجالات وأهالي هذه المناطق يلتحقون بحكومة نانكين. وقد هز هذا مركز المارشال الصيني وحركة مقاومته على ما أذيع ونشر.

والخطة اليابانية خطة رشيدة من دون ريب، ولابد من أن يكون لها أثر عظيم في الهند وفي الأنحاء الآسيوية التي أخرج منها الأوروبيون، وكل ما نتمناه أن تكون جدية وصادقة، وليس هناك ما يدل على غير ذلك. فاليابان الراقية في سياستها وصناعاتها لا يذهب عنها أن تعرف أنها إذا أقامت صلاتها مع البلاد الآسيوية على أساس التعاون تكون لها القيادة في آسيا، وتجني من ذلك أعظم الفوائد دون أي خسارة.. ونتساءل عن عدم استطاعتها التفاهم مع المارشال الصيني، أو تصل إلى نتيجة حاسمة في موقفها معه، فهل للدعاية

والتحريضات السكسونية الأثر في ذلك؟ أم أن هذه الخطة اليابانية جديدة ولم يظهر بعد تأثيرها الحاسم في أفكار الصينيين؟ أو أن المارشال وأنصاره يعتقدون أنها خطة للدعاية وليس وراءها حسن نية يمكن الاطمئنان بها؟ والسكسونيون يعلقون أهمية عظيمة على مناوأة الصين لليابان في ما يترسمونه من الغلبة عليها بالنتيجة. والبوادر تدل على أن المارشال متطابق معهم ومستمر في نضاله وكفاحه. وهذا مما يجعل العقبات والصعوبات بل والخطر لليابان الآن وبعد الآن.

7 ـ حول الانسجام بين اليابان ودولتي المحور ومداه:

ومما قاله رئيس وزراء اليابان أن الانسجام تام بين اليابان ودولتي المحور في كل شيء، بينما الخلاف والتناقض بادين بين السكسونيين وبينهم وبين حلفائهم معاً. ومع ما قاله الرئيس من الإنسجام، فإن موقف اليابان جامد عملياً تجاه الروس. وقد جعل هذا بعض المعلقين يتساءلون عن جدوى دعوى الإنسجام مع هذا الجمود، ويقولون أن الروس والسكسونيين إذا كسروا الألمان والطليان فسوف ينصّبون على اليابان حتماً، ولا يكون لدعوى الإنسجام أي جدوى في هذه الحالة. والحقيقة أن موقف اليابان الجامد نحو الروس لغز من جهة، وينطوي على خطر لاريب فيه على اليابان في المستقبل. وطبعاً ليس لدينا ما يجعلنا نعرف العوامل الحقيقية لهذا الموقف، ولكنا نقدر أن اليابان لا تجهل نتائجه...

8 ـ حول رحلة إيدن لأميركا وما نشر في صددها عن الحرب:

أنهى إيدن رحلته للولايات المتحدة الأميركية، وذهب منها إلى كندا، ثم عاد إلى بريطانية. وقد خطب عدة خطابات كان يكرر فيها أماني ثلاثة للحلفاء وهي:

(1) الاستمرار في الحرب إلى أن تستسلم دول المحور بدون قيد أو شرط ويتم النصر الحاسم للحلفاء.

(2) اتخاذ كل التدابير لعدم تمكين هذه الدول من إثارة حرب كونية أخرى.

(3) إقامة صلح عادل قائم على تعاون صادق بين الدول المتحالفة وخاصة العظمى منها.

وقد خطب روزفلت فأشار إلى رحلة إيدن، وقال أن جميع النقاط قد بحثت سواء منها العسكرية أو الاقتصادية أو ما يتصل بسير الحرب وما بعد الحرب، وأن التطابق كاد يكون تاماً بينهما.

9 ـ مقال للتايمس بوجوب التفاهم مع روسية وتقدير جهودها وموقف الروس من ذلك:

وفي هذه الأثناء نشرت التايمس مقالاً حثت فيه على وجوب التفاهم التام مع روسية وتقدير مركزها وموقفها ومسايرة مطالبها. وكان هذا المقال موضوع تعليقات، واستدل به على عمق ما هناك من تناقض وما يثيره هذا من مخاوف.

أما الروس فرجالاتهم وصحفهم في سكوت عجيب إلا في صدد الحرب وأخبارها، ثم من إشارات فيها عتب ومرارة لترك جميع ثقل

الحرب فوق كاهل روسية، وعدم فتح الجبهة الثانية التي فيها وحدها التحقيق المنشود. وما يقال عن ما بعد الحرب وعن غايات روسية ومساعي بريطانية وأميركا، فكل هذا يقابل بالسكوت العميق، وهذا السكوت يسبغ على الموقف قلقاً. ولا شك في أن موقف روسية كان من مواضيع أبحاث إيدن وروزفلت، وبريطانية خاصة تظل تشير إلى عزمها على استمرار التعاون والتفاهم وإلى خطورة وفائدة الروس وبطولة الروس، وإلى وجوب اتخاذ كل التدابير للتخفيف عنهم، وإلى وجوب تطمين أمانيهم وتطلعاتهم أيضاً وكل همّ بريطانية الآن هو طبعاً استمرار مقاومة روسية حتى تتحطم ألمانيا، أو على الأقل حتى يعتريها من الإعياء ما يساعد على تحطيمها نهائياً.

10 ـ حول حرب الغواصات وآثارها المريعة:

مما ذكرته الصحف أن من أهم ما دار الحديث حوله بين إيدن وروزفلت مسألة حرب الغواصات الألمانية ومكافحتها، وهذا ما حسبته الأوساط الألمانية، لأن هذه الحرب تقض مضجع السكسونيين بكل شدة. ولقد أعلنت المصادر الألمانية أن مجموع ما أغرقته الغواصات في شهر مارس هو 149 قطعة بحرية حمولتها نحو مليون طن. وسمعنا اليوم إذاعة أنقرة تذيع تصريحاً لقائد ألماني بحري جاء فيه: إن الألمان قانعون بأن بريطانية لن تغلب إلا بحراً وأن من واجب الألمان مضاعفة جهدهم حتى يتم لهم النصر في هذا الميدان، ويصبح المغرق أكثر من المنشأ.

11 ـ تطور الحالة الحربية في جبهة تونس لصالح السكسونيين ومداه:

تطور سير الحرب في جبهة تونس في هذه الأيام لصالح السكسونيين على ما أذاعته مصادرهم وغيرها. وقد أذيع أن السكسونيين اخترقوا خط دفاع ماريت بهجوم من الجيش الثامن، وأن الألمان اضطروا إلى التراجع، ثم تقدم السكسونيون وظل الألمان يتراجعون. وقد حذر شرشل مع ذلك من التفاؤل السريع، وأشار إلى ما هناك من صعوبات قوية قبل الفوز النهائي في هذه الجبهة، مع قوله أنه مطمئن بتحقيق هذا الفوز.

وروميل يحاول محاولات جبارة في الكر والفر لمنع إطباق الجيوش السكسونية والإفرنسية من النواحي الأربعة للجبهة دفعة واحدة، فإن ظواهر الأحوال لا تحمل ما يساعد على الظن بأنه سوف ينجح، وتسويغ القول أن موقفه محفوف بالخطر. وخبراء الترك العسكريون يكادون يجمعون على أن روميل سيضطر عاجلاً أم آجلاً قريباً إلى الجلاء عن تونس. وتذاع في هذين اليومين أخبار بأن الألمان أخذوا في الإعداد لهذا الجلاء، وأن السكسونيين يحاولون عرقلة ذلك لأقصى حد ممكن حتى يمكنهم أسر القوات واغتنام معداتها.. وإذا استطاعوا الجلاء بمناورات لا خسارة فيها ونفضوا يدهم من جبهة إفريقيا نهائياً كما هو المقدر، إذا جلوا فسوف يتخذون قواعد دفاعية قوية في صقلية وساردينيا وسواحل أوروبا الجنوبية، لأنهم سيقدرون أن السكسونيين يهاجمون هذه المراكز والسواحل. ومعنى كل هذا إذا صح هو أن المحور لم يستطع أن يرسل قوات كافية لتقوية مركزه في

جبهة تونس، أو أنه قرر نهائياً عدم الفائدة من ذلك، لأن فيه هدراً وتوزيعاً لقواته.

12 ـ الموقف الحربي في الجبهة الروسية والتوقعات فيه:

وأخبار الجبهة الروسية تدل على أن حدة الهجوم الروسي تكاد تكون انتهت، وأن ما يجري فيها من معارك موضعية، وأن الألمان مستقرون في معظم الجهات في خطوط دفاعية قوية، وأنهم في الجنوب يحاولون استرداد كورسيك لأهميتها في هذا الاستقرار. ويضاعفون الجهد في تقوية دفاعهم وانتاجهم واستغلال ما في حوزتهم من أراضٍ روسية وخاصة أوكرانيا وبلاد أوروبية أخرى بسبيل ذلك. ولا ينتظر حركات حربية شديدة قبل نهاية نيسان أو قبل نصفه الثاني. ومن الخبراء من يقول أن الألمان سيظلون فترة أخرى في خطوطهم الدفاعية القوية ويضاعفون جهدهم في تقوية قدراتهم وإنتاجهم حتى يضربوا ضربتهم الكبرى. وقد أذيع عزواً إلى صحف إنكليزية أن قوات الروس قد أنهكت إلى درجة أنها لن تستطيع الاستمرار في الحرب والمقاومة، وأن من الواجب فتح الجبهة الثانية بكل سرعة كعملية إنقاذية لها. وقد يكون في هذا مبالغة بقصد الحث على تسريع فتح هذه الجبهة التي طال الكلام حولها دون بادرة جدية في سبيلها، حتى صار بعض الخبراء يقولون باستحالتها أو استحالة تأثيرها. ولكن الخبراء لا يستبعدون أن يكون في ما قالته الجريدة حقيقة، ويبنون قولهم بعبثية الجبهة الثانية على ذلك.

* * *

الأحد 11 نيسان 1943
2 ربيع الثاني 1362:

1 ـ أعلن الروس انتهاء حركات الشتاء وما حققوه من انتصارات:

أعلن الروس انتهاء حركاتهم الحربية الشتوية التي امتدت من أوائل تشرين الثاني إلى آخر مارس، وأعلنوا أنهم استرجعوا من الألمان ما مساحته نحو نصف مليون كيلومتر مربع وعدداً كبيراً من المدن والقلاع والمراكز الصناعية والمناجم والحقول، وغنموا وخربوا (15000) مدفعاً و(10000) دبابة ونصف مليون بندقية ونحو (100000) عربة ميكانيكية ومئات العقارات والخزانات، وبلغ عدد قتلى وجرحى الألمان (800000)، وأسراهم (300000). والألمان طبعاً لا يعترفون بهذه الأرقام، ويذكرون صادقين أن أيديهم لا تزال منبسطة على مساحات شاسعة ذات منابع متنوعة وعظيمة.

إلا أن الحقيقة التي لا شك فيها أن الروس يعدون منتصرين في حملتهم الشتوية، وأنهم استطاعوا أن يكبدوا الألمان خسائر فادحة، وأن يستعيدوا كثيراً مما استولى عليه هؤلاء، وأن يظهروا للعالم أنهم ما يزالون أقوياء الحيوية والنشاط، وأن كسر الألمان لهم نهائياً صعب جداً إن لم يكن متعذراً، وانتصار وحيوية الروس أدخلا شكاً في النفوس في انتصار الألمان عليهم انتصاراً عسكرياً نهائياً وفتحا المجال للقول باحتمال انكسار الألمان إذا ما تكأكأ

عليهم السكسونيون من سواحل أوروبا الأخرى وصاروا بذلك بين نارين عظيمتين. .

وانتصار الروس ونتائجه المادية والمعنوية أوجدت عند البعض احتمال وقوف الألمان موقف المدافع المتربص في الشرق والغرب معاً أيضاً. ولقد اهتم السكسونيون اهتماماً عظيماً لاستغلال الموقف في الدعاية والتهويل وتصوير انكسار الألمان النهائي كحقيقة حتمية، وإن طالت الحرب. وموقف الروس هذا غير عقيدة الألمان بقوة الروس وحيويتهم، وجعلهم يذهلون ويقولون أنهم فوجئوا بذلك أعظم مفاجأة، وأن عقيدتهم بخطر الشيوعية اشتدت، وأن القائمين عليها قد استعدوا استعداداً هائلاً في سبيل نشرها حينما تواتي الظروف، ثم جعلهم يصرخون في العالم صرخات التحذير والتنبيه. ولم يستثنوا من ذلك السكسونيين الذين عدوا صرخاتهم هذه من مظاهر ضعفهم واستغلوها في الدعاية والتهويل أيضاً.

ومع كل ذلك فإن الناس يترقبون حركات الربيع والصيف من كل من الألمان والروس. والسكسونيون هذه السنة يرون أنها قد تكون الفاصلة في تقرير مصير الحرب في أوروبا على الأقل. .

ويلوح لي أن الألمان لن يكسروا الروس نهائياً هذه السنة، كما أن الروس لن يفعلوا أكثر مما فعلوا. وأن الألمان لن يكسروا نهائياً إلا في أوروبا، وأن ما يقال من الجبهات الأوروبية السكسونية لن تحل المشكلة هذه السنة، وأنها أصعب كثيراً مما يتصور. وفي يد الألمان من المنابع والموارد ما يساعدهم على المقاومة والصبر، وأن حظ الألمان في النصر وقدرتهم على الصبر والمقاومة لا يقل عن حظ وقدرة خصومهم. وهذا ما يسوغ القول أن الحرب ستطول سنة أو سنتين والعياذ بالله.

2 ـ الحالة في جبهة تونس لصالح السكسونيين وتعليق على ذلك:

في جبهة تونس تجري الرياح في هذه الفترة أيضاً ما يشتهيه بها السكسونيون، وقوات المحور فيها تتراجع إلى الشمال الشرقي، وقد اتصلت القوات السكسونية والإفرنسية وأصبحت خطاً واحداً جنوبياً وغربياً معاً، ويقول كثير من الخبراء أن عاقبة المحور أخذت تظهر، وأن المحتوم عليهم إخلاء تونس أو الاستماتة في منطقة ضيقة إلى آخر نفس كما فعلوا في ستالينغراد، وكما فعل الروس في سيواستيبول. ويقول بعضهم أن المحور قد يحاول الشق الثاني بقصد المطاولة والتمديد. وقد ينجحون في الصمود في منطقة ضيقة كقلعة محصنة في الجنوب وباب المدد مفتوح أمامها من الشمال وليس عليها خطر الموت جوعاً كما كان الأمر في ستالينغراد.

ومنذ يومين ومعركة حامية تدور بينها وبين القوات المتحالفة وسنرى عما ينجلي. ولقد أتاح هذا الموقف للسكسونيين دعاية واسعة، وفتح أمام الخبراء باب تخمينات واسعة، وأخذت تنشر أخباراً وروايات كثيرة على هامشه. مثل القول أن الأسطول البريطاني يتربص بالأسطول الطلياني ليقضي عليه نهائياً، وأن الطليان في أشد حالات القلق والخوف، وهم الآن يسحبون قواتهم من البلقان، ودائبون مع الألمان ليل نهار في تحصين سواحلهم، وأن أهل هذه السواحل ينسحبون بقلق ورعب، وأن من المحتمل إخلاء روما لأن الحكومة تركتها

واتخذت لها مركزاً آخر لوقايتها من التخريب، بل أنها تخليها الآن من السكان. ومع احتمال أن تكون حالة الطليان حرجة، إلا أن التهويل في الأقوال بارز جداً.

3 ـ بيان إيدن في مجلس النواب عن رحلته لواشنطن:

ألقى إيدن بياناً في مجلس العموم عن رحلته إلى أميركا، فأشاد بما أحدثته في نفسه من آثار إيجابية، وما كان فيها من لقاءات وأبحاث. ويظهر مما يذاع وينشر أن إيدن لم يصل إلى نتيجة إيجابية جدية في صدد وحدة الفكر والعمل والسياسة أثناء الحرب وبعدها. ولقد قال فيما قال أن حركات الحرب كلما اتسعت وانكشفت ظهرت صعوبات في عالم السياسة، وأن هذا هو الذي يبذل الجهد في التغلب عليه. وأن هذ الرحلة وأمثالها مما يساعد على ذلك. وهذا الكلام يؤيد أنه لم يحقق نتيجة إيجابية جادة كما قلنا وكما يبدو وما يذاع وينشر. ومما يلفت النظر مقال نشرته التايمس جاء فيه أن القصد من رحلة إيدن هو مداولة الأفكار وليس للإتفاق على أشياء معينة، وأن هذه الغاية قد حصلت وكان منها الفائدة. وهذا أيضاً يؤيد ذاك.

ولا شك في أن هناك نقاطاً كثيرة معقدة، وأن مركز الثقل السياسي والحربي والإقتصادي يكاد يكون قد انتقل من لندن إلى واشنطن. وأن الإنكليز يرون ذلك ويسايرونه على مضض. وأميركا تشعر أن انتقال هذا المركز إلى واشنطن شيء طبيعي، وتحرص على توطيده ثم على إشعار الإنكليز وغيرهم بأنها لن تنفض يدها من سياسة الدنيا بعد الحرب، وتريد أن تكون هي صاحبة الشأن الأول والأقوى في ذلك. ولعلها تتحسب من تمثيل الدور الذي مثل بعد الحرب العالمية الأولى، وما كان من أثره السلبي في مركزها في العالم، لأن أميركا سخطت من ذلك الدور وانسحبت من سياسة العالم وضعف مركزها، في حين كان لها أثر قوي في الانتصار الذي أحرزه الحلفاء على ألمانيا. ودول العالم وأممه يرون ويعترفون ما لأميركا من جهد وما صار لها من مركز، وينظرون إليها بعين الإطمئنان، ويرحبون ويؤيدون أن تكون مركز الثقل الاقتصادي والسياسي والحربي. وكل هذا مما يقلق بريطانية ورجالها فيما نعتقد.

4 ـ الحالة بين الإفرنسيين المحاربين وموقف السكسونيين:

كان من المنتظر أن يأتي ديغول من بريطانية إلى الجزائر استجابة للدعوة التي وجهها إليه جيرو. غير أنه بوغت ببرقية من القائد الأميركي العام يطلب منه تأخير قدومه لأجل غير مسمى على ما أذيع ونشر في هذه الأيام. ولقد بوغت الناس الذين يترقبون أحداث فرنسة بهذا الخبر، وانعكس أثره في الإفرنسيين أنفسهم. ومما نشر أن ديغول نفسه حنق من ذلك وزار إيدن معاتباً محتجاً مبدياً حيرته وذهوله من تأخير اليوم الذي تتحد فيه قوات فرنسة المحاربة وجهودها وأهدافها.

ومما أذيع أن إيدن قال له أن التأخير كان بموافقة بريطانية، وأن هناك اعتبارات عديدة قضت به وأنه موقت. .

وليس من شك في أن الموقف غريب، فهل تفضل أميركا وبريطانية أن تظل حالة الإفرنسيين المحاربين على ما هي عليه من التفكك

والضعف، وهل لهما مخططات في صدد أمبراطورية فرنسة ومستقبلها، وهل كانت هذه البرقية من القائد الأميركي العام بمثابة إعلان بأنه هو صاحب الكلمة في شمال إفريقية، وأن الإفرنسيين ليسوا هم أصحاب البيت كما يظنون ويتصرفون فيه كما يشاؤون، وهل أرسل جيرو دعوته إلى ديغول بدون موافقة هذا القائد على اعتبار أنه هو صاحب البيت، فكان جواب القائد كما جاء؟؟.

وهذه سؤالات ترد على الذهن دون جواب حاسم، إلا القول أن فرنسة المحاربة وديغول وجيرو وأمبراطوريتهما المزعومة لم تكن أكثر من «شرابة خرج» في ركاب أميركا وبريطانية، في حين أنهما يريدان أن يبيعا نفسيهما غاليين. ومما يلفت النظر أن ما يصدر من تصريحات لرجال السياسة في لندن وواشنطن عن حركة العالم ومستقبله لا يرد فيه أي ذكر لفرنسة ودورها ومركزها الآتي إلا الإشارة إلى قصد تحريرها وتبوؤها المركز اللائق بها. وقد قرأنا اليوم أن المارشال كورت الإنكليزي سيذهب إلى الجزائر للاشتراك في بحث الأمور والتعاون على توحيد صفوف الإفرنسيين مع القائد الأميركي، وأن ديغول قد يأتي بعد ذلك، وأنه سيلاحظ في صدد هذا التوحيد ثلاث نقاط مهمة:

1 ـ الاكتفاء بإنشاء مجلس متحد لإدارة أجزاء الأمبراطورية الإفرنسية بدون عنوان حكومة رسمية.

2 ـ تأجيل إنشاء حكومة رسمية إلى فرصة أخرى.

3 ـ إعلان نقض الهدنة وحل فرنسة والإفرنسيين من عهودهم من الإخلاص لها وللمارشال بيتان.

وهذه النقاط الثلاث هي في صالح سير الحرب والأهداف السكسونية في الدرجة الأولى كما هو واضح.

5 ـ تصريح سفير روسية في واشنطن عن أحاديث ما بعد الحرب:

أمس أذيع تصريح لسفير روسية في واشنطن ليتنوف، جاء فيه أن كثرة البحث والإصرار على حل مشاكل ما بعد الحرب من الآن من شأنه أن يؤدي إلى إنقطاع الروابط بين الحلفاء، وهذا أول تصريح صدر من الروس في صدد ما هو دائر من مثل ذلك، وذو خطورة خاصة، فأكثر الأبحاث تجري في نطاق تخمينات أهداف الروس بعد الحرب ومركزهم وما يمكن أن ينتج عن روسية المنتصرة من نتائج إذا ما قدر لها كسر الألمان. والأميركان خاصة يبدون اهتماماً كبيراً لهذه المسألة، ويريدون أن يكون تفاهم صريح مسبق على ما سوف يكون بعد الحرب من خطط وخطوات، وعلى أن يكون ذلك مطمئناً لهم. وسكوت الروس العجيب وعدم اشتراكهم في مؤتمر للدار البيضاء وما قيل عن تأخير زيارة مولوتوف إلى لندن (وزير خارجية روسية)، مما زاد الأفكار بلبلة وتحسباً. ونرجح أن هذا التصريح سوف يزيد في ذلك، حيث يمكن أن يستنتج منه أن الروس لا يريدون ولا يرون ضرورة للبحث في ما بعد الحرب والتفاهم على خطط وخطوات مقيدة لهم، وأن كل ما يهم هو كسب الحرب وترك ما بعدها لما بعدها. وسنرى ماذا يكون من صدى لهذا التصريح.

6 ـ قلق الفلسطينيين من ضريبة الإرث وتعليق على ذلك:

في جرائد فلسطين التي وصلت إلينا شيء مما استولى على العرب من قلق واضطراب من جراء الضرائب الجديدة التي أخذت تفرضها حكومة فلسطين، وأهمها ضريبة الإرث التي أقامت العرب وأقعدتهم، وحملهم على عقد اجتماع كبير في يافا، وصف بأن عدد المشتركين فيه أكثر من عدد أي اجتماع عربي سابق، وقد قرر المجتمعون رفض الضريبة وإرسال احتجاج عليها للحكومة وشرح ما يمكن أن يؤثر على العرب وكيانهم. ويستفاد مما نشر أن هذه الضريبة سوف تشمل كل متروكات الميت من منقولات وغير منقولات. والعرب يلمحون أن تنفيذها سوف يجعل ثرواتهم وأراضيهم عرضة للخطر، وفي ذلك تحقيق لآمال اليهود. وبالإضافة إلى ضريبة الإرث هذه، فالمستفاد مما نشر وكان سبب القلق والإضطراب أن ضريبة الدخل وضريبة الأراضي زيدت زيادات غير يسيرة. ومما تفيده منشورات الصحف أن اليهود أيضاً سخطوا وقلقوا من هذه الضرائب واستنكروها واحتجوا عليها أيضاً. ومن الغريب الوقح أن السكرتير العام قال في إجابة على ما ارتفع من شكوى على هذه الضرائب أن المكلف الفلسطيني لا يدفع عشر ما يدفعه المكلف الإنكليزي، وأن فلسطين لا تشترك في المجهود الحربي مثل بريطانية. أي أنهم يريدون من فلسطين ضرائب ومجهوداً مثل إنكلترا. . ومن طريف ما جاء في رد الغرف التجارية على ذلك أن الإنكليزي إذا دفع فإنما يدفع ثمن السيادة التي يتمتع فيها. وقد نشرت الغرف مقارنات يظهر منها أن المكلف الفلسطيني يدفع ستة جنيهات في حين أن المصري يدفع ثلاثة والعراقي جنيهين والسوري واللبناني أقل من جنيهين، وطلب من الحكومة مراعاة هذا القياس أكثر من القياس بين الفلسطيني والإنكليزي. والغليان قوي في فلسطين، ولا ندري هل تتراجع الحكومات عن بعض ما تعتزمه بقصد التسكين والتخدير وعدم التفاقم.

***

يوم الثلاثاء
20 نيسان 1943 :

1 ـ نشاط هتلر في مقره واجتماعاته مع رؤساء الدول المتحالفة والموالية :

في هذه الفترة نشط مقر هتلر في الجبهة الروسية نشاطاً سياسياً، حيث جاء إليه أولاً موسوليني مع فريق من أعيان رجاله السياسيين والعسكريين ولبثوا أربعة أيام في مشاورات ومداولات مع هتلر ورجال السياسة والحرب الألمان. ثم جاء زعيم رومانيا (انطونيسكو). ثم جاء زعيم فنلنديا (مانرهايم) ثم جاء الوصي على عرش المجر. ثم جاء (بوريس) ملك بلغارية. وكان يصدر عقب كل اجتماع مع هؤلاء وهتلر ورجاله بيانات رسمية تتضمن التصميم على الإستمرار في الحرب إلى أن يزول الخطر الذي يهدد أوروبا شرقها وغربها. والتطابق التام في الأفكار والخطط والعزم على حشد جميع القوى في سبيل الغاية المشتركة، ومع ما يمكن أن يكون لهذه اللقاءات وبياناتها من هدف دعائي في صدد تشديد عزم شعوب المحور والموالين له والمتحالفين معه، وفي صدد إحباط دعاية السكسونيين النشيطة التي تنسب إلى جبهة المحور الوهن والقلق والرعب، وفي صدد إعلان التماسك القوي والتصميم التام بين دول المحور ومحالفيها، فليس من شك في أن وقوعها بين يدي فصلي الربيع والصيف وفي أثناء اشتداد الحملات الجوية والسكسونية على أوروبا المحتلة من الألمان والحليفة معهم ذو معنى خاص يتصل بسير الحرب وأحداثها اتصالاً وثيقاً أيضاً، ويعني على كل حال إعلان كون جبهة المحور متماسكة عازمة على الاستمرار في الحرب إلى النهاية مقابل الجبهة الأخرى التي ما فتئت تعلن تماسكها وعزمها على الاستمرار. وهذا يعني استمرار الحرب واشتدادها في الأيام القادمة، وبذل الجهد في إيصالها إلى المواقف الحاسمة.

2 ـ تعليقات المصادر السكسونية على هذا النشاط وتعليق عليه :

وقد كان كل اجتماع ولقاء من هذه الاجتماعات واللقاءات وما يصدر عنها من بيانات موضع تعليق من المصادر السكسونية ومحاولة لاستخراج إمارات الضعف والقلق منها، حيث كانت هذه المصادر تذيع بأن المحور في ورطة لا يعرف كيف يخرج منها. وحلفاء الألمان متزعزعون قلقون محتاجون إلى تقوية وشد، وتركز الدعايات السكسونية خاصة على إيطالية، وتظل تذكر أن عزيمة أهلها قد انحلت، وأن القلق استولى عليهم واليأس مشتد فيهم، وأنهم لو لم يكونوا تحت الاحتلال الألماني ليطلبوا الصلح بأي ثمن، ومما تقوله هذه المصادر أن الأسطول الطلياني هو الآن في يد الألمان، والجيش الطلياني تحت تحكمهم، وقواد الألمان وأمراء بحرهم يصولون ويجولون في إيطاليا كما يشاؤون. . . وكل هذا برغم التكذيبات المتوالية من المصادر المحورية، فالحرب الدعائية هي أيضاً على أشدها، والسكسونيون خاصة مهتمون بها اهتماماً عظيماً ويعولون عليها تعويلاً كبيراً في توهين صفوف

المحور وتشديد عزائم أممهم ومحالفيهم، وإيهامها أن عزائم المحور دخلت في دور الإنحلال، وعليها أن تصبر وتصمد، ويدخل في هذا ما تعيده المصادر السكسونية وتكرره من مشاريع بعد الحرب وتنظيم العالم بما يكفل سعادته وأمنه واستقراره. حيث أن كثرة الحديث في هذا يوهم الشعوب أن أمر الحرب أصبح مفروغاً منه، والنصر للسكسونيين أصبح مضموناً، وأنهم لذلك مهتمون لما يجب أن يكون بعد الحرب.. ويدور كل هذا بمهارة وبأساليب متنوعة ليس فقط في لندن وواشنطن، بل وفي بلاد حيادية أيضاً مثل سويسرة والسويد، مما يدل على أن ذلك يدبر من قبل علماء تنسيق بارعين.

3 ـ تنويه الألمان باستعدادهم الدفاعي في سواحل اوروبا:

ومما نلحظه في الأيام الأخيرة اهتمام الألمان بإعلانهم لقوة وعظمة السور (البولادي) الذي سوروا به سواحل أوروبا الغربية وعظمة الإستعدادات الدفاعية في كل ناحية من الجنوب الغربي والشمال، وإعلانهم لاستحالة اختراق هذا السور أو نجاح أي إنزال سكسوني على سواحل أوروبا.. ويتبادر لنا أن هذا الإهتمام لإعلان ذلك هو في صدد تقوية عزائم الشعوب المحورية وحلفائها، وأن دعاية السكسونيين المتكررة في صدد الجبهة الثانية وخاصة بعد ما أحرزوه من انتصارات في جبهة تونس قد أحدثت بعض القلق، فأراد الألمان إزالته بذلك. ولقد ذكرت الصحف التركية أن حركات عظيمة استعدادية تجري الأن في سواحل إيطالية والبلقان، حتى لقد ذكر بعض الخبراء احتمال قرب محاولة السكسونيين فتح الجبهة الثانية في هذه المناطق. فالروس ما يزالون يشتدون في طلب الجبهة الثانية، والصحف العمالية والإشتراكية والإنكليزية تدعو إلى ذلك بكل شدة لتخفيف ما هو متوقع من اشتداد الضغط الألماني على الروس في الربيع والصيف، وما سوف يكون له من أثر خطير في الجبهة الروسية إذا لم تفتح هذه الجبهة. وعلى هذا فمن المنتظر أن نشهد هذه السنة إذا صح احتمال فتح الجبهة فيها صراعاً عنيفاً متعدد الساحات.

4 ـ حملات حسين جاهد على دول المحور ومداها وتعليق على ذلك:

ومما لحظناه في هذه الفترة اشتداد حسين جاهد في حملاته اللاذعة ضد المحور، سواء في إبراز بوادر الانحلال والقلق والضعف، أو صور التناقض وإبراز ما هو مخيف مزعج من آمال زعماء المحور ومطامعهم. أو تزييف ما يصدر من مصادر المحور من دعايات وبيانات ومنشورات.. ويستعمل ألفاظاً نابية، حتى ليحار المرء في ذلك. وتعليل رضاء الدولة عنها لأنها ليست لاذعة فقط بل مهينة ومثيرة.. ولقد نشرت جريدة (يني صباح) في هذه الفترة بطبع مقالات عن البلغار، ووجهت إليهم قارص الكلام والتنديد، وحاولت أن تبرز كوامن أحقادهم على الترك وما يطمعون به من أراضي الدولة التركية الباقية في سيادتهم في أوروبا. ونشرت الخرائط والقرارات التي نشرتها بعض جمعياتهم القومية في هذا الصدد، حتى ليكاد المرء يظن أن تركية مقبلة على حرب وأن الأفكار تعد لها...

5 ـ خطاب مثير لوزير خارجية أسبانيا بالتوسط للصلح :

منذ بضعة أيام خطب وزير خارجية أسبانيا بمناسبة تاريخية، فذكر الحرب وويلاتها واستمرارها، ثم أعلن أن أسبانيا مستعدة بالتعاون مع البابا والدول الحيادية للتوسط في إقرار السلم إذا شاء المتحاربون. ولم يكد هذا الكلام يسمع ويذاع حتى انتشر في جنبات الأرض ورددت صداه كل ناحية. وكان الترديد سلبياً من المقامات السكسونية والمحورية على السواء، حيث قال وزير الخارجية الأميركية أن هذا الخطاب يدل على روح طيبة ولكن الحلفاء لن يرضوا بمفاوضات صلحية ما لم تعلن دول المحور استسلامها بدون قيد وشرط وتلقي سلاحها. حيث أذيع من برلين تصريح شبه رسمي بأن المحور لا يمكن أن يقبل صلحاً مرقعاً، ولن يلقي سلاحه ما لم يزل كل خطر يهدد أوروبا من الشرق والغرب. وأبدت صحافة الطرفين هذه الأقوال بأساليب متنوعة. ولما كانت أسبانيا ضالعة مع المحور وبخاصة مع إيطالية، فقد اتخذ السكسونيون من هذا حجة للدعاية، والقول بإن الخطاب لا بد من أن يكون بموافقة وعلم دول المحور أو بعضها، وأن هذا يدل على الدرجة التي بلغ إليها الوهن والقلق والرغبة في الخلاص في بلاد المحور، ولا سيما بعد أن وهنت عزيمتها حملات الجو وانكسارات افريقية.

وخطاب وزير أسبانيا هذا غريب في وقته، ومن المعقول أن يكون وسيلة محكمة لدعاية السكسونيين، لأن أسبانيا في جانب المحور أكثر منها حيادية. ولقد فسر بعض الصحفيين مدى الخطاب وأن المقصود منه هو تأليف ما بين المحور والسكسونيين فقط لتمكين الألمان من سحق الشيوعية التي هي خطر على جميع البلاد المتمدنة وفقاً للنظرية التي تعتنقها حكومة أسبانيا. ومهما يكن من أمر فالخطاب أوجد هزة، وكان وسيلة للقيل والقال ولإعلان الطرفين المتحاربين تصميمهما على استمرار الحرب. والذي يتبادر لنا أن حديث الصلح أو التوسط فيه الأن ليس في محله قط، لأن الحقد في الطرفين يزداد شدة، والاستعداد للحرب هائل جداً ضدهما معاً، وكل من الطرفين في موقف يرى فيه أنه يقاتل للموت والحياة. وكلاهما لا يرى له راحة ولا صلة ولا طمأنينة إلا بإرغام الآخر والتحرر من خوفه أو تحكمه أو سيطرته. وكلاهما ما يزال آملاً في النصر والوصول إلى غايته، وعندهما من الطاقة والحيوية والمنابع ما يبعث فيه هذا الأمل. فهل الوزير القى كلمته عفو الخاطر؟

6 ـ اكتشاف جثث آلاف الضباط البولونيين مقتولة بالرصاص ومقيدة أيديهم ورد فعل ذلك وتعليق عليه :

من الأحداث التي شغلت الأذهان وصفحات الصحف والإذاعات في هذه الفترة، ما أذاعه الألمان من اكتشافهم في أحراش سمولنسك أكثر من عشرة آلاف جثة ضابط بولوني مقتولين رمياً بالرصاص ومدفونين في خنادق محفورة في هذه الأحراش. ومنهم من لا تزال ثيابه غير بالية وأوراق هويته وعلامات رتبته موجودة، ومنهم من لا يزال القيد الذي قيدت به يداه موجوداً. والإذاعات الألمانية تقول أنهم قد قتلوا برصاص الروس في سنة 1939 حينما احتلت جيوشهم

أرض بولونيا من الشرق، بينما كان الألمان يحاربون في قسمها الغربي. والمنطقة التي وجدوا فيها منطقة روسية، والاكتشاف كان صدفة. وكثير من سكان المنطقة رأوا الخنادق، ومنهم من تعرف على بعض الصرعى ومنهم جنرالات. وقد هز الخبر أهل بولونيا ورجالهم العسكريين والمدنيين المتواجدين في لندن وغيرها.. ومع أن بعض هؤلاء حاولوا أن يروا في ما أذاعه الألمان دعاية ورياء وأعلنوا شكهم في صحة ما أذيع، ومنهم من قال أن الألمان يعرفون ذلك منذ سنتين ثم أخروا إعلانه إلى الأن للدعاية، إلا أن هذه الأقوال لم تغطّ على ما ثار فيهم وفي البولونيين من غيظ وسخط. ومما قاله رجال بولونيا في المنفى أنهم يعرفون أن هناك آلافاً من الضباط البولونيين مفقودين، وأن المقامات الروسية سئلت عنهم فقالت لهم أنهم أرسلوا إلى الأنحاء الآسيوية الثلجية معتقلين. ولما تفاهم البولونيون مع الروس وألفوا جيشاً ليحارب في صفوف الحلفاء طلبوا إطلاق سراح الضباط وإعادتهم للخدمة، ووعدهم الروس ولكنهم لم يحققوا وعدهم، ويسألون الآن أين ضباطهم ويقولون: إن إظهارهم هو وحده الذي يكذب الألمان ويزيف دعايتهم. وأعاد الألمان توكيدهم إزاء ما دار من أخذ ورد حول الحادث أن الاكتشاف جديد وصدفة، وأن الحادث حقيقي لا شك فيه. وكلفوا الصليب الأحمر الألماني بأن يطلب من الصليب الأحمر الدولي القيام بالكشف والتثبت. واليوم نشرت حكومة بولونيا في المنفى الموجودة في لندن بياناً ذكرت فيه أنها هي الأخرى كلفت مفوضها في سويسرة ليطلب من الصليب الأحمر الدولي القيام بالكشف والتثبت. ولقد أثار بيان حكومة بولونيا في المنفى الروس، فنشرت جريدة برافدا مقالاً حملت فيه عليها واتهمتها بمجاراة الدعاية الألمانية وبكونها غدت آلة لها. وبذلك دخلت القضية في نطاق مثير، وأدت إلى تجدد النزاع بين بولونيا وروسيا، وبالتالي بين الحلفاء فيما بينهم. وهكذا أثمرت براعة الألمان الدعائية ثمرة مهمة.

والمتبادر من ظواهر الأحوال أن الحادث حقيقي، وأن الروس قد اعتقلوا هؤلاء الضباط وأعدموهم حينما رأوا فيهم عزماً على المقاومة. والحادث في غاية البشاعة ومما يثير الرعب والاشمئزاز في النفوس، ويعطي الألمان وسيلة دعائية قوية ضد الشيوعيين وقسوتهم. ولعل الأيام الآتية تزيد في الأمر جلاء، وحينئذ نرى بماذا سوف يرد السكسونيون والبولونيون ليغطوا هذه المجزرة الشيوعية البشعة. وماذا يقول الشيوعيون للرد والتنصل. وماذا يكون أثر الحادث في موقف البولونيين، ولا سيما بعدما صدر من الروس من تصريحات حاسمة بأن ما كان دخل في حوزتهم من شرق بولونيا يجب أن يعاد إلى حوزتهم بعد تحريره من الألمان، ولا يمكن أن يكون جزءاً من الدولة البولونية. وهو الموضوع الذي أثير سابقاً وأشرنا إليه في أسبوعية سابقة.

7 ـ جهد السلطات التركية في تحصيل ضريبة الثروة وآثارها في العناصر غير المسلمة وتعليق على ذلك:

ما تزال الحكومة التركية جادة في تحصيل ضريبة الثروة. ولم تستطع إلى الآن أن تحصّل من الآستانة إلّا نصف المفروض على تجارها.

ولقد اعتقلت عدداً كبيراً من اليهود والأرمن واليونانيين الذي امتنعوا عن الدفع أو أنكروا ما خمن من ثرواتهم وأرسلوهم في قوافل إلى ولايات الأناضول الشرقية لتشغيلهم في الطرق وفقاً لما أعلنته من تدابير ضد من لا يبدي حسن نية في الدفع والتسوية بشكل من الأشكال.

ولقد أخذت تظهر آثار على جانب كبير من الأهمية لهذه الضريبة في الأوساط الصناعية والتجارية في الآستانة، فكثير من أصحاب المصانع والمتاجر والمقاهي والمطاعم والمراسم صفوا أعمالهم وباعوا محلاتهم لأداء الضريبة. ويظهر أن أكثر أصحاب هذه المحلات غير مسلمين، وأن أشخاصاً مسلمين من الترك سارعوا إلى شرائها. وأخذنا نقرأ أسماء محمد ومصطفى وأحمد وشريف بدل الأسماء السابقة أوهانس وبابازيان وليون وليفي وسيريدس الخ. . ومن أصحاب هذه المحلات من اتفق مع المشترين فبقي عاملاً موظفاً بعد السيادة والملكية، كما أن كثيراً من هذه المحلات حجرت عليه السلطات وصفّته، وما لبث أن قام مقامه أناس مسلمون اتراك. وهذا حادث عظيم ولا ريب اقتصادياً واجتماعياً بل وسياسياً وعنصرياً وطائفياً. ولقد كانت العناصر الأجنبية أو غير المسلمة هي المسؤولة عن الأعمال الصناعية والتجارية في الأعم الأغلب، وخاصة في الآستانة التي هي المركز الرئيسي لذلك في تركية، وقلّ أن اهتم الأتراك لهذه الناحية. وقد أخذت الحكومة الجمهورية تشجع الأتراك بوسائل متنوعة لتجعلهم يقبلون على هذه الأعمال، وقد أتيحت لهم الأن فرصة فاغتنموها. وأنه لمن الحق أن ينتفع أبناء الوطن الذين يتحملون مسؤولية الدفاع عنه بخيراته، وأن لا يبقى ذلك محصوراً في عناصر أكثرها لا يشعر بأي ولاء وعطف نحو الدولة والعنصر التركي المسلم الذي هو عنصرها الأعظم. وهذا المعنى هو الذي يمكن أن يسوغ العملية مهما بدت قاسية أو مجحفة.

8 ـ سؤال في مجلس الشيوخ عن موقف حكومة مصر في صدد تصريح ايدن عن الوحدة وتصريحات صبري أبي علم ومداها:

قرأنا في بعض الصحف المصرية التي وصلت إلينا أن عبد الستار الباسل وحافظ رمضان من أعضاء مجلس الشيوخ، وجّها سؤالاً لرئيس الحكومة عن ما تفكر به إزاء تصريح إيدن في صدد الوحدة العربية. وأن صبري أبا علم وزير الخارجية على ما أظن أجاب بأن النحاس باشا دائم الإهتمام بالقضايا العربية، وقد سعى في سبيل نيل سورية ولبنان حياتهما الدستورية الصحيحة سعياً كبيراً كان له الأثر في ما تم من ذلك، وأنه شديد الإهتمام في موضوع الوحدة العربية سياسية كانت أم اقتصادية أم ثقافية، وأن حكومته قررت أن تتبنى هذا الأمر رسمياً، وأن تخطو الخطوات اللازمة. وأنها عازمة على الإتصال بالحكومات العربية واحدة بعد أخرى للوقوف على ما عندها من أفكار واقتراحات، والتقريب بين وجهات نظرها، حتى إذا وصلت الإتصالات إلى ما يدعو إلى الطمأنينة وتقاربت وجهات النظر دعت إلى مؤتمر حكومات عربية والبحث في حصيلة الأفكار والمقترحات، وإقرار ما يمكن أن يكون منها في نطاق الإمكان والمنطق. وأنها خطت خطوتها الأولى فوجهت

دعوة إلى نوري السعيد رئيس وزارة العراق لزيارة مصر لتبادل الحديث معه في هذا الشأن، وأنه قامت مباحثات تمهيدية مع كل من تحسين العسكري وزير الداخلية العراقية وجميل المدفعي رئيس وزراء العراق السابق. وقد عقب السائلان على هذا التصريح فأبديا ارتياحهما، ثم أبديا الرغبة في أن لا تهمل الحكومة المصرية قضية عرب فلسطين، فقال: الحكومة مدركة تمام الإدراك لواجباتها نحو إخواننا عرب فلسطين. .

وهذا الحوار يسجل ولا ريب خطوة عملية رسمية وخطيرة في تاريخ الحركة العربية وأهدافها. ولا بد من أنه أحدث صدى قوياً في أنحاء بلاد العرب وخاصة في الأوساط القومية في بلاد الشام والعراق. . . ونرجو أن تكون الحكومة المصرية جادة وقانعة لفكرة وحدة سياسية أو اتحاد سياسي قومي على النحو الذي نتمناه، وأن لا يكون محصل ذلك ميثاقاً مثل ميثاق سعد أباد، أو حلفاً صورياً مثل الحلف القائم بين العراق واليمن والحجاز. لأن هذا وذاك تافه لا يسمن ولا يغني من جوع.

ونوري السعيد وإن كان الآن أحسن من في المراكز الرسمية من رجالات العرب فهماً وطموحاً وحركة، إلا أننا نعرف أنه ليس حاسماً متشدداً في الحلول والاقتراحات، وهو مداور وقنوع بالحلول المرحلية. والعقبات الكثيرة في طريق وحدة جادة سواء منها المصرية أم السعودية أم اليمنية أو اليهودية أو اللبنانية قد تجعله يرضى بالقليل التافه، فتضيع الفرصة التي يظهر أنها سانحة. ولعل تكثيف الجهود حول اتحاد قومي صحيح بين الشام والعراق على الأقل يثمر أكثر، لأن القطرين يهتمان بالموضوع، وهما عماده الأقوى المستمر، وليس فيهما عُقَد شديدة مانعة. ونرجو أن لا يغيب هذا عن أذهان من في العراق والشام فيعيروا له اهتمامهم أكثر. . .

ونأسف أن نقول إن الوحدة العربية بمعناها الواسع المنشود ليست واردة الآن، وقد تتأخر كثيراً. وكل ما هو مأمول مع شدة العُقَد هو اتحاد فدرالي أو كونفدرالي. . . أما تلك الغاية المنشودة فسوف تتأخر إلى أن تنضج الأمة العربية وتقوى بينها وتكون قد قطعت شوطاً في مراحل اتحادية. . . ولا نشك في أن اليهود سيبذلون كل جهد في تعكير جو هذه الحركة وإحباط المساعي في سبيلها مهما كان من ضيق مداها. ونخشى كذلك أن لا يرضى ابن سعود عنها خشية أن يكون من نتائجها قوة وبروز للهاشميين في العراق والأردن، فيتجهم هو الآخر لها ويحبطها. وتصريحات الأمير عبد اللّه بوجوب تحقيق وحدة سورية بادىء بدء، مما يثير مخاوف هذا الملك، لأن هذه التصريحات تكشف له عن مطامع الأمير الهاشمي ومطامحه. على أن وحدة سورية مهما كانت حقاً وصواباً فهي غير ممكنة، لأن لبنان لن يرضى بالإندماج فيها وسيظل متمسكاً بكيان لبناني مستقل.

واليهود لن يرضوا بها لأن فيها انقاذاً ما لفلسطين وعرقلة لمطامعهم. . والأمير لا بد من أنه يعرف ذلك ويطمع أن يكون الإتحاد بين سورية الرسمية وبين إمارته، على أن يكون ذلك تحت تاجه. ونرجح أن سورية لا تقبل ذلك. . وكل هذا الذي نقوله بقطع النظر عن مدى نيات الإنكليز وجدّهم، فإن زمام الأمور في يدهم وما سوف يجري سيكون حسب رضائهم وما يرسمونه من نطاق. ولن يكون فيما نعتقد في

هذا خير، لأنهم لن يرضوا عن نطاق لا يكونون فيه أصحاب المصلحة والهيمنة الأولين. وما زلنا نحسب أن تصريحات إيدن تهدف إلى ذلك أو من قبيل الدعاية والتأليف.

9 ـ أخبار عن سورية في صدد الخبز وموقف الحكومة والانتخابات وقوة مركز وبروز شكري القوتلي وتعليق على ذلك:

وصلنا بعض صحف من سورية وفيها ما يفيد أن مسألة الخبز في دمشق عادت إلى التأزم، وأن المدينة أضربت بضعة أيام، ولم تكفّ عنه إلا بعد تأمين الخبز ووعود قوية بتحسين الأمور أكثر من قبل الوزارة الأيوبية والمقامات الإفرنسية والإنكليزية. ومما قرأناه في هذه الصحف أنه أفرج عن قافلة المعتقلين القدماء صبري العسلي وشفيق سليمان ورفاقهم، كما أفرج عن معتقلين آخرين كان لهم شغب في المظاهرة التي قامت في عهد حكومة الأيلشي وفي الإضراب الأخير. ويستفاد من هذه الصحف أيضاً أن الإستعدادات ناشطة في سبيل الإنتخابات النيابية، وأن الوفود تغدو وتروح بين دمشق والمناطق الأخرى للمشاورات والمداولات، وأن شكري القوتلي صار مرجع الناس والقطب الذي يدار حوله، وصار بيته يكتظ بالناس دوماً. فالوفود التي تأتي من المناطق تقصده، والمعتقلون حينما أفرج عنهم كان مزارهم الأول والذين كانوا مشرفين على حركة الإضراب كانوا يغدون ويروحون إليه، وهكذا أصبح شكري زعيم سورية الحاضر الذي نال الثقة والعطف. وصرنا نعتقد أنه الذي سوف يكون صاحب العهد الجديد رئيساً للوزارة بل ورئيساً للجمهورية إذا تخلى هاشم الأتاسي عن هذا المركز. وشكري أهل بأخلاقه وصميميته لهذه المراكز. ولعله يستطيع أن يلعب دوراً ناجحاً في حركة الوحدة العربية القائمة. وكل ما ينقصه شيء من الإقدام والبديهية، وليس حوله من يستطيع أن يساعده فيهما كثيراً مع الأسف..

10 ـ قدوم فؤاد حمزة إلى الآستانة وما حدثنا به عن أمور متنوعة وعلاقات السعودية بفيشي وأنقرة وتعليق على ذلك:

في هذا الأسبوع جاء فؤاد حمزة إلى الآستانة قادماً من فيشي، حيث كان يشغل فيها مركز المفوض السعودي لدى حكومة فرنسة. وقد زرناه وفهمنا منه أنه قادم ليكون مفوضاً لحكومته لدى الحكومة التركية، وأنه تلقى أمراً بمغادرة فيشي، فخرج دون أن يودع أو يستأذن. وأنه جاء إلى الآستانة بطريق ألمانيا ثم هنغاريا ثم بلغاريا ويظهر أن الإنكليز ألحوا على الملك السعودي بسحب مفوضه من فيشي إيذاناً بقطع علاقته بها، فاستجاب وأمره بمغادرة فيشي على النحو الجاف الذي تم.. ولقد كان الإنكليز حملوا الملك السعودي على قطع علاقته بإيطالية، وحملوا مصر على قطع علاقتها بفيشي، ولقد ظلت علاقة الولايات المتحدة مستمرة بفيشي على مضض منهم. فالمرجح أنهم حملوا ابن السعود على ذلك ليظهروا كيف يستجيب العرب لهم ويسيرون في ما يرسمونه من خطط السير. ومع أن لتركية مفوضية في

جدة، فلم يكن للسعودية مفوضية في تركية، فكان تعيين فؤاد سداً لهذه الثغرة غير الطبيعية. ومما ذهب إليه بعض إخواننا أن إبن السعود سوف يبذل جهوداً معاكسة لاتحاد عربي أو وحدة عربية لئلا يكون في ذلك تقوية للهاشميين الذين يسيرون في ركاب الإنكليز بينهم، وبينهم تعاطف أقوى وأوثق منه، وأن من الجائز أن يبذل بعد الآن مساعيه مع تركية في صدد ذلك، والتي يعتقدون أنها هي الأخرى لا ترضى عن قيام اتحاد عربي..

ومما سمعناه من فؤاد أكد ما كنا نذهب إليه من أن لاڤال على صميميته في أمر التعاون الوثيق بين فرنسة وألمانيا، فإنه لم يستطيع أن يسيّر أكثرية فرنسا في خطته، وأن الأكثرية الافرنسية تتعاطف مع السكسونيين.. وأن فرنسة ماتزال متمسكة بمركزها في سورية ولبنان أشد التمسك، حتى لتفدي نصف أمبراطوريتها للإحتفاظ بها.. ومن سوء حظ سورية ولبنان أن فرنسة المحاربة أيضاً في نفس التمسك، ولا ندري كيف يمكن أن تتخلص هذه البلاد من هذا الغرام البغيض الشديد(١).

ومما فهمناه منه أن الألمان أقاموا استحكامات عظيمة على سواحل أوروبا الغربية والجنوبية، وأنهم مطمئنون بمركزهم العسكري فيها. وأن الروس يعارضون في فتح الجبهة الثانية في البلقان على اعتبار أن البلقان منطقة نفوذهم ويتشددون في وجوب فتحها في سواحل أوروبا الغربية، وفهمنا منه كذلك أن الدكتور محمد حسن سلمان جاء مع عائلته إلى صوفيا، وكذلك جاء آخرون من المقيمين في برلين، وجاءت عائلة كامل الكيلاني أيضاً.

***

(١) ونذكر هنا أن آمال الافرنسيين آخذة بالانتعاش بما تم من إنتصار سكسوني في شمال افريقيا وأن التوقير الذي كان يتمتع به (بيتان) قلّ كثيراً، وأن الألمان هم أصحاب الكلمة في فرنسا وليس (لاڤال) وإدارته إلّا آلات منفذة، ورجالات فرنسا يتسكعون على أبواب أصحاب السلطات كما كان يتسكع أذنابهم من السوريين واللبنانيين على أبوابهم.

يوم الاثنين
3 مارس 1943:

1 ـ استمرار نشاط هتلر في مقره واجتماعه بلافال، ومدى ذلك:

استمر هتلر في دعوة رؤساء الحكومات المتحالفة والمسايرة مع المحور إلى معسكره في الجبهة الروسية، وقد استدعى في هذه الفترة كلاً من رؤساء حكومات النرويج والكروات وأخيراً لافال. وشهد اجتماع لافال مع هتلر وزير خارجية ألمانية ووكيل خارجية إيطالية، والبلاغ الذي صدر عن هذا الإجتماع لافت للنظر، حيث جاء فيه أنه جرى الحديث بكل صراحة وصميمية حول ما يمكن أن يعود إلى فرنسة من اشتراكها في النضال ضد الشيوعية والتنظيم الجديد الأوروبي وما يترتب عليها من واجبات. وقد أدلى لافال بتصريح للصحفيين ذكر هنا وقال أننا لم نوقع على ميثاق مقاومة الشيوعية ـ وهو الميثاق الذي ارتبطت به كل من ألمانيا وإيطالية واليابان أو ربط بينها ـ ولكن هناك احتمالاً بتوقيعنا عليه. وأن الحديث الذي دار بينه وبين هتلر تناول فيما تناوله أمر مستعمرات فرنسة وأمبراطوريتها. . . ويدل هذا على أن الحديث جرى في صدد حل الأمور الإفرنسية المعلقة وإنهائها على وجه يؤدي إلى عقد صلح، ثم على اشتراك فعلي في الحرب والتنظيم المقبل. وقد نشرت الصحف أخباراً تفيد توقع صدور بيان موقع من دول المحور الرئيسية والدول المتحالفة معها أو المسايرة والموالية لها تعين فيه غايات الحرب وأسس السلام الأوروبي، ويقرر فيه حق أمم أوروبا بالإستقلال والحرية على نمط ميثاق الأتلانتيك بين يدي الزحف الألماني على الروس، حتى تقاتل أوروبا إلى جانب الألمان قتال مصلحة وإيمان لا قتال سخرة. فإذا صحت هذه الأخبار وتم توقيع الميثاق، فنكون أمام حادث سياسي خطر يكشف الغموض عن غايات دول المحور الحربية والاقتصادية والسياسية التي مازالت موضع دعاية تشويه وتهويل سكسونية.

2 ـ استمرار صدى اكتشاف جثث الضباط البولونيين وتعليق على ذلك:

ومسألة اكتشاف جثث صرعى ضباط البولونيين رمياً بالرصاص التي ذكرناها في الأسبوعية الماضية وذكرنا استياء الحكومة الروسية من موقف الحكومة البولونية، وقد استدعت هذه الحكومة سفير بولونيا لديها وسلمته مذكرة طويلة شديدة اللهجة نددت فيها بموقف حكومته، وكررت فيها تهمتها بمسايرة الدعاية الألمانية في مراجعتها للصليب الأحمر الدولي للتحقيق في هويات الصرعى، ثم اتهمتها بالطمع في أرض روسية كانت ضمت إليها بعد الحرب العالمية الأولى، ثم ذكرت فيها أنها قررت بناء على ذلك قطع العلاقات بينهما. وكان لهذه المذكرة صدى واسع في الأوساط العالمية، فأعلنت الأوساط السكسونية أسفها الشديد لهذه البوادر، وأخذت تسعى لإصلاح البين وتخفيف أثر المذكرة. وقد تراجعت الحكومة البولونية أو اضطرت إلى التراجع نتيجة لذلك عن طلبها من الصليب الأحمر الدولي، ثم اضطرت إلى نشر بيان أكدت فيه حسن

نياتها، وذكرت بما كان من تحفظها إزاء ما نشره الألمان، وقالت إنها لم تجهل أن الإدعاء الألماني قد استهدف آثاره في الفتنة والتعكير. وأنها طالبت منذ البدء بيان مصير الضباط المفقودين ليكون تكذيب الدعاية الألمانية محكماً. وأنها مازالت مستعدة للتضامن التام مع أعداء ألمانيا حتى النصر النهائي. وقد نشرت الصحف أن هذه المذكرة وذلك التراجع قد خففا حدة التوتر. ولقد غادر سفير بولونيا موسكو بناء على ما جاء في المذكرة الروسية من قرار قطع العلاقة، وودعه سفراء أميركا وبريطانية وتركية على ما ذكرته الصحف والإذاعات. ومازال الموقف متوتراً على كل حال. فالروس لم يعلنوا أي بيان عن مصير الضباط البولونيين المفقودين. واليقين بصحة ما نشره الألمان قائم لدى الناس ولدى الحكومة البولونية، ولكن الضعيف مسكين وبولونية واقعة بين السنديان والمطرقة كما يقال. فالألمان قد داسوهم دوساً تاماً ولم يبق لهم أمل إلا بانتصار السكسونيين، وإذا كان الروس يقفون منهم الموقف الذي يقفونه فإن ذلك لا يقضي على كل آمالهم إذا ما تم النصر للسكسونيين، وشر الروس وموقفهم أهون عندهم من الشر القائم الساحق.

ويتعجب المرء من جمود السياسة الألمانية، فهنا فرصة سانحة، ولو أنهم أقدموا مثلاً على تصحيح خريطة بولونيا وفق ما يريدون، وأقاموا في باقي الأقسام حكومة وطنية مستقلة متضامنة معهم من جهة أخرى لأصابوا جداً وكسبوا ثلاثين مليوناً حاقدون الآن ولا ريب أشد الحقد على الروس، ونفوسهم هائجة عليهم، ولنسفوا الدعاية السكسونية التي تشتد في صدد تشويه سمعة الألمان ونياتهم بالنسبة للأمم الصغيرة في أوروبا وغيرها واستقلالها وحريتها، ولأثروا تأثيراً إيجابياً على سائر شعوب أوروبا في موقفهم الحاضر الحرج، ولاسيما أن بولونيا جميعها الآن في حيازتهم. ولكنهم يجمدون تجاه مثل هذه الفرص ويفسحون المجال لتصديق ما يقال عنهم. ولعل هذا صادق..

ومما يجب تسجيله أن الصحف والإذاعات السكسونية لم تنبس ببنت شفة ضد الجريمة المروعة المحتملة في رمي عشرة آلاف ضابط بولوني أسير بالرصاص من قبل الروس، ولعلها من أفظع الجرائم بالنسبة للمألوفات الدولية في حين أن السكسونيين لم يتركوا كلمة في قاموس الشتم والبربرية إلا ورموا بها اليابانيين، لأنهم حاكموا بضعة طيارين أميركيين أسرى على جرائم ارتكبوها، وأعدموا بعضهم..

ومن المؤسف أن الصحافة الحيادية سكتت سكوتاً مطبقاً عن هذه الجريمة...

3 ـ صدى تصريحات صبري ابي علم عن قضية الوحدة في فلسطين والعراق ومصر:

كان لتصريح صبري أبي علم في مجلس الشيوخ المصري في صدد عزم الحكومة المصرية على الاتصال بالحكومات العربية والتشاور معها في صدد الوحدة العربية وعقد مؤتمر عربي بعد ذلك للنظر في حصيلة المشاورات، صدى في مصر وفي البلاد العربية الأخرى على ما يستفاد من الإذاعات ومن بعض صحف عربية وصلت الينا.

وأشد ما كان من صدى كان في فلسطين، حيث أخذت هيئاتها ورجالاتها ترسل برقيات الشكر إلى النحاس، وتكتب صحفها المقالات

المنوهة بفضل وجهد مصر والنحاس في سبيل العروبة وقضاياها. ونشرت الصحف إلى هذا تصريحات لبعض رجال فلسطين في هذا الصدد.

وقرأنا فيها برقيات مرسلة من إخواننا القوميين صبحي الخضرا ورشيد الحاج إبراهيم ورفيق التميمي وحمدي الحسني ورشدي التميمي وأحمد الإمام، وقد ناشدوا فيها بالإضافة إلى الشكر والتنويه مصر والنحاس بعدم نسيان فلسطين والعمل على إدخالها في نطاق أي وحدة أو اتحاد.

ولقد كانت فلسطين منذ بدء الإحتلال من أشد البلاد تعلقاً بالوحدة. وكان الميثاق الذي وضعه أول مؤتمر شعبي عربي يعقد بعد الإحتلال في القدس في كانون الثاني 1919 يتضمن وحدة فلسطين مع سورية، وسورية ضمن الوحدة العربية.

وظلت حريصة على ذلك كل ما اشتد خطر الصهيونية، لأنها عرفت منذ الأصل أن لا شيء يصيبها من هذا الخطر إلا وحدة أو اتحاد تكون فيه.. وقد كانت لمساعي رجالاتها أثر في ما تقرر في المؤتمر السوري العام من وحدة سورية الطبيعية ضمن الوحدة العربية.

وقرأنا في صحف عراقية وصلت إلينا مقالات تدل على إهتمام بتصريحات وحركة مصر، وفيها حث على اغتنام الفرصة. وأذيع في هذه الفترة أن نوري السعيد أجاب على دعوة مصر بالإيجاب، وقال أنه عزم على السفر إليها قريباً. وهكذا تكون الحركة قد دخلت في دور عملي. ولسنا ندري مقدار جد الإنكليز ومدى موقفهم وتحريكهم. ولكنا لا نرتاب في أن نوري هاضم للفكرة مؤمن بها، وأنه سيندفع في سبيلها.

ونأمل أن تكون مصر جادة، وحينئذ يمكن أن نتوقع نتائج إيجابية إن شاء اللّه.

ولقد قرأنا منشوراً بتوقيع فؤاد أباظة رئيس رابطة الاتحاد العربي، جاء فيه أن رابطته على نمط رابطة أندية الروتاري، وهي ترمي إلى توثيق عرى الإخاء والمحبة بين العرب وبلادهم، وليست في صدد السعي لوحدة سياسية. وقرأنا لفكري أباظة في المصور أنه يهمه أن يكون اتحاد ما نتيجة للحرب عربي أو شرقي أو إفريقي أو إسلامي..

وقرأنا لأحمد حسن الزيات نبذة جاء فيها أنه إذا لم يمكن الوصول إلى اتحاد عربي على نمط اتحاد الولايات المتحدة، فلا أقل من أن يكون نتيجة الحركة عصبة أمم عربية مركزها القاهرة للتحضير للصلح. فهذه الأقوال لا تبعث على تفاؤل بمدى ما لدى الأوساط المصرية من فهم لأبعاد وحدة عربية ذات جدوى. ونخشى أن تكون أفكار زعماء السعودية واليمن من هذا الباب، على أن هضم وإدراك رجالات العراق وسورية لأبعاد الوحدة محقق، ولعله يستطيع أن يعدل موقف الآخرين، أو يسوق العراق وسورية إلى اتحاد صحيح فيما بينهما كخطوة أولى.

***

السبت 15 مارس 1943
7 جمادي الأول 1362:

1 ـ الحركات الحربية في جبهة تونس وانتصار السكسونيين الحاسم فيها:

ظلت الجيوش الإنكليزية والأميركية والإفرنسية في جبهة تونس تضيق الخناق على قوات المحور من الشمال والجنوب والشرق، وظلت هذه القوات تكافح وتدافع وترتد منسحبة خطوة بعد خطوة إلى الأسبوع الأول من مارس، ثم اضطرت إلى الإنسحاب من بنزرت وتونس إلى شبه جزيرة بون الجبلية الساحلية، فاحتلت قوات الحلفاء للمدينتين، ثم أحدقت بالجزيرة وضيقت الخناق على من فيها حتى اضطرتها إلى الإستسلام. وكان المتوقع أن يتهيأ لها فرصة الإنسحاب بحراً وجواً. وكانت قوات الحلفاء البحرية والجوية تستعد لمنع ذلك الإنسحاب.

ويظهر أن قوات المحور قد يئست من الإنسحاب ومن المقاومة، فصارت إلى مصيرها الفاجع. وقالت المصادر السكسونية أن عدد الأسرى الذين وقعوا في أيدي الحلفاء (180) ألفاً أكثرهم من الألمان. وأن قوات الحلفاء استولت على ذخائر ومعدات حربية لا تحصى. ثم كان إعلان من الطرفين المحور والحلفاء بإنتهاء الحرب في جبهة تونس.. ومما أذيع أن القائد الألماني أيرنين أبرق إلى هتلر قائلاً أنه نفذ أمره فظل يقاوم إلى أن أطلق آخر رصاصة عنده، وأنه استسلم هو وجيوشه بعد أن خربوا كل ما قدروا على تخريبه من معدات ومرافق عسكرية. والفاجعة هنا بالنسبة للألمان مشابهة لفاجعتهم في ستالينغراد، فقد أعطيت التعليمات للجيوش الألمانية هنا بالمقاومة إلى النهاية ولم تستسلم إلا بعد أن يئست من الاستمرار..

ومما جاء في برقية إخبارية أن قائد الجبهة العام أيرنين كان في إيطالية في أوائل مارس، فلما اشتد الخناق على جيشه أسرع إلى تونس ليشاطر جيشه مصيره كما هي تقاليد الجندية الألمانية، ومن العجيب أن الدعاية السكسونية ظلت تعيد وتبدي في صدد وجود القائد العام في إيطالية، وتقول أنه فر وترك جيشه. وظلت تكرر هذا القول رغم ما ذكرته البرقيات من مسارعة القائد إلى تونس لمشاركة جيشه في مصيره، وتبدو الدعاية صغيرة أمام عظمة التقليد الألماني الذي جعل القائد يأتي ويقع في الأسر مع جيشه.

وباستسلام جيوش المحور في تونس انطوت صفحة حربية مهمة ليس في تونس فقط بل وفي شمال أفريقية بعد كر وفر ونضال استمر ثلاث سنين وتساجل فيه النصر بين الطرفين. وظواهر الأحوال تدل على أن المحور قد أمد جبهة تونس بنحو مائة وخمسين ألفاً أكثرهم من الألمان، وبعدد عظيم من الطيارات والدبابات والمعدات، حتى كان في وقت ما متفوقاً على الحلفاء، وكان الحلفاء يعترفون بهذا التفوق ويقفون أمامه منكمشين. وأخذوا خلال ذلك يكثفون القوات والمعدات ولا يشتبكون في معركة فاصلة إلى أن انقلب ميزان القوى لجانبهم وأصبحوا متفوقين، إلى درجة أن الألمان أنفسهم قالوا أن التفوق كان بنسبة عشرة

إلى واحد. ومع ترجيحنا أن هذه النسبة مبالغة قصد بها تبرير ما تم للحلفاء، فما لا شك فيه أن التفوق كان كبيراً، وهو الذي مكن الحلفاء مما سجلوه من نصر حاسم. وإذا لاحظنا أن قوات المحور كانت ربع مليون، فيجوز أن نفرض أن قوات الحلفاء صارت مليوناً. . .

ومما يبدو غريباً لنا ومناقضاً، أن المحور أمد جبهة تونس بهذه الأعداد والمعدات التي تعد مهمة، ولم يمد جبهة مصر بمثلها في حين اشتداد المعركة فيها.

ويخيل لنا أنه لو أمد هذه الجبهة بما أمد به جبهة تونس لكان رومل قد استولى على مصر وأنهى الحرب في شمال أفريقية لصالح المحور، وحال دون حركة الإنزال السكسونية إلى أفريقية أو جعلها غير مجدية. . .

ومع أن الألمان أخذوا يقولون منذ أسابيع أن جبهة تونس ليست جبهة أساسية في نظرهم، وأنهم قد كسبوا بها فوائد كبيرة في صالح تحكيم سواحل أوروبا والاستعداد للدفاع عنها. ومع ما قد يكون في هذا شيء من الحقيقة، فإن انتهاء الحرب الإفريقية على ما انتهت إليه، يُعَد خسارة بل كارثة للمحور ولا ريب، وأمن الحلفاء فوائد عظيمة، حيث صارت سواحل أفريقية كلها في حيازتهم، وزال الخطر عن الشرق العربي، وصارت سيطرتهم على البحر الأبيض مضمونة أكثر، وتوفر عليهم متاعب ووقت بسبب استعمالهم طريق السويس بدلاً من استعمال طريق رأس الرجاء الصالح دائرة حول أفريقية من الشرق الى الغرب. وصارت سواحل أوروبا الجنوبية أكثر تعرضاً لخطرهم بحراً وجواً. ومن تحصيل الحاصل أن نقول أنه كان لهذه النهاية الموجعة للمحور صدى ومدى بعيدان في العالم سياسياً وعسكرياً. وقد نشطت الدعاية السكسونية نشاطاً عظيماً، حتى كادت تستولي على العالم بما فيها من تهويل وتبجح وتنديد بالمحور وإنذار بمصيره، وبإشاعة الشائعات المتنوعة المنفوخة والمخترعة عن شدة سوء صدى وتأثير هذا الحادث في أوساط المحور وشعوبه. وقد شفى الإنكليز به قلوبهم وعدوه انتقاماً لهزيمتهم في دونكرك، حتى أن ملكهم قال في برقية أرسلها إلى القائد السكسوني العام، إننا بهذا النصر قد سددنا دين دونكرك.

ومهما يكن من نشاط الدعاية السكسونية وما رافقها من تصريحات رسمية وشبه رسمية، فإنه كان للحادث تأثير في أوساط العالم جميعها. وقد رآه المحايدون نصراً كبيراً للسكسونيين سوف يقويهم ويشد من أعصابهم، كما رأوه كارثة للمحور قد يؤثر في موقفهم ومعنوياتهم.

على أنه من الممكن أن يقال أن الموقف الآن رجع إلى ما كان عليه قبل انكسار فرنسة، وأنه لا يمكن أن يعتبر ثغرة كبيرة في خطة الدفاع الألمانية. فالألمان لن يغلبوا بصورة حاسمة إلا في أوروبا. وفرق عظيم بين نجاح السكسونيين الذي قام على أصل حركة إخراجية على بلاد غير محاربة، وبتواطؤ مع قواد الجيش الحكام فيها، وعلى أصل بعد الجبهة عن القوة المحورية، وبين حركة إخراجية إلى بلاد فيها استعداد قوي للوقوف والصد متصلة بمركز القوة المحورية. وهذا النجاح تم للسكسونيين بحشد مليون جندي وأعداد عظيمة من الأسلحة والمعدات وفي ظرف ستة أشهر، مع ما كان له من المسهلات المحلية التي ذكرناها، بحيث يكون من الصواب أن يقال أن نجاحهم في جبهة

أوروبة عظيم الصعوبة . .

ولقد أخذت الأفكار والتخمينات تتجه إلى التكهن بما سوف يكون بعد الآن. وكثير من المراقبين يتوقعون أن يخطو السكسونيون خطوة جادة في سبيل فتح الجبهة الأوروبية التي كانوا يعتذرون بانشغالهم بجبهة تونس عن تأخرها، ويقولون (الخبراء) قد تكون في السواحل الجنوبية في أوروبا كإيطاليا أو البلقان أو فرنسة الجنوبية. غير أن هذا أيضاً يتوقف أولاً على احتلال جزر البحر الأبيض التي هي في يد المحور، وهي عديدة، وفيها ما هو مهم مثل صقليا وسردينيا وكريت، وهذا الأمر قد يستغرق مدة طويلة.

2 ـ رحلة جديدة لشرشل إلى واشنطون وما نشر في مداها وتعليق على ذلك:

منذ أسبوع طار شرشل إلى واشنطون، وهذه الرحلة معقولة وإن جاءت مفاجئة، فالنصر الذي أحرزه السكسونيون في جبهة تونس والذي ملأوا به الدنيا زهواً لا بد من أن يعقبه مثل هذه الرحلة للتشاور في ما يجب بعدها من خطوات. ويقول الخبراء أن مسألة الجبهة الثانية الأوروبية ستكون في المقدمة. ومما أذيع أن شرشل استصحب معه خبراء عسكريين كباراً، وهذا قد يؤيد ذلك. ومما أذيع ونشر أن من المحتمل أن يذهب شرشل بعد واشنطون إلى موسكو، وأن شرشل وروزفلت على صلة بستالين من جهة والمارشال الصيني شاي كان شاك من جهة أخرى. ولقد أذيع خطاب لشرشل موجه إلى (جيش الحراسة) في جزر بريطانية الذي وصفه بالمدافع عن الوطن الأم، قال فيه أنه يدرس مع روزفلت الخطط الحربية الآتية. ثم نبه هذا الجيش إلى أن خطر غزو الألمان للجزر البريطانية ما يزال قائماً، وأن لدى الألمان وسائل كثيرة لذلك، وخاصة من الجو بالمظليين، ووصاه باليقظة للقيام بواجبه القومي. وقد حرنا في تفسير هذا الخطاب لهذا الجيش الذي يقال أن عدده مليونان مرابطون في الجزر البريطانية. ومما خطر لنا أنه استهدف الإعتذار عن تأخر فتح الجبهة الثانية، لأن الجيش البريطاني مضطر للبقاء والدفاع عن الجزر. .

3 ـ دعوة فرانكو رئيس إسبانيا إلى الصلح بعد دعوة وزير خارجيته ومدى ذلك:

في هذه الفترة خطب فرانكو رئيس اسبانيا، فكرر ما قاله وزير خارجيته قبل مدة من الدعوة الى الصلح واستعداد إسبانيا للتوسط فيه، وقال في ما قال أنه قانع بعدم قدرة أي من الطرفين على كسر الطرف الآخر وإحراز نصر نهائي عليه، وأن من حق العالم بعد حرب ثلاث سنين ونصف، وبعد كوارث عظيمة قاسى شرها أن يأمل بالصلح . . وقد انبرى كل من السكسونيين والألمان إلى الرد على ذلك في تصريحات شبه رسمية ونشرات صحفية، ومما قاله الطرف السكسوني أنه لا يمكن أن يكون صلح إلا باستسلام المحور بدون قيد أو شرط. وقال الطرف الألماني أن البحث في الصلح الآن غير مجدٍ مادام الخطر يهدد أوروبا وسلامتها وحريتها من الشرق والغرب، ومادام السكسونيون قد سايروا البلاشفة في تحكيمهم في مصير أوروبا وتسليطهم عليها، وأنه ليس من بد في الإستمرار في الحرب إلى النهاية التي سوف ينتصر فيها

المحور. .

وقد علق الخبراء على خطاب فرانكو بما علقوه على خطاب وزير خارجيته، حيث رأوا فيه يأساً من انتصار المحور الذي هو ضالع معه رغم ما في ذلك من خطورة. . ومما يسجل أن فرانكو أشار في خطابه إلى خطر الشيوعية على العالم ووصفها بعدو المدنية. حيث يبدو من ذلك أن الصلح الذي يدعو إليه هو صلح بين السكسونيين والمحور وحسب، مستوحياً ذلك مما يفرضه من المخاوف السكسونية من الشيوعية، وما بين الروس من جهة والسكسونيين من جهة أخرى من تشاد في صدد ما بعد الحرب من جهة، وما يبدو من الروس من مطامح ومطامع توسعية من جهة أخرى. ومع ما صدر من الأوساط السكسونية من رد ضد فكرة الصلح الآن وعزم على الاستمرار حتى استسلام المحور بدون قيد أو شرط، فإن بعض الكتّاب خمّنوا أن تكون فكرة الصلح مما قد تكون موضوع بحث في رحلة شرشل لواشنطون أيضاً. بل إن هذا صدر من بعض المصادر السكسونية. .

وقد يكون الموقف الآن هو أنسب المواقف لصلح تراض وتسوية ، فالسكسونيون ليسوا في موقف الضعف الذي كانوا فيه حينما كان هتلر يعرض عليهم الصلح بعد اكتساحه بولونيا وفرنسة، بل هم في موقف قوي ومنتصرون في جبهة مهمة. والألمان ليسوا في موقف من يستطيع الإملاء، ولا بد من أنهم شعروا بمتاعب وصعوبات عظيمة لم يحسبوا حسابها قبل. والروس ليسوا منتصرين ولا يعدون مكسورين أيضاً. والسكسونيون وإن كانوا يشعرون أن قوتهم ازدادت كثيراً فهم يعترفون أن الألمان ما يزالون أقوياء كثيراً أيضاً. والجميع على أهبة الإشتباك بمعارك طاحنة إذا اشتبكوا فيها صعب التوقف وربما طال وصولها إلى نتيجة حاسمة. ونعتقد أن السكسونيين إذا تساهلوا أمكن عقد صلح تراضٍ وتسوية، وأن الألمان مستعدون للصلح أيضاً. غير أننا لا نعتقد أن السكسونيين مستعدون للتساهل، لأن هذا التساهل ثم التراضي والتسوية يقتضيهم أن يتنازلوا عما في حيازتهم من ثروات العالم ويشركوا الألمان فيه. وهم لن يتساهلوا قط طوعاً ورضاء. . ولا سيما أن اليهود من ورائهم سيبذلون كل جهودهم في سبيل الحيلولة دون تساهل وتراضٍ على أمل انتصار سكسوني نهائي يحسبونه انتصاراً لهم، والحرب الحاضرة هي إلى درجة كبيرة حربهم، وعلى مصيرها يتوقف مصيرهم، وهم مدركون هذا إدراكاً تاماً.

4 ـ خبر مقتل فخري عبد الهادي وتعليق على ذلك:

قرأنا في صحف سورية وفلسطينية ومصرية وصلت إلينا أن فخري عبد الهادي قتل أثناء موكب عرس أقامه لابنه في عرابة. وكان على مرأى ألفي شخص حاضرين العرس، وقبض على خليل بن حلمي عبد الهادي بتهمة إطلاق الرصاص عليه، وأن الحادث لأسباب عائلية. وكثرت الروايات حول أسبابه، (فقد سمعنا بعد رجوعنا من الهجرة أن فخري كان حبس أنس عم خليل، وأنه قتل مدحت ابن أنس، وأن الحادث بسبب ذلك) .

ومهما يكن من أمر فإن قتل فخري يجب أن يعزى إلى روح الثورة التي أوجدت في الناس مثل هذه الجرأة ، إذ أن

فخري حينما عاد من سورية بدأ يتحرك في خط مناوىء للثورة والثوار ومتضامن مع فخري النشاشيبي وغيره من عملاء الإنكليز واليهود الذين تجندوا لمحاربة الثورة والثوار. ولقد حاولتُ في دمشق كبحه وإبقائه في دمشق لأني لمست روحه ومطامعه، ورتبت له مرتباً، ولكن ذلك لم يجد. وتآمر عليّ وعلى الثورة والثوار في دمشق مع عمان ومع المعارضين في فلسطين. وذهب إلى فلسطين بتحريض وتشجيع من عمان ومن المعارضين معاً. ولما اشتد عليه الحصار وصار في خطر أنشأت السلطات العسكرية مخفراً في عرابة لحمايته، ولا نزال نذكر تنويه لوزير الحربية الإنكليزية به كمعارض للثورة ومقاتل ضدها.

5 ـ نشرة لموسوليني تنم عن مطامعه الاستعمارية في بلاد العرب:

اطلعنا في هذه الفترة على نشرة مطبوعة باللغة العربية متوجة بصورة موسوليني وموجهة إلى العرب. وهي قديمة، ومن النشرات التي كانت تلقيها طيارات المحور على مصر حينما كانت قواته في العلمين، وكان من المتوقع أن تكتسح مصر بين عشية وضحاها. وفي النشرة تبشير للعرب المسلمين والنصارى بقرب تحررهم من الإنكليز وبنيلهم حقوقهم وحريتهم وأمنهم تحت حماية إيطاليا وإرشادها، وفيها إطناب بما سوف تضمنه لهم هذه الحماية من سعادة ومجد وحرية، وقد أثارت هذه النشرة فينا ما كنا وما زلنا نشعر به من الهواجس التي كانت تثيرها فينا بعض خطب موسوليني وتصريحات بعض رجال الألمان بأن أمم البحر الأبيض سيسيرون بإرشاد إيطالية وتدريبها. ومع أنها كما قلنا تطابقت مع ما كنا نتوجسه، فإنها جاءت علينا غريبة ومؤلمة وفظيعة معاً، فزعماء العرب الذين هم في بلاد المحور يؤكدون في ما يكتبون لنا ويذيعون حسن نية هذه الدول ومواقفها على تمتع بلاد العرب باستقلالها التام ووحدتها حسب الترتيب الذي ترغبه بما قالوه وأعطوه من وعود وعهود مكتوبة وشفوية.

ودول المحور تعرف أن آلام العرب ومواقف النضال التي وقفوها إنما هي من دعوى حماية ووصاية ونفوذ وتدريب وإرشاد ومصالح، وغدر الإفرنسيين والإنكليز الذين بليت بلادهم بهم، وأنهم لم يهدأوا منذ الحرب العالمية الأولى إلى الآن من الكفاح والنضال في سبيل الخلاص من ذلك، ولم يعمدوا إلى التضامن مع دول المحور إلا من أجل ذلك. ثم يأتي موسوليني ليبشرهم بما أراقوا دماءهم ضده وأقض مضاجعهم وجعلهم يميلون إلى دول المحور ويتمنون انتصارها ويتظاهرون بالعداء لبريطانية وفرنسة حتى في أثناء هذه الحرب.. وهذه الفترة تدل على صحة عزم إيطالية على خلافة الإفرنسيين والإنكليز في سياستهم الباغية دون ما مواربة، حينما اعتقد أنه ليس في حاجة إلى مواربة، لأن مفتاح الشرق العربي صار في يده وصارت البلاد في قبضته.. والحقيقة أن النشرة من الفظاعة والصراحة وقلة البصيرة إلى درجة جعلت بعض الإخوان يظنون أنها مزورة على موسوليني بقصد استفزاز عواطف المصريين والعرب. ولكن تطابقها لما كان يقال ويذاع ويهمس بأساليب وقوالب متنوعة، وإن كانت لينة وغامضة، يجعلنا نرجح أنها صادرة عنه.. وهكذا يكون العرب في بلاء في الحاضر والمستقبل، ويكون قد كتب عليهم الاستمرار في النضال والشقاء.

وقد أرسلت النشرة إلى المفتي ليرى زيف ما تلقاه واطمأن إليه، وحاول أن يطمئننا به أيضاً من وعود وكتب وتصريحات من موسوليني، فإن هذا حينما رأى ان آماله بفتح مصر وبلاد العرب أوشكت أن تتحقق كشف عن ما في نفسه من أحلام بمد أمبراطوريته إلى هذه البلاد وفرض حمايته وإرشاده وتدريبه أو استعماره في الحقيقة.

6 ـ أخبار عن حالة اليهود في فلسطين وعن نشاط اليهود في صدد مطامعهم وهجرتهم إلى فلسطين وتعليق على ذلك:

في أعداد جريدة فلسطين التي وصلتنا في هذه الفترة أمور لافتة للنظر في صدد القضية اليهودية. من ذلك أن أحد أعضاء الوكالة اليهودية واسمه نيومن قدم استقالته من الوكالة معللاً ذلك بأن أمله في نجاح وتوسع القضية اليهودية بالنسبة لفلسطين قد ضعف جداً، وأن الدعاية العربية في أميركا أخذت تقوى وتشتد، وأن إنكلترا قالت كلمتها الحاسمة في تمسكها بالسياسة التي رسمتها في الكتاب الأبيض التي سدت به باب فلسطين دون الهجرة، وقررت فيه إنشاء دولة بأكثرية عربية، وأن أميركا باحتلالها شمال أفريقية وسيرها في سياسة استرخاء لأهلها العرب والمسلمين من أجل رسوخ قدمها ومصالحها قد أصبحت حكومة إسلامية عربية، وسوف تتأثر بالدعاية العربية والعواطف العربية، والتعليلات عجيبة، فهي مفرطة بالتشاؤم بالنسبة لقضية اليهود وبالتفاؤل بالنسبة لقضية العرب. ومن ذلك أن وايزمن أرسل لمؤتمر عقدته مؤسسة الهداسا خطاباً شدد فيه النكير على من يظن أن انتصار دول الحلفاء يحل قضية اليهود حلاً تلقائياً، وأكد على وجوب بذل الجهود الجبارة في سبيل الحصول على وعود وعهود ومواثيق صريحة صراحة كافية... وقال فيما قال إن انتصار الحلفاء سيرافقه مشاكل عظيمة ومؤثرات متنوعة، وأن اعتماد اليهود على هذا الانتصار وحسب قد يعود عليهم بأوخم العواقب... ومن ذلك أن مؤتمراً عقد باسم مؤتمر اللاجئين اليهود حاول اليهود فيه التأثير على الحكومة البريطانية بفتح باب فلسطين لهجرة اليهود الذين فروا من الاضطهاد والمذابح الألمانية. وكان يشهد المؤتمر وكيل وزارة المستعمرات البريطانية منتدباً عن حكومته، فوقف وقال أن سياسة حكومته قد حددت تحديداً حازماً لا إمكان لتعديله بالنسبة للهجرة اليهودية إلى فلسطين، وأنها لا يمكن أن تخون هذه السياسة. وأن على اليهود أن يبحثوا عن أماكن أخرى في صدد تهجير لاجئيهم كالجزائر وشمال إفريقية، وكان موقفه صدمة شديدة لمطامح اليهود وأملهم.. ومن ذلك أن التايمس نشرت مقالاً في صدد علاقة العالم العربي بفلسطين وموقفه من الحكومة البريطانية وسياستها. وجاء في المقال فيما جاء أن قضية فلسطين هي القضية التي ما زالت تعكر صفو العلاقات بين الحكومة البريطانية والعالم العربي الذي كان وما يزال يعتبرها قضيته، وأن من الواجب إيجاد حل مرضٍ لها بشكل من الأشكال...

ففي كل ما تقدم إشارات إلى ما يواجه اليهود من مشاكل وما يبذلونه من جهد في سبيل تذليلها، وما قد تلعبه قضية فلسطين في سياسة العالم العربي والحكومة البريطانية من دور أثناء

الحرب وبعدها. . ولا ندري هل يكون الفوز في هذا التشاد للعرب أم لليهود، مع أننا ندري أن اليهود أقوى تأثيراً في إنكلترة وأميركا، وخاصة في أميركا، وأبرع وأوسع حيلة. ولا نزال عند رأينا الذي شرحناه في أسبوعية سابقة، وهو أن ذلك يتوقف على نيات بريطانية، وما تخشاه من تشاد بينها وبين أميركا على سياسة الشرق العربي. فإذا كان هذا يجعلها في حاجة إلى العرب فإنها سوف تسير في قضية فلسطين سيراً متفقاً على الأقل في السياسة التي رسمتها في الكتاب الأبيض، والتي ستؤول في النهاية إلى استقلال تعاهدي وإيقاف للنمو اليهودي عند الحد الذي وقف عنده، إلى أن يقوى العرب ويقيمون وحدة أو اتحاد، فتدخل فلسطين في نطاق ذلك، ويتلاشى الخطر الصهيوني. ولن ننسى أن موقف بريطانية وأميركا سيكون سلباً أو ايجاباً بقدر ما يكون من ملوك ورؤساء وحكومات ورجالات العرب من جد وارتفاع إلى المستوى المطلوب. وهذا مما نشك فيه كثيراً مع الأسف الشديد.

7 ـ بيان من الشيخ بشارة الخوري فيه تنصل مما نسب إليه من ميول اتحادية مع سورية ومدى ذلك وتعليق عليه:

قرأنا في عدد من جريدة النهار البيروتية بياناً أذاعه الشيخ بشارة الخوري رئيس الحزب الدستوري أو الكتلة الدستورية في لبنان، وفيه تكذيب لما يذيعه ذوو النيات السيئة عنه من أنه وقع على ميثاق اتحاد اقتصادي بين لبنان وسورية والعراق، أو أنه قال أن لبنان يقبل الاتحاد مع سورية بشكل فدراسيون أو كونفدراسيون. ثم أنه أكد أن سياسة حزبه قائمة على أساس كيان لبناني مستقل إستقلالاً تاماً في حدوده الحاضرة. والمتبادر أن الشيخ أذاع بيانه هذا في مناسبة الحركة الإنتخابية للعهد الدستوري الجديد، وأن خصومه الحزبيين أشاعوا عنه ما تقدم بقصد تحذير النصارى منه كمناورة إنتخابية حزبية. ولقد كان يشاع في الأوساط السورية والأوساط الإسلامية اللبنانية أن الشيخ بشاره وحزبه من أنصار الفكرة العربية والاتحاد العربي واندماج لبنان في ذلك. واستهلال الشيخ بيانه بالحملة على ذوي النيات السيئة يعني التنصل الشديد مما نسب إليه، مع أن كل ما نسب إليه اتحاد اقتصادي أو اتحاد فدراسيون أو كونفدراسيون، وهذا يبقي للبنان كيانه وشخصيته كالعراق وسورية. فإذا فرضنا أنه أراد ببيانه إحباط المناورة الحزبية المعتادة، وأنه حقاً من أنصار الفكرة العربية والإتحاد العربي، فإننا نرى مشهداً من مشاهد النفاق السياسي في صدد مبدئي من رجل في مثل مركزه، وهذا قبيح جداً. وإذا كان ليس ذلك حقيقياً منه، فيكون تظاهر به لاكساب قلوب المسلمين في لبنان والقوميين في سورية والعراق وحسب، فذلك أيضاً مشهد من مشاهد النفاق السياسي اللاأخلاقي معاً. ومهما يكن من أمر فإن في ما صدر عنه للتنصل مما نسب إليه على ضيقه اعتقاداً منه بأن ذلك قد يعثر مساعيه وآماله الانتخابية دليلًا على عمق كفر نصارى لبنان بالفكرة على اختلاف طبقاتهم وميولهم. وهو الواقع على ما فيه من فظاعة وخيبة أمل. .

***

يوم السبت
22 مارس 1943:

1 ـ استمرار الكلام عن رحلة شرشل لواشنطن ومداها ومقاصدها:

ما زالت رحلة شرشل لواشنطون من أهم الأحداث التي كثرت الإشارة إليها والكلام عنها في الصحف والإذاعات. وقد أذيع أن شرشل ذهب بحراً، وهذا يعني أنه قبل أن يتم نصر الحلفاء النهائي في تونس، وإن كانت تباشيره بادية.

وقد فتحت رحلته باب التخمينات، فإن إيدن كان في واشنطن قبل قليل وعرف أنه لم يصل إلى النتائج الإيجابية من رحلته، وأنها اقتصرت على تبادل وجهات النظر وتفهم كل فريق للفريق الآخر. فرحلة شرشل بعدها تدل على أن هناك أموراً خطيرة ما تزال معقدة تحتاج إلى جهده الشخصي.. وقد كان متأكداً من نصر تونس فاتخذه وسيلة من وسائل التأثير... ولقد ألقى شرشل خطاباً في الكونغرس الأميركي تضمن أشياء كثيرة، فتحت باب التخمينات أيضاً، وإن كان عنصر الدعاية فيه بادياً. والنقاط البارزة في الخطاب:

1) الإشارة إلى مشكلة الغواصات الألمانية وكونها ما تزال من أكبر المشاكل التي يواجهها الحلفاء، مع قوله أن الحلفاء أخذوا ينجحون نجاحاً مبشراً في تقليل خطرها.

2) الإشارة إلى أن الألمان ما يزالون أقوياء في جيوشهم ومنابعهم الواسعة وغرورهم ومناعة مركزهم الحربي، وأنه سوف يكون لهم شدة في الجبهة الروسية هذه السنة، وأن الروس سيتحملون هذه السنة عبء الحرب وحدهم، مع القول أن من الواجب عمل شيء في سبيل التخفيف عنهم.

3) إبداء مخاوفه من طول أمد الحرب، وما يمكن أن تنكشف عنه من مفاجآت خطيرة وتوكيده على وجوب الإسراع في إنهائها وتحطيم قوة الأعداء.

4) توكيده بأن إنكلترة لن تتلكأ عن الحرب في جانب أميركا في الشرق الأقصى بعد تحطيم قوى المحور في أوروبا، وتحذيره إياها من الظن بأن الحرب كادت تنتهي، وأن النصر بات يتم للحلفاء في أوروبا.

5) إشارته إلى أن الأعداء يبذلون جهدهم في الدس والتفريق بين الحلفاء، وأن أي تراخٍ أو موقف في التضامن وخاصة بين إنكلترة وأميركا ينتج أسوأ العواقب.

6) إشارته إلى وجوب الإستفادة من الصين بكل وسيلة، وأنه استصحب ويفل (قائد الشرق الأقصى) لأجل هذا الأمر.

7) إشارته إلى أنه هو وروزفلت راغبان في لقاء ستالين وشاي كان شاك دون أن يذكر متى وأين وكيف.

8) إشارته إلى أن القصف الجوي المشتد هو تجربة يجب أن تحاول لمعرفة إمكان تحطيم قوى العدو بها، مع قوله أن هذا القصف قد يكون من وسائل تقصير آمد الحرب.

9) إشارته إلى أن أهم مسألة هي تحقيق النصر في الحرب وعدم الإنشغال بما يمكن أن يكون بعد ذلك من الآن، وقد لحظنا نقاط ضعف عديدة في نقاط الخطاب:

1) الظاهر أن الرأي العام الأميركي قلق وغير راضٍ من ترك اليابان وأميركا وحدهما في الشرق الأقصى إلى أن يتم كسر ألمانيا، ويقولون أن هذا قد يطول، وقد ينهك قوى الحلفاء فيصبحون في موقف أضعف مما هم الآن، ولا ينالون من اليابان منالاً عظيماً، مع أن عدوهم الأكبر هو اليابان. وهذا القلق وعدم الرضا يهدد بشل الحركة والجهود الأميركية في صدد تكثيف القوى ضد المحور في أوروبا.

2) بعد أن كان الحلفاء يرون أن الزمن معهم أصبحوا الآن يتخوفون منه ويخشون أن يصبح مع عدوهم، كما يخشون أن تفاجئهم مفاجآت. ومما قد يظن أن المقصد من المفاجآت احتمالات تفاهم. الروس والألمان ثانية، وهذا أمر مهم ولا ريب إن صح.

3) الظاهر أن خلافات عديدة في وجهات النظر بين أميركا وبريطانيا خاصة في صدد ما بعد الحرب أيضاً قد تسبب تراخياً في التضامن بينهما، وهذا أمر يثير الإنكليز خاصة. وهذه الخلافات مشعور بها منذ أمد غير يسير، ورحلة إيدن التي أخفقت هي بسببها. وما يلفت نظرنا تصريح أذيع لروزفلت جاء فيه: إن المباحثات تجري بإنسجام يبعث على السرور. ولكنها لم تقترن بعد بنتيجة ما. فهذا قد يفيد أن الخلافات ما تزال موضوع تشاد ولم تحل، والغالب أنها في صدد ما بعد الحرب. وشرشل يحاول حمل أميركا على عدم الإنشغال بها وتركها إلى أن يتم النصر. والأوساط الأميركية تخشى من تكرر اللعبة التي لعبت عليهم بعد الحرب السابقة. فقد قبلت بريطانيا وفرنسة بمبادىء ويلسون فيما يتعلق بما بعد الحرب، ثم ناقضتها، مما جعل أميركا تنسحب من سياسة ما بعد الحرب لفترة ما..

4) التنويه بقوة الألمان يتضمن تخويفاً لأميركا، حتى تقنع بوجوب تكثير القوى ضدهم.

5) توكيد شرشل بأن بريطانيا ستحارب اليابان إلى جانب أميركا بعد النصر في أوروبا يدل على أن أميركا تتحسب من أن تتركها بريطانية مع اليابان بعد تحقق النصر على الألمان، لأنها ستكون منهوكة، وقد لا يكون في وسعها الإستمرار في الحرب سنين أخرى.

6) الإشارة إلى الرغبة في الاجتماع بستالين وشاي كان شاك تتضمن دفع وهم عدم التضامن البادي في عدم اشتراك الزعيمين أو ممثلين عنهما في الدار البيضاء أولاً وفي واشنطون الآن.

7) مما لحظ أن شرشل لم يذكر شيئاً في خطابه عن الجبهة الثانية بصراحة، وقوله أن من الواجب مساعدة الروس الذين سيتحملون عبء الحرب وحدهم هذه السنة. والظاهر أنهم سينتظرون نتائج المعركة الكبرى بين الروس والألمان من جهة، وسيكتفون بتشديد القصف الجوي من جهة أخرى.

ولقد قرأنا في الصحف التركية تعليقات عديدة في صدد كل ما تقدم فيها تطابق على ما استنتجناه ولحظناه.

ويستفاد مما تذيعه المصادر الألمانية أن الألمان رأوا أيضاً كثيراً من نقاط ضعف في خطاب شرشل واستغلوه في دعايتهم، وقالوا بالنسبة لبعض ما جاء في الخطاب أن عنصر الدعاية فيه هو الأقوى والأبرز.

2 ـ اشتداد القصف السكسوني على ألمانيا وإيطاليا والمحتلات الأوروبية وآثار ذلك وتعليق عليه:

يشتد القصف الجوي السكسوني على ألمانيا وإيطاليا يوماً بعد يوم، وتنشر المصادر السكسونية خاصة أخباراً واسعة عن تأثير ذلك وتخريباته. ومع ما يمكن أن يكون فيما ينشرونه من قصد التهويل، فإن المصادر الإيطالية والألمانية لا تكتم شدة القصف واستمراره ولا ما يحدث من تخريبات وأضرار. غير أن هذه المصادر تصف ظن السكسونيين بأن القصف سيحطم قواهم ومعنوياتهم ويسوقهم إلى الإستسلام بالسخف، وتؤكد مرة بعد أخرى قوة المعنويات في ألمانيا وإيطالية، والإطمئنان التام بأن النصر النهائي سيكون لهما. . . ويلحظ أن القصف الألماني على جزر بريطانية قد أخذ يشتد في الأيام الأخيرة. ولكن دعاية الألمان حول ذلك ليست قوية يمكن أن تبعث اطمئنان باحتمال أن يكون قصف ند للند. وكل المظاهر تدل على أن السكسونيين متفوقين الآن في القوة الجوية وفي القصف. والتعليقات كثيرة حول القصف واشتداده وأثره. منها ما يقول أنه سوف يكون للقصف السكسوني أثر قوي في إضعاف مقاومة الألمان والطليان، ومنها ما يقول أن هذا الأثر لن يكون شديداً أو يمنع الألمان من إحراز نصر على الروس في المعركة الآتية. وفي الدعاية السكسونية عن القصف حرب أعصاب خاصة بالنسبة للطليان. فالسكسونيون يذيعون الإنذار والوعيد لهؤلاء وينصحونهم بالثورة على النظام الفاشي وإسقاطه حتى ينقذوا بلادهم وأنفسهم من المصير المرعب تخريباً واحتلالاً وإذلالاً. . الخ. ويقولون لهم أن الفرصة سانحة لهم الأن وسيندمون إذا لم يغتنموها. وتهول دعايتهم من ناحية أخرى بما استولى على الطليان من رعب وفزع، وكيف يهاجرون من مواطنهم آلافاً مؤلفة هائمين على وجوههم. . .

ولقد قرأنا تعليقات على هذه الدعاية معقولة، فيها تنبيه على أنها حرب أعصاب أكثر منها حقائق. ومما جاء في هذه التعليقات أن إيطالية لن تتنصل من الألمان طوعاً ولن يضطرها القصف وحده إلى الإستسلام، ولن يكون ما يريده السكسونيون الإ باحتلال إيطالية. وهي إن استسلمت لتتخلص من قصف السكسونيين فسوف تتعرض لقصف الماني إنتقامي، واحتلال ألماني، أو غدوها ساحة حرب ضارية.

وإذا استسلموا للسكسونيين فسيكونون إزاءهم بعد أن أضاعوا أمبراطوريتهم في الخارج كفرنسة في أوروبا إزاء الألمان مع مستقبل غامض مشكوك النتيجة. وموسوليني ذو شخصية قوية وآثار مجيدة وأنصار أقوياء، والفاشيستية قد ضرب جذورها في إيطالية وبخاصة في جيلها الجديد، ولا يعقل أن يرضى أو يجنح إلى الاستسلام، كما أنه ليس من المحتمل أن يثور الشعب الطلياني على موسوليني والفاشيستية بسهولة، وهو ما تستهدفه الدعاية السكسونية. . . ومما أذيع أن القصف السكسوني على ألمانيا خرب فيما خرب في هذه الفترة سدين مائيين عظيمين، واحد اسمه مونه، وفيه (130) مليون متر مكعب ماء، وواحد اسمه إيدر، وفيه (200) مليون متر مكعب. وقد نشأ عن ذلك سيول عظيمة اكتسحت كثيراً من القرى والقصبات والحقول وأتلفت مائة ألف مسكن، وعطلت كثيراً من

المصانع والمنشآت في منطقة السدّين تدور بقوة الكهرباء التي تحصل من انحدار ماء السدود. وقتلت نحو 400 شخص وجرحت أضعاف هذا العدد.

ومما أذيع أن مهندساً يهودياً ألمانياً نازحاً من ألمانيا إلى بريطانيا هو الذي نبه القوات الجوية الإنكليزية إلى هذين السدّين وخطورتهما. وأذيع أن ذلك زاد في حقد الألمان على اليهود وتشديد الإنتقام فيهم، سواء الذين هم في بلادهم أو البلاد التي يحتلونها. ومما أذيع أن خبر المهندس اليهودي علم من المصادر السكسونية. وهذا غريب لأن هذه المصادر لا يمكن أن يغيب عنها أن ذلك سوف يثير حقد الألمان الرهيب على اليهود.

3 ـ رسول من روزفلت وإعلان موسكو إلغاء تنظيمات الشيوعية الدولية الثانية خارج روسية ومدى ذلك وتعليق عليه:

أذيع منذ أسبوع أن مندوباً من روزفلت وصل إلى موسكو يحمل رسالة إلى ستالين، وأن موسكو استقبلته استقبالاً حافلاً وعلقت الأعلام الأميركية والروسية في الطريق التي سار فيها، وأن الرسالة كانت خطيرة وطويلة. وأن ستالين استمهل المندوب أياماً للإجابة عليها، وبعد بضعة أيام بوغت العالم بقرار إلغاء تنظيمات الشيوعية الدولية الثالثة في جميع أنحاء العالم وحل مكاتبها. وهذه التنظيمات وهذا الإلغاء يعني أن روسية الرسمية قطعت علاقتها الرسمية والمالية والتوجيهية مع جميع التنظيمات الشيوعية في مختلف أنحاء العالم حيث أصبحت تشكيلات محلية تعود مسؤوليتها إلى القائمين بها، ويصبح دوام نشاطها أو تلاشيه منوطاً بجهودهم وإيمانهم وقوة صمودهم، ويعني بالتالي أن الحكومة الروسية اعتبرت الشيوعية منهجاً في بلادها وحسب، ولم تعد تبذل جهدها في نشر الشيوعية في خارج بلادها. . وتبادر للناس أن ذلك هو ما طلبه روزفلت في رسالته، وأن روسية رأت من مصلحتها في الظروف الراهنة أن تستجيب إليه، ولقد كان لذلك رد فعل بعيد المدى في مختلف أنحاء العالم، واعتبره الناس تطوراً عظيماً من الوجهة النظرية في منهج الشيوعية وأهدافها. وفيه إحباط أو تحد لميثاق مكافحة الشيوعية الذي كانت ألمانيا وضعته وحصلت على تأييد من كثير من دول أوروبا، في الظرف الذي كانت روسية ترعى الدعوة والتشكيلات الشيوعية خلارج بلادها وتغذيها بالمال والتوجيه، أي أن الميثاق كان في الأصل ضد روسية الحكومة. وكان هدفه مكافحة روسية وسحقها، لأن انتصارها يعني اكتساح الشيوعية للعالم. وفي البلاد السكسونية الأميركية والبريطانية رأي عام ضد الشيوعية ونشاطها، وضد روسية الشيوعية التي تغذي تشكيلاتها في الخارج، فكان تحالف الدولتين السكسونيتين مع روسية تناقضاً مع ذلك ونظراً لأهمية هذا الموضوع، فقد اهتم روزفلت لحله، وأرسل رسالته واستطاع أن يحقق ما أراد ويحل الإشكال. . . ولقد استقبلت الأوساط السكسونية وخاصة الأميركية قرار الإلغاء والحل بالابتهاج، وعدته فوزاً سياسياً باهراً لروزفلت. أما الأوساط المحورية فقد وصفت إعلان الإلغاء حيلة بارعة من حيل الشيوعية لن يكون لها أي أثر حقيقي في موقف الشيوعية إزاء العالم. وأن الدعوة الشيوعية ستستمر، وأن روسية سوف

تستمر في تأييدها وتغذيتها، لأن ذلك من صميم الفكرة والعقيدة الشيوعية.

وقرأنا تعليقات عديدة لحياديين. ومما جاء فيها أن روسية الشيوعية إذا كانت صادقة فيما أعلنته فإن ذلك يعني تراجعاً عن مبدأ خطر من مبادىء الشيوعية، بل عن المظهر الرئيسي الذي يفرقها عن الإشتراكيات المحلية التي تسمى بالاشتراكية الدولية الثانية، ورجوعاً إلى السياسة التقليدية التي كان يسير عليها القياصرة. ومهما يكن من أمر فالذي لا شك فيه أن هذا الإعلان سواء أكان صادقاً أم عابراً فإنه يدل:

أولاً: على شعور زعماء البلاشفة بوجوب مسايرة الرأي العام السكسوني، وإضعاف وإحباط دعاية المحور في صدد تخويف العالم من خطر قوة روسية واكتساح شيوعيتها له.

ثانياً: على احتياج هؤلاء الزعماء للسكسونيين وتأييدهم ومساعدتهم. وسيكون له أيضاً أثر شديد في الحركات والتشكيلات الشيوعية التي تعتمد في وجودها ونشاطها على المدد والمساعدة والتلقين من روسية الشيوعية، أكثر مما تعتمد في ذلك على نفسها، وبخاصة في بلادنا الشرقية التي لم تصل بعد إلى ظروف اجتماعية واقتصادية تجعل الفكرة الشيوعية سائغة وقادرة على الحياة. ومن المحتمل جداً أن يقابل هذا الإعلان بسخط شديد في الأوساط الشيوعية والإشتراكية خارج روسية، حيث تعده إنكاراً لمبادىء الشيوعية أو هدماً لها أو تحولاً خطراً فيها، ولاسيما أن الشيوعية الدولية الثالثة هي منبثقة عن مؤتمر أممي شيوعي. ولقد سارع بعض زعماء العمال والشيوعيين والاشتراكيين في بريطانية إلى القول على ما قرأناه في الصحف أن روسية لا تملك حق هذا الإلغاء. لأن هذه الشيوعية ليست روسية الصبغة فقط.

وقد ينتج عن هذا السخط رد فعل ضد روسية في هذه الأوساط، فيجعلها تتوقف عن الدعاية لها وتأييدها، وتنبه على أن الذهنية العامة على ما قرأناه وسمعناه في هذه الأيام القليلة غير مصدقة بجد هذا الإعلان، ومعتبرة إياه حيلة دعائية أملتها ظروف الحرب.

هذا، ونذكر في هذه المناسبة أن رسول روزفلت إلى ستالين هو يهودي اسمه (جوزيف ديوي)، وهكذا نرى أن اليهود محيطون بروزفلت وموضع ثقته ومهماته. وهو ملاحظ في مختلف الظروف والمواقف. ولا غرو أن يقال أن اليهود يلعبون من وراء الستار أقوى الأدوار في الحرب وإهاجتها.

4 ـ استطراد إلى النشاط الشيوعي في بلادنا ومداه وتعليق عليه:

ونستطرد إلى القول أن النشاط الشيوعي أخذ يشتد في بلادنا حتى صارت اجتماعات تعقد وهتافات تتردد بنصر روسية بل ويدعى لها في الكنائس. وقد أنشئت أندية شيوعية في سورية وفلسطين ولبنان والعراق. وفي لبنان والعراق صحف شيوعية قوية الصوت. والشيوعيون في بلادنا يدورون مع روسية أنّى دارت دون أن يتقيدوا بمعنى (المبدأ)، فقد حاربوا الإنكليز على اعتبار أنهم إستعماريون رأسماليون..

وحينما اتفقت روسية مع الألمان صاروا محوريين. ولما انتقض ما بين روسية والألمان وقام تحالف بين روسية وإنكلترة انقلبوا إلى أصدقاء لإنكلترة وساروا في ركابها ومايزالون. ومع أنهم ضد الديكتاتورية فهم مع روسية على أي حال التي هي ديكتاتورية، وكل هذا ما يثير

في النفس اشمئزازاً وتقززاً. . . ونرجح أن النشاط الشيوعي في بلادنا سوف يضعف كثيراً، لأن المدد سينقطع عن التشكيلات والأندية والصحف الشيوعية. وإذا ظلت فكرة الاشتراكية أو الشيوعية حية في بلادنا فستكون في أشخاص فاهمين هاضمين للفكرة كفكرة إجتماعية إقتصادية. والفكرة في هذه الحدود ليست في الحقيقة جديدة، فهي قديمة مع الزمن وستبقى قائمة أيضاً.

والسؤال الآن هو موقف السلطات السكسونية في بلادنا وفي بلادها من النشاط الشيوعي، فهل تقف موقف المتجهم لهذا النشاط وما يمكن أن يدوم له من تشكيلات. فإن مما حمل روزفلت على بذل مساعيه التي أدت إلى صدور الإعلان هو كراهية النشاط وهذ التشكيلات والتخوف منها. وما كان يحمل السلطات السكسونية في بلادنا وفي بلادها على التساهل إنما كان بقصد عدم اغضاب روسية وإضعاف التضامن بينها وبينهم، والمفروض أنهم أصبحوا في حل من هذا الخوف، وأحراراً في اتخاذ التدابير لمماشاة الرأي العام، وهذا قد يجعل من المعقول أن لا تظل في تساهلها. وإذا صح هذا فقد يكون له آثار خطيرة سلبية وإيجابية معاً، وسنرى ما سوف يكون.

5 ـ مذكرة صلح إنكليزية ومداها وتعليق على ذلك:

في هذه الفترة اذاعت صحف وإذاعة لندن خبر مذكرة وقع عليها فريق من النواب واللوردات الإنكليز باسم (مقترحات صلح دائم)، وقد لفت نظرنا العنوان، فظننا أن هناك باب فرج، وسرعان ما خاب أملنا، ورأينا في النص المذاع صورة من صور السخف من جهة وصورة من صور عمق الحقد على الألمان من جهة أخرى، حيث جاء فيه إيجاب الاستمرار في الحرب إلىٰ أن تتحطم قوات المحور ويتم احتلال بلاد المانيا وإيطالية احتلالاً تاماً، ثم تقسيمها إلى كيانات ودول عديدة كما كانت قبل الوحدة الألمانية والطليانية، وتحريم التعليم العسكري، وتدمير مصانع السلاح وكل مصنع يمكن أن يحول إلى مصنع سلاح، والإشراف التام على مناهج التعليم وأخذ أبناء الأسر العسكرية التقليدية منذ طفولتهم من أحضان ذويهم وتربيتهم تربية سلمية في بلاد غير بلادهم، وتحريم اقتناء أي سلاح في هذه الدول، والتزام دول المحور بكل نفقات الحرب، وما دمرته ونهبته قواتهم، ووضع اليد على جميع الموارد الصناعية والمالية والتعدينية لضمان هذه النفقات الخ.

وهكذا نرى من الآن صورة أشد من صورة شروط فرسايل التي وضعت بذرة هذه الحرب وبذرة الاضطراب الذي ساد العالم في فترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية، ونرى أن روح الإنسانية تبتعد أكثر عن جادة المنطق والاتعاظ بما كان، وتلبس ثياب الحيوانية والبربرية والإنتقام والتشفي. وهذه الشروط وإن لم تكن شروط حكومة رسمية فإنها تعبر عن روح الأوساط الإنكليزية ولا ريب.

6 ـ زيارة رئيس أساقفة نيويورك لتركية ومداها وتعليق على ذلك:

في هذه الفترة زار رئيس أساقفة نيويورك سبلمان تركية، وهو كاثوليكي، واجتمع برئيس

الجمهورية، وهذا الرجل يقوم منذ أشهر برحلات غامضة المدى بين روما ومدريد ولندن، وها هو الآن يزور تركية. وعرف أنه سوف يزور مصر وبلاد الشرق العربي والهند والصين. وقد دارت حول رحلاته إشاعات عن علاقتها بعملية صلح، وحتى عن إجتماعه بوزير خارجية ألمانيا حينما كان هذا في روما. ورحلات هذا الرجل والمقامات التي يجتمع بها قد تثير حقاً إحساساً بأنها بسبيل عملية صلحية يشترك فيها البابا وبعض الدول الحيادية. وذهابه إلى مدريد التي خرجت منها أصوات داعية إلى الصلح بلسان وزير خارجيتها ثم رئيس جمهوريتها قد يؤيد ذلك. وظواهر الأحوال والأقوال لا تتحمل أي تفاؤل سريع بنجاح هذه المساعي..

7 ـ إعلان جيرو حاكماً على تونس وخلع الباي وإقامة باي جديد:

بمجرد انتهاء حرب تونس أعلن أن جيرو صار والياً لتونس، وأعلن خلع (الباي) ثم نفيه إلى مدغشقر وإقامة (باي) آخر مكانه، بحجة أنه كان ضالعاً مع المحور. وهكذا تنكشف الصورة المزيفة لاستقلالات وإمارات البلاد العربية التي تكون تحت الإحتلال الأجنبي، ويتأكد بأنها ليست إلا ألعوبة بيد المحتلين الأوروبية يتصرفون بها كما يتصرف الطفل بلعبته.

8 ـ إعلان سكسوني بما كان من رعاية لقائدي الألمان والطليان في جبهة تونس:

أذاعت لندن أن السلطات السكسونية في تونس خصصت للقائد الألماني العام الأسير قصراً تتوافر فيه جميع أسباب الراحة، وسيحظى بالرعاية والاحترام، وسيرت له مرتب وسيكون مثل ذلك للقائد العام الطلياني أيضاً.

9 ـ خبر نشاط وانتصار اليابانيين في الصين والمشرق الأقصى ومداه:

أذيع في هذه الفترة أن اليابانيين أحرزوا انتصارات عظيمة في الصين، وأن جيش شان كاي شاك الخاص البالغ عدده (70) ألفاً قد استسلم لهم، وأنهم يطوقون جيشاً آخر، وأن قائداً كبيراً من قواد الصين استسلم لهم، وأن المقاومة الصينية الآن هي في آخر أدوارها. وقد كذبت المصادر السكسونية هذه الأخبار وقالت أن فيها تهويلات دعائية. غير أن توالي الأخبار عن انتصارات اليابان في الصين تدل على أي حال أن موقف المارشال ومقاومته في حرج وصعوبة. والطرق مسدودة لمدد السكسونيين إليه. وما يبديه اليابانيون من تساهل وإغراءات لأهل البلاد مما يضعف موقف المارشال أيضاً.

10 ـ خبر إنزال أميركي في جزيرة قرب ألاسكا ودحر اليابانيين عنها ومدى ذلك:

وأذيع في هذه الفترة أن الأميركيين أنزلوا قوات في جزيرة قرب شبه جزيرة ألاسكا ودحروا

عنها قوات يابانية كانت فيها. وقد طنطنت المصادر السكسونية بهذا الحادث، وحاولوا إبراز أهمية كبيرة له. ومما قالوه أنه فتح لهم طريقاً إلى بلاد اليابان نفسها، حيث صاروا منها على بعد (3000) كيلومتر. ويستعدون لاحتلال بقية الجزر الغربية لها وتأسيس مطارات فيها.

11 ـ طلب أميركا من روسية قواعد في سواحل سيبريا:

ومما دار الحديث حوله في هذه الفترة طلب روزفلت من ستالين السماح لأميركا بقواعد جوية في سواحل سيبريا الشرقية، لتكون منطلقاً لقصف بلاد اليابان أيضاً. وقالت الإذاعات أن روزفلت ينتظر جواب ستالين بفارغ الصبر. ولقد كان أذيع عن طوكيو أن روسية سمحت لأميركا بقواعد جوية في هذه السواحل. وهذا الخبر يفيد أن ما أذيع عن طوكيو كان إحساساً بما يدور حوله من حديث لم يكن قد تحقق. وأميركا تحاول بهذا الطلب حمل روسية على الخروج من موقفها الجامد المتربص بالنسبة لليابان، وهذا نفسه موقف اليابان بالنسبة للروس. فإذا نجحت أميركا وحققت روسية لها مطلبها فتكون الحرب قد تطورت تطوراً جديداً، حيث يقوم عداء حربي بين اليابان والروس، وهو ما كانت وظلت الدولتان تتحاشياه، لأن لكل منهما مشاكل تحملها على ذلك. والإحساس العام أن هذا لن يستمر، فإذا انتصر الروس في معركة الربيع والصيف على الألمان فلا تبقى لهم مشكلة، وسيسارعون إلى التضامن مع السكسونيين ضد اليابانيين حتماً. وإذا انتصر الألمان على الروس فلا تبقى لليابانيين مشكلة، وحينئذ سوف يسارعون إلى احتلال سيبريا ويعلنون أنها غدت من مجالاتهم الحيوية.. ولعل ما يجعل أميركا تلح على إخراج روسية من موقفها الجامد خوفها وخوف إنكلترة معاً من مفاجأة صلحية وتفاهم بين الروس والألمان بواسطة اليابان، وهذا أمر جرى الكلام حوله مرة بعد مرة.

***

يوم الأحد
30 مارس 1943:

1 ـ نتائج رحلة شرشل لواشنطون:

كانت المصادر السكسونية تهيىء الأفكار طيلة هذه الفترة للبيان المشترك الذي سوف يصدر عن رحلة شرشل لواشنطون والذي سوف يحتوي قرارات مهمة. غير أن الناس فوجئوا ببيان قصير جداً من روزفلت فقط، جاء فيه أن الأبحاث التي دارت بين الخبراء العسكريين أسفرت عن تطابق تام في الخطط العسكرية.. وكان لهذا البيان القصير صدى استغراب. ولقد ذكرت البرقيات الأميركية أن الصحفيين سألوا سكرتير روزفلت الذي قرأ عليهم البيان عما إذا كان شرشل اكتفى بهذا النص، فكان جوابه أنه لا يعرف ما إذا كان شرشل أطلع على البيان أو لم يطلع... وقالت البرقيات كان من المنتظر أن يصدر بيان من الاثنين فيه تفصيل أو إشارات لما كان وتم بينهما...

ومن الغريب أن المصادر السكسونية لم تحاول التفسير وتخفيف الاستغراب، رغم أن بعض المصادر الإنكليزية نفسها وقفت من ذلك موقف المستغرب.. ولقد حاولت مصادر المحور أن تجد من ذلك وسيلة للدعاية، فأذاعت أنه علامة إخفاق اللقاء، وأنه يدل على أن المسائل المعلقة المهمة بين الحليفين الكبيرين في سير الحرب وما بعد الحرب لم تحل وظلت وجهات نظرهما مختلفة.

ولقد عقد شرشل وروزفلت مؤتمراً صحفياً مشتركاً، ووجه الصحفيون إلى شرشل سؤالات عديدة، ولوحظ أن جواباته كانت دعائية من جهة وفيها شيء من التحفظ من جهة أخرى. فقد أجاب على سؤال احتمال انهيار ألمانيا من الداخل بقوله: إن هذا وإن كان غير خارج عن الاحتمال إلا أننا يجب أن نعتمد على قوتنا وسلاحنا وجهدنا في إجبار العدو على الإستسلام لا على انهياره داخلياً. وأجاب عن سؤال في صدد إيطالية: إنها تستطيع أن تحمي بلادها وتحتفظ بمركزها في أوروبا إذا أقصت زعماء الفاشيست عن الحكم.. وأجاب على سؤال عن الحرب: إن شعار الحلفاء هو الإستمرار فيها إلى أن يستسلم الأعداء بدون قيد وشرط. وأجاب على سؤال عن قوة الأعداء بأنها ما زالت قوية عظيمة.

وقد قال المراقبون أن البيان المقتضب الذي اقتصر على ذكر الإتفاق على خطط الحرب، يمكن أن يدل على أن الزعيمين ركزا أحاديثهما حول الحرب وتأجيجها في ميداني آسيا وأوروبا معاً، وعدم تأجيل إحداهما انتظاراً لنتائج الأخرى، وأن العقد والخلافات في وجهة النظر في صدد ما بعد الحرب، تركت للزمن وظروف الحرب ولقاءات أخرى، وقد شرحنا في مناسبات عديدة مدى العقد والخلافات، سواء بالنسبة لسير الحرب وفرنسة المحاربة أو لما يكون بعد الحرب. وما يقلق أميركا من بريطانية وما يقلق بريطانية.

2 ـ المؤتمر الصهيوني في فيلادلفيا وحملات الصهيونيين وخطبهم على بريطانيا والكتاب الأبيض بسبيل فتح باب فلسطين للهجرة:

قرأنا في صحف فلسطينية وصلت إلينا نتفاً

مقتبسة من جريدة بالستين بوست اليهودية الإنكليزية اللغة، التي تصدر في القدس، عما جرى في المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في فيلادلفيا في أميركا، وشهده مندوبو صهيونيي العالم، بعد أن تعذر عقده في زوريخ أو بال كالمعتاد. ومن هذه النتف خبر حملة شديدة حملها خطباء الصهيونيين على مؤتمر برمودا الذي دعت إليه بريطانية للنظر في أمر النازحين من ألمانيا والبلاد التي تحتلها ألمانيا من يهود وغير يهود. وكان الصهيونيون هم الذين سعوا في سبيل عقد مثل هذا المؤتمر بقصد كسب اهتمام وتعضيد دولي لأمر النازحين اليهود الذين هم الأكثرية الكبرى من هؤلاء النازحين، وبكلمة أخرى بقصد الضغط على بريطانية من أجل فتح أبواب فلسطين لهم. ولكن بريطانية لم تتجاوب معهم ووقفت أميركا بجانبها، وقد قالت بريطانية أنها غير مستعدة لتعديل سياستها التي قررتها في الكتاب الأبيض بالنسبة للهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقد انتهى المؤتمر إلى توصية ببذل الجهد لتأمين تهجير النازحين في شمال أفريقية وفي منطقة دير أواداي في بلاد الحبشة، فكان ذلك سبب تلك الحملة على بريطانية، لأنها أحبطت اللعبة اليهودية، ومن تلك النتف خبر حملة صهيونية شديدة ضد الكتاب الأبيض نفسه، لأنه كان ضربة شديدة لآمالهم ومطامعهم. وقد ألقى الخطباء خطباً نارية فيها إنذار وتهديد، وفيها بكاء وعويل على عادة اليهود. وكان خطاب وايزمان أشد الخطب في هذا الصدد. ومما قاله إن اليهود يتعرضون كل يوم للمذابح، وأصبحوا لا يهمهم ثورات العرب التي تخشاها بريطانية، والتي جعلها تحاول القضاء على آمال ومطامح وخطط الصهيونية، وندد بنصائح الأصدقاء بعدم الخلط بين اضطهاد اليهود وبين فلسطين. وقال إن فلسطين هي البلد الوحيد التي يجب أن يذهب إليها اليهود التي يجب أن تستقبلهم، وأن من الظلم أن يحال بينهم وبينها، وأن يجبر اليهود على الهجرة إلى غيرها. ووجه نداء إلى ضمير العالم أولاً يطلب منه حل مشكلة اليهود قبل فنائهم نهائياً.

ووجه خطابه إلى العرب منددأ مهدداً مستعطفاً في الوقت نفسه، وقال لهم إن في أيديهم من الأراضي الشاسعة ما لا يستطيعون أن يملأوا ويعمروا عشراً منه. وأن ما يتمتعون به من حياة ونشاط واستقلال في أقاليم عديدة هو بفضل الديموقراطيات، وأن لدماء اليهود وضحاياهم وأموالهم أثراً عظيماً في ما أحرزته الديموقراطيات من نصر وحررته من بلاد، وأن من حقهم أن ينالوا أجرهم، وأن على العرب أن لا يظلوا على عنادهم فيجعلوا بينهم وبين اليهود عداء مستمراً ضاراً، في حين أنهم يستطيعون أن يكسبوا صداقتهم الدائمة ومساعداتهم العظيمة، وأن عرب فلسطين لن يطرأ عليهم إجحاف في أي شيء من أمورهم المادية والمعنوية. وذكر في خطابه فيصل وسياسته وإدراكه للأمور، وقال إنه يعتقد أنه لا يزال في العرب من يستطيع أن يجدد عهد هذه السياسة، وأن العرب ليسوا المفتي ولا اللجنة العربية العليا وحدها. وناشد هؤلاء الذين قال أنهم موجودون بأن يتقدموا ويبرزوا بجرأة ويمدوا يدهم إلى اليهود. وأن هذا مما ينتظره اليهود من الحلفاء، فهم القادرون وحدهم على جعل العرب يقفون عند حدهم.

وليس فيما قاله عن العرب من خلط ومفارقة شيء جديد، ولكنه يدل على ما يشعر به اليهود من غيظ وسخط وخيبة أمل، وقد قال فيما قاله

أيضاً أن تمسك بريطانية بالكتاب الأبيض هو أمر شاذ. فكم من كتاب أبيض أصدرته ثم رجعت عنه. وهتف باليهود بأن ينشطوا ويتضامنوا لجعل الحكومة البريطانية ترجع هذه المرة عن كتابها الأبيض كما رجعت سابقاً. وقال أنه مؤمن بأنهم إذا نشطوا وتضامنوا سيحققون ذلك. وقال إن ما في الكتاب غير شرعي، وأن شرشل نفسه وصفه بأنه خرق ونقض حينما عرض الكتاب على البرلمان، ودعا شرشل إلى أنه وهو الآن رأس الحكومة أن يتذكر ما قاله وأن ينفذه. . .

وقد قال فيما قاله أيضاً، أن من أسباب التمسك البريطاني بسياسة الكتاب الأبيض علاقة بريطانية بالبلاد العربية ومواقف هذه البلاد ومواقف الهند وخاصة المسلمين. . ومما ذكرته الباليستاين بوست من نتف، أن بعض اليهود في المؤتمر طالبوا الحلفاء بمبادلة ما في أيديهم من أسرى المحور بمن تحت سيطرة المحور من يهود، وفيهم من قال إن بريطانية تستطيع، ويجب أن يتبادل هس (نائب هتلر السجين عندها) بماءة ألف من اليهود، فالدنيا كلها فداء لليهود. . ومن الغريب مخاطبة وايزمن العرب أو مناشدته إياهم بالتخلي عن فلسطين لهم لأنها البلاد الوحيدة التي تتجه إليها آمالهم وعواطفهم، مع وعد بعدم الإجحاف بعربها تحت سيادتهم طبعاً. .

3 ـ بيان للأمير عبد الله في صدد وحدة سورية:

ومما أطلعنا عليه في هذه الفترة في صحيفة عراقية بيان للأمير عبد الله موجهاً إلى أهل الشام في حواضرهم وبواديهم من الفرات الى رفح إلى البحر الأبيض، ذكر فيه مبادىء النهضة وعهود الخلفاء ورغبة العرب في الوحدة والاستقلال ونضالهم في سبيلهما. والظاهر أنه أذاعه في مناسبة التحرك العربي الجديد في موضوع الوحدة أو الاتحاد.

وقد ذكر الأمير في بيانه الشاميين بقرار المؤتمر السوري العام الذي وضع في 8 آذار 1920، وتضمن إعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية، معبراً بذلك عن إرادتهم منذ عشرين عاماً تعبيراً صادقاً. وإذا كانت الظروف والمصالح المتباينة حالت دون تنفيذ ذلك إلى الآن، فإن الظروف الحاضرة قد تكون مساعدة. وختم نداءه بالدعوة إلى مؤتمر في عمان يحضره أولو الحل والعقد من الشاميين في كل ناحية لبحث الأمر ووضعه في نصابه. وفي البيان جملة عجيبة مريبة، وهي أن في بلاد الشام وأنهارها لذة للشاربين لأبنائها ونزلائها. . فهل يقصد بذلك اليهود والتزلف إليهم ووعدهم ضمناً بما يطمحون بشكل من الأشكال؟

ولم نطلع فيما وصل إلى أيدينا من صحف فلسطينية ولبنانية وسورية ومصرية على هذا البيان، والمعقول أنه أرسله إليهما أيضاً، والظاهر أن السلطات فيها لم تحبذ نشره وسمح بنشره في صحف العراق وحسب. . والبيان من حيث الأصل حق وقوي بطبيعة الحال. ولكن صدوره من الأمير يجعله مريباً للشاميين، لأنه طامع في عرش بلاد الشام من جهة وثقة الناس فيه ضعيفة.

ولست أدري بأي وجه يوجه الأمير نداءه لهم ويدعوهم لعقد مؤتمرهم في عمان، وتاريخ العشرين سنة مملوء برعونة واستسلام وضعف وطنيته. فلم يتورع عن تأجير أرض أبي عبيدة لليهود، وأن يظهر استعداده، ويحمل رؤساء

القبائل على إظهار استعدادهم لتقبل الاستثمار والاستيطان اليهودي في شرق الأردن، وقد تواطأ مع اللجنة الملكية على إقامة دولة يهودية في فلسطين مقابل ضم باقيها لإمارته، وبذل جهده في شق الصفوف الوطنية في فلسطين بسبيل ذلك. وبالإضافة إلى كل هذا، فإن بيانه وما ينطوي فيه من مطامع سوف يثير الملك السعودي ويحمله على شدة التحفظ والتوجس من أي حركة وحدوية أو اتحادية

4 ـ مقالات عراقية في مناسبة عيد جلوس الملك ومداها:

وفي صحف العراق التي وصلت إلينا مقالات كثيرة في مناسبة عيد جلوس الملك فيصل الثاني ـ الطفل ـ، فيها تنويه بهذا الملك وما يستقبله من عهد وما هو مرشح له من أمبراطورية عربية واسعة لا يوجد من ينازعه فيها، لأنه ابن الرسول وحفيد حسين الملك الأكبر، وقائد النهضة العربية العظمى.

ونرى في هذا تبجحاً فارغاً، والإنكليز هم المسيطرون على العراق سياسياً وعسكرياً.. ونخشى أن يثير مثل هذا التبجح الهواجس والتحسبات من التحرك العربي الوحدوي أيضاً.

والحقيقة أن هذه الأمة لن تفلح إلا حينما تصل إلى دور لا يكون رؤساؤها التقليديون غير الأكفاء نقطة البدء والنهاية في مطامحها، وتكون هذه النقطة هي الأمة والبلاد قبل الأشخاص والأسر والعروش. فهل نرى هذا اليوم.

5 ـ جمود التحرك الوحدوي العربي وتعليق عليه وما يلمح من توجس سعودي:

ونسجل أنه لم تبد إلى الآن بادرة جدية في صدد حركة الاتحاد أو الوحدة وتحرك مصر في سبيلها. ولقد وجهت مصر أولى دعواتها إلى نوري السعيد منذ شهرين، وكل ما كان إلى الآن جواب أو بيان بأنه سيسافر إلى مصر. ولا ندري ما إذا كانت هناك تحفظات وعراقيل تمنع الجد في التحرك وتمنع نوري من السفر. ولقد كان لتصريحات إيدن تجاوب حسن بعث فينا الأمل، ثم نراه الآن يضعف أو يجمد. . . ولقد قرأنا في الصحف أن الشيخ يوسف ياسين جاء إلى مصر من السعودية واجتمع بالنحاس، ثم جاء إلى سورية ولبنان. ويخيل لنا أن هناك صلة ما بين التحرك الوحدوي والدعوة المصرية بسبيله وبين رحلة الشيخ. والمعروف أن النحاس لم يوجه دعوة إلا إلى نوري، فلا يبعد أن يكون الملك السعودي أرسل الشيخ وهو سكرتيره الخاص للإطلاع على بواطن الحركة ومدى التحرك، ولإبلاغ مصر في الوقت نفسه وجهة نظره، حتى تكون على بينة مما تسير فيه. والراجح أن تكون وجهة النظر هذه في صدد ما يمكن أن يكون من استغلال الأسرة الهاشمية لهذا التحرك. ونرجح أن الملك أمر سكرتيره بالذهاب إلى الشام لإبلاغ وجهة نظره لرجالاتها من جهة، وللوقوف على وجهات نظرهم من جهة أخرى. حتى لا يباغت بما لا يحب على الأقل، إن لم يكن قد أراد التحذير من هذا الاستغلال. ولا شك في أن إيدن حينما قال أن المسألة معقدة، وأن هناك ظروفاً شخصية وعامة تعقدها، قد قصد فيما

قصد هذا التنافس القائم بين السعوديين والأسرة الهاشمية أولاً، وما يمكن أن يقوم من تنافس بين مصر والعراق والسعودية ثانياً. . .

6 ـ حملة على بيان الشيخ بشارة الخوري ومداها:

اطلعنا في الفترة الأخيرة على مقالين، واحد في جريدة القبس وآخر في جريدة الإنشاء الدمشقيتين، فيهما حملة على بيان الشيخ بشارة الخوري الذي ذكرنا خبره ونصه في أسبوعية سابقة، والحملة في محلها بل ويجب استمرارها. وقد اطلعنا على مقال لمسيحي يذكر فيه كاتبه الذي لم يعلن اسمه أن بيان الشيخ لا يعبر عن مصلحة لبنان وأفكار أهله وأنه مناورة حزبية. ومع الأسف إن هذا الصوت فردي لا يغير حقيقة عمق كفر مسيحي لبنان إجمالاً بالفكرة العربية، أو بالاتحاد السوري اللبناني، فضلاً عن الاتحاد العربي. ولقد كان من الواجب على المسيحيين القوميين مثل قسطنطين زريق وجبران التويني وجبران شامية وأمثالهم أن يتولوا هم تزييف البيان والحملة عليه.

7 ـ رحلة شكري القوتلي إلى حماه وحمص وحلب ونشاطه:

ومما قرأناه في صحف سورية أخبار رحلة قام بها شكري القوتلي إلى حمص وحماه وحلب. ومن مقاصد الرحلة على ما ألمحت به بعض الصحف. الإصلاح بين جماعة الكتلة الوطنية في حلب من جهة وتبادل الآراء مع رجالات الكتلة في هذه المدن في الأحداث المقبلة من جهة أخرى. وفي حلب خلاف وانفصام بين سعد اللّه الجابري وعبد الرحمن الكيالي وبين ناظم القدسي وجميل إبراهيم باشا وأخيه.

ومما ذكرته الصحف أن شكري استصحب معه الحاج أديب خير وصبري العسلي وآخرين، وأنه جرت له استقبالات حافلة. وما ذكرته إنه طلب في حفلة استقبال من سعد اللّه الجابري أن يقول كلمة بعد ما تكلم شكري، فقال إنه لا كلام بعد كلام الزعيم، وأننا وراءه بدون قيد أو شرط. ومما ذكرته أن شيئاً من هذا كان في حفلة في حمص، حيث قال هاشم الأتاسي لشكري: سر على بركة اللّه ونحن معك ونؤيدك.

وإن شكري استطاع أن يوفق بين رجالات الكتلة المختلفين، وأن يعيد الصفوف إلى وحدتها، وأنه لما عاد إلى دمشق استقبل استقبالاً حافلاً بدءاً من دوما، وكان في استقباله جميل مردم وغيره من كبار رجال الكتلة مع الجماهير الغفيرة. وأن مندوبي فرنسة وبريطانية في حلب بذلوا جهدهم معه في إصلاح الخلاف، واهتموا واحتفوا به، حتى أن فوكنو الإفرنسي الذي كان مستشار الداخلية في عهد بهيج الخطيب والذي كان يدبر المكائد الخبيثة ضد شكري وضد إخوانه أقام له وليمة. . .

فكل هذا مضافاً إلى ما فعله، يدل على أن شكري صار قطب الرحى في سورية وصاحب الكلمة النافذة، وأن سعد اللّه وجميل وهاشم وهم الرؤوس الثلاثة الآخرون في الكتلة لم يسعهم إلا مجاراة الواقع. ويظهر مما تكتبه الصحف أن الاستعدادات للانتخابات النيابية في سورية سائرة بنشاط، بحيث يمكن القول أنها ستتم في وقتها المحدد. والمرجح أن شكري هو الذي سيفوز برئاسة الجمهورية. . .

* * *

يوم الأحد 6 حزيران 1943
29 جمادى الأولى 1362 :

1 ـ قصة الكتاب الأسود الذي رفعه مكرم عبيد ضد النزاهة الوفدية والنحاس وحكومته :

منذ أكثر من شهرين وصحف مصر وأوساطها السياسية بالتبعية مشغولة بما يسمى (الكتاب الأسود)، وهو كتاب في 264 صفحة رفعه مكرم عبيد إلى الملك بمثابة تقرير أو عريضة ضمنه أموراً كثيرة صدرت من النحاس وحكومته ووزرائه، فيها تهم استغلال الحكم والإثراء غير المشروع من قبل النحاس وأسرته وبواسطته لكثير من الأقارب والأنسباء والأصدقاء. وقد ربط بالكتاب أو العريضة وثائق ومستندات تثبت هذه التهم، وقد وزع الكتاب بالخفاء على الناس. ولم يعلن عنه بصورة رسمية وظاهرة إلا بعد تحويله من ديوان الملك إلى رئيس الوزارة بكتاب رسمي لفت فيه النظر إلى التهم الخطيرة التي احتوى عليها، والتي يقدمها رجل لا ينكر مركزه واطلاعه، وطلب فيه إجراء التحقيق في ذلك. ويظهر أن النحاس درس الموضوع ووازن بين إجراء تحقيق قضائي أو تزييف علني، فاختار الثاني على الأول، فأخذ هو وأعضاء حكومته يوزعون إلى أنصارهم في مجلس النواب بتقديم سؤالات للحكومة عن هذه التهم التي سماها النحاس وأنصاره وصحف الوفد (بالأكذوبات)، وأخذ النحاس ووزراؤه حسب اختصاصاتهم يجيبون على الأسئلة بإجابات مسهبة فيها تكذيب وتزييف وتفنيد للتهم، وفيها حملات قارعة على مكرم بسبب توجيه هذه التهم الكاذبة. وأخذت صحف الوفد الجدية والهزلية تكيل الشتائم لمكرم وأخلاقه، وتقايس بين ماضيه وحاضره، وامتلأت أعمدة هذه الصحف بالبيانات والردود والحملات، حيث يدل هذا على أن المسألة صارت شغل مصر الشاغل، وعلى أن الوفد قد انزعج واهتز انزعاجاً واهتزازاً شديدين. ويبدو أن الحكومة حالت دون مقابلة هذه الحملات بمثلها في الصحف غير الوفدية المعارضة في ظل الحكم العسكري القائم، لأن هذه الصحف لم يبدر منها ما هو المعتاد من الرد على الحملات او ترديد الاتهامات. ولقد استشهد مكرم بأشخاص كثيرين بارزين في وقائع معينة. وكان من المعقول أن ينشروا بيانات عن ذلك إثباتاً أو نفياً، وهذا لم يحدث. وقد سئل عنها بعض النواب بإيعاز من الحكومة، فأجابت عنها هذه الحكومة مفندة أو مصححة دون أن تدع للأشخاص أن يقولوا كلمة في ما استشهدوا عليه . . ويظهر أن مكرم قدم عريضته أو كتابه بتفاهم مع رؤساء ورجال الأحزاب المعارضة للوفد، لأن حركة من النشاط والتقارب والولائم والاجتماعات بدت أيضاً منذ شهرين متوازية مع تقديم العريضة وحديثها. وقد جعل هذا صحف الوفد وخطباؤه يتناولون رؤساء الأحزاب المعارضة بالغمز واللمز مع مكرم بأساليب شتى. وقد أثار حسين هيكل في مجلس الشيوخ وفكري أباظة في مجلس النواب موضوع حرية الصحافة باستجوابين قدماهما كل منهما في مجلسه. وقد رأينا هذين الاستجوابين وخاصة استجواب هيكل مصبوباً على مناسبة الكتاب الأسود وما يتمتع به جانب واحد من حرية النشر

التي حرم منها الأحزاب الآخرين. وذكر في الاستجوابات نماذج عديدة من شدة المراقبة الصحفية في أمور لا علاقة لها بأمن الدولة وسلامتها وأسرارها، وفي أمور تخوض صحف الوفد فيها كما تشتهي، بينما يمنع المشتومون والمغموزون أو الموجهة إليهم التهم والوقائع من الرد والتصحيح، وكل ما يمنحه القانون لهم.

ومما تطرق إليه خطباء المعارضين وجوب لجوء الحكومة إلى القضاء ما دامت تقول إن التهم افتراءات وأكاذيب. وقال حسين هيكل في ما قال إن الأسلوب الذي لجأت إليه الحكومة في الأسئلة والأجوبة لا ينسجم مع الدستور، لأنه أريد به استصدار قرارات من المجلس يكذب التهم وزيفها، مع أن هذا من اختصاص القضاء، فإذا قال المجلس كلمته في ذلك صار مركز القضاء حرجاً. وردت الحكومة وصحفها بأنها تعتبر هذا الأسلوب مستقيماً، لأن للقضاء تقاليد وأساليب طويلة، وحينما تنتقل إليه القضايا يمنع الخوض فيها، وحينئذ تظل التهم عالقة بالحكومة ونزاهتها مدة طويلة، وهذا ما لا تريده. ولهذا رأت طريق البرلمان هو الأحسن لحسم هذه التهم وتزييفها من أقرب الطرق...

وفي هذه الأثناء انقطع مكرم عن المجلس، وحاول أنصاره من النواب الذين كانوا يشهدون الجلسات التعليق فقوبلوا بالاعتراض والمقاطعة والحملات والتعريض والمغامز لهم ولمكرم معاً، ووقعت مشادات بينهم وبين الأعضاء الوافدين وبينهم وبين رئيس المجلس أكثر من مرة توترت فيها الأعصاب. وقد كان النواب الوفديون من وزراء وغير وزراء يتحدون مكرماً بشهود الجلسات، وقوبل ذلك بأن مكرم يحق له أن يقدم استجواب للحكومة إذا وافقت على ذلك وأيد ذلك شخصيات وجرائد ومجلات معارضة من غير النواب. وقدم مكرم بعد هذا باستجواب وقبل اقتراحه بعد أخذ ورد، وجاء مكرم وتكلم طيلة ثلاث جلسات متوالية شارحاً استجوابه وتهمه، واستغرق كلامه خمس عشر ساعة، وكان قوياً لاذعاً. وظهر أنه استفاد مما أدلته الحكومة من بيانات في سياق الأسئلة والأجوبة، فاستعد لتزييفها ودحضها أيضاً. والتهم في الدرجة الأولى مصوبة إلى النحاس ونزاهته واستغلاله لمركزه لتحقيق منافع مادية خاصة. ومن ذلك ما هو بشع ولا ريب، كتهمة تعيينه ناظراً على وقف هو أجنبي عنه، وكان تحت نظارة وزارة الأوقاف، مما لا يسوغ الشرع واللوائح نزعه من الوزارة وتعيين ناظر أجنبي عنه له. ولكن الحكومة قررت ذلك والمحكمة الشرعية عينت النحاس ناظراً، وهذه النظارة تدر عليه (1500) جنيه في السنة. ومن هذه التهم بيعه منزل له في سمنود للحكومة بعشرة آلاف جنيه. وقد كان هذا البيع موضوع دراسة الوزارات السابقة، فقدر ثمنه بثلاثة آلاف أو على الأكثر بخمسة آلاف جنيه محسوباً ذلك بما يعود منه من ريع، فقفز المبلغ إلى الضعف وتمت الصفقة بكل يسر.. ومن ذلك تهمة تأجيره بيتين في إيجاره في مصر والإسكندرية بأضعاف الأضعاف، وأمره بإخلاء بيت مستعمل كمدرسة ناجحة ليسكن هو فيه. وبيت الإسكندرية الذي بإيجاره وأجره بأضعاف أجرته قد استؤجر ليكون منزل ترفيه للجنود الإنكليز بقلمه وموافقته...

وهناك تهم عديدة أخرى تتعلق بالأقارب والأنسباء. ومنهم صبحي الشوربجي الشامي عديل النحاس، في صدد السماح والتسهيل لأعمال تجارية يعود بالأرباح الطائلة. ومنها تهم

عـديدة أخـرى تتعلق بأقـارب وأنسباء وأنصـار وأطيان الوزراء الآخرين.

ومع أن النحاس والـوزراء، ومع آن نـواب الوفد والوزراء ردوا ردوداً في بعضها قوة، من شأنها أن تجعل اتهامات مكرم غير واردة أو غير صادقة، فإن التهمة من أساساتها تظل ملصقة بالنحاس ووزرائه نقاطاً سوداء ولا ريب. ولقد كانت الأكثرية في المجلس وفدية، فكان قراره على الإستجواب ثقة مطلقة بالحكومة، وحملة شديدة على مكرم.

غير أن القصة قد هزت بدون ريب النحاس والوفد هزاً شديداً، وأحدثت في النفوس أثراً، وهذا ما رمى إليـه مكرم والـذين شجعوه على تقديم العريضـة ثم الاستجواب. والـظاهر أن هؤلاء كانوا يظنون أن النحـاس ووزراءه سوف يلجأوون إلى القضاء، وأنه سيكون حينئذ مجال لإثبات التهم في ما يمكن أن يقـدم من شهود ووثائق، وأن الأمر ينتهي بإسقاط الحكومة. بل يظهر من بعض بيانات النحاس أن إقالة الحكومة كـانت هي المتوقعـة عاجـلاً، على اعتبـار أن التحقيق والقضاء يجب أن يكونا في غير عهـد الحكومة المتهمـة، حتى لقد شـاع أن الملك اعتزم على الإقالة أو هو يعتزم على ذلك على ما قاله بعض النواب، وأن السفير الإنكليـزي قابـل الملك ونصحـه بعدم إحـداث أزمة وزاريـة، وحصل شيء من التشـاد والامتعـاض بـسبب هذه المقابلة، وأن السفير بذل جهده لإزالة أثرها من نفس الملك.

وظروف الأحوال تدل بصورة قاطعة على توتر بين النحاس وديوان الملك، وبصورة راجحة إن ذلك قائم بين الملك وبينه أيضاً، بل الأولى أن يقال أن هذه العريضة جاءت حكاً لجرب الملك على الوفد، لأن التوتر بينهما قديم والنحاس لم يتول الوزارة إلا على كره من الملك وبطلب من الإنكليـز بل وبتهـديدهم على مـا فصلنـاه في مناسبة سابقة. ولقد كانت صيغة إحالة العريضة إلى الحكـومـة من الـديـوان تنم عن التــوتـر والتشفي. ولما كان النحاس لا يستطيع أن يقف من الملك موقف الشدة والتجريح، فقد حاول أن يفش غله في رئيس الديوان حسنين باشا وهو أحد أركان الثلاثي الذي يحيط بـالملك ويؤثر عليه، والركنان الثانيان هما علي ماهر والشيخ المراغي. وكان فش غله في علي ماهر على ما ذكرناه قبل. وقد أوعـز إلى أحد نـواب الوفـد بسبيل ذلك بإلقاء سؤال في مجلس النواب عن دين علي حسنين لبعض المدارس الصناعية ثمناً لأثـاث بيتي أخذه منـذ خمس عشرة سنـة ولم يسدده للآن. وأجيب على السؤال بإجابـة فيها غمـز لحسنين، ومن شأنهـا أن تـظهـر حسنين مماطلاً غير قائم بتوفية ذمته. وسارع هذا إلى نشر رد في الصحف على ما أدلى في المجلس من بيانات. وحكى في رده أصل هذا الدين وما كان تحمله من نفقات وخسـائر بسبب رحـلاته العلمية في الصحراء وفي الجو حالت بينه وبين السداد، وأنه باع أملاك أبيه ولم تف بذلـك. وقال أن الملك فؤاد عرض عليه أن يسدد جميع ديونه حينما أمره بمرافقة فـاروق فاعتـذر، وأن وزير الماليـة إذ ذاك رتب تسويـة تسديـد هذه الـديـون، وأن حسنين رهن جميـع معـاشـاتـه واستحقاقاته وبوالص تأمين حياتـه على ذلك، فصارت الديون تنطفىء شيئاً فشيئـاً. وأن دين المدرسة الصناعية سيأتيه الدور بعد قليل، وأن الملك فاروق عرض عليه تسديد ديونه فاعتذر أيضـاً، وأن وثائق وزارة المـاليـة وبنـك مصـر وشركات التأمين مستندات مثبتة لما يقول. ثم قدم استقالته للملك فرفضها الملك بكتاب أشاد

فيه بأخلاق حسنين ورضائه عنه وبوطنيته، وأمره فيه بالبقاء في منصبه ليستمر في أداء الواجبات المشكورة التي يؤديها. . . ونشر كتاب الملك فكان صدمة للنحاس وباعثاً على توتر جديد ودليلاً على التوتر القديم. . .

والمسألة فيما نعتقد لم تغلق، وإن كانت أغلقت في البرلمان. وأنها ستظل تدوي في أوساط مصر، وأن التشاد سيظل قائماً بين الوفد والقصر. والملك يسير في أسلوب يكتسب به عطف الشعب ومحبته، حتى ليكاد يبدو أنه معبوداً له. . . وليس من ريب في أن هذا مما يجعل مركز الوفد حرجاً وصعباً تجاه الملك، ولا يدع له مجالاً عليه. .

ومن سخرية الأقدار أن تكون الصورة الآن هي استقواء الملك بالشعب على الوفد والنحاس، واستقواء النحاس بالإنكليز، وأن يكون بقاء النحاس في الدست بتأييدهم، ولولا ذلك لكانت هذه الحادثة على الأقل سبباً للإطاحة به. . ومما يلفت النظر ويمكن أن يعد من مظاهر التوتر بين الملك والنحاس أن زوجة النحاس أنشأت مشروعاً بإسم (مشروع البر)، فلم يكن من الملك وحواشيه وأحزاب المعارضة أي إقبال وتعضيد له. ومنذ أيام دعا طلبة الطب إلى مشروع لمساعدة المرضى الناقهين، وصدف ذلك يوم ذكرى وفاة الملك فؤاد، فوهب الملك للمشروع أو بالأحرى افتتح بألف جنيه، وسمى كل من يعمل في سبيله باسم (مندوب الملك)، وكان لذلك رد إيجابي، حيث تهافت الناس على الاشتراك بهذا المشروع ومساعدته، وكانت أحزاب المعارضة من الهيئات التي اشتركت بجمع الإعانات. ولوحظ أن الوفد ودوائره لم يقبلوا على المساعدة والتعضيد، مما فسر كعمل مقابل لعدم إقبال دوائر الملك والمعارضة على مشروع البر الوفدي. .

مع التسجيل بأن هذا المشروع نجح نجاحاً كبيراً وبلغ مائة ألف جنيه. ومثل هذا المبلغ مقدر لمشروع مساعدة المستشفيات الذي دعا إليه الطلبة. .

وقد تناول الكتاب الأسود ومناقشاته مشروع البر الوفدي، وقال أن الحكومة استعملت نفوذها في إنجاحه، واستصدرت مراسم بالألقاب والرتب إن تبرعوا فيه بمبالغ كبيرة، وسمحت بجباية رسوم إضافية من وسائط النقل وبطاقات الملاهي على اختلاف أنواعها، وصبغت المشروع بشبه صبغة رسمية. . ومع أن كل هذا مظاهر توتر كما قلنا، فإن من المؤسف أن يتهافت المصريون على مساعدة مشاريع الخير بمثل هذه السعة بدافع الحزبية لا بدافع الرغبة في الخير والتسامي بمشاريعه عن الإعتبارات الحزبية.

والمرء يحار في الكلام في هذه الحادثة، فمن جهة فضحت مصر والمصريين، فالنحاس كان كل مزيته فقره ونزاهته. وهذه الحادثة جعلت هذه المزية تطير أو تكاد تطير. ومن جهة ستكون عاملاً في اشتداد التضامن بين الإنكليز والوفد للوقوف في وجه الملك وموجهيه. وفي هذا سيئة، لأن الوفد يمثل الأكثرية العظمى في مصر مهما كان الأمر. ولقد كان الخصم الأقوى للإنكليز، والخصومة كانت تقوم على رغبة الإنكليز في أن يظلوا أصحاب النفوذ والهيمنة والتوجيه في مصر وسياستها. فتضامن الوفد معهم يحقق لهم أهدافهم ومراميهم. . .

ومكرم وان كان استطاع أن يتهم النحاس ووزارته، فإنه نم على كل حال عن خلق دنيء اجتماعياً وأخلاقياً. فقد كان ذا مركز قوي في الوفد والحكومة، وما يوجهه الآن من تهم كان

متواطئاً فيها بل مساعداً عليها، فهو منافق سار ويسير في سبيل هواه لا في سبيل الحق والفضيلة. . . وقد يقال أن فضح كبار الزعماء مفيد لتفتيح عيون الشعب وتخويف هؤلاء الكبار وجعلهم يحذرون او لا يظلون يدلسون على الشعب، ولكن الهزة والشعور بعدم الثقة اللذين يؤدي إليهما ذلك، ويجعل استجابة الشعب لدعوة النضال التي قد يدعو إليها زعماء ضعيفة، لأن ثقته بهم تزلزلت. وفي هذا ضرر عظيم في بلاد مثل بلادنا ما زالت أمامها مراحل نضالية طويلة مع المستعمر. ولا سيما أن الفضح قلما يمنع من تكرار العمل المماثل. وهذه الصورة التي جاءت في الإتهامات مألوفة من وجهة الحكم الإنساني، وتظل إلى آخر الحياة وفي كل مكان ومجتمع.

والمستعمر يروق له هذا النوع من الأعمال المزعزعة للثقة بالزعماء ودعواتهم، لأنها تضعف الحركات المضادة له. ونحن نعرف أن مثل ذلك صار في فلسطين وصار في سورية. فكثرة مهاجمة المفتي بسبب تصرفاته في المجلس جعلته يقوي صلاته مع المندوب السامي ويكثر من المسايرة ويوارب في النضال المباشر ضد الإنكليز، حتى جاء يوم ضعفت فيه جميع القوى وكانت برداً وسلاماً على الإنكليز واليهود معا.

وكثرة مهاجمة وزارة جميل مردم جعلته يسير في سبيل مراضاة الإفرنسيين أكثر مما يلزم، ويتمسك بالكرسي أكثر مما يحتمل. وأدى هذا إلى ضعف الشعور الشعبي بالكتلة الوطنية وإلى انتهاز الإفرنسيين الفرص لينفضوا يدهم من المعاهدة.

نقول هذا ونحن نعرف أن هناك أخطاء ذاتية اندمجت في الظروف ويستحق أصحابها عليها اللوم والتثريب، ولا يصح السكوت عنها أيضاً. ولو كانت بنية الأمة قوية ولم تكن مبتلاة بالإستعمار ودسائسه لما كان هناك أي تردد في تصويب فضح المُدلسين ونشر جرائم المجرمين من كبار الزعماء بطبيعة الحال.

2 ـ الجدري والتيفوس في تركية وآثارهما وتدابير الحكومة لمكافحتهما:

منذ بضعة أشهر أخذت صحف الأستانة تذكر وقوع حوادث (جدري)، ثم أخذت دائرة الصحة تتخذ تدابير المكافحة للمرض وتفتح عيادات للتطعيم وتجعله إجبارياً، حتى أنها جعلت توزيع بطاقات الخبز مشروطاً بذلك، فأقبل الناس على التطعيم. وسمعنا أن المرض صار وباء واسع الانتشار، وذهب ضحيته كثيرون وخاصة من الأطفال. ونتيجة للحملة الصحية أخذ يقل. ثم بوغتنا بخبر انتشار مرض التيفوس، وقد بدأ في كانون الثاني ثم اتسع نطاقه حتى بلغ عدد من أصابهم (450)، وهو رقم مرعب ولا ريب، واهتمت الحكومة لمكافحته بدوره، وصارت تسوق الناس إلى الحمامات للاغتسلال والنظافة، وألفت لجاناً صحية وبوليسية لذلك، وكثرت التنبيهات والوصايا والتحذيرات من الوسخ والقمل والازدحام وركوب التراموايات والتردد على السينمات والمقاهي، بل وقررت السلطة إغلاق بعض السينمات والمقاهي. والمرض يشتد على الأكثر في الشتاء، ومع ذلك فإنه ظل ينتشر ويتسع في الربيع وأوائل الصيف ونحن الآن في هذه الأوائل، وأخبار انتشار المرض ومكافحته

متواصلة، ويخشى أن يستمر إلى الشتاء القادم فيشتد انتشاره وفتكه. والآستانة فيها قابلية لذلك، لأنها وسخة وخاصة الأحياء والأماكن التركية البحتة القديمة. وقد قرأت مقالاً في صحيفة فيه انتقاد لعدم ميل أهل الآستانة إلى النظافة والمقصودون الأتراك العوام، حتى أن منهم من لا يستحم مرة في السنة، ومنهم من لا يغير ثيابه الداخلية مرة في الشهرين والثلاثة. والذي يتصفح وجوه هذه الطبقة وأزياءها وملابسها يرى مصداق هذا القول بصورة واسعة. وقد سمعنا أن هذا المرض ليس محصوراً في الآستانة، وأنه منتشر في الأناضول وفي أنقرة.. والتيفوس مرض من أمراض الحرب، لأن الازدحام وعدم النظافة فيها واقعان مألوفان. وقد قرأنا في صحف سورية والعراق ومصر أن هذه البلاد تعاني من هذا المرض. وقرأنا في صحف مصر حملة في صدد محاربة الوساخة والقمل ودعوة إلى النظافة والاغتسال، حتى أن سلطاتها فعلت ما فعلته سلطات الآستانة في سوق الناس إلى الحمامات وإجبارهم على الاغتسال وجعله على حسابها..

3 ـ ارتفاع سعر الذهب في سورية وسقوط العملة السورية الورقية:

في ما وصل إليها من صحف الشام وبيروت أخبار عن ارتفاع سعر الذهب ارتفاعاً جنونياً، حيث صارت الليرة الإنكليزية الذهب تتراوح بين 64 و69 ليرة سورية، والليرة الرشادية الذهب بين 54 و60، والصحف والأوساط التجارية تضج من هذه الظاهرة، وتذكر ما نتج عنها من ارتفاع السلع الغذائية وغير الغذائية، حتى لقد صار سعر متر الجوخ في دمشق مائة ليرة والحذاء ستين.. وتنشر الصحف اقتراحات متنوعة في سبيل تخفيف هذه الأزمة كاباحة اقتناء العملة الأجنبية واستيرادها وتصديرها والتعامل بها، ويقصدون بذلك العملات الورقية الفلسطينية والمصرية والعراقية. وكإباحة نقل وتصدير الذهب في أنحاء بلاد الشام والعراق ومصر.. وسعر الليرات الذهبية وصل حداً لم تبلغه في وقت سابق. ومعنى هذا أن الطلب عليها مشتد في أسواق الشام، إما للتخزين وإما للتصدير. وكانت قد صدرت مراسيم تحظر التعامل بالذهب والاستلاف عليه، بل بعدم اعتباره عملة قانونية، لمنع مالكيه من التلاعب ومنع ارتفاع أسعار السلع.

وقرأنا من جديد أنه صدرت مراسيم أشد مما سبق بسبيل ذلك، ويظهر أن كل ذلك لم يجد. وخطر لنا أن يكون الذهب يسحب من بلاد الشام إلى أميركا وغيرها أكثر من أن يكون يشترى للتخزين. وخطر لنا إلى هذا الخاطر أن يكون السبب هو انقطاع صلة العملة السورية بمصدرها الأصلي وهو باريس وبنوك باريس، ثم حكومة باريس، على اعتبار أن هذا المصدر صار كأن لم يكن قائماً، وأصبحت الليرة السورية بدون مصدر وبدون غطاء. فاعتقد الناس من أنها لن تلبث أن تصبح بدون قيمة، فأقبلوا على الذهب يستبدلونه بورقهم.. واقترح السماح بتداول العملات المصرية والفلسطينية والعراقية قد يؤيد هذا التعليل، فهذه العملات متحدة المصدر والغطاء مع العملة الإنكليزية الورقية وهي وطيدة المركز. ومما لحظناه أن الذهب في الآستانة لم يرتفع كثيراً، مع أن من المعقول أن يرتفع بسبب حركة التهريب.

والتعليل هذا هو أن الورق التركي غير متعامل في سورية، والليرة السورية تكاد تصبح بلا قيمة، فلا يأخذها المهرب بديلة عن ذهبية. وقيمة النقد الفلسطيني والعراقي والمصري في تركية أقل من قيمته في الشام بنحو 25٪ أو أكثر فلا يوافق المهرب.. وكل هذا منع ارتفاع سعر الذهب كثيراً في تركية، ويجعلنا نرجح أن هذا الإرتفاع هو شامي، بسبب تدني قيمة الورقة السورية.

4 ـ الاستعداد للانتخابات النيابية في سورية، وبروز شكري القوتلي كزعيم لها ونشاطه:

ومما نقرأه في الصحف السورية أن الاستعدادات للانتخابات النيابية نشيطة. وأن جداول المنتخبين الأولين قد علقت. وصار من المحتمل أن تجري الانتخابات الأولية في هذا الشهر، والثانوية في الشهر الآتي، وأن يجتمع عقب ذلك مجلس النواب الجديد فيختار رئيس جمهورية جديد، وتتألف حكومة جديدة. ومن الصحف أن شكري هو مالىء الميدان والجميع يسلمون بزعامته ويرددون اسمه ويترددون على بيته، وقد قرأنا نتفاً من خطاب للمطران حريكه ألقاه في حفل استقبال أُقيم لشكري في حماه أثناء رحلته، جاء فيها أنه يبايعه بالزعامة بعد أن بايعته العاصمة والشهباء، وقد ذكرنا قبل أن هاشم بك قال له سر ونحن وراءك والناس وراءك ولقبه بالزعيم. ومع أنه حينما يقال شكري يعني الكتلة الوطنية، كما أن شكري حينما ينوه برجال الوطنية الذين صمدوا وقادوا الحركة الوطنية، وقد يعني ذلك الكتلة الوطنية أيضاً، فالذي نرجحه أنه سيطرأ على الكتلة بعض التعديلات والتهذيبات...

هذا وليس من ريب في أنه من حسن حظ سورية ومن حسن حظ الفريق الوطني أنه وجد شكري اليوم المعروف بنظافته ونزاهته ووطنيته يلف الناس حوله. فحكومة الكتلة أخطأت كثيراً، ومضغتها الأفواه. وقد نجا شكري نوعاً ما بسبب استقالته قبل سقوط حكومة جميل مردم بمدة ما على ما شرحناه في مناسبة سابقة، ومهد هذا له، مع ما هو معروف من نظافته ونزاهته ووطنيته، المركز الذي يحتله الآن والذي يترشح فيه ليكون رأس العهد الجديد. وهذا كله الذي جعل هاشم وسعد الله وجميل وغيرهم من زعماء الكتلة يؤيدون زعامة شكري أيضاً.

ولا ندري هل هذا التأييد وبخاصة من جميل وسعد الله حقيقي، وهل يقوم تعاون وثيق بينه وبينهما، لأنه استقال بسبب ما كان من اختلاف في وجهة النظر بينه وبينهما. وقد أثارهما باستقالته لما فيها من عدم استمرار تضامنه معها. فإذا أهملهما فسيقوم تشاد ودسائس في الكتلة وحول شكري، واذا رأى أن يتعاون معهما، فبما أنه أقل منهما ألمعية ومكراً فإنهما لن يلبثا أن يتحكما في الموقف أو يزعجا شكري، حتى يجعلاه ينسحب بعد أن يكون قد أمن لهما البروز والقوة من جديد.. وفي انشقاق الكتلة ضرر، وفي أمر تعاون شكري مع سعد الله وجميل ما يمكن أن يضعف الكتلة شعبياً.. وهذا موقف محير ولا ريب؟

* * *

يوم الأربعاء
16 حزيران 1943:

1 ـ مؤتمر حزب الشعب الحكومي التركي وبيان رئيس الحكومة وما جرى في سياق ذلك:

منذ عشرة أيام عقد حزب الشعب التركي وهو حزب الحكومة الوحيد مؤتمره السادس جرياً على نظامه الذي يوجب عقد مؤتمر في كل أربع سنين من ممثلي لجان الحزب في الولايات، فسيستعرض سياسة الحكومة ويقرر ما يراه من خطط وتوصيات وينتخب لجنة الحزب التنفيذية العليا. ولقد بلغ عدد الأعضاء (800)، وافتتحه عصمت اين أونو رئيس الجمهورية بصفته الرئيس الدائم للحزب والأمة، وألقى فيه خطاباً أشاد فيه بحيوية الأمة وبنجاح سياسة الحياد التي سارت عليها الحكومة، وألقى رئيس الوزارة خطاباً طويلاً شرح فيه ما قامت به حكومته من أعمال وما تسير عليه من سياسة، كأنما يلقي بيان وزارته أمام مجلس أمة. وقد احتوى هذا الخطاب أموراً مهمة: من ذلك إشادته بالوفاق الإنكليزي التركي، وقوله إنه ليس لزمن محدد أو لأمر معين، وإنما هو اتفاق سيستمر إلى ما بعد الحرب، ويشمل كل الأمور التي تتلاقى فيها مصالح الطرفين، وأن الروح التي تسود علاقة الطرفين هي روح صداقة وحسن تفاهم قويين كل القوة. ومن ذلك إشارته إلى علاقة تركية بالروس، وقوله أنهم أول من تفاهم وتعاقد الترك معهم، وأن الصلات السياسية قائمة بينهما على معاهدات توطدت فيها الحقوق والمصالح والصداقة. ومن ذلك إشارته إلى علاقة تركية بالألمان، وقوله أن الألمان قد مدوا أيديهم إليها، وتم عقد معاهدة صداقة وعدم اعتداء، وأن هذه المعاهدة كانت ومازال ذات فائدة للطرفين. ومن ذلك قوله أن تركية تعرضت لخطر الحرب أكثر من مرة، ولكنها استطاعت أن تنجو منها، وأنها معتمدة في كل ظرف على جيشها القوي ووحدتها المتماسكة، وكلاهما من أهم قوات ومميزات الأمة التركية.

ومن ذلك قوله: إن تركية ستتعاون مع كل من هو شديد الحرص على توطيد مبادىء الحق والعدل والمساواة بين البشر، وعلى عدم تكرر كوارث الحرب على الدنيا بأقصى معاني التعاون، وخاصة بعد انتهاء الحرب. وهذا كلام ذو مغزى بعيد ولا ريب.

ومن ذلك قوله إن ميزانية المعارف كانت قبل عشر سنين عشرة ملايين ليرة فأصبحت مع ما ينفق على التعليم في الوزارات الأخرى سبعين مليوناً. وهذا الرقم يدل على سعة الشوط الذي قطعته تركية في هذا الميدان.

ومن ذلك قوله إنه لم يكن للجيش قبل الحرب ميزانية فوق العادة، وصار له بعد الحرب. وصارت هذه الميزانية (500) مليون، وهو حمل فادح أوجد للحكومة صعوبات مالية شديدة استطاعت أن تتلافاها بالضرائب الجديدة والقروض الداخلية والخارجية، والعملة الورقية التي أصدرتها المضمونة بالذهب. ومهما كان في ذلك صعوبة فإنه لا بد منه.

ومن ذلك تنديده بما يقال من أن ضريبة الثروة أريد بها سحق الأقليات والأجانب، وقال إن الأمة التركية ـ يعني المسلمين ـ تدفع من

غلات زرعها كحصة حكومة ما قيمته الأساسية (120) مليون، وما يساوي في السوق (600) مليون. وقد فرضت عليها الحكومة هذه السنة ضريبة جديدة على الغلات تبلغ قيمتها الأساسية (200) مليون، وهذه وتلك وضرائب أخرى غيرها لا يدفع منها الأجنبي والأقليات شيئاً تقريباً. ثم قال إن الحكومة لن تتردد إذا ألجأتها الضرورة في فرض ما يجب على ثروات الأقليات لتتحمل نصيبها مما يحمله الوطن بعامة. وقد شرحنا قبل ضريبة الثروة وما كان من آثارها في الأقليات غير الإسلامية.

ولشرح ما قاله رئيس الوزارة للحصة التي تأخذها الحكومة من الغلات والتي تسوى قيمتها في السوق خمسة أضعاف القيمة التي تدفعها، نقول إن الحكومة تقرر سعراً أقل من سعر السوق بنحو النصف، وتأخذ بهذا السعر المنخفض 25٪ على الأقل من الغلات، وتكون النسبة متصاعدة بالنسبة للكميات والغلات الكبيرة. ومعظم هذه الحصة تخصص لإعاشة الجيش وللخبز الموزع بثمن رخيص على الموظفين والفقراء. وقد قال رئيس الحكومة إن حصة الحكومة بلغت هذه السنة نحو ستمائة ألف طن، وأنها بهذا التدبير استطاعت أن تخفف أعباءها المالية، وأن تضمن معيشة أو خبز أصحاب الدخل المحدود وهم الموظفون والطبقة الفقيرة، وهو لا ريب تدبير معقول وصائب.

ومما ذكرته الصحف مما جرى من تعديلات، زيادة عدد أعضاء الجناح المستقل من الحزب في المجلس النيابي. ومهمة هذا الجناح الذي تقرر إنشاؤه والذي أعضاؤه من مرشحي الحزب، هي مراقبة وانتقاد أعمال الحكومة، وبتعبير آخر هو جناح معارض أو متطرف، وأعضاؤه ينتخبون في المؤتمر كما تنتخب هيأة إدارة الحزب، وكان عدده (21) فقرر المؤتمر رفعه إلى (35)، واختارهم في جلسته الختامية بالاقتراع الشرعي كما هو شأن هيئة الحزب العليا. وقرأنا انتقادات لبعض أعضاء المؤتمر لهذا الجناح، لأنه لم يتكلم ولم يعترض ولم ينتقد ولم يقدم اقتراحات في مجلس النواب، وقد ردّ أحد أعضاء الجناح على هذا الانتقاد رداً خفيفاً، وقال الذي رد أن الجناح عمل ما يمكن وما يتسع المجال لعمله...

وهذا الجناح في الحزب الحاكم وكيفية اختيار أعضائه من الأمور التي تبدو غريبة في مجال النشاط الحزبي السياسي. ومع ذلك يبدو لنا كثير من الحكمة والصواب في هذه الخطة. فنحن الشرقيين مولعون بالثرثرة والعقد وشهوة الكلام والانتقاد والتهديم، فقد يكون من الصواب أن لا يترك الحبل على الغارب، فلا يسمح بالمراقبة والإنتقاد إلا لمن يكون فيه حسن نية ورغبة صادقة في الإصلاح، (وهو ما اصطلح على تسميته نقداً بنّاء)، وتنظيم ذلك مفيد بطبيعة الحال، ويظل النظام موطداً في استناده على أكثرية مواقفه، وإذا وجد في هذا الجناح من هو أهل لممارسة عمل بدلاً من ابتعاده، فالباب غير مسدود أمامه، فقد رأينا أن الحزب أدخل إلى الوزارة منذ أشهر قليلة ثلاثة، وإن كان صار ذلك بأسلوب نقلهم من الجناح أولاً... ولعل في هذه الأساليب مجال للتفكر والإقتباس في بلادنا..

***

الخميس 24 حزيران 1943
17 جمادى الثانية 1362:

1 ـ مرور سنتين على الحرب الروسية الألمانية وآثارها وتعليقات عليها من السكسونيين والحياديين والمحوريين وآثار ذلك:

في 20 حزيران أتمت الحرب الروسية الألمانية عامين. وكانت هذه الذكرى موضوع التعليقات في مختلف صحف العالم ومن قبل معلقين متنوعي الجنسيات والميول. فمنهم من ذكر ما كان من هلع بريطانيا وما كان يحيط بها من أخطار قبل نشوبها، وما كان من تبدل ذلك بعده، حيث شعرت بانزياح كابوس شديد عنها وتنفسها الصعداء. وقالوا أنها لو لم تنشب لكان حل بأمبراطوريتها الضخمة ما يجعلها في خبر كان، وأنها منحتها وقتاً استطاعت فيه أن تستعد وأن تدخل أميركا إلى جانبها، وأن تؤلب معظم الدول ضد ألمانيا، وأن تنتعش آمالها بالنصر، وأن تجعل احتمال نصر الألمان أضعف بكثير مما كان. ومما قاله بعض المعلقين أن الألمان قد يكونون شاعرين بخطر الروس، وأن نشوب الحرب معهم هو نتيجة لذلك، ولكن استعجالهم ببدئها قبل أن ينهوا حربهم مع بريطانيا بالإنتصار عليها، وكان ذلك محتملاً جداً بعد سقوط فرنسة، كان خطأ فادحاً كلفهم خسائر فادحة، وقد صار احتمال انكسارهم شديد الورود. وكان ما فعلوه بسبب اغترارهم بقوتهم وما أحرزوه من انتصار، وأن هزيمة بريطانية كانت أولى آمالهم في أوربا.

ومما قاله المعلقون الروس في هذه الذكرى أن نشوب الحرب بينهم وبين الألمان عاد بأعظم الفوائد على السكسونيين، لأن الروس تحملوا ضغط القوى الألمانية الهائلة وألحقوا بها الخسائر الفادحة، وأتاحت للسكسونيين الفرصة للإستعداد، بينما كانت الأخطار محدقة ببريطانية وأمبراطوريتها.

ونشرت المصادر الروسية قائمة بما لحق بالألمان من أخطار وخسائر، وذكرت فيما ذكرت أن ستة ملايين جندي ألماني وقع بين قتيل وجريح وأسير، ودمر للألمان 95 ألف مدفع. وألف طيارة و45 ألف دبابة. الخ. وقالت مع ذلك أنهم ما يزالون أقوياء جداً، وأنه لا سبيل إلى التغلب عليهم إلا بجبهة ثانية في أوروبا. ووجهت عتباً مريراً للسكسونيين لعدم فتحهم هذه الجبهة إلى الآن، وقالت أنها إذا لم تفتح هذه السنة وهي أنسب الأوقات، فإن أمد الحرب سيطول وأضرارها تتعاظم.

أما المصادر والتعليقات الألمانية فكانت تعتذر عن اكتساب هذه الحرب بأن الألمان قد اضطروا إلى توجيه ضربتهم إلى الروس لما لمسوه من خطرهم العظيم ونياتهم العدوانية المبيتة التي كان من بوادرها هجومهم على فنلندا وبسارابيا، وترسم بسط سيطرتهم على المناطق التي فيها عناصر سلافية في أوروبا الشرقية والبلقان، واشتدادهم في الدعاية الشيوعية في أنحاء العالم، وأنهم بما فعلوه كانوا مدافعين عن أوروبا والعالم... وقد أشادت المصادر السكسونية بقوة الروس ومقاومتهم، وما استطاعوا أن يلحقوه بالألمان من خسائر، وما

كان في ذلك من تمهيد للظفر النهائي على الأعداء.

وقد يكون فيما اعتذرت به المصادر الألمانية عن إنشابها الحرب مع الروس شيء من الصواب، ولا سيما أنهم ظنوا بعد أن اكتسحوا معظم أوروبا الغربية وكسروا فرنسة وانهزمت بريطانية من أمامهم، أنهم في مأمن من الغرب. فأرادوا أن يحطموا الروس ويحدوا خطرهم العنصري الشيوعي. ولكن البوادر دلت على أنهم أخطأوا في استعجالهم، وكان عليهم أن ينتهوا من بريطانية أولاً. وقد ورطهم هذا الاستعجال في ورطة ألحقت بهم أعظم الخسائر، وجعلت هزيمتهم النهائية أكثر احتمالاً من انتصارهم..

2ـ حركات هندية وإنكليزية في صدد الهند والحرب في الشرق الأقصى:

أذيع في هذه الفترة خبر قدوم الزعيم الهندي بوز إلى طوكيو، واتصالاته بمقامات السياسة والحرب في صدد القضية الهندية، وموقف الهند واليابان. وأذيع كذلك في هذه الفترة تعيين ويفل القائد الإنكليزي العام نائباً للملك ليجمع في عهده زعامة الحرب والحكم، وليحشد قوى الهند للدفاع والهجوم في جبهة الشرق الأقصى. وهذا وذاك قد يدلان على قرب حركات وأحداث جدية في الهند.

3 ـ اتفاق جيرو وديغول على إنشاء لجنة قومية باسم فرنسة المحاربة برئاستهما:

أذيع قبل ثلاثة أيام أن الخلاف بين جيرو وديغول زال. وأن الإتفاق تم على إحداث قيادتين عليا لكل منهما. ويكون لديغول القيادة العليا للقوات الإفرنسية في الأمبراطورية، باستثناء شمال وغرب أفريقيا التي تكون قيادتها العليا لجيرو. وعين لكل من القيادتين هيئة أركان حرب برية وبحرية وجوية. وكان أذيع أن التوتر اشتد، وأن ديغول عزم على الإنسحاب من اللجنة القومية التي كانت ألفت، والعودة إلى لندن لأن اللجنة مشلولة. وقد أذيع بعد الاتفاق أن اللجنة القومية تظل قائمة، وأن لكل من القائدين أن يدعوها إلى الاجتماع. والاتفاق في حقيقته إقرار للخلاف القائم بين الجنرالين، وفيه دلالة على عمق الهوة وانتفاء الثقة بين القائمين بالحركة الإفرنسية الحرة، وقد يحمل في طيه بذرة حرب أهلية كما كان في أسبانيا أو أشد، ومن أسبابها خشية ديغول من انفراد جيرو في القيادة لأنه صاحب القيادة الفعلية للقوات الإفرنسية المحاربة الرئيسية في شمال أفريقية، وغدوه ديكتاتوراً، وفقد ديغول شخصيته وجهوده سدى، في حين أنه هو باعث حركة فرنسة الحرة وقائدها والمتمرد على استسلام بيتان. بينما جيرو وحليفه دارلان كانا مندمجين مع بيتان في استسلامه. ويتكىء ديغول في موقفه إلى الخوف من نسف النظام الجمهوري القائم الذي صار بعض رجال فرنسة من سياسيين وعسكريين يعتقدون عدم صلاحه ومنهم بيتان ولافال، وبوجوب إقامة نظام جديد.. ويقول هؤلاء بسبيل عزوفهم عن النظام الجمهوري القائم والرغبة في إقامة نظام جديد، أن ما حل في فرنسة من كارثة إنما جاء من اشتداد النزاع الحزبي الذي هو مظهر من مظاهر النظام الجمهوري الديموقراطي البرلماني القائم

وميوعته. وهذا يعني الرغبة في نظام الحزب المنفرد في الدولة. ولعل ما بدأ من نجاح ألمانيا وإيطالية بما كان من انفراد أو وحدة الحزب، وما كان من نجاح فرانكو أيضاً، الذي يستند في ديكتاتوريته إلى حزب واحد، هو الذي يغريهم بذلك. وهذا النقد للنظام الجمهوري الديموقراطي موجه ومشهود الأثر المماثل في دول أوروبا الأخرى، ثم في الدول الشرقية التي اقتبسته، سواء كانت ملكية أم جمهورية. وبريطانية استثناء من هذا النظام بسبب البنية الإنكليزية العجيبة.

4 ـ زلزال شديد في أضة بازار التركية وآثاره وحوادث الزلازل في تركية ومداها:

قبل ثلاثة أيام حدث زلزال شديد في مدينة أضة بازار القريبة من مدينة أزمير في القسم الغربي من الأناضول وقريبة من الآستانة. وقد هدم نحو ألف بيت وعطب نحو ألف، وقتل 400 شخص وجرح 600، فكانت كارثة كبيرة تضارع كارثة زلزال السنة الفائتة. وقد أذيع في هذه المناسبة أن هذه المدينة موضع كوارث زلزالية منذ الأزمنة القديمة، وأنها واقعة في الخط البركاني الذي يقطع الأناضول شرقاً وغرباً، وطرفه الغربي منطقة أزميت وأضه بازار، والشرقي أذربيجان.

ومما يجدر تسجيله أنه لم يخل شهر منذ مجيئي إلى تركية قبل سنتين من رجفة في الأناضول، شديدة حيناً وخفيفة حيناً وواسعة حيناً وضيقة حيناً..

***

يوم الجمعة
2 تموز 1943:

1 ـ منهج عمراني تجميلي للاستانة يعلنه الوالي:

قرأنا منذ أيام نص خطاب لوالي الآستانة فيه تفصيل منهج عمراني تقرر تنفيذه خلال عشر سنوات، ويتم في سنة 1953 التي سيقام فيها حفلات تذكارية بمناسبة مرور (500) سنة على فتح الترك للآستانة ـ (القسطنطينية)، حيث كان اسمها، لأن التسمية (الآستانة) و (استانبول) تركية عثمانية. والمنهاج عظيم في شموله وسعته، وسيكون للآستانة إذا نفذ صورة جميلة جداً من وجهة التجميل، حيث يعمل كورنيش طويل على طول الشاطىء من (يدي قله) إلى (جسر أتاتورك)، وحيث تزول هذه الأقذار من الأبنية والأنقاض والتلال والتعاريج التي تجعل صورة ساحل الآستانة الآن بشعة جداً. وحيث تقوم ملاءٍ عظيمة، وحيث يقام معرض دولي عظيم، وحيث تعد المعدات لألعاب أولمبية عالمية، وحيث تفتح شوارع جديدة، وتتم سلسلة الحدائق المدرجة التي تبدأ من طريق شانطاش لتتصل بساحل طوطه باغجه...

وفي الحقيقة أن يد التجميل ضرورية جداً للآستانة، فجمالها الطبيعي فتان، ولا يمكن أن يتصور إنسان ما هو أجمل منه وأغنى في بقعة أخرى وخاصة البوسفور وضفافه. ولكنها كالمرأة الجميلة الوسخة في بدنها وثيابها. ففي كل مكان منها سواء الأحياء التي تعد أجنبية وراقية

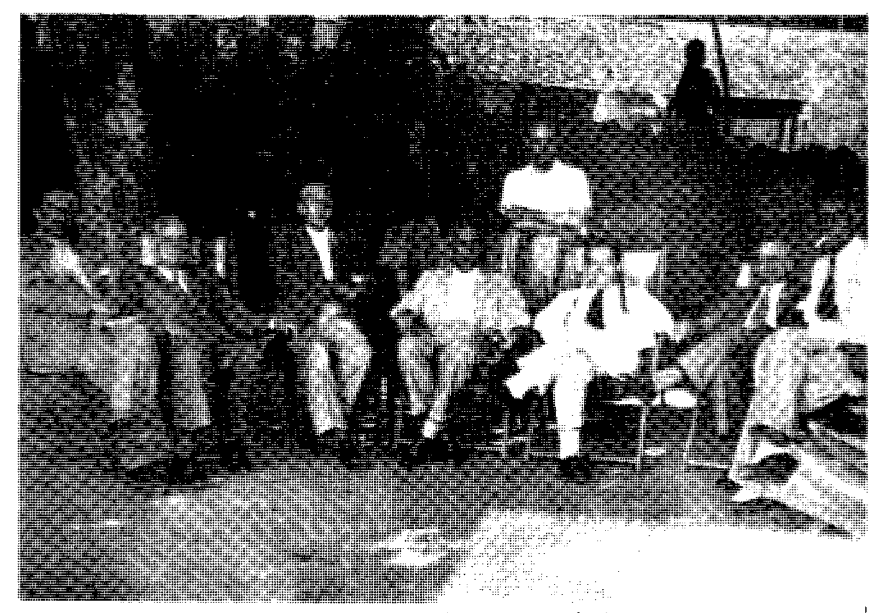

استانبول ـ صاري ير خنكار صور. تموز 1943
من اليمين الى اليسار : سعيد زايد ـ عادل العظمة ـ عزة دروزة ـ
محمد علي دروزة (واقفاً) ـ طـه الهاشمي ـ اسحق درويش ـ نبيه العظمة ـ أكرم زعيتر .

في استانبول 1943 :
من اليمين : محمد علي دروزة زهير دروزة عزة دروزة

(پـاي أوغـلو)، والشيشلي)، أم الأحياء الوطنية كـالفاتح والبايـزيد وغيـرهـا، أقـذار وأوسـاخ ومساكن بالية وجادات ضيقـة ومعتمة ووسخـة وخربة. فلا نكاد نميل يمنة أو يسرة عن شارع طويل مستقيم في أي حي إلا وتواجهك هـذه المنـاظر البشعـة والأوساخ والأقـذار والخرائب والأتـربـة والبـلاط المكسـر والـطرق الخـربـة المتعبة. على أن من الحق أن نذكر أن المدينة لا تكاد تخلو من حركة عمرانية ومناظر عمرانية جديدة.

وفي مدى إقامتنا أكملت عدة مشاريع عامة فيها مثل منتـزه (اين أونو) في التقسيم، وكـان مكانه حينما جئنا خراباً وسخا فيه أبنية خربة ويقام هذا المنتزه في ساحة التقسيم فرج عظيم، وهي متصلة بمنتزه واسع رائع متصل بحـديقة جميلة أخرى يقوم فيها كازينو عظيم. وكل هذا جديد. وقد أكمل كذلك في هذه المدة بولفار أتاتورك الممتد من تبه باشي حتى الجسر الثاني على ضفافه الشجر والشارع معبد. وأكمل أيضاً بعد إثنان آخران، واحد أمام الجامعة وهو ميدان بايزيد، واخر أمام مقبرة بارباروس. هذا عدا ما كنا أشرنا إليه من امتـداد يد العمـران إلى كل مكان قام فيه حريق، فتبدلت مساكنـه الخشبية بمساكن على الطراز الحديث، ووسعت شوارعه وغرست الأشجار فيه. ومع كل هذا فما زالت الأوساخ والخرائب والمناظر البشعة كثيرة جدا. فكيف كانت هذه المدينة قبل عشرين وثـلاثين عاماً يا ترى؟. وما هذه الصيت الداوي لمدينة الأستانة لو لم تكن عاصمة الدولة وفيها منشآتها وقصـورهـا، ولـو لم تكن ذات هـذا المـوقـع الطبيعي الفتان..

2 ـ تصريح قوي للملك السعودي في صدد قضية فلسطين وفي صدد الاتحاد العربي :

اطلعنا في هذه الفترة في الصحف العربيـة التي وصلت إلينـا على تصـريـح للملك عبـد العـزيـز ال السعـود أدلى بـه لأحـد مـراسلي الصحف الأميـركيـة، ونشـر في مجـلاتهـا وجـرائدهـا، وقد جـاء في موضـوع المسـألـة اليهودية، وكـان كلامـه قويـاً كرر فيـه الحجج المعروفة. وقرر أنه ليس لليهود أي حق بدعوى فلسـطين. وقال فيمـا قالـه في صدد ذلـك أن الرومان طردوهم منها، وأن العرب أخذوا البلاد من الرومان واستقروا فيها وطبعوها بطابعهم منذ ألف وثلاثماة سنة. وأن نظرية اليهود لو صحت لوجب أن يتبدل وجه الأرض بصورة مستمرة. ففي كـل بقعة من بقـاعها كـان أمم غير الأمم القائمة فيها الآن تقريبا. وقال إنه لا يخشى من فوز اليهود بما يريدون لأن القرآن أخبر بأنهم لن تقوم لهم قائمة، وأن حركتهم سببت وتسبب فتناً مـزعجة للعـرب واليهود والحلفـاء معـاً بـدون طائل، وأن على الغربيين إذا كانوا حقاً يعطفون على اليهود أن يعطوهم أماكن يسكنون فيها في ممتلكاتهم الواسعة التي فيها كل الكفاية. وأنه تحاشى أن يبدي رأيه إلى الآن في الصحف لأنه يود أن لا يثير خواطر العرب، وأن لا يقوم بينهم وبين الحلفاء مشاكل جديـدة في هذه الآونـة، وأن هذه القضية يجب أن تنتهي ويلزم اليهـود حدّهم، ويتمتع العرب في فلسطين بحقـوقهم مطمئنين، ويوجه سيل اليهود إلى مكان آخر. وأن العـرب مستعدون لاحتـرام حقوق اليهـود القديمين في فلسطين إذا أقلعوا نهائياً عن نياتهم

ومطامحهم وكفوا عن استعمال نفوذهم وترتيب المكائد وتبييت النيات السيئة للعرب.

وقد قال في صدد مسألة الاتحاد العربي أنه لا يوجد بين العرب خلاف، وأنه يجب أن ينشأ بينهم اتحاد بعد الحرب بمساعدة الحلفاء. والكلام ضعيف وموارب، وهذا شأن مواقف ابن السعود في مثل هذه المسألة. ومن المعيب أن يعلق اتحاد العرب على مساعدة الحلفاء حتى ولو كان من بد لذلك. فهو أكبر ملك عربي مستقل لا نفوذ لأجنبي عليه واقعياً . .

ولقد كان لتصريح الملك في صدد قضية فلسطين أثر كبير في فلسطين وغير فلسطين في الصحف العربية التي نوهت وابتهجت بها وسجلت شكرها للملك، وأبرقت كل المجالس البلدية والهيئات والشخصيات البارزة برقيات شكر له، وزاروا القنصلية السعودية للإعراب عن ابتهاجهم وشكرهم على ما اطلعنا عليه في صحف فلسطين.

وقد قرأنا في صحف سورية ومصر نبذاً ونشرات فيها ترديد لهذا الابتهاج أيضاً. ومما قرأناه أن حمد الباسل ومنصور فهمي وأسعد داغر وتوفيق اليازجي والدكتور يعقوب الخوري ونسيب شهاب وحنفي محمود وحافظ محمود ومحمد الحلبي وميشيل سعد زاروا بصفتهم أعضاء جمعية الوحدة العربية المفوضية السعودية في القاهرة، ورفعوا بواسطتها شكرهم للملك. وخبر هذه الجمعية نقرأه لأول مرة، والظاهر أنها من وحي التحرك الوحدوي الحديث وأشخاصها مهمون بارزون. وقد افتقدنا محمد علي علوية وعبد الرحمن عزام، ونرجح أنهما من أعضاء الجمعية، وأن شواغل شغلتهم عن الذهاب مع رفاقهم إلى المفوضية.

ومما ذكرته الصحف العربية أن التصريح أثار اليهود أيضاً، وأن أحد زعمائهم كتب رداً عليه في بعض الصحف الأميركية، ذكر فيه أن الملك فيصل وافق على استعمار اليهود لفلسطين وهجرتهم غير المحدودة إليها، وهذا الهراء والإفك يظلان يصدران من اليهود في معرض التبجح ومعرض الاحتجاج، ولا قيمة لهما حتى لو كانا ينطويان على حقيقة وواقع، وقد كان كتّاب العرب وخبرائهم يفندون ذلك ويثبتون بطلانه في كل مناسبة يصدر في صدده من اليهود قول أو إحتجاج.

ومهما يكن من أمر فإن تصريح الملك هذا هو الأول من نوعه فيما نعلم، ونرجح مما نعرفه عن إبن السعود أنه صدر عنه بعد استئناسه من الإنكليز، ولعلهم هم الذين شجعوا عليه بأسلوب ما. فاليهود اليوم غاضبون عليهم لأنهم لم يتجاوبوا مع حملاتهم، ورفضوا نقض سياسة الكتاب الأبيض بعدم فتح باب فلسطين للهجرة، وبعد (75000) الذين دخلوا. . وقد نقلوا نشاطهم وثقلهم إلى أميركا، ويدهم ظاهرة وراء جهودها ونشاطها، وهذا لا يسر الإنكليز. ومن المعقول أن يرحبوا ويشجعوا أي نشاط مضاد لليهود من العرب يستندون إليه تجاه أميركا.

مؤتمر العصبة الإسلامية الهندية وإلحاحها بحل قضية فلسطين حلاً عادلاً:

ومما قرأناه في هذه الفترة خبر مؤتمر دعت إليه العصبة الإسلامية في الهند، وكان من جملة قراراته الإلحاح على بريطانية بحل قضية فلسطين حلاً عادلاً لصالح أهلها العرب والمسلمين، وقد تكرر هذا كثيراً من هيئات

الهند الإسلامية وخاصة في هذه السنة، وكان ذلك مما أثار اليهود وجعل وايزمن ينكره على ما ذكرناه في أسبوعية سابقة.

4 ـ تحرك إنكليزي فلسطيني عربي في صدد حل القضية على أساس الكتاب الأبيض:

وما قرأناه في هذه الفترة برقية صادرة من القدس بتاريخ 20 حزيران 1943، ذكر فيها أن المستر بويد مدير أمور الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات البريطانية تذاكر في صدد حله قضية فلسطين مع أحمد حلمي باشا وراغب النشاشيبي وشبلي الجمل ونافذ الحسيني، وأن ممن دعي إلى المذاكرة عوني عبد الهادي وموسى العلمي، وكان الأول مريضاً والثاني غائباً عن فلسطين، فلم يحضرا المذاكرة. وقالت البرقية أنه ينتظر أن يكون لهذه المذاكرة نتائج خطيرة في صدد حل القضية. وقد كان بعض الإخوان أخبرونا أنهم سمعوا أن الإنكليز اتصلوا قبل ذلك أيضاً بأحمد حلمي وعوني ورشيد الحاج إبراهيم في صدد حل يتسق مع الكتاب الأبيض، وأنهم قالوا أن أي اتفاق لا يرضى عنه المفتي غير مجد، وأن الإنكليز اقترحوا أن يأتوا بجمال الحسيني وأمين التميمي من روديسيا، أو أنهم عرضوا عليهما التسريح على أساس التفاهم والتوافق على حل على أساس الكتاب الأبيض فرفضا.. وعلى كل حال فالظاهر أن الإنكليز يحاولون أن يخطوا خطوة ما في طريق تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض التي رسمت السير في طريق الحكم الوطني على مراحل وتجارب. وليس من شك في أن الإنكليز يحسبون حساب هياج العرب في فلسطين إذا ما رأوا أن الحياة الدستورية قد عادت إلى سورية ولبنان، وأنه قام فيهما حكم وطني مستقل ومجالس نيابية، فأرادوا معالجة الموقف بتخدير ما وكسب قلوب عرب فلسطين الذين هم أعدى أعدائهم من العرب ومبعث الدعاية والتحرك ضدهم في مختلف أنحاء البلاد العربية والإسلامية، ونحن نعتقد أن هذه المحاولات لن تسفر عن نتيجة إيجابية ما، وكل ما قد يكون هو اقتراح دخول بعض العرب واليهود في المجلس التنفيذي الرئيسي في فلسطين، وتوسيع اشتراك العرب واليهود في الدوائر الأخرى على سبيل التجربة، ونشك أن يتفق معهم أحمد حلمي وعوني وأمثالهما. ونعتقد أن اليهود من جانبهم سوف يعرقلون كل محاولة مهما كانت تافهة، لأنهم يعتبرون ذلك من وجهة نظرهم عقبة في سبيل مطامعهم ونشاطهم..

وليس من شك في أن قضية فلسطين صارت أكثر تعقيداً بعد أن صار عدد اليهود فيها نصف مليون. ولن يكون لها حل ملائم بعض الملائمة للعرب إذا بقيت منفصلة عن بلاد الشام وذات كيان خاص، وكان السكسونيون هم المنتصرون في هذه الحرب. والحل الملائم في مثل هذه الحالة ضمها إلى قطر من الأقطار العربية المجاورة، وهذا ما نشك في أن الإنكليز يوافقون عليه، وما نعتقد أن اليهود يحاربونه أشد حرب.

5 ـ زيارة النحاس لفلسطين وحفاوة الفلسطينين به:

مما قرأناه وسمعناه أن النحاس زار في هذه الفترة فلسطين ترويحاً للنفس من متاعب العمل. فكان له استقبالاً حافلاً جداً. وهذا أسلوب يتقنه أهل فلسطين إتقاناً كبيراً، لأنهم

بنوا أساس قضيتهم على جعل فلسطين دائمة الصلة بالبلاد العربية والإسلامية، وجروا على ذلك الأسلوب الذي كان ويكون له ولا شك أثر غير يسير في جعل هذه البلاد مهتمة بقضيتهم منذ البدء. ولقد كان من مغالاتهم في تكريم النحاس أن خطيب المسجد الأقصى ذكر إسمه في الخطبة، ودعا له بالتوفيق في خدمة العرب والإسلام وقضاياهم. ووجهت إليه الدعوات من كل مكان. وكان أسبوع زيارته أسبوعاً مشهوداً في فلسطين، وأثر ما لقيه من حفاوة بالغة في نفسه، فكان يضمن خطبه وتصريحاته القصيرة التي كان يدلي بها عواطفه، ويكرر وعوده بأن يجعل قضية فلسطين وآمال أهلها موضوع اهتمامه ومساعيه.

6 ـ تصريحات لنوري السعيد عن صلات العراق والعرب بالحلفاء وآمالهم فيهم وفي صدد الحركة الوحدوية وتعليق على ذلك:

واطلعنا في هذه الفترة على تصريحات أدلى بها نوري السعيد لصحافي أميركي عن موقف العراق وآماله وخدماته للحلفاء وعن حركة الإتحاد العربي. واحتوت فيما احتوته توكيداً بكون العراق متضامناً مع الحلفاء، وبأنه قدم ويقدم كل مساعدة في سبيل النصر. وبأن بتروله في متناولهم، وأراضيه وخطوطه ومواصلاته في استعمالهم، وبأنه مستعد للسير في خطوات أخرى فعالة حين الحاجة، وبأنه يأمل أن يساهم في بناء العالم الجديد إلى جانب الدول المتحالفة، وبأن العراق والعرب عامة يعلقون على نتائج هذه الحرب مصيرهم وآمالهم، ويرون في دخول أميركا للحرب وتصريحاتها وميثاق الأتلانتيك ضمانة لتحقيق آمالهم التي لم تتحقق كلها بعد الحرب الماضية.

وقال في صدد الاتحاد العربي أن الذي يتصوره هو تأسيس مجلس إتحاد عربي اسمه مجلس جامعة الأمم العربية أو جمعية الأمم العربية، يشترك فيها ممثلو الدول العربية المستقلة ليدبروا أمور الدفاع والخارجية والمواصلات والجمارك والتعليم التي تكون مشتركة بينها، على أن تحتفظ كل منها باستقلالها الداخلي. وأنه يجري إعداد لعقد مؤتمر رسمي لبحث ذلك وإقراره، وأنه سيزور مصر عما قريب بسبيل ذلك...

والشكل الذي يرسمه نوري هو الذي يتخيل أن يكون هدف هذه الحركة الجديدة، ونرجح أن العراق وسورية ولبنان وشرق الأردن والسعودية واليمن ستتمثل فيها. وهي الصورة الممكنة بالنسبة للحالة والظروف والقوة العربية الحاضرة.. ومع ذلك فنحن غير متفائلين بتحقيق هذه الصورة على الوجه القوي الذي نتخيله والذي يمكن أن يكون بداية طيبة، ونخشى أن لا يكون منها إلا لون باهت وصورة كارتونية.

7 ـ انتخابات نيابية عراقية لتعديل الدستور ونقل الوراثة الى عبد الإله ونسله وتعليق على ذلك.

ومما قرأناه قرار حل المجلس النيابي العراقي وإجراء انتخابات جديدة تعرض تعديلات مقترحة على الدستور على مجلس جديد وفقاً لنص الدستور والتعديلات، تنص على أنه في حالة وفاة الملك فيصل الثاني الذي مايزال طفلاً بدون نسل ذكر، يختار للملك أرشد أبناء أكبر

أبناء الملك حسين الكبير. وأكبر أبناء الملك حسين هو علي والد الأمير عبد الإله، وبهذا التعديل ينتقل الملك إلى عبد الإله أو إلى نسله. ولا نشك في أن المجلس الجديد سيأتي كما يريده عبد الإله ونوري، وسيقرر ما يريدانه أيضاً أسوة بجميع المجالس العراقية التي قامت إلى الآن تقريباً.

ونسجل في هذه المناسبة أن عبد الإله تكشف عن شخصية قوية عنيدة ذات مطامح ونشاط. ويفسر هذا التأثير الذي استطاع أن يؤثره في ظروف وسياسة العراق.

8 ـ نشاط سورية ولبنان في صدد الانتخابات النيابية ونشاط شكري واستقطاب الأفكار حوله:

ويستفاد مما قرأناهْ وسمعناه أن حركة الإنتخابات النيابية الجديدة في سورية ولبنان جارية بنشاط. وقد عين تاريخ 10 تموز موعداً للانتخابات الأولية، وتاريخ 26 تموز موعداً للإنتخابات الثانوية في سورية، وقد ازداد عدد أعضاء المجلس النيابي في سورية فصار (122). وظواهر الأحوال تدل على أن شكري القوتلي سيكون أبرز الشخصيات وأكثرها أثراً في سير الإنتخابات أيضاً، وليس في دمشق فقط بل في جميع أنحاء سورية. ودمشق الآن مزدحم أقدام وفود أنحاء سورية، وشكري هو قطب هذه الوفود ومتجهها. وقد أقام بعض الولائم للوافدين، ولمحنا في ما ألقاه من خطب وتصريحات وفي أسماء حاضري الولائم رغبته في جمع الكل، حيث كان من الحاضرين أمين سعيد ويوسف العيسى ونصوح بابيل وحسن الحكيم وبديع المؤيد ونصوح البخاري وجميل مردم وسعد الله الجابري وفخري البارودي وفارس الخوري. وهذه تركيبة بينها تناقض كما نعرف.

ويتبادر لنا أن شكري هو الذي سيؤلف القوائم وبخاصة قائمة دمشق، وأن من المحتمل أن يكون في قائمة دمشق شخص أو إثنان من المعارضين مثل زكي الخطيب وحسن الحكيم، وشخص أو اثنان من المستقلين مثل نصوحي البخاري وبديع المؤيد، ويحاول بذلك جمع الكلمة وتأليف جبهة مؤتلفة قوية.

ومما قرأناه من خطبه قوله أن الهدف الآن هو الأمة والبلاد، بلا أحزاب ولا عصبيات. ولا ندري هل يوفق فيما يريده. ومما لمحناه عدم وجود فائز الخوري وبروز توفيق شامية. وقد تبودلت الضيافات بين شكري وتوفيق وبطرك الروم وليس لفائز اسم، ولم نقرأ اسمه في حاضري اجتماعات شكري.. ونحن نلمح فيه شيء من النفاق والانتهازية، (وهو يسخر من الكل ويحب أن يسخّر الكل)... ومن عجيب ما قرأناه أن يوسف العيسى كتب تعليقاً على توزيع كراسي النيابات، فانتقد أن لا يكون لليهود كرسي عن دمشق، في حين أنهم مثلوا دائماً بكرسي. وانتقد وجود كرسي للأقليات التي ليس لها كثرة يخرج منها عضو في دمشق. وهذا الكرسي كان مكرساً لفارس الخوري، لأنه بروتستانتي، وليس للبروتستانت ما يسمح لهم بالتمثيل كالأرثوذكس والكاثوليك.

وننبه على أن فائزاً أخاً فارس هو أرثوذكسي المذهب. وأن فارساً انتقل قديماً من الأرثوذكسية إلى البروتستانتية.

وقد قرأنا أن تمثيل اليهود جعل هذه المرة لحلب، وهذا منطقي لأن يهود حلب أكثر من يهود دمشق..

9 ـ تعديلات في الكراسي النيابية في لبنان لصالح النصارى وإحصائيات بعدد الطوائف وأثر ذلك في المسلمين:

ومما قرأناه أن الكراسي النيابية الموزعة على الطوائف في لبنان زائدة عن العدد الذي نص عليه الدستور باثني عشر. وأنه صدر مرسوم بتعديل هذا النص، وجعل عدد الكراسي تابعاً للنسبة وليس محدداً. ونتيجة لذلك صار العدد زائداً عن المحدد كما قلنا. وجاء عدد كراسي جميع الطوائف النصرانية أكثر بعشرة عن كراسي جميع الطوائف الإسلامية. وأعلن أن هذه الزيادة أتت من إدخال المهاجرين اللبنانيين الذين اختاروا الجنسية اللبنانية في مهاجرهم وعددهم (159569)، وهو أقل من ربع عدد المهاجرين. وهذا يحدث لأول مرة في انتخابات لبنان، ويظهر أنه حدث رد فعل سيء في صفوف المسلمين على ما يستفاد من إذاعة للحكومة شرحت فيها الأسباب القانونية التي استندت إليها في عملها. ولقد أذيع في هذه المناسبة إحصاء لطوائف لبنان، وظهر فيه أن الطوائف الإسلامية المقيمة في لبنان أكثر عدداً من الطوائف المسيحية المقيمة بأحد عشر ألفاً. ويظهر أن هذا جعل السلطات والطوائف النصرانية تتذرع بعدد الذين اختاروا الجنسية اللبنانية من المهاجرين النصارى لتضمن للطوائف النصرانية الأكثرية العددية في المجلس...

وهذا إحصاء نشرته جريدة الديار.

	سنة 1932	سنة 1942
سنيون	179667	225564
شيعة	159135	200698
دروز	56297	71711
	395099	497973
موارنة	269620	318201
كاثوليك	55145	61956
ارثوذكس	92896	106658
	417661	486815
		984788

ومما أذكره أن إحصاء نشر سنة 1936 كان عدد الطوائف النصرانية فيه أكثر من عدد الطوائف المسلمة ببضعة آلاف، وأن بعض إخواننا اللبنانيين قالوا إننا لن نلبث أن نفوقهم بعد بضع سنين، وهكذا كان، فقد زاد عددهم بأحد عشر ألفاً.

وزيادة الطوائف الإسلامية هي بنسبة 26٪ والمسيحية بنسبة 16,5٪، وقد قرأت إحصاء آخر، ولم أسجل إسم الجريدة التي قرأتها فيه وهذا هو:

سنيين	230507	موارنة	409477
شيعة	210065	ارثوذكس	140313
دروز	76574	كاثوليك	75228
	517146	ارمن	58073
	726846	اقليات (بروتوستانت ويهود)	43755
	1243992		726846

وفي الإحصاء زيادة 259204، وهي أرقام الأرمن والأقليات الذين لم يدخلوا في الإحصاء السابق، ثم الذين اختاروا الجنسية اللبنانية من المهاجرين من مختلف الطوائف. وبهذا الإحصاء صار عدد الطوائف المسيحية أكثر من عدد الطوائف الإسلامية بنحو مائة وخمسين ألفاً، وجعل لهم عشرة كراسي جديدة. وقد

صار عدد أعضاء المجلس الجديد (54) موزعة كما يلي (10) سنة (9) شيعة (3) دروز (18) موارنة (9) أرثوذكس (3) كاثوليك (2) أقليات. والأرمن اندمج عددهم بالأرثوذكس والكاثوليك... وقد يكون في إضافة الذين احتفظوا بجنسيتهم اللبنانية من المهاجرين منطق وحق. فهم لم يقطعوا صلاتهم بوطنهم، ولعل لهم أملاكاً يدفعون ضرائبها. ولهم أسوة برعايا الدول الأجنبية في بلاد أجنبية. حيث يعتبرون من رعايا دولتهم ويشتركون في انتخاباتها.. غير أن هناك فرقاً لا يجوز إغفاله، وهو أن المهاجرين اللبنانيين ليسوا من النوع المقيم في البلاد الذين هم فيها إقامة موقتة، فمن هذه الناحية صلتهم قد انقطعت ببلادهم في الحقيقة والواقع. ولعل ما أثار خواطر المسلمين هو مظهر الطائفية الذي تقوم عليه حياة لبنان، والتناظر والتنافس الطائفي نتيجة له، فالنصارى أصروا على أن يضاف الذين أعلنوا احتفاظهم بجنسيتهم اللبنانهية لأجل تكثير عددهم وكسبهم حق التفوق العددي في مختلف دوائر الحكم.. على أنه لن يمر وقت طويل حتى يتلافى المسلمون هذا الفرق ويصبحوا متساوين ثم أكثر... ولا ندري هل يهضم المسلمون الآن هذه العملية أو يشتدون في استنكارها لأنها عملية ضعيفة وغير طبيعية وليس لها إلا هدف كسب حق التفوق العددي للنصارى، فهل يصل ذلك إلى مقاطعتهم للانتخابات؟ وهذا ما سوف نعرفه بعد. ولم نقرأ أن حكومة لبنان عينت مواعيد للانتخابات كما فعلت سورية، ولعل ذلك بسبب الاستنكار الإسلامي...

ولقد سجلنا بعد هذا الكلام نبذة إضافية أو استدراكية، جاء فيها أننا اطلعنا على ما يفهم منه أن المسلمين اعترضوا وسخطوا، وأن المفوض الإفرنسي أخذ يقوم بدور الموفق المهديء، وأن الحكومة قررت إجراء إحصاء جديد وتدقيق وثائق وأحوال الذين أعلنوا تمسكهم بالجنسية اللبنانية من المهاجرين، وأن ذلك أخر إعلان موعد الإنتخابات.

10 ـ حركة تبرع لمواساة الأيتام في فلسطين ومداها:

مما قرأناه في صحف فلسطين أن فيها حركة تبرع لمشاريع مواساة للأيتام. ففي القدس حركة يقوم بها أحمد سامح الخالدي. وفي حيفا حركة يقوم بها محمد البرادعي. وقد استطاعت حركة البرادعي جمع (14000) جنيه، وهدفها إقامة دار أيتام صناعية في الشمال. ولقد كان المجلس الإسلامي قام بمشروع أيتام زراعية في قرية دير عمرو ولكنه ظل ضعيفاً ضيقاً، ومن المحتمل أن تكون حركة أحمد سامح لتقويته.

والأخبار تفيد أن التبرعات مستمرة للمشروعين. وفكرة مواساة اليتيم من آثار الثورة وروحها ونتائجها على الأرجح، حيث كان آلاف الشهداء فيها وتركوا آلاف الأيتام. وإذا لاحظنا أن حيفا وحدها دفعت إلى الآن هذا المبلغ الذي يعد كبيراً في حين أن مصر وحكومتها ووفدها وأغنيائها لم تجمع في أسبوع البر الذي قام بأمر النحاس ورعاية زوجته إلا مائة ألف جنيه، ظهرت قوة الروح الثورية في فلسطين.

11 ـ حفلة يوبيل لمدرسة النجاح وتبرعات لإنشاء بناء لها:

ومما قرأناه في صحف فلسطين أن مدرسة

النجاح أقامت حفلة باسم (اليوبيل الفضي للمدرسة)، ودعي فيها إلى التبرع لإنشاء دار للمدرسة، وبلغ المبلغ المكتتب سبعة آلاف جنيه. وقد سرنا هذا الخبر ونرجو له الإستمرار والنجاح.

12 ـ حركة إنشاء جمعية مواساة في دمشق لإنشاء مستشفى وتبرعات له:

ومما قرأناه في صحف سورية أنه تأسس في دمشق جمعية باسم جمعية المواساة لإنشاء مستشفى ومساعدة الفقراء، أعضاؤها من الشخصيات المالية وغير المالية والبارزة. وأن الإقبال على التبرع لها عظيم، حتى أن أحد الأعضاء تبرع بنصف مليون ليرة، وآخر بربع مليون.

13 ـ تعديل وزاري مصري ودخول أمين عثمان:

مما حدث في هذه الفترة تعديل الوزارة المصرية، حيث خرج وزير المالية القبطي وحل محله أمين عثمان، وخرج وزير الأوقاف وحل محله وزير الشؤون الاجتماعية. وأمين عثمان غير وفدي، وأعلن أنه سيظل مستقلا. وهذا شيء غريب بالنسبة لوزارة وفدية، جميع وزرائها وفديون. وأمين عثمان إنكليزي الثقافة والميول، وزوجته إنكليزية، وشقيقتها زوجة السكرتير الشرقي في السفارة الإنكليزية، وما يزال من أبرز الشخصيات المصرية المتصلة بالإنكليز بسبيل حل المشاكل والتقريب، وخاصة في عهد الوزارة الوفدية القائمة. حتى لقد صار يعد من عداد الوفد ولو لم يكن منه فعلاً. وقد عينته حكومة الوفد رئيساً لديوان المحاسبات، وهذا من أكبر المناصب، وكان مرة ما وزير دولة بدون حقيبة في وزارة وفدية، وكان يقوم بدور الوسيط وحلال المشاكل بين الوزارة والسفارة الإنكليزية. ومن المحتمل أن يكون التعديل ذا صلة بقضية الكتاب الأسود. فإن أكثر التصرفات الشاذة نسبت إلى وزارتي المالية والأوقاف، ومن المحتمل أن الملك والإنكليز أصروا بأسلوب ما على النحاس لإخراج وزيري المالية والأوقاف.

ولقد لفت نظرنا ما قرأناه من خبر تبادل الزيارة بين أحمد حسنين رئيس ديوان الملك وبين النحاس وبعض وزراء الوفد. .

ولقد كان الوفد سخط من الديوان للأسلوب الذي أرسل به كتاب مكرم عبد إلى الوزارة، وغمزت صحف الوفد أحمد حسنين، حتى قدم استقالته التي رفضها الملك وأثنى في مناسبة ذلك على وطنيته وحسن خدماته. فالظاهر أن النحاس رأى من مصلحته أن يتراجع ويلاين بعض الشيء، فكانت هذه الزيارات المتبادلة.

14 ـ قانون أميركي يحظر الإضراب:

قدم روزفلت مشروع قانون إلى مجلس النواب يحظر إضراب العمال، لأن ذلك يتكرر في أميركا، ويؤثر تأثيراً سيئاً في سير الإنتاج الحربي. ولقد ذكر وزير الإنتاج كدليل على ذلك أن كمية الفحم الحجري المستخرجة في الستة أشهر الأخيرة قلت خمسة وعشرين مليون طن عن ما كان في المدة المماثلة السابقة بسبب ذلك. وقرر مجلس النواب رفض المشروع، فاستعمل روزفلت حق الفيتو الذي له ضد قرارات الكونغرس ليظل إمكان مناقشة المشروع

قائماً. والفيتو لا ينفذ إلا إذا وافق عليه مجلس الكونغرس في اجتماع مشترك، وقد اجتمع المجلسان فقررا رفض فيتو روزفلت، وبذلك انسد باب حظر الإضرابات العمالية، وقد صوت ضده عدد من أعضاء حزب روزفلت، حتى اعتبر رئيس لجنة الإنتاج هذا الموقف كارثة وطنية.

وقد بذلت أجهزة الدعاية السكسونية جهدها لإضعاف أثر هذا الرفض في أذهان العالم، فكان من أثر ذلك أن الأصوات كانت محددة ثم لم نعد نقرأ أو نسمع عن الأمر شيئاً، مع أنه كان عادياً مهماً من نواح عديدة. ولو كان في ألمانيا أو إيطالية أو اليابان لاستغلته الدعاية السكسونية أعظم استغلال وعدتها ثورة على النظام والحرب. والمسألة في الدرجة الأولى داخلية متعلقة بنظام الحكم والديموقراطية. والذين رفضوا إنما رفضوا على أساس ان قبول الحظر يقضي على حرية العمال، وديكتاتورية أصحاب العمل، وأن لهذا أثراً في حياة الولايات المتحدة الداخلية والخارجية. فأميركا تحارب ضد الديكتاتورية، فإذا سارت في نفس السبيل ظهر زيف موقفها ومزاعمها. . ويمكن أن في الرفض خوف من ميول روزفلت الديكتاتورية، وعلامة على عدم تجديد انتخابه في السنة الآتية، وسيكون لذلك أثر شديد سياسي وحربي وعالمي. وإذا كان لا ينتظر أن يأتي رئيس بدل روزفلت يقول بعدم الحرب، فمن المحتمل أن يأتي رئيس يطلب تعيين غايات الحرب تعييناً صريحاً وحاسماً. وهذا ما تتهرب منه بريطانية وتراوغ فيه، وهو من عوامل التشاد الخفي بينها وبين الولايات المتحدة.

ولقد نشر ويلكي منافس الرئيس روزفلت كتاباً بعد رحلته الطويلة عنوانه (دنيا جديدة)، ذكر فيه أن هذه الدنيا لا تقوم إلا إذا كانت على أساس الحق والعدل وإعطاء الشعوب حرياتها والقضاء على التقاليد الإستعمارية والتحكمية، فإذا جاء هذا بدلاً من روزفلت أربك بريطانية بدون ريب. . ومن جهة ثانية، فإن رفض تحريم الإضراب سيفتح المجال لحركات تطرفية وتحكمية من قبل العمال أيضاً، وفي هذا ما فيه من مزعجات قد تأتي بكوارث مفاجئة أيضاً.

15 ـ رحلة الملك جورج الى شمال أفريقية ومغزاها:

في هذه الفترة قام الملك جورج برحلة إلى شمال أفريقية فزار الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، واستعرض قوات الجيش وأشاد ببطولته، ونوه بعظمة النصر الذي أحرزه في طرد قوى المحور من شمال أفريقية، وقال أن بريطانية وحلفاؤها عازمون على استمرار النضال حتى النصر. ودعا جيرو وديغول وأعضاء اللجنة الإفرنسية إلى الغداء معه. وكانت هذه الرحلة موضوع تعليقات وتخمينات. وقيل فيما قيل أن من أهم ما استهدفته التدليل على قرب حركات عسكرية عظيمة في البحر الأبيض المتوسط. وخمن فيما خمّن أن يكون الإصلاح والتقريب بين جيرو وديغول من أهم أهدافها.

وعلى كل حال فالرحلة حدث عظيم بالنسبة للتقاليد الإنكليزية، ومن الممكن أن يكون من أهدافها تدشين السلطان الإنكليزي في شمال أفريقية وخاصة تونس وطرابلس الغرب اللذين هما من أهم طرق مواصلات الأمبراطورية. والقائم في الذهن الآن أن السكسونيين لن يتركوا شمال أفريقية، وقد تتقاسم بريطانية

والولايات المتحدة فيه النفوذ، فيكون لبريطانية الأقسام الشرقية تونس وطرابلس وجزر البحر الأبيض الطليانية، ويكون للولايات المتحدة الأقسام الغربية الجزائر والمغرب الأقصى وداكار. . .

***

يوم الاثنين
12 تموز 1943:

1 ـ بدء سنتنا الثالثة في هجرتنا:

يوم الأربعاء الفائت بدأت سنتنا الثالثة في الآستانة، فقد حللنا فيها صباح تاريخ 7 تموز 1941، ولا ندري كم هي عدد السنين المقدرة لنا هنا، ولا نخمنها أقل من سنتين على أي حال، حتى لو فرضنا أن الحرب انتهت في السنة القادمة. فإن العودة إلى البلاد بعد نهايتها مباشرة إن لم تتعسر لمدة أطول. ومهما يكن فإننا نحمد اللّٰه على أن يسر لنا الإقامة في الآستانة، وهيأ لنا أسباب العيش الهنيء والراحة التامة فيها. والأخبار عن الأسرة مطمئنة بأنها هي الأخرى مضمونة المعيشة والراحة برغم ما يمضنا ويمضها من هذا الفراق المرير. واللّٰه المسؤول أن يديم نعمته ورعايته وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد ذهبنا في صباح 7 تموز 1943 في مناسبة مرور سنتين إلى منتزه (خنكار صو) في (صاري ير) نحن والإخوان، وأخذنا صوراً تذكارية، وصنع لنا سعيد زائد أكلة محشي ورق عنب وكوسا وفطاير باللحم وبقلاوة بالفستق، وقضينا يوماً ممتعاً.

2 ـ نزول قوات سكسونية إلى صقليا:

من أهم أحداث هذه الفترة نزول السكسونيين في جزيرة صقليا ـ سجيليا ـ، ولم يكن هذا مفاجئاً، لأنه كان منتظراً بعد أن تم

إحتلال الجزر الصغيرة في جنوبها. وقد جهدوا للنزول بقصف شديد استمر ثلاثة أيام كأنه مطر من نار. وأنزلوا قواتهم في موقعين واحد شرقي وآخر غربي، مع تعدد النقاط التي نزلوا فيها في كل من الموقعين. وقد أذاعوا أنهم حشدوا لهذه الحركة ألفي باخرة متنوعة وألف طائرة. وأنهم أنزلوا الطلائع بالمظلات ثم اتبعوها بالنزول من المراكب إلى البر مع الأثقال والمؤن والمدافع والمعدات الميكانيكية الأخرى.. ومما أذيع أن عدد القوات التي نزلت خمسون ألفاً، وأن هناك قوات أخرى ستنزل أيضاً، حتى يصبح العدد متفوقاً على عدد قوات المحور على ما أذيع عن لسان القائد الأميركي العام. والأوساط السكسونية تقدر عدد قوات المحور بمائة ألف الماني، وثلاثمائة ألف طلياني، وتفيد الأخبار الواردة في هذه الأيام الثلاثة أن الإنزال نجح، وأن السكسونيين استمسكوا في الأرض وأخذوا يتقدمون، وأن الاشتباك الجدي بينهم وبين قوات المحور بدأ منذ صباح أمس وما يزال مستمراً يشتد آناً بعد آن.. ويذكر السكسونيون في إذاعاتهم ما يواجهونه من صعوبات، ويقولون مع ذلك أنهم حسبوا حساب كل شيء، وأنهم مطمئنون من حسن النتيجة.

ومع أنهم يعترفون أن الطليان والألمان واصلوا إرسال المدد إلى الجزيرة، فإنهم قالوا أمس أن الجزيرة قد جردت، وأن مواصلاتها مع أمها قد قطعت. والمصادر الطليانية تعلن من ناحيتها اطمئنانها بالنتيجة لصالحها، وتقول أن الفشل سيكون نصيب هذه الحركة، وأن الجيش الطلياني ومن ورائه الأمة الطليانية سيحافظون على شرفهم الوطني ويقابلون الغزو بالموقف القوي القاهر. والمصادر الألمانية غير متشائمة من الحركة.

والأخبار الصادرة من أجهزة المحور تذكر أن قوات المحور تمكنت من دحر وطرد القوات الغازية عن بعض المنازل، وأنها تقاتل قوات الغزو في المنازل الأخرى ببسالة واستماتة. وعلى كل حال إن الأخبار الآن متناقضة، وعنصر الدعاية فيها غالب، ولا تظهر الأمور واضحة قبل بضعة أيام.

ومن جهة أخرى فإن هذه الحركة ستكون امتحاناً للطرفين، وستكون لنتائجها آثار مهمة في موقفهما الحربي والسياسي، فإذا نجح السكسونيون نجاحاً تاماً واستولوا على الجزيرة مع ما فيها من قوات واستعدادات محورية عظيمة، فمعنى هذا أن غزو السكسونيين لأوروبا من جهات عديدة سيكون في داخل الإحتمال والنجاح، وتكون دعوى المحور بالقلعة الأوروبية التي لا تنال دعوى فارغة أو كالفارغة.

أما إذا لم ينجحوا واستطاع المحور أن يوقف العملية في حد محدود في السواحل المحمية بأسطولهم وطياراتهم، ولم يمكن القوات السكسونية من التقدم، فتكون دعواه صحيحة، وسيكون لنتائج هذا الإمتحان سلباً وإيجاباً آثاراً عظيمة. ففي نجاح السكسونيين إضعاف لأعصاب وآمال المحور عسكرياً ومدنياً، وتقوية لأعصاب وآمال السكسونيين وللراضخين على كره لاحتلال المحور، وللذين يدورون في فلك السكسونيين، ولهذا فالمراقبون يترقبون هذه الحركة باهتمام وهياج عظيمين.

ومما يجدر بالذكر أن الإذاعات السكسونية أذاعت أن العمليات الحربية في أقسام البحر الأبيض الغربية نيطت بالأميركيين، وفي أقسامه الشرقية نيطت بالإنكليز، وصار من المنتظر أن

تحدث حركات أخرى في سواحل فرنسة واليونان والجزر اليونانية حتى قبل الإنتهاء من عملية سجيليا، التي ربما دامت أشهراً عديدة. وكل هذا وإن كان عنصر الدعاية فيه قوياً فإنه يدل على أن السكسونيين اطمئنوا إلى قوتهم وموقفهم، وعزموا على المحاولة لإنهاء الحرب بأسرع ما يمكن.

وقد قرأنا فيما قرأناه من تعليقات أن هذه العملية وإن كانت سرت الروس وجعلتهم يبتهجون، إلا أنها لم تطمئنهم، لأنها ليس من شأنها أن تخفف عنهم قوى عظيمة، وأنه ما لم تفتح جبهة في أوروبا تضطر ألمانيا إلى سحب قوات كبيرة من الجبهة الروسية لا يكون قد حدث ما يطمئنهم. وهذا حق إلى درجة كبيرة، غير أننا نشك في إقدام السكسونيين على فتح هذه الجبهة بسرعة. وعملية سجيليا ليست هينة.

ولقد ذكرت المصادر السكسونية أن حركة الإنزال إلى الجزيرة نجحت أكبر نجاح، وأن بواخرهم لم تصب بأي عطب، وأنهم يقابلوا مقابلة جدية، في حين أن مصادر المحور تقول أن قوات المحور الجوية والبحرية والبرية ألحقت خسائر فادحة في وسائل النقل ولا تزال. غير أن الأعداد التي تذكرها ضئيلة بالنسبة لضخامة العملية ومعداتها. ولقد كان المتوقع أن تكون الخسائر عظيمة، لأن بحر الجزيرة كان مستوراً بالقطع البحرية السكسونية، وللألمان غواصات وللطليان أسطول ولهم قوات جوية. ومهما ادعى المحوريون، فإن الظواهر تدل إلى الآن على ضعف موقفهم...

3 ـ حركة حكومة هندية في المنفى ومداها:

مما أذيع في هذه الفترة أن الهنود الوطنيين الذين هم خارج الهند والمنتشرين في أنحاء الشرق الأقصى، عقدوا مؤتمراً برئاسة الزعيم بوز، وقرروا هيأة هندية قومية بمثابة حكومة منفى، وتأليف جيش بزعامة بوز، وأنه بوشر في تأليف هذا الجيش من الهنود خارج الهند، وبلغ تعداد المنضوين عشرة آلاف، وسوف يسعون لضم الأسرى الهنود الذين وقعوا في أسر اليابان، والذين انضموا إلى الجيش الياباني لهذا الجيش، وأن من المحتمل أن يصل عدده مائة ألف، وأن حكومة اليابان اعترفت بهذه اللجنة وجيشها، وأعلنت استعدادها للتمويل بالسلاح والمال. ومن المحتمل أن تقوى هذه الحركة وتصبح ذات شأن في النضال المقبل.

***

يوم الثلاثاء 20 تموز 1943
15 رجب 1362:

1 ـ كتاب من المفتي مع رسوله مصطفى الوكيل وتسجيلات في صدد ذلك وجوابنا عليه:

وجدنا بين أوراقنا كتاباً وارداً لنا من المفتي مؤرخ في 23 حزيران 1943، ومسودة جواب أرسلناه إليه مؤرخة في 20 تموز 1943، وتسجيلاً في ست صفحات بما سمعناه من الرسول الذي حمل إلينا كتاب المفتي وأخذ منا جوابه مع تعليقاتنا على ذلك. وتذكرنا أن الرسول هو مصطفى الوكيل الذي مر ذكره في مناسبة سابقة، وأنه جاء الى الآستانة في أوائل تموز، وقد جعلنا هذه اليومية خاصة بذلك وأرخناها بتاريخ 20 تموز وهو تاريخ جوابنا الذي أرسلناه إلى المفتي، وهذا **أولاً** نص كتاب المفتي لنا.

حضرة الأخ الكريم المفضال حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإن الذي أخرني عن الكتابة إليكم وإلى سائر الإخوان عندكم هذه المدة هو انتظار نتيجة الجهود التي بذلناها والتي كانت الظروف المتتابعة تعوق سيرها. وعلى كل حال فقد كنا مطمئنين دائماً على صحتكم مما يكتبه لنا الإخوان. وبالرغم من الظروف الدقيقة اليوم، قد بلغنا أنه ووفق على خطوة ثانية في سبيل قضيتنا ستطلعون على تفاصيلها من الرسول الذي يتأهب للقدوم إليكم. وهذه الخطوة تقوي الخطوة الأولى أكثر لتبادل الرأي. فنرجو أن توافونا بما عندكم من رأي بالواسطة وبالسرعة الممكنة. تحياتي إلى الأخ أبي الحكم والسيد زهير وإلى الإخوان جميعاً، ونسأل الله أن يمتعكم بالصحة والعافية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

1943/6/23

محمد أمين الحسيني

وثانياً ـ هذا نص ما سجلناه في ست صفحات مما سمعناه وفهمناه من مصطفى الوكيل وتعليقات عليها.

بتاريخ 1943/4/20 (نيسان) أرسل سميح[1] (المفتي) لوزير خارجية الشمال (ألمانيا) مذكرة عطفاً على مذكرة سابقة أرسلها بتاريخ 29 كانون الأول 1942، ذكر فيها نشاط الحلفاء في الشرق الأدنى وإفريقيا ووجوب مقابلة النشاط بمثله. وأشار إلى نماذج من هذا النشاط، كتصريحات إيدن بعطف بريطانية على الوحدة العربية بتاريخي 1941/2/29 و 1943/2/21، وإلى ما كان من أثر هذين التصريحين في مصر وبلاد العرب وحركة الإتحاد العربي الحديثة، ونشاط وتصريحات النحاس ونوري السعيد. وأشار كذلك إلى تصريحات الحلفاء الموجهة للعرب بمنح بلادهم استقلالها ووحدتها وإشراكها في مؤتمر الصلح. والتي يقولون للعرب فيها فيما يقولون أن دول المحور لم تدل بأي تصريح ولم يسمع منه كلمة رسمية صريحة بشأن مستقبل البلاد العربية رغم انقضاء ثلاث سنوات ونصف على الحرب بقصد التأثير على العرب وتخويفهم من المحور وما يبيته لبلادهم، وحمل حكوماتهم على إعلان الحرب على دول المحور، كما تم

(1) أحد الأسماء الحركية للمفتي (الحاج أمين الحسيني).

في العراق وكما تدل الدلائل على أنه سوف يتم في مصر، ثم في لبنان وسورية بعد اتمام الانتخابات وعودة الحياة الدستورية فيهما. ومع أن دولتي المحور قد تعهدتا في الكتابين المرسلين بتاريخ 5 مايس 1942 بالاعتراف باستقلال البلاد العربية في الشرق الأدنى وسيادتها ووحدتها حسب رغبة أهلها، وإلغاء الوطن القومي اليهودي، فإنها ظلت تصر على أن هذا ينبغي أن يبقى مكتوماً، مع أنه لو أذيع لكان له أعظم الأثر على أهل البلاد العربية التي تميل إلى المحور من صميم قلبها، ولكان ذلك أفسد على الحلفاء دعاياتهم ومناوراتهم.

ومما ذكره المفتي في مذكرته الجديدة على ما قاله الوكيل أن من الأسباب التي تذرع بها في تأخير إعلان ما تم وصدور تصريحات علنية بذلك، الرغبة في عدم إثارة فرنسة. وأن الحالة الآن قد تبدلت بالنسبة لفرنسة، مع العلم بأنه لم يكن لها في الأصل حق الإعتراض على أي تصريح علني، لأن سورية لم تكن مستعمرة فرنسية، ولأن فرنسة قد اعترفت باستقلالها وسيادتها في معاهدة 16 أيلول 1936، وأن المفتي أشار كذلك إلى تصريحات كاترو واللجنة الإفرنسية الحرة التي فيها اعتراف بسيادتها واستقلالها. وأنه أشار كذلك في المذكرة إلى تصريحات عبد الإله ونوري السعيد التي ذكر فيها أن حكومة العراق حصلت بالفعل على ضمان بريطاني هام أيدته الولايات المتحدة في صدد استقلال العراق وسورية. ونبه في المذكرة أيضاً على موقف اليابان وحسن تفهمها وتصريحاتها. ثم قال إن تصريحاً رسمياً يعلن من دول المحور هو ضروري ونافع جداً في هذه الظروف. وأن ابتعاد الحرب الآن عن الجبهة العربية لا يدعو إلى تأجيل ذلك، بل هو سبب وفرصة لبذل نشاط سياسي من جانب المحور. ثم اقترح (المفتي) في المذكرة إصدار تصريح جديد رسمي مستند إلى الكتب الرسمية والتصريحات المتنوعة السابقة لهدم دعايات الحلفاء. وكتب صيغة الاقتراح وطواها مع المذكرة قاصداً بذلك حمل المحور على إعلان ما ظل مكتوماً بصورة رسمية، واغتنام الفرصة لإدخال بعض عبارات ونقاط لم تكن داخلة في الكتابين الرسميين، وخاصة ذكر أسماء العراق وسورية وفلسطين ولبنان وشرق الأردن، التي لم تكن مذكورة في الكتابين اللذين اكتفيا بهما بتعبير (البلاد العربية في الشرق الأدنى).. وطوى في المذكرة نصوص تصريحات إيدن وأميركا واليابان وكاترو واللجنة الإفرنسية، والمادة التي تعترف فيها فرنسة باستقلال سورية في معاهدة أيلول 1936، وقد كان الوكيل يحمل نص التصريح الذي اقترحه المفتي. وهذا هو:

إن حكومتي المحور تقدران تمام التقدير ثقة الشعب العربي بدول المحور وأهدافها واستعداده للكفاح ضد العدو المشترك حتى النصر، وتفهمان كل الفهم الأهداف الوطنية للبلاد العربية الرازحة الآن تحت الإرهاق البريطاني. وتريان العرب كشعب مدني عريق برهن على مزاياه العسكرية وكفاحه في سبيل الحرية، هم بكل تأكيد في وضع قادرون فيه على حكم أنفسهم وتبوء مكانتهم بين الأمم المستقلة ذات السيادة. ولذلك تعلن دولتا المحور:

أولاً - إن استقلال وحرية البلاد العربية الرازحة الآن تحت الاحتلال البريطاني هما من

أهداف المحور.

ثانياً ـ إن دولتي المحور مستعدتان لتقديم كل مساعدة مقتضية للبلاد العربية الرازحة تحت الإرهاق البريطاني في الشرق الأدنى في كفاحها للتحرر التام والاعتراف باستقلالها وسيادتها.

ثالثاً ـ إن دولتي المحور إذ تعترفان باستقلال وسيادة العراق وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن توافقان على وحدتها حسب رغبة أهلها.

رابعاً ـ إن دولتي المحور توافقان على إلغاء الوطن القومي اليهودي الذي هو ضد رغبة ومصلحة العالمين العربي والإسلامي.

وقد ذكر مصطفى الوكيل أن بعض هذه النصوص مقتبسة من كتابي وزير الخارجية الألمانية للمفتي ورشيد، المؤرخين في 1942/5/5، وبعضها مقتبس من كتاب للمفتي من سكرتير الدولة، وبعضها جديد بقصد التركيز والتوضيح.

وقال الوكيل أن الجهة الألمانية وافقت مبدئياً على إصدار التصريح اقتناعاً بوجهة النظر بفائدته وإحباط النشاط الحليفي. وأنه جرت بعد ذلك مع الجهة الطليانية مفاوضات حول الصيغة، فاقترحت هذه الجهة الصيغة التالية:

إن دول المحور التي كانت تظهر دائماً صداقتها تجاه البلاد العربية في الشرق الأدنى، وعطفها على أمانيها وقبولها لها، تريد أن تؤكد مجدداً اتجاه سياستها رسمياً. ولهذا تصرح:

1 ـ تعتبر دول المحور أن حرية واستقلال البلاد العربية في الشرق الأدنى أحد أهداف سياستها.

2 ـ إن دول المحور مستعدة لأن تعترف بالسيادة والاستقلال التامين لهذه البلاد، وإنها توافق على توحيدها متى رغب سكانها ذوو العلاقة المشتركون حسب رغبة أهلها.

3 ـ إن دول المحور ترفض كل حل لقضية فلسطين (بما في ذلك قضية الوطن القومي اليهودي في فلسطين) يتعارض مع أماني ومصالح الشعب العربي.

وقال الوكيل أن المفتي لم يوافق على هذه الصيغة لأنها لا تحتوي ما أريد من توضيح، ولأنها شوشت موضوع الوطن اليهودي. وأن المفاوضات استمرت واستقرت على الصيغة الآتية:

إن دول المحور التي كانت تظهر دوماً صداقتها تجاه البلاد العربية وعطفها على أمانيها وقبولها لها تريد أن تؤكد مجدداً اتجاه سياستها ولذلك تصرح:

1 ـ تعتبر دول المحور أن حرية واستقلال جميع البلاد العربية في الشرق الأدنى التي هي العراق وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن وبقية الأقطار العربية الواقعة تحت النفوذ الأجنبي هدف من أهداف سياستها.

2 ـ إن دول المحور مستعدة لأن تعترف بالسيادة والاستقلال التامين لجميع البلاد العربية في الشرق الأدنى، وإنها توافق على توحيدها حينما يرغب ذلك أهلها المشتركون بالأمر. والى الآن لم يتم الاعلان مع الاتفاق على اصدار التصريح.

وتبادر لنا من كل ما تقدم أن الصورة ما تزال كما يلي:

1 ـ إن المفتي طالب منذ وصوله بإصدار تصريح علني باستقلال البلاد العربية ووحدتها، وجرت مداولات حول الصيغة واعترضت صعوبات حول صيغة الوحدة خاصة.

2 ـ إن الزعيم والوزير الشماليين حاولا إقناع

المفتي بضرورة تأجيل إصدار تصاريح ويخطر الإستعجال، مع موافقتهما على إصدار تصريح في الوقت المناسب. وربما فهم المفتي أو قيل له أنهم موافقون على الأسس. وكان المفتي في كتبه السابقة قال أنه تم الإتفاق على الصيغة والأسس، وأن التأجيل لا علاقة له بذلك، وإنما هو للضرورة والظرفية.

3 ـ ولقد ذكر في محضر لقاء المفتي مع هتلر الذي أثبتناه في أسبوعية سابقة، أن المفتي لما طالب بعقد معاهدة ولو سرية، قال الزعيم له إن هذا لا يبقى سراً، ولم يوافق لا على الإعلان ولا على السر، وأجل ذلك إلى الوقت المناسب. والذي نظنه أن فكرة المعاهدة لم تكن ناضجة ومركزة، وكلما كان هو أن الزعيم حينما رفض الإعلان طلب المفتي إعطاء عهد سري، فلما رفض الزعيم ذلك انطوى موضوع المعاهدة ولم يعد يشغل ذهن المفتي. وكتاب الشيخ حسن الذي أوردنا خبره قبل دليل على ذلك، حيث قال أن الذي طولب به وووفق عليه هو التصريح، وأنه تأجل لأسباب أخرى، وأن نصوصه متطابقة مع نصوص الآستانة. والنصوص التي ذكرها الشيخ قريبة من نص الكتاب الرسمي الذي أرسل للمفتي وذكرنا خبره سابقاً أيضاً.

4 ـ وحينما استغربنا وانتقدنا عدم عقد معاهدة وما كان من تحفظات في صدد الوحدة وعدم ذكر أسماء الأقطار، تنبه المفتي إلى أن ذلك كان خطأ، وأخذ يبذل جهده لتعديل الأمر إلى أن صار الظرف ملائماً لتقديم المذكرة الجديدة واقتراح التصريح العلني مع الأسماء، وحسب المفتي أن ذلك معدلاً نوعاً ما.

5 ـ إن كلمات زعيم الشمال للمفتي بأنه سيكون صاحب الكلمة العليا وفي مركز خطير يمكنه من إدارة شؤون شعبه على ما جاء في محضر اللقاء، ملأت فكر المفتي، فلما جاء رشيد ولم يلق الإهتمام الذي يرى نفسه أهلاً له لصفته الرسمية ولصفته المحارب الرسمي للإنكليز، تقدم لوزارة الخارجية الشمالية بصفتيه وقدم مقررات الآستانة وطالب بها، وطالب فيما طالب به بالاعتراف بحكومته وبكونه الممثل الرسمي للقضية العربية، فكان هذا من أسباب الخلاف بينه وبين المفتي، ثم أخذ يشتد بما كان من مساعيه في سبيل الحصول على إعتراف رسمي باستقلال العراق، حيث اعتبر المفتي ذلك خرقاً للجبهة وشذوذاً، وحرد وطالب بالتصريح المتفق عليه، وانتهى الأمر بإعطاء كتابين لهما بتاريخ 1942/5/5 اللذين احتويا الصيغة الأولى، على أن يظل أمرهما مكتوماً.

6 ـ مما يلاحظ مع الإستغراب أن أمر الوحدة صادف صعوبة منذ البدء، وأن الطليان عادوا إلى تشويش مسألة إلغاء الوطن القومي، وأنه أريد الانتفاع بما كان من نشاط الحلفاء لتخويف جماعة المحور، وجعلهم يهتمون ويقبلون بإصدار التصريح أو بالأحرى إعلان المكتوم وإدخال بعض كلمات جديدة عليه.. ومما يزيد دهشتنا هو أنه مع الحالة التي هي على هذا الشكل المريب أو الضيق الذي لا غناء فيه، أننا منذ سنة ونصف أخذنا مرة بعد مرة رسائل تطمين قوية المعنى والمبنى بأن الأمور جارية على ما يرام، وأن كل المسائل قد حلت نهائياً، وأن الصيغة والأسس ووفق عليها، وأن عطف الجنوبيين عظيم، وأنهم حسب تعبير محمد العفيفي أحرص على الوحدة منا، وأنهم مستعدون للموافقة على كل طلب حينما جاء

إلينا قبل. ومما هو أغرب أن سميح (المفتي) يكتبه لنا فيما يكتب أنهم قالوا له أن الكتابين هما كل ما يمكن إعطاؤه، وأنه اضطر إلى أخذ كتابه لأن ظواهر الحال لا تدل على أن هذا هو الذي طلب ووفق عليه وبشر به. ومعنى هذا كله أن ما كان من تطمينات وتبشيرات كان قائماً على رمل يهيل..

7 - في جملة الأوراق التي حملها مصطفى الوكيل صيغة أو مشروع معاهدة بدون أي إيضاح ولما استوضحناه قال أن هذا المشروع قد قدم ورفض، وهو عين مقررات الآستانة. ولقد كان سميح (المفتي) كتب لنا أن صيغة المعاهدة قد قدمت، فلم تقبل لأنه ليس لنا حكومة قائمة صالحة للتعاقد. والراجح أن هذا إذا كان صحيحاً إنما كان بعد حملاتنا وانتقاداتنا.

8 - وعلى كل حال فما تزال هناك حلقات مفقودة خافية علينا في موضوع المعاهدة وتاريخ تقديمها وما دار حولها وما كان من أسباب انفراد رشيد بالتقدم بمنهج الآستانة وتقديم نفسه كوكيل وحيد على حد تعبير الشيخ حسن سابقاً، وما قيل في موقف سميح من رشيد وتأييده الإعتراف بحكومته... الخ. ونظن أن هناك ثغرات يراد سدها على طريقته ثم التدارك.. ولقد كنا سألنا أبا أحمد (محمد العفيفي) عن هذه الحلقات والثغرات فلم يشف غليلنا، وهذا ما كان من مصطفى الوكيل أيضاً. والكتب الواردة غير شافية. وأكثر ما استهدفته سد الثغرات التي نسأل عنها دون عناء وشقاء.

9 - ومما سمعناه وفهمناه من الوكيل أن فوزي ورشيد أصبحا كالمجردين، وأن شكوكاً ثارت في الشماليين حول الأول لأنهم بلغوا بأنه يشاغب على سياستهم ونياتهم برسائل يرسلها إلى الآستانة والبلاد، وبأقوال تذاع عنه، حتى أنه منع من السفر إلى صوفيا، وحيل بينه وبين الكتابة إلى عادل العظمة وغيره، وأنه كان لسميح يداً في هذه النتيجة. وأنه لم يكتف بأن يكون تابعاً، وأراد أن يكون رأساً أو نداً، معتزاً بما ناله من عطف. وأن سميحاً لم يسمح له بما أراد، وحاول أن يطبل على ظهره تطبيلاً فلم يؤخذ بذلك، فوقف موقف المشاغب عليه، والتف على رشيد وكان ذلك مما قوى مركز رشيد من سميح. ثم حاول التأليب على سميح وصار يطعن في مساعيه وتصرفاته. وكان لهذا آثار غير حسنة في أوروبا وفي الآستانة، فلما سنحت الفرصة لسميح كال له الكيل كيلين. أما الثاني أي رشيد فيظهر أنه غير رشيد، وقد أسخط بتصرفاته الناشئة عن اغتراره بنفسه الشماليين، ويظهر أنه هو وأخوه تصرفا تصرفات غير نزيهة في موضوع المال ولم يعط ما يجب أن يعطى لجماعته ورفاقه، فكان ذلك وهذا مما جعل هؤلاء ينصرفون عنه ويتذمرون منه أيضاً. ومما سمعناه من الوكيل فعلاً أنه يذاع فيما يذاع أن السلطات الهنغارية تذمرت مما تظهره أسرته من البذخ وتشتريه من المجوهرات، وأن الدكتور محمد حسن سلمان شك في تصرفاته ومن منعه المخصصات عن العراقيين. وكانت النتيجة تحديد ما يعطى له وربط ذلك بطريقة تمنع الاستمرار في التصرفات الشخصية.. ولا شك في أن سميحاً استفاد من كل هذا في أمر عزل وتجريد الرجلين والتشكيك فيهما وصرف الناس عنهما..

10 - ومما فهمناه من الوكيل أيضاً أن الطليان لم يوافقوا على اقتراح بإعلان استقلال تونس،

مع أن الألمان وافقوا على ذلك. وأن هذا مما أثار الريبة في نفوس الزعماء التونسيين الحبيب أبي رقيبة ورفاقه، فاغتنموا فرصة وسافروا فيها إلى تونس قبل خروج قوات المحور منها، ثم ظلوا فيها، وأخيراً تعاونوا مع الباي الجديد. وهذا مشهد من المشاهد المريبة من جهة، ودليل على أن الخطة المقررة بين الحليفين المحوريين هي على أساس أن تكون الكلمة الفاصلة في مسائل الشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض للطليان من جهة ثانية. ولقد كنا لمحنا هذا في كتابات وتصريحات عديدة وأثار مخاوفنا وارتيابنا ونبهنا المفتي لهذا سابقاً.

وهذا نص الجواب الذي كتبته للحاج أمين ووجدت مسودته بين الأوراق على ما ذكرته:

سيدي الأخ الكريم صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ودعاء لله بأن تكونوا على أحسن حال. وبعد فقد تشرفت بكتابكم الكريم المؤرخ في 1943/6/23 وشكرت كريم عواطفكم الأخوية، وإنا نحمد الله على دوام نعمته علينا بالصحة والراحة، وأرجوه أن يكشف الغمة عن العالم على الوجه الذي فيه سعادته وطمأنينته، ويقر أعيننا بما نبتغي من سعادة بلادنا وأمتنا، ويقرب أيام اللقاء وجمع الشمل على أسعد حال إنه سميع مجيب.

ولقد ابتهجنا ببشرى الخطوة الثانية وصرنا نترقب التفصيل، وحبذا لو كان الرسول حمل النص الأول والثاني، لأن النصوص تزيد في فهم الأمور والطمأنينة. ونحن موقنون بأنكم باذلون كل الجهد في الوصول إلى أحسن النتائج، وندعو الله دائماً أن يزيدكم قوة وتوفيقاً، وأن يكافئكم على جهادكم ويكلله بالنجاح. ولقد كنا وما نزال نتمنى أن تحل القضية بأسلوب التعاقد المتعامل على الأسس المعروفة الصريحة بالاستقلال والسيادة والوحدة الكاملة. فهذا هو الأقوى للحال والإستقبال والتاريخ. فإذا تعذر هذا فلا أقل من أن يكون التصريح الصادر من طرف واحد صريحاً ومفصلاً ومحتوياً نفس الأسس، فالصراحة والقطعية في كل النقاط لا يتركان مجالاً للتفسير والتأويل اللذين اعتدناهما وذقنا منهما ما ذقناه. فالمرجو أن تكون الخطوة الثانية الموضحة قد أكملت النقص واحتوت جميع ما يقتضي.

ولقد كنا اطلعنا على نشرة مطبوعة مما ألقي على مصر وسورية حينما كانت جبهة العلمين قائمة والنصر للمحور قاب قوسين فيها، فأثارت مخاوفنا في النيات المريبة التي كانت تعتلج في صدورنا والتي كنا نفسر بها الموقف العجيب الذي واجهتموه والذي أبديناه مرة بعد مرة. ولا شك في أنها أثارت مخاوفكم أيضاً. وكنا سلمناها للأخ أبي بكر (اسحق درويش)، ورجوناه إرسالها إليكم ونقل هواجسنا. فما هو التفسير الذي فسر به الأصدقاء أسلوب هذه النشرة، وما هو الإرشاد والحماية اللتان تبشران بهما مصر والبلاد العربية مسلموها ونصاراها. وكم كان وقعها عليهم يا ترى. إننا نقدر كل الظروف الدقيقة المحيطة بالموقف الخاص والعام، ونقدر ظروفكم، ولكنا لا نستطيع كتم هواجسنا ومخاوفنا فحسبنا الله ونعم الوكيل وهو العظيم الكبير القادر القهار.

سررنا من خبر عودة الود والصفاء بينكم وبين رشيد بك (هذا الأمر شرحناه في أسبوعية سابقة)، فإذا كان الظرف مساعداً لجمع الشمل

في لجنة قومية فحبذا ذلك. فقد يكون فيها تقوية للموقف الخاص والعام وإزالة لما علق في الأذهان وتناقلته الألسن عندنا وعندكم وفي البلاد، وتوطيداً للتساند والصفاء بين الجميع. وقد تسنح فرص فيكون لهذه اللجنة مجال لعمل وموقف مجد ومثمر. وعلى كل فالشاهد يرى ما لا يراه الغائب، ولست أرى ضرورة إلى تعليق الأمر على قدوم من هنا، فأنتم ولا شك تقدرون أن الظروف الآن أقل تشجيعاً على السفر، وأعتقد أن من عندكم من الإخوان يسد المسد ويفي بالحاجة.

أبو الحكم وزهير يسألان خاطركم ويقدمان احترامهما وجزيل شكرهما على عطفكم الكريم. وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته، مع الرجاء بالتكرم بإبلاغ التحيات والأشواق وأحسن التمنيات إلى من عندكم من الإخوان.

20 تموز 1943.

***

يوم الخميس
22 تموز 1943:

نوري السعيد في سورية ولبنان وتعليق على جمود الحركة التوحيدية:

قرأنا في صحف سورية وصلت الينا أن نوري السعيد جاء الى لبنان مريضا وأنه زار دمشق وان شكري رئيس الحكومة أقام له ولائم وان من المحتمل أن يذهب الى مصر. والحق إن تأخر نوري الى الآن عن الذهاب الى مصر بعد أن وجهت إليه الدعوة منذ بضعة أشهر لافت للنظر وباعث على القول ان هناك عقبات في طريق نجاح البحث في صدد مؤتمر عربي أو اتحاد عربي. وقد تكون هذه العقبات داخلية عربية وقد تكون خارجية وطائفية واسروية وقد تكون مزيجة من كل ذلك. وكل هذا مما ورد على بالنا سابقا وجعلنا لا نتفاءل كثيرا.

***

يوم الثلاثاء
27 تموز 1943:

استقالة موسوليني وتفصيلات متنوعة حول ذلك وآثاره وتعليق عليه:

أمس صباحاً فوجىء العالم بخبر استقالة موسوليني من رئاسة الحكومة الطليانية وتعيين المارشال بادوليو مكانه. وقد كان هذا يوم الأحد، وهو من أعظم أحداث السياسة والحرب في هذه الآونة. وقد أذيع مع الخبر بيان للملك عمانويل جاء فيه أنه أخذ على عاتقه منذ اليوم قيادة القوات البرية والبحرية والجوية، وإدارة المملكة، وأن قبل استقالة سعادة موسوليني رئيس الحكومة ووزير الدولة، وأنه يشعر بما أحاط بإيطالية من حرج وبما أصابها من جراح. وأذاع بادوليو أيضاً بياناً قال فيه أنه أخذ على عاتقه إدارة أمور الحكم، وأن الحرب مستمرة، وأن إيطالية ستظل صادقة لتقاليد وكلمة الشرف التي هي مربوطة بها، وأنذر بأشد العقوبات كل من يحاول الإخلال بالنظام، وطلب أن يظل كل مدني وكل عسكري في المركز الذي عهد إليه به.

وأمس أذيع بيان آخر لبادوليو جاء فيه أن التشكيلات الفاشيستية الحزبية والعسكرية أدمجت في الجيش، وأن اجتماع أكثر من ثلاثة أشخاص والتجول ليلاً من الغروب إلى الفجر وحمل السلاح ممنوع. وأن على الأماكن العامة جميعها إغلاق أبوابها، (والراجح أن المقصود المقاهي والمسارح والمطاعم الخ).

وقد ذهب المخمنون مذاهب في تفسير هذا الحادث العظيم. ومما قيل أن مقدمته القريبة متصلة بلقاء هتلر وموسوليني الأخير، وأن هتلر طلب من موسوليني اتخاذ تدابير جدية في الدفاع والمقاومة، وأن موسوليني عرض ذلك على وزرائه، وأن الوزراء حكموا الملك في الموقف، وأن الملك رفض مطالب موسوليني فاستقال. ومما قيل وهو الوارد أكثر، أن مركز موسوليني أعلى من مركز رئيس حكومة عادي، وأنه جاء إلى الحكم بالقوة وأصبح ديكتاتوراً لإيطالية يحكمها منذ عشرين سنة، وجمع كل قواها في يده، وأن وزراءه ليسوا إلا أطباقاً له، وأن الصحيح هو أنه ألجيء إلى الإستقالة إلجاء قهرياً، وأن ذلك نتيجة ضعف أعصاب الأمة والجيش، بحيث لم يكن في إمكان موسوليني أن يبقى ذا أثر، وأنه انهار بدوره فانسحب مضطراً منهاراً، سارع الملك إلى ملء الفراغ الذي لم يكن له فيه وجود مع ديكتاتورية موسوليني.

والمتتبع لحروب أفريقية وجبهة مصر وسجيليا (صيقليا) كان يرى دائماً إمارات ضعف حيوية وأعصاب الجيش الطلياني ومقاومته، حيث كان لا يكاد يشتبك في معركة حتى ينهزم أو يستسلم للأسر، وصار هذا مثلاً سائراً وموضوع تعليقات ساخرة. وفي سجيليا التي كانت معركتها أحدث المعارك وأقربها لإيطالية الأم، ظهر هذا الضعف بارزاً خطراً، حيث بلغ عدد المستأسرين من الجيش الطلياني مائة ألف في أسبوعين، وحيث استطاع السكسونيون الاستيلاء على أربعة أخماس الجزيرة في أسبوعين بدون مقاومة تذكر إلا في الجبهة التي كان يقاتل فيها الألمان والتي ما تزال صامدة إلى الآن. وقد سقطت بالرمو

عاصمة الجزيرة، وهي من أعظم ثغور ومدن إيطالية في أيدي السكسونيين بدون حرب. وصار يذاع أن أهل الجزيرة الطليان كانوا يسارعون إلى اظهار الفرح والترحيب بالسكسونيين. والسكسونيون عرفوا هذا الضعف وجعلهم ذلك يلقون بكل دعاياتهم على الطليان حتى عجلوا بانهيارهم أو كادوا. وقد توجت هذه الدعايات منذ عشرة أيام برسالة روزفلت وشرشل المشتركة الموجهة إلى الشعب الطلياني، والتي ذكرنا خبرها قبل، فكان لها على الأرجح تأثير عظيم في الموقف. .

وقد ذكرت الأخبار أن مظاهرات عديدة قامت في أنحاء عديدة من إيطالية قبل خبر استقالة موسوليني، وأن مظاهرة كبيرة في روما كانت تهتف بطلب إعلان روما مدينة مكشوفة، وتهتف أيضاً بطلب الصلح، وان المدافع المضادة للطائرات في ميلانو وجهت النار على المتظاهرين. وكان هذا مما جعل الملك يطلب من الشعب في بيانه التزام الهدوء وإقبال الناس على أعمالهم العادية. وأذيع أيضاً أن موسوليني ووزراءه ورؤساء التشكيلات الفاشيستية اعتقلوا أو وضعوا تحت رقابة البوليس أو تحت حمايته تفادياً من الاعتداء عليهم، وأن موسوليني اعتقل من قبل ضباط كانوا في معيته حينما كان يهم بالفرار إلى ألمانيا. .

ومهما يمكن أن يكون في هذه الأخبار من مبالغات دعائية، فإنها تدل على أن زلزلة أعصاب الشعب ظهر آثارها في صورة عنف أو ثورة مضادة ضد الوضع القائم، فلم يكن لموسوليني بد من الانسحاب. فالجيش له يد حتى يستطيع أن يخمد الثورة المضادة له، والشعب ضده معاً. ويظهر أن التشكيلات الفاشيستية العسكرية التي كانت عماده كانت كرتونية أيضاً. . . وهذا من العجائب. . والمارشال الذي خلف موسوليني كان رئيس أركان حرب الجيش الطلياني العام، فعزله موسوليني قبل ثلاث سنين بسبب ما كان من إخفاق الجيش في حركات اليونان. وهو الذي قاد حركات الحرب وكتب له الفوز فيها. ويقال أنه يتمتع باحترام في الأوساط السياسية والعسكرية الطليانية، وأنه لم يكن من أنصار الحرب ولم يكن مندمجاً في الحزب الفاشستي وكان على خلاف مع موسوليني في كثير من المواقف والأفكار. وصار في الأسابيع الأخيرة يذكر اسمه كرجل يميل إلى الصلح مع السكسونيين، حتى أن الأجهزة السكسونية أذاعت إشاعة بأنه جاء هو وولي العهد إلى تونس لأجل مفاوضات الصلح. ولم تكن الإشاعة صحيحة. . . وقد أعلن اليوم أنه ألف وزارة برئاسته، فيها أحد عشر جنرالاً وزراء، وأن وزارة الخارجية عهد بها إلى سفير إيطالية في تركية، وقيل أن هذا من محبذي الصلح.

ولقد وجهت إذاعات أميركا وبريطانية نداءات للشعب الطلياني قالت فيها له إن السكسونيين ليسوا أعداء له، بل هم أصدقاء لا يضمرون له إلا الخير، وأنهم بعد أن طرحوا موسوليني عن رأسهم انفتح أمامهم باب الفرج، فما عليه إلا أن يلقي السلاح ويتوقف عن الحرب ويطرد القوات الألمانية من بلاده. ومع كل هذا فقد أذيع تصريحات لمقامات رسمية سكسونية أن القصف على إيطالية والحرب ضدها سيستمر بكل شدة إلى أن تستسلم بدون قيد أو شرط. والظاهر أن هذا جواب لما جاء في بيان بادوليو بأن الحرب مستمرة. . .

ولقد أذاعت المصادر الألمانية أن استقالة موسوليني هي بسبب حالته الصحية التي ساءت كثيراً في الأيام الأخيرة، وأن التبدل الذي تم لم يكشف عما يبرر الحكم بأن إيطالية ستتوقف عن الحرب وتستسلم للسكسونيين. ولقد أذيع كذلك من إذاعتي روما وبرلين أن المفاوضات والاتصالات قائمة بكل نشاط بين بادوليو وقائد القوات الألمانية والسفير الألماني في إيطالية.. وقد يبدو كل هذا معقولاً وطبيعياً، سواء إعلان بادوليو استمرار الحرب وعزم إيطالية على التمسك بكلمتها وتقاليدها، وسواء إعلان السكسونيين استمرار الحرب والقصف إلى أن تستسلم إيطالية بدون قيد أو شرط، وسواء الاتصالات بين العهد الطلياني الجديد وبين المقامات الألمانية. فالجيش الطلياني ما يزال قائماً لم يغلب، وإيطالية ما زالت سليمة وحليفتها ما زالت قوية مسؤولة على معظم أوروبا. وإذا كان في إيطالية جنوح إلى الخلاص من الحرب فلا بد من أنها تعمل على عدم لحوق خسران عظيم بمصالحها وكرامتها. والسكسونيون لا بد من أنهم يعرفون كل ذلك. والتسمك بالظواهر لا بد منه لكل طرف..

وهذا عدا عما هنالك من محاذير سياسية عظيمة سياسة وعسكرية لإيطالية إذا تهافتت، ففي إيطالية قوات ألمانية كبيرة، ولها في فرنسة والبلقان قوات كبيرة. فموقف إيطالية حرج للغاية، ولا بد لأصحاب العهد الجديد أن يستمسكوا مدة أخرى في سبيل الاتقاء من المحاذير وتأمين المصالح.. غير أن المتوقع في نفس الوقت أن تقوم إتصالات مباشرة أو غير مباشرة بين العهد الجديد والسكسونيين لأجل الصلح. لأنه لو كان في إيطالية طاقة على الإستمرار في الحرب لما كان هذا الإنقلاب الخطير الذي اضطر فيه موسوليني إلى الإنسحاب، أو الذي أمكن نتيجة له اعتقال موسوليني وأنصاره وحل تشكيلاته الفاشيستية. والمتوقع أن تنتهي الاتصالات بانسحاب إيطالية من الحرب. وستكون نتائج ذلك عظيمة بالنسبة لإيطالية ولألمانية وللحرب عامة. وستكون ألمانيا بين أمرين، إما أن تحتل إيطالية بالقوة وتقوم بواجب الدفاع عن قلعة أوروبا فيها من جهة، وتحول دون عقد صلح بينها وبين السكسونيين من جهة أخرى. ومن الممكن أن تقع في هذه الحالة اشتباكات حربية بين القوات الألمانية والقوات الطليانية فتسوء الحالة أكثر، ويشتد حمل الألمان فداحة وموقفهم خطورة. وأما أن تسحب ألمانيا قواتها من إيطاليا وتدعها وشأنها وتحصن حدودها، وفي هذه الحالة يتم الصلح أو تعقد هدنة بين إيطالية والسكسونيين. وقد يكون من جملة شروط هؤلاء الحق في اتخاذ قواعد لهم في إيطالية لغزو البلقان من الشرق وفرنسة من الغرب. وقد يرى أصحاب العهد الجديد أن التحاقهم بالسكسونيين ووقوفهم حربياً إلى جانبهم ضد حليفتهم قد ينقذ إيطالية ويحفظ لها مصالحها وأمبراطوريتها. ويكون في ذلك تكراراً لخيانة إيطالية لألمانية التي تمت في الحرب الفائتة، حيث كانت معها أولاً ثم انقلبت ضدها..

ومما يثير الضحك ما جاء في خطاب بادوليو من أن إيطالية ستحافظ على تقاليدها وتتمسك بكلمة الشرف التي ارتبطت بها، حيث نسي هذا الرجل أن تقليدها هو ترك حلفائها والانحياز إلى أعدائها.

ومما سوف يكون في حالة انحياز إيطالية

لجانب السكسونيين هذه المرة سحب قواتها من البلقان وفرنسة، واشتداد الحرج في ذلك بالنسبة لألمانيا التي ستضطر إلى سد الثغرات. وباشتداد نشاط الروس في الجبهة الشرقية سيشتد حرجها ويجعلها في مأزق أو أزمة شديدة قد تعجل انهيارها واستسلامها أيضاً، لأن العبء سيصبح أفدح من أن يطاق حتى من الألمان جبابرة الأرض. ولا يستبعد والحالة هذه أن تنتهي الحرب قبل انتهاء هذه السنة بانتصار السكسونيين هذه المرة كما كان الأمر في الحرب العالمية الأولى، حتى ولو لم يتم جلاء الألمان عن البلاد التي يحتلونها الآن. أما إذا لم يقع انهيار داخلي في ألمانيا فإن الحرب قد تدوم مدة أخرى بوقوف الألمان مدافعين في كل مكان. وباستطاعتهم إلحاق خسائر جسيمة في خصومهم بهذا الموقف أيضاً وتمديد أمد الحرب مدة ما قد تقع فيها من مفاجآت من الليالي الحبالى..

وبعد حادثة سقوط واعتقال موسوليني لا يمكن الحكم بما إذا كان هتلر لا يصير إلى مأزق حرج مثل مأزقه، وما إذا كان في ألمانيا فئات عسكرية وغير عسكرية قوية تجد في هذه الحالة ما يساعدها على التمرد عليه كما وقع مع موسوليني... وفي سقوط موسوليني عبرة من عبر الدهر. فهذا الرجل نفخ في إيطالية نفخة جبارة، وحاول أن يخلقها خلقاً جديداً، واستطاع أن يعمل لها كثيراً، وأن ينقذها من تدهورها الشديد الذي تدحرجت فيه بعد الحرب العالمية السابقة. والمجمع عليه أنه قوي الشخصية لامع الفكر واسع المطامح، وفي سقوطه مثل للزعيم الموهوب في أمة ضعيفة. ولقد كان هذا الرجل ملأ الدنيا غروراً ودعاوى وتحدياً بأمة مثل هذه الأمة، وجعل العالم يحسب حسابه. وكان من أبرز بوادر ذلك غزوه الحبشة واستيلائه عليها، ومسايرة الدول له بعد صخب واحتجاج ومواقف بدت أنها قوية وارتدت نتيجة لصلابته وتأييد ألمانيا له، وتلافياً من تفاقم الأمور ونشوب حرب طاحنة كبرى. فلما اشتدت الأمور على هذه الأمة انكشف زيفها وظهرت على حقيقتها في الضعف والهشاشة، وباءت تلك الدعاوى والتحديات بها بالفشل. ولقد كان من مطامحه أن يعيد امبراطورية روما القديمة، وأن يجعل البحر الأبيض بحراً طليانياً، وأن يستولي على شمال أفريقية ومصر وسورية وسواحل الأناضول وقسماً من تركية، فتضاءل كل شيء.

وفي هذه الحرب لم يعتد أحد عليه ولم يكن له ثأر حقيقي وصميم عند أحد، ولم يكن له مطلب قومي صادق في أي ناحية. وسكت له العالم على استيلائه على الحبشة، وصارت جزءاً من أمبراطوريته. وبقي متربصاً إلى أن سقطت فرنسة كليلة جريحة، فدخل الحرب اندفاعاً وراء مطامحه التي كان فيها في الحقيقة باغياً.. ولكل هذا فالشماتة بإيطالية وبه في كل مكان، وهي في محلها، ولا سيما قد بدا من أمته ما بدا من خور وكلال...

ومن عجيب المظاهر أن الفاشيستية في إيطالية قائمة منذ عشرين سنة، والمفروض أن سيادتها قد تغلغلت في الأجيال الجديدة، ولها تشكيلات عظيمة شبابية وعسكرية، وموسوليني كان فيها كالمعبود، وإذا قدرنا أن نصف إيطالية من ذوي الأعمار التي لا تزيد عن (30) سنة، فيكون هذا النصف قد شب وترعرع فيها، وهو النصف الأقوى والأحمس. فكيف انهار كل هذا

وتضاءل؟

وإذا جازت مقايسة، فيقال إن الشيوعية في روسية مثل الفاشية في إيطالية، ترعرع في ظلها النصف الأقوى والأحمس خلال مدة لا تزيد كثيراً عن مدة الفاشية. . ولقد أصاب روسية من الكوارث ما لا يقاس عليه ما أصاب إيطالية. ولكنها صمدت ولم تتزعزع، والنظام الشيوعي ظل قائماً راسخاً، ولا شك في أن هذا يعود إلى الفرق بين بنيتي الأمتين وخاصة البنية العسكرية.

***

الأربعاء
28 تموز 1943:

تفصيلات بيانات أخرى حول سقوط موسوليني وتعليقات على ذلك:

نشرت الصحف التركية الصادرة مساء أمس وصباح اليوم تفصيلات معزوة إلى مصادر حيادية وإلى شخصيات طليانية وإلى مقامات رسمية طليانية وألمانية وإلى صحف إفرنسية حول حادث موسوليني وآثاره العظيمة، كما أنها نشرت خطاباً طويلاً لشرشل ألقاه في مجلس النواب في صدده، وتلخص كل ذلك فيما يلي:

1 ـ إن هتلر اقترح على موسوليني حينما التقيا لقاءهما الذي ذكرناه سابقاً أن يكون خط الدفاع القوي عن إيطالية في الشمال، وقال له أن الدفاع عن سواحلها غير مجد في رأي أركان حرب الجيش، وأن موسوليني قبل النظرية وعاد إلى روما فجمع مجلس الفاشيست الأعلى، ودامت المناقشات في الموضوع في هذا المجلس عشر ساعات. وأن أعضاءه انقسموا، وأن الأقلية أيدت النظرية، والأكثرية وفيها الكونت شبانو صهر موسوليني ووزير الخارجية أبدت رأياً آخر، وهو أن حزب الفاشيست لا ينبغي أن يتحمل مسؤولية ذلك. وأن من الواجب الرجوع إلى الملك ووضع الأمر بين يديه. وأن موسوليني حينئذ أعلن استقالته. ويمكن أن يكون هذا صحيحاً، لأن موسوليني الديكتاتور الجبار لا يمكن أن ينفض يده من مركزه إلا بمثل هذا الإنشقاق في حزبه وعدم

تأييد أكثرية المجلس الأعلى له . . .

2 ـ إن البيانات الرسمية الطليانية التي أذيعت في صدد استقالة موسوليني وتعيين بادوليو، ذكرت أن ما وقع ليس انقلاباً ولا ثورة ضد موسوليني، وإنما هو تبدل دستوري داخلي. فرئيس الحكومة رفع استقالته إلى الملك، والملك استعمل صلاحياته الدستورية إزاء ذلك. وأن التبدل ليس من شأنه أن يبدل خطة الحكومة السياسية والحربية، وأن إيطالية مستمرة في الحرب مع حلفائها، وأن القول أن موسوليني معتقل غير صحيح، فهو يحمل وساماً يخوله أن يكون بمثابة عم الملك ويتمتع بامتيازاته والإحترام والحقوق التي له. وكانت جريدة ذكرت أنه معتقل فعطلتها الحكومة الجديدة.

3 ـ إن المباحثات قائمة بكل نشاط بين سفير ألمانيا وقائد الجيش الألماني في إيطالية من جهة والمارشال بادوليو من جهة ثانية. وأن هذا طلب من الألمان العدول عن خطة عدم الدفاع عن سواحل إيطالية التي اقترحوها على موسوليني، وأنذرهم بأن إيطالية ستضطر إلى الانسحاب من الحرب إذا أصروا عليها، وأن الألمان وافقوا على طلبه، وأنهم الآن يرسلون قوات جديدة لتعزيز القوات الألمانية والطليانية.

4 ـ إن الفاتيكان ينشط نشاطاً سياسياً عظيماً، وأن اتصالات تجري في صدد عقد هدنة مشرفة بين إيطالية والحلفاء، وأن مظاهرات عظيمة جرت في روما تهتف للملك والبابا.

5 ـ إن التشكيلات الفاشيستية المدنية قد ألغيت ولم يعد نشيد الفاشيست ينشد، وأن صور موسوليني رفعت من دوائر الحكومة.

6 ـ إن الجريدة التي أصدرها الشيوعيون في روما ذكرت أن التبدل ربما كان لإنقاذ الفاشيستية، وأن الناس يجب أن لا ينخدعوا به.

7 ـ إن خمسة أحزاب طليانية كانت محظورة أذاعت بياناً تطلب فيه إعادة الحياة البرلمانية وعدم قيام حكم عسكري بزعامة بادوليو، وأعلنت عدم ثقتها به.

8 ـ إن الجماهير في إيطالية يتظاهرون ضد الفاشيستيين ويجردون القمصان السود من لابسيها الفاشيستيين، وإن من المخشي أن تقوم حرب أهلية نتيجة لذلك.

9 ـ إن شرشل في خطابه الطويل أبدى اغتباطه العظيم بسقوط موسوليني الذي وصفه بأحد كبار مجرمي الحرب، ولفت النظر إلى العبرة في خواتم الحكم الديكتاتوري ونظام الحزب الواحد وما يجر ذلك إلى البلاد التي يقوم بها من ظلم واستبداد وكوارث. وقال مع هذا أننا لا نعرف إلى الآن شيئاً مهماً عن عوامل وأسباب الإنقلاب ولا عن نيات العهد الجديد. وأن الألمان ما يزالون أصحاب نفوذ وقوة في إيطالية، وإن كنا نعلم أن رغبة الشعب الطلياني صادقة في الخلاص من السيطرة الألمانية. وأن القوات الإنكليزية والأميركية مستعدة لإنقاذ هذا الشعب، وأن الإنكليز والأميركان لا يريدون به شراً ولا يريدون تقسيم بلاده ولا المساس بسيادته، وأنه إذا سحب يده من الألمان فهو نائل لمركز محترم بين الدول العظمى كما كان، وأن من الجنون المطبق أن لا يفعل ذلك أو أن يرضى بما يقوله القائمون على العهد الجديد من الإستمرار بالحرب وبالإرتباط بالمحالفة الألمانية. وأن السكسونيين في هذه الحالة سوف يشددون هجومهم ونارهم بحراً وجواً وبراً

ويذيقون الطليان أشد الأهوال بدون هوادة ولا رحمة، وأنهم مستعدون للمفاوضة مع من يتقدم لمفاوضتهم من المقامات الطليانية المسؤولة ذات الصلاحية أيضاً. ثم عطف الكلام إلى الألمان، فقال إن لهؤلاء نفوذاً قوياً في إيطالية، وأنهم قد يحاولون الحيلولة دون طلب الهدنة والمفاوضات. ولكن هذا يعني الطليان وحدهم، وهم الذين يجب أن يقرروا ما يريدون لصالحهم، مع قوله أن مصلحة الحلفاء والطليان معاً أن ينتهي النزاع بينهم بسرعة.

ثم قال أن ألمانيا بنظامها قد أخذت على عاتقها إدارة العالم بيد واحدة وتأمين حياته ومسؤولياته. وهذا حمل فادح وخطر، وهي مع ذلك مصرة على حمله. وهي ما تزال قوية، وأكثر أوروبا تحت إدارتها واستغلالها. وقد يمكن أن تضمن لنفسها ولما تحتله من البلاد أسباب المعيشة مما تحت يدها من منافع مفتوحة، وقد يمكن أن تثبت مدة طويلة أيضاً، وأن تحسب حساب المفاجآت التي لا تعرف كنهها.. وشرشل يبدو في خطابه قوياً من جهة ومتحفظاً من جهة أخرى.

10 ـ إن المقامات الألمانية ما زالت متحفظة إزاء ما وقع مع عدم إنكار خطورته وما يمكن أن ينتج عنه. وتقول أنها تتابع التطورات باهتمام عظيم.

ونذكر من ناحية أخرى ما يؤكده القائمون على العهد الجديد بأنهم مستمرون في الحرب وفي حلفهم مع ألمانيا، وتقول أنه ليس والحالة هذه بعد تبدل ما في الموقف السياسي والحربي.

***

الأربعاء 4 آب 1943
1 شعبان 1362:

1 ـ استمرار الكلام حول حالة إيطالية وموقف حلفاء موسوليني وموقف السكسونيين منهم:

ما زالت حالة إيطالية وما حصل فيها أهم حوادث العالم السياسية في هذه الفترة، وما زالت أبرز ما يشغل محطات الإذاعة والبرقيات والصحف والمحافل السياسية. والأخبار متداخلة مشوشة إلى درجة كبيرة، حتى يكاد يكون أكثرها كذباً ومن قبيل ما يسمى حرب الأعصاب ادعاءً ورداً. والمحافل السياسية خاصة تكثف جهودها في هذا الموضوع تكثيفاً عظيماً. ففي كل يوم إذاعات وبرقيات مطولة من لندن وستوكهولم وبرن ومدريد عما يدور وعما يقال وعما يظن في صدد ما وقع وما يقع في إيطالية من مظاهرات شعبية تهتف بطلب الصلح وتشتم الفاشيستية ورجالها، ومن اجتماعات تعقد بين رجالات الدولة، ومن اختلافات تنجم بين بادوليو والملك، ومن شروط تقدم للمفاوضة، ومن هيئات توفد بسبيل ذلك، إلى غير ذلك، وكلها متداخل ومتعاكس.

وقد أذاع روزفلت بعد سقوط أو اعتقال موسوليني بثلاثة أيام خطاباً شديد اللهجة والتهديد. كرر فيه طلب الاستسلام من إيطالية بدون قيد أو شرط، وقال أن الحلفاء لن يتهاونوا في أمر مجرمي الحرب ولن يدعوهم ينجون بمجرد استقالتهم، ونوه بقوة الحلفاء وتعاظمها

واستعدادهم للتحطيم والسحق الخ . . .

وقد سئل إيدن في البرلمان عما إذا كان الحلفاء يمكن أن يعيدوا إلى إيطالية ممتلكاتها في إفريقية إذا ما تم صلح بينها وبينهم فأجاب بالنفي . وأذيع أن بريطانيا وأميركا منحت للقائد العام أيزنهاور صلاحيات واسعة، وأن هذا أذاع خطاباً طلب فيه من إيطاليا التسليم بشرف وعدم إلجائه إلى العنف والشدة. وقال أنه أوقف الغارات على إيطالية ستة أيام على أمل استسلامها، وأنه خاب أمله، وأنه مضطر إلى العنف والقصف . . .

ومما نشر في الصحف الأميركية أن المقامات الطليانية اتصلت بصورة غير مباشرة بالحلفاء بسبيل سلوك هؤلاء مع إيطالية سبيلاً يكون مشرفاً وغير محرج، وأنها عرضت فيما عرضت أن يكتفي الحلفاء من إيطالية بحياد دقيق إزاءهم وإزاء ألمانيا معاً، ومقابل ذلك يسرحون جيشهم ويدمرون تحصيناتهم، وأن الحلفاء لم يوافقوا، وأجابوا بما يفيد أنهم لا بد لهم من احتلال قواعد إيطالية العسكرية وثغورها ومراكزها واستخدامها في حركاتهم الحربية ضد الألمان في ألمانيا والبلاد التي يحتلونها من أوروبا. وأن المقامات الطليانية قطعت اتصالاتها ومساعيها بسبب هذا الموقف، واعلنت أن ما تم من انسحاب موسوليني وإلغاء الفاشيستية هو مسألة داخلية، وأنها قررت عدم إدخال أي تبديل في سياستها الداخلية والخارجية، وأنها أبلغت حلفاءها والدول المحايدة عزمها على الإستمرار في الحرب إلى النهاية. وقد أثار هذا الموقف الحلفاء وجعلهم يعودون إلى الإرغاء والإزباد والتشديد والتهديد وقصف السواحل والمراكز الطليانية. ويحملون على بادوليو ويحرضون الطليان عليه، ويقولون لهم أنه سوف يخونهم كما خانهم موسوليني من قبل. وأثار هذا بدوره رد فعل جديد في إيطالية فجعلها تشتد في لهجتها، ودعا بادوليو صفوفاً جديدة من الشبان إلى التجنيد، وصارت إذاعاتها تذكر أن ما يطلبه السكسونيون من إيطالية مخالف للشرف والكرامة من جهة، ومستهدف لإذلال إيطالية واستعبادها من جهة وأن إيطالية لن تطأطىء رأسها ولن ترضى بالخسف والهوان. . ومما يجدر ذكره أن وزير خارجية بريطانية سئل على ما جاء في بعض الصحف عن ما إذا كان الطليان تقدموا بشروط ما فأجاب بالنفي، ثم قال أن شروط السكسونيين لم تتبدل وهي الاستسلام بدون قيد أو شرط. والجواب شبه حاسم بأن الإتصالات كانت بصورة غير مباشرة، وأن الطليان لما رأوا إصرار وتشديد السكسونيين أوقفوا الإتصالات وبدلوا لهجتهم وموقفهم. . .

ومما لا شك فيه أن الشعب الطلياني مزعزع، وأنه راغب في الصلح والخلاص من الورطة، وأن حكومة بادوليو مثله. ولكن الموقف معقد جداً، فالسكسونيون يرون من مصلحتهم أن تستسلم إيطالية لهم استسلاماً يساعدهم على الاستفادة من مراكزها الجغرافية والعسكرية، ويرون أن الإكتفاء منها بالوقوف موقف الحياد لا يضمن لهم تحقيق ما يريدون. والطليان يرون في هذا ذلاً وخطراً، ويجعل بلادهم ساحة حرب بالإضافة إلى ذلك، وهم غير مكسورين عسكرياً، كما أن القوات الألمانية في بلادهم وليس من السهل إخراجها منها إذا ما استسلموا للسكسونيين. ولذلك فالعقدة لن يحلها إلا السيف أو وقوع ايطاليا في فوضى مطلقة، فلا تقوم حكومة فيها قادرة على كبح جماح الشعب

أو تحمل مسؤولية الإستسلام. والراجح أن هذا لن يكون إلا بقصف شديد عام من جهة، وبإنزال قوات سكسونية إلى سواحل إيطالية من جهة أخرى. وليس مما يستبعد أن يتمكن بادوليو من الصمود والمقاومة مدة من الزمن قد تتطور خلالها الأحوال والنفسيات. ومما نشر في هذه الآونة أن سؤالاً وجه أمس إلى وزير خارجية بريطانية عن عوامل انسحاب موسوليني، فأجاب أن كل ما استطاع أن يعرفه عن ذلك أن هذا الإنسحاب نتيجة لعدم تأييد أكثرية المجلس الأعلى الفاشيستي له. وهذا متطابق لما كان نشر وسجلناه قبل. وهو المعقول منطقياً، فما كان لأحد أن يسقط موسوليني لو ظل يتمتع بسلطانه الفاشيستي، وما كان في استطاعته أن يبقى بعد أن يفقد هذا السلطان.

2 ـ أخبار إيطالية خاصة من قادم من إيطاليا في صدد الفاشيين وفي صدد القضايا العربية:

وعلى ذكر ما تدعيه المقامات الطليانية من أن ما تم من إنسحاب موسوليني وإلغاء الفاشيستية هو أمر داخلي، نذكر أن قادماً من إيطالية حديث عهد بها حدثنا أن التذمر كان عاماً شديداً ضد الفاشيستية في الأيام الأخيرة لحكم موسوليني، ولا سيما أنه قد ظهر للطليان فراغ ومبالغات وتبجحات موسوليني، وبعد أن طردت القوات الطليانية من جميع أفريقية وأحدق الخطر عليها في عقر دارها، وكاد إفلاسها الحربي يتم. وأن تصرفات المنتسبين للفاشستية من العوامل المهمة في هذا التذمر الذي كان مكبوتاً قبل أن تظهر مبالغات التبجحات وإفلاس القوات الطليانية. وأن المجند الفاشيستي يتمتع بامتيازات أعظم من غيره، وأن التاجر الفاشيستي يتصرف في السوق السوداء كما يشتهي ويكنز الأموال، وأن التوظيف يكاد يكون وقفاً على الفاشيستيين. وأن كثيراً من الناس كانوا يتظاهرون بالفاشيستية خوفاً ورعباً، وأن الطليان انساقوا للحرب انسياق طمع في وقت كان نجم الألمان متألقاً، وكانوا يظنون أن لواء النصر معقود لهم، وأنهم ـ الطليان ـ لن يلبثوا أن يخرجوا ممتلئي اليد رغم ما كان من ضعف بنيتهم أساساً. وأن تصرفات الفاشيستيين اشتدت أثناء الحرب، ومن المحتمل أن تكون عاملاً في اشتداد ضعف هذه البنية. ومما أدى إليه من زعزعة أو انهيار.

ولقد قرأنا في الصحف بيانات كثيرة عن ما صار لرجال الفاشيست وتجارهم من أموال وأملاك عظيمة نتيجة لما كانوا يتمتعون به من سلطان. ولقد أذيع فيما أذيع أن حكومة بادوليو ألفت لجنة تحقيق لذلك، ومصادرة ما يثبت عدم النزاهة في حيازته، مما يؤيد ما سمعناه من القادم..

ومما سمعناه من هذا القادم أن الارتياب والتوجس من مطامع الطليان المقبلة كانا قائمين في نفوس العرب، وأن الزعيم التونسي الحبيب أبا رقيبة كان شديد الشعور بذلك، فالتزم التحفظ الشديد، حتى انتهز فرصة سانحة فغادر إيطالية إلى تونس مقرراً أن يبقى فيها مترقباً خروج قوات المحور. وأن الرجال التونسيين بذلوا جهدهم لحمل إيطالية على إعلان استقلال تونس، والتصريح بعدم وجود أي مطمع لها فيها فأخفقوا رغم حصولهم على موافقة الألمان على ذلك. لأن موافقة الطليان كانت هي الأساسية

في الموقف حسب ما كان من تفاهم بين الألمان والطليان على شؤون سواحل البحر الأبيض وشمال أفريقية. . . وهذا الإرتياب والتوجس كانا وما زالا يساوراننا، وقد أثارتهما من جديد النشرات الطليانية التي ألقتها الطيارات المحورية على بلاد الشام ومصر إبان كان الريح في العلمين يهب لصالح المحور، والتي بشر بها العرب بحماية وإرشاد إيطالية، وقد ذكرنا خبرها قبل.

ولطالما سمعنا بتبجحات الطليان أثناء هذه الحرب عن أملهم بإحياء الامبراطورية الرومانية الكبرى، وقولهم أن البحر الأبيض هو بحرهم. وأنهم الورثة الطبيعيون للدولة العثمانية الخ مما كان يثير فينا المخاوف. ولم يزلها ما كنا نسمعه من تطمينات وتصريحات مطلقة ومعلقة، ولا ما كنا نتلقاها من كتابات ورسل وتصريحات زعمائنا عندهم، ولا سيما أننا كنا نراهم يتهربون من التقيد بنصوص صريحة غير قابلة للتأويل. . ومعنى هذا أن الطليان لو سار معهم الحظ لكنا واجهنا مشكلة جديدة يطول نضالنا معها بدءاً من جديد بعد أن قطعنا شوطاً طويلاً في النضال مع الموجودين، وأوجدنا في نفوسهم قناعة بأننا لن نتحمل ولن نصبر حتى يسلموا بحقوقنا كاملة ونتمتع بها فعلاً.

3 ـ موقف السكسونيين والشيوعيين من انسحاب موسوليني وتشددهم إزاء ما يسمونه مجرمي الحرب:

ذكرنا قبل أن روزفلت أعلن أن استقالة مجرمي الحرب لن تنجهم من العقاب قاصداً بذلك موسوليني. وتبعت روسية روزفلت في ذلك في هذه الفترة، حيث أرسلت إلى الدول المحايدة التي بينها وبينها صلات سياسية، مذكرات طلبت منها فيها أن لا تفتح أبواب بلادها لمجرمي الحرب وتمكنهم بذلك من الإفلات من العقاب الواجب اتباعه عليهم، وقالت لها أنها تعتبر ذلك عملاً ضد أمن العالم وسلامته ومناقضاً للمبادىء التي يحارب الحلفاء من أجلها، وأنها سوف تقف منه أشد موقف ممكن، وذكرت بعض الصحف أن حكومتي أميركا وبريطانية أرسلت للدول الحيادية مذكرات مماثلة أيضاً.

ولقد كتبت الصحف التركية فصولاً في ذلك نبهت فيها إلى ما في هذه المذكرات من إخلال لسيادة الدول الحيادية، وتدخل في شؤونها، ونقض للتعامل الدولي المتفق عليه بحق كل دولة بقبول اللاجئين السياسيين وعدم تسليمهم. وذكرت هذه الصحف أن الصحف السويسرية أيضاً كتبت في ذلك فصولاً عديدة، ونبهت إلى كون تقليد قبول اللاجئين السياسيين وعدم تسليمهم هو تقليد مقدس لها معترف لها به من جميع المحافل السياسية. وقد ألمحت الصحف التركية أن الحكومة التركية ستجيب روسية على مذكرتها، وسيكون في جوابها تنبيه إلى أن ذلك مسّاً بالحقوق والسيادة والتقاليد الدولية. . . والظاهر أن الدول الحليفة الثلاث خمنت أن موسوليني سوف يفر إلى إحدى الدول المحايدة، مع أنه كان قيل أنه رهن الإعتقال. .

4 ـ تدني إيراد بيارات فلسطين بسبب الحرب:

مما قرأناه في صحف فلسطين أن إيراد بيارات فلسطين المثمرة في سنة 1942/1943

لم يزد عن ثلاثمائة ألف جنيه، وهو عشر ما كان يمكن أن يرد عليهم لو لم تكن الحرب ناشبة، وأن الأكلاف التي ينفقها أصحابها عليها ثلاثة أضعاف إيرادها. وأن ذلك أدى إلى خراب ثلث البيارات ووقوع أصحابها تحت أعباء الديون الجسيمة. ولقد كثف أهل فلسطين عرب ويهود جهودهم وثرواتهم في إنشاء البيارات لما كان لها من مردود مغر، دون أن يخطر لبالهم حساب حرب عالمية، فجاءتهم هذه الحرب بكارثة فادحة من هذه الناحية.

5 ـ عصابات مسلحة في فلسطين:

ومما قرأناه فيها أن عصابات عديدة أخذت تظهر في مناطق الخليل وغزة وطولكرم ووصفتها بعصابات لصوص وتشليح.

6 ـ زيادة رأس مال البنك العربي في فلسطين ودلالتها:

ومما قرأناه فيها أن البنك العربي أعلن فتح اكتتاب لمائة ألف سهم جديد بسعر أربعة جنيهات ثمناً أصلياً وأربعة جنيهات لرأس المال الاحتياطي. وجعل مدة الإكتتاب ثلاثة أشهر، ليتسنى للعرب في الأقطار العربية والمهاجر الاكتتاب. وأنه عازم على فتح فروع له في الأقطار العربية الشقيقة. وجاء هذا في نشرة للبنك أذاعتها هذه الصحف. ومما قالته جريدة فلسطين أن الأمل كبير في الاكتتاب بجميع الأسهم المعلنة خلال المدة، فإذا تحقق فإن رأس مال البنك مع الاحتياطي يصبح مليون جنيه. ويدل على ما صار للبنك من مركز وثقة.

7 ـ نشاط الحركة الانتخابية في سورية واستقطاب شكري القوتلي الناس والأفكار ومدى ذلك:

ومما قرأناه في صحف دمشقية وصلت إلينا أن الحركة الانتخابية النيابية نشطت نشاطاً عظيماً، وأن اجتماعات عديدة عقدت في أحياء دمشق كان يحضرها شكري القوتلي وإخوانه الوطنيون، وكان هو قطب الرحى المجمع على زعامته ونزاهته في ما كان يلقى فيها من خطب. وكان فارس الخوري وجميل مردم ولطفي الحفار وأمثالهم من خطباء الاجتماعات المنوهين بشكري وزعامته ونزاهته... وفي اجتماع القنوات بايع المنتخبون الثانويون شكري على أن ينتخبوا القائمة التي يضعها، وفوضوه بذلك تفويضاً مطلقاً.

ومما ذكرته الصحف أن عدد المرشحين الذين سجلوا ترشيحهم في دمشق وحدها بلغ ثمانين أي خمسة أضعاف المطلوب، وقرأنا أسماء أناس منهم لا يمكن أن يخطروا ببال أو يكسبوا صوتاً.. ومن المرشحين كثيرون من رجالات الصف الأول والثاني الوطنيين من الكتلة الوطنية ومن الشباب. ثم سمعنا يوم 27 تموز من إذاعة بيروت أن الانتخابات جرت قبل يومين، وأن الناجحين في دمشق هم: شكري القوتلي وجميل مردم ولطفي الحفار وخالد العظم وعفيف الصلح ونصوح البخاري وأحمد الشراباتي وسعيد الغزي وعبد الحميد الطباع وصبري العسلي ونجيب الريس وفارس الخوري ونعيم الأنطاكي ونسيب البكري وجورج صحناوي واثنان أرمنيان.

ومن أسماء المرشحين الموالين للكتلة الذين

قرأنا أسماءهم: الحاج أديب خير والدكتور أحمد قدري وإحسان الشريف وأحمد اللحام وفايز الخوري ومظهر البكري ومنير المالكي وشفيق سليمان وعبد الكريم العائدي وعرفان الجلاد وعبد القادر الميداني.

ومن أسماء المرشحين المعارضين: حقي العظم وسامي كباره ونصوح بابيل وزكي الخطيب ومنير العجلاني ووحيد الحكيم وهاني الجلاد وابن الشيخ تاج.

والمرجح أن الفائزين هم قائمة شكري الذي رأى على ما يبدو أن تكون مزيجة من رجال كتلويين وبارزين ومن غيرهم للتأليف والترضية وجمع الشمل، فبالطباع أرضى علماء الدين، وبنصوح البخاري أرضى المستقلين، وبسعيد الغزي أرضى المحامين، وبأحمد الشرباتي أرضى الشباب، وبخالد العظم أرضى الأرستقراطيين. وهؤلاء وإن لم يكونوا من صميم الكتلة فليسوا معارضين أو أعداء لها.

ولاحظنا أن هاشم الأتاسي لم يترشح، وإنما ترشح ابنه عدنان ونجح، ولا ندري هل هذا منه اعتزالاً للسياسة نهائياً أم لا. وإذا كان الأمر كذلك، فأصبح شكري هو المرشح للرئاسة.

ولم نقرأ اسم فخري البارودي بين المرشحين. والظاهر أنه عرف أنه لن يدخل في القائمة فحفظ كرامته ولم يرشح نفسه. وكان ينبغي على آخرين من إخواننا مثل الحاج أديب خير والدكتور أحمد قدري أن لا يرشحوا أنفسهم ويحفظوا كرامتهم مثله.. وممن سمعنا من أسماء الفائزين في حلب سعد الله الجابري ورشيد الكخيا. ونرجح أن قوائم الكتلة الوطنية في حلب وحماه وحوران واللاذقية هي التي نجحت، وهذا ما كان وتكرر منذ بدء الانتخابات النيابية في سورية في الثلاثينات، حينما كانت السلطات الإفرنسية تقف موقف المحايد.

8 ـ تعديل في الحكومة اللبنانية ومعالجة حقوق المسلمين الإنتخابية:

ومما قرأناه من أخبار لبنان أن أيوب ثابت رئيس الدولة استقال، واستقال أيضاً الأمير خالد، وأنه عين مكان الأول بترو طراد ومكان الثاني عبد الله بيهم، وأنه أجرى تعديلات في عدد نواب الطوائف في مجلس النواب، فزيد عدد الطوائف الإسلامية ثلاثة، وأنقص من عدد الطوائف المسيحية اثنان، فصار للأولى 25 نائباً وللثانية 30، وكان الفرق عشرة مقاعد للمسيحيين. وذكر أن هذا التعديل موقت إلى أن يجري إحصاء، والراجح أن هذا قصد ترضية وتطمين المسلمين الذين كانوا ويظلون يشعرون بالحيف لأنهم ليسوا أقل عدداً من النصارى إن لم يزيدوا عليهم. وذكر أن حركة الإنتخاب بعد هذا تنشط ويتم انتخاب المجلس الجديد مثل سورية. ولقد كان لبنان يعيش في أزمة من جراء ذلك على ما يستفاد من صحف بيروت، فالمسلمون كانوا شبه غاضبين، والدكتور ثابت كان متشدداً في موضوع تعديل العدد لصالحهم، فطلب منه الإفرنسيون أن يستقيل، وأتي بطراد وبيهم وعولج الأمر على الوجه الذي تم.

9 ـ مذكرة لنوري السعيد في صدد توحيد بلاد الشام ثم اتحاد عراقي شامي:

نشرت أمس جريدة (تصوير أفكار) عزواً إلى

إذاعة بيروت خلاصة مذكرة قدمها نوري السعيد إلى السفير البريطاني في بغداد في صدد الوحدة العربية. ومما نشرته أن نوري السعيد طلب في مذكرته:

أولاً - توحيد بلاد الشام في دولة واحدة تضم سورية ولبنان وشرق الأردن وفلسطين، على أن يقرر ممثلون عن هذه الأقطار شكل الدولة ورئاستها أي جمهورية أم ملكية واتحادية أم لا مركزية. وأن يمنح اليهود في أماكن كثافتهم استقلال ذاتي يتناول مسائل البلديات ومجالس المستعمرات والأمن الداخلي والتعليم والمؤسسات الصحية تحت سيادة الدولة السورية. وعلى أن يكون للموارنة في لبنان إذا أرادوا مثل ذلك في أماكن تكثفهم.

وثانياً - إقامة اتحاد بين هذه الدولة وبين الدولة العراقية في أمور الدفاع والخارجية والمواصلات والجمارك. ويبقى للدولتين صلاحيات ذاتية في ما عدا ذلك. وتكون مسائل الأقليات في متناول هذا الاتحاد أيضاً. ويمثل الاتحاد مجلس مشترك تكون رئاسته بالتناوب، ويبقى الباب مفتوحاً أمام الدول العربية الأخرى للإشتراك في الاتحاد. ومما نشرته (تصوير أفكار) من الخلاصة مادة عن وضعية القدس، حيث ذكر أن هذه المدينة تكون مدينة حرة بإدارة خاصة مزيجة من المسلمين والنصارى واليهود، وتضمن حرية الأماكن المقدسة وزيارتها.

ولم نسمع إذاعة عربية أو غير عربية تذكر خبر هذه المذكرة. غير أننا نرجح صحتها، فنحن نعرف أسلوب تفكير وحلول نوري السعيد في صدد فلسطين واليهود. والمتبادر أن المذكرة تستلهم وتتمشى مع الواقع والظروف الراهنة. فوحدة سورية من العقد الصعبة بسبب فلسطين ولبنان وشرق الأردن. فالأمير عبد الله طامع بعرش سورية، وداع إلى توحيدها تحت تاجه. وهناك معارضة تكاد تكون عامة لذلك في سورية من ناحية، ومن ناحية ابن السعود الذي له أنصار في سورية أيضاً، ومسألة اليهود عقدة صعبة، وكذلك مسألة النصارى وبخاصة الموارنة، من الإندماج في كيان أكثريته الساحقة مسلمون. ومسألة الأماكن المقدسة في دورها مشكلة. والمذكرة تعالج كل ذلك معالجة لا بأس فيها... ومن غريب الصدف أن هذه المعالجة، مع عدد تحديد مسألتي اليهود والموارنة، كانت مما ذكرته في فصل من فصول حوادث كتبتها ليكون كتاباً عنوانه (على هامش الحركة العربية الحديثة في الماضي والحاضر والمستقبل)، كما أنني منذ شهور وأنا أتحين فرصة لأرسل خبراً لإخواننا الوطنيين في سورية شكري وإخوانه، بأن لا يوسعوا جهدهم في صدد الوحدة لئلا تفشل، وأن يتساهلوا ليجعلوا أمرها مقبولاً من مختلف الأطراف.. وطبعاً لست شديد التفاؤل بأن هذه المذكرة سوف تجد طريقها للتنفيذ أو التجاوب.. فأنا أعرف أن نوري بارع في تقديم المذكرات وإثارة الحديث حول أفكاره، كما أني لست مطمئناً إلى جدية الإنكليز وإخلاصهم في أمر الوحدة، والإنكليز هم أصل مهم في الأمر كله. ولا أدري إذا كانت إذاعة المذكرة من إذاعة بيروت ذات مغزى، وأن اللبنانيين راضون عن فحواها.

ولقد كان نوري أصيب بمرض شديد ثم نجا، وجاء إلى لبنان للنقاهة والإستشفاء، وقد قرأنا في صحف لبنان وسورية أخبار حفاوة كبيرة به من السوريين واللبنانيين على السواء. وأن بعض أصحاب القصور من المسيحيين عرضوا

عليه النزول عليهم، وأظهروا له الرعاية والعناية، فضلاً عن المسلمين، وأن عدداً من رجالات سورية جاءوا إلى لبنان لزيارته . .

وقد يدل كل هذا على أن نوري يشغل الآن حيزاً في أذهان العرب والموقف السياسي العربي والإنكليزي معاً.

10 ـ سفر نوري السعيد إلى مصر واجتماعاته مع النحاس ومداولاته :

وقد سمعنا الإذاعات تذكر خبر سفره إلى مصر ولقائه مع النحاس ومداولاتهما في صدد الوحدة، ثم سمعناها تذكر أن الطرفين المصري والعراقي اتفقا على التوسع في التبادل التجاري والتعاون الثقافي، وقد صدمنا هذا لأنه أوحى إلينا أن الكلام في صدد وحدة عربية سياسية لم يصل إلى نتيجة إيجابية. . . وتقديم نوري مذكرته التي يقترح فيها البدء بتوحيد سورية أولاً ثم سورية والعراق، ثم فتح الباب للبلاد العربية الأولى، وكان كل هذا قبل سفر نوري إلى مصر، قد يدل على أن ما جرى من اتصالات في صدد وحدة عربية شاملة بعض الشيء لم يكن مشجعاً. ويتبادر لنا أن مصر والسعودية لم تتجاوبا مع الفكرة، وهما ركنان أساسيان في أي عملية توحيدية شاملة. . ونحن منذ الأصل كنا غير متفائلين بنجاح مشروع اتحادي شامل، وكنا نتمنى تكثيف الجهود حول قضية وحدة بلاد الشام، ثم إنشاء وحدة ما بين بلاد الشام والعراق. وهذا هو المعقول المتبادر الآن إذا حسنت نيات الإنكليز. . .

11 ـ تصريحات لنوري السعيد في صدد الاتحاد والتعاون العربي :

وبعد تسجيل ما تقدم سجلنا ما يلي :

بعد ساعات من كتابة ما تقدم اطلعنا في صحف مصرية ودمشقية ولبنانية وصلت إلينا على تصريحات وبيانات لنوري السعيد في صدد المساعي الجارية حول الوحدة العربية، جاء فيها أنه جاء إلى مصر ليبحث ويتداول مع النحاس باشا في الأسس والتمهيدات اللازمة لدخول الموضوع حيز الجد. وأنه تم الإتفاق بينه وبين النحاس على أن يتصل هذا برؤساء الدول والحكومات العربية، ثم يدعو بعد أن تتم إتصالاته إلى مؤتمر عربي، وأن المداولات بينه وبين النحاس لم تصل إلى نتيجة حاسمة. ويبدو من هذا أن سفر نوري إلى مصر كان استجابة لدعوة النحاس للمداولة في موضوع الوحدة. . وهذا ما جعلنا نستغرب تقديمه لمذكرته وإذاعتها قبل وصوله إلى مصر ومداولاته مع النحاس، أو جعلنا نتحفظ إزاء ما نشر من ذلك.

***

يوم الجمعة
13 آب 1943:

1 ـ اجتماعات نوري والنحاس ونتائجها:

أذيع منذ أيام أن نوري السعيد غادر مصر إلى القدس فعمان بعد أن قضى فيها نحو أسبوعين، واجتمع عدة اجتماعات مع النحاس، وتذاكرا في موضوع الوحدة المؤتمر المنشود بسبيل ذلك. وعزي إلى نوري قوله أنه تم التفاهم على تعاون إقتصادي وثقافي بين مصر والعراق وفلسطين وشرق الأردن وسورية، وأن النحاس أخذ على عاتقه الإتصال بالحكومات العربية الأخرى لأجل عقد مؤتمر لبحث هذه الأمور وتركيزها، وأن من المأمول أن يدعى إلى هذا المؤتمر ويعقد في هذه السنة. وقبل هذا أذاعت شركة برقيات الأناضول عزواً إلى القاهرة إذاعتين حول الإجتماعات والمداولات في صدد الوحدة العربية، ونقلت تفاؤل نوري السعيد من سير المداولات، وقالت أن الإنكليز يبدون نية حسنة نحو هذه الحركة...

وقد قرأنا في عدد من مجلة المصور وصل إلينا بتاريخ قريب، أن مما كان متفقاً عليه أن تجري الأبحاث والمداولات حول الوحدة الإقتصادية والثقافية، وأنها جرت في هذا النطاق، وتوشك أن تنتهي إلى نتائج حسنة لصالح البلاد العربية. وهذا الكلام وما سبقه من نوعه مؤيد لما سبق وسجلناه من إخفاق فكرة الإتحاد السياسي. والراجح أن هذا كان مدون من قبل، وأن ذلك مما جعل المداولات في مصر تجري في نطاق التفاهم والتعاون الإقتصادي والإجتماعي والثقافي. وجعل نوري السعيد يقدم مذكرته في صدد وحدة سورية أولاً، واتحادها مع العراق، وإبقاء الباب مفتوحاً لمن يريد من الدول الأخرى. ومما أذيع عنه أن سورية بعد أن تنتهي من الانتخابات وتتركز حالتها الدستورية سوف تبذل جهدها في سبيل الوحدة السورية الشاملة. وأن أهل لبنان قسمان، قسم يريد نوعاً من الإتحاد، وقسم يريد وحدة شاملة، وأن أمير شرقي الأردن يدعو إلى وحدة سورية شاملة. وهذه التصريحات كما يبدو بسبيل تدعيم مذكرته والتوجيه إليها. ولا نعرف يقيناً الأسباب والعوامل التي جعلت المداولات في مصر تجري في نطاق الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية دون السياسية، مع أن الحركة في البدء بدت أوسع وأقوى وذات مدى سياسي. ونعتقد أن لإبن السعود يداً في ذلك، والراجح أنه لمس مؤامرة أو مطامح هاشمية في الحركة، ونرجح بل ونعتقد أن لبعض رجالات مصر دوراً في انحصار المداولة في هذا النطاق، ونحسب أن كل هذا طبيعي وليس غريباً. والمعقول الآن هو ما جاء في مذكرة نوري السعيد من وحدة سورية بشكل ما أولاً، ثم اتحاد عراقي سوري، وإن كنا نعرف ما في ذلك أيضاً من عقبات، سواء من ناحية نصارى لبنان أم من يهود فلسطين أم من مطامح الأمير عبد الله الشخصية أو من ناحية ابن السعود الذي سوف يرى هذا أيضاً مؤامرة هاشمية.

2 ـ بيان مشترك رسمي عن اجتماعات نوري والنحاس وتصريحات لنوري ومدى ذلك:

بعد كتابة ما تقدم سجلنا ما يأتي:

اطلعنا في عدد الأهرام 21097 تاريخ 1943/8/8 على البيان المشترك الذي صدر حول الاجتماعات والمداولات التي جرت بين النحاس ونوري السعيد وهذا نصه: تمت اليوم المداولات التي بدأت يوم السبت 31 يوليو 1943 بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وبين فخامة نوري السعيد باشا، بشأن الوحدة العربية وتعاون أمم العرب، وقد عقدت هيئة المشاورات ست جلسات بحثت فيها هذا الموضوع من جميع نواحيه، وتبادلت وجوه الرأي فيه في جو من المودة الخالصة والرغبة الأكيدة في خير الأمة العربية وإعلاء كلمتها وتحقيق آمالها. وسيقوم حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا بموالاة الاستشارة حتى تتبين وجهة نظر سائر البلاد العربية، تحقيقاً لجمع كلمتها، وعقد مؤتمر يعبر عن إرادتها ويرسم الطريق لتحقيق أمنيتها. والله المسؤول أن يكلل هذا العمل بالنجاح وهو ولي التوفيق.

ونشرت الأهرام في العدد نفسه حديثاً أفضى به نوري السعيد إلى وكالة الأنباء العربية جاء فيه:

لقد تمت المشاورات بيني وبين رفعة مصطفى النحاس باشا في صدد التعاون العربي، وإني لشديد الاغتباط بما انتهت إليه هذه المشاورات من نتائج لها شأنها ومقامها، وسوف يكون لها تأثيرها في القريب بإذن الله.

ولقد كان في طليعة ما عنينا به في هذه المشاورات أن عرضنا لجميع الإحتمالات ومختلف وجهات النظر لا من الناحية المصرية والعراقية وحدها بل من شتى وجهات النظر العربية، وتبادلنا الرأي في هذه النواحي جميعاً على أوسع مدى وأبعد نطاق. وعرضنا بكيفية خاصة لما يحتمل أن يصادف هذه الفكرة الجليلة من عقبات، وما قد نلقاه في سبيل تحقيق هذا التعاون من مشكلات، ودرسنا أسلم الطرق لتذليل العقبات والمشكلات. ونحن في هذه المرحلة الأولى من المشاورات نستهدف التعاون ونرقب نتيجة المشاورات التي يتولاها رفعة النحاس باشا، فقد استقر الرأي على أن يتولى رفعته الاتصال الشخصي بسائر الدول العربية للمشاورة وتبادل الرأي والوقوف على وجهات النظر، حتى إذا اجتمعت لرفعته آراء هذه الدول ومقترحاتها واستخلص منها ما ينعقد عليه إجماعها وتتفق عليه كلمتها، دعا إلى مؤتمر عربي يعقد في القاهرة لبحث المسائل التي يكون قد تم الإتفاق عليها من خلال مشاورات رفعته التمهيدية، وإذا كانت المشاورات التي تمت والأخرى التي يتولاها رفعة النحاس باشا تدور حول التعاون العربي ويراد بها تحقيق أهدافه، فليس ثمة ما يحول دون اختيار تسمية أخرى، سواء أكانت اتحاداً أو تحالفاً أو حلفاً، تبعاً لما تسفر عنه محادثات رفعة النحاس باشا مع ممثلي الدول العربية، فتكون التسمية حينذاك مطابقة لما ينعقد عليه الإجماع واقرب إلى واقع الأمر. وختم فخامته حديثه بتوجيه الثناء العاطر إلى رفعة النحاس باشا على ما أبداه من بعد النظر وحسن تقدير الأمور والرغبة الصادقة في تحقيق هذه الأمنية

التي ينشدها كل عربي مخلص.

وبين سطور البيان الرسمي وحديث نوري يكمن أكثر من احتمال في فشل الوحدة أو الإتحاد السياسي...

3 ـ نشاط اليهود في أميركا وفي فلسطين ودلالاته وآثاره وتصريحات عربية في صدده:

يستفاد من صحف فلسطين التي وصلت إلينا أن اليهود ناشطون في دعاية لحملة واسعة في الدعوة إلى تشكيل حكومة يهودية موقتة مركزها أميركا، لتضمن تركيز اشتراك اليهود في الجهد الحربي وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من يهود أوروبا، ومركزاً لليهود في مؤتمر الصلح، ووسيلة لجعل فلسطين ملجأ ليهود العالم ومركزهم القومي الحاسم. وإنهم يحملون حملات شديدة على الكتاب الأبيض، بل ثائرون عليه بكل وسيلة، وثائرون على أي بحث في صدد تنفيذه، وعلى أي حل يرتكز عليه. ولقد أعلنت الحكومة البريطانية عزمها على وضع مشروع لإعادة بناء وعمران فلسطين على أساسه، فلم تبق هيئة ولا لجنة يهودية إلا وأعلنت رفضها للمشروع سلفاً وإعلان عدم التعاون معه ومقاطعتها له. وهم دائبون على الدعوة إلى التجنيد. ويظهر أنهم مجتهدون في أمر التسلح أيضاً حيث ذكرت الصحف خبر قضايا عديدة في موضوع شراء اليهود سلاحاً من جنود إنكليز وأميركان في فلسطين. حيث يبدو أنهم يستعدون للثورة ضد الإنكليز لإرغامهم على نقض الكتاب الأبيض الذي أصدروه بقوة الثورة العربية.

ويلمح مما نشرته هذه الصحف أن أعصاب العرب متوترة من نشاط اليهود واحتجاجاتهم وتهديداتهم ومترقبون لها. وقد قرأنا فيما قرأناه تصريحاً لسليمان عبد الرزاق طوقان رئيس بلدية نابلس يرد به على وايزمن، جاء فيه: (إنه لا يوجد أي عربي في أي مكان مستعد للتطابق في المطالب الصهيونية أو مسايرتها). وكان وايزمن قال في تصريح له: إذا كان المفتي واللجنة العربية لا توافق على المطالب اليهودية ولا تعترف بوجود اليهود وحقوقهم، فإن في العرب أناساً طيبين مستعدين للسير في سياسة فيصل. ويحلو لوايزمن تكرار ذلك، مع أن زيف هذا القول ظهر وثبت في مواقف عديدة. وقد أثاره اليهود أمام لجنة شو ثم أمام لجنة بيل (الملكية)، وفندناه تفنيداً مفحماً في وقته..

وقرأنا فيما قرأناه تصريحاً لعوني عبد الهادي قال فيه: (إنه يستطيع أن يعلن باسم كل عربي بأن العرب لن يوافقوا على إخراج فلسطين من صبغتها العربية، وعلى مكاثرة اليهود لأهلها العرب، وأنهم مستعدون للدفاع عنها حتى آخر شخص منهم حتى ولو أطبق عليهم جميع العالم).

ولقد أذاع اليهود فيما أذاعوه أن ما أبيد من يهود أوروبا منذ بدء الحرب إلى نصف سنتها الرابعة بلغ نحو ثلاثة ملايين. وقد جعلهم هذا يجأرون ويستغيثون ويطالبون بفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية واسعة لإنقاذ ما بقي من اليهود من الظلم والإبادة، غافلين بذلك عن أنهم يريدون من العالم مساعدتهم على ظلم العرب بهم وجعل هؤلاء يدفعون ثمن ظلم الغرب فيهم. مع أن هذا الظلم الذي تعرض له اليهود هو نتيجة من نتائج أخلاقهم وسلوكهم ضد الأمم التي هم منها ويعيشون فيها، والتي جلبت لهم الأحقاد والإضطهاد..

4 ـ تسجيلات لنا في صدد قضايانا وجهود إخواننا في أوروبا:

وجدنا بين أوراقنا المنفردة ورقة عليها تاريخ شعبان 1362 آب 1943 بدون يوم، وهي تسجيلات في صدد مجرى قضايانا بين أخواننا في أوروبا والمقامات المحورية، في مدى التسجيلات التي وجدناها وأثبتنا نصها في يومية 20 تموز 1943، وفيها تكرار لبعض هذه التسجيلات، ولا نذكر ظرف تسجيلها وباعثه. والغالب أننا تذكرنا أفكاراً وعنّ لنا تعليقات مماثلة بعد أن حمل رسول المفتي جوابنا وسجلنا ما سجلناه من أفكار حول ذلك. ولم نر بأساً في إثبات نصها لتكون رديفة لتسجيلاتنا التي أثبتناها في يومية 20 تموز 1943.

1 ـ لم نستطع أن ندرك من فائدة التصريح المطلوب إعلانه وقيمته العملية، وخاصة في هذه الظروف، إلا أنه فرصة لإدخال أسماء بلاد الشام على الوثيقة الأولى.

2 ـ والوثيقة الأولى نفسها لا تحتوي ضماناً وقطعية. ففي صيغة (الإستعداد للإعتراف بالاستقلال والموافقة على الوحدة حسب رغبة ذوي الشأن من السكان) مجال واسع للتفسير والتعقيد الذي رأينا منه الكثير.

3 ـ ومما أدهشنا أن يغتنم الجنوبيون (الطليان) فرصة طلب التصريح ليدخلوا تعديلات مشوشة ومعقدة على تلك الوثيقة، أو يناقشوا في مسألة كنا نعتقد أنها على الأقل بديهية ومفروغ منها، وهي مسألة إلغاء الوطن القومي. ومن الغريب تعبير (الرفض)، فكأنما هم يمثلون جمعية أو حزباً يحتج ويرفض على طراز ما اعتدناه.

4 ـ والصيغة التي استقرت في الشمال (الألمان) للتصريح احتوت تعديلاً في موضوع الوحدة يزيده تشويشاً. ففي الوثيقة الأولى ووفق على الوحدة (حسب رغبة السكان ذوي الشأن)، وهذا قد يفسر بأن الوحدة مقررة مبدئياً، وأن الرغبة هي في صدد الشكل لا الأصل، في حين أن النص الجديد ذكر: (الموافقة على الوحدة حينما يرغب السكان ذوو الشأن)، وهذا يجعل الأصل لا الشكل هو موضوع الرغبة، ويجعل لكل عنصر وطائفة رأياً مؤثراً، وربما يجعل للقادمين الجدد رأياً محفوظاً أيضاً لأنهم سكان..

5 ـ ومما قرأناه وسمعناه يظهر أن العثرات والعقبات والمداورات قد بدت منذ الأصل، سواء في صدد الوحدة أو التعاقد أو الإعلان والتصريح أو الوعد الصريح، وأنها ظلت مستمرة. وإذا كان هذا هكذا والقافلة لم تتحرك وما يزال ينتظر من العرب أن يساهموا في الجهود حينما يأتي دورهم، ثم إذا كانت الحاجة تمس إلى اللف والدوران من أجل إدخال كلمات توضيحية متفق على مفهومها منذ الأصل، فماذا يكون الموقف حينما يتم النصر ونقف أمام المنتصر ونياته وتعديلاته وتفسيراته وجهاً لوجه؟ وفرق كبير بين النكث في عهد صريح محدد وبين التمحل والتفسير في وثيقة مطلقة مطاطة. كان الله بعون هذه الأمة ومن قدر عليهم أن يحملوا أعباء قضيتها.

ونتسائل بعد هذا عن مبعث ووجه تلك التنظيمات القوية التي بدأت تصل إلينا منذ الأشهر الأولى، وما قيل منذ البدء من أن الإتفاق قد تم على الأسس والصيغة، وأن الأمور قد حلت على ما يرام. فلا نجد جواباً وشيئاً راهناً

إلا القناعة النفسية التي قامت على المسموعات والمظاهر والمشافهات في معرض الأحاديث والإجتماعات، وهو لا يصح أن يكون أساساً في هذه الأمور.

7 ـ ولقد كانت الظروف والوقائع تبعث فينا المخاوف والتطير، وهي التي أملت علينا ما كتبناه واقترحناه في شتى الظروف، وأملت علينا الإقتراح بالإنسحاب إذا ظل التعقيد والتهرب من الصراحة قائمين، وجعلنا نرجو الشيخ حسن أبو السعود بإبلاغ ذلك. وما جرى إلى الآن لم يغير من هذا شيئاً ولا ما يثيره من المخاوف والريب، بل طرأ عليه من المواقف والمشاهد ما يزيده إخافة وريبة.

8 ـ والشيء الذي يمكن أن يفيد أن تسنح الفرصة لإثارة موضوع التعاقد الصريح على الأسس المقررة، أو على الأقل لأخذ عهد من طرف واحد يتضمن هذه الأسس نفسها بقطعية وحسم، إذا اعتذر بأسباب فنية وحقوقية عن التعاقد. وهذا هو الذي يفيد إعلانه في أي ظرف، وخاصة حينما تتبدل الظروف القائمة.

9 ـ ومن المهم المفيد أيضاً بذل الجهود حينما تسنح الفرصة لأخذ عهد رسمي باشتراك مندوبين رسميين من العرب ـ الدولة الجديدة أو الدولة العراقية ـ في مؤتمر الصلح، لتوثيق مطالب العرب وأهداف القضايا العربية وكفالة حقوقهم على ما اقترحناه على الإخوان في كتبنا.

ولقد أعطى السكسونيون عهداً في بلاغات رسمية لكل من مصر والعراق بذلك، فيجب أن يكون من المحور مثل ذلك بالمقابلة.

10 ـ وما زلنا نعتقد أن توحيد البارزين هناك في لجنة قومية يكسب الموقف والقضية قوة، ويفتح المجال لسنوح الفرص والإستفادة منها، وأن هذا يتحمل التساهل والجهد أيضاً. وهو ما ألمحنا إليه في كتبنا إلى الإخوان.

***

السبت 21 آب 1943
18 شعبان 1362:

1 ـ حول مؤتمر شرشل وروزفلت في كندا والموقف بالنسبة لروسية:

ما تزال زيارة شرشل وروزفلت لكندا وما جرى بينهما من أبحاث من أهم أحداث هذه الفترة التي شغلت الصحف والإذاعات. وقد أذيع أن وزير خارجيتي الدولتين أيضاً التحقا بالرئيسين. ومما أذيع احتمال ذهاب الوزيرين إلى موسكو لإبلاغ ستالين نتائج المداولات وأخذ موافقته عليها، وتطمينه عن عزم الرئيسين ورجال الدولتين على احترام آرائه ومطالبه ورغباته. وأذيع فيما أذيع أن القصف الجوي على ألمانيا وممثلاتها سيشتد طيلة الصيف والشتاء، حتى يتم تدمير المراكز والمنشآت الصناعية والحربية والإقتصادية، وتتزلزل روح الشعب وتنهار ألمانيا وتستسلم. كما أذيع فيما أذيع احتمال التشديد على إيطالية بسبيل احتلالها وإنهاء أمرها. وأن زعماء الدولتين اتفقوا على الأسلوب الذي يسار عليه في إدارة البلاد التي سوف تحتلها جيوشهم في إيطالية وغيرها من البلاد الأوروبية حينما يتم إجلاء الألمان عنها، وكيفية مواجهة المشاكل والمصاعب المنتظرة خلال ذلك.

ومما أذيع أن ستالين وجه رسالة إلى روزفلت وشرشل ألح فيها عليهما الإسراع في فتح جبهة غربي أوروبا، وقال لهما إن روسيا لا تستطيع أن تستمر في حمل العبء ولا تأمين معيشة الجيش والشعب إلا بذلك، حيث يضطر الألمان إلى سحب ستين فرقة على الأقل من الجبهة الشرقية، فيتسنى بذلك استمرار الزحف الروسي واسترجاع الأراضي الروسية المحتلة وخاصة حقول أوكرانيا التي عليها المعول الأكبر في تخفيف أزمة المعيشة المشتدة.

وأذيع مما أذيع أن روزفلت وشرشل ورجالهما لا يزالون يريان أن الأفضل الانتظار إلى الربيع من أجل فتح الجبهة المطلوبة، والاكتفاء بإنهاء أمر إيطالية من جهة والتشديد في القصف الجوي من جهة أخرى إلى الربيع. وأذيع فيما أذيع أنهم بحثوا مواضيع ما بعد الحرب ومصير الدول الصغيرة في شرق أوروبا وجنوبها وفي حدودها، وفي مصير المستعمرات الطليانية في أفريقية، وفي الشروط التي يجب أن تطلب من دول المحور حينما لا تجنح إلى الإستسلام. وأنهم قرروا تشديد النشاط الحربي في جبهة الشرق الأقصى استهدافاً لاسترجاع بورما ومساعدة الصين وتحطيم الأسطول الياباني.. وعنصر الدعاية والتعمية في ما يذاع ملموح بقوة، ومن الصعب استخلاص حقيقة منه. غير أن حقيقة تبدو محتملة في ما جاء في صدد مطالب روسية وأزمة المعيشة فيها، وإلحاح روسية على التسريع في فتح الجبهة لمعالجة ذلك.

ومما هو جدير بالذكر ما تنقله صحف تركية عن صحف ومجلات روسية من النبذ التي فيها تذمر من تباطؤ السكسونيين في فتح الجبهة وعتب شديد، وقول كتّاب هذه الصحف والمجلات أن السكسونيين يريدون كسب النصر بأقل ما يمكن من التضحية من جانبهم، وأنهم يتركون روسيا وألمانيا تتصارعان ليحطما

بعضهما ليحتفظوا بجيوشهم قوية سليمة ليكون لهم الإملاء في النتيجة، ويكتفون بالقصف الجوي من جهة والدعاية الواسعة من جهة أخرى. .

2 ـ حول موقف وحالة إيطالية المتناقضة:

وموقف إيطالية ما يزال على حاله، فهي رسمياً مستمرة في حالة الحرب لجانب حليفتها. وقد أذيع عن لسان وزيري خارجية بريطانية وأميركا أن الحلفاء لم يتلقوا أي طلب بشأن هدنة أو صلح. ومما قاله المذيع أو المعلق في إذاعة لندن أن الحلفاء يقدرون ثقل الإستسلام بدون قيد أو شرط على رجل عسكري مثل بادوليو، وأنهم مستعدون للنظر في شرط الهدنة التي يراها إذا ما كان يرغب في الهدنة. وفي هذا القول إغراء من جهة وتراجع عن ما كان من موقف متشدد من جهة أخرى.

ومما أذيع في هذه الأثناء عن إيطالية أنها تريد إعلان روما كمدينة مكشوفة، وأنها تواصل السعي في سبيل ذلك، وأن بادوليو نفسه طلبه مرة بعد مرة، وأن الحلفاء يشترطون بقبول ذلك أن تجرد روما من كل مظهر أو وسيلة حربية أو ما قد يمت إلى ذلك من مصانع تعمل لصالح الحرب في روما وضواحيها، ولو لم تكن مصانع سلاح، وأن توقف أي نقليات على خطوط إيطالية الحديدية بين روما وغيرها من مدن إيطالية لها علاقة بالحرب وإدارتها، وأن تنقل كل مؤسسة أو إدارة لها علاقة كذلك بالحرب وإدارتها منها. . وأن الحكومة الطليانية ترى في هذه المطالب تعجيزات ومصاعب وأنها في حكم رفض الطلب.

ومما لا شك فيه ان الطلب في حد ذاته خطوة إلى الإستسلام بشكل من الأشكال.

3 ـ إنهاء حرب صقلية بالنصر السكسوني والإنسحاب المحوري:

في تاريخ 27 اغسطس 1943 انتهت حرب صقلية (سجليا) بإعلان دولتي المحور إنسحاب جيوشها منها، لأن القوى التي غرب الجزيرة تفوق قواتهما أضعافاً مضاعفة بالعدد والعُدد، مما جعل المقاومة عبثاً.

وفي نفس التاريخ احتل الحلفاء سينا، وأصبحت الجزيرة كلها تحت إحتلالهم. وقد نوه البلاغ الألماني بشجاعة القوات الألمانية على قلتها، وبما كان منها من مقاومة باهرة. ثم نوه بأسلوب الإنسحاب والمهارة الفائقة فيه، وقال في صدد ذلك أن الجيوش المنسحبة تمكنت من سحب كل عناصرها ومهماتها الثقيلة ومواد إعاشتها ومرضاها وحتى الأسرى التي كانت في يدها من قوات الحلفاء. .

ووجه بادوليو رسالة إلى الشعب وإلى أهل الجزيرة ضمنها كذلك تنويهاً ببطولة الجيش الإيطالي وبقوة روح أهل الجزيرة وشجاعتهم وصبرهم، وقال لهم أن الأمة الطليانية معهم في ضرّائهم ، وأن مهاجريهم سيلقون كل رعاية وعطف. والمراقب لا يستطيع أن يمنع نفسه من الضحك والعجب من تنويه بادوليو بشجاعة وصبر وبطولة القوات الطليانية التي أثبتت جميع الوقائع عكسها على طول الخط. فحينما غزا الحلفاء الجزيرة كان فيها من القوات الطليانية ما يضارع القوات الغازية، وهم في موقف دفاع، فكان حتماً لو رزقوا شيئاً من البطولة والشجاعة أن يردوا الغزوة، ولكنهم منذ خطوة الغزو الأولى

أخذو يستأسرون ويتراجعون، وبلغ عدد أسراهم في الأسبوعين الأولين مائة ألف. ولولا قبضة من الألمان وقفت وقاومت بكل شدة في الأنحاء الشمالية لما استمرت المقاومة نصف المدة التي استمرت فيها. وتزلزل أعصاب الطليان بسبب حوادث صقليا وأفريقية والقصف الذي قصفت بلادهم به، مع أنه تافه إذا ما قيس بقصف الألمان لبريطانية. وقصف بريطانية لألمانيا أكبر برهان على تفاهة الشأن العسكري الطلياني.

ولقد سمعنا فيما سمعنا أن قوات الطليان في الجزيرة وفي أفريقية حينما كانوا يدخلون في معركة أو زحف كانوا أول ما يفكرون فيه إعلان الراية البيضاء في أول صدمة ثم التراجع. وسمعنا فيما سمعنا أن تراجع غرازياني الأول في أفريقية كان عملاً خيانياً حكم عليه، وأنه مسجون في إيطالية. وسمعنا في ما سمعناه أن مال السكسونيين يلعب أكبر الأدوار في إيطالية وأفكارها ودوائرها الحكومية. وكل هذه وقائع ومشاهد تدل على انحطاط الأخلاق والروح والوطنية أكثر مما كان في فرنسة وكان سبب كارثتهما. فإيطاليا خارت ولم يقع فيها ربع ما وقع على فرنسة.

ومما سمعناه أن ضباط الألمان ليسوا فقط غير آسفين، بل إنهم مسرورون من خلاصهم من عبء هذا الحليف الميت الذي يجر قدميه، وهو يتلفت إلى الوراء. وأنهم ـ الألمان ـ يهنئون أنفسهم ويقولون انهم الآن صاروا أحراراً نشيطين.. ورغم كل هذا الخور والموتان، فقد كان لهم من المطامع والدعاوى والتبجحات ما يملأ النفس عجباً ومرارة. ولقد سمعنا أن ثمانية آلاف موظف طلياني كانوا متهيئين مع جيش رومل لاستلام مقاليد الأمور في مصر. ولا شك في أن مثل هذا كان مبيتاً للبلاد السورية أيضاً..

ومهما يكن من أمر فقد قلنا قبل أن معركة صقلية هي محك للطليان. وقد كانت كذلك، ونتج عنها هذه الزلزلة التي أودت بموسوليني. ونعتقد أن المحاولات التي قد يحاولها الحلفاء في الإنزال إلى سواحل إيطالية ستنجح على أهون سبيل أيضاً.. ولعل في عاقبة إيطالية هذه خير للأمة العربية في المشرق والمغرب معاً.

4 ـ انتخاب شكري القوتلي لرئاسة جمهورية سورية وحكومته الجديدة وتعليق:

في اليوم السابع عشر من هذا الشهر اجتمع مجلس النواب السوري وانتخب بما يقرب الإجماع شكري القوتلي رئيساً للجمهورية. وهذا ما كنا نتوقعه بعد ما رأيناه من اتجاه الرأي إليه والدعوة بزعامته، وما أخذ يبدو منه من تصريحات الترفع عن الحزبية.. وسمعنا أمس أن الوزارة تألفت برئاسة سعد الله الجابري، وضمت كلاً من جميل مردم ولطفي الحفار ومظهر رسلان وعبد الرحمن الكيالي وتوفيق شامية ونصوحي البخاري وخالد العظم. وهكذا تكون الكتلة الوطنية قد عادت سيدة للموقف، والوزارة قوية، وفيها شخصان جديدان لا بأس فيهما ويمكن أن يرضيا الأوساط المستقلة وهما نصوحي وخالد. وقد يغضب العلويون والدروز أو الطامعون فيهم، لأنهم لم يفرز لهم مركزان كما فعل الشيخ تاج. غير أن الصواب فيما كان، لأن الحركة القومية لا يجوز أن تتعرف على لون طائفي إسلامي. وظاهر العهد الجديد يبعث على الابتهاج، لأن القائمين به هم الهيئة القومية

المناضلة، وانتصارهم هو انتصار للحركة الوطنية القومية واندحار المظاهر والزيف والخديعة والنفاق التي كانت تمثل رغبات المستعمر. وهذا ليس جديداً، حيث كان يظهر كل ما سنحت للبلاد فرصة الحرية عن التعبير عن آرائها. وفي هذا دلالة على قوة الوعي ورسوخ الروح الوطنية والنضالية. . .

نرجوه أن لا يمتحن هذا العهد بما امتحن به عهد الكتلة الوطنية الأول، وأن لا تتكرر الأخطاء والتساهلات التي أودت بذلك العهد وكرامة القائمين به وإسمهم، سواء في إدارة الأمور أم بالنسبة للإفرنسيين ودسائسهم، ولعل وجود بريطانية واشتراكها في الاعتراف بالعهد ما قد جعل إخواننا يرون فيه ضمانة ويقدمون على استلام المقاليد.

وقد أرسلت كتاباً لشكري بتاريخ 19 شعبان 1362 هنأته فيه ودعوت له ولإخوانه بالتوفيق وبأن يكون عهده وطيد الأركان، وأن تقر أعيننا جميعاً بما يتحقق من أماني البلاد فيه من حرية واستقلال وسعادة، وأن يمهد به السبيل للسير في سبيل الوحدة مع العراق. .

5 ـ مقال للتايمس إزاء العهد السوري الجديد ومداه:

ومما يلفت النظر أن جريدة التايمس نشرت مقالاً اقتبست صحف تركية خلاصة عنه جاء فيها تنويه بالعهد الجديد، وأنه مرحلة تنفيذية في سبيل تحقيق استقلال سورية وتمتعها بالحكم الذي ترغب فيه، وأن لهذه المرحلة صلة بما كان من تصريحات بريطانية حينما احتلت سورية سنة 1941. وقد قالت الجريدة فيما قالته أن من المحتمل أن تعقب هذه المرحلة حركة نشيطة في سبيل الوحدة التي يرغب فيها العرب. . وكل هذا له مغزى مهم في موضوع استقلال سورية وموضوع الحركة الوحدوية وموقف الإنكليز منهما.

***

يوم الثلاثاء
31 آب 1943 :

1 ـ ثالث رمضان لنا في تركية وخواطرنا وأشواقنا :

غداً يدخل رمضان. وهذا ثالث رمضان يأتي علينا ونحن في تركية بعيدين عن أهلنا وأولادنا. ومن الغريب أن شعورنا نحوهم شعور الولهان المشتاق الضعيف، وهو ما لا عهد لنا به في محنتنا السابقة، ولا ندري إذا كان لتقدم السن أثر في هذا الضعف النفساني الذي نشعر به الآن أحياناً.. والمساكين في دمشق يظهرون دائماً في رسائلهم وبطاقاتهم مثل هذا الشعور وأشد منه، ويشعروننا بضعفهم وفقدان الأب الرحيم والعم العطوف والأخ الشفيق من بينهم على صغر سنهم وكثرة عددهم. ولهم الحق، ولعل هذا أيضاً من أسباب ما نشعر به من ذلك الضعف ولا حول ولا قوة إلا بالله.

2 ـ حول الحركة الوحدوية ودعوات النحاس وموقف السعودية وتصرفات ونشاط نوري وغيره وتعليق :

منذ ثلاثة أيام نشرت الصحف التركية برقية لشركة الأنباء العربية من القاهرة، ذكرت أن النحاس باشا وجه دعوة إلى حكومات السعودية واليمن وشرق الأردن[1] وأن ابن السعود اعتذر عن إرسال مندوب خاص، وأنه أرسل رسالة ضمنها وجهة نظره بصراحة وتفصيل في صدد الحركة الوحدوية. ولا يرى بعد ذلك حاجة إلى إرسال مندوب خاص. وأن إمام اليمن لم يرسل جواباً، وأن الأمير عبد الله استجاب للدعوة وأرسل رئيس وزرائه. وما زلنا نعتقد أن موقف ابن السعود هو موقف المنقبض الحذر الخائف من مؤامرة هاشمية، ولعله يمزج موقفه هذا بشيء من معنى الغضب لتأخير مفاتحته وتقديم العراق عليه بالدعوة والاستشارة. ولعل ما أذيع عن مساعي نوري في توحيد بلاد الشام في مملكة أو دولة واحدة وكون ذلك متطابقاً مع مساعي الأمير عبد الله ومطامعه في عرش هذه المملكة مما يزيد توجس وتوهم إبن السعود. وكل هذا محسوب في ذهننا ولا نتفاجأ به.

وقد أخبرنا بعض إخواننا أنه قرأ لعوني عبد الهادي تصريحاً نشرته جريدة البالستاين بوست، جاء فيه أن نوري متصل في مساعيه برجالات فلسطين السياسيين، وأن هؤلاء الرجال مهتمون بالحركة الوحدوية السورية والعربية، ويحرصون على أن لا تكون فلسطين خارجة عن نطاقها. ولا نستبعد صدور هذا التصريح عن عوني فرجال فلسطين أحرص الناس على متابعة هذه الحركة ولن يغفلوا عن حمل نوري وغير نوري على الإهتمام بفلسطين وعدم بقائها خارجة عن هذا النطاق.

3 ـ تصريح لسعد الله الجابري عن أهداف وسياسة العهد الجديد وبعض المظاهر الإيجابية.

سمعنا من إذاعة بيروت نبذة من خطاب ألقاه سعد الله الجابري رئيس الوزارة السورية

(1) لترسل مندوبيها إلى مصر للتحدث معهم بشأن الإتحاد العربي.

الجديدة، جاء فيها أن أهم ما تهتم له حكومته هو تثبيت دعائم الإستقلال، وهذا حق بعد ما قاست سورية ما قاسته من أساليب فرنسة ومراوغاتها في عهد المعاهدة. وقرأنا في بعض صحف دمشقية وصلت إلينا أن شكري زار هو وسعد الله ونجيب الأرمنازي هاشم قبل انعقاد المجلس النيابي، ورجوه المساهمة في الدور الجديد بالعودة إلى منصب الرئاسة، وأنه اعتذر وأبدى رغبته في الاعتزال وأصر عليها، وأيد ترشيح شكري للرئاسة. وقد ابتهجت لهذا الخبر الذي يعبر عن عمق فهم هاشم وروحه النبيلة.

وقرأت فيما قرأت أن المنفيين من رجالات سورية أخذوا يعودون، إذ أطلق سراح من كان معتقلاً منهم، ومنهم أسعد هارون وعبد الهادي المعصراني وفريد زين الدين. وهكذا أخذت الصورة المبهجة التي كانت إثر قيام الحكم الوطني السابق في سنة 936 تتكرر، ونرجو أن تتسع وأن لا يطرأ عليها ما يعكرها. .

4 ـ غداً تدخل الحرب سنتها الخامسة وتعليق على ذلك:

غداً تدخل الحرب سنتها الخامسة، وكان هذا موضوع تعليقات عدد من الصحف التركية وغيرها مما تنقله هذه الصحف ويذاع من الإذاعات. وقد استعرض المعلقون في هذه المناسبة صفحات الحرب وأطوارها، وكيف رجحت كفة الحلفاء بعد أن كانت كفة المحور هي الراجحة. وركز بعضهم على أن هذا نشأ في الدرجة الأولى من اشتباك الألمان بحرب مع الروس. ورأوا في ذلك خطأ هؤلاء واغترارهم بقوتهم وما كسبوه من انتصارات، وأن ذلك الإشتباك كان أعظم فرصة استغلها السكسونيون أعظم استغلال بالإستعداد العظيم الذي أكملوه، وبالأضرار الفادحة التي أنزلها الروس في آلة الحرب الألمانية. وقد قورنت الحالة بين ظروف هذه الحرب وظروف الحرب العالمية الأولى. ومن العجيب أن يكون بينها تشابه عظيم في البدء والسير والموقف الحاضر. ولو كان هناك بعض الفروق أيضاً. فالألمان استطاعوا أن يخلصوا في الحرب السابقة من الروس، وأن يحصروا جهودهم في الجبهة الغربية، وفي هذه الحرب استطاعوا أن يخلصوا من الإفرنسيين. وفي أوائل السنة الخامسة من الحرب السابقة وقف الألمان موقف الدفاع وبدأ التضعضع على حلفائهم. وفي أوائل السنة الخامسة من هذه الحرب أيضاً وقف الألمان نفس الموقف وبدأ التضعضع على حليفتهم الكبرى إيطالية. والفارق المهم هو أن حيوية الروس ما تزال على نشاطها، بينما حيوية السكسونيين واستعدادتهم عظيمة جداً، وهم في سبيل فتح جبهة ثانية وإجبار الألمان الذين يحملون عبء الحرب وحدهم على الحرب في جبهتين إلى أن تنتهي الحرب.

* * *

يوم الخميس
9 أيلول 1943:

1 ـ عقد الهدنة بين إيطالية والسكسونيين وما جرى في صدد ذلك:

فوجئنا أمس بإذاعة حادث من أعظم أحداث الحرب، وهو عقد الهدنة بين إيطالية والحلفاء على أساس التسليم بدون قيد أو شرط نزولاً على طلب الحلفاء.

وقد أذيع بلاغ صادر من أيزنهاور القائد العام الأميركي لقوات الحلفاء، جاء فيه أن إيطالية قد طلبت عقد هدنة بينها وبين الحلفاء، وقد قبلت طلبها بصفتي القائد الأعلى لقوات الحلفاء، واقترنت شروط الهدنة التي اقترحتها على إيطالية بموافقة حكومات بريطانية وأميركا والإتحاد السوفياتي. وقد تم توقيع الهدنة من قبل ممثلين عني وعن المارشال بادوليو، ودخلت في حيز التنفيذ اعتباراً من تاريخ البلاغ. وانتهت الحرب بين جيوش الحلفاء والجيوش الطليانية، وقوات الحلفاء مستعدة لمظاهرة الطليان إذا رغبوا بأي عمل من شأنه إخراج القوات الألمانية من الأراضي الطليانة.

وأذيع في الوقت نفسه خطاب للمارشال بادوليو موجه إلى الأمة الطليانية جاء فيه: (إن الحكومة الطليانية التي قررت عدم إمكان الإستمرار في الحرب مع قوات العدو المتفوقة تفوقاً هائلاً، قررت طلب الهدنة من القائد العام للقوات المتحالفة الجنرال أيزنهاور تفادياً من تعرض الأمة والبلاد لأضرار أعظم مما أصابهما)، وقد قبل هذا الطلب، وستتوقف الحرب ضد هذه القوات في أي مكان من القوات الطليانية. وهذه القوات ستحارب مع ذلك كل عدوان يقع عليها من طرف آخر.

وأذيع بيان من الحكومة البريطانية هذا نصه: (إن الجنرال أيزنهاور قد أبلغ بعد ظهر هذا اليوم أن الحكومة الطليانية قد استسلمت بدون قيد أو شرط. وأن هذا أمارة بارزة على ضعف جانب المحور وقواته، ستزيد من طمأنينة الأمم المتحالفة. والهدنة التي وقعت قد وقعت من مقامات عسكرية. وهي لا تعدو أن تكون وثيقة عسكرية، وليس فيها أي شروط سياسية واقتصادية، وهذه الشروط سوف تبلغ للحكومة الطليانية في ما بعد. كما أن نصوص وشروط الهدنة العسكرية سوف تظل سراً في الوقت الحاضر).

وأذيع خطاب موجه من قائد القوات البحرية السكسونية في البحر الأبيض إلى الأسطول الطلياني جاء فيه: (إنه يجب على القطع البحرية الحربية والتجارية الطليانية أن تغادر مراكزها حالاً إلى طرابلس الغرب أو مالطة أو الإسكندرية أو حيفا، لئلا يستولي عليها الألمان. وستجد هناك ما هي في حاجة إليه من وقود ومعدات. وعليها أن ترفع علماً اسود لتعرف به).

وأذيع خطاب من قائد قوات الشرق الأوسط الجنرال نلسون موجه إلى القوات الطليانية في البلقان جاء فيه: (بما أن الحرب قد توقفت بين قوات الحلفاء وإيطالية، فيجب أن تمتنعوا عن أي عمل عدائي ضد أهل البلاد التي أنتم فيها، وأن تلتزموا الإنضباط، وأن لا تسلموا سلاحكم

للألمان أو أنصارهم، وأن لا تطيعوا ما يصدر إليكم من أوامر منهم).

وأذيع من هذا القائد خطاب موجه إلى الأمة اليونانية جاء فيه: (عليكم أن لا تعاملوا القوات الطليانية معاملة أعداء، وأن لا تحولوا دون عودتهم إلى بلادهم، وأن تحافظوا على الهدوء والنظام).

وقد ألقيت من الجو على البلاد الطليانية منشورات جاء فيها:

« أيها الإيطاليون: إن إيطالية المعاضدة الآن بقوى الحلفاء قد سنحت لها الفرصة الآن لأن تنتقم لنفسها من أعدائها الذين أرهقوها بظلمهم وجروها إلى الحرب، وأن تطرد العدو الخارجي من أرضها. وعليكم اتباع هذه الأوامر التي سيساعد تنفيذها على خلاص أوروبا بعد أن وصلت الحرب إلى هذا الدور الذي وصلت إليه:

1) ساعدوا قوات الحلفاء في كل مكان محتل من الألمان ونفذوا كل أمر تصدره لكم هذه القوات حرفياً.

2) لا تفعلوا أي شيء من شأنه مساعدة الألمان.

3) أرفضوا بهدوء ونظام أن تكونوا شركاء للصوص والمعتدين، وأظهروا اتحادكم ومقاومتكم القومية.

4) قوموا الآن ولآخر مرة ببطولة، فإن ما سوف تظهرونه من روح المقاومة والتمرد تجاه الألمان في الأسابيع القادمة سيكون من شأنه قطع خطوط المواصلات الألمانية والمساعدة على خلاصكم وخلاص أوروبا.

ومما أذيع أن الهدنة وقعت في صقليا في الثالث من هذا الشهر، وأن إعلانها أجل بعض أيام لاتخاذ الاحتياطات ولتفادي المفاجآت.

وأن بادوليو أرسل نسخة من خطابه الذي وجهه إلى الشعب الطلياني إلى صقليا لإذاعته منها، لاحتمال تصدي الألمان في روما ومنع إذاعته.

ومما أذيع كذلك أن الاتصالات بشأن الهدنة والصلح قد بدأت منذ أوائل آب، ودخلت في أطوار متنوعة من الجذب والدفع، وأن الطليان كانوا يحاولون الحصول على شروط يضمنون لأنفسهم فيها بعض المكاسب والمعاملة الحسنة، فاصطدموا برفض الحلفاء، وأن الحلفاء حينما أنزلوا قواتهم إلى جزيرة صقلية وأخذت تستولي على المدن الساحلية ثم تتقدم، وبالنتيجة استقرت، وقرر الألمان والطليان الإنسحاب إلى خط دفاعي آخر. ثم لما شدد الحلفاء نيرانهم الجوية على المدن الطليانية انهارت مقاومة الحكومة الطليانية بعد أن كانت مقاومة الشعب ومقاومة الجيش معاً انهارتا، فلم يعد بد للحكومة من طلب الهدنة، فجرت اتصالات في صددها في أرض حيادية إلى أن تم الاتفاق وأعلن خبرها الأول من صقلية. .

والحقيقة أن المراقبين ونحن منهم توقعوا هذه النتيجة منذ سقوط موسوليني، وما كان من إنقلاب الطليان وانهيارهم بعد سقوطه خاصة.

ومن أغرب ما في الموقف انفلاج الأسطول الطلياني الذي مايزال قوياً، وكان في استطاعته أن يلعب دوراً مهماً. . ولكن انهيار الروح والخلق والأعصاب لا يوقفه شيء. ولا نرتاب في أن أموال السكسونيين لعب أكبر الأدوار في هذا الإنهيار، كما أن الاستسلام على هذا الوجه المهين مع ما بدا من الجيش الطلياني من مواقف مخزية سابقة سيكون كل ذلك سمة عار

خالدة على هذه الأمة التي كان زعماؤها يملأون الدنيا ضجيجاً وصراخاً بالعظمة والقوة، والتي كل ما فعلته منذ ثلاثين عاماً هو عدوان الإنزال على الأمم الضعيفة، وعدم التورع عن إيقاع أسوأ أنواع الأذى والقسوة فيها. ثم خيانتها الأولى لحليفتها ألمانية في الحرب السابقة وانقلابها ضدها. وقد جاءت هذه الخيانة عاراً أكبر، ولاسيما إذا انقلبت على حليفتها وحاربتها كما هو المفهوم من روح البلاغات المذاعة من بادوليو والسكسونيين معاً. وهؤلاء الآن يحرضون الطليان علناً على الألمان ويشجعونهم لإظهار بطولة ولو لمرة أخيرة ضد الألمان، وهي البطولة التي لم تكن فيهم ضد السكسونيين.

وظاهر أن طلب الطليان الهدنة لا يقاس مع طلب فرنسة الهدنة. ففرنسا طلبتها بعد أن انكسرت في ميادين الحرب ومعاركها الكبرى، وبعد أن أسر نحو مليونين من جيشها، وبعد أن اخترقت حصونها واحتلت بلادها وتركها حلفاؤها ورجعوا إلى بلادهم.. وكل هذا لم يكن منه شيء كما هو ظاهر بالنسبة لإيطالية. كما أن ظواهر الأحوال تدل على أن هناك شيئاً من الخيانة أو تبييتها في عمل بادوليو. ولم يكن شيء من هذا في موقف المارشال بيتان. وبيتان لم يهادن بدون قيد أو شرط، بل حصل على شروط شريفة كريمة..

ولقد ذكرنا قبل قليل أن الحلفاء لم يخطو إلا خطوة ضيقة في البر الطلياني. وتوضيحاً لذلك نذكر أن الحلفاء أنزلوا في أوائل الأسبوع الفائت بعض قواتهم إلى ساحل طلياني جنوبي، وكان ذلك في جبهة ريجو المقابلة لمضيق سينا، وقد استطاعوا في خلال أربعة أيام أن يثبتوا قدمهم وأن يتقدموا نحو ثمانين كيلومتراً طولاً وستة عشر كيلو متراً عرضاً، وأن يستولوا على عدد كبير من مدن الساحل دون مقابلة تذكر في النقاط الأمامية، ثم انسحبت قوات الطليان من كالايرما إلى خطوط دفاعية. وكان يظن أن الطليان لن يستسلموا بالهين، وأن النازلين سيلقون مقاومة شديدة تجعلهم يرون أن احتلال إيطالية ليس هيناً كما كان أمر صقليا. وظهر أن كل هذا كان للتعمية، وأنه بينما كان يقال ويذاع عن دفاع وعن مقاومة قوية، كانت مفاوضات الهدنة تسير سيراً حثيثاً ثم يوقع عليها وتعلن..

ولقد كان الناس مستغربين امتداد إقامة شرشل في واشنطن، ويتكهنون الأسباب، ويخمنون فيما يخمنون أن هناك بحثاً في ما بحث أن يعرض على إيطالية من شروط ثم صار يذاع أنه ينتظر أحداث مهمة، وأن شرشل ينتظر أخباراً عظيمة، وظهر أن هذه الإقامة بسبب مفاوضات الهدنة الطليانية، أو أن هذه من أسبابها المهمة.

وطبيعي جداً أن تثير هذه النتيجة ابتهاجاً عظيماً في البلاد والشعوب السكسونية والمتحالفة معها. فقد قضت على ركن مهم من أركان المحور، وقد يقع من هذا الركن موقف بغيض يزيد في حرج الركن الثاني الأهم. وستقوى أعصاب السكسونيين ومن معهم وأملهم بالنصر النهائي وقربه، وستجعلهم يصبرون وينشطون. وهذه أمور مهمة ولاريب بعد أن مر على الحرب أربع سنوات. ولسوف يكون لهذا الحادث صدى وأثر عميقان في البلقان وفي حلفاء الألمان الصغار مثل فنلندا وبلغاريا ورومانيا والمجر، وقد يضعضع معنوياتهم أو بعضهم. ولاسيما أن بلغاريا اليوم في أزمة داخلية لحرمانها من اليد القوية التي

كانت تسيرها وتشد أعصابها وهي (الملك)، وقد يؤثر على أفكار الألمان ويشوشها ويزعزع معنوياتهم قليلاً أو كثيراً. وفي كل هذا ربح عظيم للسكسونيين وجرح عظيم للألمان. ولقد صار من السهل على السكسونيين أن يحتلوا جميع جزر البحر الأبيض، لأن الطليان هم الذين يحتلونها. كما صار من السهل الإنزال إلى بلاد اليونان وإنقاذها من الإحتلال الطلياني وإنقاذ يوغوسلافية وألبانيا من ورائها. . .

2 ـ إعادة المؤسسات الرهبانية والطقوس المسيحية في روسية:

من الأحداث التي لفتت النظر ما أذيع عن عزم ستالين على السماح بعودة المؤسسات الرهبانية الأرثوذكسية وبعودة النصارى الروس إلى ممارسة طقوسهم في كنائسهم التي كانت أغلقت وصودرت. . ومما أذيع أن ستالين استدعى رئيس أساقفة الأرثوذوكس الروس، وأذنه بالسماح بعودة المؤسسات الرهبانية والطقسية. وقيل فيما قيل إن ستالين خطا خطوته هذه تملقاً للصقالبة في البلقان من صربيين وبلغاريين. ومهما يكن من أمر فإن فيها تطوراً في موقف الشيوعية من ممارسة الطقوس الدينية، يضاف إلى التطورات السابقة الذكر المهمة مثل إلغاء الشيوعية الدولية، وقطع الصلة بين الحكومة الروسية والتشكيلات الشيوعية في الخارج، والسماح بعض الشيء بالملكية الفردية صناعة وزراعة وسكنا.

3 ـ زيارة توفيق أبي الهدى لمصر للمشاورة:

أذيع في هذه الفترة أن توفيق أبي الهدى رئيس الوزارة الأردنية جاء إلى القاهرة وحل ضيفاً على الحكومة وجرت بينه وبين النحاس مداولات في صدد الوحدة، ثم عاد بدون تفصيل آخر. غير أن بعض الصحف التركية نشرت برقية لإحدى شركات الأنباء، جاء فيها أن توفيق ركز آراءه أو اقتراحاته على ضرورة توحيد بلاد الشام أولاً، بحيث يقوم بين أقطارها (لبنان وسورية وشرق الأردن وفلسطين) وحدة أو اتحاد برئاسة الأمير عبد الله. وأن الإفرنسيين واليهود يقاومون ذلك لأنه مخالف لمطامعهم ومضر بمركزهم، وأن اليهود خاصة يبذلون جهودهم في الأوساط الأميركية لإحباط ذلك. . .

ومما قرأناه في مجلة المصور أن بريطانية مهتمة لتركيز القضايا العربية وتمكن الدول العربية المستقلة من حضور مؤتمر الصلح، لتكون مؤيدة لسياستها التي قد يكون بينها وبين سياسة بعض الدول تشاد وتضاد حول المنافع والنفوذ في الشرق الأوسط.

وخطر لبالنا أن تكون أميركا هي المعنية، لأنها تبدي نشاطاً كبيراً، وتكشف عن مطامح واسعة في الشرق الأوسط بترولية وغير بترولية، وأن يكون اليهود من ورائها، حيث يكون لهم في ظلها فرصة جديدة تساعدهم على تحقيق مطامعهم التي بدا من إنكلترا رغبة في الحد منها.

4 ـ عتب مغربي محبب في صدد الحركة الوحدوية في المشرق:

ومما قرأناه في صحف مصر برقية صادرة من طنجة طريفة عظيمة المغزى، حيث جاء فيها أن صحف المغرب رددت أخبار المداولات الجارية في مصر في صدد الوحدة العربية وعتبت على إهمال الدولة المغربية العربية المستقلة في هذه المداولات، في حين أنه يجب أن يكون لها نصيب فيها، فهي بلاد عربية مستقلة منذ طويل الأجيال، ولها كل الحق في أن تكون من مجموعة الدول العربية.. وقد أكبرنا هذا الاهتمام والعتب.

***

يوم الأحد
12 أيلول 1943:

1 ـ خطاب هتلر عن هدنة إيطالية وتفصيل ما فعله الألمان في إيطالية كرد فعل لذلك وموقف السكسونيين تجاه ذلك.

أول أمس ألقى هتلر خطاباً حول حادث الهدنة الطليانية أذاعته الصحف أمس، وفيه تنديد ومرارة ورعد وبرق، وقصة دخول إيطالية الحرب وعبئها على ألمانيا. وقد جاء فيه فيما جاء أن المعاهدة التي بين ألمانيا وإيطالية توجب على إيطالية أن تنخرط في الحرب حالما تنخرط فيها ألمانيا، غير أن موسوليني أخبر أن إيطالية غير مستعدة في سنة 1939، فلم يصر على دخوله الحرب إذ ذاك، ولم يعد يطلب منه ذلك. ولكنه هو الذي أبدى استعداده في حزيران 1940 للدخول ودخل من تلقاء نفسه. ومنذ ذلك الوقت وإيطالية عبء عسكري وإقتصادي على ألمانيا. ومن أجل كرامة إيطالية وعيون موسوليني ذهب الألمان إلى أفريقية وأراقوا فيها دماءهم، واضطر إلى المداخلة في حرب اليونان. وقال أنه شعر بالمؤامرة ضد المحور في إيطالية منذ أسقط موسوليني. ومع ذلك صبر وتجاهل ما بدا من بادوليو والملك وقبل بما قطعوه من عهد بالإستمرار في تأييد الحلف والتمسك به. ولما شعر بما يجري وراء الستار في صدد مفاوضات هدنة سألهما فأكدا له بشرفهما أن لا أصل لذلك. وكان ذلك بعد

توقيع الهدنة فعلاً، وقبل إعلانها بيوم واحد. حتى أن رئيس أركان الحرب الإيطالي أقسم بهذا القسم قبل إعلانها بساعات. وهكذا يبيت هؤلاء ما لم يبق له مثيل من الخيانة والغدر وسوء النية. ولن يقع مثل ذلك في ألمانيا، لأنه لا يوجد فيها خائن ما..

وقال أنه منذ سقوط موسوليني وشعوره بالمرارة اتخذ التدابير الضرورية، وأنه قرر أن يسير في سياسة قاسية خشنة مع إيطالية تتناسب مع عظمة خيانتها، لأن ألمانيا هي في حرب موت أو حياة. ولن يسمح لأعدائها وللخائنين أن يطعنوها من الوراء.

وقد أشاد في خطابه بموسوليني إشادة عظيمة، فوصفه أفضل إبن لإيطالية ظهر فيها منذ سقوط الأمبراطورية القديمة. وأنه كان وما زال يفخر بصداقته له.. ثم أعلن أنه أصدر أوامر لرومل في شمال إيطالية ولسكرتيح في وسطها، وللقواد الآخرين الألمان في البلقان وفرنسة والجزر بتجريد القوات الطليانية التي لم تتضامن مع القوات الألمانية من السلاح فأتموا هذه المهمة.

ثم قال: الاستعدادات تامة للدفاع عن خط الدفاع المقرر، ولمواجهة السكسونيين في أرض إيطالية وتلقينهم درساً كافياً. وأشار في خطابه إلى الجبهة الروسية، فاعترف بخطورة الموقف فيها، وقال أن القوات الألمانية اضطرت إلى التخلي عن بعض المراكز والتراجع بسبب ضرورات الفن الحربي، ولكن جبهتها ما تزال كالبولاد ولن يطرأ عليها أي خلل. وقال في النهاية أنه لا يخامره أي شبهة في النصر النهائي في الحرب، وسيرى العالم ذلك في الأيام الآتية.

وعقب ذلك أخذت الإذاعات الألمانية تذيع ما فعله الألمان، وأشار إليه هتلر في خطابه، حتى تذكر الناس به حرب الصاعقة التي امتاز بها الألمان والتي أدهشت العالم في سنة الحرب الأولى، حيث أبدوا نشاطاً عظيماً وحيوية هائلة في إيطالية والبلقان وفرنسة والجزر، وفي البر والبحر، ولم يسع المصادر السكسونية إنكار ذلك، حتى أنه كشف كل دعاياتهم وطنطناتهم. وقد أذيع فيما أذيع أنهم احتلوا روما احتلالاً تاماً، وأنهم احترموا حدود الفاتيكان. وأن الملك وبادوليو وأركان الدولة قد فروا من روما إلى مدن أخرى. وأن من المحتمل أن ينشئوا حكومة في بالرمو.

وقد استطاع قسم من الأسطول الطلياني الحربي والبخاري من النجاة والإلتجاء إلى موانىء سكسونية، واستسلم قسم منه للألمان. وأغرق الألمان قسماً آخر ظل متمرداً وكان في نطاق نيرانهم. وأذيع فيما أذيع أن القوات الألمانية مع الأنصار الكرواتيين احتلوا ألبانيا. ثم أذاع الألمان تصريحاً باستقلالها واستقلال الجبل الأسود، ووعدوا بالسماح لهما بممارسة ذلك حال ما تنتهي الحرب. وقالوا أنهم لا مطمع لهم في أراضيهما، وقد قوبل هذا التصريح بابتهاج من أهل البلدين، واعتبروا الألمان مخلصين ومنقذين على ما أذيع.. ومما أذيع أن الحامية الطليانية في جزيرة رودوس استسلمت للألمان الذين غزوها جواً بالمظليين.

والألمان في الوقت الحاضر مسيطرون على معظم جزر إيجه، وعلى أكثر من نصف إيطالية، وتدل الدلائل على أنهم أنشأوا خطي دفاع فيها، واحد على نهر البو، وثانٍ في جبال الألب.

ولم يقف السكسونيون جامدين إزاء هذه الحيوية والنشاط، حيث سارعوا إلى إنزال قواتهم في أماكن أخرى من السواحل الشرقية والغربية الطليانية. وصارت تذاع أخبار اشتباكات عنيفة بينهم وبين القوات الألمانية، وأذاع مصدر ألماني أن القوات الألمانية هزمت القوات الأميركية هزيمة منكرة في جبهتي تارانتو ونابولي. وهكذا بدأت الجبهة الثانية بين السكسونيين والألمان مباشرة على أرض إيطالية. ولعل ذلك مما سوف يشعر الطليان بمرارة خيانتهم بأقصى مذاقها.. ولقد وجه روزفلت وشرشل خطاباً للطليان دعوهم فيه إلى الحرب إلى جانب أصدقائهم السكسونيين في سبيل تحرير بلادهم من الألمان، وفي سبيل حرية أوروبا وتوطيد العدل فيها، وقالا لهم إن هذا واجب عظيم عليهم يجب أن يؤدوه دون خوف ولا تردد. وأن السكسونيين أقوياء ولسوف يحمون ظهرهم. ووجه أيزانهاور أيضاً نداء للطليان طلب منهم أن يفعلوا كل شيء ويبذلوا أقصى الجهد لقطع مواصلات الألمان بين مراكزهم الشمالية والجنوبية. وقال لهم إذا لم ينجحوا في هذا خلال سبعة أيام وهي أقصى فرصة سانحة، فلا يعود مناص من معارك حامية وحرب شديدة ونضال طويل ودمار شديد في الأرض الطليانية. وقد أثارت هذه النداءات عجبنا، فالذين وجهوها يتجاهلون أن حبل الطليان قد انقطع، وأنهم لو كان فيهم فضل نشاط لما انهاروا ولما خانوا، ولقد تخاذلوا أمام السكسونيين في أول جولة، فكيف يكون أمرهم أمام الألمان، وهذا عدا عن أنه لم يعد لإيطالية جيش محارب، فقد زال فنياً وواقعياً على ما تدل عليه الظواهر والوقائع. ولكن السكسونيين يهمهم أن ينتفعوا بدماء الغير وجهدهم ما أمكن ذلك..

ورسالة أيزنهاور ذات مغزى كبير كما يبدو، فإنه إذا انقطعت المواصلات بين الشمال والجنوب اللذين يتواجد فيهما الألمان فإن جبهتهم ستتفتت، وحينئذ تكون العقبة الكبرى أمام السكسونيين قد زالت.

وعلى كل حال نحن على عتبة شهور نضال عنيف ومسابقة هائلة... والنشاط العظيم الصاعق الذي أبداه الألمان يدل على وثوق تام بالنفس، بل وشوق عظيم لمواجهة هذا النضال...

2 ـ شروط الهدنة حسب إذاعة لندن ومداها وتعليق على ذلك:

ولقد أذاعت لندن اليوم أن من شروط الهدنة المعقودة بين الحلفاء والحكومة الطليانية استعمال الطليان السلاح في سبيل تسهيل مهمة الحلفاء في إيطالية والبلقان، ووضعهم العراقيل في سبيل تحركات الألمان وقطع مواصلاتهم بالقوة، وانضمام الأسطول الطلياني لأساطيل الحلفاء واشتراكه معهم في الحرب، وتسليم جزر كورسيكا وساردينيا والجزر الأخرى التي تمت سيطرة القوات الطليانية في البحر الأبيض عليها. ووضع جميع المطارات في إيطالية والأماكن الأخرى تحت إمرة الحلفاء، وتسريح ما في يد الطليان من أسرى القوات الحليفة. ولسوف يزيد هذا الإعلان مرارة الألمان وحقدهم على الحكومة الطليانية وعلى الشعب الطلياني الذي ساند هذه الحكومة. وحينما تقاس هذه الشروط بما حصل عليه بيتان من شروط حفظ بها كرامة فرنسة وعدم وقوعها في

حرج، ظهر مقدار الانهيار أو التهافت الأخلاقي في الجانب الطلياني..

ولقد كان من جملة الشروط التي وافق عليها الألمان لبيتان هي أن لا يطلب من فرنسة أن تقف أي موقف فيه كيد وضرر مباشرين لبريطانية. ولقد حرص بيتان على إقناع بريطانية بعذرها عن متابعة الحرب، وأخذ موافقتها على ذلك...

***

يوم السبت
18 أيلول 1943:

1 ـ وفاة والدتنا في دمشق ـ رحمة الله عليها:

أول أمس أخذنا كتاباً من راشد دروزه ينعي فيه والدتنا. ولقد أحزننا الخبر حزناً عظيماً، لأننا نعرف أنها ماتت بحسرة بعدنا عنها في آخر لحظات حياتها التي تمتعنا فيها بأسمى عواطف الأم وحنانها. ولقد كنت أخشى ما أخشاه أن تموت فلا نراها ولا ترانا ووقع ما خشيته. فالموت لا يسأل، وليس فيه أي حيلة ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنا له راجعون. وكانت وفاتها ليلة 21 شعبان 1363، ومن حسن الحظ أنه كان في البيت بعض شباب عائلتنا، كما أن فريقاً منهم جاؤوا مسرعين من عمان فسدوا بعض المسد لنا. وقد أخبرنا راشد أن أصدقاءنا من رجال الحكومة الوطنية في دمشق أظهروا عطفاً ومروءة في ظروف الوفاة والجنازة. بارك الله فيهم.

2 ـ مفاجأة جديدة بتهريب موسوليني وما كان من أثر ذلك وتعليق:

وكان في هذه الفترة مفاجأة سياسية مثيرة في صدد موسوليني تضارع مفاجأة سقوطه. حيث أذيع خبر نجاح غستابو الألمان بتهريب موسوليني وعدد من زعماء الفاشيست بواسطة المظليين. وقد أذاعت المصادر الألمانية ظروف

هذا الحادث بما يشبه الفيلم السينمائي. فقد حرصت الحكومة الطليانية على تعمية مقر موسوليني، وكانت تنقله في كل يومين أو ثلاثة من مكان إلى آخر. وقد أصدر هتلر أمره بالبحث عنه وإنقاذه إلى أحد كبار معتمديه في الغستابو، فصدع بالأمر وبث أرصاده، إلى أن عرف في 15 أيلول مقره، فهاجمه المظليون وباغتوا الحراس وأذهلوهم، ثم كسر قائدهم باب غرفة موسوليني ودخل عليه، وقال له أن الفوهرر أمرني بتخليصك فنفذت أمره، وأن موسوليني انفعل وهتف قائلاً إني لم أكن آمل في أن الفوهرر سيبذل كل جهده في إنقاذي، ثم أقام الحراس الذين كانوا تحت رحمة المظليين الألمان وليمة لموسوليني ومنقذيه، فتبادلوا الطعام باطمئنان، ثم صحبوا موسوليني إلى الطيارة التي كانت جاثمة في باحة القصر وطاروا به. وأذيع أن رجال الغستابو والمظليين الألمان أنقذوا بنفس الطريقة الكونت شيانو صهر موسوليني وبعض كبار الفاشيست من معتقلاتهم أيضاً.

ولم تكن مباغتة العالم وذهوله وهيجانه بخبر إنقاذ موسوليني أقل منها بخبر سقوطه. وقد حاولت الأجهزة الألمانية استغلال الموقف على أوسع مدى ظهرت به براعتهم في هذا الميدان.

ولم يلبث موسوليني أن بدأ نشاطه فأعلن عودة الفاشستية على أساس النظام الجمهوري، وأعلن قيام حكومة فاشستية جديدة هو على رأسها في الجزء الأكبر من إيطالية الذي لا يزال في حوزة الألمان. ووجه نداءاته إلى فرق الفاشستية وتشكيلاتها وشبابها والمخلصين لها داعياً إياهم إلى النشاط والحركة، ونداء إلى القوات الطليانية بالانضمام إلى الجيوش الألمانية، وبذل كل جهد وتعاون معها. ولم تلبث آثار دعوته أن تظهر، حيث ظهر أصحاب القمصان السود فرقاً فرقاً يعلنون ولاءهم لموسوليني وتضامنهم مع الألمان ويلتحقون بالقوات الألمانية. وقد بلبلت الحادثة أفكار الطليان بلبلة عظيمة، وأضعفت من قوة وقيمة الملك وبادوليو..

ولقد حاول السكسونيون الرسميون أن يقللوا من قيمة العملية، وأخذت أجهزتهم تذيع أن موسوليني مريض جداً، وأنه في حكم الميت، وأن الألمان لم يمكنوه من حرية العمل، وأنه لن يلبث أن ينشب بينه وبينهم خلاف من جراء ذلك. وأن خيانة موسوليني تبدو الآن واضحة أكثر، لأن الألمان يحتلون ويسيطرون على إيطالية وهو راضٍ بذلك ومتعاون معهم، وأنه إذا فلت هذه المرة فلن يفلت في النهاية المحتومة ولن ينقذه أي منقذ من الوقوف أمام القضاء وتلقيه العقاب الذي يستحقه الخ..

ومع ذلك فإن أجهزتهم تحمل حملات لاذعة على الإهمال الذي أدى إلى نجاح العملية وتوجه اللوم الشديد إلى السلطات الطليانية ولا تكتم مدى ما يمكن أن يقوم في وجه قواتهم من عراقيل إيطالية كانوا يظنون أنها زالت، وتقول أن أسئلة كثيرة يجب أن توجه إلى هذه السلطات حول ذلك. ولقد أذيع أن السكسونيين كانوا قد هيأوا أسباب استلام موسوليني، وكانوا سينفذون ذلك قبل يوم واحد من العملية، وان مصورين سينمائيين وغير سينمائيين استعدوا لأخذ الصور المتنوعة في كيفية استلامه من إيطالية وإركابه بارجة أو طائرة وإرساله إلى أميركا، وأن روزفلت كان حريصاً على ذلك ليتخذه وسيلة من وسائل الدعاية الإنتخابية لروزفلت لمرة رابعة الخ...

ومما لا شك فيه أن السكسونيين أهملوا أمر موسوليني أشد إهمال، وأنهم الآن يعضون بناب الندم على ذلك. وهذا الإهمال غريب حقاً، فالهدنة عقدت في الثالث من أيلول وبقيت خمسة أيام مكتومة، والمفروض أنهم كانوا يريدون تنفيذ أمور كثيرة حربية بحرية وجوية خلال ذلك، وكان ينبغي أن يكون أمر موسوليني من جملة ما فكروا فيه. . .

3 ـ من شروط الهدنة أيضاً:

ولقد نشرت المصادر السكسونية مزيداً من شروط الهدنة وظروف عقدها. وعرف الآن بصورة يقينية أن بادوليو راجع في أمرها منذ أواسط أغسطوس، وأعلن استعداده للانضمام إلى الحلفاء حالما تطأ أقدامهم أرض إيطالية، وأن المداولات باتت تحاط بأشد الكتمان والتعمية، وأنها بدأت في لشبونة ثم انتقل مركزها إلى صقليا، وأن أساسها قام على التسليم بدون قيد أو شرط، مع تعهد الحكومة ببذل جهودها لمساعدة الحلفاء في حركاتهم في الأراضي الإيطالية ضد الألمان. وأن كتم أمر توقيعها كان لأجل تمكن الحلفاء من حشد قواتهم واحتلالهم لسواحل إيطالية، وأن الإحتلال الذي وقع كان بعد توقيع الهدنة. وأن من الشروط تسليم الأسطولين الحربي والتجاري وكل القوات الجوية، والتخلي عن جزر بحر إيجة وكورسيكا، والسماح للحلفاء باحتلال ما يرونه من مراكز ومطارات إيطالية في سبيل الكفاح ضد الألمان وطردهم من أرض إيطالية. وكل هذا متطابق مع التخمينات ويجسد الخيانة والغدر والتآمر بأفظع صورة. .

4 ـ حل الجيش الطلياني بقرار من القائد الألماني:

ومما أذيع أيضاً أن القائد الألماني في إيطالية أذاع بعد إعلان الهدنة بياناً أعلن فيه حل الجيش الطلياني، ودعا الجنود والضباط الطليان إلى الالتحاق بالجيش الألماني ووعدهم بالمكافأة واللباس والطعام وحسن السلاح. وأنه اعتقل في روما وزراء حكومة بادوليو الموجودين فيها لثبوت إشتراكهم مع بادليو في الخيانة والتآمر، وحظر كل اجتماع، وأنذر بتطبيق القوانين العسكرية الصارمة بكل شدة عند كل تخريب وإضراب. وأن قوات ألمانية احتلت ساحة القديس بطرس في الفاتيكان لمنع تسرب الشيوعيين إليها. وهذه عملية عظيمة، لأن معناه أن الألمان لا يبالون بحياد دولة الفاتيكان ولا البابا. ولعلهم كانوا يعتقدون أن للبابا ضلعاً ما في ما تم. ولعل معتمدي الحلفاء لدى الفاتيكان استغلوا حياد الفاتيكان استغلالاً واسعاً في الدعاية وبث الأموال والدسائس في إيطالية حتى تمكنوا من هدمها داخلياً. وقد يكون هذا صحيحاً، فإن الصحف تلوح بميول البابا ومساعيه السلمية وحقده على الفاشيست والنازيين ورغبة في التعاون مع السكسونيين، وتلوح بما كان من فرصة عظيمة لمعتمدي الحلفاء في الفاتيكان، وتمكنهم عبر ذلك من القيام بأعمال عظيمة هدامة في جبهة إيطالية الداخلية، وخاصة عن طريق الرهبان القادمين للبابا والمنبثين في أنحاء البلاد الطليانية وبين طبقات الشعب. ولعل تعيين شيانو معتمداً في الفاتيكان قد استهدف مراقبة هذه الأحوال عن كثب واتخاذ التدابير المقتضية تجاهها.

5 ـ الانتخابات النيابية اللبنانية ونتائجها:

مما سمعناه وقرأناه أن معركة الإنتخابات النيابية في لبنان كانت حامية جداً، وفي بيروت والجبل بخاصة، وسبب ذلك أن الكتل المتعاركة في المعركة متكافئة، وفي كل منها رجال أقوياء بأشخاصهم وأنصارهم، ورئيسا كتلتي الجبل المتزاحمتين هما بشارة الخوري وإميل إده. وقد توازيا في المرحلة الأولى ولم ينجحا إلا في حملة (البالوتاج)، ولم ينجح في المرحلة الأولى من الرؤساء المتقدمين في بيروت إلا سامي الصلح وألفرد نقاش. وسقط جبران التويني وحبيب أبو شهلا. ثم تنازل الأول للثاني فنجح في البالوتاج. وقد نجح في الإنتخابات من المسلمين البيروتيين صائب سلام وعبد الله اليافي وهما ليسا في قائمة سامي، وسقط محي الدين النصولي وكمال خير اللذين هما من هذه القائمة، وقد أذاع جبران التويني بياناً طريفاً عجيباً بإنسحابه، حيث قال أن الانتخابات في المرحلة الأولى كلفته أموالاً كثيرة، وأنه حسب أنها ستكلفه أكثر في المرحلة الثانية، ورأى أن أحواله المالية لا تتحمل ذلك فانسحب لزميله...

وهكذا يكون المال قد لعب دوراً كبيراً في انتخابات لبنان، وهو من أسباب اشتداد المعركة على ما يبدو. والمعركة في جبل عامل وطرابلس لم تكن شديدة لأن الكتل المتقدمة لم تكن متكافئة، فقد نجحت قائمة رياض الصلح في جبل عامل، فتم انتخاب رياض ومعه كاظم الخليل وعادل عسيران. وكانت قائمة عبد الحميد كرامة هي الناجحة في طرابلس الشام..

وقد عتب بعض الصحفيين على كرامة لأنه تضامن في حملته مع إقطاعيين غير ناصعين في وطنيتهم. ولسنا في موقف يساعدنا على معرفة صواب ذلك وخطئه. ومن المنتظر أن يكون الزحام شديداً على رئاسة الجمهورية، وهناك ثلاثة مرشحين لها من الموارنة حسب العرف الطائفي الملعون، وهم إميل إدة وبشارة الخوري وألفرد نقاش. ومع كل منهم أنصار من طوائفهم ومن الطوائف الأخرى. وسامي الصلح متضامن مع ألفرد نقاش. وقد قرأنا له بياناً ينم عن رزانة وعقل وطيبة روح وقلب. ومما ذكره في بيانه أن على لبنان أن يتعاون مع كتلة الدول العربية ونرجو أن يكون الإخلاص للعروبة هو دافعه على هذا القول. وقد قيل لنا إنه حسن الأخلاق وأقرب إلى الفكرة العربية من غيره... وبشارة الخوري يتزعم الحزب الدستوري، وهذا الحزب أيضاً عروبي.. غير أننا لا نزال نذكر موقفاً مخزياً للخوري حينما تنصل من خبر إتفاقه، على أن يدخل لبنان في اتحاد اقتصادي عربي أو سوري على ما ذكرناه في مناسبة سابقة. أما إميل إده فهو ماروني شديد التعصب في لبنانيته ومارونيته ونصرانيته وانحيازه لفرنسة، وبعيد كل البعد عن أي انسجام مع أي بلد عربي أو فكرة عربية. ولا يمكن للمسلمين أن يؤيدوا رئاسته، وتأييدهم لا بد منه في النجاح. ولذلك فالغالب أن الرئاسة ستكون من نصيب أحد الإثنين الأخيرين. وإذا فاز بها ألفرد فتكون رئاسة الوزارة لسامي، مع أننا نتمنى أن تكون لرياض، لأنه الأولى بها في ظروفنا الحاضرة التي تحتاج إلى نشاط وحيوية وسعة أفق رياضي..

6 ـ برقيات تعاطفية بين مصر وسورية في مناسبة العهد السوري الجديد:

قرأنا في الصحف السورية البرقيات المتبادلة بين النحاس ورجال العهد الجديد في سورية، وصيغها عاطفية جميلة وقوية.

ومن برقيات النحاس الجميلة العاطفية برقية لهاشم الأتاسي الذي تخلى عن الرئاسة لزميله في الجهاد شكري القوتلي.

ومما ذكرته هذه الصحف أن النحاس وجه دعوة إلى سعد الله الجابري رئيس وزارة القوتلي ليأتي إلى مصر مع أحد وزرائه للبحث في موضوع الوحدة العربية، وصار من المنتظر أن يذهب قريباً، ولعل جميل مردم يكون رفيقاً له في هذه الرحلة. ولا نشك في أن صوت دمشق سيكون أقوى وأثبت صوت في أمر الوحدة.

ومما قرأناه وأعجبنا به أن ناظم القدسي، وهو عضو في المجلس النيابي، قدم اقتراحاً باعلان المجلس على عطفه وموافقته على الوحدة أو الإتحاد العربي، فأيد الإقتراح سعد الله وصوت المجلس عليه بالإجماع..

ومما أذيع أن الملك فاروق أرسل وفداً برئاسة الفريق فتحي باشا كبير أصحابه إلى سورية لتهنئة رئيس الجمهورية بمنصبه ورجال العهد بعهدهم الجديد، وهذا اعتراف مصري بالعهد السوري الجديد. وكان العراق قد أعلن قبل اعترافه ومباركته.. ومن الجدير بالذكر أن مصر والعراق لم يعترفا بالعهد السابق الذي كان تعييناً من السلطات الإفرنسية الديغولية، سواء في رئاسة أو في حكومة خلافاً للعهد الجديد المنبثق عن إرادة الشعب. وهذا موقف حسن سليم.

7 ـ بيان مشترك عن مشاورات الوحدة بين النحاس وتوفيق ابي الهدى:

نشرت الأهرام في عددها 2 أيلول 1943 بياناً مشتركاً بما تم من المحادثات بين النحاس وتوفيق أبي الهدى هذا نصه:

«تمت اليوم المشاورات التي بدأت بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء المملكة المصرية وبين حضرة صاحب الدولة توفيق أبي الهدى باشا رئيس وزراء شرق الأردن بشأن وحدة الأمم العربية وتعاونها، بعد ثلاث جلسات تناولت المشاورات فيها هذا الموضوع من جميع نواحيه، وبخاصة من حيث الوضع الحالي لشرق الأردن ووضعه المأمول، سواء في ما يتعلق بعلاقته بسورية ولبنان وفلسطين أو بعلاقته بسائر الأمم العربية. وقد دارت المشاورات بروح الحرص العظيم على بذل الجهود لجمع كلمة الأمم العربية وتوجيه أمورها الوجهة التي ترضاها.

1 أيلول 1943».

وقد علق مراسل الأهرام في الإسكندرية قائلاً: «ويرى القراء من هذا البيان أولى إشارة رسمية ترمي إلى الرغبة في تطور مركز شرق الأردن إزاء سورية ولبنان وفلسطين. والواقع أنه كان مفهوماً منذ أيام أن نية المتحادثين تتجه إلى توحيد سورية وإرجاعها بعد الحرب إلى مركزها الجغرافي القديم».

والبيان مع التعليق ذو خطورة، من حيث أن شرق الأردن يبذل جهده لتوحيد أقطار سورية الأربعة، ومن حيث أن مصر تساير هذه الرغبة.

ومما لا شك فيه أن سورية راغبة في هذا التوحيد من حيث المبدأ، ولكن مطامح الأمير

عبد اللّه الشخصية تثير الشك في تجاوب سورية مع هذه المطامح، وبالتالي موقفها من هذه الرغبة..

ومن جهة ثانية فإن مطامع اليهود في فلسطين وخشيتهم من اندماجها في وحدة سورية، لما في ذلك من تأثير في هذه المطامح. وموقف إنكلترة من هذا وذاك، ثم موقف نصارى لبنان وخاصة موارنته ومطامح فرنسة في المركز الممتاز لها في سورية ولبنان وتعكره بوحدة قد يكون لبريطانية دور فيها، كل هذا أيضاً مما يرد كعقبات ومثار شك في تحقيق هذه الرغبة...

8 ـ دعوة النحاس لابن السعود وإمام اليمن وأجوبتهما وتعليق على ذلك:

ومما ذكرته صحف مصر وأذاعته إذاعتها أن النحاس وجه دعوة إلى ابن السعود والإمام يحيى، وأنه جاءه من الأول كتاب يذكر فيه أنه يكتفي في الوقت الحاضر بما أبداه من وجهة نظره في كتاب كان أرسله سابقاً، وأنه جاء بعد ذلك كتاب ثانٍ منه يطلب فيه الأسس والأسلوب اللذين جرى وتجري في نطاقهما الأبحاث والمشاورات. وأن مثل هذا الطلب جاء أيضاً من الإمام يحيى، وأن النحاس أرسل إليهما الإيضاحات اللازمة.

وأن النحاس بالإضافة إلى ذلك قرر إرسال وفد مؤلف من وكيل الخارجية وسكرتير مجلس الوزراء إلى إبن السعود ليطلعاه شفوياً على ما دار في الأبحاث وما استهدفته، وكان الإثنان شاهدين لها..

وهذا الاهتمام من النحاس يثير الفرح، ويكاد يحمل على الأمل بأن الحركة جدية مهما كانت نتيجتها. وعلى التساؤل عما إذا كان الإنكليز راغبين فعلاً في وصولها إلى نتيجة مرضية ما. وهذا ما لا نستطيع أن نقول عنه شيئاً. وإن كان هذا واقعاً من الجانب الإنكليزي فيكون هناك بواعث سياسية هامة تجعل الإنكليز يسايرون الموقف والمطامح العربية، ليكون لهم من المجموعة العربية تكأة في مفاوضات الصلح وما بعد الحرب. ومهما يكن من أمر، فإن مصلحة العرب في ذلك قائمة بل أكيدة..

9 ـ مواقف مصرية إزاء مشاورات الوحدة:

ولقد تتبعنا ما كتبته صحف ومجلات جاءتنا من مصر، فوجدنا فيها تناقضات. حيث يستفاد منها أن هناك فريقاً متحفظاً في موقفه وفي تشجيعه لحركة الوحدة. وهناك فريقاً يقول ببقائها في نطاق مفهوم (الرابطة العربية والتعاون الثقافي والإقتصادي)، ولا يرغب في أي توحد سياسي بأي شكل. وفي هذه الصحف تصريح لطه حسين جاء فيه: (إذا كان المفهوم من هذه الحركة تعاون إقتصادي فهي مفيدة، وإذا كان المراد بها جامعة سياسية أمبراطورية إتحادية فمصر لا ينبغي أن تكون فيها)..

ونرجح أن كثيراً من الأرستقراطيين السياسيين والمفكرين في مصر مثل لطفي السيد ومثل الذين ينحدرون من أصول تركية وشركسية هم من رأي طه حسين. ولعلهم يصدرون من غرور سخيف بأن مصر أرقى وأغنى البلاد العربية، وأن الوحدة تحملها أعباء ومشاكل لا طائل من ورائها لها. وقد تكون مصر غنية وراقية بالنسبة لسائر البلاد العربية، غير أن هذا محصور في طبقة خاصة ثم في عاصمتها الكبرى. أما جمهورها وسائر مدنها فهما أقل من المستوى

الشامي، وليس هو أرقى وأغنى من المستوى العراقي. وفوائد مصر المادية والمعنوية من الإتحاد العربي أكثر بكثير من فوائد غيرها، لأنها هي التي سوف تتبوأ الزعامة فيه وتكسب الوجاهة في العالم والقوة من جرائه.. ولا نشك في أن الجمهور المصري على غير رأي هؤلاء الارستقراطيين والمفكرين، الذين كثير منهم شعوبيون، إذا فهم القضية، فهو طيب القلب والروح ومسلماً صالحاً في الجملة. ونعتقد ان قطاعات كبيرة من المثقفين ورجال السياسة هم أيضاً على غير رأي هؤلاء.

10 ـ محاكمة جنود إنكليز بتهمة بيع سلاح لليهود في فلسطين وتعليق:

في صحف فلسطينية وصلت إلينا تفاصيل عن محاكمة خطيرة متهم فيها بعض الجنود الإنكليز ببيع كمية كبيرة من السلاح للجمعيات السرية اليهودية.. والكمية المكتشف أمرها وتجري المحاكمة من أجلها (300) بندقية و(115) ألف طلقة. ولا شك في أنها ليست الوحيدة. وهذا يعني أن اليهود يتسلحون على نطاق واسع. وأن خطر الإصطدام معهم صار قائماً ماثلاً. كان اللّٰه في عون أهلنا وبلدنا.

11 ـ نشاط وتطلعات فلسطينية إزاء مشاورات الوحدة:

ويلمح مما تنشره هذه الصحف أن رجال فلسطين السياسيين مهتمون لمحادثات الوحدة، ويبدون حرصهم على شمولها لفلسطين ويعلقون عليها آمالاً كبيرة، وأنهم تلقوا توكيدات وتطمينات من النحاس ونوري. وقرأنا لعيسى البندك دعوة أو نداء لرجال السياسة الفلسطينيين لعقد مؤتمر وانتخاب لجنة قومية لتكون مهيأة لتمثيل فلسطين في هذه الحركة. ولا ندري مدى تأثير هذه الدعوة. ولقد كان رشيد الحاج إبراهيم دعا إلى مثل ذلك ثم وقف الأمر عند هذا الحد دون متابعة ودون استجابة.

***

بعونه تعالى

انتهى الجزء الثاني عشر

ويليه الجزء الثالث عشر

سبعة وتسعون عاماً في الحياة

1305 ـ 1404هـ / 1887 ـ 1984م

مذكرات وتسجيلات
محمد عزة دروزة

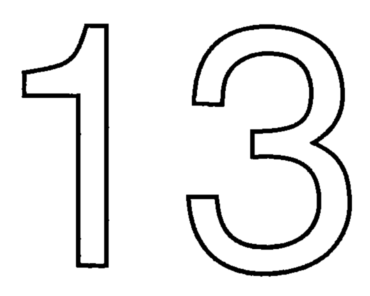

أحداث متنوعة سياسية وغير سياسية،
عربية وعالمية، حربية وغير حربية
أثناء هجرة الكاتب في تركية
ومشاورات الوحدة العربية بين مصر
والدول العربية الأخرى وفلسطين
وتحركات عربية ويهودية فيها وأزمة استقلال لبنان
وسورية مع فرنسة لاستكمال استقلالهما وسيادتهما

27 تشرين الثاني 1943 ـ ذو القعدة 1362
31 كانون الثاني 1944 ـ 1 محرم 1363

الجـزء الثالث عشر

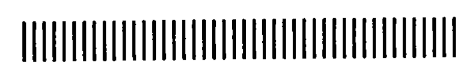

يوم السبت
27 تشرين الثاني 1943
28 ذو العقدة 1362:

تمهيد: قرار بالاقامة الجبرية في آيدين ـ الأناضول:

أسباب خروجنا من الآستانة وقدومنا إلى آيدين، وحادث مداهمة وتفتيش بيت إسحق درويش وإخراجه من تركية مع آخرين، وما بذلته من جهد لتفادي السفر إلى أوروبا مثل إسحق.

هذا بداية **الدفتر الخامس عشر**. والدفتر السابق انتهى بيومية 18 أيلول 1943. وفي حذاء التاريخ واليوم المذكورين أعلاه أتت كلمة (أيدن) أي إننا دونا هذه اليومية في (آيدين) وهي مدينة تركية في الأناضول، بعد توقف عن التدوين استمر نحو سبعين يوماً. لأن رقم الدفتر المدون فيه هذه اليومية (15)، ورقم الدفتر الذي انتهى بيومية 18 أيلول (14).

ولقد حدث معنا أحداث شخصية أدت إلى قدومنا إلى هذه المدينة وشغلتنا عن التدوين كالعادة طيلة هذه المدة. ولم ندونها وبقيت في الذاكرة، ونحن الآن ندون ما بقي في الذاكرة منها.

ولقد بوغتنا صباح أحد الأيام في أوائل تشرين الأول بخبر اعتقال إسحق درويش وظافر الرفاعي (سوري من حلب)[1] وآخرين من سوريين وفلسطينيين موجودين في استانبول لم أعد أذكرهم. وعلمنا أن دائرة الأمن العام داهمت وفتشت بيوت المعتقلين وصادرت ما وجدته من أوراق، وأنها سوف تخرجهم من تركية بعد التحقيق معهم. وفيما نحن في قلق من جراء ذلك أبلغتنا دائرة الأمن أني أنا أيضاً وأخي محمد علي وأكرم زعيتر وسعيد زائد المقدسي وحسن سلامة أحد قواد فصائل الثورة في جبهة يافا الذي استطاع أن يدخل لاجئاً إلى تركية، منذرون بالخروج من تركية أيضاً. وهؤلاء هم الفلسطينيون، بالإضافة إلى معين الماضي ومحمود زائد. وهما لم يكونا د خلا كلاجئين، وكانت إقامتهما عادية فانصرف النظر عنهما. وازعجنا ذلك أشد الإزعاج، لأني كنت دائماً أتحاشى السفر إلى أوروبا، وليس أمامنا إلا أوروبا. وذهبت لمقابلة والي استانبول لطفي بك قردار الذي علمت أنه كردي عراقي في أصله وعطوف على العرب وقضيتهم، والتمست منه إعادة النظر في أمر الإخراج الذي سوف يسبب لنا إزعاجاً شديداً والذي ليس له مبرر من سلوكنا، فأظهر الرجل عطفه، ولكنه قال إن هذا الأمر من العاصمة، وأنه متعلق بالأمن العام وليس له أية حيلة فيه. وتداولنا في الأمر مع الإخوان نبيه وعادل العظمة والأمير عادل أرسلان ومعين الماضي وطه الهاشمي واتفقنا على مراجعة العاصمة. وكان وزير الداخلية وأظن أن اسمه (حلمي) زميلاً لعادل العظمة في الكلية الملكية. وكان سكرتير وزارة الخارجية فريدون قنصلاً لتركية في لبنان، وتعرفت به على غداء في بيت تحسين قدري قنصل العراق في بيروت، كما سبق ان ذكرت في مناسبة ذلك سابقاً، ولمحت فيه عطفاً على قضايا العرب وتفهماً لها. فاتفقنا على أن أذهب أنا وعادل إلى أنقرة ونستعين بهذين الصديقين ذوي المركزين

(1) كان يشكل حزباً سرياً باسم «الحزب العربي».

المهمين.

وسافرنا فعلاً، والتقيت أنا مع فريدون وعادل مع حلمي. وقد قال لي فريدون بصراحة إن الإنكليز يقدمون تقارير ضدنا ويشكون من نشاطنا السياسي، وأن حكومته في موقف لا تحب فيه أن تصطدم بهم من أجلنا. فأكدت له كذب التقارير والشكوى. ولكنه قال إن هذا التكذيب لا يقدم ولا يؤخر، ثم قال ما رأيكم في حل وسط، وهو أن تخرجوا من الآستانة إلى داخل الأناضول، حيث تبتعدون عن عيون الإنكليز وجواسيسهم وتقاريرهم. فوافقت على هذا الحل إذا لم يكن بد منه تفادياً من السفر إلى أوروبا. وأخبرت عادل العظمة بما جرى معي، فأخبرني أن وزير الداخلية قال له مثل قول فريدون لي في صدد وشكوى واحتجاج الإنكليز واضطراراهم إلى مسايرتهم، وعدت أنا إلى فريدون وعاد عادل إلى حلمي، فأكدنا لهما مرة ثانية كذب التقارير والموافقة على الخروج من الآستانة والإقامة في الأناضول إذا لم يكن بد من ذلك، فوعدا بالاتصال بالأمن العام والتفاهم معه على الأمر.

وعدنا وراجعنا الأمن العام، وقد أصرّ هذا على خروج إسحق والرفاعي وآخرين لأنهم وجدوا مراسلات بينهم وبين المفتي وغيره في أوروبا، ووافق على خروجنا من الآستانة وإقامتنا في الأناضول، وعين لي (أيدين) ولأخي محمد علي (إسكي شهر)، ولكل من أكرم زعيتر وسعيد زائد وحسن سلامه مدناً صغيرة أخرى في الأناضول. وكتبت برقية لفريدون التمس منه أن لا يفرقوا بيني وبين أخي على الأقل، وأجيب الالتماس وأبلغنا الأمن العام أني سأكون أنا وأخي في أيدين. ولم يطلب الأمن العام من زهير الذي كان يعيش معنا في الآستانة الخروج، لأنه لم يدخل كلاجىء ويقيد في سجلات الأمن العام. ولكن لم يكن بد له من الذهاب معنا.

هذا، ولقد كان الحاج أمين أبلغ إسحق أنه عقد فرضاً مع الألمان هو ورشيد لنفقات القضية ورجالها أثناء الحرب، وأنه سوف يرسل مخصصات للذين هم في الآستانة من هؤلاء. وتداولنا في الأمر فلم نر بأساً في ذلك. وكانت الحاجة ملحة، وقد كاد ينفد معظم ما أتينا به معنا وما أرسله إلينا الحاج أديب خير من أمانة كنا وضعناها معه. وقد رتب لكل الموجودين اللاجئين إلى تركية من رجال العرب سوريين ولبنانيين وفلسطينيين وعراقيين مخصصات شهرية تتراوح بين 600 و400 ليرة تركية. وصار إسحق يتناول المبلغ بصفته وكيل المفتي من البعثة الألمانية باسم المفتي. وبلغ ما خصص لنا أنا وأخي وزهير نحو (1700) ليرة تركية كنا ننفق ثلثيها وأحياناً أقل، وأحياناً أكثر، حسب إيجار السكن والمعيشة، وندخر جزءاً للاحتياط. واستمر هذا نحو عشرين شهراً. فلما خرج إسحق اتصلت البعثة الألمانية في الآستانة بالأمير عادل أرسلان، وقالت له إنها مستعدة لدفع المخصصات المعتادة لأصحابها. وتشاورنا في الأمر، فقررت أنا ومعين وأخي أن لا نستمر في الأخذ لأننا كنا نأخذ ما نأخذه من إسحق بصفته وكيلاً للمفتي ومرسلاً منه من قرض. ولم نحب أن تكون أسماؤنا في البعثة كأننا ممن يتلقون مخصصات من الألمان. ولم ير الآخرون رأينا، فظلوا يتلقون هذه المخصصات. وكنا قد ادخرنا نحو عشرة آلاف ليرة مما أخذناه ومما بقي معنا من مال أحضرناه، فحسبنا أنها تكفينا لمدة سنة أو أكثر حتى تنتهي الحرب. ولقد امتدت إقامتنا (22)

شهراً آخر، ولكن اللّه سترنا وأغنانا عن هذه المخصصات مباشرة من الألمان، واستطعنا أن نؤمن معيشتنا إلى أن عدنا إلى سورية في خريف سنة 1945 بعد انتهاء الحرب.

بعد هذا التمهيد نباشر إعادة تدوين ما دوناه في الدفتر.

1 ـ زيارتنا لأنقرة وشيء عنها:

في صدد زيارتنا لأنقرة نقول إننا نزورها للمرة الثانية، والمرة الأولى مررنا بها مروراً بالقطار إلى الآستانة لأن فيها محطة كبيرة. ولقد أردنا السفر هذه المرة بالطيارة، فقطعت أنا وعادل العظمة بطاقات طيارة وذهبنا للمطار، فقيل لنا إن الطائرة لن تسافر بسبب رداءة الطقس. وعلمنا أن قطار الإكسبريس يسافر بعد ساعات، فلم نرد الانتظار يوماً آخر فقطعنا بطاقات للسفر فيه وركبناه، ووجدنا أسرّة نوم فتأمنت راحتنا، وفي الصباح كنا قد وصلنا.

وبدا لنا أن المحطة إنشاء جديدة أو أنها جددت بعد أن صارت أنقرة عاصمة. وحاولت الحكومة أن تكون عظيمة ومتناسبة مع عاصمة الدولة. وهي على بعد كيلومترين من المدينة وحولها ميدان فسيح، وهي متصلة بالمدينة بشارع معبد واسع.

أما المدينة فهي قسمان قديم وجديد، والأول قائم على هضبات ومرتفعات وهو كسائر المدن التركية القديمة الكبيرة نوعاً ما. والقسم الجديد قام في الساحة الواسعة التي تتصل بهذه الهضبات والمرتفعات. وهو مخطط تخطيطاً حسناً خاصاً متناسباً مع عاصمة الدولة. ففيه الشوارع الطويلة الواسعة المعبدة المشجرة على أطرافها أو في أوساطها، وقامت على أطرافها العمارات الجديدة المتنوعة. وصار يقوم فيها أيضاً دكاكين ومطاعم ومقاهٍ وفنادق ومخازن متناسبة مع حاجاتها كعاصمة. وفيها فندق عظيم اسمه أنقرة بالاس، ذو أبهاء واسعة ونظام غربي وفرش جيد وغرف حسنة ومطعم فاخر الخ. وفي المدينة فنادق عديدة أخرى ثانوية بالنسبة إليه ولكن جيدة صالحة في حد ذاتها، ولم يتيسر لنا غرف في الفندق الكبير فنزلنا في فندق (بل فو)، وهو قريب منه ويتألف من عدة طوابق وغرفه واسعة ومؤثثة جيداً وفيه مطعم وبهو أيضاً، ومناظره جميلة حقاً على مسماه.

وأمام فندق أنقرة بالاس بناية المجلس النيابي وجبهتها عربية الطراز مزوقة بالفسيفساء، وقد أنشىء بعض بنايات مصارف الدولة على طراز عربي فخم وجميل. كذلك فإن الحكومة قامت بإنشاء عمارات كبيرة حديثة لوزاراتها، وقد تم أكثرها، وهي متناسبة مع كيان الدولة وعنوانها، في منطقة واسعة بعيدة عن حركة الأسواق والدكاكين والفنادق. وبناية وزارة الخارجية في منطقة أقرب وفي واجهتها بعض تزويقات بالفسيفساء وبعض ملامح من الطراز العربي. وقد لمحنا في زيارتنا لفريدون بك في الوزارة عناية الدولة بدوائرها الرئيسية من حيث فخامة البناء و فخامة الأثاث ولطف الحجاب والموظفين. وقد خصص لسفارات الدول الأجنبية منطقة كبيرة على طرفي شارع رئيسي يقوم في منتهاه قصر رئاسة الجمهورية على هضبة جميلة المنظر. وقيل لنا إن الحكومة أعطت السفارات قطعاً من هذه المنطقة بثمن رمزي ليقيموا عليها بنايات لسفاراتهم. وهي طريقة طريفة ومثمرة ولا ريب في العاصمة الجديدة. وقد قام فعلاً عمارات جميلة وضخمة لسفارات الدول محاطة بالحدائق والأسوار

وأصبحت المنطقة ضاحية السفارات. ومن جملة من أخذ أرضاً وأقام سفارة، مصر والعراق، وكان من المستحسن أن تكون عماراتهما على طراز عربي ولكنه أنشىء على طراز أوروبي عادي، مع أن سفارات الدول الأخرى تكاد تكون مطبوعة بطابع أصحابها طرازاً وجمالاً أو رقةً أو ضخامةً أو متانة. وكان كل هذا ما تميزت به سفارات الألمان والإفرنسيين والأميركيين والإنكليز والروس والبلجيك والطليان التي شاهدناها ونحن نمر بالسيارة في الشارع ولم يتيسر لنا زيارة قصر رئاسة الجمهورية ولكنا رأيناه من بعد، وله بوابة خارجية فخمة وقائم على هضبة في وسط ساحة حديقة وحرش.

ويسمونه (دجات قيام)، وهذا اسم منطقة البيت الذي كان يسكنه أتاتورك في الآستانة، وهو الآن متحف لأمتعته وسائر متروكاته الشخصية. وقد زرناه حينما فتح للزيارة سنة 1942.

وفي أنقرة حوض سباحة عظيم في وسط ساحة واسعة تعد لتكون حديقة عامة وحرشاً. ونوافذ الفندق الذي نزلنا فيه تطل من أحد جوانبه على هذه الحديقة. ومما أنشىء في أنقرة ومايزال في دور الإنشاء محلتان للسكن بعيدتان نوعاً ما عن الشوارع والأسواق الصاخبة، وقد خططتا تخطيطاً حسناً. والمساكن التي أنشئت متشابهة ومستقلة لدارات (فيلات) ومجهزة بالكهرباء والماء ومستوفية لوسائل الراحة، وأكثرها بطابقين، وكل منهما مستقل. ومنها ما يتألف من أربعة مساكن. وجعل في كل من المحلتين محلات بقالة وخضروات وخردوات (نوفوتيه) وفرن، وقيل لنا أن هذه المساكن تنشئها شركة وتبيعها بالتقسيط للموظفين وغيرهم من الطارئين. وهي طريقة مثلى في مثل ظروف إنشاء عاصمة جديدة. ومواصلات المدينة تؤمن بالأوتوبيسات (الباصات)، وتصل إلى كل ناحية قريبة وبعيدة، ويجري في جوار المدينة نهر، وقد أنشىء على مجرى له بين جبلين سد فكان بسبب ذلك انحدار مائي يتولد منه قوة كهربائية تضاء بها المدينة وتدار ما فيها من المحركات أيضاً. ويشرب الناس من هذا النهر بعد عملية تصفية وتطهير. وقد نظمت منطقة السد حتى صار منها حديقة جميلة قام على طرفها في مواجهة ماء النهر المنحدر العريض (الشلال) مقهى واسع يتنزه فيه أهل المدينة في أيام الصيف، وقد نقش على إحدى واجهات السد بعض الكلمات المأثورة للغازي أتاتورك وتاريخ إنشاء السد. وذكر في ما ذكر بفخر أن السد تركي مائة بالمائة بخططه الهندسية ومواد بنائه وبنائه والعمل عظيم والفخر في محله.

وسكان أنقرة بقسميها لم يبلغ عددهم إلى الآن مائتي ألف، بل لعله مائة وخمسون ألفاً، وكانوا قبل اتخاذها عاصمة خمسين ألفاً، فتكون الزيادة في ظرف عشرين عاماً مائة ألف أو يزيدون.

والذي نرجحه أنها لن تكتظ كثيراً وستبقى في حدود مدينة كبيرة نسبياً، لأنها ليست مدينة تجارية ولا صناعية، وإنما هي حكومية إن صح التعبير. وقد أنشىء فيها بعض معاهد وكليات، حتى ليقال أنها تكاد تكون جامعة أو بسبيل أن تكون كذلك. ولقد قيل لنا أنه صرف على إنشاءات المدينة الجديدة إلى الآن نحو تسعمائة مليون ليرة تركية. وعلى كل حال فإن الجهد العظيم في الإنشاء والتنظيم ملموح وبارز. والغازي مدفون في إحدى الهضبات، وقيل لنا أن قبره موقت وأنه أعد بنقطة خاصة لمقبرة دائمة

جديدة له يكون حولها حديقة أو حرش. .

ورجالات تركية المثقفون الرسميون وغير الرسميين وشبابها وشاباتها يشعرون بعظيم واجب التوقير والشكر لزعيمهم الراحل. وهم على حق في ذلك، فإنه كاد يكون مجدداً لحياة الأمة، وقد نجاها من خطر الذل والإستعباد والانهيار الذي أحدق بها، إلى ساحة حياة جديدة صار لها فيها قوة وحيوية ونشاط بجهاده وحركته وقوته. وفي اتخاذه أنقرة عاصمة فيه كل الإصابة، فعاصمة الدولة هي رأسها وأعصابها. وبعد ما حل بولايات الروملي ما حلّ وصار الأجنبي على تخوم الأستانة لم تعد تصلح هذه المدينة عاصمة، وصار لا مناص من أن يكون لها عاصمة جديدة في الأناضول تستمد الأمة منها وتمدها بالقوة والحيوية. .

2 ـ سفرنا من الآستانة إلى أيدين بطريق أزمير ومشاهداتنا في اثناء ذلك وشيء عن ازمير ولقاؤنا بحمدي التميمي فيها:

غادرنا الآستانة قاصدين أيدين عن طريق أزمير صباح يوم الثلاثاء الموافق لأول شهر تشرين الثاني وقد وصفت لنا أيدين بأنها بلدة هادئة كثيرة المياه والبساتين دافئة الطقس جميلة المنظر فارتحنا للوصف، وأملنا بقضاء شتاء دافىء بعد أن قضينا شتائين شديدين في الأستانة ثلجاً وبرداً ومطراً غزيراً وزوابع ـ وقد تجشم كل من الأخوان نبيه وعادل العظمة والأمير أمين أرسلان وأكرم زعيتر ومحمود زائد المجيء إلى الرصيف في الصباح الباكر لوداعنا. وركبنا باخرة أكبر من بواخر البوغاز السياحية النقلية وأحسن، وفيها مطعم فاخر.

ووصلنا ميناء باندرمه في الساعة الثانية عشرة ونصف. ومن هذا الميناء أخذنا قطار أزمير، فوصلناها قبل نصف الليل بساعة ونزلنا في فندق (أنقره بالاس)، وهو فندق كبير في موقع عامر مجاور لدار الحكومة وعلى مقربة من الرصيف وملتقى خطوط ووسائل النقل في المدينة. وهنا ميدان في وسطه فسقية ماء عربية الطراز كبيرة نوعاً ما وجميلة جداً، وقد أحيطت بمربعات من الزهور.

وقضينا في أزمير يومي الأربعاء والخميس وتجولنا فيها، وهي مدينة نظيفة ظريفة وتفوق في نظافتها الآستانة كثيراً. وسكانها اليوم نحو مائة وخمسين ألف أكثريتهم الساحقة ترك مسلمون، وكان فيها قبل حركة مصطفى كمال نصف مليون أكثرهم من اليونان، وقد رحلوا نتيجة لانتصار هذه الحركة، كما أصاب المدينة وخاصة أحياء غير المسلمين حرائق وتخريبات أثناء الحركة ماتزال آثارها باقية إلى الآن. وطبيعي أن حركتها التجارية والعمرانية كانت مناسبة مع العدد الكبير، وأن حركتها اليوم مناسبة مع عددها الحالي. ويبدو على كل حال أن الترك قد ربحوا لأن المدينة التي هي من أمهات البلدان التركية موقعاً وعدداً وتجارة قد خلصت لهم وأصبح مجال العمل التجاري شبه محصور لهم.

وفي أزمير خط واحد للترامواي يسير بين المركز الذي ذكرناه وبين ما يسمى (كوزال بالي) ـ الساحل الجميل ـ، وهذا السمت يمتد على شاطىء البحر كنصف دائرة في سفح الجبل، وقامت على طرفيه العمارات السكنية الجميلة، وسير الترامواي يتحمل ربع ساعة. ومواصلات المدينة في المناطق الأخرى مؤمن بواسطة سيارات النقل الكبرى (اوتوبوس ـ باصات). وفي أزمير منطقة جبلية عامرة بالمساكن

والمخازن اسمها (أشرف باشا)، وفيها آثار قلعة قديمة نوعاً ما لا يصل إليها الأوتوبوس، وذهبنا إليها بسيارة صغيرة وشاهدنا منظر المدينة الخلاب الذي يمتد لرقعة واسعة جداً. والقلعة واسعة ولكنها مهملة وقد دب فيها الخراب، ومازال بعض أبراجها وأبوابها وأسوارها قائمة، وبناؤها تركي، ولكن الراجح أنها قامت على أنقاض بناء أو قلعة قديمة، وهي في موقعها متحكمة للبلد ولخليج أزمير. وهذا الخليج عظيم ذو جناحين مقوسين من جهة ما يسمى (قارشي يقه)، ومن جهة ما يسمى (كوزال بالي)، ومدخله ضيق نوعاً ما، ولذلك فهو ملجأ بحري عظيم أيضاً.

والمدينة فيها الجديد المخطط ذو الشوارع الواسعة المعبدة والمشجرة وذو العمارات الكبيرةالجميلة والعصرية. وفيها القديم الضيق في شوارعه وطراز بنائه ودكاكينه ومساكنه، وهذا القسم هو الأكثر اكتظاظاً بالسكان والحركة، وهوالذي يتصل بالقسم الجبلي (أشرف باشا). وفي المدينة منطقة أخرى بائسة المنظر والعمارات والطرق نائية عن مركز العمران والحركة، وآثار الخراب بادية عليها أكثر، وفي هذه المنطقة محطة السكة الحديدية التي تصل أزمير بباندرمه وبحيدر باشا، ثم من ناحية أخرى بأيدين والأناضول، وتسمى (آل سنجاق) وفيها معرض أزمير الدولي، وهو في ساحة واسعة يطلق عليها (كولتور بارك)، وإنشاؤه جديد ومكانه مما كان مكتظاً بالأبنية اليونانية ثم طرأ عليه الحريق والتخريب، وقد تجولنا في المعرض وأحسسنا بالجهد العظيم المبذول في سبيل إعداده وقابليته العظمى لما أعد له. وهو الآن مغلق إلا دائرتين حكوميتين منه في إحداهما معرض زراعي وثانيهما معرض صحي. وقد انتثرت في ساحة المعرض أجنحة الدول الأجنبية والولايات والمصانع والمؤسسات التركية. وفيه أحواض مياه عظيمة، وهو مزين بالأشجار والحدائق وحدائق الزهور، ومعبد بالزفت، وفيه أجنحة تقوم فيها مطاعم وملاه حينما يكون موسمه، وله عدة مداخل واسعة.

وفي أزمير أفراد من العرب ما بين ضباط متقاعدين وتجار وأكثرهم سوريون. وفيه مطعم شهير بصنع (الكفتة الحلبية) يؤمه ناس كثيرون من عليّة القوم مغرمون بهذه الكفتة الشهيرة. وقد ذهبنا إليه وتناولنا هذه الكفتة فيه وهي لذيذة متقنة حقاً. ويعمل منها فتة عليها أقراص الكفتة.

والمدينة فيها تشابه لحلب ودمشق وبيروت في آن واحد، ويقيم في المدينة مواطننا وصديقنا حمدي بن الشيخ بكر التميمي حيث التقينا به، وهو متزوج بتركية وله منها أولاد بنون وبنات. وكان زارنا في الآستانة وأرسل ابنه طارقاً فأقام عندنا أياماً بقصد الامتحان والانتساب إلى كلية. والأم والأولاد يتكلمون التركية دون العربية، وقد دعانا على عشاء في بيته وصنع لنا (مقلوبة باذنجان)، الأكلة النابلسية اللذيذة مع كنافة نابلسية، فجدد ذلك حنيننا لوطننا. وهو ساكن في محلة (قارشي يقه) ومعناها (الضفة الأمامية)، وهي جناح من أجنحة خليج أزمير. والطريق بينها وبين المدينة براً طويلة، والمحلة عامرة وشبه مدينة، ويبلغ سكانها نحو خمسة وعشرين ألفاً، وفيها أسواق ومؤسسات حكومية وسياحية ومجلس بلدي. ويسير بينها وبين أزمير سفن صغيرة مثل سفن بوغاز الآستانة، والمسافة ربع ساعة، في حين أن المسافة براً بين المحلة وأزمير أكثر من ساعة بالقطار. . وفي المحلة ساحل جميل قامت عليه

المساكن وامتد امامه رصيف بحري طويل وشارع معبد. ومما حكاه لنا حمدي أنه هاجر الى أزمير هو وأخوه عبد الهادي واشتغلوا بالتجارة وصارت ثروتهما نحو مائة الف ليرة تركية، فتراءىٰ لهما أن ينتقلا إلى مصر فانتقلا، وهنا اخذا يمارسان أشغالاً تجارية مرتجلة فخسرا الثروة، وعاد هو إلى أزمير واستأنف عمله وأصاب بعض النجاح، وذهب أخوه إلى فلسطين.

سفرنا من أزمير إلى أيدين وطريقها وشيء عنها وحياتنا فيها:

وقد سافرنا من أزمير إلى أيدين بعد ظهر الخميس الموافق للثالث من تشرين الثاني 1943، والمسافة 109 كيلومترات، ويذهب إليها بالقطار. وهناك نوعان من القطارات، (الإكسبرس) السريع الذي يسير في الليل ويقطع الطريق بأربع ساعات ويصل إلى مدينتين أخريين هما نازلي ودكزلي[1]، والثاني عادي أيسر، ويسير في النهار ويقطع المسافة بخمس ساعات ونصف، وقد أخذنا العادي لأنه يسير في النهار ووصلنا. طريق أيدين صعود جبلي كبير وفيها عدة أنفاق يسير القطار فيها. وفيها مع ذلك سهول تكثر فيها كروم العنب والتين والزيتون خاصة، وأكثر المحطات التي مررنا بها بائسة. وأعمرها محطة سلجوق التي قيل لنا أنها مركز قضاء. ووجدنا المحطة زاخرة، ثم قيل لنا أنها المحطة الأخيرة وأن أيدين أمامنا، فنزلنا وجاء حمالون فحملوا أغراضنا وقلنا لهم خذونا لفندق حسن فأخذونا إلى فندق اسمه (أنقره بالاس) أيضاً الذي قيل لنا أنه أحسن فنادق المدينة. ولم نكد نخرج من المحطة حتى رأينا أنفسنا في المدينة والفندق قريب، وهو فندق بلدة صغيرة. وفيه مع ذلك خمس عشرة غرفة ولا بأس في بنائه وغرفه وأثاثه ودورات مياهه ونظافته. وهو رخيص، فالغرفة ذات السريرين بليرتين ونصف وذات السرير بليرة ونصف، فاستأجرنا غرفة بسريرين لي ولزهير وغرفة بسرير لأخي. أي في الشهر مائة ليرة. وهي ربع ما كنا ندفع أجرة بيت الآستانة الأخير. ولا يقدم الفندق طعاماً وليس فيه مقهى حتى ولا قاعة جلوس. على أن ذلك لم يكن ضرورياً لأن المطاعم والمقاهي قريبة منه. . . وهو قريب من المحطة وعلى الشارع الرئيسي المنظم تنظيماً حسناً نوعاً ما، ويمتد من السراي إلى حديقة عامة ونصب تذكاري في ميدان قريب إلى المحطة وشجر على طرفيه وفي وسطه، ومعبد تعبيداً حسناً، وقد قامت على طرفيه الحوانيت والبنايات المتنوعة السكنية وغير السكنية التي لا بأس بها أيضاً، ويتفرع عنه منطقة المحطة وهي كذلك منظمة تنظيماً حسناً ومعبدة وحولها عمارات حسنة، وهذا القسم يمكن أن يكون عنوان مدينة عامرة حسنة. وفي الشارع فندق آخر ودائرة بلدية وبيت (الشعب) لحزب الشعب، وفي زاوية من زواياه نادٍ، وفيه مطاعم ومقاهٍ عديدة تسد حاجة القاصدين من سكان وزوار.

ويتفرع من هذا الشارع شوارع عديدة فيها دكاكين ومقاهٍ ومطاعم بسيطة ثم مساكن المدينة وبيوتها. ورقعة المدينة واسعة نوعاً ما وعدد سكانها نحو ثمانية عشر ألفاً. وقد علمنا أن المدينة حرقت وخربت عن بكرة أبيها في ظروف غزوة اليونان لأزمير وما وراءها والمقاومة التركية التي قادها مصطفى كمال، وأنها أنشئت من جديد، وهذا ظاهر من حالها، لأن أكثر أبنيتها

(1) تلفظ «دنزلي».

ودكاكينها إنشاء جديد وطرقها مخططة تخطيطاً هندسياً حديثاً. ومازال الخرائب قائمة هنا وهناك بين العمارات والمنشآت الجديدة. وعلى كل حال فبين المنشآت بيوت ومساكن وعمارات جميلة وحديثة، كما بينها عمارات يبدو عليها الفقر والبؤس والقدم.. وما عدا الشارع الرئيسي فإن طرقها بائسة جداً بالرصف الحجري القديم المحطم. والجهد ملموس بارز في تجديد مدينة خربت جميعها. وهناك عمارات غير تامة قيل لنا أن ظروف الحرب حالت دون إتمامها..

وقد اعتمدنا في طعامنا على مطعم المحطة، وهو أحسن وأنظف مطاعم المدينة ولا بأس فيه إجمالاً، ويأكل فيه الموظفون والضباط وطبقة أخرى من مستواهم. وأسعاره رخيصة، حيث كانت الوجبة للشخص الواحد لا تكلف أكثر من ليرة ونصف يشبع منها (ثلاثة أطباق وفاكهة وخبز)، وننبه على أن وصف الرخص هو بالنسبة لما كان يمكن أن ننفقه في مدينة كبرى. وإلا فإن المطعم الذي نأكل فيه والفندق الذي ننام فيه حسب حالتهما من الصغر والسذاجة ليست أسعارهما أقل من أسعار ما في مستواهما في الآستانة وأزمير وأنقرة.. وقد تكون المعيشة رخيصة أكثر لمن له بيت. وقد بحثنا عن بيت مناسب فلم نجد، ولم يكن مناص من أن نقضي ما قدّر علينا من الأيام في الفندق الذي نزلنا فيه ونتناول طعامنا من مطعم المحطة. وعلى كل حال فإن نفقاتنا في أيدين ستكون أقل بكثير مما كانت في الآستانة وبخاصة النفقات الهوائية التي كانت في الآستانة وليست في أيدين.

والبلدة في سهل محاط بجبال وتلال، وقسم من أبنيتها يصل إلى السفوح. ويجري من هذه السفوح نهير إلى السهل تشرب منه المدينة أيضاً، وقد كثرت السيلان في أحياء المدينة وجاداتها وطرقها منه وعليه، وكان ذلك في نفس الوقت سبباً لقذارة هذه الطرق والجادات، لأن المياه الفائضة تسيح دون تصريف. وهذا يكاد يكون منظراً عاماً في البلدة. وقيل لنا إن مياه النهير التي تشرب تصفى في مجمع، وأنها موزعة بأقنية جديدة إلى المنازل والمطاعم والفنادق. ولكنا لاحظنا أنه كلما أمطرت الدنيا تعكرت المياه التي نشربها قليلاً أو كثيراً. والظاهر أن عملية التصفية ليست محكمة كما هي الحالة في المدن الكبرى. وفي المدينة وأطرافها آبار نبع ماؤها أصفى وأنظف. وحول أطراف البلدة بساتين كثيرة للخضروات خاصة، ومنها ما هو كروم زيتون وتين وعنب. وعلى مجرى النهر تقوم في الصيف مقاهٍ صيفية شبهناها نوعاً ما بمقاهي الربوة في دمشق التي على مجرى النهر. والغالب أن طقس المدينة في الصيف حار في حاجة إلى أمكنة للاسترواح، وهذه المقاهي تسد الحاجة نوعاً ما. وطقس المدينة دافىء حقاً في الموسم الشتوي الذي جئنا فيه. وقد قيل لنا أن الأيام التي تصل درجة الحرارة فيها إلى عشرة فوق الصفر قليلة جداً في الشتاء، وأن الدرجة في الشتاء تظل في أكثره فوق العشرة. كما قيل لنا أن نزول ثلج أو نزول الدرجة إلى الصفر من الأمور النادرة جداً، وتعتبر حدثاً تاريخياً. ونحن الآن في أواخر تشرين الثاني، وقد تكرر نزول المطر ولكن درجة الحرارة لم تنزل عن العشرين، في حين أننا كنا نرجف في مثل هذا الوقت من البرد في الآستانة ولا نستغني عن المدفأة ليلاً ونهاراً. وعلى هذا فسوف نقضي شتاء دافئاً هانئاً إن شاء الله.

وقد رتبنا حياتنا على أسلوبنا في الآستانة،

فنحن من الصباح إلى الظهر نشتغل في تفسير القرآن، ثم نمشي مشواراً بين حواكير البلدة الخارجية، ثم إلى المطعم ثم إلى الفندق فنرتاح ثم نقرأ أو نكتب إلى قبيل المغرب، فنخرج لمشوار ثانٍ في طريق ثانية ثم نتعشى ونعود إلى الفندق نقرأ ونتسلى بلعب الورق. ولم نستطع أن نتعرف على أحد، ولم نر ميلاً من أحد للتعرف علينا. ولذلك فنحن نعيش في عزلة. وكان هذا حالنا تقريباً في الآستانة مع فارق مهم هو وجود عدد غير يسير من إخواننا الذين كنا نلتقي بهم دوماً ونتسلى معهم. ومع ذلك فنفوسنا مطمئنة الآن في مقامنا الجديد، ولعل كوننا ثلاثة مما يسلينا، ومن الله المدد والعون.

3 ـ أزمة لبنان مع فرنسة في تشرين الأول 1943 في سياق تعديل الدستور وتصرفات المندوب الافرنسي وردود فعل ذلك وسيره ونتائجه:

هذه النبذة مسجلة تحت عنوان (خلاصة الأزمة اللبنانية الأخيرة) وهي على الأرجح مستمدة مما سمعناه وقرأناه:

كانت الانتخابات النيابية في لبنان في الأسبوع الأول من شهر أيلول 1943، وقد لاحظنا منذ البدء ما نشرته الصحف أن رياض الصلح يلعب دوراً بارعاً فيها، وقد رشح نفسه في منطقة صيدا وقاد الحملة وكسب المعركة متضامناً مع مرشحين أقوياء معه.

وكسب المعركة في طرابلس الشام عبد الحميد كرامة متضامناً كذلك مع مرشحين أقوياء. ولم تكن المعركة حامية في منطقة الهرمل (بعلبك ـ والبقاع)، ولقد كان يتناحر في الانتخابات في بيروت والجبل كتلتان قويتان متكافئتان. فكان ذلك سبب سخونة المعركة فيهما. وفي كل منهما كان مسلمون وأرثودكس وموارنة. وإحداهما بقيادة سامي الصلح وبشارة الخوري، وأخراهما بقيادة إميل اده ومعه صائب سلام وعبد الله اليافي من المسلمين، وآخرون من الأرثودكس والموارنة. حتى أن المرحلة الأولى لم تسفر إلا عن نجاح الأقل من المرشحين وأكثرهم لم ينل الحد الأدنى من الأصوات، فصارت مرحلة انتخابية ثانية، وحتى أن إميل إده وبشارة الخوري ومعظم مسلمي بيروت لم ينجحوا في المرحلة الأولى. ولقد كانت نتيجة الإنتخابات بعد المرحلة الثانية متكافئة، حيث فاز نصف كل من مرشحي الكتلتين، وخسر من كتلة بشارة وسامي، جبران التويني ومحي الدين النصولي وكمال جبر وفاز من كتلة إده عبد الله اليافي وصائب سلام، بالإضافة إلى رئيسي الكتلتين المارونيين إميل وبشارة وهما المرشحان لرئاسة الجمهورية. وقد اعتبرت نتائج الانتخابات في جميع لبنان فوزاً للجبهة القومية العربية، لأنها ضمت كرامة ورفاقه ورياض ورفاقه وسامي الصلح وبشارة الخوري والبير نقاش الذي أذاع قبل الانتخابات بياناً أكد فيه اعتناقه لفكرة (لبنان العربي) ووجوب تعاونه مع البلاد العربية الشقيقة.

وبمناورة بارعة من رياض تم انتخاب صبري حمادة رئيساً للمجلس النيابي، وكان الأرثوذكس طامعين بالمنصب، من حيث أن رئاسة الجمهورية لماروني ورئاسة الوزارة لمسلم. وكان هذا متعارف عليه. غير أن رياض أثبت أن الطائفة الشيعية هي الطائفة الثالثة في عددها، وأن لها الحق بالرئاسة الثالثة. وأيد ذلك نواب

الكتلة الدستورية ونواب المسلمين في الكتلة الثانية. فكان ذلك مما جعل الفوز نصيب حماده الذي كان عروبياً..

ثم اجتمع المجلس فاختار بأكثرية ساحقة الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، وهو رئيس الحزب الدستوري المعروف بميوله العربية. والقول بالتعاون العربي برغم ما كان من غلطة رئيسية التي ذكرناها سابقاً، ولو أنها كانت في صدد مناورة انتخابية مضادة له بالنسبة للمارونية. وظهر من الانتخاب أن كتلة الشيخ بشارة هي أكثرية المجلس، فصارت كتلة إميل إده أقلية ومعارضة. ومجملها ذات ميول إفرنسية وخاصة رئيسها المتعصب في لبنانيته ومارونيته وميوله الإفرنسية، وله مأثورات صريحة بوجوب غدو لبنان وطناً قومياً للنصارى، وأنه جزء من فرنسة، وأنه لا علاقة له بالعروبة، وأن للمسلمين إذا شاؤوا أن ينفصلوا عنه ويقيموا لهم كيانات خاصة بهم.

ولقد كنا نتوقع أن سامي الصلح هو الذي سيكون رئيس الوزارة، ونستبعد أن يختار رياضاً لما هو معروف من تطرفه العروبي وعدائه للإفرنسيين، ولكنا فوجئنا بأن الشيخ قد اختاره لرئاسة الوزارة، وهذا ما كنا نتمناه، وكان نصراً ذا معنى واسع للعروبة والتعاون العربي في لبنان ولضعف الموقف الإفرنسي فيه، يفوق كثيراً معنى إستلام الحكم من قبل شكري القوتلي وسعد الله الجابري وإخوانهم في سورية. فطابع سورية هو طابع قومي جهادي عروبي، وإن من الطبيعي أن يكون الحكم فيه من الانطلاق لقواد الجهاد والحركة القومية، بعكس لبنان الذي كان يعد مشبوهاً. وقد ألف رياض وزارته من أناس يعدون من أحسن الموجود بالنسبة للفكرة العربية، مثل عادل عسيران والأمير مجيد أرسلان وسليم تقلا وحبيب أبي شهلا، وكان ذلك في تاريخ 17 أيلول 1943. وبعد أيام ألقى رياض بيانه الوزاري في مجلس النواب، وكان البيان مثل رئاسته مباغتة مدهشة أيضاً، حيث أعلن فيه عزم حكومته على توطيد استقلال لبنان وسيادة اللبنانيين التامة في مصالحهم، ونيته في تعديل الدستور ورفع كل ما يتناقض فيه مع هذا الإستقلال والسيادة ومع عروبة لبنان. وهكذا حلّق رياض إلى أعلى الأوج قوياً عظيماً تجاه كل ما ظنه الإفرنسيون وأنصارهم أنهم وطدوه في لبنان..

وحاول إده وبعض رفاقه تأجيل التصويت بالثقة فأبى رياض، وقال أنه مستعد لمواصلة الكلام ولن يخرج من المجلس إلا منسحباً من الوزارة أو فائزاً بالثقة. وهتف ببراعة وعلو أنه لن يقبل أن يخرج من المجلس ليقول إني قدمت لممثلي لبنان وثيقة استقلال وسيادة، وأنهم أخرّوا البحث فيها وفي منح الثقة لوزارة قدمت هذه الوثيقة. لأن ذلك لا يمكن أن يتناسب مع كرامة لبنان وتعلقه بالحرية والإستقلال. ومن النكت التي كانت أثناء الحوار أن أحد المعارضين قال أنه يأمل من رياض الاستجابة إلى الإمهال، وقد أكل الدهر عليه وشرب، وكان التعبير غلطاً أراد قائله أن يقول أنه عرك الدهر وخبره. فما كان من رياض إلا أن قال إن الذي يقول هذا القول هو الذي أكل الدهر عليه وشرب، فضج المجلس بالضحك والهتاف، وقرر التصويت بدون إمهال، وفاز رياض بأكثرية تقرب من الإجماع. وكان هذا بدوره نصراً مؤزراً وإعلاناً عالياً بأن لبنان لا يقل عن البلاد العربية الأخرى في الرغبة بالحرية والاستقلال والسيادة التامة والتعلق بالعروبة، وفي إبائه أن يكون أو يظل مطية لدسائس الاستعمار وأساليبه

ومزاعمه وعملائه. وكان عدد كبير من المصوتين نصارى موارنة وأرثوذكس وكاثوليك، بالإضافة إلى السنيين والشيعيين والدروز. وكان في ذلك دلالة على التطور العظيم الذي طرأ على لبنان والفكرة العربية في هذه الحقبة، وعلى أن العرب إذا تركوا منطلقين ساروا بأسرع ما يمكن في طريق الحياة الحرة والمطالب العليا المقدسة متغلبين على كل الموانع وأن كل ما بناه الأجنبي ينهار في لحظة عين ويعلو صوت الحرية القومية والسيادة فوق كل صوت. وبروز الدليل في لبنان له معنى أقوى وأعظم من كل ما قام من الأدلة على ذلك في غير لبنان، يدوي طناناً رناناً على مرأى ومسمع من دول الأرض، وعلى رضى أو سكوت أو مسايرة على الأقل ممن كانوا يسمون إفرنسيي الشرق ويعنون بذلك الموارنة.

وقد وصفت الصحف الجلسة وصفاً رائعاً، وقالت أن الهتاف استمر في المجلس وردده آلاف المجتمعين خارجه نحو عشر دقائق، ويا له من موقف رائع عظيم. وقد حملني الموقف على كتابة رسالة إلى رياض أهنئه فيها بموقفه القوي القومي وعبقريته، وأتمنى له النجاح والثبات في طريقه إلى أن يضمن للبنان الإستقلال والسيادة التامين في نطاق وحدة عربية شاملة. ولقد صار من المنتظر أن يخطو رياض خطوته الثانية في تعديل الدستور وتثبيت استقلال وسيادة وعروبة فلسطين عبر ذلك. ويكون ذلك وسيلة لمعرفة موقف الإفرنسيين والإنكليز في صدق ما قالوه ومنّوا به من استقلال لبنان وسورية وكفالته.

ولقد نشرت الأهرام في غضون ذلك رسالة من بيروت بتاريخ 30 تشرين الأول، جاء فيها أن رياضاً ألقى بياناً ثانياً في المجلس عن خطوته المقبلة، قال فيها أن حكومته اتفقت مع الحكومة السورية على ما يكفل مصلحة لبنان وسورية معاً في صدد المصالح المشتركة، وأن الحكومتين فاوضتا السفير الإفرنسي هلّلو وطلبتا استلام زمام تلك المصالح، فاستمهلهما أسبوعين لتلقي تعليمات لجنة فرنسة الحرة في الجزائر، وأنه يأمل أن تقف هذه اللجنة الموقف اللائق بأمة أجمل ما في تاريخها جهادها في سبيل الحرية وحقوق الإنسان، وقال بعد ذلك أن الحكومة ستقدم قريباً اقتراحاتها بتعديل الدستور. ثم أذيع أن الحكومة اللبنانية أعدت لائحة فيها تعديل بعض المواد وإلغاء المواد التي تتناقض مع معنى الاستقلال والسيادة اللبنانية. ولقد كان في دستور لبنان نصوص عديدة غير مذكورة في دستور سورية في صدد الإنتداب وسلطاته والدولة المنتدبة ومركزها وصلاحياتها. ورد بعبارات الانتداب والدولة المنتدبة.

المادة (96) ونصها: «بصورة مؤقتة وعملاً بالمادة الأولى من صك الإنتداب والتماساً للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤدي ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة».

والمادة (1) ونصها: «لبنان الكبير دولة مستقلة ذات وحدة لا تتجزأ. أما حدوده فهي المعترف له بها من قبل الجمهورية الإفرنسية المنتدبة ومن لدن جمعية الأمم وهي التي تحده حالياً»..

وواضح أن معنى الإستقلال والسيادة والكرامة لا يمكن أن تتحقق مع وجود الإتفاق معها، على أن تتضمن هذه الإتفاقات نصاً صريحاً يقضي بالتزام الدول المتعاقدة بالتحكيم الإجباري في كل خلاف.

والمادة (94) ونصها: «تتفق الحكومة

اللبنانية في ما بعد مع ممثل الدولة المنتدبة على إنشاء وكالة لبنانية في باريس ووظائف ملحقين لبنانيين بدور الإعتماد السياسية والقنصليات الإفرنسية في المدن الأجنبية حيث تدعو الحاجة إلى ذلك بالنسبة إلى عدد اللبنانيين المقيمين فيها. وتبذل الحكومة الإفرنسية كل ما في وسعها في سبيل توثيق العرى التي تربط اللبنانيين المهاجرين بوطنهم الأصلي والمحافظة على روح السلام والوفاق مع الدول الأخرى، وخصوصاً الدول المجاورة الواقعة ضمن نطاق الإنتداب الإفرنسي التي يرغب لبنان في توثيق عرى الولاء معها في جو هادىء من الوئام على شرط المعاملة بالمثل.»

والمادة (93) وهذا نصها: «تتعهد الجمهورية اللبنانية بمقتضى هذا الدستور تعهداً رسمياً أن تحكّم الدولة المنتدبة بتسوية الخلافات التي من شأنها أن تعكر جو الأمن. ولذلك فالجمهورية اللبنانية مستعدة لإبرام الاتفاقات بينها وبين جيرانها وكل الدول الأخرى الراغبة في الاتفاق معها».

ومن ذلك المادة (90) ونصها:

«إن الأحكام المقررة في هذا الدستور يعمل بها مع الإحتفاظ بما للدولة المنتدبة من الحقوق والواجبات الناتجة عن المادة (22) من عهد عصبة الأمم وعن صك الإنتداب».

والمادة (91) ونصها: «عندما تسمح الظروف تطلب دولة لبنان الكبير قبولها في جمعية الأمم مستعينة بتوسط الدولة المنتدبة».

والمادة (92) ونصها: «تؤكد الجمهورية اللبنانية في هذا الدستور حسن قصدها في هذه النصوص التي تخلد الإنتداب وتجعل جبين لبنان مدموغاً به، وتحرمه من الحرية الحقيقية والسيادة الحقيقية والتمثيل الخارجي، ولا يكون بها أكثر من ذنب مربوط بفرنسة وانتدابها». .

ولما شعرت سلطات فرنسة الإنتدابية بما أعده رياض وحكومته من اقتراحات فيها تعديل وإلغاء استدعى مدير المطبوعات في المندوبية الإفرنسية في بيروت رجال الصحافة وتلا عليهم بياناً هذا نصه:

(بحثت لجنة التحرير الوطني الإفرنسية في ما إذا كان يصح أن تنفرد الحكومة اللبنانية ومجلس النواب اللبناني في تعديل الدستور اللبناني. وبما أنه ليس في الإمكان تعديل نصوص ناشئة عن التزامات دولية تعهدت بها الحكومة الإفرنسية ولا تزال نافذة، إلا بموافقة فرنسة، فقد توصلت لجنة التحرير الإفرنسية إلى الإستنتاج بأن السلطات الإفرنسية لا تستطيع الاعتراف بصحة أي تعديل يقع بدون الحصول على هذه الموافقة. وقد رأت اللجنة من واجبها أن تعلن قرارها هذا منذ الآن، وهي تود في الوقت نفسه أن تشير إلى أن هذا القرار إنما هو تنفيذ لقاعدة قانونية عامة. فإن احترام العقود هو أساس استقلال الدول وأساس حريتها. ولذلك لا يخامر لجنة التحرير الوطني أي شك في أن الأمة اللبنانية تعترف بصواب هذا التصريح، وتدرك أنه في الواقع لا يتعارض في شيء مع عزم فرنسة على منح لبنان استقلاله التام عن طريق مفاوضات تدور بين الفريقين بروح تعاون ودي مخلص، يجب أن تسود فيه كما في الماضي العلاقات الخاصة التي تجمع بين لبنان وفرنسة).

(نقلا عن الأهرام تاريخ 1943/11/7 العدد (21174).

وفي نفس اليوم الذي أذيع فيه هذا البيان دعا رياض رجال الصحافة وتلا عليهم البيان التالي

الذي نشره العدد المذكور من الأهرام:

«اجتمع مجلس الوزراء ظهر اليوم واطلع على البلاغ الذي أصدرته المندوبية الإفرنسية العامة. ولما كان تعديل الدستور حقاً من حقوق السلطات الدستورية اللبنانية وفاقاً للمادة (76) وما يليها من الدستور فقد قدم مجلس الوزراء للمجلس النيابي مشروع تعديل لبعض مواد الدستور التي تتعارض مع استقلال لبنان التام المعترف به، تنفيذاً للبيان الوزاري وتأميناً لتحقيق الاستقلال عملياً.

وهذا نص المادة (76) التي استند إليها البيان: «يمكن إعادة النظر في الدستور بناء على اقتراح رئيس الجمهورية فتقدم الحكومة مشروع القانون إلى المجلس النيابي».

والمشروع الذي قدمته الحكومة يقترح إلغاء المواد (90 و91 و92 و93 و94 وتعديل المواد 95) و(1 و2 و3). حيث رفع تعبير (عملاً بالمادة الأولى من صك الإنتداب) من المادة 95، وحيث عدلت المادة (52) فخولت رئيس الجمهورية المفاوضة في عقد المعاهدات الدولية والسياسية وإبرامها وإطلاع المجلس عليها حينما تسمح بذلك مصلحة البلاد وسلامة الدولة. أما المعاهدات التجارية فلا تبرم إلا بموافقة المجلس.

وحيث عدلت المادة (2) التي تنص على استعمال اللغتين العربية والإفرنسية، فأقر نص كون اللغة العربية هي لغة الدواوين الرسمية، وذكر أن الأحوال التي تستعمل فيها الإفرنسية تحدد بقانون خاص..

وحيث رفعت جملة (الجمهورية الإفرنسية المنتدبة) من المادة الأولى وسبكت عبارتها على الوجه التالي: (لبنان الكبير دولة مستقلة ذات سيادة تامة وذات وحدة لا تتجزأ بحدوده الحالية التي تنتهي بالجنوب بنهاية قضائي صور ومرجعيون).

وعلى أثر هذين البيانين الذين يعدان بداية نزاع وتوتر متقابلين، دعت الحكومة اللبنانية المجلس النيابي إلى اجتماع يبحث فيه الموقف وينظر فيه في اللائحة المقترحة. واجتمع المجلس ووزعت عليه اللائحة، وطلب إميل إده رئيس المعارضة تأخير البحث فيها حتى يتيسر درسها وتأليف لجنة عدلية. فرد عليه إميل لحود وهو موراني من الكتلة الدستورية منوهاً بخطورة الموضوع وقال: إن في إمكان المجلس أن ينقلب إلى لجنة عدلية. وأصر على التعجيل. وأيد طلب الإمهال آخرون، فرد عليهم عبد الحميد كرامة وسامي الصلح وهنري فرعون. وحمي وطيس النقاش، ثم انتهى إلى موافقته على بحث المشروع ثم الموافقة عليه نهائياً بإجماع الحاضرين البالغ عددهم (48)، ولم يغب عن الجلسة إلا ستة أعضاء، أربعة كانوا غائبين وإميل إده ورفيق له انسحبا من الجلسة قبل التصويت.

ومما قاله عبد الحميد كرامة إن الوزارة منحت الثقة على أساس بيانها الذي وعدت فيه بتعديل الدستور. وإني قضيت حياتي معارضاً لاستقلال لبنان وكيان لبناني، لأن هذا الاستقلال كان يبدو لي في وضعه السابق ناقصاً غير صحيح. أما اليوم فقد تبدل الحال وتغير موقفي تبعاً لذلك، وأطلب بحث مشروع الدستور فوراً.

ومما قاله سامي الصلح أن اعتراف فرنسة والدول الكبرى الحليفة والدول العربية باستقلال لبنان قد أخلى الحكومة الإفرنسية من مسؤوليتها بوصفها دولة منتدبة على لبنان.

ومما قاله هنري فرعون أن مشروع التعديل لا يـرمي إلاّ إلى خدمـة لبنـان والمحـافـظة على استقلاله، وأنه لا يمس مصالح دولة من الدول.

الأهرام: 11/11/1943 عدد 21178.

ويظهر أن المندوب الإفرنسي هلّلو كان قد سافر إلى الجزائر لإطلاع اللجنة على الموقف وعلى مطالب الحكومتين اللبنانية والسورية بشأن المصالح المشتركة، فلما علم بتطور الموقف هـذا التطور السريع وتصويت المجلس على التعـديـل عـاد مسـرعـاً طـائـراً فـوصـل في 8/11/1943، وفي الصباح الباكر ليوم 11/9 أرسـل مع الفجـر قوة عسكـرية اعتقلت رئيس الجمهـوريـة ورئيس الـوزارة وأعضـاء الـوزارة ورئيس مجلس النواب صبري حمـاده وآخرين من الأعضـاء تعـددت الـروايـات في عـددهم وأشخاصهم، وساقتهم إلى معتقل مجهول، ثم أصدر قراراً بحل مجلس النواب وإقـالة رئيس الجمهورية وإقالة الوزارة وتعيين إميل اده رئيساً مـوقتاً للدولـة، على أن يدعى اللبنـانيـون إلى انتخابات نيابية جديدة. وقد قال في البيان الذي أذاعـه بما فعله أن التـدابير التي اتخـذها هي للوقوف أمام مؤامرة عدائية ضد فرنسة، وكـرر تطمين اللبنانيين على استقلالهم بموافقة فرنسة ومعونتها. ولم يكن قرار المجلس قد وصل إلى رئيس الجمهـورية واقتـرن بموافقتـه، فكـانت إجراءات المندوب هذه حائلة دون ذلك..

ولقد كانت الإجراءات كشهاب ناري قذف على برميل بارود، حيث كان انفجار عظيم في لبنـان والبـلاد العـربيـة والصحف والإذاعـات العربية والسياسية ولاسيما الإنكليزية. وأضربت بيروت إضراباً شاملاً وقامت فيها المظاهرات، واشتبك المتظاهرون مع قوات الشرطة الإفرنسية والجنود السنغاليين الذين احتلوا المدينة، وكان قتلى وجرحى كثيرون. ومثل ذلك وقع خاصـة في طـرابلس الشـام وصيـدا، بـالإضـافـة إلى إضراب عام شمل جميع أنحاء لبنان، وقـامت مظاهرات في دمشق والمدن السورية الأخرى، وأعلن فيهـا الإضـراب تضـامنـاً مـع لبنـان، وأضـربت فلسطين أيضـاً تضامنـاً واحتجاجـاً، وغليت الأفكـار وهـاجت في مصـر والعـراق والأردن ايضاً.

وكان أول صوت رسمي احتجاجي وأقواه هو صوت مصر. ولقد كان الملك فاروق قد انتدب بعثة لتهنئة لبنان كما كان فعل بالنسبة لسورية، وكانت البعثة على أهبة السفر، وكـان النحاس باشا وجه الدعوة إلى رياض الصلح للقدوم إلى مصر مع من يريد من زملائه، أو إرسال وفد عن لبنان للتشاور في أمر الوحـدة، وإجابـة رياض بـالموافقـة والشكر. وكـانت مصر قـد كـررت الحـديث عن جهودهـا في سبيـل قيـام حيـاة دستورية صحيحة في لبنان وسورية، واعتبرت أنه كان لهذه الجهود أثر في ما تم وقام من حياة دستورية استقـلالية جـديدة، وكـانت مصر في حـالتها الـراهنة تحتـل مركـز الزعـامة الفعليـة للقضايا العربية، وأخذت على عاتقها الإتصال بالدول العربية وسارت في ذلك أشواطاً. فكل هذا مما حفز مصر لتكون أول من يحتج وأقوى صـوتاً في الإحتجـاج. وقد أرسـل فاروق إلى الشيخ بشارة الخوري هذه البرقية العظيمة:

«إنه لمن دواعي أسفنا أن ظروفاً محزنة لم تكن في الحسبان حالت دون سفر البعثة التي كان مقرراً إرسالها إلى بيروت لتبلغكم تهانينـا ورسالتنا إليكم، على أن هذه الظروف لن تحول دون الإعراب لكم عما كانت البعثة ستؤديه وهو تهنئتكم بثقة شعب لبنان، ونحن نبادر بإرسـال هذه البرقية لنؤكد لكم أن الثقة التي أولاها لكم

الشعب اللبناني الكريم بانتخابكم رئيساً للجمهورية كانت دليلاً على جدارتكم لما نلتموه وأظهرت ما نعلمه عنكم من مزايا وسجايا ومن وطنية صادقة لا يلين لها عود، ولا شك لدينا في أن شعب لبنان يتمتع باستقلاله، وأنه سينال في ظل الحرية والعدالة والشرف ما هو جدير به من سيادة ومجد. ولست في حاجة إلى أن أؤكد لفخامتكم أن الشعب اللبناني يستطيع أن يعتمد على صداقتنا وصداقة حكومتنا وشعبنا في ساعات الشدة والحرج، ففي هذه الساعات وبها تتأكد العواطف وتتمكن المحبة. إن الساعات تمر بالشعوب وتمضي وتبقى الشعوب برجالها، وسيبقى شعب لبنان».

فاروق

الأهرام عدد 21179 و1943/11/12

ومما ذكرته الأهرام أن الملك استدعى سفير بريطانية ووزير أميركا المفوض كلاً على حدة، وحدثهما بأمر لبنان وأثر ما تركته الإجراءات في نفسه وفي البلاد والأمة، وطلب منهما إبلاغ ذلك إلى حكومتيهما. . .

وأرسل النحاس باشا أربعة احتجاجات شديدة عظيمة، واحداً للجنرال ديغول هذا نصه:

باسم الحكومة والشعب المصري نحتج احتجاجاً شديداً لدى سعادتكم على التدابير الظالمة التي اتخذتها السلطات الإفرنسية، إذ اعتقلت رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الوزارة واثنين من الوزراء، وهذا العمل الذي لا مبرر له يمس استقلال لبنان وكرامته. وإن مصر وجميع الشعوب العربية تعلن تضامنها مع الشعب اللبناني المجيد السّنيّ الطالع، وهو الشعب الذي لم يرتكب جريمة سوى رغبته في المحافظة على استقلاله وممارسته له ممارسة شرعية منطقية، مع الاحتفاظ بصداقة فرنسة الحقيقة النزيهة. فمصر وجميع الشعوب العربية تستنكر بحق العمل وتدهش له إذ تراه يأتي من ممثلي فرنسة التي اعتاد العالم ان يحسبها كآخر ملاذ للحرية، وإذ نرى فيه خرقاً لحرية الشعب اللبناني واستقلاله. في الوقت الذي نجد فيه فرنسة المصابة المحرومة من استقلالها وحريتها تقاتل في سبيل استردادهما. إن إقدام أية دولة على خرق المبادىء المقدسة التي أقسم الحلفاء على احترامها لا يمكن إلا أن يكون وضع استياء العالم كله. وإذا لم تعد الحالة في لبنان إلى وضعها المنطقي فإن مصر سوف تعيد نظرها في موقفها من فرنسة على ضوء الحوادث الجارية.

والرسالة الثانية: للبارون دي بونوا ممثل ديغول ولجنة فرنسة الحرة في مصر هذا نصه:

«أرى واجباً عليّ أن أردد صدى التأثير العميق الذي شعر به الشعب المصري، واستنكار الشعوب العربية كلها من جراء الحوادث السياسية الخطرة التي تقع الآن في لبنان. وثق بأني وأنا أقوم بهذا الواجب مشبع بالرغبة الحقيقية التي تجلت في المحادثات الودية التي دارت بيني وبين الجنرال كاترو في صدد الإتفاق وفي صدد المشاكل السورية واللبنانية. . ولقد أتاح لي الجنرال فرصة تقدير مواهبه وحسن إدراكه الأمور، حينما جعلني أشعر بأنه عازم بصفته ممثلاً مسؤولاً لفرنسة المحاربة على إيجاد الحل المعقول العادل لهذه المشاكل التي كانت موضوع بحثنا، ولكن هذه النية الطيبة لم يكن لها صدى كبير في تقيد السلطات الإفرنسية بالقواعد التي اتفق عليها مبدئياً، ولذلك أريد أن ألفت نظركم إلى ما يلي:

أولاً ـ إن الانتخابات اللبنانية اقترنت خلافاً

للوعد بأمور أقل ما يقال فيها أنها من صنع عملاء تحوم حولهم الشبهات، ومن شأنها الإخلال بحرية الإنتخابات.

ثانياً - إن الاستقلال الذي اعترف به ممثلو فرنسة المحاربة وممثلو بريطانية العظمى هو حقيقة قانونية مصطبغة بصباغة شرعية سياسية ودولية. فاستقلال لبنان كاستقلال سورية هو والحالة هذه أمر واقع. وما من قاعدة قانونية يمكن أن تقوم حجة ضد حجة الاستقلال اللبناني من الوجهة القانونية، ولذلك كان تصريح السلطات الإفرنسية مقدماً بأنها لا تعترف بحق تعديل الدستور إلا بعد موافقتها، من الأعمال التي عدها الشعب اللبناني ماسة بكرامته وحريته واستقلاله، مؤيداً في ذلك من جميع الشعوب العربية. وأعتقد يا عزيزي بأن التعهدات الدولية التي أقرتها فرنسة وأشار إليها بلاغ المندوبية في بيروت هي التعهدات الناشئة عن الإنتداب، ولكني أرى أن الانتداب قد زال من الوجهتين الشكلية والقانونية في اليوم الذي اعترف فيه الفرنسيون والحكومة البريطانية باستقلال سورية ولبنان، فقد اعترف الإفرنسيون والحكومة البريطانية حينئذ بأن عصبة الأمم لم تعد موجودة، وسورية ولبنان لم يكن في استطاعتهما انتظار بعث هذه العصبة بشكلها القديم، وهذا ما لا يفكر فيه أحد الآن، ليحصلا منها على تأييد القرار الإفرنسي البريطاني، ولا يعقل أن تكون الحكومة البريطانية والسلطات الإفرنسية المسؤولة الآن قد أرادت أن تأخذ باليد الواحدة ما أعطته باليد الأخرى. فإما أن يكون الإنتداب باقياً، وفي هذه الحال لا يجوز لفرنسة وبريطانية أن تعترفا باستقلال لبنان، وإما أن يقوما باعترافهما بهذا الاستقلال إنهاء لمهمة الإنتداب. والذي أعتقده أن الإفرنسيين والإنكليز قد استوصوا بذلك العمل العادل ميثاق الأطلانتيك والروح الجديدة المنبعثة من الأمم المتحدة. وأنا لا أشك في حال ما في نية بريطانية العظمى، ولا أريد أن أشك في حسن نية اللجنة الإفرنسية للتحرير الوطني. ويسرني أن أعتقد أن هناك خطأ مؤسفاً في التفسير أفسح في المجال لأزمة تتطلب مصلحة الإفرنسيين أنفسهم حلها في أقرب آن. فالمصريون كجميع الشعوب العربية يرقبون بقلق تطور هذه الأزمة، ويرجون لها حلًّا شريفاً جريئاً تقدم عليه اللجنة الإفرنسية في الجزائر، ويمكن من العودة إلى المنطق القانوني السياسي. وأريد أن أرجو أن يظهر الإفرنسيون من روح الحرية ما أظهرها أجدادهم الأمجاد، وهم الذين يديرون الآن دفة الأمور في الخارج، وقد ورثوا تاريخاً مجيداً هو تاريخ الحرية نفسها في العالم».

وأرسل النحاس احتجاجاً الى السفير البريطاني جاء فيه:

«باسم الحكومة المصرية والشعب المصري نحتج بكل قوة على تدابير السلطة الإفرنسية التي أمرت باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة واثنين من الوزراء في لبنان. ونحن بتوجيهنا هذا الاحتجاج إلى سعادتكم نعتقد اعتقاداً تاماً بأن بريطانية العظمى التي عززت الإفرنسيين المحاربين بمساعدة جيشها، والتي أعلنت مع حليفتيها في وقت واحد استقلال سورية ولبنان وأقامت نفسها كفيلة له، ستبذل قصارى جهدها لحل هذه الأزمة التي هي أشد الأزمات. واستقلاله ممارسة لنا كل الثقة بأن الحالة ستعود قريباً بفضل جهودكم إلى دائرة المنطق، فيتمكن لبنان من ممارسة حريته كاملة تامة».

وأرسل النحاس احتجاجه الرابع إلى سفير

أميركا وجاء فيه:

«إني أقدم لسعادتكم باسم الحكومة المصرية احتجاجاً شديداً على العمل الظالم الذي عملته اللجنة الإفرنسية للتحرير الوطني، التي أصدرت أمرها بالقبض على رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ووزيرين آخرين في لبنان. وإني معتقد وأنا أخاطب ممثل أميركا سند الحرية والديمقراطية، بأن الدولة الكبرى التي تحارب في سبيل شرف المبادىء تبذل جهودها لجعل ميثاق الأطلنطي محترماً، وهو الميثاق الذي انضمت اليه اللجنة الإفرنسية للتحرير. فاعتداؤها على استقلال لبنان عمل لا يكون من شأنه إلا إثارة الاستنكار العام، وإني موقن بأنه يكون له في الولايات المتحدة صدى مؤلم».

نشرت النصوص الأهرام في عددها تاريخ 1943/11/12

ومن طريف ما كان احتجاج من دي بونوا ممثل فرنسة في مصر على النحاس باشا وجواب هذا عليه. ونسجلهما هنا لما فيهما من معانٍ نقلاً عن الأهرام 1943/11/16 العدد 21182. وهذا كتاب دي بونوا:

«اطلعت بدهش مؤلم في الصحف بعد ظهر اليوم على الكتاب الذي وجهتموه اليّ بصدد حوادث لبنان، فإنه لم يكن هناك ما يحملني على الإعتقاد بأنكم ستقررون إذاعة مكاتبة شخصية دون أن تعلموني بشيء من بيانكم، ولهذا أراني مضطراً إلى الإحتجاج لدى رفعتكم على هذه النقطة. أما فيما يتعلق بموضوع المسألة فيلوح لي أنه من مصلحة لبنان وفرنسة إذا حسن فهمهما من أصدقائهما الحقيقيين، أن كل الفائدة في ترك هذين البلدين يحلان وحدهما مسألة قد اعتزمت فرنسة أن تحلها بروح الصداقة التي تسود علاقتها منذ قرون بالشعب اللبناني».

وقد علقت على هذه الرسالة فكتبت بعد إيراد نصها أن كاتبها نسي أنّ ترك فرنسة ولبنان وحدهما معناه السكوت على ما كان من غطرسة فرنسة هذه الغطرسة الفاجرة تجاه لبنان الضعيف، بينما هي ذليلة مهانة تجاه ألمانيا. وهكذا تكون الوقاحة واصلة منتهاها في هذا الجيل الإفرنسي. فمصر العربية والبلاد العربية غريبة عن لبنان لا يحق لها أن تتضامن معه في بلواه، وفرنسة المستعمرة التي لم تترك أسلوباً من أساليب العسف والفجور إلا اتخذته في سبيل الإرهاق والتفرقة والدس والإستغلال والقمع والظلم هي صاحبة الحق والصداقة مع لبنان. . .

ولقد أرسل النحاس باشا جواباً جاء فيه:

«تلقيت كتابكم المؤرخ في 43/11/12 والمتضمن احتجاجكم على نشر الرسالة التي وجهتها إليكم في يوم 1943/11/10 في الصحف. ويلوح لي أنكم إن لم تتبينوا تماماً أهمية الحوادث التي تتعدى شخصكم، فإنكم بحكم الأحوال مكلفون بتلقي مذكرات لجنة التحرير الوطنية الإفرنسية ونقلها. وكنت أعرف أنكم لا تستطيعون بحال ما إبلاغي رداً لا تمليه لجنة التحرير. وقد جاء رد الجزائر فظاً وسريعاً تجلى بكامله في العمل الإستبدادي الذي يفرق، من الآن فصاعداً، بين أصدقاء الحرية الديموقراطية وخصومها. فلم يكن لي والحالة هذه أن أنتظره. ولما كنت مضطلعاً بتبعات الحكومة المصرية وترجماناً أميناً لعواطف الشعب المصري، رأيت من واجبي أن أنشر الكتاب في أقرب وقت. ومما يؤسف له أن الحالة تحرجت إلى حد نسي فيه بعض الإفرنسيين في أشد أوقات الحرب جميع دروس

تـاريخهم القديم العـظيم وانساقـوا إلى أعمال العنف السهلة ضـد شعب صغير أعـزل، بينما الجهود الحقيقية المطلوبة من أجل النصر تسير في اتجاه آخر. وقد دهشت أيضاً للتفرقة التي أقمتموها بين أصدقاء لبنان الحقيقيين وغيرهم، فإن مصر والشعوب العربية تتباهى بالإعراب عن اشمئزازها في ساعة ذات مغزى في تاريخ لبنان والشرق العربي بأسره، ويكفي أن يستنكر العالم كله عمل ممثليكم لنعرف من هم أصدقاء لبنان الخلص وأصدقاء فرنسة الحقيقية نفسها، ومن هم الذين ضحوا عمداً بالحق والعدل في هذه الأحوال العصيبة ولم يكن رائدهم سوى الأنانية الزائفة».

ولقد بلغ من اهتمام مصر أن جميع هيئاتها وأحـزابها وكثيـر من الشخصيات والجمـاعـات احتجوا على ما كـان في لبنان، حتى مشيخـة الأزهر باسم العلماء وهيئة كبار العلماء والطلاب الخ. وهي التي كانت تظل أبعد الناس عن مثل هـذا الواجب الـذي يتـوجب عليهـا قبـل كـل الناس. ولقد شغلت أعمدة الصحف المصرية بأنباء لبنان وأحداثه، ونقل هياج العالم العربي وأقوال الصحف الإنكليزية والأميركية والأجنبية فيـه. ومن جميل مـا نشر قـطعة رائعـة لتوفيق الحكيم في الأهرام 16/11/1943 جاء فيها:

«خـاب أملي في فرنسـة، أنـا الـذي أحب ثقافتها ونشر دعوتها وصدق كلامها في الحرية والمسـاواة والإخاء، أنـا الـذي بكى لمحنتهـا وتفجع لنكبتها وظن أن الحرية الإنسانية انهارت بانهيارها، وأن العدالة البشرية اندكت بتحطيم جيشها. وهل كان يخطر لنا على بال أن في هذا الجيش بقية من همة تهب يوماً لا لكي تطرد من أرضها العدو المغير بل لتطأ بأقدامها استقـلال شعب صغير؟

بأي حق تتحدث فرنسة بعد اليوم عن حريتها وحرية الشعـوب؟ وبأي صفـة تطالب الحلفـاء بمقعـد في هيئـة الأمم المشـرفـة على تحقيق العدالة الدولية؟ إن فرنسة بفعلتها قد نزلت عن حقها في ميثاق الأطلنطي، فهي لم تعد صالحة لـلاشتراك فيـه لأنها داست المبـادىء المقـررة بمقتضاه. من الذي يتطلع بعد الآن إلى فرنسة الرافعة علم الحريات؟ لقد قدمت فرنسة الدليل على أنها فقدت روحها القديم الذي جذب إليها الأفئـدة، لقد مـاتت في فرنسـة تلك المعـاني الرائعة التي نشرت نسمات الأمل في النفوس، لقد تخلت فرنسة عن رسالتها النبيلة، لقد تركت لغيرها مهمـة تحريـر الأمم الصغيرة. واثكـلاه عليك يا فرنسة، إن فجيعتي فيك يوم انهيارك لتتضـاءل إلى جانب فجيعتي فيـك اليوم وأنت تخنقين بيـديك الـواهيتين المـرتعشتين حـريـة شعب ضعيف ناهض».

وسجلنا بعد هذا تعليقاً جاء فيه أن فرنسة هذه التي ذكر الحكيم أمجادها في الحرية والإنسانية وتحـريـر الأمم الضعيفـة تمـارس أشـد أنـواع العسف والظلم والإستبداد وخنق الحريات منذ ربع قرن في سورية ولبنان، ومنذ أكثر من مائة سنة في الجزائر، ومنذ أكثر من خمسين سنة في تـونس، ومنـذ أكثـر من ثـلاثين سنـة في المغرب. . . .

ولقـد كتبت مجلة المصـور في عـددهـا 19/11/1943 قطعة جميلة جاء فيها:

«لبنـان اسم حبيب إلى كـل قلب، ووطن قريب إلى كل قلب، وشعب يهتز له كل قلب. كانت مأساة لبنان مأساة مصرية شرقية عـربية، عاصرت حوادثها وأحداثها مشـاورات الوحـدة العربية فكـانت تجربـة وكانت امتحـاناً. ولله الحمـد فقد أسفـر الإمتحان عن نجـاح كبير،

فصرخ الشرق العربي صرخته الداوية ليعلم العالم أجمع أن الوحدة قد كونت تيجاناً وعروشاً وحكومات وشعوباً، وأنها لم تكن رمزاً ولا قولاً ولا مناورة ولا عبثاً، وإنما كانت عملاً وفعلاً ووجوداً. لبنان لم يضرب ضربته في سبيل استقلاله وحريته وحقوقه وحده، وإنما ضرب ضربته وضربت معه الوحدة العربية، فتجلى تضامنها وتكافلها وخطرها وجلالها لتعلم الدول واللجنة الإفرنسية أنها أمام جبهة لا يستهان بها، وأن الشرق القديم لم يعد شرقاً قديماً وإنما جدد شبابه ورفع علمه. وهنا تحمد المأساة ويشاء ربك أن يجعل من شرها خيراً ومن نارها برداً وسلاماً. تعسّف فرنسة الحرة وغير الحرة كشفت الغريزة عن أن الجزائر لا تختلف عن فيشي، وأن فيشي لا تختلف عن الجزائر، وأن هذا النوع من أجناس البشر قد اضمحل وانهار، فهو عدو نفسه وعدو وطنه وعدو مبادئه. وأعجب لباكٍ على حرية وطنه واستقلال بلاده يدوس بقدم الجهل والنزق وعدم التبصر حرية الأوطان واستقلال البلاد؛ وأعجب ثم أعجب لدعاة الديموقراطية المتطرفين كيف لطموا الديموقراطية ومصيرهم معلق في يد الأقدار تعاسة لا أكثر ولا أقل، وإنذار للشعوب بأن تحذر وتتبصر فلا تندفع وراء ألفاظ المعاهدات والتصريحات الخلابة الخداعة الكاذبة».

ولقد جاء في العديد من الصحف والمجلات المصرية الأخرى نبذ كثيرة من هذا الباب. ولقد دخلت حادثة لبنان في خطاب العرش الذي ألقي في البرلمان المصري في هذه الأثناء. وأتيحت للنحاس باشا فرصة لأن يعلن في مؤتمر عقده الوفد وفي مهرجانه الذي أقيم له في مناسبة عيده الفضي في أيام 13 ـ 15 تشرين ثاني 1943، بأنه لن يقر له قرار حتى ينال لبنان كرامته وحقه تامين كاملين، ويرجع رئيس جمهوريته ووزرائه ومجلس نوابه إلى مناصبهم. . ولم نستلم صحفاً من سوريا ولبنان والعراق، ولكن الصحف المصرية التي وصلت إلينا أشارت إلى أن حكومات سورية والعراق والأردن قد احتجت احتجاجات شديدة وقارصة على ما كان، وأعلنت تضامنها مع لبنان والشعب اللبناني في محنته، وأن الأمير زيد الوصي مؤقتاً على عرش العراق استدعى سفيري بريطانية وأميركا وطلب منهما إبلاغ حكومتيهما احتجاج العراق حكومة وشعباً، وهياج الشعب العربي وانتظاره أن تقف الحكومتان موقفاً ينسجم مع دعوى الحق والعدل وحرية الشعوب الصغيرة التي تدعو إليها وتجعلها من غايات الحرب. وأنه أرسل إلى القائم بأعمال المفوضية العراقية في مصر تعليمات بإبلاغ النحاس تضامن حكومة العراق مع حكومة مصر في كل تشبث تقوم به في سبيل حق لبنان وأحداثه. وقد قرأنا في أهرام 1943/11/15 برقية للوكالة العربية للأنباء عن بغداد، جاء فيها أن البرلمان العراقي وافق بالإجماع على الاحتجاج التالي:

«إن التصرفات التي اتخذتها السلطات الإفرنسية في لبنان تحمل روح الاعتداء والرغبة في السيطرة على الشعوب، وتغاير تماماً المثل العليا التي تحارب من أجلها الأمم المتحالفة. وفضلاً عن مخالفتها التامة لروح ميثاق الأطلنطي، فإنها تناقض جميع التصريحات التي صدرت من بريطانية والولايات المتحدة واللجنة الإفرنسية نفسها بالإعتراف باستقلال لبنان وسيادته. ففي الوقت الذي يسجل فيه مجلس النواب العراقي استنكاره لاعتداء اللجنة المذكورة على استقلال لبنان وحريته، لا يزال على ثقة بأن الدول الديموقراطية التي سبق لها

الإعتراف بذلك الإستقلال، والأمم المتحدة التي تشترك معها في المبادىء التي أدت إلى الإعتراف المذكور، ستضمن إزالة نتائج هذا الإعتداء ورد الحقوق إلى أهلها».

ونشرت الأهرام في عدد اليوم التالي برقية للوكالة العربية عن بغداد أيضاً، جاء فيها وصف لجلسة إحتجاجية صاخبة عقدها مجلس الأعيان وقرر فيها رفع الاحتجاج الشديد على هذا التصرف في نفس المعنى الذي جاء في احتجاج مجلس النواب. كما ذكرت البرقية خبر الهياج والغليان وما أرسل من برقيات احتجاجية عديدة من مصادر متنوعة.

ومما قرأناه في جريدة فلسطين أن جميع مدن فلسطين أضربت، وأن الشخصيات البارزة والهيئات احتجت بأسلوب قوي، وتألفت في مدن عديدة لجان باسم الدفاع عن لبنان ولأجل جمع تبرعات، وأن الأزمة اللبنانية قد شغلت صحف فلسطين وأفكار الفلسطينيين بمقياس واسع.

ولقد ذكرت الصحف التركية أن الملك ابن السعود أيضاً قام بواجبه، فاستنكر العمل واحتج عليه بأسلوب شديد. ويفهم مما قرأناه في الصحف المصرية والتركية أن جماعة من زعماء لبنان ودروزه خاصة أخذوا يستعدون للكفاح المسلح، وصاروا يتجمعون في أنحاء الجبل، وذكر اسم الأمير مجيد أرسلان كمدير ومحرك لهذه الحركة. ولقد كان الأمير الذي هو من الوزراء حين قبضت السلطات على زملائه في الجبل، وقد تمكن هو من الإفلات منهم.

وكذلك مما قرأناه أن بعض النواب والوزراء الذين لم يقبض عليهم قرروا إنشاء حكومة وطنية وجعلوا مركزها بيت الدين، وأخذت الحكومة تذيع النداءات بعدم التعاون مع السلطات الإفرنسية والأشخاص الذين انتدبتهم للقيام مقام الحكومة المعتقلة.

وأذاعت الأهرام أن حكومة وطنية تألفت في البقاع وأسندت رئاستها إلى هنري فرعون ورئاسة وزارتها إلى صائب سلام، ومن أعضائها حبيب أبو شهلا والأمير مجيد أرسلان. .

ومما قرأناه في عدد فلسطين 1943/11/11 أن رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة والوزراء والنواب المعتقلين أرسلوا إلى قلعة راشيا ووضعوا تحت حراسة شديدة، وأن طرابلس الشام كانت أعنف المدن شدة وحنقاً، حتى أنه لم يسلم بيت من بيوت الإفرنسيين موظفين وغير موظفين فيها من الإحراق، وأن الجماهير اقتحمت قصر الحكومة وأشعلت فيه النار، وأن حي البسطة الإسلامي في بيروت غدا أشبه بميدان حرب بما أقيم فيه من متاريس وجرى فيه من حركات عسكرية وأطلقت فيه من عيارات نارية. ولقد كان من أثر هذه الأزمة أن تعالت أصوات التضامن بين المسلمين والمسيحيين في لبنان، وكان من بوادر ذلك تصريحات للبطريرك الماروني جاء فيهاأنه ليس من خلاف بيننا وبين المسلمين، وأننا جميعاً نشكو تصرف فرنسة ونطالب من بريطانية حمايتنا منها، وهذه تصريحات ذات خطورة عظيمة في تاريخ لبنان.

ومما قرأناه في عددي 12 و1943/11/14 من جريدة فلسطين أن بطرك الموارنة ومفتي المسلمين راجعا كلٌ بدوره سفير بريطانية، وأعلن تأييده وتأييد جميع اللبنانيين للحكومة الوطنية، وطلب تدخل الحكومة البريطانية في الأمر وإعلان هذه الحكومة حمايتها للبنان وتدخل الجيش الإنكليزي حماية لأرواح بنيه.

ومما نشرته فلسطين في عددها 1943/11/12

أن إميل اده أذاع بياناً جاء فيه:

«إني استلمت مقاليد الحكم في الظروف الحالية، وإني كرئيس للدولة والحكومة أطلب من الشعب اللبناني لمصلحة لبنان نفسه الركون إلى الهدوء والسكينة. وإن كل من يحاول الإخلال بالأمن سوف يتعرض لأشد العقوبات».

ونشرت الجريدة مع هذا أن إده لا يأتي إلى دار الحكومة ولا يعود منها إلى بيته إلا بحراسة شديدة، وأنه تكرر مع ذلك إطلاق الرصاص على موكبه في غدوه ورواحه. وذكرت في عددها 1943/11/21 أن بيته قذف بقنابل عديدة، وأن الأمير مجيد أرسلان تحصن في الجبل وهو يبذل جهده لجمع المسلحين والقيام بحركة حرب عصابات. وأذاعت في العدد نفسه نص أول بلاغ حربي أصدره جاء فيه:

«هاجمت قوات الحكومة الشرعية جيشاً إفرنسياً مؤلفاً من القناصة من السنغال والإفرنسيين قرب عيناب، وقد اندحر الإفرنسيون بعد أن قتل منهم ثلاثة ودمر لهم أربع سيارات مصفحة وموتوسيكلاً وأسر منهم إثنين. واستشهد منها واحد وجرح ثلاثة».

وقد نشرت فلسطين في عددها 1943/11/19 برقية عن القدس، جاء فيها أن السلطات في بيروت أصدرت بلاغاً اعترفت فيه بوجود عصابات مسلحة منعزلة في بعض أنحاء الجبل..

ومما قرأناه في عدد فلسطين 1943/11/23 برقية من لندن لشركة رويتر لمراسل الديلي ميل الخاص في بيروت جاء فيها: «حضرت أمس اجتماعاً سرياً عقده البرلمان اللبناني الذي حله الإفرنسيون، وخرجت من الاجتماع وأنا مقتنع بأن الموقف خطر، وأن لا مخرج منه إلا بعودة الحكومة المعتقلة وإعلان استقلال لبنان وسيادته التامة».

ومما قاله المراسل: «إني أحببت الإتصال بالحكومة اللبنانية السرية فوسطت صديقاً للطرفين، وخرجت معه بعد ظهر أمس بسيارة تاكسي، وكان الصديق يجلس قرب السائق لإرشاده إلى الطريق، وانتهى بنا السير إلى بيتين حجريين في رأس جبل وسط حرش، وقال صديقي إن المنطقة درزية، وهرول رجل ضخم الجثة لاستقبالنا، وكان هذا هو الأمير مجيد أرسلان وزير الدفاع في الحكومة المعزولة ورئيس الجماعات اللبنانية المسلحة الآن وزعيم الدروز في هذه المنطقة. وكانت الحكومة التي يرأسها بالوكالة حبيب أبو شهلا تتهيأ للإجتماع في هذه المنطقة العالية الباردة. ومما كان وهو ذو خطورة عظيمة أيضاً، إعلان اندماج فرق النجادة الإسلامية مع فرق الكتائب النصرانية، واختيار بيير الجميل رئيس الكتائب رئيساً عاماً للفرق المندمجة».

ومما ذكرته جريدة فلسطين 1943/11/14، أن الإفرنسيين حاولوا منع المسلمين من التجمع في المساجد وإقامة صلاة الجمعة، ولكن المسلمين اقتحموا صفوف الجند ودخلوا مساجدهم، وأن المسيحيين جاءوا إلى هذه المساجد ووقفوا على أبوابها لحراستها أثناء صلاة المسلمين.

ومما يسجل أن الصحف النصرانية عامة وجريدة العمل لسان حال الكتائب خاصة أيدت مبادرة حكومة رياض وقرار المجلس النيابي، واعتبرتهما تعبيراً صادقاً عن الرأي العام اللبناني بأجمعه، وانتقدت موقف السلطات الإفرنسية من ذلك. ولقد انقطعت المخابرات والمواصلات بين بيروت والمدن اللبنانية، وبين لبنان وسورية وفلسطين، فصارت الإشاعات

تنتشر مشوشة حيناً ومبالغاً فيها حيناً آخر. وأخذت محطات لندن ومصر وفلسطين خاصة تنشر أخباراً متنوعة فيها الغث والسمين وبلهجة فيها مرارة وعتب وهياج.

ومما نشر أن المظاهرات تكررت في بيروت والمدن الأخرى، وأن الاشتباكات تقع بين المتظاهرين والقوات الإفرنسية التي تطوف في الأسواق فوق الدبابات والمصفحات، وأن الضحايا بلغت المئات، وأن الاعتقالات مستمرة.. ومع أنه ظهر أن بعض هذه الأخبار مبالغ فيها أو مشوشة، فقد عرف يقيناً أن أكثر من عشرة استشهدوا في بيروت وصيدا وطرابلس، وأن عدد الجرحى بلغ مأة وثلاثين.

ومما نشرته الصحف التركية أن الحكومات السورية والعراقية والمصرية أذاعت بيانات تدعو شعوبها إلى الهدوء، وتطمئنهم بأن المساعي تبذل بكل قوة لإحقاق الحق، مما يدل على أن الهياج في هذه ظل مستمراً أياماً عديدة.

وقد قرأنا في أهرام 1943/11/15 نص البيان الذي أذاعه النحاس باشا على الشعب المصري. وهذا هو:

(لا أشك في أنكم حزنتم أشد الحزن وتألمتم أشد الألم لما حل بإخوانكم وجيرانكم في لبنان. وإني كنت ترجمانكم الصادق ولسانكم الناطق حينما أعربت عن كبير سخطي وبالغ احتجاجي على ما أتته القوة فيه من إجراءات ظالمة وارتكبته من قوة غاشمة. غير أني أسفت أسفاً شديداً لأن البعض منكم قد لجأ في إبداء شعوره إلى المظاهرات التي لا تؤمن معها العواقب. ولما كنت حريصاً على أن لا أدع لأحد علينا سبيلاً بالحق أو بالباطل، ليظل موقفنا في دفاعنا عن إخواننا قوياً سليماً لا تشوبه شائبة، فقد أصدرت أوامري في الحال بمنع المظاهرات وما إليها منعاً باتاً بجميع الطرق، وإني لأهيب بكم أن تكون الحكمة خطتكم والهدوء سبيلكم، وأن تتركوا معالجة الأمر لنا بما عهدتم ورأيتم فينا من حرص بالغ على تحقيق رغباتكم ورد الحق إلى نصابه في القطر اللبناني الشقيق).

الأهرام عدد 21181 تاريخ 15/11/ 1943.

وهكذا لأول مرة في هذه الحقبة يقف لبنان موقف نضال وعنف وتضحية وغضب للكرامة والحرية والإستقلال إزاء فرنسة وسلطاتها، وهو موقف يولد به لبنان العربي الحر الأبي ولادة جديدة، ويلحق به بقافلة النضال العربي مع سائر البلاد العربية في سبيل الحرية والاستقلال والسيادة، وضد الإستعمار وأساليب المستعمرين، فتردد صدى هذه الولادة وهذه الغضبة النضالية في البلاد العربية جميعها بقوة وعطف وغليان وتضامن يدل على ما وصلت إليه الروح العربية من تنبه وحساسية. والفكرة العربية من تطور وشيوع، والرغبة العربية في الكرامة والسيادة، والحقد على الإستعمار وأساليبه، مع استدراكها بحق أن هذا القول هو بسبب اندماج النصارى وبخاصة الموارنة في هذه الحركة، لأن المسلمين في لبنان أثبتوا روحهم ورغباتهم وتطلعاتهم العربية القومية الإستقلالية المناوئة للاستعمار، والإفرنسيين في مواقفهم العديدة منذ بدء الإحتلال الإفرنسي على ما مرّ ذكره مراراً في هذه المذكرات. ولأول مرة تتبخر روح الأم الحنون وتتزلزل أقدام الأم الحنون من أرض كانت تظن أنها أرضها، ومن أمة كانت تظن أنها كالتي من لحمها ودمها غريبة عن العرب والعروبة. وكان لها من دسائسها وأساليبها ما كان يبرر لها ذلك الظن

الأثيم. وفي كل هذا كسب عظيم يجعل ما كان خيراً وبركةً مهما كان فيه ضحايا وأذى.

ولقد عاضد هذا الموقف وقواه الموقف القوي الذي وقفته بريطانية حكومة وبرلماناً وصحافة وإذاعة، فقد ظلت كل هذه المؤسسات تشتغل وتنشط كل في نطاقه بهذا الحادث اشتغالاً ونشاطاً عجيبين، فتعددت الأسئلة في مجلس النواب وتعددت إجابات ممثلي الحكومة. وجاء كايسي وزير بريطانية في الشرق مرتين إلى بيروت، وصدر عنه تصريحات مهمة فيها حملات شديدة على ما وقع، وأظهر خوفه من اتساع الخرق، وقال أن الحالة في لبنان خطرة وخيمة. وأعلنت حكومة لندن رسمياً وشبه رسمي وفي مجلس النواب وخارجه أنها مهتمة جداً بالحادث، وأنها أرسلت التعليمات اللازمة لممثلها في الجزائر ليحتج بشدة ويطلب بتسوية الأمر تسوية.سريعة وعادلة وسحب هيللو. الخ. وقد استعملت في الحملات الصحفية وشبه الرسمية أساليب عتاب جارحة لفرنسا وللجنة الإفرنسية ولهيلّلو. ومن الصحف من ذكرهم بأنهم مدينون لمركزهم لبريطانية وجيشها، ومنهم من قال لهم أن هذه الحمية والقوة كان أحرى أن تبذل ضد قاهري فرنسة، ولا يصح أن تكون منهم ضد شعب صغير صديق. ومنهم من أشار إلى التناقض العظيم في الموقف، فالإفرنسيون من جهة يحاربون ليحرروا وطنهم وينالوا استقلالهم ثم يحاربون شعباً كل ما يريده هو حرية وطنه واستقلاله الخ. حتى لقد صار يقال عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الحادث من سوء تفاهم عميق بين بريطانية واللجنة الإفرنسية، وتأثير ذلك العميق على العلاقات بين الطرفين بأساليب متنوعة. وكانت إذاعات لندن العربية والإنكليزية والإذاعات العربية التي يشرف عليها الإنكليز في مصر وفلسطين تنقل هذه الحملات والأسئلة والأجوبة والتصريحات والأقوال، بالإضافة إلى ما كان من مظاهر التضامن والهياج والإحتجاج في البلدان العربية، فيزداد بذلك رد الفعل العربي قوة ونشاطاً وسعةً أيضاً. وأهم ما كان الإنكليز يبررون به حملتهم وموقفهم هو إقدام هلّلو على ما فعله بدون تشاور مع المعتمد الإنكليزي، وما أدى إليه ويمكن أن يؤدي إليه الحادث من ثوران الأقطار العربية، وجعل الموقف العسكري مشكلة في الشرق الأوسط في أدق ظروف الحرب، بسبب ما يمكن أن يقع من ثورات وحركات عصيانية، وكون هذا العمل إخلالاً بالعهود التي أشركت بريطانية في قطعها باستقلال لبنان، وكونه أيضاً نقضاً للمبادىء التي يعلن الحلفاء أنها غايات الحرب لهم، حيث يجعلهم متناقضين في المبادىء والتطبيقات. وقد أشير في ما صدر من أقوال وتصريحات إلى أن بريطانية الآن في مركز متساو مع فرنسة في لبنان عسكرياً وسياسياً وإدارياً، وأنها لا يمكن أن تتهاون بمركزها هذا وتعرض الحالة في الشرق العربي إلى المخاطر والأزمات.

أما موقف الإفرنسيين في بيروت والجزائر فقد كان عجيباً سليطاً متغطرساً، وفي ذات الوقت مضطراً إلى المسايرة والمداورة والدفاع والتبرير. وقد حملت إذاعاتهم **أولاً**: حملات متنوعة الأساليب على المفوض الإنكليزي، وأشارت إلى أصابعه في إثارة الرأي العربي وتهييجه. وزعمت **ثانياً**: أن في الأخبار مبالغات. وحملت **ثالثاً** على حكومة لبنان، ووصفت موقفها بالتحدي والعناد والرغبة في جعل فرنسة أمام الأمر الواقع وبالتآمر ضدها وضد حقوقها ومصالحها. وقالت **رابعاً** أن لجنة

التحرير لا تستطيع أن تتخلى عن هذه الحقوق والمصالح من جهة، ولا عن تعهداتها الدولية التي هي مسؤولة عنها أمام عصبة الأمم. ونوهت بحسن نياتها، وما كانت اعتزمته من المعاملة السمحاء إزاء مطالب لبنان. ودافعت عن هللو واضطراره إلى ما اتخذه من تدابير لإحباط المؤامرة العدائية نحو فرنسة، ووجهت لوماً وعتاباً وغمزاً للدولة التي تتدخل بدون حق في أمور لبنان التي لا تخص إلا فرنسة ولبنان وحدهما، وقالت أن هذا التدخل مما يزيد الموقف خطورة والخرق اتساعاً، وأنكرت ما تدعيه بريطانية من مركز سياسي وإداري لها في لبنان، وقالت ليس لها إلا مركز عسكري ناجم عن ظروف الحرب وحسب. وأكدت حسن نيتها نحو لبنان وصدق رغبتها في تمتعه باستقلاله حال ما تنتهي الحرب ويصبح تعديل الموقف دولياً وعهدياً ممكناً. وأكدت رغبة الإفرنسيين في استمرار حسن التفاهم والتضامن مع الإنكليز، وعدم تركهم أي مجال لسوء تفاهم أو لإخلال ما بينهما من علاقات حسنة.

وقد نشرت الصحف التركية تصريحاً رسمياً وافياً عن حوادث لبنان صادراً عن اللجنة الإفرنسية تضمن ما يلي:

(إن وزيري خارجية لبنان وسورية كانا راجعا ممثل فرنسة وطلبا منه استلام الأعمال والصلاحيات التي كانت تمارس من سلطات إفرنسية، فجاء الممثل إلى الجزائر للتشاور في هذا الطلب وفي الموقف عامة. وأعطت اللجنة للممثل تعليمات فيها تسامح كبير، وتصريحاً يعلن باسمها بأن سورية ولبنان سوف تتمتعان باستقلالهما وسيادتهما كاملين عقب الحرب، وبموجب معاهدة تنعقد بينهما وبين فرنسة. غير أن حكومة لبنان بينما كان الممثل في طريقه إلى بيروت قدمت لائحة بتعديل الدستور إلى مجلس النواب، واضطر المجلس إلى الموافقة عليها بضغط من رئيس الحكومة وبما أثاره في الرأي العام من هياج وغليان، وهكذا جعلت فرنسة أمام أمر واقع، وأريد بذلك تعديل الدستور، الذي يجب أن يتم بموافقة الطرفين لا من طرف واحد، وإهمال الطرف الثاني أو السلطة المنتدبة دولياً. وقد سارت حكومة لبنان بالإضافة إلى ذلك على خطة عدائية صريحة نحو فرنسة، فكان كل هذا مما اضطر المندوب الإفرنسي إلى تعطيل التعديل وتوقيف رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة للحيلولة دون الهياج والإضطراب. ولم يجد المندوب وقتاً لأخذ رأي اللجنة في خطوته الإضطرارية التي خطاها. وقد عظمت حوادث لبنان كثيراً في البلاد المجاورة، ولعبت إذاعة فلسطين خاصة دوراً كبيراً في هذا الموقف). وثبت القصد في الموقف هو الحملة على رياض، والإشارة إلى مساعيه المثيرة المتميزة المتحدية العدائية، وتأييد الإذاعات البريطانية وخاصة إذاعة فلسطين لذلك.

ولسنا ندري صحة ما زعمه الإفرنسيون من أصابع ممثل بريطانية وتشجيعه في الحادث أو في الخطوات الأولى التي خطاها رياض، ولكن الملموح على كل حال مما صدر عن المحافل والصحف الإفرنسية بل والإنكليزية، أن الإفرنسيين يعتقدون ذلك. ومن الملموح أيضاً أن هناك تشاداً بين الإنكليز والإفرنسيين. فهؤلاء يحملون على سبيرس الممثل الإنكليزي ويطالبون بإبعاده، ويشيرون إلى أصابعه في تحريك الدروز وتوسيع الهياج، ويرون في تدخل الإنكليز مقاصد بعيدة، ويستنكرون ذلك ويقولون أنه ليس لبريطانية مركز يخولها هذا

التدخل، وأن تدخلها مما سبب اتساع الخطورة والفتق، وأن فرنسة لن تتخلى عن مركزها ومصالحها ومسؤولياتها في لبنان وسورية بأي حال. ومن الملموح أيضاً أن ما تكتبه الصحف الإنكليزية وما يصدر من نواب وحكومة الإنكليز من أسئلة وأجوبة، وما تبديه المحافل الإنكليزية من اهتمام ونشاط هو أكثر مما يستوحيه خوف اختلال الأمن أو الخوف على الموقف الحربي العام والرغبة في معالجة حالة طارئة. ويسوقنا هذا إلى التساؤل عما إذا كان الإنكليز يرون الفرصة سانحة للتشطيب للإفرنسيين في سورية ولبنان، أو على الأقل لزعزعة مركزهم، ورغبتهم في ذلك معروفة قديمة ترجع إلى موقفهم في عهد فيصل. وإذا كنا نرجح أن الحالة الآن لن تصل إلى هذه النتيجة، فأنا لا أرتاب في أن تشجيع الإنكليز واهتمامهم هذا قد كشف عن رغبة عميقة بعيدة من جهة، وكان سبباً في زعزعة مركز فرنسة في سورية ولبنان من جهة ثانية. ولا نرتاب في أن الأوساط السياسية الرسمية وغير الرسمية في سورية ولبنان بل الرأي العام فيهما يرحب بنقل علاقة سورية ولبنان من الإفرنسيين إلى الإنكليز كل الترحيب. ونعتقد أن الإنكليز قد لمسوا هذا الميل، واعتمدوا عليه وشجعوه. والحقيقة أن تصرفات الإفرنسيين وحماقاتهم وأساليبهم ومواقف موظفيهم المحلية وصلت في البشاعة إلى درجة أن تجعل الإنسان يفضل القرود عليهم. ونقول هذا لا لتخفيف شر الإنكليز ومطامعهم وأساليبهم أو لتسويغ زوال الإفرنسيين لقيام الإنكليز محلهم، فكل المستعمرين شر على بلادنا. . . . ولكن بعض الشر أهون من بعض.

ومهما يكن من أمر، فاللجنة الإفرنسية في الجزائر لم تر بداً من المسايرة. فقد أكلتها أفواه العالم ومركزها وعملها متناقضاً تناقضاً يلزمها به الحجة والخزى. ولعلها خشيت من تفاقم الأمور واشتداد أصابع الإنكليز حتى يصل الأمر إلى تشطيب فرنسة، وهي مدينة فوق كل هذا لبريطانية بكل شيء حتى بالخبز الذي تأكله هي وموظفوها وجيشها. وبقوة ضغط الظروف أعلنت أنها قررت إيفاد الجنرال كاترو بتعليمات وصلاحيات واسعة لحل الأزمة حلاً مرضياً. وقد استقبلت المحافل الإنكليزية ذلك بارتياح وعدته بدء تحول وصلاح، وأخذت تكيل الثناء على كاترو وتصفه ببعد النظر وسعة الأفق والصدر، وتعلن في الوقت نفسه وجوب اتخاذ خطوات جريئة وشريفة وعادلة تضمن الحق لأهله وعدم تكرر الأزمة. وجاء كاترو أولاً إلى القاهرة، فاجتمع بكايس وزير بريطانية في الشرق، وصرح هذا بأنه أفضى بما عنده من معلومات وما توجبه الحالة وبوجهة نظره ونظر حكومته بصراحة تامة. ثم جاء كاترو إلى بيروت وأخذ يتصل بمختلف الأوساط من مسيحية وإسلامية وحكومية وغير حكومية ويعد وعوداً تطمينية. وقد كانت الطمأنينة سبقته إلى لبنان وسورية نتيجة لما أعلن من أنه مزود بتعليمات وصلاحيات واسعة، ولما أظهره الإنكليز من ارتياح. وفعلاً فإنه لم يمض على قدومه أيام حتى تلقى هللو أمراً من الجزائر بالقدوم إليها، فكان أول حل حاسم للعقدة. وتبع هذا إطلاق سراح رئيس الجمهورية والوزارة والوزراء والنواب الموقوفين. وأذاع القائم بأعمال المندوب بياناً سمعناه من الراديو يعلن فيه إلغاء القرار السابق بتعيين إميل اده رئيساً للدولة، وبتعطيل الدستور وحل مجلس النواب، وبعودة رئيس الجمهورية إلى منصبه مع اعتبار ما تم من تعديل الدستور

لاغياً. وكان هذا لأول وهلة مثيراً، لأنه لم تتغير الحالة به كثيراً، ورددت هذا المعنى الصحف الإنكليزية والإذاعات العربية. ثم أذيع أن رئيس الوزارة والوزراء عادوا إلى مناصبهم، وأن الهدوء والسكينة استتبا في لبنان وسورية، وأن كاترو زار رئيسي الجمهورية والوزارة وتحدث معهما في صدد الخطوات الآتية التي تضمن الانسجام في الموقف وعدم تكرر الأزمة. وقال لهما أنه ليس من مانع من عودة المجلس النيابي إلى نشاطه. وزار كذلك دمشق فزار رئيسي الجمهورية والوزارة وجرت بين الطرفين أحاديث في صدد المستقبل. ثم عاد إلى الجزائر ليرفع للجنة تقريراً بما كان، وبما يجب أن يكون بالنسبة للمستقبل.

ولقد قوبل الإفراج عن الموقوفين وعودة أصحاب المناصب منهم إلى مناصبهم وعودة المجلس النيابي إلى نشاطه وسحب هللو بالابتهاج والفرح. وقد أبرق فاروق الذي كان في المستشفى بسبب حادث صدام سيارته إلى الشيخ بشارة الخوري برقية قوية هنأه فيها بالعودة، وهنأ لبنان بنضاله ودفاعه عن كرامته وحقه. وأبرق النحاس للشيخ بشارة ورياض وصبري حماده برقيات في مثل ذلك. وانهالت البرقيات المماثلة من البلاد العربية من حكومات وهيئات وشخصيات. وقامت مظاهرات الابتهاج والشكر قوية صاخبة في بيروت والمدن اللبنانية ودمشق وغيرها، حتى أن النواب في بيروت رفعوا على أكتافهم رئيس الجمهورية وأدخلوه إلى مقره الرسمي في السراي محمولاً. . .

ومن تمام الطرافة أن البرقيات أذاعت أن إميل اده الذي ألغى تعيينه اختفى في مكان غير معلوم من شدة ما شعر به وأحاطه من الخزى والاشمئزاز والنبذ من المسلمين والمسيحيين والإفرنسيين والإنكليز معاً. . . وقد بقي الحل مع كل هذا ناقصاً، لأن كل ما تم هو عودة الحالة إلى ما كانت عليه قبل تعديل الدستور. فإذا لم ينفذ التعديل يكون ما تم هو ما أرادته فرنسة جوهرياً. ولا شك في أن رياضاً ورفاقه لن يقبلوا هذا، وأن الحكومة السورية ستتضامن معهم أيضاً، لأن فيما كان تهديداً لوجودها واستقلالها.

ولقد سمعنا أمس 2 كانون الأول 1943 من إذاعة فلسطين أن كاترو عائد إلى بيروت قريباً لإتمام ما بدأ به، ولعله يجد حلًا مناسباً يرضي به اللبنانيين واللجنة معاً لمسألة تعديل الدستور. . .

ولقد سمعنا منذ بضعة أيام إذاعة عن علم لبناني جديد رفع على دوائر الحكومة بابتهاج وحماس، وأن ذلك كان بقرار من المجلس النيابي، وأنه يتألف من خطين أفقيين أحمرين بينهما خط أبيض، وفي وسط الأبيض أرزة خضراء وسوداء. وكان العلم اللبناني نفس العلم الإفرنسي في إحدى زواياه أرزة، رامزاً لتبعية لبنان بروحه ومظهره لفرنسة وابنثاقه عنها، وكان هذا مما يبعث دائماً المرارة في نفوسنا. وقد يتبادر لنا أن العلم عدل في سياق تعديل الدستور، وأن العلم لم يذكر في الدستور فغفل الممثل الإفرنسي عن ذكر العلم الجديد حينما أعلن إلغاء التعديلات الدستورية، فظل تعديل العلم نافذ المفعول ورفع بعد انفراج الأزمة، فلم يكن مجال لتدخل إفرنسي جديد يحدث أزمة جديدة. وبهذا ربح لبنان ربحاً رمزياً مهماً بخروجه من رمزية التبعية الإفرنسية واتسامه بالسمة العربية التي اتسم بها علم الثورة الهاشمية، والتي يتسم بها الآن أعلام سورية والعراق والأردن المربعة الألوان (خضراء

وبيضاء وحمراء وسوداء).

وأزمة لبنان في سيرها وأسبابها ونتائجها تثير معاني وذكريات جديرة بالتسجيل، فقد ظهرت فيها الروح الإفرنسية المتسلطة المتغطرسة الاستعمارية والاستبدادية بأجلى أو بأقبح معانيها، دون أن يكون لما جرى في فرنسة وفي العالم من تطورات أي أثر في تغيير هذه الروح التي كانت على أشدها وأقساها في الجزائر منذ مائة سنة أو تزيد، والتي كانت تظهر من حين إلى آخر في لبنان وسورية في حقبة ربع القرن الحاضرة. وهذا ما يدعو إلى التشاؤم إذا لم يشطب لفرنسة وسمح لها بالإستمرار في ما تدعيه من مركز فيهما.. وتكرر في هذا الحادث دك العروش الاستقلالية، التي قامت في سورية ولبنان في هذه الحقبة وفي المغرب في ما سبق، بجرة قلم، والنزوة بكل عاطفة وطنية وكرامة وطنية وإنكار لكل عهد وتصريح. وظهر بالحادث أن فرنسة الأصلية وفرنسة الفرعية التي تسمي نفسها (الحرة) سواء في هذه الروح وفي هذه الذهنية، فالأولون لم يبالوا بالنكث في المعاهدة وضربها عرض الحائط وهدم الكيانات الإستقلالية الوطنية التي قامت والدساتير والحياة النيابية التي انبثقت من الأمة استناداً إلى تلك المعاهدة. وهؤلاء يقدمون على أفظع عمل، فيعتقلون رئيس جمهورية منتخب من مجلس أمة منتخب قائم على دستور قومي، ويعتقلون رئيس وزارة هذه الجمهورية ووزراءها ونوابها ويعلنون إلغاء الدستور وحل مجلس النواب بجرة قلم. وهم ليسوا حكومة، كل ما يستندون إليه بضعة طوابير سنغاليين. ومعنى هذا أن هذا الكيان الطنان الرنان الذي ظننا أننا بلغنا به عنان السماء ومكنا في أرضنا واعترفت به أمم العرب وبعض أمم الغرب يطير بقرار يصدره موظف إفرنسي ويغدو هباءً.. ونحن منتظرون ما سوف يفعله إخواننا في سورية ولبنان لضمان عدم استمرار هذه الذهنية التعسة وهذه التصرفات الفظيعة المقلقلة.

ومهما يكن من أمر فإن الأزمة كانت مفيدة من ناحية كسب لبنان عروبياً، وتوطيد عروبته، وغدوه حلقة في السلسلة القومية النضالية، وتسجيله وقفة دموية في تاريخ النضال. ومن ناحية ما كشف من تطور الفكرة العربية والتضامن العربي، وخاصة من ناحية اندفاع مصر هذا الإندفاع الشديد العظيم في العاطفة والإهتمام والإندماج في القضية العربية والعروبة.. فمن ناحية ما سوف يكون لهذا الإهتمام العظيم الذي بدأ من مصر وبلاد العرب بلبنان من أثر في لبنان واللبنانيين، وما يبعثه فيهم من الشعور بالكرامة والإعتزاز بما كان لهم من موقف نضالي وما نالوه من عطف عربي شديد شامل.

ويتكرر ما قلناه إن هذا الحادث سيكون مزعزعاً لمركز فرنسة الإستعماري في لبنان، ومن باب أولى في سورية، وسيقوى عزم وجهود إخواننا فيهما لتثبيت الحياة الإستقلالية الصحيحة. وأمس أي ليلة الثالث من كانون الأول 1943 سمعنا وصفاً لحفلة تكريمية أقامها عادل عسيران لرياض الصلح لم يدع إليها أحد من رجال فرنسة، في حين دعي إليها معتمدو أميركا وبريطانية وقوادهم، وفي هذا ما فيه من مغزى يؤيد ما ذكرناه.

ومما يحسن تسجيله أن موقف رياض ونواب لبنان ونصارى لبنان مستلهم ومتأثر بالروح العامة المنتشرة في بلاد العرب، والتطور العام الذي نرى ونسمع مشاهده ومظاهره وهتافاته بالعروبة والقومية والحرية والإستقلال. ومما دعم مركز

رياض تصريحاته بأنه يسير على خطة الاحتفاظ باستقلال لبنان وكيانه ضمن حدوده الحاضرة. والنصارى يهمهم هذا وذاك جداً. ومن أسباب خوفهم من الفكرة العربية والحركة العربية أن تؤدي إلى اندماج لبنان وسورية وصيرورتهم أقلية بعد أن صار لبنان مطبوعاً بطابع لهم فيه المظهر الأول وهو رئاسة الدولة. والمسلمون كانوا وما يزالون أعداء لكيان لبناني تكون أكثريته نصرانية ومظهره الرئيسي نصرانياً، ورياض من أقوى ممثلي الفكرة العربية القومية التي يخشى نصارى لبنان نتيجتها. فلما أكد عزمه وخطته في الإحتفاظ بكيان لبنان المستقل بحدوده الحاضرة، لم يعد للنصارى ما يعتذرون به من الجهود تجاه العروبة العامة، فوقفوا موقفهم المؤيد، ثم كان الحادث فكان رد فعلهم قوياً مؤيداً لذلك الموقف الذي كان منهم قبله. ومما لا نرتاب فيه أن ضعف مظهر فرنسة الحاضر له أثر كبير أيضاً في هذا الموقف. فالموارنة شكّوا على ما يبدو في إمكان عودة فرنسة قوية نافذة، ورأوا أن بريطانية ستكون صاحبة الكلمة الحاسمة في الشرق العربي الذي يؤلف المسلمون أكثريته الساحقة، والذي لبريطانية مركز قوي فيه يقضي عليها أن تساير الفكرة العربية نوعاً ما، فكان لهذا أثر في موقفهم الإيجابي قبل الحادث وبعده أو على الأقل في موقف كتلة كبيرة منهم. . .

هذا، ولقد اطلعنا في عدد الأهرام 1943/12/3 على ما جرى في أول جلسة عقدها مجلس النواب اللبناني بعد إلغاء قرار إلغائه وعودته إلى صلاحياته، حيث قرر إعلان شكر المجلس وتحيته للشعب اللبناني العربي وللشعوب العربية جميعها، وإرسال برقيات شكر وتحية لكل من الملك فاروق والنحاس، والوصي على عرش العراق ونائبه والحكومة العراقية، والملك السعودي، ورئيس جمهورية سورية، والأمير عبد الله وحكومته، والإمام يحيى، وحكومات الدول المتحالفة، والقائمين بأعمال المفوضيات العراقية والمصرية في بيروت، على ما كان منهم من عطف ومظاهرة في محنته، وما كان من أثر ذلك في حل الأزمة وعودة الكرامة. وقد أوقفت الجلسة خمس دقائق حداداً على الشهداء. وفي هذه الجلسة قرر المجلس وجوب رفع العلم الجديد على دوائر الحكومة، فرفع وسط عواصف الاستبشار والتصفيق. وقد ألقى رياض بك خطاباً طويلاً في هذه الجلسة، أكد فيه أن تعديل الدستور الذي وافق عليه المجلس في الثامن من تشرين الثاني ما يزال نافذاً. ونوه بمظاهرة وتضامن الحكومات والشخصيات والبلاد العربية وحكومات الحلفاء وعواطفهم التي كانت العامل الأول في حل الأزمة. ومما قاله في خطابه أن حكومته تلقت بعد إلقاء بيانه الوزاري في تشرين الثاني مذكرة من هللو تتنافى مع مطالب البلاد وحقوقها، فأرسلت إليه اعتراضاً، ثم اجتمعت به لبحث مسألة المصالح المشتركة، فاستمهلها خمسة عشر يوماً، فاقترحت إصدار بيان مشترك فامتنع، ثم كان البيان الذي أذاعه بعدم الإعتراف بالتعديل، ثم رافق ذلك الإجراءات المعروفة. وقال فيما قاله أن الجنرال كاترو أخبره أن لجنة التحرير الإفرنسية لم تعلم بالإجراءات التي أقدم عليها إلا بعد وقوعها. وهذا يفيد أن الحكومة اللبنانية اتصلت بهللو لإقناعه بصواب ما جاء في بيانها الوزاري بضرورة تعديل ما يتنافى مع الإستقلال فلم يقنع، ثم أوعز لمديرية المطبوعات بإذاعة البيان الذي كان أول التحدي والذي أوردناه قبل، فلم

يكن من رياض إلا الإجابة عليه وطلب التعديل والحصول عليه من المجلس، فصار ما صار. ويفيد أيضاً أن ما أذيع واختلف في حقيقته من أن العمل كان حماقة وغيظاً وتصرفاً شخصياً من هللو كان صحيحاً. . .

ولقد كان أذيع أن كاترو غيّر أو أقال بعض الموظفين الإفرنسيين، ولقد أيد رياض هذا في خطابه، وقال أنه يعده فاتحاً لعهد جديد للتفاهم. وهذا يؤيد ما كنا ظنناه من أنه كان للموظفين الإفرنسيين يداً في الأزمة والتوتر. وهذا شأنهم في كل مرحلة وموقف في سورية ولبنان.

وما ذكره وأعلنه رياض في خطابه أن حكومته ستجعل البيت الذي اجتمعت فيه الحكومة الموقتة في بشامون في أثناء الأزمة، وقلعة راشيا التي اعتصم بها بعض الوزراء والنواب، من الأماكن الأثرية. وهذا يثبت ما كان ذاع قبل من أن حكومة وطنية ثورية أنشئت لتخلف الحكومة المعتقلة، وأن حركات ثورية أخذت تتحفز للكفاح المسلح ضد الإفرنسيين. وهذا وذاك ما يخلّد للبنان روحه الجديدة الثائرة المناضلة.

ومن طريف ما كان أن هنري فرعون وهو نائب في المجلس ومن حزب إده، اقترح استنكار موقف إده وقبوله التعاون مع السلطات الإفرنسية فوافق المجلس على ذلك. وكان هذا من مظاهر تلك الروح.

ومن مظاهرها أيضاً حملة أعضاء المجلس في هذه الجلسة على الإنتداب، وإعلانهم أنهم لا يقبلون أن يحل انتداب جديد بديلاً عن القديم، حتى أن جورج عقل وهو من حزب إده أيضاً، قال أن لبنان استقلالي النزعة منذ مئات السنين وهو يتمسك باستقلاله التام، ثم حيّا تضامن الشعب وموقف الحكومة والمجلس أثناء الأزمة وأعلن بدوره رفض استبدال انتداب جديد بانتداب قديم. . . ومن ذلك أن ما جاء في بيان الممثل الإفرنسي الذي خلف هلّلو، الذي أعلن فيه إلغاء التدابير السابقة، من قوله أن التعديلات الدستورية التي قررها المجلس لاغية، كان من قبيل المساومة، وأن قرار كاترو تضمن مع قرار إلغاء الإجراءات السابقة إلغاء التعديل الدستوري.

وفي 15/كانون أول 1943، سمعنا إذاعة بيروت تذيع أن بعثة الملك فاروق قد وصلت إلى بيروت واستقبلت أعظم استقبال، وأنها تحمل رسالة بخط فاروق إلى الشيخ بشارة رئيس الجمهورية.

ولقد قرأنا في عدد 1943/11/24 من جريدة فلسطين بعض تفصيلات في سياق حل الأزمة. ومن ذلك أن كاترو قبل أن يقرر إطلاق سراح المعتقلين أراد المساومة، فاطلع رئيس الجمهورية وحده على نص الكتاب الذي وجهه كاترو إلى رئيس الجمهورية. وقد جاء فيه: (إني سعيد إذ أبلغكم أن لجنة التحرير الإفرنسية قد أبلغتني اليوم موافقتها على ما اقترحته عليها وهو منح لبنان جميع مطالبه، وإني سعيد أن أذكر لكم أن التحفظات التي أبديتها لكم قد ألغيت جميعها، وأن لجنة الإفرنسيين الأحرار قد وافقت على إلغائها. وهكذا يكون تعديل الدستور بقي نافذاً وهو الربح العظيم).

وفي أهرام 1943/11/28 تفصيلات أخرى، حيث ذكرت المداولات التي كانت تجري بين كاترو ورئيس الجمهورية والوزارة في

صدد صلاحيات ومركز فرنسة الانتدابي والتعديلات الدستورية كانت تتأزم، حتى أنها كادت تصل إلى الطريق المسدود، وأن الوزراء اجتمعوا في بيت رئيس الجمهورية وأحضروا ما يستطيعون إحضاره من حراس مسلحين، وأنه كان يتوقع تطورات جديدة، وأن ذلك كان مما جعل كاترو يتراجع عن محاولاته ويسير في طريق الحل الصحيح... حيث يدل على أن الإفرنسيين حتى كاترو ظلوا متمسكين بدعاويهم ومركزهم الانتدابي رغم ما جرى، وأنهم لم يرضخوا إلا إزاء الصمود والرفض العربيين المؤيدين بالموقف العربي العام والموقف العالمي والموقف الإنكليزي معاً. وهذا شأنهم الذي اعتدناه منهم...

ومما قرأناه في عدد الأهرام المذكور آنفاً، أن اقتراحاً قدم للمجلس السوري النيابي بإسقاط المادة (116) من الدستور السوري. وكان الإفرنسيون قد أضافوا هذه المادة على الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية السورية، احتوت تحفظاً يقضي بتعليق بعض ما في الدستور من صلاحيات للمجلس وللحكومة على عقد معاهدة بين سورية وفرنسة، وأن المجلس وافق على بحث الاقتراح.

ثم قرأنا في أهرام 1943/11/30، أن المجلس عقد جلسة للبحث فيه، وأن جميل مردم وزير الخارجية ألقى خطاباً قال فيه إن سورية مارست الحياة الدستورية في عام 1932 و1933 على أساس الدستور السوري، واعتبرت هذه المادة تحفظاً خارجاً عن الدستور وليست مادة منه، وأنها صدرت من جانب واحد، ونحن نعتبر أن البلاد غير مقيدة بها. وقد قرر المجلس إسقاط هذه المادة والتحفظ، ودعوة رئيس الجمهورية وأعضاء المجلس إلى اليمين بالإخلاص للدستور عملاً بالمادتين 46 و70، واعتبار الدستور مؤلفاً من 115 مادة فقط.

وهكذا يكون السوريون قد فطنوا بدورهم إلى الشر الكامن في دستورهم وتلافوه. ويظهر أنهم كانوا مدركين له سابقاً، وكان هذا مما جعل رئيس الجمهورية والنواب لا يؤدون يمين الإخلاص للدستور بسبب وجود هذه المادة اللعينة. وهكذا كانت أزمة لبنان وانفراجها فرصة اغتنموها وخلصوا بها من هذه المادة.. ووطدوا صلاحياتهم الدستورية كاملة.

والباقي الآن لسورية ولبنان استلام ما يسمى دوائر المصالح المشتركة التي هي الآن في عهدة الإفرنسيين، وتبديل صفة (المندوبية) إلى سفارة كما يقضي ذلك الموقف الاستقلالي. وهذا ما يجري البحث في شأنه الآن بين كاترو من جهة وحكومتي لبنان وسورية من جهة أخرى.

وفي عدد فلسطين 2 كانون الأول 1943 خبر وليمة أقامها البطرك الماروني لرئيس الجمهورية والوزارة، شرب البطرك فيها نخب الحكومة، وألقى كلمة استهلها بالبيت الشعري القديم:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

ثم قال: الآن وقد أريق الدم في سبيل الإستقلال، فلا شك في أنه سيبقى قائماً مستمراً.

ومما ذكرته فلسطين أن رؤساء المسلمين والنصارى تبادلوا الزيارات في المعابد، فجاء رجال الأكليروس النصارى إلى الجامع العمري وشهدوا صلاة الجمعة وسط مظاهرة شعبية

كبيرة، وذهب يوم الأحد عشرون من علماء المسلمين إلى كنيسة السيدة في بيروت وشهدوا صلاة الأحد، وانقلبت الكنيسة إلى سوق عكاظ. وقد أنشد أحد خطباء المسلمين:

*إني بقرآني عرفت مسيحكم
ورأيت في الإنجيل وجه محمد

*وهذه مشاهد سارة دعمت ولا ريب ولادة لبنان العربي الجديد، وفقأت الحصرم في عين الأجنبي الذي مثل على مسرحه أبشع الأدوار..

ومما قالته فلسطين في العدد المذكور، أنه بعد أن انتهت أزمة لبنان وأصبح استقلاله مضموناً، بقي أمام المفاوضين مسائل عملية من جملتها المصالح المشتركة التي يبلغ إيرادها ثلاثين مليون ليرة في السنة، واستلام قصر البارك الذي تتخذه المندوبية الإفرنسية مركزاً لها والذي هو ملك البلاد، ليكون مركزاً لرئيس الجمهورية، وانتقال المندوبية إلى بناية أخرى بعد أن تصبح سفارة، ثم استلام السراي الكبيرة التي هي مقر المندوبية الرسمي ودوائرها لتكون مقر الحكومة اللبنانية، لأنه لن يكون للمفوضية دوائر إجرائية حكومية بعد غدوها سفارة. ثم استلام الأمن العام أيضاً. وكل هذا مما ينتظر أن يتم بتغلب العقل لدى اللجنة الإفرنسية على العاطفة.

ـ موقف الصحافة التركية من الأزمة اللبنانية:

ونسجل أن الصحافة التركية تابعت الأزمة اللبنانية متابعة واسعة، وكانت تنشر أخبارها في أبرز الأمكنة وبصورة مفصلة، سواء ما يقال ويذاع ويجري في مصر وبلاد العرب أو في الصحافة والمحافل الانكليزية أو في المحافل العالمية. كما أنها نشرت مقالات وتعليقات تتضمن نقداً وتثريباً للتصرف الإفرنسي، وعطفاً على لبنان والقضايا العربية. وكان لهذا أثر محمود في الأوساط العربية نوهت به الصحف العربية، وأشارت إليه الصحف الإنكليزية أيضاً.

* * *

يوم الجمعة 3/12/1943
4 ذو الحجة 1362 :

1 ـ تبادل العواطف بين مصر وسورية في مناسبة العهد السوري الدستوري الجديد ونصوص رسائل متبادلة بين فاروق والقوتلي :

كانت مصر ملكاً وحكومة من السابقين في تهنئة شكري القوتلي وسعد الله الجابري حينما تم انتخاب الأول لرئاسة الجمهورية وعهد للثاني برئاسة الوزارة. ثم أرسل فاروق بعثة برئاسة رئيس حجابه عمر فتحي باشا إلى دمشق يحمل رسالة لرئيس الجمهورية يهنئه فيها ثانية بما عاد إلى سورية من حياة دستورية. وكان للإهتمام المصري أثر نفساني حسن في سورية، واستقبلت بعثة فاروق بحفاوة بالغة، وأنزل رئيس الجمهورية رئيسها ضيفاً في قصره، وأقام للبعثة حفلة كبرى، ثم أقيمت لها حفلات عديدة، وعادت تحمل أجمل عواطف الشكر والإعجاب. ولعل هذه البعثة كانت أول بعثة من نوعها خرجت من مصر. ولا شك في أنها دليل على ما بلغت إليه الفكرة العربية من تطور، وما كان لدعوة الوحدة والاتحاد من أثر، وقد أذاعت الصحف نصوص كتاب فاروق للقوتلي وجواب القوتلي عليه. وكتاب فاروق مليء بالعاطفة والروح الطيبة، وهو تحفة خاصة بما احتواه من العنوان التقليدي الذي عنون به ملك مصر نفسه امتداداً لتقليد جديه محمد علي وإسماعيل. وهذا نصه.

بسم الله الرحمن الرحيم

من فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور بعون الله إلى حضرة صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية.

عزيزي صاحب الفخامة، سلام الله وتحياته ونعمته عليكم. وبعد فقد سرني أبلغ السرور نبأ انتخابكم لرئاسة الجمهورية السورية واضطلاعكم بأعباء هذا المنصب. وإني أهنىء فخامتكم أطيب تهنئة بتلك الثقة الغالية التي أولاكم إياها الشعب السوري المجيد، راجياً لكم ولسورية الشقيقة في عهدكم نعمة الحاضر وعزة المستقبل، كما أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للعمل على توثيق روابط المودة والإخاء بين البلاد العربية جمعاء. وأغتنم هذه الفرصة لأعرب لفخامتكم عن خير ما أرجوه لشخصكم من الهناءة ولشعبكم من العزة والرفاهية، وإني أيها العزيز الوفي صديقكم الوفي

فاروق.

وهذا نص جواب القوتلي :

بسم الله الرحمن الرحيم. من شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية إلى حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور.

عزيزي صاحب الجلالة. سلام الله وتحياته ونعمته عليكم، وبعد فقد تلقيت بمسرة وغبطة رسالتكم الملكية الكريمة حاملة إليّ تهانيكم بثقة الشعب السوري الذي اختارني لرئاسة الجمهورية وتمنيكم لي وله أطيب التمنيات. فأشكر شكراً خالصاً لجلالتكم هذه العاطفة السامية البالغة، وأسأل الله من عميم فضله أن

يمتعكم ويمتع مصر الشقيقة في ظلالكم بسوابغ النعمْ وعوائد المنن، وأن يمدنا بعونه وتأييده لنحقق للبلاد العربية ما تصبو إليه من توثيق العرى وإدراك المنى وتعزيز روابط المودة والأخوة بين جميع أرجائها. وإني لسعيد يا صاحب الجلالة بإعرابي في هذه الفرصة الطيبة عن خير ما أرجوه لشخصكم العظيم وبيتكم الرفيع وشعبكم المجيد من الهناءة والفخار والسؤدد. وأتشرف أيها الملك العزيز بأن أكون صديقكم الوفي.

شكري القوتلي.

2 ـ دعوة النحاس للحكومة السورية لمشاورات الوحدة وذهاب وفد سوري:

وبعد قليل وجه النحاس برقية إلى سعد الله الجابري دعاه فيها إلى القدوم إلى مصر مع من يراه من زملائه. وأجابه بالشكر والإيجاب، ثم تألف وفد سوري برئاسة سعد الله الجابري وعضوية كل من جميل مردم وزير الخارجية، ونجيب الأرمنازي أمين السر العام لرئاسة الجمهورية، وصبري العسلي النائب من مجلس النواب، وحيدر الركابي رئيس ديوان وزارة الخارجية. وقد حمل الوفد جواب رئيس الجمهورية على رسالة الملك فاروق، كما حمل الوسام السوري الذهبي ووشاحه الأكبر هدية للملك.. وقد كان قدوم الوفد السوري إلى مصر والأسبوع الذي قضاه فيها ضيفاً على الحكومة بمثابة موسم قومي عظيم اشترك في مهرجاناته كل الفئات الرسمية والحزبية والشعبية. وحظي الوفد خلاله بعطف وعناية واهتمام بالغ، سواء في استقباله أم في المآدب التي أقيمت له، أم في قصر الضيافة الذي خصص له، أم في تنقلاته أم في مفاوضاته واحاديثه وتصريحاته، أم في وداعه أخيراً.

وكان للصحافة المصرية على اختلاف ألوانها موسم إخباري واحتفالي عظيم أيضاً، فنعتته صحافة مصر وأنديتها بأسبوع سورية، وترددت فيه الأحاديث عن الأخوّة التي تجمع بين مصر والشام وسائر بلاد العرب وعن عروبة مصر، بأساليب لم تسبق من قبل، حتى كتبت الفصول عن جهود محمد علي وأولاده في صدد إقامة دولة عربية كبرى، وعن جهود المصريين ي صدد اليقظة والفكرة العربية والجامعة العربيه، ومناداة الشيخ محمد عبده والشيخ علي يوسف بها (وهو كان صاحب جريدة المؤيد الكبرى)، وحضانة مصر لدعاتها من الأقطار العربية الأخرى قبل الحرب الكبرى وبعدها الخ الخ.

ومما كتب من مقالات، مقال لفكري أباظه في المصور بعنوان (أمبراطورية اللسان والوجدان)، أشار فيه إلى الروابط التي تربط بين مصر وبلاد العرب والأحاديث الدائرة حول الوحدة العربية، وقال أن هذه الوحدة قائمة منذ القرون في اللسان والوجدان.. ونشرت صور أعضاء الوفد السوري في مناسبات عديدة ومع شخصيات عديدة، مع الملك ومع النحاس والوزراء وفي قصر الضيافة بحفاوة عظيمة وعطف كبير. كما نشرت صورة قديمة طريفة لوفد دمشق في احتفال فتح قناة السويس على عهد إسماعيل، الذي كان برئاسة سعيد باشا القوتلي جد شكري، وظهر الخديوي اسماعيل في الصورة مع الوفد، وكتب تحت الصورة هذه الجملة (الجد يؤسس والحفيد يحقق).

ولقد صدف وصول الوفد يوم خميس، وحظي بمقابلة الملك في نفس اليوم، وقدم له

رسالة الرئيس والوسام، فدعاه الملك إلى وليمة كبرى يوم الجمعة. . والسرعة في الاستقبال والدعوة دليل على حفاوة بالغة حسب التقاليد.

وقد اجتمع الملك مع ضيوفه في صلاة الجمعة في الجامع الأزهر، وكانت خطبة الخطيب عن الوحدة الإسلامية والدعاء للعاملين لها. وخرج الملك مع ضيوفه من الجامع بين مشاهد الابتهاج والحماس. وأركب سعد الله في سيارته إلى يمينه. ثم توالت المآدب والحفلات والحفاوات العظيمة. وأرجح أنه كان لشخصية سعد الله وجميل أثر في كل هذا، فهما شخصيتان عربيتان ممتازتان لامعتان لهما في ميدان النضال القومي جهد طويل واسم داوٍ، ثم أنه كان لاسم الشام العربية المجاهدة الداوي أثر غير قليل أيضاً في كل ما كان، حتى أن الاهتمام الذي حظي به وفد سورية فاق بما لا يقاس عليه الاهتمام الذي كان لنوري السعيد، ومن باب أولى لوفدي الأردن والسعودية. . ولقد كانت الوزارة المصرية ماتزال في الإسكندرية مصيّفة، فتقرر إجراء المفاوضات فيها. وطار الوفد السوري إليها، وحظي في وداعه في القاهرة واستقباله في الإسكندرية وفي إقامته بحفاوة عظيمة، وجرت المشاورات في قصر انطونيادس الذي جرت فيه مفاوضات المعاهدة المصرية الإنكليزية، وصدر بيان بتاريخ 1943/10/26 هذا نصه:

(ابتدأت اليوم في قصر انطونيادس المشاورات الخاصة بالوحدة العربية بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر، وبين حضرة صاحب الدولة سعد الله الجابري رئيس وزراء سورية، وحضرة صاحب الدولة جميل مردم بك وزير خارجيتها، ومعهما الدكتور نجيب الأرمنازي أمين السر العام لرئاسة الجمهورية السورية والسيد صبري العسلي نائب دمشق والسيد حيدر الركابي رئيس ديوان وزارة الخارجية السورية. وقد رحب رفعة النحاس باشا بحضرتهم أجمل ترحيب، وهنأ سورية في أشخاصهم بوضعها الجديد، وكرر تهنئته الخالصة لحضرة صاحب الفخامة رئيس جمهوريتها ولحضرتهم وباقي زملائهم على ما نالوه من ثقة الأمة السورية الكريمة. فرد دولة سعد الله الجابري بك رافعاً أصدق آيات الشكر إلى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر، ذاكراً بالثناء والتقدير ما لقوه من حفاوة رفعة الرئيس وحفاوة مصر كلها، منوهاً بما يقدمه رفعته من المعاونة القيمة لجميع البلاد العربية. ثم بدأت المشاورات في جو من المودة الصادقة والمحبة الخالصة والتقدير المتبادل بين مصر والجمهورية السورية. وقد استعرض الجانبان موضوع الوحدة العربية من مختلف نواحيه، ودلت المباحثات الأولى على حرص القطرين الشقيقين على الوصول إلى ما يحقق آمال البلاد العربية ويؤدي إلى جمع كلمتها وتوطيد التعاون بينها، وسيعقد الاجتماع الثاني في منتصف الساعة السابعة من مساء غد.

ثم عاد النحاس ووزارته إلى القاهرة من المصيف الإسكندري والوفد السوري مايزال في مصر، واستؤنفت المباحثات بين الطرفين في القاهرة، حيث عقد أربع جلسات. وصدر في تاريخ 1943/11/1 البيان التالي نصه:

(تمت اليوم المشاورات التي بدأت يوم الثلاثاء 27 شوال 1362 الموافق لتاريخ 26 أكتوبر 1943 بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء المملكة المصرية ووزير خارجيتها، وبين حضرتي

صاحبي الدولة سعد الله الجابري بك رئيس وزراء الجمهورية السورية وجميل مردم بك وزير خارجيتها بشأن الوحدة العربية وتعاون بلاد العرب. وقد عقدت هيئة المشاورات أربع جلسات بحثت فيها هذا الموضوع المتصل بين القطرين الشقيقين، وقد سادت مباحثات الجانبين ميول متبادلة ووجهة نظر مشتركة وإحساس قوي بوجوب ربط البلاد العربية برباط متين من التكافل والتعاون لخيرها جميعاً ولخير العالم بأسره، والله المسؤول أن يكلل هذا العمل بالنجاح وهو ولي التوفيق).

(عن أهرام 4/11/1943 عدد 21172).

وقد قال النحاس حينما تلي هذا البيان على الصحفيين، أن مما لا شك فيه أننا ربحنا من وراء هذه المشاورات توثيق عرى المحبة والإخلاص والمودة مع إخواننا زعماء العرب، وقد تركت زيارتهم في نفوسنا ذكرى لا تمحى على مدى الأيام، بل على مدى الأعوام. وقد أشارت بعض الصحف المصرية إلى قوة عبارة البيان، وقالت أنها أقوى مما جاء في بيانات المشاورات بين مصر من ناحية وبين العراق والسعودية والأردن من ناحية، وفسرت ذلك بما لسورية في النضال القومي العربي والفكرة القومية العربية من أثر وقدم.

وقد عاد الوفد السوري في يوم الخميس 4/11/1943 مودعاً بحفاوة عظيمة.

ومما ذكرته بعض صحف مصر أن الحكومة السورية قررت إيفاد جميل مردم إلى الملك عبد العزيز، ولا نستبعد إذا كان هذا صحيحاً أن يكون متصلاً بمباحثات الوحدة العربية. فقد يكون في ما كان من مباحثات بين النحاس باشا والشيخ يوسف ياسين الذي كان الطرف المفاوض في هذه المباحثات نقاط تحتاج إلى جلاء وتقريب وتطمين، وأن يكون جرى في صدد موقف الملك السعودي من الوحدة حديث بين الوفد السوري والنحاس، فرأت الحكومة السورية أن توفد جميلاً بسبيل ذلك.

3 ـ ما جرى ونشر في صدد مشاورات الوحدة بين مصر والملك السعودي والإمام يحيى:

بعد هذا وجدنا التسجيلات التالية في صدد مشاورات الوحدة بين مصر والسعودية:

لما تمت المشاورات بين نوري السعيد والنحاس وجهت الدعوة إلى الملك عبد العزيز والإمام يحيى، فأرسل الاثنان للنحاس استيضاحات عن الفكرة والأهداف والأسلوب المتبع، فأرسل النحاس إليهما إيضاحاً. فجاءه من ابن السعود جواب يحتوي وجهة نظره وقال أنه يكتفي الآن بذلك. ورأى النحاس في هذا الجواب ما يحتاج إلى إيضاح وإقناع وجلاء، فأرسل رسالة جديدة مع أحد رجاله. وأدى ذلك إلى قرار الملك السعودي بإرسال الشيخ يوسف ياسين للاجتماع مع النحاس ومبادلة الرأي في الموضوع. وجاء الشيخ وتم الاجتماع، وصدر في صدد ذلك بيان نشر في جريدة الإنشاء الدمشقية عدد 1831 تاريخ 21/10/1943 جاء فيه:

(لقد كان الاتفاق تاماً حول المبادىء العامة. ولكن لما كان لا بد من عرض بعض التفاصيل على جلالة الملك عبد العزيز، فقد تقرر تعليق المحادثات، على أن تستأنف في ميعاد آخر عندما يبدي الملك السعودي وجهة نظره ويعرب عنها).

ويفهم من هذا ومن تخمينات وإشارات كنا قرأناها وسمعناها وخطرت لنا، أن إبن السعود كان يتحسب من أن تكون العملية هادفة إلى اندماجات بين الكيانات، في حين أنه حريص على أن تحتفظ كل دولة بكيانها الخاص. وكل ما اهتم له في هذا الأمر هو قضية فلسطين ووجوب التركيز فيها وحلها، وأن ذلك هو الذي يجب أن يكون مدار المشاورات، لأن هذه القضية إذا بقيت معلقة فإن أبحاث الإتحاد العربي تظل عقيمة. ومما شعرنا به أيضاً أنه يتحسب فيما يتحسبه أن يكون للأسرة الهاشمية مطامع ومنافع في هذه الحركة فلا يريد أن يتورط فيها قبل التثبت. هذا بالإضافة إلى أنه وهو يرى دولته مستقلة بدون أي احتلال وقيود يفضل التحفظ في اندماج ما مع بلاد وكيانات فيها احتلالات أجنبية ومقيدة بقيود متنوعة كمصر والعراق وسورية ولبنان. والراجح أن ابن السعود على اتصال مع الإمام يحيى، وربما على تفاهم معه إزاء هذه الحركة وتحفظاته منها.

وقد قرأنا في إحدى الصحف أن الشيخ يوسف ذهب من مصر إلى سورية، ثم عاد إلى مصر ولم يعد إلى الرياض. والظاهر أنه موصى بدرس الأمور والإستطلاع والمراقبة، ولا بد من أنه أرسل إلى ملكه رسائل بمحادثاته وبزيارته لسورية، وبقي في مصر بناء على أمره وانتظاراً لتعليماته. ولقد جاء الوفد السوري إلى مصر والشيخ ما يزال فيها، فصار يدعى إلى الحفلات والمآدب التي أقيمت لهذا الوفد، ويظهر في الصور التي كانت تنشر في الصحف. ووصفته هذه الصحف بأنه من رجال القضية العربية القدماء البارزين، وصديق حميم وزميل قديم لرجال الوفد السوري. وهذا صحيح على ما ذكرناه في الكلمة التي كتبناها عنه في مناسبة سابقة. ولقد نشرت الأهرام حديثاً له عن الوحدة العربية، يظهر أنه رأى ضرورة الإفضاء به إزاء الجمود أو التحفظ الذي بدا من ابن السعود وعدم الاستمرار في المشاورات بين مصر والسعودية. وقد جاء في الحديث: (إن الوحدة العربية من أحب الأمور إلى قلب كل مسلم وعربي. وإن المشاورات التي جرت بينه وبين النحاس باشا جرت في جو مشبع بالود والإخلاص، وأنها لم تنته وإنما توقفت موقتاً، لأن ذلك واجبه أن يرجع إلى الملك في كل ما يتعلق بسيرها.. ومما قاله أن الهدف الأسمى الذي يترسمه جلالة الملك هو العمل على ما فيه خير الأمة العربية، وهو الذي لقي ويلقى قبولاً ولله الحمد عند العاملين لخير الأمة العربية). واعتذر عن ذكر تفصيل ما جرى، واكتفى بالقول: (إن الأهداف العامة والغايات النبيلة التي تستهدفها الأمة العربية هي أمنية الجميع، وأن المحادثات تجري في نطاق هذه الأسس. أما التفاصيل فليس الآن وقت نشرها كما لا يخفى. وإذ أن الغرض الأسمى للجميع هو مصلحة الأمة العربية، فلن يكون هناك إن شاء الله إلا كل تعاون على ما فيه مصلحتها، لأن الأمة العربية أمة واحدة ومصلحتها واحدة لا تتعدد). وتناول في حديثه قضية فلسطين فقال: (إن قضية فلسطين هي ولا شك حجر الزاوية في القضايا العربية المعلقة، وأن حلها على الأساس الذي يحفظ مصالح العرب هو غرضنا جميعاً. أما رأي صاحب الجلالة والملك ابن سعود فمعروف من قبل. وقد أفضى جلالته بحديث ضاف لمجلة لايف الأميركية في موضوعها نشرته أخيراً جميع الصحف العربية. وقد تضمن الحديث ما يراه جلالته من حق صريح لأهل فلسطين وفيما يدعيه اليهود من

إدعاءات باطلة). (حديث الشيخ نشرته الأهرام في عددها 21169 وتاريخ 1943/11/1).

ولقد ورد بعد ذلك للشيخ تعليمات من ملكه، واستؤنفت المباحثات بينه وبين النحاس باشا. وقد ذكرت ذلك أهرام 1943/11/3 ونشرت بياناً عنها جاء فيها:

(استؤنفت في الساعة السادسة بعد ظهر أمس بدار وزارة الخارجية المشاورات الخاصة بالوحدة العربية مع أعضاء الوفد السعودي. وقد حضرها من الجانب المصري رفعة النحاس باشا ومعالي نجيب الهلالي باشا وصاحب العزة محمد صلاح الدين بك، ومن الجانب السعودي حضرتا الشيخ يوسف ياسين والأستاذ خير الدين الزركلي، واستمرت إلى الساعة السابعة. ولما انتهى الإجتماع دعا رفعة النحاس باشا مندوبي الصحف وأملى عليهم البيان التالي:

«بناء على ما تقرر في ختام الجلسة الرابعة من اعتبار المشاورات الخاصة بالوحدة العربية مع وفد المملكة العربية السعودية مستمرة حتى يقف سعادة الشيخ يوسف ياسين على تعليمات جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في بعض التفاصيل، وبما أن سعادته قد تلقى تعليمات جلالته في هذا الشأن. لذلك تقرر استئناف المشاورات في جلسة اليوم. وقد تمت في هذه الجلسة سلسلة المباحثات التي تناولت هذا الموضوع من جميع نواحيه، وتوّجها جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود بتوجيهاته الحكيمة المشبعة بالمودة الخالصة والرغبة الأكيدة في خير البلاد العربية وإعلاء كلمتها وتحقيق آمالها. وبذلك انتهت المشاورات بين الجانبين كما بدأت في جو من المحبة الصادقة والتفاهم التام على جميع المبادىء والغايات. والله المسؤول أن يكلل هذا العمل بالنجاح وهو ولي التوفيق». (الأهرام 21171 و1943/11/3).

4 ـ دعوة النحاس للحكومة اللبنانية لأجل مشاورات الوحدة قبل الأزمة اللبنانية الإفرنسية:

ومما سجلناه بعد هذا أن الصحف ذكرت أن النحاس وجه دعوة إلى رئيس الحكومة اللبنانية ليأتي إلى مصر مع من يراه من زملائه للبحث في موضوع الوحدة العربية، وأن رئيس الحكومة أجاب بقبول الدعوة. وكان ذلك قبل وقوع الأزمة اللبنانية الإفرنسية. والمرجح أن رياض سيغتنم أول فرصة للسفر إلى مصر مع زميل من النصارى..

5 ـ حول موقف فلسطين ورجالها من مشاورات الوحدة وحول المسألة ذاتها وتعليق على ذلك:

وسجلنا بعد هذا ما يلي:

منذ أن ظهرت هذه الحركة أخذنا نلمح شيئاً من النشاط والتطلع في الأوساط الفلسطينية العربية، وأرسلت إلى النحاس برقيات من شخصيات عديدة مذكرة بفلسطين ووضعها ووجوب عدم إغفالها في ما يجري. ولما جاء النحاس لزيارة فلسطين اغتنم رجالها الفرصة وقدموا له مذكرات بالقضية ومطالبهم في شأنها، وألحّوا فيها على عدم إغفال فلسطين فيما يجري. وقد نشرت تصريحات للنحاس فيها

عهد بعدم إغفال فلسطين، وبأن تكون قضية فلسطين من أمهات القضايا التي يهتم لها. ولقد جاء نوري السعيد منذ نحو شهر ونصف إلى فلسطين لقضاء بضعة أيام، فكان ذلك فرصة لرجالها للتردد عليه والتباحث معه في وضع فلسطين وقضيتها. وقد ذكرت جريدة فلسطين في أحد أعدادها أن من جملة الأبحاث التي دارت في الإجتماعات التي كانت تعقد بين نوري ورجال فلسطين الوطنيين وشبابها، مسألة إشراك فلسطين في مشاورات الوحدة إن لم يكن بصورة رسمية فبصورة غير رسمية. ثم أخذت الصحف الفلسطينية تبحث في وجوب قيام هيئة سياسية عربية في فلسطين لتمثيل العرب في المواقف المقتضية في الداخل والخارج، وأخذت تنشر بعض الإقتراحات في هذا الصدد، ومن ذلك الدعوة إلى عقد مؤتمر سياسي لإختيار هيئة تنفيذية، ووجوب اتفاق رجالات الأحزاب الفلسطينية على هيئة سياسية تمثيلية. وكان الملموح في هذه الأبحاث احتمالات دعوة عرب فلسطين إلى الإشتراك في المشاورات الجارية الآن، وفي المؤتمر العربي العام المحتمل عقده فيما بعد في شأن الوحدة العربية، ووجوب الاستعداد لهذا وذاك. جرى في بحث في اجتماع عقدته اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية التي يرأسها احمد حلمي باشا، والتي من أعضائها رشيد الحاج إبراهيم، وهما من أقطاب الحركة الوطنية، في صدد ووجوب تشكيل هيئة سياسية عربية. وكان مما ذكرته فلسطين أن هناك تفكيراً في اعتبار وفد فلسطين إلى مؤتمر لندن لسنتي 1938 و1939 هيئة صالحة لتمثيل فلسطين سياسياً، على أن يضم إليها بدلاً عن المتوفين من أعضاء الوفد أو الغائبين عن البلاد منه. وجاء هذا في عدد فلسطين (1943/10/30 ـ 206 ـ 5553).

ومما ذكرته فلسطين في عددها (202 و1943/10/26) أن قنصل مصر العام في القدس سافر إلى مصر لمباحثة أولياء الأمور فيها في صدد اشتراك فلسطين في مفاوضات الوحدة وإبداء الرأي في الأسلوب الذي يحسن تمثيل فلسطين العربية فيه. وقد نقلت الجريدة عن الأهرام أن النحاس باشا قال إنه وإن لم يدع فلسطين إلى المشاورات العربية فإنه يرحب بهيئة عربية فلسطينية تبدي له آراء عرب فلسطين في هذا الصدد.

ومما نشرته جريدة فلسطين في أكثر من عدد، أن اليهود متنبهون ومترقبون لهذه الحركة وآثارها. وقد ذكرت فيما ذكرت أن اليهود أذاعوا فيما أذاعوا أن النحاس باشا قد لاحظ في سياق مشاوراته مع مختلف الوفود العربية الرسمية أن وجود اليهود في فلسطين أمر واقع، وأنهم عنصر لا يمكن إغفاله في صدد البحث في قضية فلسطين والوحدة العربية. وكان مما ذكرته فلسطين أن الصحف اليهودية أشارت إلى المساعي والجهود في صدد تشكيل هيئة عربية تمثيلية، ولاحظت في سياق ذلك أن هناك صعوبات في هذا الطريق نتيجة لاختلاف وجهات نظر الأحزاب العربية ونزاعاتها فيما بينها. ومنذ عشرة أيام أي في أواخر تشرين الثاني 1943 نشرت جريدة (يني عصر) التركية التي تصدر في أزمير برقية عن القدس، جاء فيها أن سفر وفد رسمي عربي إلى مصر للاشتراك في مشاورات الوحدة العربية تعطل، لعدم إمكان اتفاق الأحزاب العربية على تأليف وفد ولأن الحزب العربي الذي يرأسه جمال الحسيني المنفي الآن في روديسيا طلب أن تكون له الأكثرية في هذا الوفد. وقد يكون

مصدر هذه البرقية يهودياً، ولكن يمكن أن يكون فيما جاء فيها شيء من الحقيقة على الأقل في صدد عدم اتفاق رجال أحزاب فلسطين على هيئة سياسية. وهذا الإتفاق ليس سهلاً، فمن عادة رجال فلسطين أن يتناظروا أو يشتد تنافسهم حينما يدور الحديث حول الأشخاص والشخصيات وبالإضافة إلى هذا فإن روح الثورة ماتزال قوية مؤثرة، والزعماء الذين كان لهم الأثر في الجهاد والثورة والذين كان لهم الأثر الأقوى في توجيه دفة السياسة الفلسطينية وخاصة في السنوات الأخيرة ليسوا الآن في فلسطين.

ولقد نشرت فلسطين في بعض أعدادها اقتراحاً بأن يكون رفيق التميمي ونافذ الحسيني ورفيق الحسيني ممثلين عن الغائبين من رجال الحزب العربي والزعامة العربية. ولكن هذا الإقتراح وقف عند حد نشره لمرة واحدة. وليس بعيداً أن يكون جماعة الحزب العربي وبالأحرى جماعة الحسينيين لم يرضوا بتمثيل فلسطين من قبل بقايا وفد لندن الموجودين الآن في فلسطين، وهو عوني عبد الهادي وموسى العلمي والدكتور حسين الخالدي ويعقوب الغصين وعبد اللطيف صلاح. وكان انضم إلى الوفد راغب النشاشيبي ويعقوب فراج بدعوة من الحكومة البريطانية وإغماض من اللجنة العليا دون اعتراض.

والمتبادر أن القائلين بصلاحية وفد لندن لتمثيل فلسطين يعتبرون راغباً ويعقوب منه، في حين أن الوطنيين لن يسيغوا ذلك، لأنهما ليسا مختارين من اللجنة العربية العليا التي كانت هي ممثلة فلسطين المعترف بها، والتي ألفت الوفد على ما شرحناه في مناسبة سابقة. على أن الأشخاص المذكورين حتى بقطع النظر عن راغب وفراج لا يمكن أن يكونوا نائبين بحق وقوة عن الفريق المجاهد والغائب، ولا عن فريق الحسينيين إذا أريد تسمية الأمور بأسمائها الصريحة. وهناك أشخاص سموا أعضاء في الوفد، ولكنهم رأوا أن لا يذهبوا، ومنهم أحمد حلمي باشا الموجود في القدس والحاج أمين الموجود في أوروبا وعزة دروزة. ولم يذكر اسم أحمد حلمي في عداد الوفد الصالح لتمثيل فلسطين، مع أنه عضو أصيل في وفد لندن. .

ومهما يكن من أمر، فإن إغفال النحاس ذكر فلسطين في خطابه الذي ألقاه في مؤتمر الوفد المصري في سياق ذكره ما كان وجرى من مشاورات الوحدة وأهدافها، يجعلنا نرجح أنه لن يرسل دعوة رسمية إلى عرب فلسطين. وأن كل ما في الأمر أن عرب فلسطين الذين هم أشد العرب حرصاً على قضيتهم من جهة والذين يرون أنهم أشد العرب حاجة إلى وحدة عربية يندمجون فيها من جهة، نشطوا وسعوا واجتمعوا وتحدثوا وطلبوا وذكروا بقضيتهم شأنهم في كل مناسبة. وأن النحاس قد يقبل التحدث مع وفد منهم بصورة غير رسمية على سبيل التلطف والاستطلاع وتسكين الروح تجاه ما قد بدا منهم من نشاط وسعي وحديث وطلب وتذكير، وتجاه ما لصوت فلسطين وجهادها من دوي وأثر في كل واد. وهذا يعكس بطبيعة الحال ما عليه فلسطين الراهنة من حال وموقف. . .

أما قضية فلسطين نفسها، فالذي لا نشك فيه أنها كانت موضع الأحاديث بين مصر وبين كل من وفود الحكومات العربية. وبعبارة ثانية إن المقصود من الاهتمام لهذه القضية حاصل سواء ذهب وفد فلسطين واشترك في المشاورات أو لم يذهب، مع أن للمظاهر اعتبار كبير من غير ريب، وبالتالي فإننا نعول تعويلاً كبيراً على

ذهاب وفد عربي فلسطيني ومشاركته في ما يجري في صدد الوحدة.

6 ـ رغبة من ليبية في الإنضمام لمشاورات الوحدة وما كان في صدد ذلك:

وبعد هذا يأتي في الدفتر هذا التسجيل:

قرأنا في أهرام 1943/11/3 و21176، أن وفداً من أعيان طرابلس الغرب المقيمين في مصر قابلوا وكيل وزارة الخارجية المصرية وقدموا له عريضة في صدد انضمام طرابلس إلى الوحدة العربية. ومما قالوه في العريضة أن من حق الشعب الطرابلسي بوصفه شعباً عربياً أن يسمع صوته في المشاورات الخاصة بوحدة الشعوب العربية، وأنهم على استعداد للتعبير عن آمال بلادهم ورغباتها، وأن طرابلس المجاهدة تريد الحرية والاستقلال والانتظام مع جيرانها على الأساس الذي تم الإتفاق عليه، وهي ترى في ملك مصر رمزاً لعرب إفريقية وفي الشعب المصري شعباً شقيقاً، (وطرابلس الغرب هي التي كان وصار يعبر عنها (القطر الليبي وليبية) كما هو معروف. والاسم الأول كان يطلق على عاصمة هذا القطر، وكان يطلق على جميع القطر باعتبارها ولاية من ولايات الدولة العثمانية قبل الغزوة الطليانية سنة 1912).

7 ـ رغبة من المغرب الأقصى أيضاً وما كان في صدد ذلك:

ولقد قرأنا أيضاً في أهرام 1943/10/27 وعدد 21165، أن وفداً من الجالية المراكشية في مصر قصد وزارة الخارجية وقدم مذكرة في صدد وجوب ذكر مراكش وعدم إغفالها ووجوب اشتراكها في مشاورات الوحدة. وأبدى في مذكرته الرغبة المراكشية في الانضمام إلى الوحدة. وأن الوفد ذهب بعد ذلك إلى قصر الزعفران، حيث قابلوا الوفد السوري الضيف ورحبوا بهم وقدموا لهم مذكرة مماثلة. ولقد ذكرنا قبل أن صحف طنجة ومراكش عتبت على مصر إغفال مراكش في مشاورات الوحدة حينما بدأت بين مصر والعراق، وطلبت ذكرها في هذا الأمر. (ومراكش هي ما يسمى اليوم مملكة المغرب الأقصى التي عاصمتها الرباط، ومراكش هي إحدى مدنها المهمة التي كانت يوماً ما عاصمة لإحدى دول هذه البلاد).

وهكذا حرّكت مشاورات الوحدة وما جرى في سياقها عواطف الإخوان المغاربة الصادقة في إزاء وحدة العرب ووجوب اندماج المغرب العربي في هذه الحركة أسوة بالمشرق العربي..

8 ـ مشاورات الوحدة في خطاب النحاس في مؤتمر الوفد العام ومداه:

ولقد قرأنا في أهرام 1943/11/15 وعدد 21181، خطاب النحاس باشا في مؤتمر الوفد المصري الذي انعقد في أوائل تشرين الثاني، كلاماً في صدد الوحدة العربية ومشاوراتها، رأينا تسجيله لما تضمنه من أهداف هذه المشاورات وما جرى في سياقها:

(وكذلك تعلمون أيها السادة شيئاً غير قليل عن الخطوات التي قطعناها في مشاورات الوحدة العربية، وتعرفون أننا انتهينا الآن من مشاوراتنا مع مبعوث حضرة صاحب الجلالة

الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، ومع مندوبي العراق وسورية وإمارة شرق الأردن. وكنا قد وجهنا أخيراً دعوة إلى الحكومة اللبنانية وجاءنا جواب بقبولها، كما أننا في انتظار كتاب أبرق حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ملك اليمن المعظم بأنه بعثه الينا.

وإذا كانت الظروف لا تسمح في الوقت الحاضر بأن أفضي لكم بتفصيلات ما دار في المشاورات، فإني مع ذلك أستطيع أن أحدثكم حديثاً مختصراً عن الفكرة في جملتها والإجراءات في خلاصها.

فالمشاورات كما يدل عليها الإسم الذي اخترناه لها مجرد استطلاع لآراء المندوبين في مختلف نواحي المشروع دون اتخاذ أي قرار في الموضوع. والغرض الذي نرمي اليه هو تحقيق التعاون بين البلاد العربية المختلفة على ما فيه خيرها وبلوغ مآربها. أما وجوه هذا التعاون، وهل يقتصر على النواحي الاقتصادية والإجتماعية والثقافية، أم يمتد إلى الناحية السياسية، وأي الدول العربية تشترك فيه وكيف يكون أداته، فهذا ما نستطلع فيه الآراء ونتبين منه الإتجاهات. فإذا انتهينا من مرحلة المشاورات ووجدنا وجهات النظر متفقة أو قريبة من الاتفاق في لباب المشروع عملنا على تأليف لجنة تمهيدية تتمثل فيها الدول العربية ذات الشأن، لتحمل ما تم الإتفاق عليه واستكمال ما يحتاج إلى الاستكمال من البحوث والمراجعات والتمهيد، لعقد المؤتمر العربي الذي نعتزم بإذن الله أن ندعو إلى عقده في القاهرة. وفي هذا المؤتمر تتخذ القرارات النهائية التي يراها المندوبون كفيلة بتحقيق الغرض المنشود. ويهمني أن أكرر من هذا المنبر أن مصر تتولى هذا العمل الجليل مجردة من الأغراض الخاصة خالصاً سعيها لوجه الله تعالى، حريصة على أن يكون اشتراك البلاد العربية المختلفة فيه على قدم المساواة التامة، وأن تجني ثماره وآثاره لخير الجميع دون استثناء، وبالله التوفيق وعليه الاعتماد)...

***

يوم الأربعاء 1943/12/8 و 10 ذي الحجة 1362 :

1 ـ عيد الأضحى ونحن في إيدين وهو سادس عيد لنا في هجرتنا :

اليوم كان عيد الأضحى. وجاء علينا في مقامنا الجديد (إيدين)، وهو العيد السادس الذي يمر علينا في هجرتنا، خمسة منها في الآستانة. وقد أبرقنا قبل يومين لدمشق برقية هنأنا فيها أسرتنا العزيزة بالعيد وتمنينا لهم الأمان والسلامة، وظروف العالم الحربية والسياسية ما تزال معقدة صعبة، وما تزال تحمل النذر بالامتداد والاشتداد رغماً عما قد يبدو من قرب النهاية بسبب الشدة العظمى التي وصلت إليها الحركات الحربية. فهل تنحل أزمة العالم ونتمكن من العودة إلى البلاد ونقر أعيننا بالأسرة قبل العيد التالي، أم يأتي عيد وعيد ونحن بعيدون مضطربون؟ الجواب عند الله الذي ندعوه أن يكشف الغمة عن العالم. فقد اشتد الكرب وعم الغم وساد الخراب والدمار وانتشرت الأحقاد البشرية ولا حول ولا قوة إلا به.

2 ـ اختلاف بلاد العرب في يوم العيد وتعليق عليه :

وعلمنا مما سمعناه من الإذاعات أن العيد في بلاد الشام ومصر أيضاً كان في هذا اليوم، وكنا قرأنا في أهرام 1943/12/5 أن أول ذي الحجة في الحجاز هو يوم الأحد، وأن الوقفة تكون يوم الاثنين والعيد الثلاثاء. وهكذا يكون الحجاج قد عيدوا يوم الثلاثاء، وبلاد الشام ومصر التي تعيد بعيد الحجاج عيدت يوم الأربعاء. وهذا من الشذوذ الذي يتكرر دائماً مع الأسف، مع أن من الواجب في هذا العيد خاصة أن يكون المسلمون في غير الحجاز تابعين للحجاز فيه، والوقت متسع لمعرفة ذلك من الحجاز، والمواصلات البرقية يسرت ذلك كل التيسير، وحساب الحجاز أصح. فقد رأينا الهلال في إيدين ليلة الاثنين وكان ابن ليلتين من دون شك. .

3 ـ عادة تأخير صلاة العيد في آيدين واستحساننا إياها :

وقد لفت نظرنا هنا عادة راقت لنا وهي تأخير صلاة العيد إلى ما بعد الشمس بأمد طويل، حيث قضاها المصلون في الساعة التاسعة أي بعد طلوع الشمس بأكثر من ساعتين، وهذه العادة مكنت أكبر عدد ممكن من المسلمين من المجيء للمساجد والاشتراك في صلاة العيد وخطبتها الدينية. وفي أيدين مساجد عديدة علمنا أنها كانت غاصة بالمصلين، ولا شك في أن هذا من أثر هذه العادة. والاجتماعات المسجدية هي اجتماعات اجتماعية أيضاً، وكل ما كثر المشتركون فيها كانت فائدتها أكثر ومشهدها أبلغ. وليس من ضير ديني في ذلك، فوقت صلاة العيد يمتد إلى قرب الظهر، وليس من ضرورة إلى التبكير فيها كما نفعل في بلادنا، وكان هذا في البلاد التركية ثم صاروا يؤخرون الصلاة ونعم ذلك. وعادة تضحية الأضاحي في الأناضول على ما يبدو واسعة النطاق أكثر من بلادنا. فليس الأغنياء فقط هم

الذين يضحون، بل إن المتوسطين والأقل من المتوسطين أيضاً يضحّون. وعادة التبكير في تناول الغداء يوم العيد جارية هنا كما هي عند جماهيرنا على ما قيل لنا. .

4 ـ ضجة في فلسطين بسبب تحديد أسعار الخضرة والفواكه:

مما قرأناه في بعض أعداد جريدة فلسطين أن الحكومة حددت أسعار الخضروات والفواكه، وأن المزارعين أثاروا ضجة كبيرة بادعائهم أن الأسعار المحددة أقل من التكاليف، ثم أخذت المواد تختفي من الأسواق. فكانت ضجة أخرى وشكايات واجتماعات، ولم نعرف كيف انتهت الأزمة لأن الصحف لا تأتينا منتظمة.

5 ـ حول قضية تهريب وشراء اليهود للسلاح من الإنكليز:

ومما قرأناه في بعض ما جاءنا من أعداد جريدة فلسطين أن قضية تهريب الأسلحة الذي قامت به بعض الهيئات لسوءء الحظ رائجة لدى فريقي سكان فلسطين، ولكن تهريباً على نطاق واسع كالذي اكتشف أخيراً لم يعهد قبل. ويظهر أن اليهود السياسيين المسؤولين يحاولون تخفيف أثر هذا التهريب، فقد أدلى بن غوريون وهو رئيس الوكالة اليهودية في فلسطين بتصريح نفى به احتمال وقوع اضطرابات شديدة بين العرب واليهود، ورد به على ما يقال من ذلك، ونفى به خبر توتر عربي يهودي جديد وكان كل هذا قد نشر في صحف إنكليزية. وقال بعد هذا أن مثل هذه الأخبار تنشر لإثارة القلق ولتبرير سياسة غير عادلة. قاصداً بذلك أن يقول إن النشر هو بقصد منع أي تبديل في سياسة الهجرة اليهودية، وهو ما يراه اليهود (سياسة غير عادلة. . .). ومما قاله ابن غوريون أنه جرت العادة من أيام الحرب أن تحصل فئات من الناس والتنظيمات اليهودية السرية على أسلحة من الجنود بالشراء. وكان لبعض الجنود الإنكليز ضلع في هذا التهريب أثار قلقاً في الأوساط الإنكليزية ردد صداه مجلس النواب الإنكليزي، حيث طلب بعض أعضاء هذا المجلس من الحكومة بياناً أو إصدار كتاب أبيض عنه، كما وجه بعض الأعضاء أسئلة إلى الحكومة. وأن مندوب الحكومة قال في جوابه أن تجارة الأسلحة ينبغي أن لا تؤخذ كدليل على وجود خطة لثورة يهودية في أيام الحرب، وأن اليهود لم يكونوا هم المهاجمين في الإضطرابات التي وقعت خلال العشرين سنة الماضية. .

وقد قرأنا في أحد أعداد فلسطين أن جريدة يهودية نشرت أن عوني عبد الهادي أرسل رداً إلى جريدة إنكليزية نشرت أخبار واحتمالات نشوب اضطرابات جديدة بين العرب واليهود، يقول فيه أن المتطرفين العرب هدأوا منذ نشوب الحرب وظلوا متربصين رغبة منهم في عدم عرقلة المجهود الحربي الإنكليزي، وأن عوني لم يكد يقرأ ذلك حتى سارع إلى تكذيبه ونفى بإرساله أي رسالة إلى الصحيفة الإنكليزية، وقال أنه لا يوجد في فلسطين متطرفون ومعتدلون في صدد حقوقهم وقضيتهم، وأن كل عربي مستعد للاستماتة في الدفاع عن القضية والحقوق العربية، وقد أحسن عوني في تكذيبه ونفيه. والمؤكد أن الجريدة اليهودية التي نشرت الخبر قصدت الدس على عوني وتصوير خضوع العرب وسكوتهم وخاصة المتطرفين منهم، ومساعدتهم على المجهود الحربي الإنكليزي. . ولقد كنا نود أن يسارع بعض

الموسومين بالاعتدال فيردوا على الجريدة ويؤكدوا ما قاله عوني، فإن ذلك يكون أقوى. ولا نعرف هل كان شيء من ذلك أم لا، لأن الصحف لا تصل إلينا بانتظام. على أن هذا كان في سياق خطاب لوايزمان ألقاه في المؤتمر اليهودي الذي انعقد في فيلادلفيا في ظرف قريب. فقد وجه وايزمان الكلام إلى معتدلي العرب طالباً منهم أن يجرأوا ويتقدموا فيقابلوا يد اليهود الممدودة إليهم للتعاون، ويثبتوا أن العرب ليسوا كلهم من روح المفتي وفي عناده. وقد سارع سليمان طوقان إلى نشر رسالة أو رد على ذلك، قال فيه إنه ليس في العرب بالمعنى الذي ذكره وايزمان معتدلون ومتطرفون وأن جميعهم واحد في رفض السياسة الصهيونية والوطن القومي اليهودي وفي الرغبة في الاستقلال والوحدة العربية، على ما قرأناه في أحد أعداد فلسطين أيضاً. .

6 ـ حول نشاط اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية العربية في فلسطين وتطلع رجال فلسطين لقيام هيئة سياسية :

أشرنا قبل إلى نشاط اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية في صدد مشاورات الوحدة. ونذكر في هذه المناسبة على ما لمحناه عما ينشر عن نشاط هذه اللجنة أنها تحاول أن تسد بعض الشيء مسد هيئة عربية سياسية، وتطالب بما كان ينبغي أن تطالب به هيئة سياسية، والظاهر أن وجود أحمد حلمي على رأسها ورشيد الحاج ابراهيم في عضويتها مما بث فيها هذا النشاط وجعلها تتجه هذا الإتجاه السياسي. ولقد قرأنا في عدد فلسطين 1943/10/17 محضر جلسة من جلساتها، فكان من قراراتها عرض المسائل الآتية للبحث في مؤتمر الغرف التجارية المزمع عقده :

أ ـ إعادة البحث في موضوع تشكيل هيئة سياسية صيانة لمصالح البلاد.

ب ـ البحث في موضوع الهجرة والأراضي وتأليف حكومة وطنية.

ت ـ البحث في موضوع تهريب اليهود للأسلحة.

ث ـ الطلب من الحكومة إستشارة الغرف التجارية العربية في الأنظمة والقوانين المتعلقة بالشؤون الإقتصادية والتجارية.

جـ ـ الاحتجاج على تشكيل المجلس الإستشاري الإقتصادي بشكله الحاضر، ومطالبة الحكومة برعاية حقوق العرب حسب نسبتهم.

ح ـ المطالبة بزيادة عدد الموظفين العرب في الدوائر الحكومية بنسبة عددهم.

خ ـ إلغاء نظام النقط في التموين.

د ـ مسائل متعددة أخرى متصلة بشؤون البلاد السياسية والاجتماعية.

وكل هذا يفيد تطلعاً ورغبة لدى المشتغلين بالقضية المتواجدين الآن في فلسطين للعمل السياسي والنشاط السياسي لمواجهة الأحداث الجارية والمقبلة.

ومع أن قيام هيئة وطنية عربية سياسية نشيطة مفيد جداً للبلاد الآن، إلا أننا نرى المسألة معقدة تعقيداً شديداً نظراً للظروف الحزبية والسياسية والحربية الراهنة، ونخشى ألا يكون حصيلة ذلك إلا هيئة ضعيفة مزيجة من الوطنيين المخلصين والمنافقين معاً. وليس في ظروف البلاد ما يسمح للوطنيين المخلصين بالانفراد أو ليكونوا هم الأقوى صوتاً وتأثيراً.

7 ـ احتيالات اليهود على قوانين الأراضي ومدى ذلك وأثره :

في برقية نشرتها جريدة فلسطين العدد 1943/10/23 سؤال من نائب إنكليزي للحكومة عن احتيال بعض الجهات على قانون الأراضي بأسلوب الرهنيات الصورية. وقد أجاب ممثل الحكومة البريطانية على السؤال بقوله إن انتقال الأراضي بأسلوب الرهنيات سيقف بانتهاء الرهنيات السابقة للدور القانوني. والرهنيات حيلة يعمد إليها اليهود وباعة الأرض من العرب، حيث يعقدون عقداً بقرض مقابل رهن الأرض، ويخول صاحب الأرض المرتهن ببيع المرهون إذا لم يدفع له القرض في الآن المحدد أو بالتصرف فيه. ويتم ذلك بالتراضي، ومع الوقت تصبح اليد اليهودية هي الموضوعة المتصرفة. وما دام ليس من يشتكي فيستمر الأمر كذلك.. وهذه حيلة كانت تجري قديماً أيضاً حين ما تكون ظروف أو بائع غير مواتية للفراغ..

ولقد وقع نظرنا بالإضافة إلى هذا على أخبار عديدة عن بيوع بعد الكتاب الأبيض، حتى في الأقسام التي منع هذا الكتاب البيع فيها أو حدده. وفي تحديدات السلطات ثغرات كثيرة ينفذ منها اليهود وباعة الأراضي المجرمين.. وقد انتقدناها حينما انتقدنا الكتاب الأبيض، وقلنا أنه ليس من علاج إلا المنع البات. ولم تلتزم السلطات بذلك.. وكل هذا يعني أن انتقال الأرض العربية إلى اليهودية مستمر، وهو الأمر الجوهري الثاني بالنسبة للوجود اليهودي والعربي، والأول هو الهجرة.

8 ـ ما جرى حول المجلس الاستشاري الحربي وتبادل الرسائل بين الحكومة ومندوب العرب في صدده ومداه :

وبمناسبة مطالبة الغرف التجارية بتعديل شكل المجلس الإستشاري الإقتصادي، نذكر إن السلطات أنشأت هذا المجلس باسم المجلس الاستشاري الاقتصادي للحرب قبل مدة قليلة مزيجاً من أعضاء إنكليز وعرب ويهود، وجعلت عدد أعضاء العرب مساوياً لعدد اليهود. فكان ذلك من آثار احتجاجات الأوساط العربية التي عدته بادرة خطيرة. وقد استمرت جريدة فلسطين أكثر من أسبوع تنشر برقيات من مختلف المدن والهيئات العربية والأعضاء العرب في هذا المجلس، والذين اختارتهم السلطات هم شبلي الجمل وخليل طوقان وفريد السعد ونافذ الحسيني. وقد أرسل هؤلاء كتاباً للسكرتير العام نشرته جريدة فلسطين (العدد 1943/11/4)، أبدوا فيه دهشتهم لعدم مراعاة النسبة بين العرب واليهود في تأليف هذا المجلس، وقالوا فيما قالوه أن هذا خروج من جانب الحكومة على سياسة الكتاب الأبيض التي حددت نسبة اليهود للعرب بالثلث. وأنه يعتبر سابقة خطيرة فيما يتعلق بحقوق العرب، وانحرافاً عن سياسة الكتاب المذكور التي أعلنت الحكومة البريطانية التزاماتها به. ومما قالوه أن اشتراك العرب في هذا المجلس يأتي لأول مرة في الخمس والعشرين سنة، ويشعر أن العرب يتعاونون مع الحكومة، وأنهم فعلاً يرغبون من صميم قلوبهم في العمل في هذا المجلس، ولكنهم صدموا بتسوية عددهم بعدد

اليهود، وصار من المتعذر عليهم التقريب بين الرأي العام العربي وبين الحكومة، ومن الافصاح بوضوح عن الرأي العام العربي وضمان تعاون الرأي العام بأكمل وجه في تنفيذ الإجراءات التي تقتضيها ظروف الحرب، وتشكيل لجان فرعية عربية لإنجاح الإجراءات المذكورة إذا لم تراعي تماماً النسبة بين العرب واليهود حسب ما حدده الكتاب الأبيض. وقالوا أنهم لا يطلبون شططاً إذا طلبوا من الحكومة أن تتمشى على سياسة اعترفت الحكومة البريطانية والبرلمان البريطاني بها، وطلبوا أن يضاف أربعة أعضاء جدد من العرب، أو يعدل تأليفه بشكل تحفظ به النسبة، أو على الأقل أن تصدر الحكومة بياناً تعلن فيه أن تأليف هذا المجلس لا يعد سابقة تتناقض مع سياسة الكتاب الأبيض وتنفيذها في المستقبل. (وهذا المطلب الأخير أضعف الأيمان أو بالأحرى غير ناشىء عن إيمان وإنما عن عجز وغباء. . .).

وقد أجابهم السكرتير العام بكتاب نشرته أيضاً جريدة فلسطين في عددها المذكور آنفاً، قال فيه أنه يؤكد لهم بكتابه هذا ما أكده لهم شفويا بأن مسألة تأليف هذا المجلس ليس لها أي صفة سياسية أو ملابسات سياسية، وأن كل محاولة ترمي إلى تشويه ذلك بالقول إنما ينطوي على أمور سياسية، محاولة مضرة ومضللة. وأن الغاية منه هو الحصول على النصائح المفيدة التي يسديها نفر مختار من السكان يتمتعون بالخبرة والشهرة لضمان وجود ظروف إقتصادية مرضية في البلاد إزاء المطالب الملحة التي تتطلبها السياسة الإقتصادية أيام الحرب. ولما كانت الملابسات السياسية غير موجودة في تأليف المجلس فإن البحث في السوابق لا داعي له. . وقد أرسلوا إليه جواباً قالوا فيه أنهم يعتبرون هذا الجواب مزيلاً لمخاوفهم من أن يكون تساوي العدد في المجلس سابقة تضر بمصالح العرب في فلسطين، وأنهم سيستمرون في الإشتراك في المجلس على هذا الأساس. . وقد أجاب السكرتير بجواب فيه توكيد متساوق. .

وهذه المكاتبات والإشارات ونشريات عديدة قرأناها وسمعناها في مناسبات متنوعة تفيد أن بعض الأوساط العربية حتى الراقية والوطنية تعتبر الكتاب الأبيض وثيقة ثمينة تحتج بها وتطالب بتنفيذها. حتى أن جريدة فلسطين رأت أنها تأتي بعمل بارع إذا هي نشرت نصوص هذا الكتاب في مناسبة يوم بلفور وفي مناسبة قرب حلول ميعاد تنفيذ الوعود المقطوعة في الكتاب. وقالت بعد أن نشرته أنه كان لنشره من جديد ارتياح في مختلف الأوساط العربية التي ما يزال الكتاب الأبيض موضوع اهتمامها.

ويبدو لنا شيء من المغالطة والغلو في هذا الإعتبار، فالكتاب الأبيض احتوى فعلاً بعض المبادىء التي ظل العرب يطلبون الإعتراف بها ويستهدفونها، وهي وقف الهجرة ووقف بيع الأراضي وقيام حكم وطني مستقل يلغى فيه الإنتداب وتتركز فيه العلاقة مع برطانية بمعاهدة وتكسب به فلسطين صورة البلاد العربية الأخرى على أساس أكثرية عربية تبلغ الثلثين، حيث وعدت الحكومة البريطانية بوقف الهجرة بعد خمس سنين والسماح بدخول (75000) في أثنائها، ليبلغ اليهود بها الثلث، ووعدت بتحديد بيوع الأراضي، وقالت إن الهدف المستهدف لمستقبل فلسطين هو قيام كيان مستقل يتوطد في معاهدة ويلغى فيه الإنتداب. والكتاب من هذا الأعتبار وثيقة للعرب، غير أنه في سياق تنفيذ هذه الوعود احتوى شروطاً تبقي هذه الوعود في

حيز النظريات الكلامية فقط، وخاصة في ما يتعلق بالكيان المستقل الذي جعل منوطاً بأن يثبت لبريطانية رغبة اليهود والعرب الصادقة في التعاون والتمازج، وهو الشيء الذي يبدو مستحيلاً حتى لو أراده العرب. فاليهود الذين يعرفون أن الحكم الذي سيقوم على أساس أكثرية عربية لن يساعدوا على قيامه، وسيظلون يعرقلونه بمختلف المواقف المضادة، مفضلين عليه بقاء السلطات في يد الإنكليز وزيادة عددهم، وحيازتهم بمختلف الأساليب التي برعوا بها ولا سيما أنهم تمرنوا على جعل الإنكليز يسايرونهم في جميع أساليبهم وتصرفاتهم. هذا إلى أن موظفي اليهود في الآلة الحكومية القائمة ذوو أثر فعال فيها. فماذا يقول العرب الذين يذكرون الكتاب الأبيض بالأسلوب الذي يذكرونه به، حينما يقول لهم الإنكليز ما دمتم ترون سياسة الكتاب الأبيض صواباً فلا مناص من بقاء الحكم الحالي كما هو، لأن التمازج والتعاون بين العرب واليهود لم يحصل إلى الآن. وهذه هي الثغرة الكبرى التي جعلت مؤتمر لندن 1938 ـ 1939 يحبط، وجعلت بريطانية تصدر كتابها الأبيض من طرف واحد، وجعلت العرب واللجنة العربية العليا يرفضونه.

9 - استبشار عربي في صدد صدق تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض:

ومن الأغلاط التي تلمح أن عرب فلسطين واقعون في استبشارهم بقرب تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض في صدد مراحل الحكم الوطني، أي حينما تنتهي خمس سنوات على صدوره، فالكتاب الأبيض يعد ببدء تنفيذ المرحلة الأولى وتسليم دوائر الحكومة تدريجياً إلى الفلسطينيين عرب ويهود في نطاق النسبة العددية، لتصبح جميعها في أيديهم ورئاساتها منهم حينما يتم توطيد الأمن والنظام. ولقد تم هذا منذ ثلاث سنين على الأقل، فلم يخط الإنكليز خطوة واحدة، والسنون الخمس المذكورة في الكتاب الأبيض هي مهلة انتهاء بقاء باب الهجرة مفتوحاً، وليس لبدء مراحل قيام الحكم الوطني.. ولا ندري هل هناك ما يبعث الأمل في عرب فلسطين بأن يساير الإنكليز الظروف العربية العامة ويبدأون الآن في بعض تلك المراحل التي أعلنت أنها ستكون خطة لها. وهل ما هو واقع في صفوف اليهود من انشقاق بسبب اعتقاد بعضهم عدم إمكان حل المشكلة اليهودية في فلسطين ووجوب الإعتدال بالنسبة لفلسطين، وهذا ما سوف تظهره الأيام، وإن كنا نحب أن نسجل ضعف أملنا في هذا الصدد..

10 ـ حول ما كان من انشقاق في الزعامة اليهودية بسبب الاعتدال والتطرف:

وهذا الانشقاق الذي ذكرناه آنفاً أشارت إليه جريدة فلسطين في عددها 1943/10/28، وقالت أنه قائم بين زعماء الحركة الصهيونية والهيئات اليهودية الأخرى في أميركا وفي فلسطين، وناجم على ما تقوله فلسطين عقب التطورات السياسية في الشرق الأوسط، وأدى إلى خروج كثير من الزعماء اليهود والصهيونيين على البرنامج الصهيوني المقرر لفلسطين، اعتقاداً منهم بأن الموقف السياسي في الشرق الأوسط بصورة عامة وفي فلسطين بصورة خاصة يقتضي تعديل الخطط اليهودية المتطورة على

ضوء (الواقع) في فلسطين.

ومما جاء في عدد فلسطين المذكور أن صحف اليهود الصادرة في 1943/10/27 كانت طافحة بأنباء هذا الخلاف الجديد في الحركة الصهيونية. ومن هذه الأنباء أن المجلس اليهودي الأميركي في نيويورك ورجاله من أقطاب الحركة الصهيونية قرر الإنفصال من هيئة المؤتمر اليهودي الأميركي الأخير، الذي اتخذ قراراً بحشد مجموعة يهودية في فلسطين. وأن المجلس المنشق أصدر تفسيراً لانشقاقه على هيئة المؤتمر قال فيه: (إن المشكلة اليهودية لا يمكن لفلسطين أن تحلها) كما أن مسألة إنقاذ يهود أوروبا لا تحل عن طريق فلسطين وحدها، وإننا لسنا في حاجة إلى التذكير أكثر من (الموقف السياسي في فلسطين).

وكان من نتائج هذا الخلاف على ما يستفاد من جريدة فلسطين أن انشقت جمعية النساء الصهيونيات، المعروفة باسم هداسا عن المجلس اليهودي لموقفه من قرارات المؤتمر اليهودي الأميركي وانشقاقه عنه. والمجلس اليهودي الأميركي يضم شخصيات معروفة في أميركا.

ولكن هذا الخلاف حمل (بوريس روتبرغ والقاضي لويس ليتهال وجدي سولاندل) وهم من زعماء الصهيونيين على الإستقالة من المجلس لموقفه الأخير أيضاً.

ولم تقتصر الخلافات اليهودية الصهيونية على أميركا وحدها، بل ظهرت حادة عنيفة في قيادة الحركة الصهيونية على أمريكا وحدها، بل ظهرت حادة عنيفة في قيادة الحركة الصهيونية في فلسطين، حيث ذكرت الصحف اليهودية على ما ذكرته فلسطين أن اللجنة التنفيذية الصهيونية المختصرة عقدت اجتماعاً في القدس تحدث فيه الزعيم الصهيوني الإنكليزي لوكر عن الحركة الصهيونية في إنكلترة والمساعي السياسية التي تبذل هناك، وتعرّض لأعمال الوكالة اليهودية في لندن وما تقوم به بأسلوب انتقادي. وأثار ذلك ابن غوريون رئيس الوكالة اليهودية في فلسطين، فأعلن استقالته من الرئاسة ثم غادر الإجتماع وقد دهش المجتمعون لهذه الإستقالة المفاجئة، فاقترح غرينوم أحد أعضاء اللجنة وقف الاجتماع، ودعا أعضاء الوكالة اليهودية الموجودين في الإجتماع إلى عقد جلسة خاصة. وفي هذه الجلسة تقرر رفض استقالة ابن غوريون. وخرج غرينوم أحد أعضاء الوكالة من الجلسة إلى قاعة الاجتماع وأعلم الحاضرين بالقرار، وطلب من اللجنة التنفيذية تأييده، فأيده 28 من أعضائها وامتنع أربعة عن التصويت. وقالت فلسطين التي نقلت هذه التفاصيل أن الجرائد اليهودية لم تنشر تفسيراً لاستقالة ابن غوريون المفاجئة إلا جريدة هابوكر التي نشرت معلومات حصل عليها مندوبها تلخص بما يلي: (إن الاستقالة كانت عقب خطبة لوكر الذي قدم من إنكلترة لدرس الموقف والإدلاء ببيان عن سير الحركة في إنكلترة، وأن المعتقد أن الخلاف القائم بين ابن غوريون ووايزمان هو الذي حمل الأول على الاستقالة).

ومما ذكر من تفاصيل، أن الدكتور وايزمان دُعي إلى فلسطين بصورة مستعجلة، فأبرق معتذراً بأن أعماله المستعجلة لا تسمح له بمغادرة لندن، فألح عليه ابن غوريون باسم الوكالة. وكان ذلك لما شعرت به وكالة فلسطين من حاجة إلى استيضاح بعض المسائل والنقاط المبدئية في برنامج الصهيونية في فلسطين على أثر الإنحرافات التي لوحظت، وميل البعض إلى تعديل البرنامج السياسي الصهيوني. وكان تأخر

وايزمان في المجيء مما أثار بن غوريون أيضاً.

ولقد نشرت فلسطين مقالاً افتتاحياً في هذا العدد الذي لخصنا عنه جميع ما تقدم، نعت فيه على زعماء الصهيونية تطرفهم وعدم مرونتهم وتجاهلهم تطور الأفكار في العالم، وتمسكهم بوجهة نظرهم المتطرفة دون أن تأبه بحقوق ووجود غيرهم في الدنيا، «وما كان من مواقفهم المحرجة لبريطانية وحملاتهم عليها. وقالت أن الإنشقاق كان لابد منه، لأن هذه الشدة القاسية والجمود في التفكير لابد من أن يقطع بعض الحبال. وقالت إلى هذا أن اليهود كانوا قرروا عقد المؤتمر الصهيوني. وكان المعروف أن زعماء كباراً سيحضرونه، وأن هذا المؤتمر عقد سراً وكان فاشلاً، ولم يحضره من زعماء اليهود الكبار في بريطانية إلا لوكر الذي وجه لوماً شديداً إلى القيادة الصهيونية في فلسطين، فكان لهذا أثر في حمل بن غوريون على الإستقالة أيضاً.

وفي عدد جريدة فلسطين 30/10/1943 نبذة منقولة عن جريدة هابوكر اليهودية في صدد الإنشقاق، جاء فيها أن ابن غوريون لن يسترد استقالته، وأنه مصمم عليها مادام وايزمان يميل إلى الاعتدال والتساهل في مبادىء الصهيونية. وأن بعض زعماء موثوقين في الصهيونية أدلوا لها بتصريحات يفهم منها أنه سبب الخلاف بين ابن غوريون ووايزمان يعود إلى السياسة التي سار عليها وايزمان أثناء وجوده في أميركا، حيث صرح بوجوب الإعتدال في الخطط الصهيونية الخاصة بفلسطين، لأنه يرتاب في أن تجد الصهيونية آذاناً صاغية في لندن إذا هي أصرت على خططها وتمسكت ببرامجها المتطرفة. وحيث يرى الاكتفاء بالأمر الواقع في فلسطين والعمل علي خير الجيل اليهودي الحاضر الموجود فيها، في حين أن ابن غوريون ومن على رأيه يرون أن فلسطين يجب أن تكون نواة المملكة اليهودية، ويجب أن يحشد إليها أكبر مجموعة يهودية..

ولقد كان تساهل وايزمان في آرائه على الوجه المذكور ظهر في حزيران الماضي حينما كان في لندن. والظاهر أن ابن غوريون فهم شيئاً جديداً من لوكر من ذلك، وأن في هذا الجديد تساهلاً جديداً، فسارع إلى الإستقالة معلناً أنه لا يتحمل مسؤولية السياسة الصهيونية الجارية في الموقف الحاضر في إنكلترة.

وقد نشرت فلسطين في عددها 30/10/1943 بيانات أخرى في صدد انشقاق الزعامة الصهيونية، حيث قالت أن الصهيونيين كانوا عقدوا منذ عام مؤتمراً في بلتمور في أميركا كان من حاضريه وايزمان وابن غوريون. وأن المؤتمر وضع برنامجاً للسياسة الصهيونية وافق عليه الزعيمان. واتحدت كلمتيهما على تنفيذه، وكان البرنامج متطرفاً. وأن ابن غوريون أعلن شيئاً من هذا البرنامج وأخذ يدعوا إليه، وأن وايزمان لم يكد يصل إلى لندن حتى شعر بما أقنعه بوجوب العدول عن ذلك البرنامج والإنتقال من التطرف إلى الاعتدال، فقرر ابن غوريون أن يقف من وايزمان الموقف الذي وقفه. ولما طلب من ابن غوريون الرجوع عن الإستقالة ووعد بالمعاضدة اشترط أن ينسحب وايزمان من رئاسة الجمعية الصهيونية.

ومما ذكرته فلسطين في عددها 2/11/1943، أن اليهود استعدوا للإحتفال بذكرى وعد بلفور، وقرروا عقد مؤتمر أو اجتماع عام يحضره ابن غوريون. ولكن هذا لم يعد عن استقالته ولم يلب الدعوة، فكان ذلك مما أدى إلى إلغاء الإجتماع خشية وقوع خلاف

وتهاتر فيه. ثم قالت فلسطين في عددها 1943/11/4 أن اليهود اكتفوا برفع الأعلام ولم يقيموا احتفالات تفادياً من اتساع شقة الخلافات.

وقد سجلنا بعد هذا تعليقاً قلنا فيه أن هذه المقتبسات وإن كانت تدل على وجود انشقاق في الزعامة الصهيونية على ظهور ميول تساهلية اعترافاً بالواقع والتطور، فإنها لا تشجع على الحكم بجدية ذلك الإنشقاق وتلك الميول. وكل ما يمكن أن يقال أن من المحتمل أن يكون النشاط العربي العام وما يبدو من بريطانية حكومة وصحافة من التحفظ والإصرار على السياسة المرسومة بشأن الهجرة، جعل بعض الزعماء يصطدمون بالحقيقة فتضعف أعصابهم وقتاً ما.

ومهما يكن من أمر، فإن الأمر متوقف على جد موقف بريطانية في تنفيذ سياستها التي رسمتها في صدد الهجرة، والتي سوف ينتهي أمدها بعد شهور قليلة. فإذا أصرت بريطانية على هذه السياسة ومنعت الهجرة بعد انتهاء السنين الخمس وانتهاء دخول المقدار المعين وهو (75000)، فإن ذلك يفتح المجال لقضية فلسطين يكون للعرب فيه مركز خير مما هو الآن.

وبريطانية ماتزال تعلن أنها متمسكة بالسياسة التي رسمتها، ولعل ذلك من أسباب الإنشقاق وضعف الأعصاب.

11 ـ نشاط ومناورات انتخابية يهودية في أميركا:

ونسجل أن الصهيونيين رغم ذلك يبذلون نشاطاً كبيراً في أميركا. وقد قرأنا تصريحاً جديداً لويلكي منافس روزفلت في الرئاسة، قال فيه أن من الواجب إزالة كل عائق أمام الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وقد سبق له تصريح مماثل. وهذا وذاك من أثر ذلك النشاط، فروزفلت حليف شرشل ومنسجم معه الآن، والظاهر أن ذلك جعل جماعات من اليهود يناصرون ويلكي ويجعلونه يدلي بمثل هذه التصريحات. فإن فاز بالرئاسة فيكون لهم نصير جديد قوي غير مرتبط بشرشل. وإلا فإنهم قد يجعلون روزفلت بمثل هذه المناورة يعمد إلى استرضائهم وتعضيد مطالبهم، وهذا أسلوب يهودي وهو أسلوب خبيث ناجح بدون ريب.

12 ـ عدد اليهود في نهاية السنة الرابعة للكتاب الأبيض وشيء عن النقد والودائع:

مما نشرته جريدة فلسطين عدد 1943/11/9 أن عدد اليهود في نهاية السنة الرابعة للحرب بلغ (525) ألف، وكان عددهم عند نشوب الحرب (460) ألفاً.

ومما نشرته في عددها 1943/10/28 أن قيمة النقد الفلسطيني المتداول في شهر آب 1943 هو 31,756,656 جنيه، أي بزيادة (11) مليون عما كان عليه في نفس الشهر من السنة السابقة. وهكذا يسير تضخم النقد في فلسطين بسرعة مخيفة يبتلع ثروات البلد المعدنية والعقارية والزراعية والصناعية الأخرى.

وفي العدد نفسه أن الأموال المودعة في بنوك فلسطين بلغت في شهر تموز 1943 حداً لم تصل إليه قط، حيث بلغت (43,567,695) جنيه أي بزيادة (19,276,747) عما كانت

عليه في نفس الشهر من السنة الفائتة. وهذا مظهر آخر من مظاهر التضخم أولاً والإرتباك أو الجمود الإقتصادي ثانياً. (الإحصاءان النقديان عزته فلسطين إلى نشرة إحصائية رسمية).

ومما نشرته فلسطين في عددها 1943/11/5 نقلاً عن الجريدة الرسمية، أن نفقات الميزانية لسنة 1942/ 1943 بلغت (10,253,283) أي بزيادة نحو مليوني جنيه عن السنة الفائتة، وبلغت إيراداتها (8,851,879) أي بعجز مليون ومائة ألف. ومما ذكر أن أكبر مبلغ أنفق على دائرة واحدة هو مبلغ مليونين وربع على دائرة البوليس والسجون، بينما أنفق على التعليم نحو (415) ألف. وإذا لاحظنا أن ميزانية مصر في هذه السنة كانت نحو خمسين مليون جنيه، ظهر أن ميزانية فلسطين تزيد نسبياً على ميزانية مصر نحو مرتين ونصف.. ونصيب الفرد في فلسطين من الميزانية سبعة جنيهات، في حين نصيب الفرد في مصر ثلاثة جنيهات...

مما نشرته فلسطين العدد 1943/11/2، أن ثلاثة آلاف مسلم يتهيأون للسفر إلى الحج، وأظنه أكبر رقم حجاج في فلسطين، وقد يدل على حسن الأحوال الإقتصادية تضخم النقد. ولن تقل نفقة الفرد من الحجاج عن (200). ثم قرأنا في عدد 1943/11/14 أن عدد الحجاج صار (4200). وجاءنا في هذه الأثناء رسالة من دمشق بأن من جملة الحجاج هذه السنة بديع وطالب دروزة.

13 ـ نجاح محلنا في عمان:

وبعد هذا الكلام وجدنا أننا سجلنا أيضاً ما يلي:

إن بديعاً (دروزة) هو الذي يقوم بأمر مخزننا في عمان كشريك مضارب. وذهابه للحج وصرفه مبلغاً يعد كبيراً، دليل على أن حالة مخزن عمان وأرباحه ملائمة. وهذا ما كان بشرنا به وهو ابن عمنا راشد دروزة، وطمننا بأن لا نفكر كثيراً في أمر معيشة الأسرة في دمشق، فإن الله يسر ببركة إشغال المحل، حتى أصبح مصروف الأسرة سهلاً عليه. وهذا المصروف يبلغ في الشهر نحو ألف ليرة مع الاقتصاد التام. فالحمد لله على نعمته. ونحن موقنون بأن الله قد يسر وبارك بحسن نوايانا وإخلاصنا ونزاهتنا وشفقة على الأطفال والنساء الذين خلفناهم وراءنا، وإننا نشهد الله على أننا في كل ما قمنا به من أعمال عامة إنما كان هدفنا مصلحة بلادنا وقومنا، وأننا حافظنا كل المحافظة على نزاهة أيدينا وطهارة مقاصدنا وسرائرنا، ولم نسمح لأي اعتبار خاص بالتأثير علينا، ولم يشب خدمتنا وعملنا أية شائبة من غرض أو حقد شخصي أو منفعة خاصة عاجلة أو آجلة.

***

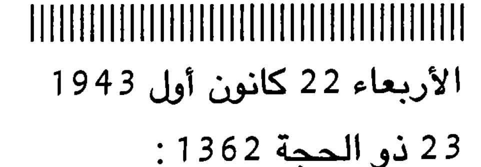

الأربعاء 22 كانون أول 1943
23 ذو الحجة 1362 :

أخبار عن مصر والبلاد العربية الأخرى ملخصة عن أعداد من جريدة الأهرام:

1 ـ قرض وطني مصري لسداد الديون الأجنبية ونجاحه:

قررت الحكومة المصرية استبدال الديون الأجنبية المطلوبة منها بقرض وطني. وكان الدافع على ذلك تضخم النقد في أيدي الناس وسقوط قيمته الشرائية، حيث بلغت قيمة ليرة الذهب الإنكليزية نحو ستة جنيهات مصرية أو أقل قليلاً، وكانت حين صدور الجنيه المصري معادلة للجنيه الإنكليزي الذهب تقريباً. حيث رأى أمين عثمان وزير مالية مصر الفرصة سانحة لإصدار سندات قرض وطني على ثلاث مراتب: قصيرة الأمد ومتوسطته وطويلته، بفائدة مهما بدت قليلة فإنها أكثر من الفائدة التي تدفعها المصارف لأصحاب الودائع فيها. وقد وافقت الحكومة على المشروع، ثم عرضته على البرلمان فوافق عليه بقانون، وصادق الملك على القانون. وقد قوبل المشروع على ما قرأناه في الصحف باهتمام وارتياح عظيمين، واعتبر عملية قومية عظيمة، لأنها تخلص مصر من الديون الأجنبية التي كانت وما تزال من وسائل إرهاق مصر وقيودها، كما اعتبرت دليلاً مهماً على قوة مركز مصر المالي رسمياً وشعبياً. ولقد نجح القرض فعلاً نجاحاً باهراً، حيث بلغت قيمة الإكتتاب فيه خلال شهر نحو ستة وثلاثين مليون جنيه من أربعين. وديون مصر تبلغ تسعين مليوناً. والمشروع اقتصر على تحويل أربعين منها للقرض الوطني وهو الدين الموحد أو الممتاز، وجعلت مدة القرض الطويلة ثلاثين سنة والمتوسطة خمس عشرة والقصيرة خمس سنين، حيث تسدد الحكومة القيمة لأصحابها مقابل استرداد السندات التي في أيديهم حسب أسناد كل نوع. وجعلت الفائدة للقروض الطويلة الأمد 3,25٪ والمتوسطة 2,5٪ وللقصيرة 2٪ والاسترداد يكون بالسحب. والسندات مقسمة على السنين، فقد يسترد صاحب القرض دراهمه في سنة أو سنتين. وعلى كل حال لا يتجاوز الأمد لنوعه، وجعل للقرض مغريات، فليس عليه ضريبة تركات ولا أي ضريبة من ضرائب الثروة. والسندات لحاملها تباع وتشرى كأوراق النقد وسهام الشركات. ويمكن رهنها والإستلاف على قيمتها. ومما قرأناه حول هذه العملية أن التفكير فيها كان قديماً إلى أن صار أمين عثمان وزيراً للمالية فوعد بتنفيذها ونفذها، حيث أثبت هذا الوزير الشاب حيوية ونشاطاً. وهو مثقف ثقافة إنكليزية ومتزوج بإنكليزية وعديل سمارت السكرتير الشرقي في السفارة الإنكليزية المشهور. وليس أمين عثمان وفدياً، وكان في دور صديقاً لمحمد محمود رئيس الحزب الدستوري المناهض الرئيسي لحزب الوفد، ثم تحول لصداقة الوفد. وكان همزة وصل في مواقفه بين الوفد ورجال الإنكليز في سفارة مصر في لندن. وأخذه النحاس له وزيراً للمالية وهو غير وفدي أمر شاذ لا ندري الباعث عليه، ويظهر أن ألمعيته وصلاته مع الإنكليز كان عاملاً في ذلك..

2 ـ إقامة صلات سياسية بين مصر وروسية وأسبابها ودلالتها:

سارت الحكومة المصرية خطوة جديدة في العلاقات بينها وبين روسية الشيوعية، فأذيع أن حكومتي مصر وروسية تتخذان التدابير بشأن تعيين ممثلين سياسيين من قبل كل منهما عند الأخرى. ولم تكن قامت مناسبات بينهما منذ الثورة الروسية. وساعد على هذه الخطوة إعلان روسية إلغاء الشيوعية الدولية أو تخليها عنها وعن أي مداخلة في أي شأن في نظام من شؤون ونظم البلاد الأخرى الداخلية، وهذا ما كنا شرحناه في مناسبة سابقة. ولقد كانت الحكومة المصرية تطارد الشيوعية والشيوعيين في بلادها مطاردة شديدة. فكان ذلك الإعلان وسيلة إلى الاتصال بين مصر وموسكو، والإتفاق على إقامة مناسبات سياسية. ولم يكن هذا قاصراً على مصر، حيث كان وسيلة إلى مثل ذلك بين روسية وبلاد غيرها لم تكن بينها مناسبات سياسية وكانت على عداء للشيوعية وتطاردها في بلادها حينما كانت الشيوعية خارج روسية مرتبط بروسية برباط الشيوعية الدولية.. وكأداة من أدوات الحكومة الروسية في البلاد الأخرى..

3 ـ مطار أميركي عظيم في الأراضي المصرية:

سمحت الحكومة المصرية لأميركا بإنشاء مطار على مقربة من القاهرة. وتم إنشاؤه وتدشينه في تشرين الأول 1943 وقد ذكرت الأهرام في عددها 1943/10/26 أنه أكبر مطار أميركي في الشرق الأوسط. ويشتمل على سبعين بناية، منها ناد يتسع لألف ومائة وخمسين شخصاً، ودار سينما تتسع لخمسمائة، ومستشفى ودار بريد ومحطة برق لاسلكي ودائرة جمرك ومحطة توليد كهرباءقوتها (212) كيلوات وحظائر متنوعة في الضخامة. وتبلغ مساحة الأرض المخصصة لهبوط الطائرات (47) ألف يرداً مربعاً مرصوفة بالإسمنت المسلح، و(234) ألف يرداً مربعاً مكسوة بالإسفلت وهو لهبوط طائرات قيادة طائرات النقل الحربي الأميركي. وهي القيادة التي أنشئت أخيراً في الجيش الأميركي لنقل المدد الحربي إلى ميادين القتال في طائرات ضخمة. ومع أننا نرجح أن هذا المطار موقت بظروف الحرب، وأنه قد يعطى بعدها للحكومة المصرية، ولكن هذا لا يمنع من القول أنه قد يكون (خازوقاً) من (الخوازيق) المقبلة في بلاد الشرق العربي أيضاً. ونذكر أن أميركا قد أنشأت منشآت جوية وعسكرية وصناعية حربية عديدة وكبيرة في جهات البصرة والكويت وأريترية ـ أثيوبيا أيضاً. وقد تكون كلها (خوازيق) في المستقبل أيضاً. ومن غريب توارد الخاطر أننا قرأنا أمس في جريدة (يني عصر) التركية الأزميرية عدد 1943/12/21 تصريحاً معزواً إلى هوفر رئيس جمهورية أميركا الأسبق، جاء فيه أنه لا بد لأميركا من الإستيلاء على مطارات أوروبا وآسيا وأفريقية، التي تهمها في سياستها السياسية والإقتصادية بعد الحرب، سواء بتنازل الدول ذات الشأن عنها أو بطريق الإستئجار لمدة (99) سنة، وخاصة مطارات مصر وزيلانده التي يجب على أميركا أن تحصل عليها على كل حال وتضمن ذلك من الآن...

4 ـ حول المساعي اليهودية للاستيطان في أستراليا:

نشرت الأهرام في عددها 1943/10/26 ما يفيد أن هناك مساعي يهودية مبذولة منذ بضع سنين من أجل تخصيص سبعة ملايين فدان أرض ـ أي (28 مليون) دونم في القسم الغربي من أستراليا للإستعمار والإسكان اليهودي. غير أن أوستراليا تقف موقف المتحفظ تجاه هذه المساعي. وأن كل ما كان من جديد هو وعد بالنظر في هذا الأمر بعد انتهاء الحرب، دون أن يكون هذا الوعد مقيداً لأستراليا بأي قيد يفهم منه أنه موافقة مبدئية عليه، وإذا لاحظنا أن مساحة أوستراليا هي نصف مساحة أوروبا، وأن سكانها لا يزيدون عن ستة ملايين، وأنها تتسع لسكن وحياة مائة وخمسين مليوناً، وأن أكثرها يباباً غامراً تولانا العجب والغيظ معاً من منطق البشر المتناقض. فليس في فلسطين أرض زائدة بل وأراضيها الزراعية أقل بكثير من حاجة سكانها، وصار ما بقي في يد العرب منها أقل بنحو الثلث من حاجتهم على ما ثبت من التحقيق، ومع ذلك فأميركا وغيرها يشجعون اليهود على الهجرة إلى فلسطين ويعضدونهم في الضغط والمنافسة على العرب والتضييق عليهم، ولديهم من المساحات الشاسعة الفارغة ما يكفي عشرة أمثال يهود العالم. فهم يريدون أن ينفقوا من أكياس غيرهم ويتمنون أن يظل اليهود بعيدين عنهم.

5 ـ رحلة الأميرين فيصل وخالد إلى أميركا وخطاب فيصل في صدد قضية فلسطين وما لقيا من اهتمام:

استمرت رحلة الأمير فيصل وأخيه الأمير خالد السعوديين في أميركا إلى أواسط تشرين الثاني 1943 وقد دامت نحو ثلاثة أشهر. ويظهر مما كتبته الصحف أنها كانت رحلة موفقة تيسر للأميرين فيها التجول في أكثر أنحاء أميركا ومشاهدة صور العظمة الاقتصادية والصناعية والعمرانية والتجارية في الولايات المتحدة. وقد كان الأميران موضع حفاوة واهتمام عظيمين من الأوساط الأميركية الرسمية والصناعية ومن الجالية العربية أيضاً. وقد قرأنا في أهرام 1943/11/8 خبر حفلة تكريم عظمى أقيمت لهما في نيويورك بأمر الرئيس روزفلت شهدها عدد كبير من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب ومشاهير رجالات الصناعة والمال. وخطب فيها عدد منهم ومن الجالية العربية أيضاً، وخطب فيها الأمير فيصل كذلك، وقال فيما قاله أنه يتنبأ بعودة دولة العرب العظمى وأن العرب سيظلون عرباً مهما كانت القوة التي تحاول تحويلهم، وأنهم وإن كانوا اليوم ضعفاء مادياً فإنهم أقوياء روحياً، وهم الآن بسبيل النهوض، وقوتهم الروحية الكامنة جديرة بأن تخلق في النهاية عوامل مادية تكفل لهم وسائل القوة والتجدد، وهم مشهورون بالجد والصبر والأناة والطموح إلى العظمة والمجد. ويفهم مما تنشره الصحف أنه كان لشخصهما تأثير غير قليل في الأوساط الأميركية المتنوعة.

وغادر الأميران أميركا في أواسط تشرين الثاني إلى بريطانية، وهنا أيضاً لقيا حفاوة

عظيمة، وتيسر لهما الاطلاع على مشاهد عظيمة لنشاط بريطانية واستعداداتها الحربية، وظلت الصحف تنوه بهما وتذكر طوافهما وتصريحاتهما، وما أقيم لهما من حفلات وما أقاماه بدورهما من حفلات. وكان يحملان سيفاً هدية لشرشل من والدهما مرصعاً بالأحجار الكريمة ومشغولاً بالذهب، فقدماه لزوجته بسبب تغيبه عن بريطانيا.

ثم غادرا بريطانية إلى مصر عائدين إلى بلادهما، ولم تنشر الصحف تفصيلات عما قاما به من اتصالات رسمية في أميركا وبريطانية. ولم نعرف لذلك ما إذا كانت للرحلة صبغة سياسية رسمية، وإنما قرأنا أن الرحلة كانت بدعوة شخصية من روزفلت علماً أنه كان للشركات المعدنية الأميركية مصالح ومطامح كبيرة في المملكة العربية السعودية الشاسعة، ومنها ما حصل على امتيازات مناجم ذهب ومناجم بترول ومناجم نحاس. وقد كنا وما نزال نظن أن دعوة روزفلت والإهتمام الذي بدا من أميركا نحو الشرق والمملكة السعودية قد ينم عما يكنه الأميركيون من مطامح ونيات في الاستقرار في الشرق العربي واستغلاله والإنتفاع بخيراته، وأن في ذلك مظهراً من مظاهر التشاد الخفي بين بريطانية وأميركا حوله أيضاً.

ومهما يكن من أمر فإن في زيارة فيصل خاصة لأميركا وبريطانية وهو النجل اللامع المدني نوعاً ما لابن السعود ووزير خارجيته ونائبه في الحجاز، فوائد خاصة وعامة. ومنها دعاية للعرب وقضاياهم ولفت النظر إليهم ونافخة في الأمراء السعوديين روح نشاط قد يكون له أثر فيهم الآن وفي المستقبل. ولقد تسنى لفيصل أن يدلي بتصريحات صحفية عديدة في أميركا وبريطانية اطّلعنا على نتف منها في الصحف العربية، فيها توكيد لرغبة العرب في الاستقلال والحرية والإتحاد والنهوض، وفيها ترديد وتذكير بآراء أبيه في قضية فلسطين وعروبتها ووجوب حفظ حقوق أهلها وبطلان مزاعم اليهود فيها وكونها من أهم القضايا التي تهم العرب. ولكل ذلك فائدة وأثر دعائي من دون ريب في أوساط سيكون لها الكلمة الحاسمة في سياسة ومشاكل العالم بعد الحرب.

6 ـ جولات طلال وفهد ومنصور، الأمراء السعوديون بين مصر وفلسطين وما لقوه من حفاوة:

وعلى ذكر رحلة الأميرين لأميركا نذكر أن في الشرق العربي أمراء آخرين من أولاد الملك السعودي زائرين ومستشفين، وهم الأمراء طلال وفهد ومنصور. والأخيران خاصة ما يزالان يتجولان بين مصر وفلسطين ويحاطان بالحفاوة والعناية. ومهما يكن من طبيعة هذه الرحلة الخاصة فإنها مفيدة من ناحية تنوير ذهن الأمراء وتوسيع معارفهم وصلاتهم ببلاد العرب. ولقد كنا حينما زرنا الرياض في سنة 1937 اقترحنا على الملك عبد العزيز بإلحاح أن يخرج في رحلات طويلة أو قصيرة إلى البلاد العربية الشرقية والغربية حتى يتمكن من الاتصال بالعالم. وكنا نلمس منه شيئاً من التردد في ذلك لأنه يخشى أن يضطر إلى ترك بعض عاداته في الملبس والمأكل والحياة ولا يحسن ذلك. ولعل أولاده يثيرون فيه رغبة الرحلة، فالرجل عبقري جبار في عقله وذكائه، والرحلة من أهم أسباب الصقل لذلك.

وفي صحف فلسطين التي وصلت إلينا

متأخرة أن مدن فلسطين تتهافت على تكريم الأمير منصور الذي زار فلسطين تكريماً بالغاً. فقد دعي إلى غزة ويافا ونابلس وبيسان والخليل والناصرة وأجاب. وفي كل مكان يزوره تقام الزينات له وتستقبله الجماهير استقبالاً رائعاً. وليس من شك في أن هذا منبعث: **أولاً**: من ما كان من تصريحات الملك عن فلسطين وحقوقها وبطلان مطالب ومزاعم اليهود، ووجوب حل القضية حلاً عادلاً، وعدم دوام العداء بين العرب وبين السكسونيين من أجلها. **وثانياً**: من طبيعة قضية فلسطين التي جعلت أهلها منذ البدء لا يفوتون فرصة للفت نظر العالم العربي خاصة والعالم الإسلامي عامة إليهم، وجعلهما يفكران في فلسطن. **وثالثاً**: من طبيعة القضية الفلسطينية التي تكاد تجعلهم كالأيتام في مأدبة اللئام. وهذه الحفلات والحفاوات تقام وتتم على سمع من الأمير عبد الله. ولا أشك في أنه مغيظ محنق منها. ولكنه يخطىء كثيراً إذا لم يوازن بين موقفه من فلسطين واليهود والسمسرة والتقسيم، واندماجه بالاستعمار والمطامع اليهودية بأساليب مختلفة، وبين مواقف سائر زعماء ورؤساء العرب، أو إذا لم يدرك أن للناس عقولاً ووعياً يمكنهم بهما أن يفرقا بين المواقف. .

وعلى ذكر رحلات الأمراء السعوديين نذكر أن الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق قام بعد قليل من سفر الأمير فيصل وأخيه إلى أميركا برحلة إلى بريطانية ولبث فيها نحو شهر ونصف، وكان في يومين منها ضيفاً على الملك والملكة، وحظي باهتمام وحفاوة. وطوف في أنحاء بريطانية، وتيسر له مشاهدة كثير من مشاهد الإنتاج والإستعداد الحربي، وأدلى بتصريحات نوه فيها بالروح البريطانية والإستعدادات البريطانية الخ. . وكان قيل أن نوري السعيد سيرافقه في رحلته ولكن لم يتم ذلك. والراجح أنها كانت وظلت رحلة مراسم شخصية لا طابع ولا هدف سياسي لها. ولعلها كانت مظهراً من مظاهر التشاد بين السعوديين والهاشميين. فالأولون يزورون أميركا، وقد يمكن أن يستهدفوا توطيد الصداقة بينهم وبينها، فعليه أن يزور بريطانية ويؤكد ما بينه وبينها من صداقة وطيده، وهي ذات الوزن العظيم في أحداث العالم المقبلة. . وعبد الإله هو الآن ولي العهد الرسمي لعرش العراق بعد تعديل الدستور. وفيصل الطفل مريض، وله والحالة هذه أمل كبير في ملك العراق، وهو يسير في خطته وخطواته في نطاق هذا الأمل. وقد سجلنا بعد هذا الكلام ما يأتي:

من عجيب الصدف وتوارد الخاطر أننا قرأنا في مجلة المصور العدد 999 و3 كانون الأول 1943 ـ 5 ذو الحجة 1362 ما يأتي: «الأخبار الواردة من لندن في صدد زيارة الوصي على عرش العراق وزيارة الأميرين السعوديين متضاربة. وهناك مساغ لتقريب وجهات النظر بين أميركا وبريطانية حول الشرق العربي، ومن تشاد وتناظر بين السعوديين والهاشميين في الوقت نفسه كما هو واضح».

7 ـ حادث صدام سيارة للملك فاروق وما كان من عطف مصري وعربي نحوه:

في أواسط تشرين الثاني، بينما كان الملك فاروق يقود سيارته في رحلة خلوية اصطدمت سيارته بسيارة شحن عسكرية أدت إلى إصابته

وإصابة مرافقيه بصدمات وجروح. وكان الصدام في منطقة (القصاصين)، وكان فيها مستشفى عسكري بريطاني، فنقل المصابون اليها. ولم يكد يُعلم النبأ حتى اهتزت مصر والبلاد العربية اهتزازاً عجيباً. وكان في ذلك دليل على شدة وقلق المصريين وحبهم للملك، وقد لبث الملك ومرافقوه في المستشفى نحو ثلاثة أسابيع، فعاد إلى القاهرة بين مشاهد الاحتفالات الرائعة ومظاهر الإبتهاج البالغة. وتردد الإبتهاج في البلاد العربية، فتبودلت البرقيات بين الملك ورؤساء الحكومات، وجاء سيل من البرقيات للملك من الشخصيات والهيئات العربية بأسلوب ومقياس عجيبين لم يسبق لهما مثيل. وفي كل هذا دلالة على تطور الأفكار والعواطف في البلاد العربية بدون ريب. ومما يفهم مما تكتبه الصحف وينقله الزائرون لمصر أن الملك فاروق يبدي من الحنكة وحسن التصرف في التقرب للشعب وابتكار أساليب التعاطف معه على اختلاف طبقاته، مما جعل المصريين يفتنون به وجعل مركزه قوياً جداً. وما كان منه ومن حكومته إزاء أزمة لبنان وعودة الحياة الدستورية لسورية ومشاورات الوحدة العربية يدل بدون ريب على حسن إدراك ونفوذ نظر. والملك الآن في ريعان شبابه، فإذا استمر في خطته فقد يكون له شأن كبير في ظروف وتطور فكرة الوحدة العربية، ولا سيما أنه المرشح الأول لرئاسة اتحاد عربي إذا تطورت فكرة الوحدة وبشكل جدي ليكون منها اتحاد بشكل ما.

8 ـ افتتاح البرلمان المصري وخطبة العرش وخطبة النحاس حول أزمة لبنان ومشاورات الوحدة:

في 1943/11/18 جرت مراسم افتتاح البرلمان المصري. وقد أناب الملك عنه ولي العهد الأمير محمد علي الذي ألقى خطاب العرش. ولقد لفت نظرنا إشارة في الخطاب إلى ما كان من جهود مصر في سبيل إعادة الدستور إلى سورية ولبنان والاعتراف باستقلالهما، وإلى ما كان من أثر الأزمة اللبنانية في نفس الملك وحكومته والشعب المصري. وفي مقدمة الكلام من ذلك جاء النص التالي: (ما كان لمصر أن تغفل الاهتمام بجيرانها الأدنين وإخوانها الأقربين، وأعنى البلاد العربية التي تربطنا بها روابط لا تنفصم عراها من وحدة اللغة ووحدة الأصل والطباع والتقاليد والأخلاق والعادات والآلام والآمال». فقد كانت هذه العبارة مثيرة لنا ودالة على قوة حيوية القضية العربية والفكرة العربية وعلى قوة تطورهما في مصر. وفي مصر خاصة لأنها إلى بضع سنوات مرت كانت أوساط مصر المثقفة بل والحكومات الوطنية باستثناء حزب مصر الفتاة، وأفراد معدودين في معزل عنها وفي غير واديها، وتخلط بين العروبة والشرقية وبين الإسلامية خلطاً مضحكاً ومغيظاً في آن واحد.

ولقد احتوى خطاب العرش كذلك إشارة إلى المؤتمر العربي المنوي عقدة بعد الإنتهاء من المشاورات الجارية بين مصر والحكومات العربية حول الوحدة العربية. ومما ذكره الخطاب في هذا الصدد. أنه بعد الإنتهاء من مرحلة الاستشارات تؤلف لجنة تمثل فيها الدول

العربية لاستيفاء البحوث والمذكرات وتحضيرها والتمهيد لعقد المؤتمر والدعوة إليه. وهكذا تدخل الوحدة العربية وأبحاثها في خطاب العرش، وتصبح خطة رسمية من خطط الحكومة المصرية الوفدية. وفي هذا ما فيه من خطورة تطورية مهما كانت النتائج. فنحن مازلنا عند رأينا من أن النتائج القريبة لهذه الحركة لن تكون محققة لكل ما نريد، حتى ولا لحله، ولكنها ستكون حتماً خطوة ومرحلة تتبعها إن شاء الله خطوات ومراحل.

9 ـ استلام الحكومة السورية بعض الدوائر من الإفرنسيين ومدى ذلك:

في أهرام 1943/12/6 أن سعد الله الجابري رئيس الوزارة السورية خطب في البرلمان السوري، فأعلن أن حكومته تسلمت شؤون الأمن وجوازات السفر والعشائر ومراقبة المطبوعات. وهذه الشؤون ودوائرها كانت بيد الإفرنسيين. وهذه خطوة جديدة موفقة للحكومة السورية في سبيل توطيد الاستقلال والسيادة. ومن المأمول أن يعقبها خطوات أخرى وخاصة ما يسمى المصالح المشتركة التي هي دعامة من دعامات الاستعمار وأساليب الدس والغبن وخلال العشرين سنة الماضية. وفيها مجال لاستخدام مئات الموظفين الافرنسيين ومئات الموظفين العرب كآلات شر في أيدي الإفرنسيين، ومن أعظم وسائل الفتن والتجسس وأسباب فشل كل مشروع اتفاقي بين فرنسة وسورية ولبنان. هذا الجيش من الموظفين وخاصة الإفرنسيين منهم الذين كل واحد منهم يعتبر نفسه ملكاً، وأصغر موظف منهم يعتبر نفسه أكبر من أكبر موظف سوري ولبناني، فهم الدولة الحقيقية والحكومة الحقيقية، وكلهم حريصون على استبقاء مركزه وما يغدقه عليه هذا المركز من مجد وسلطة ومنافع.

10 ـ مؤتمر وفدي عظيم بيوبيل فضي له بمناسبة ذكرى يوم ذهاب سعد زغلول ورفاقه الى المندوب السامي في 1918/11/13:

يوم 1918/11/13 هو يوم ذهاب سعد زغلول والشعراوي وعبد العزيز فهمي إلى المندوب البريطاني للمطالبة بحقوق مصر واستقلالها. وأصبح هذا اليوم منذ سنين عديدة عيداً رسمياً حكومياً وشعبياً، واعتبر تاريخ بدء الجهاد في سبيل الاستقلال القومي، وفي نفس السنة تألف الوفد المصري. وقد مر على تأليفه 25 سنة، لأن المندوب سألهم عن هوياتهم فرأوا أن يدعموا موقفهم بتأليف هيئة شعبية سياسية، فولد بذلك حزب (الوفد المصري). وبمناسبة مرور هذه المدة على تأليف الوفد قرر الوفد إقامة يوبيل فضي عبر مؤتمر عظيم عقده في 1943/11/13 شهده عشرات ألوف الوفديين من مختلف أنحاء القطر من شيوخ ونواب وأعيان وكتاب وأدباء ومحامون الخ الخ.... ودعي إليه الصحافيون في البلاد العربية، وجاء إلى مصر ممثلون عن صحافة فلسطين ولبنان وسورية والعراق والهند. ومن وصف الصحف يظهر أن المؤتمر كان مهرجاناً وفدياً عظيماً.

وقد افتتحه النحاس بخطبة طويلة تضمنت تاريخ جهاد الوفد ومواقفه منذ البداية إلى اليوم، وما أداه لمصر من خدمات، وما كان من آثار

ذلك من نجاحات سياسية عظيمة من معاهدة الاستقلال والتحالف، إلى إلغاء الامتيازات إلى توطيد الحياة الدستورية إلى مختلف المشاريع الكبرى العلمية والصناعية والإقتصادية والمالية التي تمت في عهد حكومات الوفد، وما لاقاه الوفد من محن ومؤامرات خارجية وداخلية وتغلبه عليها الخ الخ. وذكر فيما ذكره ما كان من جهود في سبيل إعادة الحياة الدستورية إلى سورية ولبنان، وما كان من جهود في سبيل الوحدة العربية، وما كان من غضبة مصر تجاه ما حصل في لبنان بأسلوب قوي يدل على مقدار ما كان من تطور للفكرة العربية في مصر واتساع انتشارها وإساغتها وتسويغها. . وقد قال فيما قال في خطابه أن حكومة الوفد نالت وعداً من بريطانية بأن تبذل جهدها ليكون لمصر حق الكلام على قدم المساواة في مؤتمر الصلح في الأمور التي تتصل بمصالحها، واعترافاً بأن مصر قد قامت بالتزاماتها قياماً محموداً. وأن حكومة الوفد قد وقعت ميثاق الأطلانطيكي الذي وقعته الأمم المتحدة، والذي يقرر حق الأمم بالحرية والإستقلال، لأنها رأت الموقف السياسي العام حافزاً على ذلك، (وكنا قرأنا فيما قرأناه أن مما حفز مصر على الانضمام للميثاق مسألة لبنان، وتساؤل الإفرنسيين عن حق مصر بالتدخل فيها).

ولقد خطب وزراء ونواب وبارزون وفديون ومنهم بعض السيدات الوفديات في المؤتمر، نوهوا بدورهم في نشاط الوفد وخدماته، وبما قامت به حكومات الوفد وبما أخذته على نفسها من القيام به من خدمات للشعب ومصالحه في أثناء الحرب ولما بعد الحرب. وكل وزير تكلم عن أعمال وخدمات وزارته.

وكان المؤتمر موفقاً من ناحية الروح والجهد والدعاية الحزبية معاً. ومما جرى أن الهيئة الوفدية البرلمانية قررت فيما بينها شراء البيت الذي يسكنه النحاس وتقديمه له هدية في عيد الوفد الفضي، وأبقت الموضوع سراً لئلا تقابل برفض من النحاس إلى أن أتمت معاملة الطابو، فأعلن ذلك سكرتير الوفد، وجعل النحاس أمام أمر واقع ولم يسعه إلا القبول مع الشكر.

ومما أذكره الآن أن مؤتمراً عظيماً للوفد كان عقد في سنة 1932 وكنت إذ ذاك في القاهرة مع بعض إخواني الفلسطينيين الذين كانوا يزورون القاهرة، وأظن أن منهم فائق العنبتاوي وإسحق درويش والدكتور مصطفى البشناق، وشهدنا معاً بعض جلساته الصاخبة الرائعة، واستمعنا إلى خطبائه الذين كان منهم مكرم عبيد ومحمود عباس العقاد وتوفيق دياب والنحاس نفسه، وكان مظاهرة وطنية وقومية وحزبية موفقة أيضاً. وكان الوفد إذ ذاك خارج الحكم. . ومما لحظناه في خطاب النحاس وخطاب وزير الخارجية صبري أبي علم في المؤتمر الفضي تعريضهما بجرأة وصراحة بالأحزاب المعارضة وخاصة باسماعيل صدقي ومحمد محمود، وما كان منهما من محاربة للوفد وللدستور. ويدل هذا على قوة مركز الوفد واعتداده وضعف مركز الأحزاب المعارضة. .

وما لا ريب فيه أن ما بدا من هذه الأحزاب وخاصة محاربة الدستور والوفد تلك الحرب التي لا تنسجم مع أي منطق وعدل وخلق قومي ووطني وديموقراطية لم تكن مشرفة للأحزاب المعارضة، وهو ما يتسلح به الوفد ويجعله يسوغ لنفسه هذا التعريض والجرأة فيه.

ونذكر في هذه المناسبة أننا قرأنا في مجلة المصور العدد 999 وتاريخ 1943/12/3، خبر مذكرة وقع عليها رؤساء الأحزاب المعارضة

محررة بقلم اسماعيل صدقي مقدمة للملك فيها شكوى ضد الوفد. ونذكر أن حكومة الوفد قامت رغم أنف الملك والمعارضة. وقد شرحنا ظروف ذلك في مناسبة سابقة.

11 ـ سؤال في مجلس النواب الإنكليزي عن مناصب المفتي وجواب الوزير وتعليق على ذلك:

نشرت الأهرام في عددها 1943/12/3 برقية لمراسلها في لندن، ذكر فيها أن أحد أعضاء مجلس النواب الإنكليزي سأل وزير المستعمرات عن أسباب عدم تعيين شخص يشغل منصب مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى. وأن الوزير أجاب بقوله إنه يجب التفرقة بين هذين المنصبين. فمنصب مفتي القدس منصب ديني بحت وليس له سلطات أو أعمال إدارية، وأن الحاج أمين الحسيني كان يشغل هذا المنصب قبل أن يسند إليه المنصب الديني الآخر وهو منصب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى. وقد جرد الحاج أمين في سنة 1937 من منصبه الزمني وأعماله الإدارية، ولكن لم يتخذ إجراء ما بشأن المنصب الديني، لأنه لا يوجد تشريع يجيز خلع من يشغل هذا المنصب، ولا توجد سابقة معروفة لمثل هذا الإجراء، فالحاج أمين لا يزال من الوجهة الفنية مفتي القدس. غير أن أهمية هذه النقطة تضعف إزاء الحقيقة الواقعة، وهي أنه ليست هناك نية لإعادة الحاج أمين إلى فلسطين مهما تكن الظروف، لأنه انحاز علانية إلى الأعداء. أما رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى فالحكومة لا تريد أن تتدخل في شأنها، لأنها لا تثير شيئاً من المتاعب ولا تعرقل سير الأعمال في الشؤون التي يتحمل المجلس تبعتها، وخصوصاً أن المجلس لم يطلب حتى الآن مثل هذا التدخل. ولا ندري الباعث على السؤال. فهل هناك تحريك من فلسطين أو تحريك لفلسطين بشأن منصب الرئاسة والإفتاء؟

12 ـ عقد المؤتمر الطبي العربي السادس في مصر وما جرى فيه:

عقد في القاهرة يوم 1943/12/7 مؤتمر طبي عربي عام اشترك فيه بعثات طبية من العراق وسورية ولبنان وفلسطين. وكان من المقرر أن يعقد هذا المؤتمر باسم المؤتمر الطبي العربي السادس في بيروت في العام الفائت، ولكن لم يعقد بسبب الظروف التي كان فيها لبنان، فتقرر عقده في مصر واحتفظ باسم (المؤتمر الطبي العربي السادس) للمؤتمر الذي سيعقد في بيروت في العام الآتي ليكون حلقة في سلسلة منتظمة. ولذلك سمي مؤتمر القاهرة الذي نحن في صدده باسم المؤتمر الخامس للجمعية الطبية المصرية. ومما يحسن تسجيله لمعرفة بعض أهداف المؤتمرات العربية وروحها ما جاء في خطاب رئيس هذا المؤتمر الدكتور علي ابراهيم باشا حيث قال: (أحييكم تحيات ثلاثا، تحية الضيافة، وتحية العيد، وتحية العروبة، سواء كانت هذه العروبة عاربة قحطانية أو مستعربة عدنانية. والعروبة في لغة قريش وهي أقرب اللغات السامية إلى أصلها في العروة الوثقى التي تضم الناطقين بالضاد وتتسع لكل حركة فيها بركة. والعروبة أيها الزملاء ليست فقط لغة الأدب والأدباء ولكنها لغة الطب والأطباء. وهي اللغة الثمينة جداً بالطب والأمراض والعقاقير الخ. وإذا كنا نسوق الدلائل

على رجال الأدب بتراثنا في الطب العربي، فإننا نتيه على رجال السياسة بأننا نحن الأطباء سبقناهم إلى تحقيق حلم يهف على نفس الجميع منذ عشرات السنين على الأقل، هو الوحدة العربية. فقد فكرنا منذ خمس عشرة سنة في تنفيذ الفكرة، فكنا نعقد مؤتمراتنا على التناوب تقريباً في إحدى مدائن مصر وحواضر البلاد العربية الشقيقة. ففي سنة 1929 عقد في الإسكندرية، وفي سنة 1930 في القاهرة، وفي سنة 1931 في بيروت وفي سنة 1932 في القاهرة، وفي سنة 1933 في القدس، وفي سنة 1934 في الأقصر، وفي سنة 1935 في دمشق، وفي سنة 1936 في القاهرة، وفي سنة 1938 في بغداد. وسمي مؤتمر بغداد المؤتمر العربي الطبي الأول. وسمي مؤتمر عام 1939 في القاهرة بالثاني، ومؤتمر عام 1940 في القاهرة الثالث، ومؤتمر عام 1941 في أسوان الرابع، ومؤتمر عام 1942 في الإسكندرية الخامس. وكان المقرر أن يعقد السادس هذا العام في بيروت. ولقد أدى الأطباء في هذه المؤتمرات لبلادهم وللعروبة خدمات جلى في كثير من النواحي، منها أنهم عرّبوا كثيراً من المصطلحات العلمية والطبية ووحدوها وعمموها، ومنها أنهم دأبوا على الأمراض المتوطنة في بلادهم إحصاءً وبحثاً، فلم يأخذوا علمها من الفرنجة ويلتقطوه حبة من هنا وحبة من هناك، بل درسوها على المكان كما يقولون حتى فقهوها وتفقهوا فيها، وحتى أصبح الفرنجة عنهم ناقلين. فكان الأطباء المؤتمرون مؤتمرين بالعلم واللغة والسياسة، وكان كل منهم سفيراً فوق العادة لدى بلاط هذه الدول الثلاث. ثم طلب من المؤتمرين أن يرسلوا تحية لإخوانهم أبطال لبنان الأمجاد الذين رفعوا رأس العروبة عالياً في سماء العزة والكرامة.

وقد خطب مندوب عراقي فقال فيما قال: «إن الوحدة العربية كانت ولا تزال وستظل من أهم أهدافنا. وختم كلمته بتحية لبنان وتحية العرب والعروبة». وخطب الدكتور منيف العائدي مندوب دمشق فقال فيما قال: «إن الأطباء كانوا يرمون من قيامهم ببحوثهم العلمية إلى غاية أسمى هي تحقيق وحدة عربية شاملة تجمع بلاد العرب كلها». وخطب فؤاد غصن مندوب لبنان شاكراً معترفاً بالجميل لمصر وملكها وحكومتها على لبنان في أزمته. وخطب الدكتور رشدي التميمي مندوب فلسطين فقال: «إنه لما عقد المؤتمر الطبي في بغداد وسمي المؤتمر الطبي العربي الأول، تمنى خطباؤه أن يعمل لوحدة العرب السياسية، وها هي الأحلام تتحقق رويداً رويداً وأصبحنا على دقائق من هذا الفجر المرتقب، ونجحت المؤاتمرات في التوجيه المنشود». وأثنى على الملك فاروق والنحاس ثم قال: «وها إن فلسطين على مقربة من هذا المكان حيرى تتطلع»..

وهكذا يتردد تطور الفكرة العربية والقومية العربية وصداها في هذه المناسبة قوياً عالياً. ولا شك في أن ما جرى ويجري في بلاد العرب كان من تأثيره. كما أن فكرة المؤتمرات العربية الدورية قد انطوت منذ الأصل على محضر من مشاهد هذا التطور وساهمت في إيضاحه.

نلحظ في هذه الأيام أن بعض الصحف المصرية تلفت النظر وهي فخورة بما صار لمصر ومركزها من خطورة عالمية سياسية. فهي الآن مقر حكومات وملوك اليونان ويوغوسلافية. وكانت في هذين الشهرين مكان مؤتمرات سياسية وعسكرية خطيرة الشأن. وهي مدار وملتقى حركات عسكرية وسياسية بسبب توسط

مركزها واعتدال جوها. وهي ملتقى شخصيات عسكرية وسياسية خطيرة تبعاً لكل ذلك. وقد انتشر اسمها والحديث عنها وعن ملكها في كل أنحاء الأرض. وفي كل هذا ربح كبير لها وللحركة العربية التي هي منها في مركز الزعامة في الحقيقة.

13 ـ ذكرى وعد بلفور في برلين وبرقيات وعد وتأييد للمفتي من وزير خارجية ووزير داخلية ألمانيا وتعليق على ذلك:

أذاع راديو برلين خبر حفلة أقيمت بمناسبة 2 نوفمبر، ذكرى وعد بلفور برئاسة (مفتي فلسطين سماحة الحاج أمين الحسيني) وأذاع أن وزير الريخ ربينتروب ـ وزير خارجية ألمانيا ـ ووزير داخليتها هملر، أرسلا برقيتين إلى سماحته بهذه المناسبة. وهذا نص برقية ربينتروب المذاع:

«أتقدم لسماحتكم وللحفل المجتمع اليوم في عاصمة الرايخ تحت رئاستكم بتحياتي؛ إن ألمانيا تربطها بالشعب العربي روابط صداقة قديمة، وهي اليوم أكثر من كل وقت مضى حليفته الطبيعية. إن محو ما يسمونه الوطن القومي اليهودي وتحرير البلاد العربية جميعها من اضطهاد الدول الغربية واستقلالها جزء أساسي من سياسة ألمانيا العظمى لا يقبل التبديل. ونحن نقترب من الساعة التي يشيد فيها الشعب العربي مستقبله باستقلال تام، ويبني وحدته ممارساً حق تقرير مصيره بحرية كاملة». وهذا نص برقية هملر:

«إن الحركة الوطنية الإشتراكية في ألمانيا العظمى قد كتبت على راياتها منذ أول نشأتها الكفاح ضد اليهودية العالمية، ولذلك فقد تشبعت هذه الحركة دائماً بعطف خاص كفاح العرب عشاق الحرية وخاصة في فلسطين ضد اليهود الدخلاء. إن معرفة هذا العدو والكفاح ضده يشكلان أمتن أساس للتحالف الطبيعي بين ألمانيا الوطنية الإشتراكية وبين المسلمين محبي الحرية في جميع العالم. لذلك أتقدم إليكم في يوم ذكرى وعد بلفور المشؤوم بتحياتي القلبية وبأطيب التمنيات لاستمرار كفاحكم بنجاح حتى النصر النهائي الأكبر».

ونص ربنتروب أقوى تصريح أذيع من جانب الألمان بشأن حرية العرب واستقلالهم ووحدتهم في ما أتذكر. ومع ذلك فهو متسق مع التصريحات السابقة المذاعة عنهم قبل عبوس وجه الحرب في وجوههم والحق يقال.

أما ما وراء هذا النص وأمثاله من نيات وتأويلات فهو موضع التساؤل والحيرة والقلق من جانب هؤلاء ومن جانب خصومهم على السواء. وتجارب الماضي وأكاذيبه وتأويلاته تجعل المرء أقرب إلى التشاؤم والشك منه إلى التفاؤل والثقة.

14 ـ موجز للأخبار المهمة العالمية السياسية خلال الفترة 15 تشرين الأول 1943 ـ 15 كانون الأول 1943:

1 ـ مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى الثلاث في موسكو وما جرى فيه وبلاغ رسمي عنه ومداه:

بتاريخه 1943/10/19 عقد مؤتمر في موسكو لوزراء خارجية بريطانية وأميركا وروسيا، وهو المؤتمر الذي دارت حوله الأبحاث

والدعايات والإشاعات والأخبار المتنوعة في صدد ما بين روسية والسكسونيين من خلافات في وجهة النظر الحربية والسياسية الحاضرة والمقبلة. وكان من أهم ما يقال وقوع سوء تفاهم وانفصام بين الفريقين حول آمال ألمانيا، ولم يكن ما كان يقال ويذاع من ذلك دعايات وشائعات، بل كان ذلك أموراً واقعة معترفاً بها في الأوساط السياسية والصحافية في كل من الطرفين. وكانت مما تثير قلقاً واضطراباً ومخاوف في سير الحرب وما بعد الحرب.

فالظاهر أنه جرى تمهيدات وتبودلت أفكار كثيرة قربت وجهات النظر أو عملت على عقد هذا المؤتمر الذي قيل أنه تمهيد لمؤتمر أكبر لروزفلت وستالين وتشرشل. ولقد استمر هذا المؤتمر نحو اثني عشر يوماً، وكان طيلة هذه المدة موضوع تعليقات ودعايات وشائعات شتى في مختلف أوساط العالم السياسية والصحافية. وجرت في أثنائه مقابلات خصوصية بين ايدن وستالين وبين هول وستالين، وأذيع أنه كان المؤتمر أحياناً في حالات دقيقة وحرجة، ثم أذيع أخيراً أنه نجح وأن المؤتمرين تقاربوا وتفاهموا على جميع الأمور والمسائل الحربية والسياسية في أثناء الحرب وما بعد الحرب. ولقد أذيع بلاغ رسمي عن سير وشكل وقرارات المؤتمر، وهذا موجز لذلك:

1 ـ عقدت اثنتا عشرة جلسة، واشترك فيها عدا وزراء الخارجية الثلاثة مستشارون سياسيون وعسكريون من كل من الدول الثلاث.

2 ـ احتوى جدول العمل جميع المسائل العسكرية والسياسية الحاضرة والمقبلة، وكان بعضها ما يستدعي البت فيها نهائياً، فاتخذت في شأنها قرارات. ومسائل أخرى تم الاتفاق مبدئياً عليها، على أن تدرس تفاصيلها من قبل لجان خاصة، ومسائل أخرى اكتفي بتبادل الرأي فيها.

والأمور التي اتخذت فيها قرارات هي:

1 ـ وجوب تقصير أجل الحرب مع ألمانيا ودويلاتها. وقد تم الإتفاق على الوسائل الكفيلة بذلك.

2 ـ استمرار القتال إلى أن تسلم ألمانيا بدون قيد أو شرط.

3 ـ وجوب استمرار التعاون بين الدول الثلاث بعد انتهاء الحرب.

4 ـ تأليف لجنة مؤلفة من مندوبي الدول الثلاث مقرها لندن لبحث مشاكل أوروبا.

5 ـ إنشاء منظمة دولية لحفظ السلام وتنظيم التسلح.

6 ـ الاتفاق على السياسة الواجب اتباعها إزاء إيطالية ومحو الفاشيستية منها، وتأليف لجنة لذلك مركزها شمال أفريقية مؤلفة من مندوبين للدول الثلاث ومندوب عن اللجنة الإفرنسية الوطنية ومندوبين عن دولتي اليونان ويوغوسلافية في ما يهمها.

7 ـ إلغاء ضم النمسا لألمانيا ومراعاة نصيبها في تبعة الحرب.

8 ـ تسليم رجال الألمان المسؤولين عن المذابح وأعمال الإرهاب بعد عقد الهدنة إلى البلاد التي ارتكبوا فيها أعمالهم لمحاكمتهم طبقاً لقوانينها. . .

ولقد اعتبر نجاح المؤتمر نجاحاً عظيماً للحلفاء. وتخييباً تاماً لآمال الألمان في نشوب خلاف ونزاع بين الحلفاء، حتى أن سمطس رئيس حكومة جنوب أفريقية ومن كبار أقطاب الحلفاء السكسونيين صرح بأنه أعظم كسب للحلفاء في هذه الحرب.

ومن الأمور التي اضطر المؤتمر إلى تركها

على ما عرف مما نشر وأذيع بحث حدود وأوضاع الدول الأوروبية الصغيرة الشرقية. والراجح أن روسية رفضت بحث هذا الموضوع والتقيد فيه بأي قيد. ولقد أجاب هول وزير خارجية أميركا على سؤال وجه إليه في صدد ذلك، فلم يسعه إلا أن يقول أنهم لم يروا من المعقول أن يصروا على موضوع قد يكون سبباً في عرقلة سير الحرب وتهديد آمال النصر، وأنهم فضلوا تركه إلى ما بعد الحرب. ويدل هذا على أن لروسية خططاً خاصة نحو هذه الدول وحدودها لا تريد أن تتخلى عنها.

ولم يكد المؤتمر ينتهي حتى انفتحت أبواق الدعاية السكسونية حول خطورته ونتائجه، وحول قرب فتح الجبهة الثانية. وأخذت توجه الإنذارات الشديدة إلى الألمان والبلغار والمجر وفنلانده، والدعوات إلى الثورة للنمساويين. كما أخذت تذكر ما أحدثه نجاح المؤتمر من قلق واضطراب في أوساط الألمان وحلفائهم ونفوس شعوبهم، وما بثه من قوة المقاومة في شعوب أوروبا المحتلة.

ومهما يكن من أمر فإن عقد المؤتمر بعد كثرة ما قيل عن خلافات بين السكسونيين والروس، وعن ضعف التعاون والثقة، وعن نوايا كل من الفريقين نحو الآخر يعد نجاحاً سياسياً للحلفاء، وإن كان من جهة ثانية نجاحاً إيجابياً باهراً لروسية، حيث وطدت لنفسها مركز الناقد في سياسة أوروبا وتنظيمها وفي سياسة البحر الأبيض وفي تنظيم العالم، دون أن تتخلى عن خططها وسياستها بالنسبة لشرق أوروبا وجنوبها، ودون أن تسمح للسكسونيين بأن يكون لهم مركز نافذ في هذا المجال. وطبيعي أن السكسونيين من مصلحتهم أن يزوّقوا نتائج المؤتمر ويعتبروه نجاحاً، لأنهم يرون أن كسب الحرب منوط في الدرجة الرئيسية بروسية، وأنها هي التي تحمل عبئها الأكبر، وأن هذا الموقف هو الذي يجعل لروسية كلمتها المسموعة ويجعل السكسونيين يعترفون لها بذلك. وكلام هول في هذا الشأن واضح المدى.

ومهما يكن الأمر كذلك، فإن من حق السكسونيين أن يعتبروا المؤتمر نجاحاً لهم أيضاً.

2 ـ لقاء بين وزيري خارجيتي بريطانية وتركية في مصر عقب مؤتمر موسكو:

وبمجرد وصول وزير خارجية بريطانية إلى مصر عائداً من موسكو، أذيع أن وزير خارجية تركية غادر أنقرة إلى مصر للاجتماع به، فأثار هذا النبأ أفكار العالم ولفت نظره. وأيد ما قيل عن أن المؤتمر تناول موقف تركية أيضاً. ولقد أقام الوزير التركي في القاهرة يومي 5 و1943/11/6 واجتمع وتحدث مع الوزير البريطاني. ولقد اختلف المخمنون في الداعي لهذا اللقاء، فقيل إن تركية هي التي طلبته، كما قيل إن إيدن هو الذي دعا زميله التركي. ولقد كان هذا المؤتمر الثاني أو اللقاء التركي البريطاني على أثر مؤتمر موسكو، موضوع تعليقات وتكهنات ودعايات وشائعات عديدة أيضاً، وصار مثار بحث فيما تستطيع تركية أن تقوم به من دور خطير في تقصير أمد الحرب. وما يمكن أن تقدمه من مساعدات مثل فتح البواغيز وإعطاء قواعد جوية. وأثار أيضاً في الوقت نفسه تكهنات حول المناسبات الروسية التركية، وقد قيل فيما قيل أن قائد الشرق الأوسط الإنكليزي العام قد اشترك في الاجتماعات والمداولات وعلق على ذلك أهمية كبيرة.

أما الكلام الرسمي حول هذا اللقاء أو المؤتمر فقد صدر بلاغ وجيز عنه، ذكر فيه أن الوزيرين اجتمعا وتبادلا الأفكار والمعلومات حول ما جرى في مؤتمر موسكو ونتائجه، وأن المباحثات جرت في نطاق ذهنية الصداقة المستلهمة من الإتفاق الموجود بين تركية وبريطانية. ولقد سأل صحفيون وزير الخارجية عن المؤتمر فأجاب قائلاً أنه تناول جميع أمور الحرب والسياسة حاضراً ومستقبلاً، وأنه لم يجر حديث أو طلب ما حول تعديل للحكومة التركية موقفها السياسي الذي تقفه من الحرب.

ولقد أخذت الصحف التركية تكتب مقالات لعلها مستلهمة من الحكومة، بتمسك تركية بسياسة الحياد التي سارت عليها، وتبرزها وتقول أنها لن تتخلى عنها إلا إذا ارغمت على الدفاع عن نفسها واستقلالها واعتدي عليها من الخارج. ثم أذيع بعد أسبوعين من الاجتماع أي في 1943/11/20 ان جواب تركية على أبحاث مؤتمر القاهرة قد أرسل إلى سفير تركية في لندن ليسلمه لوزير الخارجية. وليس من ريب أن لهذا الإجتماع خطورته وشموله، ولما أذاعه وزير الخارجية البريطانية أولاً، ولما أذيع من جواب تركية ثانياً مغزى ومدى. غير أن التكهن في هذا الموقف غير مجدي. وكل الدلائل تدل على أن رجال تركية مخلصون كل الإخلاص في تمسكهم بالسياسة التي ساروا عليها إلى الآن.

3 ـ غضب اللجنة الإفرنسية بسبب إهمالها ومداه وتوضيح وتعليق على مركز اللجنة وخلافات أعضائها ونشاطها:

لقد غضبت اللجنة الإفرنسية الحرة وثارت ثائرتها لأنها لم تمثل في لجنة الشؤون الأوروبية التي تقرر تأليفها في مؤتمر موسكو، فأذاعت بياناً قالت فيه أنها لن تتقيد بأي قرار يصدر عن هذه اللجنة التي لا تتمثل فيها. ولكن غضبها لم يجد ولم يغير شيئاً.

وعلى ذكر اللجنة نذكر أنها مرت في هذه الحقبة في أدوار، فالخلاف بين ديغول وجيرو ظل متقدا. ولقد جاء أخيراً إلى الجزائر عدد من رجال فرنسة كمندوبين لجميعات وهيئات المقاومة الداخلية وأحزاب اليسار في الوطن فارين من فرنسة استجابة لدعوة اللجنة، فانتعشت بقدومهم وأصبحت ترى لنفسها حـ ا في صوت أشد من صوتها الأول، حيث كان هدا الصوت إلى الآن خافتاً لأنها لم تعد ممثلة لفرنسة كلها، وكل ما هناك أنها لجنة خارج فرنسة تسعى للمساهمة في تحرير فرنسة ورعاية الأمبراطورية الإفرنسية خارج فرنسة. ولكنها بعد انضمام هؤلاء الذين جاؤوا كمندوبين عن هيئات المقاومة صارت تعد لدرجة ما ممثلة لفرنسة، وقد انتفخت بذلك بالدعاية والإدلال، وقررت بقوة إقامة مجلس تمثيلي استشاري من هؤلاء وغيرهم، كما قررت ضم هؤلاء المندوبين إلى اللجنة نفسها. ولقد جاء هؤلاء متشبعين بروح العداء لحكومة فيشي ولافال وبيتان، والنظام الديكتاتوري الذي قام في فرنسة مقام النظام الجمهوري الديموقراطي، فصاروا يطالبون بإقصاء كل من تعاون مع فيشي وكل من له ميول إلى النظام الديكتاتوري القائم في فرنسة. ووجد ديغول وأنصاره في هذه فرصة للإستعلاء على جيرو الذي كان بين المتعاونين مع فيشي، وكانت نتيجة ذلك حملة تطهير وإقصاء لأنصار جيرو وبيتان من اللجنة والحكم والمناصب الأخرى. واضطر جيرو إلى الإنسحاب من اللجنة. وكان من نتيجة ذلك أن أخذت اللجنة

في جوها الجديد تلقى عطفاً وتأييداً من روسية، وأدّى هذا إلى اهتمام بريطانية وأميركا باللجنة حتى لا تكون جبهة مضادة، فقررتا تعيين ممثلين لهما لدى اللجنة أقوى من ممثليهما الأولين. ولعل كل هذا مما جعل بريطانية تقف في أزمة لبنان عند حد معين ولا تسير في التشطيب لفرنسة فيها. . .

4 ـ خطاب لستالين في مناسبة ذكرى الثورة الشيوعية ومداه وتعليق عليه:

في السادس من تشرين الثاني أذيعت خطبة لستالين خطبها في مناسبة الذكرى السادسة والعشرين للثورة الروسية أشار فيها إلى خطورة مؤتمر موسكو، وقال إنه عزز أواصر الصداقة والتعاون بين روسية وحلفائها، وأن عزيمة الحلفاء اتفقت على الكيل للعدو ضربات حاسمة. كما أشار إلى المهام العظمى التي يأخذها الحلفاء على عاتقهم وهي: تحرير شعوب أوروبا من نير الهتلرية ـ وإعطاء الشعوب المحررة حق تنظيم حياتها طبقاً لرغباتها ـ وإنشاء نظام في أوروبا يكفل عدم عدوان جديد من الألمان، وإنشاء تعاون متين بين الشعوب لتعمير المناطق التي عانت ما عانته تحت النير الألماني. وكل هذا مما أشير إليه في أخبار وبيانات مؤتمر موسكو أيضاً.

5 ـ مؤتمر قمة خطير أميركي إنكليزي صيني في مصر وما نشر في صدده ومداه وتعليق اليابانيين عليه:

في أواخر تشرين الثاني 1943 فوجىء العالم بخبر انعقاد مؤتمر خطير في القاهرة من روزفلت وشرشل وشيانج كاي شاك، ثم تبعه مؤتمر طهران من روزفلت وشرشل وستالين. ثم تبعه مؤتمر ثانٍ في القاهرة بين روزفلت وشرشل وعصمة بن أونو رئيس تركية، فكانت هذه المؤتمرات الخطيرة شاغلة لأفكار العالم وأوساطه السياسية والعسكرية والأجهزة الإعلامية إلى درجة قصوى.

ولقد صدر بلاغ عن المؤتمر الأول في أول كانون الأول دون ذكر مكان المؤتمر، مكتفياً بالقول أنه عقد في شمال أفريقية، وقد جاء في البلاغ: (أتم الرئيس روزفلت والمارشال شيانج كاي شاك والمستر شرشل ومن معهم من المستشارين السياسيين والعسكريين مؤتمراً عقد في شمال أفريقية. وقد تم الإتفاق على تصعيد الحركات الحربية ضد اليابان، بحراً وبراً وجواً. والحلفاء العظام الثلاثة يخوضون غمار هذه الحرب لكبح العدوان الياباني دون تفكير في الحصول على مغانم ودون أن يكون لديهم فكرة في أي توسع إقليمي. والهدف هو انتزاع جميع جزر الباسفيك من اليابان الذين أخذوها عنوة في هذه الحرب وفي حرب سنة 1914 وما بعدها، واسترداد جميع الأراضي التي احتلتها من الصين مثل منشوريا وفورموزا ونيكادوز وردها إلى جمهورية الصين، وسيطردون اليابانيين أيضاً من جميع الأراضي الأخرى التي استولوا عليها. والحلفاء الثلاثة يدركون حالة الإستعباد التي ينوء تحتها شعب كوريا، وقد عقدوا العزم على أن تكون كوريا مستقلة في الوقت المناسب. وهم في وضعهم هذه الأهداف نصب أعينهم سيثابرون مع الأمم الحليفة الأخرى التي هي في حالة حرب وعداء ضد اليابان على مواصلة الحرب التي قد تكون طويلة ولكنها ضرورية حتى تستسلم اليابان بدون قيد وشرط).

عدد الأهرام 21196 و2/12/1943.

وهذا المؤتمر والحالة هذه مؤتمر ضد

اليابان، ولم تشترك فيه روسية لأنها ليست مشتبكة في الحرب مع اليابان. ووصفهم الحرب اليابانية بالطويلة يتفق مع كل ما نشر وقيل عن هذه الحرب. فالكل متفق على أنها حرب عسيرة صعبة شاقة، وستكلف القائمين بها أتعاباً وأخطاراً جسيمة نظراً لشاسع المسافات والأبعاد وسعة الرقعة التي تجري فيها، وعظم ما احتازته اليابان من أراضٍ ومرافق ومغانم وموارد، وما يسره كل ذلك لليابان من وسائل عظمى. ساعدتها على ما أحرزته من انتصارات واحتوته من مغانم.. والسكسونيون يجعلون الصين حجر الزاوية في الحرب اليابانية على ما يبدو، كما يجعلون الروس حجر الزاوية في الحرب الألمانية. وهذا متسق مع الواقع. فهاتان الأمتان متصلتان كل بعدوتها اتصالاً مباشراً، ولها من عددها معين لا ينضب، والشقة بين هذين العدوين وبين السكسونيين بعيدة. وهؤلاء أغنياء بالمال والسلاح والصناعة، فهم يمدون تينك الاثنين بما يساعدهما على الاستمرار في الحرب، فعليهم المال وعلى الصين والروس الدماء.

ولقد كان من تعليقات اليابانيين على هذا المؤتمر وبلاغه تصريح لرئيس وزراء اليابان الذي وصف به ذلك بالتهريج الأجوف.

ومهما كان اليابانيون معتدّين بأنفسهم معتصمين وراء هذه الأبعاد الشاسعة والمسافات الهائلة، فإن الحقد الذي يغلي في قلوب الأميركان في الدرجة الأولى لن يخف وسيظل يحركهم على الحرب مهما طالت وشقت. وليس لبريطانية مندوحة عن الاستمرار في جانبهم، وفي ذلك مصالح عظمى لها، فضلاً عن أنه واجبها بعد أن وقفت أميركا منها موقفها الحاضر. ولقد ظهر من الصينيين صلابة ومقاومة تنمان عن عزيمة قوية وإصرار على الإستمرار في الحرب بدورهم. فهذا التصميم في القوات الثلاث التي يمدها ما لا يكاد ينفذ من عُدد وبشر ومال وصناعة وفن ليس بالشيء اليسير الذي يصح أن تستهين به اليابان.. ولهذا كله فإن الحرب ستطول وستكلف الطرفين أرواحاً وأموالاً وجهداً ومشقات عظيمة. والفائز فيها سيوطد حكمه وسلطانه أمداً طويلاً جداً في آسية كما هو شأن الفائز في الحرب الأوروبية أيضاً، مع فارق واحد وهو أن روسية ستلعب دوراً أعظم خطورة في سياسة أوروبا أولاً وفي سيا[سة] العالم ثانياً، مما يمكن أن تلعبه الصين إذا [كا]ن النصر للحلفاء...

ومع أن المؤتمرين قالوا في بلاغهم أنهم لا يستهدفون فتحاً، فإنهم لم يذكروا شيئاً عن مصير الملايو وجاوا والفليبين والهند الصينية وبورما والجزر الأخرى الشاسعة التي دخلت في حوزة اليابان، كما أن كلامهم عن استقلال كوريا في الوقت المناسب مطاط. ومن البديهي أن ما أعلنوه في بلاغهم هو للدعاية. وإذا قيل أن أكثر ما استولى عليه اليابانيون كان تحت سيطرة الإنكليز والأمريكان والهولانديين والصينيين، فإن له أقواماً وهم أصحابه الأصليون. واحتفاظهم بها هو فضح صارخ مناقض لما يقولون. أم هل يريدون أن يقولوا أنهم لا ينوون فتحاً بالنسبة لبلاد اليابان نفسها؟ وهو ما نستبعد أنهم يطمعون فيه ويترسمونه أصلاً حتى ينفوه عن أنفسهم.

ولقد كتبت صحف مصر خاصة وصحف العالم عامة أشياء كثيرة عن مؤتمر القاهرة الأول. ومن ذلك أنه كان مع روزفلت نحو مائة مستشار عسكري وسياسي، وكان مع شرشل ضعف هذا العدد، وكان مع المارشال الصيني

نحو عشرين. وأن المؤتمر عقد في فندق مينا هاوس في منطقة الأهرام التي جعلت منطقة مقفولة وأخلي جميع ما فيها من بيوت وفنادق، وخصصت للمؤتمرين ورجال الأمن والمواصلات المصريين. وكان فاروق ما يزال في مستشفى القصاصين، فأرسل روزفلت والمارشال الصيني رسائل تحية واعتذار ودعوة لزيارة بلديهما، وأرسل الملك فاروق رئيس ديوانه للشكر والتحية. وزار ولي عهده الرئيس روزفلت. وكانت اجتماعات شخصية بين النحاس من جهة وكل من الرؤساء الثلاثة من جهة أخرى.

6 ـ مؤتمر قمة ثلاثي خطير روسي أميركي إنكليزي في طهران وما جرى فيه ونشر عنه ومداه:

عقب انتهاء مؤتمر القاهرة الأول عاد الزعيم الصيني إلى بلاده، وطار الزعيمان السكسونيان إلى طهران حيث التقيا بستالين، وعقدوا مؤتمرهم الخطير الذي كان مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو تمهيداً له، والذي أعلن عنه مرة بعد مرة. ولقد شغل هذا المؤتمر أفكار العالم أكثر مما شغله مؤتمر القاهرة، لأن المناسبات بين روسية والسكسونيين كانت مثار حديث وتعليق مستمر ومثار فزع وخوف دائم، وموطن تعقيدات من جهة وموضع أمل الألمان من جهة أخرى. وعقد هذا المؤتمر يدل على أن مؤتمر موسكو استطاع فعلاً إزالة صعاب كثيرة وتهيئة الفرصة لاجتماع الرؤساء ومباحثاتهم بشيء من الصميمية والتفاهم والتقارب. كذلك فإن خطورة هذا المؤتمر تزيد على ذلك بكون أهم مظاهر ضغط الحرب وبلائها هما في الحرب الأوروبية، وكون انتهاء هذه الحرب هو الفرج العظيم للعالم الذي يزول به الكابوس الذي يئن تحته العالم المتمدن المتشابك في مصالحه وصلاته واضحة. وقد يكون هذا المؤتمر عاملاً من عوامل زوال ذلك الكابوس وانتهاء هذه الحرب مهما يكن من أمر النهاية. وهذا عدا عن ما في قدوم رئيس الجمهورية الأميركية العظيم من أقاصي الدنيا إلى الشرق ليجتمع بعظماء الأمم الحليفة، وليتفقوا معاً على خطط الحرب والسياسة من خطورة ومغاز كبيرة جعلت بعض كبار الساسة والنقاد والمراقبين يقولون أن هذه الرحلة وهذه المؤتمرات التي تمت فيها من أعظم أحداث هذه الحرب العظمى.

ولقد أذيع بلاغ عن مؤتمر طهران بتاريخ 6/11/1943 هذا نصه:

(نحن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأميركية ورئيس وزراء بريطانية ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي قد اجتمعنا أربعة أيام في أراضي إيران، وأعدنا النظر في سياستنا المشتركة إعادة جديدة تؤيد ما بيننا من تساند وتضامن. وقد قررنا التساند والتضامن بين أممنا في السلم كما هو في الحرب، وقد تشاور مستشارونا الحربيون وتحدثوا في الشؤون المتعلقة بأمور الحرب، وقررنا معهم الخطة التي من شأنها كسر الألمان ومحو جيوشهم. وقد وصلنا إلى تفاهم تام في ما أخذناه على عاتقنا من مهاجمة الألمان من الشرق والغرب والجنوب مهاجمة شاملة بحركات متصلة. وأننا واثقون بأن يكون النصر النهائي لنا. كما أننا مطمئنون بأن اتفاقنا سيكون ضامناً لاستمرار سلم دائم أيضاً. وأننا سننال في هذه الحرب تعضيد وتصويب جميع شعوب العالم. وإننا لمدركون نحن والمتفقون معنا الواجب السامي المترتب علينا في سبيل وقاية الأجيال البشرية

من فواجع الحرب وضمانة سلم دائم. وقد نظرنا نحن ومستشارونا في المسائل المتعلقة بالمستقبل، وإننا سنهتم كل الإهتمام بالمساعدات المادية لكل بلاد وأمة تئن مثلنا من الظلم والإستبداد وتودّ مثلنا أن ينتهي عهدهما صغيرة كانت أم كبيرة. وأننا نستقبل بكل قلوبنا كل الأمم التي تريد أن تنخرط في العائلة الديموقراطية، ولن تحول أية قوة دون إفناء الجيوش الألمانية في البحر والطائرات الألمانية في الجو. وستكون ضرباتنا حاسمة ورهيبة. وسيكون لكل البشر الذين يعيشون على وجه الأرض أن يحيوا الحياة الحرة التي يرغبون فيها. وإننا لننظر من هنا إلى هذه الدنيا السعيدة الآتية بقلوب ملؤها الأمل. وإننا سنترك هذه البلاد وقد توطدت الصداقة بيننا توطداً تاماً).

وقد نشرت الصحف تفصيلات طريفة عن وصول الرؤساء واجتماعاتهم وما كان يسود بينهم من صميمية، وما أقيم لشرشل من حفلة رائعة بمناسبة بلوغه التاسعة والستين من عمره، وما كان من مراسم لتقديم السيف المرصع الذي أهداه الملك جورج السادس لستالينغراد. الخ...

وأذيع كذلك للرؤساء تصريحات في صدد إيران نوهوا فيها بالمساعدات القيمة التي كانت منها في سبيل تسهيل مهمة الحلفاء ووصول المهمات الحربية إلى روسية، وقالوا أنهم يقرّون بما ترغب فيه من التمتع بالاستقلال والسيادة وتمامية أراضيها وحقها في المساعدات الإقتصادية المتنوعة لتعويض بعض ما أصيبت به من الأضرار بسبب مساعداتها للحلفاء. والبلاغ الرئيسي عن المؤتمر موجز كما هو ظاهر، ودعائي وتهديدي معاً. ولكن مما لا شك فيه أن المؤتمر قد تناول أموراً مهمة سياسية وعسكرية، مما مهد له في مؤتمر موسكو، وأنه قرر قرارات مهمة سياسية وعسكرية أيضاً. وأن ذلك كله سوف يعرف بآثاره وفي ظروفه، خاصة بعد انتهاء فصل الشتاء. وقد أجمع العالم على شبه اعتقاد أن الجبهة الثانية في غرب أوروبا ستفتح في الربيع القادم وستدخل الحرب الأوروبية في السنة القادمة في أشد أدوارها خطورة.

7 ـ لقاء قمة تركي إنكليزي أميركي في القاهرة وما جرى فيه:

وكما فوجىء العالم عقب مؤتمر موسكو بزيارة وزير خارجية تركية لمصر واجتماعه بوزير خارجية بريطانية، فوجىء عقب مؤتمر طهران بزيارة رئيس الجمهورية التركية مع وزير خارجية مصر واجتماعهما بالرئيسين روزفلت وشرشل أيضاً. وقد أذيع بلاغ عن هذا الاجتماع الخطر بهذا النص:

(اجتمع في القاهرة في الرابع والخامس والسادس من شهر ديسمبر الحالي كل من المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة والسيد عصمة اينونو رئيس الجمهورية التركية والمستر شرشل رئيس وزراء المملكة المتحدة، واشترك في الاجتماع والمباحثات المستر إيدن الوزير الأكبر للشؤون الخارجية لصاحب الجلالة البريطانية، والسيد نعمان ممنجي أوغلو وزير الشؤون الخارجية التركية، والمستر هاري هوبكنز. وقد اشترك رئيس الدولة التركية في هذا المؤتمر تلبية للدعوة الودية التي وجهتها إليه الحكومات الأميركية والبريطانية والسوفيتية. فكان إشتراكه دليلاً ساطعاً على قوة التحالف الذي يربط بريطانية العظمى وتركية، وعلى روابط الصداقة الوطيدة القائمة بين الجمهورية التركية والولايات المتحدة الأميركية

والاتحاد السوفيتي. وقد استعرض الرئيسان روزفلت واينونو ورئيس الوزراء شرشل الحالة السياسية العامة، ودرسوا بإسهاب السياسة المتبعة مع مراعاة مصالح البلدان الثلاثة المشتركة.

وقد جرى دراسة جميع المشاكل بروح التفاهم والإخلاص، ودل ذلك على أن هناك أعظم اتحاد وثيق بين الولايات المتحدة وتركية وبريطانية العظمى في خطتها إزاء الحالة العالمية.

والمحادثات التي جرت في القاهرة جاءت بأكبر نفع وأعظم ثمرة لمستقبل العلاقات بين البلدان الأربع ذات الشأن. ولقد تأيد مرة أخرى في جميع أدوار مؤتمر القاهرة وحدة المصلحة والآراء التي للديموقراطيتين الاميركية والبريطانية، مع مصلحة وآراء الاتحاد السوفيتي، وكذلك علاقات الصداقة التقليدية القائمة بين هذه الدول وتركية (هذا البلاغ نشر في أهرام 21201 وتاريخ 8 ديسمبر 1943).

وقد أذيع فيما أذيع أنه كان من المقرر أن يشترك ممثل عن الإتحاد السوفييتي في هذا المؤتمر، ولكن هذا الممثل كان متغيباً عن القاهرة لظروف قاهرة، ولم يتمكن من حضور الإجتماع، ولكن الاجتماع عقد وكأنه كان موجوداً. وهذه الإذاعة ذات خطورة ومغزى في هذا الموقف، لأنها تدل على أن المؤتمر كان رباعياً..

ولقد أذاعت شركة روتر برقية من القاهرة، جاء فيها أن سلسلة المؤتمرات العظيمة التي عقدت في الشرق الأوسط أخذت تقترب من غايتها القصوى، وأن شرشل وروزفلت وممثلو السوفييت وقعوا مع الرئيس إينونو سياسة مشتركة، وأن الذين اجتمعوا في القاهرة استعرضوا جميع شؤون البلقان السياسية والعسكرية والإقتصادية.

والبلاغ الرسمي الذي صدر عن اجتماع روزفلت وشرشل واينونو أشار فقط إلى السياسة التي تتبع بعد درس المسائل السياسية وتحديد المصالح المشتركة بين الدول الأربع، ولكن الملموح منه أنه قد اتخذت أيضاً قرارات مهمة لكسب الحرب..

ويظهر أن حكومة أنقرة رأت إيضاح موقف تركية بعد هذا المؤتمر إيضاحاً يجلو ما في البلاغ من غموض، حيث دعا وزير الخارجية التركية ممثلي الصحافة الأجنبية على اختلافها إلى جلستين، وقال لهم إن سياسة تركية الخارجية لم يطرأ عليها أي تغيير. قاصداً بذلك كما فهم أنها ستظل في موقفها الحيادي أو بالتعبير الثاني (غير المحاربة)، وكان في هذا جواب صريح عن تساؤل العالم عن موقف تركية بعد هذا المؤتمر الخطير. ولقد وجه سؤال للوزير التركي عما إذا كان هذا المؤتمر يمكن أن يقال عنه أنه قرب تركية من الحلفاء خطوة أكثر من ذي قبل، فكان جواب الوزير بالإيجاب، وكان جواباً ذا مغزى مهم كما هو المتبادر.

وما قلناه في صدد اجتماع وزيري الخارجية التركية والإنكليزية في القاهرة وعلى أثر مؤتمر موسكو نقوله هنا، فتركية حريصة مخلصة على البقاء خارج الحرب، ولا ترى على موقفها غبار أو تناقض مع تحالفها مع بريطانية وصداقتها مع أمريكا وروسية، ولاسيما أنها مرتبطة بعهد صداقة وعدم اعتداء مع الألمان ارتباطاً معروفاً ومسلماً به، وليس من المعقول أن تقدم هي على نقضه، وليس في ذلك أي مصلحة. كما أن الوضع الصحيح لما يقال عن تحالفها مع بريطانية أن هذا التحالف كان ومايزال ذا طبيعة

دفاعية. فتركية ليست مكلفة بموجبه بالإشتراك في حرب هجومية. وحينما تضطر إلى الدخول في حرب دفاعية عن سلامة كيانها واستقلالها أو ما يهدد هذه السلامة تتضامن معها بريطانية، على اعتبار أن هذه السلامة مما يهم بريطانية أيضاً. ولم تصر تركية في موقف يهدد هذه السلامة، كما أن ما بينها وبين الألمان من عهد صداقة وعدم اعتداء قد ضمن لها هذه السلامة، وكان هذا متسقاً مع رغبة تركية في ذلك.

ومهما يكن من أمر فإن مؤتمر القاهرة الثاني لفت أنظار العالم عامة والعالم الشرقي خاصة إلى هذه البقعة المهمة من الأرض التي تصل بين أوروبا وآسيا، وجعل الأفكار تتجه إلى أن الحلفاء قائمون بحركات مهمة، وأن هذه الحركات قد تكون مشتركة سكسونية روسية. والتساؤل الذي يتساءله الناس عما يمكن أن يكون لتركية من دور إيجابي أو سلبي في هذه الحركات أو ظروفها مع احتفاظها بموقفها. وهذا ما سوف تكشف عنه الأيام الآتية.

ولقد كان لقدوم رئيس الجمهورية التركية وقع وحفاوة في مصر. ولقد ذهب الرئيس إلى مستشفى القصاصين وزار الملك فاروق خلافاً لروزفلت والمارشال الصيني اللذين اكتفيا بتحية خطية..

8 ـ نشاط شرشل في مصر بعد المؤتمر ومقابلاته المتنوعة وما نشر في صدد ذلك:

بعد انتهاء مؤتمر القاهرة الثاني غادر روزفلت مصر عائداً إلى بلاده، وكذلك فعل الرئيس التركي. أما شرشل فقد بقي بعدهما أياماً، وأذيع فيما أذيع أنه اجتمع خلال ذلك بملوك وحكومات اليونان ويوغوسلافية وبالنحاس وبالأمير عبد الإله الوصي العراقي العائد من لندن، وبالأميرين فيصل وخالد العائدين من لندن كذلك. واستدعى الممثل البريطاني في الجزائر واهتم بحوادث لبنان، كما أنه وقف على ما جرى حول الوحدة العربية ومشاريعها. وكل هذا نشرته الصحف في نبذ مقتضبة بدون تفصيلات.

9 ـ خطبة خطرة للمارشال سمطس وآثارها ومداها:

في 1943/12/3 أذيعت خطبة للمارشال سمطس رئيس جنوب أفريقية، كان لها صدى عظيم متنوع في الأوساط السياسية العالمية، ولا سيما أنها أذيعت بينما عظماء الحلفاء يجتمعون ويقررون خطط الحرب والسياسة. وأن صاحبها من عظماء رجال الأمبراطورية البريطانية. وقد كان في لندن حين إلقاء خطبته، حيث استقدمه شرشل ليقوم مقامه في رئاسة وزارة الحرب أثناء تغيبه عن لندن. ومع أن الخطبة ليست رسمية وإنما احتوت آراء واجتهادات شخصية، فإن هذا لم ينقص من قيمة ما احتوته من أمور متصلة بأحداث العالم وحقائق الوقائع ومخاوف الناس وتساؤلاتهم. ولقد قال في خطبته:

1 ـ يجب أن يكون بعد الحرب ثالوث مؤلف من بريطانية والولايات المتحدة وروسية التي وصفها بأنها عملاق أوروبا الجديد.

2 ـ يجب على الدول الأوروبية الديموقراطية شد إزر هذا الثالوث. ويجب على هذا الثالوث أن يحتفظ بالزعامة التي ألقي إليه بزمامها في أوقات السلم والحرب، وأن يتحمل مسؤولية المحافظة على السلامة العامة وصيانة السلم العالمي، لأن السلام الذي لا تقرره ولا تدعمه القوة يظل حلماً من الأحلام. وقد فاتنا هذا فأنشأنا جمعية الأمم عقب الحرب الماضية دون

إدراك مسؤولية الزعامة والقوة فيها، فاختل كل شيء في النهاية.

3 ـ إن خريطة أوروبا القديمة قد طويت، وإن خريطة جديدة ستوضع لها. وإن علينا أن نفكر تفكيراً عميقاً وأن نتعمق وندرس وجهات النظر المتنوعة القديمة والجديدة قبل أن تضع الخريطة الجديدة لهذه القارة.

4 ـ إنه سيختفي بعد الحرب في أوروبا ثلاث دول كانت تعد كبرى. ففرنسة قد ذهبت واذا اتيحت لها رجعة فتكون بعد جهاد شاق طويل الأمد. وإيطالية قد اختفت اختفاء تاماً. وقد لا تكون دولة كبرى أبداً مرة أخرى. أما ألمانيا فستختفي بدورها ولن تعود سيرتها القديمة مرة أخرى.

5 ـ إن القوتين العظماوين اللتني ستبقيان في أوروبا هما روسية وبريطانية. فروسية هي العملاق الجديد العظيم الذي سيهيمن على هذه القارة، ولن تكون قوتها ونفوذها عظيمين بعد اختفاء بلاد وظهور بلاد أخرى وحسب، بل ستزداد عظمتها لأن الأمبراطورية اليابانية ستضمحل أيضاً، وبذلك يختفي كل تناظر ونفوذ في الشرق الأقصى.

6 ـ إن بريطانية ستظهر في مجد وشرف ومكانة لم تعرفها أمة في التاريخ، وسيكون لها مقام روحي عظيم يتغلغل في كيان العالم.

7 ـ وفي خارج أوروبا ستكون الولايات المتحدة الدولة الأخرى الكبرى في العالم.

8 ـ إن على بريطانية أن تتمسك ببقاء الثالوث الذي سيكون لها منه شريكان عظيما القوة كبيرا الموارد هما روسية وأميركا.

9 ـ وتساءل الخطيب عن طريقة تعزيز مركز بريطانية الأوروبي إزاء الدول الصغيرة في غرب أوروبا، وقال أنه يجب أن يكون اتحاد وثيق بينهما، وأن يتحلل من الفكرة القائلة أن بريطانية العظمى في جزيرة في وسط البحر، وأن على تلك الدول أن تشعر بأن وجودها وكيانها قائمان على ذلك الثالوث، وأن عليها أن تطلب ذلك إذا كانت تريد أن تساعد نفسها، حيث يجب أن يكون ارتباطها وثيقاً ببريطانية العظمى، الدولة الأوروبية العظمى.

(10) ومما قاله إنه يعتقد أن الثالوث سيكون عامل الإستقرار والدعامة التي يستند إليها بناء الحريات، وأنه يأمل أن يكون الثالوث ثالوث مساواة، وأن يرى الدول الثلاث العظمى متساوية في القوة والنفوذ وفي كل شيء.

(11) وقال في صدد مستقبل الأمبراطورية البريطانية وممتلكاتها الحرة أنها خير شركة أسست لتعيش ألف عام.

(12) وتساءل عما إذا كان يقتضي إلغاء بعض وحدات هذه الأمبراطورية والممتلكات، أو ضم بعضها إلى بعض. وقال أن من الممكن ضم المستعمرات والأراضي البريطانية في القارة الأميركية في مجموعة واحدة كاملة.

(13) وتحدث الخطيب عن مشاكل الصلح، فقال أنها معقدة واسعة النطاق ولن يمكن الوصول إلى تفاهم كامل فيها إلا خلال سنين عديدة ومؤتمرات كثيرة، ولن تكون الحالة في أول الأمر إلا بمثابة هدنة طويلة.

ولقد كانت الصحف نشرت بعض ما في الخطاب ومنع نشرها كاملة. وجرى حديث حول ذلك، فطلب هو نشرها فنشرت كاملة على ما قرأناه في الصحف التركية. ومما أثارته الخطبة من مدى وضجة:

(1) حكم المارشال على فرنسة وقوله أنها ستختفي كدولة عظمى، حيث هاجمت اللجنة الفرنسية الحرة الخطبة والخطيب، وعاضدها

بعض الصحف البريطانية وبعض نواب إنكليز معاً، فجعل هذا إيدن يصرح بأن الخطبة لا تعبر عن آراء الحكومة البريطانية، وأنها ليست إلا آراء شخصية، وأن قيام فرنسة كدولة عظمى ليس فقط مرغوباً فيه بل هو ضرورة لا بد منها لبريطانية ولأوروبا معاً.

(2) إثارة الخطبة للمخاوف مما سوف يكون لروسية من مركز ونفوذ في أوروبا وآسيا معاً.

(3) قوله إن الدول العظمى الثلاث هي التي يجب أن تتولى زعامة العالم وتسيره، حيث أثار ذلك انتقاداً شديداً لما فيه من إخلال بمبادىء الحرية والمساواة والديموقراطية العالمية والأممية.

(4) وما ألمحت إليه من ما يجب أن يكون لبريطانية من نفوذ ومكانة تجاه دول أوروبا الغربية الصغيرة، حيث أثار ذلك انتقاداً ومخاوف وتشاؤماً بالنسبة لمستقبل الديمقراطية والحرية في أوروبا أيضاً. وكل هذا جعل لخطبة المارشال ضجة وصدى كبيران، وهي جديرة بهما كما هو واضح.

وما قاله المارشال عن روسية وتعاظم شأنها ونفوذها بخاصة خطير ومثير ومنسجم مع البوادر والظواهر. فروسية اليوم خرجت من وراء الجدار الذي كانت بريطانية وألمانيا وغيرهما تهتم لابقائها وراءه، مستندة في خروجها إلى قوة هائلة رهيبة، وخاصة إذا انكسرت ألمانيا نهائياً. وأصبحت الآن وستصبح بعد الحرب ـ إذا انكسرت ألمانيا كما قلنا ـ صاحبة نفوذ هائل في العالم، في أوروبا وآسيا وأفريقية. وفي هذا ما فيه من خطورة سوف تؤدي إلى تطورات عظيمة جداً، في المجالات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والاستعمارية والتنظيمية. وقد تصبح هي سيدة القارة الأوروبية أو على الأقل سيدة لأكثر من نصفها الشرقي إلى البحر الأبيض. كما تصبح من أقوى القوى في آسيا القصوى والوسطى بل وآسيا الدنيا أيضاً، وهو ما فتىء الألمان يخوفون أوروبا والعالم منه وجعلهم يندّدون بالبريطانيين لأنهم ساعدوا ويساعدون عليه.

10 ـ تصريحات خطيرة لسمر ويلز ومداها في هذه المناسبة:

ومن طريف المصادفات ان (سمر ويلز) مساعد وزير خارجية أميركا الذي استقال بسبب خلاف بينه وبين الوزير على شؤون روسية وما كان يثور من مخاوفه منها أدلى بتصريح جديد في هذه الآونة أبدى فيه تخوفه من ديكتاتوريات الدول الثلاث العظمى وما يمكن أن يكون نتيجة لذلك من إجحاف بحقوق وحريات الأمم الصغيرة. ولقد كان كوردل هول وزير خارجية اميركا عقب عودته من موسكو خطب خطاباً كان هذا التخوف ملموحاً فيه حيث جعل الاخلاص شرطاً أساسياً في إضعاف ثمرة النصر لصالح حريات الامم وحقوقها ومساواتها بل وابدى خوفه صراحة من انتقاد هذا الاخلاص وما يؤدي ذلك اليه من أخطار وأضرار وفجائع وحروب.

11 ـ قرار مجلس الشيوخ الاميركي بوجوب استمرار أميركا مندمجة في سياسة العالم ونظمه ومداه:

ومن الأحداث السياسية البعيدة المدى في هذه الفترة، قرار اتخذه مجلس الشيوخ الأميركي بالموافقة على اقتراح قدمه أحد أعضائه بوجوب: (استمرار أميركا على سياسة الاشتراك في شؤون العالم السياسية والعسكرية والاقتصادية وهدم جدار العزلة الذي تقف أميركا

وراءه إلى الآن لمنع الحرب وتأمين السلم والسعادة والحرية للبشر). ولقد كانت أميركا عادت إلى عزلتها عقب الحرب العالمية الأولى وخذلت رئيسها ويلسون في مشاريعه في صدد حريات وتنظيم العالم بمشاركة أميركا في نطاق المبادىء التي دخل تحت رايتها الحرب إلى جانب أميركا، فكانت عودتها فرصة للدول الأوروبية الكبرى للتلاعب في نصوص عصبة الأمم والسير في سياستها الإستعمارية وتجزئة العالم إلى مناطق نفوذ على النحو المعروف. وذهب ما خسرته أميركا من أموال ومعدات ودماء سدى، ولقد ظلت فكرة الإستمرار في العزلة أو الخروج منها موضوع أخذ ورد في سياسة الأحزاب الأميركية وأوساطها. غير أن عظم خطورة الحرب الحالية وما نزل على أميركا من ضربات شديدة من اليابان، وما كان لأميركا من تضحيات هائلة بلغت قيمتها الآن خمسمائة مليار دولار. كل ذلك جعل أنصار العزلة يندحرون أمام أنصار الخروج منها، وجعل فكرة الإشتراك في سياسة العالم ونشاطه بعد الحرب تنتصر. ويلوح لنا أن ذلك لم يكن بدافع سلم العالم وحريته وسعادته، وإنما بدافع الاستمتاع بخيراته وفتحه أمام صناعات ووسائل أميركا العظمى المتنوعة النواحي، والتي تعاظمت في هذه الحرب تعاظماً لن تتحمله قارة أميركا وحدها، ولن يكون لها مجال صحيح للإستمتاع به إلا إذا اشتركت اشتراكاً فعلياً في سياسة العالم، وصار لها من النفوذ والكلمة ما يضمن لها ذلك. وهذا المعنى أبدي فيه وأعيد كثيراً، وظهرت له بوادر عديدة في أوروبا وآسيا وأفريقية تدل على ما تكنه أميركا من ذلك. ومن هنا كانت خطورة القرار، لأن هذا المعنى الذي ظهرت بوادره ومشاهده كما قلنا أصبح سياسة رسمية مقررة للولايات المتحدة الأميركية يسار فيها بوضوح وقصد وبدون مواربات ومداورات. وهكذا تخرج الولايات المتحدة إلى ميدان العالم الذي كان محصوراً أو كالمحصور لبريطانية في الدرجة الأولى تصول فيه وتجول وتحسدها عليه ألمانيا، فتثير الحروب العالمية الهائلة المدمرة مرتين خلال ربع قرن من الزمن.

12 ـ أحوال إيطالية السياسية في هذه الفترة وتعليق عليها:

وللسياسة في إيطالية صور عديدة وطريفة في هذه الفترة:

1″ ـ من ذلك إعلان بادوليو الحرب على ألمانيا، ودعوته البلقانيين إلى التضامن مع الحلفاء بكل أسلوب لطرد الألمان وإزعاجهم في إيطالية، وفي البلقان. وهو يسعى في حمل الحلفاء على إطلاق سراح أسرى الطليان الذين في أيديهم والذين يبلغ عددهم ربع مليون أو أكثر وتجهيزهم ليحاربوا في صفوفهم. ولكن الحلفاء لم يستجيبوا لهذا السعي والطلب، ولعلهم غير قانعين ومطمئنين بفائدة ذلك ونتائجه بعد ما خبروا ميوعة الطليان وانهيارهم الروحي والحربي. والجهد الذي يبذله بادوليو تافه ولن يغير شيئاً من مركز الطليان عند الحلفاء. ولقد أعلنوا شيئاً من هذا حينما تجرأ بادوليو وأعلن الحرب على الألمان، إذ صدر عن المحافل السكسونية الرسمية وشبه الرسمية ما يفيد أن هذا الموقف لن يجعل الحلفاء يعتبرون إيطاليا شريكة معهم في الحرب. وكل ما هنالك هو أن تكون معاملتهم لها عند إقرار الصلح متناسبة مع جهودها في الحرب لصالحهم.

2″ ـ ومن ذلك ما بدا من نشاط الأحزاب الديموقراطية الطليانية القديمة التي فر رجالها

من الفاشيستيين أو الذين اضطهدهم هؤلاء حبساً ومطاردة خلال العشرين سنة. ويتزعم هذا النشاط الكونت سفورزا رئيس الوزارة الطليانية سابقاً. ولقد مال بادوليو في بادىء الأمر إلى التضامن مع هؤلاء على أمل تشكيل جبهة قومية تقوي مركز حكومته في الداخل والخارج، وأبدى استعداده لإشراك عدد منهم في الحكومة. غير أن هؤلاء ومنهم المتشبعون بالميول الشيوعية والاشتراكية أعلنوا أنهم مستعدون للتضامن والتعاون على أساس تنازل الملك وولي عهده لأنهما أقرا النظام الفاشيستي وتعاونا مع موسوليني. وجرت حول هذا الأمر مفاوضات وأذيع بعض الإذاعات. غير أن المساعي اخفقت، حيث أعلن بادوليو أنه لا يسعه إلا أن يظل متمسكاً بالملك والنظام الملكي إلى أن تنتهي الحرب، ثم ألف حكومة وجمع في يده السلطات والمسؤوليات، وفتح موقفه هذا المجال لتحريك الأحزاب المتطرفة ضده وعرقلة نشاطه، وزاد هذا الضعف الحكومة ضعفاً وشأنها تفاهة.

3″ ـ ومن ذلك ما كان من أمر موسوليني بعد إطلاق سراحه، فقد أعلن في المنطقة التي حل فيها نظاماً فاشيستياً جديداً سماه الفاشيستية الجمهورية، وأعلن إلغاء ملكية الملك عمانوئيل، وألف حكومة برئاسته، وأخذ يطارد رؤساء حزبه الذين خانوه وغدروا به، واعتقل بعضهم ومنهم شيانو وزير خارجيته وزوج ابنته، حتى لقد أذيع من مصادر سكسونية أنه حكم على شيانو بالإعدام ونفذه فيه.

ومهما يكن من شخصية موسوليني القوية، فالذي يتبادر أنه لم يعد له أي وزن في الموقف السياسي، وأنه قد أصبح مهيض الجناح بدون دولة وبدون جيش وبدون أسطول بحري أو جوي.

وكل ما يبدو منه محاولات ترقبية، ولم يسع الالمان أن يتركوا له السلطان في المنطقة التي حل فيها وأن يتخلوا عن إدارتها واحتلالها ومعاملتها معاملة بلاد محتلة، بعد ما ظهر من الشعب الطلياني ما ظهر من التفسخ والتفكك والتقلب والإنحطاط الروحي والأخلاقي والحربي. وثلثا إيطالية الآن في أيديهم. وهذا يجعلهم يسايرونه ويتكئون عليه، وهو بدوره يحاول الإتكاء عليهم وخلق شيء من لا شيء، وهي محاولة غير مجدية الآن.

* * *

آيدين
الثلاثاء 28/12/1943
29 ذو الحجة 1362 :

1 ـ تصريح إنكليزي في مجلس النواب عن استمرار بريطانية على التزامها سياسة الكتاب الأبيض في صدد الهجرة اليهودية وعدد اليهود الداخلين إلى الآن في السنين الأربع :

نشرت فلسطين في عدد 11/11/1943 أن وزير المستعمرات البريطاني صرح في مجلس النواب الإنكليزي بالتصريح التالي :

(إن سياسة الحكومة تجاه فلسطين التي قد حددت في الكتاب الأبيض الصادر في مايس 1939 قضت بالسماح لخمسة وسبعين ألفاً من مهاجري اليهود بالدخول إلى فلسطين خلال خمسة أعوام تنتهي في الحادي والثلاثين من آذار عام 1944 وفقاً لمقياس مقدرة البلاد الإقتصادية على الإستيعاب، وكان من المأمول منح عشرة آلاف شهادة سنوية يضاف إليها /25/ ألفاً تمنح كمساعدة لحل مشكلة اللاجئين اليهود عندما يصبح في الإمكان إيجاد الموارد التي تكفل إعاشتهم، (الغالب أنه قصد بهذا توضيح الخمسة والسبعين ألفاً بحيث يسمح بصورة تلقائية لعشرة آلاف سنوياً في السنين الخمس، يضاف إليها الخمسة والعشرين ألفاً)، وقد حالت الحرب دون تطبيق البرنامج. فإن عدد اليهود الذين دخلوا إلى فلسطين بصورة مشروعة أو غير مشروعة حتى اليوم الثلاثين من أيلول 1943 بلغ (43,922). من هذا يظهر أن العدد ينقص (31078) لم يتسن دخولهم بسبب ظروف الحرب، وقد درست الحكومة هذا الأمر وتوصلت إلى نتيجة هي أن من الواجب عدم إغلاق أبواب فلسطين لدافع الظروف الزمنية. والحكومة لن تألو جهداً في تسهيل وصول العدد الباقي وفقاً لمقدرة البلاد الإقتصادية على الإستيعاب.).

ومما ذكرته الجريدة أنه دار في المجلس النيابي أسئلة وتعليقات حول هذا التصريح، كلها تقريباً في جانب ومصلحة اليهود ومن أنصارهم. والبعض طلب أن تتعهد الحكومة بهذا الأسلوب كمبدأ، بحيث ما لا يمكن إدخاله من اليهود مما سمح به من سنة يصبح حقاً لليهود، ويضاف إلى ما يراد السماح به في سنة ثانية. والبعض طلب عدم إقفال أبواب فلسطين بعد تمام العدد بسبب ما حل في اليهود من كوارث. والبعض طلب أن تبذل الحكومة كل جهد في إرسال كل يهودي يمكن إرساله من اللاجئين إلى فلسطين. وقد أوضح الوزير أن تصريحه هو بسبيل التغلب على القيد الذي قيد الحكومة بإغلاق باب الهجرة في آخر آذار 1944، وأنه ليس هناك أي نية في تغيير السياسة المرسومة. وكل ما في الأمر هو بقاء المجال مفتوحاً لإكمال العدد، أي الخمسة والسبعين ألفاً الذي تقرر السماح بدخوله لغاية الشهر المذكور، على اعتبار أن هذا العدد كان من المنتظر دخوله في المدة لو لم تنشب الحرب وتحول ظروفها دون دخوله كله.

تعليق على التصريح :

وقد يكون هذا التصريح دليلاً على كون

الحكومة البريطانية ما تزال متمسكة بسياستها بمنع الهجرة بعد دخول الخمسة والسبعين ألفاً، كما أنه ينفي ما كان وارداً لأذهان بعض الإخوان من أن عشرات ألوف كثيرة دخلوا فلسطين في هذه السنين الأربع، بحيث يظهر أن اليهود لم يستطيعوا إدخال عدد كبير. ومن المحتمل أن يكون هناك استثناء في صدد الجنود اليهود البولونيين. فقد التحق عدد كبير منهم بالجيوش الإنكليزية للمحاربة معها، وجاء عدد كبير منهم إلى فلسطين ضمن من جاء إليها من الجيش الإنكليزي، وتسرب من هؤلاء عدد للمستعمرات على ما كنا سمعناه وقرأناه. ويجوز أن يكون عدد المتسربين بضعة آلاف، وأعتقد أنهم لا يصلون إلى عشرة آلاف.

وإذا ذكرنا أن الكتاب الأبيض علل السماح بدخول خمسة وسبعين ألفاً خلال خمس سنين بأن وقف الهجرة نهائياً قد يضر بحركة الصناعة اليهودية للذين دخلوا وأسسوا المصانع على أساس استمرار الهجرة، يحق لنا أن نقول إن في تصريح وزير المستعمرات الجديد مغالطة. حيث يفيد أن عدد الخمسة والسبعين ألفاً صار حقاً لليهود لا بد من الوفاء به، بقطع النظر عن حاجة الصناعة والمصانع... والذي نخشاه أن يشتد ضغط اليهود وأنصارهم على الحكومة الإنكليزية حتى لا تظل مقيدة بهذا العدد. وقد مرت بنا التجارب عنهم في ذلك.

2 ـ مقال يهودي في صدد موقف أميركا من القضية الفلسطينية:

نشرت جريدة فلسطين في نفس العدد المذكور خلاصة مقال نشرته جريدة دافار اليهودية، نقلته هذه عن جريدة أميركية وجاء فيه:

(إن حالة فلسطين اليوم واختلاط سياستها بعد تنقلها بين القدس والقاهرة وواشنطن ولندن تحمل وزارة الخارجية الأميركية على إعطاء رأي واضح عن موقف الولايات المتحدة في قضية فلسطين. وينتظر أن يرسل روزفلت رأي الحكومة الأميركية إلى ممثليها في الشرق الأوسط، فلا يكون لأي شخص أن يتكلم برأي آخر باسمها، وسيكون في ما يلقيه روزفلت من ذلك صراحة تامة في نقطتين: الأولى تشجيع اليهود على الطمأنينة والاستمرار والمضي في عملهم، والثانية عدم تغير موقف أميركا من فلسطين منذ صدور وعد بلفور وتصديقه، وتأييد الكونغرس الأميركي للانتداب البريطاني على أساسه، ليكون مفهوماً أن فلسطين هي ملك عصبة الأمم وليست ملك بريطانية).

ونرجح أن كاتب المقال الأميركي يهودي، وفيه ما ينم عن خوف اليهود من تغير السياسة البريطانية بتأثير النشاط العربي والدعايات العربية، وقصد تحريك أميركا وتخويف بموقفها... واليهود الآن يبذلون جهودهم في محيط منافسة ويلكي على ما ذكرناه قبل. وقد استصدروا من هذا تصريحاً جديداً جاء فيه أن من الواجب إلغاء مبدأ قفل باب فلسطين أمام اليهود وجعلها ملجأ ضرورياً ومستمراً لهم. ولسوف يشتد نشاط اليهود في ظروف الانتخابات القريبة التي يتنافس فيها روزفلت وويلكي.

2 ـ مؤتمر غرف تجارة فلسطين العربية وقراراته ومداها وتعليقات في صدد ذلك وبخاصة حول إنشاء هيئة سياسية تمثل فلسطين:

في عدد فلسطين 1943/11/12 تفصيل عن مؤتمر الغرف التجارية العربية الذي كان قد تقرر عقده للبحث في مختلف الشؤون العربية على ما كنا ذكرناه في أسبوعية سابقة. ولقد اشترك في المؤتمر ممثلون عن غرف تجارة يافا والقدس ونابلس وحيفا وغزة والناصرة وعكا وطولكرم، وكان من شاهديه كمراقبين وسامعين كل من عوني عبد الهادي ومغنم مغنم وعيسى البندك وصدقي الطبري. وتنوعت أبحاثه وقراراته، وكانت مزيجة اقتصادية وسياسية ووطنية. ومن ذلك الإحتجاج على كيفية تأليف المجلس الاستشاري الحربي الإقتصادي الذي ألفته حكومة فلسطين بسبب عدم تمثيل العرب فيه حسب نسبتهم. ومن ذلك الإيجاب على الحكومة باستشارة الغرف التجارية في ما تصدره من أنظمة وقوانين تتعلق بالشؤون التجارية والإقتصادية. ومن ذلك الإيجاب على الحكومة إعادة البحث في ضريبة الدخل وإلغاء نظام النقط في التموين بسبب ما ظهر من مشاكل وصعوبات منه. وكذلك إيجاب انصاف الحكومة للمصانع العربية وإعطائها حقها من المواد الأولية، والاحتجاج على ما ظهر من اليهود من تهريب للأسلحة واختزانها، والاحتجاج على سير الهجرة اليهودية والاحتيالات في شراء وتملك الأراضي العربية. ومن ذلك وجوب البحث في تأليف هيئة سياسية تتولى تنفيذ مقررات المؤتمرات السابقة..

وهكذا تتوالى مظاهر النشاط السياسي والوطني في أوساط فلسطين العربية في هذه الظروف التي يشتد فيها النشاط السياسي العربي في البلاد العربية الأخرى، ولعل هذا هو الحافز والمشجع..

ومما قرره المؤتمر في صدد الهيئة السياسية الواجب تأليفها، تألفت لجنة تحضيرية مكونة من اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية وأعضاء اللجنة العربية العليا وأعضاء وفد لندن لسنة 1939 الموجودين في فلسطين، ورؤساء البلديات العربية وأصحاب الصحف، للبحث في أمر عقد مؤتمر عربي عام والدعوة إليه تمهيداً لانتخاب لجنة تنفيذية سياسية تنطق باسم العرب. والحالة في فلسطين الآن تشبه حالتها قبيل المؤتمر السابع الذي انعقد في سنة 1927، فالموجودون البارزون على المسرح والنشاط الآن وطنيون ومنافقون ومحليون ومعارضون. وكنا لقينا صعوبات جمة في الدعوة إلى ذلك المؤتمر وعقده على أثر ما كان من تفسخ وتفكك ومهاترات عقب معركة انتخابات المجلس الإسلامي سنة 1924 ـ 1925، ونفس الصعوبات قائمة. فإذا أمكن عقد مؤتمر في ظلها فسيكون من نوع ذلك المؤتمر الذي اجتمعت فيه مختلف الميول من وطنية ومخلصة ومنافقة وموالية للإنكليز واليهود ومائعة الخ. وستكون اللجنة التنفيذية التي قد تنتخبها مثل اللجنة التنفيذية السابقة ممثلة لكل هذه الفئات. وغياب زعماء فلسطين عن فلسطين أمر مهم في هذا الباب يجعل الموقف أكثر صعوبة أو ضعفاً. نقول هذا ونحن بعيدون الآن عن فلسطين، ولا نعرف الأمور معرفة تامة تجعلنا نحكم حكماً صادقاً...

ومما قرره المؤتمر في الوقت نفسه: (أنه

بالنظر لاحتمال عدم تأليف لجنة سياسية في القريب العاجل، ونظراً لما يدور الآن من مشاورات وأبحاث في صدد الوحدة العربية، فإن كل من يدعوه رفعة النحاس باشا للاشتراك في تلك الأبحاث والمشاورات من أعضاء اللجنة العربية العليا، أو أعضاء وفد لندن يعتبر ممثلاً للبلاد، بشرط أن يتقيدوا بالميثاق القومي الذي سارت عليه الهيئات السياسية السابقة في فلسطين).

وهذا القرار معقول ولا بأس فيه، وليس من إمكان الآن لغير ذلك. ويدل على كل حال على أن الروح الوطنية هي المسيطرة، وأن إسم اللجنة العربية العليا ووفد لندن وهما في الحقيقة متصلان بالثورة العربية وظروفها ما يزال لها الإعتبار القوي في البلاد، حتى ولو كان في عداد ما ذكر راغب النشاشيبي ويعقوب فراج، لأنهما دُعيا إلى مؤتمر لندن بموافقة اللجنة العربية العليا. وأكثر الموجودين في فلسطين الآن منهم من المخلصين والمستقيمين والوطنيين، وأظن أنهم عوني عبد الهادي وأحمد حلمي والدكتور حسين الخالدي وألفرد روك وفؤاد سابا ويعقوب الغصين وموسى العلمي وعبد اللطيف صلاح. والغائبون من اللجنة الحاج أمين وأنا ومعين الماضي وجمال الحسيني، ومن وفد لندن أمين التميمي. وأنا ومعين في تركية والحاج في أوروبا وجمال وأمين منفيان في روديسيا.

4 ـ انعقاد اللجنة التحضيرية المقررة في المؤتمر وحاضريها وقراراتها:

ولقد ذكرت فلسطين في عددها 1943/11/19 خبر انعقاد اللجنة التحضيرية المذكورة وكان الحاضرون: (أحمد حلمي وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وعبد اللطيف صلاح من أعضاء اللجنة العربية العليا ووفد لندن. ثم مصطفى الخالدي وعمر البيطار وسليمان طوقان ورشدي الشوا والشيخ مصطفى الخيري والشيخ محمد علي الجعبري وهاشم الجيوشي وزكي قدوره وتحسين عبد الهادي ويوسف الشريف والشيخ محمد عواد الفالوجي وعبد الرحمن الفرا، ورؤساء بلديات ومجالس محلية القدس ويافا ونابلس وغزة والرملة والخليل وطولكرم وصفد وجنين ورام الله والمجدل والفالوجة وخان يونس، ثم شبلي الجمل والشيخ عبد الهادي بركات من غرفة تجارة القدس، وعبد الرحيم النابلسي وحكمة المصري من غرفة نابلس، وعلي المستقيم وموسى الكيالي من يافا، ومحمد أبو شعبان وموسى الصوراني من غزة، وصلاح الدين صلاح وطاهر حنون من طولكرم، ثم الشيخ عبد الله القلقيلي من الصحفيين. واعتذر الذين لم يحضروا من أعضاء غرف تجارة حيفا والناصرة وعكا وأريحا). وجرت المداولة بين الحاضرين في أمر عقد المؤتمر وغيره من المسائل الهامة، وقرروا قرارات أوكلوا تنفيذها إلى اللجنة التحضيرية ونشرتها فلسطين في عددها 1943/11/20 وهي:

أ ـ تأليف لجنة عربية سياسية جديدة باسم (الوفد)، على الأساس الذي تألفت عليه اللجنة العربية العليا في إضراب سنة 1936، ويكون الأعضاء الموجودون في فلسطين من هذه اللجنة أعضاء في اللجنة الجديدة (الوفد)، ومن لا يود منهم أن يكون فيها يختار حزبه بديلاً عنه. وكذلك الأمر بالنسبة لمن توفي أو لمن هم خارج فلسطين ولا يمكنهم العودة.

ب ـ تمثل هذه اللجنة (الوفد) فلسطين حينما تدعى للمشاورة في صدد الوحدة العربية.

ت ـ جمع ألف جنيه كدفعة أولى لنفقات الوفد مقسمة على الألوية. ويكون منها (250) على لواء القدس.

ث ـ الطلب من الحكومة باسم الهيئة الحاضرة إعادة الممنوعين والمبعدين والعفو عن المعتقلين السياسيين.

وقد ذكرت الجريدة أن رئيس الهيئة الحاضرة، ولم تذكر اسمه، أرسل برقية إلى المندوب السامي بالمطلب السابق.

ومما لحظناه:

(1) أنه لم يذكر شيء عن عقد المؤتمر أو الدعوة إليه، حيث يظهر أن المجتمعين رأو صعوبة أو استحالة ذلك الآن لأسباب عديدة.

(2) إن أكثرية المجتمعين كانت من المعارضين، وليس للمجلسيين وجود، ولم يكن بين الموجودين الدكتور حسين الخالدي ويعقوب الغصين وفؤاد سابا وهم أعضاء أساسيون في اللجنة العربية العليا. وقد قرأنا من أسماء المعتذرين عن الحضور أسماء: صالح عون الله وحسني خليفة وهم من الحزب العربي رسمياً أو ضمناً.

(3) إن جميع رؤساء البلديات حضروا الإجتماع مع أنهم ذوو صفة حكومية بشكل ما وجميعهم معينون تعيينا.

(4) وتأسيساً على هذا يمكن القول أن النشاط الآن هو نشاط معارضين ومعتدلين وشبه رسميين، وأن المجلسيين أو المتواثقين معهم قد استبعدوا أو أبعدوا عن هذا النشاط.

(5) أن أحمد حلمي وعوني عبد الهادي ورشيد الحاج إبراهيم وهم من الحاضرين ليسوا من المعارضين حقا، ولكن لهم لوناً خاصاً مستقلاً. ولكنهم على كل حال غير متواثقين مع المجلسيين.

(6) ويظهر أن إلغاء اسم اللجنة العربية العليا قانونياً في سنة 1937 جعل الهيئة الحاضرة تختار اسم (الوفد) اسماً للهيئة الجديدة. ومعلوم أن اللجنة العربية العليا مثلت الأحزاب الستة وهي العربي والإستقلال والإصلاح والدفاع والكتلة والشباب، ومثلت الأورثوذكس بيعقوب فراج، والكاثوليك بألفرد روك، والمستقلين بالحاج أمين وأحمد حلمي... وقد صرت أنا وفؤاد سابا ومعين الماضي أعضاء فيها، لأن كلاً منا سمي ومارس لفترة ما عضويته... ولعل النص على تأليف اللجنة الجديدة على أساس اللجنة السابقة أريد به إبعادنا نحن الثلاثة الأخيرون لأننا لسنا أساسيين. وهذا ما كان يبذل راغب النشاشيبي جهده وكلامه فيه..

(7) ولعل الإشارة إلى احتمال عدم رغبة البعض في الإندماج في التشكيل الجديد قصدت الدكتور حسين ويعقوب الغصين المتغيبين عن الاجتماع. حيث يبدو أن تغيبهم متعمد لعدم رغبتهم في الإندماج في النشاط الجديد، وأشك أن حزبهم (الإصلاح ومؤتمر الشباب) يختاران بديلين عنهما. كما أنه ليس من المحتمل أن يختار الحزب العربي بديلاً عن جمال المنفي الآن في رودوس.

(8) وهكذا تكون اللجنة الجديدة (الوفد) مؤلفة من راغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وأحمد حلمي وعبد اللطيف صلاح. ولا أستبعد أن ينضم إليها يعقوب فراج، ومسيحي كاثوليكي.

(9) ولو انضم حسين الخالدي والغصين، واختار الحزب العربي بديلاً عن الحاج أمين

وجمال، لكانت قامت هيئة جديدة مماثلة للجنة العربية الأولى وارتقت بها البلاد وسارت وراءها وصار لها خطورة ومكانة في الداخل والخارج، واعتبرت صاحبة الكلمة العليا في القضية، وتكون العناصر الوطنية السليمة هي الغالبة. ولا أعرف السبب الصحيح لانقباض المجلسيين وأنصارهم عن هذه الحركة، فإذا كان السبب منهم يكون في رأيي تعنتاً وتعطيلاً بدون مبرر. وأستبعد أن يكون الناشطون الآن قد تعمدوا إبعادهم أو عدم إفساح المجال لبديلين عن الحاج وعن جمال، وأتمنى أن الأمر يتلافى بالمساعي الخصوصية، فإن الباب مفتوح أمام الأحزاب لاختيار الأعضاء الناقصين، وقيام لجنة سياسية عربية مفيد بل ضروري الآن وليس في الإمكان إلا هذا.

(10) ويظهر من قرار المطالبة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين أن هناك كثيرين من الوطنيين معتقلون في فلسطين وربما في سورية ولبنان والعراق، وهي أقطار تحت الهيمنة الإنكليزية الآن. أما الممنوعون والمبعدون فهم جمال وأمين التميمي في روديسيا، وأنا ومعين في تركية وإسحق والحاج أمين في أوروبا. وأشك في أن السلطات الإنكليزية تستجيب للطلب. ويبقى طلباً وطنياً روتينياً...

5 ـ مؤتمر ملاكي العرب في حيفا وقراراته ونشاط رشيد الحاج ابراهيم:

مما نشرته جريدة فلسطين في عددها 1943/11/26 خبر انعقاد مؤتمر للملاكين في حيفا برئاسة رشيد الحاج إبراهيم وبحضور كثير من ملاكي العرب في فلسطين.

ومما قرأناه في قراراته إرسال برقية للمراجع المسؤولة في فلسطين بطلب الإفراج عن المعتقلين السياسيين وعودة المبعدين والممنوعين. ويظهر أن هذه المسألة من المسائل التي تشغل أذهان الناس، فأثيرت في اجتماعات اللجنة التحضيرية ثم في اجتماع ملاكي العرب. ونرجح أن لرشيد الحاج إبراهيم وأحمد حلمي وعوني أثراً ما في هذه الإثارة، وأن للثلاثة أثراً قوياً في النشاط البادي الآن.

6 ـ حول نشاط مصر في سبيل تحسين مركز قضية فلسطين الدولي وتعليق على ذلك:

ذكر في عدد فلسطين 1943/11/12 أن جريدة البلاغ المصرية نشرت مقالاً نقلته الصحف اليهودية أيضاً، جاء فيه أن حكومة مصر بذلت وتبذل جهوداً دولية لضمان تعديل مركز فلسطين الدولي تعديلاً مرضياً. وأن رئيس الحكومة النحاس باشا معني الآن بإجراءات من شأنها التغلب على الوضع الدولي القائم في فلسطين، وقد عمل وما يزال يعمل ويقوم بخطوات سياسية لا يتسع المجال الآن للكشف عنها، ولكن المرجح أن يكتب لعمله هذا النجاح في النهاية. وأن مشكلة فلسطين لا مشكلة الوحدة العربية هي التي تأتي في رأس قائمة المباحثات بين النحاس باشا والشيخ يوسف ياسين. وهذا الكلام سارّ بدون ريب ومنسجم مع تكهناتنا وأمانينا. فمشكلة فلسطين هي أصعب مشكلة عربية الآن، وصعوبتها مقدرة ولا شك لدى جميع رؤساء وزعماء العرب، وحل هذه المشكلة أمر لا مناص منه في سبيل حل المشاكل العربية وتوجيه قضايا العرب إلى وجهة النجاح. وجهاد فلسطين

ونشاط أهلها وعدم تركهم أية وسيلة في سبيل التذكير بها له أثر كبير بدون ريب. فليوفق الله الساعين ويساعدهم على ما هم في سبيله.

7 ـ إحصاءات يهودية عن مشتريات اليهود في الأراضي العربية في السنين الأخيرة:

في عدد فلسطين 1943/11/13 إحصاء منقول عن جريدة يهودية ومستقى من مصادر يهودية. وقد ذكر في هذا الإحصاء أن اليهود اشتروا من العرب في سنة 1937 ثلاثين ألف دونم أرض، وفي سنة 1938 خمسة عشر ألفاً، وفي سنة 1939 مثلها، وفي سنة 1940 عشرة آلاف، و1941 خمسة آلاف، وفي 1943 /12700/. وبلغ ثمن الرقم الأخير /552/ ألف جنيه، بينما كان ثمن الخمسة والخمسين ألف دونم التي اشتراها اليهود في سنتي 1937 و1938 و1939 مثل هذا المبلغ. ومعنى هذا أن اليهود اشتروا من العرب من سنة 1937 إلى الآن نحو تسعين ألف دونم، وأنهم اشتروا بعد الكتاب الأبيض نحو ثلاثين ألف دونم. وقد يبدو هذا الرقم صغيراً، ولكنه كبير إذا لاحظنا أن الأراضي التي يشتريها اليهود في المناطق التي شحت فيها الأرض العربية وانتقل أكثرها إلى اليهود. والراجح أن هذا هو الذي يثير الأوساط العربية الآن في فلسطين، ويجعلهم يرفعون صوتهم بالشكوى من الإحتمالات والتساهلات في بيوع الأراضي. وعلى كل حال إن هذا لا يغطي فظاعة جريمة باعة الأرض والمسمسرين عليها...

ومما جاء في الإحصاء الآنف الذكر أن ثمانين ألف دونم أرض تداولتها الأيدي اليهودية فيما بينها بثمن تسعة ملايين جنيه وكسور، أي اشتراها يهود من يهود. وأن نحو تسعين ألف دونم تم تداولها على هذا الأسلوب في سنة 1941 بثمن خمسة ملايين جنيه، ولم يذكر الإحصاء الأول سنة التداول. ومن المحتمل أن تكون سنتي (1942 و1943). والأرقام الباهظة تدل على تكثف النقد في أيدي اليهود ونشوء أغنياء حرب كثيرين بينهم استطاعوا أن يدفعوا مبالغ ضخمة في سبيل اقتناء أرض معمرة وربما مشجرة بالبرتقال تفضيلاً على النقد.

8 ـ حول ميزانية الوكالة اليهودية وأهدافها المقبلة:

وفي عدد فلسطين 1943/11/19 قول معزو لأمين صندوق الوكالة اليهودية، جاء فيه أن ميزانية الوكالة في العام المقبل ستكون مليوني جنيه يخصص نصفها لمشاريع ما بعد الحرب، وأنه تم إنشاء (31) مستعمرة جديدة خلال الحرب. وأنه مخطط الثماني عشرة مستعمرة جديدة للسنة الآتية.

وفي العدد قول معزو لأحد أعضاء (الكارين هايسود ـ صندوق المال التأسيسي) إن الصندوق قرر جمع ربع مليون جنيه هذا العام من يهود فلسطين لإسكان اللاجئين القادمين والمتطوعين اليهود المسرحين بعد الحرب. وقال إننا سنبدأ بالمشاريع منذ هذه السنة، وقد أسسنا مراكز عديدة في أنحاء البلاد من أجل ذلك.

وقال هذا العضو فيما قال إن الحكومة البولونية عدلت عن تقديم المساعدات لأولاد اللاجئين البولونيين، لأننا رفضنا تعليمهم وفق مناهج الوطنية البولونية.

وفي كل هذا مشاهد خطيرة لنشاط ومطامح

اليهود، ولما سوف نواجهه منهم في المستقبل. هذا مع القيد أن مستعمرات اليهود كثير منها ضئيل المساحة والسكان، وقد تكون الواحدة منها موطناً لخمس عائلات أو عشر أو عشرين أو خمسين وهي الأكثر، والأقل هو ما يقيم فيها مائة أسرة أو أكثر. ونعرف أن في بعضها ألف أسرة أو أكثر أيضاً. والمستعمرات القائمة الآن هي نحو (350) على ما علق في ذهني من إحصاء أخير.

9 ـ حول خطاب للأمير عبد اللّه في دورة افتتاح المجلس النيابي الأردني:

ذكرت فلسطين في عددها 1943/11/16 خبر افتتاح دورة المجلس التشريعي الأردني، وخطاب الأمير الذي يحلو له أن يوصف بخطاب (العرش). ومما جاء فيه عن الجيش (إني أنوه بالتوسع الظاهر الذي صار في رتاج الجيش العربي الأردني، هذا الجيش الذي وصل بحمد اللّه وعونه حداً يمكن أن يشترك به في الدفاع لمصلحة البلاد خارجها وداخلها).

ولقد كنا قرأنا أن بعض جنود شرق الأردن يخدمون في خفر بعض مطارات الحلفاء في سورية وفلسطين وشرق الأردن. ونظن أن بعض أفراد هذا الجيش اشترك في حملة الغزو الإنكليزي الإفرنسي على سورية، ونعرف أن بعضهم اشترك في قمع ثورة الجيش العراقي سنة 1941، وهذا وذاك تفسير لما جاء في خطاب الأمير الذي يفخر برتاج جيشه المظفر القادر على الدفاع عن البلاد داخلاً وخارجاً، والذي لم يكن ليزيد الآن عن ألف جندي..

10 ـ نشاط الصهيونيين في أوستراليا في سبيل الغاء الكتاب الابيض:

في عدد فلسطين 1943/11/17 أن حاكم أوستراليا العام السابق وهو يهودي، أرسل إلى اجتماع عقده الصهيونيون في أوستراليا للمطالبة بإلغاء الكتاب الأبيض كتاباً طلب من المجتمعين فيه فض اجتماعهم وإلا نشر في الصحف معلومات ليست في مصلحتهم. وأنه نشر في اليوم التالي مقالاً في صحف أوستراليا عرّض فيه بالصهيونية، وقال إن الأمم المتحالفة معنية الآن بالوصول إلى النصر، وليس من المصلحة تعريض مصالحها للخطر في العالم الإسلامي من أجل مطامع اليهود في فلسطين، وأن على الصهيونيين في أوستراليا أن يعلموا أنهم يلعبون بالنار إذا هم واصلوا إثارة شعور مسلمي العالم ومواصلة الضغط على بريطانية في شأن فلسطين.. وقد لا يكون لهذا الكتاب وهذا الرجل الذي لا يمارس الآن مهمة رسمية أهمية كبيرة في السياسة وبين اليهود، ولكن كلامه يكشف عن الحقيقة الراهنة. فاليهود لا يفتأون يضغطون على بريطانية والعالم لأجل إلغاء سياسة الكتاب الأبيض وفتح باب فلسطين للهجرة الواسعة، ولا يهمهم من كل حركة في الأرض إلا فلسطين وتهويدها...

11 ـ حول تسرب الجنود البولونيين في المستعمرات الفلسطينية وتسليحها:

في أعداد فلسطين 19 و20 و21 و1943/11/23 أخبار عن اصطدام بين اليهود والبوليس في إحدى المستعمرات، وعن ظروف

هذا الاصطدام ونتائجه.

وهذا نص بلاغ رسمي نشر عن الإصطدام الأول الذي نشأ عنه مشاهد أخرى من الأحداث منقولاً عن جريدة فلسطين: (علمت السلطات من ثقة أن عدداً من الجنود البولونيين الذين فروا من قطعاتهم قد لجأوا إلى مستعمرة رامات هاكوفتش، وأن في هذه المستعمرة معسكر تدريب لتنظيم مسلح غير مشروع، وأن أسلحة غير مرخصة مخبأة فيها، فقامت وحدة من رجال البوليس بتفتيش المستعمرة في 16 الجاري بالتعاون مع البوليس الحربي البولوني والوحدات العسكرية الامبراطورية، وقد وجدت في معسكر ضمن حدود المستعمرة معدات حربية فاعتقل شاغلوا المعسكر، وقد رفض المختار ورجال المستعمرة التعاون في البحث عن الفارين، فتعذر بذلك على السلطات والبوليس الحربي البولوني أن يعرفوا إذا كان في المستعمرة أحد من الفارين. وقد حاول سكان المستعمرة فوق ذلك أن يمنعوا بالعنف رجال البوليس من القيام بواجبهم المشروع واستفزوهم، ولكن رجال البوليس احتفظوا برباطة جأشهم رغم القذائف التي قذفت عليهم والعنف الذي وجّهوا به، وأتموا عملهم مستعملين الحد الأدنى من العنف. ولم تطلق عيارات نارية قبل أن يصل عنف سكان المستعمرة درجة الجنون عند انسحاب البوليس، فاضطر قائد القوة الذي كان يتولى المؤخرة إلى إطلاق عيارين من مسدسه على أقدام المعتدين كي يحمي سلامة رجاله، فأصيب شخص بجروح غير خطيرة وقد اعتقل 35 شخصاً). وهذه المستعمرة قرب مستعمرة كفر سابا.

ومما ذكرته فلسطين أن الصحف اليهودية نشرت مواداً لم تعرضها على قلم المراقبة حسب التعامل الراهن، فقررت السلطات تعطيل سبع صحف يهودية، وفعلت ذلك لمدد تتراوح بين أسبوع وثلاثة أسابيع، والأسابيع الثلاثة كانت لصحف كررت المخالفة.

ولقد أحدث هذا الحادث هياجاً في الأوساط اليهودية، فتداعت هيأتهم إلى عقد إجتماعات إحتجاجية. ودعي العمال إلى مؤتمر عام في المستعمرة نفسها برعاية الهستدروت على أن يحضره مندوبون عن مختلف الجمعيات والهيئات العمالية والزراعية للبحث في ظروف ونتائج الاصطدام. وقامت في تل أبيب مظاهرات صاخبة، ورشق المتظاهرون دار الحكومة ومركز البوليس ودورياته، ودخل بعضهم إلى دار الحكومة وأشعلوا فيها النار. وقد اشتبك البوليس البريطاني مع المتظاهرين وأصيب منه (11) شخصاً بجراح، وأصيب من المتظاهرين (21) بجراح أيضاً. وقد انطلق من ناحية اليهود أعيرة نارية، في حين أن البوليس لم يستعمل مسدساته.. ولقد مات أحد جرحى اليهود فعطل اليهود أعمالهم بهذه المناسبة لمدة ساعة، وصلى على الجثة في جوار دار الوكالة اليهودية، وأحيط الدفن بمظاهر قومية، وخطب أثناءه بعض الزعماء، واشتد هياج واحتجاج اليهود بسبب موت هذا الجريح.

ومما قاله ابن غوريون في خطبة ألقاها في الاجتماع الذي عقد في المستعمرة: (لن يسمح المجتمع اليهودي في فلسطين بالإعتداء على حقوقه، وهو في كل حين مستعد للدفاع عن نفسه، وإن الأسلحة التي يتهم اليهود بحيازتها والتي يفتشون المستعمرات لأجل مصادرتها إنما هي للدفاع وليست للهجوم على أحد، وإنه ليس هناك خلاف بين اليهود ورجال البوليس

والجنود الذين فتشوا مستعمرة رامات هاكوفيتش، وإنما الخلاف مع السلطات التي أرسلتهم للتفتيش). ثم طلب أربعة مطالب هي:

(1) وقف أعمال التفتيش عن السلاح والأعمال الأخرى الرامية إلى حرمان اليهود من سلاح محدود يدافعون به عن أنفسهم.

(2) التحقيق في الحادث ومعاقبة المسؤولين.

(3) إطلاق سراح المعتقلين الذين لا يزيد ذنبهم عن ذنب بقية اليهود في البلاد.

(4) رفع الحظر عن الصحف اليهودية..

واستمر اليهود في رفع الاحتجاجات، وعقد الإجتماعات منذرين متوعدين. وكان من نتائج ذلك إصدار حاكم صلح تل أبيب أمراً بإطلاق سراح المعتقلين في مظاهرة يافا بكفالات مالية.

ولا ندري ونحن نكتب هذا، ما جرى بعد ذلك. ولعلنا نطلع عليه حينما تقع في أيدينا جرائد فلسطين الصادرة بعد 1943/11/27.

وعلى كل حال فالحادث ليس عظيماً في حد ذاته، ولكنه عظيم في ظروفه ونتائجه. فباعتراف الحكومة يوجد لليهود منظمات مسلحة غير مشروعة، لها معسكرات سرية للتدريب. والجنود البولونيون اليهود وربما الضباط اليهود البولونيون أيضاً يفرون من وحداتهم ويتسربون إلى المستعمرات ويقومون بتدريب أفراد المنظمات على السلاح.

واليهود يقفون بكل عنف وشدة لمنع السلطات الرسمية من التفتيش ويقذفون قواتها بالنار ويهينونها فلا تقابلهم بالمثل. واليهود يقومون بمظاهرات عنيفة ويحرقون دار الحكومة ويجرحون أحد عشر بوليساً ولا يطلق البوليس النار عليهم. وزعماؤهم يخطبون معترفين ضمناً بالسلاح ومعترفين ضمناً بالجنود الفارين وبالتنظيم المسلح السري وبالتدريب، ثم يتحدون السلطات بأنهم لن يتراجعوا، ويطالبون بالتحقيق وتوقيع العقوبات على البوليس لأنهم فتشوا وفرقوا المظاهرات واستعملوا هراواتهم دون مسدساتهم. ويقيمون الدنيا ويقعدونها لأن واحداً منهم مات بضربة من هراوة...

ومساكين العرب، فهم لم يكونوا يفعلون عشر ما يفعله هؤلاء، فتنهار عليهم النيران من الرشاشات والطيارات والمسدسات ويوقع فيهم القتل والجرح بالعشرات وتمنع احتماعاتهم واحتجاجاتهم. ومذبحة يافا سنة 1933 ما تزال ماثلة في ذهننا. وكل ما يفعلونه هو احتجاج على سلب بلادهم وتهويدها والتآمر على أمة برمتها... ونحن نتوقع أن يكون هذا التسلح والتدريب له ما بعده. فاليهود يستعدون للثورة لأجل إلغاء الكتاب الأبيض الذي يظنون أنه إنما صدر بقوة الثورة العربية، ولا بد لإلغائه من ثورة يهودية... ولا ندري ما هو الأثر الذي تحدثه هذه المواقف والمشاهد في السلطات البريطانية العليا. وما إذا كانت ترى من خلالها ما وصل إليه اليهود من غطرسة وما يبيتونه من نيات ثورية خطيرة، فتظل متمسكة بسياستها التي رسمتها في الكتاب الأبيض، أم أن ذلك سوف يرخي أعصابها ويحملها على التراجع والمجاراة. وهذا ما سوف يكشفه المستقبل. وعلى كل حال فقضية فلسطين تزداد بهذه المواقف والمشاهد تعقيداً من دون ريب، يشتد بها عذابها وعذابنا في سبيل خيال كذاب وفي سبيل سياسة استعمارية ظالمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

12 ـ نكتة تدل على افتقاد البيض في فلسطين :

من النكت التي نشرتها فلسطين أن إحدى الصحف نشرت صورة للكرة الأرضية وتحتها كلمة من معلم للطلاب وهي : (أريد أن أسهل لكم تصوّر الكرة، فتصوروا أنها بيضة ضخمة. فهتف أحد الطلاب قائلاً وما هي البيضة يا استاذ؟) والبيض الآن شبه مفقود في فلسطين، لأن سعره في التسعيرة عشرون ملاً، ويمكن في السوق أغلى مرتين أو ثلاثة، فصار الأطفال لا يعرفون البيض. . .

13 ـ خطاب لهوفر منحاز لليهود في صدد مستقبل فلسطين :

نشرت فلسطين في عددها 1943/12/2 أن هوفر رئيس الجمهورية الأميركية السابق خطب في اجتماع سياسي، فقال عن قضية فلسطين أنها من القضايا التي تتطلب حلاً عادلاً بعد الحرب، وليس من تفصيل لصفة الاجتماع. فإن كان يهودي فالجملة تكون تزلفاً لليهود بقصد القول أن الحل العادل هو تمكين اليهود من فلسطين. وإن كان غير يهودي فقد يكون من تأثير الدعاية العربية وتكون الكلمة حقاً وعدلاً.

وفي العدد نفسه أن شرتوك أحد كبار زعماء الوكالة اليهودية سافر إلى لندن للاجتماع مع وايزمن والتفاهم معه على النقاط الأساسية في البرنامج الصهيوني الذي تضاربت فيه وجهات النظر بين زعماء الصهيونيين، وقد يدل هذا على أن استمرار التصدع الصهيوني في صدد مستقبل فلسطين.

14 ـ حول تقصير السلطات الفلسطينية في مجال التعليم العربي في احصاءات الدكتور طوطح :

في عدد فلسطين 1943/12/3 إشارة إلى محاضرة ألقاها الدكتور طوطح أحد رجال التعليم في فلسطين ـ وأظن أنه رئيس مدرسة الفرندس في رام الله ـ ذكر فيها أن عدد الأطفال العرب الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر بلغ 288 ألف، وأن خُمس هذا العدد أي (57000) في مدارس حكومية، وسُبعه أي/ 40000/ في مدارس أجنبية وأهلية. وأن الباقون أي/ 193/ ألفاً محرومون من التعليم أو بدون مدارس، وأن ما تنفقه الحكومة على التعليم هو معدل 3,5٪ من الميزانية، في حين أنها تنفق على الأمن العام 23٪، مع أن الشوق هائل ويزداد شدة إلى التعليم في الأوساط العربية.

15 ـ نشاط سوري لبناني حكومي في صدد اتصالات مع فرنسة وما في يدها من مصالح :

ذكرت أهرام 1943/12/12 أن رياض الصلح سافر إلى دمشق للاتفاق مع حكومتها على موقف مشترك في المحادثات المنتظر اجراؤها بين الحكومتين السورية واللبنانية من جانب، والجنرال كاترو ممثل فرنسة الحرة من جانب آخر وأن المقامات العليمة تقول أن الإتفاق تام بين سورية ولبنان بشأن المسائل التي تتناولها المفاوضات.

وفي العدد نفسه تصريح لوزير الخارجية اللبنانية ينفي فيه توحيد التمثيل الخارجي

لسورية ولبنان. وأذكر أنه كان أذيع أو نشر أن التمثيل السياسي سيكون موحداً للدولتين، فالراجح أن هذا نفياً لذلك. .

16 ـ بيانات مهمة لإيدن عن قضايا لبنان وسورية مع فرنسة:

وفي أهرام 15/12/1943 خلاصة لبيانات ألقاها إيدن في مجلس النواب الإنكليزي حول مؤتمرات طهران والقاهرة، وفيها هذه الجملة في صدد القضايا العربية: (لما كنا في القاهرة استطعت أنا ورئيس الوزارة أن ندرس الأزمة الأخيرة في لبنان مع المستر هارولد ماكملان والجنرال سبيرز (الأول المندوب الإنكليزي في الجزائر والثاني المندوب الإنكليزي في سورية ولبنان)، وكان اهتمامنا بهذه المسألة ذات وجهين، الأول أننا نشعر بعطف نحو الأماني القومية للعالم العربي، ونحن البلد الوحيد الذي عقد معاهدة وانسحب من دولة إسلامية مستقلة. والثاني أن صيانة النظام والسكينة في لبنان من المسائل التي تهم الحلفاء لأنها تمس إلى حد كبير مجهودنا الحربي كله في الشرق الأوسط. وأنا واثق أن المجلس يشاطرني الأمل الجدي بأن تدور المفاوضات بين الطرفين بروح المسالمة، وأن تؤدي إلى اتفاق عاجل. وأنا واثق أيضاً من أن جميع الأمم المتحدة تشاطرني هذا الأمل. وقد بعثنا بأملنا هذا إلى السلطات المختصة بطريق ممثلينا الدبلوماسيين).

والتصريح قوي، سواء بشأن ما لعبته وتلعبه بريطانية من دور مؤتمر في حل أزمة لبنان وسورية حلًا عادلًا وتاماً، وسواء بشأن التطور الجديد الذي أخذ يدخل فيه مفهوم القضية العربية العامة في بريطانية والعالم العربي. وكل ما نرجوه أن يكون الوجه الثاني خاصة جدياً وليس دعائياً.

17 ـ بعثة فاروق إلى لبنان ثم سورية وما كان من حفاوات:

كان الملك فاروق أمر بسفر بعثة لتهنئة رئيس الجمهورية اللبنانية، مع رسالة منه في مناسبة عودة الحياة الدستورية وانتخابه رئيساً. وكانت الأزمة اللبنانية حائلاً دون سفرها في وقتها، وقد سافرت هذه البعثة بعد انتهاء الأزمة يوم 15/12/1943 فكان لها وداع حافل في القاهرة، وقوبلت في فلسطين بحفاوة وابتهاج وهتافات تشق عنان السماء في المحطات بحياة الملك والبلاد العربية والوحدة العربية. ومنذ أن وصلت البعثة أرض لبنان أخذت تقابل كذلك بأعظم مشاهد الحفاوة والابتهاج في الطرق وفي المدن التي مرت منها وفي بيروت مدة إقامتها، وتبارت الهيئات في إكرامها مباراة عجيبة، فأقيمت لها مآدب وحفلات من رئيس الجمهورية ومن رئيس الحكومة ومن البطرك الماروني، ومن الطائفة المارونية والطائفة الأرثوذكسية والمسلمين. وسافرت بأمر الملك إلى طرابلس لزيارة عبد الحميد كرامة، وإلى دمشق وبطلب من حكومة سورية لتكريم البعثة الملكية ثانية. وكانت الرحلة موسماً عظيماً للعروبة، ومبادلات وتظاهرات العواطف العربية والمصرية والشامية السورية اللبنانية الفلسطينية، بما لم يسبق له مثيل ولا يعلو عليه. ولا شك في أن ذلك أثر من آثار حركة التطور للقضية العربية والروح العربية والتطلعات العربية، وأثر من آثار اندماج مصر في القضية العربية العامة، وستكون من عوامل تقوية كل ذلك. وهكذا تبرز قوة

عناصر القضية العربية وأصالتها وآمالها بمجرد أن ينفتح لها الباب وتتهيأ لها الأسباب.

18 ـ تصريحات لعادل عسيران والوحدة ومداها وتعليق على ذلك:

مما قرأناه في صحف لبنان ومصر في هذه الآونة أن عادل عسيران أحد وزراء لبنان سافر إلى مصر في الأسبوع الأول من كانون الأول. ويصفه إخواننا الذين عرفوه بأنه ذو عواطف قومية صادقة. وقد لقي في مصر حفاوة بالغة من الأوساط المصرية الحكومية خاصة، واطلع على كثير من الأمور الخاصة في التموين والإنتاج الصناعي. وألقى من الإذاعة المصرية كلمة مدح فيها مصر وشكر حفاوتها ونوه بعظمتها الصناعية وروحها العربية، وبما يجمع بينها وبين البلاد العربية من أواصر القومية القديمة والحديثة وموقفها الأخير من قضية لبنان والوحدة العربية، وما أثار كل ذلك في الأوساط العربية عامة من احترام وحب لها. ولكن هذا الرجل عكّر علينا ما كان في ذهننا عنه في تصريح أدلى به إلى مندوب الوكالة العربية ونشرته الأهرام في 1943/12/19 عن الوحدة العربية جاء فيه: (إن العرب في مختلف بلدانهم يؤلفون وحدة إقتصادية وجغرافية وتاريخية وثقافية. وهم يرون أن يبقى كل قطر مستقلاً، وأن يعنى بشؤونه الداخلية، وأن يمد شقيقاته بكل مساعدة ممكنة. أما الاتحاد السياسي فينبغي أن يترك للأجيال القادمة تقرره حسب مقتضيات الأحوال.).

وتصميم عسيران على عدم الرغبة في الاتحاد السياسي لجميع العرب هو الذي أثارنا وعكر ما في ذهننا عن قوميته. فلا يمكن لقومي أن يقول ذلك حتى ولو كان مارونياً لبنانياً فضلاً عن أنه غير صحيح، لأن الأصوات ترتفع بخاصة في سورية والعراق والأردن وفلسطين بالوحدة السياسية..

نحن نعرف أن الموارنة خاصة لا يمكن أن يرضوا بوحدة سياسية عربية، ويريدون أن يكون للبنان كيانه الخاص المستقل الذي يتسم بالنصرانية بسبب كون رئيسه نصرانياً. ونعرف أن رياض الصلح وبعض زعماء المسلمين في لبنان يسايرونهم في ذلك مقابل تخليهم عن التمسك بالحماية الإفرنسية. ولكن لا رياض ولا زعماء المسلمين يمكن أو يجوز أن يعمموا ليقولوا أن العرب لا يرغبون في وحدة سياسية..

وعسيران شيعي، وللطوائف في لبنان كياناتها ومناصبها في البرلمان والوزارة والوظائف الرئيسية وغير الرئيسية. وتصريحه يطعن في قوميته العربية المزعومة أولاً، وينم عن الروح الطائفية التي تملي المنافع الخاصة لأبنائها ثانياً.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

19 ـ تصريح للأمير فيصل عن الوحدة وتعاليم القرآن:

ومن عجيب الصدف أن يدلي الأمير فيصل ابن الملك السعودي بتصريح لمندوب الوكالة العربية نشرته الأهرام في عددها 1943/12/21 وجاء فيه: (إن العرب متحدون في الأصل، وإن المفاوضات بين الأمم العربية ترمي إلى اختيار الشكل وإبراز المعالم للوحدة المطلوبة بينهم، وإنه يقترح أن تكون الوحدة بالتدريج لأن هذا أضمن للنجاح. واستطرد بعد هذا فقال إن ما يجب أن يكون دستوراً للوحدة هو القرآن الكريم الذي أنزله الله للعالم أجمع،

فما أحراه أن يكون هو الدستور للوحدة المنشودة. وقد اشتمل على تعاليم دينية واجتماعية وسياسية، وهو يدعو إلى التآخي وارتباط المصالح، وقد أنزله الله لتحسين كل شيء في الحياة ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾. وقد يعترض بعض الناس بأن في البلاد العربية طوائف مسيحية، ولكن المسيحيين كانوا دوماً وأبداً قسماً من الأمة العربية، وكانوا مواطنين أصدقاء لم تصدر منهم شكوى. وقد ترك القرآن لهم حرية العبادة فلم يجبروا على شيء مخالف لذلك يوماً من الأيام. والقرآن يشتمل إلى جانب أركان العبادة على قوانين مدنية مجملة، وعلى أمور تتصل بالسياسة والاقتصاد والتجارة يمكن أن يستفيد منها جميع العرب دون أي اعتبار للخلاف في المذهب والعقيدة).

والحصافة في موضوع الوحدة ظاهرة لا يصح أن تقايس مع كلام عسيران على ما هو مفروض أن يكون بين الإثنين من فروق في إدراك أهداف ومعاني الحركات القومية والحماس لها... أما ما جاء في كلامه عن القرآن والمسيحية ففيه في اعتقادي كل الحقيقة وكل الصواب، وهو متسق مع ما كتبناه ونكتبه في تفسير القرآن وفي مسودات كتابنا ـ نظم القرآن ـ.

وبمناسبة ذكر حديث الأمير فيصل نذكر أنه اجتمع هو وأخوه خالد اللذان جاءا من أوروبا مع إخوته طلال وفهد. ومنصور الذين جاءوا إلى مصر في شمل واحد، وتقام لهم حفلات بالغة، ويتردد فيها صدى العروبة وآمالها، وتؤيد وتقوي النشاط البادي في آفاقها.

20 ـ تصريح للأمير عبد الإله عن انطباعاته بميول رجالات الإنكليز لمساندة قضايا العرب ومداه:

نشرت مجلة المصور في عددها (100 وتاريخ 1943/12/27 حديثاً صحفياً للأمير عبد الإله الوصي على العراق الذي جاء إلى القاهرة في طريق عودته من لندن إلى بغداد، ومن جملة ما جاء فيه: (إن جميع من قابلهم من الوزراء وسائر رجال الدولة في بريطانية ينظرون إلى الأمم العربية في هذه الحرب كأعظم ركن من الأركان التي تعتمد عليها الديموقراطيات في بلوغها النصر، وسمعت من الكثيرين إطراء عظيماً للموقف الذي تقفه الأمم العربية في تأييد الحلفاء ومساعدتهم مما كان له الأثر العظيم في ما بلغوه من النصر في الشرق الأوسط وشمال أفريقية، وكان جميع من حادثتهم وحادثوني في موضوع الوحدة يعربون عن الفوائد التي سوف تعود على البلاد العربية من تحقيق ذلك، ويقفون منها موقف الحياد ولا يحولون دون تحقيقها على الوجه الذي تراه الأمم العربية محققاً لمصالحها في الحاضر والمستقبل).

وهذا كلام قوي، ونرجو أن يكون للقضايا العربية وخاصة لقضية فلسطين نصيب صادق في هذا الموقف وفي هذا التقدير من الحلفاء للعرب.

وجاء في التصريح في صدد موقف الإنكليز من الوحدة فهو كذلك قوي ومتسق مع تصريحات الإنكليز المتعددة، وليس للعرب ما يأخذونه عليهم في هذا الأمر، فليس من المعقول أن يوحد الإنكليز العرب. فإذا تعثر العرب في سيرهم الإتحادي فالذنب ذنبهم قبل

كل أحد، إذا ما كان كلام الإنكليز جاداً صادقاً ولم يكن في سرهم نيات عرقلة وتثبيط. .

21 ـ السعي للإفراج عن بعض الزعماء الفلسطينيين:

في عدد الأهرام المذكور آنفاً أن النحاس باشا يبذل جهده لدى السلطات المختصة للإفراج عن بعض الزعماء الفلسطينيين، وقد أرجىء في الوقت الحاضر اختيار ممثلي فلسطين لمشاورات الوحدة العربية بأمل نجاح هذه المساعي، فإن لم تنجح اختير ممثلون من رجالات فلسطين الموجودين الآن في فلسطين أحراراً. وأرجح أن هذا السعي هو من أجل معتقلي روديسيا وهم جمال الحسيني وأمين التميمي. . وهذا الإرجاء من جهة والمساعي من جهة، من آثار ما يدور حول تشكيل هيئة تمثيلية سياسية فلسطينية وما يعترض هذا من غياب زعماء كانوا أعضاء في وفد لندن ولهم قيمتهم الحزبية في فلسطين والأوساط السياسية العربية. . .

22 ـ حول استئناف مشاورات الوحدة بعد أزمة لبنان:

نشرت مجلة المصور في عددها 1002 وتاريخ 1943/12/24 نبذة عن ما يدور حول مشاورات الوحدة، فقد جاء فيها أن هذه المشاورات بعد أن توقفت بسبب أزمة لبنان ستتحرك الآن وسيحضر وفد لبنان قريباً. وأن معلومات جديدة تجمعت لدى رفعة النحاس رئيس الوزراء بمناسبة مرور الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق بمصر عقب عودته من إنكلترا، وبمناسبة مرور الأميرين السعوديين. كما أن صبري أبو علم باشا سيعود من الحجاز مزودا بآراء جلالة الملك في الصميم، وأن البحوث تجري الآن لاستيفاء الشكل فيما يتعلق بالتمثيل الفلسطيني لتتم المشاورات مع جميع البلاد العربية، بل إننا سمعنا بعض المتفائلين يقولون أن مشكلة فلسطين سوف تحل من أساسها. .

وبعد ذلك أذاعت المحطات العربية خبر عزم رياض الصلح على السفر إلى مصر بصحبة سليم تقلا وزير الخارجية استجابة لدعوة النحاس باشا لأجل مشاورات الوحدة.

وأذاعت كذلك خبر سفر جميل مردم وعبد الرحمن الكيالي وعفيف الصلح وعدنان الأتاسي إلى العراق لإجراء مفاوضات مهمة في سبيل القضية العربية. وقالت أن من المحتمل أن يذهب الوفد السوري إلى الرياض أيضاً. ومن الجائز أن يبذل الساسة السوريون جهوداً لتسهيل أو توثيق ما يدور من مشاورات الوحدة، كما أن من الجائز أن يقوموا بمساعٍ تؤدي إلى خطوة عملية اتحادية بين سورية والعراق أوسع مما رأوه محتملاً في مشاورات القاهرة.

ولقد نشرت الأهرام في عددها 1943/12/28 برقية من دمشق ذكرت خبر سفر الوفد السوري إلى العراق، وقالت أنه سيقوم بمباحثات خاصة بأمور متعلقة بالوحدة العربية والمبادىء والأسس التي يقوم عليها العمل المشترك، كما سيبحث المسائل ذات الصلة الوثيقة بين البلدين. وقالت أن جميل مردم سيسافر بعد بغداد إلى الحجاز لزيارة عاهل المملكة العربية لإتمام حلقات أبحاث الوحدة العربية، وأن هذه الزيارات بمثابة خطوات تمهيدية في سبيل عقد المؤتمر العربي العام الذي سيدعو دولة النحاس باشا الأقطار العربية

إليه. والبرقية أكدت ما دار في خلدنا وذكرناه آنفا.

23 ـ خبر عن انتهاء المفاوضات بين سورية ولبنان وفرنسة في صدد المصالح المشتركة ونتائجها الحسنة:

قرأنا في الصحف التركية في هذه الأيام خبر انتهاء المفاوضات الدائرة بين ممثلي الحكومتين السورية واللبنانية من جهة والجنرال كاترو من جهة ثانية، وقد ذكر مع الخبر أنه تم توقيع اتفاقية بين الطرفين تتمتع بموجبها الحكومتان بكافة الصلاحيات التشريعية والإجرائية الإدارية أولاً، وتتسلمان ثانياً بموجبها المصالح المشتركة ودوائر الأمن والمراقبة وغيرها مما كان في يد الإفرنسيين اعتباراً من اليوم الثالث من شهر كانون الثاني 1944، وجاء هذا الخبر في الجرائد التركية من مصدرين، من برقية صادرة من دمشق وبرقية صادرة من لندن. والخبر سار جداً لأنه يتضمن بشرى خطوة حاسمة في حياة سورية ولبنان الاستقلالية. ومعنى هذا أنه لم يبقى نظرياً ما يعوق الحكومتين من الإستمتاع بحريتهما وسيادتهما كاملتين، وأنهما قد خلصتا من طور بشع بما كان فيه من حكومة إفرنسية وموظفين إفرنسيين ودوائر إفرنسية كانوا وسيلة شر وأذى ودس وتنغيص ومشاكل وعثرات.

وكان قد أذيع قبل أن الحكومتين ستتسلمان هذه المصالح مع موظفيها. ومع ما في هذا من مشاكل فلا مندوحة عنه على الأغلب الآن. والذي نأمله أن حالة الموظفين تتبدل فوراً، وسيعتبرون أنهم موظفون تحت أمر الحكومة السورية أو اللبنانية، وأن عليهم واجب الطاعة والإخلاص. ومهما يكن من أمر فإن مركزهم وصفتهم سيتبدلان ومجالهم سيضيق. ومما ذكرته برقية لندن أن ما تم من اتفاق لا يعني أن الإنتداب قد انتهى من الوجهة الفنية، لأن ذلك لا يكون إلا بقرار دولي، وقد يكون هذا صحيحاً، وقد يخشى منه أن يظل المجال مفتوحاً للتدخلات والتغيرات الإفرنسية ولو بدا ذلك بغياً وعدواناً. والأمر أمر قوة، وحالة سورية ولبنان الآن أعجز من أن توطد حقها بالقوة الذاتية..

وقد قرأنا لعمر رضا مقالاً في جريدة الجمهورية يعلق على هذه الأخبار، ويتكهن بأن الحلفاء تسامحوا وتوسعوا إزاء سورية ولبنان لحملهما على إعلان حالة الحرب بينهما وبين ألمانيا كما فعلت العراق، وأن من المحتمل أن يستجيبا إلى ذلك بضغط الحلفاء من جهة ولضمان مرسومهما في مؤتمر الصلح ليتمكنوا به من توطيد استقلالهما. والكلام سديد..

24 ـ بطاقة من سلمى متفائلة بقرب اللقاء استيحاء مما يجري في سورية من أمور سياسية مطمئنة:

ولقد وصل إلينا بطاقة من ابنتنا سلمى مؤرخة في 1943/12/11 تبدي فيها تفاؤلها الشديد بقرب الاجتماع وجمع الشمل. والظاهر أن ما تم في سورية ولبنان أوحى لها هذا التفاؤل، أو أوحى إليها من أصدقائنا في دمشق وشجعوا أهل البيت به، والمهم عندنا أن تتمتع سورية ولبنان باستقلالهما الصحيح ويتخلصان من ذلك الداء البغيض المنغص.

25 ـ بعثة أميركية عسكرية في ضيافة الملك عبد العزيز:

ومما قرأناه في هذه الأيام أن بعثة عسكرية أميركية زارت جدة، وتم بينها وبين الملك عبد العزيز لقاء، وأقام لها وليمة في الشميسة، وكان يصحبها سفير أميركا في مصر. ولا نعرف مدى هذه الزيارة وهل هي زيارة مجاملة أو رد لزيارة الأمير فيصل وأخيه، أو أنها تحمل مهمة كلفها روزفلت بها؟ ولعل الأيام الآتية تكشف لنا ما جهلناه.

***

||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||

الجمعة 31/12/1943:

أخبار عالمية متنوعة سياسية وحربية:

1 ـ بيانات إيدن عن مؤتمرات طهران والقاهرة ومداها:

ألقى إيدن بعد عودته إلى لندن بيانات مطولة في مجلس النواب البريطاني عن المؤتمرات، وقال في وصفها أنه مهما بالغ المرء في تقدير قيمتها يبقى دون الحقيقة التي يمكن استخلاصها منها. وقال فيما قال إن في بلاغ مؤتمر طهران عبارتين لم يكن في الإمكان قبل الآن أن يصدرا عن رؤساء الحلفاء إلى شعوبهم باطمئنان، وهما اتفاق هيئات أركان حرب الدول الثلاث على كل الخطط لتدمير قوات ألمانيا، واتفاق رؤساء الدول الثلاث التام على مدى الأعمال التي ستقوم بها دولهم في الشرق والغرب والجنوب. وقال إني حينما عدت من مؤتمر موسكو كانت تساورني الثقة، إلا أني اليوم أكثر ثقة من أي يوم مضى في صدد ما تجلى في مؤتمر طهران من صميمية وحسن تفاهم وانسجام حول بقاء التعاون الدائم بين بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي..

وفي صدد تركية قال إيدن إن دعوة رئيس جمهورية تركية إلى مصر تقررت في مؤتمر طهران، وإن المحادثات التي جرت في لقاء مصر أوفى وأوسع مما دار بينه وبين وزير خارجية مصر عقب مؤتمر موسكو، وأنه لا يستطيع أن يبوح الآن بشيء من تفاصيل ما جرى من أبحاث سرية، إلا أن في وسعه أن يقول أن لديه آمالاً

طيبة بأن هذه الأبحاث ستكون قاعدة وطيدة للتعاون القادم بين بريطانية وروسية وأميركا وتركية. وأشار إلى تصريحات وزير الخارجية التركية حول هذا المؤتمر، وقال أنه جاء فيها أن محادثات القاهرة كانت ودية وبعيدة الأثر، بحيث أن يستطيع أن يقول إن العلاقات التركية مع الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي لا تقل مودة وقوة عن علاقة تركية ببريطانية، ثم قال إن أهمية هذا التصريح تدرك حينما نستعرض ماضي هذه العلاقات. .

2 ـ خطاب إنذاري لروزفلت واليقين بقدرة الحلفاء على السحق والانتصار والتبشير بسلم طويل:

وخطب روزفلت خطاباً ينوه بالوعيد والإنذار بأن سحق ألمانيا وإيطالية سحقاً تاماً أمر لابد منه، وأنه الآن في مقدور الحلفاء بدون أدنى ريب بعد ما توطد بينهم ما توطد من أسباب التفاهم والتساند التامة. وأن هناء العالم لا يتم إلا بعد القضاء على الروح الحربية العدوانية المتأصلة خاصة في الألمان البروسيين. . وبشر في خطابه العالم بسلام طويل بعد الإنتهاء من هذه المهمة، مع استدراكه بأن النصر ليس سهلاً معبد الطريق. وأن الأمر مايزال يتطلب تضحيات عظيمة، وأن على أميركا أن تساهم فيها وهي فعلاً تساهم فيها، فإن لها في الخارج نحو ثلاثة ملايين ونصف من الجنود، وهي تعد في الداخل جيشاً يساوي ضعف هذا العدد. وقال فيما قال في خطابه أن أهم ما يستهدفه الحلفاء حقوقاً متساوية للأمم في الحياة والاستقلال والهناء على اختلافها، وأن المؤتمرات قد أسفرت عن الإعتراف بذلك.

3 ـ خطاب لوزير خارجية الألمان عن صمود ألمانيا ويقينها بالنصر أيضاً والتنديد بالسكسونيين لاستغلالهم لروسية وآثار ذلك الخطيرة:

خطب وزير الخارجية الألمانية فقال أن مقصد الحلفاء فيما ينشرونه عن مؤتمراتهم وما يحيطونها به من تنويه ودعاية هو حرب أعصاب وتخويف فارغة من المضمون، حتى ليصح أن يقال أنها من دلائل فوز الألمان وعظمة مقاومتهم. ومما قاله أن الحلفاء يحمّلون ألمانيا مسؤولية الحرب في حين أنهم هم سببها وأنهم كانوا يسعون إليها. وأشار إلى ما يبدو من استسلام السكسونيين لكل ما تريده روسية، وما في ذلك من توطيد لتحكمها في أوروبا، في حين أن كل هم ألمانيا وجهدها هو إنقاذ أوروبا من التحكم وجعلها حاكمة لنفسها متواثقة في نظام اقتصادي يكفل لها الهناء.

وأشار كذلك إلى ما يبدو من مطامع أميركا في التوسع الاستعماري والإقتصادي، وإلى تناقض الحلفاء بين أعمالهم ومطامعهم وبين تصريحاتهم بأنهم يستهدفون حرية الأمم وهناءها واستقلالها ورفاهها. وختم خطابه قائلاً أننا ما فتئنا نسمع تهديدهم عن الجبهة الثانية وعن الغزوات الثانية، فليعلموا أن الألمان مستعدون كل الاستعداد لها، وأنه يتوقع في القريب العاجل انهيار روسية من كثرة ما مُنيت به من خسائر وما حل في قواتها من إنهاك.

4 ـ وعلقت بعض الصحف الأمريكية على المؤتمرات، قائلة إنها لا ترى دلائل تدل على اهتمام المؤتمرين بحل مشاكل الأمم الصغيرة وضمان حرياتها، وأن هذا يبعث الخيبة في

النفوس ويثير القلق والخوف من المستقبل.

5 ـ وعلقت بعض الصحف الأميركية والإنكليزية على موقف تركية ونتائج محادثات القاهرة معها، فقالت أن تركية تستطيع أن تلعب دوراً حاسماً في تقصير أمد الحرب، وأنها تستطيع أن تجند مليون جندي جديد، وأن من المحتمل أن تظهر في القريب تبدلات خطيرة في سياستها.

6 ـ الحديث عن الجبهة الثانية:

ولقد فتحت المؤتمرات المجال للحديث عن الجبهة الثانية بدرجة أقوى مما كانت قبلها، وصار هذا الموضوع موضوع تكهنات وإذاعات ودعايات واسعة وخاصة في الأوساط السكسونية، وقوّى هذا إذاعة خبر تعيين قواد لهذه الجبهة وتنسيق في قيادات السكسونيين، ومن ذلك تعيين الجنرال إيزنهاور الأميركي قائداً أعلى للجبهة الثانية، وتعيين مونتوغمري الإنكليزي معاوناً له وقائداً للقوات الإنكليزية البرية، وتعيين جنرال إنكليزي ثانٍ مساعداً ثانياً وقائداً للقوات الجوية، وتعيين الجنرال ويلسون قائداً أعلى لمنطقة البحر الابيض جميعها. وخصصوا الجنرالين اسكندر وكلارك بحرب إيطالية.

ونتيجة لذلك كله أصبحت الأفكار الآن قانعة أكثر من ذي قبل بجد السكسونيين في فتح جبهة ثانية في غرب أوروبا وعدم الإكتفاء بحرب إيطالية، وبجدّهم في إنهاء الحرب الأوروبية بأسرع وقت ممكن، وبجدهم فيما يقولون أن سنة 1944 ستكون أعظم سني الحرب الأوروبية ولعلها آخرها.

ومما يذاع ويتكهن أن الغزوة السكسونية المحتملة لغرب أوروبا ستسير متساوقة مع حملة الشتاء الروسية في الجبهة الشرقية التي بدأت بوادرها، وأن هذه الغزوة من أجل ذلك لن تتأخر كثيراً، وأن الاستعدادات لها قائمة على قدم وساق وخاصة في بريطانية، وأن الجيوش والمهمات تأتي من أميركا كالسيول..

ولقد أخذ الزعماء والقواد السكسونيون يهيئون أفكار شعوبهم لهذه الغزوة ونتائجها وما يمكن أن يكون فيها من ضحايا لابد منها في سبيل النصر، مع توكيد الثقة التامة بالنصر الحاسم والقدرة على إنزال الضربة الساحقة القريبة في الألمان والنجاح في الأهداف.

ومع ما في هذا من عناصر دعائية فإن البوادر والمظاهرات وتعيينات القواد تدل على قرب وقوع حركات حربية عظيمة تتمثل في غزو أوروبا من الغرب، وهو أمر لا مناص لهم منه، ولا بد من أن يكون قد تقرر بشكل حاسم في مؤتمر طهران. فليس في وسع الحلفاء أن يصبروا أو يطيلوا أمد الحرب أكثر. ولن تنتهي هذه الحرب إلا بكسر الألمان في أوروبا عسكرياً.

7 ـ موقف الألمان من الجبهة الثانية واحتمالاتها:

والألمان مدركون هذا وقانعون به، وهم يعلنون من جهة استعدادهم للحلفاء، ومن جهة اطمئنانهم كل الإطمئنان بموقفهم ونتائج ما ينتظرون. ويقولون إن سنة 1944 قد تكون أعظم سني الحرب وأشدها هولاً. وقد قال غوبلز في مقال أسبوعي له إن سنة 1944 ستسفر عن الغالب الحقيقي في ميادين الحرب وإن لم يكن فيها نهاية للحرب، ملوحاً بذلك أن

الألمان هم الذين سينتصرون فيها، وفي هذه الأثناء يطوف المارشال روميل في أنحاء أوروبا المختلفة للتفتيش والتنسيق، وتذاع أخبار ذلك مع أقوال له بأن الاستعداد تام لتلقي العدو بقلب واثق بالفوز. وتتكهن إذاعات الحلفاء بأن روميل عين أو سيعين قائداً أعلى للقوات الألمانية في وقت قريب، لأن هتلر يثق به ويتفاءل بيمن طالعه.

وحديث الجبهة الثانية فتح المجال للحديث عن (فرنسة الحرة المحاربة) وعن القوات التي أعدها الإفرنسيون في شمال أفريقية، واستعدادهم للاشتراك في الحركات الجديدة بغزو فرنسة من الجنوب. وقيل فيما قيل إن نحو ثلاثمائة ألف جندي إفرنسي مجهزين على قدم الاستعداد. وأذيع أن قائداً كبيراً اسمه (لارثر) استطاع أن يفر من فرنسة إلى الجزائر، وأحيط قدومه بشيء من الحفاوة، حتى أخذ يهيأ له مكان جيرو وخلافته في قيادة القوات الإفرنسية العليا، وكثر الحديث بعد قدومه عن استقالة جيرو وعن سقوط أسهمه.

ومما لفت النظر في الحديث عن فرنسة المحاربة ما أذيع من أن ماءتين وخمسين ألف مسلمٍ مغربيٍ هم أعظم قوات فرنسة المحاربة هذه، وأن من هذا العدد الكبير قوة غير يسيرة تحارب الآن في إيطالية تحت قيادة السكسونيين، وأنها تبدي بسالة وثباتاً عجيبين تجعلان مسلمي المغاربة في صفوف المحارب الباسل الأول. ولا تخجل (فرنسة الحرة المحاربة) أن تتبجج بقوتها ونشاطها، ولو كان ذلك على حساب المغاربة المسلمين..

8 ـ منح فرنسة الحرّة لمسلمي الجزائر مكافأة اعترافاً:

ويظهر أن فرنسة المحاربة شعرت بذلك فأرادت أن تخطو خطوة شكر واعتراف، حيث خطب ديغول في هذه الأثناء فأعلن قرار فرنسة الحرّة المحاربة منح (الرعوية الإفرنسية) لمسلمي الجزائر، وعزمها على تعديل القوانين الإدارية والإقتصادية في الجزائر، وفتحها باب المناصب العليا أمام الجزائريين على قدم المساواة مع الإفرنسيين، وإدخال بعض الشخصيات الجزائرية في المجلس الاستشاري الإفرنسي. ثم أخذت إذاعات فرنسة المحاربة تطنطن بهذا العطف السامي والرعاية الكريمة التي تفضل بها ديغول على مسلمي الجزائر. ويقف المرء مندهشاً لهذه الوقاحة، ونفسه تضطرب حنقاً من البغي الذي يرتكبه البشر ثم من التبجح الذي يتبجحون به لأنهم خففوا من هذا البغي.. ففرنسا المحاربة التي تحاول تبليغ العالم وجودها وكيانها ليست أكثر من فلول فارة أو منتفعة هنا وهناك من الإفرنسيين، وتقوم أركانها وأسسها وقوتها المادية والمعنوية على مسلمي المغرب في الجزائر في الدرجة الأولى وفي تونس والمغرب الأقصى بالدرجة الثانية، فيكونون صوتها الذي تهتف بقوة فرنسة، وتكون بلادهم مركز استقرار وتموين، ثم ترى هذه الفرنسة المحاربة نفسها متفضلة متكرمة على هؤلاء المسلمين وتمنحم رعويتها...

9 ـ معاهدة بين روسية وتشيكوسلوفاكيا تتركز فيها العلاقات بينهما ومدى ذلك:

في هذه الفترة تحقق ما أذيع عنه كثيراً من

عقد معاهدة تحالف بين روسية وتشيكوسلوفاكيا، وتوقيع هذه المعاهدة في موسكو من قبل بنش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا وكالينين رئيس الإتحاد السوفييتي. وكانت هذه المعاهدة موضوع تعليقات متنوعة.. ففي حين لم ينجح الحلفاء في حل مشاكل حدود الدول، تخطو روسية خطوات خاصة في سبيل تنظيم صلاتها مع جيران قدماء لها وفقاً لخطة خاصة وقومية. وهذه الخطوات تقرير بما تبيته روسية من سياسة في شرق أوروبا.

10 ـ مقال روسي في صدد عودة الهيمنة الروسية إلى دول البلطيق:

وقد لفت النظر في هذه الفترة والمناسبة مقال نشرته جريدة روسية الرسمية (العمال والعمل)، ذكر فيه وجوب رجوع دول البلطيق إلى الاتحاد السوفيتي وغدوّها جمهوريات سوفيتية ضمن هذا الإتحاد كما كانت في السابق. واستنكر المقال ما بدا من هذه الدول من الرغبة في التحالف والتعاقد دون ذلك.

11 ـ حول علاقات بولونيا بروسية ومدى ذلك:

ومما لفت النظر ويحسن ذكره في هذه المناسبة أيضاً دعوة روسية بولونيا إلى الحذو حذو تشيكوسلوفاكيا، مع إصرارها على احتلال الأقسام الشرقية من بولونيا التي احتلتها وما تزال. وبولونيا تجد نفسها في عزلة وإهمال، وتجد السكسونيين مسلّمين لروسية، وتجد نفسها غير قادرة على حل مشكلتها الحدودية.

ومما لفت النظر أيضاً في هذه المناسبة ما أخذ يبدو من الأصابع الصريحة الروسية في يوغوسلافية واليونان، حيث يستخلص من كل ذلك أن لروسية سياسة قومية خاصة تسير في سبيلها، وأن السكسونيين يسايرونها في ذلك لضرورات الحرب. وأن موقف روسية وسياستها إذا ما انتهت الحرب بانتصارها سيكون موقفاً خطيراً ومخيفاً. وأن ما يتبجح به زعماء السكسونيين من وصولهم إلى تفاهم تام على التعاون المستمر بعد الحرب على حرية كل أمة واستقلالها ومساواتها صغيرة أم كبيرة هو تبجح دعائي لا ينطوي على واقع ولا يكفله واقع.

12 ـ الاهتمام بالحركات الحربية في يوغوسلافية بقيادة تيتو ورسوخها:

والحركات الحربية في يوغوسلافية تحاط باستمرار بعناية ودعاية عجيبة بعد قيادة تيتو لها. ولقد أعلنت روسية اعترافها بحكومة تيتو، وأعلنت بريطانية أنها تساعده مساعدة كبيرة. وأذيع أن كلًا من روسية وبريطانية أرسلتا إليه بعثات عسكرية، وقيل فيما قيل أن جيش تيتو بلغ (250) ألفاً، وأنه منظم تنظيماً عسكرياً حسناً، وأن يشغل إحدى عشرة فرقة ألمانية، وأن حرب يوغوسلافية عظمت واشتدت إلى درجة أنها تعد جبهة قائمة بذاتها، وأنه حينما يأتي وقت الحركات الكبرى ستكون هذه الحرب قد مهدت السبيل لها وسهلت اندماج الحركات الجديدة في جبهة بلقانية كبيرة وخطيرة الأثر. ونسجل إزاء هذا الإذاعات المحورية بل والإذاعات السكسونية قولها أن الألمان أخذوا يجدّون في توقيف وإحباط حركة تيتو، وأنهم حشدوا قوات كبيرة وطوقوا مركز جيشه، حيث يبدو من هذا أيضاً أن الأخبار عن

حركات تيتو مشوشة ومتضاربة، وأن عنصر الدعاية والمبالغة فيها قويّ بارز. ولقد نشر فيما نشر أن الجنرال مخائيلوف قائد العصابات اليوغوسلافية السابق والمتواثق مع حكومة الملك في المنفى والذي هبطت قيمته وحرم من المساعدات، أخذ يبدي عداء نحو الحلفاء، حتى أنه لم يتورع عن التعاون مع الألمان، وتلقى منهم مساعدات وأنشب الحرب مع تيتو، وأخذت تقع بين العصابات اليوغوسلافية مصادمات دموية. .

هذا، ومما فعله تيتو إذاعة بيان بعدم اعترافه بالملك اليوغوسلافي، لأن هذا الملك متواثق مع حكومته، وأن هذه الحكومة ارتكبت جنايات وطنية كبيرة وسارت في سياستها إزاء الشعب سيراً ظالماً. وأذاع أيضاً إلغاء كثير من القوانين التي كانت أصدرتها هذه الحكومة وعزمه على منع الملك من العودة إلى البلاد.

ومهما يكن من أمر، فروسية صاحبة اليد الأقوى في يوغوسلافية وفي حركة تيتو. ولقد كان مخائيلوف متواثقاً مع بريطانيا ويتلقى المدد منها، فضغطت روسية عليها وجعلتها تقطع المدد عنه وتحوله إلى تيتو، وقد استجابت بريطانية لها لأن الذي يهمها الآن كما صرح بذلك أحد وزرائها في سياق كلامه عن تيتو في مجلس النواب هو إزعاج الألمان وتهيئة القوى الأكثر صلابة وإزعاجاً، وقد بلعت (الخازوق) لأن تيتو شيوعي كبير قديم. . . واشتداد أمر تيتو وضعف حسابات مخيائيلوف التي كانت تعمل لحساب الملك وحكومته أضعف مركز هذه الحكومة كثيراً، حتى صار الأسلوب الذي تذكر به في الإذاعات والتصاريح السكسونية أسلوب مسكنة وعدم اهتمام. . . ومما نشر ورأينا تسجيله قصة ذهب يوغوسلافية، حيث قيل أنه كان في خزانة الحكومة عشرون مليون جنيه ذهباً، فلما خرجت إلى المنفى مع الملك حملتها معها.

13 ـ اتساع حركات العصابات اليونانية:

والعصابات اليونانية الآن سائرة في ذات الطريق، فهي منقسمة على نفسها، ومنها ما هو متواثق مع الملك وحكومته في المنفى ومنها ما هو متواثق مع روسية. ومع أنه لم يظهر أحد من الفئتين على الأخرى، وأن الفئة المنسجمة مع الملك وحكومته ما تزال هي الأقوى نوعاً ما، فإن هناك بوادر تدل على أن الفئة الثانية (الشيوعية) آخذة بالاشتداد والقوة والسير على ما سار عليه تيتو. وقد أعلنت هذه الفئة إسقاط الملك وحكومته وإنشاء حكومة جديدة. وأثّر هذا على حكومة الملك بمثل التأثير الذي تأثرت به حكومة وملك يوغوسلافية على ما ذكرناه قبل.

14 ـ أرقام هائلة عن نفقات وإنتاج أميركا:

ومما نشر حديثاً عن إفتتاح أميركا أن ما أنشأته خلال 27 شهراً قد بلغ 25 مليون طن من المحمولات البحرية (أي سفن بحرية حربية وتجارية)، وأنها أنتجت في سنة 1943 ثمانية وثمانين ألف طيارة، وأنها صارت تملك أسطولين بحريين عظيمين كل منهما يفوق أسطول اليابان وأسطول الإنكليز معاً، واحد في البحر الأطلانتيكي وواحد في البحر الباسيفيكي، وأن عدد قطع أساطيلهم في سنة 1933 سيبلغ (41139)، وأن هذا العدد يساوي جميع أساطيل الأرض. وأنهم أنفقوا في

سنتي الحرب ما يعادل نفقات الحكومة الأميركية مائتي سنة. وتبلغ نفقاتهم اليومية نصف مليار دولار، منها واحد من عشرين فقط لمصالح الدولة الإعتيادية، والباقي للعمل الحربي. وهذه أرقام هائلة، ولو أن هناك احتمال مبالغة فيها. وتدل على كل حال على القدرة الصناعية والإقتصادية الأميركية، وعلى حماس أميركا الشديد لكسب الحرب، وتبعث في النفس رهبة ما يثير هذه القوات وهذه التضحيات الهائلة من مطامع وآمال ونشاط واتجاهات سياسة أميركية جديدة بعد الحرب. وهذا متسق مع ما قرره مجلس شيوخها وما يقوله سياسيوها وخبراؤها ورجال صناعتها واقتصادها...

ومما نشر أن ما أرسلته أميركا إلى روسيا الآن قد بلغ (7500) طيارة و(3500) دبابة و(150) ألف كميون و(2500) سيارة جيب و(15) ألف مدفع و(750) ألف ميل شريط تلفون. وأثارت هذه الأرقام عجباً لأنها قليلة جداً بالنسبة لعظمة الجيش الروسي ونشاطه وحاجاته حتى ظننا أن فيها غلطاً... ومما لفت نظرنا أن غلاء المعيشة في أميركا لم يزد إلى الآن إلا نحو 26٪ مما كانت عليه قبل الحرب. وهذا يعزى إلى سعة المنابع والحيوية الاقتصادية العظيمة، وإلى بعد أميركا عن ساحات الحرب الفعلية وعدم تأثرها بها. ونذكر في هذه المناسبة أن غلاء المعيشة في بريطانية وألمانيا هو في نفس النسبة، ويعزى هذا فيهما إلى شدة التنظيم ومتانة خلق الأمة ورعايتها له.

15 ـ مقارنة في أسعار المواد التموينية قبل الحرب وأثنائها في تركية:

وبالمناسبة نسجل أننا قرأنا مقالاً لكاتب تركي نشر في آخر أسبوع من كانون الأول خبر مقارنة بين أسعار المواد الغذائية في تركية قبل الحرب واليوم. ويبدو منه ارتفاع عظيم في بعض المواد التي تنتج أكثرها في تركية. وهذه اللائحة المنشورة:

الأرز كان الكيلو قبل الحرب 14 قرشاً وهو الآن 175 أي نحو اثني عشر ضعفاً. والفاصولية ثمانية قروش والآن 58 قرشاً، والحمص خمسة قروش والآن 45 قرشاً، والسمن أربعة وتسعين والآن 420، والزيت 38 والآن 208، والقمح أربعة قروش ونصف والآن 26، والسمسم ستة عشر قرشاً ونصف والآن 73,5، والبطاطا ثلاثة قروش ونصف والآن 23,5، والجبن ثلاثين قرشاً والآن 208.

ويلحظ أن هذه النسب أو قريب منها في أسعار المواد في بلاد الشام والعراق ومصر أيضاً. والمتبادر أن عدم تطبيق نظام تمويني دقيق كما هو الحال في بلاد أوروبا، جعل هذه النسبة ترتفع أضعافاً مضاعفة، في حين أنها لم تزد كما قلنا عن 26٪.

16 ـ بيان للزعيم الهندي المسلم محمد علي جناح عن مطالب الهند والمسلمين:

ومما قرأناه في الأيام الأخيرة بيان صادر من رئيس العصبة الإسلامية والزعيم الهندي المشهور محمد علي جناح، في المؤتمر الإسلامي الذي عقدته العصبة في بومباي مؤخراً. وقد تضمن البيان حملة على الإنكليز لعدم موافقتهم على تسليم أمور الهند لأهلها، وعلى إنشاء دولة إسلامية في المناطق التي أكثريتها إسلامية والتي يسميها مسلمو الهند

(باكستان= بلاد الأطهار). وقد قال فيما قال في بيانه أن الإنكليز يطلبون من الهنود تعاوناً، ولكن الهنود لن يتعاونوا معهم ما داموا يصرون على موقفهم، ومساعدة الهنود بالجبر والإكراه لن تجديهم نفعاً. ورد على شرشل فيما قاله أنه لا يريد تصفية الأمبراطورية، فقال أن تسلم الهنود أمور بلادهم لا يعني تصفية، لأنه يكون بموافقة الإنكليز ورغبتهم، وأن هذا يضمن لهم صداقة دائمة مفيدة، وأن التصفية قد تكون بغيضة إذا كانت بالإرغام.

***

9 كانون الثاني 1944
4 محرم 1363:

أولاً ـ اختيار تعليقات عن الشؤون والبلاد العربية ملخصة ومثبتة مما اطلعنا عليه من صحف عربية وغير عربية وسمعناه من إذاعات في الفترة السابقة:

1 ـ خطاب لسعد الله الجابري وتفصيلات وتعليقات في صدد ذلك وفي صدد الموقف الإفرنسي:

في جريدة فتى العرب تاريخ 1943/12/3 خطاب طويل لسعد الله الجابري ألقاه في مجلس النواب السوري جواباً على سؤال وجه للحكومة (عن ما تم في تثبيت سيادة واستقلال سورية واستلام المصالح والدوائر، والصلاحيات التي في يد الإفرنسيين، وفي مشاورات الوحدة).

وقد لحظنا في الخطاب ارتباك وتدخل، ويظهر أن سعد الله ارتجله ارتجالاً. وفيه مع ذلك أمور مهمة في صدد الأسئلة. وهذه زبدة أقواله:

(1) إن سورية لم تعترف في يوم ما بالانتداب ولا بمشروعية إشراف الأجنبي على ما يشرف عليه من دوائر هي في نظرها جزء من دوائر وصلاحيات الحكومة، وإشرافه عليها إنما هو مستند إلى القوة والتغلب لا إلى حق مشروع.

(2) إن سورية الآن تمارس استقلالها ممارسة فعلية، مستندة إلى حقها الطبيعي فيه الذي لم تقبله في وقت ما كمنحة أو عطاء من أحد.

(3) إن الحكومة قد خطت خطوات حاسمة في صدد ممارسة الصلاحيات التي كانت محرومة منها استناداً إلى القوة. وهذه الصلاحيات قسمان: قسم يعود إليها وحدها، وقسم تشترك فيه مع لبنان. والقسم الأول هو الاستقلال في التشريع وحق إدارة شؤون الجوازات والسفر والعشائر والأمن العام ومراقبة الصحف وحفظ الحدود وما شابه ذلك. وقد أبلغت الحكومة السلطات المختصة (يعني الإفرنسية) أنها لن تقبل أي تشريع أو قانون يصدر عن غير السلطة الدستورية المنبثقة عن المجلس النيابي أو لا يصدر عن المجلس النيابي. وقد أرسلت الحكومة هذا التبليغ منذ بضعة أيام. ونحن والحالة هذه غير مقيدين بأي قيد يحول دون استقلالنا التام في التشريع بواسطة هذا المجلس.

(4) وإلى هذا فإن الحكومة قررت ممارسة السلطات الأخرى فعلاً، وأبلغت ذلك للسلطات المختصة، وهي الآن تهيىء الموظفين الذين يجب أن يقوموا بإدارة الشؤون المذكورة ليباشروا مهامهم فعلاً. والداخل إلى سورية بعد الآن سيرى العلم السوري يرفرف على الحدود وعلى مراكز الجوازات والأمن، وموظفونا هم الذين سيؤشرون على الجوازات، وهم الذين سيدققون في أمر الدخول لسورية من وجهة نظر المصلحة السورية والقوانين السورية. ومراقبة الصحف ستكون للإدارة السورية البحتة وإشرافها، وكذلك الأمر في شؤون العشائر وما شابه ذلك. أما حفظ الحدود فإن حراسها الآن ليسوا موظفين مدنيين وإنما هم عسكريون بسبب ظروف الحرب ووجود جيوش الأمم المتحدة، وستتعاون مع هذه الجيوش في حفظ الحدود حتى تطمئن على سلامتها ونطمئن نحن على سيادتنا كما هو جار في البلاد العربية الأخرى.

(5) بقي قسم الصلاحيات التي نشترك فيها مع لبنان، وهي دائرة الجمارك ودائرة الشركات العامة ـ الإضاءة والقوة المحركة ـ وخط حديد جونية ـ بيروت ـ وحصر الدخان وإدارة العاديات (الآثار والمتاحف) والبنوك والمياه والتجارة البحرية والبرق والبريد والتلفون والمساحة واحتكار ملح البارود ورخص الأسلحة والشركات ذات الامتياز الأخرى. (هذه القائمة تكفي وحدها لمعرفة الخوازيق الفظيعة التي كانت في داخل إدارة البلاد في سورية ولبنان، وجيوش الموظفين الذين في دوائرها، وكثير منهم إفرنسيون، وغير الإفرنسيين منهم آلات للإفرنسيين يوجهونها وفق مآربهم الإستعمارية. والسياسة الاستعمارية في لبنان وسورية ظلت عشرين سنة تعمل على التفقير والتجهيل والتجسس والدس والفساد وإثارة النعرات الطائفية ومصادرة الحريات... الخ).

وليس أي اعتبار نظري أو حقوقي يخول السلطات الأجنبية ممارسة الصلاحيات في هذه الشؤون، ولا اعتبار الإنتداب الذي لم نعترف به ولم نعتبره. وقد كان الأجنبي يستند في حفظ هذه الصلاحيات في يده إلى عدم إمكان اتفاق سورية ولبنان عليها، ولقد اتفقنا مع لبنان فلم يبق أي سبب لبقاء الأجنبي ممارساً لها. ونحن لم نقم بأي مفاوضات مع الجانب الأجنبي من أجل ممارسة هذا القسم من الصلاحيات، لأن ذلك حق صريح لنا. ولما تباحثنا مع الجنرال

كاترو اعترف بأننا أصحاب الحق، وأننا بعد أن اتفقنا مع لبنان لم يبق عليهم إلا التسليم. ونأمل أن نجتمع قريباً مع حكومة لبنان وننشىء الإدارة التي تستطيع أن تقوم بالعمل الذي كان يقوم به الأجنبي أو بأفضل منه.

(6) إن الجانب الثاني (الإفرنسي) يطلب مقابل نقل هذ الصلاحيات ومقابل استمتاعنا بالإستقلال التام في ممارسة حقوقنا التشريعية والإدارية والسياسية أن نعقد معه معاهدة، ونحن لم نر هناك أية ضرورة لعقد معاهدة، لأن المعاهدات يترتب عليها نتائج كثيرة من سلامة الأرض وضرورات الحرب، كما أن هناك مواقف لا تخول الجانب الثاني شرعياً حق التعاهد. وهناك مصالح للبلاد لا يمكن تقييدها بمعاهدة في هذه الظروف، ولا يمكننا أن نتصور أو يخطر لبالنا أن الصلاحيات التي بدأنا نمارس قسماً منها ونريد أن نمارس باقيها، تعتبر رهينة في اليد ريثما تعقد معاهدة، ولا نظن أن الجانب الثاني يفكر أو يعول بذلك. والذي وقفنا عليه للآن هو اعتراف الجانب الآخر بحقنا في ما نطلب، وبضرورة التسليم بهذا الحق.

(7) وكلام سعد الله في صدد مشاورات الوحدة مشوش ومتداخل، ويفهم منه أن الوضع الذي كانت سورية راضخة له أضاع عليها ميزتها بكونها هي التي احتضنت فكرة القومية العربية وجعلها في معزل عنها مدة طويلة، وأن من حظ هذه الفكرة أن احتضنتها بلاد عربية أخرى وتعهدتها، وخاصة مصر التي لها ميزات عديدة تساعدها على ذلك، كما أن العراق والمملكة السعودية بذلتا جهداً كبيراً في هذا السبيل، فسارت المشاورات في سبيل الوحدة شوطاً كبيراً برعاية النحاس باشا، مستهدفة توطيد التضامن بين الأقطار العربية وإيجاد روابط بينها تكفل لها جميعاً الرخاء والهناء والقوة. وأن النحاس سيدعو إلى مؤتمر عربي يعقد في القاهرة تتمثل فيه جميع الحكومات العربية لتعيين الشكل الذي يربط بين هذه الأقطار وخاصة من الناحية السياسية. وأن مما لا شك فيه أن الخطوة جريئة بالنسبة لحالة البلاد العربية الحاضرة ولما فيها، وخاصة لما كان في سورية ولبنان من عقبات. وهذه العقبات جعلتنا نهتم كثيراً لتوطيد استقلالنا وسيادتنا حتى لا يحول دون إرادتنا حائل ما. وسورية التي عرفت كيف تضحي قد وضعت نفسها رهن إشارة البلدان العربية في كل ما تتفق عليه في سبيل القضية المشتركة.

ولخص سعد الله نقاط خطابه بعد الإنتهاء منه بما يلي:

(1) إنه لا يوجد انتداب.

(2) ليس هناك تفكير بارتباط بمعاهدة.

(3) إن الصلاحيات ستنتقل إلينا وما نقل منها سيستكمل.

(4) إن البلاد العربية تسعى الآن للاتحاد، وسعيها سائر في طريقه الطبيعي ونرجو أن يتم.

(5) إن هناك ضرورات حربية هي نتيجة للمساهة في مجهود الأمم المتحدة في سبيل النصر.

(6) إن هناك ظروفاً حربية فرضها وجود جيوش الأمم المتحدة.

ومما ذكرته فتى العرب أن فخري البارودي أثار قضية المستشارين الإفرنسيين، وأن غيره أثار قضية المعتقلين، وأن رئيس الحكومة (سعد الله) قال أن حكومته ستبذل أقصى الجهد في هذا الشأن، وأن المعتقلين سيطلق سراحهم جميعاً. وكل ما في الأمر أن المعتقلات عديدة، والأمل بأن يتمتع الجميع بكامل حرياتهم في وقت قصير..

وفي عدد فتى العرب 5 كانون أول 1943، ذكر أن خطاب سعد الله التاريخي كان حديث الناس على اختلاف أوساطهم وهيئاتهم وطبقاتهم، وقابلوه بالتأييد، وتنادوا إلى تأليف الوفود وذهابها إلى قصر الجمهورية مؤيدة شاكرة. وبدأ ذلك فعلاً، فلم يبق حي من أحياء المدينة ولا هيئة من هيئاتها إلا وألفت وفداً زار قصر الجمهورية وخطب أمام الرئيس شاكراً ومؤيداً. وقد ظل رئيس الجمهورية ست ساعات طويلة يستقبل الوفود ويسمع خطاباتهم وشكرهم، ويجيب بكلمات طويلة أو قصيرة شاكراً واعداً بالإستمرار على هذه الخطة، وكونها غاية الحكومة وهدفها، وهي حق الأمة والبلاد، وحاثاً على الاتحاد والتضامن في سبيل توطيد هذا الحق والموقف، ومنوهاً بجهاد الأمة ومواقفها في سبيله.

والذي يتبادر لنا أن رجال سورية رأوا أن يقفوا هذا الموقف ويعلنوا هذا الإعلان عن مركز سورية الحقوقي والواقعي، وعن تمتعها باستقلالها وسيادتها وتحررها من كل قيد من القيود التي كان الإفرنسيون يقيدونها بها بين يدي ما كانوا قادمين عليه من مداولات مع الجنرال كاترو، ورأوا أن يدعموا موقفهم وإعلانهم هذا بتأييد عام من طبقات الشعب وببث روح الحماس فيها، حتى يعرف كاترو خطورة الموقف وقوة العزيمة فيهم فلا يحاول مساومة ولا تشدداً لن ينال منهما فائدة وجدوى. وما جاء في خطاب الجابري بشأن العزم على عدم عقد معاهدة غاية في الحكمة والمنطق.

ولقد قرأنا في فتى العرب تاريخ 1943/12/1 تصريحاً لرياض الصلح فيه بعض التشابه لروح خطاب الجابري، حيث قال أن لبنان يؤيد المجهود الحربي ويسانده حتى نهاية الحرب، لأن استقلال لبنان منوط بانتصار الحلفاء، وأن ربط لبنان بمعاهدة الآن مع فرنسة ليس من شأنه أن يؤيد استقلاله، وأنه لا يرى فترة الحرب الحالية فترة ملائمة لعقد أي اتفاق. ومما لا شك فيه أن هناك تفاهماً تاماً بين رجال حكومتي سورية ولبنان على هذه الخطة الحكيمة المنطقية وعلى الموقف الذي يجدر بالحكومتين أن تقفاه إزاء كاترو ومفاوضاته. ولا نشك في أن القوة والعزيمة في خطاب الجابري وموقف الحكومة السورية الذي عبر عنه فيه مستمد مما كان من موقف بريطانية من أزمة لبنان واضطرارها الإفرنسيين به إلى التراجع عن ما بدا منهم من بغي.

ولقد قرأنا مؤخراً في الصحف التركية برقيات تذكر أن المفاوضات بين حكومتي لبنان وسورية من ناحية وكاترو من ناحية قد انتهت إلى تفاهم على حق الحكومتين بممارسة الصلاحيات التي كانت تمارسها دوائر إفرنسية أو تحتفظ بها فرنسة. ونعتقد أن لذلك الموقف والعزيمة أثرهما في هذه النتيجة التي انتهت اليها المفاوضات، وكل ما نتمناه لإخواننا الثبات والتوفيق والسداد.

2 ـ بيان رسمي أميركي في صدد انفراج أزمة لبنان:

في فتى العرب 1943/12/1 تصريح أميركي رسمي عن لبنان في برقية من واشنطن، جاء فيها أن أمانة سر الدولة الأميركية (الراجح أنها وزارة الخارجية)، أذاعت البيان التالي:

(تلقت الحكومة الأميركية بارتياح قرار وعمل اللجنة الإفرنسية بإطلاق سراح رئيس جمهورية ووزراء لبنان وإعادتهم إلى مناصبهم، وإلغاء المراسيم الصادرة بتاريخ 1943/12/11

القاضية بتعليق الدستور وحل مجلس النواب اللبناني، وتعيين رئيس دولة ورئيس حكومة للبنان. ولقد قام الموقف الحالي في لبنان على أساس طبيعي. وتنظر حكومة الولايات المتحدة بأمل وطيد أن تجري مفاوضات ودية في جو ملؤه حسن النية يبديها الطرفان المتفاوضان لحل قضية استقلال لبنان وسورية حلًا أساسياً. ولقد حددت معاهدة (1924) التي عقدت بين فرنسة والولايات المتحدة حقوق أميركا النهائية في ما يتعلق بلبنان وسورية، وعبرت الحكومة الأميركية في الماضي عن عطفها على أماني الشعبين اللبناني والسوري التي نوهت بها اللجنة الوطنية الإفرنسية سنة 1941 فيما يتعلق بتمتع البلدين بالاستقلال التام. ولقد تلقت حكومة الولايات المتحدة نبأ إعلان استقلال سوريا ولبنان بسرور اعتقاداً منها أن هذا التدبير يرمي إلى تحقيق أماني شعبي البلدين. ولقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة اعترافاً محدوداً بالحكومتين اللتين نشأتا تحت رعاية اللجنة الافرنسية بطريق إرسالها ممثلين سياسيين لها في لبنان وسورية. ولقد بررت حكومة الولايات المتحدة بقيام حكومتين منتخبتين في دولتي سورية ولبنان منذ وقت قصير، وحوض البحر الأبيض الآن ميدان حربي. وإذا كانت مسؤوليته عائدة إلى السلطات الإنكليزية فإن كل نشاط يظهر منه من شأنه أن يكون عقبة في سبيل كسب الحرب وكل هذا النشاط يهم جميع الأمم المتحدة).

والتصريح قوي ويوثق المركز الذي نالته سورية ولبنان، ويؤكد كون الأمر غير محصور بين فرنسة من جهة وسورية ولبنان من جهة. والراجح أن كلمة (كل نشاط) قد قصد بها كل هياج واضطراب، وهذا مما كان نتيجة لأزمة لبنان التي أثارتها الحماقة الإفرنسية..

3 ـ بيان للنحاس في صدد أزمة لبنان وتعليق على ذلك:

في عدد فتى العرب 1943/12/7 نص بيان صدر عن النحاس عقب انتهاء أزمة لبنان جاء فيه: (إنه ليسعدني وقد اجتاز لبنان الآن المحنة التي نزلت به أن أرى هذا القطر الشقيق قد قطع شوطاً خطيراً في تاريخ استقلاله التام، ولقد هزت العالم أجمع تلك الضجة المدويّة التي أثارها ما ارتكب من خطير الأغلاط، ولم أتردد منذ اللحظة الأولى في أن أحتج باسم مصر على ما وقع احتجاجاً شديداً. وأجد لزاماً عليّ أن أقرر أن الشعوب العربية على بكرة أبيها قد ضمت صوتها إلى صوت مصر في هذا الاحتجاج. ولقد دلت الرسائل التي تلقيتها من الحكومات العربية على تضامنها التام معنا متى نزلت ببلد عربي محنة أليمة أو مرت عليه ساعات عصيبة. وليس من شك في أن أبناء العروبة قاموا بنصيب موفور في سبيل حل الأزمة، إذ وجهوا الأنظار إلى النتائج الخطيرة التي كانت تنجم عن التردد في معالجة هذه الأزمة التي لا مسوغ لها. وأرى من واجبي أن أقرر أن المعونة التي أسدتها الدولتان الديمقراطيتان العظيمتان بريطانية وأميركا كانت عظيمة الأثر في تصفية الموقف، وأن جهودهما لتوكيد احترام ميثاق الأطلانطي قامت دليلاً قاطعاً على أن هذا الميثاق حقيقة ملموسة وليس مجرد ألفاظ تكتب وكلام يقال. وأود أن أصرح كذلك بأن تدخل الجنرال كاترو كان موفقاً كل التوفيق، وأن اعترافه بجسامة الخطأ الذي ارتكبه فريق من الموظفين الإفرنسيين يستحق الحمد والتقدير، وأن الروح التي عالج بها الأزمة تبعث في نفوسنا الأمل في نجاح المفاوضات الدائرة بين ممثلي لجنة التحرير

الإفرنسية وممثلي سورية ولبنان، وهو أمل يود الجميع أن يتحقق. وإني لشديد الأسف على أنني لم أتمكن من الرد شخصياً على رسائل الشكر العديدة وبرقيات التهنئة الكثيرة التي تلقيتها من لبنان وسورية وفلسطين والأرجنتين وشيلي والبرازيل والمكسيك والولايات المتحدة والهند والأورغواي وكولومبيا وجنيف. وأراني في موقف العجز عن الإجابة، أشعر بأن هذا الشكر سيتجاوز شخصي إلى مصر التي كنت في وقفتي للدفاع عن الحق المتحدث باسمها الناطق عن عاطفتها وشعورها)..

4 ـ حول انضمام مصر لميثاق الأطلانطي ومدى ذلك:

قرأنا في أهرام 1943/12/29 برقية من لندن، جاء فيها: «أن نبأ التبليغ الخاص بانضمام مصر إلى ميثاق الأطلانطي قوبل بأعظم الارتياح في دوائر لندن السياسية. وقد كان الموقف الذي اتخذته مصر طيلة مدة الحرب دليلاً مقنعاً لدى هذه الدوائر على ارتضاء مصر بمبادىء الميثاق وإيمانها به. وينطوي تبليغ مصر الرسمي هذا دليلاً جديداً، إذا كان ثمة دليل على صدق عزيمة مصر أن تتبوأ مكاناً بارزاً بين الأمم في العهد الجديد الذي سيفتتحه انتصار جيوش الحرية والخلاص. وقد ساد الشعور في هذه الدوائر بأن هذه الخطوة الرسمية من جانب دولة تتمتع بنفوذ كبير بين الأمم العربية سيكون لها آثار كبيرة في مستقبل الدول العربية في العالم الجديد». والبرقية عظيمة لا تحتاج إلى تعليق..

5 ـ تطلعات عربية وغربية جديدة نحو الوحدة ومداها:

وفي عدد الأهرام نفسه خبر ذهاب وفد يمثل لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق إلى رئاسة مجلس وزراء مصر وتقديمه مذكرة تضمنت أماني مراكش (المغرب الأقصى)، بمناسبة انضمام مصر إلى ميثاق الأطلانطي، وهذه الأماني تتلخص بإلغاء النفوذ الإفرنسي الأسباني عن المغرب، وإعطائه حق تقرير مصيره وانضمامه إلى الوحدة العربية. وقد قدمت اللجنة إلى السفارة البريطانية والمفوضية الأميركية في مصر مذكرة طلبت فيها تطبيق ميثاق الأطلانطي على مراكش، مشيرة إلى مساهمة المغرب في خدمة قضية الحلفاء. وهذا مظهر للنشاط الجديد المستلهم من النشاط العام في مجال الفكرة العربية والقومية والقضايا العربية، سبقت منه مظاهر أخرى مماثلة مغربية أشرنا إليها في أسبوعيات سابقة.

6 ـ تصريح لوزير بريطاني عن أحوال الشرق الأوسط ومداه:

قرأنا في أهرام 1943/12/30 حديثاً لكايسي وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط، الذي نُقل حاكماً للبنغال، أدلى به إلى مراسل جريدة إنكليزية في القاهرة وجاء فيه: «لقد انتهى وجه من وجوه الحالة في الشرق الأوسط، غير أنه قد تقع متاعب كبيرة هنا خلال الفترة ما بين انهزام ألمانيا وانهزام اليابان، ولهذا قدمت توصيات بشأن معالجة الأمور في جميع بلدان الشرق الأوسط، وإني أرجو أن يستمر منصب وزير الدولة فترة طويلة».

ومما جاء في الحديث أيضاً «أن الشرق الأوسط بعد انهزام ألمانيا سيكون ميداناً واسع الأرجاء لمرور الرجال والعتاد، ومركزاً للتموين ومحطة وسط الطريق تستريح فيها القوات التي تذهب إلى معركة الباسفيك. وأن ضرورات

السياسة العليا تقضي بأن تكون بلدان الشرق الأوسط هادئة وراضية».

وفي مطاوي هذا الحديث أمور عديدة، والراجح أن الوجه الذي انتهى هو أزمة لبنان، وبلادنا ستظل أمداً طويلاً محطات مرور ومحطات جيوش، وهو ما يجعل لها خطورة عظيمة في حساب السكسونيين، ولسوف يكون مشاكل وتعقيدات، ولذلك يوصي بأن يكون نهج السكسونيين حازماً ومهدئاً ومرضياً. ويبدو لنا أن هذه التوصية هي للمسايرة أكثر منها لمنح البلاد حقوقها التي تجعلها راضية هادئة متعاونة. . . غير أن زعماء البلاد إذا أدركوا مدى الفرصة السانحة بسبب مركز بلادهم الخطير هذا، يستطيعون أن يوطدوا لها مركزاً قوياً يضمن رضاءها الفعلي في الإتحاد والاستقلال والتضامن. وإننا لنأمل أن لا يضيع زعماء البلاد هذه الفرصة.

7 ـ مقال في التايمس عن المفاوضات بين فرنسة وسورية ولبنان في صدد المصالح المشتركة ومداه:

قرأنا في عدد الأهرام المذكور أيضاً برقية لرويتر من لندن، فيها تلخيص لمقال رئيسي نشرته التايمس بمناسبة الوصول إلى تفاهم تام حول المصالح والصلاحيات في سورية ولبنان بين حكومتيهما والجنرال كاترو. ومما جاء في التلخيص الإشارة إلى ما كان من تزايد غليان الشعور العام في سورية ولبنان واحتمالات شموله لبلاد العرب الأخرى حين نشبت أزمة لبنان. وفيها ثناء على كاترو الذي تمكن من تفريج الأزمة، وعلى قراره بالتخلي عن جميع السلطات التي كان يضطلع بها الإفرنسيون حتى الآن.

ومما جاء في البرقية أن اللجنة الإفرنسية بموافقتها على تسليم جميع المصالح المشتركة نمت عن الرغبة المتزايدة في توثيق عرى التعاون السياسي والاقتصادي بين البلاد العربية، ذلك التعاون الذي يزداد توثقاً بين الأمم العربية في الشرق الأوسط، ويساعد حكومتي سورية ولبنان على اتخاذ التدابير التي تؤدي في النهاية إلى توسع نطاق الاتحاد العربي الأكبر الذي يعد هدفاً من أهداف السياسة البريطانية في الشرق الأوسط، واللجنة الإفرنسية، لعلها قد بددت جميع الظنون القائلة بأن السياسة الإفرنسية والبريطانية تجاه الدول العربية تقوم على أساس (فرق تسد)، ومنحت سورية ولبنان الإستقلال الذي تصبوان إليه. والمقال والحالة هذه قوى واسع المدى، وفيه ما يبعث على التطمين بدون ريب. . ونرجو أن يكون جيداً والنتائج مرضية وعاجلة.

8 ـ خبر الاتفاق الإفرنسي السوري اللبناني في صدد المصالح:

وقرأنا في أهرام 1943/12/26 خبر الاتفاق الرسمي على استلام الصلاحيات والمصالح المشتركة. فقد عاد كاترو من الجزائر مزوداً بتفويض مطلق بالوصول إلى حل نهائي على ما يظهر في صدد الموقف في لبنان وسورية. فجرت المفاوضات بينه وبين ممثلي الحكومتين انتهت بالإتفاق والتوقيع.

وفي العدد نص بيان رسمي بذلك وهو: (تم الاتفاق اليوم 1943/12/24 بين فخامة قائد الجيش كاترو المكلف بمهمة، وبين ممثلي الحكومتين السورية واللبنانية، على استلام هاتين الحكومتين الإختصاصات التي تمارسها إلى الآن السلطات الإفرنسية باسمها، وستنقل

بموجب هذا الإتفاق المصالح المشتركة وموظفوها إلى الدولتين السورية واللبنانية مع حق التشريع والإدارة اعتباراً من أول يناير 1944). أما الأساليب المتعلقة بانتقال الإختصاصات فستكون موضع اتفاقات خاصة، والبيان، الذي هو كما يبدو نص الإتفاق، موقع باسم سورية من سعد اللّه الجابري وجميل مردم وخالد العظم (هذا كان وزير المالية)، ومن رياض الصلح وسليم تقلا باسم لبنان، ومن كاترو وشانتينو وكيل المندوب، وروجيه مفوض المالية في المندوبية باسم فرنسة.

وقد تلي البيان الإتفاق يوم توقيعه في مجلس نواب سورية ولبنان وقوبل بالإبتهاج والأفراح في طول البلاد وعرضها. وقامت مهرجانات شعبية، وأخذ الناس يهنئون بعضهم بعضاً. واعتبر هذا العمل المظهر الصحيح لاستكمال الإستقلال والسيادة الوطنية. وقد أقام شكري القوتلي وليمة عشاء قبل اليوم الذي تم توقيع الاتفاق فيه حضرها أعضاء الوزارتين السورية واللبنانية، وفي اليوم التالي دعا الجنرال كاترو شكري القوتلي وأعضاء الوزارتين السورية واللبنانية إلى مأدبة غداء في مقر المفوضية في الجسر الأبيض (دمشق). وقد أدلى رياض الصلح بتصريح جاء فيه أن البلاد تستقبل بهذا الاتفاق استقلالها، وأن القسم السياسي من برنامج وزارته قد تحقق. وأقام جميل مردم مأدبة غداء تكريماً لكاترو حضرها معتمدو الدول والوزراء اللبنانيون والسوريون وكبار ضباط الحلفاء، وخطب خطبته قال فيها: (إن الاتفاق الذي تم يعد فوزاً ثلاثياً، فهو أولاً فوز لفرنسة، إذ تبين أن اللجنة الإفرنسية بموافقتها عليه عملت بمبادىء الثورة الإفرنسية التي غمرت وما تزال تغمر العالم بروحها الحرة الكريمة. وهو ثانياً فوز للأمم المتحدة لأنها تتفق مع مبادىء وثيقة الأطلانطي. وهو ثالثاً فوز لسورية ولبنان لأنهما تصبحان به دولتين متمتعتين بالسيادة..

وخطب كاترو فأشار إلى الخطاب الذي ألقاه الجنرال ديغول في قسنطينة، وأعلن فيه أن فرنسة لا تزال دولة كبرى تحارب في سبيل مبادىء الحرية والإخاء والمساواة بين الشعوب وهي الأمة التي تحالف الشعوب الصغيرة وترفع مستواها..

وقال مراسل جريدة الأهرام التي نستقي من عددها المذكور ما سجلناه آنفاً، أن من المرجح أن تعقب الحفلات مفاوضات تكميلية للإتفاق على بعض التفاصيل.

ولقد قرأنا في جريدة يني عصر التركية التي تصدر في أزمير، على أيام متتالية منذ أوائل كانون الثاني، أخباراً عن مداولات جرت بين الحكومتين السورية واللبنانية وبين الجنرال كاترو ومعاونيه حول هذه التفاصيل، انتهت بتوقيع الاتفاقية، وأخذت الحكومتان بعد ذلك تمارسان الصلاحيات التي انتقلت اليها. وليس من ريب في أن هذه خطوة حاسمة ومباركة في تاريخ نضال سورية ولبنان. ونرجو أن تكون تدشيناً صادقاً لانتهاء عهد فرنسة فيهما، ذلك العهد البغيض ووجهه الانتدابي الاستغلالي الدسائسي. ومما لفت نظرنا في خطاب كاترو، أنه لم يكرر كلمات جميل مردم بأن لبنان وسورية أصبحتا ذاتي سيادة. وأنه اكتفى بالتنبيه على أن فرنسة ماتزال دولة كبيرة تحالف الشعوب الصغيرة وترفع مستواها. وينطوي في هذا معان عديدة وبعيدة، ومما فيها مَنٌّ كاذب، فما هي الشعوب الصغيرة التي حالفتها فرنسة ورفعت مستواها؟ وكل الشعوب التي اتصلت بها تحفظ لها أبغض الذكريات وأسوأ الأمثلة

والمشاهد الإستغلالية والاستعمارية والدسائسية.

ومما لفت نظرنا أيضاً ما جاء في أهرام 1943/12/26، من أن سعد الله الجابري بعد أن تلا نص الاتفاق في مجلس النواب، قال أن الجانب الإفرنسي وافق على تسليم القوات الخاصة بسورية للحكومة، ونفقاتها خمسة وثلاثون مليون ليرة. والرأي لكم في البت في الأمر. ثم قال بعدها أنه ستؤلف إدارة مشتركة للمصالح المشتركة، وستنشأ إدارة للأمن، وسيبقى الأمن الإفرنسي للجيوش. ثم أطرى الجهود التي بذلها كاترو المفوض الإفرنسي... والمرجح أولاً أن الرقم غلط، وأنه ليس أكثر من ثلاثة ملايين ونصف. وهذه القوات الخاصة هي الجيش السوري الخليط من الشركس والأرمن والدروز والتيارين والمرتزقة الآخرون وضباط خليط مثله. وليس من المعقول أن يبقى هذا الجيش بعجزه، جيش سورية العربية القومية. وكل المعقول هو أن تقبل الحكومة الأساس، وهو ارتفاع اليد الإفرنسية عن الجيش السوري. والواجب بعد هذا أن يعاد تأليفه على أساس يتسق مع الفكرة القومية ومع المصلحة السورية القومية. ووجود جيش سوري عربي قومي ضرورة لا مناص منها، ونرجو أن يتنبه الإخوان لهذا وذاك، وأن لا يكونوا قد تقيدوا بقيود تنسف أمل قيام جيش سوري عربي قومي لائق بحكم وطني مستقل.

والمتبادر ثانياً أن الشرطة الإفرنسية هي التي عنيت بالأمن الإفرنسي، وقد صارت مهمتها مهمة أمنية عسكرية بالنسبة للجيوش الحليفة الموجودة في سورية بما فيها القوات الإفرنسية والتي وجودها متصل بظروف وضرورات الحرب.

ومما لفت نظرنا أن الإتفاق لا يحتوي وصفاً لممثلي الجانب الإفرنسي، واكتفى بسرد اسمائهم. ويتبادر لنا أن في هذا مصلحة لفكرة السيادة القومية، لأن أي وصف يوصفون به الآن سيكون مستمداً من معنى الإنتداب الافرنسي وهذا غير ملائم.

وقرأنا في أهرام 1944/1/2 برقية من لندن، جاء فيها أن الحكومتين السورية واللبنانية بدأتا منذ اليوم بممارسة إدارة الجمارك وغيرها من المصالح التي كانت تديرها السلطات الإفرنسية، وأن اتفاقات أخرى مفصلة لكل مصلحة ينتقل فيها الإشراف إلى أيدي الحكومتين. وجاء في البرقية أيضاً أن القوات الوطنية السورية واللبنانية ستتطور بقيادة الإفرنسيين وتواصل عملها في حفظ النظام والأمن، كما أنه سيبقى فرع إدارة أمن عام إفرنسي وبريطاني في كل من سورية ولبنان. وأثار هذا الخبر الأخير قلقنا، لأنه ينطوي على ثغرات خطيرة وخوازيق وخيمة العاقبة.

وفي الأهرام نفسه برقية من بيروت جاء فيها أنه أعلن في كل من مجلسي نواب سورية ولبنان نص الإتفاق الذي تم بين الحكومتين السورية واللبنانية بشأن المصالح المشتركة، يقوم على أساس تأليف مجلس مشترك لتوزيع إيراد هذه المصالح. وجاء فيها كذلك أن رياض الصلح أدلى في مجلس النواب ببيان قال فيه فيما قال: (بمناسبة ذكر بعض الصحف كلمة الإنتداب في سياق بحثها عن الاتفاق، أرى لزاماً عليّ أن أصرح بأننا قمنا بالمباحثات على أساس الإستقلال والمساواة ومفاوضة الند للند). وهذا حسن، ولكن الثغرات التي ظلت في صدد الجيش والأمن تظل مهددة بالخطر.

وفي العدد نفسه برقية من دمشق، جاء فيها

أن سعد الله الجابري تلا الاتفاق، ثم قال أن بدء الممارسة للجمارك والأمن والحدود سيكون في مطلع السنة الجديدة، وأن الموظفين قد أعدوا، وأنه قد تم الاتفاق أيضاً على أن تتسلم الحكومة نصيبها من سكة حديد الحجاز.

9 ـ تعديل وزاري في العراق:

كنا قرأنا في الصحف التركية خبر استقالة نوري السعيد دون ذكر سبب. وقد قرأنا في أهرام 1943/12/26 أن نوري هو الذي ألف الوزارة من جديد، وأنها تألفت من توفيق السويدي نائباً لرئاسة الوزارة، (وهذا منصب مستحدث)، وعمر نظمي للداخلية، ومحمود صبحي الدفتري للخارجية، وعلي ممتاز للمالية، وصادق البصام للمواصلات، وأحمد مختار بابان للعدلية، وسليمان البراك للاقتصاد، وعبد الاله حافظ للمعارف، ومحمد حسن كبه للإجتماع، وماجد مصطفى وزير دولة (وهذا منصب مستحدث أيضاً). وبعض هؤلاء الوزراء كانوا في الوزارة، لكن أكثر الوزراء جدد. ومما نعرفه عن أشخاصهم يمكن أن نقول أن نوري حاول بهذه التشكيلة الجديدة أن تكون وزارته ائتلافية وقومية معاً. فالسويدي ليس من حزبه، وعلي ممتاز والبصام من جماعة طه الهاشمي، وكانا خرجا من وزارة نوري سابقاً بسبب خلاف وقع بينهما وبينه.

ولقد كنا قرأنا سابقاً في صحيفة تركية أن جميل المدفعي انتخب رئيساً لمجلس الشيوخ. وكان من التقاليد أن يشغل هذا المنصب شيعي، وقد شغله الشيخ محمد الصدر سنوات عديدة مستمرة. ثم قرأنا أن رئاسة مجلس النواب أسندت إلى البراك وهو شيعي، فكان في ذلك تعويض للشيعة. ولكنا مازلنا نجهل سبب إقصاء الصدر. والآن يأتي البراك ليشغل منصباً وزارياً، ولا ندري هل يسند منصب رئيس مجلس النواب إلى شيعي أم لا.

ولقد تكررت استقالة نوري وعودته للرئاسة بعد استقالته لتشكيل حكومة جديدة وفقاً لما تمليه الظروف التي تحمله على الإستقالة من أجل ذلك من آن لآخر. ونلمح على كل حال أن هذا يدل على عدم استقرار، ويدل على أن نوري والوصي المنسجم معه يحاولان معالجة ذلك بمثل هذه التشكيلات الترقيعية. على أننا نقول أن التشكيلة الأخيرة حسنة، ولعلها تفيد في الإستقرار المنشود.

ثانياً ـ أخبار وتعليقات عن السياسة والحرب العالمية:

1 ـ كان بدء السنة الجديدة مناسبة لتصريحات وخطابات رسمية لزعماء الطرفين المتحاربين تضمنت حقائق ودعايات وشرحاً للمواقف. وهذا عرض موجز لذلك:

أ ـ خطاب هلتر في مناسبة السنة الجديدة عن الحرب والسياسة:

أطول الخطب وأهمها كان خطاب هتلر، وفيه اعتراف بخطورة الموقف، والفرق كبير بينه وبين خطبه السابقة. ولقد قال فيما قال:

(1) إنه لن يكون في هذه الحرب غالب ومغلوب فقط بل ساحق ومسحوق، والمسحوق لن يبقى له وجود، والساحق يكون منهوك القوى. وأن هذه الحرب قد فقدت فيها الرحمة، وهي حرب موت وحياة، والألمان إنما يقاتلون تفادياً من الموت.

(2) إن سنة 1943 أتت لنا بخسائر كبيرة وفشل كبير. والسبب الرئيسي في ذلك هو انهيار

إيطالية بسبب ما كان فيها من خيانة. وقد اضطررنا إلى توزيع قواتنا في ساحات كثيرة بسبب ذلك.

(3) إن الجيوش الألمانية انسحبت مئات الكيلومترات بدون حرب وبدون إجبار. وهذا كان وفقاً لخطط لا يصح أن يعرفها الجمهور، وكل ما يجب أن يعرفه الألماني أن كل ما عمل إنما عمل بخطة وضمن نطاق ضروراتها.

(4) إن واجبنا كسب الحرب، وهذا ضرورة لا مناص لنا منها، ويجب أن نعمل كل شيء في سبيل تحقيق ذلك. ونحن مازلنا على إيماننا بأن الفوز النهائي هو لنا.

(5) إن السكسونيين يشنون حرب أعصاب علينا بمساعدة الروس، ولا يفتأون ينذرون بغزو أوروبا. وهذا ليس جديداً وهو طبيعي ومنتظر. ولقد جاؤوا مرة إلى أوروبا وعرفوا ما حل فيهم، وسوف تكون نتائج مجيئهم للمرة الثانية أشد وأنكى من سابقتها، وقد اتخذنا تدابيرنا كلها. واطمئن الألمان بذلك كل التطمين.

(6) لقد تفوقنا في بحر إيجة، ومركزنا في جزره قوي، وكذلك في البلقان. وإذا خطر للسكسونيين أن يأتوا إلى الجزر فسيجدون فيها ما لم يجدوه في شمال إفريقية الذي إنما غلبنا فيه لخيانة الإفرنسيين لنا.

(7) إذا كانت سنة 1943 مرت بصعوبات، فإن سنة 1944 ستكون نقطة تحول في تاريخنا. وسنسترد فيها ما أضعناه في السنة السابقة، وسننتقل فيها من الدفاع إلى الهجوم. وسنكيل لأعدائنا بالكيل الذي كالوه لنا في القصف.

ونقول تعليقاً على الخطاب إن هتلر مهما تجلد فيه، فإن خطورة الموقف وشدة الهول التي لقيها الألمان واضحة فيه. وفرق عظيم بين أسلوب خطابه هذا وأساليب خطبه في السنين السابقة. ولقد كان خطاب هتلر موضوع تعليقات واستنباطات ودعايات كثيرة في المصادر السكسونية، وقد وصفته بالضعف، واستدلت منه على الجزع والإضطراب وقرب الإنهيار والاستسلام. الخ الخ.

ب ـ نداء غورينغ وغوبلز للشعب الألماني :

وفي مناسبة أول السنة أذاع غورينغ وهو ثاني رجل ألماني، نداءً للشعب الألماني دعاه فيه إلى استمرار ثقته في هتلر وإلى التحمل والتضحية.

وأذاع غوبلز وزير دعاية ألمانيا بدوره بياناً ندد فيه بالسكسونيين ووصفهم بمن يحفر قبره بيده بمساعدتهم للشيوعية التي أخذ الألمان نضالها على عاتقهم وحدهم، وقال أن السكسونيين قد يحاولون في السنة الجديدة الخروج إلى أوروبا الغربية إطاعة لأوامر ستالين، فليأتوا ليروا فيها ما أعددناه لهم وما رأوا دليلاً عليه في جبهة إيطالية من أهوال. وقال أيضاً أن ما أمّله أعداء ألمانيا في سنة 1943 لم يتحقق. وأن جيوش ألمانيا وصناعة الحرب الألمانية ماتزال قوية، وأن قدرة ألمانيا على المقاومة ووسائلها الغذائية وغير الغذائية مازالت كبيرة. ثم تكهن بأن تكون سنة 1944 عظيمة الهول في تاريخ الحرب، وأنه لا يتوقع أن تنتهي الحرب فيها.

جـ ـ خطب متنوعة في المناسبة :

وخطب رئيس وزراء اليابان، فقال إن اليابان قد توحدت فلم يبق فاصل بين الجبهة والأمة. والكل متحد على الانتصار على السكسونيين. ونوه بالألمان الذين يحملون على أكتافهم وحدهم أعظم ما يمكن تصوره من القوى الروسية والسكسونية.

وخطب إثلي نائب رئيس الوزارة البريطانية، فقال إن سنة 1943 كانت مملؤة بالنكبات على ألمانيا براً وبحراً وجواً، وأن الألمان الآن يتلقون جزاء ما فعلوه في بريطانية حينما كان الظرف مساعداً لهم. وما رأوه في سنة 1943 لن يعد شيئاً مما سوف يرونه في سنة 1944 وبخاصة من القصف الجوي.

وخطب شيانج كاي شاك، فقال إن سنة 1943 انتهت، وأمارات الانهيار بادية في صفوف المحور، بينما تزداد خطوات الحلفاء قرباً نحو النصر، وستكون السنة الجديدة بدء دور جديد في تاريخ العالم شرقه وغربه.

وخطب روزفلت فقايس في خطابه بين سنتي 1942 و1943 وأشار إلى انتقال المبادرة في سنة 1943 إلى أيدي الحلفاء واستمرارها بشدة أقوى في سنة 1944، وقال أن الحلفاء في نضالهم ضد المحور إنما يناضلون في سبيل أهداف الإنسانية العليا وحريات العالم وتوطيد التعاون بين أممه على أساس المساواة والعدل. .

2 ـ مقال لويلكي منافس روزفلت فيه نقد لسياسة روزفلت الداخلية والخارجية:

نشر لويلكي منافس روزفلت في صحيفة أميريكية كبرى مقال حمل فيه على روزفلت وسياسته الداخلية والخارجية، وقال فيما قال أن ستالين هو البارز الأكبر على مسرح السياسة الدولية، حتى أنه لم يعد محل للسؤال عما يفعل روزفلت وشرشل. وصار ستالين صاحب الكلمة الحاسمة في سياسة العالم في الحرب وما بعد الحرب، ونبه على ما يكمن في هذا من أخطار. وأشار في مقاله إلى نيات روسية ومطامعها في دول البلقان ودول البلطيق وإزاء بولونيا، وإلى إصرارها على ذلك بالرغم مما يقوم به الحلفاء من دعاية واسعة ودعوة شاملة للمساواة بين الأمم وحقوقها وحرياتها بقطع النظر عن صغرها وكبرها. . وقال ويلكي أنه يذكر ما يذكر استناداً إلى ما تعلنه روسية من مطامحها بدون تكتم ولا مبالاة، مستعملة لذلك تسميات تروق لها حسب المواقف عنصرية وأمنية. وأن هذا ما يثير العجب ويجعل دعوة السكسونيين ودعاياتهم الواسعة في سبيل مساواة وحرية الأمم هباءً، ومما يثير المخاوف في الدول الصغيرة، ومما ينطوي على تحد للسكسونيين وهم يسكتون عنه.

وقد يكون مقال ويلكي جزءا من الحملة الإنتخابية القريبة، ولكنه على كل حال انطوى على كلام خطير لرجل له وزن في عالم السياسة الدولية. ونسجل أن المقال أثار المحافل الروسية وأن الصحف الروسية ردت عليه ردوداً شديدة، وقالت فيما قالت أن ويلكي يحاول تعكير الماء الصافي، ويثير الشكوك والشبهات في صفوف الحلفاء، ويتدخل في شؤون روسية الداخلية التي لا تسمح روسية له ولا لغيره أن يتدخل فيها. .

ونسجل أن صحيفة أميركية كبيرة نشرت مقالاً لشخصية سياسية بارزة تضمن المعاني التي رددها ويلكي، حيث جاء فيه فيما جاء أن الروس سيكونون مطلقي التصرف في المنطقة الممتدة من خليج فنلندا إلى البحر الأسود بعد تحريرها من الألمان، وأنهم سيكونون متحكمين في مقدرات الأمم الموجودة في هذه المنطقة حينما لا يبقى في الميدان (ألمانيا قوية).

ونسجل أن أجهزة الإعلام الألمانية استغلت ما رددته صحف أميركا من مطامح ونيات الروس، فأخذت تنعي على السكسونيين

مسايرتهم وخنوعهم للشيوعية، وتصفهم بأنهم يحفرون قبورهم بأيديهم، وتتهكم على ميثاق الأطلانطي الذي يطنطنون به، بينما هو في حكم الهباء بالنسبة للروس ومطامعهم ونياتهم نحو دول البلطيق والبلقان..

ونعلق على ذلك فنقول إن من العجيب والطريف أن نسمع هذا النعي الآن من الألمان، مع أنهم كانوا مساعدين أولين على تحقيق تلك المطامع والنيات حينما تعاقدوا معهم على عدم الاعتداء، حيث كان من نتائج ذلك موافقة الألمان أنفسهم احتلال الروس للقسم الشرقي من بولونيا، واحتلال بسارابيا وبوقونيا من رومانيا، وعودة دول البلطيق إلى الإتحاد السوفيتي، حتى لقد بذل الألمان مساعيهم في إقناع فنلندا بالتنازل عن بعض المناطق التي يطالب بها الروس من حدودها، وعقد صلح معها على هذا الأساس.

وهكذا تكشف لنا التطورات السياسية التناقضات، ولسوف ترينا من ذلك العجيب العجاب. ومسكين الصغير. ومسكين الضعيف وسط الأقوياء..

3 ـ حول سياسة تركية إزاء الحرب والحياد:

منذ بضعة أيام جاء سفير تركية في لندن إلى أنقره، وكان مجيئه موضوع تعليقات سياسية حول سياسة تركية. ومما ذكرته التايمس من ذلك أن السفير رجل لا يكثر السفر، وأن سفره الآن لا بد من أن يلفت النظر ومن أن يكون له هدف مهم. ومن المحتمل أن يكون السفير أراد أن يقدم لحكومته تقارير لا يصح أن تكتب على الورق عن آثار مؤتمرات موسكو وطهران والقاهرة في المحافل السياسية الإنكليزية، وصلة ذلك بموقف تركية وسياستها، والدور الذي يقدر لتركية أن تلعبه في المرحلة النهائية التي دخلت الحرب العالمية فيها.

ولقد نشرت جريدة جورنال دي جنيف مقالاً عن موقف وسياسة تركية لخصته عنها الصحف التركية، ومما جاء فيه أن تركية تستمد موقفها من الحاضر والماضي، والعهود التي تربطها بإنكلترة من جهة، وألمانيا من جهة ثانية، ولا سيما أنها ليس لها مصلحة في الاشتراك في الحرب فعلاً وجر النار إلى بلادها. وإذا كان من المقدر لتركية أن تتدخل في هذه الحرب أو تلعب دوراً ما فيها، فإن وقت هذا لم يأت، وسيأتي إذا احتلت روسية بلاد البلغار وأنزل السكسونيون قواتهم إلى الأراضي اليوغوسلافية.

وقد علقت الصحف التركية على هذا المقال وعلى التعليقات المتنوعة في صدد رحلة السفير التركي تعليقاً خلاصته: أن تركية متمسكة بموقفها السياسي الصريح وموفية بعهودها المرتبطة بها، وهي راغبة أشد الرغبة في عدم التدخل في الحرب وفي الاستمرار في الموقف الحيادي إذا لم تجبر على موقف مخالف لهذه الرغبة إجباراً، وذلك بتهديد سلامتها ومصالحها الجوهرية وتعرضها للخطر، وليس لها في الوقت نفسه أية مطامع توسعية تسعى وراءها وتدفعها إلى التدخل، وكل ما يهمها سلامتها وأمنها وسيادتها ومصالحها.

والملموح بقوة أن السكسونيين لا يتطلعون ولا يأملون بدخول تركية الحرب فعلاً، وكل ما يتطلعون ويأملون فيه هو أن ينتفعوا من مركزها الجغرافي في سياق حملتهم المنتظرة على البلقان. والظاهر أنهم يرون ذلك متسقاً مع ما بينهم وبينها من عهود وغير متعارض مع ما بين تركية والطرف الآخر من عهود في الوقت نفسه.

لأن الانتفاع الذي يأملونه سلبي وليس إيجابياً. ونحن نشك في أن يتفق هذا مع وجهة نظر تركية. ونلمح بقوة أن تركية مصممة على الإستمرار في الإحتفاظ بموقفها الحيادي، وأنها لن تتخلى عنه ما لم تكره على ذلك في حال تعرض سلامتها ومصالحها للخطر.

***

يوم 1944/1/18
13 محرم 1363:

أخبار وتعليقات عربية:

1 ـ حول موقف فرنسة من مسائل سورية ولبنان، المصالح المشتركة وغيرها وتعليق:

في أهرام 1943/12/31 تصريح لكاترو، لمراسل الوكالة الإفرنسية في الجزائر، حول ما تم في سورية ولبنان جاء فيه: (إن فرنسة تحتفظ لنفسها بنفوذها الثقافي في سورية ولبنان، وتحتفظ بقيادة القوات الوطنية، وهي التي تتولى تجهيزها وتدفع مرتباتها، ومهمتها ضمان سلامة البلاد وحمايتها داخلاً خارجاً. وحالة الحرب لا تسمح بموقف آخر قبل نهاية الحرب. وفي انتظار التسوية العامة تجددت العلاقات بين فرنسة وبلاد المشرق (لبنان وسورية)، مؤقتة باتفاق يأخذ في اعتباره حقوق الفريقين والتزاماتهما ومصالحهما. وقد وضع هذا الإتفاق وفقاً لروح الصداقة الوثيقة القديمة. وقد أثبتت فرنسة بما اتخذته من تدابير في حالة لم تكن عناصرها طبيعية ولا بسيطة دائماً، أنها تعرف كيف توفق بين أماني الشعوب الشرعية..).

والتصريح نصاً وروحاً ينطوي على معان بعيدة. ففرنسة رضيت بما رضيت به لأنها لم يكن لها مناص منه، وهي تعبر ما تم مؤقتاً، وتظل تعتبر نفسها صاحبة التزامات ومصالح وصاحبة نفوذ وحقوق، ثم حامية سورية ولبنان

وضامنة لسلامتهما ضد العدو. ولسنا نشك في أن الحرب إذا انتهت وكانت فرنسة قوية بشكل ما، فإن بريطانية سوف تسايرها وتراضيها، وإن فرنسة ستحاول أن تعود سيرتها الأولى في لبنان وسورية، وإن النضال الوطني سيعود ثانية.

ومما لفت نظرنا في التصريح قول كاترو إن فرنسة تحتفظ بقيادة الجيوش الوطنية وتجهيزها وتدفع مرتباتها وتحتفظ بحق حماية البلاد من الأعداء. والقوات الوطنية هي الجيشان السوري واللبناني. وكان من تطلعات الحكومتين السورية واللبنانية أن تستلمهما ويكونان قيادة وحركة وتجهيزاً تبعين لهما مباشرة.

وكذلك ما لفت نظرنا في تصريحه قوله أن فرنسة تحتفظ بحماية البلاد من الأعداء. فما هو والحالة هذه مركز القوات الإنكليزية في البلاد وهي صاحبة الأثر الأقوى مادياً وتجهيزاً ووجودا.. وهكذا يدفع الزهو والنيات المبيتة بكاترو إلى إرسال أقواله بدون تحفظ، ولا ندري ما هو أثرها في إنكلترة سياسياً ووجدياً..

2 ـ حول ممارسة سورية ولبنان الإشراف على المصالح:

وقرأنا في أهرام 1944/1/2 برقية من لندن، ذكر فيها أن الحكومتين السورية واللبنانية بدأتا بإدارة المصالح المشتركة والدوائر الأخرى التي كانت في عهدة السلطات الإفرنسية والموظفين الإفرنسيين. وذكر في البرقية أيضاً أن القوات الوطنية التي تتألف من جنود لبنانيين وسوريين وضباط إفرنسيين وسوريين ولبنانيين ستظل تحت رئاسة هيئة أركان حرب إفرنسية، وستكون مهمتها خلال الحرب المحافظة على النظام في سورية ولبنان. وجاء في البرقية أيضاً أنه سيكون لإدارة الأمن العام فرع لبناني وآخر سوري يتوليان معالجة الشؤون الداخلية. وتبقى مصلحتا الأمن الإفرنسية والبريطانية متعاونتين في المسائل ذات الصبغة الخارجية أو الخاصة بالجاسوسية.. وهذا يتفق مع كلام كاترو من جهة، ويدل على أنه ما يزال هناك ثغرات خطرة في سياق الحكم الوطني الإستقلالي من جهة ثانية يتمثل في أمور خطيرة، وهي مسألة الأمن وقيادة الجيوش الوطنية وإدارتها.. والذي نرجوه أن يسدد اللّٰه خطوات إخواننا وأن يلهمهم اتخاذ تدابير تدرأ عن عهدهم الإستقلالي الضرر وتساعدهم على الإحتفاظ بما نالوه سليماً، ويقويهم على تكامل أسباب الإستقلال والسيادة. وفي اعتقادنا أن هذا يعتمد إلى درجة كبيرة على التواثق القوي الذي يجب أن يتوطد بين العراق ومصر وسورية ولبنان، والذي يؤدي إلى التضامن في الدفاع عن السيادة والإستقلال والحرية لجميع البلاد أولاً، ثم على النجاح في إنشاء جيش قوي ثانياً، ثم تفاهم أساسي مع الانكليز إذا كان هؤلاء مخلصين وجادين فيما يظهرونه من عطف على أماني العرب ووحدتهم ومستقبلهم ثالثاً. ونرجو أن لا يفوت هذا إخواننا وأن يكونوا مدركين له كل الإدراك. ولعل الوفد السوري الذي ذهب إلى العراق والذي ذكرنا خبره قبل، يحمل فيما يحمل هذه الأفكار والمخاوف، ويحاول فيما يحاول التفاهم على التدابير اللازمة لمعالجة هذه الأمور...

3 ـ بيان لسعد اللّٰه الجابري في مجلس النواب في صدد الجيش والاستقلال وما دار حول ذلك:

وقد قرأنا في أهرام 1944/1/13 برقية عن

دمشق، جاء فيها أن سعد الله الجابري أدلى ببيان في البرلمان قال فيه إن شؤون الجيش والمسائل المتعلقة باستقلال سورية ستتقدم ما عداها من المسائل التي تعرض على المجلس. وأنه لم يتلق أي شيء رسمي أو غير رسمي عن بيان يقال إن الجنرال كاترو أذاعه. حيث تظهر من هذا أن الأوساط السياسية السورية والنيابية تتسائل وتتحسب من مجريات الأمور والنيات.

ولقد قرأنا في عدد لفلسطين 1944/1/5 برقية من دمشق، جاء فيها أن لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب السوري أعدت مشروع قرار بشأن الجيش السوري ستعرضه على المجلس هذا نصه: (يرغب البرلمان السوري بعد إطلاعه على بيان رئيس الوزارة الذي ألقاه في تاريخ 1934/12/23 أن لا تكون الاعتبارات التي ذكرها مانعة دون استلام الجيش. وأن البرلمان السوري على استعداد لإقرار المبالغ اللازمة لذلك له). وهذا جيد وقد خطر لبالنا. فإذا كان الإفرنسيون قالوا أنهم مستعدون لتسليم الجيش إذا تعهدت سورية بنفقاته، فيجب على سورية أن تقبل ذلك مهما كلفها. ونعتقد أن رقم (35) مليون الذي ذكر في البيان السابق غلط، وأن المطلوب هو أقل بكثير من ذلك، بل قد لا يزيد عن الربع. وبعد أن يصبح الجيش في عهدتها تنقيه حتى يتطهر من عناصر الشر واللؤم والفساد، ويصبح صالحاً ليكون جيشاً سورياً قومياً مفيداً. .

4 ـ بيان عجيب ومثير للجنة الإفرنسية في صدد ما تم من اتفاق مع سورية ولبنان وتعليق عليه:

وقرأنا في جريدة المصري المصرية تاريخ 1943/12/27 برقية عن لندن جاء فيها: (أذاعت الدوائر المسؤولة في الجزائر بلاغاً بشأن الاتفاق الذي عقد أخيراً بين الجنرال كاترو وحكومتي سورية ولبنان جاء فيه: أذيع من مصدر حليف أن نصّ الاتفاق الذي عقد في دمشق يضع حداً للانتداب الإفرنسي. والدوائر المسؤولة تعلن أن القرارات الواردة في بلاغ دمشق في صدد الاتفاق لا تتعلق بالناحية القانونية للانتداب ولا تتصل به في شيء). وينطوي البلاغ على ما في أعماق رجال فرنسة المحاربة الرسميين من مطامع ونيات وحرص على المركز الإستعماري لفرنسة في سورية ولبنان وعدم التساهل في أمر الانتداب الإفرنسي واتخاذه سلاحاً قانونياً في أيديهم إذا ما سنحت لهم الفرصة.

وفي هذا ردود إفرنسية من ناحية ثانية على رجال الحكومتين السورية واللبنانية الذي يحلو لهم أن يقولوا أنه لم يبق انتداب ولا اعتراف بأي شيء يمت إليه.

5 ـ نقاش في مجلس الشيوخ المصري حول المعتقلين ومشاورات الوحدة وتعديل المعاهدة وجواب النحاس وتعليق عليه:

وقرأنا في أهرام 1943/12/31 مناقشة في مجلس الشيوخ المصري في سياق بحث خطاب العرش والرد عليه. ومن ذلك مطالبة المعارضين بإطلاق سراح على ماهر باشا والمعتقلين السياسيين الآخرين، وإلغاء الإدارة العرفية بعد أن زال الخطر تماماً عن مصر. ومن ذلك تحبيذهم لحركة الوحدة العربية التي تتحرك لها الحكومة، وتنبيههم على أمر مهم بنجاح ذلك

هو تأمين استقلال البلاد العربية استقلالاً صحيحاً. ومن ذلك تذكيرهم بفلسطين وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش، ووجوب شمول تلك الحركة لهذه البلاد.. ومما دارت المناقشة عليه وكان للمعارضة كلام قوي فيه موضوع تعديل المعاهدة، وطلب الجلاء العام الإنكليزي عن مصر والإعتراف بحق مصر في السودان فور انتهاء الحرب، على اعتبار أن مصر قد أبدت نحو الحلفاء كل إخلاص في أشد أوقات الحرب سواداً، وصار من حقها أن تقابل على ذلك بتحقيق هذه المطالب. وقد ذكر المعارضون الحكومة بما كان حزب الوفد طالب به في سنة 1940 وهو خارج الحكم من تعديل المعاهدة، وقالوا أن من واجب حكومة الوفد الآن أن تنفذ ما طلبه حزبها وهو خارج الحكم. وقد رد النحاس على ذلك فقال أن الحكومة لم تغفل هذا الأمر وأنها قائمة بالتشبثات الازمة في سبيله وسارت خطوات عملية فيه.

ونذكر في هذه المناسبة أن الأحزاب المصرية المعارضة كتبت مذكرة في هذه المطالب وقدمتها إلى الحلفاء في أثناء انعقاد مؤتمرات زعمائهم في مصر، وأن اصواتاً انتقادية كثيرة وجهت إلى الحكومة متهمة إياها بالتقصير في نيل وعد بالجلاء عن البلاد كما نالت إيران في مناسبة مؤتمر طهران. وأن الأوساط الوفدية ردت على هذه الأصوات بالقول أن مركز إيران غير مركز مصر، لأن الأول مهدد بدون أي ضمان، في حين أن الثاني منتظم ومحدد في معاهدة، وليس هناك عدو قوي يهددها مثل إيران.

وعلى كل حال فإن الظروف السياسية والعالمية ينبغي أن تدفع مصر لتوطيد مركزها السياسي، والوفد أحرى الأحزاب بأن يخطو مثل هذه الخطوة وهو في الحكم، ونرجو أن تكون حكومة النحاس قد سارت شوطاً فعلاً في هذا السبيل كما قالت. وهذا ما يثير فينا الإغتباط لأن قوة مركز مصر السياسي قوة لسائر بلاد العرب وخاصة بعد اندفاعها في الفكرة العربية هذا الاندفاع القوي السار. ومن الجميل أن يتضافر جميع الأحزاب في هذا المضمار.

ومما يلفت النظر أن الوفد لا يفتأ يغمز الأحزاب المعارضة ويعد حركاتها ومساعيها من قبيل المؤامرات والتشويش ولا يرى لها حقاً في ذكل، لأنها لا تمثل مصر في قليل ولا كثير في رأيه، ويرى أنه هو صاحب الحق وحده. وهذا فيما نراه غلو لا مبرر له، لأن هذه الأحزاب تتألف من شخصيات سياسية واجتماعية واقتصادية لها وزنها وأوشاجها وتأثيرها في قطاعات مصرية كثيرة على كل حال. ولا يمكن أن يقال أنها تتآمر على مصالح مصر وحقوقها أو تخونها، وإن كان تاريخها مع الوفد ليس تاريخاً ساراً، وينطوي فيه مشاهد ومواقف متعصبة من الكيد والمطاردة تصل أحياناً إلى الإضرار بمصالح البلاد وحياتها الدستورية والاستقلالية.. وهذا في الغالب هو الذي يهم الوفد وحكومته وموقفها منها..

6 ـ تفكير حكومة مصر بشراء المنشآت التي أقامها الحلفاء في أرضها وتعليق عليه :

مما سمعناه من إذاعة مصر وجدير بالتسجيل أن حكومة الوفد ألفت لجنة وزارية لدرس موضوع شراء جميع المنشآت الصناعية والعسكرية والطبية الحربية المتنوعة التي أنشأها

الحلفاء في أراضي مصر، ليكون الموضوع مدروساً جاهزاً للتنفيذ فور انتهاء الحرب. ولسنا ندري هل كان هذا الشراء من جملة ما وضع من شروط للسماح بإنشاء هذه المنشآت في أراضي مصر، أم أن ذلك فكرة طارئة على الوزارة؟ فإن كل ذلك شرطاً قائماً فلا بد من أن يكون هناك إشارات إلى تساهل سيبديه الحلفاء في البيع والشراء، ويكون التحضير لذلك من الآن ضروري. وإن لم يكن هذا الشرط قائماً فتكون حكومات مصر التي سمحت بقيام هذه المنشآت في أراضيها قد قصرت تقصيراً منكراً من دون ريب.

7 ـ خبر مصادرة عيارات نارية من عربي في فلسطين ومدى ذلك:

قرأنا في عدد فلسطين 1943/12/7 أن شخصاً كان يحمل (1800) عياراً نارياً في سيارته الذاهبة إلى القدس من يافا فضبطت. وهذا من دون ريب أثر من آثار استمرار نبض الثورة العربية في فلسطين.

8 ـ تساهل السلطات إزاء المتمردين المشاغبين عليها في مستعمرة رامات هاكوفيتش:

وفي نفس العدد أن سلطات فلسطين أبقت الإجراءات والكفالات بحق معتقلي مستعمرة رامات هاكوفيتش، التي قاومت البوليس ورجمته رجماً عنيفاً جنونياً حينما جاءت دورياته للبحث عن الفارين ورفضت مساعدتها في مهمتها، كما ذكر ذلك البلاغ الرسمي الذي نشرته وأوردنا خبره في أسبوعية سابقة. وهكذا لم يمض مدة قصيرة على الحادث الخطر، حتى ضعفت السلطات وتراجعت وتراخت أمام إصرار اليهود واحتجاجاتهم.

9 ـ خبر محاكمة يهود في مستعمرة خلده بسبب العثور على مخزن فيه قنابل:

وفي عدد فلسطين 1943/12/10 خبر محاكمة لبعض اليهود من مستعمرة خلدة أمام محكمة عسكرية بسبب العثور على (38) قنبلة من قنابل الهاون و85 قذيفة نارية أخرى. وملخص الحادث كما يفيد ما نشرته الجريدة أن دورية من البوليس الإنكليزي والبوليس الحربي البولوني ذهبت إلى هذه المستعمرة للتحري عن الجنود البولونيين الفارين وهم من اليهود، وفي أثناء التحري لاحظ أحد أفراد الدورية كوخاً فدخله، فرأى فيه هذه الكمية، فجاءت الدورية وضبطتها واعتقلت مختار المستعمرة ولجنة الأمن فيها وخفراءها. وأخذت لجنة الأمن، المؤلفة من شخصين، المسؤولية على عاتقها، واعترفت أنها هي التي أحضرت هذه القذائف وحفظتها في هذا الكوخ، وليس لأحد غيرها علاقة بذلك. وقال الشخصان أنهما فعلا ذلك لأنهما لجنة أمن المستعمرة المسؤولة عن تأمين أسباب الدفاع عنها، وأن هذه القذائف هي للدفاع فقط. وتبين من المعاينة أنها صنع محلي ولكنه متقن، ولا بد من أن يكون قد صنع في مؤسسة فنية. وسألتهما المحكمة فرفضا أن يدليا بأي معلومات. وقد حاول المحامون بواسطة شهود أحضروهم أن يثبتوا أن ذلك هو للدفاع، وأن المستعمرة قد هوجمت في الاضطرابات السابقة وحرقت وقتل بعض سكانها، وأن لدى سكان المستعمرة ما يجعلهم يخافون من تكرار

الاضــطرابـات والهجمـات ويـدعـوهم إلى الاستعـداد للدفـاع. وتبين أن هنـاك مـدربين يدربون السكان على استعمال مـدافع الهـاون وقـاذفات القـذائف الأخـرى.. وهـذه حـادثـة جديدة تضاف إلى الحوادث الكثيرة التي ظهرت والتي لم تظهر، وهي الأعظم الأكثر في سياق استعداد اليهود ليوم عصيب...

10 ـ اليهود ومشاورات الوحدة:

كانت الصحف اليهودية ذكرت منذ زمن أن النحاس باشا قال في سياق أحاديث مشاورات الوحدة عن فلسـطين أن اليهود عنصـر قائم لا يمكن إغفاله. كما قالت أن الأوساط اليهوديـة تـتـوقـع أن يـدعى ممثلون عن اليهـود لسمـاع أقـوالهم في شـأن هـذه المشـاورات وعـلاقـة فلسطين بها. وقد نشرت فلسـطين في عددهـا 1943/12/14 برقية عن القاهرة جاء فيها أن النحاس باشـا نفى صدور أي تصـريح خـاص بهذه المسألـة، وأنه ذكـر بما جـاء في خطابـه التاريخي الذي ألقاه في مؤتمر الوفد في صدد قضية فلسطين. والذي جاء في هذا الخطاب هو هذه العبارة: (إنكم تذكرون موقف الحكومة في سنـة 1937 من القضية الفلسـطينية ودفـاعهـا المجيـد عن حقوق عـرب فلسطين في عصبـة الأمم، وهذه القضية ما تزال تشغل بالنـا وبال العـرب أجمعين على اختلاف الـديـار وتبـاين الأقطار).

والمتبادر أن النحاس أراد بالتذكير بذلك أن يقول أن مصر وحكومة الوفد لا تعترفان بشيء يقال له كيان يهودي في فلسطين، حتى يصح أن يرد ما ردده اليهود كذباً خبيثاً لمقاصد متنوعة لا تخفى. إما للإفساد وإما للإختبار...

11 ـ دعوة إلى التوفير الحربي وشراء أسهم وطوابع وسندات حربية في فلسطين:

في أعـداد عديـدة من جريـدة فلسطين في كانون أول 1943 أخبار متوالية عن حملة دعوة إلى التوفير الحـربي واجتماعـات تعقد بسبيـل ذلـك، وفيها وصف لاجتمـاعـات عقـدت في الـرملة واللد والناصـرة وحيفا وخـطبـاء عـرب يخـطبون فيهـا. وهي دعوة إلى شـراء سندات حرب إنكليزية، وإلى إيداع ودائع النقد المتوفر في صنـاديق البريـد والمصارف لمـدد طويلة. وشراء طوابع وبطاقات ذات قيمة بمثابة قروض، وودائـع طويلة الأمـد أو قصيرتـه. وقد شجـع السلطات الإنكليزية على هذه الحملة والدعوة كثـرة النقد في أيـدي النـاس على مـا يبـدو، وجعلهـا تـرى من واجب أهــل فلسـطين أن يساهموا في قروض حربها..

ومما قرأنـاه في أعداد فلسـطين أن الحلفاء ينفقون نحو ثـلاثين مليون جنيـه في السنة في فلسـطين على جيوشهم ومصـالحهم الحـربيـة المتنوعة، وأن هذا من عوامل كثرة النقد في اليد وارتفـاع مستوى المعيشـة وغـلاء الأسعـار في فلسطين.

12 ـ حول موضوع لاجئي اليهود وتوطينهم في فلسطين وغيرها ومساعي اليهود وموقف الإنكليز:

وقـرأنا في عـدد فلسـطين 1943/12/15 نص بلاغ أذاعته الحكومة البريطانية عن مشاكل الهجرة اليهودية جاء فيه: (إن وزارة الخارجيـة طلبت من عشرين دولة جديدة أخرى الإشتراك

في اللجنة الدائمة لمؤتمر اللاجئين الذي عقد في برمودة فوافقت، فأصبح عدد الدول المشتركة 49).

وجاء في البلاغ أيضاً: (أن حكومة فلسطين مساهمة منها في حل هذه المشكلة الإنسانية وافقت على إيواء 34 ألف لاجىء يهودي في فلسطين، بالإضافة إلى العدد المقترح به في الكتاب الأبيض معظمهم من نساء وأطفال جنوب شرق أوروبا).

ومؤتمر برمودا عقد بمساعي اليهود لبحث مشكلة الهجرة اليهودية، استغلالاً لما يقع على اليهود في أوروبا الألمانية والشرقية من اضطهاد، واستهدافاً للضغط على الحكومة البريطانية لحملها على فتح باب فلسطين للهجرة. وكانت هذه الحكومة وقفت في المؤتمر موقفاً شديداً مخالفاً لرغبة اليهود، ونصحت فيه اليهود بعدم استغلال الموقف للضغط عليها والإهتمام لتوطين لاجئيهم أين ما يمكن، لأن ذلك هو الأكثر اتساقاً مع الدعوة للمساهمة العالمية في حل مشكلتهم، وقد يعني جهود بريطانية في توسيع عدد الدول المشتركة في المؤتمر إيجاد ملاجىء ومهاجر لليهود في مختلف بقاع الأرض، وإخراج فلسطين من احتمال جعلها محل حل للمشكلة اليهودية لما في ذلك من استحالة. غير أن بلاغها إحتوى إيذاناً برضوخها للضغط ونقضها سياستها وفتحها لباب سدته وأكدت سده بالنسبة لفلسطين، حيث سمحت الآن بدخول عدد يساوي نصف العدد الذي جعل كحد أعلى لما يمكن السماح به من هجرة لليهود إلى فلسطين. وصرنا نخشى أن يشتد الضغط اليهودي وأن يتسع التساهل البريطاني إزاءه، ويعود الخطر يتهدد فلسطين بالمكاثرة اليهودية، وكان قد سد بالتحديد الذي حدد في الكتاب الأبيض.

وقد يخفف من الأمر ما قرأناه في فلسطين 1943/12/14، حيث جاء فيه عن المصادر الحكومية على ما يبدو أن الحكومة البريطانية وإن تكن اهتمت لإيجاد ملجأٍ لأربعة وثلاثين ألفاً من اللاجئين في فلسطين يأتون من بلغاريا ورومانيا، إلا أن جهودها قد باءت بالفشل بسبب رفض حكومتي رومانيا وبلغاريا السماح ليهودهما بمغادرة بلديهما. على أننا من جهة أخرى نقول أن اليهود قد سجلوا بدون ريب على الحكومة البريطانية والحكومة الفلسطينية هذا الأمر، وسوف يطالبونهما بالسماح بإدخال عدد مماثل من أي مكان يستطيع اليهود أن يجدوا فيه راغبين في الهجرة إلى فلسطين وإمكان ذلك.

13 ـ حول مشكلة عمال المجهود الحربي من اليهود بعد الحرب:

قرأنا في عدد فلسطين 1943/12/15 خبراً ذكر أنه يوجد الآن في فلسطين سبعون ألف شخص يهودي يعملون في المجهود الحربي، وأن هذا سيكوّن مشكلة من مشاكل اليهود بعد انتهاء الحرب، لأن تشغيل هذا العدد العظيم الذي ينتهي عمله بانتهاء الحرب يحتاج إلى خمسين مليون جنيه.

وهذه المشكلة ستواجهها البلاد العربية الأخرى سورية ولبنان والعراق والأردن ومصر أيضاً، لأن أعداداً كبيرة من عمالها يعملون فيها يسمى المجهود الحربي أو أعمال المعسكرات وطرقها ومصالحها المتنوعة، وقد تستطيع البلاد أن تتحمل أبناءها الذين هم جزء من حياتها، ولكن هذا لا يقاس على اليهود، لأن البلاد

ليست بـلادهم والبـطالـة عنـدهم تـظهـر على المسرح في أي لحظة. . .

14 ـ حول مركز مسلمي الجزائر حسب خطط اللجنة الافرنسية:

قرأنا في عدد فلسطين 16/12/1943 نص قرار اللجنة الإفرنسية في الجزائر في صـدد ما مُنح لمسلمي الجزائر وهو كما يلي:

يجب أن تـوجه السيـاسة الإفـرنسية في مـا يتعلق بمسلمي الجـزائـر إلى رفـع مستـواهم السياسي والإجتماعي والاقتصادي إلى مستوى الإفـرنسيين غير المسلمين. وتـرى اللجنة من الضروري:

1 ـ منـح الجنسيــة الإفــرنسيــة لأعيــان المسلمين فوراً مع احتفاظهم بعقائدهم الدينية.

2 ـ زيـادة عـدد الممثلين المسلمين فـي المجالس الجـزائـريـة وتـوسيـع حقـوقهم في الإنتخابات.

3 ـ زيادة عدد الوظائف الإدارية التي يتولاها المسلمون.

4 ـ وضع وتنفيذ برنامج للتقدم الاجتماعي.

وقد طلبت اللجنة من حاكم الجزائر العام أن يقدم إليها جميع الاقتراحات الضروريـة لتنفيذ هذه الأمور. وستؤلف لجنة مؤلفة من عدد متساوٍ من المـوظفين الإفـرنسيين المسلمين وغيـر المسلمين، وعلى اللجنة أن تقدم تقريرها قبل 31 يناير 1944.

وهذا يفيد أن فرنسة العلمانية الديموقـراطية الحـرة غير المتعصبـة حسب مزاعمهـا جعلت المسلمين الجـزائريين في قـوانينها ولـوائحهـا وأنظمتها دون غيـر المسلمين، وجعلت لهؤلاء فقط حق الـرعـويـة الإفـرنسيــة والـوظــائفيـة والمناصب العليا. وجعلت من شروط الحصول على هذا الحق أن يترك المسلم دينه إذا أراد. وقـد تفضلت اللجنة الإفـرنسيـة الآن فـأرادت تعديل هذا الموقف بـالنسبة لأعيـان المسلمين فقط مع سماحهـا باحتفـاظهم بدينهم. أي أن أكثـرية مسلمي الجـزائـر وهـم أكثـريـة سكـان الجزائر الساحقة ظلوا دون غير المسلمين وطبعاً دون اليهود أيضاً. مع أننا حينما قرأنا الخبر في الصحف التركية سابقاً فهمنا أن هذا التعديل عام يشمـل جميـع مسلمي الجـزائـر، وقلنـا جـاء الصواب والحق ولو متأخراً. . . ثم يأتي هؤلاء الإفرنسيون فيبيعونا دروساً في العلمانية والحرية وعدم التعصب، ويأخذون على عاتقهم حماية حقوق المسيحيين في بلادنا، مع أنه ليس في أي قانون مدني أو سياسي أو اقتصادي أو علمي أو أدبي أي تفريق بين المسلمين وهم أكثريـة أهـل البـلاد السـاحقـة، وبين غيـر المسلمين نصارى أم يهود وهم الأقليـة. والمسلمون مـا سلموا من هؤلاء، وهم يساوون غير المسلمين من مـواطنيهم في كل شيء منـذ مئات السنين استلهـامـاً من شـريعتهم، فكيف لـو كـان في قوانينهم قليل من هذا الكثير الـذي في قوانين الإفرنسيين في الجزائر المسلمة؟ إذاً لأسقـطوا السمــاء على رؤوسهـم كسفـاً أكثـر مـمــا أسقطوها. . . اللهم إن هذا غاية الفجور والبغي والإعتساف. . .

15 ـ جهود لجنة الدفاع عن الجزائر في مصر ومذكراتها:

ولقد قرأنا في أهرام 14/1/1944 أن لجنة الدفاع عن بلاد الجزائر في مصر قدمت مذكرة إلى رياض الصلح رئيس وزراء لبنان حينما قدم

إلى مصر في صدد حقوق وحالة مسلمي الجزائر، وقدمت مثلها لرئيس وزراء مصر، وأن وكيل وزارة مصر الخارجية أبلغها أن قضية الجزائر والمغرب عامة موضع اهتمام رفعة النحاس باشا، حيث يبدو من هذا أن الذين ينشطون في سبيل حقوق ومركز مسلمي الجزائر خارج الجزائر متنبهون لسوء الموقف الإفرنسي في الجزائر ولؤمه وغرابته.. وقد كنا ذكرنا قبل أن هذه اللجنة قدمت مذكرة في صدد حقوق ومركز مسلمي الجزائر للوفد السوري حينما زار مصر قبل الوفد اللبناني.. والجزائر من أكثر البلاد المغربية جهاداً ضد الظلم الواقع عليها، ولكن الإفرنسيين استعملوا كل وسائل القمع والبطش والقسوة ضدهم. ولما انكسرت فرنسة لم تجد لجنتها الحرة المحاربة ملجأ لها إلا الجزائر فاستغلتها أوسع استغلال. وكان ينبغي أن تعترف للجزائر المسلمة بالفضل، وأن تعاملها معاملة كريمة. ولكن كل ما فعلته هو ذلك القدر المحدود من رعاية لأعيان المسلمين الذين ليسوا إلا جزءاً صغيراً جداً بالنسبة للجمهور الإسلامي الأعظم المحروم المسحوق..

16 ـ سؤال في مجلس النواب الإنكليزي حول سياسة الحكومة في صدد فلسطين:

قرأنا في فلسطين تاريخ 1943/12/17 خبر سؤال وجهه نائب إنكليزي للحكومة البريطانية أثناء مناقشة في السياسة الحربية قال فيه: (تقوم إلى الجنوب من لبنان حالة جد خطرة فما هو موقفنا. إن كل عربي يتساءل عما إذا كان الإنكليز ينوون الرجوع عن عهدهم، وهل لايزال الكتاب الأبيض يعبر عن سياسة بريطانية. وهل نظل دائماً متأثرين بواشنطن؟ ولماذا لا تكون لنا سياسة مستقلة في الأمور التي تهمنا؟ ثم قال إن الامبراطورية البريطانية أعظم دولة إسلامية في العالم، ولقد قاتل الجنود المسلمون في هذه الحرب قتالاً رائعاً في سبيل الأمبراطورية. ولقد أحسن العرب إلينا أكثر من أقوام كثيرة وثقنا بها عبثاً).

ولم تذكر الجريدة ماذا كان جواب الحكومة البريطانية على هذا السؤال. ولا بد من أن السائل قد رأى إمارات نكث وتراجع من جانب الحكومة عن سياسة الكتاب الأبيض نتيجة نشاط اليهود وضغط واشنطن ولصالح اليهود جعلته يوجه هذا السؤال. ونأمل أن لا يبقى من نوع ونطاق الأسئلة التي يحاول الإنكليز بها بعث الأمل في العرب بأن أناساً من الإنكليز حريصون على الحق والعدل اللذين يتمثلان في قضية العرب الفلسطينيين.

17 ـ مساعي وايزمان في صدد العودة إلى التقسيم ومداها:

ولقد قرأنا في عدد فلسطين 1943/12/16 عزواً إلى جريدة يهودية أن وايزمان يقوم بمساعٍ جديدة ويتصل بالأوساط السياسية الرسمية وأنَّ من المحتمل أن يثير مشروع التقسيم كحل وحيد لمشكلة فلسطين. وكل جهد اليهود الآن منصرف إلى إلغاء الكتاب الأبيض الذي أعلن وقف العمل للوطن القومي اليهودي عندما وصل إليه، وهدف قيام حكم وطني مستقل بأكثرية عربية دائمة متعاهد مع بريطانية، سواء في الضغط على بريطانية بفتح باب الهجرة الذي سدته، أم بالتحول عن هذا الموقف إلى

الموقف الذي كانت عليه الأمور قبل الكتاب الأبيض أي تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية في قسم منها. ومع أن الدلائل القائمة تدل على أن الحكومة البريطانية متمسكة بسياسة الكتاب الأبيض، فإن ذلك لا يمنع خوفنا من نجاح اليهود واستطاعتهم التأثير عليها وتغيير موقفها.

18 ـ المدارس الأجنبية في مصر:

قرأنا في أهرام 1944/1/3 الإحصاءات الآتية للمدارس الأجنبية في مصر التي بلغ عددها 332 موزعة كما يلي: ـ للإنكليز (51) مدرسة منها: (12) ثانوية للبنين و(12) ثانوية للبنات و(3) إبتدائية للبنين و(13) إبتدائية للبنات و(4) فنية خصوصية و(7) أولية.

وللأمريكان 39 مدرسة منها: ثلاث ثانوية للبنين وخمس ثانوية للبنات و12 إبتدائية للبنين و11 إبتدائية للبنات ومدرسة خصوصية وسبع أولية ورياض.

وللإفرنسيين 110 منها: 16 ثانوية للبنين و15 ثانوية للبنات و24 إبتدائية للبنين و44 إبتدائية للبنات و8 مدارس خصوصية وفنية وثلاث أولية ورياض.

وللطليان: 66 مدرسة منها: 5 ثانوية للبنين و6 للبنات و9 إبتدائية للبنين و23 للبنات و8 خصوصية وفنية و15 أولية ورياض.

ولليونان: 61 مدرسة منها: 11 ثانوية للبنين و13 للبنات و25 إبتدائية للبنين و15 للبنات و3 خصوصية وفنية و3 أولية ورياض.

وللألمان مدرستان ثانويتان.

وللهولانديين ثلاث مدارس إبتدائية واحدة للبنين واثنتان للبنات.

وهذه المدارس كانت أنشئت في ظل الامتيازات الأجنبية التي كانت تتمتع بها دول أوروبا في البلاد العثمانية والتي كانت مصر ولاية من ولاياتها. ولقد ألغيت الإمتيازات الأجنبية في مصر ولكن هذه المدارس ظلت قائمة. ولقد انشىء مدارس أجنبية أخرى في مصر بعد الغاء الامتيازات باذن من الحكومة. وفي مصر إلى هذا أربع مدارس تابعة لهيئات دولية، وحكمها حكم المدارس المصرية. وهذه المدارس غير المدارس الطائفية أي التابعة للطوائف غير الإسلامية من مارونية وكاثوليكية وإنجيلية وإسرائيلية وأرمنية أنشئت بإذن الحكومات المصرية. ورغم الرقم فإن عدد المدارس الأجنبية والطائفية هو ضئيل جداً بالنسبة لعدد المدارس الحكومية التابعة لوزارة المعارف أو لمجالس المديريات. وهذا فضلاً عن أن معظم طلاب المدارس الأجنبية الطائفية هم من أبناء الجاليات الأجنبية أو النحل الطائفية الأخرى.

19 ـ تقرير حول سياسة التعليم في مصر وتعليق عليه:

تتحدث صحف مصر عن تقرير وضعه أو قدمه وزير المعارف المصرية يتضمن الخطط الواجب اتباعها في سياسة التعليم في مصر نتيجة لدراسة وافية لمختلف نظم التعليم الغربية ولما تحتاج إليه البيئة المصرية معاً. والتقرير قدم لمجلسي النواب والشيوخ لأخذ الموافقة على ما فيه من خطط ووصايا، ومن ثم توضع اللوائح وترسم الخطوات العملية للتنفيذ. ومن النتف التي قرأناها عن محتوى التقرير في الصحف يظهر أنه تقرير وافٍ صالح. ويقوم

على أساس تعميم مجانية التعليم الإبتدائي والثانوي وإزالة الفوارق بين الفقراء والأغنياء، وعلى أساس تفريع التعليم الإبتدائي والثانوي إلى فروع ثقافية عامة وزراعية وصناعية وتجارية، وعلى أساس تسهيل التعليم الجامعي لأصحاب المواهب من الفقراء بصورة عامة. وعلى أساس تغذية الطلاب الفقراء في المدارس الإبتدائية.. وكل هذا حسن وضروري وخاصة بالنسبة لمصر التي ما يزال جمهورها الأكبر متأخراً جداً في هذا المضمار، والتي ما يزال الفقر فيها هو العام الشامل ونتائجه وآثاره في التعليم وغير التعليم بارزة سائدة. وحبذا لو تدرس حكومات البلاد العربية الأخرى هذا التقرير، وحبذا لو تبنى خطط توحيدية للتعليم في مصر والبلاد العربية معاً، فذلك هو الأساس الجوهري للوحدة الصحيحة.

وعلى ذكر تغذية الطلاب أسجل أن هذا الأمر كان أثير أثناء الحرب في فلسطين بل ونفذ، ولكن على أساس التطوع والتبرع. وكانت إثارته من وحي ما شوهد من ضعف بنية الطلاب الفقراء الشديدة بسبب ضعف التغذية. ولقد أثير هذا في مصر وبدىء به أثناء الحرب على أساس التطوع والتبرع أيضاً، ثم احتضنته الحكومة حتى صار حكومياً تقريباً، وصار عدد الطلاب الفقراء الذين يستفيدون منه ثلاثمائة ألف. وهذا عمل عظيم يسجل بالشكر والفخر. ولقد افتخر به الأعضاء المصريون في المؤتمر الغذائي الدولي الذي عقد في أميركا في السنة المالية، ونال فعلاً إعجاب المؤتمرين غير المصريين، وسجلوا به لمصر الفخر كأول بلاد تقوم بمثل هذا العمل بصورة رسمية.

20 ـ تصريح لرياض الصلح في صدد سفره إلى مصر للمشاورات وخطبته في ذلك وتعليق عليه:

في أهرام 1944/1/4 حديث لرياض الصلح أدلى به لمراسل الجريدة في بيروت وجاء فيه أنه سيسافر غداً إلى مصر حاملاً جواب رئيس الجمهورية على رسالة الملك فاروق له، ومستجيباً لدعوة النحاس باشا إلى مشاورات الوحدة. ومما قاله في تصريحه أن هذه المشاورات سيسار فيها ضمن نطاق البرنامج الذي رسمه لبنان لنفسه، وهو أن لبنان دولة مستقلة ويجب أن تبقى كذلك وتتعاون مع البلاد العربية الأخرى دون أن ينتقص ذلك شيئاً من استقلالها.. وهذا ما تردد أكثر من مرة في أكثر من مناسبة عن خطة لبنان وعن رياض نفسه. وعلى هذا فليس هناك أمل في وحدة أو اتحاد سوري لبناني، فضلاً عن أمل في وحدة أو اتحاد عربي لبناني.. وهذا طبعاً يعكس أفكار المسيحيين اللبنانيين الذين لا يمكن أن يقبلوا شيئاً من ذلك. ورياض وربما جمهرة المسلمين أو كثير منهم يسايرون هذا الواقع لحفظ الوحدة الوطنية من جهة، وجعل المسيحيين يوافقون على استقلال لبنان السياسي دون حماية إفرنسية.. وما كان من بوادر العروبة في لبنان قائم على هذا الأساس ولا بدّ مما ليس منه بد.. ولا بدّ من الانتظار مدة أخرى تتهيأ فيها الأفكار وتجعلها تهضم وحدة أو اتحاد مع سورية أولاً، ومع البلاد العربية بعد ذلك.

21 ـ تفصيلات للحفاوة التي جرت للوفد اللبناني برئاسة رياض في مصر:

وقد قرأنا في أهرام 2 و3/1/1944 أن مصر تستعد لاستقبال الوفد اللبناني استقبالاً حافلاً، وأن الملك فاروق أرسل صالونه الخاص إلى بيروت ليستقله الوفد، وأن الوفد سينزل في قصر الزعفران ضيفاً على الملك ثلاثة أيام، وأنه ستقام له ولائم وحفلات، وأن الوفد سيحضر معه غرسة أرز يغرسها في احتفال رسمي في حديقة مقابلة لقصر عابدين، وسيفاً أثرياً وفرساً أصيلة هدية للملك.

ثم سمعنا من إذاعة مصر في أيام 4 و5 و6 و7 و8 و9/1/1944 أخبار الحفاوة بالوفد، حتى لمسنا أن هذا الأسبوع كان أسبوع لبنان في مصر. وأن الحفاوة بالوفد اللبناني كانت أعظم من الحفاوة بالوفد السوري على سعة ما كان لهذا من حفاوة. واعتبرنا هذا طبيعياً لأن اسم لبنان دوّى طويلاً قوياً بمناسبة أزمته، وكان لمصر ملكاً وحكومة وشعباً مواقف ومشاركة عاطفية واسعة قوية، في نصرة لبنان.

ومما سمعناه أن الملك أرسل مندوباً من قبله إلى القنطرة لاستقبال الوفد، وآخر لمحطة القاهرة، وأن النحاس باشا فعل مثل ذلك. وأن محطة القاهرة فُرشت بالبسط الحمراء وزينت بالأعلام وغصت ساحتها بجماهير المستقبلين والهاتفين، وعين لمرور الوفد إلى قصر عابدين شوارع خاصة رتب على طرفيها جماهير المستقبلين والهاتفين. وأن الملك استقبل الوفد في نفس اليوم الذي وصل فيه وأقام له وليمة غذاء، وأن كبار رجال الملك أقاموا له في الأيام الثلاثة ولائم. وأن الإحتفال بغرسة الأرز كان رائعاً، وأذيعت وقائعه بالإذاعة. وقد نصب سرادق عظيم في ميدان عابدين اكتظ بكبار رجال القصر والحكومة والدولة والشخصيات العربية السورية واللبنانية والعراقية، وحضر الملك نفسه إلى السرادق. وألقى رياض خطبه رائعة، ثم غرس الغرسة أمام المشاهدين. وقد أقيمت للوفد بعد أيام الضيافة الملكية الثلاثة مآدب حكومية وسورية ولبنانية، وسمعنا وقائع الحفلة والمأدبة السورية بالإذاعة. وقد خطب فيها صبحي الشوربجي وسيف الدين المأمون الذي كان في مصر آنذاك. وخطب رياض أيضاً. وظلت إذاعة مصر تذيع كل يوم أخبار تنقلات الوفد والمآدب التي تقام له والحفاوة التي كان يلقاها. وقد زار فيما زار المحلة الكبرى، حيث مصانع النسيج والقناطر الخيرية والمزارع الملكية الخ. وسافر إلى الاسكندرية لحضور حفلة أقامتها الجالية اللبنانية فيها. وقد عقدت جلسات استشارة مع الوفد اللبناني. ونشرت الصحف نشرات عنها مشابهة لما نشرته عن جلسات ونتائج الوفد السوري والوفد الأردني الخ. وانتهت الزيارة في 15/1/1944، وعاد الوفد إلى لبنان مودعاً كما استقبل بعظيم الحفاوة والرعاية.

وليس من ريب في أن هذه الزيارة وما جرى في مناسبتها من مظاهر وبوادر وأبحاث سيكون لها تأثير في توسيع مدى الروح والفكرة القومية في لبنان وفي مصر معاً. ونعتقد أن شخصية رياض اللامعة وإسمه ونضاله وجهاده قد أسبغ على هذه الرحلة قيمة ولمعاناً أيضاً. وقد لمسنا هذا بصراحة فيما كتبته صحف ومجلات مصر عن شخصية رياض المحببة وذكائه وجماله وتوقد ذهنه وحيويته وقربه للقلوب وطلاقته.. الخ.. ومن المعلوم أن رياضاً يفوق في كل ذلك رجالاتنا جميعهم.

ولا بد من أن يكون رياض قد دعا الملك لزيارة لبنان، كما لابد من أن يكون سعد الله الجابري دعاه قبله لزيارة سورية. ويخيل إليّ القول أن الملك سوف يلبي الدعوة في فرصة مناسبة ويلقى من الحفاوة الرائعة ما يقوي فيه وفي مصر وبلاد الشام معاً الروح والفكرة العربية.

22 ـ البيانات المذاعة عن مشاورات الوحدة بين النحاس والوفد اللبناني:

ولقد قرأنا في صحف الأهرام بعد ما سجلنا ما سجلناه عن الإذاعات تفصيلات الحفاوة والحفلات وهي رائعة وعظيمة، ولا تخرج في إجمالها عما سمعناه، فلم نر ضرورة لإيراد شيء جديد، إلا نص البيان الأول الصادر في صدد مشاورات الوحدة، وقد نشرته أهرام 1944/1/10 وهذا هو:

(ابتدأت اليوم بدار وزارة الخارجية المشاورات الخاصة بالوحدة العربية بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر وبين حضرة صاحب الدولة رياض بك الصلح رئيس وزراء لبنان وحضرة صاحب المعالي سليم تقلا بك وزير خارجيته وحضرة موسى مبارك رئيس ديوان رئاسة الجمهورية اللبنانية. وقد رحب رفعة النحاس باشا بحضراتهم أجمل ترحيب، وأعرب لهم عن خالص تقديره للموقف العظيم الذي وقفه فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية وحكومته ومن ورائهم الأمة اللبنانية كلها في حوادث لبنان الأخيرة حتى تم الفوز للحق وعادت الأمور إلى نصابها في لبنان الشقيق. وهنأهم رفعته بهذه النتجية الموفقة التي اغتبط لها العالم العربي بأسره. وأشاد بفضل لبنان في إظهار ما يؤدي إليه تضامن البلاد العربية من نفع كبير يعود على كل قطر فيها كما يعود عليها جميعاً.

وقد رد دولة رياض بك الصلح شاكراً ما لقيه لبنان من رعاية حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ومن عناية رفعة النحاس باشا والحكومة المصرية وشعب مصر كله مما كان له أوفر نصيب في نجاح قضيته العادلة، كما شكر رفعة رئيس الحكومة المصرية على ما لقيه الوفد اللبناني من حفاوة مصر كلها حفاوة تركت في نفسه أجمل الأثر. ثم بدأت المشاورات يسودها جو خالص من المحبة الصادقة والتقدير المتبادل بين مصر والجمهورية اللبنانية. واستعرض الفريقان الموضوع من وجوهه العامة، فدلت المباحثات الأولى على اتفاق وجهة النظر في العمل على جمع كلمة البلاد العربية وتوطيد التعاون بينها لخير الجميع).

وفي أهرام 1944/1/14 نشر البيان الثاني والنهائي عن المشاورات، وهذا نصه:

(عقدت اليوم بوزارة الخارجية الجلسة الختامية للمشاورات المصرية اللبنانية الخاصة بالوحدة العربية بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر وبين حضرة صاحب الدولة رياض بك الصلح رئيس وزراء لبنان وحضرة صاحب المقام سليم تقلا بك وزير خارجيته وحضرة موسى مبارك رئيس ديوان رئاسة الجمهورية اللبنانية، وقد انتهت هذه المشاورات كما انتهت المشاورات السابقة مؤكدة أن البلاد العربية حريصة كل الحرص على جمع كلمتها وتوحيد وجهتها كما في تكاتفها وتساندها من تحقيق لمصالحها منفردة ومجتمعة، وتوثيق ما بينها من عرى الأخوة التي لا تنفصم. وقد سادت المشاورات روح من

التفاهم والمودة الصادقة التي كانت شريط مصر ولبنان على الدوام والتي تجلت بأجلى مظاهرها في حوادث لبنان الأخيرة).

وقد لفتت نظرنا عبارة (منفردة ومجتمعة) التي خلت من البيانات التي نشرت في سياق المشاورات السابقة. والراجح أنها موضوعة لتطمين نصارى لبنان بأنه سيراعى كيان لبنان مستقل في كل حال. وهي السياسة التي يسير عليها رياض ويرى ضرورة توكيدها في كل فرصة مناسبة وغير مناسبة.

23 ـ نصوص الرسائل المتبادلة بين فاروق والشيخ بشارة الخوري:

ولقد نشرت الأهرام 1944/1/6 نص الرسالتين المتبادلتين بين الملك فاروق والشيخ بشارة الخوري في مناسبة قدوم الوفد اللبناني إلى مصر. وقد رأينا إيراد نصهما: وهذا نص رسالة الملك.

بسم اللّه العلي الكبير. من فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور بعون اللّه. إلى حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية.

عزيزي حضرة صاحب الفخامة، لقد كان لنبأ انتخابكم رئيساً للجمهورية اللبنانية واضطلاعكم بأعباء هذا المنصب سرور شامل لنفسي، وإني إذ أهنىء فخامتكم بتلك الثقة الغالية التي أودعكم إياها الشعب اللبناني المجيد، لأرجو لكم وللبنان الشقيق في عهدكم سعادة الحاضر وسؤدد المستقبل، سائلاً اللّه جلت قدرته أن يهبنا من لدنه نعمة التوفيق في العمل على إحكام عرى المودة وأواصر الإخاء بين البلاد العربية جميعاً. ويسرني بهذه المناسبة السعيدة أن أعرب لفخامتكم عن خير ما أرجوه لشخصكم من الهناء ولشعبكم من العزة والرفاهية، وإني أيها العزيز الوفي صديقكم الوفي.

صدر بقصر عابدين. القاهرة
فاروق
9 ذي القعدة 1362 و7 نوفمبر 1943.

وهذا نص جواب الشيخ بشارة:

من بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية إلى حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر وصاحب النوبة وبلاد السودان وكردفان ودارفور.

عزيزي صاحب الجلالة: تلقيت بمزيد الغبطة والسرور والإرتياح كتابكم الملكي الكريم حاملاً إليّ التهنئة بتسنمي كرسي رئاسة الجمهورية ومتمنياً لي وللشعب اللبناني أطيب الأماني، فاشكر جلالتكم شكراً جزيلاً على العاطفة السامية الدالة على ما تنطوي عليه نفسكم الكبيرة من حب وعطف ساميين للبنان ولرئيس جمهوريته. وأسأل اللّه جل جلاله أن يمتعكم ومصر العزيزة في ظلالكم الوارفة بنعمه ومنه، وأن يمدنا بعونه وقوته لتوثيق عرى الصداقة والأخوة والمودة بين بلدينا وسائر البلاد العربية الشقيقة. وإني أغتنم هذه الفرصة السعيدة المباركة لأعرب عن تمنياتي الخالصة الصادقة بالعز والمجد والفخامة لشخصكم العظيم وبيتكم الأثيل وشعبكم النبيل. وأتشرف يا صاحب الجلالة بأن أكون دائماً صديقكم الوفي.

المخلص بشارة خليل الخوري
بيروت أول كانون الثاني 1944.

وليس في الرد بسملة ولا تاريخ هجري. وكان الذوق يقضي بهما.

والمسيحيون يسمّون فليس ما يمنع استعمال بسملة فاروق نفسه. ونصف لبنان مسلمون فليس ما يمنع استعمال التاريخ الهجري.

***

أخبار السياسة العالمية والحرب

1 ـ مشكلة حدود بولونيا وموقف الروس وحرج السكسونيين:

من أهم مشاكل الحلفاء في هذه الحقبة مشكلة بولونيا وحدودها التي كثر الكلام حولها بمناسبة اجتياز الجيوش الروسية لهذه الحدود على ما ذكرناه في الأسبوعية السابقة. وكانت المشكلة إذ ذاك تبدو في أحاديث غير رسمية وتخمينات، فصارت أحاديث وإذاعات رسمية. فالروس أذاعوا أن الحدود التي لا يمكن أن يكون لهم مناص منها هي حدود سنة 1939 التي رسمت بعد غزوة ألمانيا، وأن الأقسام التي ضموها إليهم ليست بولونية وإنما هي لروسية البيضاء، وأنها داخلة في ميثاقهم القومي، وقد حرروها بجيوشهم ودمائهم. مع قولهم أنهم يريدون أن تقوم بولونيا قوية وصديقة، وأنهم لا يضمرون لها عداء. وهم لا يحررون بلادهم الروسية ليقدموها لهم. وأنهم كانوا يأملون أن يهتم زعماء بولونيا ورجالها لمساعدة عملية التحرير، ولكنهم يرونهم مشغولين بالكلام عن العمل. وأن حقوق البولونيين وأراضيهم هي عند الألمان وليست عندهم، وعليهم أن يعملوا في سبيل استردادها.. والروس مستعدون لمساعدتهم على ذلك، كما أنهم مستعدون لتعديل حدودهم من جهات الغرب، ولقد استقبلت حكومة بولونيا اللاجئة هذه البيانات بالوجوم، وأخذت توالي الإجتماعات. وأخذت

الصحف الإنكليزية تسدي النصائح وتبدي التخوف. واتصل رجال الحكومتين البولونية والإنكليزية، ثم أصدرت الحكومة البولونية بياناً جاء فيه أنها ترغب كل الرغبة في عدم وقوع أي خلل في صفوف الحلفاء، ولكنها لا يسعها أن تقبل الفرض كأمر واقع. وأنها تطلب وساطة بريطانية وأميركا في حل هذه المشكلة، كما أنها تود من صميم قلبها أن يكون تفاهم مرض بينها وبين الروس. وقد تلقت الأوساط الإنكليزية والأميركية هذا البيان بارتياح، ونوهت به واعتبرته صالحاً للعمل ولإيجاد حل مرض، واعتبرت بولونيا متساهلة مستعدة للرضاء بتسوية معقولة. وأوعزت حكومتا بريطانية وأميركا لسفيريهما في موسكو بالإتصال بالحكومة الروسية وأخذ موافقتها على توسطهما لحل المشكلة. وبينما كان الأمل بالنجاح ماثلاً أذاعت روسية بياناً جديداً أو جواباً، قالت فيه أنها لا يسعها أن تدخل في مباحثات مع حكومة قطعت علاقتها معها سابقاً بسبب ما بدا منها من تعاون مع العدو واندماج في دعاية في صدد قتلى غابة فكانيا؛ فجاء هذا الجواب ضربة شديدة على الأوساط البولونية والأميركية والإنكليزية في آن واحد، وعاد الموقف إلى تعقده الأول. وقد رأينا بعض الصحف الإنكليزية والأميركية تعيد الضرب على نغمة عدم قدسية حدود بولونية وعدم جواز صيرورة هذه المشكلة عاملاً من عوامل سوء تفاهم بين السكسونيين والروس، بينما الحرب الآن في أشد ظروفها تعقيداً وحرجاً.. ولا نعرف كيف سيستطيع السكسونيون الخروج من الورطة البولونية إذا أرادوا التوفيق بين المبادىء التي أعلنوها من جهة وبين الدافع الأصلي الذي دفعهم إلى خوض الحرب من جهة أخرى.

ونعتقد أنهم شاعرون بالورطة ومتحرجون بها ولكنهم لن يسعهم عمل شيء. فالجيوش الروسية هي التي تملي الموقف بحرابها ودمائها..

2 ـ إشاعات لمساعي صلح منفرد بين ألمانيا وروسية وبين ألمانيا والسكسونيين وموقف كل من الطرفين إزاء هذه الإشاعات وما وراء ذلك:

ومنذ أيام فاجأت إذاعة موسكو العالم بخبر نشرته جريدة برافدا التي قالت أنها تلقته عن أوساط يوغوسلافية في القاهرة، مفاده أن روبنتروب وزير خارجية ألمانيا اجتمع بشخصيتين إنجليزيتين رسميتين في أرض أسبانية أو برتغالية لدرس شروط صلح منفرد بين الألمان والسكسونيين. ومع أن الجريدة الروسية نشرت الخبر تحت عنوان شائعات، فإنها أعقبت الكلام بكلمة ذات مغزى بل فيها تحدٍ وغمز وتصديق للخبر، حيث قالت إن (الاجتماع لم يذهب سدى). وكان لهذه الإذاعة رد فعل عجيب من الأوساط الإنكليزية بنوع خاص، حيث سارعت المصادر الرسمية إلى تكذيبه ووصفه بالسخف واستغراب نشره. ومما أذاعته محطة لندن أن الحكومة البريطانية أوعزت لسفيرها في موسكو ليلفت نظر الحكومة الروسية إلى هذا التكذيب. وقد تناولته الصحف الإنكليزية بالتنديد، واعتبرت نشره تحقيراً لشعور الأمة الإنكليزية وتجاهلاً لخلق الوفاء والثبات الإنكليزي... ووجهت عتباً شديداً على نشره في جريدة برافدا الرسمية، وأذاعته الإذاعة الرسمية الروسية بدون تثبيت، وأبدت حيرتها في تعليل الباعث على هذا النشر.. وقد

كذب الألمان بدورهم الخبر بعد يومين، كما كذبت المحافل البرتغالية والأسبانية خبر قدوم روبنتروب إلى بلادها بالمرة.

ونحن لا نميل إلى إحتمال وقوع شيء مثل هذا الآن من الألمان، أو احتمال موافقة الإنكليز عليه. غير أن النشر الروسي وهذا الإنفعال الإنكليزي كرد فعل له لا يمكن أن يكونا بدون معنى وباعث، وعلى الأقل آن فيهما إشارة إلى أن التواثق بين الطرفين ليس قوياً قوة كافية، وأن في نفس كل فريق نحو الآخر شيئاً من الحذر والتوجس.

وننبه على أن المحافل السكسونية قد كررت نسبة جس النبض في سبيل الصلح إلى الألمان، وأثارت حول ذلك دعايات. فمنذ مدة نسب إلى فون يابن اتصاله بالبابا واقتراحه عليه التوسط بالصلح. ومنذ أيام عاد الحديث عن فون يابن، وأذيع أو نشر أن لديه مشروعاً تاماً للصلح، وأنه وسّط المقامات التركية بجس النبض في صدده. (وفون يابن هو سفير الألمان لدى تركية الآن). مع التنبيه أيضاً على أن المحافل شبه الرسمية الإنكليزية والمحافل الرسمية الألمانية كانت تبادر إلى التكذيب. وقد حملت هذه الإشاعات والإذاعات على محمل الهدف الدعائي، فلم ينتج عنها ما نتج هذه المرة من نشر روسي فيه غمز وتحد ورد فعل شديد إنكليزي.. وقد رأينا الألمان يعلقون تعليقاً طريفاً قد يكون فيه بعض الحقيقة الخفية، وهي أن الروس يحاولون بهذه الإذاعة والإشاعة اقتناص شروط وقواعد وتوكيدات وضمانات جديدة بسبيل نياتهم وخططهم، وأن ما كان من انفعال الإنكليز قد راقهم فسخروا وغمزوا..

ومن الجدير بالتسجيل أن الصحف الروسية أشارت إلى تكذيب الإنكليز للخبر إشارات عابرة بدون اكتراث ولا تعليق، حتى أن ذلك لوحظ من الصحافة الإنكليزية وأبدت عجبها منه.

ومن غريب ما يجدر تسجيله أيضاً إعلان نفي وجود مخابر لجريدة برافدا الروسية في القاهرة بالمرة، بينما الجريدة عزت ما كتبته إلى مخابرها فيها... وقد نشرت جريدة يني عصر التركية برقية من القاهرة جاء فيها أن مخابري الصحف الأجنبية تولتهم الحيرة والدهشة من عزو هذا الخبر إلى مخابر خيالي.. وما يتصل بالأمر أن إذاعة موسكو أذاعت بعد تكذيب وزارة الخارجية البريطانية وبعد ما كان من انفعال الأوساط الانكليزية واستغرابها مما نشرته البرافدا، أن مشروع صلح ألماني سكسوني قدم بواسطة دولة محايدة للسكسونيين، وأنه يتضمن استعداد الألمان للإنسحاب من كل بلد هم فيه، وتسليم أسطولهم وتسليم إدارة الدولة للجيش، وأن كل ما يشترطونه أن يترك لهم حرية التوسع في الشرق، لأن ذلك ضروري لحياتهم الإقتصادية.. فهذا التكرار من الجانب الروسي عجيب ملفت للنظر ومؤيد على الأقل لتلك المعاني التي ذكرناها، ولعلها مؤيدة للتعليق الألماني أيضاً.

3 ـ نزول ثلاث مظليين الى أرض رومانية:

ومن الحوادث الغريبة وما نشر من خبر نزول ثلاثة أشخاص بتروليين مهندسين من الإنكليز بالمظلات إلى أرض رومانية، وطلبهم من صاحب الأرض إيصالهم إلى بوكاريش، لأن لديهم أوراقاً مهمة جداً يريدون تسليمها

للمارشال أنطونسكو وإيصالهم فعلاً إلى بوكاريش، واجتماعهم ببعض رجال الحكومة، وإطلاع الإنكليز هؤلاء على مشروع صلح منفرد عرضه الألمان على الروس، فيه وعود بإلحاق بعض أقسام رومانيا إلى روسية. ولم يقابلهم المارشال، وأمر باعتقالهم كأسرى حرب. ولم تخض الإذاعات في أمرهم، وكل ما قيل أن ما قالوه قد قالوه بعد اعتقالهم، ولم يكن معهم ما يوثقون به أقوالهم. وقد سخرت الأوساط الإنكليزية من هذا الخبر، وقالت ولماذا لم يرسل الروس هذه المعاهدة رأساً إلى رومانيا، ولماذا يتطوع جماعة من الإنكليز بحملها وإبلاغها؟؟

ولقد تساءلنا حينما سمعنا هذا عما إذا كانت مناسبة بين هذا الخبر والخبر السابق. فالإنكليز طيروا بالوناً اختبارياً بأن بين الألمان والروس اتصالات بسبيل صلح منفرد، فقابلهم الروس بهذا البالون الذي فيه أن هذه الإتصالات تجري بين الألمان والإنكليز.

ومما لفت نظرنا أن الروس لم يكذبوا ما قيل، وأن الألمان اكتفوا بالأسلوب الساخر الذي أشاروا به إلى الخبر. وأن الأوساط الإنكليزية لم تعلق على الخبر بشيء أيضاً. وكل هذا من الغرائب. ومما خطر لبالنا أن تكون مسألة مشروع شروط الصلح قد أذيعت للتستير، وأن للأشخاص الثلاثة مقاصد أخرى، فقد يكونون مهندسين ماهرين ولهم أصدقاء ومعارف في رومانيا فأرسلوا ليدبروا نسف آبار البترول الرومانية. وحملوا مشروع أو صورة مشروع الصلح ليتحججوا بها إذا ما قبض عليهم، ولم يستطيعوا القيام بالمهمة التخريبية التي أخذوها على عاتقهم.

4 ـ مقالات ويلكي الإنتقادية لسياسة روزفلت ومداها:

وصحف أميركا وأوساطها بدأت تنشط وتستعد لمعركة إنتخابات الرئاسة رغم أن موعدها يكون بعد عشرة أشهر، ومنافس روزفلت هو ويلكي المرشح الجمهوري. وقد أخذ ينشر مقالات في انتقاد سياسة روزفلت الداخلية والخارجية ويهاجمها. ومما قاله فيما قاله أن روزفلت أفلت من يده الزمام، وأن ستالين الآن قد أصبح الشخصية الأولى النافذة، وأن له سياسة خاصة إزاء دول أوروبا الشرقية، في حين أن مصير هذه الدول يجب أن يكون أهم نقطة في برنامج سياسة السكسونيين، وأن السلم والرفاه مربوط بذلك. ومع أنه قال إن روسيا عنصر أساسي في السياسة العالمية، فإنه استدرك فقال إن من الواجب على السكسونيين أن يجعلوها تقبل بنظرياتهم في حل مشاكل العالم ومصير الأمم الصغيرة، وبتشكيل جامعة أمم قائمة على الحق والعدل، وباعتبار أميركا نداً مساوياً لها. وإن هذا من مصلحة روسية نفسها، لأن بلادها المخربة تحتاج إلى جهود عظيمة ومساعدات كبيرة لا تكون إلا من أميركا... ومع أن حملة ويلكي حملة انتخابية، فإن في ما يقوله حقائق وبواعث خوف صحيحة بالنسبة لروسية وما يثور في نفوس السكسونيين من توجس من نياتها وتعاظم قوتها.

وقد نشرت الصحف الأميركية فيما نشرته حول احتمالات تبدل الإتجاهات السياسية بسبب المعركة الإنتخابية، فكان محصل ذلك أن الأفكار والسياسة الأميركية لن تتحول عن إدامة الحرب والإلتزامات الدولية بعدها، ومشاركتها في سياسة العالم وترك العزلة

التقليدية. وأن هذا من الأمور المتفق عليها، لأن أميركا أصبحت متورطة إلى حد كبير بمشاكل العالم، وتحملت أعباء عظمى اقتصادية وبشرية وهيآت مشاريع عظمى بسبب الحرب لا بد من استثمارها وتعويض أعبائها وصيانة نفسها ومشاريعها، ولا يتسنى ذلك إلا بإدامة الحرب حتى النصر. وأن كل ما يمكن أن يحصل تبدل في السياسة الداخلية.

5 ـ مشاريع الميزانية والقوانين الإجبارية التي قدمها روزفلت

وفي هذه الفترة قدم روزفلت إلى مجلس الشيوخ في مناسبة دورته الجديدة تقارير عن مؤتمرات طهران والقاهرة وميزانية السنة التي تنتهي بحزيران 1945، ومشاريع تشريعية متنوعة. ولقد بلغت أرقام الميزانية مئة مليار دولار. وقد سماها ميزانية النصر، ودعمها بنداء عظيم ضمنه واجبات أميركا في هذه الحرب وبعدها نحو الإنسانية وضد الطغيان. وقال أن أميركا يجب أن تحشد كل قواها في سبيل النصر لأنها لا بد لها منه وقال مفاخراً أن هذا المبلغ المطلوب يعادل نفقات جميع المحاربين في الدنيا. كما أن إنتاج أميركا الحربي يعادل الآن إنتاج جميع المحاربين في الدنيا. وقال أن الحرب قد تنتهي قبل نهاية سنة الميزانية، وحينئذ ينفق ما لا ينفق منها في أمور الحرب على أمور ما بعد الحرب مما لا تقل خطورته وأهميته عن أمور الحرب. وبهذه الميزانية يبلغ ما أنفقته أميركا على الحرب نحو (397) مليار دولار. وهذا الرقم سهل على النطق، ولكنه معجزة في الواقع لا يكاد يدرك مداه.. فإذا فرض أن الدول الأخرى أنفقت مثله على أقل تقدير، والراجح أنها أنفقت مثله، فإن الإعجاز والهول يزدادان.. وأكثر هذه المبالغ تذهب طعمة للنار والأسماك والتراب. ولو أنفق نصفها على عمران الأرض لما بقيت قرنة في أي مكان منها غير عامرة مجهزة بأحسن الأجهزة المدنية وحضارتها. وهذه المبالغ الهائلة تنفق طبعاً على التنافس على حكم الأرض ولو اختلفت الأساليب. وأي من الفريقين ينتصر سيخرج جائعاً فاغر الفم ليبتلع العالم حتى يستطيع التعويض. وهذا تصديق ما يسمع من أن ثورات الناس في بريطانية وأميركا قلت قلة كبيرة جداً. فلا حول ولا قوة إلا بالله...

والمشاريع القانونية التي قدمها روزفلت تتلخص بالنفير المدني الإجباري العام، ووضع كل شيء في يد الحكومة حتى يتيسر لها تشغيل كل القوى والأفراد في أي مجال تشغيلاً إجبارياً، وحتى يتيسر لها تنظيم أمور الغذاء والإنتاج والصناعات الحربية، وتنظيم جباية ضرائب كافية تتكافأ مع حاجات الحرب والنصر، وحتى يتيسر لها منع الإضرابات ووضع يدها على المصانع والمنشآت وتشغيلها إجبارياً... ومع أن دعاية عظيمة أثيرت حول مشاريع روزفلت المالية والقانونية، حتى وصفته الأوساط الإنكليزية والأجهزة الإنكليزية بأنه أعظم زعيم ظهر في هذه الحقبة وأثبت عظمته، فإن الأوساط الأميركية قابلتها بالحيرة والدهشة، ورأت فيها مصادرة مكشوفة للحريات والقوى والثروات، ولم تلبث تلك الحيرة والدهشة أن انقلبت إلى مخالفة قوية.

ومجلس الشيوخ الآن يدرس ويحسب ولا يمكن التكهن بما سوف تكون كلمته إزاء تلك الدعاية من جهة، وإزاء تلك الحيرة والدهشة

والمعارضة القوية من جهة أخرى.

ومن الطريف أن الأجهزة الألمانية علقت على هذه المشاريع قائلة أن روزفلت سار برغم أنفه في طريق حشد القوى وخدمة الدولة، وهو مبدأ النازية التي ينصب نفسه لعدائها.

ومما تعرض له روزفلت في تقاريره لمجلس الشيوخ موضوع المطارات والمنشآت والأجهزة التي أقامتها أميركا في مختلف بلاد العالم، وقال ان استخدام ذلك في المستقبل لأغراض استراتيجية (حربية) أو تجارية، لا يمكن أن يتم إلا في نطاق التعاون بين الأمم المتحدة في التجارة الدولية، وتنمية نظام قوامه الضمان العام، لتصان به تماماً مصالح الولايات المتحدة والأمم المتحدة على السواء.

وهذا كلام مهما بدا سليماً فإنه ينطوي على ما تحمله أميركا في نفسها من نيات من التوسع والنشاط الاقتصادي والتجاري والصناعي إزاء أنحاء العالم، ورغبتها في إبقاء مطاراتها ومنشآتها مصبوغة بصبغتها، وبقائها قادرة على استخدام مصالحها التجارية والحربية. وهذا متسق في الإجمال مع ما كان اقترحه هوفر أحد رؤساء الجمهورية السابقين من ضرورة حمل الدول التي أنشئت المطارات في بلادها على قبول بقائها مطارات أميركية بإيجار رمزي لمئات السنين. كما أنه متسق مع ما قيل تصريحاً وتلميحاً أن معنى تخلي أميركا عن العزلة هو أن يكون لها أصابع نافذة بارزة متناسبة مع قواها وجهودها، وما بذلته أثناء الحرب في سياسة العالم التجارية والصناعية والحربية والسياسية.

ولقد قرأنا في أهرام 1944/1/12 نتفاً كثيرة من خطاب روزفلت ومن ذلك قوله: الهدف الأعلى الذي توخيناه في المؤتمرات بالنسبة لكل أمة وبالنسبة لجميع الأمم يمكن تلخيصه بكلمة واحدة هي «الضمان»، وليس هو الضمان الجسماني الذي يتطلب السلامة من اعتداء المعتدين فقط، بل هو الضمان الإجتماعي والضمان الإقتصادي والضمان الأدبي في أسرة الأمم. وإن من الشروط الأساسية الجوهرية لحفظ السلام إيجاد مستوى محترم للحياة لكل فرد من رجال ونساء وأطفال جميع الأمم، وإن التحرر من الخوف متصل اتصالاً وثيقاً بالتحرر من العوز والفاقة. وأورد تفصيلاً للحقوق التي تكفل السلام والضمان للجميع يشمل على ما يلي:

1) حق الفرد في الحصول على عمل نافع يعود عليه بالربح.

2) حق الفرد في كسب ما يكفي لنفقات طعامه ولباسه ورياضته وتسليته.

3) حق كل زارع في أن ينال من منتجاته ما يكفل له حياة محترمة.

4) حق كل رجل من رجال الأعمال التحرر من المنافسة غير العادلة ومن سيطرة الإحتكار.

5) حق كل أسرة في أن يكون لها منزل محترم...

ومما قاله في صدد السلام العالمي أن من الواجب وضع الخطط اللازمة لكسب سلام دائم، وأن مصالح كل أمة كبيرة وصغيرة تقضي على جميع الأمم المحبة للسلام أن تنضم إلى نظام عادل ثابت للسلام. ومما قاله أن الحالة الراهنة في العالم تستدعي إيجاد مراقبة عسكرية مطلقة على معكري السلام. وهي ضرورية للأمم كما هي ضرورية للأفراد..

وقد يكون هدف الدعاية الاستهلاك المحلي والعالمي من أهداف أقوال روزفلت، ولكنها أقوال عظيمة بعيدة المدى صادرة عن ضمير حي صادق لا يمكن لأي كان إلا أن يتمنى

تحقيقها.. وهذا الصوت كان هو صوت ويلسون في الحرب العالمية الأولى الذي خفت أمام الدسائس والمطامع الاستعمارية. فهل يخفت مرة ثانية أم يكون له أثر في حياة العالم بعد الحرب الساحقة الثانية أمام مثل تلك الدسائس والمطامع؟ وهنا فارق مهم يجب أن ينبه عليه، وهو أن الأمة الأميركية قررت سلفاً في هذه المرة ترك العزلة والإشتراك في سياسة العالم، في حين أن من أسباب خفوت الصوت الويلسوني هو قرارها بالرجوع إلى عزلتها عقب الحرب العالمية الأولى محنقة حفيظة مما لعب على ظهرها من أدوار ودسائس. ومع هذا كله فمن الحقيقة أن نسجل أن مطامح ومطامع استعمارية بشكل ما قد كانت وستبقى وراء قرار ترك العزلة أيضاً...

ولقد قرأنا في عدد الأهرام 1944/1/14 بيانات لروزفلت في سياق تقديم الميزانية. ومن ذلك قوله أن النصر العسكري غير كافٍ، لأن العدو لو كسر في القتال فإن ذلك لا يمنع أن ينشب قتال آخر محلياً أو عالمياً إذا فشل المنتصرون في مهمة التعمير والإنشاء. واقترح بالنسبة لأميركا برنامجاً لتلافي ذلك يتضمن:

1) تحويل المصانع الحربية إلى مصانع غير حربية.

2) إعادة المصانع التي تحولت إلى مصانع حربية إلى أسلوب إنتاجها الأول.

3) إنهاء العقود الحربية بين الحكومة والشركات الحربية الصناعية.

4) توزيع الممتلكات الواسعة التي تمتلكها الحكومة على الناس واستثمارها.

5) إيجاد عمل للمحاربين العائدين من جبهات القتال وللعمال الذين سوف تغلق المصانع الحربية التي يعملون فيها.

6) توسيع نطاق التأمين والضمان الاجتماعي.

وقال في ما قاله أنه ينبغي أن يكون الهدف الأول هو إنعاش الأعمال الحرة والتوظيف. كذلك مما قاله يجب أن نتوقع استمرار الحرب طيلة السنة الحالية، وهذا ما يكفل سلامة الميزانية. فإذا انتهت الحرب قبل نهاية سنتها فيكون ما يمكن توفيره منها على الحرب ضرورياً لما بعد الحرب لرفع مرتبات الجنود القدماء والمعاشات وضرائب الأرباح الاستثنائية وإعادة المبالغ التي انفقت على العقود المبرمة ودفع فوائد الديون الخ. وهكذا يبدو أن روزفلت مصمم على عمل كل شيء وتحميل أميركا كل شيء والسير في الحرب إلى نهايتها الظافرة. وظواهر الأحوال تدل على أن الأميركيين سائرون وراءه بعد ما تورطوا هذا التورط، وأصبحوا يعتقدون أن الانكسار في الحرب كارثة قومية واقتصادية. والعبء المالي عظيم جداً والمدى الذي يدور فيه واسع العظمة. وفي هذا ما فيه من تجسيد لروح العزم والعظمة في الإنسان بدون ريب.

6 ـ مؤامرة ثانية في نيويورك لقلب الحكومة ومداها:

قرأنا في أهرام 1944/1/4 خبر اكتشاف مؤامرة في نيويورك اشترك فيها (28) رجلاً وامرأتان لقلب حكومة الولايات المتحدة وإقامة حكم نازي فيها. وذكر الخبر أن الحكومة اعتقلت المتآمرين وأحالتهم إلى المحكمة العليا.. والسؤال الوارد على الذهن هو ما إذا كان لعملاء ألمان يد في هذه المؤامرة لإزعاج

حكومة روزفلت، أم أن المتآمرين أميركيون وطنيون متعصبون على الأسلوب النازي. وهذا مما كان في بريطانية وتمثل في حرب موزلي، وكان منه ما كان من مناهضة ضد اليهود على ما ذكرناه قبل. ولم تثر ضجة حول هذه المؤامرة، حيث يبدو من ذلك أنها تافهة. ولكنها على كل حال ذات معنى، سواء أكان للدعاية، وللعملاء الألمان أصبع فيها، أم كانت نتيجة عقيدة نازية. ولقد ذكرت الصحف والإذاعات في هذه الحقبة أخبار حركات حزبية نازية ظهرت في الأرجنتين والبيرو، كما أن ثورة نازية قامت منذ مدة في بوليفيا أدت إلى قلب الحكومة القائمة وحلول الثوار النازيون محلها. وقد نسبت الأجهزة السكسونية هذه العملية إلى دعاة وعملاء ألمان. ورفضت حكومة الولايات المتحدة الإعتراف بالحكومة، وتسعى لمنع الحكومات الأميركية الأخرى من الإعتراف بها.

7 ـ إعدام شيانو وزعماء الفاشيست بحكم محكمة موسوليني بالخيانة

في هذه الفترة أذيع خبر إعدام الكونت شيانو زوج ابنة موسوليني ووزير خارجيته، والجنرال ده بونو والجنرال مارينللو وآخرون من القواد الطليان الذين هم من زعماء الفاشيست. وكان موسوليني حينما خلص من أسره وقام على رأس سلطة حكومية في قسم من إيطالية على ما ذكرناه قبل، قد أمر باعتقالهم ومحاكمتهم بتهمة الخيانة القومية. ومما كان أثناء المحاكمة أن المتهمين رفضوا تهمة الخيانة واعترفوا أنهم أيدوا غراندي ضد موسوليني في مجلس الفاشيست الأعلى. وكان تأييدهم لغراندي ورفع قرار المجلس المضاد لموقف موسوليني إلى الملك، وأدى ذلك إلى إقالة موسوليني واعتقاله. . ولقد علق الألمان والإنكليز على حكم الإعدام تعليقاً متماثلاً في التعبير مع الفارق في المغزى، حيث قال الأولون: إنه عادل وضروري لمحو العار الذي لحق بحزب الفاشيست. وقال الآخرون إنه عادل لأن المحكوم عليهم قد أساءوا لوطنهم بتعضيد موسوليني. وعلق المعلق التركي في أنقرة فقال: (وهكذا ذهب هؤلاء دون أن يبكيهم أي طرف بدمعة ما، وفي هذا ما فيه من عاقبة فاجعة وعبرة دهرية).

8 ـ حول الجبهة الثانية واحتمالاتها وتأخرها والإعداد لها:

وحديث الجبهة الثانية ظل مستمراً في هذه الحقبة ورافقه إعلانات عن تعيينات وتنظيمات لقيادتها. واستلم في هذه الحقبة الجنرال أيزنهاور الأميركي والجنرالان مونتغمري وويلسون الإنكليزيين مهام مناصبهم الجديدة التي ذكرناها قبل، فكان هذا وسيلة دعاية وكلام جديدين في صدد قرب فتح هذه الجبهة وإتمام الإستعداد لها. مع إبراق وإرعاد سكسونيين بإنقاذ أوروبا وتحريرها، وما سوف يقع على ألمانيا من ضربات وصواعق من كل ناحية. . وتكررت إذاعة الألمان عن استعدادهم للقاء الغزاة واعتقادهم بقرب ذلك وإتمامهم الإستعداد الذي سوف يدهش خصومهم هولاً وعظمة وقوة. .

ومما لحظناه أن السكسونيين يكررون من جانبهم إعلان ما ينتظرهم من شدائد وما سوف يمنون به من خسائر فادحة في الأرواح، حتى لكأنهم يهيئون أفكار شعوبهم لنتائج مريرة

محتمه بسبيل تحرير أوروبا والإنسانية عبر فتح هذه الجبهة.

وقد أعلن الأميركيون أنهم اخترعوا زورقاً بخارياً له عجلات ليحمل ما يوضع فيه من مهمات ويركبه من جنود، ويخرج من البحر إلى البر وينقلب إلى مصفحة أو دبابة كبيرة. وأنهم قد هيأوا إلى الآن من هذا الزورق عشرين ألفاً، وأنهم بسبيل انتاج (45) ألفاً أخرى، حتى يكون نجاحهم في الإخراج ثم في الغزو البري بعده مضموناً..

***

1944/1/31
26 محرم 1363:

أخبار وتعليقات عربية:

1 ـ دعوة للأمير عبد الله لزيارة فلسطين والباعث عليها:

في عدد فلسطين 1943/12/18 خبر سفر الشيخ عبد الرحمن العزة ويوسف بامية إلى عمان لدعوة الأمير عبد الله لزيارة يافا وبيت جبرين، وقالت الجريدة إن من المنتظر أن يتلو ذلك دعوات أخرى من مدن أخرى. ولقد كان أبناء الملك عبد العزيز زاروا فلسطين وجرت لهم احتفالات وأقيمت لهم مآدب. فالظاهر أن الأمير تأثر من ذلك، إذ رأى أن من حقه أن توجه له مثل هذه الدعوة ليثبت أنه هو الآخر موضع حفاوة أهل فلسطين واهتمامهم.

2 ـ تصريح لحافظ وهبه في صدد الوحدة وقضية فلسطين:

في عدد فلسطين 21 كانون أول تصريح للشيخ حافظ وهبه سفير السعودية في لندن أدلى به للصحافة الأميركية في نيويورك قبل سفره منها عائداً إلى بريطانية جاء فيه: (إن الحكومتين الأميركية والبريطانية لن تحاولا فرض الفكرة اليهودية وأهدافها على العرب. ومهما بلغ أثر الدعاية والحركات الصهيونية في أميركا فإن العرب لن يتراجعوا عن موقفهم وسيحافظون على الهدوء طيلة مدة الحرب رعاية لحلفائهم

وحرصاً على عدم إزعاجهم، ولسوف تنفرج مسألة فلسطين بعد الحرب لأن الحكومة البريطانية معنية بحل هذه المشكلة وتنظيم أمور فلسطين. أما مسألة الوحدة العربية فإني واثق بأن كل عربي في العالم يطمع بأن يرى العرب متحدين.

ويبدو من الحديث أنه أتيح للأمير فيصل وأخيه في أميركا فرص الحديث في قضية فلسطين مع الأمريكان بعد أن مهد لهما حافظ وهبه الذي كان معهما تلك الفرص، وأنهم تلقوا تعليمات من هؤلاء بعدم الاندفاع في تأييد المطامع الصهيونية.

وقد نشرت فلسطين في عدد 1943/12/18 برقية من واشنطن أذاعتها شركة البرقيات اليهودية، فيها تصريح لمساعد وزير خارجية أميركا، جاء فيه أن موقف أميركا الرسمي إزاء فلسطين هو ما أدلى به أمام لجنة الشؤون الخارجية في صدد إنقاذ يهود أوروبا، حيث قال في شهادته أمام هذه اللجنة أن الحكومة الأميركية غير غافلة عن فلسطين، وأنها مهتمة لهذا البلد من وجهة نظر السلامة العالمية والسلم العالمي والحقوق الإنسانية والعواطف الإنسانية والدينية. ومع ما في هذا الكلام من إبهام وتعميم، فيبدو لنا أنه ليس بسبيل تأييد مطالب اليهود ووجهة نظرهم، مع أن البحث في لجنة الشؤون الخارجية كان يجري في نطاق الحث والبحث عن إيجاد ملجأ ليهود أوروبا في فلسطين نتيجة لنشاط ومساعي الصهيونيين التي ظلت توجه كل حديث إلى هذا الإتجاه وتشغل كل حكومة به. . .

3 ـ احصاء عن حالة اليهود المعيشية :

في عدد فلسطين 1943/12/26 إحصاء عن حالة اليهود المعيشية أجرته لجنة خاصة عينتها مؤسسة هداسا. وقد درست اللجنة حالة 4399 أسرة يهودية من الأسر الفقيرة والمتوسطة، فوجدت أن 95٪ منها لا يزيد دخل أي فرد منها عن خمسة جنيهات في الشهر. ومعدل الدخل لها جميعها هو جنيهان وستة وثمانون مليماً. ومما ذكرته اللجنة في تقريرها أن عدداً كبيراً من الأسر ينام أكثر من ستة أشخاص منها في غرفة واحدة. وأن كثيراً منهم لا ينفق على غذائه في اليوم للشخص الواحد أكثر من خمسة وعشرين ملا، وأن هناك حالات كثيرة من سوء التغذية والتدرن المزمن المؤذية المؤدية إلى الإضرار بالصحة وإضعاف المقاومة للأمراض، وإلى البلادة العضلية وانعدام النشاط. وقالت اللجنة إن التحقيق شمل أسراً يمكن أن تكون ممثلة لجميع الأسر الموجودة في القدس من الفقراء والمتوسطين. وفي القدس مئة ألف يهودي وأكثر من 75٪ منها من الفقراء والمتوسطين. وأن هذه النسب قد تكون منطبقة على يهود فلسطين عامة. والصورة كئيبة تدل على شدة سوء الحالة الإقتصادية لدى اليهود، وتكذب التبجحات والدعايات اليهودية.

4 ـ ضيق نطاق انتشار العبرية في فلسطين وخارجها:

في عدد فلسطين 1943/12/22 تصريح لممثل مؤسسة نشر اللغة العبرية جاء فيه، أن ثلاثمائة ألف شخص يهودي في فلسطين لا يعرفون ولا يتكلمون بالعبرية، وهذا اعتراف

طريف وخطر، برغم ما بذلته المؤسسات اليهودية من جهد في سبيل إحياء اللغة العبرية ونشرها وجعلها لغة قومية في فلسطين ولغة تدريس وصحافة ودوائر ومؤسسات وكتب وخطابة ومسرح وإذاعة ولغة حكومية رسمية. فإن أكثر اليهود في فلسطين لم يتعلموها. وهكذا تبقى مسافة واسعة بين اليهودية والتكامل القومي الذي ينشده الصهيونيون.. ومما يجب ملاحظته أن الأكثرية الساحقة من يهود العالم لا تتكلم العبرية أيضاً. وهذا يجعل المسافة المذكورة أوسع جداً.. والتصريح من ناحية أخرى يدل على أن يهود فلسطين الآن يمثلون أسطورة برج بابل، حيث أن لكل جماعة منهم لغة لا تهمها الجماعة الأخرى..

5 ـ إحصاء عن المدارس والطلاب في فلسطين سنة 1941 ونسبة نفقات الحكومة على التعليم وتعليق على ذلك:

في عدد فلسطين 1943/12/23 إحصاء لمدارس وطلاب فلسطين لسنة 1941 نشرته دائرة المعارف. ويؤخذ منه أن عدد المدارس الحكومية ـ وجميعها لطلاب عرب ـ (403)، فيها (52645) طالباً وطالبة. وأن في فلسطين (191) مدرسة خصوصية للمسلمين عدد طلابها (15505)، و(186) مدرسة للنصارى عدد طلابها (24659). ويكون مجموع مدارس العرب مسلمين ونصارى وحكومية وخصوصية هو (780)، وعدد طلابها (94809).

أما عدد المدارس اليهودية فهو كما جاء في الإحصاء (711)، وعدد طلابها (83348)، وتكون نسبة الطلاب العرب للمجموع المقدر بمليون 9,40٪، وتكون نسبة الطلاب اليهود لمجموعهم المقدر بخمسمائة ألف 16,5٪.

ومما ذكر في الإحصاء أن ميزانية المعارف لسنة 1941 هي (270000) جنيه. ونسبتها العامة 4٪. ومما ذكر في التقرير أنه تقدم في هذه السنة (10981) طفلاً عربياً في المدن، و(12748) طفلاً عربياً في القرى، فلم يؤخذ من الأولين إلا (5580)، ومن الآخرين إلا (8424)، وأنه لا يوجد أماكن للباقين فأجلوا..

مما جاء في التقرير أن عدد الطالبات في المدارس الحكومة في المدن (9757) والقرى (2217)، ونسبة المجموع إلى نسبة مجموع عدد الطلاب هي نحو 20٪، وأن عدد الطلاب الذكور في مدارس المدن الحكومية هو (25038)، ومدارس القرى (27623)، وأن من مدارس الحكومة (17) ثانوية فيها 10016 طالباً وطالبة.

والإحصاء يفيد أن جميع صبيان وبنات اليهود الذين هم في سن الدراسة في مدارس، وأن جميع صبيان وبنات النصارى الذين هم في سن الدراسة في مدارس، وأن 40٪ فقط ممن هم في سن الدراسة من المسلمين في مدارس. والمسلمون مقصرون في حق أنفسهم ولا ريب، غير أن تخصيص 4٪ فقط من ميزانية الدولة تقصير فادح إلى حد الجريمة. ولو رفعت هذه النسبة إلى الضعف على الأقل وهو ممكن ومعقول جداً، لارتفع عدد طلاب المسلمين أيضاً، وفتحت لهم الطرق ليسيروا خطوات واسعة للحاق بالطوائف الأخرى.

6 ـ إلغاء نظام إطفاء الأضواء

في عدد فلسطين المذكور خبر قرار الحكومة إلغاء نظام إطفاء الأضواء الذي كان فرض في

أوائل سنة 1940، أو بالأدق حينما دخلت إيطالية الحرب. وهكذا يكون أهل فلسطين ظلوا يقاسون مرائر الظلام نحو ثلاث سنين ونصف. وننبه على أن في قرار الإلغاء قيوداً بالنسبة للسيارات والسواحل، حيث أكد على بقاء الحالة على ما هي عليه. وفي القرار تنبيه على أن الحكومة تحتفظ بحق إعادة نظام الإطفاء حين الضرورة.

7 ـ الإطفاء في مصر:

ونذكر بالمناسبة أننا قرأنا في الصحف المصرية أن نظام إلغاء الأضواء في أقسام الصعيد قد ألغي أيضاً، كما أنه خفف في الأقسام الأخرى. ويظهر أن الأقسام البحرية أو الشمالية ما تزال تحت كابوس الحرب..

8 ـ وداع رياض الصلح للبطرك الماروني وما جرى من حوار:

قرأنا في جريدة النهار العدد 1944/1/4 أن رياض الصلح ذهب إلى بكركي (مقر البطريركية المارونية) لوداع البطرك الماروني في مناسبة سفره إلى مصر، وأنه استقبل بحفاوة، وأن البطرك قال له يجب أن تحمل إلى مصر عدا ما تحمله من مهمات أدبية وسياسية تهنئة لبنان بالعام الجديد.. وإني آمل أن تكون أحسن واحد بالفهم والسياسة والأدب، لأن لبنان منبع هذه الصفات وأنت تحمل صورة عنه. وأن رياضاً سأل البطرك عما إذا كان يراه أهلاً للمهمة (قد الحملة)، فقال له (قدها وزيادة)، وأنا أقول للذين لا يصدقون اسمعوا الراديو غداً، واقرأوا الصحف فستروا رياضاً (بيّضها كثيراً).

وزيارات رؤساء الوزارة المسلمين بل ورؤساء الجمهوريات للبطرك عند أسفارهم تقليد عجيب أريد ويراد به إضفاء هالة الأبوة للبطرك على جميع لبنان..

ومن جهة ثانية إن رياضاً سافر لمشاورات الوحدة، وكلام البطرك يدل على تطور في أفكار لبنان النصراني، حيث ينطوي فيه تحبيذ لاشتراك لبنان في هذه المشاورات.

9 ـ وصف لحفلة تسلم المصالح المشتركة لسورية ولبنان من الافرنسيين:

وفي عدد جريدة النهار المذكور وصف للحفلة الرسمية التي جرت في مناسبة استلام لبنان مهمة المصالح المشتركة. وقد شهدها من الجانب الإفرنسي ثلاثة من كبارهم، ورأس الحفلة رئيس الجمهورية، واشترك فيها رياض بصفته وزير المالية، وكل من جميل شهاب وإبراهيم الأحدب وباسيل طراد بصفتهم ممثلي لبنان في مجلس المصالح المشتركة.

واشترك من الجانب السوري خالد العظم بصفته وزيراً للمالية، وكل من إحسان الشريف وليون مراد ومحسن البرازي بصفتهم ممثلي سورية في المجلس المذكور. ووقع الفرقاء الثلاثة على نصوص الإتفاقات، وتبادل شاتينو وكيل السفير الإفرنسي ورياض رئيس وزراة لبنان خطباً نوه فيها بالصداقة الإفرنسية السورية اللبنانية.

10 ـ تصريح لرياض الصلح عن تمسك لبنان باستقلاله ومدى ذلك:

وفي عدد النهار نفسه تصريح لرياض لممثلي

الصحف السورية واللبنانية الذين حضروا الحفلة المذكورة جاء فيه في ما جاء: (إن لبنان يسير بمشاورات الوحدة ضمن البرنامج الوزاري الذي وضعه وهو المحافظة على استقلال لبنان، وإن لبنان سيبقى دولة مستقلة، وسورية تبقى دولة سورية، ولكنهما تعملان معاً بروح التعاون، على أن تبقى كل منهما محتفظة باستقلالها التام الناجز. وأن لبنان ذو وجه عربي يستسيغ النافع من الضار، ويظل كذلك. وإننا سائرون على التعاون مع الدول العربية الشقيقة بأوسع أبواب التعاون بما لا ينتقص من استقلالنا الذي نحافظ عليه، وهكذا سورية، وهكذا مصر، وهكذا البلاد العربية الأخرى).

ورياض يضرب على هذا الوتر منذ ترشيحه لرئاسة الوزارة وتعاونه مع الشيخ بشارة الخوري. ومهما كان في هذا من معنى إقليمي وتضاد مع فكرة الوحدة القومية المنشودة، فإن ظروف لبنان جعلته يضرب على هذا الوتر ويحظى بتأييد واسع من النصارى. ومهما قيل بأن ظروف انهيار فرنسة وظروف مسايرة إنكلترة للعرب ظاهراً أو حقيقة قد جعلت نصارى لبنان لا يرون بداً من الموقف الذي وقفوه، فإن سياسة رياض هذه كان لها أثر كبير في المسايرة والطمأنينة وفي وقفة نصارى لبنان مع مسلميه وقفة قوية في الأزمة التي حدثت وفي انفراجها على الوجه الذي انفرجت به. ويبدو أن هذه السياسة رشيدة وضرورية للخطوة التي لابد منها في سبيل تحويل لبنان وخاصة نصاراه عن الإتجاه الذي كانوا يتجهون إليه، وفيه العثرات والعقبات والمنغصات، ولا سيما أن الأمور لم تنته بعد.

11 ـ تصريحات للوزير البريطاني في الشرق الأوسط في صدد الوحدة

كان لبريطانية ممثل في الشرق الأوسط مركزه سفير برتبة وزير، وهو عضو في مجلس الحرب الأعلى اسمه المستر كايسي. وقد عينته حكومته حاكماً للبنغال. ويظهر أنه رجل قوي العقل والشخصية، استطاع أن يقوم بأعباء مهام عظيمة في الظروف الحرجة التي مرت بمصر وبلاد الشام. وكان له جهد كبير في حل أزمة لبنان على الوجه الذي حلت به. وقد أدلى بتصريحات مهمة في صدد خطورة مركز الشرق الأوسط وضرورة بقاء أممه راضية، أوردناها في أسبوعية سابقة. وقد قرأنا له في أهرام 1944/1/5 تصريحاً أدلى به في لندن جاء فيه فيما جاء: (إنه شديد العطف على الوحدة العربية وسير مشاوراتها، وإن هذه المسألة تعد الآن متروكة للدول العربية نفسها..).

والتصريح ينطوي على معانٍ عديدة في صدد هدف ورغبة بريطانية في إيجاد شكل اتحادي عربي ما. وعلى عبء المسؤولية التي يحملها رجال الدول العربية الذين يتشاورون في موضوع الوحدة.

12 ـ حول ما جرى في بغداد في مناسبة سفر الوفد السوري اليها:

كنا ذكرنا في أسبوعية سابقة خبر سفر وفد سوري إلى العراق وما كان له من حفاوة واهتمام وأثر. وعلقنا على ذلك متوقعين تعاون بين سورية والعراق فيما بينهما أولاً، وفي صدد مشاورات الوحدة ثانياً وقد قرأنا في الأهرام

1944/1/10 خبراً من بغداد يذكر أن المباحثات التي جرت بين الوفد السوري والحكومة العراقية انتهت إلى اتفاق تام، وأنه صدر بيان رسمي في ذلك جاء فيه: (جرت مباحثات بين أعضاء الوفد السوري والحكومة العراقية وتبودلت الآراء في المسائل التي تهم القطرين الشقيقين. كما بحثت وجهات نظر الحكومتين في ما يختص بالوحدة العربية على الأساس الذي جرت عليه مشاورات الوحدة في القاهرة، فأسفرت هذه المحادثات التي كان يسودها الود الخالص والثقة المتبادلة عن اتفاق تام في وجهات نظر الفريقين). ونرجو أن يكون فيما اتفق الفريقان عليه جداً وخيراً للأمة والبلاد والأهداف العربية.

13 ـ حركة شغب في كليات الأزهر وخلفياتها:

في أهرام 1944/1/11 خبر وقوع شغب بين طلاب ثلاث كليات في الأزهر وتعطيل الدراسة بسببه. وفي الأهرام نص كتاب أرسله مشايخ كليات الشريعة واللغة العربية وأصول الدين ومعهد القاهرة إلى رئيس الوزارة جاء فيه بعد السلام: (لقد اضطرب النظام الدراسي بالكليات الثلاث منذ مدة طويلة، وآل هذا الإضطراب منذ أربعة أيام إلى خلاف شديد فيما بين الطلاب، ونجم عن ذلك اعتداء بعضهم على بعض بالضرب الشديد، ونخشى أن يستفحل الخطب وتنتقل عدوى الإضطراب إلى معهد القاهرة، نظراً لاتصاله بالكليات الثلاث اتصالاً وثيقاً. وقد اتصلنا بفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ جامع الأزهر وتحدثنا معه في صدد وقف الدراسة نظراً للأسباب السابقة، فوكل إلينا أمر وقفها مع الاتصال بالحكومة. وبناء على ذلك رأينا وقف الدراسة في الكليات الثلاث وفي معهد القاهرة معاً منذ تاريخ 13 محرم لمدة أسبوع، فنخطر رفعتكم بذلك).

ثم نشر في الأهرام في 1944/1/16 بيان جديد موقع من الأربعة الموقعين على الكتاب السابق المذكور جاء فيه: (نظراً إلى أن الأسباب التي بنينا عليها وقف الدراسة في كليات الأزهر الثلاث ومعهد القاهرة أسبوعاً بدءاً من 9 يناير لم تزل قائمة، ونظراً إلى أنه لم يوجد في الإدارة العامة منذ أيام كثيرة شيخ للأزهر ولا وكيل عنه نرجع إلى واحد منهما في أمر وقف الدراسة أو عودتها أو الشؤون الأخرى التي لابد منها في استقرار النظام الدراسي، ونظراً إلى أننا لا نستطيع مع هذا الوضع الحالي ومع قيام تلك الأسباب أن نتحمل مسؤولية عودة الدراسة غداً، رأينا استمرار تعطيل الدراسة في الكليات والمعهد إلى أجل غير مسمى حتى تزول الأسباب وتتيسر العودة مع استقرار النظام).

والذي لفت نظرنا ما جاء في البيان الثاني من الإشارة إلى عدم وجود شيخ للأزهر ولا وكيل عنه منذ أيام كثيرة. ثم قرأنا في جريدة المصري وهي جريدة الوفد عدد 1944/1/20 خطاباً متوجاً بإمضاء الشيخ محمود الغمراوي أحد كبار مشايخ المعاهد موجهاً لشيخ الأزهر الشيخ مصطفى المراغي. فيه تأنيب وتنديد.

وفي المصري أخبار اضطرابات في الأزهر وهتافات ضد شيخه، والذي نعرفه أن بين الشيخ والوفد جفاء، وأن الشيخ من أولياء فاروق. وأن فاروق في قرارة نفسه ما يزال حاقداً على الوفد وحكومته التي أرغم عليها إرغاماً. وخطاب التنديد بالشيخ ينشر في جريدة الوفد، وأخبار الاضطرابات والهتافات ضده كذلك تنشر

فيها، وكل هذا جعلنا نتساءل عما إذا كانت الحركة في أصلها حركة شغب ضد شيخ الأزهر حركها شباب وأصابع الوفد بسبيل إزالة الشيخ عن منصبه. وأن الخلاف بين الطلاب هو بين وفديين وغير وفديين بسبيل ذلك أيضاً.

14 ـ حفاوة الفلسطينيين في مصر بوفود لبنان وسورية ومداها:

قرأنا في عدد 1944/1/5 من جريدة فلسطين أن الفلسطينيين في مصر استقبلوا الوفد اللبناني بحفاوة عظيمة. وكنا قرأنا أنهم كانوا يفعلون مثل هذا حينما زارت وفود سورية والعراق والأردن والسعودية. والمتبادر أنهم بذلك يدركون قضية فلسطين ويتطلعون إلى ضرورة دمجها في جهود ومشاورات الوحدة.

15 ـ محاولات ومساعي يهودية لبعث مشروع التقسيم:

في 1944/1/5 من فلسطين برقية لشركة البرقيات اليهودية ذكرت أن الصحف البريطانية عادت إلى بعث مشروع تقسيم فلسطين من مرقده. وكنا قرأنا برقية ذكرت مساعي وايزمن في هذا السبيل، وكنا كذلك قرأنا في عددي فلسطين 2 و1944/1/3 أن يهود فلسطين أيضاً مهتمون لذلك، وأن شرتوك قام أو سيقوم برحلة إلى لندن لمقابلة وايزمن والتحدث معه في برنامج الصهيونية ومساعيها، وفي ما كان من أقوال ومواقف تساهلية من وايزمن أدت إلى بلبلة الأفكار في فلسطين واستقباله بن غوريون. ولا ندري ما إذا كان حقاً هناك تفكير بريطاني في العودة إلى مشروع التقسيم، وإن كنا نستبعد ذلك استناداً إلى توكيدات بريطانية المتكررة بأنها متمسكة بالسياسة التي رسمتها في الكتاب الأبيض. وأرجح أن بريطانية في هذا الظرف الذي يبدو فيه نشاط عربي قومي لن تقدم على أمر من شأنه أن يثير غضب العرب في فلسطين وخارج فلسطين ، وهي تعرف أن التقسيم كان من أهم ما أثار غضبهم في كل مكان. ولكن اليهود من ناحية ثانية دائبون على التفكير والتدبير وبذل الجهود وتهيئة الفرص لتنفيذ مطامعهم التي كادت تتحقق كمرحلة أولى في التقسيم الذي ألغته الثورة العربية والغليان العربي. وهذا ما يوجب على العرب الإنتباه الشديد، ونرجو أن يكون ذلك منهم.

16 ـ مقال جريدة إنكليزية حول سياسة الكتاب الأبيض والوحدة العربية وتوحيد أقطار الشام ومدى ذلك:

قرأنا في عدد فلسطين 1944/1/4 تلخيصاً لمقال نشرته جريدة الأيكونمست البريطانية، جاء فيه أن شهر آذار المحدد في الكتاب الأبيض لإنهاء الهجرة اليهودية إلى فلسطين يلقي على الحكومة البريطانية واجباً لإعلان سياستها في فلسطين، وأن معظم خبراء الشرق الأوسط مجمعون على أن مشكلة اليهود لا يمكن حلها في حدود فلسطين، ولكن ذلك ممكن بطريق توسيع الوحدة العربية في الشرق الأوسط. ثم أشارت إلى ما قيل من توحيد شرق الأردن وفلسطين ولبنان وسورية. وقالت أن هذا ليس فيه ضمانة قاطعة لحل تلك المشكلة وإن كان فيه بعض الآمال في ذلك. وختمت مقالها بقولها أنه قد آن الأوان للشروع في عمل جدي

في صدد ذلك بعد أن زالت العثرة الإفرنسية من الطريق . .

ومهما كان من صفة هذا المقال ومداه، فإن فيه إشارة إلى ما كان قيل في أوقات سابقة في احتمالات فتح باب البلاد العربية الأخرى لهجرة يهودية قد يرى اليهود فيه تعويضاً وإرضاء، فلا يظلوا متمسكين بفلسطين وتهويدها. وأن هجرة بضع مئات من الألوف إلى بلاد العرب ليس فيه بأس كبير في سبيل حل قضية فلسطين حلاً عربياً. بل نحن نعرف أن مثل هذا الرأي ما كان يسوّقه نوري السعيد من جملة ما يسوقه من مشاريع في سبيل حل قضية فلسطين وادماج فلسطين في الوحدة العربية وقيام حكم وطني بأكثرية عربية فيها وقفل باب الهجرة إليها. . ولهذا الرأي أنصار من اليهود والإنكليز أيضاً. غير أن هناك بين رجال الصهيونية المسؤولين والمتطرفين من يعادي هذا الرأي، من حيث أنه سوف يظل يحرمهم من أن يصبحوا أكثرية في فلسطين يخلصون بها من طابع حياة الأقلية الذي طبع حياتهم منذ ألفي سنة. ويجوز أن يكون المقال من وحي الفريق الأول الذي يرى في فتح باب الهجرة لليهود إلى بلاد العرب تعويضاً ما. والذي يرى في مساعي العرب وجهودهم نحو الوحدة مناسبة. .

ولقد كنا ومازلنا نرى في هذا الرأي خطراً عظيماً من كل ناحية، وليس من شأنه حل قضية فلسطين حلاً عربياً بل من شأنه تعقيد ذلك. وبعد أن كان العرب مبتلين بالصهيونية في فلسطين، يصبح بلاءهم في بلادهم الأخرى في الوقت نفسه. وأن من الخطأ الفادح أن يظن عربي أنه بذلك يخفف الخطر عن فلسطين. ومادام الإنكليز قد قالوا كلمتهم بأنهم سوف يوقفون الهجرة إلى فلسطين، وأنهم قاموا بواجبهم نحو الوطن القومي، فالتمسك العربي بذلك هو الواجب اللازم. وقد يقال أن الإنكليز قد يطلبون من العرب مثل ذلك لأنهم معرضين لضغوط شديدة من اليهود وأنصارهم بسبب لاجئي اليهود، حيث يرون في ذلك تعويضاً وتفريجاً وثمناً لوحدة فلسطينية أردنية سورية لبنانية عراقية، وحيث يرون أن رضاء اليهود عن هذه الوحدة منوط بمثل هذا التعويض والتفريج. وإني لآمل أن يدرك رجال العرب أبعاد هذا الرأي، بل الكارثة القومية التي يمكن أن يؤدي إليها، فيرفضون ذلك إذا طلبه الإنكليز، ويبينون لهم ما سوف ينجم عنه من مشاكل تصبح بها كل بلاد العرب فلسطينات. . وإني أفضل تأجيل قضية وحدة فلسطين مع البلاد الأخرى إذا كان شرط ذلك تنفيذ ذلك الرأي، مع الإصرار على بقاء باب الهجرة إلى فلسطين مغلقاً حسب سياسة الكتاب الأبيض. ثم يسار في مشروع الوحدة أو الإتحاد بين البلاد العربية الأخرى. والزمن كفيل بحل قضية فلسطين وإلحاقها بالركب حينما تتم تلك الوحدة. . وإنه لمن الخيانة أن يتساهل أي عربي مسؤول ويسمح بأي هجرة يهودية إلى أي بلد عربي آخر. وما بدا من متطرفي اليهود بل معتدليهم من مطامع واسعة في بلاد العرب نذير قوي للعرب جميعهم. . وقد يقال إن اليهود إذا لم ينالوا تعويضاً وثمناً سوف يبذلون جهودهم للحيلولة دون نجاح أي حركة وحدوية. أو قد يقال إن اليهود قد يستطيعون مساعدة العرب على تحقيق حركة وحدوية إذا نالوا مثل هذا التعويض. والذي نعتقده أن القول بتأثير اليهود سلباً أو إيجاباً مبالغ فيه. وأن الإنكليز إذا كانوا جادين في عملية الوحدة ويرون في إنجازها مصلحة، فلن يستطيع اليهود التأثير والمنع. اما اذا كانوا

غير جادين فلن يستطيع اليهود المساعدة. . على اني من جهة اخرى اعتقد ان اليهود لا يمكن أن يرضوا عن اي عملية توحيدية عربية وانهم سيبذلون كل جهودهم في عرقلتها حتى ولو سويروا او أرضوا بفتح باب هجرة منها الى بلاد العرب. فهم يعرفون ان الوحدة العربية ستمنح العرب قوة عظيمة ولهم من المطامع والمطامح في فلسطين وبلاد العرب ما يتناقض مع ذلك على طول الخط.

17 ـ حول إشارة الصحيفة الإنكليزية إلى زوال العثرة الإفرنسية ومدى ذلك:

هذا، ومما لفت نظرنا في مقال المجلة إشارتها إلى (زوال العثرة الافرنسية من الطريق)، فالإنكليز كما يعرف الجميع يرغبون في قرارة نفوسهم أن تنقطع صلة فرنسة بلبنان وسورية ويحلوا هم محلها، لتكون جميع بلاد العرب ميداناً لهم وتحت هيمنتهم وحدهم. ومن رجال العرب المخلصين من يرى في هذا مصلحة للعرب، لأن زوال تلك العثرة ووحدة الميدان وانحصاره على الإنكليز أفضل إن كان لابد من عثرة أجنبية ما، وهو ميسر للتوحيد الإقتصادي والثقافي وربما السياسي في مستقبل الأيام. وأكثر رجال العرب قانعون أن العثرة الإفرنسية في حكم الزائلة. ففرنسة لن تخرج قوية عظيمة، وستظل محتاجة إلى بريطانية في وسائل نهوضها من كسرتها الشديدة. وستجد بريطانيا في هذه الحاجة مجالاً للمساومة، ولن يستطيع الإفرنسيون إلا الإستجابة إليها بسبيل ما هو أجدى وأكثر ضرورة وحيوية لهم.

18 ـ خطاب للمندوب السامي في فلسطين فيه تحذير للعرب واليهود في مناسبة رأس السنة ومدى ذلك:

في عدد فلسطين 1/1/1944 خطاب أذيع للمندوب السامي في مناسبة رأس السنة الجديدة، ندد فيه بالأحاديث الدائرة عن الأخطار المخيفة التي يلوح شبحها فوق فلسطين، وبما يقال من حق الدفاع عن النفس، وبما في ذلك من مبالغات تثير هياجاً سياسياً مذموماً. ونندد فيه كذلك بقصار النظر المستعجلين في كسب ربح عاجل وعدم تحليهم بالصبر، وعدم تفكيرهم بأن الأمور لا يمكن أن تواتي المستعجلين. ونندد بخطأ الذين لا يتأثرون بغيرهم، ويريدون أن يظلوا في نطاق تفكيرهم العنصري والقومي.

ويستفاد مما ذكرته الصحيفة في عددها أن الصحف اليهودية اعتبرت الخطاب موجهاً إلى اليهود بالدرجة الأولى، وعلقت عليه وانتقدته على هذا الإعتبار. وأنها كررت في مناسبة ذلك معزوفة بلاد اليهود وما قاسوه من شقاء وما كان من طول انتظار منهم، وبما لديهم من نوايا حسنة تجاه الغير. الخ. ومع أن روح الخطاب ومداه حقاً هو في صدد أفكار اليهود، فإنه لا يخلو من نصيب للعرب أيضاً فالخطاب يدعو اليهود إلى التأني وعدم الاستعجال والتهييج، ويدعو العرب إلى التأثر بما حل في غيرهم، ويدعو العرب واليهود معاً إلى الرزانة والتمازج واعتراف كل فريق بالآخر، وعدم قصر تفكيرهما على مقتضيات العنصرية والقومية الخاصة. . وكان يجب دائماً أن ينطلق من نقطة كون العرب هم المعتدى عليهم وعلى وطنهم، وأن المراد

هو صنع أمة يهودية في فلسطين صنعاً، ومملوءة بالمطامع والأساطير والخيالات، ويكون العرب تجاه ذلك أمام خطر دائم بدون ذنب اقترفوه.

19 ـ يمين الولاء من حكومة ونواب سورية للدستور بعد رفع المادة 116 ومدى ذلك:

أمس أي 1944/1/30 سمعنا إذاعة القدس تذيع أن مجلس النواب السوري عقد جلسة خاصة أقسم فيها رئيس الجمهورية وأعضاء الوزارة وأعضاء مجلس النواب يمين الولاء للدستور. وهذا تنفيذ لقرار سابق للمجلس. فقد أثار المجلس موضوع المادة 116 التي كان فرضها الإفرنسيون على الدستور حينما وضع سنة 1932، والتي فيها تحفظات على ممارسات السيادة والاستقلال إلى أن يتم الاتفاق بين سورية وفرنسة على مختلف الشؤون. وقد قرر المجلس اعتبار المادة غير دستورية لأنها مفروضة من طرف واحد وبمثابة تحفظات لم تعترف بها سورية. وقرر بعد ذلك عقد جلسة خاصة يقسم فيها رجال الدولة من إجرائيين وتشريعيين، حكومة ومجلس نواب على الولاء للدستور الذي اعتبر خالياً من المادة..

20 ـ عودة كاترو للإشراف على تسليم المصالح المشتركة:

وقد قرأنا منذ أيام أن الجنرال كاترو عاد من الجزائر إلى سورية ولبنان للإشراف على إتمام تنفيذ الاتفاقيات الخاصة بتسليم المصالح والدوائر التي كانت في عهدة الإفرنسيين، فلا يبعد أن يكون رجال سورية أرادوا بجلستهم ويمينهم إعلان تصميمهم على الإخلاص لدستور يقرر سيادة الدولة، محذوف منه مادة مفروضة من الإفرنسيين فيها تحفظات على ذلك على مسمع من كاترو، وكجواب على تصريحات له وللجنة الإفرنسية في مناسبة الاتفاقيات المذكورة فيها لتلميحات وتلويحات أو تربصات وتحفزات.

21 ـ إجتماع تشرشل بديغول وعلاقات بريطانية بلجنة فرنسة الحرة:

ولقد قرأنا أن تشرشل اجتمع (بعد إبلاله من وعكة ألمت به وقضى أياماً للنقاهة منها) في المغرب مع الجنرال ديغول، وجرى بينهما أحاديث حول العلاقات الحاضرة والمقبلة بين بريطانية وفرنسة واللجنة الإفرنسية، والاعتراف بها كحكومة فرنسية مؤقتة حينما تتحرر فرنسة الأوروبية. وذكر في سياق ذلك أنه تم تفاهم وحسن تقارب كبيرين بين الرجلين. ولقد آثار هذا فينا بعض المخاوف على سورية ولبنان. فالإفرنسيون مشغولون بكل عقولهم وأذهانهم بمركزهم فيهما. ولولا موقف بريطانية لساءت الحالة بين رجالهما وبينهم كل السوء في سياق أزمة لبنان. وهم لم يسايروا في الموقف ولم يتراجعوا إلا مكرهين وقلوبهم تتآكل من الغيظ. ولسوف يحاولون حالما يشعرون بقوة مركزهم إعادة ما ظنوه ضاع أو ضعف من نفوذهم وهيبتهم ومركزهم الأدبي المادي فيما نعتقد.

22 ـ إحصاء ذو خطورة عن ما أنشأه اليهود من مستوطنات منذ سنة 1936:

في عدد فلسطين 1944/1/6 خبر مثير مفاده أن اليهود أنشأوا بين سنة 1936 إلى نهاية أيلول 1943 (82) نقطة استعمارية في فلسطين، تقوم على (239) ألف دونم أرض وأن عدد سكان هذه النقاط ألف... ونرجح أن هذا الرقم غلط، فالمساحة تبلغ خمس ما يملكه اليهود من أرض زراعية، وعدد النقط كبير. وإذا لاحظنا أن نصف هذه السنين كانت سني ثورة ونصفها سني حرب، بدا لنا خطورة العمل ومداه.

23 ـ كتاب لوايزمان بعنوان (الوطن القومي) ورأي لاختصاصي أميركي في ذلك:

وفي نفس العدد خبر صدور كتاب لوايزمن باللغة الإنكليزية عنوانه (الوطن القومي)، وفي الكتاب في جملة ما فيه شرح لرأي اختصاصي أميركي زار فلسطين ودرس شؤونها، وقدم تقريراً بدراسته جاء فيه أن وادي الأردن وما حوله فقط يتسع لسكن خمسة ملايين نسمة. وقد كتب اللورد سيسيل مقدمة للكتاب، وهو من أنصار اليهود، وكان مشايعاً لهم في لجنة شو البرلمانية كما نعرف.

وقد ذكرت جريدة فلسطين في عددها 1944/1/3 نقلاً عن دافار، أن هذا اللورد اقترح في مقدمته قبول اقتراح لجنة بيل (الملكية التي وصت بالتقسيم)، والاكتفاء بدولة يهودية تقوم في القسم المخصص لها حسب وصية هذه اللجنة، وتعطي ضمانات بحفظ حقوق الأقلية فيها (أي الأقلية العربية)... والكتاب عملية دعائية يهودية بطبيعة الحال، تحمل في طياتها مطامع اليهود ومساعيهم، سواء في صدد إلغاء سياسة الكتاب الأبيض أو في صدد العودة إلى التقسيم وإنشاء الدولة اليهودية.. واهتمام وايزمن لشرح رأي الاختصاصي الأميركي مهم ولافت للنظر، بحيث يثير هذا مطامع وآمال اليهود أو يجسدها من جهة، ويحاول تنفيذ كون فلسطين ضيقة بأهلها لا يمكن أن تستوعب أعداداً عظيمة من اليهود من جهة أخرى...

ومقدمة سيسيل رغم ما في الكتاب من ذلك قد تكون دليلاً على أن فكرة استمرار الهجرة اليهودية بدون قيد، وفكرة استمرار المشروع الصهيوني بدون تحديد، قد أخذتا تضعفان حتى في نفوس أنصار اليهود.. ونغمة العودة إلى التقسيم قد اشتد الضرب عليها في الآونة الأخيرة في الصحف الإنكليزية، ولا شك أن الصهيونيين وراء ذلك. وقد يبدو أن اليهود خائفون من استمرار الإنكليز في مسايرة العرب وتصفية قضية فلسطين على أساس الكتاب الأبيض (وقف الهجرة وبيوع الأراضي وإنشاء حكومة وطنية ستتدرج لتكون دولة بأكثرية عربية مؤكدة..)، فأعيد الضرب على تلك النغمة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولو في شكل دولة يهودية في جزء من فلسطين...

24 ـ احتجاج صهيوني متطرف على مساعي بعث التقسيم والاكتفاء به:

ومما ذكرته فلسطين في نفس العدد المذكور أن حزب (المملكة اليهودية) قرر الاحتجاج على المفاوضات الجارية بين الجمعية الصهيونية

وبين الحكومة البريطانية في صدد العودة إلى التقسيم المقترح، لأن الحزب المذكور لا يقر ولا يعترف بمشروع تقسيم فلسطين، ويطالب بوطن قومي شامل لجميعها استيطاناً وحكماً. ومما ذكرته فلسطين في نفس العدد أن أحد زعماء الصهيونيين العموميين في فلسطين ألقى خطاباً في حفلة، فقال فيما قال أن مشروع التقسيم لم يعرض علينا، وأن موقفنا قد تغير كثيراً عن أيام صدور قرار التقسيم.. وهذا كلام مؤيد من جهة لفكرة العودة إلى التقسيم مع وجوب تعديله من جهة أخرى.

وعلى كل حال فاليهود كما يبدو جادون في البحث مع الحكومة البريطانية وبذل المساعي في صدد إلغاء سياسة الكتاب الأبيض والعودة مرة أخرى إلى شمولية ومدى الوطن القومي، أو على الأقل إلى التقسيم كحد أدنى في هذه المرحلة..

25 ـ عصبة بريطانية مؤيدة للوطن القومي:

وفي عدد فلسطين المذكور خبر منقول عن الصحف اليهودية بتأليف عصبة بريطانية في لندن تعمل لمصلحة الوطن القومي اليهودي، وتكتيل الموالين لفكرته، وتقوم هذه العصبة بنشر نشرات دعائية، وعقد اجتماعات تأييدية وبذل مساع متنوعة. وممن ذكر من أسماء هذه العصبة ديدس السكرتير العام السابق في فلسطين، والمعروف بنزعته ومواقفه وأفكاره التأييدية للفكرة الصهيونية. والمتبادر أن هذه العصبة تهدف إلى إلغاء سياسة الكتاب الأبيض الذي يعتبره اليهود وأنصارهم العقبة الكأداء التي وقفت في طريقهم، وتهدد قضيتهم، وخاصة في موضوع فتح باب الهجرة الذي انسد أو على وشك الإنسداد حسب تلك السياسة. ولقد سمعنا منذ أيام إذاعة تذكر أن فريقاً من شباب العرب ورجالاتهم في لندن ألفوا رابطة عربية للدفاع عن قضية فلسطين وإحباط المساعي الصهيونية. والمتبادر أن هذه بمثابة رد فعل لتلك الحركة.

26 ـ حول تطور لحية الملك فاروق :

ونختم الأخبار والتعليقات العربية في هذه الأسبوعية بكلمة عن تطور لحية الملك فاروق العجيب فمنذ سنة بوغتنا بصورة له وعلى خديه لحية كثيفة نوعاً ما فاستغربنا ذلك وحرنا في التعليل، لأننا لم نكن نتوقعه. فهو ما يزال شاباً حدثاً ولا معنى للّحية. وحملنا ذلك أولاً على هوس ديني لأنه يقال أنه يظهر تديناً شديداً. وعوام المتدينين يظنون أن اللحية مظهر لازم من مظاهر التدين، بل إنه سنة واجبة الالتزام، برغم ما في هذا من بعد عن فهم روح الشريعة الإسلامية فهماً صحيحاً، سواء فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمور وصور معاشية ولبسية، أم فيما هو طبيعي من تعرض هذه الأمور للتطور وعدم جمودها على هيئة واحدة. وخطر لنا فيما خطر من تعليل أنه قد يكون أثير في نفس فاروق مطامع خلافة المسلمين وضرورة التهيؤ لها بمثل هذا المظهر. ثم مرت بضعة أشهر فإذا اللحية تصبح نصفية إفرنسية ومحلوقة من جهة السوالف مخروطية من جهة الوسط. ثم مرت بضعة أسابيع فإذا السوالف الفاضية من الشعر تزداد فراغاً. ومنذ أسبوع رأينا صورة له في حفلة رياض الصلح فإذا اللحية منسوفة والوجه أملس كما كان. ولم

تـزل حيرتنـا في هذا التـطور في أوله ووسـطه وآخـره، بل رغبنـا أن نجد لـه عذراً من بثـور وحبوب في الوجه أحب أن يستره بالشعر لوقت ما، لأننا لم نر هذا اللعب بالذقن مستساغاً من (جلالة ملك مصر). . .

***

31/1/1944:

أخبار وتعليقات عالمية عن الحرب والسياسة

1 ـ خطاب لهتلر في مناسبة ذكرى حزبه:

خطب هتلر في هذا الشهر في مناسبة ذكرى إستـلام الحزب الـوطني الاشتـراكي الألمـاني (حزبه النازي) مقاليد الحكم في ألمانيا. ومما نشرته الصحف من خطابه قوله أن هذه الحرب لن تنجلي إلا بفوز ألمانيا أو روسيا. وأنه ليس لبريطانيا شأن في فوز روسيا، لأنها سوف تكون هي في هذه الحالة مغلوبة لها وتعم الشيوعيـة أوروبـا. وقد نعى على بـريطانيـة استسلامهـا لروسية وتضحيتها بالدول الصغيرة، وعـد ذلك دليـلاً من مغلوبيتها لـروسية. وقـال أن حمـاة أوروبـا الوحيـدين من الشيوعيـة هم الألمـان، وأنهم أثبتوا أهليتهم لهذه الحماية بمـا أظهروه من ثبـات وجهـد صـارا مثـلاً أعلى. وهم مستعدون للتحمل في سبيـل الفوز مهمـا كان ينتظرهم هذه السنـة من شدائـد وأهوال. وهم واصلون إلى هـذا الفـوز بقـوتهم المـاديـة والروحية.

وأعاد في خطابه ما اعتاد قوله مراراً من أن المسؤولين عن الحرب وفجائعهـا هم تشرشـل وروزفلت واليهود وليس الألمان، وقـد تناولت أجهزة الإعلام السكسونية الخـطاب بالتعليق، فوصفته فأنه مطبوع بطابع التشاؤم، وأنه خلا مما كان هتلر يضمنه خطاباته من الآمال والأحـلام

والإنـذار والوعيـد، وأنه خـاوٍ إلا من سخـافـة التخويف بالشيوعية. . الخ.

والخـطاب وإن كرر التنـويـه بجلد الألمـان وصبرهم، فإنه خالٍ حقاً مما كان يوجهـه في خطاباته من وعيد ويظهره من آمال. ولا شك في أن الموقف أملى عليه هذا الخطاب، وهو موقف ضد الألمان سياسياً وعسكرياً أكثر منه معهم. .

2 ـ مرض تشرشل الذي بقي مختبئاً وشيء عن عظمة نشاط الرجل وأثره في الحرب:

كان أذيع بعد مؤتمر القاهرة أن تشرشل تأخر في شمال أفريقيـة لأمور هـامة. ثم عـرف أنه أصيب بذات الرئة، وأنه الآن تحت المعالجة، وأنه قد يظل مدة طويلة بعيداً عن عمله دون أن يحدد مكان وجـوده. ولقد شفي وأمضى مـدة نقاهة في مراكش، ولم يعلن ما أعلن إلا بعد معافاته. وقد لاحظنا أثناء تناقـل أخبار مـرض تشرشل أن أنفـاس السكسونيين كـادت تتقطع وتنحبس، وعلا وجوههم مـوجة تشـاؤم وقلق. ولمـا أعلن شفـاءه وعـودتـه إلى لنـدن تعـالت أصوات الفرح والابتهـاج. . والحقيقة أن هـذا الـرجل هـو جبـار الحـرب، وأن السكسـونيين مـدينون لـه إلى حد كبيـر بما كـان من تبـدل المـوقف عليهم من ظلمات حـالكة إلى أنـوار ساطعة، ومن خوف شديد إلى أمل كبيـر، بما بدا منه من عزم وحزم ونشاط ودأب. وبما بثه من روح العـزيمـة ونفخـه من نفس الجـلد والصبـر، وبمـا استـطاعـه من سحب روزفلت وأميركا تدريجياً إلى أن جعلهما شركاء فعلاً في الحرب، ومن تجميع مختلف الأمم في صفـه الـخ. . حتى ولو كـان يمكن أن يقال الآن أن موت تشرشل لن يؤثر في سير الحرب، فإن مما لا شك فيه أنه يصعب جداً ملء فراغه العظيم الذي شغله في كل ساحات الجهـود الحربيـة والسيـاسيـة في كـل نـاحيـة من أنحـاء عــالم الحلفاء. وإنه لمن الطبيعي أن يكون لمـرضه وشفـائـه هـذه الـرنــة الصميمية في أوســاط السكسـونيين إنكليـز وأميـركيين، لا من أجـل شخصه فقط وهو بطلهم حقاً، بل من أجل ما ملأه من فراغ عظيم أيضاً.

ومرض تشرشل بالرئة يقع لثاني مرة في هذه الحرب، ونتيجة لرحلاته الشاقة التي يقوم بها ومما قيل إنه في هذه المرة قد نجا بمعجزة علاج جديد[1] اكتشف حـديثاً لهـذا المرض، ولـولاه لكان موتـه محتماً. . وقـد أمضى تشرسـل أيام نقـاهته في مـراكش مستمتعـاً لشمسهـا وطقسهـا البـديعين، وكان معـه وزيران من كبـار وزرائه، وكانت زوجته بجانبه في أيام نقاهته. .

3 ـ لقاء تشرشل بديغول وما نشر حول ذلك ومداه:

ومما كان في أيام اقامته في مراكش اجتماعه بالجنرال ديغول، وقد دار الحديث بين الرجلين حول العلاقات البريطانية الإفرنسية والمشـاكل الإفـرنسية الحـاضـرة والمقبلة. وقـد أذيـع أن اجتمـاع الرجلين أسفـر عن تقـارب وصميميـة وحلول موفقة صفي بها ما كان من تعكر سياسي بين الطرفين. وأعاد قوة العلاقات التقليدية بين فرنسة وبريطانية. وقد تم حل مشكلة الحكومة الإفرنسية المؤقتة عند تحرير فـرنسة الأوروبيـة بالاعتراف بـاللجنة الإفـرنسية كحكـومة مؤقتـة حالما يمكنها الانتقال إلى أرض الوطن. ولقد

---

(1) يقصد بالعلاج الجديد: البنسيلين والذي استعمل عندئذ للمرة الأولى.

تساءلنا عما إذا كان حديث الرجلين تناول سورية ولبنان، لأن الإفرنسيين مهتمون جداً بتثبيت مركز فرنسة فيهما. ولا ندري هل استطاع ديغول أن يحمل تشرشل على البعد عن مسرحهما وتركه لفرنسة، أم أن بريطانية كانت جادة في ما أخذته على عاتقها من تثبيت مركزي لبنان وسورية كدولتين مستقلتين متحررتين من نفوذ فرنسة ومواليتين لبريطانية في الدرجة الأولى، مندمجتين في مشاروات الوحدة التي ترعاها. ولعل الأيام الآتية تكشف جواب هذا التساؤل.

4 ـ مظاهرات هندية استقلالية ومداها:

منذ أيام قرأنا خبر مظاهرات قامت في بلاد الهند في مناسبة ذكرى وطنية للحركة الإستقلالية. وخبر توقيفات واسعة قامت بها السلطات، لأن هذه المظاهرات جرت بدون إذن. وخبر إضراب عام في مدن عديدة تمجيداً لتلك الذكرى. وكل هذا يدل على أن النار في الهند متقدة، وكل ما في الأمر أن رماد الظروف العسكرية الشديدة التي تسوغها الحرب تغطيها..

وقد نشرت الصحف برقية من طوكيو تضمنت تصريحاً للزعيم الهندي بوز بصفته رئيس الحكومة الهندية الوطنية المؤقتة، يعلن فيه كذب السكسونيين في وعودهم وبياناتهم، وكون ذلك خداعاً يخدعون به العالم الذي يريدون التحكم به، وصدق اليابانيين وإخلاصهم فيما يعدون الأمم الشرقية. ثم يقول فيه أن حركة النضال في سبيل تحرير الهند ستبدأ عما قريب.

5 ـ وعد اليابان بمساعدة ألمانيا:

وقرأنا في الصحف كذلك برقية من طوكيو تضمنت تصريحات لرئيس وزارة اليابان يذكر فيها أن اليابان ستقدم لحليفتها ألمانيا كل مساعدة ممكنة حينما يقدم السكسونيون على ما يذيعونه من فتح الجبهة الثانية.

6 ـ حرب أعصاب سكسونية ضد بلغاريا ورومانيا ومداها وموقف هذه البلاد من ذلك:

وحرب الأعصاب مستمرة بقوة ضد بلغاريا ورومانيا والمجر من الجانب السكسوني والروسي معاً، وخاصة ضد بلغاريا. حيث تذاع أخبار من تزلزل الأعصاب وانتشار الرعب واشتداد تيار المعارضة ضد الحكومات القائمة وسياستها، وعن إخلاء المدن وارتباك الأمور.

والمصادر السكسونية والروسية مستمرة في نفس الشدة في الإنذار والوعيد والتهديد للدول الثلاث إذا ظلت متضامنة مع الألمان، والتحريض لانتهاز الفرصة قبل فواتها، والقول أن الألمان إذا انكسروا تكون هذه الفرصة قد ضاعت، ويستحق شركاؤهم العقوبات الصارمة التي تنزل فيهم. ويرافق هذه الحرب على مختلف صورها قصف جوي من آن إلى آخر، ويرافق هذا القصف أخبار عما أحدثه من دمار وتخريب...

ولقد كان أذيع منذ مدة أن الوزارة البلغارية استقالت فكذب الخبر ولكنه أعيد ثانية. ومنذ أيام أذيع أن خلافاً عظيماً نشب في مجلس النواب البلغاري، وأن النواب هاجموا الوزارة هجوماً شديداً طالبين انسحابها من صف الألمان وتلافي الأمور من الآن، فكذبت صوفية هذا الخبر من جهة، وأذاعت قراراً لمجلس النواب من جهة أخرى بالاستمرار في سياسة الولاء

للألمان والثبات فيه إلى النهاية، والدفاع عن كرامة واستقلال لبلغارية، والاحتفاظ بالأراضي الملحقة لبلغارية والتي هي جزء لا يتجزأ منها.

وحكومة المجر وصحافة المجر لا تفتأ ترد على حرب الأعصاب والإنذار والوعيد بإعلان سلامة موقف حكومة المجر، وأنها به إنما تدافع عن كرامة وحقوق بلادها، وليست معتدية فيه على أحد، وأن العدوان واقع عليها، ومثل هذا من رومانيا. وقد قرأنا تصريحات جديدة لمارشالها جاء فيها فيما جاء، أن رومانيا هي التي اعتدي عليها ومزقت بلادها. ولم تجد من بريطانية وغيرها مدداً أو حماية. وأنها لو لم يقع عليها هذا العدوان لما اضطرت إلى الاشتراك في الحرب، وأنها إنما تشترك في حرب لها فيها كل الحق وليس لها عنها معدى... ومهما يكن في نغمة هذه الدول شيء من الضعف والإعتذار، فإن فيها تضميناً على الإستمرار في موقفها الحاضر كما هو ظاهر.

7 ـ مسألة حدود بولونيا بين روسية وبولونيا والسكسونيين:

ومسألة حدود بولونيا ظلت في هذه الفترة أيضاً من كبريات المسائل التي يدور عليها الأخذ والرد. فالأوساط الأميركية والإنكليزية من جهة تظهر عطفاً على هذه المسألة، ومن جهة تتكلم فيها باحتياط شديد، وتصرح بأنها مسألة دقيقة جداً، وبعد بضعة أيام من إعلان أميركا استعدادها للتوسط في هذه المسألة أعلن جواب روسية بالرفض، لأن الظروف لا تسمح للإستفادة من هذه الوساطة، ثم استمرت المصادر الروسية تحمل على حكومة بولونيا اللاجئة، وتعلن أنها لا يمكن أن تتفاوض معها إلا على شرط الإعتراف الصريح بالحدود التي تحددها. وقد أعلنت روسيا أنها ألفت لجنة فنية للتحقيق في مسألة قتلى البولونيين في غابة قطانيا. وهي المسألة التي كانت ألمانيا أثارتها ونسبتها إلى الروس، وكانت سبباً في قطع العلاقات السياسية بين روسيا وبولونيا على ما ذكرناه سابقاً. وقد أعلنت روسية أن اللجنة أتمت مهمتها، وأنه ثبت أن القتل كان من جانب الألمان، وأن المسألة إنما أثارها الألمان ونسبوها للروس للداعية والفساد، ثم حملت ثانية على حكومة بولونيا التي خدمت الدعاية الألمانية بموقفها، حتى أنها لم تتورع عن شتمها بألفاظ بذيئة. ولقد تعالت أصوات من الجانب السكسوني، ولو لم تكن قوية بتأخير الجبهة الثانية إلى أن تحل مسألة حدود بولونيا حلاً مرضياً. وصرح إيدن وزير خارجية بريطانية بأن حكومته كانت أرسلت مذكرة إلى رئيس حكومة بولونيا سنة 1939، تعلمه فيها أنها لا تعترف بأي تغيير يقع على حدودها، (وهذا كان قبل الاشتباك الروسي الألماني، وبعد اتفاق الألمان والروس على الحدود الجديدة البولونية، واحتلال الجيش الروسي الأقسام الشرقية من بولونيا).

وقال أيضاً في تصريحه أن تشرشل عاد سنة 1940 فصرّح بأن بريطانيا لا تعترف بأي تبديل في حدود مملكة ما إذا لم يقترن ذلك بموافقة أصحاب العلاقة، وقال إن هذا لا يزال موقف بريطانية الرسمي تجاه هذه المسألة لم يطرأ ولن يطرأ عليه أي تبديل. والتصريح قوي وحازم معاً، وهو موجه إلى روسيا بطبيعة الحال بعد أن وقفت من بولونيا موقف القسوة ورفضت وساطة أميركا وبريطانية في إيجاد حل عادل. ومما لا شك فيه أن مسألة بولونيا وما يدور حولها وما

ظهر من مواقف متناقضة وما هو تحت الخفاء من تشاد وعواطف متنافرة تعمل عملها في المناسبات السياسية بين روسية والسكسونيين، إذا لم تكن بقوة تسد الحلف القائم ضد الألمان، فإنها بمثابة سوس ينخَر في داخلها، وقد يؤدي في وقت قريب أو بعيد إلى التخريب بشكل من الأشكال، وهما مما يدل عليه ما يتعالى من أصوات النقد المتقابلة والعتب المتبادل في الصحف الروسية من جهة والسكسونية من جهة أخرى.

8 ـ حديث الجبهة الثانية ومداه وآثاره:

وحديث الجبهة الثانية استمر في هذه الفترة كما كان، أي كلام وإنذار من جانب السكسونيين وأشار إلى ما أعد لها وما يخمن من مواقعها، وذكر دانماركه والبلقان وجنوب فرنسة في صددها في آن واحد. ويذكر فيما يذكر أنه قد عين زمنها وخططها في طهران، وأن تشكيلات قيادتها قد تمت، وأن القوات اللازمة لها قد أعدت وهي نحو (150) فرقة و7000 طيارة وعشرات آلاف زورق إخراج حديثة صنعت خصيصاً. وأن القصف الجوي إنما هو مقدمة لازمة لنجاحها. وأن الألمان متيقنون من حدوثها، وأنهم أخذوا من الآن يهجرون سكان جنوب فرنسة وغيره مما يتوقعون أن تكون فيه. وأنهم يضغطون على حكومة فيشي للتعاون معهم على أوسع ما يمكن.

ومع اعتراف السكسونيين بعظم تحكيمات الألمان واستعدادهم للمقابلة فإنهم يعلنون اعتقادهم بأن التغلب على ذلك وخرق هذه التحكمات ليس مستحيلاً. ومع اعتراف السكسونيين بعظم التضحيات التي يمكن أن يقدموها فإنهم يعلنون أن ذلك لا بد منه، وأن ما سوف يساعدهم ويسهل مهمتهم الضربات المنهكة التي ينزلها الروس في الألمان.

9 ـ تجهم سكسوني إزاء اسبانيا:

ومما لفت النظر في هذه الفترة موقف التنمر والتجهم الذي أخذ السكسونيون يقفونه من أسبانيا. فقد أخذ انتقادهم يشتد لموقفها الودي من الألمان ومساعدتها لهم بما يمكنها مساعدته من مواد غذائية وصناعية، واشتراك بعض الكتائب الأسبانية في الجبهة الروسية، والحربية التي يتمتع بها جواسيس المحور وعملاؤه، مما يشكل خطراً على مصالحهم السياسية والحربية، وقد خطوا خطوة عملية في التهديد، فأعلنت أميركا أنها لا تستطيع بعد الآن أن تستمر في إرسال شحنات البترول المعتاد إرسالها إلى اسبانيا. وأعلنت بريطانية أنها متطابقة مع أميركا في سياسة واحدة نحو اسبانيا، إلى أن تعدل موقفها وتلزم حدود الحياد الدقيق. وأن التوثيق من موقف اسبانيا جوهري جداً لهما بسبب موقعها الجغرافي وصلتها بجبل طارق. ولا سيما أنهما مزمعتان على القيام بحركات عسكرية مهمة. وهكذا يستفيد السكسونيون من هبوب الريح معهم للوقوف من أسبانيا الموادّة للمحور موقف الضغط والتجهم.

والراجح أن اسبانيا ستجنح إلى شيء من المسايرة أمام هذا الضغط، وفي الظروف الباسمة للسكسونيين وسنرى..

بعونه تعالى
انتهى الجزء الثالث عشر
وبه ينتهي المجلد الرابع
ويليه المجلد الخامس
مبتدئاً بالجزء الرابع عشر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ـ شرح تمهيدي لما كتبناه في تركية	7
ـ دخولنا أرض تركية من ناحية كلّس وطريقها	8
ـ قدومنا على جو الأستانة	12
ـ طبيعة المدينة وموقعها وضواحيها والعمران ووصف لآثارها ومساجدها ومتاحفها	12
ـ المياه في الأستانة	15
ـ وصف للخليج وما يجري فيه	21
ـ وصف لمتاحف الأستانة القديمة والحديثة	24
ـ نبذة منقولة من الدفتر الثالث من الدفاتر التي كتبناها في تركية	33
ـ تعليق على ما كان من تأخر سقوط المدن السورية في أيدي الغزاة الإنكليز والديغوليين	33
ـ حفاوة في بيروت بالغزاة الجدد والتعليق عليها	34
ـ خطاب شرشل بعدم طمع بريطانية في سورية ولبنان	34
ـ بيان بيتان عن حرص فرنسة ببقاء علاقاتها بسورية ولبنان	36
ـ تعليق على موقف الفتور والجمود الألماني في سورية ولبنان	36
ـ قدوم كاترو الى سورية ولبنان وكتابه لخالد العظم بتوكيد منح سورية استقلالها	36
ـ خوض الصحف في موضوع الرسائل وتوكيدات المندوب الإنكليزي	37
ـ قدوم عدنان الأتاسي بن هاشم إلى الأستانة	38

- دعايات الأمير عبد الله بصدد سورية الكبرى 39
- اجتماع ديغول بهاشم الأتاسي وأعضاء الحكومة التي ألّفها 39
- موقف شكري القوتلي الذي استقطب الزعامة 40
- انتداب كاترو الشيخ تاج لرئاسة الجمهورية 41
- استمرار الإفرنسيين في ذهنيتهم الاستعمارية القديمة 42
- تعليقنا على صواب بقاء الوطنيين خارج الحكم 43
- موقف للشيخ كامل القصاب 44
- خلاصة نصوص المكاتبات بين كاترو والشيخ تاج وخالد العظم 44
- حفلة لكاترو في دمشق وبيان للجنرال ديغول عن استقلال سورية 45
- لم يعلن الإفرنسيون شيئاً عن استقلال لبنان 45
- بيان من حكومة فيشي بعدم اعترافها بما حدث في سورية ولبنان 45
- المفاوضات بين الألمان وحكومة فيشي للتعاون ومدى
تأثير ذلك في مستقبل سورية ولبنان 45
- دعايات إنكليزية عن نشاط الألمان في ايران 46
- خطوة إنكليزية في الزحف على إيران لتأمين طريق
المساعدة للروس ونجاحها ورضوخ الشاه 47
- اعتقال الشاه ونفيه 48
- تأثير الحركة في بلاد العرب ودعايات الإنكليز 48
- تخوفنا على المفتي وإخوانه في إيران والدعايات الإنكليزية اليهودية ضدهم 49
- محاكمة ضباط الثورة العراقية والأحكام عليهم 49
- نجاة رشيد عالي ولجوئه إلى تركية 50
- نجاة المفتي أيضاً وخروجه إلى تركيا ثم إلى ألمانيا 50
- سير الحرب الروسية الألمانية وتوغل الألمان 50
- اغتباط الإنكليز من نشوب الحرب الروسية الألمانية وجهودهم في مساعدة الروس 51
- بيان بمبادىء عامة للحرب من أميركا وبريطانيا على غرار بيان مبادىء ولسون 53
- الأخبار التي تردنا عن البلاد العربية من خلال صحفها 54
- أحاديث في الإذاعة للمازني والعقاد وإطلاق الرصاص عليهما 55

- خطبة للنحاس الذي كان معارضاً في هذه الظروف ومناسبتها 56
- حادث طيران عزيز علي المصري 57
- حول ضغط الإنكليز على مصر لقطع علاقاتها بألمانيا وإيطاليا 58
- حول خطبة لشيخ الأزهر ذات مغزى في صدد
الروح المصرية المناوئة للإنكليز 59
- حول أزمة الغذاء في مصر ومدى ما جرى في صدد ذلك 60
كتبنا بتاريخ 1941/10/5 60
- البحث عن المفتي في إيران 60
- تعقب وإعتقالات في إيران 60
- حول الحركات الإنكليزية في صدد التدخل في إيران 61
- تعليقات الصحف على الحركات الحربية 61
كتبنا في تاريخ 1941/10/9 62
- حول استقالة المدفعي من رئاسة الوزارة العراقية وتشكيل نوري السعيد للوزارة 62
- معين الماضي ومجيئه إلى الأستانة 63
- حول اجتماعاتنا بفريدون بك سكرتير وزارة الخارجية التركية بالمناسبة 64
كتبنا في 1941/10/11 66
كتبنا في 1941/10/18 69
- ما اتخذته حكومة بيتان من تدابير ضد اليهود والشيوعيين بعد الهدنة 69
الأربعاء 1941/10/23 70
يوم 1941/10/28 71
- إذاعة وصول المفتي الى روما 71
- أخبار عن تساهل وتخفيف حكومة فلسطين إزاء رجال الحركة الوطنية 72
يوم 1941/10/31 74
- عودة عوني عبد الهادي إلى فلسطين وآخرين غيره 74
- حول مساعي نيوكمب وخمودها في سبيل تنفيذ الكتاب الأبيض 77

يوم 1941/11/8 78
يوم 1941/11/10 80
- حول خبر مقتل فخري النشاشيبي في بغداد 80
يوم 1941/11/12 82
- حول خطاب الوصي عبد الإله وحملته على رشيد عالي 82
- اعتقالات في بغداد نتيجة لذلك 82
يوم 1941/11/14 84
يوم 1941/11/15 85
- الاستعدادات الدفاعية في سورية وأهدافها المحتملة 85
- كتاب من فوزي القاوقجي إلى الأمير عادل ارسلان عن هواجسه فيما يتعلق بالقضايا العربية 86
- استئناف لقاءاتنا مع رشيد عالي 90
- إقرار صيغة لتكون أساساً للتفاهم والتعاقد بين العرب ودولتي المحور 91
- الاتصالات بين المفتي ورشيد والمقامات الألمانية والطليانية 93
يوم 1941/11/20 94
- حول المجاعة في اليونان بسبب الحصار البحري 94
- نص مذكرة مقدمة من المفتي لوزير خارجية المانيا 95
يوم 1941/11/30 97
- حول الحركات الإنكليزية نحو المواقع الطليانية في حدود ليبية 97
- حول اعلان استقلال لبنان من قبل الجنرال كاترو 98
- نص رسالة أرسلتها إلى المفتي بعد وصوله ثم بعد سفر رشيد 105
يوم 1941/12/5 108
- حول حركات الإنكليز في حدود ليبية ومداها 108
- بعض عمليات فدائية في فلسطين وتعليق عليها 109
يوم 1941/12/8 110
- وصول الشيخ حسن سلامه 110

يوم 1941/12/9 111
يوم 1941/12/12 113
- حول خبر مقابلة المفتي لهتلر 113
يوم 1941/12/27 114
- مقابلة رشيد عالي لوزير خارجية ألمانيا 115
- هواجس ومخاوف من طول الحرب 116
الأحد في 1941/12/28 118
يوم 1942/1/1 119
يوم 1942/1/5 121
- ميثاق دولي ضد المحور نتيجة نشاط شرشل 121
الخميس في 1942/1/8 124
السبت 1942/1/16 125
- نداء من نائب الملك في الهند للشعب الهندي لتضامنه مع الانكليز 125
- مشاكل التموين في مصر 128
- أحكام المحكمة العسكرية على رشيد عالي والضباط والوزراء 129
يوم الخميس 1942/1/27 135
- إعلان ضم جبلي الدروز والنصيرية للجمهورية السورية 135
- السلطات التركية تعتقل واصف كمال وكامل مروة 137
يوم الخميس 4 شباط 1942 140
- أزمة وزارية خطيرة في مصر 141
- تكليف النحاس باشا بتأليف الوزارة بناءً على طلب الإنكليز 141
- معاهدة بين بريطانية وأمبراطور الحبشة 147
يوم الأربعاء 11 شباط 1942 149
- ترحيل واصف كمال وآخرين إلى أوروبا 149
- حول التوتر بين فوزي القاووقجي والمفتي 152
يوم الخميس في 1942/2/19 158

يوم السبت 1942/2/21 158
- مقابلة الدوتشي لرشيد عالي ومقابلته مع المفتي للملك 158
يوم الأربعاء 25 شباط 1942 159
- قنبلة في أنقرة ضد السفير الألماني 163
- إعتقالات في فلسطين 163
- بروز الشخصية الإنكليزية الاحتلالية في سورية ولبنان 164
يوم الثلاثاء 1942/3/3 165
- تحركات ذات مغزى للجيوش الروسية والإنكليزية في العراق وإيران 166
يوم الثلاثاء 1942/3/10 168
- بيان إفرنسي عن اعتقالات في سورية 172
- تعليق وتخمينات 172
- حول قطع السعودية علاقتها مع إيطالية 174

بداية الدفتر الثامن

يوم الأحد 12 نيسان 1942 176
- نص كتاب ورد لي من المفتي بشؤون القضية 176
- حول المفاوضات الهندية الإنكليزية وإحقاقها 180
- أخبار عن سورية وعن المعتقلين وعن شكري (القوتلي) وجميل (مردم) 180
- حول محاكمات كبار ضباط ثورة العراق ووزرائها 183
- إعتقال علي ماهر باشا في القاهرة 183
يوم الأحد 19 نيسان 1942 187
- استقالة وزارة حسن الحكيم وتأليف حسني البرازي الوزارة 189
- غواصات المانية في سواحل سورية ولبنان 190
يوم الأحد 1942/5/3 191
- رسائل ورسول من المفتي والخلاف بين المفتي ورشيد عالي 191
- الحالة في إيران نتيجة احتلال الإنكليز والروس 204
الاثنين 1942/5/12 205
- الحكم على بعض أركان ثورة العراق وتنفيذ الإعدام في ثلاثة منهم 207

- أخبار متنوعة من العراق وسورية ولبنان وفلسطين 208
السبت 1942/5/30 210
- أحكام إعدام في حلب 210
- رحلة استجمامية الى بورسة وصف لمشاهداتها وآثارها 214
الأربعاء 1942/6/10 219
- خواطرنا في مناسبة تمام سنة كاملة على غزو الانكليز والديغوليين لسورية الذي حملنا على الهجرة 219
- الخلاف بين النحاس ومكرم 219
يوم الخميس 1942/6/18 223
- تطور سريع في جبهة ليبيا 223
يوم الثلاثاء 1942/6/30 226
- ورود كتاب من الشيخ حسن أبي السعود وفحواه وتعليق في صدده 226
- كتاب من واصف كمال في برلين لأكرم زعيتر 230
- رسالة من المفتي يحملها إلينا شخص ألماني 230
- أثر الموقف المتدهور في ليبية في الأوساط الإنكليزية 232
- خبر عن جفاء بين الإنكليز والإفرنسيين في سورية 234
يوم الأحد 1942/7/5 235
- حالة القلق والاضطراب في مصر بسبب تطور الحالة في الجبهة 235
- إذاعات محورية رسمية باحترام استقلال مصر 236
- جبهة ليبية ومصر والإنسحاب الى العلمين 237
يوم الجمعة 1942/7/17 238
- تأييد اليابان للتصريح المحوري في صدد استقلال مصر 238
- مقابلة هتلر لرشيد عالي 238
- مناشير على مصر وبلاد العرب بتوقيع المفتي ورشيد 240
- حول مسألة الأسطول الإفرنسي في الإسكندرية 241

الجزء ـ 11 ـ

يوم الأربعاء 22 تموز 1942 245
ـ كتاب من المفتي وآخر من رشيذ عالي 245
يوم الجمعة 31 تموز 1942 254
ـ قدوم مصطفى الوكيل كرسول من المفتي 254
ـ نص مذكرة أرسلت إلى المفتي مع مصطفى الوكيل 259
ـ نص رسالة من المفتي جواباً على المذكرة المرسلة إليه 261
ـ نصوص ثلاثة كتب مرسلة من جماعة الآستانة الى رشيد والمفتي حول الخلاف واللجنة ... 269
يوم 30تموز 1942 272
ـ دعايات الإنكليز لتهدئة البلاد العربية 272
ـ استقالة وزارة سامي الصلح اللبنانية وإعادة تكليفه 274
ـ أخبار عن مطامع اليهود في فلسطين وسياسة الإنكليز المهدئة 275
يوم الأربعاء 12 أغسطوس 1942 276
ـ بيان حكومة الهند ضد قرار المؤتمر واعتقال غاندي ونهرو
وأبي الكلام آزاد وغيرهم 277
ـ موقف أميركا من حركة الهند القائمة 278
يوم الأحد 23 أغسطوس 1942 279
ـ غزوة إنكليزية لميناء ديب الإفرنسي 279
ـ تصريحات لنوري السعيد عن استعداد العراق لإعلان الحرب
على الألمان إذا ما طرقوا أبواب العراق 281
ـ تحركات يابانية وإنكليزية في حدود بورما 283
يوم السبت 12 أيلول 1942 284
ـ زيارة الوصي على العراق ونوري السعيد لشرقي الأردن وفلسطين وتصريحات 248
ـ جلسة حامية في مجلس نواب الإنكليز في صدد الجبهة الثانية 285
ـ دخول الحرب سنتها الرابعة والاحتمالات المتوقعة 288
ـ زيارة ديغول لسورية ولبنان 290
يوم الثلاثاء 29 أيلول 1942 291
ـ خطاب لوزير خارجية ألمانيا في مناسبة ذكرى توقيع الحلف المحوري 291
ـ حرب ستالينغراد البطلة العظيمة 392
ـ ارتفاع الأسعار في تركية 295
يوم الاثنين 26 تشرين الأول 1942 296
ـ خواطر لنا في مناسبة عيد الفطر وكتابات الأولاد لنا 296

- موقف الروس وستالين من جمود السكسونيين 298
- استمرار مقاومة ستالينغراد 300
يوم السبت 7 تشرين الثاني 1942 302
- تطور عظيم في جبهة العلمين لصالح الإنكليز 302
- أخبار من سورية 304
يوم الأحد 15 تشرين الثاني 306
- استمرار التطور العظيم في جبهة العلمين لصالح الإنكليز 306
- هجوم سكسوني مفاجىء على السواحل الإفرنسية الإفريقية 308
- تسجيل لهواجسنا وخواطرنا بسبب الحركات في التطورات الجديدة 313
- سعة البروز والنشاط الأميركي في هذه الحرب 314
يوم الجمعة 20 تشرين الثاني 1942 316
- ارتفاع أسعار المعيشة في تركية 317
- حالة فرنسة والإفرنسيين في الداخل والخارج وحكومة دارلان وحكومة لافال 318
- الحركات في الشرق الأقصى 321
يوم السبت 1942/11/28 323
- حركة ألمانية ضد الإفرنسيين 323
يوم الاثنين 7 كانون الأول 1942 327
- خطابات تشرشل وموسوليني وإيدن عن المواقف السياسية 327
- أحوال فرنسة في الداخل والخارج 331
- رحلة الزعيم الشركسي سعيد شامل إلى ألمانيا 335
يوم الأحد 13 كانون الأول 1942 338
- أثر خطاب فرانكو 339
- تصريحات ويلكي في صدد تنظيم ما بعد الحرب 340
- مظاهرات في إيران بسبب الجوع 341
الخميس 24 كانون الأول 1942 342
- كتاب مفصل من المفتي جواباً على كتبنا في صدد خلافه مع رشيد 342
- زلازل في معظم البلاد التركية 346
- الحركات الحربية في هذه الفترة 349
الاثنين 4 كانون الثاني 1943 350
- تعليقات وتصريحات حيادية وسكسونية ومحورية حول سير الحرب 351
- حركة احتجاج قوية في فلسطين على مذكرة شيوخ ونواب أمريكيين وتأييد اليهود 353
- مفوض أميركي لدى حكومتي لبنان وسورية 355

يوم الأحد 16 كانون الثاني 1943 356
- اعلان العراق حالة الحرب بينه وبين دول المحور 356
- حول احتمالات حذو مصر حذو العراق 358
- سير الحرب في هذه الفترة 361
السبت 23 كانون الثاني 1943 362
- ردود فعل إعلان العراق حالة الحرب 362
يوم السبت 30 كانون الثاني 1943 366
- حول قرار فرنسة الحرة الديغولية بإعادة الحياة النيابية بسورية ولبنان 367
- اجتماع روزفلت وشرشل في الدار البيضاء 368
الخميس 4 شباط 1943 371
- كتاب من المفتي بعودة الصفاء مع رشيد 372
- انتهاء حرب ستالينغراد بنصر روسي حاسم 373
السبت في 13 شباط 1943 374
- بلاغ فرنسة الحرة عن إعادة الحياة النيابية في سورية ولبنان 374
- أخبار الحرب في الجبهة الروسية وأفريقية 377
يوم الأحد 21 شباط 1943 378
- خطاب لغوبلز في موضوع الحشد الألماني 378
- نشاط ألماني في جبهة تونس 381
يوم الأحد 28 شباط 1943 385
- خطب وإذاعات وصحافة متنوعة المصادر بمناسبة ذكرى الجيش الروسي 385
- صوم غاندي ورد فعله وموقف الهند وبريطانية 388
- طلب حكومة العراق من رعاياها في بلاد المحور العودة 389
يوم الأحد 7 مارس 1943 392
- اعلان روسي بعدم مطامع روسية في الاستيلاء على أراضٍ ليست لها 392
- تصريح لإيدن سمعناه من الإذاعة في صدد الوحدة العربية 393
- أخبار الحرب في الجبهات 396
يوم الثلاثاء 16 مارس 1943 397
- تأليف الحكومة التركية الجديدة ودخول معارضين فيها 397
- نص تصريح إيدن عن الوحدة 398
- تصريحات أميركية مثيرة حول مابعد الحرب 399
- تصريحات مثيرة لغوبلز حول النازية وحول ما بعد الحرب 400

الجزء - 12 -

يوم السبت 20 مارس 1943 407

- أخبار عن الحالة في بلاد الشرق العربي

والحركات الحربية المتوقعة 408

- أزمة وزارية في إيران 408

- مابين الروس والإنكليز من خلاف في نتائج الحرب 410

يوم الخميس 1942/3/25 415

- اشتداد نشاط الروس الحربي 416

- تحويم طيارات فوق أراضي تركية وإلقائها قنابل 417

يوم السبت 1943/3/27 418

- اشتداد الإهتمام لجبهة البحر الأبيض 419

يوم السبت 1943/4/3 421

- حول ما كان من مساع في سبيل قضية الهند 421

يوم الأحد 21 مارس 1943 425

- إعلان كاترو وعودة الحياة الدستورية في سورية أيضاً 425

- خطاب لشرشل عن سير الحرب وتوقعاته وتصوراته لما بعد الحرب 428

يوم الجمعة 2 نيسان 1943 430

- تعليق جديد على مسألة الحياة الدستورية التي أعيدت

إلى سورية ومواقف رجال سورية من ذلك 430

- احتمال الطلب من لبنان وسورية إعلان حالة الحرب ضد المحور 431

- دعوة من مصر لنوري السعيد في صدد فكرة الوحدة العربية 431

- غمز هتلر في خطابه للمحايدين ومقال لحسين جاهد يالشين 433

- حول الإنسجام بين اليابان ودولتي المحور 435

- تطور الحالة الحربية في جبهة تونس لصالح السكسونيين 436

الأحد 11 نيسان 1943 437

- الحالة في جبهة تونس لصالح السكسونيين 438

- الحالة بين الإفرنسيين المحاربين وموقف السكسونيين 439

- قلق الفلسطينيين من ضريبة الإرث 441

يوم الثلاثاء 20 نيسان 1943 442

- نشاط هتلر في مقره واجتماعاته مع رؤساء الدول المتحالفة 442

- تنويه الألمان باستعدادهم الدفاعي في سواحل أوروبا 443

- خطاب مثير لوزير خارجية أسبانيا بالتوسط للصلح 444

- اكتشاف جثث آلاف الضباط البولونيين 444

- جهد السلطات التركية في تحصيل ضريبة الثروة وآثارها في العناصر غير المسلمة 445
- سؤال في مجلس الشيوخ عن موقف حكومة مصر في صدد تصريح إيدن عن الوحدة 446
يوم الإثنين 3 /5/ 1943 450
- استمرار نشاط هتلر في مقره واجتماعه بلاڤال 450
- استمرار صدى اكتشاف جثث الضباط البولونيين 450
السبت 15/ 5/ 1943 453
- الحركات الحربية في جبهة تونس 453
- رحلة جديدة لشرشل إلى واشنطون 455
- نشرة لموسوليني تنم عن مطامعه الإستعمارية في بلاد الغرب 457
- أخبار عن حالة اليهود في فلسطين 458
- بيان من الشيخ بشارة الخوري فيه تنصل مما نسب إليه من ميول اتحادية مع سورية 459
يوم السبت 22/ 5/ 1943 460
- استمرار الكلام عن رحلة شرشل لواشنطن 460
- اشتداد القصف السكسوني على ألمانيا وإيطاليا والمحتلات الأوروبية 462
- إعلان موسكو إلغاء تنظيمات الشيوعية الدولية الثانية خارج سورية 463
- مذكرة صلح إنكليزية 465
- خبر نشاط وانتصار اليابانيين في الصين والمشرق الأقصى 466
يوم الأحد 30/ 5/ 1943 468
- نتائج رحلة شرشل لواشنطن 468
- المؤتمر الصهيوني في فيلادلفيا وحملات الصهيونيين وخطبهم على بريطانية والكتاب الأبيض بسبيل فتح باب فلسطين للهجرة 468
- بيان للأمير عبد الله في صدد وحدة سورية 470
- جمود التحرك الوحدوي العربي 471
يوم الأحد 6 حزيران 1943 473
- قصة الكتاب الأسود الذي رفعه مكرم عبيد ضد النزاهة الوفدية والنحاس وحكومته 473
- الجدري والتيفوس في تركية وآثارهما 477
يوم الأربعاء 16 حزيران 1943 480
- مؤتمر حزب الشعب الحكومي التركي وبيان رئيس الحكومة 480

يوم الخميس 24 حزيران 1943 482
- مرور سنتين على الحرب الروسية الألمانية وآثارهما 482
يوم الجمعة 2 تموز 1943 484
- منهج عمراني تجميلي للآستانة يعلنه الوالي 484
- تصريح قوي للملك السعودي في صدد قضية فلسطين وفي صدد الإتحاد العربي 486
- مؤتمر العصبة الإسلامية الهندية وإلحاحها بحل قضية فلسطين حلاً عادلاً 487
- تصريحات لنوري السعيد عن صلات العراق والعرب بالحلفاء 489
- تعديلات في الكراسي النيابية في لبنان لصالح النصارى 491
- رحلة الملك جورج إلى شمال أفريقية ومغزاها 494
يوم الإثنين 12 تموز 1943 495
- بدء سنتنا الثالثة في هجرتنا 495
- نزول قوات سكسونية إلى صقليا 495
يوم الثلاثاء 20 تموز 1943 498
- كتاب من المفتي مع رسوله مصطفى الوكيل وتسجيلات في صدد ذلك 498
يوم الخميس 22 تموز 1943 504
- نوري السعيد في سورية ولبنان 504
يوم الثلاثاء 27 تموز 1943 505
- استقالة موسوليني وتفصيلات متنوعة حول ذلك 505
الأربعاء 28 تموز 1943 509
- تفصيلات بيانات أخرى حول سقوط موسوليني 509
الأربعاء 4 آب 1943 511
- استمرار الكلام حول حالة إيطالية 511
- موقف السكسونيين والشيوعيين من انسحاب موسوليني 514
- عصابات مسلحة في فلسطين 515
- نشاط الحركة الإنتخابية في سورية واستقطاب شكري القوتلي 515
- تعديل في الحكومة اللبنانية ومعالجة حقوق المسلمين 516
- مذكرة نوري السعيد في صدد توحيد بلاد الشام ثم إتحاد عراقي شامي 518
يوم الجمعة 13 آب 1943 519
- اجتماعات نوري والنحاس ونتائجها 519

- نشاط اليهود في أميركا وفي فلسطين 521
- تسجيلات لنا في صدد قضايانا وجهود اخواننا في أوروبا 522
السبت 21 آب 1943 524
- حول مؤتمر شرشل وروزفلت في كندا 524
- إنهاء حرب صقلية بالنصر السكسوني والإنسحاب المحوري 525
- إنتخاب شكري القوتلي لرئاسة جمهورية سورية وحكومته الجديدة 526
يوم الثلاثاء 31 آب 1943 528
- ثالث رمضان لنا في تركيا وخواطرنا وأشواقنا 528
- حول الحركة الوحدوية ودعوات النحاس وموقف السعودية وتصرفات ونشاط نوري 528
- تصريح سعد الله الجابري عن أهداف وسياسة العهد الجديد 528
- غداً تدخل الحرب سنتها الخامسة 529
يوم الخميس 9 أيلول 1943 530
- عقد الهدنة بين إيطالية والسكسونيين 530
- زيارة توفيق أبي الهدى لمصر للمشاورة 533
يوم الأحد 12 أيلول 1943 534
- خطاب هتلر عن هدنة إيطالية 534
- شروط الهدنة حسب إذاعة لندن 536
يوم السبت 18 أيلول 1943 537
- وفاة والدتنا في دمشق 537
- مفاجأة جديدة بتهريب موسوليني 537
- حل الجيش الطلياني بقرار من القائد الألماني 539
- الانتخابات النيابية اللبنانية ونتائجها 540
- مواقف مصرية إزاء مشاورات الوحدة 542
- محاكمة جنود إنكليز بتهمة بيع سلاح لليهود في فلسطين 543

الجزء - 13 -

يوم السبت 27 تشرين الثاني 1943 547
- تمهيد : قرار بالإقامة الجبرية في آيدن - الأناضول 547
- زيارتنا لأنقرة وشيء عنها 549
- أزمة لبنان مع فرنسة تشرين الأول 1943 555

يوم الجمعة 1943/12/3 578
- دعوة النحاس للحكومة السورية لمشاورات الوحدة 579
- حول موقف فلسطين ورجالها من مشاورات الوحدة 583
- مشاورات الوحدة في خطاب النحاس في مؤتمر الوفد العام 586
يوم الأربعاء 1943/12/8 588
- عيد الأضحى ونحن في آيدن وهو سادس عيد لنا في هجرتنا 588
- حول قضية تهريب وشراء اليهود للسلاح من الإنكليز 589
- حول نشاط اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية العربية في فلسطين 590
- احتيالات اليهود على قوانين الأراضي 591
- ما جرى حول المجلس الاستشاري الحربي 591
- حول ما كان من انشقاق في الزعامة اليهودية بسبب الاعتدال والتطرف 593
- عدد اليهود في نهاية السنة الرابعة للكتاب الأبيض 596
الأربعاء 22 كانون أول 1943 598
- أخبار عن مصر والبلاد العربية الأخرى 598
- إقامة صلات سياسية بين مصر وروسية 599
- حول المساعي اليهودية للاستيطان في أستراليا 600
- استلام الحكومة السورية بعض الدوائر من الإفرنسيين 604
- عقد المؤتمر الطبي العربي السادس في مصر 606
- موجز للأخبار المهمة العالمية السياسية 608
- مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى الثلاث في موسكو 608
- لقاء بين وزيري خارجيتي بريطانية وتركية في مصر 610
- غضب اللجنة الإفرنسية بسبب إهمالها ومداه 611
- خطاب لستالين في مناسبة ذكرى الثورة الشيوعية 612
- مؤتمر قمة خطير أميركي إنكليزي صيني في مصر 612
- مؤتمر قمة ثلاثي خطير روسي أميركي إنكليزي في طهران 614
- لقاء قمة تركي إنكليزي أميركي في القاهرة 615
- نشاط شرشل في مصر بعد المؤتمر 617
- خطبة خطرة للمارشال سمطس 618
- تصريحات خطيرة لسمرويلز ومداها في هذه المناسبة 619
- قرار مجلس الشيوخ الأميركي بوجوب استمرار أميركا مندمجة في سياسة العالم 619

- أحوال إيطالية السياسية في هذه الفترة 620
الثلاثاء 1943/12/28 622
- تصريح إنكليزي في مجلس النواب عن استمرار بريطانيا على التزامها سياسة الكتاب الأبيض 622
- مؤتمر غرف تجارة فلسطين العربية وقراراته حول إنشاء هيئة سياسية تمثل فلسطين 624
- انعقاد اللجنة التحضيرية المقررة في المؤتمر 625
- حول نشاط مصر في سبيل تحسين مركز قضية فلسطين الأولى 627
- إحصاءات يهودية عن مشتريات اليهود في الأراضي العربية في السنين الأخيرة 628
- حول تسرب الجنود البولونيين في المستعمرات الفلسطينية وتسليحها 629
- نشاط سوري لبناني حكومي في صدد اتصالات مع فرنسة وما في يدها من مصالح 632
- بعثة فاروق إلى لبنان ثم سورية 633
- السعي للإفراج عن بعض الزعماء الفلسطينيين 636
- حول استئناف مشاورات الوحدة بعد أزمة لبنان 636
- بعثة أميركية عسكرية في ضيافة الملك عبد العزيز 638
الجمعة 1943/12/31 638
- أخبار عالمية متنوعة سياسية وحربية 638
- بيانات آيدن عن مؤتمرات طهران والقاهرة 638
- خطاب إنذاري لروزفلت 639
- معاهدة بين روسيا وتشيكوسلوفاكيا 641
- الإهتمام بالحركات الحربية في يوغوسلافية بقيادة تيتو 642
- أرقام هائلة عن نفقات وإنتاج أميركا 643
9 كانون الثاني 1944 645
- أولاً : اختيار تعليقات عن الشؤون والبلاد العربية 645
- خطاب لسعد الله الجابري 645
- بيان رسمي أميركي في صدد انفراج أزمة لبنان 648
- بيان للنحاس في صدد أزمة لبنان 649
- حول انضمام مصر لميثاق الأطلانطي 650
- تطلعات عربية وغربية جديدة نحو الوحدة 650
- تصريح لوزير بريطاني عن أحوال الشرق الأوسط 650
- مقال في التايمس عن المفاوضات بين فرنسة وسورية ولبنان 651

- خبر الإتفاق الإفرنسي السوري اللبناني 651
- تعديل وزاري في العراق 654
- ثانياً : أخبار وتعليقات عن السياسة والحرب العالمية 654
- تصريحات بمناسبة السنة الجديدة 654
- خطاب هتلر 654
- مقال لويلكي منافس روزفلت فيه نقد لسياسة روزفلت الداخلية والخارجية 656
- حول سياسة تركية إزاء الحرب والحياد 657
يوم 1944/1/18 658
- أخبار وتعليقات عربية 658
- حول موقف فرنسة من مسائل سورية ولبنان 658
- حول ممارسة سورية ولبنان الإشراف على المصالح 659
- بيان عجيب ومثير للجنة الإفرنسية في صدد
ما تم من اتفاق مع سورية ولبنان 660
- تفكير حكومة مصر بشراء المنشآت الحربية التي أقامها الحلفاء في أرضها 661
- حول مشكلة عمال المجهود الحربي من اليهود بعد الحرب 664
- مساعي وايزمن في صدد العودة إلى التقسيم 666
- تصريح لرياض الصلح في صدد سفره إلى مصر للمشاورات وخطبته في ذلك 668
- البيانات المذاعة عن مشاورات الوحدة بين النحاس والوفد اللبناني 670
- أخبار السياسة العالمية والحرب 672
- مشكلة حدود بولونيا وموقف الروس وحرج السكسونيين 672
- مشاريع الميزانية والقوانين الإجبارية التي قدمها روزفلت 676
- مؤامرة ثانية في نيويورك لقلب الحكومة 678
- إعدام شيانو وزعماء الفاشيست بحكم محكمة موسوليني بالخيانة 679
يوم 1944/1/31 680
- أخبار وتعليقات عربية 680
- تصريح لحافظ وهبة في صدد الوحدة وقضية فلسطين 680
- إحصاء عن حالة اليهود المعيشية 681
- تصريح لرياض الصلح عن تمسك لبنان باستقلاله 683
- حركة شغب في كليات الأزهر وخلفياتها 685
- محاولات ومساعي يهودية لبعث مشروع التقسيم 686
- مقال جريدة إنكليزية حول سياسة الكتاب الأبيض
والوحدة العربية وتوحيد أقطار الشام 687

- خطاب للمندوب السامي في فلسطين
تحذير للعرب واليهود في مناسبة رأس السنة 688
- يمين الولاء من حكومة ونواب سورية للدستور 689
- اجتماع شرشل بديغول وعلاقات بريطانية بلجنة فرنسة الحرة 689
- احتجاج صهيوني متطرف على مساعي بعث التقسيم والإكتفاء به 690
أخبار وتعليقات عالمية عن الحرب والسياسة 31/1/1944 692
- خطاب لهتلر في مناسبة ذكرى حزبه 692
- مرض شرشل الذي بقي مختبئاً وشيء عن عظمة نشاط الرجل وأثره في الحرب 693
- لقاء شرشل بديغول وما نشر حول ذلك 693
- مظاهرات هندية استقلالية 694
- وعد اليابان بمساعدة ألمانيا 694
- حرب أعصاب سكسونية ضد بلغاريا ورومانيا 694
- مسألة حدود بولونيا مع روسية وبولونيا والسكسونيين ومسألة قتلى البولونيين
المنسوبة إلى الروس 695
- حديث الجبهة الثانية ومداه وآثاره 696
- تجهم سكسوني إزاء أسبانيا 696

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون البناية : 340131/2 تلفون مباشر : 350331 ص . ب . 5787-113 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم	:	1993 - 10 - 1000 - 204
التنضيد	:	سامو برس – بيروت
الطباعة	:	دار صادر – بيروت

Mohammed Izzat Darwazeh

97 Years

Autobiography

A long side with Arab movments
and Palestinians cause
Memories and Registrations

Volume IV

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI